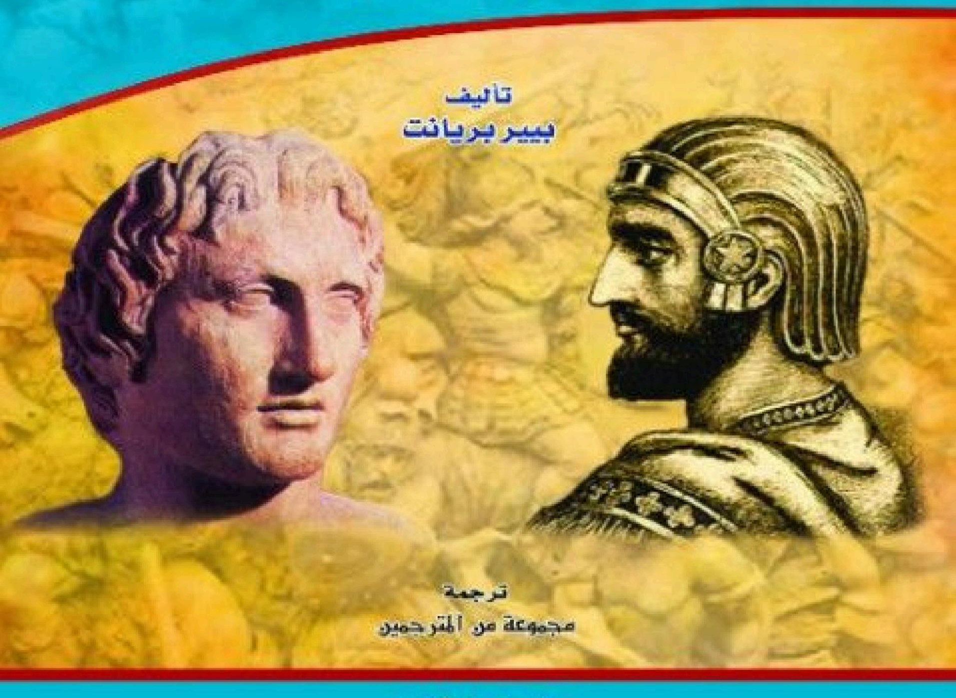
مَوسُوعَة
تاريخ الإمبراطورية الفارسية من قورش إلى الإسكندر



تأليف
بيير بريانت

ترجمة
مجموعة من المترجمين

المجلد الأول

الدار العربية للموسوعات

موسوعة

تاريخ الإمبراطورية الفارسية

مِنْ قورش إلى الإسكندر

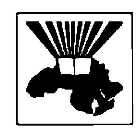
اسم الكتاب: موسوعة تاريخ الإمبراطورية الفارسية مِنْ قورش إلى الإسكندر

المؤلف: بيير بريانت

الطبعة الأولى: 2015م - 1436هـ

978-614-424-173-8 (7 مجلدات)

978-614-424-174-5 (المجلد الأول)



الدار العربية للموسوعات

المدير العام: خالد العاني

الحازمية - مفرق جسر الباشا - سنتر عكاوي - ط1 - بيروت - لبنان

ص.ب: 511 الحازمية - هاتف: 952594 5 00961 - فاكس: 459982 5 00961

هاتف نقال: 388363 3 00961 - 525066 3 00961

الموقع الإلكتروني: www.arabenchouse.com البـريـد الإلـكـتروني: info@arabenchouse.com

موسوعة

تاريخ الإمبراطورية الفارسية

مِنْ قورش إلى الإسكندر

تأليف

بيير بريانت

ترجمة

بيتر تي دانيلز

بحيرة وينونا، إنديانا أيزنبراونز

المجلد الأول

الدار العربية للموسوعات

بيروت



(حتى لـو لم يكـن حقيقيًّـا، فأنـت بحاجـة لأن تـؤمن بالتاريخ القديم)

لوي فيري

(مـن الصـعب معرفـة مـا إذا كـان تفسـير معـين يُعَـدُّ صحيحًا، إن التفسير السَّيِّئَ أسهل كثيراً للتمييز)

أومبيرتو ايكو

مقدمة الترجمة الإنجليزية

إن نص الكتاب المقدَّم هنا للقراء الناطقين بالإنجليزية يختلف كثيراً عن النسخة الفرنسية التي نشرت بواسطة دار فايار (Fayard) في يونيه (1996)، ومع ذلك، وخلال المرحلة الأولى من عملية الترجمة - أواخر 1996 وأوائل 1997- تمنيت أن أجري التعديلات والإضافات المنظمة المنطبقة على النص الأصلي في شكل يأخذ في الحُسْبان الإصدارات التي ظهرت بعد التنقيح الأخير للمخطوطة الفرنسية في سبتمبر 1995[1]، ولقد تسبب تكرار التأخير في إعداد الترجمة الأمريكية في جعلي أعدل عن القيام بهذا المشروع، وهنا أود أن أشرح سبب اتخاذي هذا القرار إلى قرائي[2] .

لقد اخترت عرض تحديثات وتقييمات مفصلة للغاية للبحث في شكل آخر، وهو «نشرة عن التاريخ الأخميني (BHAch) «، وهو منظم

([1]) أود أن أشير إلى أنَّ كلًّا من أورسولا فيبر، وجوزيف ويسهوفير قد قاما بتوفير ببليوجرافيا شاملة هائلة للتاريخ الأخميني موصوفًا بدقة.

([2]) تمَّ إدراج إضافة مهمة في جزء من الفصل التاسع المخصص للعادات والتغيير، وقد قدمت وثيقة استثنائية تتناول العادات في مصر بالاعتماد على أهم المعارض، واستنتاجات الدراسة التي قمت بها أنا وديسكات، ولقد قررت التوقف عن إدخال مواد أو مناقشات جديدة.

بطريقة بحيث يتبع الهيكل الموضوعي لكتابي، ويتمثل هدفه في إعطاء الفرص الدورية للعلماء، وذلك ليس فقط للتعرف على المراجع الحديثة، وإنما أيضًا للحصول على التحليل النقدي، ولقد اتخذ أول نشر شكل مقالة طويلة نشرت في الملحق رقم (1) لمجلة توبوي (Toboy)، (1997 ,5-127) [1] وفيها قمت بتحليل حوالي 450 عنوانًا لكتب ومقالات نشرت في الفترة ما بين أكتوبر 1995 وأكتوبر 1997، أما النشرة الثانية في عام 2001 فقد ظهرت في شكل كتاب[2] باتباع الخطة نفسها، فقد حلّلت أكثر من 800 عنوان نشرت في الفترة ما بين أكتوبر 1997 وأكتوبر 2000 ، ولجعلها أسهل استعمالاً زودت النشرة الثانية بالفهارس التي تشمل أيضًا مواد في النشرة الأولى، ويُمكّن أحد هذه الفهارس (327-30) للقراء العثور على الصفحة في كتابي الذي نشر في عام 1996، والتي تحتاج إلى مراجعة في ضوء المنشورات الجديدة. وعلاوة على ذلك، فقد تم مؤخرًا إنشاء موقع على شبكة الإنترنت مخصص للبحث الأخميني (www.achemenet.com) ، كما يسمح للعلماء الوصول إلى الوثائق والموارد الببليوجرافية بشكل مستمر[3].

([1]) الملحق (1) توبوي (وزع بواسطة بوكارد في باريس)، ويشمل أوراقًا من اجتماع المنظمة في (31 مارس- 1 أبريل من عام 1997)، ولقد استجاب ما يقرب من عشرين زميلاً من مختلف البلدان لدعوة من السيد جان-ماري فارنكويس ساليس وفارنكويس بوساك لمناقشة كتابي الذي نشر حديثًا في ذلك الوقت بواسطة فاراد.

([2]) النشرة الثانية (انظر: www.thotmeditions.com/editions/bhachII02.htm) ، يفتتح هذا المجلد سلسلة جديدة بالتعاون مع كلية فرنسا college de France .

([3]) يستجيب إنشاء هذا الموقع أيضًا لاغراض محددة للإطار العام للتاريخ الأخميني، أي بهدف إلى تحويل ما تم فعليًا في الأوساط العلمية إلى المجتمع العلمي فعليًا: انظر كتابي «دعوة للتعاون»، متاح للتحميل على شبكة الإنترنت (www.achement.com/pdf /call.pdf)، فضلاً عن وقائع الندوة التي نظمت في كلية فرنسا college de France التاريخ الأخميني وقواعد البيانات على الإنترنت: تقييم التقدم في العمل وآفاق =

وقد ناقشت إحدى الأسئلة المنهجية التي آثارها التحديث المنهجي، وهي مسألة لا تقتصر على الدراسات الأخمينية، في «محاضرة نوروز» التي ألقيتها في مؤسسة «الدراسات الإيرانية» (واشنطن، 23 مارس 2001) تحت عنوان: «الاتجاهات الجديدة في التاريخ الأخميني»[1] .

وهناك، وبالإشارة إلى التجديدات في النشرة الأولى والثانية، قلت: عندما نسعى إلى متابعة وتقييم البحوث والنشرات بشكل دوري وبطريقة شاملة، نستطيع تطوير العادة الدائمة للاستجابة المعرفية للنتائج الحقيقية للبحث، ويصعب حلُّ هذه المسألة خاصة في العلوم الإنسانية، حيث يَحِلُّ أحيانًا تراكم سعة الاطلاع والحشو الببليوجرافي محلَّ الأدلة المقبولة، ولكنها تكون مُضلِّلة للإبداع العلمي. وللتحدث بشكل صريح نستطيع أن نتساءل: ما الجديد فيما نشر مؤخرًا؟ وفي مجالنا، ما الدلائل التي تسمح لنا بالقول: إن علامات الدراسة هذه أو تلك تتقدم في طلب المعرفة؟ إن الإجابة قد تبدو سهلة طالما نتناول الوثائق والإصدارات، ولكن هذه المسألة تختلف تمامًا عندما يأخذ المرء في الحسبان المنشورات التفسيرية، وحتى بين إصدارات الوثائق يستطيع المرء أن يقوم بالمقارنات؛ فبعضهم يضيف وثيقة واحدة فقط لم تنشر في سلسلة معروفة، وذلك بدون تعديل الكثير من المعنى العام، ومن ناحية أخرى فقد لفتُّ الانتباه إلى هذه الوثائق، وهذا في حد ذاته قد يوحي بوجود اتجاهات جديدة للتفسير .

= المستقبل»، متاح على الشبكة العالمية (www.achement.com/pdf/colloque/ resumes.pdf)، وذلك بالتعاون مع المحرر توباي، ويمكنك الحصول على النص كاملاً من خلال شبكة الإنترنت. (www.achement.com/bibiolgraphies/bhach1.htm)

(1) النسخة الإنجليزية متاحة على شبكة الإنترنت (www..fis.iran.org/achemenid .htm)، كما أن النسخة الفرنسية متاحة أيضًا (www.achement.com/ressources/ enligne/jasr01/htm) .

وبعـد عـرض نتـائج الحفريـات في عـين مانـاوير في مصر، خلصـت إلى أن الاكتشافات والإصدارات التـي تتحـدث عـن مصر الأخمينيـة، والتـي عرضـتها بإيجـاز ليست أخيرة، ولكنها حقًّا جديدة، كما فتحت الآفاق لنموٍّ جذريٍّ جديـدٍ في المسـتقبل القريب .

ووجهة نظري هي أنه لا يمكن أن يتحقق التحديث الشـامل بطريقـة مرضـية فقط من خلال مئات الإضافات الببليوجرافية المكَدَّسة، وعنـدما تـتراكم الإصـدارات يزداد خطر تحميـل الـنص والملاحظـات الببليوجرافيـة بالتحـديثات المتراكمـة، مـما يجعل النص أكثر صعوبة بدلاً من الاستفادة منه، علاوة على ذلك، وفي هذه الحالـة يعتبر ظهور الشمولية وهمًا كبيراً وذلك لسببين: - أولاً: إن أي كتاب يقوم بتحـديث الببليوجرافيا قد يكون خاضعًا لبعض الأخطاء الببليوجرافية[1] - عـلاوة عـلى ذلـك - كما أشرت- فإن العديد من المراجـع الإضـافية لا تضـيف شـيئًا جديـدًا؛ ولـذا فمـن الضروري إدخال تمييز هرمـي بـين «القـديم» و«الجديـد»، وتبريـر معـايير الاختيـار بالتفصيل، وهذا ما حاولت فعله في نشرات عام 1997 و2001 .

ومع كل هذا، فإنني أعترف وبصراحة أنه مراعاة المنشورات التـي ظهـرت بـين 1995 و2000 من شأنها أن تعدل الكثير مـن التفصـيل والمناقشـة في هـذا الكتـاب وإثراء التوثيق التخطيطي. ومع ذلك، فإذا اخترت أن أقدم هذه النسـخة الأمريكيـة الأولى بشكل الكتاب الفرنسي نفسه، فلأنني قـررت -سـواء اعتقـد القـارئ أن ذلـك صحيح أم خاطئ- أن الصورة العامة للإمبراطورية الأخمينيـة والتـي قـد شرحتهـا في عام 1996 لم تُعدَّل أساسًا .

---

(1) فعلى سبيل المثال، هل لي أن أذكر وأنا أكتب هذا التمهيد، في أوائل يوليـو 2001 تشـمل القائمة الببليوجرافية المؤقتة للنشرة الثالثة (التي ينوى أن تظهر في عـام 2003) عـلى أكـثر من 150 عنوانًا، منها بعض الكتب والمقالات المهمة.

وهناك مثال مهمّ في الفصل (16)، حيث أقدم فيه تحليلاً إقليميًّا للإمبراطورية، ومحاولة لتفسير العلاقة بين السلطةالمركزية والمحيط في شكل محتمل التقييم (693). إن وجهة النظر التي تبنيتها ودافعت عنها هناك هي أن الوثائق المكتشفة حوالي عام 1970 و1995 تلقي بالكثير من الشك على الفرضية الإحصائية «المزيفة» للحضور الفارسي الضئيل، واحتلال الإمبراطورية؛ وذلك استنادًا إلى أدلة قديمة أو متعلِّقة بمنظور إقليمي معين (764)، ولهذا الغرض، قدمت في ملاحظات الوثائق المطابقة (1029-1031) تقييمًا للاكتشافات الأخيرة حسب المنطقة، وعلى الرغم من ذلك، فإن هذا الباب ينبغي أن يكتب، وتدرج فيه العديد من الاكتشافات الجديدة منذ عام 1995، إذا ظلَّت بعض الاكتشافات التي عولجت في نسخة 1996 قيد المناقشة[1]، فإني أعتقد أن مجمل الوثائق المنشورة بين عامي 1995 و2000 تميل أكثر إلى تأكيد التفسير التاريخي الذي قدمته في هذا الكتاب، سواء فيما يتعلق بالحفاظ على العلاقات العضوية بين السلطة المر كزية والمحافظات[2]، فيما يتصل بالسياسة التي أَنْتَهِجُها تجاه المعابد المحلية أو القومية، أو فيما يتصل بنشر

(1) على سبيل المثال: فيما يتعلق بتفسير الألواح الإيلامية الموجودة في أرمينيا (النسخة الفرنسية 962-63، 938)، انظر: العلاجات التي نوقشت في النشرة 1 و25 والنشرة الثانية 44، ولم يغلق باب المناقشة بعد.

(2) مثال ذلك، اكتشاف المستوطنات ومئات الوثائق مؤرخة إلى عهد أرتاكسركسيس الأول والثاني ودارا (Darius) في موقع عين ماناوير، بالإضافة إلى وصف العمل بقلم ميشيل ووتمانن على شبكة الإنترنت (www.achement.com/recherche/sites/aynmanawir /aynmanawir.htm)، وملاحظاتي في (النشرة الأولى، 32-34 و 88-90، والنشرة الثانية 62 و1006-1008)، وتتجه الاكتشافات الجديدة إلى تأييد موقفي بشأن الحفاظ على الروابط بين المركز والإقليم المصري طوال القرن الخامس قبل الميلاد.

وتكييف الصورة الفارسية في مختلف البلدان[1]، أو حتى فيما يتصل بالظروف الاقتصادية للإمبراطورية عند وصول الإسكندر Alexander [2] .

في الوقت نفسه فإنه كلما أثار تفسير أو آخر التحفظات والمناظرات استطاع القارئ استيعابها بسهولة من خلال النشرة الأولى والثانية وفهارس النشرة الثانية[3] .

باختصار، لكي تصبح المراجعة كاملة وفعالة فلا بد أن تتم المراجعة بناءً على استراتيجية تأخذ الطابع الانتقائي والتركيبي. إلا أن ذلك لا ينطوي إلا على كتابة كتاب جديد، أو على الأقل تغيير جذري في كتاب آخر[4]، وليس هذا هو الغرض من الترجمة الأمريكية المتاحة اليوم، وإنما الغرض من ذلك هو أن نعرض للقراء الناطقين باللغة الإنجليزية كتابًا صدر بالفرنسية منذ خمس سنوات، ويمثل كتابي لعام 1996 حالة من التساؤل عن الأعمال التي نفذها العديد من العلماء،

([1]) حول هذه الموضوعات، فقد رجعت إلى نقاط مختلفة في هذا الكتاب، انظر: المعالجة المحددة في النشرة الأولى، 94-97، والنشرة الثانية، 176-184 (على السياسة الدينية) والنشرة الأولى، 98-104، والنشرة الثانية 911-206 (على نشر الصور).

([2]) يسهم اكتشاف شبكة من قنوات في عين مانوير أيضًا في المناقشة حول العلاقة بين فرض الجزية والاستثمارات في الإنتاج، أي نحو الترشيد الاقتصادي للنظام الإمبراطوري الأخميني، انظر: الدراسات التي جمعها بيار بريانت.

([3]) انظر: النشرة الثانية، 327-31.

([4]) هذا هو الاعتبار الذي أقنعنى بإدخال الصور والوثائق المهمة التي يمكن ملاحظتها في النسخ طبق الأصل والتعليقات في النشرة الأولى (11، 16، 18، 21، 26، 34، 41، 67، 69، 74، 101)، والنشرة الثانية (34، 36، 40، 45، 47، 58، 64، 69، 76، 110، 116، 192، 195، 202، 205، 601)، يشمل التصحيح الرئيس الذي لا غنى عنه في الإيضاحات في المنشور الفرنسي إضافة إلى قائمة الإيضاحات من دليل مصدر الرسوم، وهو للأسف قد أهمل إدراج براهين النسخة الفرنسية عام (1996) في الصفحة.

فضلاً عن الانعكاسات التاريخية الخاصة بي. ويستطيع قراء النسخة الفرنسية والأمريكية الاستفادة بسهولة من العديد من الاستعراضات التي نشرت منذ ظهور كتاب تاريخ الإمبراطورية الفارسية في عام 1996[1]. وإذا كانوا يريدون معرفة تطور الفكر البلاغي للمؤلف يمكنهم أيضًا مراجعة الأدوات الببليوجرافية المتاحة، وكذلك التجديدات والتعديلات التي نشرت لي، سواء حول الوثائق الأولية[2] أم حول مشكلات التخطيط التاريخي والأساليب[3] .

وبلا شكّ سيتمكن القراء من تفنيد أطروحات وتفسيرات هذا الكتاب اعتمادًا على تفكيرهم الخاص، وأيضًا في ضوء الإصدارات الأخيرة، وأحيانًا الجديدة.

([1]) يمكن الاطلاع على القائمة في النشرة الثانية، 8-9، بينما يعرض الآخرون نظرة عميقة للتاريخ الأخميني اليوم.

([2]) فقد نشرت بعض التنقيحات الجذرية للنقوش اليونانية ذات الصلة بالتاريخ الأخميني، وتحديدًا نقوش دروفرنيس نقوش زانثوس المكتوبة بثلاث لغات، منها مقالتان نشرتا في عام (1998)، ورسالة إلى دارا (Darius) إلى جاداتاس في دراسة أجريت في الصحافة (متاحة للنشر على شبكة الإنترنت www.achement.com/ressources/souspresse/ manuscrits01.htm)، وفي المادة الأخيرة خلصت إلى أن الوثيقة هي تزوير للتاريخ الروماني؛ ولذا أقترح أن تتم إزالتها من مناقشات التاريخ الأخميني، وبالنظر إلى أن هذه الوثيقة هي أحد أهم الوثائق في التاريخ الأخميني، وانها أيضًا أحد النصوص التي قد استشهدت بها كثيراً في كتابي، فإن هذا يوضح مدى صعوبه محاولة ترقيع وإعادة بناء النص الأصلي بطريقة مرضية.

([3]) فعلى سبيل المثال: «الإمبراطورية الأخمينية» في ك. رافلاوب ون.روزتشتين، «مجتمع الجنود والحرب في العالم القديم والعصور الوسطى» (كامبريدج: مطبعة جامعة هارفارد، (1998)، 28-105).

مقدمة المترجم

إن ما يظهر أمام القارئ هو نسخة شبه مطابقة للطبعة الفرنسية التي صدرت عام 1996. وطبقًا للمخطط الأصلي لهذا الإصدار؛ فإن هذا لم يكن ليحدث؛ حيث إنه كان من المفترض أن تشتمل الطبعة الأمريكية على تصحيحات المؤلف، والتنقيحات والإضافات التي تعكس البحث اللاحق في التاريخ الأخميني، ولكن المؤلف لم يتمكن من الحصول على موادّ إضافية باستثناء مادة واحدة فقط (وذلك للأسباب التي وصفها المؤلف بالأعلى). ويتمثل هذا الاستثناء في الوثيقة التي تم اكتشافها في& 146؛مصر والتي تناقش العادات الآرامية والتي تمَّ الحديث عنها في الفصل 3/9 (385-387). ولقد تم تمييز المقاطع التي أضافها المؤلف بين قوسين في ملاحظات البحث، والتي كان سيتم تنقيحها في النص، تم تمييزها باستخدام ((الأقواس المزدوجة)). ولقد كانت الأشكال والخرائط مرقمة بشكل عشوائي بعض الشيء في النسخة الأصلية؛ لذلك فهي تختلف هنا.

وهذا لا يعني أن هناك أيَّ فارق، فقد تمّ تصحيح مئات المراجع الكلاسيكية، كما يمكن أيضًا إدراج العديد من التصحيحات على الاستشهادات التي تمت من الأدب المعاصر، وذلك من أجل تجنب المخاطر غير المباشرة بقدر الإمكان، وقد تم أخذ الاقتباسات من المصادر القديمة من الترجمات التي صدرت باللغة الإنجليزية (وتظهر هذه

العلامة (*) لكل فقرة من هذا النوع) وذلك بدلاً من ترجمة نسخة المؤلف الفرنسي (لم تكن أشكال الأسماء في الترجمات المنشورة منظمة)، وفي حالات قليلة فقط عندما تكون النسختان متناقضتين تمامًا أو عندما لا يتطابق الاستشهاد مع الترجمات المنشورة؛ فإنه تترجم نسخة المؤلف .

المصادر المستخدمة هي كما يلي:

المصادر الكلاسيكية:

* إيليان (Aelian) ، المزيج التاريخي، ترجمة: ويلسون (مكتبة لويب الكلاسيكية، 1997).

* أرسطو (Aristotle) ، الأعمال الكاملة، تم تنقيح «الترجمات الخاصة بأكسفورد» بواسطة جوناثان بارنز (الطبعة متعددة اللغات 1984).

* أريان (Arrian) ، الزحف العسكري للإسكندر وإندكا، ترجمة: بلونت (مكتبة لويب الكلاسيكية، 1976: 83).

* أثينيوس (Athenaeus) ، الديبنوسوفيستس، ترجمة: تشارلز بورتون جوليك (مكتبة لويب الكلاسيكية، 1928: 33).

* ديموستينيس، ترجمة غير معروفة، تحقيق: جون هارينغتون (كل رجل، 1954).

* ديودورس (Diodorus) سيكولوس، مكتبة التاريخ، ترجمة: ولدفاثير، تشارلز شيرمان، برادفورد وليس، روسل ألجير، والتون (مكتبة لويب الكلاسيكية، 1933: 67).

* هيرودوت (Herodotus) ، التواريخ، ترجمة: أوبري دي سيلينكوورت (بنغوين، 1954، مراجعة جون مارينكولا 1996).

* إسوقراط (Isocrates) ، ترجمة: جورج نورتون (مكتبة لويب الكلاسيكية، 1928).

* جوزيفوس، «الحياة : ضد أبيون»، ترجمة: ثاكراي، الحرب اليهودية، ترجمة: ثاكراي، الآثار اليهودية، ترجمة: ثاكراي وآخرين (مكتبة لويب الكلاسيكية، 1926-65، جزء «13») نيبوس، ترجمة: جون رولف (مكتبة لويب الكلاسيكية، 1984).

* باوسانيوس، وصف اليونان، ترجمة: جونز، أورميريد (تنقيح) ويشيرليي، (مكتبة لويب الكلاسيكية، 1918-35 «5» أجزاء).

* أفلاطون Plato ، الأعمال الكاملة، المترجمون مختلفون، جون كوبر، (نسخة هاكيت، 1997).

* بلوتارك (Plutarch) ، الحياة، ترجمة: جون درايدن، مراجعة: أرثروس هيو كلاو (المكتبة الحديثة، 1864)، الأخلاقيات، ترجمة: كول بابيت، (مكتبة لويب الكلاسيكية، 1931-36، الأجزاء «3-4») .

* بوليانوس (Polyaenus) ، تكتيكات الحروب، ترجمة: شيبارد (شيكاغو، أريس، 1974) .

* بلويبيوس (Polibius) والتواريخ، ترجمة: باتون (مكتبة لويب الكلاسيكية، 1922-27 «6 أجزاء»).

* كوينتوس كورتيوس (Quintus Curtius) ، تاريخ الإسكندر (Alexander) ، ترجمة: رولف (مكتبة لويب الكلاسيكية، 1946).

* سترابو (Strabo) والجغرافيا، ترجمة: هوراس ليونارد جونز (مكتبة لويب الكلاسيكية، 1928-30 «الأجزاء 5-7»).

* ثيوسيديدس (Thucydides) ، الحرب البلوبونيزية، ترجمة: كرولي (المكتبة الحديثة، 1951).

* زينوفـون Xenophon ، هيلينيكـا والزحـف العسـكري، ترجمـة: كـارلتون برونسو، أوكونيميكوس وسكريبتا مينورا ترجمة اي. سي. مارشانت، كل ما هـو عـن قورش ترجمة والتر ميلر [بعض الاستشهادات ترجمة اتش. جي. داكنز (كـل رجـل، اصـدار عـام 1992 والـذي هـو إعـادة طبـع لنسـخة عـام 1914)] (مكتبـة لويـب الكلاسيكية، 1914-25).

لقـد أتيحـت لي المصـادر القديمـة الرئيسـة التـي لم تطبـع بالإنجليزيـة وهـي ستيسياس (Ctesias) وجوستين (Justin) .

المصادر الشرقية:

* الآراميـة مـن مصر: ايـه. كـاولى، أوراق الـبردي الآراميـة التـي تعـود للقـرن الخامس قبل الميلاد (1923)، جي. آر. درايفر، وثـائق آراميـة للقـرن الخـامس قبـل الميلاد (1957)، إيميل جي كارلكين، أوراق

* البردي الآرامية لمتحف بروكلين (1953) .

* بيروسوس: بروستين، بابل في عهد بيروسوس (1978) .

* اللغة الفارسية القديمـة، رونالـد كينـت، الفارسـية القديمـة: معجـم نصـوص النحوية (1953) .

الكتاب المقدس:

الكتاب المقدس الخاص بالقدس .

وأود أن أعرب عن امتناني لــ «لاريسـا بونفـانتي»، أسـتاذ الكتابـات الكلاسـيكية بجامعـة نيويـورك، التـي قـدمت لي العديـد مـن الطبعـات المدرجـة أعـلاه، وأيضًـا إلى مـورين جـالوري كوفاكس، وماثيو ستولبر للمساعدة التي قدموها فيما يتعلق بالمصطلحات التقنيـة، وخاصـة في

جمع القطع النقدية والميداليات والمخطوطات القديمة، والاقتصاد القديم، والمجتمع على التوالي، وإلى العديد من المساهمين في المجموعة الإخبارية sci.lang لمناقشتهم معي بعض المصطلحات الفرنسية الغامضة، ولقد حافظت بدقة على تمييز المؤلِّف بين البلدة والمدينة (انظر ص.377)، وبين الهيكل والمعبد .

كما أشعر بامتنان خاص لصديقي الناشر جيم أيزنبراون لتنفيذه هذا المشروع في يوليو 1996، بعد موافقة الناشر الفرنسي على النموذج المقدم، ولقد بدأت الترجمة في نهاية ذلك العام، واستمرت تقريبًا «خلال النصف الأول من الأعوام 1997 و1998 و2000 و2001، ولقد أدخل «جيم» وموظفو التحرير الكثير من التحسينات في أسلوب النسخة الإنجليزية والفرنسية، ولقد استطاع «جيم» بحكم كونه مُصمِّم الكتاب أن يبتكر مظهرًا أنيقًا وعمليًّا في آن واحد .

وبعد صفحات قليلة، سوف يكتشف القارئ أن هذا الكتاب ليس سردًا روائيًّا متصلاً لتاريخ الإمبراطورية الفارسية. علاوة على ذلك، فإنه يتوقع أن يكون القارئ على علم بتسلسل التاريخ الأخميني وبأعمال الإسكندر (Alexander) الأكبر، ومجمل الكتابات اليونانية واللاتينية التي اعتمدت عليها مثل هذه الروايات عن التاريخ الأخميني منذ ذلك الحين وحتى الآن. وقد يجد القارئ أنه من المفيد العودة أولاً لكتاب جوزيف ويسهوفر «بلاد فارس القديمة» (النسخة الإنجليزية، 1996، 1-101)؛ وذلك للحصول على لمحة عامة مشابهة كثيراً لهذا الكتاب من حيث الموضوع والأسلوب، وللمخطط الزمني الموجود فيه لتسلسل الأحداث بقدر ما يمكن تحديدها. عندها فقط أعتقد أنه يمكننا الاستفادة من هذا الكتاب الذي يهدف إلى توضيح كيف أن المؤرخ يجب أن يقوم بتقييم المصادر المتاحة والاستقراء منها، وهو الهدف الذي تمّ تحقيقه بشكل مثير للإعجاب .

وبشكل واضح فإنّ هذا العمل الضخم يمثل النُّصب الأول عـلى طـول الطريـق السريع الجديد الذي يمر عبر مفترق طرق العالم القديم.

بيتر. ت. دانيلز

نيويورك، مارس 2002

تعقب الإمبراطورية

1- هل كان هناك إمبراطورية أخمينية؟

الإمبراطورية الأخمينية نشأت عن طريق الفتوحات التي قام بها قورش (ca 559-530) (Cyrus) وقمبيز (530-522) (Cambyses) على الأنقاض والأراضي الخصبة التي خلفتها الممالك المختلفة في الشرق الأدنى، ثم قام دارا (Darius) الأول (522-486) بتوسيعها وإعادة تنظيمها. ولمدة تجاوزت القرنين من الزمان، امتدت هذه الإمبراطورية من وادي نهر الهندوس وحتى بحر إيجه، ومن سيرداريا إلى الخليج الفارسي والشلال الأول للنيل؛ واستمر ذلك حتى لقي دارا (Darius) الثالث حتفه جراء مؤامرة، عندما أكمل عدوه اللدود الإسكندر (Alexander) غزوه (عام 330 ق.م) .

إن كلمة الإمبراطورية العادية هذه -كما هو معروف- لا يوجد لها مرادف في أية لغة قديمة؛ حيث تشير نقوش الملك الأكبر إلى كل من الأرض: هي بالفارسية القديمة «بومي»، والشعوب: هي بالفارسية القديمة «داهيو/ داهيافا»، ولقد تحدث المؤلفون اليونانيون عن «الأراضي الملكية» (خورا بازيليوس)، و«سلطة» الملك الأكبر ومرزباناته (أرخى)، وأيضًا عن الملوك، والأسر الحاكمة والمدن

والشعوب». ويدل مصطلح الإمبراطورية على وجـود سـلطة إقليميـة، وفي الحقيقـة فإن هذه هي المشكلة الأساسية التي يثيرها أصـل ونشـأة الإمبراطوريـة الأخمينيـة. ونظرًا للتنوع الثقافي والعرقي فوق المعتـاد وتلـك المجموعـة المتنوعـة مـن أشـكال التنظيم المحلِّي الـذي تتميـز بهـما هـذه الإمبراطوريـة؛ فهنـاك تفسـيران: أحـدهما يعتبرها كنوع من الاتحاد غير المحكم للبلـدانِ المسـتقلة ذاتيًّـا والـذي يقـوم الملـك الأكبر برعايته من بعيد، ويتمثل الدليل الوحيـد عـلى وجـود مثـل هـذا الاتحـاد في تحصيل الجزية والتجنيد العسكري لأبناء هـذه البلـدان، أمـا الآخـر فإنـه بـدون أن يرفض الأدلة الموجودة على التنوع يؤكد على الدينامية التنظيمية للأنـواع المتعـددة من التدخل من قبل السلطة المركزية والعمليات المكثفـة لـنشر الثقافـة والعـادات الفارسية في تلك البلدان. ويمكن أن يتعرف القارىء على رأيي الشـخصي مـن خـلال صياغتي هذه للمشكلة، فسوف أقوم بتفسير سبب اعتقادي هذا على مدار فصـول الكتاب المختلفة. وهذا بإيجاز هو هدف هذا الكتاب والذي أعرضه الآن على القراء ليقوموا بتقييمه .

2- مِنْ قورش (Cyrus) إلى الإسكندر (Alexander) والعودة مرة أخرى: أجزاء من التاريخ الذاتي للأفراد:

لقد تمّ الإعلان عن هذا الكتـاب في أحـد المقـالات في عـام 1979، ولكـن تمـت كتابته بين ربيع عام 1990 وربيع عام 1993. ولقد قمت بعمـل بعـض التنقيحـات المحدودة للنص وراجعت قدرًا كبيرًا من ملاحظات البحـث في عـامي 1994، 1995. ولكن التفكير في هذا الكتاب ولو بشكل تمهيـدي وتحضـيري فقـط، فإنـه يرجـع إلى خمسة عشر عامًا على الأقل. حيث إنه كان تقريبًا في عام 1983/1982 عندما بدأت بتدوين المسـودات الأوليـة، والرسـوم التخطيطيـة والمخططـات التـي تحولـت الآن

إلى ملفات ميتة. وعن طريق الإسهام في هذا الجنس الأدبي العصري - على الأقل في فرنسا - والذي أقصد بـه التـاريخ الـذاتي للأفـراد، بدايـة مـن المقدمـة التـي كتبتهـا لمجموعة مقالتي في عـام 1982؛ فـإني أودّ أن أشرح أصـول هـذا الكتـاب بطريقتـي الخاصة .

لم يكن هناك ما يـدفعني لتكـريس الجـزء الأكـبر مـن حيـاتي للبحـث وتـدريس التاريخ الأخميني، فعندما كنت مؤرخًا تحت التدريب أثـاري التـاريخ القـديم وذلـك أثناء دراستي في بـوتيرس؛ ولقـد حـدث ذلـك تقريبًـا بالصـدفة أو لأكـون دقيقًـا أكـثر بســبب أحــد التعليقــات لبينجســتون، فبــدأت أهــتم بأحــد خلفــاء الإســكندر (Alexander) وهو مرزبان فريجيا الكبرى السابق أنتيجوناس الأعـور (Antigonus) . ولقد اتخذ هذا الاهتمام شكل أطروحة أعدت تحت إشراف «بيير ليفيـك». وهنـاك عبارة مشهورة في كتاب «حياة يـومينيس» (5,9-10) تـدور حـول المكائـد التـي كـان يدبرها أعداء أنتيجوناس الأعور (Antigonus) في المناطق المحيطة بسيليناي عاصـمة فريجيا الكبرى، وهذا ما دفعني لطرح الأسئلة حول وضـع الأرض والفلاحـين في بدايـة العصر اليوناني، وهي الأسئلة التي قمـت بمناقشـتها في مقالـة حـول هـؤلاء الفلاحـين (لاووي) في آسيا الصغرى (1972). ولقد كانت هذه هي الخطـوة الأولى؛ حيـث وقـع اختياري في النهاية على الشرق الأدنى أو آسيا -كما أطلقت عليها حينها- وذلـك اتباعًـا للمـؤلفين اليونـانيين، ولكنــه كـان الشرق الأدنى الـذي زارتـه مـرة أخـرى الجيـوش المقدونية/اليونانية وكتّاب التاريخ القدماء والاستعماريون .

وسرعان ما أقنعنـي إعـداد إحـدى المقـالات المطولـة عـن «يـومينيس حاكم كاريا» (1972-1973) والكتـاب الصـغير الـذي يـدور عـن الإسـكندر (Alexander) الطبعة الأولى، 1974) - بالحاجة للرجوع أبعد من ذلـك في المـاضي. فـما هــي تلـك الإمبراطوريـة الأخمينيـة والتــي تـمَّ اتهامهـا دائمًـا

بالتدهور بـدون وضعها في سياقها التـاريخي؟ ودائمًـا مـا لفـت نظـري حقيقـة أن «إيبـوجنيس» المـتحمس جـدًّا - والـذي تبعًـا لدرويسـن (كـان يسـتحقّ حـواريين «تابعين» أقل في الناحية العقائديـة) - أصر وبشـكل قـاطع وواضـح عـلى أن الغـزو المقدوني قام بإحداث تغيير جذري في البنى السياسة الاقتصادية والثقافيـة «لآسـيا» من القمة إلى القاع؛ لكن في الوقت نفسه فإنـه لم ينظـر لمـا حـدث قبـل الإسـكندر (Alexander) سوى على أنه مظهر لما جاء بعده. ولقد قادتني تلـك الاستفسـارات إلى أنْ جعـل هـدفي الأول دراسـة شـعوب جبـال زاجـروس، التـي قـدمها المؤلفـون القدماء في صورة قطّاع طـرق لا نهـتم بالزراعـة ولـذلك فهـي عدائيـة «بـالفطرة» (1976). ولقد أدركت باقتناع أكبر وأكبر أن نظرتنا للإمبراطورية الأخمينية وشعوبها قد تعرضت للإفساد بالكامل بسبب تلك التشويهات التي قام بها مؤرخو الإسـكندر (Alexander) . وفي الوقت نفسه فإنه يبـدو لي بالدرجـة نفسـها مـن الوضـوح أن المؤرخين لا يستطيعون تجنب العودة إلى نفس هذه المصادر. ولقد بحثـت في هـذا المجال لسنوات عديدة، وإلى حد ما يعتبر هذا الكتاب إسهامًا في الإجابة عن سـؤال قديم وهو: لماذا سقطت الإمبراطورية الأخمينية على يد العدوان المقدوني؟

ولكن هذا العنوان الذي تم اختياره لا يمثل انعكاسًـا لهـذا الهـاجس الحقيقـي أو، إذا كان بإمكاني قول ذلك، «لذلك البحث عن الكأس المقدّسةِ». ويقصد من هذا أيضًا التعبير عن تلك القناعة طويلة الأمد والتـي تمـت تغـذيتها لفـترة طويلـة بـأن الإسكندر (Alexander) وخلفاءه قد اسـتعاروا قـدرًا كبـيرًا مـن النظـام الأخمينـي، وهي النتيجة التي غالبًا ما عبرت عنها بالصيغة التاليـة «الإسـكندر (Alexander) ، آخر الأخمينيـين». ومثلهـا مثـل أيـة صيغة أخـرى، فهـذه الصـيغة لهـا محـدّداتها، وتحتوي على تناقضاتها الخاصة، وبرغم ما قيـل وحـدث، فإنـه يبـدو لي أن التعبـير عـن الاسـتمرارية منقطعـة النظـير والتـي تميـز تـاريخ الشرق الأدنى بـين فتوحـات

قورش (Cyrus) ووفاة الإسكندر (Alexander) سواء. ولقد استخدم هاينز كرايسج والـذي تعلمـت منـه كثـيرًا، عبـارة «الـدول اليونانيـة الشرقيـة» لوصـف هـذه الاسـتمرارية. ولقـد كانـت المملكـة السيلويسـية في نظـره مثـال واضـح عـلى تلـك «الاستمرارية». ولايجب أن تكون هذه الكلمة مضللة؛ فهـي لا&# 146؛تعنـي إنكـار الملاءمة والتكيف الذي أحدثته الفتوحات المقدونية، ولكن وفي الوقت نفسه، فلقد جعلت الأبحاث الأخيرة من الواضح بدرجـة أكـبر أن الإمبراطوريـة السيلويسـية في أصلها وعناصرها التأسيسـية كانـت عبـارة عـن فـرع تـمّ تطعيمـه في جـذع شـجرة الإمبراطورية الأخمينية .

وخـلال فـترة السـبعينيات وحتـى أوائـل الثمانينيـات، أدركـت بشـكل أوضـح وأوضح أنه على الرغم من أن المصادر الكلاسيكية لا غنى عنهـا إلا أنهـا لا تسـتطيع بمفردها الإجابة عن الأسئلة التي قمت بطرحها. ولقـد كنـت بحاجـة إلى النفـاذ إلى جوهر الإمبراطورية الأخمينية، وهي المهمة التي لم أكن مستعدًّا لها عـلى الإطـلاق. ولحسن الحظ فلقـد أجريـت بعـض المقـابلات الحاسـمة: - أولاً: رومـان غرشـمان، والذي قام بتشجيعي في حوالي عام 1972 للقيام باستكشاف الحقـل الأخمينـي، ولا يمكن أن أنسى أبدًا اهتمامه الزائد بي والذي استمر بدون انقطاع حتى وفاته في عام 1979. وتقريبًـا في عـام 1977 -إذا كنـت أتـذكر بشـكل صـحيح- قمـت بالاتصـال بـ«كلاريسه هيرينشميت» والتي -إن كان بإمكاني قول ذلـك- «أدخلتنـي» إلى عـالم النقوش الملكية الأخمينية. ولقد قمت أيضًا خلال فترة السبعينيات بإجراء اتصـالات تواصلت بدون انقطاع منذ ذلك الوقت مع المجموعة الإيطالية التي يقودها ماريو ليفيراني والذي استعنت بعمله وعمل تلاميذه: ماريو فاليس، لوتشيو ميلانو، وكارلو زاكجنينــي، الـذين اشـتركت ومـا زلـت أشـترك معهـم في الاهتمامـات الموضـوعية والمنظورات التصورية، ولقـد سـاعدتني المحادثـات التـي واصـلت إجراءهـا معهـم كانت حية ومتكررة على وضع الحالة الأخمينيـة في السـياق الأوسـع للألفيـة الأولى

من تاريخ الشرق الأدنى، وهكذا فلقد ساعدتني بشكل أفضل على الأخذ في الاعتبار الدورَ الذي لعبه التراث الأشوري البابلي في بنية الإمبراطورية الأخمينية .

وخلال (1978/1977)، قام جان كلود جاردان، الذي كان في ذلك الوقت يقود بعض الأعمال الاستكشافية حول مدينة «آي خانوم» الهلينية بأفغانستان، قام بدعوتي للانضمام إلى فريق عمله، ولقد دعاني للاشتراك في مناقشاتهم كمؤرخ ولمقارنة السجل النَّصِّيّ والسجلّ الأثريّ. وعلى الرغم من أنني لم يكن بمقدوري الاشتراك في العمل الميداني - والذي توقف لأسباب يعرفها الجميع- فلقد علمت بالمساهمة الضخمة التي قدمتها الاكتشافات الأثرية وأيضًا بالتحديات التفسيرية التي مثلتها هذه الاكتشافات بالنسبة للمؤرخ الأكثر معرفة بنص المؤلف: «أريان» أكثر من معرفته بعلبة قمامة مليئة بكسر أثرية من الآنية الفخارية. ولقد قادني هذا التعاون إلى نشر كتاب في عام 1984 حول العلاقة بين آسيا الوسطى وممالك الشرق الأدنى، والذي كان يقع أولاً وقبل كل شيء في سياق التاريخ الأخميني. لقد كانت المناقشة التي تمكنت من متابعتها منذ ذلك الوقت غنية للغاية من حيث النقاشات التي تشعبت منها. وسوف يلاحظ القارئ في الوقت المناسب استمرار الخلافات بيننا. وتظل المشكلة المتعلقة بالطريقة هي: كيف يمكن التوفيق بين الصورة الأثرية والنَّصيَّة، اللتين أدَّيتا إلى خلق تصورين مختلفين حول الإمبراطورية الأخمينية؟ ويمكن أيضًا ملاحظة أن تلك المناظرة لا تقتصر فقط على الإطار المحلّي لإقليم باكتريا.

وخلال النصف الثاني من السبعينيات، عندما انتهيت من دراستي عن «قطاع الطرق» بجبال زاجروس القديمة، قمت أيضًا بإجراء بعض التبادلات بشكل متكرر مع علماء الأنثروبولوجيا الذين تخصصوا في دراسة الحياة البدوية الرَّعَوِيَّة، وبالتحديد مع جان بيير ديجار، حيث إن

شعب الباختريين الذي تحدث عنه كان مشابهًا وقريبًا من شعب الأوكسيين الذي تحدثت عنه، ولقد أدى هذا التعاون الذي امتد لعدة سنوات إلى وضع كتاب حول أجناس وتاريخ الشعوب الرَّعوية في الشرق الأدنى 1982 (b) .ولقد تعرض هذا الكتاب لمشكلة العلاقات بين السلطة المركزية والأقاليم المحيطية في كل من الإمبراطورية الأخمينية وإمبراطوريتَيْ آشور وبابل السابقتين لها، والإمبراطورية الهلينية التي تلتها .

ويَتَّسم عام 1983 في تاريخي الفكري بسطوع نجم ذهبي؛ حيث شاركت للمرة الأولى في ورشة عمل أخمينية في جرونينجن بدعوة من هيلين سانسيسي، وويردنبرج، بعد أن انضمت إليه مؤخرًا إميلي كوهرت أصدر سلسلة استمرت حتى عام 1990 في آن أربور (وهناك بالتعاون مع مارجريت روت). ولأول مرة شعرت بأنني لم أكن أعمل بمفردي، ولم أعلم نفسي بنفسي حول الموضوع الرئيسي الذي أهدف إلى الكتابة حوله. والآن أستطيع الانضمام إلى «المجتمع الأخميني» والذي رغم صغر عدده إلا أنه مَنَحَنِي ميزةً لا يمكن تقديرها تتمثل في عالميته وارتباط أفراده بروابط الصداقة. ومن ثم أستطيع مواصلة المناقشات بشكل أكثر انتظامًا حول إحدى المشاكل التاريخية التي طرحها المنظمون بوضوح، واعتمادًا على مجموعة الأدلة يتميز بنفس القدر من التنوع الذي تتميز به مكونات الإمبراطورية. ولقد كانت العلاقات العديدة التي تمكنت من تكوينها أثناء وخارج تلك الاجتماعات مهمة بالنسبة لي، ولقد أعطت مبادرة هيلين سانسيسي- ويردنبرج وإميلي كوهرت بشكل جذري قوة دفع جديدة للبحث في التاريخ الأخميني. وعلى غرار ورش العمل الأخمينية، قمت أنا وكلاريس هيرنشميت بتنظيم مؤتمر حول الجِزْية في عهد الإمبراطورية الفارسية. ولقد قام كل من بيير ديبور، وريمون ديكا وإدارة مركز جورج راديه في بوردو بعقد اجتماعين، أحدهما يدور حول آسيا الصغرى،

والآخر حول المشكلات النقدية. وقد نظم جين كيلينز حلقة دراسية في Liege خصصت للديانة الفارسية. كما نظم كل من جوزيت إلايي وجان سابان ثلاثة اجتماعات حول سوريا وفلسطين تحت سيطرة الملوك العظماء لبلاد فارس. كما نظمت مؤتمرًا في تولوز حول كتاب «الزحف العسكري» لزينوفون Xenophon ، ولقد تم نشر مداولاته ومجرياته 1995 (b) . وباختصار فلقد أطلقت مبادرة جرونينج نشاطًا فكريًّا مكثفًا ونتج عنها قدر كبير من المقالات التاريخية من الطراز الأول؛ وأدى نشرها بانتظام في سلسلة التاريخ الأخميني وفي العديد من الصحف إلى تحفيز ودعم المناقشات والمناظرات بشكل دوري؛ لدرجة أن النمو المتزايد للكتب والمراجع قد تسبب في بعض الأوقات بإصابتي بالعجز والإحباط. وبقدر ما يعتبر هذا الكتاب عملاً شخصيًّا، إلا أنه يعكس أيضًا أو يراد منه أن يعكس ثراءً وغزارة إنتاج مجال البحث هذا، والذي ظلّ مهملاً لمدة طويلة؛ ولا أقصد باستخدامي لهذا التعبير التقليل من أهمية أو حجم العمل والجهد الذي تمّ بذله لدراسة تاريخ إيران القديم على مدى فترة طويلة من الوقت والذي أخذته في الحسبان، ما أريد قوله ببساطه هو أنه حتى مع تناول تاريخ الإمبراطورية الأخمينية من منظور شامل وعدم الاقتصار على دراسة بعض المواقع الرئيسة مثل صوصا، برسيبولس، باسارجاداي، وبالرغم من المحاولة التي قام بها أولمستيد في عام 1948 لإعادة بناء تاريخ هذه الإمبراطورية والتي لا تزال تنال احترامنا؛ فقد ظل تاريخ الإمبراطورية الأخمينية أحد حقول المعرفة التي لم تكتشف بعد، ولقد أهمله كل من المتخصصين بتاريخ الآشوريين (والذي بالنسبة لهم مثل سقوط بابل في يد قورش (Cyrus) في عام 539 نهاية التاريخ الآشوري)، وأيضًا بواسطة المؤرخين الكلاسيكيين (الذين «اختطفوا» تاريخ الشرق الأدنى ابتداءً مِنْ نزول الإسكندر (Alexander) في آسيا عام 334). وبطريقة ما فإنه نتيجة لأن التاريخ الأخميني قد تم

إقحامه بين «اليونان الأبدي» و«المشرق الألفي»، ونتيجة لأنه تمّ تقاذفه بين الكُتَّاب الذين يركزون على التاريخ اليوناني (من إسشيلوس (Aeschylus) وحتى الإسكندر (Alexander))، وبين الكُتَّاب الذين يركزون على التاريخ اليهودي (ولقد انكسرت صورة قورش (Cyrus) خلال منشور العودة من المنفى)، ونتيجة لذلك كله فإن التاريخ الأخميني لم يتواجد كمجال دراسي منفصل. وهكذا فلقد أعادت مبادرة كل من هيلين سانسيسى وويردنبرج وإميلي كوهرت الدراسات الأخمينية بصورة قوية إلى مجال التاريخ، ولقد قابلهم في سبيل تحقيق ذلك بعض المشاكل التي تمكنْتُ من التعرف على عناصرها وأعمدتها بسهولة كبيرة لأنني بدأت في محاولة تعريفها بمفردي .

ويظل هناك جانب واحد لكتابي هذا عن تاريخ الأشخاص، والذي أودّ التطرق إليه بصراحة، كما فعلت في العديد من المناسبات الآن وفي السنوات القليلة الماضية خلال الإصدارات والمحادثات الخاصة مع الزملاء والطلاب. ويمكننا أن نجد المصادر المكتوبة التي تتناول التاريخ الأخميني مطبوعة بمجموعة متنوعة من اللغات: الفارسية القديمة، الإيلامية، البابلية، المصرية، الآرامية، العبرية، الفينيقية، اليونانية، واللاتينية، وهذا دون أن نذكر اللغة الليدية والليسية، الفريجية، الكارية، أو أية لغة أخرى لم نتمكن من ترجمتها. ويجب أن أصرح من البداية بأنني لست بأيٍّ حال من الأحوال متخصصًا في أي من تلك اللغات، فبالكاد يمكنني فهم اللغة اليونانية واللاتينية، وقد يعتبر هذا الأمر عائقًا منيعًا. وعلى الرغم من أن المصطلح «عائق» يعبر عن حقيقة غير قابلة للنقاش فإنني أعتقد أنه لا يجب أخذ الصفة «منيع» بمعناها الحرفي. لتبرير هذا الموقف، فأنا بحاجة لشرح طريقة عملي. وأولاً وقبل كل شيء فهناك ترجمات للنصوص الأساسية يسهل الوصول إليها سواء كانت للنقوش الملكية، أم لبعض الألواح الإيلامية المختارة، أم

للوثائق الآرامية من مصر أو أيّ مكان آخر، أم لعدد معيَّن من الألواح البابلية، أم النقوش الهيروغليفية؛ وهذا لإعطاء عينة فقط من المصادر المتاحة. ولكن لا يكفي استخدام النصوص المترجمة. فمن الضروري العودة إلى النصوص الأصلية، على الأقل مع النصوص الأكثر أهمية. ويمكن تطبيق ذلك على العديد من الوثائق التي تم كتابتها بحروف لغةٍ أخرى. فهناك مؤرخ ذاتي التعليم والذي يستطيع التعرف على ما أطلق عليه الكلمات البارزة، أو الكلمات الرئيسة التي تعطي للنص معناه، وعند تلك النقطة يجب العودة إلى الدراسة الشاملة للأدب المقارن، وذلك على الرغم من مدى صعوبة ذلك، وهذا ما حاولت فعله بشكل منتظم بقدر المستطاع؛ ولهذا السبب سمحت لنفسي هنا وهناك بالخوض في نقاشات ومناظرات قد يمنعني جهلي باللغات وتاريخها من الاقتراب منها. وأعتقد من وقت لآخر أن مقترحات المؤرخ قد تتيح التأكيد المستقل للتفسير اللغوي المقارن؛ ومن ثم، فعندما تظهر إحدى المشاكل التي لا أستطيع حلها فغالبًا ما أستعين بالنصيحة ومشورة الأصدقاء والزملاء الذين لم يبخلوا عليّ بحكمتهم. ما هو عدد الرسائل الإلكترونية التي تبادلتها مع «مات ستولبر» -على سبيل المثال- حول الألواح البابلية التي تعود للعصر الأخميني؟ ويجب أن يفهم بشكل واضح أنني لا أجيز الجهل، ولست أعجز عن التعرف على حدود التعليم الذاتي. فستكون معجزة أن أمتلك تدريب المؤرخ وأكون قادرًا الوقت نفسه الوقت على فهم وإدراك جميع لغات الإمبراطورية. ولسوء الحظ -وعلى حد علمي- فإنه لا يوجد طائر بمثل هذه المواصفات، وعلى أيّ حال فإنه لا تغريدي ولا ريشي يمكناني من ادِّعاء مثل هذا التميز.

وعلى الرغم من كل الاحتياطات التي قمت باتخاذها، فما زلت أدرك المخاطر التي افترضت أنها ستواجهني في محاولتي لتقديم هذا الكتاب الذي يدَّعي شموليته سواء بشكل شرعي أم لا. ونتيجة

لإخفاقاتي، ولعدم تمكني من الحصول على الوثـائق جميعهـا، وأيضًـا نتيجـة للعـدد المتزايد من المناظرات المُلِحَّة، أو حتى كنتيجة للتقدم غير المتسـاوي عـلى صـعيدَي الدراسات الموضوعية والدراسات الإقليمية؛ فإن اسـتخدام كلمـة «شـامل» قـد يثـير الارتباك أو حتى الضحك. وتتمثل المشكلة في أنني منـذ لحظـة بـدئي لهـذا المشروع تعرضت لنوع ما من الموسوعية مع جميع المخـاطر والأوهـام التـي تصاحب هـذا المنظور فلم أملك حريـة تجنـب بعـض المناقشـات أو غيرهـا، وذلـك إعـتمادًا عـلى إهتمامي بهذا السؤال أو ذاك أو معرفتي بهذا المجال أو ذاك، ويتطلب هذا النـوع من التأليف -بالضرورة- أن يعالج المؤلف كل سِمَة ومُكوِّن، سـواءَ كـان سياسـيًّا، أم أيديولوجيًّا، أم اجتماعيًّا، أم اقتصاديًّا، أم دينيًّا، أم ثقافيًّا ... إلخ، ومحال دمجهم معًا إلا بقدر المستطاع في تفسير عام؛ ولهـذا يجـب أن أسـتعين بجميـع ملفـات الأدلـة، ولكنني أيضًا لم أستطع استكشافها بشكل كامل، وفي بعـض المجـالات لم يـؤدِّ اتسـاع وتعقد المناقشات، بالإضافة إلى ما بها من تناقضات بين المتخصصين في هـذا المجـال أو ذاك - إلى عروض محددة جيدًا من جانبي (أتذكر من بين أمور أخرى، النزاعـات التفسيرية والتاريخية حول عزرا (Ezra) ونهيميا (Nehemia))، ومن جهة أخـرى، سوف يجد القارئ على الأقل في ملاحظات البحث «طريقة» أي أنه ليسـت الكتـب والمراجع فقط هـي السـبب وإنما هنـاك أسـباب أخـرى للتفسـيرات المختلفـة. وفي الحالات الأخرى اتخذت موقفًا أقوى وقدمت تفسـيراتي الخاصـة، وأتمنـى أن يـؤدي هذا الكتاب إلى ظهور تحقيقات جديدة متخصصة، بـدون شـك سـوف تعيـد فـتح باب المناقشة حول العديد من التفسـيرات التـي قـدمتُها غالبًـا في شـكل مقترحـات بديلة صريحة .

3- المؤرخ ودلائله:

من أحد الخواص البارزة للتاريخ الأخميني أن الفرس على خلاف معظم الغزاة لم يتركوا شهادات مكتوبة حول تاريخهم بالمعنى القصصي للكلمة، ومن الواضح أنه على عكس الملوك الآشوريين لم يكن لدى أباطرة الفرس سجلات تاريخية لحفظ وتمجيد ذكرى أعمالهم العظيمة في ميدان المعركة أو خلال رحلات الصيد؛ فلا نملك عرضًا تاريخيًّا لتسلسل الأحداث أعده علماء البلاط الملكي بأمر من أحد أباطرة الفرس. ووفقًا لـ«ديودورس (Diodorus) » (4.32 II)، فإن ستيسياس (Ctesias)- وهو الطبيب اليوناني الذي كان في بلاط أرتاكسركسيس (Artaxerxes) الثاني، ومؤلف كتاب « Persica » (بلاد فارس)- كان يتباهى بأنه تمكن من الوصول إلى «السجلات الملكية (باسيليكاي دفتراي) والتي يحتفظ فيها الفرس -بموجب قانون معين (نوموس) خاص بهم- بروايات تسجل شؤونهم القديمة»، ولكن، لا يوجد أي دليل آخر - ولو بسيط جدًّا - على وجود مثل هذه السجلات التاريخية الفارسية، وذلك باستثناء التقليد المشكوك فيه الذي ظهر مؤخرًا والذي يعزو تدميره إلى الإسكندر (Alexander) ، وعلى سبيل المثال فإن السجلات التي أشار إليها محرر كتاب عزرا (Ezra) (6: 1-2) هي سجلات إدارية، وكانت تحفظ في دور المحفوظات المرزبانية الملكية تلك (باسيليكاي جرافاي، كارامارو سا ساري) توثق القرارات المهمة مثل: منح الأرض أو إعادة تخصيصها، وأيضًا الوثائق المالية، ويحتمل أن هيرودوت (Herodotus) قد استعان بمثل هذه الوثائق (والتي كانت توجد في العديد من العواصم الإمبراطورية والمرزبانية) في إعداده لقائمة الجِزْية المعروفة الخاصة به، ولكن قيام هيرودوت، ذلك المؤرخ الذي ينتمي إلى هاليكارناسوس (Halicarnassus) بجمع بياناته الإدارية بنفسه من خلال إجرائه مقابلات مع أشخاص من تلك الأقاليم التي وقعت فيها الأحداث التاريخية الهامة

وهي الطريقة التي أشار اليها في أماكن عدة من مؤلفه - هو من الأمور التي لا اختلاف عليها، ومن المحتمل بدرجة أكبر أنه على الأقل في كتاب « » اعتمد ستيسياس (Ctesias) على شهادات شفوية، كما أوضح فوتيوس (Photius) الذي قام بتلخيص ذلك المؤلف (Persica ، فقرة 1)، وهذه بالتأكيد هي الطريقة التي سمع بها كل من هيرودوت (Herodotus) ، ستيسياس (Ctesias) ، والعديد من المؤلفين اليونانيين الآخرين حول الروايات المختلفة للأساطير التي تم نسجها حول مؤسس الإمبراطورية «قورش» (Cyrus) قاموا بعدها بإعادة نقل ما سمعوه. ولقد تم نشر تلك الحكايات التهذيبية حول الفضائل الملكية في جميع أجزاء الإمبراطورية من وجهة نظر «الأشخاص المثقفين»؛ وهنا تكمن الأهمية التي يتم إعطاؤها للروايات الأخمينية على سبيل المثال التي رواها أحد المؤلفين المتأخرين وهو إيليان (Aelian) ، ومن الواضح أنه استمد معلوماته من هيرودوت (Herodotus) ذاته أو من أحد أعضاء البلاط أمثال ستيسياس (Ctesias) ، ومن وجهة النظر هذه، فإن المثال الأكثر بروزاً هو تلك الفقرة التي ينقل لنا فيها بوليبيوس (X.28) (Polybius) في صورة كتابية إحدى المعلومات الإدارية الأخمينية الهامة للغاية والتي حفظها الفلاحون الهيروكانيون في ذاكرتهم عبر الأجيال، وعن طريق سلسلة من الصُّدَف منقطعة النظير، كان الشخص المسؤول عن حفظ السجلات الملكية موجودًا عندما قام رؤساء المجتمعات الهيروكانية بناءً على طلب من أنتيوخوس (Antiochus) الثالث بسرد الامتيازات التي تمتعوا بها منذ ذلك الوقت «الذي كان فيه الفرس هم سادة آسيا»؛ ولكن يجب التأكيد على أن المعلومات كان يمكن أن تفقد كليًّا لولا أنها كانت ذات أهمية مباشرة أثناء الحملة العسكرية التي قادها ذلك الملك السيلويسي في وسط آسيا، ولقد وجد بوليبيوس (Polybius) هذا التقرير في أحد المؤلفات هو مفقود الآن .

نحن لا نجرؤ على التقليل من أهمية نقل الروايات بصورة شفوية في

أراضي الشرق الأدنى خلال الأغاني والقصص، التي أعدها المجوس «سادة الحقيقة»، حيث قام الفرس أنفسهم بنقل أعمال ملوكهم وذكرى الأبطال الأسطوريين من جيل إلى جيل، وأصبح الصغار بدورهم المُسْتَوْدَع الذي يحتوي على كل تلك التقاليد الشفوية، وفي المخيلة الجماعية للشعب الفارسي. وفي التصريحات الملكية تم خلط التاريخ مع التعبيرات الأسطورية وتسلسل السلالة الملكية، وذلك جزئيًّا باستثناء النقش التذكاري ثلاثي اللغة الذي حفره دارا (Darius) على ذلك المنحدر في بيهيستون. ولا تعتبر النقوش الملكية روايات قصصية، فلا توجد فيها إشارة واحدة مباشرة عن الفتوحات أو الحملات العسكرية، بدلاً من ذلك نجدها تحتفي بطلاقة قدرة الإله العظيم أهورا-مازدا، الدوام التاريخي لمبدأ أحقية السلطة الملكية في تولي السلطة والتألق الذي لا’يُضَاهَى للفضائل الملكية؛ ويأتي في إطار هذه النقوش أيضًا كتاب «المحسنون» الذي يشير إليه كل من هيرودوت (Herodotus) الكتاب الثالث، فقرة 140؛ الكتاب الثامن، فقرات 85-86 ومؤلف كتاب « Esther » (الكتاب السادس، فقرة 1)؛ حيث يحتوي على حصر بأسماء الأشخاص الذين قدموا خدمات جليلة للملك الأكب؛ يحق لهم بسبب ذلك الحصول على جائزة من الملك، ولذلك فإن له دوره في إعلاء وتمجيد سلطة الملك، ولم يكن الهدف من وراء الفن الذي تمّ إنتاجه في البلاط الأخميني قصصيًّا في حد ذاته. كان يتم تصوير كل من السلطة والملك في صورة اتجاهات غير مرتبطة بزمان معين، فلا يتم تصوير ملك معين في موقف تاريخي ما، وهذا ينطبق على الصور الملكية الموجودة على الأحجار، والعملات المعدنية بالإضافة إلى الأختام، وتم كتابة تاريخ الفرس في الوقت الثابت واللانهائي للملك، ولذلك فإنه لا’يمكن تحديده أبدًا باستخدام الوقت الذي كان يقيس به الفرس أنفسهم التاريخ .

وهكذا فلقد ترك الأباطرة والمواطنون الفرس مهمة مراقبة ذاكرة

تاريخهم إلى الآخرين، وهنا نتعرض لحالة استثنائية؛ حيث يجب علينا إعادة بناء الخيط القصصي للتاريخ الأخميني من خلال الكتابات التي أنتجها مواطنوهم وأعدائهم؛ وهنا تكمن السلطة والقوة التي تم نسبتها ولمدة طويلة إلى المؤلفين اليونانيين، ومن المفهوم أن أغلبهم ألف كتبًا خصصت لإحياء ذكرى اليونانيين، وفي أثينا خلال القرن الرابع والخامس، تمّت تلك الكتابات المخلدة لذكرى الأثينيين على أسس معدة بشكل جيد لتخليد ذكرى المواجهات التي دارت بينهم وبين الفرس والانتصارات التي حققوها على «البرابرة الآسيويين»، ومن بين هؤلاء المؤلفين، هناك مؤلف يحمل مكانة خاصة وبارزة، هو هيرودوت (Herodotus) ، الذي على عكس أغلب معاصريه لم يظهر أي أدلة على عداء منتظم للفرس؛ ونتيجة لذلك قام بلوتارك (Plutarch) بتوجيه إتهام إليه بأنه «صديق للبربر» (فيلو بارباروس)، ويتمثل هدف روايته التاريخية في فهم وشرح جذور الحروب الفارسية ضد بلاد اليونان على الرغم من قدمها، وهذا يعطينا ميزة الحديث بشكل مطول يأخذ شكل الرجوع إلى الماضي حول مؤسسات وتاريخ العديد من شعوب وممالك الشرق الأدنى، وبالتحديد مصر، وأيضًا يعطينا ميزة الفصول المثيرة حول أحداث تاريخ الفرس: فتوحات قورش (Cyrus) ، واستيلاء قمبيز (Cambyses) على مصر، واعتلاء دارا (Darius) العرش، والإصلاحات التي أدخلها حول تنظيم الجِزْية، بالإضافة إلى الحديث بشكل مطول حول التنظيم الداخلي لشعوب الفرس وعاداتهم الاجتماعية الرئيسة، وبالطبع بعض الروايات الطويلة للغاية حول الثورة الأيونية (493-500)، وحروب الفرس (479-490)؛ وعلى الرغم من فجواتها وعيوبها، تركت الانفراد غير المتوقع لروايات هيرودوت في عام 479 مؤرخ التاريخ الأخميني كاليتيم، ويُعَدّ ثيوسيديدس (Thucydides) من الكُتّاب الذين خلفوا هيرودوت (Herodotus) في الحديث عن

الإمبراطورية الأخمينية، ولكنه لم يكن مهتمًّا بها سوى بشكل سطحي للغاية، وبالنسبة لزينوفون (Xenophon) وديودورس سيكيولس (Diodorus Siculus) ، يميل مَنْظُورهم غير المتوازن إلى إعطاء أهمية لذلك الجزء من الإمبراطورية، الذي يقع على البحر المتوسط لا تتناسب مع حجمه. وفيما عدا كتاب «الزحف العسكري» لزينوفون (Xenophon) ، لم يقم المؤرخون القدماء بالتوغل في عمق الأراضي الإمبراطورية حتى وقت الحملة التي قادها الإسكندر (Alexander) ضد بلاد فارس، حيث قاموا بتتبع خُطَى ذلك الفاتح .

وأخيراً، فلقد خَصَّص العديد من المؤلفين القدماء مؤلفات تتناول بلاد فارس التي كانت تسمى (Persicas) ، ضاع أغلبها، ولقد سمعنا عنها فقط من خلال أجزاء منها (مقتطفات اقتبسها المؤلفون اللاحقون)، ويتمثل أطول هذه الأجزاء التي ما زالت باقية في الملخص الذي كتبه الأب فوتيوس (Photius) لكتاب «بلاد فارس» الذي ألفه ستيسياس (Ctesias) ، والذي يحزنك عند قراءته، أنَّ ذلك المؤلف الذي عاش حوالي خمسة عشر عامًا في البلاط الملكي لأرتاكسركسيس (Artaxerxes) الثاني لم يقدم شيئًا سوى وجهة نظر متحيزة غلبت عليها المكائد الملتوية للأميرات الشريرات والمؤامرات المظلمة للخصيان المُحتالين؛ وبلا شك فإنه أحد المذنبين الرئيسيين في نجاح هذا المنظور الناقص للغاية والذي يمثل أيديولوجية معينة عن العالم الأخميني، فوَصْفُه لبلاد فارس يحتوي على بعض الإشارات إلى «العادات والآداب الشرقية» في الفترة الحديثة، ولقد قام بتحليل قصور ملوك الشرق الأدنى من خلال سلسلة معقدة من القراءات ممّا أثار كثيرًا من الجدل، غالبًا ما نفذت إليها ملاحظات عن تذمر النساء وتدخلاتهم وانحلال السلاطين. أما بالنسبة إلى زينوفون (Xenophon) فقد كتب تاريخًا رومانسيًّا طويلاً تسمّى (Cyropaedia) ، ولقد خصصه -كما يشير العنوان- إلى التعليم

الذي تلقاه قورش (Cyrus) عندما كان صغيراً، ومـن المـؤكـد أن شخصيــة قــورش (Cyrus) التـي عرضهـا لـم تكـن شخصيـة قــورش (Cyrus) التاريخيـة وإنما كـان نوعًا من التجسـيد النمـوذجي للفضـائل الملكيـة، ومـن ثـم فمـن الضروري في كـل خطوة، التمييز بين لب الحقائق الأخمينية وبين وجهة نظر اليونـانيين، وهـذا لـيس سهلاً دائمًا، ولا يوجد ما يثير الدهشة في أن المؤلفين اليونانيين بوجه عام قاموا بنقل رواية متحيزة بدرجة كبيرة للثقافة اليونانية عن تاريخ وعـادات الفـرس، تمامًـا كـما هـو الحـال في بعـض كتـب التـوراة، مثـل: نهيمـيا (Nehemiah) ، عـزرا ((Ezra، Esther)) ، وجوديث (Judith) ، والتي قدمت تاريخ الفـرس مـن منظـور يهـودي مُوَحَّد؛ ولكن لا يستطيع المؤرخون اختيار مصادرهم؛ فبالنظر إلى الأدلة المتوافرة، لا نجد أمامنا خيارًا آخر سـوى الاعـتماد الشـديد عـلى الكتابـات التاريخيـة اليونانيـة لإعادة بناء الخيط القصصي، ولكن كثيراً ما يخرج المؤرخ عن مساره، أو حتى يصاب بالإحباط نتيجة طبيعة تلك المؤلفات التاريخية، ويصبح الموقف في غايـة الصـعوبة إذا قـرر المـؤرخ الاستغنـاء عـنهم! ولقـد قـام بعـض المـؤلفين المتـأخرين (أثينيـوس (Athenaeus) ، إيليان (Aelian)) بحفظ قدر هائل من المعلومات حـول شـخص الملك الأكبر، وحياة البلاط الملكي، والتـي بمجـرد حـل شـفرتها تتـيح للمـؤرخين حـل شفرة ما كان من علامات لإمبراطورية (راجع فصل 5-7)، ومن خـلال وجهـة النظـر التي تعتمد على طريقة الإعداد فإن هـذا الكتـاب والتفسـيرات التـي بداخلـه هـي نتيجة لتفكيك وهدم النصوص الكلاسيكية، وهي العملية التي حاولتُ مـن خلالهـا توضيح أنه مهما كان النص اليوناني يتسم بكونه مؤيِّدًا لحزب معـين ولأيديولوجيـة معينة، وعندما نضعه في إطار شبكة النصوص الأخرى المرتبطة بـه يمكـن أن يـؤدي إلى قراءة مثيرة للتـاريخ الأخمينـي، وعـلاوة عـلى ذلـك، تتطلـب الحالـة التاريخيـة للتصريحات والصور الملكية المنظور نفسه تمامًا .

ولحسن الحظ، لدينا أيضًا سجلات من السلطة المركزية؛ حيث تعكس النقوش الملكية بصورة صادقة نظرة أباطرة الفرس إلى سلطتهم، وفضائلهم، وحدود إمبراطوريتهم كما أنها تقدم أيضًا معلومات مهمة للغاية حول أنشطتهم الإنشائية، لكن وبدون شك، فإن الاكتشاف الأكثر أهمية هو تلك المجموعة الكبيرة من المحفوظات المنقوشة على الطمي والمعروفة بألواح برسيبولس، والمكتوبة بشكل مسماري باللغة الإيلامية التي تحتوي أيضًا على بعض الكلمات الفارسية، وتقدم هذه الألواح صورة بيروقراطية مختلطة الأوراق للإدارة الإمبراطورية والتي لا نستطيع الحصول عليها من خلال المصادر اليونانية، ولكن هذه الصورة لن تعتبر مفاجأة نظرًا لأن الفرس هم ورثة التقاليد الآشورية-البابلية، وهي الصورة نفسها التي ينقلها العديد من الوثائق الآرامية التي وجدت في مصر، ولقد عرفنا ببعض المراسيم الملكية والمرزبانية من خلال ترجمتها إلى اللغات المختلفة للإمبراطورية، وهذا ينطبق على رسالة تم عمل نسخة منها باللغة اليونانية وجهها دارا (Darius) إلى جاداتاس (Gadatas) ، أحد مدرائه في آسيا الصغرى، وأيضًا الرسائل المكتوبة باللغة الديموطيقية بين فاراننداتيس (Pharandates) مرزبان مصر، والكهنة المسؤولين عن إدارة معبد الإله خنوم في جزيرة فيلة؛ وبوجه عام، توضح هذه الوثائق الأشكال العديدة لتدخل السلطة المركزية في الشؤون الداخلية بالإضافة إلى التعدد اللغوي الواضح الذي اتسمت به الإمبراطورية والذي تمّ التلطيف من حدته عن طريق استخدام اللغة الآرامية على نطاق واسع. ويجب أن يضاف لتلك الوثائق المكتوبة القدر الضخم من الأدلة الذي نحصل عليه من الاكتشافات الأثرية والصور والأيقونات ودراسة القطع النقدية والأوسمة من بحر إيجه حتى نهر الإندوس .

وعندما تضاف الأدلة التي تأخذ شكل صور وأيقونات، سواء كانت عبارة عن آثار تذكارية أو فنون بسيطة في القصور الملكية أو من

الأقاليم إلى المصادر المكتوبة (النقوش الملكية، الألـواح الإيلاميـة والبابليـة، النقـوش المكتوبة باللغات الفينيقية، الآرامية، المصرية، الليديـة، الليسـية، أو المكتوبـة بـأكثر من لغة واحـدة، أوراق الـبردي الآراميـة، المؤلفـون الكلاسـيكيون ... الـخ)، فحينئـذٍ يستطيع المؤرخ الحصول على قدر من الوثـائق المتنوعـة والمثـيرة، لكـن مـع تجمُّـع هذه المجموعات المتنوعة معًا فإنها تعاني من إعاقـة مزدوجـة؛ حيـث إنهـا موزعـة بتفاوت كبير من حيث الزمان والمكـان. وتخلـو بعـض أجـزاء الإمبراطوريـة وخاصـة المرزبانيات التي تقع على الهضبة الإيرانية وفي آسيا الوسـطى ووادي نهـر الإنـدوس (الهندوس) - مـن أيـة وثـائق مكتوبـة تقريبًـا، ولا نجـد حتـى فتوحـات الإسـكندر (Alexander) أدنى قدر من المعلومـات الأدبيـة عنهـا؛ ومـن هنـا تنبـع الأهميـة الكبيرة للأدلة الأثرية والتـي تشـتمل عـلى قـدر كبـير مـن الصـعوبات التفسـيرية الخاصة بها، ومن جهة أخرى، فهناك وثائق تغطي الأحداث التي وقعت في بعض المناطق الأخرى بشكل منقطع النظير؛ فبالإضافة إلى بـلاد فـارس نفسـها (الألـواح الإيلامية)، يمكننا أن نذكر تحديدًا: سوسيانا (حيث تتوافر كل مـن الأدلـة النصـية والأثرية التي توثق المشروعات التشـييدية الملكيـة)، مصر (الوثـائق الآراميـة مـن فيلة وسقارة، أوراق البردي المكتوبة باللغة الديموطيقية، النقـوش الهيروغليفيـة)، وإقليم بابل (آلاف من الألواح)، وبشكل واضـح آسـيا الصـغرى، لـيس فقـط مـن خلال المؤرخين اليونانيين، وإنما أيضًا من خلال الأدلـة المتـأخرة المكتوبـة باللغـات اليونانية، الآرامية، أو التـي كتبهـا الفـرس المنـتشرون في الأناضـول بـاللغتين معًـا، وعلاوة على ذلك، فإن بعض المعلومات التي تم الحصول عليها من بعض المواقـع الإقليمية - لها أهمية بالغة، وينطبق هذا عـلى مدينـة زانثـوس في إقلـيم ليسـيا، حيث استمر الأمراء هناك في بناء نوع مختلف من النُّصب التذكارية التـي تظهـر عليها نقوشٌ كتبـت باللغـة الليسـية واليونانيـة، هـذا بالإضـافة إلى مشـاهد مـن

البلاط الملكي تشهد ما بها من صور على التأثير الأخميني، ولقد تم في عام 1973 اكتشاف أحد الوثائق المكتوبة ذات أهمية بالغة: وتتمثل تلك الوثيقة في بلاطة حجرية منقوش عليها نص بثلاث لغات - الآرامية، والليسية، واليونانية - واكتسبت على الفور شهرة واسعة النطاق، ولقد تم تحديد تاريخ كتابتها بشكل قاطع بأنه كان في السنة الأولى من حكم أرتاكسركسيس (Artaxerxes) الرابع (336-338)، وهو الإمبراطور الفارسي الذي لم نكن نعرف عنه شيئًا حتى اكتشاف تلك الوثيقة باستثناء اسم أرسيس (Arses) التي كانت تسميه به المصادر الكلاسيكية بشكل منتظم («أرسو» باللغة البابلية)، ولكلِّ هذه الأسباب سوف أتوقف كثيراً عند زانثوس (Xanthus) ، التي تبدو للمؤرخ كنموذج مصغر يمثل السلطة الفارسية في التقسيمات الإقليمية الفرعية للإمبراطورية وهو النموذج الذي ظل سائدًا من عهد قورش (Cyrus) وحتى مجيء الإسكندر (Alexander) ، وفي الوقت نفسه، يشير هذا المثال إلى الصعوبات التفسيرية التي تنجم عن غلبة المصادر التي تأخذ شكل اكتشافات أثرية وأيقونات وصور .

وهذه الأدلة موزعة بشكل متفاوت من حيث الزمان بقدر ما هي موزعة بدرجة متفاوتة من حيث المكان؛ حيث تتركز الوثائق الخاصة بالسلطة المركزية بدرجة واضحة في الفترة من فتح قورش (Cyrus) لبابل وحتى منتصف القرن الخامس ق.م، أي منذ تاريخ آخر الوثائق التي توجد في برسيبولس، بالكاد يمكننا أن نستنتج تاريخًا كاملاً من الأدلة التي تقدمها لنا هذه الفترة بمفردها، ولقد تم توثيق فترتي حكم كل من أرتاكسركسيس (Artaxerxes) الأول (424/ 425-465) ودارا (Darius) الثاني (359/358-405/404) بشكل جيد نسبيًّا، وهذا بفضل الوثائق المتأخرة التي وجدت في برسيبولس، وسجلات موراسو في إقليم بابل، بالإضافة إلى الوثائق الآرامية الموجودة في مصر. ولكن بدايةً من عهد أرتاكسركسيس (Artaxerxes) الثاني (405/404-359/358)، يجب

على المؤرخ اللجوء إلى تقارير المؤرخين اليونانيين على الأقل لمعرفة الحقائق الأساسية، وكما ذكرنا سابقًا، فقد تركز اهتمامهم على الساحل الإيجي، والشؤون العسكرية-الدبلوماسية، ومؤامرات البلاط الملكي، واستمر هذا الوضع حتى عهد دارا (Darius) الثالث (330-335) والذي نجد قدرًا كبيراً من الوثائق التي تغطي الأحداث التي وقعت فيه، تحديدًا تلك التي أنتجها مؤرخو الإسكندر (Alexander) والتي تمثل مصدرًا ذا أهمية استثنائية للتاريخ الأخميني بمجرّد أن نتمكن من تفسير معانيها، كما سوف نرى في (الفصول من 16-18) .

4- المكان والزمان:

تُظْهِر الملاحظات السابقة الصعوبات البالغة التي ستواجه أي شخص ينوي كتابة مؤلف تحليلي عن تاريخ الإمبراطورية الأخمينية، حيث إنه يجب أن يتبنى منظورًا بعديًّا ينظر للأحداث بعد وقوعها، ورؤية متزامنة مع الأحداث، والامتيازات الإقليمية في آن واحد، ومع أن الإمبراطورية كانت كيانًا واحدًا، فقد كان لها صور متعددة بسبب طول عمرها، وبسبب التشكيلة الكبيرة من البلاد والثقافات التي كانت تشتمل عليها؛ وهنا تظهر أهمية الوثائق مرة أخرى، فكيف يستطيع الفرد تأليف تاريخ عالمي عن العصر الطويل لأحد الإمبراطوريات في الوقت الذي لاتوجد عندنا أدلة سوى عن عقود وأماكن قليلة؟

وللأسباب نفسها: أين؟ وكيف؟ وبأيّ مبرر نستطيع إنشاء أقسام تاريخية تعبر عن تطور داخلي قابل للتحقيق والإثبات؟ فلا يوجد سبب يدعونا لإهمال تلك الفترات التي تفصل بين موت أحد الملوك واعتلاء خليفته للعرش، ولكننا لا نستطيع أن ننسب إليهم قيمة توضيحية تحديدية؛ لأنه مهما كانت المكانة المركزية التي كان يحتلها الملك الأكبر فإن الأحداث التي يشتمل عليها تاريخ الإمبراطورية لا يمكن أن

يتم اختزالها إلى مجرد الحوادث المرتبطة بتاريخ أفراد الأسرة المالكة؛ ولذلك فإنه من الضروري مقاطعة خيط تسلسل الأحداث بفصول موضوعية .

وعلى الرغم من التوزيع السيئ للأدلة، فلقد جازفت بكتابة تاريخ عام في جميع الجوانب التي قمت بسردها، وينطوي مصطلح «المجازفة» على بعض الادِّعاء، لأنني قمت بتعريف أجزاء عديدة من الكتاب وفقًا لتوزيع الأنواع المختلفة من الأدلة زمانيًّا ومكانيًّا، وما أحاول قوله هنا هو أنني حاولت إعادة الأهمية الكاملة للقرن الرابع، الذي غالبًا ما يساء فهم تطوره، أو تتم معالجته بشكل سطحي على حساب استسلام قوة الذاكرة للمجادلين اليونانيين، وبهذا جعل نهاية القصة غير واضحة، إنني لا أدَّعي أن التاريخ في الفصول التالية (وبالتحديد الفصل 15) هو بشكل أساسي تاريخ سياسي، وعسكري ودبلوماسي، وقد تكون قراءتها صعبة أو حتى مملَّة، ولكن سأعبر عن الصيغة التي سوف أقوم بإعادتها مرارًا وتكرارًا وهي أن المؤرخ لا يستطيع اختيار المصادر، ومن جهة أخرى، فقد اعتبرت كما يفعل المؤرخون الآخرون بأنه لا توجد هناك أنواع فرعية من التاريخ؛ فإنه للحديث عن تاريخ الدولة التي بنيت ودمرت عن طريق الغزو والفتوحات، سوف يكون من غير المعقول ألاّ نُكرِّس قدرًا ثابتًا من الاهتمام إلى الجيوش والحملات العسكرية، وفي النهاية، فإن دراسة الحرب لا يمكن أن يتم اختزالها في صورة الرسوم الكاريكاتيرية التي يتم رسمها حول الحرب، والتي يتم إعطاؤها ذلك الوصف الازدرائي «تاريخ المعركة»، وتكشف الحرب بوجه خاص عن أعمال الدولة، حتى لو كشفت فقط عن مدى تعبئة وسائل الإنتاج البشرية، والمادية والتقنية .

ومن أجل التأكيد على التنمية المعاصرة بشكل أكثر وضوحًا، فقد قمت بشكل دوري بإعطاء فكرة عامة عن الإمبراطورية بالنظر إلى مكوناتها

الإقليمية أو حتى الإقليمية الفرعية (الفصول 13/6-7، 14/8، 15/7)، وقمت أيضًا بوضع المزيد من التقييمات العامة عند ثلاث نقاط رئيسة؛ أولها: وفاة قمبيز (Cambyses) (عام 522)، وذلك للتمييز بين ما هو منسوب إلى الملكين الأولين وما يجب أن ينسب إلى دارا (Darius) (الفصل 12)، وقمت أيضًا بعمل تقييم قصدت منه أن يكون شاملاً في نهاية عهد دارا (Darius) ، وربما سوف تثير بعض الفصول الطويلة (6-12) بعض الانتقادات بسبب استخدام المصادر المتأخرة للحديث عن الأحداث التي وقعت في أوائل القرن الخامس، ولكنني حاولت توضيح أسباب اختياري في العديد من الأماكن، ويظهر التقييم العام الثالث في بداية عهد دارا (Darius) الثالث، ويشتمل على تقييم للقرن الرابع بأكمله، ويتمثل الهدف في تقديم تقييم للوضع قبل مجيء الإسكندر (Alexander) مباشرةً، ولتحديد الأسباب التي قادتنا إلى تلك العادة السيئة والتي تتمثل في تسمية هذه الفترة بفترة «التدهور الأخميني»، وسوف يجد القارئ هناك نظرة عامة حول شعوب وبلدان الإمبراطورية التي حاولت جعلها كاملة بقدر المستطاع، ولا أزعم أني قد عالجت الموضوع بشكل شامل، ولا يقتصر هذا التقييم على تحليل التنظيم الإداري لهذه الشعوب، فلقد خصصت الفقرات الأطول لتحليل العلاقات المتبادلة بين الثقافات (الفصل 16)، ويَعُدّ هذا التقييم بتحليل ديناميكي للجهاز المركزي للدولة (الفصل 17)، وللأسباب التي سوف أعرضها في الوقت المناسب، في مقدمة الجزء الرابع، فإن مثل هذا التقييم سوف يسمح لنا بالاقتراب من المرحلة الأخيرة للتاريخ الأخميني على أرض صلبة. ولكي أكون دقيقًا فإن الفصل الأخير (18) لا يدور حول فتوحات الإسكندر (Alexander) ، وإنما يدور حول الحروب التي شنها دارا (Darius) والإمبراطورية لمواجهة العدوان المقدوني، وأيضًا تدور حول رد فعل طبقة النبلاء في جميع أرجاء الإمبراطورية على التحدي الذي مثله الغزو

المقدوني، ويكشف كل من الغزو، والمقاومة، والانشقاقات التـي حـدثت عـن حالـة الإمبراطورية عندما توفي دارا (Darius) الثالث نتيجة لمؤامرة في صيف عام 330 .

إلى القارئ:

ومهما كان مصدر وطبيعة الأدلة التي في متناولنا، فإن التـاريخ يعتـبر تفسـيريًّا وتأويليًّا في آن واحد؛ لذا فإنه من الملائم إخطار القارئ بالمصادر التي تبرر الاختيـار التفسيري للمؤلف، وكدليل في كلِّ خطوة على الطريق، فلقـد حاولـتُ تـوفير قائمـة «بالمصادر والمشكلات»، ولأسـباب الوضـوح والصرامـة نفسـها، فقـد قمـت بتقـديم مقتطفات متكررة وأحيانًا طويلة من النصوص القديمـة، ولقـد قمـت أيضًـا بـإدراج بعض الأدلة الأثرية وبعض الصور والأيقونـات بهـدف تقـديم الـدعم للتفسـيرات والحجج، وبهذه الطريقة أتمنى أن يتضح أمام القراء الطريق الذي سوف أسـلكه، والأدلة التي تبرر وتدعم الحجج التي قدمتها، والقيمة التي أعطيهـا لكـل تفسـير من التفسيرات، فسوف يجد القراء أمام أعينهم جميع العناصر التي تسـمح لهـم بتصـور أو اقـتراح الحلـول البديلـة. وعـلى الـرغم مـن العـبء الـذي تمثلـه تلـك الإشارات المتكررة إلى المصادر القديمة على النص الرئيسي، فإنني وجدت أنه مـن الضروري تقديمها بين أقواس؛ لكي يستطيع القراء العودة إلى تلك المصادر مباشرة إذا أرادوا فحصها أو تحقيقها أو التشكيك فيها على الفور، وقمت أيضًـا بتـوفير العديد من العناوين الفرعية التي أتمنى أن تكون غنية بالمعلومات وذلك حتى يتمكن القراء من إيجاد طريقهم بسـهولة خـلال هـذا المجلـد الكبـير، وأخـيرًا، فلقد تعمدت إبعاد الإشارات والملاحظـات التفسـيرية إلى آخـر الكتـاب، لـيس فقط لأن بعضها طويل جدًّا ومفصل، وإنما أيضًا لأنني أردت بهذه الطريقـة أن يصبح الكتاب في متناول الطلاب وغير المتخصصين والذين قد يعـوقهم العـرض المفصل الذي يحتوي على كثير من المعلومات، أمـا الـذين يهتمـون بالموضـوع

أكثر فلديهم كامل الحرية في العودة إلى ملحق البحث، مثلهم مثل المتخصصين .

الشكر:

أولاً يجب أن أعبرُ عن بالغ امتناني لكلٍّ من قدموا لي الدعم والتشجيع خلال تلك السنوات، ولمن قاموا برفع معنوياتي عندما كنت أشعر بالإحباط، لا أعرف إذا ما كان باستطاعتي البدء بدون تشجيعهم، أو إذا كان باستطاعتي المواظبة لإكمال مثل هذا المشروع الطموح .

أتقدم بجزيل الشكر إلى كلٍّ من قدم لي نسخًا للمخطوطات، والتي كانت أثناء النشر، ولا يمكن أن أنسى كل من بيرنار ديلافول (Bernard Delavault) وألبون دوسو (Alban Dussau) على التوالي، وهما المسؤولان عن المكتبات السامية والآشورية بكلية فرنسا Colle)ge de France لسماحهم لي بشكل استثنائي بالحصول على الكتب الموجودة في تلك المكتبات، وأتذكر أن المجلس العلمي لجامعتي قد منحني تفرغًا لمدة سنة لهذا العمل، كما أودّ أن أرفع القبعة احترامًا لجميع الطلاب في جامعة تولوز الذين استمعوا ولسنوات عديدة إلى تفكيري بصوت عالٍ أمامهم والذين ساعدتني أسئلتهم كثيرًا لتوضيح أفكاري، وأتقدم أيضًا بجزيل الشكر إلى كل من ساندرا بيريه (جامعة تولوز) وفوتير هينكيلمان (جامعة أوترخت)، اللَّذَيْن قدما لي مساعدة لا يمكن وصفها في تحضير الفهارس، وقد اعتنيت بفهرس الموضوع وبالتنسيق العام؛ وبشكل واضح فأنا من يتحمل المسؤولية الأخيرة عنها؛ لأنني تحملت مسؤوليتها جميعًا .

وأتقدم بالشكر من أعماق قلبي إلى أصدقائي : إيميلي كوهرت (Amelie Kuhrt) (لندن)، هيلين سانسيسي- ويردنبرج -Heleen Sancisi) Weerdenburg) (أوتريخت)، مات ستولبر (Matt Stolper) (شيكاغو)،

وكارلو زاكجنيني Carlo (نابلس)، والذين قرأوا جزءًا من نص الكتـاب، وقـدموا لـه نقدًا أفادني كثيراً.

وأدين بالشـكر الخـاص إلى هيلـين سانسـيسي- ويـردنبرج (Heleen Sancisi-Weerdenburg) ابتداءً من أول اجتماع لنا في جرونينجين في عام 1983، حيث إنها عندما أبدى كل الناشرين الفرنسيين الذين اتصلت بهم عدم استعدادهم لنشر هذا الكتاب، فإنها عرضت عليَّ نشر كتابي في شكل السلسلة التي أسستها وأشرفت عليها مع إيميلي كوهرت، وعندما أَبْدَتْ دارُ فايارد للنشر ومديرو التحرير بها عن رغبتهم في نشر كتابي، والذي كان في ذلك الوقت لا يزال يخضع لعملية المراجعة النصـية في أوترخت، تحت رعاية الآنسة فـان روسـمالين، قبلـت هيلـين سانسـيسي- ويـردنبرج (Heleen Sancisi-Weerdenburg) ، ومدراء معهـد هولنـدا لـلشرق الأدنى، هـذا الاقتراح عن طيب خاطر؛ وهو الشيء الذي يجعلني بشكل خاص مدينًا لهم بجزيل الشكر والامتنان .

تولوز، أكتوبر 1995

الفرس قبل الإمبراطورية

1- لماذا قورش (Cyrus) ؟

التوثيق المتقطع والتاريخ الطويل للإمبراطورية:

يسمى أحيانًا الانهيار العنيف للإمبراطورية الآشورية العظيمة بعد سقوط مدينة نينيفا في عام 612 في يد تحالف من الميديين والبابليين بـ«فضيحة التاريخ»، فالظهور المفاجئ للفرس في تاريخ الشرق الأدنى والحملات الخاطفة لقورش (Cyrus) الثاني (الأكبر) تثير مجموعة من الأسئلة أمام المؤرخ، والتي تعد مهمة نتيجة لمدى اتساعها وتعقيدها. وخلال عقدين من الزمان (530-550)، فتحت الجيوش الفارسية بقيادة قورش (Cyrus) الثاني ممالك ميديا، وليديا، والمملكة البابلية الجديدة على التوالي، ومهدت الطريق لسيطرة الفرس على الهضبة الإيرانية وآسيا الوسطى، فكيف يمكن لنا تفسير هذا البروز التاريخي المفاجئ لأناس ودولة كانت مجهولة حتى ذلك الوقت؟ كيف يمكننا توضيح الطريقة التي تمكن بها هؤلاء الناس ليس فقط من تشكيل القوات العسكرية الكافية لتحقيق مثل هذه الفتوحات التي كانت باهرة بقدر ما كانت سريعة، وإنما أيضًا من امتلاك تلك المقدرة التكنولوجية والفكرية في ذلك الوقت المبكر الذي يعود إلى عهد قورش (Cyrus) مكنتهم من تخطيط وإنشاء باسارجاداي؟

إن المؤرخ الذي يعمل على تحليل التاريخ الطويل لأحد الإمبراطوريات يدرك جيدًا أن فترات الحكم المليئة بالإنجازات الباهرة والأحداث الحاسمة تتوافق فقط مع التاريخ الذي تعود جذوره إلى ماضي عميق مليء بالإنجازات، ويعتبر المؤرخ اليوناني بوليبيوس (Polybius) على دراية كاملة بهذا الأمر عندما شرح لقرائه في مقدمة تاريخه الحاجة إلى الرجوع للماضي؛ وذلك لفهم كيف أن «الدولة الرومانية تمكنت في إنجاز غير مسبوق ببسط سيطرتها على جميع العالم المأهول بالسكان تقريبًا، وذلك في أقل من ثلاثة وخمسين عامًا»، ثم استطرد قائلاً: «وبهذه الطريقة، عندما نأتي إلى لُبِّ موضوعي، نجد صعوبة في فهم كيف وضع الرومان خططهم؛ وما الوسائل العسكرية والمصادر المادية التي كانت متاحة لهم عندما انخرطوا في تحقيق هذا المشروع الذي سمح لهم بفرض قانونهم على البحر بالإضافة إلى البر وفي جميع المناطق؟».

وينطبق هذا أيضًا على بدايات التاريخ الفارسي: فمن المتفق عليه أنه لا يمكن تصور تمكن قورش (Cyrus) من تحقيق كل هذه الانتصارات بدون الوجود المسبق لدولة ذات بِنى وتنظيمات، وجيش مُنظَّم ومُدرَّب، وسلطة ملكية راسخة، ووجود اتصالات عديدة بين هذه الدولة وبلاد ما بين النهرين والممالك الإيجية، ولا يمكن شرح أسباب تلك الانتصارات العظيمة ببساطة من خلال الإصرار أحادي الجانب على انحطاط وتدهور أوضاع تلك الدول التي فتحها قورش (Cyrus) ، وهو «التدهور» الذي يعد من الملائم عدم تحديد وتيرته وأشكاله، وكذلك أيضًا فإنه لا يمكن شرحه من خلال اللجوء إلى ذلك الافتراض الذي على الرغم من كونه مناسبًا فإنه يرجع أسباب هذه الانتصارات فقط إلى التفوق الفطري للشعوب البدوية على الشعوب المستقرة، وباختصار، يقودنا أيّ تأمل تاريخي نقوم به إلى القول بأن اعتلاء قورش (Cyrus) الثاني للعرش لا يمثل فقط نقطة الانطلاق

للإمبراطورية الإقليمية الأولى التي وحدت المنطقة الشاسعة من بحر إيجة وحتى نهر الإندوس، ولكنها في الوقت نفسه كانت نتيجة للعملية الطويلة، التي لا توجد لدينا حولها سوى معلومات مُجَزَّأة ومتقطعة .

التاريخ الفارسي والتمثيلات اليونانية:

في الحقيقة، لم تتم معالجة التاريخ الفارسي في العصر القديم من قِبَل مؤرخ له مكانة وحجم المؤرخ اليوناني بوليبيوس (Polybius) ، فلقد كانت «النموذج النظري» الذي قدمه المؤلفون اليونانيون حول تاريخ بلاد فارس يتسم بكونه تخطيطيًّا وفقيراً للغاية، وبوجه عام، فلقد اكتفوا بالتأكيد على أن الإمبراطورية الفارسية لم تكن سوى امتداد لمملكة ميديا التي غزاها قورش (Cyrus) في عام (550)، وبالنظر إلى حالة سترابو (Strabo) نجد أنه لم يكتف بذكر أن إكباتانا قد احتفظت بمكانتها كما هي بعد الانتصار الذي حققه قورش (Cyrus) (XI.13.5)، ولقد صرح بالاستعانة ببعض الحُجَج المشكوك في صحتها إلى حد بعيد من مِثْل أنَّ الفرس قد قاموا باستعارة بعض الأشياء من الميديين .

فقد كان زيهم «الفارسي» -كما يطلقون عليه الآن- وحماسهم للرماية والفروسية وتوددهم إلى ملوكهم، وتبجيل المواطنين للملوك بدرجة تصل إلى حد التقديس، يبدو أن عادات الشعب الذي قاموا بغزوه بدت لهم ملائمة وتتماشى مع مظاهر الأبهة والعظمة الملكية مما جعلهم يتحولون إلى ارتداء تلك الملابس الأنثوية وأن يقوموا بتغطية جميع أجزاء جسمهم بالملابس بدلاً من التعري أو ارتداء قدر ضئيل من الملابس، (* XI.13.9).

ولقد أشار أيضًا إلى وجهات نظر بعض المؤلفين الآخرين: «فالبعض قال إن الملكة ميديا قد استحدثت هذا النوع من الرداء، عندما حكمت تلك المنطقة هي وجاسون» (* XI.13.10)، فكيف مزج التاريخ بالأساطير هنا؟ ويذكر فيما بعد (* XI. 13.11) أن عادات الميديين مماثلة لعادات

الفرس «بسبب غزو الفرس لمملكة ميديا»، ولقد اختتم حديثه قائلاً: «سوف أناقش هذا الأمر في حديثي عن الفرس» (XV. 3.20)، وهو يلاحظ أن عادات الفرس مماثلة لعادات الميديين ولعادات شعوب أخرى .

ويجب أن أؤكد دائمًا على أنه باستثناء عدم الدقة في تحديد تواريخ وقوع الأحداث، وهو الأمر الذي تتسم به مناقشات سترابو (Strabo) ، فقد بنيت على أساس سلسلة الأفكار الثقافية الشائعة والتي نجدها أيضًا عند العديد من المؤلفين اليونانيين الذين ادَّعوا بشكل يَنُمّ عن الفروسية أنهم يقومون بإعادة سرد تاريخ الشعب الفارسي، فقد جلبت الفتوحات الفارسية الثروة والترف اللذين كانت تتميز بهما مملكة ميديا إلى الفاتحين، ويتمثلان بوجه خاص في الملابس التي توضح في حد ذاتها «أنوثة» مُحْدِثي النعمة، وبالمثل فلقد اقتبس الفرس من الميديين المراسم المتبعة في البلاط الملكي بالكامل، ويمكن تفسير سبب قيام الفرس بغزو تلك الممالك بـ«الإغراء الذي كان يشكله ما لديها من ثروات»، ويعد هذا أيضًا هو الأساس الذي تقوم عليه رواية أفلاطون (Plato) في كتابه المعنون بـ«القوانين» (694 a 695- c)، «ولقد فسر «التدهور الفارسي» بداية من عهد قمبيز (Cambyses) بالحقيقة المتمثلة في أن: «أبناء قورش (Cyrus) قد تم تعليمهم على الطريقة الميدية، وهو التعليم الذي أفسده ما يسمى بالسهولة، حيث إن أبناء قورش كانوا يتلقون هذا التعليم على أيدي النساء والخصيان»، ولقد لجأ هيرودوت (Herodotus) (الكتاب الأول، فقرة 126) إلى نفس هذا النوع من التفسير؛ ليوضح لقرائه لماذا تطوع الفرس بأعداد هائلة للقتال تحت راية قورش (Cyrus) : حيث إنه نتيجة لكون هؤلاء الفرس كانوا يعيشون في فقر مُدْقِع فلقد كانت تُحَرِّكُهم الرغبة في وضع أيديهم على ثروات الميديين .

وتماشيًا مع المنطق الخاطئ للنموذج «النظري»، فإنه لا يمكن تفسير تطور المجتمع بأيّ طريقة أخرى سوى المُحَفِّزات والتحديات الخارجية؛

لذا لا يمكن وصف المنتصرين (الفرس) سوى بأنهم كانوا أقل الشعوب تطورًا وأنهم تعلموا كل شيء من الشعوب التي غزوها، فلم يكن أمامهم أي بديل آخر سوى تبني العادات، والمؤسسات التي وجدوها في الممالك السابقة التي قاموا بالاستيلاء عليها، وباختصار، لم يكن هناك تاريخ للفرس قبل مجيء قورش (Cyrus) ، وبمعنى آخر يفترض المؤلفون بانتظام بصورة مسبقة المشكلة التي تُحَيِّر ويَختلِف عليها المؤرخون المعاصرون، وبشكل أكثر دقة، لم يكن يعلم كل من هيرودوت (Herodotus) ، أو زينوفون (Xenophon) أو سترابو (Strabo) أن طريقة عرضهم هذه لتاريخ الفرس سوف تثير مثل هذه المشكلة .

2- الأساطير التي تم نسجها حول المؤسس:

وخلال فترة ما قبل قورش (Cyrus) ، كانت المصادر الكلاسيكية عديمة القيمة، على الأقل لهؤلاء الذين يعيدون بناء المراحل الرئيسة في تشكيل المملكة الفارسية، وبالإضافة إلى إعادة سرد الحملات العسكرية، فقد كرس هيرودوت (Herodotus) إحدى الفقرات الطويلة (I.107-130) للحديث عن أصول الشعب الفارسي، وذلك في سياق حديثه عن انتصار قورش (Cyrus) على ملك الميديين أستياجيس (Astyages) ، ولقد برر بنفسه هذا الملحق الطويل بتلك الكلمات: «أنه يتحدث عن قصة ميلاد ونشأة قورش (Cyrus) ، وكيفية استيلائه على العرش» (* I.130).

ولقد تم تقديم قورش (Cyrus) الثاني في هذا الملحق على أنه ابن قمبيز (Cambyses) الذي هو ابن قورش (Cyrus) الأول- والأميرة ماندانى (Mandane) - ابنة - حيث لإبلاغه ببعض النبوءات التي تحذره وتنبئه بمصير غير عادي للطفل الذي ستلده ابنته، أراد الملك آستياجيس (Astyages) أن يختار زوجًا لابنته» بحيث يكون رجلاً من أسرة طيبة وذا

شخصية حسنة ولكنه يجب أن يكون شخصًا ذا منزلة أدنى من الميديين أو حتى ذو شخصية متوسطة»، ولقد أقنعه حلم آخر وتفسير الكهنة المجوس له بأن ذلك الطفل الذي على وشك أن يولد «سوف يصبح ملكًا على عرشه»؛ وعلى الرغم من أنه كان «مسنًا ولا يوجد له أبناء ذكور»، فإنه قرر التخلص من حفيده، وقد عهد بتلك المهمة إلى هارباجوس (Harpagus) ، والذي كان «أحد أقاربه، حيث إنه كان الميدي الأكثر ولاءً وإخلاصًا له، وكان يأتمنه أيضًا على كل أسراره»، ولأن هارباجوس (Harpagus) كان قلقًا بعض الشيء من الظهور في نهاية الأمر كقاتل، فقد كلّف شخصًا آخر بتلك المهمة، وهو ميثراداتس (Mithradates) -أحد الرعاة الملكيين-» والذي كان يرعى قطعانه في المراعي حيث كان المكان مناسبًا جدًّا لتنفيذ خطته، أو في الجبال التي كانت تَعجّ بالحيوانات البريَّة». ولقد قرر ميثراداتس (Mithradates) بدوره عدم تعريض ذلك الطفل الرضيع للحيوانات المتوحشة على الإطلاق، وبدلاً من ذلك قام بتربيته كابن له، حيث كانت زوجته لا تزال حزينة على طفلهما الذي ولد ميتًا، ولتضليل الشرطة الملكية «فقد وضع جثمان الطفل الميت في السلة مكان الطفل الآخر، وزينه بالحلي والزخارف التي كانت تزين الطفل الذي أخذه ثم وضعه على جبل مهجور»، ولقد نُفِّذت الحيلة بنجاح، ومنذ تلك اللحظة، «قامت زوجة الراعي بتربية وتَبَنِّي من صار يعرف فيما بعد باسم قورش (Cyrus) .

ثم أخبرنا هيرودوت (Herodotus) بعد ذلك كيف أن قورش (Cyrus) كان يتمتع وهو لا يزال في سن العاشرة بمكانة كبيرة بين زملائه، حيث كانوا يختارونه دائمًا للعب دور الملك في ألعابهم، ولقد لعب قورش (Cyrus) دوره ببراعة، حيث عاقب بشدة «ابن أرتمبارس (Artembares) - أحد الرجال المحترمين في المجتمع الميدي»، ولقد تعرض كل من قورش (Cyrus) وميثراداتس (Mithradates) إلى إدانة كبيرة من قبل والد أرتمبارس

(Artembares) ، وأحضرهم للمثول أمام الملك أستياجيس (Astyages) الذي أدرك على الفور بأن ابن ميثراداتس (Mithradates) ما هو إلا حفيده، وقد قام بمعاقبة هارباجوس (Harpagus) بقسوة حيث قدم له لحم ابنه ممزوجًا بلحم خروف على مأدبة الطعام، ثم وبعد أن طمأنه المجوس، قام أستياجيس (Astyages) بإرسال قورش (Cyrus) إلى بلاد فارس، حيث انضم مرة أخرى إلى عائلته. ولقد أخبرنا هيرودوت (Herodotus) كيف أن قورش (Cyrus) نتيجة لكونه شب على الرجولة، استطاع خلع أستياجيس (Astyages) من منصبه وإعطاء السلطة للفرس، وذلك بمساعدة من هارباجوس (I. 123-130) (Harbagus).

وادَّعى هيرودوت (I.95 *) (Herodotus) حصوله على هذه القصة من أشخاص من الفرس «من هؤلاء الذين يبدو أنهم كانوا يخبروني عن حقيقته بدون أية مبالغة في وصف أعماله البطولية»، ولقد أضاف قائلاً بأنه يعرف ثلاث روايات أخرى حول أصول قورش (Cyrus) ؛ إحداها: رواها جوستين (I.4.10) (Justin)، حيث إن ذلك الطفل الرضيع الذي تركه الراعي في الغابات، «قد أنقذت حياته أنثى كلب، حيث أرضعته، وقامت بحمايته من الوحوش البرية والطيور الجارحة»، أما القصة الثالثة، فقد رواها نيكولاس (Nicolaus) الدمشقي، الذي حصل عليها وبدون شك من ستيسياس (Ctesias) ، حيث تذكر أن والد قورش (Cyrus) كان يسمى أتراداتيس (Atradates) وكان أحد أفراد قبيلة المارديين وهي إحدى أحط قبائل الشعب الفارسي، وكان والده قاطع طريق، أما والدته وتدعى أرجوستي (Argoste) فكانت ترعى الماعز، ووفقًا «لإحدى العادات الميدية»، فلقد تم إعطاء قورش (Cyrus) الصغير لرجل غني ذي شخصية بارزة ويدعى أرتمبارس (Artempares) حتى يرعاه، ولقد كان أرتمبارس (Artempares) يعمل كأحد السقاة الملكيين في بلاط أستياجيس (Astyages) وهي الوظيفة التي كان يحسده عليها الجميع، وعندما تقدم

به العمر وأصابه الوهن نقل أرتمبارس (Artempares) لقبه إلى قورش (Cyrus) الذي كان قد قام بتبنيه، وذلك طبعًا بعد موافقة الملك، ولقد استدعى قورش (Cyrus) والديه إلى البلاط الملكي، ونتيجة لتعاظم سلطته جعل أتراداتيس (Atradates) «مرزبانًا على الفرس»، وجعل والدته أغنى النساء في بلاد فارس .

ثم جاءت الثورة.. .

ما الحقائق التي يمكن للمؤرخين استخلاصها من هذه القصص؟ توضح هوية بعض الموضوعات الفولكلورية المعينة، مثل تلك الموضوعات الموجودة في أسطورة سارجون (Sargon) ملك أكاديا، بالشكل الذي يمكننا به إعادة بنائها من خلال الألواح البابلية- أن الروايات المختلفة قد تمّ بناؤها في إطار قديم جدًّا من الشرق الأدنى يمتلىء بالأفكار المستلهمة من رواة القصص الشعبية، وبأهداف الدعاية السياسية (راجع ديودورس) (Diodorus) الكتاب الثاني 4.3)، وبلا شك فإن هذه الأسطورة تتضمن أيضًا بعض الملامح النموذجية الإيرانية، حيث تهدف كل هذه الحكايات أساسًا إلى تمجيد ذكرى المؤسس ذي الشخصية الكاريزمية، ذلك الرجل الذي اتسم منذ مولده بعلامات تنبئ بأنه سيكون له مصير غير عادي؛ ولهذا السبب، فلقد تم نقلها بشكل واسع إلى أبناء الفرس من جيل إلى جيل، وتضع كل من هذه الروايات المتعددة أصول قورش (Cyrus) في سياق العلاقات بين الميديين وخدمهم من الفرس، ويُجْمِعُون كلهم على قيام الفرس بالإطاحة بسلطة الميديين، ولكن على الرغم من أن الروايات المختلفة قد جعلت من قورش (Cyrus) مؤسس المملكة الفارسية التي سطع نجمها في مواجهة إكباتانا، فإن هذه الروايات المختلفة حول أساطير المؤسس تصبح عديمة الفائدة عند مناقشة تاريخ بلاد فارس قبل قورش (Cyrus) .

3 - ملوك آنسان:

لم يترك الفرس أي سجل أدبي لتاريخهم. والشكل الوحيد من أشكال السجلات التاريخية الرسمية في هذه الفترة تمثل في شجرة النسب الملكية التي كان يسجلها الملوك أنفسهم، ولقد قدم دارا (Darius) في نقشه الشهير المنحوت على صخور بهيستون بتقديم تفاصيل حول أصله الأخميني: «أنا دارا (Darius) ، الملك الأكبر، ملك الملوك، ملك بلاد فارس، وملك البلدان، ابن هستاسبيس (Hystaspes) ، حفيد أرساميس (Arsames) الأخميني، أنا سيث دارا (Darius) الملك: والدي هو هستاسبيس (Hystaspes) ، ابن أرساميس (Arsames) ، ابن أرياramنيس (Ariaramnes) ، ابن تيسبيس (Teispes) ، ابن أخمينيس (Achaemenes) ، أنا سيث دارا (Darius) الملك: لهذا السبب فإننا نسمي الأخمينيين، ونحن نبلاء منذ وقت طويل، ومنذ وقت طويل كانت أسرتنا من الملوك، أنا سيث دارا (Darius) الملك: ولقد سبقني ثمانية أشخاص في تسلسل أسرتنا والذين كانوا من الملوك، أنا التاسع، التاسع في التسلسل، ولقد كنا ملوكًا (DBI. 1-40) .

ومن حيث المبدأ، يسمح لنا سِجِلٌّ نسبٍ من هذا النوع بالرجوع إلى وقت بعيد في الماضي، إلى بدايات التاريخ الأخميني، عندما كان الفرس لا يزالون في بلاد فارس، ويمكن أن نضيف أن هيرودوت (Herodotus) قد قدم لنا سِجِلَّ نسبٍ ملكي لا يتطابق بشكل تام مع سجل النسب الذي ذكره دارا (Darius) حيث إن كسركسيس (Xerxes) قد قدَّم التسلسل الملكي بهذه الطريقة: أخمينيس (Achaemenes) - تيسبيس (Teispes) - قمبيز (Cambyses) - قورش (Cyrus) - تيسبيس (Teispes) - أريارامنيس (Ariaramnes) - أرساميس (Arsames) - هستاسبيس (Hystaspes) - دارا (Darius) .

ولدينا نقشان آخران تم إعداداهما باسم كل من أريارامنيس

(Ariaramnes) وأرسـاميس (Arsames) ، والـذين يُقَـدِّمُهم دارا (Darius) عـلى أنهم جـده وأبـو جـده عـلى التـوالي، ويحتـوي هـذان النقشـان عـلى الـنص التـالي: «أريارامنيس [(Ariaramnes) أرساميس (Arsames)]، الملك الأكبر، ملك الملـوك، ملك الفرس، إن بلاد فارس التـي تخضـع لسـيطرتي، والتـي تمتلـك الخيـول الجيـدة، والرجال الجيدين، حيث منحني إياهم الإله العظيم أهورا - مازدا....»، ولكن هـذه الوثائق تعتبر شيئًا غير مؤكد، فمن جهة توجد شـكوك جديـة حـول مـدى صـحتها، ومن جهة أخرى، فإن تأكيدات دارا (Darius) في حد ذاتهـا هـي مثـار شـك، لـيس لأنه يمكن الشك ولو للحظة في أصالتها، ولكن ببسـاطة لأن الغـرض الأسـاسي لهـذه النصـوص هـو تبريـر كـل أفعـال دارا (Darius) بعـد وفـاة قمبيـز (Cambyses) ، ولإثبات ما يؤكد على أنه حق لأسرته، ذلك الادِّعاء المريب -كـما سـنرى- ولا يسـمح الماضي الذي قام دارا (Darius) بمراجعتـه وتنقيحـه للمـؤرخين بتعميـق معـرفتهم بعصر الملوك الأوائل .

ولفعل ذلك فإنه سيكون من الأفضل كثيرًا الاعـتماد عـلى أحـد النصـوص البابليـة المسمى بأسطوانة قـورش (Cyrus) ، حيـث إنـه يحتـوي عـلى أقـدم سـجل للأنسـاب، ويسمى قورش (Cyrus) في هذا السجل «ملك آنسان»، ولقـد تـمّ فيـه تقـديم شـجرة العائلة على النحو التالي: «ابن قمبيز (Cambyses) ، الملك الأكبر، ملك آنسان العظيم، ابن حفيد (أو المنحدر من نسل) تيسبيس (Teispes) ، الملك الأكبر، ملك آنسـان، مـن العائلة التي كان أفرادها ملوكًا على الدوام»، وهكذا فلقد تمَّ تقديم التسلسل الملكي في الشـكل التـالي: تيسـبيس (Teispes) - قـورش (Cyrus) الأول- قمبيـز (Cambyses) الأول - قورش (Cyrus) الثاني. أما بالنسبة للبلاد التي كان يحكمها هؤلاء الملـوك، فقـد تألفت من آنسان، كما يتضح ذلك من ختم محفور عليه الأسطورة «كوراس» (Kuras) ملـك آنسـان، «ابـن تيسـبيس» (PFS 93 *) (Teispes)، وهـو الشـخص الـذي كـان

يقال عادة: إنه هو قورش (Cyrus) الأول (شكل 7)، ولقد تم تحديد هذه البلدة الآن بشكل مؤكد؛ فهي مارف داشت في فارس، وهكذا ففي هذه المنطقة التي سوف تأخذ فيما بعد اسم (Persis) تم تأسيس أول مملكة فارسية .

4- آنسان وصوصا:

من المستحيل النظر إلى البلاد التي غزاها الفرس واستعمروها على أنها كانت ساحة خلفية لهم، وفي أوائل الألفية الثانية، كان الملوك الإيلاميون يحملون لقب «ملك آنسان وصوصا»، وهكذا فقد احتلت مملكة إيلام كل من السهل (صوصا) والمنطقة المرتفعة (آنسان)؛ ولقد تمّ اكتشاف ألواح إيلامية تعود إلى نهاية الألفية الثانية في الموقع الذي كانت توجد فيه آنسان نفسها (والمسمى «تل المليان»)، وتشهد هذه النصوص على وجود إدارة إيلامية في هذه المنطقة، وتشهد الأنشطة الإنشائية الكبيرة (المعابد والقصور) على سلطة «ملوك آنسان وصوصا» في جنوب جبال زاجروس خلال الألفية الثانية .

وفيما بعد، أصيبت المملكة الإيلامية في تلك المرحلة الزمنية المسماة بالمملكة الإيلامية الجديدة الثانية، بالضعف الشديد، ولقد هلكت الأسرة الحاكمة بسبب الصراعات الداخلية المستمرة، ومن المحتمل أنه كان يوجد عدة «ملوك» في وقت واحد منذ بداية القرن السابع، وفي ذلك التاريخ لم يعد مركز ثقل المملكة يقع في المرتفعات، ولكن في السهول، حيث تكشف النصوص التي تمَّ اكتشافها هناك عن وجود ثلاث «مدن ملكية» هناك وهي: صوصا، ماداكتو (وهي المعقل الذي يقع على نهر الدوايريج)، وهيدالو (التي تقع على أول تلال جبال زاجروس)، وفي عام 691، شنت الجيوش الإيلامية والبابلية حربًا وحشية ضد القوات الآشورية، وهي الحرب التي زعم فيها كلا الطرفين تحقيق الانتصار .

ويبدو أن اعتماد آنسان على صوصا قد أصبح بعيدًا بشكل متزايد وأصبح مجرد اعتماد شكلي؛ حيث لم يستطع ملوك مملكة إيلام الجديدة فرض سلطتهم هناك بأية طريقة ملموسة، حيث تَوَجَّب عليهم وبشكل خاص محاربة ملوك المملكة الآشورية الجديدة مرات عديدة، والذين قاموا بإرسال حملات عسكرية متكررة لمحاربة مملكة إيلام، والتي اضْطُرَّ الملك الايلامي إلى «الفرار إلى الجبال»، ولقد حاولت إيلام من جانبها عدة مرات دعم الثورات البابلية ضد مملكة آشور، ولكن دون تحقيق نجاح يذكر، ولم تكن معركة هالولي (691) سوى مهلة، ففي عام (646)، شن آشوربانيبال (Assurbanipal) هجومًا واسع النطاق، كُلِّل بالانتصار وأسفر عن الاستيلاء على مدينة صوصا ونهبها والاختفاء (المؤقت) لمملكة إيلام، وربما في هذا السياق لقب تيسبيس (Teispes) - أبو جد قورش (Cyrus) الثاني- نفسه بـ«ملك آنسان»؛ ومن ثم أعلن نفسه خليفة لملوك إيلام في المرتفعات التي كانت تأخذ اسم بلاد فارس (Persis) .

وتعد مشكلة التسلسل الزمني المطلق هي الأكثر صعوبة، فهناك نقش للملك الآشوري آشوربانيبال (669-630) (Assurbanipal) يشير إلى استسلام كوراس (Kuras) -ملك بارسوماس- الذي قام مباشرة بعد عام (646) بإرسال الجزية إلى نينيفا، كما أرسل ابنه الأكبر أروكّو (Arukku) كرهينة عند الملك الآشوري، ومن المتعارف عليه لفترة طويلة أن كوراس (Kuras) لا يختلف عن قورش (Cyrus) الأول، ملك الفرس القديمة (بارسوماس)، لكن هذا التفسير هو الآن موضع لكثير من التساؤلات، فالمقابلة المقترحة بين بارسوماس وبلاد فارس هي من الأمور غير المؤكدة، ومن المحتمل أن بارسوماس تختلف عن آنسان (رغم أن هذه النقطة ما زالت قيد المناقشة)، ونتيجة لأنه قد تمَّ تحديد تاريخ فترة حكم قورش (Cyrus) الثاني بشكل قاطع (530-559)، فسيكون من الضروري في ظل هذه الفرضية تقليل التواريخ التي تحدد

فترة حكم الملوك الفرس الأوائل، والذين ستصبح التواريخ التقريبية لفترات حكمهم هي: تيسبيس (Teispes) (ca 610-635)، قورش (Cyrus) الأول (585 610- ca)، قمبيز (Cambyses) الأول (585-559 ca)، وعلاوة على ذلك، فمن المؤكد أن الشعوب الإيرانية قد استقرت في منطقة آنسان قبل ذلك بكثير، ومن المتفق عليه عمومًا أنهم وفدوا من شمال جبال زاجروس، وليس مباشرة من الهضبة الإيرانية، وأنهم قاموا بالتحرك تدريجيًا نحو آنسان مع حلول نهاية الألفية الثانية .

5- المجتمع الفارسي قبل الفتوحات: هيرودوت (Herodotus) والاكتشافات الأثرية:

هيرودوت (Herodotus) والمجتمع الفارسي:

لا نعلم شيئًا، أو إن صح القول لا نعلم شيئًا تقريبًا، عن مملكة آنسان قبل الهجوم الذي شنه قورش (Cyrus) الثاني ضد الميديين في أواخر العقد الخامس من القرن السادس ق.م؛ وفي إطار حديثه عن الثورة التي قام بها قورش (Cyrus) ضد الميديين، أشار هيرودوت (Herodotus) إلى أن الملك الشاب قد قام بجمع شعبه، ووصف تنظيمهم في العبارات التالية:

إن الأمة الفارسية تحتوي على عدد من القبائل (جينيا)، والقبائل التي تمكن قورش (Cyrus) من جمعها وإقناعها بالثورة هي قبائل باسارجاداي، مارافي، ماسبي، حيث كانت جميع القبائل الأخرى تعتمد عليها، فقد كانت قبيلة باسارجاداي هي الأكثر تميزًا (أرستوي)، وكانت تشتمل على عشيرة (فريتري) الأخمينيين التي انحدر منها الملوك الفرس، أما القبائل الأخرى، وهي بانثيالايي، وديروسيايي، وجيرماني، فكانت كلها مرتبطة بالأرض (أروتيريس)، وبالنسبة لباقي القبائل فكانت بدوية مثل داي، وماردى، دوربيكي، ساجارتي (* I. 125).

إن المجتمع الفارسي -كما يفهمه هيرودوت (Herodotus) - كان مجتمعًا قبليًّا، ولقد استخدم هيرودوت (Herodotus) المصطلحات اليونانية لتسمية المجموعات والمجموعات الفرعية، ولكنْ أتمَّ مقارنة التقسيم الاجتماعي الذي يمكن أن يوجد هناك بالمفردات الإيرانية، ويتمثل المستوى الأساسي للتنظيم في الأسرة (تعني باللغة الفارسية القديمة «مانا») التي تنحدر من جهة الأب، وكل مجموعة من الأسر كانت تشكل عشيرة (تعني باللغة الفارسية القديمة «فيث»)، وتندرج كل مجموعة من العشائر في إطار قبيلة معينة (تعني باللغة الفارسية القديمة «زانتو»)، وتمثل كل قبيلة في الوقت نفسه حقيقتين متزامنتين هما النسب والمكان، حيث إن كلًّا من مارافي وباسارجاداي عبارة عن وحدات جغرافية وعرقية، فلكل قبيلة أوعشيرة إقليم خاص بها، ويقود القبيلة زعيم قبلي (زانتوباتي)، ولقد استمر هذا الوضع حتى نهاية الفترة الأخمينية، كما يتضح من مثال أوركسينيس الذي وصفه كوينتوس كورتيوس (Quintus Curtius) بهذه الصورة في عهد الإسكندر (Alexander) : «من هناك جاؤوا إلى باسارجاداي -التي هي أحد الأجناس الفارسية- ولقد كان أورسينس (Orsines) هو الزعيم القبلي البارز بين جميع البربر بسبب شرف نسبه وثروته، كان ينحدر من نسل قورش (Cyrus) ملك الفرس سابقًا، وكان يملك ثروة كبيرة، سواء التي ورثها عن أجداده أو التي جمعها بنفسه خلال فترة السيادة الطويلة (X.I .22-23).

ولقد ميز هيرودوت (Herodotus) فيما بين القبائل، بين المزارعين والبدو الرُّحَل، وتوجد هذه المقارنة عند جميع المؤلفين الكلاسيكيين الذين قاموا بالحديث عن الشعوب «البربرية»، وتقوم على افتراض يعامل البدو غالبًا كما لو كانوا مجموعة من اللصوص، وينظر إليهم على أنهم شعوب متخلفة -بنفس الطريقة التي يتم بها النظر إلى المزارعين وخاصة بالنسبة لليونان على أنهم يمثلون مستوى أعلى من

التحضر، فعلى سبيل المثال: رأينا كيف أن ستيسياس (Ctesias) كـان يـرى أن والـد قورش (Cyrus) كان أحد الماردين الـذين يمارسـون السرقـة وقطـع الطريـق، بيـنما كانت والدته ترعى الماعز، وعلى مر التاريخ ظل الماردين مشـهورين بـأنهم شـعب وحشيّ، أما بالنسبة للساجارتيين، فلقد وصفهم هيرودوت (Herodotus) في مكـان آخر بأنهم «إحـدى القبائـل البدويـة..... وبـأنهم أنـاس يتحـدثون اللغـة الفارسـية، ويرتدون ملابسهم على نحو شبه فارسي»، وعلى الرغم من أنه قد تـم دمجهـم مـع الفرس في جيش كسركسيس Xerxes ، فإنهم احتفظـوا بالأسـلحة وأسـاليب القتـال الخاصة بهم (VII .85).

يرتبط هذا التمييز بين البدو والمزارعين باختلاف آخـر وهـو الاخـتلاف السـياسي، ولقد نسب هيرودوت (Herodotus) مكانة خاصـة إلى كـل مـن قبائـل باسـارجاداي، ومـارافي، وماسـبي، «حيـث يخضـع لهـم سـائر الفـرس»، وتـدل تلـك العبـارة التـي اسـتخدمها هـيرودوت (Herodotus) عـلى وجـود علاقـة تبعيـة تـرتبط منـذ القـدم بقبائـل معينـة، ويعتـبر أفـراد قبيلـة باسـارجاداي هـم «الأسـمي» ضـمن المجموعـة المهيمنة، ويتولد لدى المرء الإحساس بأنه كانـت توجـد هنـاك صراعـات شـديدة بـين زعماء القبائل؛ ولقد ذكر هيرودوت (Herodotus) أن قورش (Cyrus) دعـا إلى عقـد «اجتماع (أليي) يضم قادة الفرس»، مما يدل على أنـه مـن أجـل إعـلان الحـرب عـلى ملك الميديين كـان يتوجـب عـلى قـورش القيـام بأخـذ المشـورة مـن مشـايخ القبائـل، وخصوصًا من زعماء قبائل باسارجاداي ومارافي وماسبي، وعـلى أسـاس هـذه الإشـارة؛ أميل إلى الاعتقاد بأنه في الجيش كان يحتفظ كل زعيم قبلي بقيادة فرقتـه العسـكرية تحت السلطة العليا للملك والذي كان يعتبر قائد (تعني باليونانيـة كـارانوس) الجنـد (تعني باللغة الفارسية القديمة كارا)، وعلى أية حال، تتفق كـل الـدلائل عـلى أن أحـد المبررات الأيديولوجية التي كانت تعطـي الملـك الأخمينـي الشرعيـة كانـت تتمثـل في

استعداده لخوض الحرب وقيادة الجيوش، لكن الظروف التي أدت إلى تفـوق هـذه القبائل الثلاث، أو كيف أصبح أفـراد قبيلـة باسـارجاداي أنفسـهم (أريسـتوي)، أو كيف ومتى حصلت العشيرة الأخمينية - ضـمن قبيلـة باسـارجاداي- عـلى السـلطة الملكية لنفسها كل ذلك من الأمور التي يسـتحيل تحديـدها، وكـل مـا نسـتطيع أن نفعله هو أن نلاحظ أن هيرودوت (Herodotus) بدأ في الكتابة في حوالي منتصف القرن الخامس، في وقت أصبح فيه قدم وشرعية الحقوق الأخمينية في تَوَلِّي السلطة هي الرواية الرسمية، ولكننا سنرى كيف أن هذه النسخة المشكوك فيها إلى حـد مـا تـدين بـالكثير لـدارا (Darius) الأول، وبعبـارة أخـرى، لـيس هنـاك مـا يثبـت أن الأخمينيين (بمعنى العشـيرة) كانـت لهـم أيـة مكانـة خاصـة ذات أصـول قديمـة في المجتمع الفارسي .

القيود المفروضة على استخدام المصادر الكلاسيكية:

بطريقة أعـم، ينبغـي أن يكـون هنـاك بعـض القيـود عـلى اسـتعمال المعلومـات المقدمة من هيرودوت (Herodotus) وغـيره مـن المـؤلفين الكلاسـيكيين، ومـن خـلال القراءة بشكل غير ناقـد؛ فإننـا نميـل إلى اسـتنتاج أن فتوحـات قـورش (Cyrus) يمكـن مقارنتهـا بالغـارات التـي كـان يشـنها «البـدو الرحـل» بحثًـا عـن الغنـائم في الممالـك المستقرة، ومن الواضح أن هذا ليس كذلك، فسرعان ما يُبَيِّن قورش (Cyrus) أنـه كانـت له أهداف أكثر طموحًا، وأنه لا يقصد مجرد شن الغارات وإنما تحقيق الانتصـار الـدائم، وتشير هذه الملاحظة إلى أن جيش قورش (Cyrus) كان أكثر من مجرد تجمُّع خاصّ مـن الفرق العسكرية القبلية التي تحارب بشكل غير منظم، حيث يحتفظ كل منها بأسـلوبه الخاص في القتال؛ وبدلاً مـن ذلـك يجـب أن نفـترض أنـه قبـل بـدء الحـرب كـان الملـك الفارسي قد أعدّ جيشًا لا ينقصه السلاح أو التدريب بالمقارنة مع تلك الجيوش التي شُـنَّ

الهجوم عليها، ومن المُرَجَّح أيضًا أنـه عنـدما قـاد قـورش (Cyrus) جيشـه لمحاربـة الميديين، كان أكبر بكثير من مجرد الزعيم القبلى الأكثر أهمية (بريمـوس إنتربـارس)، ومن المرجح جدًّا أنه منذ أن حصل أسلافه على اللقـب الملـكي تمكنـوا مـن ممارسـة سلطتهم، وهذا ما يشير إليه انتظام تعاقـب أفـراد الأسرة المالكـة في تَـوَلِّي السـلطة، على الأقل كما أبلغنا به قورش (Cyrus) نفسه في إعلانه البابلي في عام (539) .

صحيح أن زينوفون (Xenophon) نسب إصلاحات عسكرية واسعة إلى قورش (Cyrus) والتي كما وصفها تتمثل في: تعديل التسلح الفارسي (من خـلال اسـتخدام الـدرع الصـدري، الـدروع الواقيـة والسـيوف والفـؤوس الحربيـة بـدلاً مـن الرمـاح والأقواس (Cyropaedia II . 1.9-10؛ 16-17)، وتنظـيم التسلسـل القيـادي تبعًـا للنظام العشري (II . 1.22-24)، وإنشـاء سـلاح الفرسـان (VI . 1.27-30؛ 5-54)، ولكن -كما في أماكن أخرى- يجب أن نقرأ تقـارير زينوفـون (Xenophon) بحـذر، ومع ذلك، وعـلى الـرغم مـن اخـتلاف إلهـام هـيرودوت (Herodotus) عـن إلهـام زينوفـون (Xenophon) ، فـإنهما يتفقـان عـلى أن قـورش (Cyrus) هـو مؤسـس الدولة الفارسية، وعلى الرغم مما ادَّعـاه زينوفـون (I . 3.3) (Xenophon)، فمـن الصعب تصديق أن الفرس قبل اتصالهم بالميديين لم يقوموا بتربية الخيل أو ركوبها، ومهما كانت سمعة الميديين في تربية الخيول أو فيما يتعلق بتفوق سـلاح الفرسـان لديهم، والانتصارات التي حققها قورش (Cyrus) تشير إلى أنه في ذلك التاريخ كـان يمتلك بالفعل سلاح فرسان قوي، فكيف يمكن إنكار أن الجيش الذي جمعه قـورش (Cyrus) لمحاربة أستياجس (Astyages) كان يتشكل من قوات قـادرة تمامًـا عـلى مواجهة جيش الميـديين؟ وفـوق كـل شيء، ألا يظهـر خـتم كـوراس (Kuras) ملـك آنسان أحد المحاربين الذي يمتطي جواده والذي يقوم بدهس أعدائه تحـت قـدمي جواده (شكل 7)؟

إن انتصارات قورش (Cyrus) على الميديين لم تكن صدفة أو حظًّا، فلا يمكن أن تفسر فقط من حيث خيانة المقربين إلى أستياجس (Astyages) ، وهو الافتراض الذي أكد عليه هيرودوت (Herodotus) .

نتائج الاكتشافات الأثرية:

إنه لمن الصحيح أيضًا أن نتائج الاكتشافات الأثرية الأخيرة تتوافق مع ما رواه هيرودوت (Herodotus) ، حيث إنه كنتيجة لأعمال المسح الأثري التي تمَّ إجراؤها في مارف داشت وهو السهل الذي تقع فيه برسيبولس، فقد أمكن تحديد أن عدد المواقع السكنية قد تناقص بشدة بداية من نهاية الألفية الثانية (أو قبل ذلك)، ولم تعاود المواقع السكنية الهامة الدائمة الظهور حتى بداية عهد قورش (Cyrus) وقمبيز (Cambyses) ، حيث ظهرت مرة أخرى في باسارجاداي وعلى سهل برسيبولس، ومن هذه الملاحظات نستطيع أن نستنتج بشكل عام أن خسارة المستوطنات السكنية في المنطقة يجب أن يكون متصلاً بطريقة مباشرة بالتطور الداخلي للسكان الإيلاميين في النصف الثاني من الألفية الثانية وحتى وصول السكان الإيرانيين في بداية الألفية الأولى، والذين سينحدر منهم من نطلق عليهم اسم الفرس؛ وهكذا وخلال النصف الأول من الألفية الأولى، أصبحت البلد مأهولة أساسًا بقبائل البدو الرحل، والذين من تعريفهم، لا يتركون وراءهم بقايا أثرية .

ومع ذلك، لا تزال هناك إشكالية حول مسألة إعادة الإعمار هذه، أولاً، إذا كَرَّس الفرس معظم وقتهم لأنشطة تتصل بالحياة البدوية وتربية المواشي فمن الصعب أن نفهم لماذا تشير أسماء شهورهم إلى وجود تقويم نُظِّمَ أساسًا حول الأنشطة الزراعية، علاوة على ذلك، فإن الاتفاق بين الاكتشافات الأثرية وهيرودوت (Herodotus) يبدو واضحًا أكثر من كونه حقيقيًّا، فلقد كان هيرودوت (Herodotus) يكتب في القرن الخامس

اعتمادًا على مصادر مجهولة، كما سبق أن أكدت أنه لا يوجد سبب لافتراض أن معلوماته تنطبق تحديدًا أو حصرًا على فارس الوسطى في النصف الأول من الألفية الأولى، ومرة أخرى، يظل تحليله للمجتمع الفارسي يتسم بالعمومية، وأحد الأسباب التي تدعو للشك هي أن المجتمع الفارسي في ذلك الوقت كان لا يزال يتشكل من العشائر والقبائل (راجع 167 . IV)، كما أنه يتيح لنا أيضًا أن نخلص إلى أنه حتى في ذلك الوقت مارست القبائل الفارسية الحياة البدوية (مهما كان الواقع المتغير والمتنوع الكامن وراء هذا المصطلح)، وتؤكد الاكتشافات الأثرية على هذا الأمر، حيث إنه في عهد كلٍّ من دارا (Darius) وكسركسيس (Xerxes) ، ظل عدد من المواقع الحضرية منخفضًا جدًّا.

وبالنسبة إلى النتائج الأثرية في حدّ ذاتها، دعونا أولاً نلاحظ أنها أتت من الاكتشافات التي أجريت في منطقة واحدة في فارس، وهي بالتأكيد المنطقة الوسطى، حيث إن هذه المنطقة هي المكان الذي أسست فيه المملكة الفارسية الأولى، ومازالت الإجابة على السؤال حول أين وكيف عاش أجداد الفرس في القرون الأولى من الألفية الأولى غير معروفة تمامًا، علاوة على ذلك، تثير قضية إعادة البناء مشكلة أساسية، فمنذ وقت وصولهم لفارس، والفرس يعيشون في اتصال دائم، بل في تعايش مع السكان الإيلاميين، ويشهد الدور الذي لعبه التراث الإيلامي في تشكيل الحضارة الأخمينية بداية من عهد قورش (Cyrus) فصاعدًا على اتساع وعمق عمليات التمازج الثقافي التي حدثت بين الفريقين، ويمكن أن نرى بالفعل تأثير إيلام في ختم ينسب إلى قورش (Cyrus) الأول، ويمكن أن نستنتج من أسلوب هذا الختم أنه ينتمي إلى النوع الإيلامي الجديد، عندما نضع في اعتبارنا أيضًا أن هذا الختم كان لا يزال يستخدم في برسيبولس خلال السنوات الأخيرة من القرن السادس (501-503)، فإن هذا يعبر بوضوح عن دوام وفوائد التأثير الإيلامي

في الحضـارة الأخمينيـة، بـل إن هنـاك علاقـة واضـحة بـين ألـواح صوصـا وألـواح برسيبولس؛ لذا يجب الاعتراف بأن الانفصال بينهما لم يكن كاملاً، وأن التي تمـت في فارس الوسطى تقدم تفسيراً جزئيًّا فقط .

ولعل الخطأ يكمن في القول بأن جميع أجـداد قـورش (Cyrus) عاشـوا حيـاة بدوية في مارف داشت، حيث إن الصورة التي حصلنا عليها من الاكتشافات الأثريـة في قطاعات عديدة في سهول شرق خوزستان مختلفة إلى حدٍّ ما، وفي الواقـع، يمكننـا هناك ملاحظة استمرار الاستيطان الحضري، فقد اكتشف قبر مشيد في أرجان، وهـو يبعد حوالي 10 كم من بهبيهان (والتي ربما تمثل هيدالو)، وهو يتيح لنا بإدراك أنـه كانت هناك عمليات تمازج ثقافي واسعة كبيرة تتم بين التقاليـد الإيلاميـة والإيرانيـة والآشورية-البابلية، وتشهد الألواح الإيلامية الجديدة على وجود إيرانيين في هيـدالو خلال القرن السابع، وتعتبر بعض هذه الألواح جزءًا من مجموعة تسمى بـ «ألـواح الأكروبولس»، والتي تمثل جزءًا من السجلات الإدارية لقصر صوصا في الفترة التـي تسمى الآن بالإيلامية الجديدة الثالثة B (قرابة النصف الأول من القرن السادس عشر ق.م، لكن التاريخ غير مؤكد)، وبصفة عامة، تشير هذه النصوص إلى حصول القصر على مجموعة كبيرة جدًّا من المنتجـات: الصـوف، والمنسـوجات، والملابـس الملونة المختلفة، والخشب، والأثاث، والأدوات، والأسلحة، ....الخ، ويمكن التعـرف على عُشر الأسماء المذكورة في هذه النصوص بأنها كانت أسماء إيرانية، أما البقية الأخرى فهي إيلامية، ويوجد بين الرجـال الحـرفيين رجـال ذوو أسـماء إيرانيـة، وأحيانًا يلقبون بـ«الفرس»، ويعتبر كورلـوس (Kurlus) أحـد مـوردي الملابـس، الذي لديه ابن يدعى بارسيرّا (Parsirra) وهو اسم فارسي، وأحد سادة الـقصر (راب إكالي) هو شخص يدعى هارينا (Harina) (والصورة الإيرانية لهذا الاسم هي أريباينا (Aryaina))، ويوجد شخص مـا يحمـل الاسـم نفسـه، وهـو ابـن

ماردونوس (Mardunus) والصورة الإيرانية له هي (ماردونيوس) (Mardonius) ، ... إلخ، كما تشير الألواح إلى إدراج المصطلحات الإيرانية في المفردات التقنية، خاصة في مجال المنسوجات والأسلحة، وأحد الألبسة يسمى ساربي، وهي الكلمة التي تذكرنا بالسرابي اليونانية، والتي يصنفها النحاة القدماء (بولوكس، هيسيشيوس يستشهدان بستسياس) على أنها كلمة ميدية، وأحيانًا فارسية، كما تحمل بعض الأسلحة (الرماح والكنانات) أسماء فارسية .

وعمومًا، يتيح هذا الدليل للمؤرخ أن يستكمل ذلك التحليل المختصر لهيرودوت (Herodotus) ، وتنقيح وتعديل الصورة الأثرية المستمدة من الاكتشافات الأثرية التي تمت في وسط فارس. وبتكرار ملاحظة غيرشمان (Ghirshmann) : «يجب أن يعاد النظر في تلك الفكرة القديمة والتي تصور (الفرس) على أنهم بدو يتنقلون مع قطعانهم بحثًا عن المراعي»، وعلى أي حال ومن خلال الاتصال مع الإيلاميين، وخاصةً في خوزستان، حصل الفرس على التكنولوجيا والمهارات التقنية، والتي يمكن ملاحظتها خاصةً في صناعة الأدوات المعدنية والتي أكملت التقاليد الإيرانية، وفي أماكن أخرى، تولى الفرس وظائف مهمة في القصور الملكية لآخر الحكام الإيلاميين، ولقد تم إعطاء بعضهم «أراضي» (إرماتام) في عدة مناطق في السهول والهضبة الإيرانية، ولو أضيف إلى ذلك أن يمكننا ملاحظة وجود الإيرانيين والفرس في بابل منذ بداية القرن السادس عشر سيكون من الصحيح استنتاج أن مملكة قورش (Cyrus) لم تكن مملكة هامشية، معزولة وغارقة في أسلوب الحياة «القديمة»، بل على العكس، فإذا كان الفرس في عهد قورش (Cyrus) قد تمكنوا من فرض هيمنتهم فإن ذلك يرجع إلى أنهم كانوا قادرين تمامًا على جني ثمار التعاون الوثيق وأشكال الاتصالات المختلفة والممتدة مع الإيلاميين، الميديين، والبابليين .

6- آنسان وإكباتانا، وبابل، وصوصا:

نتائج سقوط الإمبراطورية الآشورية:

لحسن الحظ، قد تم التغلب على مشكلة غياب المصادر المكتوبة التي تتحدث حول آنسان، فمن خلال السجلات التاريخية البابلية التي تتيح لنا إعادة بناء السياق الدولي الذي برزت فيه المملكة الفارسية الأولى وفرضت سلطتها، ويمثل سقوط الإمبراطورية الآشورية الحدث الحاسم في هذا السياق، وهو أيضًا الحدث الذي استفاد منه المنتصرون وهم الممالك الميدية والبابلية الجديدة، ولقد بلغت المملكة الآشورية أوج عظمتها في عهد آشوربانيبال (- 630 ca) (Assurbanipal 669)، ولكنها انهارت بعد وفاته، وجاءت الهزائم العسكرية في مقدمة مشكلات الملوك الذين خلفوه، وفي عام (626) تمَّ الاعتراف بـ«نابوبولاسار» (Nabopolassar) كملك على بابل، وكانت تلك بداية المملكة البابلية الجديدة، التي دامت حتى غزو قورش (Cyrus) في عام (539)، ولقد شنَّ الميديون هجمات ضد الأراضي الآشورية من الشمال والشرق، واستولوا على مقاطعة أرافا في عام (615)، وفي عام (614) قام ملك الميديين «كياكسارس» (Cyaxares) بالاستيلاء على آشور ونهبها، وتلا هذا الإنجاز عقد تحالف بين الميديين والبابليين، وبعد عامين، استولت جيوش الميديين والبابليين المتحالفة على مدينة نينيفا، وفشلت محاولات المقاومة الآشورية وقتها (610-612)، وذلك على الرغم من الهجوم على المواقع البابلية بقيادة الفرعون نيخو (Necho) ،

وانهارت الإمبراطورية الآشورية أمام تلك العاصفة، وعندما عبر الباقون على قيد الحياة المنطقة بعد مرور قرنين من الزمان، وصف زينوفون (Xenophon) العواصم الآشورية كالا ونينيفا (تحت اسم لاريسا وميسبيلا)، بأنها قد صارت مدنًا مهجورة، حيث لم يبقَ شيء سوى البقايا البائسة (Anab ، الكتاب الثالث فقرات 6، 4-12) .

ولا ندري بالتأكيد كيف قَسَّم المنتصران غنائم الإمبراطورية الآشورية، ففي حين احتفظ البابليون بالسيطرة على موقع حران الاستراتيجي، فإنه من المؤكد أن الميديين لم يقوموا فقط بالاستيلاء على الكثير من الأرض الآشورية، ولكنهم واصلوا أيضًا فتوحاتهم في اتجاهات أخرى، وفي عام (585)، وقَّع الملك أستياجس (Astyages) ، الذي جاء خلفًا لـ«كياكسارس» (Cyaxares) ، على معاهدة مع ملك الليديين، الذي يدعى ألياتس (Alyattes) ، ووفقًا لهيرودوت ((Herodotus 1.74)) فلقد تمَّ التوصل إلى هذه المعاهدة من خلال وساطة الملوك الكيليكيين والبابليين الجدد، وتعهد كل من أستياجس (Astyages) وألياتس (Alyattes) باحترام الحدود على نهر The Halys ، وأُكِّدت المعاهدة بالزيجات الملكية، التي جعلت ألياتس (Alyattes) صهرًا لأستياجس (Astyages) ، ومن المحتمل أيضًا أن تاريخ سيطرة الميديين على العديد من شعوب آسيا الوسطى يرجع إلى هذه الفترة، ولكن هذه السيطرة أخذت شكل تحالف مع زعماء القبائل المحليين أكثر من كونها إمبراطورية بما تحمله الكلمة من معنى .

لقد خلَّفت الهزيمة الآشورية قوتين عظميين وجهًا لوجه: الميديون والمملكة البابلية الجديدة، وأثناء عهد نبوخد نصر الثاني (-562) (Nebuchadnezzar 604) وخلفائه، استعادت المملكة البابلية الجديدة الإرث الآشوري في سورية وفلسطين، وضمت جزءًا من كيليكيا، وعلى أية حال، مُنِيَت الحملات ضد مصر بالهزيمة، وهناك منطقة أخرى نجت من السيادة البابلية الجديدة ولو بشكل جزئي على الأقل، وهي إيلام التي اختفت من الساحة بعد تعرضها للهزيمة على يد آشوربانيبال (Assurbanipal) ، ويبدو واضحًا أن صوصا لم يتم تدميرها بشكل كامل (عام 646) مثلما تدعي السجلات الآشورية، وتشير سلسلة من المؤشرات إلى أنه في عام (625) -على أبعد تقدير- أعيد بناء المملكة

الإيلامية حول صوصا، وذلك حتى لو احتفظت المملكة البابلية في قبضتها بواحدة أو أكثر من إمارات إيلام، ولقد امتدت هذه المملكة الإيلامية الجديدة شرقًا إلى التلال الواقعة عند سفح جبال زاجروس، والتي أصبحت هكذا تشكل المنطقة الحدودية الفاصلة بين ملوك الإيلاميين في صوصا وملكهم القديم «آنسان»، التي انتقلت ملكيتها منذ ذلك الوقت إلى قورش (Cyrus) ، وليس هناك ما يدل على أن المملكة الإيلامية بصوصا قد اضطرت إلى الاعتراف بالهيمنة الميدية في مطلع القرن السادس عشر .

وتظل الحقيقة هي أن الموقف الدولى السائد في بداية عهد قورش (Cyrus) (حوالي 559) يعتبر مختلفًا تمامًا عن السياق الذي ظهر فيه أول «ملوك آنسان» قبل ذلك بقرن، وفي عام (559)، انقسم الشرق الأدنى إلى عدة ممالك متنافسة، ميديا (إكباتانا/أستياجس (Astyages))، ليديا (سارديس (Sardis)/ كريوسوس (Croesus))، بابل (بابل/نابونيدوس (Nabonidus))، إيلام (صوصا/أومانيس)، ومصر (سيس/أماسيس (Amasis))، ولقد تواجهت قوتان وهما: (1) المملكة البابلية الجديدة، والتي استمرت في تحقيق الفتوحات في الغرب إلى درجة الهيمنة على كامل الهلال الخصيب بدءًا بانتصار نبوخد نصر (Nebuchadnezzar) في كارشميش (Carchemish) على نهر الفرات في عام (605) وحتى سنوات قليلة بعد اعتلاء قورش (Cyrus) الحكم (559)، ولقد أصبح لنابونيدوس (Nabonidus) الكلمة العليا في بابل (556)، و(2) المملكة الميدية، التي فرضت هيمنتها على الغرب حتى نهر The Halys تحت إشراف أستياجس (Astyages) (الملك منذ 585-584)، ويبدو أنها نجحت في فرض سيطرتها على عدة أمراء محليين في الهضبة الإيرانية -فيما يبدو- حتى إقليم باكتريا.

آنسان على المسرح العالمي:

من جهة أخرى، فنحن لا نعلم شيئًا عن ملوك آنسان أثناء هذه الفترة الطويلة من الزمن، أو عن نتائج عملياتهم العسكرية، هل كان ملـوك آنسـان قـادرين عـلى المشاركة بشكل مباشر في العلاقات الدولية منذ ذلـك الحـين؟ وسـيكون الأمـر أكـثر متعـة إذا تمكنـا مـن تقيـيم الأهميـة التـي اكتسـبتها المملكـة في عهـد جـدّ قـورش (Cyrus) الثاني ووالده، ويجب أن نعترف بأنه من المستحيل معرفة ذلك؛ نظرًا لأنه قبل عام (553) لم تشر أي من المصادر البابلية صراحة إلى قادة آنسان .

ويجب أن نظهر قدرًا كبيرًا من الحذر عند تعاملنا مع النصوص الكلاسيكية التـي تتناول سقوط الإمبراطورية الآشورية، ووفقًا لستيسـياس (Ctesias) (مسـتخدمة مـن قبل ديودورس (Diodorus) (II . 23-28)، فإن «الانحطاط الأخلاقي» الذي ظهـر على سـاردانابالوس (Sardanapalus) (Assurbanipal) (آشـوربانيبال) هـو الـذي دفع أرباسيس الميـدي (Arbaces) لرفـع رايـة الثـورة، وتنظـيم التحـالف الربـاعيّ القوى، الذي كان يضم إلى جانب الميديين والبابليين (بقيادة بليسـيس (Belesys))، ليس فقط ملك العرب (سكان أعالي النهرين)، وإنما أيضًا الفرس، «الذين استدعاهم من أجل الحرية»، وبغضّ النظر عـن كـون أرباسـيس (Arbaces) شخصًـا مجهـولاً، فيجب أن نبرز الطبيعة المفاجئة للإعلان الذي أدلى به حاكم إكباتانا، والذي تجمـع كل المصادر على أنه فرض سيطرته على الفرس، وهنا وعلى العكس مـن ذلـك نجـد الفرس مـثلهم مثـل الميـديين والبـابليين وعـرب (مـا بـين النهـرين) يخضـعون لنـير الاستعباد الآشوري الذي لا يمكن تحمله! وربما كانت هذه المصادر نفسـها مسـؤولة عن تقريـر المؤلـف اليونـاني، أمينتـاس (Amyntas) (الـذي استشـهد بـه أثينيـوس (Athenaeus) ، الكتاب الثاني عشر 529 هـ - و)، والذي طبقًا له فإن أسوار نينيفـا التـي (ينسـب بناؤهـا إلى سـاردانابالوس (Sardanapalus)) قـد هـدمها قـورش

(Cyrus) أثناء الحصار، وتشير تلك الحكايات حول الهزيمة الآشورية إلى رؤيـة تعتمـد بشكل أساسي على وجهة نظر الميديين (الدور الرائـد لأرباسـيس (Arbaces)) وأيضًـا على وجهة نظـر الفـرس (دور الفـرس وقـورش (Cyrus))؛ والتـي يضـطر المـؤرخ في مواجهتها إلى إبداء تحفظـات قويـة في المبـدأ، ومـن ناحيـة أخـرى، فإنـه مـن الأمـور المشكوك فيها أيضًا تصور أنه بناءً على طلب من الميـديين، قـام الفـرس بإرسـال فرقـة عسكرية إلى الجيش الميدي- البابلي، وأنهم اتحدوا بعد ذلك ضد الجيوش الآشورية .

السيادة الميدية:

وبعد هذه الملاحظة، فإننا يجب أن نعود مرة أخرى إلى مسألة خضوع الفـرس إلى الميديين، وطبقًا لرواية هـيرودوت (Herodotus) بشـأن ثـورة قـورش (Cyrus) «فقد استاء الفرس لمدة طويلة من خضوعهم لسيطرة الميـديين» (127 . I*)، ومـع ذلك، يجب أن نعترف بأننا لا نعلم شيئًا عن أصل أو طبيعة إخضاع الميديين للفرس، وينسـب هـيرودوت (Herodotus) غـزو الميـديين للفـرس إلى الملـك فـرورتيس (Phraortes) : «فقد نقل عملياته العسكرية إلى ميدان أبعـد، وأول بلـد هاجمهـا وأخضعها لسيطرته كانت بلاد فارس، ومن خلال الجمع بين هذين الشعبين القويين، شرع في عمليـة غـزو مـنظم لأراضي آسـيا، وأخـيرًا هـاجم الآشـوريين» (102 . I*)، ونظرًا لاتخاذ رواية هيرودوت (Herodotus) في الفصول التي تتناول تاريخ الميديين في شكل إطار تاريخي يعتمد على الحوليات والسـجلات الميديـة، نسـتطيع أن نـؤرخ عهـد فـرورتيس (Phroartes) بأنـه كـان في الفـترة مـا بـين (647/646-625/624)، وإذا قمنا بتبني التسلسل التاريخي للملوك المقـترح لـبلاد فـارس، فحينئـذ يجـب أن يكون هذا الإخضاع للفرس قد حدث في عهد تيسبيس (Teispes) (أي في الفـترة مـا بين عامي 635-610)، وعلى الرغم من أن هذا الإخضاع ربما يكون قـد حـدث، فإنـه يجب أن يكون قد حدث في نطاق موجه أوسع من الغزوات، والتي بلا شك سمحت

لفرورتيس (Phroartes) وخلفائه بالاستيلاء على العديد من الإمارات الأخرى التـي كانت تسيطر على سلسلة جبال زاجروس، ولكننا ببساطة غير قادرين على مواصـلة تحليل هذا الموقف الذي يتعذر علينا معرفة الطبيعة الحقيقية له، باستثناء اقـتراح بعض الافتراضات المعقولة، ولكنها تتسم ببعض الغموض لتفسير سبب قيام الفـرس كغيرهم من الشعوب الخاضعة للميديين بإرسال الجزية والجنود إلى إكباتانا.

الزيجات بين أفراد الأسر المالكة:

رغب المؤلفون القدامى في التأكيد على الاستمرارية بين مملكتـي ميـديا وفـارس، ولقد اعتبر كل من هيرودوت (Herodotus) (الكتـاب الأول، فقـرة 107)، وجوسـتين (Justin) (I .4.4)، وزينوفون (Xenophon) (I .2.1) أن قورش (Cyrus) هـو ابـن قمبيز (Cambyses) الأول والأميرة مانداني (Mandane) ، كما أنهـم صـوروا مانـداني (Mandane) على أنها ابنة الملك أستياجس (Astyages) والأميرة الليدية التي تـدعى «أريينيس» (Aryenis) ، والتي كانت ابنة الملك ألياتس (Alyattes) ، وبالتالي تصـبح شقيقة (أو أخت غـير شـقيقة) لكريوسـوس (Croesus) ، وفي هـذا السـيناريو، يمثـل قورش (Cyrus) الجيل الثاني من أبناء الزيجات الدبلوماسية التي تم عقدها في (عـام 585) بين ملوك ميديا وليديا، تحـت رعايـة سينيسـيس (Syennesis) مَلِـك كيليكيـا، بالإضافة إلى مَلِك المملكة البابلية الجديـدة، وبالفعـل، انـتشرت الزيجـات بـين أفـراد الأسر الملكية في الشرق الأدنى القديم حتى العصر اليوناني، وبطريقة ما، فإن هذا يـبرر أهمية ملاحظة هيرودوت (Herodotus) حول تلك الزيجـة الميديـة-الليديـة في عـام (585)، «علمًا بأنه نادرًا ما تظل تلك المعاهدات على حالها دون أن تخرق إذا لم تكـن هناك عقوبات رادعـة» (الكتـاب الأول، فقـرة 74)، ولكـن مـن المتفـق عليـه أن أيـة معلومات يتم تقديمها في كتب المؤلفين الكلاسيكيين يكون مشكوكًا في صحتها، عـلاوة

على ذلك، فإنها لا تتفق فيما بينها على تقليد الزيجات المتبادلة فيما بين الفرس-والميديين، ويؤكد ستيسياس (Ctesias ، فقرة 2) بشكل مباشر على أن «قورش (Cyrus) لا يملك أدنى درجة قرابة مع أستياجس (Astyages) »، ووفقًا لقوله، فقد تزوجت أميتيس (Amytis) في (550) من سبيتاماس (Spitamas) الميدي، وأنها قد تزوجت في وقت لاحق من قورش (Cyrus) بعد إعدام زوجها، ولقد صرح بيروسوس (Berossus) بأنه بعد سقوط الإمبراطورية الآشورية، قام أستياجس (Astyages) بتزويج ابنته أميتيس (Amytis) إلى نبوخد نصر ابن نابوبولاسار-وهي كلها مزاعم لا يمكن فهمها في ضوء التسلسل التاريخي، ولقد أدى هذا التضارب بين الأدلة إلى إثارة الشكوك حول حقيقة زواج قمبيز (Cambyses) - والد قورش (Cyrus) - بتلك الملكة الميدية- وحول ما يمكن أن يوفره ذلك من تبرير أيديولوجي مناسب لسلطة قورش (Cyrus) في ميديا وحتى في ليديا، وهذه هي الفكرة التي نجدها عند هيرودوت (Herodotus) ، حيث إستخدمها لشرح الاتصالات الأولى التي جرت بين قورش (Cyrus) وأماسيس فرعون مصر، ثم الفتوحات التي قادها قمبيز (Cambyses) (الكتاب الثالث، فقرات 1-3)، ويبدو واضحًا أن هذا المبرر الناتج عن كون الفاتح ينحدر من نسل أحد أفراد الأسرة المالكة قد تم اختلاقه في معظم الحالات بعد أن وقع الفتح فعلاً .

7- من الميديين إلى الفرس:

الاستعارة والإرث:

اعتمادًا على التقارير اليونانية -ولو على الأقل بشكل جزئي- يعتقد عمومًا، وإن كان الإجماع على ذلك يقل يومًا بعد يوم- إن التأثير الميدي قد لعب دورًا حاسمًا في إقامة وتنظيم المملكة الفارسية، ولقد قادت دراسة المفردات المستخدمة في الإدارة الأخمينية وفي القصر الملكي بعض

المؤرخين إلى استنتاج أن الكلمات الميدية المستعارة كانت تستخدم بشكل متكرر على وجه خاص في الألقاب الملكية والإدارات الحكومية، ويقوم هـذا التفسير على الاعتقاد بأنه كانت توجد لغة ميدية تختلف عن اللغة الفارسية القديمة، وفي الوقت نفسه، فهو يقوم -بشكل معلن أو ضمني- على فرضية أن الفرس أنفسهم لم يكن لهم تقاليد ملكية خاصة بهم، وأن المملكة الميدية هي النموذج الوحيد المتاح أمامهم، حتى إن الميديين أيضًا قاموا بطريقة غير مباشرة بنقل التقاليد الآشورية-البابلية وتقاليد الأورارتيين إلى الفرس في هذه المجالات، وبالمثل فإن هذا التفسير يقوم أيضًا على الملاحظة القائلة بأنه بعد غزو إكباتانا، كان اليونانيون وشعوب الشرق الأدنى يشيرون بشكل متكرر إلى الفرس مستخدمين اسم الميديين (ومن هنا، وعلى سبيل المثال، جاء المصطلح الفرنسي «الحروب الميدية Guerres Mediques » والذي يعني باللغة الإنجليزية «الحروب الفارسية Persian Wars »، أو الوصف اليوناني القديم للتعاون السياسي مع الإمبراطورية الأخمينية وممثليها بـ «التميد»)، وهذا يدل على أن قورش (Cyrus) قد اقتبس التقاليد الميدية بالكامل، هذا بالإضافة إلى أن مملكة ميديا كان لها تأثير قويّ بالفعل على فارس خلال فترة السيادة السياسية لإكباتانا.

ويثير هذا النوع من التفسير سلسلة من المشكلات التاريخية، التي يجب أن نحدد تفاصيلها، ولا يمكن إنكار الارتباط الثقافي والعرقي بين الميديين والفرس؛ فكلاهما شعوب إيرانية، حيث ينبعان من الأصول الهندية-الإيرانية نفسها ولو مع وجود فوارق كبيرة بينهما، ولكن هذه الملاحظة غير محددة في حد ذاتها؛ ولهذا السبب لا تزال نظرية الاستعارة اللغوية محل خلاف، حيث إنها تنطلق من افتراض ضمني بأن الكلمات الغريبة الموجودة في النقوش المكتوبة باللغة الفارسية القديمة قد تمّ إستعارتها من اللغة الميدية، وتكمن المشكلة في أننا لا نعرف شيئًا

تقريبًا عن اللغة الميدية، ويرجع ذلك إلى سبب واضح وبسيط، وهو أننا لا يوجد لدينا نقش واحد مكتوب بتلك اللّغة، وانطلاقًا من هذا المنطق الذي يمكن اعتباره دائريًّا أعيد بناء اللّغة الميدية على أساس المفردات المستعارة الموجودة في النقوش الفارسية والتي قد خضعت هي نفسها لعملية إعادة بناء، وفي ضوء هذه الحقيقة، وبدون وجود حجج قوية، يعد وجود اللّغة الميدية نفسها موضع شك، وقد يزعم البعض بدلاً من ذلك أن لغة النقوش الأخمينية هي لغة مشتركة (كويني) يستخدمها كل من الميديون والفرس، ووفقًا لهذه الفرضية، تعتبر نظرية الاستعارة اللغوية ضعيفة إلى حد كبير، وغير مدعومة بالتفسيرات التاريخية التي اقترحها المؤلفون الكلاسيكيون .

تركيبة المملكة الميدية:

إنه لمن المؤكد أن التفنيد المحتمل لنظرية قيام اللغة الفارسية القديمة باستعارة المصطلحات السياسية والأيديولوجية من اللهجة الميدية التي كانت تتحدث بها المملكة الميدية السابقة يشتمل نفسه على استدلالات تاريخية ضخمة للغاية، وفي الواقع، وعلى أساس هذه الاستعارات المفترضة، قد أعيد - ولو بشكل جزئي على الأقل- بناء صورة عن مملكة ميدية موحدة تدار بنفس الأسلوب الذي كانت تدار به جاراتها من الممالك الأورارتية والآشورية-البابلية، حتى بأن هذا التفسير هو أكثر إغراءً؛ حيث يبدو وللوهلة الأولى أنه يتوافق مع النقاش الطويل الذي قدمه هيرودوت (Herodotus) في حديثه في (Medikos Logos) (الكتاب الأول، فقرات 95-106) عن أصل وتاريخ المملكة الميدية، وينسب الدور الأساسي في تلك الرواية إلى ديوسيس (Deioces) بن فروتيس (Phraotes) الأول، الذي استطاع من خلال سلسلة من التدابير التي كانت وحشية بقدر ما كانت فَعَّالة تحويل ذلك المجتمع القَبَلي إلى دولة مُوَحَّدة يسيطر عليها الملك، وله كامل السلطات، ويتضح تعزيز السلطة الملكية وترسُّخها من خلال إنشاء مدينة ملكية، هي إكباتانا

وإنشاء فرقة «الحرس الملكي»، وإقامة نظام صارم للغاية للمراسم المتبعة في الـقصر الملكي، بطريقة جعلت زعماء العائلات الميدية العريقة - والـذين قـد جـردهم مـن سلطتهم- «ينظرون إليه على أنه ذو طبيعة أخرى مختلفة عن طبيعـتهم»، وعـلاوة عـلى ذلـك، ولممارسـة سـلطته، أطلـق ديوسـيس (Deioces) جواسـيس للمراقبـة والتنصت في كل جزء من أجزاء ملكه» (101-95. I)، ولقد ورث خليفته فـرورتيس (Phraotes) الثاني هذه القدرة، حيث اسـتطاع إخضـاع الفـرس وبـدء الحـرب ضـد آشـور، لكنـه لقـي مصرعـه في هـذه الحـرب (102. I)، وبعـد وفاتـه، واصـل ابنـه سياكساريس (Cyaxares) مسيرة الغزو، وتحقيقًا لهذه الغاية أعـاد تنظـيم جيشـه، في محاولـة لتوحيـد الفـرق المتنوعـة، كـما هـاجم نينيفـا، ولكـن صـدته فِـرَقٌ مـن السكيثيين، ولقد استعاد السلطة مرة أخرى بعـد مـرور ثمانيـة وعشريـن سـنة مـن الحكم المتبادل بينه وبين السـكيثيين: «حيـث اسـتعاد الميـديون سـلطتهم وملكهـم السابق، واستولوا على نينيفا»، بعد ذلك بوقت قصير، ثم استخلف ابنـه أسـتياجس (Astyages) ، وهذه بالضبط أسطورة أصل قورش (Cyrus) .

ولكن، ولأسباب عديدة تصبح رواية هيرودوت (Herodotus) عن الميـديين أنفسـهم موضع شك كبير، ومما لا شك فيه، أنـه يصـعب إنكـار الصـفة التاريخيـة للملـوك، ولـيس هناك سبب مقنع للشك في التسلسل الزمني، ولكننا نجد أن قصة الإصلاحات التي قام بها ديوسـيس (Deioces) تشـبه النمـوذج الحـالي «الأب المؤسـس»، وذلـك لـكي نضـع الثقـة العميـاء فيهـا. وعـلاوة عـلى ذلـك، فـإن المؤسسـات التـي أنشـأها ديوسـيس (Deioces) (العاصمة، الحرس الشخصي، مراسم البلاط، عيـون وآذان الملـوك) تتشـابه مـع المؤسسـات الأخمينية التي كثيراً مـا يصـفها المؤلفـون اليونـانيون، لدرجـة أننـا نميـل إلى الاعتقـاد بـأن هيرودوت (Herodotus) (مثله مثل سترابو (Strabo) كما سنرى في وقـت لاحـق، (. XI

13.9) يقوم بتطبيق (أو يمكن أن يطبق) ما يعرفه عن ممارسات البلاط الفارسي من تلقاء نفسه، ويبقى السؤال: هل ميديا في عهد أستياجس (Astyages) تعتبر دولة ملكية كاملة قوية، بحيث يمكن أن يقتبس قورش (Cyrus) نسخة منها في بلاد فارس؟

ونعرف أيضًا عن الميديين من السجلات الآشورية، إلى درجة أنه، في بداية القرن التاسع بوجه خاص، حاول الملوك الآشوريون فرض سيطرتهم على الإمارات التي تسيطر على جبال زاجروس، ولكن من مقارنة أوجه الشبه بين مصادر هيرودوت (Herodotus) والآشوريين فهي تعتبر مصادر افتراضية، فمن الواضح -على سبيل المثال- أن التطابق المقترح بين الأسماء الشخصية التي ذكرها هيردوت ونظيراتها الموجودة في السجلات الآشورية لا يمكن أن ينظر إليها على أنها لها قيمة إثباتية والتي كثيراً ما تنسب إليهم، وعلاوة على ذلك، وفي وقت المواجهة الأولى (835)، تم وصف الميديين الذين واجهوا سالمانيسر (Salmaneser) الثالث بأنهم مجتمع مقسم، حيث كان يمارس سبعة وعشرين ملكًا الحكم بشكل مستقل عن بعضهم البعض، ولا يوجد ما يشير إلى أن الشعب الميدي قبل القرن السابع تطور بشكل سريع في اتجاه توحيد صفوف القبائل حول رئيس أعلى واحد، والذي يمكن أن يطلق عليه ملك الميديين .

ولكن يجب تناول نتائج الاستكشافات الأثرية دائمًا بحذر، فلا يمكن أن يطلق على أية تحفة يدوية اسم «ميدية» على الإطلاق، ويصبح مدى ملاءمة مصطلح «الفن الميدي» للتعبير عن الأعمال التي أبدعوها من الأمور المشكوك فيها، ولقد تم التنقيب في ثلاثة مواقع في إقليم ميديا وهي: جودين طيبة، ونوسي جان طيبة، بابايان، ولقد تمت إماطة اللثام عن أطلال المباني السكنية التي تم اكتشافها هناك، ومن بينها (القاعات مرفوعة السقف على أعمدة)، والتي تعتبر عمومًا من سمات العمارة

الأخمينية، ولكن تحديد التاريخ الدقيق الذي تعود إليه هذه المباني لا يزال موضع شك، ولقد قام هيرودوت (Herodotus) بوصف تاريخ العلاقات بين هذه المنشآت وبين الأنشطة التي قام بها الملوك الميديون .

تقييم المناقشة:

تعتبر خاتمة المناقشة مخيِّبة للآمال بعض الشيء، ولكنها تعكس مجموعة من الأدلة تثبت أن المؤرخين لا يستطيعون اختيار مصادرهم، وأثناء تناولهم للتاريخ الميدي، يواجه المؤرخون حالة مشابهة للحالة التي تواجههم في تناول التاريخ الفارسي قبل عهد قورش (Cyrus) ، ولقد أدى غياب النقوش والسجلات الأثرية الدامغة إلى مناقشات مطولة حول مدى مصداقية هيرودوت (Herodotus) ، بينما ومن ناحية أخرى، يجب في الوقت نفسه أن يكون لذلك انعكاساته على النموذج النظري لتطور الدول القبلية، ويتمثل الفرق في أنه كثيراً ما يظهر الميديين في سجلات ممالك مابين النهرين: في كل من السجلات الآشورية، والبابلية الجديدة، ولكن إلى أيٍّ تشير هذه النصوص؟ وهل يجب بالضرورة أن ملوك الميديين ديوسيس (Deioces) ، فرورتيس (Phraortes) ، سياكساريس (Cyaxares) ، وأستياجس (Astyages) ؟ فالأمر ليس مؤكدًا على الإطلاق .

كل ما يمكننا قوله هو: أن تدخل الميديين في العلاقات الدولية ومشاركتهم المباشرة في سقوط الإمبراطورية الآشورية يشير ضمنًا إلى أن «ملوك ميديا» بداية من الثلث الأخير من القرن السابع قد نجحوا في جمع جيش جدير بهذا الاسم، وبالتالي كانت لديهم موارد كبيرة، واستطاعوا فرض الجزية على الشعوب المجاورة والربح من خلال التجارة طويلة المدى مع آسيا الوسطى، فإن الإشارات التي قدمها هيرودوت (Herodotus) حول الإصلاحات العسكرية التي قام بها سياكساريس (Cyaxares) مازالت مناسبة لتقييم مساهمة كل من الميديين والبابليين في إسقاط المملكة الآشورية، ومن المؤكد أنه وعلى الرغم من

ادعاءات ستيسياس (Ctesias) بأن مشاركة الميديين (والفرس!) يبـدو أنـه كـان لهـا تأثير أصغر إلى حد ما مقارنة بالجيوش البابلية، ويبدو من المشكوك فيـه أن يكـون هذا الانطباع قد نتج من إعادة كتابة التاريخ بواسطة المـؤلفين البـابليين الحريصـين على تأكيد الدور الحاسم للجيوش البابلية .

ورغم عدم وجود أدلة دامغـة، ففـي النهايـة يجـب أن نؤكـد عـلى محدوديـة الحجة المستندة على الروابط الأثنيـة-الثقافيـة بـين، وفي الواقـع، فعـلى الـرغم مـن الأصل المشترك لكل من الفرس والميديين (جبال زاجروس)، فإن الشعبين قـد خضـعا إلى تطورات متنوعة ومتمايزة، وبعد الوصول إلى إقليم فارس، تعرض هـؤلاء الـذين نطلق عليهم اسم الفرس بدرجة كبيرة للتأثير الإيلامي، لدرجة أننا نميل إلى الاعتقـاد بأن هؤلاء الفرس الذين تواجدوا في عهد قورش (Cyrus) يضمون فيما بينهم الكثير من السكان المنحدرين من مزيج من الإيرانيين والإيلاميين، والأهـم مـن ذلـك فقـد استمرت استعارة المفـردات والعـادات الإيلاميـة في كـل جوانـب الحيـاة السياسـية، وهذا ما يدفعنا إلى الاعتقاد بـأن تنظـيم مملكـة قـورش (Cyrus) وخلفائـه يـدين بأشياء كثيرة إلى التراث الإيلامي، والتي يمكن تحديدها بدقة، بينما يصـعب تحديـد الاستعارات الميدية، وتقودنا بعض المؤشرات إلى افتراض أنه بـدلاً مـن كـون مملكـة قورش (Cyrus) مملكة «بدوية وبدائية»، استنادًا إلى النمـوذج الإيلامـي، فقـد تـم تزويدها بالتنظيمات الإدارية التي تعتبر منظمة تعمـل بالكامـل في فـارس في عهـد دارا (Darius) .

8- الخاتمة:

أما الآن فإن السـؤال المطـروح في بدايـة هـذا الفصـل: لمـاذا قـورش (Cyrus) ؟ لم نجد له جوابًا مرضيًا، وكل ما نستطيع أن نفعله هو جمـع

المعلومات المتفرقة والمتعارضة، ورسم انطباع، مع الأخذ في الاعتبار أنه يمكن أن يكون هناك أكثر من احتمال، ومن المؤكد أن دراسة مراحل الغزو التي قام بها قورش (Cyrus) ستتمكننا من إلقاء بعض الضوء من جديد. وتبعًا لديودورس سيكيولس (Diodorus) : «فلقد كان قورش (Cyrus) -ابن قمبيز (Cambyses) - وماندانى (Mandane) -ابنة أستياجس (Astyages) - الذي كان ملك الميديين، متميزًا بين الرجال في وقته بالشجاعة والحكمة وسائر الفضائل، حيث ربَّاه والده على آداب الملوك، وقد جعله متحمِّسًا لمحاكاة أعظم الإنجازات، وكان من الواضح أنه سيكون له شأن عظيم (22. IX*).

الآن، ودون الرغبة في المضي قدمًا مع القصة، فإننا يجب أن نضع دائمًا نصب أعيننا أنه ليست لدينا أية فكرة محددة عن خطط قورش (Cyrus) ، فإننا لا نعرف شيئًا عن عهده حتى اللحظة التي واجه فيها أستياجس (Astyages) ، أي بعد عشر سنوات من توليه السلطة، هل كان يتحكم في الأحداث؟ لا يمكننا بالتأكيد قول ذلك، فلقد أشارت وصرحت عدة وثائق -على العكس من ذلك- بأن المبادرة جاءت من أستياجس (Astyages) في آواخر عام (550)، ومن كريوسوس (Croesus) بعد بضع سنوات، هل كانت غزواته ناضجة وقائمة على خطة شاملة؟ أم هل كانت تتم في مراحل متعاقبة واحدة تلو الأخرى اعتمادًا على نتائج المعارك الأولى وموافقة زعماء القبائل الآخرين؟ هذه المشكلة لا يمكن حلها تمامًا، وكما هو معترف به، فإن أولئك المؤرخين المجهزين بالأدوات اللازمة للتعامل مع الأدلة يهتمون بأصول وأهداف فتوحات الإسكندر (Alexander) ، أو بمراحل تطور الإمبراطورية الرومانية.

الجزء الأول

بناة الإمبراطورية

من عهد قورش (Cyrus) إلى دارا (Darius)

الفصل الأول

جامعو الأراضي

قورش (Cyrus) الأكبر وقمبيز (Cambyses) (550- 553)

الأعمال العدائية بين الفرس والميديين

1- هزيمة أستياجس (Astyages) وسقوط إكباتانا (550-553)

المصادر والمشكلات:

باستثناء بعض العناصر الحقيقية في الأساطير التي تم نسجها حول المؤسس والتي تم تسجيلها في مؤلفات كل من هيرودوت (Herodotus) وستيسياس (Ctesias) (من خلال نيقولاس (Nicolaus) الدمشقي)، وبعض الفقرات المُنفصلة في مؤلفات ديودورس (Diodorus) وجوستن (Justin) ، فإن المعلومات الوحيدة المتوفرة لنا حول المعارك التي دارت بين الميديين والفرس تأتي من السجلات البابلية التي تمت كتابتها في عهد نابونيدوس (556-539) (Nabonidus)، ويزعم الملك البابلي الجديد أنه خلال العام الأول من حكمه، أكد له الإله ماردوك (Marduk) في حلم شاهده أن التهديد الميدي (في منطقة حران) سوف يتم القضاء عليه سريعًا: «وفي الحقيقة، وبحلول العام الثالث (553)، فإن ماردوك (Marduk) عمل على رعاية وتربية قورش (Cyrus) ، ملك آنسان، وخادمه الصغير (أردو)، ونجح قورش (Cyrus) في هزيمة وتشتيت جيوش عمان-ماندا العظيمة بواسطة جيشه الصغير، وقبض على أستياجيس (Astyages) -ملك الميديين- واقتاده أسيرًا إلى بلده .

ويوجد نص بابلي آخر، «تاريخ نابونيدوس» (Nabonidus) (II .1-4)، يشير مباشرة إلى انتصار قورش (Cyrus) ، وتتضمن الفقرة التي تسبق مقدم عام نابونيدوس (Nabonidus) السابع (549) ما يلي: «حشد أستياجيس (Astyages) جيشه وزحف لملاقاة قورش (Cyrus) -ملك آنسان- وغزو بلاده ...... وتمرد قادة الجيش ضد أستياجيس (Astyages) ، وأسروه، وسلموه إلى قورش (Cyrus) ، واتجه قورش (Cyrus) نحو إكباتانا، المدينة الملكية، واستولى على ما بها من فضة وذهب وسلع وممتلكات، ونقلها كغنيمة من إكباتانا إلى آنسان».

تدعم هذه النصوص بعض النقاط، وتوضح نقاطًا أخرى في المادة التي وفرها لنا الكتاب الكلاسيكيون، وأحد الأسئلة التي تواجه المؤرخ تتمثل في ما إذا كانت العمليات العسكرية التي شنها قورش (Cyrus) ضد أستياجس (Astyages) تمثل جزءًا من استراتيجية كلية والتي كانت تهدف منذ البداية إلى مواجهة الميديين والليديين والبابليين على التوالي: لخلق إمبراطورية موحدة من نوع جديد لم يألفه الشرق الأدنى، وهذا هو الانطباع الذي يحصل عليه القارئ من النصوص الكلاسيكية التي تكتب عن الأعمال الفذة التي قام بها قورش (Cyrus) ، ولكن كقاعدة عامة لا بد أن يتحدى المرء التفسيرات التي تختزل التاريخ إلى مجرد قَدَر وظروف، وعلى الرغم من أن هيرودوت (Herodotus) قدم مسألة الزحف باتجاه إكباتانا على أساس أنها كانت مبادرة مقصودة من قورش (Cyrus) وحده، فإن أحد النصوص البابلية وهو «تاريخ نابونيدوس (Nabonidus) » يقول عكس ذلك تمامًا، بأن أستياجيس (Astyages) كان من بدأ بالهجوم.

والأكثر من ذلك، أن «الأساطير التي تم نسجها حول المؤسس» التي يصفها هيرودوت (Herodotus) بالتفصيل (I .95-130) تتحدث بوجه الخصوص عن خديعة بعض النبلاء لأستياجيس (Astyages) ، ولدى وصول الأخبار عن اقتراب الجيش الفارسي الذي أعده قورش (Cyrus) ،

يقـال: إن أسـتياجيس (Astyages) وضـع الجـيش الميـدي تحـت قيـادة وسـيطرة هارباجوس (Harpagus) وهو الشـخص نفسـه الـذي أسيئت معاملتـه، وعوقـب بقسـوة بسـبب إنقـاذه لحيـاة قـورش (Cyrus) وهـو طفـل صـغير، وقـد اتصـل هارباجوس (Harpagus) سريعًا بقـورش (Cyrus) الـذي عـاد إلى بـلاد فـارس مـع والده قمبيز (Cambyses) الأول، وشجعه على الثـورة ضـد الميـديين، وجمـع أيضًـا حوله مجموعة من النـبلاء الميـديين الـذين شـعروا بالضـيق مـن حـدة أسـتياجيس (Astyages) ، «وقد عمل هاربـاجوس (Harpagus) عـلى إقنـاعهم بتوليـة قـورش (Cyrus) مقاليد الحكم، والتخلص من أستياجيس (Astyages) « (I .123)، وكـان التفـاهم المبـدئي الـذي تـم التوصـل إليـه بـين هاربـاجوس (Harpagus) وقـورش (Cyrus) كان يصب بدرجة كبيرة في مصلحة المخططات الفارسـية، «نـزل الميـديون إلى ميدان القتال واشتكبوا مع الجيش الفارسي، ولكنهم كانوا قلـة ممـن لم يشـتركوا في المؤامرة، وقاموا بواجبهم، ولكن بالنسبة إلى البقية، فإن البعض هربوا إلى الفُرْس، وتوقف العدد الأكبر عن القتال عمدًا وفروا، وانهار الجيش الميدي بشـكل مشـين»، وهكذا حل الفُرْس محل الميديين، وتم اعتبارهم سادة آسيا (I .130).

ولكن عن طريق اختزال الحرب الميدية-الفارسية كمجرد حـرب انـتصر الفُـرْس فيها بالحظ، ومن خلال تقديم فتح ميديا على أنـه كـان أمـرًا رغـب فيـه الميـديون أنفسهم، يبدو لنا بوضوح أن هيرودوت (Herodotus) يبسط من هذا الأمـر بشـكل كبير. وتقترح النصوص البابلية أن الحرب الحاسمة والاستيلاء على إكباتانـا كـان مجـرد ذروة الحرب المعلنة التي اسـتمرت عـلى الأقـل لمـدة ثـلاث سـنوات (550-553)، وفي الواقـع، فـإن تـاريخ نابونيـدوس (Nabonidus) يؤكـد عـلى أن «الجـيش ثـار ضـد أستياجيس (Astyages) وقام بأسره»، ولكنه يقر أيضًا -كما شاهدنا- بـأن أسـتياجيس (Astyages) نفسـه هـو الـذي بـدأ بـالهجوم، ربمـا لإحبـاط الثـورة الفارسـية التـي

هددت المواقع الاستراتيجية ووسعت من خطط منافسه الرئيسي الملك البابلي الجديد «نابونيدوس (Nabonidus) »، وعلى الجانب الآخر، فإنه من غير المؤكد أن نابونيدوس (Nabonidus) ، دون أن يكون قد وصل إلى حدّ الدخول في حلف رسمي مع قورش (Cyrus) ، لم يقم بفعل شيء لإحباط محاولات الملك الفارسي للاستيلاء على المملكة الميدية، وفي الواقع، وفي العام نفسه (553)، ترك نابونيدوس (Nabonidus) بابل ليسكن في واحة تايماء في شبه الجزيرة العربية، وقبل مغادرته توجب عليه أن يؤكد على أسس سلطة ابنه بلشازار (Belshazzar) ، الذي تركه ليتولى مقاليد الحكم في بابل .

الهجمات، والهجمات المضادة:

يؤكد العديد من المؤلفين الكلاسيكيين أن نصر قورش (Cyrus) كان نصرًا صعبًا، واستلزمه وقتًا طويلاً، ولم تؤدِّ الخيانة التي لا تنكر قام بها هارباجوس إلى تحويل دفة الحرب مباشرةً لصالح الفُرْس، ووفقًا لستيسياس (Ctesias) «وهي الرواية التي استشهد بها ديودورس (23. IX) (Diodorus) فلقد قام أستياجيس (Astyages) بعد ذلك باتخاذ إجراءات وحشية: فعزل قادة الجيش، وعين مكانهم رجالاً يثق بهم، باختصار، فلقد حكم بالإرهاب، ويذكر جوستن (Justin) -ربما اعتمادًا على المصدر نفسه- أنه عقب الهزيمة وخديعة هارباجوس (Harpagus) ، قاد أستياجيس (Astyages) الجيش بنفسه هجم على الفرس (الكتاب الأول، فقرات 17-8.6)، أكد كل من نيقولاس (Nicolaus) الدمشقي وبوليانوس Polyaenus) VII 9-6.) على أن قتالاً عنيفًا قد دار في فارس نفسها، بالقرب من موقع «باسارجاداي»، ويكتب بوليانوس (1.6. VII): «لقد قام قورش (Cyrus) بخوض ثلاث معارك ضد الميديين، وتعرض للهزيمة عدة مرات، وكانت هناك معركة رابعة في باسارجاداي، حيث كانت توجد نساء وأطفال الفرس، ولقد فر الفُرْس مرة أخرى أمام

الميديين، ولكنهم عاودوا الهجوم، وانقضوا على الميـديين الـذين كـانوا قـد تفرقـوا في مطاردتهم للفرس الفارين، وحققوا نصرًا كاملاً عليهم لدرجة أن قـورش (Cyrus) لم يحتج للقتال مرة أخرى .

حتى إنه يذكر أنه عقب الهزائم الأولية: «انشقّ العديد مـن الفـرس وانضـموا إلى الميديين»، ولقد ركز نيقولاس (Nicolaus) الدمشـقي عـلى العنـف والاضـطراب الذي كانت تتسم أعمال القتال التـي دارت في بـلاد فـارس، ولقـد احتفـى كـل مـن بوليانوس (Polyaenus) ونيقولاس (Nicolaus) بالسلـوك الباسل للنساء اللاتي لجأن إلى الأماكن العالية، وشرعن في حض آبائهن وإخوانهن وأزواجهن على القتال ورفـض الهزيمة، ولهذا السبب كان الملك الأكبر يقوم في كل مرة يزور فيها بـلاد فـارس بمـنح النساء الهبات (نيقولاس (Nicolaus) الدمشقي)، وعند إتمام النصر، استأنف قورش (Cyrus) الهجـوم عـلى مملكـة ميـديا واسـتولى عـلى إكباتانـا، حيـث لجـأ إليهـا أستياجيس (Astyages) ، وربما نتصور أن أستياجيس (Astyages) كان يعتمد على تحصينات المدينة للمقاومـة لفـترة طويلـة: ووفقًـا لستيسـياس (Ctesias) فلقـد أُسِرَ أستياجيس (Astyages) بينما كان مختبئًا في الغرفـة العلويـة مـن الـقصر الملـكي مـع ابنتـه وزوجهـا سـبيتاماس (Spitamas) ، ووفقًـا لنيقـولاس (Nicolaus) الدمشـقي، تمكن أستياجيس (Astyages) بالفعل من الفرار وأنه أُسِرَ فقط نتيجة لمعركة أخرى .

سيد إكباتانا الجديد:

والآن وبعد أن أصبح قورش (Cyrus) سيد إكباتانا، أظهر قورش بمجموعـة مـن الرمزيـة والشكلية أن السيادة قد انتقلت إلى الفرس، الذين أصبحوا «سـادة الميـديين عـلى الـرغم مـن أنهم كـانوا عبيـدًا لهـم في السـابق» (هـيرودوت (Herodotus) (الكتـاب الأول، فقـرة 129)، وفي احتفـال رسـمي، دخـل قـورش (Cyrus) الخيمـة الملكيـة لأسـتياجيس (Astyages) ،

وجلس على العرش الملكي للملك المهزوم، ومسك صولجانه، وقام مساعده أويباراس (Oibaras) بوضع العمامة المستقيمة (كيداريس) على رأس قورش (Cyrus) ، وكانت رمز الملك في مملكة ميديا، وهي أيضًا علامة على سلطته الجديدة، ولقد مثل الاستيلاء على الكنوز الملكية الميدية علامة واضحة على سلطته المكتسبة حديثًا. وعهد قورش (Cyrus) إلى أويباراس (Oibaras) بمهمة نقل هذه الكنوز إلى فارس، ومن المؤكد أن هذه الغنيمة كانت لها أهمية عملية كبيرة، حيث إنه وللمرة الأولى، أصبح متوفرًا لدى قورش (Cyrus) مصادر لا تنفد للإنفاق على حملاته القادمة .

وفي الوقت نفسه، اهتمَّ قورش (Cyrus) بالظهور كخليفة لأستياجيس (Astyages) ، حيث أبقى على حياته، ووفر له حياة كالأمراء، وتزوج قورش (Cyrus) من ابنة أستياجيس (Astyages) المسماة أميتيس (Amytis) ، وذلك وفقًا لما أخبرنا به ستيسياس (Ctesias) وزينوفون (Xenophon) ، ووفقًا لنيقولاس (Nicolaus) المدشقي، فلقد قدم العديد من شعوب آسيا الوسطى (البارثيين، والساكيين، والباكتريين) إلى خليفة أستياجيس (Astyages) ليقدموا له فروض الولاء والطاعة، ووفقًا لستيسياس (Ctesias) ، فإن سكان باكتريا الذين ثاروا مؤخرًا «خضعوا من تلقاء أنفسهم إلى أميتيس (Amytis) وقورش (Cyrus) »، وذلك عندما علموا أن «أستياجيس (Astyages) قد أصبح والد قورش (Cyrus) وأميتيس (Amytis) - زوجته»، وهذا التقليد مشكوك فيه حيث إنه يلبي رغبة قورش (Cyrus) في الظهور بمظهر الفاتح «الشهم» الذي خضعت لسلطته الشعوب المهزومة بمحض إرادتها، ومن الواضح أن النبلاء الميديين بالكامل لم يتقبلوا ببساطة أن يتم حرمانهم من الفوائد التي كانت تعود عليهم من كون أستياجس (Astyages) هو الملك، ولكن في الوقت نفسه، ينص التقليد على أن السيد الجديد لمملكة ميديا كان راغبًا في ربط نفسه بالأسرة

الحاكمة التي قد أطاح بها للتوّ، ونتيجة لكون إكباتانا مركزًا استراتيجيًّا ذا أهمية كبرى لأي ملك يرغب في السيطرة على آسيا الوسطى - فقد ظلت واحدة من المساكن المنتظمة لأباطرة الفرس. ألم تكن إكباتانا نفسها هي المكان الذي تم العثور فيه في عهد دارا (Darius) على نسخة من مرسوم قورش (Cyrus) الخاص الذي يأمر فيه بعودة العبرانيين إلى القدس. وقد قامت أسرة إيجيبي البابلية على الأقل منذ عام (537) بممارسة بعض الأعمال التجارية في عاصمة ميديا، التي كان يقيم فيها قورش (Cyrus) بلاطه الملكي لوقت طويل يصل إلى عدة شهور في العام، وبالإضافة إلى ذلك، فإنه من المؤكد أنه عندما أدرك النبلاء الميديون أن الهزيمة أصبحت حقيقة مؤكدة، وافق بعضهم على التعاون مع الملك الجديد .

2- الموقف العالمي الجديد ومشروعات قورش (Cyrus)

الميراث الميدي الإقليمي والدبلوماسي:

للأسباب سالفة الذكر، يجب ألا يتم اختزال الفتح الأولي لقورش (Cyrus) على الغلاف الميدي الذي أعطته له المصادر الكلاسيكية، ومن الواضح أن تمكن الفرس من فرض سيادتهم على إكباتانا قد أحدث تحولاً عميقًا في الوضع الجغرافي والسياسي في الشرق الأدنى بأكمله، حيث إن تقديم قورش (Cyrus) نَفْسَهُ بوصفه وريث أستياجيس (Astyages) ، وموافقة أستياجيس (Astyages) على ذلك، تعني في الواقع أن السيد الجديد قد تَبَنَّى أيضًا المطامع الإقليمية نفسها التي كانت لسلفه، ولقد كانت هذه الاستمرارية تعني أن يتصادم قورش (Cyrus) إن عاجلاً أو آجلاً مع القوى العظيمة التي تمثلها مملكة ليديا والمملكة البابلية الجديدة، وعندما كتب هيرودوت (Herodotus) (الكتاب الأول، فقرة 130) أنه عقب سقوط أستياجيس (Astyages) ، أصبح الفرس «سادة آسيا»، فهو يؤكد على هدف مبرمج أكثر من كونه يحلل إنجازًا اكتمل تحقيقه، وحتى إذا كان

نابونيـدوس (Nabonidus) لم يـر عـدا المنـافع في الصراع الـذي دار بـين الفـرس والميـديين، فـإن نصر قـورش (Cyrus) أقحمـه في موقـف مـليء بالمخـاطر، حيـث أصبحت كل مـن المملكـة الفارسـية-الميديـة، والمملكـة البابليـة الجديـدة في وضـع يجعل منهم متنافسين وليس حلفاء.

ولقد تسبب الحصول على هذا الإرث الميـدي لقـورش (Cyrus) بمشـكلة عـلى الجبهـة الغربيـة أيضًـا، فمنـذ عـام (585) كانـت هنـاك معاهـدة بـين أسـتياجيس (Astyages) والملك ألياتس (Alyattes) ، والتي وفقًا لهـا يعتـبر نهـر The Halys هو الحد الفاصل بين أراضي مملكتي ميـديا وليـديا، وفي وقـت سـقوط أسـتياجيس (Astyages) ، كان ملك ليديا -كريوسوس (Croesus) - مشـهورًا عـبر الشرق الأدنى واليونان بضخامة ثروته وبقوته العسكرية الكبيرة، وقد فـرض سـيطرته عـلى المـدن الساحلية اليونانية، التي أرسلت له الجِزْية، وكان يسيطر أيضًا على هضبة الأناضول بأكملها، عدا أقاليم ليسيا، وكيليكيا، وطابال (كابادوكيا) .

المشكلات الناتجـة عـن تحديـد تـواريخ وقـوع الأحـداث واسـتراتيجية قـورش (Cyrus) :

يتطلب تحليل اسـتراتيجية قـورش (Cyrus) -عـلى الأقـل- معرفـة مراحلهـا، وعلى العكس، فإن تحديد تاريخ فترة حكم قـورش (Cyrus) لا يـزال غـير مؤكـد، وإذا وضعنا في اعتبارنا أن تاريخ الاستيلاء على إكباتانـا ظـل محـيرًا خـلال عـام أو اثنين، نجـد أنّ هنـاك حـدثين فقـط تـم تحديـد تـاريخ حـدوثهما بشـكل دقيـق: الاستيلاء على بابل (539)، ووفـاة قـورش (Cyrus) في آسـيا الوسـطى (530)، ولم يتم بعد تحديد تاريخ الاستيلاء على سـارديس (Sardis) . وفي تـاريخ نابونيـدوس (Nabonidus) ، توجد فقرة مؤرخة بالعام التاسـع (546-547)، والتـي تحـدثت لأول مرة عن وفاة والده في دوركاراسو» والتي تقع على ضفاف نهر الفرات أعـلى سـيبار»، وكـان يقـول تـاريخ نابونيـدوس (Nabonidus) . في شـهر مـايو مـن

العام نفسه، جمع قورش (Cyrus) جيشه وعبر نهر دجلة أسفل أربيل، وكانت هناك حملة أخرى قادها قورش (Cyrus) ضد بلدة لم نتمكن من قراءة اسمها، وهي مذكورة بعد ذلك: «لقد قام قورش (Cyrus) بقتل ملكها، واستولى على ممتلكاته، ووضع حاميته الخاصة هناك، ولقد ظل الملك والحامية هناك».

وعلى عكس ما هو معتقد، فإن هذا النص لا يشير إلى حملة قورش (Cyrus) ضد ليديا، وهكذا فإن الاستيلاء على سارديس (Sardis) يرجع إما إلى عام (546) أو إلى (524-541)، ويفترض التاريخ الأول أن الحرب الفارسية-الليدية جاءت مباشرة بعد المعارك الميدية-الفارسية، والتاريخ الثاني ينتج عن افتراض أن قورش (Cyrus) قاد سلسلة من الحملات في آسيا الوسطى وعلى الهضبة الإيرانية في الفترة بين الاستيلاء على إكباتانا وسارديس (Sardis) ، وتتمثل المشكلة في التواريخ المذكورة في مؤلف هيرودوت (Herodotus) في أنها غير مؤكدة إلى درجة كبيرة، وسوف نعتمد هنا على الاقتراح الأول الذي تفضله الأغلبية، مع الاتفاق على أنه بين عامي (540، 546)، قام قورش (Cyrus) بعمليات في آسيا الوسطى، وأن العمليات ضد المواقع البابلية ربما بدأت قبل عام (540) .

وبالإضافة إلى ذلك، يذكر هيرودوت (Herodotus) أن المبادرة لم تكن مبادرة قورش (Cyrus) على الإطلاق، ويستنتج من القصة بأكملها أن كريوسوس على العكس من ذلك هو من حَرَّض على الحرب، حيث كان قلقًا من قيام قورش (Cyrus) «بتدمير إمبراطورية أستياجيس (Astyages) ، ومن تعاظم نفوذ الفرس» (الكتاب الأول، فقرة 46)؛ ولأنه كان راغبًا في توسيع ملكه باتجاه الشرق سيرًا على خُطَى من سبقوه، ولقد نجح كريوسوس (Croesus) في عرض العمليات التي تلت ذلك كحملة تهدف للثأر مما حدث لزوج أخته: «حيث كان يتوق كريوسوس (Croesus) إلى

توسيع أراضيه، وأعد حملة في كبادوكيا وكـان واثقًـا مـن نجاحـه في إسـقاط قـورش (Cyrus) والفرس» (71. I؛ 73. I*)، وباختصار، فلقد أراد كريوسـوس (Croesus) الاستفادة من الموقف العالمى الجديد عن طريق إبطال معاهدة عام (585)، والتـي جعلت The Halys حدًّا للتوسع الليديّ.

3- هزيمة كريوسوس (Croesus) وتأسيس جبهة البحر الأبيض المتوسط:

الهجوم المعاكس الناجح الذي قام به قورش (547-546) (Cyrus):

أيًّـا كانـت النوايـا الاسـتراتيجية لقـورش (Cyrus) ، فـإن هجـوم كريوسـوس (Croesus) لم يدع له خيارًا، ولقد وجد نفسه الآن على رأس جيش دعمتـه بشـدة القوات التي حشدها من إقليم ميـديا، وبـالفِرَق العسـكرية التـي أحضرهـا زعـماء قبائل آسيا الوسطى التـي استسـلمت بعـد سـقوط إكباتانـا، وخـلال تقدمـه تمكـن بنجاح من حشـد رجـال المنـاطق التـي كـان يمـر بهـا لدرجـة أنـه -وفقًـا لما ذكـره هـيرودوت (Herodotus) (الكتـاب الأول، فقـرة 77)- كـان يتمتـع هـذا الفـاتح الفارسي بتفوق عددي لا يمكن إنكاره على جيش كريوسـوس (Croesus) ، وبالمثـل كانت لديه آلات حصار قوية والتي خدمته كثيرًا في سـارديس (Sardis) وفي أمـاكن أخرى، وقد انتوى تسوية تلك النزاعات القائمة بـين مملكتـي ميـديا وليـديا بشـكل نهائي، وكما أخبرنا ديودورس (Diodorus) الصقلي (الكتـاب التاسـع، فقـرة 32-3)، فعقـب وصـول قـورش إلى إقلـيم كبادوكيـا قـام بإرسـال مبعـوث إلى كريوسـوس (Croesus) ليعلمه أنه يمكنه أن يظل في ليديا، ولكنه لن يكـون أكـثر مـن مرزبـان على هذه المنطقة، وقد كان في الواقع يقترح أن يقـوم خصـمه بـالاعتراف بالسـيادة الفارسـية مـن دون قتـال، ويمكننـا أن نتخيـل كيـف كـان رد فعـل سـيد سـارديس (Sardis) .

من الواضح أن كريوسوس (Croesus) كان واثقًا جدًّا من فوزه على قورش (Cyrus) ، حيث كان قد عقد «معاهدة للضيافة والتحالف» مع إسبرطة، وبهذا كان يمكنه الاعتماد على مزيد من الدعم؛ وقد أرسل العديد من السفراء والهدايا الفخمة إلى معبد ديلفى، وكالمعتاد عندما سئل الكاهن عن رده أجاب بغموض، كما روى هيرودوت (Herodotus) (الكتاب الأول، فقرة 53): «ولو هاجم كريوسوس (Croesus) الفرس فسوف يقوم بتدمير إمبراطورية عظيمة»، وقد أوضح التاريخ لكريوسوس (Croesus) أن المملكة الليدية هي التي سوف تنتهي، وفي أماكن أخرى، كان كريوسوس (Croesus) قد عقد معاهدات مع المملكة البابلية الجديدة، ومع الفرعون المصري أماسيس، ويبدو أن الأخير أرسل قوات إلى ليديا، لعبت دورًا مهمًّا في المعارك المتعددة التي دارت ضد الفرس، وعلى الجانب الآخر، لم تتدخل بابل، وربما نتخيل أن نابونيدوس (Nabonidus) الذي كان لا يزال في بلاد العرب وبلشازار (Belshazzar) ابنه والوصي على العرش في بابل كان سعيدًا بالصراع بين هذين الخصمين الأساسيين، وقد حاول قورش (Cyrus) أن يحرض حلفاء خصمه على الانشقاق عنه: حيث إنه عندما قام كريوسوس (Croesus) بإخطاره بالهجوم «وقبل أن يبدأ أرسل ممثليه إلى الأيونيين في محاولة لإبعادهم عن كريوسوس (Croesus) دون أن يلقى ذلك أي نجاح» (هيرودوت (Herodotus) I 76.*) ، وسرعان ما سيدفع الأيونيون ثمنًا باهظًا نتيجة لسوء تقديرهم.

وقد اصطدم ذلك الهجوم المتهور الذي قام به كريوسوس (Croesus) فيما وراء نهر The Halys بالجيش الفارسي، ولقد كانت المعركة التي نشبت في كابادوكيا في بتريا (بوغازكوى؟) غير حاسمة، وسرعان ما قرر كريوسوس (Croesus) الانسحاب واستغلال فصل الشتاء ليجمع جيشًا قويًّا، وذلك بالاعتماد على دعم حلفائه المعلنين، ولقد قام بتسريح

الجيش الذي قام بقيادته في كبادوكيا ليتوجه إلى مقره الشتوي، وقام قورش (Cyrus) في خطوة غير حذرة ولكنها أيضًا غير متوقعة ببدء الهجوم في وسط فصل الشتاء، وفاجأ جيش ليديا، عندما كان على وشك أن يتم تسريحه .

وكان هذا الهجوم الجريء نتيجة لتحليل سياسي لوجستيكي ثاقب، فقد كان قورش (Cyrus) يخشى مواجهة جيش ليديا بعد وصول التعزيزات إليه، والذي أثنى هيرودوت (Herodotus) على شجاعته وبسالته (I .79-80)، ولقد أعطت قرارات كريوسوس (Croesus) عقب معركة بتريا الفرصة لقورش (Cyrus) للتغلب على عدو كان يعد الأقوى نظريًا، وقد أدرك الملك الفارسي أيضًا وبشكل جيد أن تعرضه للهزيمة كان سيثير آمال الشعوب التي كان قد هزمها للتو في الإطاحة بحكمه والذي كان لا يزال هشًا بقدر ما كان حديثًا، ولم يكن غافلاً أيضًا عن حقيقة أن أراضي آسيا الوسطى في ذلك الوقت كانت غير مستقرة، وأخيرًا، فقد رغب في الاستفادة على الفور من الصراعات التي أثارتها الهزائم الجزئية لكريوسوس (Croesus) في المدن اليونانية التي تقع على الساحل الأناضولي، ومن المرجح أيضًا أن اليونانيين لم يرسلوا أي تدعيمات إلى سارديس بعد أن تأكد وصول قورش (Cyrus) إلى ليديا، وعقب هزيمة بتريا، قامت مدينة ملطية وهي المدينة التي كانت تميل تقليديًا إلى تأييد الميديين، بإعلام قورش (Cyrus) بأنها مستعدة للتوصل لاتفاق معه، وفي العديد من المدن الإغريقية الأخرى، اشتعلت الصراعات بين الأحزاب التي تؤيد الإنضمام إلى الميديين وتلك التي تؤيد الإنضمام إلى الليديين، حيث كان يأمل الفريق الأول في الاستفادة من النصر الذي تمنى أن يحققه قورش (Cyrus) ، ولقد انشق يورباتيس (Eurybates) الذي كلفه كريوسوس (Croesus) بتجنيد مرتزقة من شبه جزيرة البلوبونيز للقتال لحسابه وانضم إلى قورش (Cyrus) ، ولم تكن قصته هي المثال الوحيد على

ذلك: حيث إنه من المحتمل أن بيثاركوس (Pytharcus) حاكم سيزيكوس قد تلقى في هذا السياق إيرادات المدن السبع في آسيا الصغرى من قورش (Cyrus) .

وحيث إن قورش (Cyrus) كان سيعد قد ارتكب خطأ سياسيًا واستراتيجيًا فادحًا إذا أعطى لكريوسوس (Croesus) الوقت الكافي لاستعادة السيطرة الكاملة على يوناني آسيا الصغرى، فقد أثبتت الحسابات الفارسية مدى دقتها، وفي مواجهة هذا الموقف التكتيكي الذي لم يكن في صالحه تمامًا، خاض قورش (Cyrus) المعركة بالقرب من سارديس (Sardis) ، مما أجبر كريوسوس (Croesus) على اللجوء إلى القلعة التي اعتقد بأنها محصنة، كما أرسل الملك الليدي مناشدات يائسة إلى حلفائه، ولكن كنتيجة لحيلة حربية بارعة سقطت المدينة في اليوم الرابع عشر من الحصار، ووصلت الأخبار إلى إسبرطة في الوقت الذي كانت قوات النجدة تبحر متجهة إلى آسيا الصغرى، وأدى سقوط سارديس (Sardis) إلى إصابة الشرق الأدنى بصدمة كانت بنفس ضخامة الصدمة التي أصابته عقب سقوط نينيفا في عام (612).

السيطرة على المملكة الليدية:

وهكذا، استطاع قورش (Cyrus) دخول ساردیس (Sardis) ، حيث استسلم كريوسوس (Croesus) ، وظل منذ ذلك الوقت في حاشية قورش (Cyrus) الذي أعطاه إحدى المدن الميدية كمنحة، ولقد سمحت العائدات التي حصل عليها الملك المهزوم من هذه المدينة بالحفاظ على أسلوب حياته المعتاد، وتم إرسال محتويات الخزائن إلى قورش (Cyrus) ، وقام بنقلها إلى مركز إمبراطوريته التي كانت لا تزال في طور الإنشاء، وتم ترك حامية في مدينة ساردیس (Sardis) عهد بقيادتها إلى تابالوس، الفارسيّ الأصل.

ومع ذلك لم يؤدِّ الاستيلاء على ساردیس (Sardis) إلى حل

المشكلة، حيث كان يجب إخضاع مدن آسيا الصغرى وملوكها؛ بالإضافة إلى مدينة واحدة ملطية كانت قد استسلمت قبل سقوط ساردیس (Sardis) ، وحصلت على الشروط نفسها من قورش (Cyrus) التي كانت قد حصلت عليها من كريوسوس (Croesus) (الكتاب الأول، فقرة141)، والذي حماها من الهجوم الفارسي (الكتاب الأول، فقرة 143): «فقد استمتعت بالهدوء» (الكتاب الأول، فقرة 169)، ووفقًا لهيرودوت (141. I) (Herodotus*)، «فإن الأيونيين والأيوليين قاموا على الفور بإرسال ممثلين عنهم إلى قورش (Cyrus) في ساردیس عقب الفتح الفارسي لمملكة ليديا، وذلك في محاولة للحصول منه على الشروط نفسها التي حصلوا عليها من كريوسوس (Croesus) »، ولقد رفض الملك؛ وأصر على استسلام المدن الإغريقية بدون شروط، وهكذا كان عليهم الاختيار بين الخضوع لإرادة قورش (Cyrus) أو تنظيم المقاومة، وقد اختاروا الحل الثاني، وبدأوا في «تشييد الدفاعات» (الكتاب الأول، فقرة 141)، وأرسلوا أيضًا سفيرًا إلى إسبرطة طلبًا للدعم ضد الفرس، وقد رفض الإسبرطيون تلبية مطلب الأيونيين، ولكنهم أرسلوا مراقبين، وعندما تلقى قورش (Cyrus) الإسبرطيين في ساردیس (Sardis) ، ظنوا أن في إمكانهم منع الملك من «تدمير ولو مدينة واحدة على الأراضي اليونانية»، ولم يكن هذا مطلبًا واقعيًّا، فقد رفضه قورش (Cyrus) بغطرسة وبإزدراء (الكتاب الأول، فقرات 152-153)، وهكذا واجهت المدن اليونانية الفاتح الفارسي بمفردها.

وعلى الرغم من عزلتها، ومن هزيمة ليديا، فربما كان قادة المدن اليونانية يعتمدون على عنصر واحد لصالحهم، حيث يذكر هيرودوت (Herodotus) أن قورش (153. I) (Cyrus*) «زحف بنفسه شرقًا نحو إكباتانا وبسرعة فائقة»، ولم يكن يعتقد أن الأيونيين مهمين بما فيه الكفاية ليكونوا هدفًا أساسيًّا؛ وذلك لأن تفكيره كان منصبًّا على البابليين والباكتريين،

والساكين، والمصريين، وكان عازمًا على القيام بغزوهم بنفسه، وترك أحد قواده ليُخضع الأيونيين؛ فمع بداية ربيع عام (546)، توجب على قورش (Cyrus) القيام بعمليات عسكرية على جبهات عديدة في الوقت نفسه .

ثورة باكتييس (Pactyes) :

بمجرد مغادرة قورش (Cyrus) ، «ثار الليديون، وذلك عندما وجدوا الملك مشغولاً بحروب أخرى»، وهذا وفقًا لما ذكره جوستن (Justin) (الكتاب الأول فقرات 7-11)، ومن الواضح أن هذا المؤلف يشير إلى الثورة التي قادها باكتييس (Pactyes) الليدي الذي أوكل إليه قورش (Cyrus) مهمة جمع الجِزْية، ومع وجود مثل هذه الموارد، فقد قام باكتييس (Pactyes) بتشجيع الليديين على القيام بالثورة ضد الحاكم الفارسي، وتمكن من النزول إلى الساحل الذهب الذي كان قد جمعه من سارديس، واستخدمه لاستئجار الجنود، وإقناع رجال المناطق الساحلية بالاشتراك في الثورة، ثم زحف بعد ذلك نحو سارديس (Sardis) وقام بحصار تابالوس (Tabalus) ، وحاصره في حصن المدينة الداخلي (هيرودوت Herodotus ،154. I)*)، وهكذا نشأ تحالف خطير جدًّا ضد الفرس بين الليديين الذين لم يقبلوا الهزيمة، وبين المدن الإغريقية التي رفضت الخضوع إلى قورش (Cyrus) . ولتفسير كيفية نجاح الفرس، فإن هذا يعني - ولو بشكل جزئي- معرفة الطرق التي استخدمها الفرس لترسيخ سيادتهم في البلاد التي فتحوها.

وبعد تلقي النصح حول الثورة التي حدثت في ليديا وهو في طريقه إلى إكباتانا، أرسل قورش (Cyrus) مازاريس (Mazares) الميدي إلى ليديا مرة أخرى، وعهد إليه ببعض من قواته، وأصدر إليه أمرًا «ببيع كل من اشترك في ذلك الهجوم الليدي على سارديس (Sardis) في سوق العبيد، وأن يتم أسر باكتييس (Pactyes) حيًّا وإحضاره للمثول أمام الملك» ولقد اختار باكتييس (Pactyes) مغادرة ساردیس (Sardis) ولجأ إلى مدينة

سايمي، وهي مدينة يونانية في إقليم أيوليا، نتيجة لإلحاح مازاريس (Mazares) عليهم ليسلموه ذلك المتمرد، قام السايميون باستشارة الكاهن المسؤول عن إدارة الهيكل الموجود بالقرب من ملطية، ونصح هذا الكاهن سكان جزيرة سايمي مرتين بإطاعة الأمر الفارسي، ولتجنب انتقام الملك الفارسي، قام سكان جزيرة سايمي بإرسال باكتييس (Pactyes) بعيدًا إلى مدينة ميتيلين في جزيرة لسبوس، ثم عندما علموا أن سكان مدينة ميتيلين كانوا يتفاوضون مع الفرس على سعر هذه الرهينة، قاموا بإرسال هذا المتمرد إلى كيوس، وسلمه سكان كيوس إلى الفرس مقابل منحهم قطعة من الأرض على البر الرئيسي في أتارنيوس .

وتستنبط بعض التعليقات من هذه الحادثة، فعلى الرغم من أن خلفية باكتييس (Pactyes) لا تزال مجهولة تمامًا، فإنه من الواضح أنه كان رجلاً مهمًّا في عهد كريوسوس (Croesus) ، ولهذا فإنه يبدو أن قورش (Cyrus) لم يتردد في الاستعانة بالموظفين المحليين في سارديس (Sardis) لتحقيق الاستقرار في تلك الفترة الانتقالية، ولقد كان لهذا الأمر مخاطره، كما اتضح ذلك بمرارة بعد وقت قصير، وبالمثل فإن إحدى المهام الأخرى التي عهد قورش (Cyrus) بتنفيذها إلى مازاريس (Mazares) كانت تتمثل في تفريق وتشتيت جميع الليديين بطريقة تمنع نشوء أي ثورة مسلحة جديدة ضد السيادة الفارسية، ولا بد أن نفهم أن هذه اللغة التصويرية تعني أنه كان ينوي وضع الجيش بأكمله تحت قيادة الميديين والفرس، وبالإضافة إلى ذلك، فإن رد فعل المدن اليونانية على مطالب مازاريس (Mazares) كان له مبرراته، حيث إن أحد هذه المدن وهي سايمي رفضت الانضمام إلى المقاومة المسلحة لأن سكانها «لن يتمكنوا من النجاة إذا فرض عليهم الحصار»، وإذا كانت مدينتا ميتيلين وكيوس قد وافقتا على إيواء الهارب، فإن هذا يرجع إلى أنهما كانتا من المدن البعيدة عن الشاطئ، والتي وفقًا لما قاله هيرودوت (Herodotus) (الكتاب الأول، فقرة 143) «لم يكن

عندها ما تخشاه»؛ لأن الفرس لم يكن لديهم أسطول مدرب، بينما كان يمتلك الأيونيون قوة بحرية عظيمة»، علاوة على ذلك، لم يرغب أي من سكان كيوس أو ميتيلين في اختبار أنفسهم ضد الفرس، وبدلاً من ذلك سعوا إلى الحصول على ميزة تجارية من الموقف، بمعنى آخر، لم يكن هناك تعاون، ولا توافق في الاهتمامات بين المدن التي تقع على الجزر والمدن القارية حول معارضة الفاتحين الفرس .

ومن المهم أيضًا أن نركز على رد فعل الكاهن المسؤول عن إدارة المعبد، الذي ألح مرارًا وتكرارًا على الساميين للقيام بإطاعة مازاريس (Mazares) ، وعمل هذا الكاهن في هيكل أبولو في ديديما بالقرب من ملطية، والذي قام هيرودوت (Herodotus) بذكر لقب أسرته وهو (البرانشيداى)، وكانوا تقليديًّا المسؤولين عن إدارة المعبد والحفاظ عليه، وهناك شواهد كثيرة على العلاقة الجيدة التي كانت تربط المعبد وكهنته بكريوسوس (Croesus) من خلال الهدايا التي قدمها الملك الليدي في مناسبات عديدة للمعبد، ويبدو أن قورش (Cyrus) قام بالأمر نفسه، والذي نتج عنه وبدون شك تدخل الكاهن في شأن مازاريس (Mazares) ، وتتضح العلاقة الجيدة بين قورش (Cyrus) وهيكل آخر لأبوللو، وهو هيكل أولاي الذي يقع بالقرب من ماجنسيا على نهر The Meander ، من وثيقة تعود إلى عهد دارا (Darius) الذي سجل إحسان أسلافه إلى المعبد، وقد حافظ قورش (Cyrus) أيضًا على هيكل أبوللو في كلاروس بالقرب من إيفيسوس، وتشير هذه الأمثلة إلى أنه، ومنذ البداية شعر قورش (Cyrus) بالحاجة إلى اكتساب رضى الهياكل المحلية، وهي سياسة اتبعها في بابل فيما بعد وعمل خلفاؤه على تطبيقها في جميع أجزاء الإمبراطورية .

هارباجوس (Harpagus) في آسيا الصغرى:

بعد أسر باكتييس (Pactyes) ، بدأ مازاريس (Mazares) في إخضاع

المدن التي تعاونت مع المتمرد واحدة تلو الأخرى؛ ونُهِبَ ودُمِّر كل من براين وماجنيسيا، وعقب وفاة مازاريس (Mazares) ، أرسل قورش (Cyrus) ميديًّا آخر -هارباجوس (Harpagus) - وهو الرجل نفسه الذي تخلى عن أستياجيس (Astyages) لصالح قورش (Cyrus) إلى آسيا الصغرى، ولقد منحه ديودورس (Diodorus) لقب «القائد البحري»، ومن المؤكد أنه كان يرأس باقي القادة: هستاسبيس (Hystaspes) ، وأدوسيوس (Adousios) ، والذين قام زينوفون بذكر أسمائهم (قورش، الكتاب السابع، فقرة 4.1-7، الكتاب الثامن فقرات 7.6)؛ ولإدراكها بأنها غير قادرة على مقاومة الحصار؛ اختارت العديد من المجتمعات في آسيا الصغرى (فوقيا، تيوس) اللجوء إلى المنفى، وتم غزو بقية المدن الواحدة تلو الأخرى، وتمركزت الحاميات الفارسية في هذه المدن، وكان لزامًا على الأيونيين القيام بتقديم الفرق العسكرية إلى هارباجوس (Harpagus) الذي اتجه نحو كاريا وليسيا: «لقد قام هارباجوس (Harpagus) بتحويل الكاريين إلى عبيد، وفي خلال الصراع الذي دار في هذه المنطقة، لم يظهر الكاريّون أو اليونانيون الذين عاشوا في هذة المنطقة أي تميز أو تفوق» (هيرودوت (174. I) (Herodotus*)، وبالنسبة إلى سكان مدينتي زانثوس وكونوس في إقليم ليسيا، فقد فضلوا الموت على الخضوع (على الأقل طبقًا للرواية النمطية التي سجلها لنا مؤرخ هاليكارناسوس، هيرودوت (Herodotus) (I .175-76).

وعلى الرغم من الانطباع الذي حصلنا عليه من قصة هيرودوت (Herodotus) ، لم تكن الفتوحات الفارسية سريعة ولا سهلة؛ حيث استغرق قادة قورش (Cyrus) مدة لا تقل عن 4 سنوات للتفوق على يونانيِّي آسيا الصغرى»، وبهذه الطريقة، تم إخضاع إقليم أيونيا مرة أخرى، وذلك وفقًا لما استنتجه هيرودوت (I) (Herodotus 169.*)، مشيرًا إلى خضوعهم في السابق لليديا، وما زال يجب علينا توضيح أنه

على العكس مما اقترحه هيرودوت ذلك المؤرخ الذي ينتمي إلى مدينة هاليكارناسوس، فقد ظل الأيونيون الذين يقطنون الجزر بعيدًا عن متناول التوسع الأخميني .

4- قورش (Cyrus) في آسيا الوسطى:

«وبينما كان هارباجوس (Harpagus) يتحرك جيئة وذهابًا في الأجزاء الغربية والجنوبية من آسيا، كان قورش (Cyrus) يخوض المعارك على الجبهات الشمالية والشرقية، وخضعت له كل الأمم بلا استثناء»، كما كتب هيرودوت ((Herodotus 177. I)*)، ولقد شاهدنا كيف أنه في ربيع عام (546)، غادر الملك آسيا الصغرى عائدًا إلى مركز إمبراطوريته بسبب الخطر الملِح الذي كان يُشَكِّله كل من البابليين، والساكيين، والباكتريين، والمصريين، وذلك وفقًا لهيرودوت (153. I) (Herodotus)، لكن لسوء الحظ، فإن ما نعرفه عن تاريخ، وتوقيت، وطرق الحملات العسكرية التي تم شَنُّها على آسيا الوسطى محدود وضئيل للغاية، والسبب الأساسي في ذلك يتمثل في أن هيرودوت (Herodotus) لم يقل كلمة واحدة عن الحملات التي تم شنها على الساكيين والباكتريين (الكتاب الأول، فقرات 178-200)، حيث انتقل مباشرةً للحديث عن الهجوم النهائي ضد بابل الذي وقع في بداية عام (540)، ثم إلى الحرب التي خاضها الملك ضد شعب الماساجيتاي Massagetae والتي لقي قورش (Cyrus) حتفه فيها في عام (530) (الكتاب الأول، فقرات 206-207)، ومع ذلك لم يُخْفِ هيردوت أنه قام بالاختيار المتعمد من المعلومات المتاحة له: «لن أذكر شيئًا عن أغلب فتوحاته غير الهامة، ولكنني سأذكر فقط الحملات التي تسببت له في مشاكل كبيرة، والتي تتميز بأنها مثيرة للغاية في حد ذاتها»، وكنتيجة لمعايير الانتقاء الذي لا تتفق بالضرورة مع معيارنا نفسها، فقد فضل هيرودوت (Herodotus) تخصيص فقرات طويلة

لوصف بابل وعاداتها (الكتاب الأول، فقـرات 178-188، فقـرات 192-200)، وعـادات وأساليب شعب الماساجيتاي في آسيا الوسطى (الكتاب الأول، فقرات 201-204، فقرات 215-216)، وذلك بدلاً من أن يقدم لقُرَّائه رواية متصلة من حيث التسلسل التاريخي لحملات قورش (Cyrus) ، وفي ظل غياب هـيرودوت (Herodotus) سـيتوجب علينـا الرجوع إلى مصادر متـأخرة جزئيـة؛ مثـل روايـة ستيسـياس (Ctesias) (التـي لخصـها فوتيوس (Photius)) وروايات مؤرخي بلاط الإسـكندر (Alexander) ، الـذين كـانوا يميلون إلى النظـر إلى إنجـازات قـورش (Cyrus) عـلى أنهـا أقـل مـن إنجـازات الفـاتح المقدوني، وباختصار؛ لا تسمح الموارد المتاحة بتحديد تواريخ الحملات الفارسية في آسيا الوسطى بشكل قاطع، كما أنها لم تقل شيئًا عن الحدوث المحتمل لعمليـات عسـكرية متزامنة على كل من جبهات بابل وآسيا الوسطى .

وتوضح إشارة هيرودوت (Herodotus) إلى أن الساكيين والباكتريين كانوا مـن ضمن المخاطر التي واجهت قورش (Cyrus) عقب الاستيلاء على سـارديس (Sardis) ، كما توضح أن خضوع شعوب آسيا الوسطى لقورش (Cyrus) (الهركانيين، البـارثيين، الساكيين، الباكتريين) بعد سقوط إكباتانا لم يكن سوى خضوع شـكلي وظـرفي، ويؤكـد جوستن على ذلك بقوله (الكتاب الأول، فقـرة 7-2): «عنـدما تغـيرت مـوازين القـوى، تغير أيضًا موقف المدن التي كانت لا تزال تابعة للميديين حتى ذلـك الوقـت، وثـاروا على قورش (Cyrus) ، وهذا الانشقاق كان بالنسبة إلى قورش (Cyrus) سبب خـوض العديد من الحروب»، ولفرض سلطته عليهم، لم يكن كافيًا بالنسبة إلى هذا الأخمينـي أن يربط وينسب نفسه إلى أستياجيس (Astyages) ، ولكن كـان عليـه أن يـواجههم شخصيًّا على رأس جيوشه .

إن ما لدينا من معلومات عن الأوضـاع السياسـة والجغرافيـة لبلـدان الهضبة الإيرانية وآسيا الوسـطى في الفـترة التـي سـبقت الفـتح الأخمينـي

(الجزء الأول من الألفية الأولى) هو ضـئيل للغايـة؛ ويرجـع ذلـك أساسًـا إلى غيـاب المصادر المكتوبة المؤكدة والموثوق في مصداقيتها، ولقد كانت باكتريا بمعناها الموسع -من سلسلة جبال هندوكوش إلى سيرداريا- تمثل المركز الأكثر أهمية لهذه المنطقـة، ولكن وعلى الرغم من ذلك فلا يمكننا تحديد الشكل الـذي كانـت تأخـذه هياكلهـا السياسية بشكل قاطع، وعلى أي حال فلقد اشتهرت هذه المنطقـة بأكملهـا، والتـي تقع في شمال أفغانستان، بثقافتها المادية وإنجازاتها الفنيـة التـي تعـود إلى الألفيـة الثالثة والذي من وجهة نظرنا كان يعادل تلك الإنجازات والإبداعات التـي أنتجتهـا مراكز بلاد ما بين النهرين، ولقد كان هناك دائمًـا عمليـات تبـادل مثمـرة بـين آسـيا الوسطى وبلاد ما بين النهرين عـبر الطـرق الكبـيرة المؤديـة شـمالاً وجنوبًـا، صـارت تعرف بـ «طريق خوراسان» فيما بعد، وسافر عبرها الرجال والسلع وخاصة أحجـار اللازورد النفيسة التـي كـان يـتم نقلهـا مـن باداخشـان في باكتريـا إلى بـلاد مـا بـين النهرين حيث كـانوا يقـدرونها للغايـة، ولقـد اسـتفادت الـثروة الزراعيـة للواحـات الكبرى في باكتريا في مرحلة ما قبل الفتح الأخميني من مشروعـات الـري العملاقـة، والتي كشفت عنها المسوحات التي جرت في حوض الأوكسوس الأعلى، ولقـد كانـت باكتريا أيضًا قوة عسكرية حيث كان بإمكانها حشد جيوش تشتهر بقوة سلاح الفرسان بها الذين وفقًا لما ذكـره كوينتـوس كورتيـوس (Quintus Curtius) (الكتـاب السـابع فقرات 4.30)، كان يصل عـددهم في عهـد دارا (Darius) الثالـث إلى 30 ألـف فـارس، ولقد كان شعب باكتريا على اتصـال وثيـق بشـعب السـاكا الـذي كـان يتحـدث اللغـة الإيرانية، -هذا الاسم «الساكا» في اللغة الفارسية القديمة كان يقابله اسم «السيكيثيين» في اللغة اليونانية- ولقد كان بعض أفراد هذا الشعب من البـدو الرحـل، وكـان يعـيش الـبعض الآخـر لـيس فقـط عـلى تربيـة الماشـية، ولكـن أيضًـا عـلى الزراعـة والتجـارة

فيما وراء سرداريا ووصولاً إلى سيبيريا؛ وكانوا يمثلون شعبًا قويًّا في حد ذاتهم، ووكانوا منظمين في صورة قبائل، وعشائر، وممالك، ولقد تمَّ التعبير عن مدى تميز ومهارة رماة وفرسان هذا الشعب بأسلوب واضح من خلال الإبداعات الفنية التصويرية التي أنتجها فن السهول، ومن خلال المكانة التي احتلوها في الجيوش الأخمينية وفي قصص رفاق الإسكندر (Alexander) ؛ لقد جعلت العلاقات الوثيقة بين الساكيين والباكتريين القيام بحملة عسكرية في آسيا الوسطى أمرًا أكثر صعوبةً وأكثر اشتمالاً على المخاطر .

تعتبر محاولات إعادة بناء حملات قورش (Cyrus) أمرًا مُضَلِّلاً ولا طائل من ورائه، ولا بد أن نرضى بذلك العدد القليل من التفاصيل التي عثرنا عليها في النصوص القديمة عن طريق الصدفة، ونحن نعرف على وجه الخصوص أن قورش (Cyrus) قام بتأسيس العديد من المدن لتُقيم بها الحاميات التي تركها على الجبهة الشمالية، وخاصة مدينة «قلعة قورش» (Cyropolis) الشهيرة التي سوف يقوم الإسكندر (Alexander) بتدميرها وإعادة بنائها مرة أخرى، ويمكننا ملاحظة مرور قورش (Cyrus) بجنوب الهضبة الإيرانية في سيستان (وادي هيلمند)، حيث قام السكان المحليون -الآرياسبي- بتوفير الإمدادات له، حيث كان جيشه يعانى من مشاقّ عبور الصحراء، وتشير النصوص المتأخرة أيضًا إلى أنه خلال هذه الحملة نفسها أو في مناسبة أخرى، عَبرَ قورش (Cyrus) منطقة نهر كابول - جاندهارة (قندهار) كما تسميها النقوش الملكية، بالإضافة إلى جيدروسيا وكارمانيا، ومن المحتمل أيضًا قلعة قندهار القديمة - كانت العاصمة الأخمينية لإقليم أرخوسيا- التي كانت تعود لهذه الفترة، ومن المثير أن نفترض أن قورش (Cyrus) قام بإخضاع أو بعبور البلدان الإيرانية التي صورها دارا (Darius) في بداية حكمه على أنها قد تم فتحها للتوّ مثل بارثيا، درانجيانا، أريا، خوراسميا، باكتريا، سوجديانا، جاندهارا، سكيثيا، ساتاجيديا،

أراخوسيا، ومكران، ومن جهة أخرى، فمن المؤكد أنه لم يتوغل أبدًا في وادي نهر الإندوس (الهندوس) .

5- أسر البابليين (539):

المصادر والمشكلات:

لقد أصبحت المملكة البابلية الجديدة الآن أعظم خصوم ومنافسي قورش (Cyrus) في الشرق الأدنى، ولا يوجد لدينا نقص في المعلومات حول هذا الجانب من فتوحات قورش، ولكن تتسم المصادر التي لدينا بأنها تُعَبِّر عن رأي جانب واحد، كما أنها متقطعة، وتتمثل هذه المصادر بشكل أساسي في النصوص المسمارية: (أسطوانة قورش (Cyrus) ، تاريخ لنابونيدوس (Nabonidus))، النصوص التي تمدح قورش (Cyrus) ، والإطراء، وتعرف عادةً بالرواية الشعرية لنابونيدوس (Nabonidus) ، ويمكننا توقع انتصار قورش (Cyrus) أيضًا من النبوءة الملكية التي تعود للعصر اليوناني والتي تقول بأن قورش (Cyrus) الذي تصفه «بملك إيلام» قد استولى على عرش الملك (نابونيدوس (Nabonidus)) الذي حكم لمدة 17 عامًا، وبكلمات أخرى مشابهة، تعبر النصوص البابلية، خاصة النصوص الثلاثة الأولى عن وجهة نظر الفاتح، ويمكن ملاحظة أن هذه النصوص تشتمل على تفسير تقليدي يقارن بين سلوك كل من قورش (Cyrus) ونابونيدوس (Nabonidus) ، وهذه ليست وجهة نظر النبوءة الملكية، والتي شجبت سياسة قورش (Cyrus) واصفة إياها بأنها سياسة عدوانية .

ويركز نص «التاريخ» على الحقيقة القائلة بأنه في ظل غياب نابونيدوس (Nabonidus) (والذي كان حينها في تيماء في بلاد العرب حتى عامه السابع عشر)، لم يكن يتم الاحتفال بعيد العام البابلي الجديد المعروف بـ«أكيتو» بكل تلك الأبهة التقليدية، وفي نص «الأسطوانة»، تم

تقديم نابونيدوس (Nabonidus) على أنه ملك غير ورع: فلقد قام بنقل التماثيل المقدسة، «ولقد جعل الناس ينسون عبادة ماردوك (Marduk) ، ملك الآلهة»، وفرض عليهم «عبادة لم تتناسب معهم»، ولم يكن ملكًا عادلاً في معاملة رعاياه أيضًا، «ولقد أساء إلى مدينته بدون توقف، وفي كل يوم (كان يعذب قومه)، وسحقهم جميعًا بطغيانه الذي لايرحم، ويوجد وصف قاسٍ أيضًا لهذا الملك في الرواية الشعرية حيث يُتهم نابونيدوس (Nabonidus) بارتكاب كل الشرور، خاصة مقاطعة ووقف الاحتفال بالعام البابلي الجديد لصالح عبادة الإله سن Sin التي كانت توجد في حران، وبالمثل، فإن النبوءة الملكية تصف نابونيدوس (Nabonidus) بأنه مؤسس مملكة تركزت في حران، وقد منع إقامة مراسم الاحتفال بالعام الجديد، واضطهد إقليم أكاد .

دعونا نعد إلى الأسطوانة، وفي إطار هذا السياق، فقد ابتعد شعبا سومر، وأكاد عن نابونيديس (Nabonidus) ، وناشدوا الإله ماردوك (Marduk) الذي أشفق على البابليين؛ «وبعد ذلك وجد أميرًا عادلاً، وساعده، ولقد نطق اسم قورش (Cyrus) ، ملك آنسان، ثم جعله ملكًا على كل المناطق»، ولكونه راضيًا عن قورش (Cyrus) الذي سمحت له مساعدته بالاستيلاء على إقليم جوتيوم وغزو الميديين، فقد أمره ماردوك (Marduk) بالعودة إلى مدينته بابل، وجعله يسلك الطريق نحوها، وبوصفه صديقًا ورفيقًا، فقد وقف بجانبه»، وهكذا وبوصفه من اختاره الإله البابلي الأعظم، فقد دخل قورش (Cyrus) بابل على رأس جيشه «وذلك من غير قتال أو معركة»، وهكذا «فقد أنقذ ماردوك (Marduk) مدينة بابل من الظلم والعَنَت، وسلَّم نابونيدوس (Nabonidus) ذلك المُلْك الذي لم يكن يُقَدِّسه إلى قورش (Cyrus) ، وخضع شعب بابل بأسره وإقليما سومر وأكاد، وانحنى النبلاء والحكام أمام عظمة الملك، وأشرق وجهه من الفرح »؛ وفي الجزء الثاني من المخطوطة، يتحدث قورش (Cyrus) بصيغة

المتكلم؛ وعقب عرض ألقابه، صرح مرتين بأنه دخل هـو وجيشـه إلى «بابـل بسـلام ودون قتال»، وعدد أفعاله التي تظهر مدى ورعه، وخاصة إرجاع تماثيل الآلهة التي كان قد نقلها نابونيدوس من قبل، ويذكر تـاريخ نابونيـدوس (Nabonidus) أيضًـا أن الفرقة الفارسية الأولى التي كان يقودهـا «جوبـارو» أو «أوجبـارو (Ugbaru) » دخلت إلى «بابل بدون قتال» وأنه بوصول قورش (Cyrus) عمَّ السلام.

ومن هذه النصوص، تمَّ اسـتنتاج تلـك الصـورة العقائديـة لقـورش (Cyrus) ، والتي تشبه كثيراً تلك الصورة التي نجدها في الأدب اليهودي، ونجـد هـذه الصـورة أيضًا في الروايات اليونانية وخاصة رواية زينوفـون (Xenophon) (قـورش، الكتـاب الأول. فقرات 1-4، راجـع ديـودورس، الكتـاب التاسـع، فقـرة 24)، الـذي قـال بـأن سلطته قد قبلها «المهزومون» عن طيب خاطر، حيث إنه نتيجة لعدم رضاهم عـن قلة ورع نابونيدوس (Nabonidus) ، قام البابليون يقودهم الكهنة بفـتح بوابـات مدينتهم طواعية «للملك العادل» قورش (Cyrus) ، والذي تم استقباله منـذ هـذه اللحظة فصاعدًا كـ«مُحَرِّر»، ويثير هذا التفسير التقليدي الشكوك حيـث إنـه يتفـق مع الصورة التي كانت تصوره بها الدعاية الفارسية .

الفتح العسكري:

يتضح للوهلة الأولى أنه من غير المحتمل أن تكون بابـل قـد سـقطت في يـدي قورش دون مقاومة، وبالإضافة إلى ذلك، يشير تاريخ نابونيدوس (Nabonidus) إلى وقوع معركة أولية فاز بها قورش (Cyrus) في منطقة أوبيس على نهـر دجلـة، وذلـك في يوم 10 أكتوبر من عام (539)، وتبع هذا النصر عملية نقل ضخمة للغنائم، وذبـح كل من حاول المقاومة (الكتاب الثالث، فقرة 14)، ويذكر ذلك الـنص أيضًـا: «أنـه تـمَّ الاستيلاء على مدينة سيبار Sippar في اليوم الرابع عشر بدون قتال، وفر نابونيـدوس (Nabonidus) هاربًـا» (الكتـاب الثالـث، فقـرات 14-15)؛ ثـم دخـل أوجبـارو

حـاكم مقاطعـة جوتيـوم وجـيش قـورش (Cyrus) أراضي بابـل دون أدنى مقاومـة، وبعد انسحاب نابونيدوس (Nabonidus) ، تمكن الفـرس مـن أسره في بابـل في 12 أكتوبر من العام نفسه .

وقبل العودة إلى الاستيلاء على بابل عـلى وجـه التحديـد، لا بـد أن نركـز عـلى أعمال القتال المباشرة التـي دارت بـين الفـرس وقـوات نابونيـدوس (Nabonidus) يحتمل أنها قد بدأت قبل عام (540)، ويشير تاريخ نابونيدوس (Nabonidus) إلى أنه قد تمَّ إحضار تماثيل الآلهة التي كانت موجودة في العديد من الهياكـل البابليـة إلى مدينــة بابــل وفي ذلــك دلالــة عــلى أن نابونيــدوس (Nabonidus) قــد اتخــذ إجراءات لمنع الفـرس مـن الاسـتيلاء عـلى هـذه التماثيـل، وبـلا شـك كـان التهديـد الفارسي تهديدًا خطيراً، وعلاوة على ذلك، يشير أحد النصوص إلى القتال الـذي وقـع في منطقة أوروك Uruk في شتاء (539-540).

وبقدر ما أمكننا إعادة بنائها، فإن قصة أجبارو (Ugbaru) - والـذي كـان أول من دخل ضباط قورش (Cyrus) إلى بابل- تشير إلى أن الهجوم على أراضي المملكـة البابلية الجديدة بدأ في فترة مبكرة أكثر، ويشار إلى أوجبارو (Ugbaru) في تـاريخ نابونيـدوس (Nabonidus) باسـم (حـاكم مقاطعـة جوتيـوم)، ووفقًـا لأسـطوانة قورش (Cyrus) ، فقد حقّق قورش (Cyrus) نصره الأول في ظل حمايـة مـاردوك (Marduk) ، «عـلى مقاطعـة جوتيـوم، عـلى جميـع قـوات المانـدا (الميـديين)»، ويحتمل أن يكون أوجبارو (Ugbaru) هذا هو جوبريـاس (Gobryas) ، الـذي وفقًا لزينوفون Xenophon قد ترك صف بابـل وانضـم إلى قـورش (Cyrus) ، وكان يحكم منطقة واسعة (قورش، الكتاب الرابع 6.1-11) تتلاقى حدودها مـع حدود المملكة البابلية الجديدة (الكتاب الخـامس، 3.1). قـام قـورش (Cyrus) انطلاقًا مـن أراضي جوبريـاس (Gobryas) بشـن هجومـه عـلى بابـل (الكتـاب الخــامس، 1.2-21)، وقــام جوبريــاس (Gobryas) بإرشــاد جــيش قـــورش

(Cyrus) (الكتاب الخامس، 2-21)، وهو أيضًا من إستولى على بابل (الكتاب السابع، 5.26-30). ونتيجة للطابع الروائي الذي يغلب على قصة زينوفون (Xenophon) عن أوجبارو (Ugbaru) ، فإنه يبدو أنها كانت تعتمد على روايات شفهية، ولا بد أن أوجبارو (Ugbaru) كان هو الحاكم البابلي على الأراضي الموجودة عند تلال دياله، والذي أعلن استقلاله عن بابل قبل عام (540) بعدة سنوات من، والذي كان يتلقى أوامره منذ ذلك الحين من قورش (Cyrus) ، ويذكر هيرودوت (Herodotus) أن قورش (Cyrus) عقب هجومه على بابل قام بالمرور عبر منطقة دياله التي تقع على الطريق المؤدي إلى أوبيس، وهكذا نستنتج أن نابونيدوس (Nabonidus) قد جمع قواته داخل المدينة بطريقة منعت جيش قورش (Cyrus) من عبور نهر دجلة، وتشهد المذابح التي اقترفتها قوات قورش (Cyrus) بعد المعركة على مدى قوة المقاومة التي أبداها الجيش البابلي الجديد، ومن المحتمل أن صوصا سقطت في أيدي قورش (Cyrus) في هذا الوقت -أو قبل ذلك أو بعده- وبذلك اختفت المملكة الإيلامية الجديدة نهائيًّا من الوجود.

ويشير الاستيلاء على سيبار وانسحاب نابونيدوس (Nabonidus) إلى بابل إلى أن حاكم المملكة البابلية الجديدة قد اتخذ القرار بقيادة المقاومة في العاصمة، ووفقًا لهيرودوت (Herodotus) (الكتاب الأول، فقرة 190)، فإنه بمجرد اقتراب قورش (Cyrus) ، «نزل البابليون إلى ميدان القتال، وكانوا في انتظار قدومه، وبمجرد أن أصبح في مرمى أسلحتهم هجموا عليه، ولكنهم هُزِموا، واضْطُرُّوا إلى الاحتماء داخل تحصينات مدينتهم»، ووفقًا لبيروسوس (Berossus) ، فلقد قام نابونيدوس (Nabonidus) بقيادة الجيش البابلي بنفسه، لكنه فرَّ إلى بورسيبا Borsippa عقب الهزيمة، ومع ذلك، فلم يحسم الأمر بانتصار قورش (Cyrus) في هذه المعركة، ويذكر هيرودوت (Herodotus) أن البابليين قد قاموا بتخزين الإمدادت

التي تسمح لهم بالصمود لعدة سنوات، ولقد قام زينوفون (Xenophon) بوصف المشكلات التي واجهها قورش (Cyrus) ، الذي عجز عن الاستيلاء على هذه المدينة المحصنة جيدًا التي كان يدافع عنها جنود عازمون على المقاومة حتى الموت، ولقد مكنه إبعاد مياه نهر الفرات من إدخال مجموعة صغيرة قادها أوجبارو (Ugbaru) ، الذي بدوره قام باستغلال انشغال البابليين بالاحتفال بأحد الأعياد الهامة، وحاصر هيكل إساجيلا، واستولى على النقاط القوية في المدينة، وبعد ذلك بأيام تمكن قورش (Cyrus) من دخول بابل في احتفال تقليدي، وتمَّ أسر نابونيدوس (Nabonidus) حيًّا، وأُبْقِي على حياته؛ وبدءًا من منتصف عام (539)، تمَّ تأريخ الألواح البابلية بالعام الأول من حكم قورش (Cyrus) .

إن الاستنتاج الأوَّلي من هذا التحليل هو أن سرعة الفتح عبارة عن تشويه نتج عن الطرق الإنشائية المستخدمة من قبل مؤلِّف تاريخ نابونيدوس (Nabonidus) ، والذي كان يهدف إلى وصف الحملات العسكرية بالتفصيل، وهكذا فقد أهمل البيانات التي يعتبرها المؤرخ الحديث مهمة، ومن وجهة نظر المؤرخ البابلي، فالنص يتحدث عن الفرس فقط بقدر ما تكون أعمالهم مهمة لتحديد التاريخ البابلي أو على الأقل يسمح بتأريخ الأحداث البابلية من منظور تزامني (سقوط أستياجيس (Astyages) ، حملة قورش (Cyrus) الأُوْلى ضد تلك البلد غير المعروفة، انتصارات قورش (Cyrus) في عام (539))، ومن هذا المنظور فهي لا تذكر أي شيء على الإطلاق عن أنشطة قورش (Cyrus) في الفترة بين عامي (539-547)، وبسبب هذا الأمر فإننا لا نعرف شيئًا عن العلاقات البابلية-الفارسية خلال الفترة الطويلة التي تغطي فترة إقامة نابونيدوس (Nabonidus) في واحة تيماء، والفتوحات التي حققها قورش (Cyrus) بين عامي (539-547)، ولقد أدت الفجوات الموجودة في هذا السجل البابلي إلى اختزال الحرب البابلية-الفارسية إلى مجرد فترة قصيرة جدًّا

في خريف عام (539)، ولكننا لدينا سبب مقنع للاعتقاد بأن البلاط الملكي البـابلي لم يكن غافلاً عن تلك النجاحات التي كـان يحققهـا قـورش (Cyrus) ، وبمعنـى آخـر، فإن حرب (539-540) ربما كانت هي آخر مرحلة من مراحل الأعمال العدائية التي دارت بين المملكتين والتي لسوء الحظ لا تتوافر لدينا تفاصيل كثـيرة حولهـا، وهـذا الأمر يشير أيضًا إلى أن الزعم القائل بـأن فـتح عـام (539) حـدث فجـأة هـو زعـم خاطىء .

من نابونيدوس (Nabonidus) حتى قورش (Cyrus) :

يجب ألا تأخذ المقارنة بين السـلوك غـير الـورع لنابونيـدوس (Nabonidus) ، والاتجاه الورع لقورش (Cyrus) بالمعنى الظاهر لها، ومن المشكوك فيه الزعم بأنـه حتى قبل سقوط المدينة في يد قورش (Cyrus) كان أهلهـا ينتظـرون بفـارغ الصـبر قدوم «المحرر»، وعلى وجه الخصوص فإنـه لا يوجـد دليـل أكيـد يثبـت أن قـورش (Cyrus) قد أقام علاقات ودية مع الكهنة البابليين، وكما كان الحال في فـتح ميـديا أو ليديا، فإنه لا يمكن تفسير الانتصار الفارسي على بابل فقط بواسطة المكائد التـي سهلت الأمر كثيراً، ولا يعني دخول الملك الفارسي بابـل منـتصرًا خضـوع أهـل بابـل بشكل كامل له، حيث إن دخـول قـورش (Cyrus) يشـبه إلى حـد كبـير في أسـلوبه وطريقته دخول الإسكندر (Alexander) إليها في عام (331)، حيث إنـه وببسـاطة يجسد الالتزامات المفروضة على المدن المفتوحة والمتمثلـة في إظهـار ولائهـا للملـك الجديد .

ومع ذلك، تسمح لنا أسـطوانة قـورش بفهـم نـوع الدعايـة التـي اسـتخدمها النظـام الحاكم الجديد لكسب تعاون طبقة الصفوة المحلية، ويـؤدي التحليـل الأدبي لهـذا النـص إلى إدراك الملحوظـة القائلـة بأن قورش (Cyrus) يصور نفسه على أنه أعاد النظام الإلهـي والكوني إلى تلك المملكة التي إضطرب حالها بسـبب أعـمال نابونيـدوس (Nabonidus) ، وهنـا كـما في الروايـة الشـعرية نجـد أن مَلِـك بابـل قـد تعـرض للإدانـة لتشـجيعه عـلى

عبادة إله القمر سن Sin على حساب عبادة الإله ماردوك (Marduk) ، ونحن نعرف أن نابونيدوس (Nabonidus) كان ينوى منذ بداية حكمه القيام بترميم وإعادة إنشاء هيكل (إهولهول) المخصص لعبادة الإله سن والموجود في مدينة حران السورية، ولكنه لم يبدأ في تنفيذ خطته هذه إلا بعد أن عاد من واحة تيماء، ولقد ظلت دوافع نابونيدوس (Nabonidus) نظرية، وعلى أية حال، فإنه لا يوجد دليل قاطع على أن ذلك أدى إلى خسارة الملك لدعم النخبة البابلية .

ومع ذلك، يَعْتَبِر قورش (Cyrus) نفسه مرممًا للبِنَى المدنية والدينية التي تعرضت للتدمير أو الهجر، بدءًا من بابل -كما يقترح جزء من تلك الأسطوانة - ويزعم قورش (Cyrus) أنه قد أعاد بناء التحصينات وبعض المباني الأخرى في بابل، وأيضًا في مواقع أخرى من مملكة نابونيدوس (Nabonidus) السابقة؛ في نينيفا، وآشور، وصوصا، وأجادى، وإسنونا، وزامبان، وميتورنو، ودير، حتى حدود جوتيوم، ومراكز الشعائر فيما وراء نهر دجلة، والتي ظلت مبانيها مدمرة لفترة طويلة: «فلقد أعدت الآلهة إلى الأماكن التي عاشت فيها وقمت بترسيخ عبادتها إلى الأبد، وقد جمعت كل الشعب، وأعدت لهم مساكنهم، وبالنسبة لآلهة سومر وأكاد اللذين أثار قيام نابونيدوس (Nabonidus) بنقلهما إلى بابل غضب سيد الآلهة (ماردوك (Marduk))، قمت بإعادتها مرة أخرى بأمر من ماردوك (Marduk) ، الإله الأكبر ووضعتها في هياكلها في صورة تسرُّ القلب» .

وتحمل العديد من وثائق التأسيس في معابد أوروك توقيع قورش (Cyrus) : «أنا قورش (Cyrus) ، ملك الأرضين، الذي يحب إساجيلا وإزيدا، ابن قمبيز (Cambyses) ، الملك القوي»، ويتكرر الشيء نفسه في هياكل أخرى، ولكن لا بد من وضع الأمور في نصابها، بصدد هيكل آجادي، أو جدران بابل، أو بوابة أوروك، أو حتى زيجورات

أور، فلقد قام نابونيدوس (Nabonidus) بترميم كل هـذه المنشـآت حيـث توجـد وثائق كثيرة تشهد على أنشطته كمر مم للآثار، والسجلات التي تشهد عـلى أعـمال آخر حكام المملكة البابلية الجديدة التي لا تقل عددًا عن تلـك التـي تـذكر أعـمال قورش (Cyrus) .

ولقد أعلن قورش من خلال التنوع الجغرافي للأعمال الإنشائية التـي تعـود إلى عهده عن عزمه على الاستيلاء على جميع أراضي المملكة المهزومـة، وهـذا الـتصريح سمح له أيضًا بأن يطوي عهد نابونيدوس (Nabonidus) ، وفي جزء من أسـطوانته، ذكر قورش (Cyrus) أنه أثناء أعمال الترميم التي تمت لبوابة المدينة، اكتشف اسـم الملك الآشـوري العظـيم آشـوربانيبال (Assurbanipal) ، والـذي عـده واحـدًا مـن أسلافه، وما زالت هذه الفقـرة مثـيرة؛ لأنـه وحتـى قبـل اكتشـاف هـذا الجـزء مـن الأسطوانة، تم توضيح أن نص أسطوانة قورش (Cyrus) تمَّ كتابتـه بـنفس أسـلوب نقش آشوربانيبال (Assurbanipal) ، ولقـد زعـم أيضًـا في بدايـة حكمـه أنـه قـام بجلب تمثال مـاردوك (Marduk) مـرة أخـرى إلى بابـل، كـما وفَّـر المصـادر الماليـة لتقديم القرابين له بشكل منتظم.

ولم يتردد نابونيـدوس (Nabonidus) نفسـه -في العديـد مـن النقـوش- في ربـط نفسـه بأسـلافه مـن الملـوك البـابليين البـارزين، خاصـة نبوخـد نصر الثـاني (Nebuchadnezzar) ونريجليسار (Neriglissar) ، ولقد كانت تسميتهم بمثابة محاولة لتبرير اغتصابه السلطة عـن طريق الانقلاب الذي قام به، ولقد استشهد أيضًا بآشوربانيبال (Assurbanipal) كنمـوذج لمـا قام به، ولكن المراسيم الملكية التي أصدرها فيما بعد والتي قَلَّصت من أهمية عبادة مـاردوك (Marduk) أدت إلى إضعاف مركزه، وأصبح من السهل بالنسبة إلى قورش (Cyrus) أن يـنشر دعاية مضادة له، ومن المحتمل أنه باستحضار شخصية آشوربانيبال (Assurbanipal) ، عبَّرت الطبقة الحاكمة البابلية عن اشـتياقها لفـترة كانـت تعتـبر ذروة التـاريخ البـابلي، ومـن جانبـه

لم يقدم قورش (Cyrus) نفسه كفاتح قادم من الخارج، وإنما كملك شرعي أتى ليعيد مجد التاريخ البابلي القديم، وفي هذا الإطار، فقد اتخذ لقبًا ملكيًا تقليديًا، ذاكرًا أنه «ابن الملك الأكبر قمبيز (Cambyses) ، ملك مدينة آنسان، حفيد الملك الأكبر تيسبيس (Teispes) ، ملك آنسان»، وأيضًا قدم نفسه بالطريقة الآتية: «أنا قورش (Cyrus) ، ملك العالم، الملك الأكبر، الملك القوي، ملك بابل، ملك مدينتي سومر وأكاد، ملك الأركان الأربعة من الأرض».

وَلّد مثل إخلاص قورش لذكرى ومثال آشوربانيبال (Assurbanipal) وتَبَنّي لقبه الملكي عرضًا لبرنامج قورش (Cyrus) الإمبراطوري الذي سعى لتنفيذه بعد دخوله بابل، وبدون الانشقاق عن الميراث الفارسي -يوضح بناء باسارجاداي استمراريته، عزم الفاتح على الظهور بمظهر الوريث للسلطة الآشورية، ولقد مكنه إلحاقه الهزائم بكل من أستياجيس (Astyages) ، وكريوسوس (Croesus) ، ونابونيدوس (Nabonidus) على التوالي من اعتبار نفسه «ملك العالم»، وإلى حد ما فلقد مثل الاستيلاء على بابل عام (539) نهاية فترة من التوازن المتزامن والشك الذي بدأ مع سقوط الإمبراطورية الآشورية في الفترة بين عامي (610-612)، فلقد تصارعت كلّ من المملكة البابلية الجديدة والمملكة الميدية على الإرث الآشوري لعدة عقود من الزمن، ولقد أدى انتصار قورش (Cyrus) عليهما إلى تسوية المسألة لصالحه .

ومن وجهة نظر البابليين، فإن انتصار قورش (Cyrus) يدل على إعادة تكوين الإمبراطورية القديمة. ولقد عُرِف (ولي العهد قمبيز (Cambyses) (ابن قورش) لعدة شهور بـ«ملك بابل»، وربما ترأس احتفال العام الجديد، ولكن وبالنسبة إلى الملك المنتصر، فإن سقوط بابل كان بمثابة الإعلان رسميًا عن اكتمال بناء الإمبراطورية الجديدة التي امتدت من بحر إيجة إلى وسط آسيا، وبهذا المعنى، فإن أسطوانة قورش تلك ليست أكثر من مجرد

عرض لـرأي طبقـات الصـفوة في بابـل، وتنقـل أيضًـا البرنـامج الإمبراطـوري لقـورش (Cyrus) ، ولا يمكـن أن يكـون الاتفـاق بـين الاثنـين مبنيًّـا إلا عـلى بعـض الأمـور الملتبسة، فلقد واجه البابليون مشـكلة دمـج بلادهـم ضـمن هـذا الكيـان الشاسـع للإمبراطورية، وكان يتضمن مخـاطر تتمثـل في فقـدهم لفـرديتهم وهـويتهم، التـي كانوا قد استعادوها بصعوبة بالغة .

6- قورش (Cyrus) ، عبر الفرات ومصر:

ما إن أصبح قـورش (Cyrus) سـيدًا لبابـل، كـان بإمكانـه في البدايـة المطالبـة بالإرث البابلي الجديـد في الأراضي السـورية-الفلسـطينية، وهـي تعتـبر محـل نـزاع تقليدي بين سادة بابـل وسـادة مصر، وكـان يتميـز سـكانهما بتنـوع ثقـافي وعرقـي كبيرين؛ حيث كان يعيش الفينيقيون في الموانئ الكبرى مثل صيدا وصور، بينما كان يسكن الآراميون، والعبرانيون، والفلسطينيون، والعرب، حتى اليونـانيون في العديـد من الجيوب السكنية الساحلية. ولقد انتهج ملوك بابل سياسة ثابتة وطموحة نحـو هذه الأراضي من أجل فـتح منفـذ عـلى البحـر المتوسـط، والاسـتفادة مـن التجـارة المتوسـطية والتجـارة العربيـة، وهكـذا فقـد رغبـوا في بسـط سـيادتهم عـلى المـدن الفينيقية والفلسطينية، وخاصة غزة، التي تمَّ تعريبها بشكل كبـير، وصـارت منفـذًا لتجارة النباتات العطرية التي كانت تأتي من جنوب الجزيـرة العربيـة، التـي كانـت تسيطر عليها مملكة سبأ، علاوة على ذلك، فقد وجـد ملـوك بـلاد مـا بـين النهـرين هناك المواد الخام التي تنقصهم مثـل الخشـب مـن لبنـان، والحديـد مـن كيليكيـا؛ ولهذا السبب تمَّ شن العديد من الحملات على هذه المنطقة لإخضاع الممالك التـي أعلنت استقلالها هناك (دمشق، إسرائيل، والمدن الفينيقية)، ولمراقبة شعوب شمال شبه الجزيـرة العربيـة. وقـد شـن نابونيـدوس (Nabonidus) خـلال فـترة حكمـه حروبًا عديدة عـلى كيليكيـا وسـوريا وعـبرالأردن وشـبه الجزيـرة العربيـة، ويرجـع

سبب بقائه لمدة طويلة في تيماء إلى رغبته في بسط نفوذه على تلك المنطقة .

ومن بين الحضارات القديمة التي نشأت في هذه المناطق حضارة إقليم يهـودا، والتي كانت تربطها دائمًا علاقات معقدة وغالبًا عدائيـة مـع السـلطات الآشـورية-البابلية، ولقد حاولت بشكل متكرر المحافظـة عـلى تلـك السياسـة الخطـرة والتـي كانت تتمثـل في تـأرجح ولائهـا فـيما بـين مصر وبابـل، ودعونـا عـلى الفـور نراجـع الأحداث السابقة والتي سـتجعلنا نفهـم أفعـال قـورش (Cyrus) في هـذا الموقـف، فعقب انتصار الفرعون نيخو (Necho) الثاني في مجدو (عام 609)، تم ضـم إقلـيم يهودا إلى الأراضي المصرية، وفي الوقت نفسه، تسبب سقوط الإمبراطورية الآشـورية الجديدة، وظهور المملكة البابلية الجديدة في وضع قـادة المدينـة في موقـف سـيئ، فلا بدَّ أن يختاروا ما بين بابل ومصر دون أن تكون لديهم الوسائل اللازمة للتأثير في الصراع بين القوتين، وفي عـام (605)، قـام الفرعـون نيخـو (Necho) الـذي هزمـه ملك بابل نبوخد نصر الثـاني (Nebuchadnezzar) في كـركميش (Carchemish) بخلع ملك يهودا يهواهاز (Jehoahaz) ، واستبدله به «يهويـاكيم» (Jehoiakim) الذي استغل فرصة الانتكاسة التي تعرض لها البابليون للقيـام بثـورة (حـوالي عـام 600)، وفي عامي (597-598)، عندما خلف يهوياكين (Jehoiachin) والده، زحف نبوخد نصر (Nebuchadnezzar) بنفسه نحو القدس، التي سقطت في مارس من عـام (597)، وتـمَّ أسر جـزء كبـير مـن صـفوة العـائلات اليهوديـة، قـادة الجـيش، والنبلاء، وملاك الأراضي، والكهنة، وتم اقتيادهم أسرى إلى بابل، ولقد عـين نبوخـد نصر (Nebuchadnezzar) ملكًا جديـدًا يـدعى زيـديكيا (Zedekiah) ، وبـإغراء ووعود من الفرعـون المصري، حـاول زيـديكيا (Zedekiah) تكـوين تحـالف ضـد البابليين حول يهودا، ولكن الظروف لم تكـن مواتيـة لـه، حيـث إنـه بالإضـافة إلى

الضعف والفقر الذي قد أصاب هذا الإقليم جراء كارثة عام (597) فقد كـان يعـاني أيضًا من الصراعات الداخلية؛ إذ نشب صراع مرير بين الحـزب الـذي يـدعو للتمـرد والحزب الآخر الـذي يـدعو إلى الخضـوع، وصـدرت أشـهر تلـك الـدعوات المناديـة بالخضوع من النبي أرميا، الذي وصف النصر البابلي بأنه عقـاب مـن «يهـوه» ضـد هذا الشعب غير المؤمن، ولا بد أن نضـيف هنـا أن فرعـون مصر لم يكـن يميـل إلى دعم زيديكيا (Zedekiah) بدون شروط، ولقد اخترق الهجوم الذي شنته الجيـوش البابلية القويـة دفاعـات مملكـة يهـودا، وفي صـيف عـام (587) سـقطت القـدس، وسجن الملك زيديكيا (Zedekiah) ، وتم ذبح أبنائه أمام عينيه، وتم تدمير المدينة والمعبد وباقي المراكز العمرانية تمامًا وسويت بالأرض، وتلا ذلك عملية ترحيل ثانية لليهود، ونصب البابليون حاكمًا آخر على إقليم يهودا، ولكن كان مـأمورًا مـن بابـل، وتم تقليل عدد السـكان في إمارتـه وإفقـارهم، ولم تعـد هنـاك مملكـة يهـودا، بـل صارت جزءًا لا يتجزأ من المملكة البابلية الجديدة .

قورش (Cyrus) والقدس:

ينال قورش (Cyrus) الكثير من الإطراء في المصادر اليهودية، ومن المحتمل أنه بمجرد دخوله بابل عمد عـلى تقويـة علاقاتـه بقـادة المجتمـع اليهـودي في المنفـى، الذين على أيديهم تم الحفاظ على تقاليد البلد الأم، وذلك على الرغم مـن دمجهـم بدرجة كبيرة داخل المجتمع البابلي، وبدأ النبي حزقيال في بابل عام (593) في وعظ الشعب واعدًا المستمعين إليه بالعودة إلى القدس، وإعادة بنـاء المعبـد، ومواصـلة عبادتهم للإله يهوه، واستعادة المملكة الموحدة التي تضم كـل مـن إقليمـي يهـودا وإسرائيل .

وتذكرنا المصطلحات التـي اسـتخدمها مؤلـف للإصـحاح Isaia الثـاني بفقرات معينة في أسطوانة قورش (Cyrus) : «مِـن الـذي ظهـر في الشرق،

والذي يتبعه النصر في كل خطوة يخطوها؟ مِن الـذي أهـداه هـذه الأمـم، وجعـل الملوك تخضع له؟ فلقد حولهم سيفه إلى تراب وفرقهم قوسه كـالقش، ولقـد عمـل على ملاحقتهم وتقدَّم من دون أن يعوقه شيء، وبالكاد تلمـس قـدماه الأرض، مـن يمكن أن يكون قد صنع هذا الأمر غير الذي ينادي عـلى الأجيـال منـذ البدايـة؟ أنـا يهوه، الأول والآخر». (الإصحاح 41: 2-4) .

ثم يتم الإعلان بوضوح عن هذا التحالف بين قورش (Cyrus) ويهوه: «وهكذا يقول يهوه، إلى الشخص الذي اختصه، إلى قورش (Cyrus) ، الذي أخذ بيده اليمنى لإخضاع الأمم أمامه ولكشف عـورة الملـوك، لاقتحـام البوابـات التـي تغلـق أمامـه، بحيث لا تغلق أبدًا بعد ذلك: سأسبقك لأسوي المرتفعات أمامـك، سـأهز البوابـات البرونزية، وسـأحطم القضـبان الحديديـة، سـأعطيهم الكنـوز المخبـأة، والمخزونـات السرية، وذلك حتى تعرف أنني يهوه. (إصحاح 45: 1-3) .

ولكونه قد تم اختياره وتوجيهـه مـن قبـل يهـوه -كـما تـم اختيـاره مـن قبـل ماردوك (Marduk) في بابـل- فـإن قـورش (Cyrus) الـذي تتحـدث عنـه المصـادر الدينية لم يعد ينتمي إلى التاريخ، بل أصبح تزيينًا وشخصية إسطورية تميـز التـاريخ اليهودي، ولكن لا يستطيع المؤرخون اختيار مصادرهم هنا أكثر مما في اسـتطاعتهم فعل ذلك في أماكن أخرى، وفي ظل غياب أية وجهة نظـر أخـرى، فـإن أيـة محاولـة لفهم نوايا وأهداف سياسة قورش (Cyrus) تجاه المجتمع اليهودي لا بد أن تعتمد على الكتب اليهودية .

والحقائق التي لدينا نعرفها بالكامل من المقتطفات والإشارات التي يُـزعم أنهـا وثـائق رسمية للمفوضية الأخمينية، وتوجد هذه المقتطفات في كتاب عزرا (Ezra) ، وتقدم الفقـرة الأولى إعلانًا ينسب إلى قورش (Cyrus) ، ألهمه به يهوه، ويـنص عـلى: يقـال: إن الملـك قـد أذن لليهود بإعـادة بنـاء معبـد يهـوه في القـدس وإنـه سـمح لليهـود المنفيـين بـالعودة إلى

موطنهم، ولقد تم تسليم هذا الأمر إلى الخازن مثراداتا (Mithradata) ليعيد الآنية المقدسة التي جلبها نبوخذ نصر إلى بابل إلى شيشباذار (Sheshbazzar) ، «أمير إقليم يهودا»، ولقد تم تجنيد أهل صيدا وصور للقيام بنقل الأخشاب اللازمة للمشروع من لبنان إلى القدس، (عزرا (1:1-6:3 : (Ezra، 4)، وعلاوة على ذلك، ففي عهد دارا (Darius) ، تم العثور على نص مذكرة قورش (Cyrus) في الأرشيف الملكي في إكباتانا، وهو ينص على ما يلي:

قام الملك قورش (Cyrus) في أوائل عهده بإصدار أمر بإعادة بناء معبد الرب في القدس، حيث ستقدم فيه القرابين، وسيتم إحضار الهبات إليه لتحرق، حيث يبلغ ارتفاعه 60 ذراعًا، وعرضه 60 ذراعًا، وسمكه مقدار 3 طوبات حجرية، وخشبة واحدة، ويتحمل الملك نفقته، وعلاوة على ذلك، يجب إرجاع أواني الذهب والفضة الخاصة بمعبد الرب التي أخذها نبوخذ نصر من الهيكل الذي كان في القدس وجلبها إلى بابل، وذلك حتى يكون كل شيء قد أعيد إلى القدس وإلى معبد الرب (عزرا (5-2:6 (Ezra).

وتدور الشكوك حول مدى صحة هذه المقتطفات، حيث إنها لا تظهر الدقة القانونية الرسمية، ولقد صب المؤرخ كل اهتمامه على التأكيد على الإحسان التفضيلي الذي أبداه قورش (Cyrus) تجاه اليهود، ومن الواضح أيضًا أنه أغفل العديد من الأحداث التي حدثت على مدار فترة أطول مما تم توضيحه ومن المحتمل أن العديد من الأحداث التي حدد المؤرخ وقت وقوعها ببداية عهد قورش (Cyrus) ، يحتمل أنها في الحقيقة قد حدثت في عهد قمبيز (Cambyses) أو حتى بعد ذلك، وإجمالاً، فبينما تبدو الإجراءات التي تمت نسبتها لقورش (Cyrus) شرعية بشكل عام، فإنه لا تزال هناك بعض الأمور المتناقضة وأخرى غير المؤكدة حول بعض التفاصيل المعينة الخاصة بالمراسيم الملكية وتحديد تاريخها بالضبط.

ووفقًا لناشر كتاب عزرا (Ezra) ، فقد غادرت فرقة عسكرية أولى بابل تحت القيادة المشتركة لشخصين بارزين هما: شيشبازار وزيروبابل (Zerubbabel) ، وهناك العديد من الأمور المجهولة عن أصولهما وعلاقاتهما الوظيفية، وأحدهما شيشبازار (Sheshbazzar) ، الذي تم إعطاؤه هذا اللقب غير المفهوم وهو «الأمير» (ترساتا)، والذي ربما كان يرجع نسبه إلى داود، وبالنسبة إلى زيروبابل (Zerubbabel) ، فليس من المؤكد أنه كان حتى موجودًا في الموكب الأول العائد. ولقد شرع اليهود عقب عودتهم إلى القدس في استعادة عبادة الإله يهوه، وقاموا بنصب المذبح على أساساته القديمة لتقديم القرابين والاحتفال بالأعياد التقليدية، ومع ذلك فلقد ظلت عملية الاستعادة الأولية هذه هشة للغاية، وكان عدد اليهود الذين عادوا إلى يهودا قليلاً نسبيًّا (حوالي 000,500 وفقًا لحسابات المؤرخ)، وظل هذا الإقليم فقيراً منذ الهزائم التي تعرض لها على يد البابليين، وزادت معارضة المناطق المجاورة لهذا الإقليم لإعادة بناء ذلك الهيكل، لدرجة أن أعمال إعادة البناء لم تبدأ فعلاً خلال عهد قورش (Cyrus) ، ومع ذلك مضى اليهود في القيام بمراسم «التأسيس» الرسمية ووضع حجر الأساس لهذا الهيكل، وهو العمل الذي كان له دلالة دينية وسياسية أكثر من كونه يشير إلى أعمال بناء فعلية. ومن الواضح أن قورش (Cyrus) لم يقم باستعادة المؤسسات الملكية القديمة، ولكن وبدلاً من ذلك يبدو أن يهودا أصبح إقليمًا (مدينة) يحكمه حاكم خاص (بيها) يتم تعيينه من قبل الملك الأكبر الذي يختاره من بين اليهود أنفسهم، ونقصد بذلك شيشبازار (Sheshbazzar) .

ومن قراءة النصوص اليهودية يحصل المرء على انطباع بأن المنح والامتيازات التي منحها قورش (Cyrus) لليهود كانت استثنائية بالمقارنة مع العلاقات الطبيعية بين أحد ملوك الشرق الأدنى وأحد المجتمعات الدينية العرقية، وبالإضافة إلى تلك الصورة البابلية التي تنقلها لنا

أسطوانة قورش (Cyrus) عنه بأنه أعاد النظام الديني والدنيوي هناك، فلقد لعب هذا التصوير اليهودي دورًا ليس هيِّنًا في صياغة تلك الصورة عن الفاتح الأخميني كملك مسالم ومتسامح، وأنه نأى بنفسه بشكل نهائي عن تلك الممارسات البابلية الأشورية «البربرية والقاسية»، وحتى في الوقت الحاضر، فإن مؤيدي قورش (Cyrus) المعاصرين يقدمونه على أنه كان مخترع «حقوق الإنسان»، ولقد وصل البعض إلى حد اعتبار سلوك قورش (Cyrus) سلوك مناصر متحمس للديانة الزرادشتية، والتي برفضها عبادة الأصنام تتشابه مع الديانة اليهودية-الإسرائيلية، وتعتبر هذه الصلات الأخمينية اليهودية جزءًا من الإصلاح الموسع لـ«فوضى الشّرْك» التي كانت موجودة آنذاك.

وفي الحقيقة، فإنه لم يتم أبدًا عرض تلك المسألة بهذة الطريقة سواء بالنسبة إلى قورش (Cyrus) أو بالنسبة لقادة اليهود، وبسبب ارتباط السياسة بالدين في مجتمع الشرق الأدنى، فمن المعقول أن تقوم المصادر اليهودية بتوضيح التاريخ باستخدام مصطلحات دينية، ولكن أي قرار «ديني» كانت له تضمينات وأهداف سياسية، وحيث إنه كان لدى كل مدينة أو شعب آلهة تحميه، فلقد كان من الطبيعي أن تقوم هذه المدينة أو هذا الشعب بعبادة هذه الآلهة وبناء المعابد التي بالإضافة إلى كونها أماكن العبادة، فإنها تمثل رمزًا لكيان سياسي مستقل، ومن الأمور المفهومة أيضًا قيام الفاتح بحمل الآلهة (أي تماثيل العبادة والأدوات الطقسية الأخرى) مع الأسرة المالكة وطبقات الصفوة العسكرية والسياسية يقضي على كل الآمال باندلاع ثورة مستقبلية ضد سلطته، وهذا بالفعل ما قام به نبوخذ نصر بعد الاستيلاء على القدس، وهكذا فلقد اقترنت عملية إعادة البناء السياسي والديني لمدينة أو مجتمع ما بعودة تماثيل الآلهة التي تم ترحيلها إلى عاصمة الفاتح السابق، كانت من الأمور الهامة جدًّا للشعب الذي تمت إعادته إلى وطنه، وهذا ما قام

به قورش (Cyrus) في بابل، وهكذا فإن السمة الاستثنائية لأفعال قورش (Cyrus) فيما يتعلق بالقدس تنشأ فقط من ذلك المنظور اليهودي الضيق لمصادرنا، وبمجرد أن تم وضعهم في الإطار الأيديولوجي والسياسي للشرق الأدنى، رجع الفرس إلى الوضع الذي كانوا عليه في الأساس؛ ومن المؤكد أن هذه كانت إحدى الحلقات الهامة في تاريخ اليهود أنفسهم، ولكنه كان مجرد حدث نمطي وعادي مر به بالفعل العديد من شعوب الشرق الأدنى خلال فترة خضوعها للسيادة الآشورية والبابلية.

قورش (Cyrus) و(عبر الفرات):

لو أنكرنا وجود علاقات خاصة بين قورش (Cyrus) وقادة اليهود في بابل، فكيف يمكننا تفسير توجيهاته؟ لن يكون أمامنا سوى وضع بعض الافتراضات؛ ودعونا نتذكر أنه وفقًا لهيرودوت (Herodotus) (الكتاب الأول، فقرة 153) فلقد اتخذت مصر موقفًا عدائيًّا تجاه قورش (Cyrus) ، وكانت خائفة من أطماعه بعد مغادرته للجبهة الليدية في عام (546)، ولهذه الأسباب فمن المتفق عليه بشكل عام فإن إنشاء إقليم القدس الذي يتسم بولائه الكامل للمصالح الفارسية قد تم في سياق استراتيجي أوسع، يتمثل هدفه النهائي في فتح مصر عاجلاً أو آجلاً، ولكن ما لدينا من معلومات عن سياسة قورش (Cyrus) في المناطق التي تقع فيما وراء نهر الفرات فهو ضئيل للغاية، وتحتوي إحدى فقرات أسطوانة قورش للوهلة الأولى على سجل بالطموحات الإقليمية لسيد بابل الجديد، وعقب وصفه لدخول قورش (Cyrus) بابل وطلب المباركة من الإله ماردوك (Marduk) لقورش (Cyrus) وقمبيز (Cambyses) وللجيش الفارسي بأكمله: «إن جميع ملوك العالم من أعالي البحر الأبيض المتوسط إلى البحر المنخفض (الخليج الفارسي) الذين يجلسون في حجرات العرش، وجميع الذين يقطنون في الخيام، قاموا جميعهم بإحضار الجزية الثقيلة وقَبّلوا قَدَمَيَّ في بابل»، ويحتمل أن «ملوك عمورو» هؤلاء

هم ملوك الشعوب العربية التي تسكن في منطقة شمال شبه الجزيرة العربية، والذين يسميهم المؤلفون اليونانيون بـ«السينيين» أي «الذين يعيشون في الخيام»، ولكن التعبير الذي استخدمه جامع الأسطوانة كان تقليديًا لدرجة أنه لا يسمح باستنتاجات ثابتة حول مدى إخضاع قورش (Cyrus) لهذه الشعوب .

وفي إطار رغبته لجعل قورش (Cyrus) منشيء هذه الإمبراطورية في أقصى اتساع لها، فقد نسب زينوفون (Xenophon) إلى قورش (Cyrus) عدة فتوحات داخل هذه المناطق، ووفقًا له فلقد أخضع قورش (Cyrus) العرب، وولى عليهم مرزبانًا، ولقد استسلمت قبرص طوعًا، وقامت بإرسال فرق عسكرية إلى الملك الأكبر عقب فتحه لبابل، ووفقًا لزينوفون (Xenophon) فلقد كانت قبرص ومصر تمثلان الحافة الغربية لإمبراطورية قورش (Cyrus) ، وينسب زينوفون الحملات العسكرية التي أدت إلى فتح مصر إلى قورش (Cyrus) (الكتاب الثامن، فقرة 6-20)، ولكن معلومات زينوفون (Xenophon) هذه غير مقبولة، فمن المؤكد أن قورش (Cyrus) لم يقم بقيادة حملة ضد عرب سكان شبة الجزيرة، ولكنه قام فقط بإخضاع العرب الذين يعيشون في بلاد ما بين النهرين، ومن المؤكد أيضًا أنه لم يفتح مصر، وبالنسبة إلى قبرص، فبالإضافة إلى كونها بعيدة عن قيام الفُرْس بفتحها، وعلى العكس من ذلك يبدو أنها كانت تابعة للفرعون أماسيس (Amasis) في عام (539)، ونحن لا نعلم شيئًا عن موقف المدن الفينيقية في هذا التاريخ، ولقد صرح عزرا (Ezra) أنه عقب عودة اليهود، «فقد زودوا أهل صيدا وصور بالماء والغذاء والزيت لكي يحضروا خشب الأرز من لبنان بحرًا إلى يافا، وذلك وفقًا لقرار ملك الفرس، قورش (Cyrus) »، ولكن، حتى في حالة وجود مثل هذا القرار، فهو لا يتضمن بالضرورة الخضوع السياسي للمدن الفينيقية للسلطة الفارسية الجديدة، وحتى ولو كان الفينيقيون قد خضعوا لسيطرة الفرس

فنحن لا نعرف شيئًا عن الأشكال المادية التي اتخذتها هذه السيطرة الفارسية؛ وترجع الأمور الحاسمة إلى عهد قمبيز (Cambyses) ، كملاحظة على ما يشير إليه هيرودوت (Herodotus) .

وفي الواقع فالأدلة تشير إلى أن قورش (Cyrus) قد قام بإنشاء إدارة مرزبانية ضخمة توحد بابل وباقي بلاد عبر الفرات، وذلك بعد أربع سنوات من الاستيلاء على بابل، ووفقًا لهيرودوت (Herodotus) ، فلقد امتدت عبر الفرات من «مدينة رأس البسيط وحتى مصر، واشتمل إقليم (نوموس) على مدن فينيقيا بالكامل، وذلك الجزء من سوريا المسمى فلسطين، وقبرص» (الكتاب الثالث، فقرة 91) ولا بد أن نضيف أننا لا نعلم شيئًا عن أوضاع بلاد إقليم إبير ناري فيما قبل عهد قمبيز (Cambyses) وعلاقاتها مع السلطات الأخمينية، ومن المحتمل أنه لم يتم إنشاء إمارة يهودا إلا في عهد قمبيز (Cambyses) ، حيث إنه من الواضح أن حاكمها كان يتلقى تعليماته من حكومة بابل من خلال معاونه الموجود في إقليم عبر الفرات .

قورش (Cyrus) ومصر:

هل قام الفرعون أماسيس (Amasis) بالاتصال بقورش (Cyrus) عقب الاستيلاء على بابل؟ نحن لا نعلم شيئًا عن هذا الأمر، عدا المعلومات المتناقضة التي سجلها هيرودوت (Herodotus) وكررها باقي المؤلفين، ولتفسير سبب غزو قمبيز (Cambyses) لمصر، قام هيرودوت (Herodotus) بالتركيز على صراع زيجي شبَّ بين ملك فارس وأماسيس (Amasis) ، ويعرض الرواية الفارسية والرواية المصرية والتي يشكك في مدى صحتها، ومن المفترض أن قورش (Cyrus) طلب من أماسيس (Amasis) إرسال أمهر طبيب عيون مصري، فقمبيز (Cambyses) (في الرواية الفارسية) وقورش (Cyrus) (في الرواية المصرية) طلب أن يرسل

أماسيس (Amasis) واحدة من بناته إلى البلاط الفارسي، وفي الرواية الفارسية سوف تتزوج من قمبيز (Cambyses) ، وزعم المصريون أنها كانت متزوجة من قورش (Cyrus) وأنه قد نتج عن هذا الزواج ولادة قمبيز (Cambyses) ، وفي رواية أخرى، فإن قمبيز (Cambyses) الصغير أقسم أن ينتقم لوالدته - الأميرة كاسانداني (Cassandane) - التي شعرت بالذل والمهانة عندما استبدلها قورش (Cyrus) بفتاة مصرية، ويتمثل وجه التشابه الوحيد بين جميع الروايات التي جمعها هيرودوت (Herodotus) ، في قيام أماسيس (Amasis) عمدًا بخداع الملك الفارسي، فبدلاً من إرسال ابنته، أرسل نيتيتيس (Nitetis) -ابنة الفرعون السابق أبرييس (Apries) - وهذا العمل أثار غضب قمبيز (Cambyses) ، ويعكس هذا الأمر الدعاية التالية للفرس، ومن الأفضل ألا يعتد بها المؤرخ .

7- من قورش (Cyrus) إلى قمبيز (Cambyses) :

لو أن الحملة المصرية كانت كما يبدو لا تزال في مراحل التخطيط، فلن يستطيع قورش (Cyrus) أن يقودها بنفسه، فلا توجد معلومات متوفرة لدينا فيما يتعلق بآخر عشرة أعوام، وكل ما نعرفه أنه في عام (530)، شن الملك حملة ضد شعب الماساجيتاي في وسط آسيا، ولا يوجد لدينا دليل قاطع فيما يتعلق بأسباب ومراحل هذة الحملة العسكرية، وحتى ظروف وفاة قورش (Cyrus) نجد أنها محاطة بهالة من الأساطير، وبسرعة كبيرة يبهرنا الصراع الذي دار بين الفاتح العظيم والملكة توميريس (Tomyris) ، وتشهد هذه الحملة الجديدة في وسط آسيا- على الأقل- على الصعوبات التي واجهتها السلطة الفارسية في الحفاظ على سيادتها هناك .

وقبل الرحيل، اتخذ قورش (Cyrus) عدة خطوات لحسم مسألة الخلافة، «وقد أرسل إلى فارس ابنه الأكبر -قمبيز (Cambyses) - الذي إختاره ليكون خليفة له في الحكم، ولقد أكدت إحدى فقرات مؤلف

ستيسياس (Ctesias) على هذه الملاحظة التي ذكرها هيرودوت (Herodotus) ، وفي سياق خيالى، سجل زينوفون (Xenophon) روايته التي تتناول وفاة قورش (Cyrus) في بلاد فارس، وسجل فيها الكلمات الأخيرة للملك الميت في حضور ولديه، الابن الأكبر قمبيز (Cambyses) ، والابن الأصغر تانوكساريس (Tanaoxares) ، والذي يسمى بارديا (Bardiya) في نقش بيهستون وفي العديد من الوثائق البابلية، ووالذي أطلق عليه هيرودوت (Herodotus) اسم سمرديس (Smerdis) ، ومن المفترض أن يقوم قورش (Cyrus) بتقسيم الواجبات والسلطات، فجعل من قمبيز (Cambyses) خليفة له، وبالنسبة إلى بارديا (Bardiya) ، فقد حصل على أرض شاسعة في وسط آسيا، وأضاف اليها إمتياز أنه لن يقوم بدفع الجزية التي يجمعها إلى السلطة المركزية - وهي نوع من المنحة لتمتص غضبه تجاه الشخص الذي منحت له السلطة- وعقب وفاة قورش (Cyrus) في آسيا الوسطى خلفه قمبيز (Cambyses) بدون أدنى صعوبة، وانتقل جسد والده إلى باسارجاداي كي يدفن في مقبرته (ستيسياس (Ctesias) ، فقرة 8) .

وبعيدًا عن المعلومات المتفرقة التي توجد في الألواح البابلية، فإن ما نعرفه عن حكم الملك الأكبر الجديد قد حصلنا عليه فقط من القصة التي رواها هيرودوت (Herodotus) حول حملة قمبيز (Cambyses) على مصر ما بين عامي (525-522)، والتي مات بعدها في سوريا، وفي كتاب هيرودوت (Herodotus) وأعمال المؤلفين الكلاسيكيين بوجه عام، ارتبط اسم قمبيز (Cambyses) بمجموعة من الأحكام السلبية للغاية، والسبب الأساسي هو مقارنته بالملك الجيد قورش (Cyrus) ، وهذا وفقًا لزينوفون (Xenophon) الذي كتب قائلاً: «بمجرد وفاة قورش (Cyrus) ، تفرق أبناؤه، وبدأت الولايات والأمم في الثورة، وتدهور كل شيء»، وهناك فقرة طويلة يوضح فيها زينوفون (Xenophon) ذلك الموضوع

المفضل حول «التدهور الفارسي»، والرواية نفسها نجدها عند أفلاطون (Plato) : حيث إنه يرى أن التوازن المثالي الذي تحقق في ظل حكم قورش (Cyrus) تدهور سريعًا في عهد قمبيز (Cambyses) ، وقد اكتشف سبب هذا الأمر وهو التعليم الواهن لابن مؤسس الإمبراطورية، وكدليل على هذا التدهور، أشار إلى ثورة بارديا (Bardiya) ضد قمبيز (Cambyses) ، ومن غير الضروري أن نفكر بالجانب الجدلي لتلك التحليلات، والتي بنيت على نظرة تقليدية للعلاقة المفترضة بين ثروة الملك وانعدام كفاءته العسكرية .

ومن جانبه، ووفقًا لمصادره الفارسية، فقد قارن هيرودوت (Herodotus) بين قورش (Cyrus) وخلفائه: «يقول الفرس بأن دارا (Darius) هو تاجر، وقمبيز (Cambyses) طاغية، وقورش (Cyrus) أب»، ومن خلال حديثه عن الحملة المصرية، فقد عاد هيرودوت (Herodotus) عدة مرات إلى هذا الموضوع، ولقد كرر رأى المصريين، ووفقًا لهم «فقد أصاب قمبيز (Cambyses) الجنون، وحتى قبل هذا، فقد كان بعيدًا عن صوابه، فهم يقولون هذا منذ ميلاد قمبيز (Cambyses) الذي عانى من مرض خطير، والذي أطلق عليه البعض المرض المقدس»، وتدعيمًا لروايته وصف هيرودوت (Herodotus) بالتفصيل «الجرائم الشنيعة» التي إرتكبها الملك ضد المصريين وضد نبلاء الفرس ومن بينهم أخته التي إتخذها زوجة له، ولقد استنتج هيرودوت (Herodotus) : «من خلال كل هذه الأمور، لا يساورني الشك في أن قمبيز (Cambyses) كان فاقدًا لصوابه»، فمن الواضح أن هيرودوت (Herodotus) كان يعتمد تمامًا على المصادر الشفهية التي استخدمها في إعادة بناء الحملة المصرية والخلافة الدموية لقمبيز (Cambyses) ، وهكذا فمن المهم أن نضع أحكامه ضمن السياق التاريخي، حتى نحصل على المنظور الضروري، وبالتالي إعطاء قمبيز (Cambyses) فضلاً مناسبًا لدوره في تكوين الإمبراطورية الأخمينية .

8- الحملة المصرية (522-525):

مصر في عهد أماسيس (Amasis) :

يـفسر هـيرودوت (Herodotus) -كـما شـاهدنا- قـرار قمبيـز (Cambyses) بالزحف على مصر بالأسباب التي نادرًا مـا تـرضي المـؤرخ، وذلـك لأن التفسسـيرات التي قدمها حول الزواج الملكي بـين الأسرتـين المـالكتين الفارسـية والمصريـة في عهـد قورش (Cyrus) لا تعكس سوى وجهة نظر الدعاية الفارسية، وبدلاً من هـذا يتـيح لنــا دراســة الموقــف الاســتراتيجي العــام بفهــم الظــروف التــي أدت بقمبيــز (Cambyses) إلى البدء في هذه الحملة العسكرية الهامة للغاية .

فبعد أن أصبح قمبيز (Cambyses) سيدًا لإمبراطورية قورش (Cyrus) ، كـان لزامًا عليه أن يحافظ على سيادته على الأراضي التي قد تم فتحها وأن يوسع حـدود الإمبراطورية بفتح المملكة الوحيدة في الشرق الأدنى ذات الشأن التي كانت لا تـزال خارج قبضته وهي مصر، ولا يجب أن ينظر إلى ذلـك عـلى أنـه رغبـة غـير عقلانيـة للسيطرة على العالم بأكمله، فلقد كان قرار قمبيز (Cambyses) محددًا سلفًا بقرار والده الذي نص على ضم إقليم عبر الفرات إلى بابـل، وكـان هـذا الأمـر يتطلـب إن عاجلاً أو آجلاً إخضاع البلاد الواقعة ما بين الفرات والنيل، وهذا يستوجب الـدخول في صراع مع مصر، والتي أبدت في الماضي لبعيد والقريب طموحات في الاستيلاء على هذه المنطقة .

ولقد سبقت الحملة المصرية سلسلة من الفتوحات، ولكن لانعرف عـن هذه الفتوحات أي شيء، وعلى أيـة حـال، فـنحن نعلـم أن فينيقيـا وقـبرص صارتا تابعتين لقمبيز (Cambyses) في عام (525)، ولا نعرف متـى أوكيـف تم فتحهما، ووفقا لهيرودوت (Herodotus) (الكتاب الثالـث، فقـرة 19)، «فلقد قام الفنيقيـون بخدمتـه بـإرادتهم الحـرة، وكـذلك القبارصـة قـاموا

بخدمة الفرس»، وكلاهما انضما إلى القوات البحرية التي يرأسها قمبيز (Cambyses) في حملته على مصر، ولقد كان فتح قبرص بمثابة ضربة من العيار الثقيل للفرعون أماسيس (Amasis) ؛ لأنه -ووفقًا لهيرودوت (Herodotus) - «فلقد كان الفرعون الأول الذي يتمكن من إخضاع قبرص، وإجبارها على دفع الجزية».

ومنذ عام (664)، تولى حكم مصر أسرة سايتي، التي قام فراعنتها الأوائل بالمهمة الصعبة المتمثلة في إعادة توحيد مصر، والتي يضمها علماء المصريات تقليديًّا إلى مرحلة لاحقة، وتعد فترة حكم أسرة سايتى بمثابة فترة نهضمة بالنسبة إلى مصر، ومنذ عام (570)، تولى حكم مصر الفرعون أماسيس (Amasis) ، والذي توفي في عام (526)، ووفقًا لهيرودوت (Herodotus) ، «يقال إن حكم أماسيس (Amasis) يمثل فترة ازدهار مادي لا مثيل له بالنسبة إلى مصر، فالأرض قد أعطت خيراتها للناس، مثلما أعطى النيل خيراته للأرض، ويقدر العدد الكلى للمدن المأهولة بالسكان في تلك الفترة بـ000,20» بلدة، وكان لأماسيس (Amasis) قوات مسلحة قوية: أسطول تركه له سلفه نيخو الثاني (610-595)، وجيش مدعم بقوة بفرق من المرتزقة من جميع أنحاء الشرق الأدنى بما فيها إقليمي كاريا وأيونيا.

ورغم كل هذا، فلقد اعتبر أماسيس (Amasis) فتح قورش (Cyrus) لبابل أمرًا في منتهى الخطورة، وقد اتبع سياسة تهدف إلى كسب الحلفاء في الصراع مع الفرس، والذي كان على وشك الاندلاع، وكان فراعنة أسرة سايتي يعززون علاقاتهم مع العديد من الدويلات اليونانية في أوروبا وآسيا الصغرى، ويطلق هيرودوت (Herodotus) (الكتاب الثاني، فقرة 178) على أماسيس (Amasis) لقب «عاشق اليونانيين»، ويذكر من بين الأدلة على عشقه لليونانيين مثال نوقراطيس (Naucratis) ، والتي كانت مركزًا تجاريًّا في الدلتا أسسته مدن آسيا الصغرى بموافقة من الفرعون

ومن المؤكد أن ذلك قد تم خلال فترة حكم الفرعون بسماتيك (Psammetichus) الأول، ولم يكن الإغريق والفينيقين (الذين كانوا ممثلين في مصر هم الآخرين) هم المستفيدين من هذه التجارة وإنما أيضًا الفرعون، حيث فرض أماسيس (Amasis) رقابة صارمة على الصادرات والواردات، وتم تأسيس مستودعات الجمارك في شرق الدلتا على الفرع الشرقي للنيل Pelusiac ، وفي الغرب على الفرع الغربى للنيل Canopic ، وتم تحصيل الضرائب هناك على السلع القادمة من «البلدان الشمالية الأجنبية» (بلاد فينيقيا، سوريا- فلسطين)، و«البلدان الأجنبية في اليونان العظيمة» (بلدان بحر إيجة والبلدان الإغريقية)، على التوالي .

وهناك العديد من الهياكل الإغريقية التي تلقت الهبات من الفرعون المصري: معبد دلفي في آسيا الصغرى، ومعبد الآلهة أثينا في مدينة لندوس على جزيرة روديس، ومعبد هيرا في جزيرة ساموس، ومعبد البرانشيداي في ديديما، بالإضافة إلى معبد أثينا في جزيرة ثيرا، وقد كان اهتمام فراعنة أسرة سايتي بمدن آسيا الصغرى طويل المدى:وتقليديًّا، فلقد قاموا بتجنيد قوات إضافية لجيوشهم من هذه المدن، ومنحوا لهم أراضٍ بمصر ليدعموا الجيش المصري، ووفقًا لهيرودوت (Herodotus) ، فلقد بلغ عدد الكاريين والأيونيين الذين كانوا تحت قيادة أبرييز عندما هزمه أماسيس (30.000) (Amasis) ، ويذكر هيرودوت أيضًا أن أماسيس (Amasis) قد وطن الأيونيين والكاريين في منف «وذلك ليقوموا بحمايته من قومه»، وعلى الرغم من سخط الجنود المصريين بسبب تلك المنح والعطايا لصالح جنود آسيا الصغرى، فقد واصل أماسيس (Amasis) سياسة الملوك السابقين .

ولقد كان من ضمن حلفاء أماسيس (Amasis) الذي يمكنه الاعتماد عليهم كان بوليكراتيس (Polycrates) الذي استولى على جزيرة ساموس

عقب قيامه بانقلاب، ووفقًا لهيرودوت (Herodotus) ، «فبمجرد أن سيطر على الجزيرة عقد ميثاق صداقة بينه وبين أماسيس (Amasis) ملك مصر، وصدقوا عليه بتبادل الهدايا»، ولتقوية هذه الصداقة التي تم إنشائها بتبادل الهدايا قام أماسيس بإهداء تمثالين له منحوتان على الخشب إلى معبد هيرا في جزيرة ساموس ويركز هيرودوت (Herodotus) على السلطة التي إكتسبها بوليكراتيس (Polycrates) بسرعة: «لم يمض وقت طويل حتى أصبحت الزيادة السريعة لسلطته حديث أيونيا كلها وباقي اليونان، حيث إنتهت كل حملاته بالانتصار، كما كللت كل مغامراته العسكرية بالنجاح»، ولقد امتد نفوذه حتى بلغ جزر The Cyclades ، بما فيها جزيرة رينيا، بالقرب من ديلوس، وسرعان ما مثل تهديدًا حقيقيًّا للسيادة الفارسية على المدن اليونانية التي تقع على ساحل آسيا الصغرى بعد وفاة قورش (Cyrus) ، وهذا ما يوضحه هيرودوت (Herodotus) ، مشيرًا إلى أن بوليكراتيس (Polycrates) حقق نصرًا بحريًّا على سكان مدينة ميتيلين التي تقع على جزيرة لسبوس، والذين كانوا حلفاء لملطية: ولكن خضعت ملطية إلى الفرس، ولقد هددت الهجمات التي شنها الطاغية على الجزر والمدن التي تقع على البر الرئيسي المواقع الأخمينية، ويؤكد هيرودوت (Herodotus) على أن بوليكراتيس (Polycrates) «كان يأمل في بسط نفوذه على أيونيا والجزر»، وربما كانت هذه هي الظروف التي قام فيها قورش (Cyrus) بتعيين أوروتيس (Oroetes) حاكمًا على ساردیس (Sardis) »، وبلا شك فلقد كانت مهمة أوروتيس (Oroetes) الأساسية تتمثل في الدفاع عن الأراضي الأخمينية ضد الطاغية، وفيما يتعلق بالفرس، فقد لعب بوليكراتيس (Polycrates) الدور نفسه الذي لعبه كريوسوس (Croesus) عندما تحالف مع الفرعون المصري .

وخلال مناقشته لما كان يقلق أوروتيس (Oroetes) ، يكتب هيرودوت (Herodotus) عن بوليكراتيس (Polycrates) قائلاً: «إنه كان أول يوناني

يخطط لفرض سيطرته على البحر»، ولقد غذت هـذه الطموحـات قواتـه البحريـة، ووفقًا لهيرودوت (Herodotus) ، فلقد كان لديه 50 سفينة ذات مجاديف، وهـي قوة بحرية تفوق إمكانيات المدن الإغريقيـة حتـى ولـو كانـت مدينـة غنيـة مثـل ساموس وبلا شك فإنه قد تمكن من بناء والمحافظة على هـذه القـوة البحريـة مـن خـلال مسـاعدة أماسـيس (Amasis) لـه ولـو بشـكل جـزئي، ووفقًـا لهـيرودوت (Herodotus) وفي عام (525)، كان يملك 40 سفينة ثلاثية المجاديف (سفن بـثلاث صفوف مـن المجـاديف)، ولقـد كانـت السـفن ثلاثيـة المجـاديف أحـد الإبتكـارات التكنولوجية والعسكرية العظيمة التي ظهرت في منطقة بحر إيجة، مـا بـين أعـوام (525-550)، وربما امتلكت مصر مثل هذا النوع من السفن الحربية أيضًا، وهذا ما مكن أماسيس (Amasis) من الاستيلاء على قبرص .

فتح وادي النيل ومداخله:

ومع ذلك، وفي عام (525) ساءت ظروف مصر، فأولاً، توفي أماسيس (Amasis) قبل هذا التاريخ بعام، وخلفع إبنه بسـماتيك (Psammetichus) الثالـث، وترتـب على فقدان أماسيس (Amasis) نتائج هائلة خاصة وأن قمبيـز (Cambyses) كـان يعد لغزو مصر، ويصف هيرودوت (Herodotus) (الكتاب الثالث، فقرات 40-43) في قصـة طويلـة الشـقاق الـذي وقـع بـين أماسـيس (Amasis) وبـوليكراتيس (Polycrates) ، وتبعًا لهيرودوت (Herodotus) فلقد تـم إلغـاء إتفاقيـة الصـداقة التي كانت قائمة بينهما بمبادرة مـن أماسـيس (Amasis) الـذي كـان قلقًـا بسـبب الازدهارالكبير والطموح الجامح لبوليكراتيس (Polycrates) ، وفي الواقع، فلقد قام الأخير بالاتصال بقمبيز (Cambyses) الذي ألح عليـه أن يرسـل لـه سـفنًا، وأرسـل بوليكراتيس (Polycrates) 40 سفينة ثلاثية المجاديف، ولقد إختار كـل رجـل مـن أطقم هذه السفن بعناية بالغة حيث كان عنده سـبب يدفعـه للشـك في ولاء كـل

رجل منهم، وأرسل تعليمات إلى قمبيز (Cambyses) ألا يدع أي فرد منهم يعود حيًّا إلى ساموس»، وهذا أمر يصعب تفسيره ولكن مضمونه واضح، فلقد نخلى بوليكراتيس (Polycrates) عن الحليف المصري وبدأ في التقرب من ملك الفرس، وبلا شك فلقد كان قلقًا بشأن المخاطر التي أخذت تتصاعد ضده (استعدت إسبرطة لإرسال أسطول ضد ساموس) وأيضًا بشأن المعارضة المتزايدة التي أبداها مجموعة من نبلاء ساموس وميلهم أكثرللتعاون مع مصر، ويمكننا إدراك هذا التحول المفاجئ في سياسة طاغية ساموس إذا إفترضنا أن هذا الأمر قد حدث بعد وفاة أماسيس (Amasis) ؛ فنتيجة لما بلغه عن الاستعدادات التي قام بها قمبيز (Cambyses) لفتح مصر، آثر السلامة بالانضمام للفرس حيث أدرك أنهم منتصرين لا محالة .

لقد عانى فرعون من انشقاق فانيس (Phanes) والذي كان كما وصفه مواطنه هيرودوت (Herodotus) والذي كان ينتمي إلى هاليكارناسوس هو الآخر «محارب شجاع وذكي»، ولقد كان أحد ضباط الفرقة الكارية التي كانت مقربة من الفرعون، ولقد كان الفرعون عنده مخاوف كثيرة منه حيث كان «ذو مكانة كبيرة بالجيش، وكانت لديه معلومات مهمة ودقيقة عن الحالة الداخلية لمصر»، ولقد هرب من الرجال الذين أرسلوا ليقبضوا عليه ووصل إلى قمبيز (Cambyses) «الذي كان متلهفًا للهجوم على مصر»، واستطاع أن يزود الملك الأكبر بمعلومات حساسة حول كل من حالة القوات المصرية وطرق الوصول إلى الدلتا.

وفي هذه الأثناء، كان قمبيز (Cambyses) قد قام باستعدادات عسكرية هائلة، ويلاحظ هيرودوت (Herodotus) أنه بعد فتح قوات قورش (Cyrus) لآسيا الصغرى «لم لدى أهل الجزر ما يخشوه، بسبب عدم خضوع الفينيقيين للفرس، ولأن الفرس أنفسهم لم يكونوا قوة بحرية»، وسمح إخضاع كل من قبرص وفينيقيا لقمبيز (Cambyses)

بتغيير مسار الأحداث، ففي عام (525)، «اعتمد الفينيقيون بشكل كامل على قوة أسطولهم البحرى (نوتيكوس ستراتوس)»، وتلقد إشتملت تلك القوات أيضًا على قبارصة ويونانيين من أيونيا وأيوليا، وكان من بينهم فرقة بحرية من مدينة ميتيلين، ويمكننا القول بأن قمبيز (Cambyses) كان المؤسس الحقيقي للأسطول الفارسي، الذي تم بنائه بواسطة الرجال والموارد التي تم جمعها من فينيقيا وآسيا الصغرى، ولقد كانت هذه هي المجاملة التي قالها الفرس في حاشية قمبيز (Cambyses) له عندما سألهم عن أعظم إنجازاته، حيث ردوا قائلين: «أنه أفضل من والده لأنه استطاع الحفاظ على جميع الأراضي، كما أنه غزا مصر واستطاع فرض سيطرته على البحر»، وفي الواقع يبدو أن الفضل في إنشاء الأسطول البحري الملكي الفارسي بأكمله يعود إلى قمبيز (Cambyses) ، حيث إنه كان ضروريًا لتحقيق طموحاته في الانتصار على الفرعون المصري والذي كان لديه بالفعل أسطولاً قويًا .

ولم يتم وصف العمليات العسكرية بتفصيل كامل، ففي خلال عرضه لقصة فانيس (Phanes) توقف هيرودوت (Herodotus) عند العلاقات التي أنشاها قمبيز (Cambyses) مع «ملك العرب»، والذي كان يسيطر على المنطقة الصحراوية بين غزة والحدود المصرية، ولقد سمحت اتفاقية رسمية عقدت بينهما للملك الفرس بالحصول على الماء الكافي حتى يصل إلى وادي النيل، وبالتأكيد فقد أتاح هذا الأمر لقمبيز (Cambyses) فرض سيطرته المباشرة على شعوب ومدن إقليم عبر الفرات والتي لم ترَ من قبل الجنود الفرس، وهذا هو الوضع الذي سجله بوليبوس (Polybius) فيما بعد، مادحًا مدى وفاء سكان غزة لحلفائهم: «فعلى سبيل المثال، عندما قام الفرس بغزو المنطقة، فقد رُوِّعَت كل المدن بمدى قوة العدو، واستسلم جميع الرجال للعدو، أما سكان أهل غزة فقد واجهوا الخطر وقاوموا الحصار»، ولقد كانت غزة تمثل مركزًا تجاريًا مهمًا، حيث

قام هيرودوت (Herodotus) بمقارنة مدى ازدهارها بمدينة ساردیس (Sardis) ، ومنذ ذلك الوقت فصاعدًا، شكلت دعمًا أساسيًا للاحتلال الفارسي لفلسطين وجسرًا تعبر من عليه أية حملة عسكرية متجهة لمصر .

ولقد قاد الفرعون بسماتيك الثالث جيشًا يضم جنودًا مصريين، وفرق عسكرية مساندة من الجنود الكاريين واليونانيين، وانتظر قمبيز (Cambyses) عند الفرع الشرقي للنيل، ولم يقدم لنا هيرودوت (Herodotus) معلومات عن القتال الذي دار هناك، حيث كان مهتمًا أكثر بالحديث عن الانتقام الفظيع الذي أعده الفرعون والفرق الكارية واليونانية لفانيس (Phanes) (الكتاب الثالث، فقرة 11)، وبالمقارنة الرائعة بين القوة النسبية لكل من المصريين والفرس، وذكر هيرودوت (Herodotus) ببساطة أن المعركة انتهت بشكل سيئ بالنسبة إلى بسماتيك، حيث فرت القوات المصرية إلى قلعة منف، «ولقد فرض قمبيز (Cambyses) الحصار على المدينة، وبعد فترة، استسلمت المدينة»، وتم أسر بسماتيك (Psammetichus) .

ولقد أدت المعلومات التي إختارها هيرودوت (Herodotus) من المصادر التي كانت متاحة لديه إلى تجاهل كل من قوة المقاومة التي أبداها بسماتيك والدور الذي لعبه أسطوله البحري (Psammetichus) ، وركز بوليانوس (Polyaenus) (الكتاب السابع، فقرة 9) بدلاً من ذلك على أن قمبيز (Cambyses) إضطر لمحاصرة Pelusium ، وأن المصريين استخدموا المنجنيق والآلات الحربية الأخرى لمنع قمبيز (Cambyses) من دخول المدينة، مما يعني منعه من دخول مصر، حيث إنه بدون الاستيلاء على هذه المدينة أو إمتلاكه لإسطول يضمن له التفوق البحري لم يكن من الممكن الاستيلاء على مصر، ونعرف أن أودجاهورسنت (Udjahorresnet) ، وهو مصري ، كان يقود الأسطول البحري في عهد أماسيس (Amasis) ، ثم في عهد خليفته بسماتيك الثالث؛ ولأنه قدم نفسه

كالمفضل لـدى قمبيـز (Cambyses) ، فـإن هـذا يـدفعنا للاعتقـاد أنـه تخلـى عـن أماسيس (Amasis) ، وبهذا جعل مهمة تحقيق النصر في مدينة Pelusium سهلة كثيرًا بالنسبة لقمبيز (Cambyses) ، ولكن يظل هذا إفتراضًـا ضـعيفًا، ومـا إن تـم الاستيلاء على Pelusium ، تمكنت القوات والأسطول الفارسي من التوغـل في وادي النيل، وفرضت الحصار على منف التي كانت متصلة بالبحر بالعديـد مـن الممـرات المائية، ولقد استطاعت قارب قمبيز (Cambyses) عبور أحد هـذا الممـرات، وكـان على متنه رسول من قمبيز لدعوة المدافعين للاستسلام، ولقد قتل هـذا الشـخص هـو والحاشية التي كانت ترافقه، وفي الواقع، فلقد استطاع بسـماتيك (Psammetichus) وقواته المقاومة لمدة طويلة متحصنين بهذه القلعة المسماه بـ «الجدار الأبـيض» التـي كان لا يمكن الاستيلاء عليها بدون دعم من الأسطول، ولكن في نهايـة الحصـار (الـذي لم يحـدد هـيرودوت (Herodotus) طـول فترتـه)، اسـتطاع قمبيـز (Cambyses) دخول المدينة، وتم وضع حامية مصرية-فارسية في قلعة «الجدار الأبيض».

وما إن فتحت مصر، حتى سعى قمبيز (Cambyses) لتحقيـق الطموحـات التي كان يسعى لتحقيقها آخر الفراعنة المصريين في التوسـع نحـو الغـرب (ليبيـا وبلدة قورنائية) والجنوب (النوبة، والتي يطلق عليها هـيرودوت (Herodotus) إسم أثيوبيا)، ولقد قام الليبيون تبعهم في ذلك اليونانيون من سكان جزيـرة ثـيرا والبرقيون بإرسال الهـدايا إلى قمبيـز (Cambyses) كعلامـة عـلى خضـوعهم لـه، وكدليل على حسن نيتهم، ولقد أعاد قمبيز (Cambyses) المـرأة اليونانيـة التـي تزوجها أماسـيس (Amasis) عنـدما تحـالف مـع جزيـرة ثـيرا اليونانيـة، ووفقًـا لهيرودوت (Herodotus) ، «فقد أعـد حملـة ثلاثيـة ضـد القرطـاجيين، ومعبـد آمون في الصحراء الغربية، والأثيوبيين الـذين عاشـوا في ليبيـا لفـترة طويلـة عـلى حافة البحـر الجنـوبي»، وقـد تـم إلغـاء الحملـة ضـد قرطاجـة لأن الفينيقيـين لم

يرغبوا في شن الحرب على مستعمرة فينيقية، وعلى الرغم من أن شن حملة ضد قرطاجة يبدو أمرًا غير محتملاً، إلا أنه لا يمكن قول نفس هذا الشيء على المخططات الملكية لغزو الجنوب، ولقد كرس قمبيز (Cambyses) جهوده نحو تحقيق «مشروع أفريقى» كبير الذي كان يتمثل في ضم مملكة ميرو، والاستيلاء جزئيًا على المواقع الاستراتيجة في الواحات الغربية، ومن خلال هذه الاستراتيجية، واصل قمبيز (Cambyses) نفس السياسة التي انتهجها فراعنة أسرة سايتي، والذين قاموا منذ عهد بسماتيك الأول بارسال الحملات المنظمة إلى الجنوب من أجل وضع نهاية للتهديد الكوشيتي Cushite ، ولتعزيز سلطتهم على الأقل حتى الشلال الأول، ولقد تم وضع حامية في جزيرة فيلة ولقد ظلت هذه الحامية والتي كانت تتكون جزئيًا من فرق عسكرية يهودية، ظلت موجودة في فيلة طوال عهد قمبيز لأنهم في الالتماس الذي يعود لعهد دارا (Darius) الثاني ذكر اليهود أنه قد تم بناء معبدهم «فى عهد فراعنة مصر» وأنه كان قائمًا «عندما دخل قمبيز (Cambyses) مصر» وتضمن هذا الأمر أن قمبيز (Cambyses) قام بحمايته».

ووفقًا لهيرودوت (Herodotus) ، فلقد إنتهت كل من الحملة التي تم توجيهها ضد معبد آمون في واحة سيوة والأخرى التي تم توجيهها ضد أثيوبيا بكارثة محققة، ويتهم هيرودوت (Herodotus) قمبيز (Cambyses) بـ«الجنون» حيث زحف على الفور بإتجاه أثيوبيا دون تجهيز الإمدادات ومن دون أن يفكر ولو للحظة أنه كان آخذًا رجاله إلى نهاية الأرض، ويثير هذا الانحياز المتعمد ضد قمبيز (Cambyses) الشكوك حول مدة دقة رواية هيرودوت (Herodotus) ، وهناك دليل آخر على أن الحملة لم تنتهي بكارثة عسكرية، حتى لو أن الصعوبات التي صاحبت هذا المشروع قد أجبرت الملك الأكبر على الانسحاب، وهناك أدلة محددة على هذا الأمر، وهي النتائج الأخيرة لأعمال التنقيب إلى جرت في

موقع قلعة دورجينارتي، والتي تأسست في عهد فراعنة أسرة سايتي على نفس خط العرض الذي يمر بالشلال الثاني، وتشير الآتية الخزفية وأحد النصوص الآرامية أن تلك القلعة والتي كانت بلا شك جزء من شبكة متسعة من الحصون ظلت مستخدمة خلال الفترة الأخمينية .

9- قمبيز (Cambyses) والتقاليد المصرية :

«جنون» قمبيز (Cambyses) المصادر والمشكلات:

وفقًا لهيرودوت (Herodotus) ، فإنه حتى ذلك الوقت كان قمبيز (Cambyses) يتصرف بطريقة متزنة، حتى أنه رثى لحال بسماتيك (Psammetichus) وأمر بالابقاء على حياة إبنه (الكتاب الثالث، فقرة 14)، ولكن من ناحية أخرى ومن وجهة نظر هيرودوت (Herodotus) ، «فلقد فقد الملك صوابه بالكامل، وكان كالمجنون»، وشن حملته ضد أهل أثيوبيا، واستحوذ الجنون على روح الملك بشكل كامل خاصة بعد عودته إلى منف، حيث استولى عليه الغضب من للآلهة، والعبادات والمعابد وكهنة مصر، ولقد ركز هيرودوت (Herodotus) بشكل خاص على قيامه بقتل العجل المقدس أبيس والقائمين على رعايته، فلقد إعتبر قمبيز (Cambyses) الاحتفالات التي أقيمت تكريمًا للعجل المقدس أبيس أنها تعبيراً عن سرورهم لهزيمته في أثيوبيا (النوبة): «لقد أمر قمبيز (Cambyses) بجلد الكهنة، وأن يتم إعدام أي مصري يجدوه مستمرًا في الاحتفال، وبهذه الطريقة فقد انتهى الاحتفال، وتمت معاقبة الكهنة، وأبيس الذي ظل في المعبد لفترة من الوقت حتى توفي نتيجة الجرح الذي تعرض له في فخذه، ودفنه الكهنة بدون علم قمبيز (Cambyses) ، وحتى قبل هذا الوقت، لم يكن قمبيز (Cambyses) متزنًا على الاطلاق، ولقد المصريون كانوا مقتنعون أن سبب فقدانه لصوابه يرجع مباشرة لهذه الجريمة .

ويتلو هناك قصة «هوسه بالقتل» والذي راح ضحيته نبلاء الفرس وأخيه سميردس وأخته التي كان قد تزوجها، وضد كريوسوس (Croesus) الليدي، ثم يوجه هيرودوت (Herodotus) إتهامات خطيرة لهذا الملك: حيث إتهمه «بنبش المقابر القديمة وفحص الأجساد، ودخل معبد هيفاستوس (الإله بتاح)، وسخر من تمثال الإله، ويستنتج هيرودوت (Herodotus) : «نظرًا لكل ذلك فإنه لا يوجد عندى أدنى شك في أن قمبيز (Cambyses) كان مجنون تمامًا وهذا هو التفسير الوحيد لهجومه وسخريته من كل المقدسات المصرية» (الكتاب الثالث، فقرة38) .

وتقليدًا لهيرودوت (Herodotus) ، فإن كل المؤلفين الكلاسيكيين قد كرروا فكرة جنون وانعدام ورع قمبيز (Cambyses) هذه؛ فيكتب جوستن (Justin) «لأنه للصدمة التي تعرض لها من الممارسات الدينية المصرية، قام قمبيز (Cambyses) بتحطم معبد الإله أبيس وآلهة آخرين»، ويعرض سترابو (Strabo) التفسير نفسه لشرح سبب قيامه بتدمير معابد هليوبوليس وطيبة، وهذا التقليد العدائى يوجد أيضًا في مؤلف ديودورس سيكيولس Diodorus Siculus : «تم أخذ الفضة والذهب والعاج والأحجار الكريمة (الموجودة داخل معبد طيبة)، والتي حملها الفرس عندما قام قمبيز (Cambyses) بحرق معابد مصر، ويقال أنه في ذلك الوقت وعن طريق نقل كل هذه الكنوز من مصر إلى آسيا وأخذ الحرفيين والفنانين أيضًا قام الفرس ببناء قصورهم الشهيرة في برسيبولس، وصوصا وباقى أجزاء ميديا، ويقال أن كل من الفرس وقمبيز (Cambyses) قاموا بسلب (دائرة الذهب المتوجة لمقبرة أوزمندياس) عند غزوهم لمصر .

ويوجد رواية أخرى سجلها القديس جيرومى يلمح فيه إلى أن قمبيز (Cambyses) قام بنقل حوالي 2500 صورة دينية مصرية، وباختصار، فإن كل ذلك يقودنا إلى الاعتقاد أن قمبيز (Cambyses) قد قام بفعل كل شيء في إستطاعته ليبعد الشعب المصري ككل عنه، خاصة

الأسر الكبرى التي كانت تدير المعابد، والذي من المؤكد أنه لم يكن غافلاً عن المكانة القيادية التي كانوا يحتلونها في المجتمع المصري، كما أنه لم يكن غافلاً عن الدور الذي يقوم به الفرعون أو ولي العهد في مراسم الجنازة التي ترمز للوفاة الدنيوية للعجل المقدس أبيس، ونحن نعلم على سبيل المثال أن بسماتيك (Psammetichus) الثالث قبيل غزو قمبيز (Cambyses) ، قام بطقس الصيام الصعب (الامتناع الكلي عن تناول الطعام لمدة 4 أيام، وإتباع نظامًا غذائيًا نباتيًا لمدة سبعين يومًا)، وقد اشترك في الاحتفالات المرهقة التي إستمرت على مدار السبعين يومًا، وهو الوقت الذي إستغرقته عملية تحنيط الثور المقدس، وأخيرًا، فإن قمبيز (Cambyses) لم يكن غافلاً عن الشعبية الهائلة لأبيس لدى عامة الشعب المصري، الذي انضموا بدورهم إلى فترة الحداد، ولقد قام هؤلاء الناس الذين يشكلون المدن والنومات التي تتكون منها الأقاليم، قاموا بناءًا على طلب من السلطات في منف بتوفير هذا الكم الهائل من المواد الذي تطلبته عملية تحنيط الحيوان المقدس (من فضة، ذهب، كتان ملكي، نبات المر، أحجار كريمة، وجميع أنواع «الاشياء الجيدة»)، ولم يكن قمبيز (Cambyses) غافلاً أيضًا أنه حين عودته إلى منف، كانت الاحتفالات بـ«تجلي» أبيس لا تزال مستمرة، والتي وفقًا لهيرودوت (Herodotus) ، «كان يرتدي فيها المصريون أفضل ثيابهم»، وفي النهاية توضح الرواية التي قدمها هيرودوت (Herodotus) - والتي يقارن فيها بين سياسة قمبيز (Cambyses) في مصر مع سياسة خليفته دارا - أن السياسة المصرية لقمبيز (Cambyses) تمثل ابتعادًا قويًا عن سياسة والده قورش (Cyrus) في البلاد التي غزاها، ولكونه غير قادر على عرض تفسير سياسي، لم يكن أمام هيرودوت (Herodotus) أي خيار آخر سوى العودة إلى موضوع «جنون» قمبيز (Cambyses) ، ولقد أبدى المؤرخون الأكثر المعاصرين تحفظًا أكبر من ذلك .

ولا يمكن إنكار العديد من الأمور المنسوبة إلى الفرس، ولكنها ليست بالضرورة بنفس الاهمية التي يعطيها إياها المؤلفين القداماء، إن رجلاً مثل أدجاهورسنت (Udjahorresnet) (والذي سيناقش أمره فيما بعد باختصار) تحدث بنفسه عن «الاضطرابات التي حدثت في هذا النوم «سيس» (Sais) عند اندلاع الاضطرابات الكبرى في جميع أنحاء مصر»، وتمجيدًا لأفعاله الحسنة كتب قائلاً: «لقد قمت بإنقاذ سكان مدينتى (مدينة سايس) من المشكلات التي حدثت على أرض مصر، ولم يحدث مثلها في العالم بأسره من قبل»، وتتزامن هذه الاضطرابات مع استقرار «الأجانب» في مصر، مما أدى إلى ظهور حالة مؤقتة من الفوضى، ولم يقتصر الاضطراب على الدلتا، حيث إن تدمير المعابد المصرية مسجل أيضًا عند الحدود الجنوبية في فيلة، ويمكننا أن نتخيل حالات الغضب الأخرى ضد السلع والأشخاص، والتي تسببت فيها القوات الفارسية، ولكن ومن الخطأ أن نرى هذا الأمر على أساس أنه عرض لسياسة مناهضة لمصر مدعومة من قبل قمبيز (Cambyses) ، فهي -وبكل بساطة- عبارة عن حق خاص للمنتصر، دعونا نلاحظ أن إرسال الكنوز إلى فارس (بما فيها ثروات بعض المعابد المحددة) لم يكن شيئًا غريبًا، فهذا ما قام به قورش (Cyrus) بالفعل مع إكباتانا وسارديس (Sardis) .

وعلاوة على ذلك، يمكن إعادة تفسير قيام قمبيز (Cambyses) بقتل أبيس في ضوء الاكتشافات التي تمت في سيرابيوم في منف، حيث كانت تدفن أجساد العجول المقدسة أبيس المحنطة داخل نواويس، ولقد تم اكتشاف النقش الذي يحمل رثاء العجل المقدس أبيس التي دفن في عهد قمبيز (Cambyses) في عام (524)، حيث يرتدى الملك ثياب المصريين، وعلى ركبتيه يوجد «حورس» ملك مصر العليا والسفلى، وينص النقش على: «العام السادس، الشهرالثالث من فصل شيمو، اليوم العاشر، تحت حكم ملك مصر العليا والسفلى، والذي تم منحه الحياة الأبدية،

لقد تم إحضار الإله في سلام نحو الغرب، ودفن في مقبرته التي شيدها لـه جلالتـه، وذلك بعد أن تم الانتهاء من جميع المراسم داخل قاعة التحنيط، والتي تم إجرائهـا وفقًا لما أمر به جلالته» (Posener.3) .

ويتحدث النقش على التابوت الحجرى عن دور قمبيـز (Cambyses) في تلـك الأحداث: «قمبيـز (Cambyses) ، ملـك مصر العليـا والسـفلى، قـام بصـنع تـابوت حجرى كبير من الجرانيت كنصب لأبيه أبـيس-أوزيـريس، ولقـد خصصـه لـه الملـك الذي تم منحه الحياة الا بدية، وتم منحه أيضًا كل الـدوام والازدهـار، كـل الصحة والسعادة، والذي سيبقى للأبد ملك مصر العليا والسفلى».

ولا يمكـن إنكـار النتيجـة، فقـد سـجل هـيرودوت (Herodotus) معلومـات متناثرة -باستثناء مقتل أبيس- حيث اشترك قمبيز (Cambyses) في تحنيط ومراسم دفن أبيس، واتبع تنظيمات الاحتفالات المعروفة جيدًا خاصة في عهـد فراعنـة أسرة سايتي، وتوضح النقوش أيضًا أن بمقدوره «كملك لمصر العليا والسفلى»، كـابن رع - باختصار- كفرعون أن يقوم بقيادة الاحتفالات الجنائزيـة، ومـن هنـا تظهـر صـورة قمبيـز (Cambyses) بشـكل مختلـف تمامًـا عـن الصـورة التـي رغـب أن ينقلهـا هيرودوت (Herodotus) ، حيث كان قمبيز (Cambyses) هو الفاتح الذي يسعى إلى أن يحل محله في المناسك والطقوس المصرية، وكـان الملـك الأخمينـي يرغـب في الالتزام -بوصفه فرعون- بالممارسات والمعتقدات التي تم نقشها في سجلات التاريخ المصري الطويل، ولقـد وجـد التأكيـد عـلى ذلـك في نقـش الخـتم المصري للفرعـون الجديد: «ملك مصر العليا والسـفلى، قمبيـز (Cambyses) ، المحبـوب مـن الآلهـة واجيت (Wajet) ، ملكة مدينة إميت، عين الشمس العظيمة، ملكة السماء، سـيدة الآلهة، التي منحت لها الحياة كما منحت إلى الشمس».

أودجاهورسنت (Udjahorresnet) وقمبيز (Cambyses) :

يمكن استنباط الاستنتاجات نفسها من تحليل نص هيروغليفى معـروف جـدًّا، وهو النقوش الموجودة على أحـد التماثيـل الصـغيرة والتـي تظهـر أودجاهورسـنت (Udjahorresnet) يحمل شيء مقدس صغير، وربما كان يقصد من وراء نحت هذا التمثال والنقوش الموجودة عليه والذي من المحتمـل أنـه قـد تـم وضـعه في معبـد أوزيريس في سيس ضمان الحصول على عـلى الإحسـان الإلهـي في الآخـرة للشـخص الذي تمّ تمثيله كما يتضح في المناشدة النهائيـة للآلهـة، الـذين طلـب مـنهم «تـذكر جميع الأعمال الجديرة بالتقدير»، ولقـد كـان يـراد مـن ورائـه أيضًـا حفـظ ذكـراه وأفعالـه للأجيـال القادمـة مـن الحجـاج، ولا داعـي لـذكر أنـه نتيجـة لكـون هـذه النصوص تمثل سيرة ذاتية فإن هذا يدعو المؤرخ إلى تناولها بشكل ناقض.

ولقـد قـدم أودجاهورسـنت (Udjahorresnet) نفسـه كمحسـنًا: فقـد أعـاد الرونق والفخامة إلى معبد نيث في سـيس، وكـان «رجـلاً صـالحًا» في مدينـة سـايس الطيبة، «ولقد دافع عن الضعفاء، وكان ابنًا وأخًا، وأغدق الهدايا والعطايا عـلى مـن حوله»، ومن جهة أخرى، كان حريصًا جدًّا على التحدث عـن الطريقـة التـي انتقـل فيها من خدمة أماسيس (Amasis) وبسماتيك الثالث لخدمة قمبيز (Cambyses) ثم دارا (Darius) ، وبغض النظر عما حدث، فلا شك أنه اتجه إلى السلطة الجديـدة، فلقد منحه كل من أماسيس (Amasis) وبسـماتيك وقمبيـز (Cambyses) الألقـاب، وهو يصور نفسه على أنه كان رجل قريب جدًّا من كل الملـوك، فقـد أعطـونى الحـلى الذهبية والأشياء القيمة».

وكرس أودجاهورسنت (Udjahorresnet) حياته لخدمـة المملكـة المصرية، ويشير إلى الغزو الفارسي عـلى أسـاس أنـه تسـبب في مشـكلة كبـيرة، لـيس فقـط داخـل سـيس، وإنمـا في مصر كلهـا، وتسـمح هـذه

الإشارة له أولاً بالتركيز على الراحة التي جلبها لمعبد نيث، ولأسرته ولأهل سيس بوجه عام، ومع ذلك، وضمن هذا السياق، فلقد أسس علاقة خاصة مع قمبيز (Cambyses) ، وقد ذهب للملك ليشتكى من وجود جنود أخمينيين (أجانب) في معبد نيث، وقد أمر الملك بإبعاد هؤلاء الجنود، وتطهير المعبد، ومن خلال هذا النص، يعتبر قمبيز (Cambyses) كمستعيدًا للنظام: وتستخدم التعبيرات مثل: «كما كان من قبل»، «كما سيفعل أي ملك»، «أو كما سيفعل أي ملك محسن»، «أو كما فعل أي ملك سابق»، عدة مرات، ولقد أعاد قمبيز (Cambyses) الأراضي إلى الإلهة نيث، وبهذه الطريقة، أحل أودجاهورسنت (Udjahorresnet) الملك من أية مسؤولية عن جميع الفظائع التي تم إرتكابها، وتمت إضافة قمبيز (Cambyses) إلى سلسلة طويلة من «الملوك المحسنين» الذين اهتموا بالمعابد والشعائر، وذهب بنفسه إلى سايس أمام الآلهة، قدم القرابين - مثلما يفعل أي ملك- وسكب الخمر كقربان إلى سيد الخلود الإله أوزوريس في معبد نيث، مثلما يفعل أي ملك سابق .

ولقد اعتبر أودجاهورسنت (Udjahorresnet) قمبيز (Cambyses) فرعونًا، وأطلق عليه المصريون اسم ملك مصر العليا والسفلى وهو اللقب نفسه الذي حمله في نقوش سيربيوم، وفي الواقع، قد لعب انتصار قمبيز (Cambyses) دورًا مزدوجًا، فهو «ملك عظيم للبلدان الأجنبية»، ولكن منذ ان امتلك الأرض بأكملها، أصبح الحاكم العظيم لمصر، والملك الأكبر للبلدان الأجنبية»، ومن خلال علاقاته الحميمة مع الآلهة، حصل قمبيز (Cambyses) على مكانة الفرعون؛ وهكذا تم وضع الاسس الايديولوجية، التي قام عليها التعاون بين قمبيز (Cambyses) (دارا (Darius) فيما بعد) وأودجاهورسنت (Udjahorresnet) ، ومن وجهة النظر هذه، فإن التصريحات المصرية لا تتوافق مع أسطوانة قورش (Cyrus): مثلما أصبح قورش (Cyrus) بابليًا في بابل، فقد أصبح

قمبيز (Cambyses) مصريًا في مصر، حيث تمنى المصريون التعاون مع السلطة الجديدة، وولقد كانت هذه هي أفضل طريقة لكل منهما للظهور بمظهرالفاتح الذي يراعي شعور الآخرين، والذي ينحنى عن طيب خاطر أمام التقاليد السياسية- الدينية للبلد التي يقوم بغزوها، فهو بمثابة الرضوخ للاستمرارية المصرية والبابلية من أجل التأكيد على الانقطاع الأخميني .

وبلا شك، فقد قام قمبيز (Cambyses) بتحديد هذه السياسة بنفسه، وقد ذكر أودجاهورسنت (Udjahorresnet) أنه قام بصياغة هذه الألقاب الملكية- أي- «ملك مصر العليا والسفلى» بأمر من العاهل، ولكن يبدو أن الدعاية الفارسية قد واجهت صعوبات أكبر لإضفاء الشرعية على سلطة قمبيز قى مصر، ويعدد هيرودوت (Herodotus) أنه من بين الجرائم «التي تنم عن عدم الورع» والتي ارتكبها قمبيز (Cambyses) في سيس إنتهاك حرمة قبر أماسيس (Amasis) : «فقد أصدر الأوامر بنبش المقبرة وإستخراج جسد أماسيس (Amasis) ، ثم أمر بعد ذلك بأن تُعامل بمنتهى المهانة مثل، ضربها بالسياط، ثقبها بالمهمازات، إقتلاع الشعر منها، ثم أمر بإحراقها، وهذا يعتبر أبشع شيء حدث»، وللوهلة الأولى يبدو هذا السلوك عكس نيته بالتعبير عن رغبته في التصرف كوريث شرعي للفراعنة، وتوجد دلائل أخرى تخبرنا عن رغبته في ربط نفسه مباشرة بالفرعون هوفرا (أبرييس Apries) ، الذي تخلص منه أماسيس (Amasis) من أجل الاستيلاء على السلطة، وهذا أيضًا هومضمون إحدى القصص عن قمبيز (Cambyses) التي يتم وصفه فيها كإبن لقورش (Cyrus) ، وإبنة لأبريس Apries ، ولقد سقط أماسيس (Amasis) ضحية العهد الفارسي .

التعاون والمقاومة:

يتوجب علينا أن نتحرى عن أصل هذه الصورة التي قدم بها هيرودوت (Herodotus) سياسة قمبيز (Cambyses) ، وإن كان مناقضًا للحقائق والتصريحات التي قدمها أودجاهورسنت (Udjahorresnet) لهذه

الدرجة، فإن سبب ذلك يرجع إلى أنه وخلال تقصيه للروايات عن الغزو الفارسي أثناء زيارته لمصر بعد مرور جيلين على هذا الغزو، قابل ذلك المؤرخ أشخاصًا كانوا معاديين لذكرى فاتح مصر، والآن وفي زمن هيرودوت (Herodotus) فإن العلاقات بين المصريين والفرس كانت متوترة وصعبة، وثار المصريون عدة مرات بعد عام (525)، وهذا هو السياق الذي تزيد معه الأساطير والقصص الشعبية التي وصفت قمبيز (Cambyses) كفاتح متوحش ودموى، ولا بد أن نضيف إلى ذلك أن هيرودوت (Herodotus) قام بجمع المعلومات والآراء أيضًا من الجانب الفارسي المعادي لقمبيز (Cambyses) .

ومع ذلك، فإنه من المبالغ فيه ومن المضلل أن نقترح تعميم رأي وسلوك أودجاهورسنت (Udjahorresnet) ، حيث إن كون الدعاية «التي تضفى الشرعية» على قمبيز (Cambyses) كانت محددة وذكية هذا شيء، وكونها أثارت تعاطفًا وتأييدًا كاملاً هو أمر مختلف، فلقد كان ولاء أودجاهورسنت (Udjahorresnet) مشروطًا، فلم يكن يستطيع الاعتراف بسلطة قمبيز (Cambyses) بدون أن يتبنى قمبيز (Cambyses) نفسه القواعد والتقاليد الملكية الفرعونية .

وعلاوة على ذلك، تقترح العديد من المؤشرات أنه لم يكن كل المصريين على أتم استعداد للاستسلام إلى الملك الفارسي، ويصف هيرودوت (Herodotus) العقاب الذين الذي أنزله قمبيز (Cambyses) بالمصريين لقتلهم رسوله الذي أرسله إلى منف: 2000 شاب مصري، «كممت أفواههم، ولفت الحبال حول أعناقهم»، وتمت إقتيادهم إلى الإعدام، وقد قرر الملك أنه بالنسبة إلى كل رجل تم ذبحه من قبل المصريين، يجب أن يموت عشر رجال مصريين من النبلاء في المقابل»، ولايقل تنظيم ذلك المشهد تميزًا وأهمية عن الاعدام نفسه: حيث يعرض المدان أمام الفرعون المهزوم المحاط بآباء الضحايا، ولأن

هيرودوت (Herodotus) كان حريصًا على التأكيد على الكرامة والاباء الـذي أبـداه بسماتيك (Psammetichus) ، فلقد صرح بأن فرعون ظـل مـتجهمًا كـالحجر عنـد رؤيته لإبنه، وذلك على العكس مـن المحيطـين بـه، الـذي إنهـاروا مـن الأسى عليـه، وبالمثل، وقبل عدة دقائق، فإن بسـماتيك (Psammetichus) لم يقـل شـيئًا عنـدما ظهرت ابنته أمامه وهي ترتـدى ملابـس العبيـد وهـي وبعـض السـيدات النبـيلات الأخريات وبهذه الطريقة عبر فرعون عن رفضه الخضوع للسلطة الجديدة .

وبالفعـل، سـجل هـيرودوت (Herodotus) أن قمبيـز (Cambyses) «شـعر بالشفقة» وأمر بالابقاء على حياة ابـن بسـماتيك (Psammetichus) ، وفي الواقـع، فلقد كان أول مـن أحضر ليـتم إعدامـه! مضـيفًا أن بسـماتيك (Psammetichus) عـاش في الـبلاط الملـكي منـذ هـذا الوقـت، وكـان يعامـل معاملـة جيـدة، ويعتقـد هيرودوت أنه «لولا أنه أراد ألا يسيء للملك الذي أحسـن إليـه، لكـان قـد اسـتعاد مصر وحكمها»، وفسر هيرودوت (Herodotus) سـلوك قمبيـز (Cambyses) مـن خلال ملوك الفرس، «الذين يعتادون معاملة أبنـاء الملـوك بشرف»، ولكـن الـنماذج المصرية التي ذكرها هيرودوت (Herodotus) لم تكن مقنعة، وبالنسبة إلى السلوك الذي نسبه لملوك فارس، فلقد أشـار إليـه إيسـوقراط Isocrates الـذي يقـول «إن الملوك -كقاعدة- لا يتصالحون مع من يثورون ضدهم، إلا بعد أن يقوموا بأسرهم»، ومـن الواضـح أن قمبيـز (Cambyses) لم يفكـر أبـدًا في إعـادة حكـم مصر إلى بسماتيك (Psammetichus) ، ويجب التأكيد بالإضافة إلى ذلك عـلى أن بسـماتيك (Psammetichus) لم يكتفى فقط بالتآمر: «فلقد تم ضبطه متلبسًـا وهـو يحـرض المصريين على الثورة، وعندما اكتشف قمبيز (Cambyses) أمـره، أجـبره عـلى شرب دم الثور ومات على الفور، وكانت هذه هي نهايته!»، وهكذا يبدو مـن الواضـح أن فرعون مصر لم يقبل أبدًا بالاعتراف بشرعية الشخص الذي زعم أنه خليفته .

وهناك طائفة أخرى من المجتمع المصري والتي تربطها هي الأخرى علاقات قوية بطبقة النبلاء المصريين والتي كان عندها أسباب وجيهة تجعلها غير راضية عن أنشطة قمبيز (Cambyses) وهي المسؤولين عن المعابد المصرية، ومن الصحيح أن أودجاهورسنت (Udjahorresnet) قد أكد على أنه بناءً على طلبه، قام الفرعون الجديد بإعادة إيرادات الأراضي الزراعية إلى الإلهة -كما كان الأمر في السابق- ولكن هذا التمجيد لمدى تقوى وورع الفرعون الجديد نحو معبد نيث في سيس، لا بد أن يوضع ضمن سياق البيان الذي يركز أساسًا على مقدار المنافع التي حصلت عليها سيس من التعاون بين أودجاهورسنت (Udjahorresnet) وقمبيز (Cambyses) ، ويبدو أنه لم تكن كل المعابد راضية عن سياسة قمبيز (Cambyses) ، وفي عهد قمبيز (Cambyses) إختفت البلاطات الحجرية التي تشير إلى الكرم الملكي نحو المعابد والتي كانت موجودة بكثرة قبل عام (525)، وترتبط هذه الملاحظة بالمرسوم الملكي الذي نسب إلى قمبيز (Cambyses) ، والنص الذي لسوء الحظ يعد صعبًا في القراءة يوجد على الصفحة اليسرى لأحد الوثائق الديموطيقية الموجودة في التواريخ الديموطيقية، واتهم قمبيز (Cambyses) بوضع قيود صارمة على إيرادات المعابد المصرية من النوع الذي كانت تجمعه المعابد المصرية في عهد أماسيس (Amasis) ، وذلك باستثناء ثلاثة معابد فقط .

وتوجد العديد من النقاط الغامضة حول مدى وأهداف تلك الاجراءات التي إتخذها قمبيز؛ ويقارن المؤرخون بين سلوك قمبيز (Cambyses) وسلوك دارا (Darius) ، الذي جمع التقاليد التشريعية المصرية، ومن بينها تلك التقاليد التي تتعلق بـ«حقوق المعابد»، دعونا نتذكر أن مشكلة العلاقة بين المعابد والملك كانت من المشاكل الملحة التي استمرت على مدى التاريخ المصري، حيث حاول الفراعنة في آن واحد الاعتراف بحقوق المعابد وفي نفس الوقت وضع حد لسلطتها

المالية، وتعتبر هدايا الأرض للمعابد ذات صلة بذلك: إن الفرعون الذي احتفظ بالسلطة العليا قام بتطوير سياسة «نهدف إلى إثراء المعابد بدرجة أقل مما تهدف لتنشيط الاقتصاد التي تعد هي مركزه»، ولم يختلف سلوك فراعنة أسرة سايتي كثيرًا بدرجة كبيرة فيما يتعلق بهذا الموضوع، وفي هذا المجال ربما يبدو وصف الانقطاع الذي قدمه قمبيز أكثر وضوحًا من كونه حقيقى، ولتقييمه لا بد من وضع هذا الاجراء في إطار دراسة لإدارة الجزية في مصر، وهي مهمة صعبة نظرًا لندرة الوثائق، وعلاوة على ذلك، يشهد الإشارات المتلاقية على زيادة حجم الجزية في عهده، ومن المؤكد أنه حتى المعابد المصرية لم تنجو من هذه الجزية .

ومن المحتمل أن هذه الصورة السلبية عن قمبيز (Cambyses) ترجع جزئيًا إلى لحظة الفتح وإلى التنظيم الإداري لمصر، وبناءً على هذه الفرضية، قد نعتقد أن الاجراءات المالية التي فرضها بها قمبيز (Cambyses) تعد انتقامًا من المعابد التي لم تكن تميل إلى إضفاء الشرعية على تلك السلطة الأجنبية، ومهما كان الأمر، فلا يجب اعتبار القرارات الملكية بمثابة تناقض للسياسة العامة التي إتبعها تجاه المصريين، وبالنسبة إلى المعابد المصرية القوية، لم يستطع الفرعون الجديد إتباع سياسة الكرم غير المحدود معها، فيجب عليه أن يسيطر عليها والا سيواجه خطر قصر عمر الفتح، والأمر نفسه يطبق في بابل، حيث يتماشى الولاء لقورش (Cyrus) وقمبيز (Cambyses) مع الضغط المالي المتزايد (ص73)، ولم تكن فقط السلطة المالية للفرعون الجديد هي التي في خطر، وإنما أيضًا حقيقة سلطته، والتي تعتبر حديثة للغاية وهشة ومهددة من قبل المعارضة، وربما هذا هو سبب تحول مصر إلى مرزبانية والتي عهد قمبيز (Cambyses) بإداراتها قبل رحيله إلى أرياندیس (Aryandes) الفارسي .

وعلى إثر أخبار وردت إليه عن إندلاع تمرد في فارس، ترك قمبيز

(Cambyses) مصر مسرعًا في ربيع عام (522)، وأثناء عبوره سوريا جرح في فخـذه وأصابته الغرغرينا، وتوفي ابن قورش (Cyrus) في أوائل صـيف عـام (522)، ولا بـد من التوقف برهة قصيرة كي نستطيع رسم الموازنة العامـة للفتوحـات قبـل العـودة مرة أخرى للحديث المطول عن الأحداث التي وقعت في عام 522.

الفصل الثاني

الفتح وما بعده ملخص مؤقت

1- من قورش Cyrus حتى دارا Darius :

المصادر والمشكلات المتعلقة بها:

بمجرد وفاة قمبيز Cambyses عام 522، كانت هناك مقاطعات كثيرة تم فتحها -خلال فترة امتدت إلى ثلاثين عامًا- السلالة الحاكمة لـ Achanmeid ، والتي كانت تحكم مقاطعة صغيرة في الجنوب من زاجروس Zagros عام 550، قد استولت على كل مملكة إمبراطورية تقع في نطاق الشرق الأدنى أو آسيا الصغرى، هذا، وقد امتدت حدودها من سيرانيسا إلى هندوكوش، ومن ساردراي حتى الخليج الفارسي، كما أن البناءات أو التركيبات السياسية الأساسية قد تم تفكيكها بصورة رسمية، والأدوار التي كانوا يقومون بها اختفت تمامًا، أو قام بها الغزاة الذين استولوا على تلك البلاد. ومن وجهة النظر هذه فقط، تصبح فترات حكم كل من قورش Cyrus وقمبيز Cambyses هي أفضل فترات تاريخ الشرق الأدنى، ولأول مرة، فهي دولة تم تأسيسها من أجل غرض واحد فقط، والأكثر من ذلك أن هذه الدولة قد تم بناؤها ليس فقط على أساس أن تكون ممتلكات واسعة، فقد كان لها منفذ واسع النطاق إلى البحر عن طريق الخليج الفارسي أيضًا، والبحر المتوسط وكذلك البحر الأسود، وفي

عهد قمبيز Cambyses ، شهدت الدولة تعاظم القوى البحرية لها والتي سمحت لها بالتحكم في خطوط ملاحية وبحرية واسعة النطاق، وهذا في حد ذاته يعد متضاربًا مع الوضع الجغرافي السياسي الذي كان سائدًا في منتصف القرن السادس .

وعلى نحو تقليدي، فإن العمل التنظيمي ينسب بصورة حصرية إلى «دارا» Darius ، ولكن لا يوجد سبب أولي لكي نفرق بصورة حادة بين فترة الفتوحات العسكرية (وتتمثل في قورش Cyrus وقمبيز Cambyses) وفترة العمل التنظيمي والتي تتمثل (في دارا Darius)، ومن الملاحظ أنه لا يستطيع شخص أن يحرم «دارا Darius » من شهرته البارزة في هذه المنطقة، وعلى الرغم من ذلك، يجب أيضًا أن نعرف أن «دارا Darius » ووزراءه قد أقاموا مجدهم على أسس موجودة من قبل، والتي انبثقت من التقاليد المحلية، ومن التكييفات الأولية التي قام بها كل من «قورش Cyrus وقمبيز Cambyses »، بمعنى أنه يجب أن نقر ونعترف أننا لا نمتلك الوثائق الكافية على تأكيد ذلك، والتي قد تكون متاحة من عهد «دارا Darius »، والمصادر الكلاسيكية التي تتميز بموضوع «الملك قورش Cyrus الخير» تقدم لنا مساعدات محدودة في هذا الشأن، هذه الملاحظة تبقى حقيقية خاصة بالنسبة لزينوفون Xenophon الذي في كتابه «سيزوبريا» يولي بطله دورًا رئيسًا في تنظيم الإمبراطورية: قورش Cyrus ، بأنه فاتح ليس له مثيل (حتى إن زينوفون Xenophon ينسب إليه فتح مصر)، ومنشأ الجيش الفارسي وفرسانه، وسوف يكون هو الأول بعد فتح «بابل»، الذي يكون له نظرة شاملة للتنظيم الإداري للإمبراطورية التي كانت في هذا التوقيت في طور التكوين، فقد قام بتعيين قضاة المحكمة المركزية (المجلد الثامن 9.1-12)، نظم الماليات (13.1-14) (5.1-6، 17-22) ... الخ .

كل شيء يندرج تحت اسم «قورش Cyrus »، والأمر نفسه يحدث مع تأسيس المزربان (حاكم فارسي تخول له سلطة في فارس القديمة) (المجلد

الثامن 16.6-15) وخدمة المفتشين على هؤلاء الحكام، وكذلك خدمة البريد السريع (المجلد الثامن 6.16-8)، وقد أصر زينوفون Xenophon بصورة متكررة على تحمل القرارات التي كان يتخذها «قورش Cyrus »، فيقول في هذا: «والمؤسسات التي قام بإنشائها قورش Cyrus كوسيلة لتأمين المملكة حتى تصبح سائدة له وللفرس كلهم، وكما ذكرنا من قبل، فإن الملوك الذين تلوا قورش Cyrus حافظوا عليها من دون تغيير إلى يومنا هذا» (المجلد الثامن 7.1)، ولكن لم يكن لأي من هذه التقدمات قيمة زمنية متطورة، فقد قام زينوفون Xenophon ببناء تابلوه منذ قديم الزمن للإمبراطورية الأخمينية « Achaemenid »، وربما نجد دليلاً كافيًا عندما نعقد مقارنة بين كل من «قورش Cyrus الأكبر» في سيروبديا وقورش Cyrus الأصغر في «أنيبسس»، ولكي نكون متأكدين من الأمر، فإن العديد من المؤسسات التي تم ذكرها في الـ«سيروبديا» معروفة، وتؤكد عليها نصوص أخرى، ولكن لا يوجد ما يلزمنا أن ننسبها إلى «قورش Cyrus »، في الحقيقة، فإن الدليل الفارسي المكتوب متفرق ومتناثر بصورة مربكة، «كما أن قورش Cyrus لم يتم ذكره نهائيًّا من جانب دارا Darius ، إلا أن والد قمبيز Cambyses وبارديا Bardiya ودارا Darius ، والذي لم تكن شرعيته كملك فوق مستوى الشبهات، ولم يكن يخشى أن يقول عمن سبقوه إن: «أولئك الذين كانوا ملوكًا سابقين طوال حياتهم التي عاشوها، لم يقوموا بشيء أو إنجاز لصالح أهورا-مازدا Ahuramaza كما فعلت أنا في العام نفسه» (دي بي 50-52)، وسوف نبتعد كثيرًا على أية حال لكي ننسب إلى «دارا Darius » رغبة يبتلى بها مؤسسة الإمبراطورية، وبجانب ذلك نحن نعرف أن ذاكرة «قورش Cyrus » ظلت في ذهن الفرس لفترات طويلة، ومما لا شك فيه أن «قورش Cyrus » كان أحد الرجال العظماء والذي كانت أعماله البطولية مستمرة حتى الأجيال التالية، «قورش Cyrus » والذي لم

يتخيل أي شخص في فارس في أن يفكر في المقارنة نفسه به «كما يقول هيرودوت Herodotus (المجلد 3، 160) يدعى بأنه يقدم نظريات دارا Darius ، وكونه متمنيًا أن يجعل قواه الجديدة المنتصرة شرعية، قام دارا Darius بتخصيص وتكريس كتابات ونقوش الـ« Behistun » لكي يمجدوا ويوقروا إنجازاته، والتي كان ينوي أن يحتفظ بها لكي تحفظ له ذريته وأجياله القادمة، نقوش وكتابات الـ Behistun ليس كتابًا نصيًا يحيي التاريخ الفارسي! وهناك العديد من النسخ لنقوش وكتابات ثلاثية اللغة (باللغة الفارسية القديمة، واللغة الأكادية، واللغة الإيلامية)، وذلك باسم قورش Cyrus ، وكانت موجودة في «باسارجاداي»، وقد كانت قصيرة جدًا: أنا قورش Cyrus الملك من سلالة الأخمينيين Achaementian أو أنا «قورش Cyrus » الملك العظيم من سلالة «الأخمينيين Achaemenion »، ولكن هذه الوثائق يجب أن نستبعدها من مناقشتنا؛ لأن أصولية هذه الوثائق محل خلاف، ولكن من دون إبداء أسباب قوية، فمعظمها مشتقة بالتأكيد من دارا Darius ، والذي تمنى أن ينسب ما قام به من أعمال وما حققه من مكانة تاريخية مهمة إلى نفسه .

ومن ناحية أخرى، يمكننا أن نتجه إلى السجلات الأثرية التي تم اكتشافها في فارس، وكذلك السجلات المكتوبة ذات الأصول غير الفارسية في العديد من الألواح الأكادية تعطينا العديد من الإشارات القيمة، ولكن غير مباشرة حول سيطرة البابليين في فترة مؤسسى هذه الإمبراطورية، والمعلومات التي يتم سياقها من النصوص وعلم دراسة الأيقونات من يهودا ومصر وآسيا الغربية قد يتم الاستفادة بها في مثل هذه الحالة .

وعلى نحو دقيق وبسبب طبيعة الوثائق المتاحة، فإن صورة الإمبراطورية عام 522 لا يمكن أن تكون أكثر من مجرد صورة جزئية، ولكن من المفضل أن نحاول رسمها كاملة؛ وذلك من أجل أن نفهم

بصورة أفضل، وليس فقط من أجل الحصول على تفاصيل لمصلحة البلاد والتـي قـام بوضعها دارا Darius بعد أن تولى مقاليد السلطة، ولكن أيضًا مدى انتشار وقصور التعديلات والتكييفات التي قام بها كـل مـن قـورش Cyrus وقمبيـز Cambyses من أجل تنظيم البلاد التي قاما بإخضاعها لهما.

2- المرزبانية والمرزبانات (الولاية الفارسية وحكامها:

حكام الولايات الفارسية في عهد قورش Cyrus وقمبيز Cambyses :

الـنص الطويـل الـذي خصصـه هـيرودوت Herodotus للمصـلحين الـذين وضعهم دارا Darius بعد انتصاره على منافسيه تبدأ بهذه الجملة: (III 89) تـابع «دارا Darius » في وضع عشرين ولاية فارسـية (ويطلـق عليهـا اسـم «المرزبانيـة» وسوف يكون نوعًا من المجازفة أو المخاطرة لكي تستنتج من هذا النص أن الولايات الفارسية الأولى قـد تـم تأسيسـها في بدايـة عهـد حكـم «دارا Darius » (وهـذا لم يقوله هيرودوت Herodotus بـأي حـال مـن الأحـوال)، مصـطلح «المرزبانيـة» في الحقيقة هو مصطلح يشهد على صحة أن هذه الولايات قد بـدأت في عهـد كـل مـن قورش Cyrus وقمبيز Cambyses في بداية الأمر، هذا ما يوضحه الموقف الحـادث عام 522: في نقوشه، يشـير «دارا Darius » إلى Dadarsi ، وهـي ولايـة فارسـية في باكتريـا (دي-بي 10-19)، و Vivana وهـي ولايـة فارسـية في أركوماسـيا (دي بي 54-64)، ونحن نعلم أيضًا أنه في مثل هذا التـاريخ «هايسـتبس» والـد «دارا Darius »، كان يتقلد منصبًا عسكريًّا مهمًّا في بارسيا (وهي دولـة قديمـة تقـع في آسـيا الصـغرى استولى عليها الفرس بعد غزوها)، ولكنه لم يكن يتـولى أمـور ولايـة فـارس، كـما ذكـر هيرودوت III) Herodotus، III.70) في آسيا الصغرى، كان يطلق على متولي أمور السلطة في الولايات الفارسية «حاكم سارديس» كـما أطلـق عليـه «قـورش Cyrus »

(هيرودوت III.120 Herodotus)، في هذا الوضـع، بخـلاف الأوضـاع الأخـرى، لا يستخدم هـيرودوت Herodotus المصـطلح «مرزبانيـة» ولكـن عـلى أقـل تقـدير المصطلح «هابـاراش»، ومـن خـلال هـذا التعبـير مـن الممكـن أن يشـير هـيرودوت Herodotus إلى مقاطعة في آسيا الصغرى، متضمنة كلاًّ من ليديا وأيونيا (III.127) بعد وفاة قمبيز Cambyses قام «أوروبيتس» حـاكم «سـارديس» بقتـل كـل مـن موتابيتيس وابنـه كارنبسـس، ثـم قـام بإحضـار هيلسـبوبتين تحـت سـلطته، ومـن المعروف أيضًا أن Gubaru قد منحه لقـب حـاكم لكـل مـن إمـارة بابـل وتـرانس إيفرات؛ لذلك فقد كان -نظريًّا- مسؤولاً عن إمارة عظيمة ممتدة الحدود ومترامية الأطراف، والتي تضمنت تقريبًا كل الدول التي كانت في السابق تحت سيطرة ملـك بابل الجديد والتي كانت تمتد من زاجروس حتـى أطـراف نهـر النيـل في إطـار غـير واضح الملامح، يتم ذكره جنبًا إلى جنب مع قاضي القضاة لميـديا، والـذي قـد يـؤدي بالمرء إلى أن يشك في وجود إدارة إمبريالية في «إيكباتانا» بالنسبة لمصر، فقد أمـدها قمبيـز Cambyses بحـاكم هـو «أرانيـدس» الفـارسي (هـيرودوت Herodotus ، المجلد الرابع، 166) .

وربما يمكن أن نفترض أنه بداخل أكثر الولايات الفارسـية امتـدادًا، كـان هنـاك حكام فرعيون، لكننا لا نملك الأدلة القاطعة التـي تجـزم بصـحة ذلـك خـلال هـذه الحقبة من الزمن، ما عدا في بابل ربما خلاف ذلك، فإنه من الواضح تمامًا أن عمليـة نشأة الولايات الفارسية لم تتسبب في إخفاء الوحدات السياسية التي كانت موجودة من قبل بالفعل .

والمدن الإغريقية والفينيقية، وكذلك المدن البابلية قد احتفظت بقدر كبير وجيد مـن استقلاليتها، طالما أنها تنفذ الالتزامات المفروضة عليها، خاصة الالتزامات المالية والعسكرية، الأمـر نفسـه كـان حقيقيًّـا داخـل إقلـيم «يهـودا» داخـل ولايـة بابـل وتـرانس أيفـراتس، ويحـدد «زينوفـون Xenophon » ذلـك قـائلاً، بالإشـارة إلى قـورش Cyrus وسلاشـيا،

أن قورش Cyrus » لم يمكن أبدًا أي فارسي حاكم ليحكم أيًّا مـن كليكيـا أو قـبرص، ولكنه كان دائمًـا راضـيًا عـن أمـرائهم الأصـليين، الجزيـة، التـي كـان يتلقاهـا مـنهم بالفعل، والقوات التي كان يحتاج قورش Cyrus لهـا في أمرهـا، كانـت دائمًـا محـل استجابة من جانب إثراء هاتين الولايتين .

يقول هيرودوت Herodotus أن «كليكيا» لم يتم غزوها من جانب كـدوزس، فقد ظلت محكومـة في عهـد قـورش Cyrus وقمبيـز Cambyses بواسـطة أحـد أفراد السلالة الحاكمة الأصليين والذي تم إعطاؤه لقـب « Seyennessis » والـذي وصفه هيرودوت (Herodotus) بأنـه ملـك «الكليكيـين» (المجلـد الخـامس 118)، وعلى الرغم من غزو «زانيسس Xanthus » بقيادة ميدهاريجيوس، وذلـك بـأوامر مبـاشرة مـن «قـورش Cyrus »، إلا أن كليكيـا ظلـت تحـت حكـم أفـراد السـلالة الحاكمة الأصليين والذين عـلى الـرغم مـن ذلـك ظلـوا مطـالبين بـالاعتراف بـالقوى الفارسية المفروضة عليهم على الأقـل اسـميًّا، هـذا الموقـف لا يفـرض بـالضرورة أن الفرس لم تكن لديهم قاعدة عسكرية هناك، ولكننا لا نستطيع أن نتحقق من هـذا من خلال وثيقة مؤرخة في ذلك الوقت، ولدينا معلومات ضعيفة جدًّا حول الموقف قبل عهد قورش Cyrus داخل كليكيا أو حتى كاريـا حتـى نكـون قـادرين بصـورة عقلانية أن نناقش التعديلات التي تمت كنتيجـة أو رد فعـل للغـزو الفـارسي لهـذه المنطقة .

واجبات ومهام المرزبان:

من الصعب جدًّا تحديد المهام والواجبات الدقيقة والمحددة للمرزبـان، وذلـك في فترة حكم قورش Cyrus وقمبيز Gambyse ، والكلمة الفعلية باللغة الفارسية القديمة تعني «حامي المملكة» (كلمة مرزبان) .

وعمومًا فإن النصوص اليونانية والبابليونية لم تستخدم هذه الكلمة الفارسية القديمة وكانت تفضل استبدالها باستخدام كلمـة «الحـاكم» أو «المحافظ» بدلاً منها، وذلـك بالنسـبة لكـل مقاطعـة أو ولايـة أو إقلـيم

فارسي، وبالتالي فإنها عندما تظهر نجد أنها عمومًا لا تتناسب مع أي معنى محدد بشكل زائد»، وفي «بي هيستون» Behistun ، عندما قام دارا Darius بتسمية اثنين من المرزبانات، وهما «فيفانا» Vivana وذلك في «آراشوسيا» Arachosia ، والثاني هو «رادارسي» Badarsi ، وذلك في «باكتريا» Bactria ، تقوم بوصفهم على أنهم بانداكا Bandaca ، وهو مصطلح فارسي يشير إلى اتصال شخصي وعلاقة شخصية مقربة بين السلطة والأرستقراطيين الفرس (أي تعني كل من هو مقرب من سلطة بلاد الفرس، وذلك من أولئك الأرستقراطيين الموجودين في الطبقة العليا)، والمصطلح في حد ذاته يُشير ضمنيًّا إلى الولاء التام والكامل؛ وذلك للملك من جانب المرزبان، وبمعنى آخر فإن مهمة المرزبان لم تكن بالضرورة مرتبطة بالأرض أو الولاية التي يتولاها هذه المرزبان، بل والأكثر من ذلك، فإن كلمة «مرزبانية» هي كلمة لها ارتباط بالفرس، وذلك كما يشير هيرودوت Herodotus ، ونجدها لا تقع ولا توجد في بي هيستون Behistun ، ونجد أن فيفانا ودادارسي هم من المرزبانات، وذلك في مدينتي أو ولايتي آراشوسيا وباكتريا، حيث يعتبر المرزبان هو الممثل والمندوب الأول والأخير للملك وفي الوقت نفسه، فإن الأمثلة المتاحة من زمن قورش Cyrus وقمبيز Cambyses تُشير إلى أن مرزباناتهم كانوا مسؤولين عن المهام والواجبات، وذلك في أرض أو ولاية محددة .

والمرزبان يتم تعيينه بواسطة الملك، ويجب عليه أن يكون ملتزمًا ومتمسكًا بالأوامر والتعليمات التي يستقبلها وتأتي إليه، وذلك من السلطة المركزية، وقد كان أوروتيس Oroetes بالفعل متمردًا في وقت قمبيز Cambyses (وطبقًا لهيرودوت Herodotus فإن الملك قمبيز Cambyses كان يريد أن يطرده ويعزله من منصبه كمرزبان)، وهو بالفعل وبشكل واضح قد قام باستبدال رغبته في الاستقلال عن المملكة، وذلك عندما قام بقتل رسول دارا Darious .

ويبدو أن الرسول الذي أتى إليه، كان يريد إخباره بالأوامر التي تم إعطاؤها إياه من القصر لتبليغها له، وهذا هو ما تم تأكيده بواسطة القصة (احتمال أن تكون ملفقة)، والتي تحكي عن العلاقات بين قمبيز Cambyses وأخيه بارديا Bardiya والذي تم إعطاؤه إقليمًا عظيمًا، وذلك في شرق إيران بواسطة قورش Cyrus ، وقد قام أحد المقربين من قمبيز Cambyses بنصيحة قمبيز Cambyses بعزل أخيه، وقام بالفعل قمبيز Cambyses بإرسال أمر له بأن يأتي إلى القصر، وهو ما لم يفعله بارديا Bardiya (أخو قمبيز Cambyses) حتى تم عزله والحكم عليه بالموت لعدم طاعته تلك الأوامر الملكية التي تأتي إليه من القصر .

وهناك واحدة من أهم المهام الأساسية الخاصة بالمرزبان وهي ضرورة الاهتمام بالأوامر الملكية وتنفيذها على أكمل وجه، وأيضًا بسط وتوسيع السلطة الفارسية وذلك بالمساعدة في الغزوات، وطبقًا لما كتبه «هيرودوت Herodotus »، فإن أوروتيس Oroetes قد اختلف مع متيروباتس Mitrobates عندما قام الأخير بتوبيخه لأنه لم يستطيع أن يُضيف جزيرة ساموس Samos ضمن ممتلكات الملك، وبعد أن استطاع التغلب على قمبيز Cambyses ، فإن الطاغية بوليكراتيس Polycrates وهو حاكم هذه الجزيرة، قد خطط للاستيلاء على الممتلكات الفارسية في هذا الأقليم، وحاول في الوقت نفسه الحصول على الدعم والتأييد من الأرستقراطيين هناك، والذين لم يكونوا مرتاحين لنظام حكم أو حكومة أوروتيس Oroetes «وطبقًا لهيرودوت Herodotus ، فإن المرزبان قرر أن يضع حدًا ونهاية لسلطان وقوة بوليكراتيس Polycrates ».

ولذلك فقد قام بإرسال مستشاره الأول وهو ليديان ميروسوس Lydian Myrsos وهو «ابن جيجيز Gyges » إلى حاكم الولاية هذا، وقد نجح ميروتوس في إقناع الحاكم بأن يأتي ويزور أوروتيس Oroetes الذي من جانبه ادعى بأنه سوف يكون مُهددًا من قمبيز Cambyses ، وفي ظل

هذه الظروف نجد أن أوروتيس Oroetes قد قام بقتل بـوليكراتيس Polycrates ، وبالتـالي فـإن مينـدوريس Maeandrus قـد نجـح وتغلـب عـلى بـوليكراتيس Polycrates ، وبالرغم من أن ذلـك لا يعنـي الخضـوع للسـلطات الفارسـية، إلا أن موت الطاغية بوليكراتيس Polycrates يعتبر في حد ذاته محاولة مـن المرزبـان في إمداد وتوسيع أراضي وممتلكات الملك».

والمهمة العسكرية الخاصة بالمرزبان واضحة، وذلك من خلال الدور الذي لعبه كل من داداريس Dadaris وفيفانا Vivana وذلك في عـامي 521، 522، وذلـك في شمال وجنوب إيران بشكل خاص، ولهذه المهام كان المرزبان بالتحديـد قـادرًا عـلى حكم وإيجاد جيش قوي .

ونحن نعرف أن أوروتيس Oroetes كان رجلاً قادرًا ومسـيطرًا؛ وذلـك لكونـه حـاكمًا لفرجينيـا Phrygin وليـديا Lydia وأيونيـا Ionia ، ولديـه الآلاف مـن الفرسان حوله يقومون بدعمه وحمايته، وبالتالي فقد كان قادرًا عـلى جـذب بعـض الأشخاص من الممالك والولايات التي يتم هزيمتها والتغلب عليهـا»، ومـن المحتمـل أيضًـا أن نظـام تخصـيص الأرض في الولايـات التـي يـتم هزيمتهـا يكـون للعـائلات الفارسـية وهـو الشيء الـذي بـدأ أثنـاء فـترات حُكـم قـورش Cyrus وقمبيـز Cambyses ، وهذا هو ما ذكره زينوفون Xenophon عنـدما قـال «في السـنوات الماضية، كانت هناك عادة قومية تقول بأن أولئك الذين يتملكون الأراضي يجب أن يقوموا بالعمل فيها، وهي من ممتلكاتهم، وتلك الأراضي التي يتم الاستيلاء عليها في الحروب أيضًا يتم توزيعها على من يعمل ويستحق».

وبدلاً من منح الأراضي لبعض الناس، فإن نبلاء فـارس كـان علـيهم أن يقـودوا الفرق الحربية وذلك إذا طلب منهم المرزبان ذلك».

والمرزبان أيضًا يجـب أن يقـوم بـالاعتماد عـلى الحاميـات العسـكرية الفارسية، بالإضافة إلى ما سبق، وتُكَوِن مهمـة هـذه الحاميـات العسـكرية

المساعدة في صد أي هجوم أو الحرب على أية مملكة أو إقليم مجاور، وقد كانت الحامية الفارسية مركزة في بابليون Babylion ، ويبدو أنه من الممكن إعادة بناء قلعة الكانداهار القديمة» أو ما نطلق عليها Old Kandahar والتي يرجع تاريخها إلى نظام حكم قورش Cyrus .

وفي مصر، كانت الحامية العسكرية لـ«فيلة Elephantine قد استمرت كما في الماضي في حراسة وتأمين الجبهة الجنوبية للدولة، وذلك في الكاتاراكت الأول Cataract ، وحامية أخرى تقوم بمراقبة الحائط الأبيض من ممفيس Memphis وهناك بعض الحاميات العسكرية الأخرى التي كانت في ميجدول Migdol (وهي بالقرب من البلسيوم Pelasium في الدلتا)، ومواقع أخرى في الدلتا، وقال هيرودوت Herodotus أيضًا أنه كانت هناك حاميات عسكرية في ماريا Marea وذلك لمراقبة ليبيا، ويبدو أنه من المحتمل أن يكون منح الأرض لضباط الحامية العسكرية خصوصًا تلك الموجودة في فيلة Elephant قد تمت وراثتها بواسطة الفرس، وذلك من السايتس Saites .

وننتقل إلى آسيا مينور، حيث يُعرف أن هناك قلعة ساردیس Sardis والتي تم نفي كروسوس Croesus إليها، وتمت محاصرتها بواسطة قوات قورش (Cyrus) وقد كانت القلعة واقعة على ارتفاع شاهق وهو الشيء الذي أكده معظم الكُتاب القدماء، وذلك بداية من هيرودوت Herodotus ، وحتى بوليبوس Polybius ، وعملية أخذ والاستيلاء على القلاع الموجودة بالفعل نجده أمامنا بواسطة زينوفون Xenophon ، وذلك باعتباره واحدًا من أهداف قورش، ومن أجل تحقيق انتصاراته وكان يقوم بفعل ذلك في الأقاليم العديدة في آسيا مينور Asia Minor ، وبشكل مُحدد في كاريا Caria وفي فيرجيا Phrygia ، حيث كان يقوم قادته بوضع الوحدات والحاميات العسكرية في القلاع الواسعة التي كان يتم تدعيمها وتقويتها بواسطة الكارين Carians والفرجيين».

وأخيراً، فإن حكاية الكفاح الـذي كـان مـن عـام 520 حتـى 522 قـد سـجل في مخطوطـة بيهيسـتون Behistun والتـي تحـدثت عـن وجـود القـلاع العظيمـة في الدولة الإيرانية مثل قلعة سيكايوفاتيس Sikayauvatis وذلك في ميـديا Media ، وأيضًا قلعتي تيجارا Tigara وأوياما Uyama في أرمينيا Armenia وغيرها.

والتنظيم الداخلي لهذه الأقاليم والمقاطعات لا يُعرف عنه الكثير، ونحن نعرف حول وجود حارس الخزانـة وأمينهـا الـذي يُطلـق عليـه ميثراداتـا Mithradata في بابليون في وقت قورش (Cyrus) ، ولكنه كان ملكيًا أي حارسًا تابعًا للملكة، ولـيس حارسًا تابعًا للمرزبانيـة، ونحـن نعـرف أن هنـاك سـكرتارية ملكيـة مـع أوروتـيس Oroetes ، وبشكل واضح تكون مسؤولة عن استبدال وتبادل السُعاة والرُسـل مـع المحكمة المركزية، وفي هذا الإطار، نجد مثالاً واضحًا جدًّا، وهو عملية إدارة جوبارو Gubaru ، والذي يوضح أن المرزبان قد قام بعملية تبادل ليس فقط مـع السـلطة المركزية (والتبادل يعني إرسال الرُسل والسُعاة بينه وبـين السـلطة المركزيـة، وأيضًـا مع مسـؤولي ومـوظفي الأقـاليم الأخـرى، وبالتـالي يكـون تحـت إمـرة الملـك هيئـة استشاريه أو مجلس استشاري يكون مؤلفًا من عـدد كبـير مـن السـكرتارية)، ومـع وضع هذا في الاعتبار، فنحن نستطيع بالتأكيد افتراض أنه بدايـة مـن هـذه الفـترة، نجد أن الأرشيف كان موجودًا في كل عاصمة خاصًا بكل مرزبان، وكان منظمًا طبقًـا للتعليمات وطبقًا للتقاليد المحلية لكل دولة أو قُطر مهزوم».

وبعد انتصاره، قـام قـورش (Cyrus) بإلقـاء مسـؤولية حراسـة وتـأمين قلعـة ساردیس Sardis إلى رجل أو قائد فـارسي يُـدعى تابـالوس Tabalus ، ومـن ثـم يبدو أن تابـالوس كـان مسـؤولاً بشـكل مُبـاشر عـن الملـك ولـيس عـن المـرزبان، ودعونـا فــي هــذا الصــدد نقــوم باستعــادة مــا قــام زينوفـون Xenophon بكتابتـه حـول المقـاييس التـي هـي منسـوبة لقـورش (Cyrus) ، حيـث يقـول

زينوفون Xenophon أن كل الحاميات العسكرية التي تحت قيادة الملك قد تم الحفاظ عليها وحمايتها».

وطبقًا لزينوفون Xenophon فإن الملك يعتبر هذا الإجراء بمثابة احتياط ضد وفي مواجهة أية محاولة تمرد، وذلك بواسطة المرزبان، وفي الوقت نفسه يبدو واضحًا بشكل عام أن قادة القلعة أيضًا يكون عليهم التصرف باعتبارهم تابعين للمرزبان على أساس الأوامر التي يقوم بتنفيذها، والتي تأتيه من الملك (وهذا يعني أنه في حالة مخالفته لأي من أوامر الملك، فإن هذه الحامية العسكرية لن تكون في صفه وإنما في صف الملك) .

3 - الهدايا (الهبات) والجزية:

الإيرادات والإدارة المالية:

وبعد ذكر الأقاليم العشرين (أي العشرون مرزبانية أو العشرين ولاية فارسية) والتي تم تنظيمها بواسطة دارا Darius نجد أن هيرودوت Herodotus في هذا الصدد يقول: «إن دارا Darius جعل لكل ولاية ضرائبها، حيث إنه في ظل حكم قورش (Cyrus) وقمبيز (Cambysis) لم تكن هناك جزية محددة، وذلك على الإطلاق، حيث كانت الإيرادات تأتي فقط من الهدايا أو الهبات «ونحن سوف نرجع لاحقًا إلى القدر والمدى الخاص بالتعديلات الخاصة بنظام الجزية والذي قام دارا Darius بعمله وإنشائه»، ولكن عند هذا الحد، نجد أنه من المفيد أن يتم تقديم الموضوع من أجل تحديد -على قدر استطاعتنا- حجم الإيرادات التي كان يتم دفعها وذلك لقورش وقمبيز (Cyrus Cambysis) في هذه الأقاليم والولايات، وهذا يعني في البداية وفي النهاية فهم واستيعاب ما قد كتبه هيرودوت Herodotus ، وما هو مُستهدَف قوله عن القادة اليونانيين .

وفي البداية، نجد أن الدليل الذاتي على الإطلاق هو أن كُلاً من

قورش (Cyrus) أو قمبيز Cambyses لم يُهمل الإدارة المالية، فقد احتـاج كلاهـما إلى مصـادر أكيـدة ومعتمـدة حتـى يسـتمروا في تـأمين جيوشـهم وفي النجـاح في حملاتهم العسكرية، وبعـد كـل انتصـار عسـكري، نجـد أن قـورش (Cyrus) يقـوم بالحصول على كنوز الملوك الخاصة بالدول التـي انـتصر عليهـا ويقـوم بإرسـالها إلى العواصم الخاصة بـه، حيـث تـم إرسـال كنـز آسـتياج (Astyoges) إلى باسـارجادي Pasargadae ، والشيء نفسه كان صحيحًا بالنسبة لكنوز كروزوس Croesus .

ويبدو من المحتمل أن قمبيز Cambysis قد أعطـى أوامـر مشـابهة في مصر، بالإضافة إلى بابـل Babylon ، ونحـن نعـرف في الحقيقـة أنـه عنـدما قـام اليهـود بالعودة إلى أورشليم، نجد أن قورش (Cyrus) قـد أعطـى تعليماتـه إلى الخـازن أو حارس الخزانة ميثراداتا Mithradata ، بأن يقوم بإرجاع الأوعية المُتناثرة التي قـام نوبي تشادنزر Nebuchadnezar بأخذها إلى بابل Babylon ، وذلك بعد سـقوط أورشليم إلى كبار المجتمع، وهـذا هـو السـبب وراء عـودة الـثروة الملكيـة وبـدايتها للإغريق (اليونانيين)، وكل خزانة إمبريالية كان يتم إدارتها بواسطة حارس ملكي مثل ميثراداتا Mithradata في بابـل في حكـم قـورش (Cyrus) ، وكـان مُهـتمًا بحراسـة الكنز بشكل أقل من اهتمامه بالإدارة، وقد كانت عملية الإدارة والدخل والنفقـات الخاصة بالعاصمة تحت إمرة الملك».

وكل من الهدايا والهبات والجزية كانت تتراكم وتتكدس في هـذه الخـزائن ووجـود المبـالغ المفروضـة والخاصـة بالضريبـة أو الجزيـة في وقـت قـورش (Cyrus) وقمبيـز (Cambysis) لم يكـن فيهـا شـك، وهـذا لم يكـن واضـحًا فقـط في موسـوعة سـيروبيديا Cyropaedia ولكن أيضًا في كتابات هيرودوت Herodotus ، ويبدو واضـحًا أن المُـدن اليونانية في آيونيا Ionia كان عليها أن تقوم بدفع الجزية عندما كانت في فـترة سـيطرة وسـيادة ليـديا Lydia ، والمبـدأ هنـا بسـيط إذا كـان في شـكل «هديـة» أو «جزيـة»،

حيث إن كل الأشخاص الذين كانوا معروفين بالسيادة الفارسية، كان مطلوبًا منهم أن يدفعوا تبرعات وإسهامات في شكل قطع معدنية ثمينة أو غالية الثمن للسلطة المركزية .

وقد قام هيرودوت Herodotus نفسه بالتعبير عن ذلك، فقال بأن هناك واحدًا من الإجراءات التي قام بها مغتصب العرش سمرديز Smerdis أو بارديا Bardiya ، وذلك في صراعه مع قمبيز (Cambysis) ، قال: «لكل أمير تحت سيطرته أو دولة تحت سيادته، وبمجرد قدومه على العرش، سوف يكون هناك طلب للضرائب والخدمة العسكرية لمدة ثلاث سنوات (أي أن هذه الدول سوف تعطيه الضريبة لمدة ثلاث سنوات وتُقدم أبناءها للخدمة العسكرية طوال هذه المدة أيضًا) .

والأكثر من ذلك، فإنه كان هناك افتراض بالجزية المنتظمة وهو الشيء الذي يُفسر الإعفاءات الدائمة والمنتظمة والمعروفة منذ هذا الحين، والشيء نفسه كان مُطبقًا على القاطنين أو سكان وادي «هلماند Helmand »، وهم الآرياسبي Araiaspi -الذين- نتيجة إنقاذهم لجيش قورش (Cyrus) من براثن مجاعة حقيقية، قد حصلوا من الملك على لقب «المُحسن».

ومنذ هذا الحين تم إعفاؤهم من الضريبة، والشيء نفسه كان صحيحًا بالنسبة لبارديا Bardya وهو الذي كان في فترة وفاة قورش (Cyrus) قد حصل على إقليم ضخم في وسط آسيا.

الأشخاص الذين يدفعون الجزية، والأشخاص الذين يدفعون الهدايا والهبات:

ما هي إذن الخصائص الأساسية التي بواسطتها قام هيرودوت Herodotus بالتمييز بين أولئك الذين نطلق عليهم دافعي الهدايا (الهبات)، وبين أولئك الذين يُطلق عليهم دافعي الجزية؟ ودعنا نعرف منذ

البداية أن هذا التمييز ليس ابتكارًا أخمينيًّا Achaemenia ، ويبدو من المحتمل أنه لدرجة بعينها قام هيرودوت Herodotus بإعطاء وتقديم طاقم يوناني لهذه الظاهرة الشرقية (أي ظاهرة دفع الجزية والهبات) ولكن المشكلة هنا أن الألفاظ التي استخدمها هيرودوت Herodotus قد قامت بإخفاء وطمس الحقائق أكثر من قيامها بتقديم الهدايا للمؤرخين في العصر الحديث، وفي الحقيقة نجد هيرودوت Herodotus يقوم بتحليل الجزية الأخمينية على أنها عبارة عن مبالغ يتم دفعها بواسطة أهل أثينا نتيجة عُضوية الحِلف أو العُصبة التي يُطلق عليها Detian League والذي بدأ في 478، ومهما كانت أوجه التشابه التي يمكن أن توجد بين المنظمتين، فإننا نعرف أنه في الحقيقة، كان النظام الأخميني معقدًا كثيراً، والجزية كانت واحدة من الأجزاء التي تُكَوِّن نظام الإيرادات، ونتيجة لذلك، يبدو من غير المهم أن نحاول تحديد المصطلحات الشرقية القريبة التي قدمها هيرودوت Herodotus والأكثر من ذلك أنه يجب علينا النظر إلى طريقة هيرودوت Herodotus والخاصة بالتطوير حتى نجعل النصوص واضحة، ونُلقي الضوء عليها حتى تبدو منطقية من حيث مضمونها الداخلي».

وفي الحقيقة، يبدو من الواضح وبشكل متسارع أن طريقة هيرودوت Herodotus وهدفه من كتاباته لم تكن تلك الخاصة بالمتخصص في الأسلوب المالي أو الممارسة المالية، والمناقشة الموجودة في الجزء الثالث هي مخصصة بشكل أساسي من أجل إعلاء شأن السلطة السياسية لدارا Darius والمرحلة المُبكرة والتقديمية تُقدم المنظور الأساسي لهيرودوت Herodotus «وبهذه الطريقة أصبح دارا Darius ملك بلاد فارس .

وبعد انتصارات قورش (Cyrus) نجد أن نفوذه وسيطرته قد امتدت عبر آسيا كلها باستثناء الجزيرة العربية».

ومنذ البداية نجد أن هيرودوت Herodotus يقوم بالتركيز على أن السلطة أصبحت في يد الملك الجديد، وقد قام بعد ذلك بالتقدم لإنشاء

عشرين ولاية إقليمية ذات حُكم سيادي، والتي أُطلق عليها المرزبانيات، وكانت كل دولة أو أمة عليها أن تدفع الضرائب .

وقد حاول هيرودوت Herodotus أن يضع دارا Darius مع سابقيه، والذين قام بوصف انتصاراتهم، وكان ينوي منذ البداية أن يوضح لقرائه أن دارا Darius قام بتوسيع ممتلكاته الأخمينية، وبالتالي امتدت إمبراطوريته بعد ذلك في كل الاتجاهات .

وباتباع هذا المنطق والمنهج نفسيهما، نجد أن هيرودوت Herodotus يقول إنه تحت حُكم دارا Darius هناك بعض الناس من القلائل الذين لم يتم فرض ضريبة منتظمة عليهم قد قاموا بعمل إسهام في شكل هدية أو هبة وهؤلاء المانحين كان أوائلهم هم الأثيوبيين الذين كانوا في أوقات هيرودوت Herodotus يقومون بإحضار الهدايا بدلاً من ضرائبهم «وأيضًا الكولشين Colchians والذين كانوا يرسلون مئات مئات الأولاد ومئات الفتيات».

وهذه إذن كانت الإيرادات التي كان يحصل عليها الملك ويتسلمها بخلاف ما كان يُطلق عليه الضريبة المتقطعة .

ودعنا الآن نحاول شرح التناقض الواضح الذي قام به هيرودوت Herodotus ، وذلك عند وضعه للناس الذين انتقلوا من نظام الهدايا إلى نظام الجزية عند الانتقال من قورش (Cyrus) إلى دارا Darius .

ودعونا منذ البداية نقوم بالتأكيد على التعبير الذي قام هيرودوت Herodotus باستخدامه عندما قال: إن أولئك الناس كان يدفعون الضريبة لأنفسهم، وهذا التعبير يوضح ويشرح مبدأ الطبيعة الاختيارية للهدية .

وهناك صيغة مُشابهة موجودة عند الاهتمام بالليبيين (سكان ليبيا)، وأولئك الذين ذُهلوا وصُعقوا بالنصر الذي قام به قمبيز (Cambysis)

بتحقيقه في مصر، حيث يقول إن «الليبيين المجاورين كانوا مهتمين بمصير مصر، ووافقوا على دفع الجزية وإرسال الهدايا، وهناك خوف مُشابه لذلك جعل رجال قورش (Cyrus) وبارسا Barca يحذون حذوهم (بمعنى أنهم سوف يقومون أيضًا بدفع الجزية وتقديم الهدايا) ويبدو أنه منذ وقت هيرودوت Herodotus ومن وجهة نظره، فإن الناس الذين كان يرسلون العطايا كانوا أقل من حيث اعتمادهم على الملك العظيم وهم من أولئك الذين كانوا يدفعون الضريبة؛ لأنه كانت هناك ضريبة مفروضة عليهم، ونحن ربما نُلاحظ أيضًا أن أولئك الأشخاص كانوا يسكنون أطراف وحدود المقاطعة الإمبريالية لدارا Darius وذلك على حافة العالم المأهول بالسكان، وربما نُلاحظ بشكل أكبر أن فترة الهدايا والهبات لم تكن تلك الفترة الخاصة بالجزية نفسها، وبينما نجد أن التزام العرب بدفع الجزية كان يتم بشكل سنوي كان الأثيوبيون يدفعون فقط كل عامين، وسكان كولشيا Colchia يدفعون كل أربع سنوات، بينما نجد أن هيرودوت Herodotus نفسه يُعبر عن حدود التمييز التي قام بفرضها باعتبارها قاعدة مُطلقة».

ومن جانب واحد يمكننا القول بأن كلا النوعين من الجزية وكلا النوعين من المانحين موجود في نظام الحاكم الإمبريالي، وبشكل واضح عند تناول هيرودوت Herodotus للكولشيين Colchians ، وعلى الجانب الآخر، فإن هيرودوت Herodotus يقول بأن الليبيين وسكان سيرين Cyrene وسكان برقة Baracens لم يكونوا يُحضرون الهدايا والهبات فقط للملك، ولكنهم أيضًا كانوا يرسلون الجزية التي وضعوها بأنفسهم، وأخيرًا فإن هيرودوت Herodotus يُفسر لماذا رفض قمبيز (Cambysis) الهدايا التي كان يرسلها أهل سيرين Cyrene ، حيث إنه من وجهة نظره، كان الملك معترضًا على صغر وقدر هذه الهدايا التي كانت تُعادل 500 مينا من الفضة فقط (500 Minae).

وعلى الجانب الآخر، وباعتبار أن الهدية هي اختيارية أو تطوعية إلا أنها يجب أن تكون على قدر معين، وليست أية هدية أو هبة، وكل هذا يقودنا إلى الاعتقاد بأن هذا القدر، وهذه القيمة الخاصة بالهدية قد تم التفاوض عليها مُقدمًا مع الملك الذي يجب أن تكون سيادته قائمة .

ويبدو أن أهل سيرين Cyrene من المحتمل أن يكونوا قد تناسوا فعل ذلك، ومن ثم فإن رفض قمبيز (Cambysis) لما أرسلوه كان على أساس ذلك».

من قورش إلى دارا DARIUS :

ودعونا نعود إلى ذلك التناقض الخاص بهيرودوت Herodotus بين قورش وقمبيز من جانب وبين دارا Darius من الجانب الآخر، وفي الحقيقة نجد أن هيرودوت Herodotus افترض أن دارا Darius هو أول من فرض الجزية، وهو من خلال ذلك قد أكد على أنه كان هو الأول الذي حدد قاعدة المبالغ المفروضة، بالإضافة إلى كمياتها المحدودة بالضبط، وهذا يُفسر بوجود كلمة «يُحدد» عدة مرات في كتاباته وبأشكال مختلفة، وهذا أيضًا هو السبب -من وجهة نظر هيرودوت Herodotus ، وراء اعتبار أن دارا Darius هو صاحب ومُوجد الجزية، وذلك من خلال المعنى الذي سوف يكون طبيعيًا بالنسبة للاثنين في القرن الخامس.. وهو المعنى الذي يختص بنظام تقييم الأشياء وتحديد الضريبة الخاصة بها، وذلك بواسطة السلطة الحاكمة والمسؤولة عن القدر المُحدد الذي تم تقييمه بالعملة أو المعدن الثمين، ويتم حسابه على أساس الصيغة الموضوعية، وبالتالي فإن الملحوظة الأخيرة على الأثيوبيين والكولشيين والعرب كانت ما سبق، وبعد الإصلاحات التي تم القيام بها بوساطة الملك، وطائفة المانحين هذه (بالمعنى المفهوم من هيرودوت Herodotus) لم تختف، ولكن منذ ذلك الحين فصاعدًا تم اعتبار ذلك عنصرًا أساسيًا للبقاء، أكثر من كونه عنصرًا تكوينيًا لنظام الجزية الأخميني».

ومن قورش Cyrus إلى دارا Darius ، لم تكن فقط عملية تأسيس الجزية ذاتها هي الشيء الذي يتم إيجاده وضبطه، ولكن أيضًا الظروف والشروط التي في ظلها يتم فرض هذه المبالغ التي تبدلت بشكل واسع، ووجهة النظر الأكثر فنية في هذا الإطار أيضًا تشرح وتُفسر صورة قورش Cyrus الذي يُعتبر لدى الفرس هو «الأب» وذلك مقابل قمبيز Cambyses الذي يُعتبر هو «الطاغية أو المستبد» ودارا Darius الذي يُعتبر هو «بائع المحل»، وقد كان قمبيز Cambyses أرعنًا وأحمقًا، بينما كان قورش Cyrus على العكس من ذلك طيبًا رقيقًا، وقد كان السبب في العديد من الفوائد بالنسبة للفرس، وهذا هو التفسير الخاص بهيرودوت Herodotus ، ومن الصعب تمامًا أن نجد أي تبرير حقائقي (أي عبارة حقيقية) لما سبق، والصورة اليونانية حول قورش Cyrus ، تقول إنه بالنسبة لليونانيين هو ذلك المنتصر الذي يخضع إليه الناس برغبتهم ومشيئتهم، وذلك كما يقول زينوفون Xenophon أيضًا، ومن خلال هذا المنظور، فإن أشكال التقييم تُعتبر في حد ذاتها «هبات» ولكن بالمعنى السياسي الذي استخدمه هيرودوت Herodotus ، فنستطيع أن نفترض أنه من وقت قورش (Cyrus) وحتى قمبيز (Cambysis) كان التعديل المُبكر قد حدث عندما قام أتباع قورش (Cyrus) بشكل قوي بزيادة المتطلبات والرسوم المالية على هذه الأشياء (وذلك إما في شكل هبة أو هدية أو جزية) على الفرس؛ من أجل تمويل وإعداد الأسطول الفارسي المطلوب لهزيمة مصر وفتحها، ومن ثم فإن دارا Darius كان أول من وضع قيمة على الأرض، وقام ببناء وتشكيل أرقام مُحددة على هذا التقييم.

الجزية وسك العملة وصيانتها:

من المحتمل أنه في وقت الملكين الأوائل «قورش Cyrus وقمبيز Cambyses » كان الإداريون من الفُرس عمومًا قد استمروا في الاستفادة من الممارسات المالية في الدول المهزومة بالفعل في

ساردیس Sardis ، بالإضافة إلى إيكباتانا Ecbatana وبابل Babylon ومصر، ونحن أيضًا نستطيع القول نظريًّا بأنه في وقت قورش Cyrus وقمبيز Cambyses ، وفي أقاليم بعينها لم يكن هناك جزية (وإنما جاء دارا Darius ليضعها)، وكان المرزبان يتفاوض مع القادة المحليين في مثل هذه الموضوعات، ويتم تحديد الضريبة أو الجزية .

ويبدو واضحًا أيضًا أن فرض الجزية (أو تحديد المبالغ المالية التي سوف يتم دفعها) في ظل نظام قورش Cyrus وقمبيز Cambyses لم يكن بأي حال من الأحوال يتضمن وجود سك للعملة، فعندما كان الناس يقومون بتقديم الجزية على شكل معادن غالية الثمن كانت هناك قاعدة وأساس لوزن هذه المعادن، ويتم حساب قيمتها، فعلى سبيل المثال، (الهدية أو الهبة التي تتكون من 500 مينا من الفضة كانت هي الهبه التي يقوم أهل سيرين Cyrene بتقديمها إلى الملك قمبيز Cambyses ، وإذا قبلنا بأن هذه المينا هي بابليونية، فإن الهدية أو الهبة التي يُقدمها أهل سيرين حوالي 252 كجم من الفضة .

على أية حال لم يكن هناك سك عملة فارسي بشكل خاص قبل حُكم الملك دارا Darius .

وفي آسيا مينور الغربية، كان يبدو أن الذهب والفضة والعملات الليدية Lydian المصنوعة منهم يُطلق عليها «كروسيدس Croesids والتي استمر في التداول بها بواسطة الإدارة الأخمينية الملكية في ساردیس Sardis ، ويبدو إذن أنه من الممكن أن هذه العملات الفضية (كروسيدس) كانت يُعمل بها بعد هزيمة ساردیس على يد قورش (Cyrus) ، وهو ما لعب دورًا مهمًا في بداية السك الملكي، وفي هذا الإطار يجب أن نقول إن الجزية التي كان يتم دفعها بواسطة المدن اليونانية للإدارة الأخمينية كان يتم حسابها على أساس عملة كروسيدس الخفيفة .

4- التواصلية والتقليد، حالة بابليونيا:

التغييرات والتكامل:

ويبقى السؤال حول ما إذا كان هذا الانتصار على ساردیس Sardis قد نتج عنه تغيرات حقيقية بالنسبة للمهزومين، وحيثما يكون هناك اهتمام من أنظمة حُكم قورش وقمبيز (Cyrus Cambysis) ، فإن الإجابة يمكن أن يتم تعديلها؛ وذلك لأن العمل الخاص ببناء الإمبراطورية كان قد بدأ لتوه، ويبدو من الواضح أن قورش Cyrus لم يكن يتمنى ولا حتى ابنه أن يكون هناك اضطراب في الظروف والوضع القائم، والعديد من المؤسسات المعروفة في أزمانهم كان لها الطابع المعماري الإمبريالي الخاص بالعصور والقرون الماضية نفسه، وبمعنى آخر فإن بعض التغييرات والتحولات التي حدثت لم تكن ناتجة عن قمع أو تخريب المؤسسات القائمة أو الموجودة، وإنما غالبًا -وبدون شك- كانت ناتجة عن التقليد التدريجي لتلك المؤسسات والمنشآت التي قام أولئك المنتصرون ببنائها.

وقد رأينا أن قورش (Cyrus) نفسه، بداية من هزيمة بابليون Babylon كان يتمنى أن يجعل التركيز أكثر على التواصل مع البابليونيين أكثر من القطيعة معهم، فقد تم الاعتراف بقورش Cyrus في أكتوبر من عام 539، وكان معروفًا باسم «ملك بابليون» و«ملك الأراضين أو الأقطار»، وفي بعض الأحيان كان يُطلق عليه اسم «ملك الملوك»، واللقب الذي كان ينادى به وهو «ملك بابليون» قد انتقل إلى ابنه «قمبيز Cambyses » الذي احتفظ به، وبالتالي فإن قمبيز Cambyses قد حصل على هذا اللقب من خلال ارتباطه بوالده قورش (Cyrus) ، وطول السنوات الثلاثة الأولى من السيادة الفارسية كان المدير والمسؤول الأعلى في الإقليم (إقليم بابليون) هو نابو Nabu الذي حصل على أعلى مرتبة في ذلك الوقت وهي مرتبة ساكن تيمي Sakin Temi وهي الوظيفة والمكانة التالية مباشرة بعد «حاكم الأقطار».

وهذا النظام لا يعني ولا يعكس إعادة خلق وتكوين المملكة القديمة على الإطلاق؛ لأن السلطة المفوضة لقمبيز Cambyses كانت موجودة فقط في بابيلونيا Babylonia ، والأكثر من ذلك فإن خلق وإيجاد كلمة المرزبانية (الفارسية) تحت حُكم وسيطرة جوبارو Gubaru الفارسي (535) تُشير إلى أنه بعد هذه الفترة من التحول، اعتبر قورش (Cyrus) أنه من الأفضل والمفيد أن يتم التأكيد على إشرافه المباشر على الدولة»، ونحن لا نعرف الأسباب ولا الظروف التي قادت الملك إلى اتخاذ مثل هذه القرارات، ولكن الحقيقة واضحة وهي أن بابليونيا Babylonia قد تحولت في الحال إلى مرزبانية، ولكن ماذا يعني ذلك عمليًّا؟؟

للوهلة الأولى، فإن التوثيق الخاص ببابليونيا يوضح أنه كانت هناك تواصلية كبيرة لما كان موجودًا مسبقًا (التواصلية تعني التكامل مع ما هو موجود بالفعل والإكمال عليه وليس الانقطاع) .

وفي حالة غياب أي من السجلات الأرشيفية للمرزبانية، فإن سجلات أكاديان Akkadian التي لدينا، نجدها تأتي من السجلات الخاصة أو سجلات المعبد، ففي السجلات الخاصة نجد الأحداث التاريخية العظيمة مثل انتصار قورش (Cyrus) سوف يكون ملحوظًا ومدونًا إذا كان كُتاب العدل لم يؤرخوا مستنداتهم، وذلك طبقًا لعام وتاريخ سيادة السلطة، وهناك العديد من المستندات منذ وقت قورش وقمبيز Cambyses التي توضح أن مُديري المعبد قد استمروا في الإشارة إلى النظم والقواعد التي تم إصدارها في وقت نبوخد نصر Nebuchadnezzar الثاني وفي وقت نيري جليسار Neriglissar ، ومع وجود هذه العوامل ليس من السهل دائمًا أن تقوم بالتمييز بين صبيان المنشآت البابليونية وافتراض أن السلطة في أيدي المنتصرين الفرس، وهناك بعض الكتابات التي ذكرت أن قورش (Cyrus) هو ملك بابليون،

مثل «إذا لم تلتزم بكلمتك فإنك سوف تحصل على العقاب من الآلهة ومـن الملـك» ويمكننا أن نطرح هذا السؤال وهو: هل يجب أن ننظـر إلى هـذه الكتابـات بشـكل مُبسط على أنها إشارة إلى التواصل القوي مع الأساليب والممارسات السابقة؟ أم هل تُعتبر دليلاً وإشارة إلى سياسة قورش (Cyrus) الذي كان يسـعى وراء التأكيـد عـلى التعاون بين الحرفيين في المعبد ومع وجهة نظره في استعادة العمل الذي كان يُريـد القيام به في بابيلونيا؟

وعلى خلاف ذلك، فإن العديـد مـن الأفـراد اسـتمروا في مهنـتهم بـدون التـأثر بالتغيرات السياسية على الأقل، وربما نذكر عـلى سـبيل المثـال أن الوظـائف والمهـن الخاصة بكبار الموظفين أيضًا قد استمرت بدون تعطيل أو إيقاف .

وهناك مَثَل يجب ذكـره هـو حالـة سـيري كيتـي نينورتـا Sirikita Ninurta الذي حصل على الوظيفة والمكانـة الأعـلى في نيبيـور Nippur منـذ العـام السـابع عشر من حكم نيبيونودوس Nabonidus وحتى العـام السـابع مـن حكـم قمبيـز Cambyses ، (أي استمر طـوال هـذه الفـترة في هـذه الوظيفـة)، واللقـب الخـاص بالسانداباكو Sandabakku الذي استمر في نيبور Nippur حتى بداية حكـم دارا Darius نستطيع أن نلاحظ ذلك من خلال الإشارة إلى شركة أعمال كبرى مثـل تلـك الخاصة بإيجي بيس (Egibis) التي هي معروفة منذ بدايـة القـرن التاسـع، والتـي استمرت بالعمل في ظل حُكم قورش Cyrus وقمبيز Cambyses ، ومـن تبعـوهم مباشرة .

ومع ذلك، فإن هذه التواصـلية الرسـمية يمكـن أن تشـمل بعـض التقليـد والمحاكـاة وذلك للظروف الجديدة، حيث إن الإشارة إلى النظم والقواعد السابقة ربما أيضًـا تشـير إلى أنها قد خلت صـيغتها مـن التعـديل عليهـا، فعـلى سـبيل المثـال السـجلات أو الأرشـيفات الخاص بشركة (Egibi) والذي شهد بعض التكامل مـع القواعـد البابليونيـة قـد تحـول إلى السياق والأسلوب الإمبريالي، حيث تقول إحدى المخطوطات التي يرجـع تاريخهـا إلى عـام

537، أن المندوب أو الممثل الأساسي للشركة والذي يُدعى إيتـي بلاتـو Itti-balatu قد قـام بعمـل بعـض الأشـغال في إكباتانـا Ecbatana ، وبعـد أربعـة أعـوام، قـام الشخص نفسه بالعمل بالطريقة نفسها وذلك في مكان ما في إيران .

والأكثر من ذلك، فـإن بعـض المخطوطـات التـي ترجـع إلى عصر حُكـم قمبيـز (Cambysis) توضح أن إيجيبيس Egibis أيضًا قد قامت بعمل بعض الأشـغال في فـارس، وبشـكل أكـثر تحديـدًا في هومـاديسـو Humadesu التـي كانـت معروفـة بمـاتيزيس Matzzis ، وهـي القريبـة جـدًّا مـن موقـع برسـيبوليس Persepolis ، والشخص السابق نفسه وهو إيتي Itti قد دخل واشترك في عقود عمل هناك أربع مرات، وأيضًا أحضر العبيد ذوي الأسماء الإيرانية هناك، وقد قام ببيعهم في بابليون Babylon وذلك قبل بيعهم مرة أخرى إلى شريكه الأصلي في ميتيـزيس Matzzis ، وهـذه المسـتندات توضـح أن إيجيبـيس Egibis كانـت قـادرة عـلى اتبـاع وتبنـي الظروف الجديدة أو الشروط الجديدة بسرعة، والتي كانت مشتقة ومستوحاة مـن الانتصار الفارسي وناتجة عنه، وفي الوقت نفسه فإن المنتصرين كـانوا قـادرين جـدًّا على استغلال الاحتمالات التي وفرتها وفتحتها المنشآت البابليونية .

أراضي المعبد والإدارة الملكية:

إن التوثيـق الموجـود أيضًـا يسـمح لنـا بتحديـد ومعرفـة أن المرزبانيـة جوبـارو Gubaru كان مشغولاً بأمور عديدة، ومع وجود الحقيقة القائلة بأن الغالبيـة العُظمـى من المخطوطات المرتبطة بذلك آتيـة مـن السـجلات أو الأرشـيف الخـاص بالمعبـد، فـإن علاقاته (علاقات جوبارو) مع سلطات هذه المعابد كانت موجودة بشكل جيـد، وهـذا صحيحًا بشكل خاص، وذلـك بالنسـبة لإيانـا Eanna الخـاص بمعبـد Uruk الـذي كـان مُخصصًا للآلهـة إينانـا إيسـتار Innanna Istar أو سـيدة أورك Uruk حيـث تـرى إن

الإينانا Eanna كانت ذات أراضٍ ومساحات واسعة من الزراعة والتي يتم ريها بواسطة نظام متكامل من القنوات التي تعمل في شبكة بطول الإيفارات Euphrates ، وبعض هذه الأراضي ظلت أكثر أو أقل زراعة، وكان يتم استخدامها لرعي القطعان الخاصة بالماشية، ويبدو أن المعبد كان يحصل على إيراداته من خلال هذه الأراضي، وهذا هو السبب وراء أهمية تقييم المحاصيل الزراعية الموجودة وتقديرها، وذلك على أساس المواسم والأيام، وفي البداية نجد أنه من المحتمل أن هذه العملية كانت مرتبطة بالحساب الذي يشمل الملك، بحيث يقوم كل شخص بالدفع للمعابد البابليونية .

ومبدئيًّا، فإن إدارة المعبد كانت مستقلة ويتم التحكم فيها بواسطة مواطنين أحرار من مدينة أوروك Uruk والذين كانوا يجتمعون في مجلس البوهرو Puhru لتسوية الاختلافات التي ربما تحدث مثلاً بين سلطات المعبد ومن يتعاونون معهم أو مع المسؤولين المزراعين والسلطات العليا التي تعلي من شؤون المعبد والتي كانت تتكون من المدير الذي يُطلق عليه «كيبو Qipu » وإداري إيانا الذي يُطلق عليه «ساتامو Satammu »، حيث كان الإداري مسؤولاً عن الأراضي وعن إدارة العاملين بالمعبد والأنشطة المتصلة بالخدمات الدينية، ومن العام الثامن لحكمه (553) نجد أن نابونيدوس Nabonidus بمساعدة ابنه بلشازر Belshazzar قدم بعض التعديلات التي عمومًا لم تكن طبقًا لتوجيهات قورش (Cyrus) وقمبيز Cambyses .

ومن أجل الحصول على تحكم أكبر بهذه السلطات عالية الاستراتيجية، ومن أجل تحسين قابلية وجود فرص للزراعة، نجد أن السلطة الملكية قد قررت أن تلعب دورًا مباشرًا في الأنشطة الاقتصادية الخاصة بالمعابد البابليونية وهي تحت سيطرتها، ومنذ ذلك الحين وصاعدًا نجد أن إداري المعبد الخاص بالآلهة أوروك Uruk كان مُهاجَمًا

ومُحاصرًا بواسطة المبعوث الملكي الذي يقوم بالتصرف كموظف ملكي أو باعتباره إداري إيانا Eanna ، وأيضًا إيانا Eanna كان لديها «رئيس صندوق النقد الملكي «الذي كان بوضوح هو مُدير وحامي المصالح الملكية».

ومن أهم هذه التعديلات التي تم تقديمها وعملها بواسطة ابن آشبونيدوس Nabonidus باسم والده هو إيجاد ما يُطلق عليه الآن «فيرمي جنرال Ferme Generale »، حيث إن النظام يشمل -على قدر معرفتنا بالخصائص الأساسية- على وضع قدر مُحدد من الأرض تحت سيطرة وسيادة رجل أو مجموعة صغيرة بشرط أن يقوم المُزارع الأساسي Fermier General بتسليم كمية من الغلال أو الحبوب المحددة مُقدمًا، والمزارع الخاصة بالغلال مثل الشعير أو مزارع البلح كان يتم تخصيصها لأعلى المزايدين (الذين يُقدمون أعلى العروض)، ونجد أن المبعوث الملكي يكون حاضرًا في كل مرحلة من تلك المراحل، ونجد أن إبرام وختام العقد مع المسؤول الرئيس يكون مع تقدير الحصاد في نهاية الموسم الزراعي ونقل المحصول .

وبعد الانتصار الفارسي، كان هناك رجل يُدعى كالبا Kalba كان هو المسؤول الرئيس المسؤول عن محصلي الشعير، وظل هكذا أثناء العامين الأولين في حكم الملك قورش (Cyrus) ، ولكن بعد ذلك أصبحت هذه الوظيفة بالاشتراك مع نيجرال Negral بالنسبة للشعير، وبالاشتراك مع أرديا Ardiya بالنسبة لمحصول البلح .

ومع بداية العام الثالث من حُكم قورش (Cyrus) ، أصبح لأرديا Ardiya التحكم التام والكلي في مزرعة البلح، ومع بداية حُكم قمبيز Cambyses أصبح هذا الشيء موزعًا ومشتركًا بين أربعة فلاحين، حيث ظل أريدا Ardiya مُسيطرًا وحاصلاً على المزرعة الأم والأفضل حتى نهاية فترة حُكم قمبيز (Cambysis) وأيضًا الشيء نفسه تقريبًا كان

بالنسبة لمحصول ومزارع الشعير، وقد كان الموقف في نهاية حُكم قمبيز (Cambysis) مختلفًا كثيرًا عن الموقف في ظل حُكم نابونيدوس Nabonidus ، وهذا التعبير نتج عنه جزء من الشد والتوتر الذي وُجد بين سُلطة المعبد والسُلطة الملكية، وبعد إعادة التشكيل المحدود للمزرعة العامة أو ما يُطلق عليها Ferme Generale في بداية حُكم دارا Darius والعهد بها لشخص يُدعى جي ميلو Gimillu ، نجد أن نهاية التنمية والتطور قادت إلى إصلاح التنظيم بواسطة سلطات المعبد، وفيما يختص بالنوايا التي كانت مرتبطة عمومًا بالملك نابونيدوس Nabonidus وأبنائه، فإن ذلك -إلى حد ما- كان عبارة عن نوع من التأكيد من جانب السلطة الملكية، ولكن التأكيد على طبيعة ومدى ما يصعب قياسه؛ بسبب الفقد في السجلات الخاصة بالمعبد أو أرشيف المعبد منذ دارا Darius .

*** الالتزامات المالية الخاصة بالمعابد البابليونية:**

ليس هناك أدنى شك فيما إذا كان الملوك العظام قد قاموا بالحصول على إيرادات أكيدة من المعابد البابليونية، وربما كانت الضغوط المالية قد تزايدت في وقت قورش (Cyrus) وقمبيز (Cambysis) خصوصًا إذا أدركنا أن الملوك الفرس -بعكس من سبقوهم- لم يعودوا يقدمون الضريبة الصغيرة للمعابد البابليونية، ولكن هناك دراسة حديثة لإيبابار Ebabbar ربما تتناقض مع هذه النظرية السابق ذكرها.

على أية حال فإن الأمثلة الخاصة بالأشياء الملكية التي يتم تخصيصها عديدة ومتنوعة، وبناءً على الأوامر التي يتم استقبالها من المرزبان، فإن السلطة الخاصة بـ Eanna دائمًا كانت تُقدم وتعرض كل أنواع وأشكال الدفع، حيث إن المعبد باستمرار كان عليه أن يرسل العمال إلى موقع العمل أو البناء في العصور الملكية؛ من أجل توفير وتطويع المواد الخام وجعلها مناسبة (مثل الأخشاب والطوب) للمباني، وكان أمر التحذير

الموجه للشخص المسؤول عن التسليم يشمل ما يلي: إذا لم يفعل ذلك ويلتزم بما هو موكل إليه، فإنه سوف يُلاقي غضب وعقاب جوبارو Gubaru والمعبد أيضًا يكون عليه تسليم إمدادات الطعام للقصر .

وكما تقول العديد من المستندات والوثائق التي بين أيدينا من وقت حُكم قورش (Cyrus) وقمبيز Cambyses على سبيل المثال، في عام 531، نجد أن الإيانا Eanna كان عليه توصيل التوابل إلى القصر الملكي في آبانو Abona ، وحتى يتم الوفاء بهذا الطلب الخاص بتوصيل وتوفير هذه الإمدادات من الطعام، فإنه يكون من الضروري استعارة كميات كبيرة من القصر .

وفي عام 528 على مدى فترة قصيرة كان على الإيانا Eanna أن يقوم بتسليم حوالي 200 من الخراف أو (الحمل) والغلمان، وقبل ذلك بأسابيع عديدة نجد أن سُلطات المعبد تسلمت أوامر بنقل مائتين (200) من نبيذ البلح حلو الطعم إلى أبانو Abanu ؛ وذلك من أجل توفير احتياجات ومتطلبات القصر .

وربما كانت هذه المتطلبات غير عادية نتيجة وجود الملك والقصر على مقربة من الإيانا Eanna ، ولكن هناك التزامات أخرى كانت تلقى على عاتق المعبد، ففي الإيانا Eanna على سبيل المثال، فإننا نعترف بوجود القطعان الملكية التابعة للقصر و(الملك) والتي كان يتم إطعامها ورعايتها على نفقة المعبد .

وكان على الإيانا Eanna أيضًا أن يوفر ويقدم الجنود للإدارة الملكية -على الأقل- تحت ظروف خاصة ومحددة بعينها، وهناك سلسلة من الألواح التي يرجع تاريخها إلى فترة نيوبابليونا Neo-Babylonian (وهي فترة حُكم نبوخد نصر Nebuchadnezzar الثاني ونابونيدوس Nabenidus ، وأيضًا إلى فترة حُكم الملوك قورش (Cyrus) وقمبيز (Cambysis) ، والتي تقول على سبيل المثال إن قطعان المعبد كان يتم إرسالها إلى المراعي

البعيدة على ضفة نهر التيجر Tigris ، وحتى يتم تحقيق الأمن، فإن الإيانا Eanna كانت توفر وتقوم بتعبئة الرُماة للتأمين والحراسة عند المداخل والمخارج، وبالفعل فإن بعض هؤلاء الرُماة الذين كانوا يستجيبون للإيانا Eanna كانوا ملتحقين بانتظام بالجيش الملكي وتحت حُكم وسيطرة وأوامر قورش (Cyrus) .

والمعابد كانت تُقدم المبالغ المالية والضرائب التي كانت مُطبقة ومفروضة على المُدن البابليونية وعلى قاطنيها أو سُكانها، وعلى وجه الخصوص، فإن كل هؤلاء الذين يمتلكون أرضًا (سواء أفرادًا أو جماعات أو مُنظمات) كان عليهم مثل هذه الضرائب والمبالغ المفروضة، وهذه الضرائب أو المبالغ كانت مطلوبة ومفروضة من الإداريين التابعين للقصر والملك حتى يستطيعوا صيانة وتأمين وحفر القنوات الزراعية لري هذه الأراضي، ولكن إيانا اليورك Eanna Urk كانت شاذة عن هذه القاعدة .

وباختصار، فإن المعابد البابليونية لم تستمتع بأي حق زائد أو أقل مما هو مُتبَع في حالة باقي المقاطعات والأقاليم تحت حُكم قورش (Cyrus) أو قمبيز (Cambysis) ولا حتى من تبعوهم من التيوبابليونيين أو البابليونيين الجُدد».

السلطة القضائية والقضاء عند جوبارو:

حتى مُنظمة المزرعة العامة أو ما كان يُطلق عليها Ferme Generale نجدها قد تضمنت تدخلاً مستمرًا بين المرزبان جوبارو Gubaru الذي كان أحيانًا يقوم بالتصرف بشكل أكيد حسب التعليمات الخاصة بالمبعوث الملكي في إيانا Eanna والتي بالتأكيد كانت تأتيه من القصر والملك، وبين السلطة المسؤولة عن عقود الزراعة التي كان يتم إبرامها في وجود المبعوث الملكي في إيانا Eanna ، ونجد أن جوبارو كان يجب عليه أن يراقب التنفيذ التام والكامل للالتزامات التي تنص عليها العقود .

وفي عام 269 كان المرزبان نفسه هـو الـذي يقـوم بإرسـال الـدعوات إلى أرديـا Ardiya وهو فلاح البلح (المسؤول الرئيس المسؤول عنه كـما سـبق ذكـره) ويقـوم باستدعائه: «قبل نهاية شهر كيسـليمو (Kislimu) » مـن العـام الرابـع مـن حكـم قمبيز (Cambysis) ، فإن ملك بابليون وملوك الأقطار وآرديـا وابـن نـابو يطلبـون من المسؤول الـرئيس للـبلح في يـورك Uruk ويجعلونـه يُحضر خمسـة آلاف مـن أوراق النخيل، ويقوم بإعطائها إلى قصر الملك، والذي سوف يتم تعيينه عـلى الإيانـا Eanna وإذا لم يقم المسؤول الرئيس بإحضار ذلك، فإنه سوف يُعاقب مـن جوبـارو ومن حاكم بابليون، وبالطريقة نفسها، فإنه كان مشتغلاً بالنزاعات المتصـلة بعمـل الري .

وعندما يقوم جوبارو بالتدخل لإنهاء نزاع ما والـذي ربمـا يظهـر ويحـدث بـين سلطة الإيانا Eanna وسلطات مدينة اليورك Uruk ، والذين كانوا يرفضون رؤيـة حراسة الإيانا Eanna ، فإن القرار يُؤخـذ بواسـطة مـدير المعبـد والمبعـوث الملـكي والأشخاص أو الأطراف التي لا تلتزم يتم تهديدها بالمثول أمام جوبـارو Gubaru ، وهناك بعض من اللوحات المكتوبة التي تبدو وكأنها تُشير إلى أن العقاب يكون عن طريق أمر يقوم به جوبارو Gubaru ومساعديه .

وهـذه الأمثلـة تسـمح لنـا بتحديـد المـدى الخـاص بمصـالح المُـدن والمعابـد والمسؤولين، والإدارة الملكية من جانبها تُجـبر المرزبـان عـلى التـدخل القضـائي عـلى حساب مجلس المدينة، وبشكل دقيق أكثر، وفي العديد من الحـالات نجـد أن إدارة جوبارو تؤدي دورها كمحكمة، والمثال الأكثر تعبيراً من ذلك هو تلك القضـية التـي تم رفعها بواسطة سلطات المعبد ضد جي ميلـو Gimillu وذلـك في سـبتمبر 538، وذلك في غضون أقل من عام بعد دخـول قـورش (Cyrus) بـابليون، وقـد تـم ذكـر شـخص حـرفي؛ وذلـك لارتبـاط وظيفتـه ومسـؤوليته بـإيرادات علـف الماشـية في

الإيانا Eanna ، وقد تم استدعاؤه بواسطة المحكمة في أوروك Uruk ، وتم اتهامه بسرقة علف الماشية، وتم الحكم عليه بالإعدام، ومع ذلك فقد استمر في القيام بالعديد من المهام في إيانا Eanna وهو يحاول جاهدًا إغناء نفسه (إثراء نفسه) بطريقة غير شرعية، وهو يحتمي بأولئك الذين سوف يحمونه (من علية القوم) إذا وقع في أي مكروه، وإذا حدث شيء يتم عرضه بعد ذلك أمام المرزبان ليتم مقاضاته، وتقوم محكمة يوروك Uruk سريعًا بإرساله إلى المحكمة الملكية في بابليون أو Babylon ، ونضيف أن القضايا والأحكام هناك بشكل واضح لم تمنع جيمالو Gimmillu من إعادة الحصول على منصبه في وقت قمبيز (Cambysis) .

وعندما أصبح مرة أخرى مسؤولاً عن علف الماشية في الإيانا Eanna ، وفي بداية حكم دارا Darius نجده قد حصل على حق امتياز البلح والشعير، وفي هذا الإطار، نجده يقوم بالكتابة إلى «محاسب بابليون» ليشكو إليه من الظروف السيئة التي لحقت به هو وأطفاله، وقد قام قادة الإيانا Eanna برفع الدعوى ضده في عام 520، وترك مكانه في الـ Ferme Generale ، واختفى بعد ذلك من الساحة ولم يظهر .

إدارة الأراضي:

وأخيراً، فإنه من المحتمل أن من أهم نتائج الانتصار الفارسي هو إعادة توزيع بعض الأراضي؛ من أجل مصلحة الملك والمنتصرين من الفرس، وبالرغم من عدم توافر الأدلة الكافية، إلا أنه ليس هناك شك في أن الأرض قد آلت إلى التاج الملكي في المقام الأول، والدليل على ذلك موجود في المستندات والوثائق التي تقول بأن إينا Enna كان مطلوب منها إرسال العمالة للمساعدة في خلق وإيجاد العديد من الحدائق؛ وذلك من أجل الإقامة الملكية، وفي بابليونيا وغيرها من الأماكن تم تخصيص

الأرض أيضًا للموظفين في الأماكن المرموقة، وهناك لوحة من الألواح يعـود تاريخهـا إلى 529 والتي تُشير إلى سيلا Sila وهو الشخص الذي كان مُختصًا بإدارة ممتلكات المرزبان، واستخدام كلمة جوبارو Gubaru والتي ذكرت في هـذا الـنص ترجـع إلى تلك المجتمعات الواقعة في إقليم هانديد Handid التي تقع غير بعيدة عن سيبار Sippar وهناك أيضًا جزأين من الممتلكات بالقرب من يورك Uruk والتي قـد تـم تخصيصها للفرس منذ أوقات قمبيز Cambyses .

بينما الجديد في هذا الصدد هو ما يُطلـق عليـه مؤسسـة «الهـاترو Hatru »، وهذا تم توثيقه بشكل تام منذ النصف الثاني مـن القـرن الخـامس، كـما تبـين مـن أرشيف منزل موراسو Murasu ، وهذه الكلمة «هـاترو Hatru » تشـير إلى ذلـك المجتمع الذي كان يعيش على الأرض المنزرعة، وتلك الأرض التي كانت تطلق عليها العديد من الأسماء مثل «ملكية اليد» وغير ذلك من الأسماء، وغير ذلك من أشـكال الملكية التي كان يجب أن تقوم بإمداد جنود الملك بما يحتاجونه (وبعض النصـوص -لسوء الحظ- كانت صعبة التفسير والترجمة)، والتي أشارت إلى أن هـذه الملكيـات أو بعـض منهـا عـلى الأقـل، كانـت موجـودة في عهـد قـورش (Cyrus) وقمبيـز (Cambysis) ، وهناك واحد من هذه النصوص يرجع تاريخـه إلى العـام الأول مـن حكم الملك قمبيز Cambyses في بابليون سنة 528، وهذا النص يُشير إلى مجموعة من المصريين الذين يمثلهم وينوب عنهم «مجلس الكبار» والذي قام بتقسيم هـذه الملكيـات، وهنـاك بعـض المسـتندات الأخـرى التـي ترجـع إلى حُكـم قمبيـز (Cambysis) والتي أشارت إلى «مدينة الكارين» (Carians) التـي يقطنهـا أولئـك الناس الذين استقروا على أرض الملك، وكان عليهم أن يقومـوا بخدمـة جنـود الملـك وتمويلهم، وهناك أيضًا نسخة بابليونية تقـدم تأكيـدًا تامًـا عـلى أن هـذه المؤسسـة (هاترو Hatru) كانت موجودة حتى قبل دارا Darius .

وحتى نكون متأكدين، فإن هذه المؤسسة قد تم تحديدها والتعرف عليها أيضًا بسهولة في بابليونيا فيما قبل فترة الأخمينيين، ولكن، وعلى قدر استطاعتنا بالتحديد، فإن قورش (Cyrus) وقمبيز Cambyses قدما دلالة جديدة على النظام الذي ساعد في تشكيل سلطة جديدة، وفي زيادة الإنتاج الزراعي والإيرادات الملكية وعملية صنع وإنشاء مجتمعات جديدة يكون ولاؤها لأصحاب الأراضي الجديدة، وقد أوضحت أن الانتصار لا يمكن أن يتم تعليله إذ أنه كان مجرد غارة عنيفة، بدلاً من ذلك، فإن الملوك العظام قد عبروا عن نواياهم في تسجيل سلطاتهم في كل من المكان والزمان .

والأراضي الخاصة بالمعبد ذاتها لم تكن تُعامل بشكل مختلف، وذلك لأننا نعرف بوجود «ملكيات اليد» في إيانا Eanna أثناء فترة حُكم قورش (Cyrus) ، وحامل الملكية كان عليه أن يقوم بدفع الضرائب إلى الملك، ونحن ربما نفترض أن هذه الملكيات والمسموح بها لتأمين الرجال الذين تعتبر خدماتهم ضرورية للملك من قِبَل المعبد، ويبدو أنه حتى السكان أو القاطنين في نيبور Nippur لم يتم استثناؤهم أو إعفاؤهم من هذا النظام، والذين سمحوا للمنتصرين بالسيطرة على الأرض التي كان يتم إدارتها سابقًا بواسطة الحاكم بشكل مباشر (حيث كان يُطلق على الحاكم لفظ «ساندباكو Sandabaku » من أجل مصلحة وفائدة المدينة ومعبد إنليل Enlil ، وحتى نكون متأكدين، فإن الدليل المُتاح لم يسمح لنا بالحديث عن إعادة التوزيع العام للأراضي في بابليونا في وقت حكم كل من قورش (Cyrus) وقمبيز Cambyses ، ولكن يجب ملاحظة أن تخصيص الأرض للأفراد أو الجماعات كان يشمل أيضًا تلك الأرض التي لم يتم العمل فيها من قبل، وعلى أية حال فإن لدينا انطباعًا بأن الملوك ومستشاريهم لم يكونوا يعملون على ذلك في بعض الأوقات، ولكن على المدى القصير، حيث لم تستمر هذه الحالة طويلاً .

5 - من باكترا Bactra إلى ساردس Sardis :

السلطة الأخمينية وحكومة باكترا:

إن الأدلة المتوافرة لدينا لم تسمح لنا بالقيام بحسابات غير مشكوك فيها وغير قابلة للجدال حول الابتكارات والاستحداثات التي قام المنتصرون بتقديمها، وهذا نجده صحيحًا بشكل خاص في بعض الأقاليم بعينها مثل وسط آسيا وهو الشيء المعروف فقط من البيانات الأثرية التي بالرغم من أنها متعددة إلا أنها مع ذلك تعتبر غامضة، لقد قال علماء الآثار بأن باكترا Bactra قد تطورت جيدًا قبل الفترة الأخمينية، وهذه هي الحالة التي منذ وجودها بدأت الأعمال الهيدروليكية العظيمة التي أوضحتها لنا الأبحاث والدراسات الحديثة خصوصًا في وادي «أوكس الأعلى» Upper Oxus والفتح العسكري الأخميني، فلم يبدو وكأن له تأثيرًا ماديًّا محسوسًا على الإقليم، حيث نجد أنه كان هناك استقرار مدهش في العادات والتقاليد المحلية (خاصة في مجال الصناعات الفخارية والتكنولوجيا الهيدروليكية)، ومع وجود مثل تلك العوامل فإن النتيجة تقول بأن الانتصار أول الفتح الأخميني في هذه الدول والأقطار في وقت قورش (Cyrus) ، وبعد ذلك لم يكن أكثر من نوع من الظواهر العسكرية والسياسية وعملية استقدام واستحداث نظام المرزبان والحامية العسكرية والجزية والمبالغ المفروضة والضرائب العسكرية، وغير ذلك من الأشياء التي كانت من القبيل ذاته، والأعمال الهيدروليكية التي كان يتم إجراؤها أثناء هذه الفترة -فترة السيادة الفارسية- والتي لم تكن تحتاج إلى تمويل من جانب إدارة المرزبان .

وعلى الجانب الآخر، وعلى العكس من ذلك، فإن التواصلية الأثرية كانت ترغب أكثر من ذلك في التعرض إلى وتناول الثوابت في التقاليد السياسية المحلية القوية والتي لم يكن للفرس أي تأثير عليها،

وباختصار فإن أي تأثير لفتح قورش (Cyrus) هو غير محسوس، أو ملموس في هذا المجال أو في الحقيقة».

السلطة المركزية، والمركزية الثقافية متعددة الأقطاب:

إن هذه الاستكشافات المركزية والأساسية نجدها تُذكرنا وتُـذكر المـؤرخين بـأن طرق ووسائل الفتح والإدارة الإمبرياليـة يجـب تقيميهـا في ضـوء التنـوع الجغـرافي، حيث نجد أن التغاير في المحتوى السياسي الأخميني صارخ جدًّا، والمجتمعات التـي كانت موجودة قبل هذا الفتح بالتأكيد لم تكن جميعها قد وصلت إلى هذه المرحلة نفسـها مـن التطـور والتنميـة، ولكـن، عـلى سـبيل المثـال، مـن هـو سـيد المملكـة البابليونية الجديدة الواسعة؟ ليس هناك شيء يمكـن اقتراحـه مسـبقًا، والقـول بـأن الفتح أو الغزو كان له الأثر نفسه على كل قُطر أو كل مجتمع .

وبدلاً من ذلك، يجب علينا أن ندرك أن الانتصارات والمستحدثات التي حدثت كانت لها جذور، وذلك بطرق وأساليب مختلفة، حيث كان المنتصرون أو الفـاتحون يتطـابقون معًـا، ويتبعـون الإطـار الثقـافي والسـياسي والاجتماعـي المحـدد بالنسـبة للأشخاص والشعوب التي كانوا يقومون بغزوها.

وأفضل الأمثلة المعروفة الشائعة يوضح بـدون جـدال أن الفـاتحين لم يحـاولوا أبدًا توحيد تلك الأقاليم والمقاطعات التي كانوا يقومون بفتحها بشكل سـياسي، بـل على العكس من ذلك -وكما رأينا- كان فقط هناك تسلسـل وهيكـل هرمـي محـلي يـتم بنـاؤه وتشـكيله، وكانـت هنـاك بعـض التقاليـد التـي حـاول كـل مـن قـورش (Cyrus) وقمبيـز Cambyses فرضـها عـلى الأرض الجديـدة؛ وذلـك لبنـاء وعمـل سلطان جديد .

أما الفرس -على سبيل المثال- فلم يحاولوا مـن جـانبهم نشر لغـتهم ولا دينهم، وبدلاً من ذلك، فإنهم عرضوا وأظهروا توافقًا وتسامحًا عظيمًا

مع الأديان المحلية الخاصة بالأقطار والأقاليم التي كانوا يفتحونها، فكل شعب استمر في التحدث بلغته ويقوم باستخدام نظام الكتابة المتبع لديه نفسه، وفي بابليونا، نجد أن افتراضات قورش Cyrus وتعاليمه فيما بعد، تلك الخاصة بدارا Darius كانت مكتوبة في المخططات والألواح، وذلك باللغات الثلاثة وهي الفارسية Persion والأكادينية Akkadian والإيلامية Elmite ، وعندما تناول قورش (Cyrus) موضوع عودة اليهود إلى أورشليم فإن ذلك كان في العبرية، وتم تسجيله بالأراماتية Armaic ، ومع وجود بعض الشواذ البسيطة، نجد أن الفرس فقط هم الذين كانوا يتحدثون الفارسية، ويتعبدون لآلهة الفرس، ويُحافظون على التقاليد والتعاليم الثقافية .

ومن ثم فهل يستطيع أي شخص عاقل أن يشُك في ذلك؟ لا قورش (Cyrus) ولا قمبيز Cambyses كان لديهم الهدف البسيط في الحكم بالاسم فقط؛ وذلك لوجود ما يطلق عليه اللغوية المُتعددة الإمبريالية، والتي لم تقدم في حد ذاتها أية عقبات أمام وجود السلطان الفارسي، فقد ظلت تحت السيطرة بواسطة الاستخدام المنتظم للإدارة الأخمينية، وذلك تحت ما يُطلق عليه الآرامية الإمبريالية Imperial Aramaic ، وإذا لاحظ الفرد أن ثمة شيء ما بعد ذلك مكتوب بالإيلامية Elamite فإنه سوف يكون عبارة عن ألفاظ فنية فارسية، وعملية تعيين المرزبانات في ميديا Media ، وفي آناتاوليا Anatolia وفي بابليونا Babylonia وفي مصر وفي وسط آسيا، لم تكن تشمل أو تعني إيجاد اختلاف رسمي أو نظامي في الأوضاع والمحتويات السياسية المحلية، والنظامين القضائي الإداري تم ضبطهما على أساس المؤسسات الخاصة بالولاية أو الإقليم، والملك العظيم استمر في تقديم نفسه للشعوب والمدن والملوك والطبقات الحاكمة بالنسبة للشعوب التي كان يغزوها، وعلى الجانب الأول، فإن الغزو قد قاد إلى طمس كامل

للممالك التي قاموا بفتحها (وذلك مثـل ميـديا Media وليـديا Lydia وبابليونيـا ومصر) في داخل إمبراطورية موحدة، وعلى الجانب الآخـر، فـإن تأسـيس المرزبانيـة بشكل تام نجده يعبر عن ويمثل النية لدى الفـاتح أو الغـازي لخلـق وإيجـاد دولـة جديـدة، والتـي تعتـبر وحـدتها غـير قابلـة للإلغـاء، والكيانـات السياسـية المحليـة (الشعوب، والمدن، والملوك، والطبقات الحاكمة والأرستقراطيين) كانـت متكاملـة في الدولة، ولكن بطرق وأساليب مختلفة، وحتى نكـون متأكـدين مـن ذلـك بالشـكل نفسه، فإن استقرار (الفرس الإمبرياليين) في الإقليم يبرهن على النية الملكية في خلق ظروف مناسبة من أجل إتاحة سلطة فعالة، وذلك على المقاطعـات والأقـاليم التـي تـم الانتصـار فيهـا والسـيطرة عليهـا وعـلى سـكانها، وفي الإطـار الخـاص بـالطرق والأساليب التي قام قمبيز Cambyses باتباعها نجـدها كانـت لخلـق وإيجـاد مـا نطلق عليه الأسطول الأخميني، وكان هذا الأسطول أيضًا فعالاً، والأسطول أو القـوة البحرية لم تكن بشكل مبسط مجرد خلـيط أو مجموعـة عشـوائية مـن القـوات أو الوحدات العسكرية الإقليمية التي تكون قيادتها متروكة للقـادة المحليـين أو تابعـة للقيادة المحلية، ولكن الأسطول الملكي تم بناؤه كقوة أولى للحكومة المركزية، وتـتم قيادته بواسطة الضباط الفرس، وفي هذه العملية نجد أن الشعوب التي تم غزوهـا كان مطلوبًا منها دفع الضرائب على شكل فضة من أجل بناء مثل هذا الأسطول .

وهناك مثال آخر واضح أيضًا وهو المباني التي تم بناؤها بواسطة قـورش (Cyrus) في باسارجاداي Pasargade ، وأيضًا نشاط الحرفين من ليديا الـذي كـان متنوعًـا مـن حيـث الأسلوب وفن البناء، وهنا عليك مثلاً أن تقوم بإدراك مدى قـوة قـورش (Cyrus) ، وأيضًـا مـدى الاهـتمام بنتـائج الأنشـطة البنائيـة والخاصـة بالمبـاني التـي قـام قـورش (Cyrus) بتشييدها، ولا يمكـن شرحهـا وتفسـيرها بشـكل سـهل باعتبارهـا مجموعـة مـن الأسـاليب

والأنماط غير المتكاملة، والتي منها يمكن للشخص أن يجد تأكيدًا على استمرارية التقاليد الفنية الأولى .

ومن ثم فإن استقدام ما يُطلق عليه الحدائق المروية في عاصمة قورش (Cyrus) الجديدة لا يقوم ببساطة بالاعتماد على التكنولوجيا التي كانت موجودة ومستمرة، والتي كانت معروفة جيدًا وبشكل خاص فيما بين الملوك الآشوريين الجُدد Neo-Assyrian ، وهناك دراسة حريصة بشكل أكبر نجدها توضح أن هذه الفنون المعمارية ذات المناظر الطبيعية) تحاكي النموذج الذي كان موجودًا بشكل سابق، وذلك عن طريق جعل الحدائق جزءًا متكاملاً مع القصر، وواحدة من الأشياء التي تزين وتزخرف الحياة الملكية، وأيضًا الحياة في القصر .

وبالتالي، فإنه ليس الفنانون الأجانب (من ليديا أو بابليونيا أو مصر... الخ) هم الذين قد عملوا في خطة باسارجاداي Pasargade أو قاموا بتحديد وظيفتها، ومثل بيري سبوليس Perspolis بعدها، نجد أن باسارجاداي كانت بالكامل حسب رغبة الملك ومستشاريه، وذلك باعتبارها وظيفة البرنامج الإمبريالي والملكي، والتي من خلالها يوجد التنوع الأسلوبي، ويقوم بتغذية الوحدة السياسية للقصر الملكي ككل أكثر من تدميرها، والتوفيق الأسلوبي أيضًا نجده يعبر عن الحقيقة القائلة بأن التنوع الثقافي للإمبراطورية قد كان يدًا بيد أو موازيًا للسيطرة وتأكيد الوحدة السياسية، وعلى أية حال، فإنه من الجيد والأفضل أن نتحدث عن تقليد ومحاكاة الأشكال والتراكيب السياسية والاجتماعية المحلية، وذلك داخل الإطار الإمبريالي المحدد بواسطة الملك ومستشاريه أكثر من التواصلية البسيطة والصافية، وهذه الأشكال الخاصة بالتقليد والمحاكاة لا تتضمن ولا تعني اختفاء التقاليد المحلية، ولا حتى تعني وتتضمن استمرارية وتواصلية كل عناصرها المكونة لها، وفي هذه النقطة، نجد ملحوظة منهجية مبدئية ربما يمكن تكوينها يقول بأنه ليس هناك تناقض

ضروري بين بسط وفرض السلطة الفارسية وتأمين وجود ما يطلق عليه التبني للحفاظ المحدود على الظروف المحلية والإقليمية .

النص والصورة:

حتى نعود للمثال الباكتري السابق ذكره حول باكترا Bactra نجد أنه من المهم أن ندرك أن المسألة التي يفرضها هذا المثال هي مسألة فريدة من نوعها، وهي مسألة تاريخ هذه الدولة، خاصة أثناء فكرة حُكم قورش (Cyrus) وقمبيز Cambyses ، والذي نجده معروفًا بالضرورة من الدليل أو الأثر التاريخي الأثري، وفي الحقيقة نجد أن المؤلفين الكلاسيكيين هم بالكاد مهتمون بهذه الأقاليم من قبل انتصار وغزو أو فتح الإسكندر Alexandar ، وفي الخيال الإغريقي (اليوناني) نجد أن هذه الأقاليم واقعة على حدود وأطراف الأوكي ميني Oikomene ، والتي لا نعرف أية معلومات حقيقية عنها على الإطلاق».

وهنا سوف يكون كافيًا أن يتم تذكر أنه قبل وقت الإسكندر لم يكن هناك مؤلف قديم قد رأى أنه من المناسب أن يقوم بقراءة أو وصف للباسارجادي Pasargade أو بيرسبوليس Persepolis ، وليس هناك سبب لأن نستنتج من هذه الفجوة الدليل الذي يقول إنه في عيون الملوك العظماء أنفسهم كانت الدول الإيرانية الشرقية بعيدة، ليس جغرافيًا وإنما سياسيًّا، بل على العكس، نجد أن تعيين وتحديد بارديا Baradiya وهو الابن الأصغر لقورش (Cyrus) لقيادة باكترا Bactra يقودنا إلى الاعتقاد بأن الملوك العظماء كان لهم اهتمام كبير بباكترا Bactra ، وفي عام 522 نجد داداريس Dadaris وهو مرزبان باكترا Bactra جعل من السهل على قورش (Cyrus) أن يقوم بإخماد تمرد المتمردين والثورات التي اندلعت في الأقاليم الشمالية من الجانب الإيراني أو بعض البقع الإيرانية .

وفي نظر سترابو Strabo (مؤرخ) نجد أن سيرداريا Syrdaryia ذاتها كانت على حدود المملكة الفارسية مع آسيا الوسطى، وهناك قام قورش

(Cyrus) ببناء العديد من المدن، ووضع الحاميات العسكرية بها، وباختصار فإن صمت الكتاب والمؤلفين الكلاسيكيين لا يمكن استخدامه باعتباره إشارة أو دلالة على أي شيء هنا أو هناك .

والحالة الخاصة بباكترا Bactria مميزة وفريدة؛ وذلك بسبب أهمية الفجوة في الدليل النصي، وعلى الجانب الآخر، فإن المشكلات المنهجية والمسائل المنهجية أيضًا التي تنشأ عن ذلك تجعلنا نرجع بالزمن مرة أخرى، وبالمكان إلى الأقطار الأخمينية، وصوصا Susa إيلام Elam تبدوان وكأنهما استمرتا في الوجود، كما أنه لم يحدث شيء، ولا حتى التتبع الخاص بالوجود الفارسي يمكن أن نجده في السجلات الأثرية قبل دارا Darius ، حيث يوضح الأثر التاريخ أو الأثري في الحفاظ على التقاليد الخاصة بإيلام هناك، ونحن بصعوبة لدينا آثار تاريخية أو دليل أثري على السيطرة الفارسية على مصر في عهد قمبيز (Cambysis) .

وبالتالي، فإن التفسيرات الخاصة بعلماء الآثار الباكترين تُلقي ضوءًا مختلفًا على عملية أخذ السلطة والسيطرة في الدول المفتوحة أو التي تم غزوها بواسطة قورش (Cyrus) وقمبيز (Cambysis) ، وبعد ذلك إدارتها بواسطة الفرس لمدة أكثر من قرنين من الزمان، وبالرغم من الدليل الخاص بباكترا والذي يدعم الفكرة القائلة بأن الانتصار أو الفتح كان له أثر سطحي فقط على المنظمة الإقليمية المتطورة بالفعل، والتفكير في أدلة أخرى أيضًا يسمح لنا برؤية مختلفة، وذلك لآثار هذا الفتح على الأقاليم المتطورة الأخرى في الإمبراطورية .

ونتيجة لذلك، فإن حالة باكترا Bactra بالنسبة للمؤرخين تفرض تخصيص عامًا حول مسألة التكامل الإمبريالي، وهو ما سوف نناقشه مؤخرًا (الفصل 16) .

6- الفُرس والشعوب (التي تم غزوها):

الفتح العسكري والإستراتيجية الأيديولوجية:

إن تحليل الحالات الإقليمية يقود المؤرخين إلى الاستفسار عن العلاقات بين الشعوب (التي تم غزوها) والشعوب الغازية، وهذه تعتبر مسألة أساسية والتي سنعود إليها في العديد من المرات؛ لأن هذه المسألة تُثير مناقشة وجدلاً واسعًا حول التكامل والتماسك الخاص بالبناء الإمبريالي، وبالرغم من الفراغات التي ربما تحدث، فإنه من الواجب أن نتناول تلك الحلول التي قام بها قورش (Cyrus) وقمبيز (Cambysis) .

إن المشكلة التي تواجه القراء يمكن أن يتم تمثيلها بتغييرات بسيطة نسبيًا، وأولاً وقبل كل شيء فإن الغزاة كانوا يريدون أن يسيطروا على الأراضي والشعوب بشكل كفء وتام قدر الإمكان، ومع اعتبار العدد القليل نسبيًا للفُرس، فإن الاحتلال العسكري للأراضي يُشكل فقط استجابة جزئية للمشكلة التي تواجه الغزاه، فليس عليهم فقط أن يكونوا قادرين على صد ومواجهة أي نوع من التمرد والعصيان الذي ربما يظهر، بل أيضًا وبشكل كبير عليهم أن يكونوا قادرين على اتخاذ خطوات حول منع هذه الثورات وأشكال التمرد هذه من الظهور، وذلك في المقام الأول، وحتى هذا الحد، نجد أن قورش (Cyrus) وقمبيز Cambyses قد اتبعوا استراتيجية أيديولوجية، تعني بخلق ظروف للتعاون مع الصفوة المحلية من الشعوب التي كانوا يغزونها، وهي الحاجة الأكثر إلحاحًا، وهذا هو السبب وراء عدم ظهورهم على أنهم خارجين أو دخلاء على هذه الشعوب والمجتمعات، حيث إن الملوك العظماء قد قاموا بمحاولات جادة ليستطيعوا أن يجعلوا هناك تأقلمًا مع العادات والتقاليد المحلية على المدى البعيد، وأن يقدموا أنفسهم كحماة لمصالح هذه الدول والشعوب، وفي الوقت نفسه، نجد أن هذه الاستراتيجية قد

تطلبت السماح لهذه الصفوة من الشعوب التي تم غزوها بالمشاركة في أداء وظائف السلطة الإمبريالية الجديدة، ولكن الخبرة توضح لاحقًا أن عملية وضع هذه السياسة وتنفيذها بشكل إجباري ربما يُثير كثيراً من الغموض .

وفي الحقيقة، وبينما يبدو أن تبني هذه الاستراتيجية يسير جيدًا وذلك على أساس الخطوط العريضة والشكل العام، إلا أنه لا يجب أن نسمح لأنفسنا بأن نكون منشغلين بها قدر الإمكان، حيث إن التعاون الفعلي من جانب الصفوة المحلية من هذه الشعوب يفترض مسبقًا أنهم يوافقون على خدمة السلطة الجديدة، والولاء لها، ونحن يجب أيضًا أن نقوم بإبعاد تلك الخيالات الخاصة بالرؤية السائدة للمصادر القديمة، حيث إن هيرودوت Herodotus والمؤرخين والكُتاب القدامى كانوا يحاولون تجنب أو عدم التعرض لحركات المقاومة التي كانت تحدث من طرف تلك الشعوب والممالك والدول التي كانوا يقومون بفتحها وغزوها (أي التي كان الفُرس يقومون بغزوها) .

وبالفعل، وحقيقة لم يكن أي انتصار عسكري يحدث بشكل سهل أو مباشر، فما كان يحدث بعد الفتح أو الغزو لا يعتبر دليلاً كامنًا على احترام الفٌرس لهذه الشعوب والممالك، بل على العكس، كان ذلك هو الخطوة الأولى في تحقيق الاستراتيجية العسكرية الموضوعة والمُخطط لها من قبل الفُرس، والتي تهدف في الوقت ذاته إلى تشجيع الطبقات الحاكمة في التحالف معهم، ومع تحقيق هذه السياسة وجعلها قيد التنفيذ، تحدث مثل هذه التحالفات فيما بين الفُرس والصفوة من تلك المجتمعات والممالك، وقد أدرك قورش (Cambysis) ذلك سريعًا في ليديا Lydia ، ولكونه حريصًا عند زرع هذا التعاون مع الأرستقراطية الليدية، نجده قد قام بالعهد إلى واحد منهم، ويَطلق عليه باكتيز Pactyes وجعله مسؤولاً عن الجزية وهي الوظيفة التي كان الشخص نفسه مسؤولاً عنها في ظل حُكم كروسوس Croesus ، ولكن باكتيز استخدم هذه المسؤولية وجعلها في

صالحه عندما قام بإلهاب مشاعر الجماهير (وهم جماهير ليديا Lydia) وحثهم ضد الفُرس، وبالطبع، وعلى الجانب الآخر لم يكن باكتيز هو الممثل أو المندوب عن كل الطبقة الأرستقراطية في الدولة فقط، ففي ليديا -وأي مكان آخر- نجد أن ممثلي الطبقة السائدة يتعاونون بالتأكيد وربما لا يشاركون في ثورات أو تمرد، وهذه كانت القضية والحالة نفسها عند «ميرسوس Myrsos » وهو ابن جايجوس Gyges والذي احتل مكانة وظيفية مرموقة في بيروقراطية مرزبان ساردیس Sardis من قورش (Cyrus) وحتى دارا Darius ، والمثال الخاص بباكتيز جعل الفُرس حذرين من تولي الأرستقراطيين المحليين في الدول المفتوحة بأية مسؤولية .

ونأتي إلى أصول حركات المقاومة والتي من الصعب تحليلها، مثلاً التمرد العظيم الذي كان في 520-522 (والذي سوف نعود إليه في الفصل التالي) يبرهن على قوة وسيطرة التقاليد السياسية الحاكمة والمحلية لتلك المجتمعات، حيث نعرف من البداية أن الأرستقراطيين خافوا على وضعهم الاقتصادي والاجتماعي، كما أن التحول المؤقت لهؤلاء الملوك الجدد (الفُرس) وسيطرتهم عليهم لم يكن يؤدي بالقدر الكافي إلى استقرارهم، وعليك أن تُفكر على سبيل المثال في النبيل المصري الذي بعد الانتصار الفارسي نجده قد تحول من الثروة العظيمة والغني الفاحش إلى الفقر المدقع، ولم يصبح أي شيء بعد ذلك إلا أن يكون شحاذًا، فهو في السابق وقبل الفتح كان مقاربًا ورفيقًا للفرعون وكانت له مكانة دائمة على طاولته ومأدبته، ووضعه الاقتصادي كان مرتبطًا جدًّا بقدر سيده ومولاه (ملكه الذي ترك العرش عندما أتى الفرس)، وهو أيضًا يُشارك سيده قدره ونصيبه .

والرغبة والمشيئة الخاصة بالمقاومة والتمرد يمكن أن يتم التعبير عنها بواسطة شخص ما مثل الفرعون «سافيتيكونس Psammetichus »، وهذه الرغبة نجدها قد أضعفت مكانة النبلاء الذين ما زالوا على

إخلاصهم وولائهم له، ومن ثم، ونتيجة لذلك، كان النشاط الطاغي لاستجابة قمبيز (Cambysis) ضد العائلات الكُبرى، وكان ذلك تحذير واضح جدًّا ومُستهدف ضد النبيل المحلي أو النُبلاء المحليين في تلك المجتمعات (يُقصد بذلك ما فعله قمبيز Cambyses)، وبالتالي فإن تأمين وضعهم وسيادتهم الاقتصادية والاجتماعية يعتمد على تحالفهم وتعاونهم وولائهم ومثول الحقيقة الجديدة والخاصة بالأشكال الإمبريالية المفروضة من قِبل الفُرس .

وإن لم يحدث ذلك من جانبهم، فإن ملكيتهم وسطوتهم ونفوذهم ومكانتهم سوف تذهب أدراج الرياح .

نبذة عن النشاط السياسي لقورش (Cyrus) وقمبيز (Cambysis) :

على أية حال، فإن تحليل النشاط السياسي وطاقم العمل السياسي لقورش (Cyrus) وقمبيز (Cambysis) ، نجده بوضوح، يؤكد الاعتماد على المُديرين المحليين، فهم باستمرار كان يتم ذكرهم في العديد من المستندات الأكثر أهمية وفي الألواح البابليونية، ولكن (وبدون استثناء)، وبعد السنوات الأولى من الاحتلال، نجد أن الموظفين المحليين تم منحهم وظائف لا تشمل المعترك السياسي على المستوى العالي، وأية محاولة خاصة بالتحليل الإحصائي لأسماء طاقم العمل السياسي لا يمكن أن تكون دقيقة جدًّا.

وفي الحقيقة نجد أن البيانات الأساسية حول أسماء هذا الطاقم تأتي من السجلات الخاصة أو سجلات المعبد (وهذه السجلات هي الخاصة بالأرشيف سواء الخاص أو ذلك المرتبط بالمعبد)، بل والأكثر من ذلك، نجد انتقال الألقاب والمؤهلات المهنية هي مسألة امتياز تسير بطول أجيال العائلة، وعلى العكس من ذلك فنحن ليس لدينا أرشيف رسمي منفرد يمكن أن يُقدم بيانات مقارنة حول الأصل الخاص بموظفي المرزبانية الأعلى .

وعمومًا، وعند الحديث بشكل عام فإن السجلات المصرية تقدم استمرارية وتواصلاً حول أسلوب الحياة قبل الفتح وحتى الأشياء التي أتى بها الفُرس بعد ذلك، وهذا يعتبر صحيحًا بشكل خاص من خلال ذلك النص الغريب الذي يتحدث عن الشجار الخاص بعائلة الكهنة من أجل خدمة معبد آمون Amon ، حيث يقول النص بأن: «بيتيس Petesis » (الأول)، قد ترك وظيفته لابنه إيستميتو Esemteu ، وبالرغم من بعض المشكلات، انتقل أيضًا إلى حفيده «بيتيس الثاني Petesis II »، وبينما هو في طريقه في حملة عسكرية مع الفرعون ساميتيكوس Qsammetichus الثاني (589-594) نجد أن بيتيتس الثاني قد تم تجريده من ممتلكاته وألقابه واستمرت متاعب العائلة ومصاعبها لفترة طويلة تحت حكم آماسيس Amasis (570-525)) ، ثم من بعد ذلك قمبيز Cambyses ودارا Darius ، والوثيقة تقدم الانطباع القائل بأنه بعيدًا عن الإشارة إلى سنوات حُكم قمبيز Cambyses ودارا Darius ، فإن الفتح أو الغزو الفارسي كان فقط يتم إدراكه بشكل غامض والإحساس به على هذا النحو، وعلى وجه الخصوص، كانت كل الأسماء الموجودة والمستخدمة هي أسماء مصرية، والسبب وراء ذلك واضح، وهو أنه في هذا النص كان المتحدثون بشكل تقليدي هم المصريون وليس موظفي المرزبانية (أو موظفي الولاية الفارسية على اعتبار أن مصر بعد غزوها بواسطة الفُرس كانت ولاية فارسية)، ولكن يتبادر إلى أذهاننا الآن سؤال مهم، وهو: هل كان الحاكم أثناء حُكم قمبيز Cambyses فارسيًّا (المرزبان) أم كان مصريًّا؟ وحتى هذا الوقت لا يمكن أن نؤكد بالفعل هل كان حاكم الإقليم المصري أثناء حُكم قمبيز Cambyses المرزبان الفارسي أم أنه كان شخصًا مصريًّا؟

ولكن دعنا ببساطة نُلاحظ أن الغزو الفارسي لم يضع نهاية مفاجئة لوظائف وأماكن البيروقراطيين أو الموظفين في الوظائف العليا في الدولة

مثل أحمس Ahmose ، والذين قد أحاطوا بآخر الفراعنة، ولكن يبدو في الوقت ذاته أن مكانهم في الهيكل الإداري كان متواضعًا نسبيًّا بالرغم من الأتعاب التي أعطوها لأنفسهم، والتي تحكى الكثير حول برستيجهم ومكانتهم في المجتمع المصري آنذاك، وعلى أية حال، فإن بعض الألقاب نراها قد اختفت مع الغزو، خصوصًا تلك «الألقاب التي كانت قبل الملك مثل «أكسيد» أو المعروفة للملك، فقط رجل مثل «أودجارسنت Udiaharresent استطاع أن يتفاخر بأنه معروف لدى الملك (قمبيز Cambyses).

وبالإضافة إلى ذلك، وإذا قمنا بفحص وضع مثل هذا الرجل قبل وبعد الغزو، فإننا سوف نجد أنه قد احتفظ بالعديد من الألقاب التقليدية، ولكن هذا يُعتبر مسألة ألقاب لمجرد التشريف أكثر من أداء وظيفة سياسية أو دور سياسي، ونحن أيضًا نرى أنه قد فقد الوظيفة أو المكانة الوحيدة ذات المسؤولية، والتي كان يشغلها قبل وصول قمبيز Cambyses ، وهي وظيفة «أدميرال الأسطول»، بينما نجده في ظل حُكم قمبيز Cambysis (ومن بعده دارا Darius) يشغل منصب ضابط الخدمات الطبية الأول، وهذا كان بالكاد ابتكار وشيء جديد؛ لأن المصريين كان لديهم أطباء مشهورين، وكان يتم استخدامهم في العصر الفارسي وذلك في عصر قورش (Cyrus) ، وحتى نكون متأكدين فإنها كانت تعتبر وظيفة تشريعية، وحتى لا يتم إنكار قدرته ومكانته، وقد كان «أودجارسنت Udjahorresnet » فخورًا لأن قمبيز Cambyses خصص له هذه الوظيفة، وعينه رئيس ضباط الخدمات الطبية، حيث يعتقد أنه بوضعه بجواره وفي صحبته قد أصبح مُدير قصره، فقد أطلق على نفسه العديد من الألقاب مثل «الباشا، والمستشار الملكي، والرفيق الوحيد، والصديق الوفي للملك الذي يُقدره ويحترمه، وهي مثل الألقاب المصرية التقليدية التي كانت موجودة في ظل حُكم آماسيس Amasis وغيره، وهذا التراكم في

الألقاب لم يطمس الحقيقة القائلة بأنه بالرغم من ولائه لقمبيز Cambyses فإن أودجارسنت لم يحصل على وظيفة أو مكانة واحدة ذات نفوذ سياسي إما من الملك أو في مصر ذاتها.

وننتقل الآن إلى المقاطعة الميدية (Medes) ، حيث كان هو الشعب الوحيد الذي تم غزوه، واستطاع أفراده الحصول على وظائف عالية جدًّا، فمع ورود أخبار عن التمرد الموجود في ليديا Lydia ، نجد أن قورش (Cyrus) قام بتعيين «مزارس Mazares » وهو من ميديا لقيادة حملة قمع هذا التمرد، ومع وفاته أثناء هذه الحملة نجد أن من خلفه في قيادة هذه الحملة كان أيضًا من ميديا واسمه هارباجوس Harpagus وهو الشخص نفسه الذي قام بعمل تحالف مع قورش (Cyrus) في وقت غزو ميديا Media ، وهو أيضًا الذي أكمل غزو ساحل آسيا مينور Asia Minor ، وكان من بين أولئك القادة الذين كانوا مع دارا Darius في بداية حُكمه، وهناك ميدي آخر هو «تاج ماسبادا Takhmaspada ، وأيضًا داتيس Datis الذي حصل على الوسام العسكري من الطبقة الأولى في نهاية عام 490 والذي ربما يكون قد بدأ حياته ووظيفته في الجيش مع قمبيز Cambyses ، والمكانة الخاصة بأهل ميديا Media هي بالطبع وبالتأكيد مكانة عظيمة بالفعل، ويبدو من المحتمل أنه بعد غزو إكباتانا Ecbatana تمتعت ميديا بوضع ومظهر خاص بين الدول والأقطار التي قام الفُرس بفتحها، وذلك ربما يكون بسبب الروابط الثقافية والسياسية القديمة بين الفُرس وأهل ميديا Media ، ولكن في الوقت نفسه نجد من الواضح أن منظورنا ورؤيتنا منحرفة ومشوهة بعض الشيء ربما بسبب الدعاية، فعلى سبيل المثال، الزواج بين قورش وآميتس Amytis قد تم تسجيله بواسطة ستيسياس Ctesias وهو ليس حقيقة مؤكدة، وسوف يبدو من المُبالغ فيه أن نتحدث عن الارتباط السيادي بين الفُرس وأهل ميديا Media ، حيث إن كل المؤلفين القدامى ادعوا بأن قورش (Cyrus) هو الشخص الذي قام

باقتلاع سلطة الحُكم من أهل ميديا لنقلها إلى الفُرس، حيث إن أهل ميديا هم المنهزمين، بينما نجد أن الفُرس هم المنتصرون، ومع ذلك، وبشكل ثقافي، نجد أن الفُرس وأهل ميديا كانوا عبارة عن أولاد عموم متقاربين، وبالرغم من كل هذه الحقائق، إلا أنه أهمية الموروث الميدي Median في تعظيمه دولة قورش (Cyrus) وقمبيز Cambyses يجب ألا يتم إغفاله ويجب تقديره بشيء من الاعتدال والمعقولية، والتأثير الخاص بـ Elamite أيضًا كان عظيمًا .

ففي القوائم الفارسية التي تضم الدول والأقطار المعروفة بداية من وقت دارا Darius نجد أن ميديا Media دائمًا توضع بعد فارس مباشرة، وقد تحولت ميديا أيضًا إلى مرزبانية أو ولاية فارسية تحت قيادة المرزبان، وعلى العكس من فارس، فقد كان عليها دفع الجزية مثل أية حكومة إقليمية أخرى، بل والأكثر من ذلك فليس هناك أي مرزبان معروف بالتأكيد له أصل ميدي (أي أنه من أصول ميديا) فقد كانت ميديا فقط ورجالها يشغلون المناصب العسكرية العليا، وفي هذه الوظائف نجدهم دائمًا معتمدين على أوامر الملك ويقومون باتباعها والعمل على تنفيذها، وفي آسيا مينور على سبيل المثال، نجد أن القادة الميديين كان عليهم أن يعملوا -على الأقل- ويتعاونوا مع المرزبان الفارسي ومع القادة من الفُرس، وأيضًا مع قائد قلعة سارديس الذي يُدعى تابالوس Tabalus والذي كان فارسيًّا أيضًا .

ويبدو من الملحوظ بشكل عام أن مرزبانات قورش وقمبيز (Cyrus Cambysis) كانوا بلا استثناء يأتون من عائلات فارسية، حيث إن جوبارو Gubaru هو مرزبان بابليونيا وترانس إيفاريتس Trans Euphrates وأريندس Aryandes في مصر وأوروتيس Oroetes في سارديس وميتروباتس Mitrobates في داسليوم Dascylium ودارا Darius في باكترا Bactria وفيفانا في Vivana في آراكوسيا Arachosia ، وأيضًا

الشيء نفسه كان صحيحًا بالنسبة للخازن الإمبريالي في بابليون Babylon ، وفي ميثراداتا Mithradata ، ونجد أن هيرودوت Herodotus من بين الأرستقراطيون الفُرس قد قام بالتمييز بين الأخمينيين أنفسهم، فعلى سبيل المثال نجد أن الملك المستقبلي دارا Darius قد تمتع بمكانة عالية في قصر كل من قورش وقمبيز (Cyrus Cambysis) ووالده الذي كان يُدعى هيستاسب Hystaspes نجده قد حكم مقاطعة بارثيا-هيركانيا Parthia-Hyrcania ، أو على الأقل قد احتل وشغل وظيفة عسكرية مرموقة هناك (في القصر)، وأيضًا كان هم الفُرس الذين شغلوا المناصب الخطيرة التي تحتاج إلى الثقة والمصداقية حول الملك مثلما كان بريكساسبس Prexaspes هو حامل رسائل الملك في ظل حُكم قمبيز (Cambysis) والذي كان ابنه يقوم بدور حامل كأس (الملك)، بالإضافة إلى قُضاة القصر، فعلى سبيل المثال نجد سيسامنز Sisammnes الذي حُكم عليه بالموت بواسطة الملك قمبيز Cambyses .

وعند التفكير ككل في تكوين وتشكيل الطاقم الخاص بالعمل السياسي تحت إمرة الملوك الأوائل، نجد أن هناك سطوة وسيطرة كبيرة في هذا الكادر، والذي يمثله الأرستقراطيون الفرس في الحكومة الإمبراطورية، فقد كانت القيادة في هذا الجانب قاصرة على الفُرس الذين كانوا يتولون المناصب السياسية، وهذه الملحوظة البسيطة نجدها بوضوح تؤكد على أن الإمبراطورية عند تكوينها وبنائها لم تكن ببساطة عبارة عن مجرد وضع لأشكال وتراكيب خاصة بالدولة، والتي كانت موجودة جنبًا إلى جنب والتنسيق فيما بينها، وإنما كانت إمبراطورية جديدة، حيث يجتمع فيها الغزاة والمنتصرون حول الملك ويقومون بالاحتفاظ لأنفسهم بالوظائف المرموقة وأوجه الاستفادة المختلفة، والتركيبة الاجتماعية والسياسية المحلية لم يتم ضبطها، وأيضًا فئة الصفوة من المجتمع لم تكن محددة إلا بالقدر والمدى الذي يمكن أن

يحدث عنده تكامل في الدولة الجديدة، والعائلات المحلية التـي كانـت يـتم توقيرهـا واحترامهـا كانـت هـي المرتبطـة بحكومـة الإمبراطوريـة باعتبارهـا عـائلات مسـاعدة ومؤيدة وداعمة لمجموعة الحكم الجديدة، وبالتالي فـإن هـذه المجموعـة -ربمـا بعـد ذلك- تصبح هي الطبقة الاجتماعية السائدة التي يتم تشكيلها وتكوينها من أجـل أن تكون هي الجزء الأعظـم مـن منـدوبي وممـثلي العـائلات الأرسـتقراطية العظيمـة في فارس .

الاتصالات المباشرة والتبادل الثقافي:

إن تلـك الملحوظـة التـي سـبق ذكرهـا لا تتضـمن أن الفُـرس لم يقومـوا ببنـاء علاقات قريبة واتصالات مباشرة مـع الطبقـات الحاكمـة المحليـة، حيـث إن هنـاك بعض الأمثلة والمنطق البسيط يفترض عكس ذلك، وفي بعـض الأقـاليم -خصوصًـا في فارس Fars أو إيلام Elam - وكما رأينا فإن الاتصـال والتبـادل كـان مسـتمرًا بعـد فتح أو غزو قورش (Cyrus) ، ففي بابليونيا على سـبيل المثـال، وأثنـاء الربـع الأول من القرن السادس كان هناك بابليونيون كانت أسماء عائلاتهم إيرانيـة، وفي وثيقـة ترجع إلى حُكم قمبيز Cambyses التـي كانـت باللغـة الفارسـية وتـم إرسـالها إلى مـاتيزيس Matezzis وهـو سـابق للبـابليونيين، وكـان لـه اسـم إيـراني وهـو اسـم بادجابادا أو Bagapada ، ولكننا لا نعرف شيئًا أكـثر حـول الزيجـات الممكنـة بـين الفُرس وأفراد من الشعوب الأخرى، ونحن ربما نفترض تقريبًا أنه أثناء هـذه الفـترة، فإن بعض ملوك الفُرس ربمـا كانـت أصـولهم بابليونيـة في الأسـاس، وعـلى الجانـب الآخـر، وفي آسـيا مينـور، نجـد أن الزيجـات بـين الأرسـتقراطيين والخاصـة بسـارديا Sardia والعائلات التي تنتمي إلى المدن اليونانية هي بعيدة تمامًـا عـن التوثيـق في الفترة الأخمينية الأولى (المبكرة) .

ومن بين الأمراء المحليين الذين كانوا مفتونين بالترف الفارسي والبهـاء وطـرق الحيـاة، كـان «بـوليكراتيس Polycrates وهـو حـاكم سـاموس Samos ، وذلـك كـما يـذكر هـيرودوت Herodotus ، وهنـاك العديـد

من المؤلفين القدامى الذين قد ذُكروا مثال هذا الرجل حيث إن من أهم اهتماماتهم (المؤلفين) العلاقات بين السلطة والثروة، وفي وجهة نظرهم، فإن بوليكراتش Polycrates يمثل المثال الأكثر إيضاحًا للملوك الشرقيين خاصة من خلال حبهم وولعهم بالترف، ففي ساموس Samos نجده قد قام بإعادة بناء القصر بشكل بهي جدًّا وقام بدعوة الشعراء فيه حتى يحتفلوا به، وقام بتطويع الحرفيين لتقديم أفضل ما لديهم وبأغلى الأسعار، فقد قام بإنشاء ورش العمل لإنتاج الألياف وأوعية الشراب الفارهة من أجل ذلك، وقام بعمل أفضل الزخارف، وقد كانت هناك حديقة خاصة، وقام بوليكراتيس Polycrates بجمع الحيوانات فيها من كل نوع، حيث أتى بالكلاب من أجينا Agina ، والماعز من سيروس Scyros وناكسوس Naxos ، والأغنام من ميليتوس وآتيكا Miletus, Attica ، وهذه الأشياء كانت تُشكل واحدة من الوظائف التقليدية الخاصة بالحدائق الشرقية، والتي كانت أيضًا حدائق تضم أنواعًا غير معتادة من الحيوانات، وفي المثال الخاص ببوليكراتيس Polycrates يكون لدينا هذا المثال خاصًا بالحاكم أو الملك اليوناني المفتون بترف القصور الشرقية، والتي نجد من وجهة النظر التنافسية السياسية قد تكون أيضًا في الحياة الملكية وحياة القصر، ويقول هيرودوت Herodotus إنه كان يتمنى ويريد أن يجعل من نفسه سيد أيونيا Ionia والجزر الأخرى .

والمثال الخاص ببوليكراتيس Polycrates هو المثال الأهم والأكثر تعبيراً؛ بسبب أشكال الإبداع التي قدمها المؤلفون أنفسهم الذين كانوا يحبون الحديث عن الترف والرفاهية الخاصة بالليديين في كل وجه من أوجه الحياة، وأيضًا نجدهم يدينون حبهم للترف والتنافسية بين قصور بوليكراتيس Polycrates وأوريتس Oroetes حدثت أيضًا، وتم ذكرها في التاريخ، ومع الوصول إلى ساردیس Sardis ، فإن الفُرس قاموا بتبني بعضًا من الأساليب الملكية الليدية إلى صالحهم ومصلحتهم، حيث كانت

الحدائق الغناء يتم إنشاؤها في ليديا قبل مجئ قورش (Cyrus) ، وليس فقط في سارديس وإنما أيضًا في داسيلوم أو Dascylium ، وهذا لا يعني أن نقول إن قورش (Cyrus) قد حصل على فكرة الحدائق في باسارجاداي Pasargadae من سارديس Sardis ، ومثل هذه الحدائق نجدها كانت معروفة في آسريا Assyria وفي مكان آخر جيد قبل ذلك، بل والأكثر من ذلك أن الفُرس من المُحتمل أن يكونوا قد قاموا بنشر نموذج هذه الحدائق، والذي لاقى انتشارًا واسعًا في آسيا مينور Assia Minor ، حيث يقول زينوفون Xenophon إن قورش (Cyrus) قد طلب من المرزبان أن تكون لديه حدائق أيضًا وبها حيوانات بحرية، ونحن ربما نقول إن التداخل بين الطبقات الأرستقراطية في فارس وفي ليديا والذي أكد على سلوكهم الاقتصادي لا يتفرع كثيرًا ولا يختلف كثيرًا عن بعضه البعض .

وفي آسيا مينور، لدينا دليل حول التبادل الاقتصادي في هذه الفترة، وتتبع التأثير الإيراني كان نادرًا، وهناك واحدًا من الأمثلة الأكثر تعبيرًا من خلال المقبرة هرمية الشكل والخاصة بساردیس Sardis والتي كانت شبيهة بشكل كبير بمقبرة قورش (Cyrus) في باسارجاداي في بلاد فارس Fars ، والتي يُعتقد أنها قد تم بناؤها بواسطة أرستقراطي فارسي في قصر المرزبان بعد غزو قورش (Cyrus) بفترة وجيزة، والمقبرة الموجودة في بوزبار Buzpar في فارس Fars كانت أيضًا لها أوجه تشابه واضحة مع تلك الخاصة بمؤسسي الإمبراطورية، وهناك مقبرة أخرى تم اكتشافها بالقرب من فوشيا Phocea والتي تظهر وتوضح مبادئ وأُسس البناء والتشييد الذي بدا وكأن له علاقة كبيرة بالأساليب والتقاليد الفارسية أكثر من الموروث الليدي الأناضولي، ولسوء الحظ فإن الحديث عن توقيت هذا الموروث وهذه الآثار وتاريخها إذا ما كان يرجع إلى عام 540 خلال القرن الخامس هو غير ثابت، ومن ثم لا يُمكن الجزم بأن تلك الموروثات والآثار تُمثل الجيل الأول من الشتات الفارسي الإمبريالي .

وعلى أية حال، ففي آسيا مينور، نجد أن الفُرس قد تعرضوا لما هـو أكـثر مـن الأرستقراطية المحلية، فهم أيضًا قد تأثروا كثيرًا باليونانيين، وذلك مثلما فعل الـقصر الملـكي الليـدي في ميرمانـدز Mermandes ، وهنـاك دليـل واضـح موجـود في الرسومات الموجود على الجدران الأربعة للمقبرة الموجودة في لوسيا Lucia ، وذلك في كيزلبل Kizilbel بالقرب من إلمالي Elmali ، والرسـومات بـالضرورة مثـل تلـك التي تُمثل المشـاهد الأسـطورية التـي تنتمـي إلى التقاليـد اليونانيـة، وهنـاك بعـض المشاهد الأخرى التي تحكي تفاصيل وأحداث خاصة بحيـاة الأمـير المحـلي أو الأمـير الإقليمي الذي تم دفنه هناك، وهناك مشهد للإبحار ومشاهد أخرى للصيد (وذلـك للدب البري والأسد)، وحتى نكون متأكدين فإن مشاهد الصيد ومأدبة الحداد ربمـا تكـون مشـتركة فـيما بعـد مـع الأسـلوب التقليـدي المعـروف بــ«الجريكوبرسـيان Grecopersian » أو الأسلوب الذي يجمع الخصائص اليونانية والخصائص الفارسية سويًّا، ولكنها (أي الرسومات) نجدها تنتمي كثيرًا إلى المحتوى والمضمون المحلي، ولا تفترض مسبقًا التأثير الفارسي، وهناك أيضًا رسومات إلمـالي Elmali التـي ترجـع إلى عام 525 على سبيل المثال والتي تُعبر عن التأثير الثقافي اليوناني في الـقصر الملـكي في ليسيا Licia .

7 - مقاعد السلطة:

مقار الإقامة (الملكية القديمة):

بعد الغزو، نجـد أن الأخمينيـين قـد احتفظـوا بمقـار الإقامـة الملكيـة بالنسـبة للولايـات المفتوحـة أو التـي تـم غزوهـا لأنفسـهم، وهـذه الولايـات هـي إكباتانـا Ecbatana ، وسـارديس Sardis ، وبـاكترا Bactr وبـابليون Babylon وصوصـا Susa ، وساس Sais ، وممفيس Memphis .

وحتـى بعـد تأسـيس باسـارجاداي Pasargada في بـلاد فـارس، كـل تلـك

العواصم نجدها قد احتفظت بالمكـان المميـز لهـا في الإمبراطوريـة الجديـدة ولكـن بأدوار مختلفة، وبعـض تلـك الولايـات، مثـل ممفـيس Memphis قـد تـم تقليـل مكانتها إلى مرتبة العاصمة المرزبانية الفرعية (على سـبيل المثـال دمشـق)، وبعـض الولايـات الأخـرى مثـل سـارديس Sardis في الغـرب أو بـاكترا Bactra في الشرق نجدها تُمثل مراكز للسلطة الفارسـية عـلى الأقـاليم الأوسـع، وإكباتانـا Ecbatana وبابليون Babylon وربما صوصـا Susaa ، نجـدهم قـد تحولـوا إلى أمـاكن إقامـة ملكية بالمعنى الكامل أثناء حفاظها على دورها كعواصم مرزبانية أيضًا، وفي إكباتانا Ecbatana وفي بابليون Babylon لم تكن هناك سجلات ملكية فقط وكنـوز ولكـن أيضًا كان هناك مقر واحد أو أكثر حيث يستطيع الملك ورفاقه أن يعيشوا ويقيموا.

وفي غياب الحفريات المنظمة (أو الدلالات والعلامات والآثار) فنحن لا نعـرف شيئًا عن القصور الملكية الخاصـة بإكباتانـا Ecbatana والتـي قـدم لنـا هـيرودوت Herodotus وصفًا عنها، والمعلومات الأخيرة التي قدمها لنا بوليبيوس Polybious ، حيث نجـد أن هـيرودوت Herodotus ينسـب بنـاء وتشـييد المدينـة إلى الملـك دوسوس Deioces والذي قدمـه هـيرودوت Herodotus عـلى أنـه هـو مؤسـس المملكة الميدية أو مملكة ميديا Media ، ونعلم من ذلك أن بناء العاصمة مفهوم من تأسيس المملكة الميدية، وطبقًا لهيرودوت أيضًا Herodotus ، فإن المدينة قـد تطورت ونمت حول الـقصر، وكانـت محاطـة بسـبعة حـوائط أو أسـوار ذات ألـوان مختلفة، وهـي: الأبيض، والأسود، والأزرق، والبنفسجي، والأحمر، والبرتقالي، وكانـت هذه الأسوار مزودة بشرفات ذات هياكل فضية وذهبية، وعلى الجانب الآخر، ومـن خلال الوصف المُقترح من الفترة الهلينية Helenistic نجد أن بوليبيوس قد سـيطر على إكباتانا التي كانت في هذا الوقت بدون تدعيمات أو تحصينات، ونجده قد قام

بالتركيز على بهو القصر الملكي الذي تم تدعيمه بواسطة أعمدة مزودة بأطباق أو لوحات من الفضة والذهب، وأيضًا ببلاط من الفضة، لكن من غير الممكن تحديد ما الذي يعود منها إلى الفترة الميدية من خلال نص آخر، وما هو ناتج عن العصر الأخميني وما بعده، وبعد ذلك تلك التباديل الهلينية، ولكن الشيء الأكيد هو أن إكباتانا Ecbatana قد استمرت في أن تُصبح واحدة من أفضل المقار الملكية من خلال قصورها وكنوزها وسجلاتها، والمدينة -بالإضافة إلى ذلك- نجدها قد شكلت موقعًا استراتيجيًّا للسلطة، والتي كانت تبحث عن الوصول إلى وسط آسيا، وصحيح أنه من وراء تلك الادعاءات والافتراضات الخاصة حول قورش (Cyrus) ، فإننا لا نعرف الكثير عن أي شيء حول قصور بابليون في وقت الغازي أو ابنه .

ومع ذلك، فنحن نعرف أن العديد من أماكن ومقار الإقامة الثانوية كانت مزودة بحدائق، وتم بناؤها في بابليون، ونعرف أيضًا أن الملك وابنه قد بقوا وظلوا في هذه القصور في المناسبات، وفي موسوعة السيروبيديا Cyrapaedia نجد أن زينوفون Xenophon يخصص موقعًا ومكانًا مركزيًّا في بابليون من أجل تنظيم الساحة الإمبريالية، وهذا هو المكان الذي وضع فيه وحدد القرارات المبدئية التي كانت موجودة مسبقًا بواسطة المنتصر أو الغازي فيما يتعلق بالإدارة الإمبريالية، وهو مع ذلك يقول إن الملك قضى سبعة أشهر في السنة في بابليون، والتي تم اختيارها عن عمد بسبب موقعها في قلب ومركز الإمبراطورية، وأخيرًا، وفي الحقيقة، نجد أن الحفريات والآثار الموجودة في صوصا Susa توضح أن الملوك العظماء لم يقوموا بعمل أية مشروعات معمارية أو مدنية قبل نظام حُكم دارا Darius ، وحتى ذلك الوقت، فإن الآثار الموجودة في صوصا Susa تدل فقط على تأمين وصيانة التقاليد الثقافية الإيلامية الجديدة Neo-Elamites ، وهذه الملحوظة تتضمن

وتشـمل أن صوصـا لم تكـن مقـر إقامـة تحـت حكـم قـورش (Cyrus) وقمبيـز Cambyses .

قصر وحدائق باسارجاداي Pasargade

في الحقيقة، نجد أن بلاد فارس من المهد إلى اللحد قـد اسـتمرت في أن تشـغل مكانًا مركزيًّا وأساسيًّا تحـت حُكـم قـورش وقمبيـز (Cyrus Cabmysis) ، خاصـة على أساس الخريطة الأيديولوجية، وكان قورش (Cyrus) في فارس عندما قـرر بنـاء عاصمة جديدة وهي باسارجاداي، وهي الواقعة عـلى ارتفـاع حـوالي 1900 مـترًا في سلاسل جبال زاجروس Zagros ، وحوالي 40 كم بُعـدًا أو مسـافة، ويصـف سـترابو Strabo ظروف إنشاء هذه المدينة حيث يقـول: «إن قـورش (Cyrus) قـد احتفـل كثيرًا بباسارجاداي؛ لأنه استطاع غزو أستياج، وقـام هنـاك بـآخر معركـة لـه وجعـل إمبراطورية آسيا تؤول إليه، وقام بتأسيس المدينـة وبتشـييد الـقصر الملـكي كتـذكار ودلالة على انتصاره».

وفي الحقيقة، نجد أن العلاقة بـين السـبب والنتيجـة قـد تـم تأكيـده بواسـطة سترابو من خلال المعارك التي تم الانتصار فيها في باسارجاداي ضـد الميـديين، وعـلى أية حال فإن المناقشات الأثرية الواسعة والدراسـات حـول ذلـك قـد فضـلت اليـوم الذي كان يتلو الانتصار والغزو في سارديس من أجل تأسيس مدينة باسارجاداي .

ومن الجيد أن نتذكر أنه طبقًا لهـيرودوت Herodotus ، كانـت باسـارجاداي هي الأهم والأفضل والأكثر تميزًا بالنسبة للفُرس ومن جانبهم، فهي تشمل وتحتوي على قبلة الأخمينية، وعليه اختيار الموقع الخاص بهذه المدينة، ثم شرحـه وتفسـيره بشكل طبيعي من خلال موقعها ووجودها في الإقليم الخـاص بباسرجـاداي، وطبقًـا للتاريخ الأخميني ومن خلاله، ندرك أن باسارجاداي كانت تُعتبر هي مدينة قـورش (Cyrus) ، وهناك قصران واللذان أطلق علـيهما علـماء الآثـار، الـقصر (p) وتـاريخ

القصر الأول وهو مبنى الإقامة وقد بقى قيد الجدال والذي كان يعتقد أنه يرجع إلى نظام حكم دارا Darius بينما القصر (R) وهو الثاني بلا شك يعود إلى حُكم قورش (Cyrus) ، والإسكندر الأكبر كان يُطلق عليه أحيانًا فيلكورس Philokyros وهو يعني «صديق قورش» قد مكث في باسارجاداي مرتين؛ المرة الأولى في بداية عام 330، والمرة الثانية بعد عودته من الهند، وقد اهتم كثيراً بالمقبرة الأثرية التي تم دفن مؤسس الإمبراطورية فيها، حيث إن توجهاته السياسية قادته إلى البرهنة على وإثبات إعجابه العام بذكريات قورش (Cyrus) وذاكرته، وهذا يترك لنا مجالاً للإحساس بالتناقض مع ما كتبه وقاله الكُتاب الهلينيون وما أوضحه العمل الأثري حاليًّا والذي يقول بأن حجرة الدفن تم بناؤها في أعلى المنصة الأثرية .

ويؤكد الكُتاب والمؤلفون الكلاسيكيون على أنه كان هناك تخلٍ عن الأشجار المنزرعة (أي لم يقوموا بزراعتها) داخل مساحة الدفن، حيث يقول أرسطوبوليس Aristobulus على لسان آريان Arian إن الحجرة كانت واقعة في الحديقة الملكية أو الخاصة بالقصر الملكي، وقد كان البستان مزروعًا حول هذا القصر، ويشمل كل أنواع الأشجار، ويتم ريه، وهناك حشائش موجودة أيضًا، وقد تم إجراء بعض الحفريات الأثرية في الموقع، وأوضحت هذه الحفريات بالنسبة لكل مباني باسارجاداي أنها كانت كلها مفتوحة على الحدائق، والحديقة الملكية نجد أنها قد تم اكتشافها هناك ولها قنوات صخرية تجري خلال هذه الحدائق، ومميزة بواسطة حمامات السباحة التي يتم تغذيتها بالماء بواسطة نهر بولفار Pulvar الذي يروي السهل، وربما يكون هناك شك بسيط في أن الخطط الأصلية لهذه الحدائق تعود إلى عهد قورش (Cyrus) وتم صيانتها وتأمين وجودها أثناء الفترة الأخمينية بالكامل، وكل القصور الملكية كان يتم تزيينها مثلما تقول باقي المستندات والوثائق البابليونية العديدة والتي هي

من وقت قمبيز Cambyses وتوضح ذلك بلا غموض، والحدائق كانت متكاملة في الفضاء أو المساحة الخاصة بالعصر الأخميني، وكانت تعتبر دائمًا واحدة من أهم مظاهر الثروة والترف الفارسي كما يقول المؤلفون اليونانيون .

بدايات بيرسبولس Persepolis :

ليس فقط في باسارجاداي، يمكننا أن نرى التواصل والاستمرارية من قورش (Cyrus) إلى دارا Darius ، وإنما يمكن أيضًا أن نرى هذا التواصل في برسبوليس التي كان يتم اعتبارها كالعادة مشروع دارا Darius الجديد بالكامل، ففي واحدة من مخطوطاته، نجد دارا Darius يقول إنه قد شيد قلعة هناك والتي لم يوجد لها مثيل من قبل، ومع ذلك فقد وجدت العديد من آثار المباني التي تم اكتشافها على السهل والتي تُشير إلى أن هناك مساحة واسعة تبلغ حوالي 200 هتكارًا كانت قد تم استنفاذها في عملية التمدن هذه قبل بداية حكم دارا Darius بشكل جيد، والتحليل قد أوضح أن هناك في الحقيقة عديدًا من القصور والبوابات الأثرية، وأن الأساليب والفنون المستخدمة في بنائها تشبه تلك الموجودة في مدينة باسارجاداي أكثر من تلك الموجودة في بيرسبوليس، ونحن نضيف أن بعض الآثار الموجودة ربما هي واقعة عن قرب من أثر غير مُنتهٍ وهو عرش «الروستام Rustam » والذي يبدو مُقاربًا لمقبرة قورش (Cyrus) في باسارجاداي Pasargade ، وكان أحيانًا يتم تفسير وشرح النية والمقصد من هذا الأثر غير المكتمل على أنه مكان مقبرة لقمبيز Cambyses ، ومن ثم فإنه يبدو من المعقول استخلاص أن هذه الأشكال والتراكيب ترجع إلى نظم حُكم كل من قورش (Cyrus) وقمبيز Cambyses ، ويبدو من الأكيد تقريبًا أن الموقع هو ذلك الذي كان يُطلق عليه ميتازيس Metazziz في الألواح الخاصة ببيرسبوليس من وقت دارا Darius ، والعديد من المخطوطات البابليونية أوضحت أن ميتازيس Metazzis كان مركزًا

حضاريًّا نشطًا وفعالاً جدًّا أثناء فترة حُكم قمبيز Cambyses ، وهذه الاكتشافات الحديثة وهذه التحليلات أيضًا نجدها لم تتناول وتهتم بمسألة دوردوريس في إدراك تعقيد وتكوين قصر البروسيولتيان (القصر الخاص ببيرسبوليس)، بل على العكس من ذلك، نجدها قد ساعدتنا في وضع واعتبار ذلك تابعًا للتاريخ الأخميني .

والأشكال الأربعة الموجودة هي كالتالي:

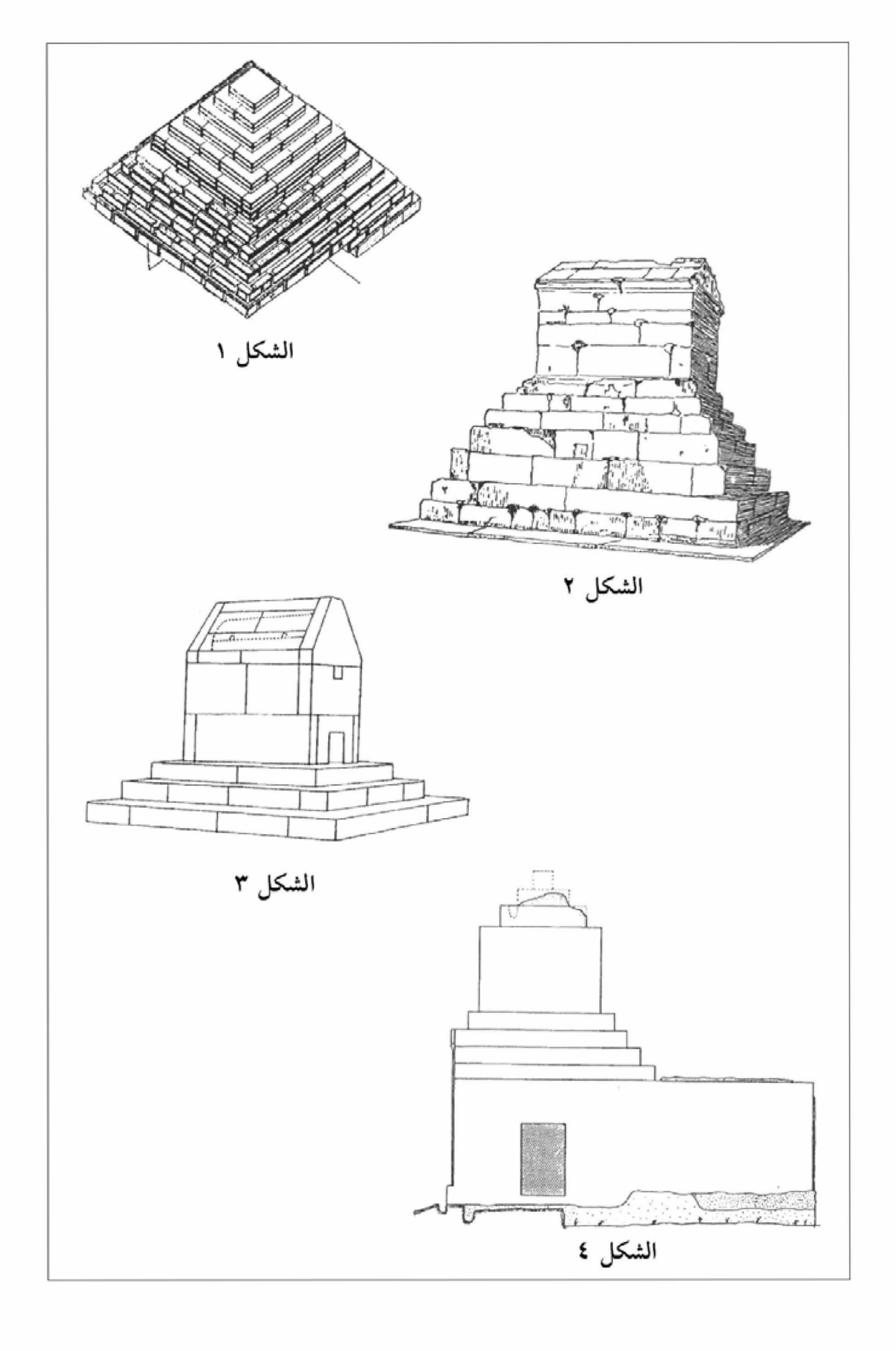
* الشكل الأول : يوضح المقبرة الهرمية الشكل في ساردِيس Sardis .

* الشكل الثاني : يوضح مقبرة قورش (Cyrus) .

* الشكل الثالث : يوضح مقبرة بوزبار Buzpar .

* الشكل الرابع : يوضح المقبرة الموجودة في تاس كول Tas Kule .

وعندما اختار دارا Darius موقع بيرسبوليس، لم يكن ذلك فقط ليتم تمييزه عن قورش (Cyrus) وذلك من خلال عمله الفعلي الذي قام به في باسارجاداي، ولم يكن ذلك ببساطة لأن في ماتيزيس Matezzis يوجد غريمه الأساسي ذو الأصل الفارسي وهو فايزداتا Vahyazdata ، وإنما اختيار بيرسبوليس قد تم تفسيره بواسطة التطورات الأولية التي جعلت الإقليم حيويًّا ومهمًّا، ومركزًا حضريًّا متصلاً بالمراكز البابليونية، فقد كان أيضًا مركزًا قادرًا على توفير المصادر الأساسية (خصوصًا الأطعمة)، والتي تكون مطلوبة للأعمال المختلفة والمتعددة التي كان يخطط لها الملك ومستشاروه، ونحن نعرف أن -مثل دارا Darius وكسركسيس في بيرسبوليس- أن قورش (Cyrus) وقمبيز Cambyses قد قاما بتطويع العمال من الأطراف المختلفة للإمبراطورية (خصوصًا من



الشكل ١

الشكل ٢

الشكل ٣

الشكل ٤

ليديا)، ونحن نعرف أن هناك نظامًا عقلانيًا كان معمولاً به منذ وقت قورش (Cyrus) ، ومع اعتبار أن هذه حقائق معترف بها، فيبدو من المحتمل -قبل تاريخ اللوح الإيلامي المعروف حديثًا- أن الاقتصاد الملكي المنظم جيدًا بالفعل والخاص بأسلوب إيلام Elamite كان موجودًا في فارس، وأنه قد تمت مراجعته وتحسينه بواسطة دارا Darius وابنه من بعده .

المجتمع الفارسي والإمبراطورية:

إن هذه السياسات الإقليمية تتضمن تعديلات جوهرية وأساسية في أسلوب الحياة الفارسي، وبداية بقورش (Cyrus) وقمبيز Cambyses على أساس آخر مرحلة من مراحل حُكم قورش (Cyrus) وقمبيز Cambyses ، حيث نجد أن جزءًا من السكان قد استقر حول أماكن الإقامة الملكية، وبعد ذلك تحول إلى النشاط الزراعي، لكن السكان الفرس بالكامل لم يتخلوا عن أسلوب الحياة البدوي أو النصف بدوي حتى بعد ذلك، ونجد أن المصادر الكلاسيكية جعلت من الممكن تحديد المجموعات الفرعية العديدية التي تنتمي إلى «الإثني Ethnos » الفارسي الذي مارس وقام بتطبيق البدوية ذات المدى القصير مع الزراعة المساعدة في الوديان، ومع ذلك، فإن الاتجاه العام للتطور والتنمية يمكن بالكاد أن يكون مشكوكًا فيه، وهذا التطور الذي كان ناتجًا عن سياسة واعية يقوم بها الملك من خلال توافر الثروة والسلطة التي يملكها الفُرس، وذلك من خلال انتصاراتهم وغزواتهم العسكرية .

والعديد من الكتابات والمخطوطات البابليونية من وقت قمبيز Cambyses وبارديا Bardiya أيضًا قد فسرت تطور الأنشطة التجارية في ميتازيس Matezzis ، وهناك ستة كتابات أو مخطوطات نجدها تُشير إلى شراء العبيد، وثلاثة عقود لدخول المدينة بواسطة مندوبي أو ممثل شركة العمل البابليونية والتي يُطلق عليها إيجيبي Eigibi .

ونجد أن هذه الكتابات أيضًا تتناول التجارة بين بابليون والمقار

الملكية وأيضًا وجود تلك المجتمعات البابليونية في فارس في ذلك الوقت .

وتشير الكتابات أيضًا إلى أن الفُرس كانوا متكاملين بشكل جيد في هذه الشبكات التجارية؛ لأنه في واحدة من هذه الكتابات، كان الفارسي يُطلَق عليه «التاجر الأساسي».

وأخيراً، فإن العديد من العبيد وأصحابهم كانت لديهم أسماء إيرانية، وإذا كانت الأسماء التي يتم إعطاؤها للعبيد هي أسماؤهم، فإنها تُشير إلى أن الفُرس من الطبقة الدنيا كان يمكن أن يكونوا عبيدًا؛ ولذا كانت أسماؤهم مستعارة، وأطلقها عليهم أسيادهم (ساداتهم)، ويجب أن نستنتج أن أسرى الحرب كان يتم أخذهم إلى مارس وبيعهم كعبيد في وقت حكم قورش (Cyrus) وقمبيز Cambyses ، وفي كل مرة نجد الصورة المعقدة والمتشابكة والخاصة بالمجتمع الفارسي المستمدة من هذه النصوص مختلفة تمامًا عما يقوله لنا هيرودوت Herodotus ، والذي يقوم ببساطة بالتمييز بين القبائل الزراعية والقبائل البدوية الرعوية وهذه المستندات نفسها أيضًا تسمح لنا بأن توضح وتفهم الإدعاء الخاص بالعديد من الكُتاب أوالمؤلفين اليونانيين والذي يقول بأن الفُرس كانوا جميعًا غير معتادين على مفهوم الأسواق، ولم يقوموا باستخدامها على الإطلاق «أو» لم يطأوا هذه الأسواق؛ لأنهم لم يكن لديهم أي شيء يقومون ببيعه أو شرائه! ونجد أن هيرودوت Herodotus يفترض تحريم الاستدانة باعتبارها واحدة من القواعد الاجتماعية، وهذه القاعدة ربما يكون لها تفسير في المعتقدات الأرستقراطية .

8 - الملكية والسلطة:

الإنابة والتمثيل الملكي والألقاب في باسارجاداي، إذا كان أي شيء يفترض أن بناء وتشييد باسارجاداي كان دليلاً واضحًا على السياسة الحاكمة

أو سياسة الأسرة المالكة، فإنه أيضًا من الصحيح أن الروابط والعلاقات المباشرة بين قورش (Cyrus) وعاصمته الجديدة لم تكن واضحة تمامًا على أساس الأدلة الأثرية المتاحة، وهناك نحت غير كامل موجود في القصر (P) والذي أوضح أن الملك وهو في صُحبة اثنين من خدمه؛ الأول يبدو أنه يحمل الباراسول Parasol (أو المظلة الخفيفة الواقية من الشمس)، ولكن هذه الصورة هي مثل بعض صور النحت الموجودة في بيرسبوليس والتي ربما يرجع تاريخها فقط إلى زمن حُكم دارا Darius .

وهناك تبقى «العبقرية المجنحة المنحوتة على البوابة (R) والتي توضح الرجل الملتحي الذي يرتدي زي الإيلاميين Elamites ، ويرتدي تاجًا مُركبًا من أشكال ذات طابع مصري، وله أربعة أجنحة، ونجد أن الصخرة ذاتها تحوي رسومات ومخطوطات، وهذه العبقرية المجنحة مكتوب عليها نص بسيط يقول: «أنا الملك قورش Cyrus) أخميني)، وهناك العديد من الفروض النظرية التي حاولت تفسير هذا الكلام وهذه الصورة، وكانت هناك تأثيرات مصرية موجودة من خلال «التاج»، ولكن السؤال نفسه هل هذه الصورة بالفعل تنتمي إلى قورش (Cyrus) ؟ -كما هو مُفترض في الغالب- ليس هناك شيئ مؤكد حول ذلك، وفي بعض الأحيان، نجد أن هذا النحت تتم مقارنته بقطعة كتبها هيرودوت Herodotus حول واحد من أحلام قورش (Cyrus) والذي حكاه أو أخبر به لهيستابس Hystaspes وهو أبو دارا Darius ، حيث يقول: «لقد رأيت ابنك الأكبر بزوج من الأجنحة فوق كتفيه، يُغطي أحد جناحيه آسيا ويُغطي الجناح الآخر أوروبا»، وهذا ربما يكون خيالاً حول السلطة أو الهيمنة الفارسية على أقاليم العالم من حيث تنوعها الثقافي العظيم، والصورة الفارسية الملكية الوحيدة التي ترجع إلى ما قبل عصر دارا Darius هي الخاتمة التي كانت لا تزال مستخدمة في عهد دارا Darius في بيرسبوليس، ولكنها بوضوح تعود إلى فترة ما قبل ذلك

بكثير، وفي الحقيقة، نجدها تحكي عن أسطورة «كوارس Kuras » وهو ابن «تيبس Teispes » وهو الشخص الذي كان معروفًا عمومًا على أنه قورش الأول (Cyrus I) ، وهو جد قورش العظيم، بالرغم من أنه لم يكن معروفًا بوضوح على أنه الملك، والصورة تعبر عن مشهد من مشاهد الحرب، حيث نرى في الصورة فارسًا يقوم بالقفز فوق اثنين من المحاربين، واللذين يقعان على الأرض ويجريان، ومهما كان هذا الشخص، فإنه لن يكون هناك شك في أنه كانت هناك القوة الجسمانية والشجاعة في الحرب في مثل هذا الوقت، وحول هذا الموضوع نجد هيرودوت Herodotus يحكي حكايته حول المواجهة الأولى بين قمبيز (Cambysis) وأخيه سميرديس (Simerdis) ، ويُطلق عليه أيضًا بارديا Bardiya وهو الوحيد من بين السلطة الحاكمة الذي استطاع سحب القوس الذي تم إرساله من الملك الأثيوبي، والبداية مع الملوك الأوائل فإن عملية سحب القوس تعني رمز السلطة الملكية، وهذا هو السبب وراء دفن قورش (Cyrus) ومعه أسلحته وأدواته الحربية، وعملية بناء وتشييد المقبرة الخاصة بقورش (Cyrus) في باسارجاداي والتي لها مماثل شديد بالقرب من بيرسبوليس (أي مقبرة أخرى شبيهة) والتي في حد ذاتها أيضًا تتضمن المكانة الاستثنائية للملك في المجتمع الفارسي، والأوصاف الخاصة بمحتويات المقبرة الخاصة بقورش نجدها تؤكد على ذلك، وهنا على سبيل المثال نجد النص الذي قام آريان Arrian بكتابته، وهذا النص يوضح الكم من الترف والبهاء والجلال الخاص بقصر قورش (Cyrus) من حيث ثراء ملابسه ومجوهراته والحلي وسمات الملكية والسلطة .

ولسوء الحظ، يساورنا الشك حول تاريخ تلك المخطوطات الموجودة في مدينة قورش (Cyrus) وهو الشيء الذي جعل من إعادة بناء وتشكيل الألقاب الملكية مشكلة، حيث نجد أنه في بعض هذه المخطوطات، كان يُطلق على قورش (Cyrus) اسم «الملك الأخميني

Achaemenid »، وفي بعض المخطوطات الأخرى، نجده يُطلق عليه اسمًا أو لقبًا ملكيًا مثل «الملك العظيم» وهو اللقب الذي أوجده دارا Darius ومن تبعوه .

ولكن العديد من هذه المخطوطات نجدها قد تمت كتابتها إلى دارا Darius نفسه، وهو الشيء الذي جعل من الصعب التمييز بين الألقاب الأصلية والخاصة بقورش (Cyrus) وتلك التي قام دارا Darius بمنحها لنفسه بعد ذلك، واللقب الذي ليس هناك مجال للجدل حوله هو لقب «الملك»، ولكن ماذا يعني هذا اللقب بالفعل في فارس في بداية النصف الأول من القرن السادس عشر؟ نحن ليس لدينا اعتقاد واحد غير قابل للشك أو الجدال حوله، أو حتى مخطوطة في باسارجاداي تسمح لنا بمناقشة الموضوعات والأفكار الخاصة بالسلطة الملكية والأيديولوجية المتبعة أثناء عهد قورش (Cyrus) ، وهذه الجملة نجدها لا تتضمن أنه ليس هناك تطورًا في هذا المجال أثناء عهد قورش (Cyrus) خصوصًا بعد فتوحاته، وعلى أي احتمال، فإن نوعًا ما من التطور يجب أن يكون مفترضًا، وبينما نجد أن المؤرخين لا يستطيعون اختيار مصادرهم، فإن الاهتمام مع ذلك يجب أن يكون بالفروض النظرية التي يتم استخلاصها من خلال التفسير والتأويل لهذه الكتابات واختيار الأكثر احتمالاً من حيث واقعيته .

وطبقًا لمستندات بابليون التي يجب أن يتم ذكرها، والألقاب البابليونية المفترضة بواسطة قورش (Cyrus) وقمبيز (Cambysis) لا يجب أن يتم أخذها في الاعتبار هنا أكثر من الألقاب المصرية التي كان يتبناها قمبيز (Cambysis) في مصر؛ لأنهم لم يكن لديهم شيء يفعلونه حيال تلك الألقاب التي كانت تنتمي إلى السلطة الحاكمة أو الأسرة الملكية التي حكمت في فارس Fars ، وعلى الجانب الآخر، فإن القطعة الموجودة في مذكرات قورش (Cyrus) ممتعة جدًا، حيث يقول قورش (Cyrus) في

هذه المذكرات على لسانه بأنه: «كان يبدو وكأنه الابن الأكبر لقمبيز Cambyses (I) وقورش (I) وكان تيبس Teispes يطلق عليه ملك آنسان Ansan » وبواسطة هـذا اللقـب، قـام المؤلفـون والكُتـاب البـابليونيون بالإشـارة إلى قـورش في أحـلام نابونيدس Nabonidsus ، وإذا افترضنا أن الكُتاب أو المؤلفين قد اتبعـوا تعلـيمات واضحة من الملك، فنحن نستفيد من هذه الكتابات في أن قورش (Cyrus) مثل من سـبقوه، كـان مهـتمًا بـالإعلان بوضـوح عـن مكانتـه باعتبـاره وريـث عـرش إيـلام Elamite في الدولة العظمى بآنسان Ansan ، وتم إطلاق اسم فارس Persia على هذه الدولة (Parsu) ، ولكـن كـان هنـاك قـدر معقـول مـن السـكان ذوي الأصـل الإيلامي الذين عاشوا ضمن الفُرس الأصليين، واستخدام اللقب الخاص بملك آنسـان لم يكن يعني أنه في بلاد فارس ذاتها، ولم يكن الملوك أنفسهم يحملون لقـب «ملـك فارس»؛ لأن بعض المستندات البابليونية القليلة في الحقيقة قد اسـتخدمت اللقـب الأخـير في وصـف الملـوك، وحتـى نكـون متأكـدين، فإنـه لا يوجـد مسـتند مـن باسارجاداي يذكر هذا اللقب، ولكن بعد ذلك تم استخدامه بواسطة دارا Darius بالصدفة، ويمكن أيضًـا ملاحظـة أن النسـخة البابليونيـة للمخطوطـة الخاصـة ببـي هيستون Behistun ، نجد فيها أن جوماتا Gaumata مُتهم بالاستخدام المسـتمر وتقديم نفسه عـلى أنـه -كـما يقـول: «أنـا بارزيـا Barziya ابـن قـورش (Cyrus) (نفســه) ملـك بارسـو Parsu (وبارسـو هـذه هـي فـارس) والأخ الأصـغر لقمبيـز (Cambysis) .

البروتوكول الملكي:

وفي عام 522، وبعـد إجـراء أوسـمرديس أو بارديـا Smerdis/Bardiya فإن الأرستقراطيين السبعة الذين قادوا الحدث الذي أدى إلى إيقافـه، والـذي سـجله هـيرودوت Herodotus في الجملـة التاليـة: «إن السـماح لأي مـن السبعة بدخول القصر بدون إذن يكون باستثناء واحـد وهـو «وجـود سـيدة

في القصر»، أي عندما يكون الملك في مضاجعة مع امرأة أو سيدة موجودة في القصر».

ومن المفروض غالبًا أن هذه الامتيازات في الحقيقة موجودة لبعض العائلات تحت حُكم قورش (Cyrus) وقمبيز (Cambysis) ، ومع ذلك، فإن الظروف بعينها والخاصة بتنفيذ سمرديس أو بارديا Bardiya تبدو وكأنها تفترض أن أولئك العظماء لم يكونوا مُقيدين بشكل مُطلق بالنظم والقواعد المعمول بها في البروتوكول الملكي، حيث إن حُراس البوابات الخارجية الفيلاكوي (Phylakoi) كانوا يسمحون بدخول الرجال الذين كانوا يعتبرون من البروتوي Protoi ، وأنهم لم يشكوا في أن يقوم أولئك الرجال بعمل أي شيء مثل محاولة الاغتيال» وطبقًا لستسياس Ctesias فإن السبعة قد نجحوا في تعهداتهم فقط لتعاون باجاباتيس Bagapates ، وهو الذي كان يحمل كل المفاتيح التي تؤدي إلى القصر، وهذا الحدث يبدو كأنه يُشير إلى أنه في وقت الملوك الأوائل، كل الأرستقراطيين كانوا خاضعين إلى القواعد والنظم العادية الخاصة بالبروتوكول الملكي، والتي كانت تُنظم وتحكم الدخول إلى داخل القصر الملكي .

وهذه القطعة المكتوبة بواسطة هيرودوت Herodotus ، وفي ظل وجود الموظف الذي يُدعى «الرسول» تشير إلى أن القواعد والنظم الخاصة بالبروتوكول المعروف من خلال التفاصيل الواسعة من الفترة المتأخرة أو في الفترة الأخيرة كانت إجبارية في عهد قمبيز (Cambysis) ، ولكن ما هو الوقت بالضبط الذي كان غير مسموح فيه بالإقتراب من الملك؟ حتى يتم استخدام الكلمة التي تم استخدامها بواسطة العديد من المؤلفين والكُتاب اليونانيين، وفي موسوعة زينوفون Xenophon ، نجده يقدم حامل الكأس وهو ساكس Sacas الذي كان في قصر أستياج وهو المسؤول عن مكتب التقديم والدخول إلى أستياج، حيث يقوم بإدخال

أولئك الذين لديهم أعمال وشؤون مع الملك، والملك قورش (Cyrus) هو الذي جعله مسؤولاً عن تقديم البروتوكول الخاص بالقصر، خصوصًا، البروتوكول الذي يُنظم الدخول وشروط من يكون في صحبة الملك ومن يدخل إليه .

وعلى وجه الدقة، فإن الإطار الخاص بهيرودوت Herodotus يجب أن يتم التعامل معه بحرص، فربما يكون قد استطاع نقل تلك النظم والقواعد التي قد يعرفها من قصور دارا Darius وكسركسيس Xerexes إلى قصر ديوسيس Deioces الأسطوري، والشيء نفسه أيضًا قد ذهب إليه زينوفون Xenophon وهو الذي كان دائمًا ملتزمًا بأي شيء يكون منسوبًا إلى قورش (Cyrus) ، وهو الذي نُسب إليه إيجاد نظام الدولة بالكامل، وأيضًا فإن بناء القصر الملكي والإقامة في باسارجاداي أو أي مكان آخر نجده يتضمن النظم والقواعد التي كان يتم الالتزام بها، وذلك في ظل قورش (Cyrus) ، وأن هذه النظم والقواعد قد قامت بترتيب وتنظيم حياة الملك، وقامت أيضًا بتحديد الالتزامات الخاصة بالملكية والحياة الملكية .

من ملك إلى التالي:

طبقًا لهيرودوت Herodotus فإن العائلة الملكية ذاتها قد أتت من جماعة فرعية كبيرة والتي أُطلق عليها لفظ «فراتري Phratry » الأخمينية، وهو اللفظ اليوناني الذي كان يعني عادة «القبيلة» أو «الجماعة»، ثم قامت هذه القبائل والجماعات بتكوين القبيلة الأوسع التي في داخلها نجد أن هيرودوت Herodotus قد لاحظ ثلاثة أشياء: وهي الباسارجاداي Pasargade والمرافي Maraphii والماسبي Maspii ، ومن بين هذه القبائل الواسعة، نجد أن الباسارجاداي كانوا الأكثر تميزاً، حيث نجدها تشمل جماعة الأخمينيين والتي منها جاء الملوك الفُرس، حيث كان يُطلق على قورش (Cyrus) اسم «الأخميني» أو Achaemenid ، وبعيدًا عن بعض المعلومات التي تم تأكيدها الآن (ونلاحظ أن الاسم مارافي Maraphi قد

وجـد في لوحـات ومخطوطـات بيرسـبوليس Persepolis فـإن تقـديم هـيرودوت Herodotus أيضًا يُثير شـكوكًا خطـيرة)، وبسـبب الشـكوك التـي تَحـوم حـول دارا Darius وحول تأليف المخطوطات الموجودة في باسارجاداي، فإنـه يبـدو أن اللفـظ «أخميني» قد تم استخدامه مع دارا Darius .

ويبدو من الجيد والأفضـل أن يـتم إزالـة لفـظ الأخمينـي Achemenid مـن المناقشة، وأن يتم الاعتماد على مستند موثوق به بشكل أكـثر، مـثلاً الــ Cylinder والذي فيه يحمل قورش السُلالة لأصل النسب) إلى جده الأكـبر تـيس بـيس Teis Pes ، والذي كان يُطلق عليه «ملك آنسان Asnan »، وهنا لدينا التعبـير البسـيط الذي يُعطي المعنى حول التفسير الملكي أو تفسير السُلالة الحاكمة على أساس حـق الدم.

وظروف وصول قمبيز Cambyses إلى السلطة أيضًا يُشير إلى أن الملك المتـوج يتم إعداده طوال مراحل حياته لهـذا المنصـب حتـى يـتم تأكيـد التواصـل العـائلي واستمرارية السلالة الملكية، ومع إطلاق لقب «ملك بابليون Babylon على قمبيـز Cambyses »، فإن قورش بالفعل قد حدد اختياره بوضوح (أي أن قـورش بالفعـل قد اختاره إلى منصب الملك من بعده)، والنصوص الكلاسيكية بشكل رسـمي تقـول بأن قمبيز Cambyses قد تم تخصيصه ليكون الملك المتـوج بواسـطة والـده وهـو الشيء الذي نجح فيه والده بدون صعوبة، ومع ذلك، فإن مشـكلة الأخـوة الصـغار ربما تظهر في أيـة لحظـة، فـالأخ الأصـغر لقمبيـز Cambyses والـذي نُطلـق عليـه سمرديس وبارديا Samerdis/Bardiya قـد تـم تعويضـه بواسـطة منحـه الإقلـيم الواسـع في آسـيا الوسـطى، وهـو الشيء الـذي جعلـه يوضـح أنـه لا ينـوي الإقامـة والاستقرار في مكان ثان .

وليست هنـاك أيـة إشـارة حـول أي التـزام في أن يتـزوج مـن أفـراد العـائلات الأرستقراطية العظيمة والمعروفة بعينها، وهو الشيء الـذي أكـده قـورش (Cyrus) وقمبيز (Cambysis) .

ونحن نعرف أن «الولادة للأب نفسه ولـلأم نفسـها» كانـت منطبقـةً عـلى حالـة قمبيز (Cambysis) وبارديا Bardiya ، حيث كانا هم ثمـرة زواج قـورش (Cyrus) ، وكاسنداني Cassandane وهو ابن فرناسـبس Phrannaspes وقمبيـز Cambyses مثل أبيه ومن سبقوه، كانت لديهم العديد من الزوجات، حيث نجده قد تـزوج مـن فيديمي Phoidime وهي ابنـة أوتـاتر Otanes التـي كانـت بالتأكيـد مـن عائلـة أرستقراطية عالية، حيث إن هـيرودوت Herodotus يُطلـق عليـه أنـه واحـد مـن أكثر أفراد النُبل الفارسي من حيث ثروته، بينما نجـد في السـجل الملـكي، أن فيـديمي Phaidime كانـت فقـط واحـدة مـن زوجـات الملـك، ويبـدو الآن مـن الملحـوظ والضروري أن قمبيـز (Cambysis) أختــه أتوســا Atossa وهــي ابنــة قــورش (Cyrus) ، وبعد ذلك بفترة قصيرة نجد أن واحدة من أخواته مـن الأب ومـن الأم، قـد تزوجهـا قمبيـز (Cambysis) ، ومـن خـلال هـذه الأمثلـة، نسـتطيع أن نُـدرك سياسة الأسرة المالكة التي كانت مُطبقـة باسـتمرار بواسـطة الأخمينيـة مـن خـلال تاريخهم، وسمح لهـم ذلـك بالطموحـات الملكيـة أكـثر مـن أي عائلـة أرسـتقراطية عظيمة أخرى .

9 - الملك والآلهة:

الدين الفارسي والتقاليد الإيرانية:

إن معلوماتنا حول المعتقدات والأفكار الدينية الفارسية والطقوس والممارسات في وقت قورش (Cyrus) وقمبيز (Cambysis) ضئيلة ومتناقضة بشكل كبير .

ونجـد أن دارا Darius يـتهم جوماتـا Gaumata بتـدمير الآيادانـا Ayadana ، ولكن ليس هنـاك اتفـاق بـين المـؤرخين عـلى تحديـد هـذه الآيادانا وتعريفهـا، هـل هـي كانـت عبـارة عـن أمـاكن مقدسـة خاصـة بالجماعة أو القبيلة أم هي أماكن مقدسة خاصة بالأسرة الملكية أم شـيئًا

ما مختلفًا عن ذلك؟ ونحـن لـيس لـدينا تعريـف ملـكي يمكـن أن يضـع حـلاً لهـذه المشكلة، حتى النتائج الأثرية أو الموجودات الأثرية في باسارجاداي نجدها خاضـعة إلى الاحتراس، وأن نكون حذرين عند التعامل معها، وإن تفسير البُرج (والـذي كـان يُطلق عليه «ذنداي سليمان Zendai Suloiman على أنه معبـد لتقـديم القـرابين من الصعب تصديقه لعدم وجود أدلة تُدعم هذا القول اليوم)، وهناك أيضًـا اثنـان من قواعد الأعمدة المربعة التي يُعتقد أنها موقع للطقوس الدينية، حيث يسـتطيع الملك أن يَحيا ويُقدم القرابين، ولكن هذا يُعتبر افتراضًا نظريًّا ينقصه أي تأكيد .

والمشكلة هي أننا لا نعرف الكثير حول الـدين الإيـراني أو الأديـان الأخـرى، في النصــف الأول مــن القــرن الســادس عشر، والوجــود التــاريخي لزاراسوســتر Zarathustra تحـت اسـم زورسـتر Zrroaster ، قـد تـم تسـجيله بشـكل دائـم بواسطة المصادر الكلاسيكية (فيما عدا هـيرودوت Herodotus)، وهنـاك جوانـب عديدة لم يتم التأكد منها والتي ما زالت تصف هذه الفترة .

وأيضًا تلك الجوانب التي تتناول الأديان التي كـان مـن المفـترض أن يكـون لهـا نبـي يقوم بتقديم تعاليمه وإصلاحاته، ولكن هناك شيء من الشك حول المحتوى أو المضـمون الفعلي الخاص بهـذه الإصـلاحات والمصـادر المتاحـة والمكتوبـة فقـط، وذلـك بعيـدًا عـن المخطوطات الخاصة بدارا Darius ومن سبقوه، وهي عبارة عن كتب عديـدة ومتنوعـة من الـ«أفيزتا Avesta » وهو الكتاب الإيراني الفريد، وقد تمت كتابة هذا الكتاب ما بـين القرنين الخامس والسابع بعد الميلاد، وهذا الأفزتا نجـده مقسـمًا إلى ثلاثـة أجـزاء رئيسـة، الجزء الأول هو الياسـنا Yasna (وهـي طقـوس القـرابين)، والجـزء الثـاني وهـو الياشـت Yashts (وهــي الترانـيم الخاصـة بالإلهيـات)، والجـزء الثالـث الفيـديفات Videvdat (وهو خاص بالقانون الذي يتنـاول الانفصـال عـن العفاريـت أو الشـياطين)، والدراسـات

الفلسفية والمنطقية أوضحت أنه داخل الياسنا Yasna هناك مجموعة فرعية يُطلق عليها الالجاثا Gatha (وهي الأغاني) التي تعود إلى أصل قديم جدًّا زارتوسترا Zorathustra قد ذُكر في الجاثا Gatha وأيضًا تم ذكر علاقته بأهورا-مازدا Ahura-Mazda .

ومن خلال وجهة النظر اللغوية، فإن الجاثا Gatha ضمن من يُطلق عليهم الآن الأفغان القديمة، والتي يمكن أن ترجع إلى سنة ألف قبل الميلاد على الأقل، ومن تاريخ وجهة النظر الدينية، نجد أن هذا النص يسمح لنا مبدئيًّا بإعادة بناء وتشكيل الماذية Mazdiazm في المرحلة التي كانت قبل الأخمينية .

ومع البداية في مقارنة المصادر الأخمينية المكتوبة ومع الأفستا Avesta ، فإن المؤرخين قد جاهدوا في الإجابة عن السؤال حول ما إذا كان الأخميني زوراس Zoroas أو مازديان Mazdians على وجه الدقة والذي يبدأ من خلال الدين الذي كان سائدًا بواسطة أهورا-مازدا Ahura-Mazda ، والمشكلة هنا في الدليل الفارسي على نظم حُكم قورش Cyrus وقمبيز Cambyses الذي من الصعب وبالكاد أن يسمح بالدخول إلى معتقداتهم (معتقدات قورش وقمبيز Cambyses Cyrus) وإيمانهم بالدين المازدي Mazdian ؛ لأنه قد تم إعادة تشكيله وصياغته من الجاثا Gatha .

والشهادة أو الدليل الخاص بهيرودوت Herodotus ما زال غير واضح، ومن جانب واحد، فإن هيرودوت Herodotus يقوم بتهلين (يجعله إغريقيًّا) أية معلومة يحصل عليها.

وعلى الجانب الآخر، فإنه يقوم بكتابة ذلك بعد قرن من وفاة قورش (Cyrus) ، ومع البداية بمثل هذه المعلومات البسيطة، يبدو من الخطأ نوع ما محاولة إعادة صياغة وتشكيل ماهية الدين الخاص بقورش (Cyrus) ، والبعض الآخر يعتقد أن إصرار دارا Darius الثاني على تأكيد الأهورا-

مازدا Ahuraa-Mazda وجعله فوق كـل الآلهـة الأخـرى (الباجـا Baaga) وهـو الشيء الذي يُشير إلى أنه قد اختلف مع تقاليد ومعتقدات قورش (Cyrus) ، والذي كـان بالنسـبة لـه (أي بالنسـبة لقـورش) ميـثرا Mithra هـو الإلـه الأكـثر أهميـة، وبالضـبط فـإن الفـروض النظريـة المقابلـة تجعـل مـن قـورش (Cyrus) زيلـوت زورسـتيني (أي مـؤمن بـزوراس Zoroas) مطبقًـا لهـذه الفـروض النظريـة، فـإن «الزورو العظيم واستمراريته في السلالة الحاكمة يجب أن يتم التأكيد عليه، وذلـك أكثر من أي اختلاف بين قورش (Cyrus) وقمبيز Cambyses .

ولكن كل تلك التقارير والتأويلات يبدو أنها مبنية فوق الرمال، فكيف نقوم في الحقيقة بمقارنة معتقدات كل من قورش (Cyrus) ودارا Darius ، حيث إن الأول وهو قورش (Cyrus) لم يتحدث عن ذلك مطلقًا، والثاني وهو دارا Darius قد ترك الرسائل المتأزمة لمعاصريه وللأجيال التي تأتي؟ والإشارة الوحيدة التي هي في صـالح ميثرا Mithra ، وهي بناء وتأسيس قرابين للخيول حـول مقـبرة قـورش (Cyrus) ، وتبعًا للتقاليد الإيرانية فإن القرابين دائمًا مـا تكـون مرتبطـة بالفرقـة الدينيـة لميـثرا Mithra .

مقبرة قورش (Cyrus) وأساليب الجنازة الفارسية:

في الحقيقة، يوجد وجه واحد خاص بالدين الذي كـان يتبعـه كـل مـن قـورش (Cyrus) وقمبيـز Cambyses والـذي تـم توثيقـه، وهـذا الجانـب هـو عـادات وطقـوس الجنـائز، فقـورش Cyrus تـم دفنـه في مقـبرة بناهـا أثنـاء حياتـه في باسارجاداي Pasargade ، ونجد أن أريان Arrian يقدم لنا وصـفًا دقيقًـا لحجـرة الدفن، طبقًا لمعلوماته، فإن قورش (Cyrus) قد تم وضعه في لاحم ذهبـي، وطبقًـا لكوينتيس كورتيس Quintus Curtius فإن الملك تم دفنه ومعه أسـلحته، ونجـد أن الإسكندر في الحقيقة قد اكتشف درع الملك، واثنين من أقواسه .

وعليك في البداية أن تُلاحظ أن أسلوب الدفن الخاص بقورش (Cyrus) (ومن سبقوه) لم يكن متطابقًا مع قواعد وتعاليم الأفستا Avesta ، حيث إن النواح والعويل، طبقًا لهيرودوت Herodotus ، قد صاحب وفاة قمبيز Cambyses والأرستقراطيين من الفُرس .

وأيضًا فإن الممارسات الفارسية تختلف عن العادات التي كانت مُتبعة بشكل جيد في إيران الشرقية حتى نهاية الفترة الأخمينية (وبعد ذلك)، وتلك العادات كانت تتطلب التعرض للحيوانات التي ربما تلتهم الأجساد وتُترك العظام، ويقول هيرودوت Herodotus حول هذه الطقوس الجنائزية والخاصة بالدفن، أن «الرجل الفارسي أو الذكر من الفرس لا يتم دفنه أبدًا حتى يتم تمزيق جسده بواسطة طائر أو كلب».

بينما نجد الكتابات المحفوظة بواسطة المؤلف نفسه وأيضًا المقطوعة التي كتبها سترابو Strabo ، يوضحان أن الجُثمان الـ«ماجي Magi » «لا يتم دفنه إلا بعد تمزيقه بواسطة الطيور والكلاب، وأيضًا الكتابات الخاصة ببلوتارخ Plutarch وهيرودوت Herodotus أيضًا يقول بأن تمزيق الجسد كان يُعتبر أسلوبًا تقليديًا فيما بين الفُرس، وأيضًا تحقير أي شخص يكون موضحًا بواسطة العقاب الذي يتم إنزاله وإلحاقه بأي شخص يحاول إصابة الملك بأي أذى في حياته، حيث يقول «إن ذلك الشخص يتم قطع رأسه وذراعيه، ويتم إلقاء جسده إلى الوحوش حتى تأكله»، بل والأكثر من ذلك، أن هناك قطعة مكتوبة بواسطة ستيسياس Ctesias والتي تُشير إلى أن إحراق جسد المتوفي كان خلاف الأسلوب المُتبع فيما بين الفُرس، وهذا المنع الخاص بإحراق جسد المتوفي قد تم التأكيد عليه بواسطة سترابو Strabo .

وفوق ذلك، فإن هناك العديد من النصوص التي تتناول أسلوب التحضير الخاص بالمتوفي، حيث نجد أنه بعد معركة إيسوس Issus قام الإسكندر بإعطاء إذن لوالدة دارا Darius أن تقوم بدفن من توفي وذلك طبقًا

لتقاليد دولتها، ولذلك فإنها قامت باختيار عدد صغير من الأقارب المقربين منها بشكل خاص، وعلى جانب من موقفها هذا، وكانت هناك المواكب العظيمة الخاصة بالجنائز والتي كان بواسطتها ومن خلالها يحتفل الفُرس بآخر طقوس وداع المتوفي عندما كان المنتصرون من المقدونيين يتم حرق جثثهم بأسلوب غير مُكلف وبسيط، وبعد وفاة أرتاكسركسيس Artachaees ، وهو الذي كان مسؤولاً عن حفر القنال في آثوس Athos ، قام كسركسيس Xerxes بإعطاء أوامره بحمله ودفنه في موكب عظيم والاحتفال به، حيث ساعد الجيش بالكامل في رفع الركام عن قبره، وهذا يُكرر الأسلوب الذي ذكره هيرودوت Herodotus بالفعل، فيما بين شعب إيراني آخر، والذين يُطلق عليهم «سكيزيانز Scythians حيث إن كل شخص كان لديه حماس عظيم في رفع الركام عن القبر، وكل يتنافس مع جاره في عمل هذا القبر واسعًا قدر الإمكان، بينما نجد أن الدليل الأثري على ذلك يبقى غير واضح ففي صوصا Susa ، نجد أن الدفن الأخميني والذي يعود إلى بداية القرن الرابع الذي يتم اكتشافه، حيث إن جسد المرأة يتم وضعه في تابوت برونزي، وبه العديد من المجوهرات التي تنتمي إلى هذه المرأة بالإضافة إلى العديد من الفازات المصرية»، والشيء الماثل أيضًا قد وُجد في سوريا وذلك على بُعد مسافة صغيرة من كارشميس Carchemish ، والتي توجد بها المقابر الأولى التي تعود إلى القرن الثامن، وفي هذه السيمترية أو هذه المقابر تشهد على التغير في أسلوب الدفن عنه في الفترة الأخمينية».

القرابين حول مقبرة قورش:

يكتب ستيسياس Ctesias قائلاً «إنه مباشرة بعد وفاته، قام قمبيز Cambyses بإعادة جسد والده إلى فارس، وقام بإعطاء أوامره بدفن والده كما كان يتمنى (أبو هو قورش)، وبالرغم من أن أسلوب التعبير الذي استخدمه ستيسياس هو عام، إلا أنه من غير الصحيح أن يتم

ربط ذلك مع ما كتبه آريان Arrian حول القرابين والذبائح التي كان يتم عملها حول المقبرة منذ وقت حُكم قمبيز Cambyses حيث يقول أريان في ذلك: «وبجوار المقبرة ذاتها، يكون هناك مبنى صغير يتم وضعه، وذلك للمجوس الذين كانوا يحرسون مقبرة الملك قورش (Cyrus) ، حيث إن ابن الملك قورش وهو قمبيز Cambyses كان يُعطيهم خروفًا كل يوم وقدرًا من النبيذ واللحم، ويُعطيهم حصانًا كل شهر من أجل التضحية وتقديم القرابين للملك قورش (Cyrus) .

ونجد أن النص الخاص بآريان مفهوم تمامًا، وذلك في ضوء اللوحات التي تأتي من بيرسبوليس Persepolis ، حيث توجد واحدة من هذه اللوحات التي يُطلق عليها المجموعة e (وهي حوالي 40 لوحة) تشمل معلومات كمية حول المواد التي يتم توزيعها على المُتعهدين من الديانات المختلفة الإيرانية، الإيلامية، والبابليونية، وهذه المواد كانت مستهدفة من أجل التضحيات والقرابين، وهناك مجموعة أخرى من هذه اللوحات التي يُطلق عليها المجموعة (ك1) والتي تشمل 35 لوحة، وتشتمل تلك المجموعة على مجموعة المؤن التي يتم توزيعها بواسطة الإدارة الملكية أو إدارة القصر للمتعهدين باعتبارها نظير خدماتهم، وحتى بالرغم من أن الألواح الخاصة ببيرسبوليس Persepolis ، هي بعد تلك الألواح الخاصة بقمبيز Cambyses ، فإنه يبدو من الواضح أن المعلومات التي تم تقديمها بواسطة آريان Arrian نجدها تتبادل لحدٍ ما وبشكل قريب مع ما يمكن تحديده من اللوحات، حيث إن الكهنة كانوا يقومون بتقديم هذه القرابين عند مقبرة قورش (Cyrus) ، ويحصلون على المؤن لأنفسهم حيث يحصلون على خروف كل يوم، ويحصلون على نبيذ ودقيق، وأيضًا حصان كل شهر وذلك للقرابين»، وفي الألواح البريسبوليسية Perspolis ، نجد أن المؤن التي يتم تقديمها بواسطة الإدارة المسؤولة عن القصر كانت تتكون من الأصناف التالية: الدقيق (12 مرة)، والبيرة (11 مرة)، والنبيذ

(6 مرات)، والغلال (4 مرات)، والبلح (مرة واحدة)، والتين (مرة واحدة)، ونحن نجد أكثر أو أقل من هذه الأنواع والأصناف نفسها، والمستهدفة إلى القرابين ذاتها مثل (الغلال 23 مرة)، والنبيذ (14 مرة)، والدقيق (مرتان)، والبيرة (مرة واحدة)، والخراف يتم تقديمها مرة واحدة، ونحن ربما نُلاحظ أن المتعهدين لا يحصلون أبدًا على اللحوم في المؤن التي يتم تقديمها لهم بشكل يومي أو شهري، وفي هذا الإطار، فإن كهنة مقبرة قورش (Cyrush) يكونون هم المفضلين، والكميات أيضًا بكثرة غير عادية، حيث يكون هناك أكثر من 360 خروفًا في السنة، وبالفعل نحن لا نعرف عدد الـ Magi التي كانت مُشتملة في هذه القرابين .

والقرابين الخاصة بالخيول لم يتم تسجيلها على الإطلاق في هذه الألواح، وقد كانت بشكل واضح أسلوبًا شاذًا، وفي قطعة مكتوبة بواسطة زينوفون Xenophon في السيروبيديا Cyropedia ، يقول إن الخيول كان يتم تقديمها كقرابين وذبائح للشمس أثناء الأعياد بشكل دوري، وهي الأعياد التي كان يتم انعقادها بواسطة ملك فارس، وهنا، يبدو بشكل غالب أن الشمس هي ميثرا أو الإلهة ميثرا Mithra ، وطبقًا لسترابو Strabo فإن مرزبان أرمينيا كان عليه أن يقوم بإرسال عشرين ألفًا من المُهر (أنثى الحصان) لأعياد ميثرا Mithra التي كان يُطلق عليها ميثراكانا Mithrakana كل عام، والماجي Magi كانت تقوم بالتضحية بالخيول البيضاء في عام 480، والعلاقة بين الملك والخيول البيضاء التي كان يُطلق عليها «الخيول المُقدسة» كانت تأتي من مزارع ميديا في سهول نيسا Nisaea والتي كانت أيضًا مذكورة وموجودة، وطبقًا لهيرودوت Herodotus بعد أن قام قورش (Cyrus) بالتحرك؛ ليُهاجم ويغزو بابليون، فإن واحدًا من الخيول المقدسة (البيضاء) قد ذهب ليعبر النهر، بينما قام النهر بأخذه في تياره السريع والمتدفق، وهو ما جعل

قورش (Cyrus) يقوم بتحويل مجرى النهر إلى 360 قناة، ومـن خـلال ذلـك، نحـن ربما نفترض أن هذا الحصان كان واحدًا من تلك الخيـول التـي كـان يتعهـد المـاجي Magi بإرسالها كل شهر؛ لتقديم القربان عند مقبرة الملك قورش (Cyrus) .

وأخيراً، فإن حراسة المقبرة وأداء القرابين كانت مسؤولية الماجي Magi ، حيث ظهر أيضًا عدد قليل من المؤسسات التي تـم النقـاش مـن خلالهـا حـول مسـؤولية تقديم القـرابين، والسـبب وراء ذلـك ربمـا يكـون المصـادر الكلاسـيكية التـي كانـت مختلطـة بشـكل كبـير واللفـظ الخـاص بـــ Magi ، والـذي اسـتخدمه هـيرودوت Herodotus يُشير بشكل أساسي إلى واحدة من القبائل الموجودة في ميديا Media ، وربما هي القبائل التـي أُطلـق عليهـا هـيرودوت Herodotus ودارا Darius في سمرديس/ جوماتا Saamerdis/ Gaumata اسم ماجوس Magus الميـدي، بيـنما نجد في السياق الفارسي أن كلمة مـاجوس Magus تعنـي بشـكل أسـاسي «حـاضر الطقوس» أو الشخص الذي يُحضر الطقوس، والنص الخـاص بآريـان Arrian أيضًـا يوضح أن مكانة ووضع الماجوس Magus ينتقل من الأب إلى الابن، وبالإضـافة إلى ذلـك، فإنـه يبـدو مـن الأكيـد أنـه منـذ وقـت حُكـم قـورش (Cyrus) وقمبيـز Cambyses كان بعض هؤلاء المجـوس (Magi) دائمًـا في بطانـة أو حاشـية الملـوك، وطبقًـا لبلينـي Pliny فـإن المـاجي Magi هـو الـذي نصـح ببنـاء مقـبرة قـورش (Cyrus) وتوجيهها ناحية الشرق، وأيضًا كـان المـاجي معروفًـا في كتابـات الإغريـق واليونانيين، وكان هناك المانتيا Manteia الذين كـانوا أيضًـا معـروفين في الكتابـات اليونانية، حيث كانت مهمتهم هي تفسير الأحلام الخاصة بالملك .

وحتى نقوم بعمل تلخيص واستنتاج مـما سـبق، فـإن القـرابن الجنائزيـة والخاصة بالدفن كان يتم القيام بها بشكل مُنتظم عند مقبرة قـورش (Cyrus) هـو مـا يُشـكل ويُقـدم مثـالاً غـير قابـل للجـدال والنـزاع، وهـو المثـال الـذي

يوضح دِين الدولة الذي كان متبعًا قبل دارا Darius ، ويبدو مـن الواضـح أنـه في عيون الملك قـورش (Cyrus) ، فـإن تأسـيس وتشـييد المقـبرة في المدينـة التـي قـام بتأسيسها يرمز إلى السياسة الخاصة بالأسرة الحاكمة، ويقدم لنا عاملاً أساسيًّا خاصًّـا بها، وعندما يقوم أتباع قـورش بعمـل القـرابين نفسـها والحفـاظ عليهـا، فـإن ذلـك بسبب أنهم يتمنون ويرغبون في الاسـتفادة مـن شـهرة قـورش (Cyrus) ، والحالـة نفسها أيضًا خاصة بقمبيز Cambyses .

وهو الشيء الـذي لا يُشـكل مُشـكلة، حيـث إن قـورش (Cyrus) هـو الممثـل الوحيد للأسرة المالكة، والذي يُمكن أن يُقال عنه بالتأكيد أنه قد تم دفنـه في مقـبرة تم بناؤها فوق الأرض، وبداية من دارا Darius ، فـإن الملـوك قـد اختـاروا المقـابر التي كانت محفورة في الطابق الأرضي أو منحدر تاكي روستام Naqsi-I Rustam .

10- اغتصاب العرش بواسطة بارديا Bardiya :

سمعة قمبيز (Cambysis):

والوقت قد حان الآن لمعرفة ظروف وفاة قمبيز Cambyses وفي هذا الصدد، يكون من المهم التركيز جيدًا منذ البداية والاعتماد أساسًا على المصـادر الكلاسـيكية، خصوصًا هيرودوت Herodotus ، وهو الذي قد صور صورة سلبية بشكل مقصور عـلى قمبيـز Cambyses ، فالتنـاقض بـين قـورش (Cyrus) وقمبيـز Cambyses فكـرة مؤكـدة في المصـادر الكلاسـيكية، ونحــن يجــب أن نعــود إلى هــيرودوت Herodotus ، فهو يقـوم بشرح العلاقـات المتـوترة التـي بـدأت تظهـر بـين قمبيـز Cambyses وبين بطانته أو حاشيته في حملته على مصر، فلم يكن المصريـون هـم الضحايا فقط لجنون الملك قمبيز Cambyses .

حيث إنه -طبقًـا لهـيرودوت Herodotus - قـد تسـبب في وفـاة أخيه سمرديس Smardis ، وبعد ذلـك ونتيجـة غضـبه الشـديد، كـان

قمبيز Cambyses هو السبب في وفاة أخته وزوجته عندما كانت حاملاً حيث لم يكن أقاربه المقربين منه بشكل كبير هم فقط ضحاياه، فهو أيضًا قد تسبب في وفاة ابن بريكساسبس Prexaspes وهو حامل كأسه بواسطة سهم.

وفي مناسبة أخرى نجد الملك قمبيز Cambyses يقوم بالقبض على اثنى عشر فارسًا من أعلى الرتب (والذين يُطلق عليهم البروتوي Protoi)، وقام بدفنهم أحياء نتيجة تهمة باطلة، وجعل رؤوسهم عند الدفن إلى الأسفل، وأيضًا كروسوس Croesus كان من أولئك الذين عانوا من جنون الملك قمبيز Cambyses ، حيث يُضيف هيرودوت Herodotus بدون تفاصيل قائلاً إن: «كل أولئك يُعتبرون مجرد عينة مما قام به قمبيز Cambyses ، وأمثلة على المعاملة التي كان يقوم بها قمبيز Cambyses مع الفُرس وحلفائه أثناء إقامته في ممفيس Memphis .

وربما كانت تلك إشارة إلى الفعل الوقح والقاسي بشكل خاص الذي قام به مع القاضي الملكي الخاص بالقصر، والذي كان يُدعى سيسمانز Sismanes ، حيث يقول هيرودوت Herodotus : «لقد قام بتقطيع جلده وتمزيقه، وقام بوضعه في قماش، وتم تمديده عبر الكرسي والمقعد الذي كان يستخدمه هذا القاضي، ويجلس عليه في القصر، ثم قام بتعيين ابنه أوتانز Otanes قاضيًا في مكانه، وأنه قال له لا تنسَ من أي شيء صُنع هذا الكرسي الذي تجلس عليه حتى تتذكر ما حدث للقاضي الذي كان قبلك عندما تقوم بإصدار أحكامك».

والمعلومات التي قدمها هيرودوت Herodotus تحتاج بالضرورة إلى أن يتم أخذها حرفيًا وفهم معانيها جيدًا، وتحتاج إلى تفسيرات حتى يتم التوصل للحقائق، وهو نفسه يقف في الخلف وهو يخفي وراءه من أخبره بذلك، وبالتالي فإن هناك رغبة في تقديم العديد من النسخ اليونانية والمصرية حول وفاة أخت الملك، بل والأكثر من ذلك فإنه يبدو من

الأكيد تقريبًا أن قصة قتل سمرديس Smerdis هي اختلاق أو مجرد أكذوبة، ومرة أخرى بعد ذلك، فإن قصة التعذيب التي لحقت بالاثني عشر فارسًا من الفُرس الأرستقراطيين لا يمكن تصديقها في حد ذاتها، وفي أي مكان آخر، يقوم هيرودوت Herodotus بذكر أنه في عام 480 وفي القصر الذي يُطلق عليه قصر الطرق التسعة Nine Roads في ثراس Thrace فإن الفُرس قد أخذوا الرقم نفسه من الشبان والشابات من الدولة حتى يتم دفنهم أحياء في الظلام نفسه، ويُضيف هيرودوت Herodotus قائلاً إن «دفن الناس أحياء» هو عادة فارسية، وأنا أفهم أن زوجة كسركسيس Xerxes التي يُطلق عليها أمستريس Amestris قامت بعمل ذلك مع أربعة عشر صبيًا فارسيًا من العائلات المميزة التي يُطلق عليها (إيبي فانز Epiphaneis) على أساس أنهم هدية، والتي يتمني من الإله المفترض للعالم السُفلي أن يقوم بقبولها بدلاً من نفسها، وإذا رفضنا الشرح والتفسير الأخلاقي لسلوك قمبيز Cambyses الذي يتسم «بالجنون» و«القسوة»، فنحن ربما ندرك أنه كان يُعادي العائلات العظيمة والكبيرة الموجود آنذاك من أجل المحافظة على العرش لنفسه ولمن يتبقَّ من عائلته وأولاده وأحفاده .

وطبقًا لهيرودوت Herodotus فإن قمبيز Cambyses توفي في سوريا بعد فترة قصيرة من استلام رسالة من الرسول الذي تم إرساله بواسطة مغتصب العرش والذي كان قد استولى على السلطة في فارس باسم أخيه سمرديس، ومهما كانت الحقائق، فإنه يجب التأكيد على أن هيرودوت Herodotus في هذه النقطة قد قام مرة أخرى بإيضاح بعض الاختلافات الخطيرة بين الملك وكثير من الفُرس مرموقي المقام وهم الذين كانوا بحضرته، فقد كان الفُرس يعتقدون أن سمرديس - وهو ابن قورش (Cyrus) وأخو قمبيز Cambyses - هو الذي قام بجعل نفسه ملكًا، واستولى على عرش قمبيز Cambyses ، حيث إن هيرودوت Herodotus يقول بأن الفُرس كانوا يعتبرون قمبيز Cambyses أحمقًا ومتهورًا ومُهملاً

في كل شؤونه، «وأيضًا» نجد هيرودوت Herodotus يقوم بتسجيل رأي أوتانز Otanes وهو واحد من المتآمرين في عام 522، والذي يتهم قمبيز Cambyses بكونه متجبرًا بسلطته ومتغطرسًا».

سمرديس Smerdis ، تانيوكراس Tanyoxarces ، وميرجيز Mergis ، ماردوس Mardos :

في حكايته حول قمبيز Cambyses ، نجد أن هيرودوت Herodotus يعود مرات عديدة إلى قضية سمرديس وهو أخو الملك «والذي وُلد من أم قمبيز Cambyses نفسها»، وهذا الشخص قد تم إعطاؤه أو إطلاق العديد من الألقاب والأسماء عليه -كما تقول المصادر اليونانية- وهذه الألقاب هي (تانيوكراس أو Tanyoxarces ، تانوكس Tanoxares ، ميرجين Mergis ، ماردوس Mardos والمخطوطة البيهوستية (منسوبه إلى البيهوستينيين) والألواح البابليونية تخبرنا عن الاسم الخاص بارديا Bardiya (وكان اسمه بارزيا Barziya في الألواح البابليونية) .

وهناك بعض الأحداث البسيطة في التاريخ الأخميني التي تثير العديد من الأسئلة أو تُثير جدلاً واسعًا حول الفترة التي كانت بين خلع قمبيز Cambyses وقدوم دارا Darius ، وتحليل ذلك هو شيء مهم جدًا؛ لأنه يسمح لنا بالتقييم الحريص جدًا لجوانب الضعف والقوة الخاصة بالإمبراطورية في نهاية فترة حُكم قمبيز Cambysis .

وفي نسخته المُسجلة بواسطة هيرودوت Herodotus ، نجد أن بريسكاسب Prexapes يحكم على سمرديس بالموت بناءً على أوامر من قمبيز Cambyses بعد عودة أخيه من مصر إلى فارس، حيث كان قمبيز Cambyses في الحقيقة قلقًا لأنه كان قد رأى حُلمًا بأن أخيه سمرديس Smerdis قد جلس على العرش الملكي، وبعد ذلك كان هناك اثنان من الماجي Magi الذين كانوا إخوة، وقد استفادوا من الحقيقة الخاصة بأن سمرديس قد تم قتله، وهو السر الذي كان محتفظًا به، وأن

الغالبية العُظمى من الفرس كانوا يعتقدون أن سمرديس ما يزال حيًّا، ولـذلك فقـد قام الـ Magi الاثنان بالتمرد على قمبيز Cambyses ، وواحد منهم والـذي يُـدعى باثيزيس Pathizeithes الذي كان محط ثقةً قمبيز Cambyses قام بوضع أخيـه فوق العرش بواسطة رعاية عائلته ومساندتها إياه في هذا، وهذا الأخ لم يُطلق عليه سمرديس فقط إنما كان أيضًا يشبه سمرديس (أخو قمبيز Cambyses) في الهيئـة والشكل، ومن خلال ذلـك نجـده قـد قـام بحُكـم الفُـرس تحـت اسـم أخـو قمبيـز Cambyses وفي مكانه، حتى قامت ثـورة الأرسـتقراطيين ومـؤامراتهم ونجحـت في إزالته من السلطة، وقامت بإحضار دارا Darius إلى الحكم.

وهناك العديد من المؤلفين الكلاسيكيين الذين تناولوا العديـد مـن المناقشـات حـول هــذه الأحــداث، وبالإضــافة إلى الوصــف المخــتصر لمــاردوس Mardus في إيشيلوس Aechylus فإن اثنين من الكُتاب والمؤلفين قد أعطـوا وقـدموا حسـابات أكثر أو أقل حول عمليـة اغتصـاب السـلطة، حيـث نجـد أنـه بالنسـبة لستيسـياس Ctesias ، كــان الاخــتلاف بــين قمبيــز Cambyses وأخيــه تانيوكســارس/ بارادـيـا Tanyoxarces Bardiya قد ظهر نتيجة للنزاع بين تانيوكسارس والمجوسي الـذي كـان يُـدعى سـفين داداتــس Sphendadates والــذي اتهــم ســيده، وبعــد العديــد مــن المحاولات غير المُثمـرة، نجـح قمبيـز Cambyses في إحضـار تانيوكسـارس إلى الـقصر وقام بقتله، ونجد أن المجوسي والذي كان يطلق عليه سفن داداتس قد أخذ مكان أخو الملك، واستفاد من التشابه الجسماني الخارق للعادة، ولمدة خمس سـنوات اسـتطاع أن يشـغل منصـب مرزبــان بــاكترا Bactria ، وهــي الوظيفــة التــي شـغلها مــن قبلــه تانيوكسارس، وكان من بين أهل الثقة من حاشية الملـك، مـن يُطلـق علـيهم أرتاسـيرس Artasyras ، باجــابيتس Bagapates وإيزابــاتس Izabates ، حيــث نجــد أن الاثنــين (الأول والثاني) قد وضعا سفن داداتس Sphendadates عـلى العـرش، بيـنما نجـد أن

الثالث وهو إيزاباتس Izabates والذي كان معهودًا إليه بنقل جثمان قمبيز Cambyses إلى فارس، قد قاوم هذه الفعلة، ولكن مع نجاحها تم الحُكم عليه بالموت .

والرواية الخاصة بجوستين Justin نجدها تتوافق بشكل قريب مع تلك الخاصة بهيرودوت Herodotus ، ولكن هناك بعض الاختلافات، فالرواية الأولى تأخذ في حساباتها الحكم الخاص بقمبيز Cambyses في مصر، وتضيف إلى ذلك أن قمبيز Cambyses قد أعطى أوامره إلى كوميتس Cometes الذي كان المجوس Magus من بين أصدقائه (أي كان يدعى ذلك فيما بينهم) ليقوم بقتل ميرجيس/ أو سمرديس Mergis/Smedis ، وبدون الانتظار حتى تتم معرفة وفاة قمبيز Cambyses ، نجد أن كوميتس Cometes قام باغتيال فيرجيس، وقام بذلك بمساعدة أخيه أوروباستس Oropastes الذي أصبح بعد ذلك الملك، وقد نجح هذا المزور؛ لأنه كان يشبه وجه وهيئة أخو قمبيز Cambyses الذي يُدعى ميرجيس/سمرديس كدرجة كبيرة .

وبواسطة هذه المقارنة، نستطيع أن نرى أن كل تلك الروايات تتفق على شيء واحد من كل هذه الأشياء العديدة وهي قتل سمرديس (الذي كان يُطلق عليه تانيوكسارس Tanyoxarces ، أو ميرجيتس Mergis أو بارديا (Bardiya) ، وذلك بأمر أخيه قمبيز Cambyses ، واستبداله بواسطة المجوسي (والذي كان يُطلق عليه سمرديس Smardis)، أو سفن داداتس Sphendadates أو أوروباستس Oropastes ، والتشابه الطبيعي الجسماني بين المجوس Magus وبارديا Bardiya جعل من الممكن الاحتفاظ بسر القتل بعيدًا عن أي شخص، بينما نجد هناك تناقضات في التفاصيل وهي واضحة، فالبعض الخاص بهذه التفاصيل نجده يُفسد منطق هذه القصة .

ففي حالة ستيسياس Cetsias على سبيل المثال، نجد أن دور

بريكساسبس Prexaopes بواسطة أيزاباتس Izabates ، وليس هناك أي اشتراك بواسطة الماجي Magi الاثنين، والخطة قد حدثت كخطوة مبدئية لاثنين من الأفراد ذوي المكانة الرفيعة في القصر -من بطانة الملك- وهما باجاباتيس Bagapates وأرتاسيرس Artasyras ، وهما اللذين قررا إحضار المجوسي سفن داداتس Sphendadates إلى السلطة، وأيضًا الاختلافات المنطقية المتزامنة واضحة بشكل جلي، حيث إن ستيسياس Ctesias يضع حادث القتل الخاص بارديا Bardiya خمس مرات قبل الاستيلاء على السلطة واغتصاب العرش، بينما نجد أن هيرودوت Herodotus يقوم بوضع وفاة بارديا Bardiya ثم بعد ذلك حادث اغتصاب العرش بواسطة سمرديس Smardis أثناء حملة قمبيز Cambyses على مصر، بينما نجد أن جوستين Justin يقول بأن الحدثين وقعا بعد وفاة قمبيز Cambyses .

دارا (Darius) ، بارديا Bardiy ، جوماتو Gaumata

بعد انتصاراته على المغتصبين والمتمردين، قام دارا Darius برواية الأحداث التي أدت إلى انتصاره من وجهة نظره هو حيث نجده يقول ويروي التفاصيل كالتالي: «ابن قورش (Cyrus) ، اسمه قمبيز Cambyses وذلك في عائلتنا كان هو الملك، وقد كان لقمبيز Cambyses أخ يُطلق عليه بارديا Bardiya وهو أخوه من الأب والأم نفسيهما، ولم يكن بارديا Bardiya معروفًا للشعب مثل قمبيز Cambyses ، وبعد ذلك ذهب قمبيز Cambyses إلى مصر، وعندما غادر قمبيز Cambyses إلى مصر، أصبح الشعب بعد ذلك شريرًا، وبعد ذلك كان هناك رجل يراقب أحداث التمرد في فارس وفي ميديا وفي أقاليم أخرى، وكان اسمه جوماتا Gaumata ، حيث قام بالتمرد من بيسي بافادا Paisiyauvoda وخداع وكذب على الشعب عندما قال لهم «أنا بارديا Bardiya » ابن قورش وأخو قمبيز Cambyses ، وبعد ذلك أصبح كل الشعب متمردًا على قمبيز Cambyses في فارس وفي ميديا وفي كل الأقاليم، وحصل على مُلك المملكة، وبعد ذلك توفي قمبيز Cambyses .

وأيضًا دوريس تحدث عن عدم شرعية المغتصب الذي استولى على مُلك المملكة، حيث يقول «إن هذا ينتمي منذ البداية إلى المسار الذي نتبعه» وفي ظل عدم استجابة من السكان، يقول دارا Darius : «لم يكن هناك رجل ولا فارس ولا ميدي ولا أي شخص من عائلتنا يعتقد أن جوماتا يمكن أن يُحرم من المملكة، ولكن الشعب كان يخافه كثيرًا (معتقدين) أنه ربما يقوم بقتل العديد من الناس الذين كانوا يعرفونه من قبل على أنه بارديا Bardiya ؛ ولهذا السبب فإنه سوف يقتل هؤلاء الناس إلا إذا عرفوا بأنني لست بارديا Bardiya ابن قورش Cyrus ، ولم يجرؤ أي شخص على أن يقول شيئًا عن جوماتا Gaumata حتى أتيت...».

ونحن نرى بشكل مباشر أن رواية هيرودوت Herodotus تتفق مع جُمل دارا Darius في النقاط الأساسية، خصوصًا في أن المتمرد هو المجوسي Magus الذي تقمص هوية وشخصية بارديا Bardiya سمرديس أخو قمبيز Cambyses ، وفي أن قمبيز Cambyses كان مسؤولاً عن وفاة أخيه، وأن وفاة بارديا Bardiya ظلت سرًا، بينما نجد أن المخطوطة البيهوستية أيضًا تقدم معلومات دقيقة حول التسلسل الزمني لتتابع الأحداث، حيث نجد أن العصيان المُسلح لجوماتا Gaumata يؤرخ إلى الحادي عشر من مارس عام 522، وبدأ في شهر أبريل، والألواح البابليونية في الحقيقة تبدأ وتُؤرخ منذ حُكم بارديا Bardiya (بارزيا Barziya) الذي كان يُطلق عليه ملك الأراضين، وملك بابليون، وفي الأول من يوليو استطاع جوماتا الحصول على السلطة قبل وفاة قمبيز Cambyses بفترة قصيرة، ولكن يجب التأكيد على أن دارا Darius كان حريصًا على عدم تحديد اليوم أو تاريخ وفاة الملك، حتى بالرغم من أن هناك أحداث أخرى مؤرخة بالضبط، باليوم والشهر من خلال روايته».

بارديا Bardiya ، سمرديس Smerdis وجوماتا Gaumata :

ونحن نستطيع أن نرى أن هناك العديد من الأشياء الغامضة حول

هويــة المتمــرد وظــروف اســتمرارية ظهــوره، والاتفــاق العــام بــين هــيرودوت Herodotus ودارا Darius حول ذلك لا يقوم في حد ذاته بتحقيـق درجـة التأكـد لدينا، ونحن في الحقيقة نعرف أن النص البيهوستيني قائم على أساس دارا Darius وليس أي أحد آخر، وقد نتج من خلال كل إقلـيم مـن أقـاليم الإمبراطوريـة، ولكـن هل الرواية اليونانية التي قدم لهـا هـيرودوت Herodotus الاستشـارة موجـودة؟ من الممكن أن تكون موجودة، ولكن مرة أخرى يجب علينا أن نُلاحظ أنه إذا كانت تلك هي القضية، فإن هيرودوت Herodotus قد أخذ حريتـه الكاملـة في التأويـل والتفسير، وفي الحقيقة فإن النقاط التي يختلف فيهـا هـيرودوت Herodotus عـن نص دارا Darius هي أيضًا ملحوظة وتشمل دور دارا Darius نفسه في التخطيط ضد المغتصب، وهيرودوت Herodotus أيضًا، لم يتفق مع دارا Darius في تـاريخ قتل بارديا Bardiya ، حيث نجده يُعزي هـذا الأمـر إلى بريكسـاتس Prexaspes بناءً على أوامـر مـن قمبيـز Cambyses ، وقـام بوضـع ذلـك أثنـاء حملـة قمبيـز Cambyses على مصر، بينما نجد أن دارا Darius يقول بـأن قمبيـز Cambyses قد أعطى أوامره بقتل بارديا Bardiya قبل رحيلـه إلى وادي النيـل، ومـن الجـدير بالملاحظة أيضًا أن هيرودوت Herodotus قد أعطـى المغتصـب الاسـم سـمرديس Smerdis ، بينما نجد مخطوطة يونانية «صادقة» تذكر شخصًا إيرانيًا يُطلـق عليـه اسم بارديا Bardiya ، وبينما نلاحظ ذلك بشكل مدهش نجد أن ماجوس Magus كـان لـه الاسـم نفسـه مثـل ابـن قـورش Cyrus ، حيـث نجـد أن الاسـم جوماتـا Gaumata موجود فقط في كتاباته ورواية جوستين Justin ، بينما نجد الماجيوس Magus بواسـطة هـذا الاسـم (كـوميتس Cometes) يـتم التعهـد لـه شخصـيًا بواسطة قمبيز Cambyses بالقيام بقتل سمرديس الحقيقي، وكان هـو الشـخص الذي وضع أخاه أوروباتس Oropates على العرش، ويبـدو مـن الواضـح هنـا أن

هيرودوت Herodotus ومن تبعه قد قاموا بخلط العديد من الروايات الشفهية التي كانت في وقت بحثه أثناء دورته في آسيا مينور واليونان، وفيما بين العائلات الأرستقراطية الفارسية العظيمة».

وعلى أية حال، فإن التوافق بين هيرودوت Herodotus ودارا Darius لا يُبرهن على أي شيء لسبب بسيط وهو أن السيرة الذاتية لدارا Darius هي محل شك في حد ذاتها، وقد كان دارا Darius مصرًا على موت أخو قمبيز Cambyses وخديعة الرجل الذي كان يُدعى جوماتا، وذلك حتى يظهر على أنه هو الذي استعاد شرعية السلالة الحاكمة؛ ولأنه قلق من أجل أن يبدو ملكًا شرعيًّا يأتي من العائلة الأخمينية، حيث قام الملك الجديد بحرص بإيضاح رغبته وحبه في إظهار الحقيقة».

بينما نجد أن تأكيداته لم تُقنع القارئ بشكل تام والذي أصبح حزرًا مُسبقًا حول الشخصية المعكوسة (والتي تحتاج إلى تأصيلها وضبطها)، وأصبح غير متأكد من هذه العبارات، والرواية البابليونية هي الوحيدة التي أطلقت على جوماتا Gaumata أنه ميدي Mede ، ولكن ماذا يعني ذلك؟

لكل هذه الأسباب، كانت الأجيال المتعاقبة من المؤرخين تقوم بطرح السؤال، هل كان جوماتا هو المغتصب الفعلي للمملكة والعرش وهو الذي كان يُدعى ماجوس Magus كما أطلق عليه دارا Darius ذلك؟ أم كان مجرد اختراع أو أكذوبة لدوريس لأنه كان قلقًا من أن يتم الإعتقاد بأنه هو الذي قام بخلع بارديا Bardiya الابن الفعلي لقورش؟ وهذا السؤال ربما يبدو بلاغيًّا لدرجة أن المصادر تتفق على قتل بارديا Bardiya ، بينما باقي القصة تبدو غريبة بالكامل وغير قابلة للتصديق، وبالنسبة لستيسياس Ctesias فإن ماجيوس Magus قام بخداع الناس من خلال الشبه الشديد بينه وبين أخي قمبيز Cambyses -وهو ابن قورش Cyrus - ولكن كيف يُفسر هذا؟ والأكثر من ذلك أن قتل شخص مهم مثل أخي قمبيز Cambyses يمكن أن يبقى سرًا لمدة أربع أو خمس سنوات حتى

طبقًا لما يقوله هـيرودوت Herodotus عـن زوجاتـه أتوسـا Atossa ، وفيـديمي Phaidime ، بينما نجد أن اكتشاف فيديمي لهـذه الخديعـة -كـما قـال هـيرودوت Herodotus - هي حكاية عادلة أكثر مما يقوله التاريخ، ويمكن أن يتم تصديقها.

ومـع الـوعي الواضـح، بمـدى صـعوبة تصـديق التشـابه المتطـابق بـين بارديـا Bardiya والمغتصب للعرش نجد أن جوستين Justin يحاول تقديم اعتراضـات (أو أن يستجيب لاعتراضاته هو) من خلال ملحوظته التـي يقـول فيهـا: «إن السر كـان محتفظًا به جيدًا لأنه فيما بين الفُرس»، والملوك لا يـراهم العامـة مـن الشـعب ولا يظهرون لهم، «وبالتالي فإن جوسـتين بهـذه الملحوظـة يُشـير إلى البروتوكـول الملـكي الخاص بالقصر الذي يُبقي الملك معزولاً داخل القصر الملكي، ولكن هل من المتوقـع هنا أن نصدق أن الملك (أو بديله) لم يقم بالاجتماع بالشعب أو الجمهور ولـو لمـرة واحدة أثناء هذه الأعوام السبعة؟ وعـلى أيـة حـال، فـإن هـيرودوت Herodotus نفسه يقول بأن أوتانز Otanes -وهو والد الزوجة فيديمي Phaidime - قد شـك في هذه القصة الرسمية لبعض الوقت، والشيء نفسه كان بالنسبة لرفـاق وأصـحاب أوتانز Otanes وهما آسـباثينيز Aspathines وجوبريـاس Gobryas ، بالإضـافة إلى دارا Darius .

وأيضًا نجـد هـيرودوت Herodotus يتعـرض لأولئـك النـبلاء الـذين أحـاطوا بقمبيز Cambyses عند احتضاره، حيث يقول: «إنهم كانوا مقتنعين بأن سمرديس ابن الملك قورش Cyrus هو الجالس على العرش»، ومن ثم فإنـه يبـدو واضـحًا أن الرواية المنشورة بواسطة دارا Darius لم تكن مقبولة بشكل عام، ولسـبب وجيـه، عندما شك المؤرخون المعاصرون في حقيقة قتل بارديا Bardiya نجد أن بنـاء هـذه القصة بالكامل ينهار ويتساقط مثل المنزل المكون من بطاقات تتساقط الواحدة تلو الأخرى .

ولكن من الضروري أن نتذكر أنه ليس هناك شيئًا على وجه الدقة، والتأكيد في الوقت الحالي نتيجة عدم وجود دليل أكيد متاح وموثوق فيه، حيث إن المؤرخين بدءوا في التفكير في احتمالات واختيار بدائل، والتي بدت في النهاية أيضًا غير أكيدة وليست حقائق دقيقة، وحتى يتم اكتشاف المشكلة، فإننا يجب علينا الآن أن نقوم بصياغة فروض نظرية، يمكن أن تكون مقبولة هذه الأيام حول الخديعة المختلقة بواسطة دارا Darius نفسه .

قمبيز وبارديا Cambysis Bardiy :

حتى نستكشف نظرية حيلة دارا Darius فنحن نحتاج إلى العودة إلى قورش (Cyrus) ، وهو الذي قام -كما رأينا- باتخاذ قرار بنقل السلطة قبل وفاته إلى ابنه الأكبر قمبيز Cambysis ، وذلك تفضيلاً عن بارديا Bardiya والذي كان أخا قمبيز Cambyses من الأب والأم نفسيهما، وهذه كانت هي القصة الأولى المعروفة حول اختيار الأب قورش Cyrus لمن يخلفه على العرش، بينما الابن الأصغر بارديا Bardiya ، نجده قد حصل على إقليم كبير وعظيم في وسط آسيا كتعويض عن ذلك، والأسباب وراء اختيار قورش Cyrus لابنه الأكبر ربما تكون واضحة تمامًا؛ لأن عملية تفضيل الأخ الأكبر مذكورة على أنها قاعدة متبعة بواسطة الكُتاب الكلاسيكيين، ولكنها في الوقت ذاته لا تلزم الملك المتوج بالفعل والذي يتمتع بالحرية الكاملة في اختيار من يخلفه على أساس التفضيل الخاص به وحسب رؤيته، ونجد أنه يكفي استعادة تفضيل قورش (Cyrus) لابنه الأكبر قمبيز Cambyses والذي تم التعبير عنه منذ أن حصل قمبيز Cambyses بالفعل على لقب «ملك بابليون»، ومع قراءة الخطاب الذي قام زينوفون Xenophon بكتابته حول قورش (Cyrus) عند وفاته عندما ترك انطباعًا بأن الملك الجديد سوف يُعاني من بعض المخاوف والاضطرابات في المستقبل، وهو ما يُبرهن بأي حال على أن بارديا Bardiya لم يرضَ أو ويقبل بالفعل قرار والده، وبالرغم من أن

بارديا Bardiya قد تم إعفاؤه من دفع الجزية للقصر المركـزي -باعتبـاره مرزبانًـا- إلا أنه ما زال معتمدًا على أخيه الملك، وهذا هـو مـا أوضـحه ستيسـياس Ctesias الذي قال بأن قمبيز Cambyses -لمرات عديدة- قـد دعـا أخـاه بارديـا Bardiya للقصر، ورفض بارديا Bardiya ذلك مرتين، متذرعًا بأن لديه التزامات أخرى .

والواحد يستطيع أن يُخمن أن العلاقات بـين الأخـوين كانـت منهـارة، وهنـاك دليل على ذلك يُقدمه لنا هيرودوت Herodotus ، حيـث إن ملـك الأثيـوبيين قـد أعطى سفير قمبيـز Cambyses أولئـك الجواسـيس الـذين تـم إرسـالهم بواسـطة قمبيز Cambyses ومعهم هذه الرسالة «إن ملك أثيوبيا يرغب في تقديم النصيحة لقمبيز Cambyses ، عندما يستطيع الفُرس أن يسـحبوا مثـل هـذا المجـداف مـن هذا الحجم بشكل سهل، فعليك أن تُعد جيشًا قويًا وتقوم بغزو الدولة التـي عـاش فيها الأثيوبيون لفترة طويلة وهو التحدي الذي قام به ملك أثيوبيا ضد ملك فـارس مثل قمبيز Cambyses ، بينما نجد أن سمرديس/ بارديـا Bardiya عـلى الجانـب الآخر، «كان هو الفارسي الوحيد الذي استطاع أن يسحب مجدافًا يبلغ عرضه حوالي إصبعين».

ومع إحساس قمبيز Cambyses بـالغيرة مـن أخيـه بارديـا Bardiya -الـذي استطاع عمل ذلك- نجده يقوم بإرساله مرة أخـرى إلى فـارس (حـدث ذلـك عنـدما كان قمبيز Cambyses وأخوه وحاشيته في مصر)، وبالنسبة للفُرس، ففي الحقيقة كان الدليل الأساسي على الرجولة هو القدرة على المحاربة، والملك نفسه قـد بـرهن على قوته من خلال مؤهلاته كمحارب فقد كان راميًا جيدًا».

وبالطبع، فإن هذه الملحوظات لا تزيل جوانب عدم التأكد، فإذا كـان طموح بارديا Bardiya واضحًا، فإننا نسـتطيع أن نفهـم جيـدًا أن قمبيـز Cambyses قـد قـام بقتلـه»، وإذا مـا كـان ذلـك قبـل رحيلـه إلى مصر

(وذلك طبقًا لرواية دارا Darius وستيسياس)، أو بعد عـودة بارديـا Bardiya إلى فارس (وذلك طبقًا لهيرودوت Herodotus وجوستين Justin).

ونجد أنه من الصعب تصديق أن قمبيز Cambyses ربما قد أرسله إلى فارس ليسمح له بالحرية في التحرك قبل أن يكون قد قـام بـالتفكير جيـدًا في ذلـك، ومـرة أخرى يجب أن نتذكر أن مؤلفًا واحدًا فقط (وهو جوستين Justin) قد تسـبب في موت بارديا Bardiya بعد وفاة قمبيز Cambyses وأن هذه الرواية، بصراحـة، لا تعتبر أكثر أو أقل احتمالاً من الروايات الأخرى».

وبعد العودة إلى فارس -وذلك في ظل فروضنا النظرية- أو مع عدم اصـطحابه لأخيه إلى مصر (وهو من الاحتمالات الأخرى) فإن بارديا Bardiya قد قام بالتمرد، وذلك في مارس من عام 522، وهو ما لاحظـه ودونـه دارا Darius بشـكل دقيـق، ولكن هل كان ذلك اغتصابًا فعليًا للسلطة بـالمعنى الواضـح للكلمـة؟ وطبقًـا لـدارا Darius فإن قمبيز Cambyses كان لا يزال حيًا في بداية يوليو، والمشكلة هي أننا لا نسـتطيع أن نُقـارن بـين دارا Darius وأي مـن المصـادر الأخـرى غـير القابلـة للجـدل، ويقـول هـيرودوت Herodotus أن قمبيـز Cambyses قـد اسـتقبل الرسول المُرسل بواسطة المغتصب، وذلك مع «الأوامر الخاصة بالقوات بأنهـا يجـب عليها التصرف ليس على أساس أوامر قمبيز Cambyses ، وإنما على أسـاس أوامـر سمرديس Smardis وهو مـن سـوريا، ونحـن أيضًـا نعـرف أن الألـواح البابليونيـة الأكيدة بعينها ما زالت مؤرخة بواسطة قمبيز Cambyses حتـى منتصـف أبريـل عام 522، ولكن هذه المستندات -ذات الطبيعة المتعددة- لا تُشير إلى تـاريخ وفـاة قمبيز Cambyses ، وعلى الجانب الآخر، دعنـا نؤكـد أكـثر مـن ذلـك أن جوسـتين Justin قد وضع عملية الاغتصـاب الخاصـة بأوروباسـتس Oropastes بعـد وفـاة قمبيـز Cambyses ، وطبقًـا لستيسـياس Ctesias فـإن «المغتصـب قـد حصـل

على الحكم بعـد وفـاة قمبيـز Cambyses ، ودارا Darius نفسـه نجـده بحـرص يقوم بالتمييز بين مرحلتين، في مارس 522 قـام بارديـا Bardiya بـالتمرد في فـارس، ولكنه لم يبقَ حتى يوليو 522 حتى «يحصل عـلى السـلطة الملكيـة»، وحتـى نكـون متأكدين فإن الألواح البابليونية تقدم لنا دلـيلاً عـلى أنـه قـد تـم التعـرف عليـه في أبريل، بينما نجد أن التعبير الذي تم استخدامه بواسطة دارا Darius يبـدو وكأنـه يُشير إلى أنه حتى بداية يوليو لم يكن قد قـام بتقـديم نفسـه باعتبـاره هـو وريـث الملك المُنخلع، إلا بعد حفلة رسمية تم عملها في باسارجاداي .

وإذا كان قمبيز Cambyses قد توفي في الوقت ذاتـه، فـنحن ربمـا نفـترض أن بارديا Bardiya قد انتظـر حتـى هـذه اللحظـة قبـل أن يـدعي حقـه الشرعـي في العرش، مستخدمًا بذلك البروتوكولات الملكية» وباعتباره ابـن قـورش «فـإن العـرش كان ملكه لأنه حقه «كما يشرح جوستين Justin ذلك».

أما على صعيد الموقف الخاص بالتتويج، فقـد كـان الموقـف في الوقـت نفسـه مُعقدًا وليس سهلاً، فنحن نعرف في الحقيقة من هيرودوت Herodotus أن قمبيز Cambyses لم يكن لديه أطفال «أولاد أو بنات»، وعلى قـدر معرفتنـا فقـد كانـت تلك هي المرة الأولى التي يحدث فيها مثل هذا الموقف، والحقيقة تبقى لتعلن أنـه بعد وفاة الملك قمبيز Cambyses ، فإن بارديا Bardiya كان هـو الـذكر الوحيـد الموجود في العائلة الملكية، وبارديا Bardiya المتمرد والمغتصب للعرش لمدة شـهور عديدة، جعل من نفسـه ملكًـا بعـد وفـاة قمبيـز Cambyses وحتـى نعلـق عـلى شرعيته، نجده قد أخذ زوجات الملك السابق، ونحن نستطيع الآن فهـم واسـتيعاب لماذا كان دارا Darius متحفزًا؛ فقد كان ذلك من أجل الادعاء الرسمي بأحقيتـه في السلطة قبل وفاة قمبيز Cambyses ، ومن أجل تحويل الملك إلى مُغتصب للعرش وهو الشيء الذي سوف يؤكد على شرعية سلطته .

وعلى أية حال، فإنه ليس هناك شيء يُشير إلى أن هذا الإدعاء قد لاقى اعتراضات عديدة، حيث إن دارا Darius نفسه، وعلى العكس من عدم رضاه عن قمبيز Cambyses كان بالفعل قد بدأ في الظهور بعد رحيل قمبيز Cambyses إلى مصر، ونجده أيضًا يقوم بالتركيز على ثورة وتمرد جوماتا Gaumato ، حيث يقول: «كل الشعب قد تآمر ضد قمبيز Cambyses »، ولم يستطيع أي شخص أن يُنظم أية معارضة في فارس أو ميديا أو الأقطار الأخرى، ونجده يضيف قائلاً: «إنه من الصحيح أن جوماتا قد حصل على الحكم والسلطة بالإرهاب، وأنه لم يتردد في قتل العديد من الناس، ولكن هنا مثل أي مكان آخر، فإن ادعاءات دارا Darius نجدها تخضع إلى الحرص والاهتمام وهو يتمنى علاوة على كل ذلك أن يحصل على اعتماد وموافقة على الفكرة الخاطئة والمزيفة التي تقول بأنه كان هو الأول والوحيد الذي استطاع معارضة ومقاومة هذا الشخص الذي يُطلق عليه مُغتصب العرش، ووجود بارديا Bardiya في السلطة ووصوله إلى العرش بدلاً من ذلك يعنى أن لديه دعمًا كاملاً في فارس من أجل تأكيد ولاء الأسرة الحاكمة له، ومن الملحوظ فوق ذلك أن الانتفاضة قد حدثت في فارس نفسها، وذلك في بيسي يافادا Paisiyauvada ، وربما بالقرب من باسارجاداي، وهو المكان نفسه الذي في وقت ما بعد ذلك قام الفُرس بالانتفاضة والوقوف في وجهه وضد دارا Darius .

بارديا Bardiya والأرستقراطية الفارسية:

إن التقديم الخاص بالمؤلفين القدامى حول العلاقات بين قمبيز Cambyses والأرستقراطية قادتنا إلى الاعتقاد بأن بارديا Bardiya قد نجح في استقطاب العائلات الكبيرة لنفسه بعد أن قام قمبيز Cambyses باتخاذ إجراءات خطيرة ضدهم أثناء إقامته في مصر، وذلك عندما لم يكن عالمًا بالطموحات الخاصة بأخيه» وهل بارديا Bardiya قد أعطى توكيدات

لبعض رؤوساء القبائل ووعدهم بأنه سوف يحكم بأسلوب وطريقة أفضل من قمبيز Cambyses ؟ وهذا يُعتبر افتراضًا سابقًا».

وفي روايته نجد أن دارا Darius قد قام بإدانة الإجراءات التي قام جوماتا Gaumata بأخذها والقيام بها في فارس، وأخذ شرف استعادة الوضع الصحيح للمملكة والذي تم تدنيسه بواسطة جوماتا Gaumata ، وأيضًا باستعادة القدسية الخاصة بالعائلة الملكية التي تم تدميرها بواسطة جوماتا، وأيضًا لاستعادة الشعب الفارسي والحقول وقطعان الماشية والعمال، حيث يقول دارا Darius عن ذلك فيما كتبه: «ولقد فعلت ذلك من أجل أهورا-مازدا Ahuramazda ، لقد ناضلت حتى أعدت بناء منزلنا الملكي كما كان إلى أصوله الأولى، ولم يستطيع جوماتا إزالته .

وهذا النص نجده يقدم مشكلات عديدة من حيث التفسير والتأويل ودعنا في البداية نُلاحظ أنه أولاً وقبل كل شيء، أن تلك الإدعاءات والخاصة بدارا Darius ، وهي الادعاءات التي تثير شكوكًا حرجة، حيث إنه يبدو من الواضح بشكل خاص أنه كان يريد أن يُظهر جوماتا على أنه شر كامن، وذلك من خلال المنطق الذي استخدمه في كتاباته، ومن أجل تبرير موقفه، ثم يقوم بعد ذلك بتهيئة نفسه على إعادة الأشياء إلى ما كانت عليه قبل اغتصابها بواسطة جوماتا Gaumata ، وقد قام بالتركيز على عدم شرعية جوماتا (باعتباره مغتصبًا للسلطة الخاصة بالأخمينيين) نتيجة عدم عدله (في أخذه ممتلكات الغير) .

وهذه هي الطريقة التقليدية التي يقوم باتباعها كل شخص غازي جديد أو حتى مغتصب، عندما يقوم بتقديم نفسه بشكل أيديولوجي إلى الدول والأقطار التي يقوم بغزوها، وذلك من أجل تعزيز شرعيته (وعليك أن تُقارن بين موقف قورش من نفسه وموقف نابونيدوس Nabonidus في بابليون)، ويجب أيضًا أن نُلاحظ أن روايات دارا Darius حول جوماتا تضع دارا Darius في إطار التمثيل التقليدي للمجتمع الإيراني، حيث

نجد أن ممثلي المجتمع الإيراني يتهمون جوماتا Gaumata بمهاجمة المصالح الخاصة بالجيش والكهنة والمسؤولين وبالشكل نفسه فإن اتهامات دارا Darius محددة، وهذه الاتهامات لا يمكن إغفالها، بينما نجد التفسير التاريخي لهذه الاتهامات تفسيراً خادعًا، وهي التفسيرات التي حاولت أجيال المتخصصين وجاهدت وناضلت من أجل التوصل إليها، والسؤال هنا هو: ما المجموعات أو الجماعات الاجتماعية التي كان يُفكر فيها جوماتا/ بارديا؟

والإجابة عن هذا السؤال تظهر من خلال الكتابات والروايات البابليونية التي تقول بأنه استهدف الطبقة الأرستقراطية وقبائلها وجماعتها.

ولكن هذا التفسير يبدو غير موضوعي؛ وذلك لأن بارديا Bardiya كان يستهدف المزارعين البسطاء حتى يقوم بإضعاف شوكة وسيطرة الأرستقراطية، حيث كان يعتمد عليهم في ثوراته وتمرده، ولكن تلك النظرية أو هذا الافتراض يبدو غير مُحتمل؛ لأن بارديا Bardiya لم ينسَ ذلك الدعم الذي قدمه له الأرستقراطيون وهم الذين في ذلك الوقت كانوا يحكمون الإمبراطورية تحت سلطة الملك والذي كان يقودهم وكان لا يمكن الاستغناء عنه إذا أراد أحدهم الحصول على سلطة عُليا، والأكثر من ذلك، فإن هذا الفرض قائم على أساس إدعاء غير مقبول وغير مذكور بالمرة .

وهنا نجد طريقة بسيطة للتوصل إلى حل لمثل هذا التناقض، وهذه الطريقة هي من خلال الافتراض التفسيري والقائم على أساس التسلسل الزمني الذي قدمه دارا Darius ، وهذا التسلسل في الأحداث هو كالتالي: (1) اغتصاب العرش بواسطة ماجيوس 2) . Magus) مصادرة الأراضي والممتلكات. (3) الخطة المُدبرة لقتل بارديا Bardiya .

والمراحل المتبادلة هي المرحلة الثانية والثالثة، وهما اللتين تحتاجان إلى تفسير معقول بدرجة كبيرة، فإذا افترضنا أنه في الحقيقة قد

حدث التخطيط ضد بارديا Bardiya في سوريا بعد وفاة قمبيز Cambyses بفترة قصيرة، نجد أنه من السهل أن نفهم أن بارديا Bardiya قد أخذ بعض الخطوات لمواجهته .

ونأتي إلى الهدف من اغتصاب ومصادرة الأراضي وهو أن يتم تجريد مُعارضي بارديا Bardiya من قدراتهم الاجتماعية والاقتصادية، بالإضافة إلى أن هناك دولاً أخرى تم غزوها، وتم تجريد أهلها من الأرض لصالح المغتصبين، وفي هذا الإطار ربما نقوم بالتركيز على أهمية الرواية البابليونية، بينما نجد أن التماثل مع الروايات الفارسية والإيلامية يتوقف هنا، حيث إن بارديا Bardiya كان يمنع النبلاء المتمردين من استخدام القوة العسكرية، والهدف من ذلك لم يكن من أجل مصادرة ممتلكات العائلة الملكية، حيث إن السلطة الملكية كانت تأخذ حقوق المتمردين من النبلاء في الأرض التي تم منحها إياهم بواسطة الملك، وذلك على أساس قاعدة مشروطة (أي بشروط)، ويبدو من المفهوم هنا في حالة الاعتماد على الهبات الملكية أنها كانت معتمدة على الملك والذي يستطيع إعادة توزيع هذه الهبات والمنح الملكية على النُبلاء، وإذا كان هذا التفسير صحيحًا، فإنه يؤكد فقط على أن الإجراء الذي قام به بارديا Bardiya لم يكن على أساس هدف إيجابي أو سياسية إيجابية لأذى المُعارضين، وإنما أيضًا من أجل صيانة وتأمين تحالفه مع النُبلاء من الفُرس والذين دعموه وأيدوه منذ البداية (وذلك من خلال إعادة التوزيع) .

وهذا التفسير يقدم ميزة لا يمكن إنكارها لحل هذه التناقضات الواضحة في السجل الوثائقي بدون أي تعارض، حيث إن بارديا Bardiya لم يكن أحمقًا حتى يقوم بتأليب الطبقة الأرستقراطية ضده، وذلك في اللحظة التي كان سلطانه فيها مهددًا بالخطر بواسطة مؤامرة ما، فقد قام بعزل أولئك الذين قد عارضوه .

بارديا Bardiya والجزية من الإمبراطورية:

يقوم هيرودوت Herodotus بعرض ملحوظة أثناء تناول القرار الذي اتخـذه سمرديس/ بارديا Bardiya وذلك بعد جلوسه على العرش، حيث يقول هـيرودوت Herodotus بالنسبة لكل أمة وقطر تحت سيادته، وبعد جلوسه على العـرش قـام بعمل إعفاء من الضرائب والخدمة العسـكرية لمـدة ثـلاث سـنوات، «حيـث يقـول هيرودوت Herodotus إن هذا الإجراء قد جعله يحصل على شعبية كبـيرة، وهـذا التفسير لا يترك مجالاً للشك في أن بارديا Bardiya قد قام بالتصرف على عكس من سبقوه، خصوصًـا قمبيـز Cambyses ، حيـث كانـت هنـاك -في عهـده- زيـادة في الضريبة وخاصة عـلى تلـك الشـعوب التـي قـام بغزوهـا، وحيـث إن دارا Darius نفسه يقول إنه بعد رحيل قمبيز Cambyses إلى مصر، وقتل أخيه بارديا Bardiya «كثرت الأكاذيب والتمرد والثورات، ليس فقط في فارس وإنمـا في ميـديا Mede ، وفي شعوب أخرى، ويبدو من الصحيح، أنه قـد قـام بتـأريخ الثـورات العظيمـة وبـدايتها وذلك في أواخر سبتمبر من عام 522 بعد قتل شخص يُطلق عليه جوماتا Gaumata ، ولكن أحداث التمرد هذه يمكـن أن تُعتـبر نهايـة فـترة مـن المشـكلات والصـعوبات المنـتشرة، والمبـالغ المفروضـة بواسـطة قمبيـز Cambyses لبنـاء الأسـطول البحـري، وللحملة على مصر، وكان مُبالغًا فيها، وذلك على حساب الشعب والتـي كانـت فـوق طاقتـه، وحتـى يـتم إعـادة النظـام الـذي أضـاعه قمبيـز Cambyses ، فـإن بارديـا Bardiya وجد نفسه مُجبراً على اتخاذ إجراء وقائي، ومن خلال هذه الخطوة نستطيع أن نفترض أنه هو ومستشاريه قد حلموا بإصلاح النظام الخاص بفرض الجزيـة، وهـو الإصلاح الذي أتى مع دارا Darius ، حيث إن تحليل بارديا Bardiya للموقـف كـان يُشاركه فيه عدد أكبر من النُبلاء وهم الذين لم يكونوا يُريدون المتاعب، والذين كـانوا يريدون مساعدة وتأييد بارديا Bardiya ضـد قمبيـز Cambyses ، ولكـن يبـدو في

الوقت نفسه، أنه قد أثار عداء بعض الفُرس الآخرين، والذين لم يكونوا سعداء برؤية المملكة وهي تفلت من بين أصابعهم.

وربما يُعتبر هذا هو المصدر الخاص بافتراض هيرودوت Herodotus حول السمعة السيئة والحقيرة التي تركها سمرديس/ بارديا Bardiya فيما بين الفُرس .

وبدون شك، فقد ورد ذكر ماردوس في إيسخيلوس Aeschylus ، حيث يقول: «إن ماردوس Mardos كان هو الخامس في أخذ السُلطة وهو ما يمثل خزيًا لأرض والده ولهذا العرش العتيق، وهذه الملحوظة بواسطة إيخيلوس مهمة بشكل خاص؛ لأنها توضح وتُدرك شرعية ماردوس، وفي الوقت نفسه تقوم بلومه وتوبيخه على طريقته في الحكم.

ومهما كان الموقف الذي وجد بارديا Bardiya فيه نفسه، فإنه لم يكن ينوي أبدًا أن يبيع فتوحات وانتصارات قورش (Cyrus) وقمبيز Cambyses ، وعملية تعليق الجزية والخدمة العسكرية كانت بشكل مؤقت، فقد كان يُريد إنشاء نظام جديد من التقييم (أي تقييم المبالغ الماليه الخاصه بذلك)، بينما نجد أن سياسة الجزية لبارديا Bardiya كانت فيها تناقضات في حد ذاتها في وقت وفاة قمبيز Cambyses ، وأيضًا تُمثل الفكر السياسي الواضح لشخص كان يُطلِق عليه دارا Darius مغتصب العرش.

الفصل الثالث

الاضطراب والانشقاق ثم إعادة البناء

1- قدوم دارا للحكم:

مؤامرة السبعة: دارا DARIUS وهيرودوت HERODOTUS :

إن المصادر القديمة تحتوي على كثير من المتناقضات (الأكاذيب) فيما يخص هوية جوماتا/سمرديس Gaumata/smerdis . حيث إن استخدام هذه المصادر في المادة يكون بناء على الظروف التي أحاطت باستبعاد سمرديس Smerdis وقدوم دارا DARIUS للحكم وهي متشابكة ومعقدة وبالنسبة هيرودوت HERODOTUS . فإن أوتانيس Otanes هو من بدأ المؤامرة، حيث إنه كان أول فرد يشك في أن جوماتا/سمرديس [Smerdis/Gaumata] ليس ابن قورش Cyrus ولكنه محتال (نصاب). وأثناء حواره مع ابنته فايديم Phaidime التي دعمت هذه الإدانة. قال للمقربين منه أسباثينيس Aspathines وجوبرياس Gobryas وأخبرهم باكتشافه هذا وقد توصل الرجال الثلاث إلى اتفاق واختار كل واحد فيهم صديق أمين حيث إن أوتانيس Otanes اختار إنتافرنيس Intaphernes ، كما أن جوبرياس Gobryas اختار ميجابيزوس MEGABYZUS . وأيضًا أسباثينيس Aspathines الذي اختار هيدارنيس Hydarnes . وعندما وصل دارا DARIUS إلى المشهد تم إضافته أيضًا إلى هذا العدد .

وفي هذه القصة السابقة يبدو لنا أن دور دارا DARIUS صغيرًا حتى وصوله وأن أوتانيس Otanes هو الشخصية الرئيسية في هذه الدراما وعند هـذه النقطـة فقد تغيرت وتيرة قصة هيرودوت HERODOTUS من الآن فصاعدًا فقـد أظهـر هيرودوت HERODOTUS كل مـن دارا DARIUS وأوتـانيس بـأنهم عـلى آراء متناقضة في المناقشة الخاصة بالأساليب والإستراتيجية القائمة بـين السـبع. حيـث إن أوتانيس على الأخص كان معارضًا لرد الفعل السريع من جانب دارا. وقد اقتنع دارا DARIUS بمناقشته مع جوبريـاس Gobryas ومـن ثـم مـع المتـآمرون الآخـرون. حيث إن دارا DARIUS كان ثابت في موقفه وتبادل السبعة الآراء في طريقهم إلى القصر. وذات مرة دخل محل أقامه سمرديس Smerdis كـل مـن دارا DARIUS وجوبرياس Gobryas واللذان انقضا على السلطة من قبل، وفي الظلام الدامس قام دارا DARIUS بطعن Smerdis بسيفه. وقـد قـام جوبريـاس باسـناد سـمرديس Smerdis . وأخيرًا وبعد أيام قليلة عقد السبعة اجتماع والذي فيه تشاجر كل مـن أوتـانيس Otanes ودارا DARIUS وميجـابيزوس Megabyzus حـول المخـرج السياسي مـن الأزمـة التـي فجروهـا. وبالنسـبة للنقـاش الخـاص بـالحكم فـإن دارا DARIUS قد حاز على استحسان الأربعـة المتـآمرين الآخـرين وفي المشـهد الأخـير انسحب Otanes من المنافسة وقد حاز دارا DARIUS على السـلطة مـن خـلال حيلة قام بها خادم (سايس الخيل) وبهذه الطريقة أصبح دارا DARIUS هو ملك الفرس .

وفي سياق تصريحه في Behistun فإن دارا DARIUS لم يربك نفسـه بهـذه التفاصـيل فمنذ البداية قد صرح بوضوح وبصوت عـالي أن قوتـه وسـلطته الملكيـة إنمـا هـي تنسـب إلى شرف انتسابه لآبائه وأجداده وحماية اهورا- مازدا له Ahura-Mazda . وهذه هي الوسـيلة الوحيـدة ليقنـع بهـا الجماهـير ويضـمن بهـا اسـتمراره في الحكـم. فهـو أيضًـا يرجـع أصـل

اغتصاب حكم قمبيز Cambyses إلى جوماتا الماجوس Gaumata the magus وقد أكد على أنه لا يوجد أي شخص سواء كان فارسي Persian أو ميدي Mede أو أي شخص آخر يجرؤ على الوقوف في وجه بارديا Bardiya الزائف. وقد قام دارا DARIUS بمساعدة Ahura.Mazda ومع مجموعة قليلة من الرجال بذبح جوماتا Gaumata وكذلك أهم أتباعه. وفي الحصن المسمى بـ Sikayauvatis الموجود في مقاطعة Nisaya في ميديا Media هناك ذبحته وأخذت المملكة منه وبفضل Ahura-mazda أصبحت ملكًا. فقد وهب Ahura-mazda المملكة لي (29 سبتمبر 522) وقد أخذ الملك الجديد بإعادة بناء وترتيب ما دمره أتباع جوماتا Gaumata .

ويرجع دارا DARIUS لنفسه الدور الذي لم يقتصر فقط على السيطرة بل الزعامة والرجال القلائل الذين قدموا يد العون له ظهروا في الخلفية حيث إن منزلتهم الأقل أهمية إنما تعمل على تعظيم صورة الملك Darius الذي قدم نفسه على أنه هو الشخص الوحيد الذي يستطيع أن يطرد المغتصبين. وقد استمرت هذه الفكرة عبر الروايات الطويلة ولكنها غابت عن ترجمة هيرودوت التي كرست لشرح وسرد الانتصارات التي قام بها دارا Darius . وبالطبع هنا أو هناك فإن الملك هو الذي يعطي أسماء القادة الذين يحاربون تحت سيادته. وفي كل حاله فإن الفضل في النصر إنما يرجع إليه هو. وهذا نتيجة لحماية Ahura-mazda له والذي يمد شخصيته بالقوة .

وبالتالي فإن هيرودوت Herodotus ودارا DARIUS في تناقض كبير إذا لم يعرف Darius الستة الآخرين. وفي فقرة بسيطة عنهم حيث قال «هؤلاء هم الرجال الذين كانوا هناك في الوقت الذي ذبحت فيه جوماتا Gaumata الذي كان يسمى نفسه بارديا Bardiya . وفي هذا الوقت فإن هؤلاء الرجال قد تعاونوا معي كأتباعي. وفي قائمة من ست

أسماء وفي تصريح نادر يقول «الملك Darius أنت الملك من الآن فصاعدًا. حافظ جيدًا على ذرية ونسل عائلة هؤلاء الرجال». ويجب أن نلاحظ أن قائمة الأسماء المعطاة من جانب كل من هيرودوت Herodotus ودارا DARIUS إنها متفقة بصفة عامة .

وهناك عدم اتفاق واحد وهو أن أردومانيس Ardumanis وأسباثينيس Aspathines هما فردين مختلفين حيث إن الأول لم يكن معروفًا في أي مكان آخر. وربما يكون قد هلك في الحملة أو في الهجوم على سمرديس Smerdis . وفي المقابل فإن أسباثينيس Aspathines الذي يتحدث عنه هيرودوت HERODOTUS يسهل التعرف عليه كأحد رفقاء دارا DARIUS والذي يظهر حاملاً أسلحة ملكية على ضريح الملك ومن خلال الوصف أو التدوين يعرف باسم Aspacana .

وفي أي حالة فإن كل المشاركين في هذه القصة من الواضح أنهم من أحفاد (ذرية) عائلات فارسية أرستقراطية هامة [حيث إن الهوية الفارسية Persian لكل منهم قد أشار إليها دارا DARIUS] . وحتى أننا نفتقر إلى الشرح الدقيق لأجداد بعض منهم إلا أن أصلهم الأرستقراطي معروف خصوصًا من خلال المنزلة العالية لهم ولأبنائهم التي نالوها بعد انتصار دارا DARIUS . ولقد أظهر هيرودوت شخصية أوتانيس أ Otanes على أنه واحد من أكثر الأفراد النبلاء الفرس Persian ثراء وأن واحدة من بناته وهي فاديم Phaidime أخذها قمبيز Cambyses كزوجة له ثم من بعده Baradiya . ومن هنا فإن الدور الذي لعبه في فضح عملية التدليس والغش قد أشار هيرودوت إليها. وطبقًا لهيرودوت فإن كاساندانى Cassandane وهي زوجة قورش Cyrus كانت أخت أوتانيس Otanes . ولقد وصف هيرودوت كل من جوبرياس Gobryas وأسباثينيس Aspathines بأنهم اثنين من الفرس ذوي شأن رفيع. حيث إن كلاً منهم رسم على المقبرة عند Naqs-i.Rustam . وهذا الوصف لم يجعل

ذريته يعرفوه ولكنهم نادونه باسم Patisuvaris . والتصميم الذي فيه يعرف بالـ Patischorians على أنهم مجموعة فرعية من الفارسيين الذين وضعهم سترابو Starbo في قائمة مبعثرة بين العشائر (القبائل) الفارسية ومهما كانت التركيبة الاجتماعية Patischorian فإنه بلا شك أن أفرادهم كان حقًّا من بين الصفوة من الفرس Persians .

مشكلة السلطة The problem of power

إن منطقية القصة لكل من هيرودوت ودارا DARIUS لا يمكن إنكارها. إن المشكلة الأساسية كانت تقع في سلطة تتمتع بالشفافية والبساطة. ومنذ البداية ومشكلة استبعاد Bardiya تطرح نفسها حيث إنه لا يوجد وريث للعرش ومنذ أن مات قمبيز Cambyses وكما يعرف الجميع أنه مات بدون أن يكون له ذرية من الذكور. وكما يرى هيرودوت فإنه لم يستمر حتى بعد قتل الماجوس Magus ورفاقه. وقد قام السبعة بمناقشة الموضوع «حيث تقابل المتآمرون لكي يناقشوا الوضع بالتفصيل وفي أثناء اللقاء دارت كثير من الأحاديث وعلى الرغم من أن بعض من المواطنين قد رفضوا أن يتكلموا في ذلك إلا أنهم فعلوا» وهناك ثلاث موضوعات (أمور) قد قدمها ودافع عنها كل من أوتانيس Otanes وميجابيزوس Megabyzus ودارا Darius وهي أ- إرساء نظام حكم يسري على الناس والأفراد والكبار. ب- تأسيس نظام لحكم القلة بحيث يكون عبارة عن اختيار مجموعة من بين الأفضل وقد ذكر ميجابيزوس Megabyzus أنه لا بد أن يكون ممن بينهم السبعة. جـ- وأخيراً إعادة التدريب على النظام الملكي. ولقد كانت النتيجة من هذا النقاش هي أن هذه هي الآراء الثلاثة والتي خرجوا بها من المناقشات الثلاثة وأما الأفراد الأربعة الآخرين الذين لم يتحدثوا فقد أعطوا صوتهم للشخص الأخير دارا .

ومثل الكثير من المستمعين لهيرودوت من الإغريق فإن المؤرخين المعاصرين قد اعتقدوا بصورة بسيطة أن هذا الكلام قد خرج من أفواه هؤلاء النبلاء. حيث إن مفرداتهم كانت إغريقية وهل من المتوقع منا أن

نصدق التجاوزات المفترضة لـجوماتا Gaumata /Bardiya ضـد النـبلاء إنهـا قـد سببت تمرد.؟ ومنذ زمن بعيد فإن طموح زعماء العشائر والقبائـل هـو أن يحكمـوا بشكل جماعى، أو بعبارة أخرى أراد أن يجعلوا هذه التركيبة التي قامـت بـالمؤامرة كما وصفها هيرودوت تركيبة دائمة. وهذا التفسير يبدوا بعيدًا حيث إنه يتضمن أن عدد من الأرستقراطيين الفارسيين سـوف يعرضـون للخطـر نتـائج الفتوحـات التـي استفادوا منها كثيراً .

وفي الواقع فإن الذي كان على المحك ليس قواعد أو مبـادئ الحكـم، إنمـا هـي مشكلة الخلافة التي كانت تمثل الخطر والتي اهتمت بها الأحاديث والأقاويل. ذلك لأن السـؤال الـذي يطـرح نفسـه هـو - في غيـاب الوريـث المبـاشر مـن يقـع عليـه الاختيار؟ وهذا كان هو السؤال الحقيقي. ونحن نعرف مـن خـلال شرح هـيرودوت أن أوتانيس Otanes قد أخرج نفسه من هذه المنافسة «قد تـرك السـتة الآخـرون للقدر أن يصنع القرار. ولقد اقترحوا أن يمتطـوا خيـولهم عـلى طـرف المدينـة ومـن يصهل فرسه أولاً بعـد شروق الشـمس فإنـه يصـبح عـلى العـرش ومـن ثـم أعطـى هـيرودوت تفاصـيل الحيلـة التـي قـام بهـا أوبـاريس Oebares وهـو سـايس دارا DARIUS والتي أدت إلى أن يتم الاعتراف بسيده كملك .

ومن ثم فلم يصدق أحد أن وصول دارا DARIUS للحكم كان بسبب حيلـة أو خدعة وقد أضيفت فكرة الخيل بعد ذلك لأنها تتداخل مع الفكرة التـي أراد أن ينشرها دارا DARIUS بخصوص علاقته الخاصة بالإله. ولكن من الواضح أنه مـن خلال خصاله وملكاته الأخرى أن ابن هيستاسبيس Hystaspes قـد اضـطر إلى أن يمسك بزمام الأمور بدعم وموافقة من المتـآمرين الآخرين. وهـذا الـدعم الجماعـي قد جاء لأن Otanes قد كان راضيًا عن ذلـك. وبالتـالي فـإن رفاقـه لم يكـن لـديهم اختيار إلا الاعتراف برفعه شأن دارا DARIUS الذي كان حقوقـه السـامية وتـآلف مجموعة من القوى التي عملت كلها لمصلحته .

حقوق دارا DARIUS :

لقد أكد دارا DARIUS على أنه قد جاء إلى الحكم تحت حماية Ahura-mazda وأيضًا بسب عراقة وآصاله أسرته. ولقد قدم نفسه منذ البداية على أنه ابن هستاسبيس Hystaspes وهو حفيد أرساميس Arsames الأخميني. ومن ثم أدرج (ذكر) أبية وجده في تسلسل يعود إلى فترات أبعد في الماضي حتى وصل إلى أخمينيس Achaemenes الذي يلقب بأنه الأب المؤسس الذي ينحدر من نسله كل من تيسبيس Teispes وأريارامنيس Ariaramnes والد Arsames الذي هو الجد الأكبر لدارا DARIUS . فهو دائمًا يؤكد على عراقة ورفعة شأن عائلته حيث يقول» لهذا السبب فنحن يطلق علينا الأخمينيون Achaemenians ومنذ زمن بعيد فإننا نحن النبلاء ومنذ زمن بعيد فإن عائلتنا ملوك» وأضاف أخيرًا قائلاً «أنا الملك دارا Darius وهناك ثمانية من عائلتنا كانوا ملوك سابقًا وأنا التاسع. فنحن جميعًا إحدى عشر بالتتابع كلنا ملوك» وعلى الرغم من الصعوبات العديدة في النقل والترجمة إلا أن الصورة التي أراد دارا DARIUS أن يوصلها كانت واضحة تمامًا حيث إنه من وجهة نظره انه لا يوجد أي تعارض. وأن حقه في الملك له جذور وأصول على طول الفترة حيث إنه من بذرة ملوك أو الغرض من هذا كله هو أن يحافظ على منزلته وعلى أصوله القديمة .

وربما يحسب الفرد منا أن كلام دارا DARIUS ليس له سند أو دليل حيث إنه لم يذكر قورش Cyrus ولكنه ذكر تيسبيس Teispes في نسبه ووصفه بأنه جده الأكبر، ونجد أيضًا أن قورش Cyrus يسمى تيسبيس Teispes جدة الأكبر؛ والطريق الوحيدة للتوفيق بين هاتين السلسلتين من النسب هي أن نفترض أن تيسبيس Teispes قد قسم مملكته إلى فرعين. الأولى قد حكمها كل من (إلى تبدأ بـ تيسبيس Teispes قورش Cyrus الأول) مثلها قمبيز Cambyses

و Bardiya بارديا؛ والثانية مثلها دارا DARIUS من خلال أبيه هستاسبيس Hystaspes . ولكن وعلى الرغم مما قاله هيرودوت (الكتاب السابع، فقرة 11)، فإن نظرية (فكرة) المملكتين هذه ليست قائمة، فمن المؤكد أننا إذا قبلنا هذه النظرية لن نعرف من هؤلاء ملوك الثمانية الذين سبقوا دارا DARIUS حيث إن هيرودوت كان حريصًا على أن لا يذكر أسماءهم. ونحن في الواقع نعرف أن والده هستاسبيس Hystaspes وجده أرساميس Arsames كانا على قيد الحياة في عام 522 وأنهم بالتأكيد لم يحملوا لقب ملك وإذا كان دارا DARIUS لديه في عائلته شخص يحمل إسم تيسبيس Teispes فإن الاحتمال الوحيد هو أنه كان رجلاً يحمل نفس اسم الجد الأكبر لقورش Cyrus الأول. ولا يوجد نص واحد يوضح أن ابن هستاسبيس Hystaspes قد جاء من نفس خط السلالة كما هو مفترض. وفي الحقيقة فإن أفلاطون Plato وإيليان Aelian أكدوا على أن دارا DARIUS لم يكن ابن ملك. وهذا ما يقترحه جوستين Justin أيضًا (الكتاب الأول، فقرات 10*13-14) ولم يعطي هيرودوت Herodotus أدنى تلميح بأن دارا DARIUS لديه أي حق في العرش أكثر من أتباعه المتآمرين وعلى النقيض من ذلك فلقد استخدم هيرودوت Herodotus كلمة Idiotes قائلاً بأنه على الرغم من أن دارا DARIUS كان يحمل لقب دوريفوروس (doryphoros) والذي أحد ألقاب البلاط الرفيعة إلا أنه قبل عام 522 «لم يكن له أهمية خاصة بعد، حيث إنه كان شخص بلا سلطة» ويقصد هيرودوت Herodotus من ذلك ببساطة أن دارا DARIUS لم يكن ابن ملك وأنه كان (Idiotes) » (فرد من العامة) .

ولكن جعل دارا DARIUS مغتصب للسلطة كما هو معتاد لم يكن له أي مغزى أيضًا وذلك لسبب بسيط هو أنه لا أحد من الست المتآمرين الآخرين ولا حتى أوتانيس Otanes نفسه لم يكن بإمكانهم أن يحتجوا بأن لديهم من المؤهلات ما يمكنهم من إعتلاء العرش مثلما فعل ابن

هيستاسبس Hystaspes والذي أكد على أحقيته في تولى السلطة دون أن يجادله أحد منهم. ولم يكن هناك أي أهمية في الاعتراض على أن هيستاسبس Hystaspes كان له كثيراً من الحقوق عن ابنه. ومن الواضح أن بوجود الفرصة في خلو العرش هذا ما جعل دارا DARIUS يطالب بأساس أو كيان جديد للملكة الفارسية. ولذلك فقد اختار لقب أحد أجداده أخمينيس Achaemenes ليضفي الشرعية على حقوقه في السلطة، ومن هنا فقد كان من المحتمل أن «قصة المؤسس» الجديد للمملكة قد تم تقديمها. وهي الأسطورة التي قيل فيها أن أخمينيس Achaemenes قد رباه النسر وهو الحيوان الذي توجد شواهد كثيرة على علاقته بالسلطة الملكية في بلاد فارس Persian . أما بالنسبة لكلمة أخميني Achaemnid فمن الواضح أن دارا DARIUS قد استخدمها في معنى محدود حيث إنها بالنسبة له لا تشير إلى عشيرة وهي الطريقة التي نفهم بها كلمة هيرودوت Herodotus «فراتريس Phratries »، وهو الاسم الذي يطلق فقط على أفراد العائلة الملكية لدارا DARIUS . وكما يتضح لنا من هذا المعنى أن الملك الجديد قد استخدم الكلمة في تسجيلات (تصورات) باسارجاداي Pasargadae الزائفة والتي اصطنعها قورش Cyrus . وبوصف قورش Cyrus كملك .

ودارا DARIUS الذي كان يحاول أن يلبس الحيل العائلية له قناعًا زائفًا عن طريق جعل قورش Cyrus هو الجد المفترض للعائلة المالكة الجديدة. وهذه العبارة إنما تشير إلى العائلة المالكة وبالنسبة لنا فإننا لا نستطيع أن ندرك ماذا سوف يجني دارا DARIUS من تأكيده على أن قورش Cyrus ينتمي إلى عشيرة/أخوية الأخمينيين Achaemenids .

وليس من الضروري أن نؤكد على أن رجل مثل أوتانيس Otanes يكون لديه حقوق كثيرة مثل دارا DARIUS لأن والدة إنتافرنيس Intaphernes كان يطلق عليه هيرودوت اسم أخميني Achaemenid .

وجانب من الحقيقة هو أن معلومات هيرودوت Herodotus قد دمرت عن طريق نقش بيهستون Behistun . وبالنسبة لكل من هيرودوت Herodotus ودارا DARIUS فإن كلمة أخمينيي Achaemenid لها علاقة بالحقائق الاجتماعية المختلفة حيث إنها بالنسبة لهيرودوت Herodotus تشير هذه الكلمة إلى عشيرة الأخمينيين Achaemenid والتي هي جزء من قبيلة الباسارجاداي Pasargadae . وبالإضافة إلى ذلك فإن ذلك هو المعنى الذي إستخدمها وفي المقابل فإن دارا DARIUS قد استخدم هذه الكلمة ليشير بصورة مطلقة إلى جده (سلفه) في الخط المباشر للنسب وكما شمل إيليان Aelian .وبالإشارة إلى هذه الحقائق العائلية التي بها يستطيع الفرد أن ينسب النبل (الوجاهة) للعائلات الفارسية المختلفة وفي هذا الوقت وبعد ذلك ومن خلال الأحداث نستطيع أن نقر بأن النبل لم يعد مرتبط بالنسب (الأصل) .

وبعبارة أخرى فإن دارا DARIUS لم يأتي إلى السلطة بسبب أجداده (أسلافه) الملكيين ولكن العكس صحيح إلى حد ما. وكنتيجة للسلطة التي اعتدى عليها وأخذها لنفسه فقد أقام حقوقًا موروثة لأجداده (أسلافه) ولم يكن تحقيق دارا DARIUS للسلطة لكونه من الأخمينيين Achaemenid . ولكن كان وصوله للحكم هو الذي سمح له أن يعيد تعريف معنى أن تكون أخميني Achaemenid . وفي نفس الوقت فإن إعادة التعريف لم تطمس المعنى السابق (الأول) ومن الواضح أن عشيرة الأخمينيين Achaemenid قد استمرت في وظيفتها كما كان في الماضي لكن من الواضح أن العضوية في هذه العشيرة ليست كافة لأن تعطيك أي نوع من الحق في السلطة. ولقد بقى القرار فقط في يد رئيس العائلة - أو بعبارة أخرى الملك الحاكم (السائد) وربما كانت هذه هي أسس الواقع الملكي الذي حول دارا DARIUS من القمة إلى القاع. مثل الموضوعات الخاصة بسلسلة النسب الملكي والتي استخدمها كثيرًا

ليخدعنا بدلاً من أن يردها إلى أصلها. وبالتالي فإنه الحكم على اعتلاء دارا DARIUS للعرش ليس له معنى كما إن حقه في الخلافة كان أمر مشكوك فيه لذا فقد سعى إلى اختلاق القصص وإعادة التعريف بنفسه بعد أن اعتلى العرش .

أسبقية دارا:

في هذه النقطة من النقاش كان من المفيد أن نترك وراء ظهرنا دائرة أو بؤرة سلسلة النسب والدعوة لها. ولكن أن نمنع النقاش في الموضوعات الخاصة بالذرية لدارا DARIUS فإننا نجد أنفسنا أمام نفس السؤال السابق الذي بدأنا به وهو لماذا من بين المتآمرين السبعة كان إبن هيستاسبيس Hystaspes هو الذي تم اختياره. إذا يبدوا من الصعب أن نضع كثيرًا من المصداقية لحكم قورش Cryus والذي سجله هيرودوت Herodotus والذي يتضمن أن في بداية عامة 530 عندما خاف قورش Cyrus من تمرد دارا DARIUS إبن هيستاسبيس Hystaspes .

(يوجد شيء مفقود هنا) إننا إذا تركنا التفكير في النبل (الشرف) في أصل دارا DARIUS فإن هناك تفسيرات أخرى. التي بها نجد اكتشافًا هام حيث إنه لا بد من المؤكد أن دارا DARIUS قد عمل ذلك من خلال موضع قوة سواء كان مفروضًا أو من خلال تفاوض. وحقًّا فإنه عكس الظاهر لم يضع هيرودوت Herodotus في منأى بعيدًا عما تضمنته العبارات الخاصة بدارا DARIUS في هذه النقطة. لذا فإن العبارات والقصة التي قالها هيرودوت Herodotus عن تكوين المؤامرة إنما تشير من البداية عن وجود شأن خاص لدارا DARIUS بين المتآمرين. فقبل مجيء دارا DARIUS كان الشكل التنظيمي للمتآمرين الآخرين يأخذ شكل هرمي. مرتبًا حسب ظهور كل من الست المتآمرين في المشهد كما يراه هيرودوت Herodotus .

ويبدو أن هذا النسق قد استبعد دارا DARIUS الذي أتى بعد ذلك

ويبدو أن دارا DARIUS كان مرتبطًا بالمؤامرة التي كونها رؤساء العـائلات الست العظمى وبدون أن يتم دعمه إما بطريق مباشرة عن طريق أوتـانيس Otanes أو على المستوى الأقل عن طريق أسباثينيس Aspathines أو جوبريـاس Gobryas ، أو بعبارة أخرى أنه لم يكن معتمدًا على المتآمرين الآخرين. وخصوصًا على أوتانيس Otanes وبعبارة أخرى نقول أنه بمجرد ظهوره فقد شغل موقع قويًّا مساويًا لموقع أوتانيس Otanes .

وملاحظة أخرى هي الأكثر أهمية هي أن ممثلى أسرة دارا DARIUS كانوا جزءًا من دائرة المقربين لقورش Cyrus وقمبيز Cambyses . وتبعًا لهيرودوت Herodotus فإن هيستاسبيس Hystaspes وهو والد دارا DARIUS كان «حاكم فارس» Persia في عام 522 ولكن هذا خطأ بالتأكيد: حيث إن نص بيهستون Behistun يقول أنه قد يشغل منصب عسكري في بارثيا Parthia في ذلك الوقت. وربما كان بسبب هذه الوظيفة أنه أصبحً في حاشية قورش Cyrus أثناء بداية حملته الأخيرة على آسيا الوسطى كما يرى هيرودوت Herodotus . وكانت مهنة دارا DARIUS نفسه شيقة إلى المدى الذي يجعلنا نعيد فكرة أنها قد تكون بعيدة عن ملاحظات المؤلفون القدماء. وطبقًا لمؤلف حديث ولكنه لديه معلومات جيدة عن شؤون الفرس Persia فإن دارا DARIUS قد حمل كنانة قورش Cyrus . ونحن نعلم أنه قد صاحب قمبيز Cambyses أثناء حملته على مصر .

ويؤكد هيرودوت Herodotus بأنه في تلك الأثناء لم يكن لدارا DARIUS أي أهمية معينة. وهذا التقييم ربما يتعارض مع موقعه كملك وهو الموقع المكانة التي وصفها به هيرودوت Herodotus في بداية روايته، ويذكر المؤلف الذي هو من هاليكرناسوس Halicarnassus (هيرودوت) أن دارا DARIUS قد حصل في مصر على لقب «دوريفوروس» أو«حامل حربة» قمبيز Cambyses . حيث إن حامل الحربة وحامل الجعبة ليس لهما عوائد كثيرة حيث إنه لقب يسعى الملك عن طريقه أن يكافيء

واحد من أمناءه. وربما كانت هذه هي العادة التي لاحظها دارا DARIUS عنـدما وضع أسباثنيس Aspathines وجوبرياس Gobryas بالقرب من مقبرته في نـقسى روستام Naqs-i Rustam . وبعبارة أخرى نقـول أن دارا DARIUS قـد اكتسـب صفة سياسية من الدرجة العالية عنـدما نـال قـوة/سـلطة عاليـة وممتـازة في 522. حيث إنه ولد عام 550 وقد كان قادرًا على أن يصنع لنفسه اسـمًا في عصر (حكـم) قمبيز Cambyses . ولكن المشكلة تبقى وهـي أن دارا DARIUS لم يكـن رجـلاً عصاميًّا «لم يبنى نفسه بنفسه» هذا من ناحية وكونه أصبح ملكًـا هـذا أمـر أخـر. وفي تطور للموقف بشأن ذلك في ربيع عام 522 أنه كان من داخل مجلس السـبعة الذي قد صنع القرار. ولكن بتتبع ما وراء هذه الملاحظة فإنه مـن المفيـد أن نكـون على دراية بالإدارة الداخلية لهؤلاء السبعة حيث إنهم قد أتوا معًا لغـرض مـا وهـو قهر سمرديس Smerdis وقد كان واضحًا أنه كـان هنـاك تماسـك شـخصي وعـائلي بينهم. تماسكًا «تضامنيًّا» وكان دليلاً مقبولاً يسمح لنـا بـأن نلمـح بـأن هنـاك شـيئًا خفيًّا في حالة واحد من المتـآمرين وهـو جوبريـاس Gobryas . حيـث إن العلاقـة الممتازة بين دارا DARIUS وجوبرياس Gobryas قد وضحت من خـلال المكانـة التي وضعها له الملك الجديد في واجهة مقبرته الصخرية في نقسى روستام Naqs-i Rustam حيث يظهر هناك على أنه حامل الرمح الملكي وحقًّا فإننا نعلم من خـلال هـيرودوت Herodotus أن دارا DARIUS كـان قـد تـزوج مـن ابنـة جوبريـاس Gobryas قبل أن يعتلي العرش. والتي أنجبت له 3 أبناء ذكـور فـالابن الأكـبر كـان يسمى أرتوبارزانيس Artobarzanes . وولد آخر يسمى أريابجنيس Ariabignes . وقد تزوج جوبرياس Gobryas من أخت دارا DARIUS في وقـت غـير معلـوم والتي ولدت له ماردونيوس Mardonius . وربما تبادل الزوجات نتج عنه تحـالف عـائلي قـوي. وربمـا نسـتنتج مـن ذلـك أن في التسـجيلات القديمـة لهـيرودوت

Herodotus أن جوبرياس Gobryas كان أكثر المقربين من دارا DARIUS والداعم القوي له وقد أخذ دورًا هامًا في تقديم المقترحات الأولى للملك دارا DARIUS . وقد ساهم بطريقة مباشرة في قتل الماجوسي Magus . وبالإضافة لذلك فإن جوبرياس Gobryas كان من بين الأربعة المتآمرين الذين وافقوا على المقترحات الدستورية لدارا DARIUS ويبقى في الذهن أنه من خلال تقارير هيرودوت Herodotus نفهم أن جوبرياس Gobryas والمتآمرون الثلاثة الآخرون (إنتافرنيس Intaphernes ، هيدارنيس Hydarnes وأردومانيس Ardumanis) كلهم قد دعموا (الادعاء) الملكي لدارا DARIUS من البداية. والاثنين الآخرين وهما أوتانيس Otanes وميجابيزوس Megabyzus لم يتدخلوا في الواقع وأراد أوتانيس Otanes أن يبعد نفسه عن المنافسة الملكية .

القضاء على بارديا

ولنستمر على الدرب فإننا يجب أن نكون على دراية بالأسباب والاعتبارات الفعلية التي أدت إلى مقتل سمرديس Smerdis . فكل المؤلفون القدماء يصرون على أن السبع قد نفذوا ذلك بمفردهم. حيث واجهوه بالأسلحة في أيديهم.. في الأول الحراس ثم سمرديس Smerdis ورفقاءه وهذا يبدوا غير محتمل وعلى أي حال فإن هذا يؤكد أن الملك كان محروسًا فقط من عدد قليل من الحراس عند البوابة وقليل من الطواشي. وهيرودوت Herodotus الذي قال أن مكان هذا الحدث كان في القصر في صوصا Susa يبدو أنه قد استوحى هذه الحكاية من الملامح البطولية التي قد كررها مرارًا في فقرته عن تمرد/عصيان إنتافرنيس Intaphernes . وهي تتماشى مع التمردات الأخرى بدلاً من أن يكون هناك أي معركة حامية. وهذا يتضمن أن السبع لديهم عساكر تحت أمرهم. والمقال الأخير لإنتافرنيس Intaphernes يقودنا إلى أن نعتقد أن كل واحد من السبعة قد جمع أفراد بيته وأولاده وأقاربه حوله. وافتراضي (نظرية) هي أن لهذه

الأسباب ترجع الاستعدادات الممتازة لدارا DARIUS حيث إن لديه العـدد الأكـبر ولديه أفضل فرقة جنود (كتيبة) .

وفي هذه النقطة من النقاش فإنه مـن المفيـد أن نـترك آراء المؤلفـون القـدماء ونتحول إلى نسخة/ نقل دارا DARIUS . لكي نكون متأكدين فإنه مـن العـدل أن نميز ونفرق بين جزء من نقش بيهستون Behistun والتي تشير إلى المعارك التسعة عشر مع الملوك الكاذبين الذين ادعى دارا DARIUS بأنه قد فاز بها في عام واحد. ومن ثم فإن جوماتا Gaumata قد انفصل عن باقي الملوك الذين يظهرون بحبـال حول أعناقهم قبل الملك ويبـدوا أن جوماتـا Gaumata يرقـد تحـت أقـدام الملـك الأعظم الذي يضع قدمه اليسرى وقوسه على جسم جوماتـا Gaumata ولم يظهـر شيء عنه بعد ذلك سوى أنه كان في القائم الذين هزموا في المعارك التسع عشر وقد كتب دارا DARIUS قائلاً «أنا ومعي قليلاً من الرجـال قـد ذبحنـا هـذا الجوماتـا Gaumata والذين كانوا من إتباعه» عند حصن باسم Sikayaunvatis وعند قسم (ناحية) باسم Nisaya وهناك ذبحته».

ويبدو أن قصـة دارا DARIUS مختلفـة إلى حـد مـا عـن قصـة هـيرودوت Herodotus الـذي قـال أن مشـهد الـذبح كـان في قصر صوصـا Susa . وكـذلك القصـة مختلفـة عـن قصـة ستيسـياس Ctesias الـذي قـال أن المتمـرد (جوماتـا Gaumata) كان في السرير مع أحد المحظيات البابليات في ذلك الوقت. فـإذا اتبعنا دارا DARIUS وصدقنا أن جوماتا Gaumata قـد اسـتمال مجموعـة من الناس لنفسه. فإننا لا بد أن نشك أن التخلص منه قد تم عن طريـق قتلـه في حجرة نوم القصر المحمي بطريقة غير جيدة. ويبدو أن التصـفية الجسـدية للمتمرد كانت نتيجة لمعركة خاسرة والتي بعدها التجأ جوماتا Gaumata إلى أحد الحصون في ميديا ولذلك نستطيع أن نتخيل سيناريو مماثلاً لسيناريوهات التمـرد الأخـرى: وهـو معركـة ثـم الهـروب والتخفـي في حصـن ثـم الـتخلص

من المتمرد ومجموعة معاونيه. ولو أن هذا السيناريو حقيقي فإن مجلس السبعة حدد مناقشاتهم هيرودوت Herodotus ولم يكن هذا المجلس سوى مجموعة عامة يعرفون كيف يعتمدون على جيش قادر على القيام بمعارك مع القوات التي لدى الملك بارديا Bardiya ولو كانت هذه هي القضية فإننا يجب أن ندرك أن بعد وفاة قمبيز Cambyses حصل دارا DARIUS على موقع متميز سمح له بأن يتولى قيادة فرق عسكرية معينة والتي سماه فيما بعد بـ«الجيش الميدي والفارسي الذي كان معي» ويشير هذا الافتراض إلى أن دارا DARIUS قد خطط لإنقلابه هذا بشكل جيد وعلى الأقل منذ وفاة قمبيز Cambyses قبل ذلك بعدة أشهر وربما كان من بين الأخمينيين Achaemenid الذين كانوا بجوار قمبيز Cambyses وهو على فراش الموت والذين سمعوا الملك المحتضر يحضهم على محاربة المغتصب. وقد كان من المحتمل أن القصة ضد بارديا Bardiya قد انكشفت. وحكاية أن بارديا Bardiya الذي حاول أن يقابلها باستباحة أملاك النبلاء ولسوء الحظ فإن ليس لدينا معلومات دقيقة حول الفترة ما بين موت قمبيز Cambyses وإقصاء جوماتا/ بارديا Bardiya/ Gaumata وجزء بسيط من التلميحات في أحد التسجيلات لـ أودجاهورسنت Udjahorresnet الذي قال أنه قد اصطحب دارا DARIUS معه إلى إيلام Elam ومن ثم فقد قام الملك الجديد بإرجاعه من إيلام Elam إلى مصر مرة ثانية ونفهم من أودجاهورسنت Udjahorresnet أنه بعد موت قمبيز Cambyses كان دارا DARIUS هو الذي يقود كل شيء ولكن يبدو من الصعب أن نعطي اهتمامًا كبيرًا لهذا التصريح .

ملاحظة على الأسلوب (الطريقة) المقارنة بين نظرية كل من هيرودوت Herodotus ودارا DARIUS لا تبين لنا بصورة كاملة أن كل منهما أبسط من أن نصدقه. حيث إن التشويه في الرأي والدعاية للملك الجديد قد تم إظهارها حيث إن رؤيته (نقله) بعيدًا عن (نقل)

هـيرودوت Herodotus حيـث إن قصـة هـيرودوت Herodotus قـد تميـزت بمجموعة من الملامح التي نسجت في شكل مجموعة من الآراء الـدائرة في عصره في آسـيا الصـغرى أو حتـى في اليونـان. حيـث إن الإطـار العـام لنسـخه هـيرودوت Herodotus يمكـن تصـديقه بالكـاد. حيـث إن مـؤامرة السـبعة الأرسـتقراطيين والـتخلص مـن المـاجوس Magus عـن طريـق السـبعة والمناقشـات الدسـتورية وانتخـاب دارا DARIUS عـن طريـق اللجـوء إلى فروسـيتة. وبكـل هـذا فـإن ولا واحدة من العناصر القصصية تستطيع أن تحوذ على انتباه المـؤرخين لفـترة طويلـة وآراء جديـدة يمكـن أن تـأتي مـن خـلال التحليـل والفهـم الجديـد لعبـارات دارا DARIUS التي وردت في سياق تاريخ التوريث - الحكـم. الثـورات وإعـادة الفـتح «الغزو» .

الملوك الكاذبون

«ماذا فعلته بعد أن أصبحت ملكًا» هذه هي كيفيـة تقـديم دارا DARIUS بطريقته في إعادة الملك (الحكم) وقد لاحظ هيرودوت Herodotus قـائلاً «بهـذه الطريقة أصبح دارا DARIUS ملكا لـبلاد فـارس» وبعـد ذكـر الزيجـات أقـام دارا DARIUS تمثال للفروسية. وقد اتجه هيرودوت Herodotus مبـاشرة إلى أهميـة إصلاح الجزية التي أخذت قدر مكثف من النقاش عـلى امتـداد المقاطعـات التـي يحكمها ملـك الفـرس. وبعـد ذلـك ذكـر هـيرودوت Herodotus الـتخلص مـن إنتافرنيس Intaphernes ثم تمرد أوروتيس Oroetes وفي المقابل كان هيرودوت Herodotus صامتًا تمامًا عن الأحداث الأخـرى والتـي لهـا أهميـة عظمـى مثـل تمـرد الشعـوب الخاضعـة للحكـم والتـي أعطـى لهـا دارا DARIUS جـزء كبـير مـن عباراتـه عـلى مقبرتـه في بيهسـتون Behistun وفعـلاً لم يكـن هـيرودوت Herodotus عـلى درايـة بـأن ظهـور دليـل عـلى دارا DARIUS في «أوقـات الإضطرابات» ولكن لأسباب تغيب عنا فإنـه لم يـرى الحاجـة إلى إعطـاء الموضـوع حجم أكبر. فمن جانب قصة ثورة البابليين فقد أعطى لهـا فكـرة بسـيطة وكـذلك

تمرد الماجوس والمؤلفون الكلاسيكيين الآخرين كانوا صامتين وبالنسبة للنقش على مقبرة Behistun والتي أتجه إليها المؤرخون فإننا ليس لدينا نسخة واحدة ولكن أربعة، فبالإضافة إلى وجود نسخة باللغة الإيلامية Elamite (وهي أول نسخة تذكر) ونسخة باللغة البابلية Babylonian وثالثة باللغة الفارسية Persian يوجد أيضًا نسخة قد تعرضت لتلفيات كبيرة وهي النسخة الآرامية Aramaic التي وجدت في مصر. ومن خلال كل ما تقدم فإن النسخ كلها متفقة ولكن أيضًا توجد بعض الاختلافات. والمؤرخون محظوظون في أن يقارنوا بين هذه النسخة وتلك النسخة التي تشتمل على مجموعة من المعلومات لا توجد في مكان آخر. ومن ثم فإن النسختين البابلية والآرامية فقط يوجد فيهما عدد الأفراد الذين قتلوا وأخذوا سجناء من بين جيوش المتمردين .

وطبقًا لما يعرض دارا DARIUS فإن الثورات والتمردات الأولى كانت في إيلام وبابل فبعد التخلص من جوماتا Gaumata ففي إيلام قام أسينا Acina وهو ابن أوبادارما Opadarma بالاستيلاء على السلطة. أما في بابل فإن تشهد الألواح البابلية أن ثورة نيدينتو- بل Nidintue-Bel قد حدثت بحلول بداية شهر أكتوبر عام 522 حيث عرف بملك بابل وإتخذ الإسم الملكي نبوخذ نصر Nebuchadnezzar وقدم نفسه على أنه ابن نابونيدوس Nabonidus وفي حين أن الثورة الأولى قد أخمدت بدون صعوبات كبيرة إلا أن ذلك لم يكن حال الثورة الثانية. وكان على رأس الجيش دارا DARIUS الذي عبر نهر دجلة ثم الفرات وألحق هزيمتين متتاليتين بالمتمرد نيدنتو- بل Nidintu-Bel قبل أن يأسره ويعدمه في 18 ديسمبر 522. وعند هذه النقطة قام دارا DARIUS بإحصاء البلاد التي تمردت أثناء إقامته في بابل وهي: فارس، إيلام، وميديا، آشور، مصر، وبارثيا، مارجيانا، ساتاجيديا، والساكا في آسيا الوسطى. وقد جاءت بعد ذلك قصص انتصارات دارا DARIUS وضباطه .

وقد استخدم المؤرخون نقش بهستون Behistun التي تقدم عدد من المشكلات فإذا تتبعنا قائمة البلاد المتمردة التي ذكرها دارا DARIUS فإن الثورات قد شملت الإمبراطورية بالكامل من المتوسط إلى نهر الإندوس Indus . ومن سير داريا Syr Darya إلى بابل وإيلام ولكننا لم يتم إخبارنا بكل الجبهات وقد تحدث دارا DARIUS في بادئ الأمر عن الاضطرابات في ثلاث أقاليم رئيسية وهي فارس، ميديا والهضبة الإيرانية وآسيا الوسطى وإيلام وبابل وفي المقابل فإن ذلك لم يكن من خصائص الأقاليم الغربية. وقد تعلمنا من خلال هيرودوت Herodotus أنه كان هناك اضطرابات في آسيا الصغرى ولكنها كانت ناتجة عن عدم خضوع المرزبان الفارسي أوروتيس Oroetes وليس تمرد إقليم ليديا إذا أردنا إعطائه الوصف الصحيح وذلك على الرغم من أن إدارة المرزبان قد أثارت سخط جزء من السكان. وكان الملك صامتًا عن الثورة في مصر وعلى الرغم من أنه قد نوه إليها في إحصاءه ومن الممكن أن الحاكم المحلي بيتوباستس Petubastis قد تمرد في عام 521 واختفى بعد عدة أشهر ولا شك أنه دفع ثمن أخطاءه وقد قتل عن طريق المرزبان أرياندس Aryandes . وقد كان يعتقد في بعض الأحيان أن الاضطرابات قد زادت في إقليم يهودا بالاتفاق مع الثورات البابلية ولكن النصوص التي قدمت يجب أن تقرأ بعناية فربما نعتقد اعتقاد بعيد الاحتمال أن اليهود بعد خمس عشر عام وأكثر من عودتهم الصعبة والقاسية ربما يكون لديهم من الرجال والقدرة الذي يدفعهم للتفكير جديا باستعادة المملكة القديمة لصالح زيروبابل Zerubbabel .

إنها الجوانب التاريخية هي التي تبقى محل نقاش فكل نصر محدد بالشهر واليوم والعام ولكن ليس من السهل أن نحدد العام. وفي مرات عديدة قد حقق دارا DARIUS تسعة عشر نصرًا في عام واحد. ومعنى هذا التعبير قد ظل محل نقاش. وهناك بالكاد شك أن تكرار هذا الموضوع الأيديولوجي إنما هو معروف في مكان آخر فالهدف منه هو تعظيم

الملك المنتصر وبالتأكيد فإن دارا DARIUS ليس متواضعًا نظر لما يدعيه قائلاً «هؤلاء الملوك السابقين وطول المدة التي عاشوها لم يفعلوا أي شيء مثلما فعلت أنا في عام واحد بفضل أهورا مازدا Ahura-Mazda » ولكن في نفس الوقت أنكر دارا DARIUS الحقيقة وزيف «الواقع» قائلاً:

اتجهت بنفس السرعة إلى أهورا مازدا Ahura- mazda وهذا حقيقي وليس مزيف والذي فعلته بنفسي وفي نفس العام وبفضل أهورا مازدا Ahura-mazda أشياء أخرى كثيرة فُعلت ولكن هذا لم يذكر ضمن التسجيلات ولهذا السبب فلم يتم تسجيل لمن يريد أن يقرأ وفيما بعد هذه التسجيلات حيث ما فعلته أنا ربما يكون زائد عن الحد ولا يقنعه ولكن سوف يعتقد أن ذلك خطأ .

ولأن العمليات العسكرية قد نفذت في جبهات عديدة في نفس الوقت. فإن جامعى النقش لم يتبعوا خطة محددة لتقديم تسلسل الأحداث. فقد صوروا المواجهات على أساس المنطقة المشتركة لحدوثها فنجد: إيلام وبابل، ثم ميديا وأرمينيا وساجارتيا Sagartia ، ثم بارثيا-هركانيا Parthia-Hyrcania ، ثم مارجيانا، ثم فارس، ثم أراخوسيا وساتاجيديا، ثم الملخص، وعلى الرغم من ذلك فإن الترتيب الذي تم به عرض الملوك الكاذبون في نقش بيهستون يبدو أنه يتبع التسلسل التاريخي للأحداث حيث إن جوماتا Gaumata يحكم فارس وأسينا Acina في إيلام ونيدينتو- بل Nidintu-Bel في بابل وفرافرتيس Fravartis في ميديا ومارتيا Martiya في إيلام وسيسنتاخما Cicantakhma في ساجارتيا وفاهيازداتا Vahyazdata في فارس وأرخا Arkha في بابل وفرادا Frada في مارجيانا ولكن بقيت هناك العديد من المناقشات وخصوصًا حول تاريخ التخلص من فرادا Frada هل هو ديسمبر 522 أم ديسمبر 521 .

انتصارات دارا DARIUS وضباطه:

إن التعدد في الجبهات قد أكد عليها دارا DARIUS نفسه. فإنه أراد أن

يفخر بجراءتـه في الـنصر الأخـير. حيـث قــال «بيـنما أنـا في بـابليون Babylon في منتصف ديسمبر إلى منتصف يناير 521 وهذه هي المقاطعات التي تمردت ضـدي. وبالتالي فإن قائمة من تسع بـلاد قـد تبعتهـا في هـذا الإطـار. وقـد نفـذت عمليـات عسكرية على نطاق واسع على جميع الجبهات وأحيانًـا عـلى مسـافات بعيـدة عـن بعضها وقد انتصرت جيوش دارا DARIUS في أيام قليلـة أو في نفـس اليـوم ففـي 15 يوليو 521 قام أحد القادة الميديين وهو تاخمسـبادا Takhmaspada بالقضـاء على التمرد في ساجارتيا وهي بالقرب من ميديا وهنـاك قائـد آخـر وهـو أرتافارديـا Artavardiya أعاد فتح وهي فارس بعد هزيمة فاهيازاداتـا Vahyazdata . ومـن ديسمبر 522 إلى يناير 521 احتـاج دارا DARIUS وضـباطه إلى إخـماد مناوشـات عديـدة، وفي النصـف الثـاني مـن ديسـمبر وحـدة 522 كـان هنـاك نصريـن لـدارا DARIUS في بابل حيث أخمد الثورة في إيلام ونصر آخر في آشور هذا بالإضافة إلى الانتصار على فرادا Frada في مارجيانا إذا كان فعـلاً يرجـع إلى ديسـمبر 522 ومـع ذلك فإن دارا DARIUS قد دخل في معارك حامية، وفي الحقيقة يجب أن نتصـور أن هذه الحملات تميزت بسلسلة من المناوشات .

وحتـى لـو قـدم كـل هـذه الانتصـارات بنفسـه [وبقـوة مـن أهـورا مـازدا Ahuramazda فقد قضيت على جيش المتمردين]. إنه ومن الواضح إلى حد مـا أن الملك لم يقود العلميات طول وقت .

ولقد تقدم ليخمد ثورة البابليين في ديسمبر 522. وقد كان واضحًا أنه قـد أعطـى أوامره بإعدام المتمرد الايلامى أسينا Acina وهو في بابل، وقد تسلم رسـائل هامـة في بابل من الجبهات المختلفة وأرسل رده عليها. حيث أرسل الأوامـر إلى فيفانـا Vivana وهو المرزبان الذي كـان قـد عينـه عـلى أراخوسـيا بـأن يهـاجم الجنـود الـذين أرسـلهم فاهيازداتا Vahyazdata إلى هنـاك وهـو الـذي إستولى عـلى السـلطة في فـارس باسـم بارديا Bardiya . وفي نهاية ديسمبر 522 إنتصر(ضابطه) فوميسا Vaumisa بمعركة في

آشور على المتمردين الأرمن. وفي 12 يناير التالي حقق فيدارنا Vidarna الفارسي والذي تم إرساله من بابل الانتصار في ميديا.

وفي منتصف يناير 521 ترك دارا DARIUS بابل وقرر أن يقيم مركز قيادة عامة للجيش في ميديا حيث كان يواجه ضباطه الكثير من الصعوبات هناك ومن الواضح أنه المتمرد الميدي فرافاتيس Fravatis قد حقق بعض النجاح هناك وكان يوسع من نطاق عملياته بإتجاه بارثيا-هركانيا وبعد فترة قصيرة حقق فيفانا Vivana النصر الثاني في اراخوسيا في 21 فبراير. وقد فتح هيستاسبيس Hystaspes أبو دارا DARIUS بهزيمة مناصرى فرافاتيس Fravatisis في بارثيا-هركانيا في 8 مارس. وقد واجه دارا DARIUS بنفسه المتمرد الميدي وانتصر عليه في 8 مايو. وبعد هذا الانتصار نصب دارا DARIUS نفسه على عرش إكباتانا Ecbatana وسرعان ما تم إحضار ملك الميديين المتمرد للمثول أمامه بعد أن تم أسره عند راجاي Rhagae في ميديا (في منتصف مايو) ولأشهر عديدة قام دارا DARIUS بتنسيق العمليات العسكرية على جبهات عديدة. ولقد كانت الثورة الأرمينية ما زالت مستمرة في يونيه 521 على الرغم من الانتصارات العديدة التي حققها بشكل متتالي كل من فوميسا Vaumisa ودادارسى Dadarsi مرزبان باكتريا Bactria . وبعد عدة أيام (في يوليو) تم إخماد ثورة ساجارتيا. ثم تم القضاء على آخر التمردات الباقية في بارثيا-هيركانيا، وخلال هذا الوقت تابع فاهيازداتا Vahyazdata هجومه في فارس وقد توقف في منتصف يوليو. ولم يتمكن دارا والذي كان قد عاد في هذه الأثناء إلى فارس من أن يخفف من حدة جهوده ففي أغسطس 521 تمرد البابليون مرة ثانية. تحت قيادة أرخا Arkha الذي أطلق على نفسه لقب ملك بابل. فأرسل دارا DARIUS جيشًا إلى بابل تحت قيادة هيدارنيس Hydarnes (في 1 سبتمبر) والذي انتصر في 27 نوفمبر، وفي النهاية إذا كانت ثورة فرادا Frada في مارجانيا Margania يرجع تاريخها إلى عام 521 وليس عام

522 فلقـد قضى عليهـا دادارسي Dadarsi في نهايـة ديسـمبر. ولقـد أمـر دارا DARIUS بعد ذلك بعمل ذلك النقش البارز الموجود على سطح منحدر بيهستون حيث يفتخر بذلك قائلاً «هذا ما صنعته أنا بفضل أهورا مازدا Ahura-mazda في عام واحد، وفي نفس العام بعد أن أصبحت ملكًا ووقمت بأسر هؤلاء الملوك الأحـد عشر في هذه المعارك .

انتصارات دارا DARIUS تقييم عسكري:

على الـرغم مـن الشخصـية المنـتصرة حسـب ادعـاءات دارا DARIUS إلا أن هناك أزمة لها أهميتها ولا نبخسـها قـدرها. وهـي أن المحاولـة التـي قـام بهـا دارا DARIUS وأتباعه عملت على إظهار نقاط قوة وضعف الإمبراطوريـة التـي بناهـا قورش Cyrus وابنه. إذا ما نوع التقييم الذي يمكن أن يوضع لذلك؟

إن الإجابة على هذا السؤال ليسـت بالمهمـة السـهلة وذلـك لأن طبيعـة الروايـة المنقوشة على سطح منحدر بيهستون تعوق أي محاولة للتحليل المفيد بسبب روايتهـا أحادية الجانب للانتصارات المتراكمة للملـك عـلى حسـاب أي ملحوظـة عـن الهـزائم. وبالتالي فإنه من الصـعب أن نؤكـد أن في نهايـة 521 انطفـأت شرارة الثـورة والتمـرد. وربما نلاحظ على سبيل المثال أن لا يوجد ذكر واضح وصريح للهزيمة المؤكدة لأرمينيـا Armenia وأورارتـو Urartu . حيـث إن دادرسي Dadarsi قـد هـزم الأرمـن ثـلاث مرات ولكن لم يكن أي مـن هـذه الانتصـارات قـوي أو حاسـم لأنـه انتظـر في أرمينيـا حتى يصل الجـيش الميـدي الملـكي وهـزم الأرمـن مـرتين ثـم انتظـر بـدوره الملـك دارا DARIUS حتى يصل من ميديا. وحيث إنها لم تذكر وحدها في قائمـة الـبلاد المتمـردة فإن ثورة أرمينيا كانت توصف على أنها أصلا مرتبطـة بتمـرد فرافـارتيس Fravatis في ميديا. ولم تذكر أرمينيا في الملخص العام ولم يتم ذكر أي أرمنى من بين الملوك الكـاذبين في نقش بيهستون. ويبـدو أنهـا مخـاطرة أن نأخـذ نتيجـة الهدنـة عـلى أنهـا نصر كـما

وصفه دارا DARIUS . وهو موقف محفوظ ومحقق لأنه في العام التالي 519 تمردت إيلام مرة أخرى. واضطر دارا DARIUS بنفسه لقيادة حملة ضد شعب الساكا في آسيا الوسطى. وهناك حقيقة بسيطة ويجب نذكرها في البداية: إن دارا DARIUS وقادته في غضون شهور قليلة قد أخمدوا نيران الثورة. وعلى مستوى النتائج المباشرة فإننا يمكن القول أن الجيوش الملكية قد أظهرت تفوقها وإن كانت هذه العبارة محل نقاش. وقد أكد دارا DARIUS مرات عديدة على أنه قد جمع وحدات عسكرية مختلفة من الجيوش الفارسية والميدية. وهذا بلا شك يشير إلى جيش قمبيز Cambyses الناقص الكتائب والتي أرسلت إلى مصر عن طريق البلاد التي تدفع الجزية ثم أن دارا DARIUS يستطيع أن يعتمد على عساكره لكي يبقوا وفي وكان هذا حقيقيًّا حتى في ميديا حيث إن جزء قليل من الجيش الفارسي والميدي رفضوا أن يدخلوا في التمرد فضلاً عن أنه كان قادرًا على أن يجمع جنودًا جدد من خلال انتصاراته .

والأشكال الأخرى التي نمتلكها هي أعداد خسائر المتمردين التي قد أعطيت في نسختين أحدهما باللغة البابلية والأخرى باللغة الآرامية .

وبعض هذه الأشكال مؤثرة ولكن المشكلة كما نرى هي أن قراءة هذه الأشكال (النماذج) بعيدة عن تفسيراتهم الصعبة التي تتسم بالمخاطرة. وفقط إحصاءً واحدًا عن الجيش قد أعطى في النسخة البابلية: وفيها أن الجيش قد قاده مرزبان أراخوسيا Archosia وهو فيفانا Vivana بعد الفوز بالمعركة الثانية ضد ضباط فاهيازداتا Vahyazdata والذي يعطي التقرير بأن عدد 4579 رجل. ونحن نعرف من مكان آخر أن الملك قد عهد إلى هيدارنيس Hydarnes بكتيبة (فصيلة) من الجيش لإخماد الثورة (التمرد) في ميديا وقد أخمدت هذه الكتيبة الثورة إلى أقصى حد. وبالطبع فإنه طبقًا للنسخة البابلية فإن خسائر الميديين بعد هذه المعركة قدرت بنحو عدد 3827 قتلوا وعدد 4329 تم أسرهم وهذا يوضح أن مجموع

الجيش المتمرد كان أكبر بكثير. وأفضل دليل أن هيـدارنيس Hydarnes منـذ ذلـك الحين قد فضل أن ينتظـر في تأهـب واسـتعداد يتسـم بالهـدوء. حتـى وصـول دارا DARIUS والذي قد ينضم إليهم بعد ذلك بالقرب مـن بيهسـتون. لـذا فلـم يكـن النصر الساحق شيئًا أكثر من اتخاذ/ارتباط غير محقق (أو حتـى هزيمـة) ولـذا فـإن الترجمة البابلية يجب أن نتعامل معها بحرص. وبأي معدل فإن التفسـيرين الاثنـين ليستا فقط لأن نتبادلهم. فمن الواضح أن نـذكر قصـة الدعايـة لـدارا DARIUS : حيث إنه يجب أن يكرر بأنه قد تغلب على قوى متمردة عديـدة (هائلـة) بجـيش قد وصفه في مرات عديدة بالصغير. ويبدو من الواضح أن الجزء الأكبر مـن الجـيش قد بقـى تحـت القيـادة المبـاشرة لـدارا DARIUS وأنـه قـد اسـتخدمه ليسـتعيد الحصول على بابل [من أكتوبر 522 حتى مطلع ينـاير 521]. وكنتيجـة لـذلك فقـد أرسل وحدات عسكرية من آلاف قليلة من الرجال تحت قيادة ضباطه. ولقـد كـان النصر على فرورتيس Phroartes في ميديا [مايو 521] له أهمية إستراتيجية كبيرة. ولمعرفة أثر هذه المعركة [معركـة كونـدوراس Kundurus] عـلى الجـيش الميـدي المتمرد أنظر الجدول. حيث إن تأمين الجبهة الشمالية في مايو - يونيه سمحت لدارا DARIUS أن يعيد نشر العساكر ضد فاهيازداتا Vahyzadata في فارس. وفي النهايـة فـإن دارا DARIUS قـد هـزم كـل الجيـوش التـي تحالفـت ضـد السـلطة الفارسـية Persian وقد كان ذلك ظاهرًا بسبب عدم وجود خطط محكمة لمواجهة الجيش الملكي وبسبب انعزال وانفصال بعض المتمردين الذين انهزموا بسرعة. فأول مـن تمـردوا إيـلام، أسينا Acina واستسلموا بعد استلام رسالة من الملك. أما التمرد الثاني فلـم يجـد لـه أي مساعدة محلية وبالتالي فإنهم خافوا وتأثروا بـاقتراب الملـك كـما يقـول دارا DARIUS قام الإيلاميون بالقبض على ملكه وأعـدموه بأنفسـهم. وعـلى العكـس مـن ذلـك فلقـد أظهرت الثورات الأخرى مقاومة عنيفة. حيـث إن متمـردي أرمينيـا كـانوا قـادرين عـلى

أن يخوضوا خمس معارك في ست شهور وقد قاوم فرافـاتيس Fravartis في ميـديا لمدة خمس أشهر وأيضًا فاهيازداتا Vahyazdata في فارس لم يـتم أسره إلا بعـد أن مرت سبعة أشهر وبعد معركتين وقعت في فارس نفسها.

وبهذا لا نستطيع أن نقول أنه ليس هناك تعاون إقليمي. وبالعكس إلى حد ما فقد كان هناك تعاون محكم والذي ساعد على توضيح الخطر الذي يأتي عن طريق ثورات الفرس والميديين. وأحد هذه المخاطر هي أن هذه الثـورات قـد منعـت دارا DARIUS على الأقل في البداية من أن يزيد عدد الجنود الجدد في هذين البلـدين التي قد شكلت قاعدة للتجنيد في العهد الأخميني فضلاً على أن فرارتيس قـد أخـذ قيادة جيش ميديا المستقر في البلد وقـد حشـد فاهيازداتـا Vahyazdata الجـيش الفارسي Persian الذي كان في القصر... بعد الهزيمة الأولى عند راخا Rakha وقـد حشد فاهيازداتا Vahyzadata جيش جديد في بييوفـادا Paisiyauvada بـالقرب من باسارجاداى فماذا إذًا. لم يكن واحد من هذه التمردات مقيدًا بحدود فـارس أو ميديا. حيث حاول فاهيازداتا Vahyzadata أن يسيطر عـلى الجـزء الـشرقي مـن هضـبة إيـران عـن طريـق إرسـال جـيش ضـد أراخوسـيا Arachosia . وهـذه الاضطرابات والهجوم في ساتاجيديا [وهـو اقليم يقـع بـين أراخوسـيا Arachosia وقندهار Gandhara] وهـذه الاضـطرابات قـد هـددت سـلطة الأخمينيـين عـلى هضبة إيران الجنوبية وحتى كارمانيا Carmania [وفي أواخر عام 522 ومطلع عام 521] وحالة التمرد فرافاتيس Fravatis في ميديا كانت ظاهرة. وفي ساجارتيا زعـم قائد التمرد مثله مثل فرافارتيس Fravartis بأنه ينتمي إلى عائلـة سياكسـاريس Cyaxares ولقد أطلق دارا DARIUS على زعماء القبائـل في بارثيـا - هيركانيـا «مناصرى فرافـارتيس Fravartis ». ويبـدو أيضًـا كـما رأينـا أن طـول الصراع في أرمينيا إنما يرجع إلى تمرد ميديا. وقد إستولى فرافارتيس Fravartis على الطريق الاسـتراتيجي مـن ميـديا إلى آسـيا الوسـطى.. وبعـد هزيمتـه قـرر أن يزحـف

ناحية الشرق ولذلك قام دارا DARIUS بارسال فصيلة صغيرة من جيشه والتي نجحت في اللحاق به وأسره عند راجاى Rhagae بالقرب من بوابات بحر قزوين ومن هنا تفهم دارا DARIUS الخطر جيدًا. وهذا هو السبب الذي دفعه إلى أن يستعيد قوته مرة ثانية في ميديا Media [21 يناير] لكي يستطيع أن ينظم دفاع مضاد ويمنع فرافارتيس Fravartis من أن يقطع اتصاله بآسيا الوسطى. وربما بسبب أهمية الثورة و(تمرد) فرافارتيس Fravartis فلقد جعل هذا هيرودوت Herodotus يلقي الضوء على ثورة الميديين عندما ناقش إخضاع Ecbatana على يد قورش Cyrus وفي وقت ما بعد ذلك رفضوا خضوعهم وثاروا ضد دارا DARIUS ولكنهم هزموا ورفضوا مرة أخرى».

2- الجوانب السياسية للثورات:

إن تعريف أسباب وأصول الثورات مبهم حيث الملاحظة التي تستحق الذكر هي أن كل زعماء الثورات كان لديهم طموح للحكم. فكل منهم أخذ لقب ملك. حيث إن أسينا Acina أعلن نفسه ملكًا على إيلام كم ان سيسانتاخما cicantakhma ملك ساجارتيا وفرادا Frada ملك مارجيانا... الخ.

وفي معظم الحالات أخذ المتمردون أسماء سائدة بينهم سمحت لهم بالاتصال بالحاكم المحلي والتي أزالها قورش Cyrus: في بابل أطلق نيدينتو-بل Nidintu-Bel على نفسه نبوخد نصر Nebuchadnezzar ابن نابونيدوس Nabonidus . وأيضًا ادعى فرافارتيس Fravartis بأنه كان من عائلة سياكساريس Cyaxares [اوفاكسترا Uvaxstra] مثل المتمرد الساجرتي. حيث كانت الرغبة في تهييج الرأي العام واضحة حتى أن الأجانب مثل مارتيا Martiya الفارسي في إيلام أو أرخا Arkha الأرميني في بابل سعوا إلى التأكيد على استمرارية الحكم لمصلحتهم وهذا الاختيار إنما يعكس غرض سياسي واضح لكي يجملوا ويلخصوا التاريخ

المحلي ولينهوا ذلك الفاصل القصير من السيطرة الأخمينية، ففي بابل وكانت هناك وثائق لمدة سبعة أشهر ترجع تاريخها إلى عام اعتلاء العرش والعام الأول لحكم الملك نبوخد نصر Nebuchadnezzar ؛ وفترة حكم فاهيازداتا/بارديا Vahyazdata /Bardiya في فارس Persia (ولكن هذا ربما يشير إلى بارديا Pardiya الأول)

ولسوء الحظ فإنه من الصعب أن نقدر الصدمة الكبيرة للناس بسبب هذه الاحتيالات. وهذه الصدمة لم تكن ظاهرة في إيلام حيث إن هناك لم يكن أي من الملكين في وضع يستطيع أن يحشد القوات وعلى الجانب الآخر فإن عودة التمرد في نفس الإقليم على وجه الخصوص (إيلام وبابل] يؤكد على أن الترابط بين المقاطعات المقهورة (المفتوحة) داخل الإمبراطورية الأخمينية ما زالت غير مكتملة. وحتى دارا DARIUS فإن صوصا Susa ظلت ذات طابع إيلامي ولكن بصفة عامة فنحن نفتقر إلى معلومات عن عمق واتساع الثورات ويعتقد بعض المؤرخين أنه على أساس عدد الناس الذين قتلوا واسروا وهم نحو 100.000 ..فإنهم يستطيعون أن يصلوا إلى استنتاج بخصوص الشخصية القومية والشعبية للثورات العديدة .

ولنأخذ جانب من بعض القراءات غير المؤكدة حيث إن عدد الخسائر الكلية في ميديا Media بلغ نحو 000,50 وفي مارجيانا Margiana نحو 000,55 قتلوا و6972 أسروا. وطبقًا لبعض القراءات وهي كلها تستحق الذكر هل مقدار الخسائر يشير إلى الفتن/الثورات هي التي دفعت الشعب بالكامل أن يهب للحرب «و يتقلد السلاح» في ثورة شعبية ووطنية. أو هل هي انعكست على القمع الشديد لإبعاد السكان المدنيين الذين بقوا بعيدين عن هذه الحركة. ويوجد شك ضئيل في عودة هجوم الفرس على ضفاف دجلة Tigris والفرات Eupherates . وفي النهاية الحقيقة بأن القادة قد حشدوا القوات بين السكان ولم يقولوا أي شيء عن الشخصية القومية للحركة (الثورة) .

وطبقًا لدارا DARIUS فإن الثورات قد اندلعت بعد أن انـتصر عـلى جوماتـا Gaumata 29 سبتمبر 522) ولكن للأسباب المعطاة فإن رواية الملك الجديد يجـب أن نعرفها عن بعد، لأن عدم الرضـا كـان واضـحًا بـين السـكان المقهـورين. وأفضـل برهان على ذلك هو المعايير التي أخـذها سـمرديس Smerdis لـكي ينهـي الجزيـة والضرائــب العســكرية لمــدة ثــلاث أعــوام. كــما أن صــعوبات الحكــم في قلــب الإمبراطورية إنما قد قدمت فرصة مثالية لمنافسة السلطة الأخمينيـة وبـدون طـرح فكرة معقولة بأن بعض البلاد قد تمسكت بذاكرة أو تراث الأجداد القدماء. لذا فإننا نستنتج حالة عدم الرضا القوية بسبب نظام الجزية. كما فهم سمرديس Smerdis وقد قاد الثورات الطبقات المتسلطة المحلية الذين كانوا حريصين عـلى أن يسـتبقوا الفوائد (العوائد) التي جلبوها من تسخير الناس والأرض وأنفسهم بدلاً من الطبقـة الفارسية Persian الجديـدة المهيمنـة. كـما إن عـدم رضـاهم أيضًـا إنمـا يرجـع إلى العــبء الزائــد للضرائــب كــما وضــح مــن خــلال شــكوى المصريــين ضــد حــاكمهم أرياندیس Aryandes (بوليانوس Polyaenus، VII ، فقرة1*7). وأيضًا من المفيد أن نلاحظ أنه حتى في البلاد التي تحمل هوية ثقافية قوية فإن شـيئًا لم يسـمح لنـا بأن نفترض بالإجماع الاتجاه المضاد للفرس .

وأثناء عهد كل من قورش Cyrus وقمبيز Cambyses فإن الكثير من النـبلاء المحليين قد اشتركوا بإرادتهم مع السلطة الفارسية. ودعنا نسترجع على سبيل المثـال أن دارا DARIUS قد تم تدعيمه عن طريق جيش فارسي - ميدي لكي ينتصر على ثورة المتمرد الساجارتي الذي ادعى بأنه ينحدر من عائلة سياكسـاريس Cyaxares . وقــد ذكــر دارا DARIUS اســم دادارسي Dadarsi الأرمينــي الــذي ســانده في أرمينيا. وفي أي حال ما هو المغزى من الثورات في صوصا Susa وبابل التـي قادهـا الفارسي مارتيا Martiya والأرميني أرخا Arkha على التوالي؟

دارا Darius وفياهيازداتا Vahyazdata :

ثورة واحدة كان لها أهمية خاصة بالاسم وهي ثورة فارس حيث إن رجل اسمه فياهيازداتا Vahyazdata قد رفع راية الثورة مدعيًا أنه بارديا Bardiya هو ابن قورش Cyrus . وكما لاحظ دارا DARIUS أنها كانت الثورة الثانية التي أثيرت باسم عائلة قورش Cyrus وقد فاز فاهيازداتا Vahyazdata بتأييد الجيش الذي وصل من أنسان Ansan وأصبح ملك الفرس. ومرة أخرى نقول أن وضع الحكم غير المستقر كان أصل الثورة. وقد هزم فاهيازداتا Vahyazdata عن طريق أرتافارديا Artavardiya الذي أرسله دارا DARIUS ولهذا نجح فاهيازداتا Vahyazdata في حشد جيش ثاني وأرسل قواته إلى أراخوسيا Archosia ولم يكن حتى منتصف يوليو 521 حتى تم هزيمته بالكامل وفي نفس الوقت قد أخذ أسيرًا وأعدم في وجود دارا DARIUS في مكان مجاور مباشرة لبرسيبولس .

إن أصول وطرق هذه الثورات مبهمة. هل حصل بارديا Bardiya الجديد مساعدة من عائلات نبلاء معينين الذين فزعوا من جرأة دارا DARIUS الذي دعمه طبقة الفلاحون الذين تألموا من فقدان بارديا الآخر Bardiya .

ولكي نسأل سؤال سوف يفتح علينا موضوع سياسة بارديا الأول Bardiya . إذا كانت نظرية أن بارديا الأول هو المتحدث باسم طوائف معينة في المجتمع الفارسي لم توجد هذه النظرية حتى الآن. ولا يوجد سبب لأن نقبل التفسيرات الاجتماعية للثورة الحديثة بدون تحفظ. لأسباب ترجع إلى الثورة المتوالية للجيشين في الفرس التي لا تعطينا مؤشر قوي لاتجاهات وميول سكان الفرس. وقد اعتنى دارا DARIUS بألا يعطي أي اهتمام خاص لثورة فاهيازداتا Vahyazdata . الذي لاقى نفس الرعاية مثل الملوك الكاذبون الآخرون. ولم يكن لفاهيازداتا Vahyazdata مكانًا

خاصًا على نقش بيهستون ليس مثل جوماتا Gaumata . وقد أنكر دارا DARIUS موقفه الملكي الذي كان مهددًا فعلاً عن طريق ثورة فاهيازداتا Vahyazdata الذي لا يمكن تمييزه بأي طريقة عن الملوك الكاذبين الآخرين .

ونحن ربما نقترح أن وصف دارا DARIUS نفسه مشكوك فيه فما حدث قبل ذلك من حيث إنه قد كان قادرًا على جمع مناصرين له من نبلاء الفرس وإدارة أخمينية Achaemenid حوله. حيث إن فيفانا Vivana القائد في أراخوسيا وأيضًا دادارسي Dadarsi وهو القائد في باكتريا قد نفذوا أوامر دارا DARIUS بحزم وعزموا على صد الحملات التي قادتها قوات فاهيازداتا Vahyazdata في أراخوسيا وقوات فرادا Frada في مارجيانا. وربما كان ذلك نفس الشيء بالنسبة لأرياندس Aryandes في مصر. وقد كان والد دارا DARIUS وهو هيستاسبيس Hystaspes حاضرًا وقد قاد العمليات في بارثيا - هاركانيا. كما أن أربعة من الستة المتآمرين في 522 كانوا ضمن قائمة القادة العسكريين لدارا DARIUS حيث إن إنتافرنيس Intaphernes الذي أخمد ثورة أرخا Arkha في بابل (نوفمبر 521) وهيدارنيس Hydarnes الذي حارب ضد فرافارتيس Fravartis في ميديا (يناير 521) وجوبرياس Gobryas الذي تم إرساله لكي يقضي على التمرد الايلامى الجديد (في العام التالي). وأيضًا أوتانيس Otanes نفسه الذي بعد فترة قصيرة قاد الجيش لغزو جزيرة ساموس

ثورة أوروتيس:

مرزبان واحد هو الذي رفض أن يساعد دارا DARIUS وهو أوروتيس Oroetes والذي كان في فترة قورش Cyrus متقلدًا منصب حاكم سارديس. وهذا الشخص ذو المنصب الرفيع أصبح بالفعل مشهورًا عندما تخلص من بوليكراتيس Polycrates عن طريق الخيانة وكان ذلك في نهاية عهد قمبيز Cambyses . وقد ويمثل هيرودوت Herodotus مصدرنا

الوحيد للمعلومات عن التداعيات التي أحدثها تولى دارا DARIUS الحكم في الأراضي الغربية للإمبراطورية .

وبعد موت قمبيز Cambyses وخلال الفترة التي كانت تحكم فارس فيها من قبل الماجوس المدعى. عاش أوروتيس Oroetes في ساردیس Sardis ولم يقدم أي مساعدة لأولاد بلده في مقاومة اغتصاب ذلك الميدي للسلطة ولقد دبر خلال هذه الفترة التي إتسمت بالاضطراب موت متروباتيس Metrobates حاكم داسيليوم وأيضًا ابنه كراناسبيس Cranaspes وهو رجل لم يكن أكثر شهرة من والده ولم يكن مقتل هذين الرجلين هو الجريمة الوحيدة التي إرتكبها أوروتيس Oroetes في خلال هذه الفترة .

لذلك فقد خص بالذكر أوروتيس Oroetes الذي قتل أحد رسل دارا DARIUS على طريق العودة لأن ما أمره به لم يعجبه. ولقد حدثت الواقعة لمصلحة معينة لأنها أول مثال مسجل لعدم خضوع الحاكم للملك .

وتواريخ هذه الأحداث محددة بدقة من جانب هيرودوت Herodotus فقد كتب قائلاً ما زال القلق مستمر وبالفعل قد جاء دارا DARIUS للسلطة. ونحن الآن في أكثر فترات التمرد (الثورات) ويمكن أن ندعي أن دارا DARIUS في أكباتانا Ecbatana (في بداية 521) قد أمر أوروتيس Oroetes بأن يسير بما هو متاح من عساكر ويعبر نهر The Halys ويقدم المساعدة للقوات الملكية التي كانت تواجه صعوبات كثيرة في وجه الثورات الأرمينية والميدية معتمدًا على حراسة (1000) فارسي. وقد اختار أوروتيس Oroetes أن يتجاهل الأوامر وأن يتحدى السلطة الجديدة لدارا DARIUS . ولم يريد أن يعيد نشر الكتائب على الجبهة الجديدة. وتحول دارا DARIUS إلى حاشية من الفرس. وقد قال هيرودوت Herodotus أن 30 من الفرس اندفعوا وكان كل واحد منهم مشتاق ليؤدي دوره حيث تم اختيار باجيوس Bagaeus من قبل الكثيرين .

فعندما وصل إلى ساردیس Sardis اخترع حيلة لكي يختبر وفاء هؤلاء

الحراس فقد رأى أنهم قد أظهروا قدرًا كبيراً من الوقار والاحترام لبعض الخطابات الملكية التي جعل السكرتير يفتحها واحد تلو الآخر. وقد فض باجيوس Bagaeus الختم لآخر خطاب وفيه رد الملك دارا DARIUS يأمر الفرس أن يقتلوا أوروتيس Oroetes وهذا ما فعلوه على الفور. وقد تم مصادرة أملاك المرزبان .

إن قصة هيرودوت Herodotus توضح العلاقة بين الملك الجديد وبين الفرس. ليس فقط الفرس هم الذين أحاطوا به ولكن أيضًا الفرس المنتشرين في أنحاء الإمبراطورية المختلفة والذي شدد هيرودوت Herodotus على إخلاصهم. وقد افترى عليهم بأنهم هم الذين قتلوا الأرستقراطيين الكبار مثل متروباتيس Mitrobates وابنه. ولم يترك هيرودوت Herodotus لنا الفرصة بأن نعتقد أن أوروتيس Oroetes قد وجد الكثير من الفارسيين في سارديس Sardis الذين كانوا جاهزين لأن يتتبعوه في ثورته. وبالنسبة لهم فإن الإخلاص للملك يتكون من الرغبة في المحافظة على كل الامتيازات التي من حقهم على السلطة الإمبريالية. وحقًّا فإن رفض أوروتيس Oroetes لمساعدة دارا DARIUS والفرس الخاضعين له قد ساعد ذلك على وضع أوروتيس Oroetes تحت نظره، ليست فقط إدارة دارا DARIUS ولكن أيضًا الصرح أو البناء الذي أقامه قورش Cyrus وقمبيز Cambyses والذي يدل على وجود القوة والحيوية والسلطة الشرعية المركزية .

3- نتيجة الانتصار: القصة الرسمية

الجريمة والعقاب: الشهرة والدعاية

إن الإجراءات والتحركات التي أخذت ضد الملوك الكاذبين والتي صنعت من المخاطر التي تواجه دارا DARIUS إرادته القوية في مواجهتها من البداية. وبأمره قد أقام نيدنيتو-بل Nidintue-Bel عند بابل ولقد

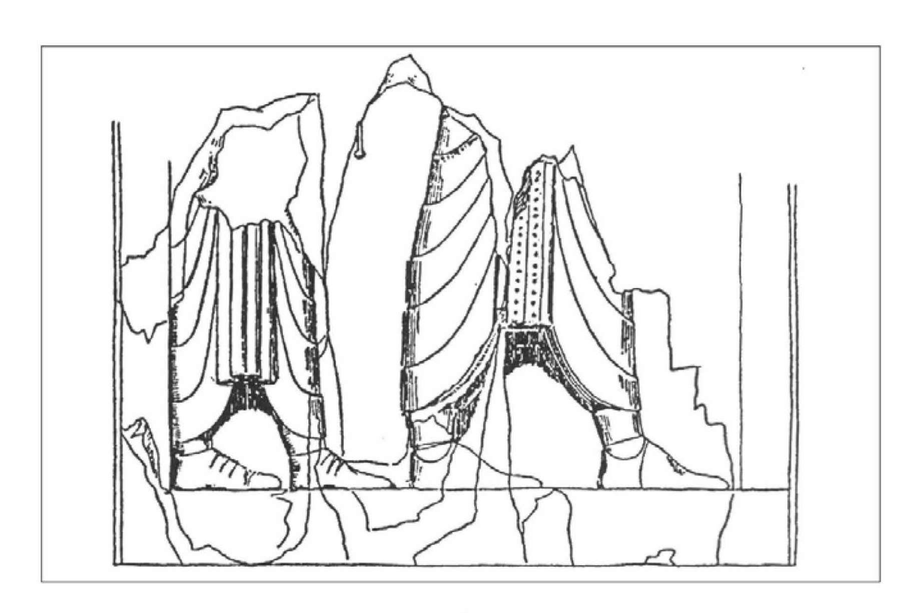
أحاطوها بسور ومعه 49-من اتباعه. وبعد نصر هيستاسبيس Hystaspes في باتيجرابانا قتل زعيم الثورة وعدد 80 من النبلاء الذين اصطحبوه. وأيضًا في مارجيانا فإن فرادا Frada قد أُعمل فيه السيف مع كل من تبعوه وفي بابل حيث أحاط هيدارنيس Hydarnes أرخا Arkha والنبلاء الذين كانوا معه وأيضًا فاهيازداتا Vahyazdata ومجموعة عديدة من المتحالفين المقربين إليه قد أُحيطوا في وجود دارا DARIUS . وكل من الثورتين قد لاقتا معاملة خاصة وحيث كانت الاثنتين عندما كان دارا DARIUS في ميديا. وقد تم إرسال المتمرد الساجرتي سيسانتاخما Cicantakhma إليه فقال دارا DARIUS «لقد قطعت كل من أنفه وأذنه وأخرجت إحدى عينيه وظل مربوطًا (مقيدا) على مدخل بوابة قصري وقد رآه كل الناس. بعد ذلك ثبته (صلبته) عند أربيلا Arbela . ولا يزال دارا DARIUS متحدثًا عن القدر الذي نزل بفرافارتيس Fravartis قائلاً «لقد قطعت أنفه، أذنه ولسانه وأخرجت عينه وقد شد بالسلاسل تحت الحراسة عند بوابة قصري ويستطيع أن يراه كل فرد هناك» ثم ثبته عند إكباتانا وكذلك أيضًا بالنسبة لضباطه الموثوق فيهم فقد علقتهم في القلعة عند إكباتانا وقد علقت رؤوسهم على حوائط القلعة، وقسوة العقاب لم تكن غريبة فقد كانت عادة في عهد الدولة الآشورية وفي عهد الدولة الأخمينية أيضًا. حيث كان قطع الأنف والأذن يشكل أسلوب طبيعي لتعذيب المتمردين والمغتصبين وهذا ما لاحظه مؤلفي اليونان. وقد دعي الناس بالكامل ليروا الملوك الكاذبين يعذبون على بوابات القصر وربما تستدعى أنه طبقًا لديودورس Diodorus فقد أنشأت أعمدة برونزية ارتفاعها حوالي 8 أمتار بالقرب من البوابات في برسيبولس حيث إنهم يريدون أن يجذبوا أنظار المشاهدين».

وهذه الإثارة لعواطف شعب الإمبراطورية قد تم مناقشتها مرة ثانية عن طريق الملك الجديد. وقد عمل نسخ من النقش الموجود في بيهستون لكي يتم إرسالها إلى كل البلاد في الإمبراطورية. ومن ثم فإننا نعرف الآن

أن الإرادة كانت لصالح الملك الذي لم يخفي كلمات. وفي بابل وجدت هناك أجزاء من النقش وأجزاء مما كان أساسًا بلاطة حجرية، على نص بيهستون وجدت على أوراق البردي وكان هذا في فيلة في مصر. وهذه ليست هي النسخة الأصلية التي أرسلها دارا DARIUS إلى مصر ولكنها نسخة للدراسة كتبت أثناء فترة حكم دارا DARIUS الثاني Darius II وقد ظل النص ينقل (يترجم) حتى في صيغة عمل مدرسي وقد تم اكتشاف نسخة من نقس بيهستون وأيضًا لوح آخر قد وجدت في صوصا ونحن ربما نفترض أن النقش البارز كانت موضوعة في مواقع بارزة في كل بلد. ولا شك أن الإصدارات الثانية قد تم حمايتها بنفس طريقة النسخ الأصلية وبالنسبة لمن يفحصون الآثار فقد ناشدهم دارا DARIUS بألا يحطموا المخططات التي على التماثيل فهو يمنح الرخاء لمن يحميها ويوقع المصائب بمن يحطمها. ومن الواضح أن عن طريق نشر هذه المخطوطات في كل مكان في الإمبراطورية والتي أراد دارا DARIUS أن يعرف كل فرد في كل مكان بأنه ملك لا غبار عليه. ومرة أخرى عرف الزائرون وأكد لهم على الحقيقة المطلقة لأعماله وإقراراته حيث قال «الآن دع ما قد فعل بواسطتي يقنعك حيث إن ما يعلمه الناس لا يمكن إخفاءه أو كتمه: إذا وأن لم يخفى عليك هذا فأخبر به الناس. فربما يكون اهورا مازدا Ahura-Mazda صديق لك وربما يكون عندك بركة (وفرة) في عائلتك وربما تعيش طويلاً».

حقائق وأكاذيب في بيهستون: دارا DARIUS واهورا مازدا

وبعد انتصاراته في 522-521 قرر دارا DARIUS على الفور بأن ينحت قصة ازدهاره وأعماله العسكرية الباهرة على الصخر وقد اختار لهذا سفح منحدر في بيهستون والذي يستحوذ على سهل كيمانشا Kemanshah . وهو على مسافة قصيرة من الطريق الرئيسي المؤدي من بابل إلى إكباتانا Ecbatana . وعلى هضبة ترتفع لأكثر من



الشكل 5

1000 متر. ولا بد أن هذا المنحدر كان مقدس لفترة طويلة. ومما لا شك فيه أن استخدام الفرس له كان لصالحهم حيث إن المؤلفون القدماء قد أكدوا أن الفرس قد عبدوا الآلهة في مكان مرتفع ومفتوح وبه هواء. ومن المحتمل لهذا السبب أن الجبل قد سمي باسم باجيستانا Bagistana وبالتالي فإن باجيستانا Bagistana الإيرانية هي معقل الآلهة. وطبقًا لستيسياس Ctesias فإن الجبل قد خصص لزيوس Zeus والذي يقصد به بالتأكيد اهورا مازدا Ahura mazda (أو) الآلهة الإيرانية والفارسية الأخرى. ونجد أن ستيسياس Ctesias الذي وصف رحلة سميراميس Semiramis من بابل إلى إكباتانا قد أضاف التفاصيل الآتية:

وعندما وصلت سميراميس Semiramis إلى الجبل المعروف باسم باجستانوس Bagistanus أقامت معسكر بالقرب منه وصنعت متنزه والذي له أبعاد 12 ستادس (2كم) واستقرت على الجبل وزرعت هناك حتى روت زرعها. وجبل باجستانوس Bagistanus يبدو مفزعًا وعلى الجانب المواجه

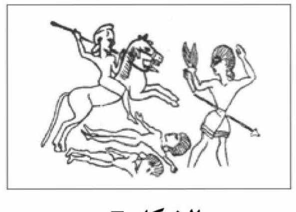
للمنتزه يوجد منحدرات ترتفع حتى ارتفاع سبعة عشر ستاويا (3000 متر) وفي الجزء المنخفض لهذه المنحدرات عملت على تسويتها ونحتت صورة لنفسها مع مائة من الرماحين (حاملي الرماح) بجانبها وهي أيضًا قامت بعمل هذه الحروف على المنحدر بالحروف السورية .



الشكل 6

ومـــن الواضـــح أن دارا DARIUS قد اختفى تحت هذا الوصف لسميراميس Semiramis وقـــد لمـــح ديـــودورس Diodorus بوضـوح شـديد (ولـو أنـه بطريقــة خياليــة) إلى الــنقش البــارزة في بيهســـتون Behistun . فعنـــدما قـــام الاسكندر Alexander برحلة خاصة لزيارة المكان، ذُهل هو وأصحابه من جمال وزهو السهل الواقع أسفل المنحدر «فهي بلـد بديعة تغطيها أشجار الفاكهة. وهي بلد غنـي في كـل شيء تجعلهـا صـالحة للحيـاة الطيبة» معلقًا ديودورس Diodorus .

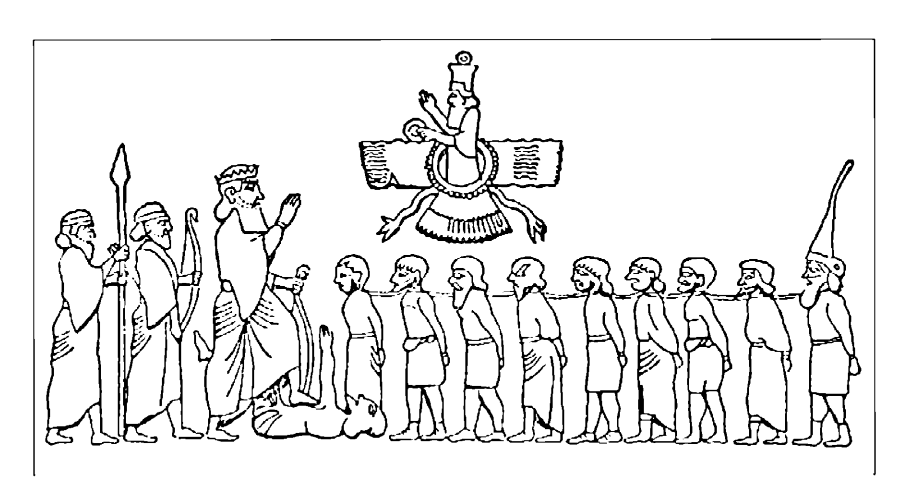
وربمـــا أن قـــورش Cyrus قـــد صـــنع جنـــة بالفعـــل في باســـارجاداي Pasargadae بأننـا نعتقـد وبشـدة أن الجنـة في بيهستون كانت من صنع وبنـاء دارا DARIUS نفسه الـذي أراد أن يضـيف إلى الأثـر الـذي تـم إنشائه لتمجيده أمجاده البيئة الذي إعتقد أنه يســتحقها «. ونحــن نعــرف عــلى أيــة حــال



الشكل 7

أنه في بداية عـام521 كـان دارا DARIUS عـلى هـذا السـهل حيـث التقـى بجـيش هيدارنيس Hydarnes هناك. ويبـدو أنـه أثنـاء إقامـة دارا DARIUS الطويلـة في إقليم ميديا (يناير - يونيه 521) قد اهتم هو ومستشـاريه بـالتخطيط لهـذا الأثـر في هذا المكان ليستطيع أن يمجد الانتصارات السياسية والعسكرية الذي تمت على يده .

والاهتمام بذلك النقش إنما كان للإعـلان عـن مـيلاد مملكـة جديـدة وللإشـارة إلى إمبراطورية تولد من جديد. وبالتالي فإن دارا Darius ومستشاريه لم يعتمدوا على أثر موجود قبل ذلك بل الأثر الجديد كان نشأ جديدًا بالكامل وهـو عمـل فنـي جديـد في خدمة السلطة والتي لم يذكر اسم أي مملكة قبلها. ولقد أخذ الأثر أهميـة أكـبر حيـث إنها موضوعات روائية متفردة في كل الفنون الأخمينية حيث إنـه أول عمـل يقـره دارا DARIUS بعد نصره. وهو منحوتًا على سطح أملـس 3 × 5.5م الصـورة البـارزة لـدارا DARIUS ووجهه ناحية اليمين ويرتدي رداء فارسي وتاج على رأسـه وفي يـده الـيسرى يمسك قوس والذي يتكأ على قدمه اليسرى ويـده اليمنـى مرفوعـة إلى مسـتوى وجهـه وكفه للخارج. وفوق رأسه يوجد لوحة مستطيلة الشكل مكتوب عليها اسمه فقط «أنا دارا DARIUS الملك العظيم. ملك الملوك، ملـك الفـرس Persia ، ملـك الـبلاد وابـن هيستاسـبيس Hystaspes وحفيـد (مـن نسـل) أرسـاميس Arsames الأخمينـي». وأمامه يوجد الـ 8 ملوك الكاذبين مقيدين بحبال حول أعناقهم وأيديهم مربوطة خلف ظهورهم وتم تصوير هؤلاء الملوك وهم مختلفون في ملابسـهم ويوجـد تسـجيل قصـير لأسمائهم والتي أيضًـا كررهـا دارا DARIUS في الأسلـوب الـذي تبنـاه في تلخيصـه: «هذا هو أسينا Acina . وهو الايلامي الذي كـذب. ومـن اليسـار إلى اليمـين نسـتطيع أن نعيـنهم وهـم نيـدينتو-بـل Nidintu-Bel وفرافـاريتس Fravartis ومارتيـا Martyia وسيسـنتاخما Cicantakhma وفاهيازداتـا Vahyazdata وأرخـا Arkha



الشكل 8

وفرادا Frada والوضع المخزي لهؤلاء الملوك لا يظهر فقط من خلال شكلهم (رسمهم) بل أيضًا من خلال أطوالهم حيث إن كلهم أطوالهم 1.17 متر على عكس دارا DARIUS الذي يكون طوله 1.72م. ولكن هناك أحد الملوك الثمانية الذي يظهر في وضع أكثر إهانة وهو جوماتا Gaumata والذي يضجع على ظهره ورافعًا يده بتضرع إلى دارا DARIUS والذي بدوره يقف فوقه بكل عظمته واضعًا قدمه فوق صدره .

ويوضح النقش على المنحدر في بأن الكل مرتب حيث إنها ليست واقعية على الإطلاق بالمعنى الصحيح. حيث يصور جوماتا Gaumata كما لو أن دارا DARIUS قد فاز باللقب الملكي قبل أن يقتله. ووجود الملوك الثمانية الكاذبين إنما يقصد به إظهار الملك على أنه الشخص المنتصر على كل منهم. وهذا لا يوحي بالواقع الموجود في التسجيلات. حيث إن مارتيا Martyia قد قتل عن طريق الايلاميين. وأيضًا فرادا Frada قد قتل عن طريق الحاكم فيفانا Vivana المرزبان كما أن أرخا Arkha قتل عن طريق فيدارنا/هيدارنس Vidarna/Hydarnes بأمر من الملك بالتأكيد.

ولكن فوق كل هذا فإن النقش البارز لم يشير إلى الطرق التي تم تعذيب الملوك الكاذبين بها. فالغرض الرئيسي هو إظهار مقدرة الملك على أنه الفاتح» في صيغة رسالة تعتمد على الاستعارة والواقع .

وكل هؤلاء الرجال قد تم وصفهم بأنهم «كاذبون» باضطجاعهم حيث إنهم قد خالفوا قوانين الملك دارا DARIUS والتي حددها عند الحديث عن الـ 23 بلد الخاضعة له والتي قد أحصاها:

هذه هي البلاد التي تؤل إليَّ وبفضل من أهورا مازدا Ahura-Mazda قد ضموا ليَّ. وقد دفعوا الجزية ليَّ. وما كان يقال لهم مني بالليل أو النهار كان يُفعل (يؤدى). ودارا DARIUS الملك: من بين هؤلاء الناس من كان وفيًا أكافأه، ومن كان سيئا أعاقبه. وبفضل اهورا مازدا Ahura-Mazda أظهرت هذه البلاد احترامًا لقوانيني وما كنت آمر به كان يُفعل .

وعلى النقيض كان كل هؤلاء الملوك المزيفين الذين كذبوا على الناس عن طريق ادعائهم بأنهم أبناء قورش Cyrus أو نابونيدس Nabonidus أو من نسل سياكساريس Cyaxares . وبالنسبة لمفهوم السلطة والذي قدم لأول مرة في بيهستون فإن «الكذب» متصل مباشرة بالتمرد (الثورة) ضد السلطة الشرعية. ومن ثم فإنه عندما ذهب قمبيز Cambyses إلى مصر أصبح الناس سيئين. وانتشر الكذب في الريف في فارس وميديا وفي كل المقاطعات الأخرى. وفي العمود رقم 6 (VI) كرر دارا DARIUS هذه هي المقاطعات التي أصبحت متمردة. فالكذب جعل منهم متمردين لذلك فإن هؤلاء الرجال قد خدعوا الناس» محذرًا: «أنتم يا من سوف تكونون ملوك فيما بعد وقدوة وسوف يكون عليكم معاقبة الكاذب والمخادع».

وقد قدم دارا DARIUS نفسه على أنه الرجل الذي لا يكذب والذي لم يكذب أبدًا وقد ضمن ذلك عن طريق الدعم من أهورا مازدا Ahura-Mazda . والكذب بلا شك هو مقابل الحقيقة وكل من المصطلحين ينتمي

إلى النطاق السياسي والديني وهذا إذا كان دارا DARIUS وشعبه قد ميزوا وفصلوا بين السياسية والدينية .

ويوجد شكل مكان فوق المشهد (المنظر) وهو يلعب دورًا عظيمًا. وهذا يجعل الفرد يظهر من خلال قرص جانبي. ويظهر مرتديًا ملابس في شكل فارسي ويرتدي غطاء رأس طويل وأسطواني الشكل وعلى قمة هذا الغطاء يوجد ستة نجوم ويمسك بخاتم في يده اليسرى ومن الواضح أنه يقدم لدارا DARIUS . وهذا يتم فهمه على أنه تقديم - عرض لأهورا مازدا وهو الإله الذي يضمن المملكة لدارا DARIUS بحمايته وبقوته والذي يرجع إليه كل الانتصارات وهذا ما يؤكده دائمًا دارا DARIUS وهو الشخص الوحيد الذي قد حاوره دارا DARIUS وفي الواقع فإن دارا DARIUS يرفع يديه إلى الآلهة كما لو كان سوف يتسلم الخاتم الذي في يد أهورا مازدا Ahura-mazda . وهذه هي إحدى ملامح الفن الملكي في الشرق القريب. وما نراه على هضبة بيهستون Behistun هو مشهد التنصيب ومن الواضح أن دارا DARIUS يدعي «شكرًا لأهورا مازدا Ahura-Mazda لأنني أنا الملك. إنه هو أهورا مازدا Ahura-Mazda الذي منحني المملكة وأعطى السلطة لي» وهذا التوضيح إنما يعبر بقوة عن الحقيقة بأنه بعيدًا عن كونه رب فإن الملك يستمد قوته وسلطته من الرب. ومن سيطرة أهورا مازدا Ahura-mazda على الأرض» وهي نتيجة لهذا الميثاق الذي انتهوا إليه ونجد أن أهورا مازدا Ahura-mazda هو إله الملك وهذه هي الحقيقة التي يؤكد عليها تمامًا دارا DARIUS بنفسه في مخطوطاته وقد ذكر اسم أهورا مازدا نحو 63 مرة ولكن الآلهة الأخرى الموجودة قد ذكرت مرة واحدة وفي شكل تضرع يقول» هذا ما فعلته في عام واحد وذلك بفضل أهورا مازدا Ahura-mazda الذي أمدني بالمساعدة والآلهة الأخرى». وقد كان واضحًا في تسجيلات (مخطوطات) دارا DARIUS أن الصلوات الملكية كانت لأهورا مازدا Ahura-mazda

لذلك فإننا نخضع لوساوس التحدث عن التقدم نحو نظرية الإله الأوحد. ويجب أن ندرك أنه في الديانة الرسمية التي وضعها دارا DARIUS أن أهورا مازدا Ahura-mazda كانت له مكانة سامية. ويبدو أن هذا التحالف المميز منح الملك السلطة المطلقة والتي لا يستطيع أحد أن يتسائل عن مدى شرعيتها دون المخاطرة بإغضاب الآلهة. وهذا في الواقع هو السبب في أن الكذب والحقيقة يقدمان ويظهران مفاهيم سياسية ودينية .

وحكم الملك للناس والأرض إنما يرجع إلى حماية أهورا مازدا ولذلك فيجب عليه أن يكون حكمه عادلاً وأن يقضي على الكذب بينهم وذلك بحكم القواعد التي تحكم العلاقة بين الرجال والآلهة .

ولكن ما تم معرفته من خلال هذا الأثر (البناء) ببساطة هو الحقيقة بأن اللغة الفارسية Persian كانت تكتب لأول مرة، وعلى الرغم من الجدل المستمر حول المعنى الدقيق للفقرة رقم 70، العمل المتمثل في ترجمة ونقل النص الذي كان مكتوب باللغة الإيلامية؛ هناك ميل هذا الأيام لإعتبار أن تلك الكتابة الفارسية قد شكلت أحد الإبداعات الكبيرة لدارا DARIUS والذي لم يتردد في استخدامها باسارجاداى Pasargadae لكي يستثمر مكانة قورش Cyrus لمصلحته». وحتى هذا الحدث فقد تم نقل (ترجمة) كل أفعال الملك إلى اللغة الفارسية من خلال خُطب أو أغاني. ومن المؤكد أن النقل الشفهي ظل مستمرًا عبر التاريخ الطويل للفارسيين، كما ظهر ذلك من خلال الدور البارز للكهنة المجوس بصفة عامة. ولكن هذه الملاحظات ما زالت مصدرًا كبيرًا للشهادة بوجود كتابات ملكية التي وُصفت في وجود الملك وكُتبت على قطعة من الورق أو الصلصال. وهو النموذج الذي قد اتبعه كل خلفاء (أحفاد) دارا DARIUS ولهذا فأن الملك الأعظم يستطيع أن يدعي بأنه بالتأكيد هو الأفضل بين الجميع. حيث أراد أن يتحكم (يسيطر) على التقليد الذي سوف يتم نقله إلى أجيال المستقبل: كلام الملك الذي تم نقشه لكل سلالته وقد وضعت

تحت رعاية لأهورا مازدا Ahura-mazda كحماية ممـن ربمـا يريـدون تحطيمهـا. وهذه هي الطريقة التي لم ينتقل بها فقط ذكرياته عن أعمالـه الفريـدة (المميـزة) بل أيضًا سلسلة نسبه. وقد اتخذ معايير مناسـبة لـكي يجعـل كلماتـه تنقـل في كـل أنحاء الأراضي التي يحكمها بهذه الطريقة».

فبعد أن يتم التصديق على هذه الكلمات وتصبح رسمية يتم قراءة النص عليه وأيضًا في نفس الوقت يتم التأكد من وجود ذكريات عـن إخلاصـه ووفـاءه الـذي لا يستطيع أحد ولا حتى خلفاءه أن يكون لهم الحـق في أن يسـألوا عـن ذلـك. وعـلى سفح الجبل في بيهستون Behistun نجد أن تاريخ المؤرخـون غـير موجـود في كـل الأوقات .

حملات جديدة، وإضافات جديدة (التوسع الإستعمارى والدين)

وسوف نتحول بالموضوع كله إلى جمع الأحداث التي لم تكن ظاهرة في الوقت الذي كان فناني الملك ما زالوا منشغلين بالعمـل في الجبـل المخيـف. وهنـاك عمـود جديد (عموده) كان لا بد من إضافته باللغة الفارسية القديمة فقـط (لعـدم وجـود حيز كافي). وبداية النص «سايس دارا DARIUS الملك: هذا مـا فعلتـه أنـا في كـل من العامين الثاني والثالث بعدما أصبحت ملكًا. فهناك مقاطعة باسـم إيـلام والتـي أصبحت متمردة. وللمرة الثالثة منذ أكتوبر 522 تمرد الإيلاميون وهذه المـرة تحـت قيادة أتاميتـا Atamita . وقـد قـاد جوبريـاس Gobryas أحـد القـادة المخلصـين للملك الحملة ضد ذلك المتمرد وانتصر عليـه وإسـتولى عـلى صوصـا Susa وأحضر المتمرد أتاميتا Atamita إلى دارا DARIUS الذي قتله بدوره. وربما بسـبب هـذه الظروف أو فيما بعد ذلك بفترة قصيرة عـزم دارا DARIUS عـلى إعـادة تخطـيط صوصا وإقامة مجمع كبير للقصور الأخمينية هناك .

وفي العـــام التـــالي قـــاد دارا DARIUS بنفســـه بقيـــادة الجـــيش الملـــكي

وزحف بإتجاه شعب الساكا Saka في آسيا الوسطى. وكـان ملـك سـاكا Saka هـو الملك سونخا Skunkha ولقد تم أسره واستبدله دارا DARIUS بملك آخـر عينـه هو ومن الواضح أن دارا DARIUS قد وضع شعب الساكا ضمن قائمـة الشـعوب المتمردة» والتي لم يستطع أن يقهرها مرزبـان باكتريـا Bactria فيفانـا Vivana أو يحتمل أنه قد قتل أثناء المعركة مع الساكين؟ لا نعرف بالضبط، وفي الحقيقة فلقد عاد دارا DARIUS بعد هذا الإنتصـار إلى إكباتانـا وبيهسـتون. وتـم إضـافة اسـم سونخا Skunkha إلى النقش البارز في بيهستون خلـف الملـوك الكـاذبين الآخـرين، ولقد تم تمييزه من خلال قبعته الطويلـة التـي يتميـز بهـا شـعب السـاكا. وإضـافة سونخا Skunkha اقتضى تدمير النص الإيلامي الأصلي الذي أعيد كتابته على يسـار النسخة الفارسية. وهذا أيضًا هو السياق الذي تم فيه إضافة نص العمود الخـامس والموضوع الذي يستحق الذكر أكثر في هذه الإضافات الفارسـية هـي بـلا شـك هـو التبرير الديني والذي أرجع إليه دارا DARIUS الحملات ضد إيـلام وشـعب سـاكا ويمكـن فهـم الحملـة كالتـالي «إن هـؤلاء الايلاميـين والسـاكيين ملحـدون وإنهـم لا يعبدون أهورا مازدا بينما أنا عبـدت أهـورا مـازدا وبفضـل لأهـورا مـازدا وبرغبتـي فعلت فيهم ذلك. وربمـا أدرك دارا DARIUS أنـه بسـبب ثقتـه في إيمانـه بـأهورا مازدا كان قادرًا على أن يغـزو النـاس الـذين لا يعبـدون إلهـه وعـلى أي حـال فـإن التضمينات والتشابكات السياسية والدينية كبيرة جدًا، وعلى العكس من التأكيدات الملكيـة بخصـوص المتمـردين في الأعمـدة مـن 1-4؛ نجـد في العمـود الخـامس أن المتمـردين لم يـتم شـجب تصرفـاتهم فقـط لأنهـم كـانوا يحملـون صـفة الكـاذبين drauga ولكن تم وصفهم أيضًـا بــ«أريكـا» arika والتـي تـترجم عـادةً إلى معنـى «الكافر»، حيث إنهم يوصفوا بشكل حقير كعباد لآلهة غـير الآلهـة الفارسـية؛وهذا الوصف أيضًا قد تم ذكره في أحد النقوش التـي أمـر بصـنعها كسركسـيس Xerxes والتي يدين فيها عبادة الآلهة المزيفة (فصل 13-6) .

وهذه التصريح لايعنى بأى حال من الأحوال أن دارا قد قام بإحداث تغيير جذري في الإستراتيجية الأيديولوجية التي إتبعها الملوك الذين سبقوه في البلاد المفتوحة. ولكن الشيء الواضح هو أنه في خلال عدد قليل من الأعوام وبمبادرة من دارا DARIUS منحت السلطات الملكية الفارسية أيديولوجية دينية - سياسية ثابتة ومترابطة. وصار الملك في أوقات الحرب والسلم وأكثر من أي وقت مضى هو نائب الإله أهورا مازدا Ahura-mazda على الأرض. وبالإضافة إلى ذلك فإن العمود رقم (5) ينتهي بالجملة التالية: «يقول الملك سيث دارا DARIUS إن من يعبد أهوار مازدا Ahura-mazda فإن بركة الآلهة سوف تنزل به أثناء حياته وبعد مماته» وبالنظر إلى السياق الكلى فإن هذه التصريح يعد برضى السماء لكل من يخدم الملك بإخلاص .

4- دارا DARIUS والستة:

ويجب علينا الآن أن نتحول للحديث بشكل مطول عن العلاقات بين دارا DARIUS وأصحابه الستة بعد اعتلائه للعرش. وعند قراءة رواية هيرودوت Herodotus بدون منظور يجعل الفرد فعلاً يحصل على انطباع بأن دارا DARIUS كان مرتبطًا بالإتفاقات التي توصل إليها مع الخمس المتآمرين الآخرين عندما أتى إلى السلطة (أوتانيس Otanes كان قد أبعد نفسه من المنافسة) وهي الإمتيازات التي جعلت الملك الجديد مقدمًا على باقي رفاقه. وطبقًا لجوستين Justin الذي كان قد قرأ رواية هيرودوت Herodotus بعناية فإنه ونتيجة لقيامهم بقتل الماجوسي كان الرجال الست العظماء متساويين في الجدارة وفي النبل»، ونجد هذه الرواية أيضًا في كتاب أفلاطون Plato (القوانين، 695ج) في فقرة مشكوك في صحتها إلى حد كبير: «عندما أتى دارا DARIUS وأمسك بزمام الأمور في الإمبراطورية بمساعدة الست الآخرين، قسم الإمبراطورية إلى

سبع أقسام والتي توجد والتي توجد لها رسوم تخطيطية غير واضحة باقية حتى اليوم، فهل نستنتج من ذلك أن دارا DARIUS قد اتفق على محددات لسلطته الملكية منذ البداية، وأنه قد قدم نفسه على أنه مجرد القائد الرئيسي الذي قاد مجموعة النبلاء الذين نجحوا في إستعادة السلطة من يد المغتصب والذين كانوا يهدفون في الأساس إلى وضع للحكم الملكي المطلق الذي وصل إلى أبعد مدى له على يد كل من قمبيز Cambyses وبارديا Bardyia .

ونحن نعرف أن لقب «السبعة» قد استمر يستعمل كدليل على الرفعة والتميز بين الأرستقراطيين الفرس إلى درجة أن تم جعله جزء لا يتجزأ من أصل بعض الأرستقراطيين والذين حددهم هيرودوت Herodotus . لذلك فنحن لدينا إشارات عن أوتانيس Otanes وجوبرياس Gobryas أو حتى زوبيروس Zopyrus «إبن ميجابيزوس الأول Megabyzus والذي كان أحد المتآمرين السبعة الذين قتلوا الماجوسي» (الكتاب الثالث، فقرة 153) الخ. ولقد ذكر ديودورس Diodorus الذي عاش في القرن الرابع أن المرزبان روساسيس Rhosaces «كان ينحدر من نسل أحد الفرس السبعة الذين خلعوا الماجوسي»، وكذلك أيضًا فقلد قدم لنا كوينتوس كورتيوس Quintus Curtius أورسينيس Orsines وهو شيخ قبيلة باسارجاداي Pasargadae والذي كان ينحدر من نسل أحد الفرس السبعة ويمكن تتبع سلسلة نسبه حتى «قورش Cyrus » (الكتاب الرابع، فقرة 12-8). وهكذا فإن دوام هذا المصطلح أصبح أمرًا مؤكدًا، ولكن هل هذا يعني أن السبعة كونوا كيانًا لديه القدرة على التحكم في أنشطة الملك؟

ولقد كان هيرودوت Herodotus ينادي السبعة غالبًا بكلمة بروتوى Protoi .ولقد كان الملك يدعو مجموعة البروتوى الصغيرة هذه للاجتماع في وقت السلم والحرب، ولكن من الخطأ أن نستنتج أن عضوية هذا المجلس كانت مفروضة على الملك، فما نسميه فقط عن طريق العادة بـ «مجلس الملك» لم يكن مؤسسة قائمة بذاتها على قواعد

وأسس لا يستطيع الملك أن يفرض قراره عليها، فاجتماعاته ومداولاته كانت تعتمد فقط على رضا الملك ومعظم القرارات كان يتخذها الملك بمفرده والذي كان يأخذ المشورة من هؤلاء الأشخاص الذين يثق فيهم والذين يدينون إليه بكل شيء .

ونحن لا نستطيع القول بأن النبلاء كانوا يجتمعون في المجلس لأنهم كانوا جزء من البروتوى. ومن الواضح أن الملك نفسه هو الذي كان يختار أعضاء المجلس من بين النبلاء: فلقد تم إدراج لقب مستشار ضمن ألقاب البلاط الملكي. ويعتمد هذا التفسير على عزرا Ezra وايستر Esther ، حيث يظهر أهاسويروس Ahasuerus «وهو يجتمع بالقادة السبعة لفارس وميديا الذين لديهم ميزة التمكن من مقابلة الملك والذين كانوا يشغلون مواقع قيادية في المملكة»، (إستر، الكتاب الأول، فقرات 13-14)، ولقد تم استنتاج غالبًا أنه كان هناك مجمع يضم سبع قضاة وهو نوع من المحكمة الملكية توجد في البلاط الملكي. ولكن هذه الفقرة مشكوك في صحتها إلى حد كبير بالنظر إلى الإشارات الكثيرة للرقم 7 الموجودة في نفس هذا العمل الأدبي: حيث نجد أن أهاسويروس Ahasuerus حكم ما يزيد على 127 إقليم، وكان عنده «(7) من الخصيان يقومون على خدمته»، ولقد حصلت Esther على «سبع وصيفات يعملون على خدمتها» ولا شك أن مؤلف الفقرة السابقة كان في الواقع على دراية بوجود سبع عائلات، ولكن هذه الملاحظة في حد ذاتها تمثل إعادة تفسير لا يستطيع المؤرخ المعاصر أن يستخدمه كدليل مضاد .

وتنطبق نفس هذه الملاحظة على فقرة زينوفون Xenophon والتي يتم الاستشهاد بها غالبًا في هذا السياق: إلى القاضي أورونتاس Orontas ، لقد اجتمع قورش Cyrus الأصغر في خيمته مع سبعة من أنبل الفرس الموجودين في حاشيته» ولقد أضاف إليهم كليرخوس Clearchus ، وكل ما نحتاج أن فعله هو جمع الأدلة الخاصة بالقضاة الملكيين لكي ندرك أنه

لم يكن هناك وجود لمجموعة القضاة الملكيين السبعة الذين كان يتم اختيارهم بشكل منتظم من بين «العائلات السبع» والذين والذين كانوا يعملون بشكل مستقل عن الملك. وقد حدد هيرودوت Herodotus وظيفتهم كالآتي: «هؤلاء القضاء الملكيين هم أشخاص مختارون بطريقة خاصة، والذين يتقلدون مناصبهم طوال حياتهم أو حتى تتم إدانتهم بإساءة التصرف بشكل ما، ولقد كانت واجباتهم تتمثل في البت في القضايا وتفسير قوانين الأرض القديمة وكان يتم تحويل كل أنواع الخصومات والنزاعات إليهم» (الكتاب الثالث، فقرة 31)، ولقد كانوا هم من حكم بالموت على المصريين الذين قتلوا الرسول الملكي، ولقد كان هؤلاء القضاة هم الذين لجأ إليهم قمبيز Cambyses لتحديد ما إذا كان يحق له أن يتزوج أخته. ومن المحتمل أنهم أيضًا كانوا القضاة السبع الذين قدمهم مؤلف كتاب إستر Esther: حيث إنه ليحكم الملك أهاسويروس Ahasuerus على سلوك الملكة فاشتي Vashti سأل أصدقائه «أن يقدموا حكمًا وقانونًا في ذلك»، وقد قدموا تقريرًا للملك يقترحون فيه إصدار مرسوم يعلن عن تطليق الملكة يتم نشره في جميع أنحاء المملكة، وهؤلاء الأصدقاء يطلق عليهم «أمراء (أي حكام) فارس وميديا السبعة».

إن العلاقة بين القضاة الملكيين والعائلات السبع ذات الشأن الرفيع الذين ساعدوا دارا DARIUS هي علاقة لا قيمة لها ولا تستحق الذكر. فعند ما قام أرتاكسركسيس الثاني Artaxerxes بإحضار تيريبازوس Tiribazus للحكم «اختار ثلاثة من أعلى الفرس منزلة كقضاة»، ومن الواضح أن تعيين أو طرد القضاة الملكيين كان من سلطة الملك وحده الذي يستطيع أن يكافئ من يريد بلقب قاضي ملكي حتى لو كان لرجل متدني المقام مثل الفلاح البسيط راكوكيس Rhakokes ، ولقد حكم على قضاة بالموت في مرات عديدة لأنهم أصدروا أحكامًا ظالمة وخصوصًا لمن يبيعون أنفسهم مقابل المال (هيرودوت Herodotus الكتاب

الخامس، فقرة 25): ففي هذه الحالة من يثبت عليه من القضاة أنه فاسد كان يتم سلخ جلده وهو حي، يتم شد هذا الجلد على مقاعد القضاة، والقضاة الذين يصدرون الأحكام وهم جالسون على هذا الجلد كانوا يضعون أمام أعينهم نموذج العقاب الذي يترتب على إصدار أحكام ظالمة مقابل الحصول على المال»، وحتى القرارات التي أصدرها قضاة أهاسويروس Ahasuerus السبع لم تكن أكثر من مجرد رأي: «فإذا حاذت على إعجاب الملك كان سيقوم بإصدار مرسوم ملكي»، وعلى الرغم من أن القضاة كانوا يشيرون إلى قوانين الفرس والميديين إلا أنه من الواضح أن قراراتهم كانت مبنية أساسًا على إرادة السلطة الملكية وحدها.

ولقد كان حرية القضاة في إصدار الأحكام مقيدة هي الأخرى لأنهم كانوا خاضعين لمراقبة الملك، وعلى الرغم من أن ديودورس Didorous ذكر أن أرتاكسركسيس الثاني Artaxerxes لم يكن حاضرًا أثناء محاكمة إبنه دارا DARIUS إلا أن هذا لم يكن القاعدة العامة، ويضيف بلوتارخ Plutarch قائلاً أن الملك «أمر كتابه أن يكتبوا رأي كل قاضي من القضاة وأن يعرضوه عليه».وبالمثل فلقد قام أرتاكسركسيس Artaxerxes هذا نفسه بعد تبرئة تريبازوس Tribazus «باستدعاء القضاة فردًا فردًا وسأل كل واحد منهم عن أسس العدالة التي التي بنى عليها قراره بتبرئة هذا المتهم»، والأسباب التي أعطاها أولئك القضاة لقراراتهم تظهر بوضوح كبير أنهم قد وصلوا إلى استنتاجاهم على أساس الولاء والإخلاص الذي أظهره تريبازوس Tiribazus في السابق واهتمامه بكل ما يصب في مصلحة الملك .

وعلى الرغم من ذلك فغالبًا ما كان يقوم الملك بإدانة الأشخاص المتهمين دون أن يكونوا قد مثلوا أمام المحكمة، ومن المؤكد أن هذا كان ينطبق على القضاة الملكيين الذين أدانهم الملك مباشرة. ولقد كان

بإمكانه أيضًا أن يمنح الرحمة والعفو لمن يريد، وفي إحدى الحالات رأينا الملك يحكم بالإعدام على شخص متهم كان قد تم تبرئته من قبل القضاة، وهناك رجاحة في التفكير تظهر من خلال الرد الذي أعطاه القضاة الملكيون لقمبيز Cambyses عندما أراد أن يستوضح منهم بخصوص أحقيته في الزواج من أخته، «وقد نجحوا في إيجاد إجابة لا تخل بالحقيقة ولا تعرض رقابهم للخطر: حيث قالوا أنهم لم يكتشفوا أي قانون يسمح بزواج الأخ من أخته ولكنه بلا شك يوجد قانون يسمح لملك الفرس بأن يفعل ما يحلوا له». وقد فهم هيرودوت Herodotus أن القضاة قد فعلوا ذلك «حتى لا يعرضوا رقابهم للخطر»، وبعبارة أخرى أصبح الملك أصبح هو المصدر المتفرد للعدالة .

وجهة نظر دارا: النبلاء والملك في بيهستون .

من وجهة نظر دارا DARIUS لم تكن فكرة إنشاء مجلس إستبدادى من المستشارين مطروحة على الإطلاق، ففي الإضافة الموجودة في فقرة 68، كان دارا DARIUS متحفظًا وحذرًا للغاية في حديثه عن الدور الذي قام به النبلاء الست: «يقول الملك سيث دارا DARIUS : هؤلاء هم الرجال الذين كانوا هناك في الوقت الذي ذبحت فيه جوماتا Gaumata الماجوس الذي يطلق على نفسه بارديا Bardyia ، وفي ذلك الوقت تعاون معى هؤلاء الرجال في قتله كتابعين لي (أنوسيا)» ثم بعد أن أعطى دارا DARIUS قائمة بأسمائهم أضاف لمصلحة خلفائه: «أنت يا من سوف تكون الملك فيما بعد، احمي نسل هؤلاء الرجال» وفي النسخة البابلية Babylonian كانت الكلمات المستخدمة هي: «قوموا بحماية هؤلاء الرجال بصورة كاملة وإعتنوا بنسلهم» (فقرة 54)، ولكن هذا التصريح الملكي يفتقر إلى الكثير من الخصوصية عند مقارنته بالفقرات الأخرى في العمود الرابع، حيث يخاطب هؤلاء الذين يشاهدون النقش معلنًا: «الآن إقتنع بما فعلته، وأخبر به الناس لعل أهورا مازدا Ahura-Mazda يكون صديق لك ولعل

أسرتك تعيش في رخاء» (فقرة 60) أو حقًّا «إذا قمت بالمحافظة على هذا النقش ما دامت لديك قوة فلعل أهورا مازدا Ahura-mazda يكون صديق لك وعسى أسرتك تعيش في رخاء وعساك تعيش طويلاً ولعل أهورا مازدا Ahura-mazda يكتب لك النجاح فيما تسعى لتحقيقه» (فقرة 66)، ولا تختلف هذه التصريحات كثيرًا عن كلمات قمبيز Cambyses التي قالها وهو يحتضر في وجود «قادة الفرس» الذين اجتمعوا ليستمعوا إلى وصيته الأخيرة: «إذا فعلتهم ما أمرتكم به (خلع الماجوس وإخضاع الميديين) فسوف أصلي لتكون الأرض مثمرة لكم، ولكي تلد لكم زوجاتكم الأطفال، ولكي تكثر قطعانكم ولكي تظلوا أحرارًا على الدوام» (هيرودوت Herodotus ، الكتاب الثالث، فقرة 65)، وفي الحقيقة فإن كلمات دارا DARIUS تبدو كإلتزام قطعه على نفسه وعلى خلفائه بالمحافظة على المكانة المميزة لعائلات المتآمرين الذين إشتركوا معه، ولكن على العكس من الوعود الأخرى بالمكافأة أو العقاب فإن هذه الكلمات لا تبتهل إلى الإله أهورا مازدا Ahura-mazda .

إنه لمن الصحيح أيضًا أن دارا DARIUS لم يكن الشخص الوحيد الذي ظهر مع الملوك الكاذبين على منحدر بيهستون Behistun ، حيث يظهر خلفه شخصين (أصغر من الملك ولكنهم أكبر من المتمردين): ويحمل أحدهما قوس في يده اليمنى، بينما يحمل الشخص الآخر رمح بكلتا يديه يرتكز طرفها على الأرض، ومن الواضح أنهما اثنين من نبلاء الفرس يحملان أسلحة الملك، ولم يتم ذكر أسماءهم؛هل من الممكن أنهما كانا أسباثينيس Aspathines وجوبرياس Gobryas كما هو مكتوب على مقبرة دارا DARIUS ؟ تنهار كل النظريات أمام حقيقة واضحة هي: إذا كانت أسماءهم لم يتم ذكرها على الرغم من أنه تم ذكر جميع أسماء الملوك الكاذبين فإن هذا يرجع إلى أن دارا DARIUS قصد عدم تحديد هوية هذين الرجلين، حيث إنهما يرمزان مجازًا إلى النبلاء الذين

ساعدوه، وعلى الرغم من أننا نقر بأن ألقاب «حامل الرمح» و«حامل القوس» يمكن أن تميز أحد النبلاء عن الآخر؛إلا أن كل ما نستطيع قوله هو أن هذه الألقاب كان يمنحها الملك للنبلاء إعترافًا منه بما قدموه من خدمات، وهكذا فنحن أقرب إلى حاشية نبلاء البلاط أكثر من نبلاء العشيرة .

الستة والبروتوكول الملكي: قضية إنتافرنيس Intaphernes :

بالطبع نحن نفترض أن تصريحات دارا DARIUS لم تكن سوى دعاية ملكية، ودعونا نتحول إلى نص هيرودوت Herodotus والذي يشرح بالتفصيل في الكلمات التالية الامتيازات التي اتفق عليها المتآمرون الست بالتبادل قبل اختيار الملك من بينهم:

يسمح لأي فرد من السبعة بأن يدخل القصر دون أن يعلن عن نفسه ماعدا عندما يكون الملك في السرير مع امرأة، ولقد اتفقوا أيضًا على أن الملك لا ينبغي أن يتزوج من خارج عائلات الحلفاء السبع .

وعلى الرغم من أن هذه القصة هي غير محتملة، إلا أننا نقبل بحقيقة الاتفاق بينهم. ويجب علينا أن نعمل على توضيح هذه ما تضمنه ذلك. دعونا نؤكد قبل كل شيء على أنه إذا كان ذلك فعلاً قد حدث، فإن التخفيف في صرامة التقاليد المتبعة في البلاط الملكي لصالح السبعة لم يستمر طويلاً، وهذا هو ما نعنيه بقضية إنتافرنيس Intaphernes والتي وقعت بعد ذلك ببعض الوقت، ولا يوجد شك في أن إنتافرنيس Intaphernes كان عضوًا هامًا في المؤامرة؛ ففي الحقيقة نجد دارا DARIUS قد على رأس قائمة هؤلاء الذين يسميهم مساعديه في قتل الماجوس، ولقد كان هو الشخص الذي أظهر ولاءًا دائمًا للملك الجديد. ونحن نعرف على سبيل المثال أنه هو الذي قاد الجيش لنصر عظيم على المتمرد البابلي في نوفمبر 521 .

وعلى الرغم من ذلك يقول هيرودوت Herodotus أن الملك الجديد قد أمر بإعدام إنتافرنيس Intaphernes (هيرودوت Herodotus ، الكتاب الثالث، فقرات 118-119)، حيث أراد إنتافرنيس Intaphernes مقابلة الملك وهم بدخول القصر، وعند هذه النقطة يذكرنا هيرودوت Herodotus بأن السبعة كان بإمكانهم «زيارة الملك دون الإعلان عن أنفسهم بشرط ألا يكون في هذه اللحظة في السرير مع امرأة» وفي هذه الأثناء «أوقفه المسؤول عن حجرة نوم الملك وكان قد أخبره الحارس الموجود عند البوابة أن دارا DARIUS كان مع امرأة في هذا الوقت» وفي نوبة غضب شديدة «أضر إنتافرنيس Intaphernes بمصالحه الشخصية» ونتيجة هذه القصة التي رواها هيرودوت Herodotus على غرار إقتحام السبعة لقصر سمرديس Smerdis الملكي تقترح أن دارا DARIUS لم يكن متأكدًا بشكل كامل بعد من ترسخ سلطته: «حيث ظن أن الحلفاء الستة السابقين ربما يكونوا مشتركين معه في ذلك ولذلك فلقد أرسل لهم واحدًا تلو الآخر وسألهم عما إذا كانوا موافقين على ما فعله إنتافرنيس Intaphernes »، وعندما اقتنع بأن إنتافرنيس Intaphernes قد قام بذلك بمفرده؛ قام دارا DARIUS باتخاذ هذة الإجراءات الخطيرة: حيث حكم على إنتافرنيس Intaphernes بالموت هو وكل رجال بيته (أويكيوي) - أولاده وأقاربه (سيجينيس) ماعدا أحد أزواج أخواته والذي نجى من القتل بفضل أخته .

وتتميز القصة بسلسلة من الموضوعات الأدبية المتكررة وهكذا فهي تتحمل معنيين. فنحن ربما نقر بأن سلطة دارا DARIUS كانت لا تزال غير راسخة بسبب الامتيازات التي منحها للمتآمرين الآخرين، وبموجب البنود المعمول بها فإن الحراس كان بإمكانهم أن يرفضوا إدخال إنتافرنيس Intaphernes إلى القصر فقط إذا كان الملك مع واحدة من زوجاته. ولكن يجب أن نفكر في إحتمالية أن إنتافرنيس Intaphernes كان

يتفاخر بعدم خضوعه عندما قام بخرق القوانين الصارمة الخاصة بالبروتوكول المتبع في القصر والذي أعاد دارا DARIUS تطبيقه حتى ولو على رفاقه القدامى. وحتى بالنظر إلى الافتراض القائل بأن سلطة دارا DARIUS كانت لم تترسخ بعد، فإننا نميل إلى أن نستنتج أن الامتيازات الأولية قد ألغيت بسرعة، وفي الواقع فإنه لا يوجد نص آخر يشير إلى معافاة أشخاص محددين من النبلاء الفرس من صرامة القواعد المتبعة في القصر الملكي والتي من المحتمل أنه قد تم وضعها في عهد قورش Cyrus وقمبيز Cambyses والتي أعيد تعزيزها بعد ذلك في عهد دارا DARIUS وكسركسيس Xerxes على وجه الخصوص .

زيجات دارا DARIUS :

ومن الواضح أيضًا أن دارا DARIUS لم يعط أي اهتمام إلى الالتزام الذي يقضى بأن يتخذ زوجته من عائلات المتآمرين الآخرين:

وكانت أول السيدات التي تزوجها دارا DARIUS هم ابنتا قورش Cyrus أتوسا Atossa وأرتيستون Artystone . ولقد كانت الأولى في السابق زوجة لأخيها قمبيز Cambyses وأيضًا كانت زوجة الماجوس المدعى، أما الثانية فكانت لا تزال عذراء، وبعد ذلك تزوج دارا DARIUS من بارميس Parmys وهي إبنة سمرديس Smerdis إبن قورش Cyrus وبالإضافة لكل هؤلاء فقد تزوج أيضًا من فايديم Phaidime إبنة أوتانيس Otanes الرجل الذي فضح الماجوسي (الكتاب الثالث، فقرة 88) .

لقد كان الهدف والرسالة واضحيين: حيث ربط دارا DARIUS نفسه مباشرة بعائلة قورش Cyrus بزواجه من ابنتا قورش Cyrus أتوسا وأرتيستون (Atossa ، Artystone) وأيضًا حفيدته بارميس Parmys . وبالنسبة لزواجه من ابنة أوتانيس Otanes فإنه من الصعب أن نعتبر ذلك تنازلاً لأوتانيس Otanes ، فهذا الزواج كان قائمًا على العادة التي تقضى بأن

يتزوج الملك الجديد زوجات الملك السابق له (أتوسا وفايديم) (Phaidime، Atossa) مثلما قام سمرديس/بارديا Bardiya / Smerdis أيضًا بالزواج أتوسا Atossa ، والتي كانت الأخت الزوجة لقمبيز Cambyses . وفي الحقيقة فإن سياسة لدارا DARIUS فيما يتعلق بالزواج تشير إلى إنشغاله بالتواصل الملكي مع أسرة قورش (على الرغم من أنه كاذب) أكثر من رغبته في إستعادة الطبقة الأرستوقراطية. «لذلك فإن دارا DARIUS في الحقيقة قد دخل في روابط عائلية مع الملوك القدامى... وبذلك فإن السلطة لن تبدو أنها ذهبت إلى غريب بل ظلت في عائلة قورش Cyrus » (جوستين Justin ، الكتاب الأول، فقرات 10، 13-14) .

ومن الواضح أن دارا DARIUS قد طبق بصورة منتظمة سياسة سمحت له من ناحية أنه يربط نفسه بصورة مصطنعة بتسلسل نسب عائلة قورش Cyrus ومن ناحية أخرى قيدت عدد الأفراد الذين لديهم الحق في تولى السلطة بأن إشترطت فيهم الإنتساب المباشر إلى الأسرة الأخمينية بالمعنى الضيق للكلمة. وأخيرًا فقد تزوج أيضًا واحدة من بنات إخوانه وهي فراتاجون Phratagune إبنة أخيه أرتانيس Artanes ، والاستثناء الوحيد المعروف لهذه السياسة هو زواجه من ابنة جوبرياس Gobryas ولكن هذا حدث قبل أن يعتلي العرش، ولقد أنجب منها ثلاثة أبناء قبل أن يتولى السلطة، ولكن المناقشات التي سجلها هيرودوت Herodotus حول مسألة خلافته في الحكم تبين أنه لم يكن لديه أي نية في نقل السلطة إلى إبنه الأكبر الذي تم إنجابه نتيجة زيجته الخارجية، وكما سنرى فورًا فإن سياسة الملك الأكبر تمثلت في توزيع بناته. وهي السياسة الزيجية التي كانت تحمل معنى مضاد تمامًا للمعنى الذي نسبه إليها هيرودوت Herodotus ، ولقد اتبع خلفاء دارا DARIUS نفس هذه السياسه بالإجماع حتى عهد دارا Darius الثاني وهو الوقت الذي أصبحت العائلة المالكة في عهده منفتحة على الزيجات الخارجية .

قصة الأعمال البطولية التي قام بها أوتانيس Otanes :

إن استخدام مصطلح «السبعة» يقتصر فقـط عـلى المـؤلفين اليونـانيين الـذين أرادوا أن يحددوا هؤلاء الأشخاص في رواياتهم، وأرادوا في بعـض الحـالات أن يميـزوا بين الأشخاص الذين يحملون نفس الاسم. وفي بعض الحالات كانوا يـذكرون تقاليـد بعض الأسر التي كانت تميل إلى المبالغة في تعظيم مكانة أجدادهم، وقصة أوتانيس Otanes وعائلته تم مراجعتها وتصحيحها في الفـترة بـين القـرن الخـامس والـعصر الروماني ربما تكون توضيح لمثل هذا التشويه والخداع .

ونحن نعرف على الأقل تبعًا لمـا يقولـه هـيرودوت Herodotus أن أوتـانيس Otanes قد لعب دورًا هامًا في المؤامرة في 522 وأنه قد حصـل نتيجـة لـذلك عـلى امتيازات له ولأحفاده، وفي الحقيقة فإن هيرودوت يقول أن أوتانيس Otanes قـد رفض أن يشغل أي منصب ذو سلطة بشرط أن لا يخضع هو أو أحفـاده إلى سـلطة من سيصبح الملك وإلى الأبد، وبالإشارة لذلك الموقف كتب هيرودوت Herodotus

حتى هذا اليوم فإن عائلـة أوتـانيس Otanes لا تـزال هـي العائلـة الوحيـدة الحـرة (إلـويثري) في فـارس، وحتـى الآن فـإنهم يخضـعون للملـك بالطريقـة التـي يختارها أعضائها فقط: ولكنهم ملتزمين بمراعاة القانون (نومـوس) مثـل أي شـخص آخر. ولقد ناقش الست الآخرون بعد ذلك الطريقـة الأعـدل لاختيـار مـن سـيعتلي العرش، ولقد اتفقوا على أنه لو اعتلى أي واحد منهم العرش فإن أوتانيس Otanes ومن هم من نسله سوف يتسلمون كل عام بدلة من الملابس الميدية وهدايا أخـرى ينظر إليها الفرس على أنها قيمة تقديرًا للدور الذي لعبه في المؤامرة ضد المـاجوسي والذي كان أوتانيس Otanes هو المحرك الأساسي والمنظم الرئيسي لها.

وبعد ذلك روت لنا أسـطورة بـلاط كبادوكيـا أصـول العائلـة والأسرة الحاكمـة بهذه الطريقة:

يقـول ملـوك إقلـيم كبادوكيـا Cappadocia أنـه نسـبهم يعـود إلى قـورش Cyrus الفارسي، ويؤكدون أيضًا على أنهم ينحدرون من واحد مـن الفـرس السـبعة الذين تخلصوا من الماجوس، والآن وفـيما يتعلـق بصـلتهم بقـورش Cyrus فـإنهم يذكرون الآتى: إن قمبيـز Cambyses أبـو قـورش Cyrus كـان لـه أخـت مـن زواج شرعي وهـي أتوسـا Atossa . ولقـد تزوجـت مـن فارناسـيس Pharnaces ملـك كبادوكيـا وأنجبـت لـه ابـن وهـو «جـالوس» Gallus والـذي أنجـب سـمرديس Smerdis ، وأنجب سمرديس Smerdis كل مـن ارتـامنيس Artamnes وأنافـاس Anaphas ولقد كان أنافاس Anaphas هذا ذو شجاعة وجسارة غير عادية وكـان أيضًا واحدًا من الفرس السبعة. وهذه هي سلسـلة النسـب التـي تـربطهم بقـورش Cyrus وبأنافاس Anaphas والـذي حصـل عـلى حكـم مرزبانيـة كبادوكيـا بفضـل جراءته وشجاعته ومنح إمتيازًا بأنه لا يـدفع أي جزيـة للفـرس وبعـد وفاتـه تقلـد الحكـم ابـن لـه نفـس الاسـم، وعنـدما مـات تـرك ولـدين داتـاميس Datames وأريمنيوس Arimnaeus . ولقد خلف داتاميس Datamos والده على العرش، وهو رجل نال الثناء لما أبداه مـن تميـز في وقـت الحـرب وفي جميـع جوانـب الواجبـات الملكية الأخـرى والـذي إشـتبك مـع الفـرس في معركـة وقاتـل بشـجاعة حتـى قتـل وإنتقلت المملكـة إلى ابنـة أريـامنيس Ariamnes والـذي كـان لديـه ولـدين هـما أريارثيس Ariarathes وهولـوفيرنيس Holophernes . ولقـد حكـم أريـامنيس لمـدة 50 عـام ومـات بـدون أن يحقـق أي شيء يسـتحق الـذكر ثـم إنتقلـت السـلطة إلى أريارثيس الأول Ariarthes أكبر ولديه والذي قيل عنه أنه أحب أخيه حبًا فـاق الحـد وقـد العديـد مـن المناصـب البـارزة: ثـم أُرسـل إلى مسـاعدة الفـرس في حـربهم ضـد المصريين ورجع بالأوسمة والتشريفات التي منحه إياها ملك الفرس أوخـوس Ochus تقـديرًا لشـجاعته. ومـات في وطنـه الأصـلي تاركًـا ولـدين أريـارثيس Ariarathes

وأريسيس Aryses والآن لأن أخيه ملك كبادوكيا لم يكن لديه ذرية شرعية فقد تبنى أريارثيس Ariarthes وهو الابن الأكبر لأخيه. وفي هذا الوقت قام الاسكندر المقدوني بقهر وهزيمة الفرس ثم مات. ولقد قام بيرديكاس Perdiccas الذي كان يشغل منصب القائد الأعلى بإرسال يومينيس Eumenes ليكون قائدًا عسكريًا على كبادوكيا. وقد هُزم أريارثيس الأول Ariarthes وقتل في المعركة وقد وقعت كبادوكيا والأقاليم المجاورة لهما في أيدى المقدونيين .

وقد تتبع ديودورس Diodorus تاريخ الأسرة الحاكمة حتى العصر الروماني وقدا استنتج قائلاً: «وهذا يكفي بالنسبة لملوك كبادوكيا الذين يرجع أصلهم إلى قورش Cyrus »، ومن ثم فإننا يمكننا أن نرى أن هذه الرواية كانت موثقة بشكل جيد في عهد ديودورس Diodorus . وقد تعرفنا فيها على العديد من الشخصيات التاريخية بداية من عهد قمبيز Cambyses أبو قورش Cyrus حتى ديادوقي Diadochi ومن بعده بما فيهم داتاميس Datames المرزبان المجرم الذي تم درجه ضمن تسلسل النسب هذا. ولقد حظى تسلسل النسب هذا بنجاح كبير حيث قام هولوفيرنيس Holophernes بتوثيقه وتقديم الأدلة عليه في كتاب جوديث Judith .

ومهما كانت الحقيقة التاريخية فإن هذه الرواية عن تسلسل نسب العائلة قد إستغلتها ووظفتها لمصلحتها: حيث تم وصف قورش Cyrus بأنه جد العائلة وأن أوتانيس Otanes (أنافاس) (Anaphas) كان من نسل أحد ملوك كبادوكيا، وخالة قورش Cyrus أتوسا Atossa (التي تم الخلط سواء عن عمد أو لا بينها وبين بنت قورش Cyrus وأخت قمبيز الثاني Cambyses . وفي حين أن مؤرخ للرواية الشفهية عن تاريخ هذه الأسرة قد يستفيد من هذا النص إلا أن الشخص المهتم بأصول ومصير الستة/السبعة لن يستطيع الاستفادة منها. ولقد كانت إسطورة البلاط معرفة

بالفعل في وقت بوليبيوس Polybius والذي كتب عن مثراداتـيس Mithradates حاكم بونتوس Pontus قائلاً: «أنه كان يتفاخر بأنه ينحدر من واحـد مـن الفـرس السبعة الذين قتلوا الماجوس وادعى بأن نسله قد إحتفظ منذ ذلك الوقـت بحكـم هذه المنطقة والتي كان قد حصل عليها جده في الأساس من دارا DARIUS » وفي مكان آخر يقدم لنا بوليبيوس Polybius تفاصيل أخرى عن هذه الأسـطورة، ففـي إستطراد خصصه للحديث عن كبادوكيا ذكر أن شخصًا فارسيًّا غير معروف اسمه قد قام بعمل رائع أثناء صيده مـع أرتاكسركسـيس الثـاني Artaxerxes حيـث هـاجم أسد حصان الملك ولحسن الحظ فإن هذا الفارسي قد تمكن من قتل الأسـد «وأنقـذ حياة الملك من خطر عظيم»، ومقابل ذلك فقد أعطاه الملك هديه (دوريـا) تتمثـل في كل الأراضي التي يمكن أن يراهـا نظـرة عنـدما يقـف عـلى جبـل مرتفـع، وهـذه القصة تكرر موضوعات أدبية مشهورة جدًّا وخصوصًا صـيد الملـك للأسـود. وتشـبه هذه القصة قصة ديودوراس Diodorus عن عمل تيريبازوس Tiribazus في بلاط أرتاكسركسـيس الثـاني Artaxerxes والنتيجـة البائسـة لفعـل مماثـل لهـذا الفعـل والـذي قـام بـه ميجـابيزوس Megabyzus لينقـذ حيـاة أرتاكسركسـيس الأول Artaxerxes . ووبمكننا أن نفس هذه الحالة المتمثلة في تخصيص الأرض لمن يقـوم بأعمال بطولية أشكال متعددة في التقليد اليوناني والفارسي. ولكن هذا التقليد هـو أقدم من ذلك بكثير، حيث يذكر ديودورس Diodorus والذي قد اعتمد بـلا شـك عـلى هيرونيمـوس Hieronymus حـاكم كارديـا Cardia (والـذي كـان معـاصرًا لـديادوكي Diadochi) أن مثراداتـيس Mithradates الـذي حكـم كبادوكيـا عـلى الرغم من معارضة انتيجونوس Antigonus كان ينحدر من نسل واحد من الفرس السـبعة الـذين ذبحـوا المـاجوس وقـد سـمع أبيـان Appian أن مثراداتـيس Mithradates كان متصلاً بالعائلة المالكة الفارسية».

ونحن نعرف أن أوتانيس Otanes والذي كان واحدًا من السبعة قد قاد غـزو ساموس Samos في بداية عهد حكم دارا DARIUS ، ولكـن هـيرودوت لم يـذكر شيء عن حصوله على أراضي في كبادوكيا حيث إنه يؤكد مرارًا على أن أسرة أوتانيس Otanes بقيت حرة وأن أوتانيس Otanes كان يتسلم كل عام رداء ميـدي وهـدايا أخرى يقدرها الفرس كدليل على التشريف. كما أن إستقرارعائلة أوتانيس Otanes في كبادوكيا يُستدل عليه من خلال الأسطورة (والتي سجلها بكلـمات مختلفـة) كـل مـن ديـودورس Diodorus وبوليبيـوس Polybius . وهـذه الإفـتراض (والـذي لا يمكن أن يكون سوى ذلك) قائم على المقارنة مع أمثلة أخرى من تقـديم إمتيـازات في صورة أراضي لبعض الأشخاص «بدون الاضطرار لدفع جزية» مثل: الامتيـاز الـذي قدمه قورش Cyrus إلى بارديا Bardyia ، وذلك الـذي قدمـه دارا DARIUS إلى زوبــيروس الأول Zopyrus ، والامتيــاز الــذي قدمـــه أرباســـيس Arbaces الي بيليسيس Belesys . وعلى أي حال فإنه ولأسباب عديدة نجد أن الحالتين الأخيرتين مشكوك في صحتهم تاريخيًّا إلى حد ما. فنحن نعرف أخيراً أنه في عام 515-514 كان مرزبان كبادوكيا يسمى أريـارامنيس Ariaramnes وأنـه هـو مـن عهـد إليـه دارا DARIUS في البداية بقيادة الحملة ضد سكان سكيثيا. هـل يجـب أن ننظـر إليـه على أنه أحد أبناء أوتانيس Otanes الذي سماه ديودورس Diodorus أريمنيـوس Arimnaeus ؟ ولكن ديودورس Diodorus حدد أنه عند وفاة أوتانيس Otanes إنتقل الحكم إلى إبنه الآخر المسمى داتاميس Datames .

ويظهر من كل هذا أنه لا يوجد مـا يـبرهن عـلى أن أوتـانيس Otanes قد حصل على حكم كبادوكيا من دارا DARIUS وهنـاك أدلـة أقـل لـدعم فكرة أن دارا DARIUS وافـق عـلى وجـود مملكـة مسـتقلة. ومـن ناحيـة أخرى فإنه من المحتمل أن يكون قد كوفئ بالهدية كما تم توضـيح ذلـك في

الرواية التي ذكرها بوليبيوس Polybius ولكن تكرار فكرة الصيد تجعلنا في شك. ومن المحتمل أن أسطورة السيادة على كبادوكيا قد قد تم نسجها حول القصة الأصلية، وبعد كل شيء فإن هذا لن يكون هو المثال الوحيد على سلاسل النسب الهيلينية التي تم نسجها بشكل مصطنع حول أحداث عام 522. ومهما كان الحال فإنه يبدو أن إستغلال الروايات التقليدية والتلاعب بها قد بدأ بالفعل في عصر هيرودوت Herodotus حيث قدم أوتانيس Otanes على أنه «ابن فارناسبيس Pharnaspes » وأنه أبو كاساندانى Cassandane التي هي أم قمبيز Cambyses . وفي الحقيقة فإن النقوش الموجودة في بيهستون Behistun قد برهنت على أن معلومات هيرودوت Herodotus مختلقة لأن اسم والد أوتانيس Otanes هو ثوكرا Thukra ، ومن المحتمل أن هذا التشويه الأصلي للمعلومات في رواية هيرودوت Herodotus كان المسؤول عن تأكيد ديودورس Diodorus على وجود روابط أسرية قوية بين عائلات أوتانيس Otanes وقورش Cyrus .

وإنه لمن الصحيح أنه طبقًا لستيسياس Ctesias فإن كسركسيس Xerxes قد تزوج أمستريس Amestris والتي تم تقديمها على أنها ابنة أونوفاس Onophas ولكن هل أونوفاس Onophas هو أوتانيس Otanes ؟ إن هذا يبدو افتراضًا كليًا. وفي حالة واحدة ميز هيرودوت Herodotus بين أسماء أوتانيس Otanes وأونوفاس Onophas ، وحتى لو اتفقنا أن شخص واحد إسمه اوتانيس Otanes هو الذي يدور حوله الحيث هنا، فإننا يجب أن نؤكد على أن هذا الاسم كان شائع جدًا، وقد ذكر هيرودوت Herodotus أن شخصًا إسمه أوتانيس Otanes والذي كان أبو أمستريس Amestris قام بقيادة إحدى الفرق الفارسية في عام 480 ولكنه وضع في القائمة العديد من الأشخاص الآخرون أيضًا، وكان أحدهم هو ابن سيسامنيس Sisamnes ، ولقد كان واحد آخر منهم (أو نفس الشخص

الأول) كان متزوجًا من واحدة من بنات دارا DARIUS والثالث كان هو والد أنافيس Anaphes وآخر هو أبو سمردومينيس Smerdomenes وشخص آخر هو والد باتيرامفيس Patiramphes . وسوف يكون من الغريب جدًّا أن يقبل دارا DARIUS بزواج إبنه كسركسيس Xerxes من إبنة أوتانيس الذي إشترك في مؤامرة عام 522، حيث إن الرابطة الوحيدة الأكيدة بين العائلتين هي زواج دارا DARIUS من فاديم Phaidime بنت أوتانيس Otanes والزوجة السابقة لقمبيز Cambyses وبارديا Bardyia . ولم يكن لهذا الزواج أي تشعبات سياسية فيما يتصل بالزواج المفترض بين كسركسيس Xerxes وبنت أوتانيس Otanes . حيث إنه بزواج كسركسيس Xerxes من بنت أوتانيس Otanes كان هذا سيعطى حقوق لأي حفيد من أحفاد أوتانيس Otanes للمطالبة بالسلطة (بينما رفض دارا DARIUS إعطاء هذه الحقوق لأحفاد جوبرياس Gobryas) ، وبالإضافة لهذا فإنه إذا كانت أمستريس Amestris هي بنت واحد من السبعة لكان هيرودوت Herodotus قد ذكر ذلك بالتأكيد لأنه يذكر بشكل متكررً مثل هذه الروابط الأسرية .

عائلة جوبرياس Gobryas :

دعونا الآن نتحول إلى جوبرياس Gobryas . لقد رأينا أنه قد لعب دورًا جوهريًّا في المؤامرة وطبقًا لهيرودوت Herodotus فإن جوبرياس Gobryas كان الداعم الأقوى لدارا DARIUS ، ونحن نعرف أيضًا أن تحالفه مع دارا DARIUS كان طويل المدى حيث إن تبادل الزوجات قد حدث بين الأسرتين قبل 522 وأن زوجة دارا DARIUS الأولى كانت إحدى بنات جوبرياس Gobryas ومن هذه الزيجة رزق دارا بثلاث أولاد منهم أرتوبارزانيس Artobarzanes . أما من ناحية جوبرياس Gobryas فقد تزوج إحدى أخوات دارا DARIUS ومن هذا الزواج وُلد ماردونيوس Mardonius وأرابيجنيس Arabignes . ولقد لعب

جوبرياس Gobryas دورًا أثناء ثورات الشعوب الخاضعة للحكم الفارسي. حيث تم إرساله منذ عام 520 لإخماد الثورة الإيلامية الجديدة وقد ظهر مرة ثانية في عام 513 في الحاشية المباشرة للملك الأكبر في سكيثيا ولقد نصح الملك بالإنسحاب .

وقد اختفى من المصادر القديمة ثم عاود الظهور في وثائق بيرسبولس في فبراير - مارس 498، حيث قام بإذن من الملك باستخدام الطريق الملكي بين صوصا وبرسيبولس وأخذ إمدادات السفر في محطتين قرب صوصا. ولقد إنضمت قافلته (أو مرت) بقافلة أخرى، وقد ذكرت الوثيقة أن «زوجة ماردونيوس Mardonius هي بنت الملك»، وبالمصادفة فإن هذا يتفق مع رواية هيرودوت Herodotus والذي قال أن ماردونيوس Mardonius ابن جوبرياس Gobryas وإبن واحدة من أخوات دارا DARIUS وصل إلى آسيا الصغرى عام 493 ليتولى القيادة، ولقد تزوج من أرتوزوسترا Artozostra وهي إحدى بنات دارا DARIUS وبذلك أصبح ابن عمة وصهر كسركسيس Xerxes ، وبعد حملته في طراقيا يبدو أن ماردونيوس Mardonius قد فقد رضى وتعاطف الملك، ولم يشارك مطلقًا في حملة عام 490، وبعد ذلك تقلد منصبًا رفيعًا يقربه من كسركسيس Xerxes ، ويحكم هيرودوت Herodotus عليه بقسوة، وقد لقى ماردونيوس Mardonius حتفه في معركة بلاتيا، ولم نسمع أي شيء عن عائلة ماردونيوس Mardonius بعد هذا الحدث .

ويتضح لنا مدى المودة والاستمرارية في الروابط الأسرية بين العائلتين من خلال الحظوة المستمرة التي إحتفظ بها جوبرياس Gobryas في عيون الملك دارا DARIUS والتي حصل عليها فيما بعد إبنه ماردونيوس Mardonius لدى كسركسيس Xerxes . والكميات الاستثنائية من إمدادات السفر التي حصل عليها جوبرياس Gobryas توضح منزلته الرفيعة في البلاط الملكي وهو ما يتضح لنا أيضًا من الطبيعة المفصلة

للختم المطبوع على أحد ألـواح برسـيبولس. ولكـن مشـاركته في مـؤامرة السـبعة لا يبدو أنها تعطيه أي حريات أكثر من الالإمتيازات التي تـم تقـديمها لعائلتـه، ولقـد كانت هذه المكانة راجعة إلى تحالفات زوجية عقدت قبل عام 522 وخصوصًا أيضًا لإخلاصه الثابت للملك. واختيار دارا DARIUS لكسركسـيس Xerxes (إبنـه مـن أتوسـا) Atossa عـلى حسـاب أرتوبـارزانيس Artobarzanes (ابنــه مــن بنــت جوبرياس) لكي يخلفه في الحكم يظهر أن تبادل الزوجات لم يكن سـوى في مصـلحة دارا Darius .

قصة الأعمال البطولية لأسرة ميجابيزوس Magabyzus

إن ميجابيزوس الأول Magbyzus هو الأكثر شهرة من بين المتآمرين الآخـرين لأن هيرودوت Herodotus وستيسـياس Ctesias قـد قامـا بسرد قصـص عائلتـه، وتبعًا لهيرودوت Herodotus فلقد حقق ابنة زوبيروس الأول Zopyrus تحولاً في ميزان القوى عندما إستولى على بابل تحت اسم دارا Darius . وربما نفصـل روايـة ستيسياس Ctesias : «فلقد ارجع النصر إلى ابنة ميجابيزوس Megabyzus الثـاني الذي تزوج من أميتيس Amytis ابنة كسركسيس Xerxes ولقد أنجب منها ثلاث أولاد هــم: زوبـيروس الثــاني Zopyrus وأرتيفيــوس Artyphius وأرتوكســاريس Artoxares ، وتحليل الفترة التي قضاها ميجابيزوس Megabyzus في خدمـة كـل من كسركسيس وأرتاكسركسيس يشير إلى أنه عـلى الـرغم مـن سـمو نسـبه وبعـض النجاحات التي حققها إلا أنه تم طـرده مـن حظـوة الملـك لعـدة أعـوام، ولم يكـن أولاده أفضل حالاً منه حيث إنه بعد وفاة الوالد قـام الابـن الأكـبر زوبـيروس الثـاني Zopyrus بترك الملك والذهاب إلى أثينا أما الابن الثاني أرتيفيوس Artyphius فقد أُعدم بعد ثورة فاشلة ضد دارا DARIUS الثـاني. وهـذا السـلوك مـن الاثنـين إنمـا يشير إلى أن المصالحة بين ميجابيزوس Megabyzus وأرتاكسركسيس Artaxerxes التي وصفها ستيسياس Ctesias لم تزيل سوء النية المتبادل بين العائلتين .

هيدارنيس Hydarnes :

ليس لدينا أي إشارة واضحة لهيدارنيس Hydarnes بعد عام 520، ولكن تشهد بعض ألواح برسيبولس على أنه كان مرزبان ميديا في عهد دارا DARIUS ومن الممكن أن ابن هيدارنيس Hydarnes إبن هيدارنيس Hydarnes الذي قاد فرقة الخالدين في حملة عام 480 كان هو ابن المتآمر الذي إشترك في مؤامرة عام 522 وربما تكون هذه هي الحال أيضًا بالنسبة لسيسامنيس Sisamnes ابن هيدارنيس Hydarnes ، ولكن العلاقة بين المرزبان تيسافرنيس Tissaphernes وهذه الأسرة يجب أن تظل مجرد إفتراضات، وتعاود أسرة هيدارنيس Hydarnes الظهور بعد تولي دارا DARIUS الثاني السلطة ولكن هل هو نفس الشخص؟ وهذا الأمر غير مؤكد إلى حد بعيد، وعلى أي حال فإن قصة هذه العائلة أدت إلى ظهور أسطورة البلاط في العصر الهيليني، وفي الواقع فلقد ذكر سترابو Strabo أن الأسرة الحاكمة في أرمينيا كانت تنحدر من أورونتيس Orontes والذي كان ينحدر نفسه من هيدارنيس Hydarnes «أحد السبعة»، ولكننا نعرف أن الروابط بين أورونتيس Orontes والعائلة الأخمينية المالكة ترجع في الواقع فقط إلى زواجه من بنت أرتاكسركسيس الثاني ArtaxerxesII مما يعني أن أحفاده يمكن أن يعدوا دارا DARIUS من بين أجدادهم في نيمرود داغ Nemrud-Dagh . ويثبت هذا المثال مرة أخرى أن القصص المتداولة عن عائلات السبعة قد تم استخدمها فيما بعد بشكل منتظم لإضفاء الشرعية على تولى أحد الأسر للسلطة .

ملخص المناقشة:

مما سبق يتضح لنا أن الملك الأكبر لم يقم بمنح أي من عائلات السبعة مكانة استثنائية بشكل دائم، حتى ولو قبلنا الافتراض القائل بأن بارديا/ جوماتا Gaumata/Bardiya قد سعى إلى إضعاف بعض عائلات النبلاء إلا أننا لا يجب أن نستنتج من ذلك أن الطبقة الأرستقراطية قد

إستعادت مكانتها السابقة عندما تم إزاحته من السلطة، وإفتراض أن بعض شيوخ العشائر كانوا يأملون ولو للحظة في موازنة قوى الملك هو افتراض مع أنه لا توجد عليه أدلة كافية إلا أنه ممكن. ونحن لا نزال نحتاج إلى تفسير كيف أن أوتانيس Otanes قد انسحب بهذه الدرجة من حسن النية. ولقد حاول واحد فقط من السبع هو إنتافرنيس Intaphernes أن يحرر نفسه من سلطة الملك، ولكن محاولته باءت بالفشل لأن دارا DARIUS كان قد حقق في هذه الأثناء إنتصارات باهرة وكان قادرًا على إجتذاب وفاء النبلاء الفرس. وقد أظهر دارا DARIUS مقدرة استثنائية على تولى السلطة والقيادة والتي يبدو أنه لم يكن هناك أحد من بين رفاقه الآخرين من ينافسه فيها.

وفي حين حصل بعض أحفاد السبعة على تكريمات وامتيازات الخاصة، إلا أنها لم تكن مختلفة بشكل أساسي عن التكريمات والامتيازات التي مُنحت لعائلات النبلاء الآخرين. ولقد عبر بلوتارخ Plutarch عن هذه الحقيقة: «بالنسبة للفرس السبعة الذين قتلوا الماجوس فقد منحوا امتياز هم وأحفادهم يتمثل في وضعهم لغطاء للرأس مائل للأمام على جباهم، لأن هذه كانت على ما يبدو هي إشارتهم السرية عندما شرعوا في تنفيذ مخططهم». ولقد عبر بوليانوس Polyaenus عن ذلك هو الآخر. وهذا التمييز والذي وجد بلوتارك Plutarch إشارة إليه ضمن أدلته كان مجرد هدية ملكية بسيطة والتي لم تكن ملزمة للملك على الإطلاق بل على العكس زادت من إعتمادهم عليه، ومن المحتمل أن هذا هو السبب في أن جوبرياس Gobryas وأسباثينيس Aspathines يظهران وهم يحملان أسلحة الملك على مقبرة ناقسى روستام Naqs-i Rustam : فلقد تم دمجهم في التسلسل الهرمي للمكانات داخل البلاط الملكي .

وأخيرًا فإن عبارة «العائلات السبع» بعد 520 هي في جانب كبير منها عبارة مضللة (يجب أن نتحدث عن العائلات الست بعد قتل

إنتافرنيس Intaphernes وجميع أهله). ويتعلق هذا الرمز بشكل أكبر بالقصص المتداولة حول عائلات الستة أكثر من كونها تتعلق بقصص عن أسر حاكمة والتي تميل على العكس من ذلك إلى حد ما إلى التعتيم على وإغفال ذكر هؤلاء الذين شاركوا في المؤامرة التي أوصلت دارا DARIUS إلى السلطة، وحتى إذا كانت عشيرة الأخمينيين جزءًا من المؤامرة، فلقد قام دارا DARIUS بوضع عائلته نفسها في منزلة أعلى من هذه الدائرة الصغيرة من النبلاء. ولقد كانت هذه طريقة أخرى لاستبعاد الأرستقراطيين الذين ساعدوا دارا DARIUS من المنافسة على الحكم.

5- الملخص والمنظورات المختلفة:

أساس جديد للإمبراطورية:

إن الطرق والأساليب التي تمكن بها دارا DARIUS من الوصول للسلطة- بقدر ما نستطيع إعادة تجميعها - تشهد على صرامة وحيوية هذا الملك الجديد. فلا يمكن أن ننكر أن دارا DARIUS كان ذا شخصية استثنائية، ولكنه أثبت أيضًا بأن لديه المقدرة التنظيمية. ففي نفس الوقت الذي كان يعيد فيه ترتيب نظام الجزية بالكامل، كان يقوم بتنفيذ مشاريع أخرى في أقاليم متنوعة: إنشاء عواصم جديدة، وغزو ساموس، والحملات الإستكشافية من نهر الإندوس Indus إلى نهر النيل. وفي عام 518 كلف الملك المرزبان أرياندس Aryandes بالاجتماع بحكماء المصريين لجمع «القوانين المصرية» ولقد تم إتخاذ إجراءات أخرى تتعلق بالقدس في نفس هذا الوقت، والشيء الذي يبهرنا هو العناية التي خطط بها الملك لمشاريعه على المدى البعيد، ولقد أراد دارا DARIUS قبل كل شيء أن ينشيء سلالة حاكمة جديدة تمتد من نسله وحده. وللوصول إلى هذه الغاية إستغل ظروف الأسرة الحاكمة السابقة بقدر كبير من المهارة. وإعادة التعريف الذي قدمه لكلمة الأخميني Achaemenid سمح

له بأن يستثني ويستبعد هؤلاء الذين ينتمون إلى العشيرة التي تحمل نفس الاسم من سلسلة نسبه. ومن ثم فلقد إنتقلت السلطة من الأب إلى الابن في عائلة واحدة محدودة والتي وضعت تحت عناية وحماية البطل المؤسس الجديد أخمينيس، وقد تمكن دارا DARIUS ومستشاريه من القيام بعملية إعادة تفكير أيديولوجية وسياسية والتي لم تكن أقل إبهارًا، فمنذ البداية رأينا أن الملك كان منشغلاً بعمل قاعدة وأساس إيديولوجي لحكمه ولسلالته الحاكمة. ونجد أنه بداية من أواخر العقد الثامن من القرن السادس ق.م تم الإعلان عن الأيديولوجية الملكية الأخمينية إعتمادًا على قواعد وتبريرات تم فيها المزج بين الدين والسياسة في كل واحد يندر حدوثه. ومن ثم فإن سلطة الملك وحقوق عائلته كانت تحت حماية من أهورا مازدا Ahura-mazda الذي تم التضرع إليه على أنه الإله الأعظم للملك وللإمبراطورية. كما أن مفهوم أرتا Arta (الحقيقة) وعلاقته بالمعنى المتناقض له وهو دروجا Drauga (الكذب) هو المحور الحقيقي لأيديولوجيته، وهذا هو البرنامج الذي تم العمل به في المساكن الجديدة في صوصا وبرسيبولس كما هو في المقبرة الملكي في ناقسى-روستام Naqs-i Rustam .

وبدون أن ننتقص من قدر الإنجازات التي حققها الملوك السابقين له، إلا أننا نؤكد على أن قدوم دارا DARIUS إلى السلطة يمثل أساس نظام إمبراطورى وملكي جديد. حيث إن السنوات الأولى من حكمه بالتأكيد كانت فترة حاسمة في التاريخ الأخميني. ولكن في نفس الوقت اهتم دارا DARIUS بتعزيز حكمه على المدى الطويل، فالمشاريع التي شرع دارا DARIUS في تنفيذها في باسارجاداى Pasargadae هي دليل آخر على طموحه المتمثل في وضع التحول الكبير الذي أحدثه في سياق التاريخ الفارسي. وعلى النقيض مما كان معتقدًا لفترة طويلة فإن دارا DARIUS لم يسعى أبدًا إلى الإساءة إلى ذكرى مؤسس

الإمبراطورية. بل على العكس فقد نوى أن يكثف من دعايته الماهرة في باسارجاداى Pasargadae والتي ستسمح له بإنشاء صلة مصطنعة مع قورش Cyrus تمامًا كـما فعل في سياسته الزيجية .

التزامن واختلاف الزمن:

يجب أن أذكر بصورة عابرة بأن نشاط دارا DARIUS توجد شواهد عليـه في مجالات عديدة وفي مناطق عديدة. ولكن من المستحيل أن نقدم قصة متصلة حول ذلك بداية من عام 520 وحتى 486. ولقد وجدت نفسي منقاداً نحو تحليل كل غزو نـاجح للملـك الجديـد بصـورة مفـردة لأن هـذه الفتوحـات هـي التـي سـمحت للإمبراطورية الأخمينية أن تحقـق هـذا الامتـداد العظـيم. والجوانـب الأخـرى مـن إنجازاته الواسعة سوف يـتم تناولهـا في الفصـول مـن 5 - 12 الخاصـة بإنجازاتـه في الأقاليم، وهذه الدراسة سوف تساعدنا بصورة أفضل أن نعرف بالكامل كيف كانت الإمبراطورية عند وفاة الملك الأعظم وأيضًا سوف يؤدي ذلـك إلى أن نعـرف بصـورة جيدة الإنجازات الخاصة بكسركسيس Xerxes (فصل 13) .

الفصل الرابع

دار DARIUS الفاتح (496-520)

1- مواصلة التوسع الإقليمي (513-520):

لم يألُ دارا DARIUS جهدًا في مواصلة توسيع حدود إمبراطوريته، ومما لا شك فيه أنه بعد الفتوحات التي قام بها قورش Cyrus ، وحتى بعد الاستيلاء على مصر، كان الفرس يرغبون في توسيع ملكهم من القارة الآسيوية إلى جزء بحر إيجه، وفي هذا السياق -وعلى سبيل المثال- فإن هجوم أوروتيس OROETES على بوليكراتيس POLYCRATES حاكم جزيرة ساموس كان لا يتعارض مع أهداف الحكومة المركزية -سواء المعلنة أو الخفية- ولا توجد لدينا معلومات كافية عن بلاد آسيا الصغرى في الفترة ما بين إعدام أوروتيس OROETES حاكم سارديس SARDIS 522-520)) ، وأول هجوم مباشر يشنه دارا DARIUS على أوروبا عام 513، ونحن ندين لهيرودوت HERODOTUS بسبب التوضيحات العديدة التي قدمها حول السياسة التي اتبعها دارا DARIUS في بحر إيجة في البدايات الأولى لحكمه، ولسوء الحظ فإن ملاحظات هيرودوت HERODOTUS لا تزيد عن كونها مجرد قصة فرعية، والتي كما يمكن أن نقول تأتي في صورة سرد طويل نسبيًا ولكنه غير علمي لمغامرات ديموسيديس DEMOCEDES ، وهو طبيب من مدينة كروتون في إيطاليا،

والـذي قـام الفـرس بـأسره عنـدما قتـل أوروتـيس OROETES بـوليكراتيس POLYCRATES حاكم الولاية جزيرة ساموس، وبعـد أن تـم إحضـاره إلى الـبلاط الملكي بعد إعدام ذلك المرزبان الشرير، أصبح ديموسيديس DEMOCEDES أحـد المفضلين عند دارا DARIUS : «فلقد عاش في بيت كبير في صوصا SUSA ، وكان يتناول الطعام على مائدة الملك» (III.132) .

ولقد كان على ود أيضًا مع إحدى زوجات الملك، وهي أتوسا ATOSSA ابنـة قورش Cyrus ، والتي يحاول هيرودوت HERODOTUS أن يضفي عليها وضعًا سياسيًّا غير عادي، فبإلحاح من أتوسا ATOSSA أعلن دارا DARIUS عن رغبته في غزو بلاد اليونان، ولكن قبل شـن هـذه الحملـة قـرر دارا DARIUS أن يرسـل بعثة استطلاعية تحت توجيه ديموسيديس DEMOCEDES : «ولقـد طلـب منـه دارا DARIUS أن يقـدم لهـذه الفرقـة الاستكشـافية كـل مـا تحتـاج إليـه مـن المعلومات والإرشادات، وأن يعود بعد ذلك إلى بلاد فارس» (III.135) .

ولقد انطلقت هذه الفرقة الفارسية من صيدا، وقامت «بإعداد تقارير مكتوبة عن نتائج المسح الدقيق الذي أجرته لمعظم المعالم المشهورة على السـاحل اليونـاني، ولقد وصلوا في النهاية إلى تارنتوم» (III.137) .

ثـم يخبرنـا هـيرودوت HERODOTUS كيـف أن هـؤلاء الفـرس فقـدوا مرشدهم، وتحولوا إلى عبيد في ياباجيا في إيطاليا، والتي كانت تسيطر عليها اليونان آنذاك، وذلك قبل أن تتم إعادتهم إلى دارا DARIUS بواسطة جيلوس GILLUS ، الذي كان طريدًا للعدالة من تارنتوم، ثـم يسـتنتج هـيرودوت HERODOTUS أن هـؤلاء الفـرس كـانوا أول مـن قـدم عـلى الإطـلاق مـن آسـيا إلى بـلاد اليونـان» (III.138) .

ومــن الصــعب أن نفصــل التــاريخ عــن الأســطورة في روايــة هيرودوت HERODOTUS ، ففي الأساس المنطقي الذي يقوم عليه

منظوره كان لقصة ديموسيديس DEMOCEDES هذه غرض معين، وهو توضيح أن الإمبراطورية الفارسية واليونانيين قد تعارفوا على بعضهم البعض قبل بداية الحروب الفارسية، وأنه ومنذ وقت مبكر كانت لدى دارا DARIUS أفكار حول القيام بفتوحات في الغرب .

دارا DARIUS ، سيلوسون SYLOSON ، وجزيرة ساموس:

بعد أن قام هيرودوت HERODOTUS برواية مغامرات ديموسيديس DEMOCEDES ، نجده يبدأ استطرادًا جديدًا بهذه الكلمات: «لقد أعقب هذه الأحداث قيام الفرس بالاستيلاء على جزيرة ساموس» (III.139) .

والسياق التاريخي المحتمل يجعلنا نعتقد أن دارا DARIUS قد قام باتخاذ قراره هذا بعد اعتلائه العرش بوقت قصير (520-519؟)، وعلى الرغم من ذلك، وكما عودنا هيرودوت HERODOTUS دائمًا، فإن الأسباب التي نعتبرها مهمة للحدث التاريخي نجده يعرضها في صورة قصة شخصية .

ولقد قام أحد إخوة بوليكراتيس POLYCRATES ، والمسمى سيلوسون SYLOSON بالمشاركة في غزو مصر، وحدث خلال هذه الغزوة أن أصبح دارا DARIUS مدينًا لسيلوسون SYLOSON بصنيع، حيث قام سيلوسون SYLOSON بتقديم رداء إلى دارا DARIUS كهدية، وعقب اعتلاء دارا DARIUS العرش قدم سيلوسون SYLOSON نفسه عند أبواب القصر الملكي مؤكدًا مكانته «كمحسن» إلى الملك، وهو المصطلح الذي كان يشمل كل شخص يحق له لأسباب معترف بها رسميًا أن يطلب صنيعًا من الملك (راجع فصل 8-1)، ولقد استأذن الملك في استرداد جزيرة ساموس التي كانت منذ وفاة بوليكراتيس POLYCRATES تحت سيطرة مندريوس MAEANDRIUS بن

منـــدريوس MAEANDRIUS «وهـــو الرجـــل الـــذي كلفـــه بـــوليكراتس POLYCRATES عند مغادرته الجزيرة بأن يتولى القيام بمهامه» (III.139-142) .

«ولقـد وافـق دارا DARIUS عـلى طلـب سيلوسـون SYLOSON ، وقـام بإرسال قوة تحت قيادة أوتانيس OTANES (وهو أحد النـبلاء السـبعة)، وأصـدر أوامر عليا إليه بأن يفعل كل ما يطلبه منـه سيلوسـون SYLOSON ، وبنـاءً عـلى ذلـك نـزل أوتـانيس OTANES إلى الشـاطىء ليقـوم باسـتكمال اسـتعداداته» (III.141) ، ويظهر هنا أوتانيس للمرة الأولى منذ خسـارته في «المسـابقة الملكيـة»، ومن الصعب معرفة لماذا تم اختياره لقيادة هذه الحملة بـدلاً مـن مرزبـان سـارديس SARDIS (وهو الذي لم نسمع عنه شيئًا منذ قيام دارا DARIUS بإعـدام أوروتـيس Oroetes)، وكما هو معتاد دائمًا، فقد تلقى قائد الحملة تعليمات مشددة ودقيقة من دارا DARIUS «بعدم قتل أو أسر أي شخص من سكان ساموس، وأن يقوم بتسـليم الجزيرة سليمة إلى سيلوسون (III.147) SYLOSON ».

ولكن قام أوتانيس OTANES بمخالفـة هـذه التعلـيمات -طبقًـا لهـيرودوت HERODOTUS - بسـبب أحـد الأعـمال الاسـتفزازية التـي قـام بهـا منـدريوس MAEANDRIUS ، وكانــت نتيجــة هــذه الحملــة أن تــم تنصـيب سيلوســون SYLOSON كحاكم الولاية في جزيرة ساموس .

وقد كانت هذه القضية مهمة، ففي الحقيقة ومن الناحية النظرية تـم تنفيـذ هذا الغزو لمصلحة سيلوسون SYLOSON ، ولكن سيلوسـون SYLOSON كـان في الواقع عميلاً أخمينيًّا، حيث إنه تم تنصيبه بواسطة أحد الجيوش الفارسية، وبناءً على أمر من الملك الأكبر، ولقد جعله هذا التوريث الملـكي مـدينًا لـدارا DARIUS إلى الأبد، وهكذا فإنه يمكن أن نعتبر جزيرة ساموس أولى جزر بحر إيجه التي يقوم الفرس بغزوها، وفي الواقع فإن هـذه الجزيـرة كانـت ذات أهميـة كبـيرة جـدًّا مـن

الناحيتين الاستراتيجية والتجارية؛ وذلك بسبب التغيرات التي أحدثها بوليكراتيس POLYCRATES ، وخلق هذه الطبيعة الروائية لقصة هيرودوت HERODOTUS ، ويمكننا أن نرى صياغة استراتيجية التزم بها دارا DARIUS لفترة طويلة بعد ذلك، ولا شك في أن هيرودوت HERODOTUS قد ارتكب مفارقة تاريخية عندما نسب إلى دارا DARIUS إعداده خطة لقيادة حملة ضد سكان منطقة سكيثيا في ذلك التاريخ المبكر، ومما لا شك فيه أيضًا أن دارا DARIUS -متبعًا لخطى أسلافه- قد أدرك مبكرًا أهمية السياسة الإيجية؛ وذلك نظرًا لقرب جزيرة بحر إيجه من مدن البر الرئيس التي كانت خاضعة للسلطة الأخمينية في ذلك الوقت، بالإضافة إلى العلاقات القوية التي كانت تربطهم بهذه المدن .

دارا DARIUS ، نهر الإندوس ونهر النيل:

يذكر هيرودوت HERODOTUS أيضًا أن دارا DARIUS قام بشن حملة بدأت من نهر الإندوس (IV.44) ، وأن هذه الحملة وصلت إلى مصر بعد ذلك بثلاثين شهرًا، وعلى الرغم مما يبدو من أن نص هيرودوت HERODOTUS هذا يقوم على المعلومات التي حصل عليها من مواطنه سكيلاكس SKYLAX ، إلا أنه ليس واضحًا بشكل كامل، وطبقًا لهيرودوت HERODOTUS يتضح أن دارا DARIUS كان يهدف إلى شيئين؛ فمن ناحية كان يريد أن يحدد ما إذا كان من الممكن ربط أطراف إمبراطوريته ببعضها البعض وبالمركز (إيلام)، ومن ناحية أخرى فلقد أراد تنظيم بعثة استكشافية تقوم بفتح الطريق لغزو وادي نهر الإندوس والذي تسميه النقوش الملكية (الهندوس)، ويشهد نص هيرودوت HERODOTUS على أن هذا الغزو قد تمت قيادته من قبل دارا DARIUS نفسه، أو أحد قادة جيوشه، ولكن لا يمكننا أن نحدد بشكل قاطع أيهم كان هذا القائد، وتاريخ هذا الغزو نفسه غير أكيد، ويحتمل أنه كان مباشرة بعد الحملة التي وجهت

ضد الساكيين سكان إقليم شونخا، أي حوالي عام (518؟)، وعلى أية حال، فلقد أظهرت أحدث الأبحاث أنه لا يوجد رابط تاريخي منطقي بين هذه الحملة وبين الأمر بحفر قناة تربط بين نهر النيل والبحر الأحمر .

أرياندیس ARYANDES وبرقة:

تشتمل رواية هيرودوت HERODOTUS الطويلة على تاريخ أهل قورنائية وليبيا (IV ، الفقرات من 145-205) والتي تشتمل على بعض المعلومات عن العلاقة بين أرياندیس ARYANDES والقادة اليونانيين لكل من بلدة برقة وبلدة قورنائية، فلقد قُتِل أحد حكام مدينة قورنائية وهو أرسيسيلوس ARCESILAUS (خليفة باتوس) BATTUS في الحرب الأهلية، وقد لجأت أمه «فريتيما PHERETIMA » إلى مصر، التي كان يحكمها في ذلك الوقت المرزبان الفارسي أرياندیس ARYANDES ، ولقد استغلت فريتيما PHERETIMA حقيقة أن ابنها «كان قد قام بوضع قورنائية تحت سيطرة قمبيز CAMBYSES ، وأنه كان ملتزمًا بدفع قدر محدد من الجزية» وذلك في عام (525)، وتبعًا لهيرودوت HERODOTUS «فقد أظهر بذلك صداقته للفرس» (IV ، فقرة 165) .

ولقد قام أرياندیس ARYANDES بعد استئذان دارا DARIUS بإرسال جيش قوي ترافقه قوة بحرية لمحاربة برقة، وكان هذا الجيش والأسطول تحت قيادة اثنين من نبلاء الفرس، وهم أماسيس AMASIS (مارافي) وبادريس BADRES (باسارجادي)، ولقد وافق البرقيون بعد مقاومة قوية على توقيع معاهدة مع أماسيس AMASIS ، ولكن أماسيس AMASIS لم يلتزم بكلمته، حيث «تم إرسال الأسرى البرقيين من مصر إلى الملك الفارسي دارا DARIUS ، والذي أعطاهم قرية في إقليم باكتريا ليعيشوا فيها، حيث قاموا بتسمية هذه القرية «برقة»، وظلت هذه القرية مأهولة بالسكان -على ما أذكر» (IV ، فقرة 204) .

ولم يقم هيرودوت HERODOTUS بتوضيح دوافع هذه الحملة

الفارسية ضد ليبيا وبلدة برقة بدرجة كبيرة، حيث إنه يسجل ما أخبره به بعض الذين كانوا يقدمون له المعلومات، قائلاً: «إن إيواء فريتيما PHERETIMA كان مجرد ذريعة، والهدف الحقيقي للحملة -على ما أعتقد- هو إخضاع ليبيا، فقد كان يسكن في ليبيا أجناس عديدة ومتنوعة من البشر، وكان عدد قليل منهم فقط هو الذي يخضع لسلطة الملك الفارسي، أما العدد الأكبر فلم يكن يأبه بدارا DARIUS ولو للحظة» (IV ، فقرة 167) .

ولكن، وعلى الرغم من ذلك لم يصل الفرس أبدًا لما هو أبعد من يوهيسبيريدس EUHESPERIDES بالقرب من برقة، ويقدم نص الاتفاق الذي تم بين البرقيين وأماسيس AMASIS سببًا جزئيًا «فلقد وعد البرقيون بدفع جزية مناسبة إلى الملك الأكبر»، وذلك في مقابل التزامه بترك المدينة وشأنها (وهو الالتزام الذي لم يحفظه أماسيس AMASIS)، ويشير هذا الوعد الذي قطعوه على أنفسهم إلى أنهم كانوا قد توقفوا عند دفع الجزية التي ينسبها لهم هيرودوت HERODOTUS في تقريره الذي أخبرنا به عن الجزيات، والتي كانت تدفع لدارا DARIUS : «فلقد كانت مصر بالإضافة إلى الليبيين الذين يسكنون على الحدود وبلدتي قورنائية وبرقة (كانتا ملحقتين بالإقليم المصري)، كانوا يدفعون جزية مقدارها 700 طالن» (III ، فقرة 91) .

وبمعنى آخر، فلقد استفاد أرياندیس ARYANDES من طلب فريتيما PHERETIMA هذه في محاولة زيادة سيطرته على بلدة قورنائية، والتي كانت في ذلك الوقت لا تزال خاضعة له بشكل جزئي فقط؛ ولأن أماسيس AMASIS قد قام بتذكير بادريس BADRES بأن «غرض الحملة كان محاربة مدينة واحدة فقط وهي برقة» (IV ، فقرة 203)، فيمكننا أن نستنتج من ذلك أن هذه المدينة تم اختيارها لسبب معين، فبلدة قورنائية بداية من عهد أرسيسيلوس ARCESILAUS ، كان أهلها يقومون أيضًا -وبشكل

منتظم- بتسليم نصيبهم المحدد من القدر الكلي للجزية التي كان يقوم أرياندِيس ARYANDES بتحصيله من مصر، بالإضافة إلى ذلك فلقد قام أرياندِيس ARYANDES عند هذه النقطة بإصدار أمر إلى قادة الجيش بالعودة، وهكذا كان الغرض من التدخل نيابة عن فريتيما PHERETIMA هو إعادة بسط سيادتهم على بلدة قورنائية، ولكن وعلى الرغم من ذلك، يبدو أن الفرس لم ينجحوا في إعادة بسط سيطرتهم على جميع الليبيين، حيث كتب هيرودوت HERODOTUS : «كان معظمهم لا يأبه على الإطلاق بملك فارس أكثر مما يأبه به اليوم» (IV ، فقرة 197) .

2- الفرس في أوروبا:

حملة دارا DARIUS على سكان منطقة سكيثيا (513):

بالبحث في الأدلة التي تعود لعامي (518-517)، يجد المؤرخون أنفسهم في موقف صعب، حيث إنه من المستحيل تقريبًا تشكيل رواية متصلة، وفي الحقيقة فإن رواية هيرودوت HERODOTUS في الكتاب الثالث، وبعد الملحق الذي يحكي عن ديموسيديس DEMOCEDES وسيلوسون SYLOSON نجدها تنتهي بقصة تتناول ثورة قامت بها بابل (الكتاب الثالث، فقرات 150-159) .

ولقد قام جوستين Justin أيضًا بتكرار هذه القصة (الكتاب الأول، فقرات 10، 15-22)، ولكن يصعب تفسيرها من حيث التسلسل التاريخي، ولا يعود أي من هيرودوت HERODOTUS وجوستين Justin ستيسياس CTESIAS إلى مجرى الأحداث إلا في عشية الحملة التي شنها دارا DARIUS على سكان منطقة سكيثيا، ويفتتح هيرودوت HERODOTUS الكتاب الرابع بهذه الطريقة: «بعد الاستيلاء على بابل قام دارا DARIUS بغزو إقليم سكيثيا» (الكتاب الرابع، فقرة 1، راجع جوستين Justin الكتاب الأول، فقرات 10-23) .

وتشرح هذه الفجوات لماذا ظل التسلسل التاريخي بعد الأحداث الأخيرة التي ذكرها دارا DARIUS في بيهيستون موضعًا لكثير من الجدل (وتقصد بذلك تاريخ حملة دارا DARIUS على مصر)، ويتكرر هذا الموقف نفسه مع حملة دارا DARIUS على سكان إقليم سكيثيا، والفجوات الموجودة في الأدلة تجعل من الصعب القيام بتحديد تاريخ هذه الحملة، ولكن يوجد الآن سبب جيد للاعتقاد بأنها كانت عام (513)، وهو تاريخ يتزامن تقريبًا مع الحملة الفارسية على ليبيا، وعلى الرغم من أن تحديد تاريخ الحملة لا يتسبب في مشكلات يستحيل تخطيها، إلا أن انقسام المؤرخين حول أسباب وأهداف ونتائج الحملة ما زال مستمرًا .

وطبقًا لهيرودوت HERODOTUS ، فلقد قام دارا DARIUS بتجهيزات مهولة لهذه الحملة «حيث أرسل مبعوثين إلى كل جزء من مملكته، ومعهم أوامر لحشد الجنود هناك، أو تجهيز السفن هناك، أو جمع العمال في مكان آخر، وذلك للعمل على بناء جسر عبر مضيق البسفور» (الكتاب الرابع، فقرة 83) .

وتبعًا لهيرودوت HERODOTUS فقد بلغ عدد القوارب التي تم تجميعها (600) قاربًا (الكتاب الرابع، فقرة 87)، ولكن هنا -كما في أي مكان آخر- يجب ألا نثق في هذه الأرقام كثيرًا؛ وذلك لأن هيرودوت HERODOTUS كان مهتمًا دائمًا بالتأكيد على مدى ضخامة القوات الملكية (الكتاب الرابع، فقرة 87)، ويقدرهم هيرودوت HERODOTUS فيها بنحو (700 ألف رجل)، وذلك باستثناء القوات البحرية .

ومن المدن اليونانية التي شاركت في هذه الحملة -يذكر هيرودوت HERODOTUS على وجه الخصوص- المدن التي تقع على مضيق الدردنيل وبحر مرمرة، مثل: (أبيدوس، لامبساكوس، باريون،

سيزيكوس، بروكونيسوس، بيزنطة)، وأيضًا بعض المدن الأيونية، مثل: (كيوس، ساموس، فوكيا، ملطية)، ومن المدن الأيولية: (سايمي)، ويذكر هيرودوت HERODOTUS أيضًا شخصًا أثينيًّا اسمه «ملتياديس» Miltiades «والذي كان حاكمًا لشبه الجزيرة التي تقع على مضيق الدردنيل» (الكتاب الرابع، فقرة 137) .

وبعد خروجه من صوصا SUSA وصل الملك بجيشه إلى منطقة كالسيدون المتاخمة، ثم عبروا إلى أوروبا بعد أن ضموا إليهم الفرق العسكرية الأيونية، والتي كانت مع يونانيين آخرين من المدن الأيولية، والمدن التي تقع على مضيق الدردنيل كانت مسؤولة عن الأسطول، ولقد قاموا بالإبحار بالحملة في البحر الأسود حتى وصلوا إلى نهر الدانوب، حيث كان يفترض بهم بناء جسر على هذا النهر لتعبر من عليه الحملة، ثم انتظار عودة دارا DARIUS » (الكتاب الرابع، فقرة 89) .

ولقد توغل دارا DARIUS في أراضي طراقيا THRACE ، وهناك خضعت له بعض الشعوب بدون قتال، بينما لم ينجح في إخضاع شعوب أخرى إلا بعد مقاومة عنيفة (شعب الجيتاي) (الكتاب الرابع، فقرة 93)، وبعد أن ترك حكام الولاية الأيونيين لحراسة القنطرة التي تمت إقامتها على نهر الدانوب، قام الملك بالتوغل في أراضي سكيثيا، وهناك قابل تحالفًا حقيقيًّا من الشعوب، التي اشتبكت معه في معارك ضارية ومرتبة، ولقد وجد دارا DARIUS نفسه في موقف صعب، وعملاً بنصيحة قدمها له جوبرياس GOBRYAS قرر الانسحاب .

وعلى الرغم من مطاردة وتتبع سكان إقليم سكيثيا له، إلا أنه تمكن من الوصول إلى نهر الدانوب وعبوره، وعلى الرغم أيضًا من المناقشات الحامية التي دارت بين سكان سكيثيا وحكام الولاية الأيونيين لحثهم على التخلي عن دارا DARIUS ، إلا أنهم رفضوا أن يتركوا صف المعسكر الفارسي (الكتاب الرابع، 136-139)، ولقد كانت نهاية هذه القصة

مفاجئة «إذ توغل دارا DARIUS في أراضي إقليم طراقيا THRACE حتى وصل إلى سيستوس في شبه الجزيرة، وهناك ركب إحدى السفن متجهًا إلى آسيا تاركًا خلفه أحد قادة الفرس المميزين، والذي كان اسمه «ميجابازوس MEGABAZUS » لقيادة القوات الفارسية في أوروبا» (الكتاب الرابع، فقرة 143) .

ولقد أثارت حملة دارا DARIUS هذه العديد من التساؤلات، ونتج عنها الكثير من التفسيرات المتشعبة، ويرجع ذلك بشكل رئيس إلى أن مصدرنا الأساسي - هيرودوت HERODOTUS - قد قام بالتعامل معها بشكل سطحي للغاية، فلقد كان اهتمامه الأساسي منصبًا على القيام بوصف الشعوب المختلفة التي تسكن في إقليم سكيثيا، وبعد تقديمه للحملة الفارسية بشكل مختصر شرع هيرودوت HERODOTUS في تقديم أحد الاستطرادات التي يحبها كثيرًا (الكتاب الرابع، الفقرات من 1-40)، ويقود هذا الاستطراد إلى آخر، ثم قام بعد ذلك بتخصيص فصول عديدة لليبيا.

وقد كان الخيط المرشد لهذا التقدم هو استفسار حول حدود وشكل العالم المعروف في ذلك الوقت (آسيا، ليبيا، أوروبا) (الكتاب الرابع، الفقرات من 36-47)، ولم يعد هيرودوت HERODOTUS للحديث عن دارا DARIUS إلا في الفقرة (83)، وذلك بعد أن قام بإعطاء كمية كبيرة من المعلومات عن عادات أهل سكيثيا، وفي القصة ككل نجد أن الأجزاء التي تتناول حملة دارا DARIUS تركز على عرض الأسباب أكثر من تركيزها على مناقشة الحملة ذاتها.

وعلى الرغم من هذه الظروف، فإننا نستمر في التساؤل عن أغراض وأهداف دارا DARIUS من تلك الحملة، بالإضافة إلى ضخامة الهزيمة الفارسية، وهل كان الملك الأكبر يخطط لإخضاع شعوب منطقة سكيثيا، التي توجد في جنوب روسيا ودمجهم في إمبراطوريته، ليرجع

بعد ذلك إلى آسيا عبر القوقاز؟ أم هل كان التوغل إلى ما هو أبعد من نهر الدانوب يعتبر لازمة أو نتيجة طبيعية لهدف رئيس آخر تركز حول غزو أراضي طراقيا THRACE ؟ وسوف يحاول هيرودوت HERODOTUS أن يجعلنا نفهم أن دارا DARIUS قد حلم منذ وقت مبكر بغزو سكيثيا، وأن أتوسا ATOSSA -نتيجة لإلحاح ديموسيديس DEMOCEDES - قامت بحثه على تحويل اهتمامه نحو بلاد اليونان (الكتاب الثالث، فقرة 134، راجع صفحة 139 بالأعلى)، ولكن قصة ديموسيديس DEMOCEDES بأكملها هي قصة مشكوك في صحتها إلى حد بعيد، وحتى إذا كان غزو ساموس حوالي (519) يوضح بشكل فعال أن دارا DARIUS كانت لديه خطة فيما يتعلق ببحر إيجه، إلا أنه لم يثبت أن دارا DARIUS قد فكر في ذلك التاريخ في شن حملة على أراضي سكيثيا، أو أنه كان يعد لشن هجوم موسع ضد الجزء الأوروبي من أراضي اليونان، أما التفسير الآخر الذي يقدمه هيرودوت HERODOTUS فهو أن غرض دارا DARIUS كان يتمثل في الانتقام من سكان سكيثيا لقيامهم بغزو جزء من أراضيه في آسيا (الكتاب الرابع، فقرة 1، والكتاب السابع، فقرة 20)، فهذا التفسير لا يستحق لفت انتباه المؤرخين .

وأنا أيضًا لدي تحفظات حول رواية جوستين Justin عن أن دارا DARIUS قد بدأ الأعمال العدائية لمعاقبة ملك سكيثيا المسمى إيانثيروس IANTHYRUS لرفضه تزويج ابنته له (الكتاب الثاني، II ، فقرات 5، 9)، وفي الحقيقة فإن هذا موضوع أدبي متكرر، والذي نجده -على سبيل المثال- في إحدى الروايات الخاصة بحملة قمبيز CAMBYSES على مصر، ويضيف ستيسياس Ctesias بعض المعلومات التي لا توجد في رواية هيرودوت HERODOTUS ، فيسجل أن: «لقد أمر «دارا DARIUS » أريارامنيس ARIARAMNES » مرزبان كبادوكيا بالتوغل في أراضي سكيثيا، وأن يأسر بعض الرجال والنساء من

هناك، ولقد عبر المرزبان في ثلاثين سفينة شراعية كبيرة (خماسية المجاديف)، وقام بأخذ بعض الأسرى، حتى إنه أسر أخا ملك سكيثيا، والمسمى «مارساجيتيس Marsagetes »، حيث وجده مسجونًا بناءً على أمر من أخيه بسبب تصرف سيئ ارتكبه، ولقد سخط سكيثاربيس Scytharbes (ملك سكيثيا) على ذلك، وأرسل رسالة إلى دارا DARIUS شاكيًا مما حدث، ولقد رد دارا DARIUS عليه بالأسلوب نفسه» (الفقرتان 16-17) .

وهكذا بدا أن حملة دارا DARIUS قد سُبِقت بفترة من التوتر، وبحملة محدودة قادها مرزبان كباد وكيا ربما بغرض جمع المعلومات عن تلك المنطقة، ولكن من بين كل هذه القصص والاستطرادات لا نجد تفسيرًا واحدًا مرضيًا بالفعل؛ ولهذا السبب فإنه من الصعب جدًّا تقدير مدى ضخامة الهزيمة التي تعرض لها دارا DARIUS ، وإننا بالكاد يمكننا أن نثق فيما يرويه هيرودوت Herodotus ، والذي استقى معلوماته من اليونانيين وأهل سكيثيا.

وتزداد صعوبات التحليل بدرجة أكبر بسبب الأمور غير المؤكدة التي لا تزال تقابلنا في تحديد شعوب سكيثيا التي تحدث عنها هيرودوت HERODOTUS .والشيء الذي يبدو مفاجئًا في تلك الرواية هو أن دارا DARIUS قد ترك الأسطول اليوناني عند مصب نهر الدانوب، وتشير هذه الاستراتيجية إلى أن الأهداف الإقليمية لدارا DARIUS لا بد أنها لم تكن بعيدة بدرجة كبيرة؛ لأنها لو كانت كذلك لقام بتبني التكتيك التقليدي المتمثل في جعل الجيش والأسطول يتقدمان مع بعضهما، وذلك حتى تتمكن البحرية من تقديم الإمدادات للجيش، ولكن هل يمثل الأسطول الذي بقى عند مصب نهر الدانوب كل السفن التي قام الملك الأكبر بتخصيصها لهذه الحملة؟ ويمنعنا توجه هيرودوت HERODOTUS اليوناني الضيق من أن نكون على يقين من هذا الموضوع، ومهما كان الوضع فإنه من الأكيد أن انسحاب الجيوش الفارسية من أراضي سكيثيا

قد أضر بهيبة ووضع الملك الأكبر -علي الأقل في المدى القريب- وكذلك كما شاهدنا في الثورات التي اندلعت في المدن اليونانية وعلي وجه الخصوص المدن التي تقع على مضيق الدردنيل (الكتاب الرابع 1440، الكتاب الخامس فقرة 1)، ولقد كانت المدن التي أسهمت بفرق عسكرية بحرية في حملة دارا DARIUS هي من بين المدن التي خرجت على الفرس عند هذه النقطة (الكتاب الرابع فقرة 138)، ومن المحتمل أن هذه الفرق البحرية قد عادت بعد انتهاء الحملة إلى مدنها، وقامت بتمهيد الطريق للتمرد (راجع الكتاب الخامس فقرة 27)، ويمكن تفسير ثورة المدن على أنها كانت خداعًا، خاصة إذا وافقنا على أنه في البداية تلاقت مصالح بعض حكام الولاية الذين انضموا إلى قوات دارا DARIUS أملاً في أن الحملة على البحر الأسود سوف تمكنهم من الدخول مرة أخرى إلى منطقة كانوا قد أسسوا فيها مستعمرات فيما سبق، ولكن تزايد النفوذ التجاري الأثيني قد قلص من نفوذهم هناك .

الفرس في إقليم طراقيا THRACE :

سواء أكان هذا تخمينًا مشروعًا أم لا، فإنه من الواضح أن النتيجة الأخيرة للحملة كانت بعيدة عن أن تكون سلبية، وفي الحقيقة فسواء أكانت طراقيا THRACE هي الهدف الرئيس لدارا DARIUS (ومن المستحيل تحديد ذلك)، فلقد قامت بغزوها الجيوش الأخمينية، وكان دارا DARIUS قد تمكن بالفعل من إخضاع بعض شعوب طراقيا THRACE وهو في طريقه إلى نهر الدانوب، وقبل الإقلاع مرة أخرى عائدًا إلى آسيا الصغرى، ترك دارا DARIUS القائد ميجابازوس Megabazus في أوروبا وكلفه بمهمة، وهي القيام بغزو إقليم طراقيا THRACE (الكتاب الخامس فقرة2)، ولقد بدأ أولاً بالاستيلاء على هذه المجتمعات التي تقع في المنطقة المجاورة لمضيق الدردنيل والتي قاومت القوات الفارسية (الكتاب الرابع فقرة 144)، فقام بالاستيلاء

على برنثوس (الكتاب الخامس فقرة 1) ثم توغل ميجابـازوس megabazus خـلال أراضي طراقيا THRACE ، وقام بإخضاع كل مدينة وكل شعب في ذلك الجزء مـن الإقليم لسلطة الملك الفارسي (الكتاب الخامس 2)، ولقد كان سكان بيونيا هم أكـثر الشـعوب تضررًا مـن هجـوم ميجابـازوس MEGABAZUS: فقـد اسـتولى عـلى مستوطناتهم الداخلية الرئيسة، وقام بترحيل بعضًا منهم إلى آسيا الصغرى (الكتـاب الخامس 15-16)، ولقد أكمل أوتـانيس OTANES هذه المهمة والذي عهـد إليـه دارا DARIUS قبل مغادرته لساردیس SARDIS مباشرة بقيادة قـوات السـاحل (حـوالي عـام 510 الكتـاب الخـامس فقـرة 25)، ولقـد قـام أوتـانيس OTANES بالاستيلاء على بيزنطـة وكالسـيدون (مفـاتيح مضـيق البسـفور)، ثـم أنتنـدروس في تروس، وأخيرًا جزر لمنوس وإمبروس (الكتاب الخامس فقرة 27)، وعلي العكس فإن المدن الأيونية لـم تشترك في الثورة، وبلا شك كـان سـبب ذلـك هـو أن حملـة دارا DARIUS مثلت نهاية مرحلة من الاستقلال والحكم الذاتي والذي كانت تتمتع به مدن بحر مرمرة، وهو الاستقلال التي كانت قد فقدته بالفعل المـدن الأيونيـة عنـد غزو ساموس حوالي عام 519، ومن الواضح أن معظـم حكـام الولايـة الأيـونيين قـد شاركوا هيستيوس HISTIAEUS حاكم ملطية في رأيه، فعندما طلب مـنهم أهـل سكيثيا أن يفصلوا أنفسهم عن دارا DARIUS أوضح لأهل سـكيثيا أن كـل واحـد منهم يدين بمركـزه كـرئيس دولـة إلى دارا DARIUS ، وأنـه في حالـة سـقوط دارا DARIUS سيكون هو نفسه غير قادر على المحافظة عـلى سـلطته في ملطيـة، وأن حكام الولاية الباقين كلهم سوف يجدون أنفسهم في مواقـف عـلى درجـة الصـعوبة نفسها (الكتاب الرابع فقرة 137) .

ملخص:

في الوقـت الـذي نعجـز فيـه عـن تقيـيم أهـداف حملـة دارا DARIUS ،

نجد أننا نستطيع تقييم النتائج التي حققتها هذه الحملة، فعلى الجبهة الشمالية لن يتعرض أبدًا جيش أخميني فيما بعد إلى تهديدات مما وراء الدانوب .

وربما كان دارا DARIUS يهدف ببساطة إلى حماية حدود الإمبراطورية ومنع تكرار غارات سكان سكيثيا على المناطق التي تقع بين نهر الدانوب وبحر إيجة (راجع الكتاب السادس فقرة 40) وعلي أية حال، وتبعًا لدينو فإن ملوك الفرس قد اعتبروا أن الدانوب هو نهاية حدود ملكهم (بلوتارك، الإسكندر 4036)، وهو ما يعني أن -علي الأقل في مخيلة أباطرة الفرس (راجع فصل 5)- كل مناطق إقليم طراقيا THRACE التي تقع جنوب النهر كانت تعتبر خاضعة لسلطة الملك الأكبر، بينما وفي الوقت نفسه كانت الأراضي التي تقع فيما وراء نهر الدانوب مطرودة من الأيكوميني ومن التاريخ .

ولقد كان الاستيلاء على طراقيا THRACE حدثا ذا أهمية كبيرة بالنسبة للسلطة الفارسية، حيث إن تلك المنطقة غنية بالمواد الاستراتيجية، ولقد قام دارا DARIUS بمنح هيستيوس منطقة في طراقيا THRACE بالقرب من مرسينوس في كانتون إدونيانس، وذلك كمكافأة له على ولائه، وقد نوى هيستيوس القيام بتشييد مدينة هناك (الكتاب الخامس فقرة 11)، وبعد ذلك بفترة قصيرة قام ميجابازوس MEGABAZUS بنقل مخاوفه إلى دارا DARIUS بشأن القوة المتنامية لهيستيوس، Hecataeus فلقد كان ذلك الموقع قيمًا للغاية لما يحتوي عليه من مناجم للفضة، ولوفرة الأشجار والأخشاب فيه، والتي يمكن استخدامها لبناء السفن وصنع المجاديف، ولقد كان يسكن المنطقة المجاورة له عدد كثيف من السكان من اليونانيين ومن شعوب أخرى، ولقد اقتنع دارا DARIUS بكلامه واستدعى هيستيوس إلى سارديس SARDIS وأحضره معه إلى صوصا SUSA ومنحه لقبي

«مستشار» و«رفيق مائدة» (الكتاب الخامس الفقرتان 23-24)، وفي الحقيقة فإن مناجم جبل بانجيوم في طراقيا THRACE كانت ذات شهرة (راجع الكتاب السابع فقرة 112)، حتى إنها كانت بشهرة المنجم نفسه في سكابتي هايلي بالقرب من ساسوس (الكتاب السادس فقرة 46)، وتشهد العملات المعدنية التي كانت تصكها شعوب بيونيا وطراقيا THRACE على وفرة المعادن النفيسة عندهم، وباختصار فإن هذه الشعوب والمدن كانت قادرة على دفع الجزية باستخدام الفضة إلى الإدارة الفارسية واتجاهًا نحو الغرب فلقد تأثرت مقدونيا منذ ذلك بالملك الفارسي (راجع الكتاب السادس فقرة 44)، وفي الحقيقة فقد أرسل ميجابازوس MEGABAZUS وفدًا إلى ملك مقدونيا أمينتاس Amyntas الأول وكان يحمل معه طلبًا للأرض والماء وعلي الرغم من الأساطير المحببة التي جمعها هيرودوت HERODOTUS فيما بعد عن البيت الملكي المقدوني (الكتاب الخامس فقرات 17-21)، إلا أن الحقيقة التي تظل باقية هي أن الملوك المقدونيين اضطروا للاعتراف بسيادة الملك الأكبر عليهم، فلقد كان هذا الأمر لا مفر منه إذا نظرنا للحاميات الفارسية القريبة للغاية منهم، والتي كانت أهمها وأقواها هي الحاميات الموجودة في إيون (عند مصب وادي نهر Strymon) ودوريسكوس على نهر Hebrus (الكتاب السابع فقرة 59 باسيليون/ الحامية)، والتي قام دارا DARIUS بتعيين قادة عليها (الكتاب السابع فقرة 105)، ولقد قامت كل البلاد هناك منذ ذلك الحين بدفع الجزية إلى الملك الأكبر (الكتاب السابع فقرة 108) .

ويجب أن نعترف من خلال ذلك بأن الأدلة التي تتعلق بالاستيطان الفارسي في ذلك الوقت هي أدلة غير كافية إلى حد كبير، وهناك اعتقاد شائع بأن البلاد الجديدة كان يتم ضمها أو دمجها في مقاطعة مرزبانية جديدة، ولكن هل كان ذلك هو الحال فعلا؟ وفي أثناء حديثه عن توغل كسركسيس XERXES من دوريسكوس في وسط اليونان في عام 480،

يذكر هيرودوت HERODOTUS أن المنطقة بأكملها حتى الوصول إلى ثساليا Thessaly قد تم إخضاعها بالقوة، وأجبرت على دفع الجزية للفرس من خلال تلك الفتوحات التي قام بها أولاً ميجابازوس MEGABAZUS ، ثم تلتها تلك التي قام بها ماردونيوس Mardonius (الكتاب السابع فقرة 108)، ومن الممكن أنه لم يتم إنشاء هذه المقاطعة إلا بعد الحملة التي قادها ماردونيوس Mardonius ؛ لأنه يبدو أن أعماله وإنجازاته في المنطقة قد تمت بإشراف وتخطيط أكثر دقة من السلطة الأخمينية، وبالإضافة إلى ذلك فإنه بعد حملة ميجابازوس MEGABAZUS استمر THASOS في إدارة وتشغيل المناجم الموجودة في ممتلكاته (الكتاب السادس فقرة 46)، بينما يذكر هيرودوت HERODOTUS أنه في عام 480 كان يتم إدارة وتشغيل المناجم الموجودة في جبل بانجيوم من قبل البيرين والأودومانتي و Satrae (الكتاب السابع فقرة 12)، وفي الحقيقة فإن هيرودوت HERODOTUS نفسه يحدد عددًا من الشعوب البيونية (التي تنتمي إلى جبل بانجيوم)، دوبري، أجرياني والأدومانتي (الذين يسكنون على بحيرة Prasias) ، ويقول: «إنها لم يتم إخضاعها من قبل ميجابازوس MEGABAZUS » (الكتاب الخامس فقرة 16) .

كذلك فإنه لا يوجد دليل قاطع على أن مقدونيا قد تم دمجها في مقاطعة فارسية، ولقد حظي أمينتاس Amyntas الأول بفترة حكم عادية حتى خلفه الإسكندر ALEXANDER الأول في عام 498، وتبعًا لهيرودوت HERODOTUS (الكتاب الخامس فقرة 21) فلقد زوج الاسكندر الأول أخته جيجاي Gygaea إلى شخص فارسي اسمه بوباريس Bubares ، والذي كان قد أتى للتحقيق في المذبحة التي تعرض لها الوفد الفارسي الذي أرسله ميجابازوس MEGABAZUS إلى بلاط أمينتاس Amyntas الأول (الكتاب الخامس فقرات 18-20)، ومما

لا شك فيه أن بوباريس Bubares هـذا هـو ابـن ميجابـازوس MEGABAZUS (الكتاب السابع فقـرة 22)، ومـن الواضـح أنـه بقـى في مقـدونيا لسـنوات عديـدة (جوستين Justin الكتاب السابع فقرة 1، 4)، ولقد ولد أمينتاس Amyntas الثـاني نتيجة زواجـه بجيجـاي Gygaea (هـيرودوت HERODOTUS الكتـاب الثالـث فقرة 136)، وطبقًا لما يقوله جوسـتين Justin فلقـد سـمح هـذا الـزواج لكـل مـن أمينتـاس Amyntas الأول والإسـكندر ALEXANDER الأول بالمحافظـة عـلى علاقـات طيبـة مـع دارا DARIUS وكسركسـيس (Xerxes) مـن بعـده (الكتـاب السابع فقرة 3-9، 4-1)، وسيكون من المخاطرة بالنظر إلى حالـة الأدلـة أن نسـتنتج أن بوباريس Bubares قد لعب دورًا يشبه دور المفوض السامي الفارسي في مملكة مقدونيا، والتي كانت نفسها جزءًا من مر زبانية طراقية-مقدونية، ولتلخـيص ذلـك فـإن مشروع دارا DARIUS في طراقيـا THRACE كـان مـن الواضـح أنـه لـيس هدفًا ثانويًا أو مؤقتًا، فإنشاء الحاميات وفرض الجزية (التي كانت تـدفع في صـورة فضة ورجال)، والحماية التي فرضت عـلى مملكـة مقـدونيا، بالإضـافة إلى اسـتعادة المنطقـة التـي كـان قـد تـم التنـازل عنهـا مـن قبـل ولفـترة قصـيرة إلى هسـتيوس Histiaeus ، تشير كل هذه الأشـياء وبشـكل لا يقبـل الجـدل إلى أن هـذا المشروع من وجهة نظر الملك كان مرحلة إعداد أساسية للقيـام بفتوحاتـه الجديـدة، مـثلما كانت الحملات التي وجهت نحو وادي الإندوس وبلدة قورنائية، وسيكون من الجيـد القيـام بالتأكيـد عـلى جانـب مهـم مـن الاسـتراتيجية التـي اتبعهـا ميجابـازوس MEGABAZUS أولاً ثم أوتانيس OTANES من بعده، والتي تتمثل في السـيطرة بصورة قوية على الطريق الذي يربط آسيا الصغرى بالفتوحات الأوروبيـة الجديـدة، وفي الحقيقة فقد سيطر الفرس على المضايق، وعلى كل مـن البسـفور (بيزنطـة، كالسـيدون) والـدردنيل، وعـلي الجـزر التـي تـتحكم في مـدخلها (إمـبروس، لمنـوس) ولقـد كانـت

مدينـة لامبسـاكوس (عـلي الـدردنيل) تخضـع لسـيطرة حـاكم الولايـة هيبوكلـوس Hippoclus والذي كان الأقوى قبـل وصـول دارا DARIUS (ثيوسـيدس الكتـاب السادس فقرة 59-3)، ولقـد ظلـت جزيـرة سـيجيون الواقعـة عـلى مـدخل مضـيق الدردنيل لفترة طويلة جزءًا من الممتلكات الملكية لطغاة أثينا، وفي عام 513 لم يكن أمام ميلتياديس Miltiades الأصغر ممثل العائلة الملكية الأثينية سوى الاشتراك في حملة دارا DARIUS على أراضي سكيثيا، وبعد ذلك بسنوات قليلـة عنـدما نجـح كليـومينيس Cleomenes الأول حـاكم إسـبرطة في طـرد حـاكم الولايـة هيبيـاس Hippias من أثينا، لجأ هيبياس إلى أرتافرنيس Artaphernes ، ولقد حـرك الأرض والسماء ليخضع أثينا لسلطته ولسـلطة دارا DARIUS (الكتـاب الخـامس الفقـرة 96) .

ولقد قام دارا DARIUS قبل مغادرته سارديس SARDIS بتعيين أرتافرنيس Artaphernes مرزبانًا عليها، ولقد كان أرتافرنيس Artaphernes هـو أخـوه مـن الأب (الكتاب الخامس فقرة 25)، ولقد حصل على سلطات موسـعة وانطلـق -كـما يقول أرسـتاجوراس Aristagoras وتحـت قيادتـه- إلى المقاطعـة السـاحلية لآسـيا بأكملهـا أو بـانتوى هـوى إبيثالاسـيوي وهـو الوصـف الـذي نقلـه لنـا هـيرودوت HERODOTUS في (الكتاب الخامس فقرة 30) .

ولقـد تـم مـنح أوتـانيس OTANES قيـادة السـاحل (هـوى باراثـالا سـيوي أندريس) (الكتاب الخامس فقرة 25)، ومن الواضح أنه حصل على جزء مـن سـلطات أرتافرنيس Artaphernes والذي قام بتنسـيق عمـل القـوات الفارسـية الموجـودة في المنطقة بأكملها وحتى نهر The Halys (الكتاب الخامس فقرة 102)، ومـن الصـعب التـيقن مـما إذا كـان أرتـافرنيس Artaphernes هـو الـذي أشرف عـلى الفتوحـات الأوروبية أم لا، ويشير هيرودوت HERODOTUS في سياق الثورة الأيوينة (الكتـاب السادس فقـرة 33) إلى حـاكم داسـيليوم وهـو أوبـاريس Oebares ابـن ميجابـازوس

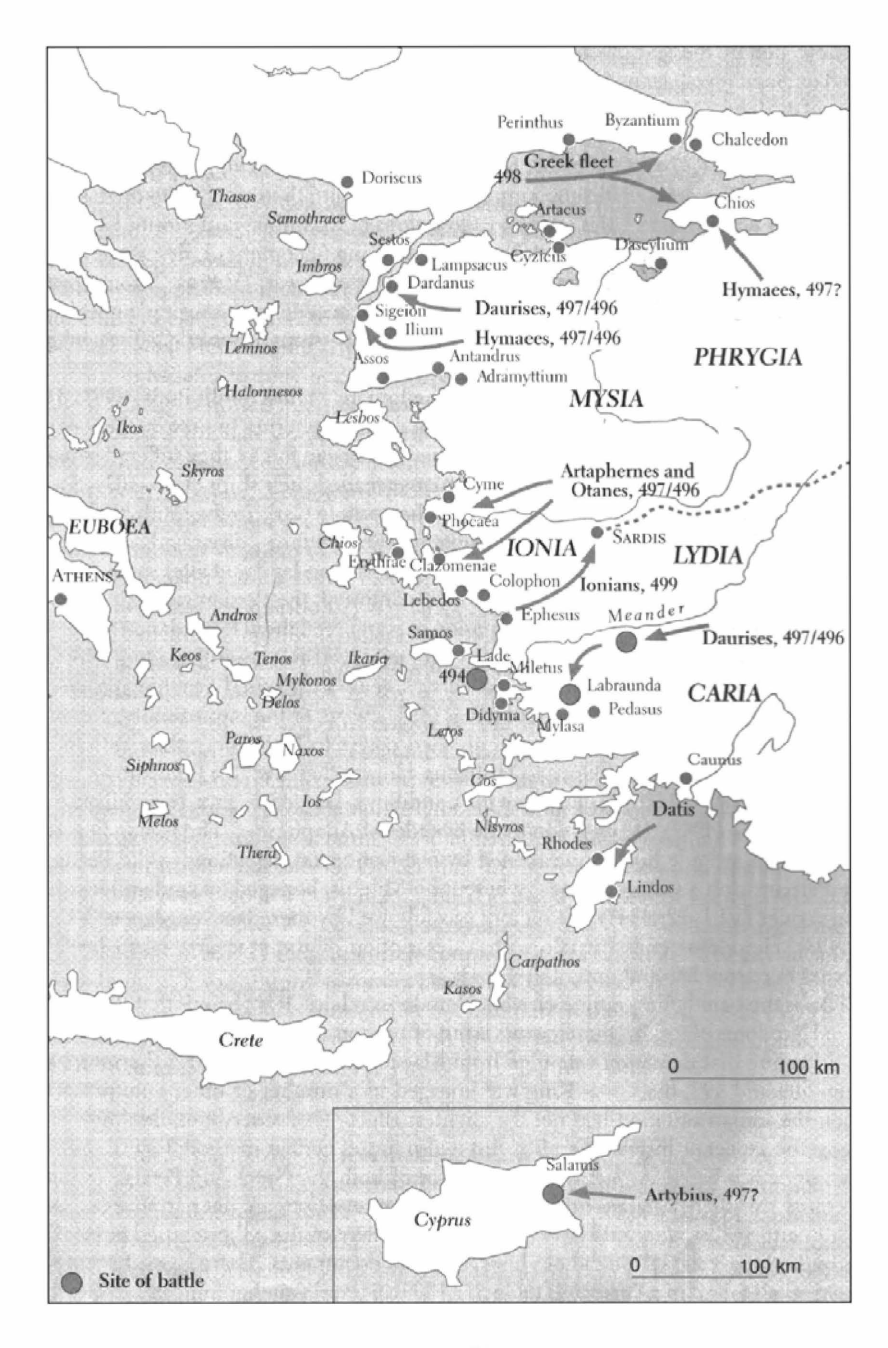
(الكتاب السادس فقرة 33)، ومهما كانت درجة عدم التيقن التي عندنا حول المضمون الإداري المتغير للكلمة «هيبارخوس» فإنه توجد أسباب كثيرة تدفعنا للاعتقاد بأن أوباريس Oebares هذا كان مرزباناً على داسيليوس، ومما لا شك فيه أنه كانت له مسؤوليات بهذا الخصوص، ولو فقط بسبب الموقع الاستراتيجي للمرزبانية التي يحكمها، والتي كان يؤهلها وبشكل رائع لأن تعمل كجسر بين آسيا وأوروبا، وأخيراً فلقد كانت مدينة سيستوس في شبه جزيرة طراقيا THRACE مدينة محصنة، وذات أهمية حاسمة، ولقد كان الجسر الذي عبر عليه دارا DARIUS عقب عودته إلى طراقيا THRACE هو ذلك الجسر الذي بناه ماندروكليس Mandrocles حاكم ساموس قبل عام 513، والذي كان يؤدي إلى إحدى المناطق المتاخمة لسيستوس، ولقد قام أرتايكتيس بالاستيلاء على سيستوس والمنطقة المجاورة عام 480 وذلك بناءً على أوامر من مرزبان داسيليوم أو ساردیس SARDIS أو بأمر مباشر من الملك .

3- الثورة الأيونية:

خيط الأحداث والمشكلات التي يثيرها:

توقفت القلاقل لبعض الوقت قبل أن تعاود الاندلاع مرة أخرى في أيونيا، ولقد كان مصدر الاضطرابات هذه المرة مدينتي ناكسوس وملطية (الكتاب الخامس فقرة 28)، إن هذه هي الطريقة التي يبدأ بها هيرودوت HERODOTUS فقرة طويلة حول ثورة إقليم أيونيا، وبدون أن يذكر أي شيء إضافي عن الفترة بين الفتوحات التي قام بها أوتانيس OTANES (الكتاب الخامس فقرة 27: حوالي عام 510)، ومقدمة هذه الثورة (449)، وهذه هي رواية هيرودوت HERODOTUS عن تسلسل تواريخ وقوع الأحداث .

ففي حوالي عامي (500-499) تقدم أرستاجوراس Aristagoras



Perinthus
Byzantium
Chalcedon
Greek fleet
498
Doriscus
Thasos
Samothrace
Artacus
Chios
Sestos
Cyzicus
Dascylium
Imbros
Lampsacus
Dardanus
Hymaees, 497?
Sigeion
Daurises, 497/496
Ilium
Hymaees, 497/496
Lemnos
Assos
Antandrus
Adramyttium
PHRYGIA
Halonnesos
MYSIA
Lesbos
Ikos
Skyros
Artaphernes and
Otanes, 497/496
Cyme
EUBOEA
Phocaea
Chios
IONIA
SARDIS
LYDIA
ATHENS
Erythrae
Clazomenae
Colophon
Ionians, 499
Lebedos
Andros
Ephesus
Meander
Samos
Daurises, 497/496
Keos
Tenos
Ikaria
Lade
Miletus
494
Mykonos
Labraunda
CARIA
Delos
Didyma
Pedasus
Mylasa
Leros
Paros
Naxos
Siphnos
Caunus
Cos
Ios
Datis
Melos
Nisyros
Rhodes
Thera
Lindos
Carpathos
Kasos
Crete
0
100 km
Salamis
Artybius, 497?
Cyprus
0
100 km
Site of battle

خريطة رقم 1

حاكم الولاية ملطية وابن أخو هستيوس Histiaeus (الذي ظل منذ عامي 511-510 في بلاط دارا DARIUS (الكتاب الخامس فقرة 24) إلى أرتافرنيس Artaphernes باقتراح سوف يعود بالنفع على الاثنين، حيث إن بعض أثرياء من ناكسوس قد طردهم الشعب من تلك الجزيرة، ولقد لجأ هؤلاء الأثرياء إلى أرستاجوراس Aristagoras طلبًا لمساعدته، واعتمادًا على العلاقات الطيبة التي كانت تربطهم بهستيوس Histiaeus ؛ ولأن أرستاجوراس Aristagoras لم تكن لديه القوات اللازمة للدخول في مثل هذه المغامرة فلقد لجأ إلى أرتافرنيس Artaphernes موضحًا له مميزات وفوائد شن مثل هذه الحملة بأنها سوف تضيف إلى ممتلكات الملك ليس فقط ناكسوس نفسها ولكن أيضًا جزر أخرى في Cyclades مثل باروس وأندروس التابعة لناكسوس، وحينئذٍ، وعندما يتخذ من Cyclades قاعدة له فإنه لن يجد أية صعوبة في مهاجمة يوبيا (الكتاب الخامس فقرة 31)، ولقد قام أرتافرنيس Artaphernes بعد حصوله على موافقة دارا DARIUS بجمع قوة كبيرة، وعهد إلى ميجاباتيس Megabates بقيادتها (والذي كان ابن عم له ولدارا DARIUS) ، ولقد دب الشقاق بسرعة كبيرة بين ميجاباتيس Megabates وأرستاجوراس Aristagoras ، وأقصى ما تمكنا من تحقيقه هو أنهما تركا أثرياء ناكسوس المنفيين في حصن وعادا إلى البر الرئيس، فقد منيت هذه الحملة بالفشل (الكتاب الخامس فقرات 30-35) .

وخوفًا من أن يتم طرده من جزيرته، ومن رسالة وصلت إليه من هسيتوس قرر أرستاجوراس Aristagoras إعلان التمرد على دارا DARIUS ، وذلك على الرغم من معارضة المؤرخ الملطي هيكاتيوس Hecataeus لهذه الفكرة، ولقد عزم أرستاجوراس Aristagoras بعد تغلبه على حكام الولاية الذين شاركوا في حملة ناكسوس على القيام بتمرد علني للإضرار بمصالح دارا DARIUS بكل الطرق التي يمكن تخيلها

(الكتاب الخامس فقرة 37)، ولقد كان من أول الأفعال التي قام بها أنه ادعى التنازل عن سلطته لصالح الحكومة المنتخبة ديمقراطيًا (إيسونومي)، ثم أخذ يعمل على تحقيق هذا الشيء نفسه في المدن الأيونية الأخرى (الكتاب الخامس فقرة 38) .

ونتيجة لإدراكه مدى ضعف القدرات العسكرية له رحل إلى اليونان، وفي إسبرطة رده الملك كليومينيس Cleomenes الأول بلطف، وذلك على الرغم من الغنائم المغرية التي وعده أرستاجوراس Aristagoras بالحصول عليها بعد هزيمة هؤلاء الهمجيين، والذين لم يكونوا على دراية بالحرب (الكتاب الخامس فقرة 49)، ومن إسبرطة اتجه أرستاجوراس Aristagoras إلى أثينا (الكتاب الخامس فقرة 55)، وعندما اقتنعوا بقبول طلب أرستاجوراس Aristagoras أصدر الأثينيون مرسومًا يقضي بإرسال 20 سفينة حربية إلى أيونيا (الكتاب الخامس فقرة 97) وتبعتهم إرتريا بـ5 سفن حربية أخرى بعد ذلك بوقت قليل (الكتاب الخامس 98) .

وقد بدأت الأعمال العدائية بغارة شنها الأيونيون على ساردیس SARDIS نفسها (499؟)، وعندما عجز الأيونيون عن الاستيلاء على القلعة (الأكروبوليس) في ساردیس SARDIS والتي كان يتولى أرتافرنيس Artaphernes بنفسه الدفاع عنها «قاموا بإحراق الجزء السفلي من المدينة وانسحبوا بعد ذلك، ولقد قامت القوات الفارسية بمطاردتهم وأنزلت بهم هزيمة كبيرة بالقرب من إيفيسوس، وقام الأثينيون عند هذه النقطة باستدعاء سفنهم (الكتاب الخامس الفقرات 99-103)، وعلى الرغم من ذلك فقد امتدت الثورة بعد ذلك بقليل من بيزنطة في الشمال إلى كاريا في الجنوب (498-497)، ثم انتقلت بعد ذلك إلى الدويلات القبرصية باستثناء أماثوس، ولقد نزلت القوات الفارسية من سفنها على الجزر وفاز الأيونيون في معركة بحرية، ولكن الفرس انتصروا بريًا، وتمكنوا بعد عدة شهور من الاستيلاء على آخر المدن المقاومة (الكتاب الخامس

فقرات 104-116)، وعلي أرض القارة واصل القادة الفرس هجومهم البري، وذلك حتى قيام إقليم كاريا بإعلان الحرب عليهم، مما دفعهم إلى إرسال جنودهم إلى هناك، وبعد تحقيقه انتصارًا أوليًّا، وقع الجيش الفارسي في كمين لقي فيه قادته مصرعهم (الكتاب الخامس فقرات 116-122)، وعلي الرغم من ذلك واصل القادة الفرس الباقون عملية متصلة ومنظمة لإعادة غزو المدن التي تقع على مضيق الدردنيل والمدن الأيونية (497)، وعندما أدرك أرستاجوراس Aristagoras استحالة هزيمة القوات الفارسية قام بالتنازل عن السلطة إلى بيثاجوراس Pythagoras ، ثم أبحر متجهًا إلى مرسينوس (والتي كانت فيما سبق هدية من دارا DARIUS إلى هستيوس Histiaeus ، ولقد فقد بعد ذلك في إحدى المعارك غير المعروفة التي شنها ضد طراقيا THRACE (الكتاب الخامس فقرات 122-126) .

وكما يقول هيرودوت HERODOTUS ، فإن هذه الظروف كانت هي السائدة في وقت عودة هستيوس Histiaeus إلى سارديس 496) SARDIS ؟)، ولقد أمر أرتافرنيس Artaphernes بقتله بعد ذلك بفترة قصيرة، وكان الأسطول الأيوني متمركزًا في لادي Lade ، ولقد أصابه الضعف جراء ارتداد بعض المدن الأيونية إلى صف الفرس سواء بشكل معلن أو خفي، وقد انتصر الفرس في Lade وبناءً عليه تمت محاصرة ملطية برًا وبحرًا، مما اضطرها إلى الاستسلام (الكتاب السادس الفقرات 1-22 سنة 494)، ولقد أعقب هذا الانتصار على مدينة ملطية انتقام لا رحمة فيه (الكتاب السادس الفقرات 22-41، سنة 493)، وينهي هيرودوت HERODOTUS روايته بوصفه للإجراءات التي اتخذها أرتافرنيس Artaphernes لاستعادة القانون والنظام (الكتاب السادس الفقرتان 42-43) .

وهذا هو الإطار المختصر لما يرويه هيرودوت HERODOTUS ، ومن الواضح أن الأهمية التي يعطيها هيرودوت HERODOTUS لهذه

الأحداث لا تتناسب مع الاهتمامات الكبرى لدارا DARIUS ، حيث إنه كان يدير إمبراطورية أصبحت تمتد -منذ ذلك الحين- من مقدونيا حتى نهر الإندوس، وبالإضافة إلى ذلك فإن الملك الأكبر كان في الفترة ما بين عامي (500-493) مشغولاً بعدد من المشروعات الأخرى التي لم يكن للموقف الأيوني أدنى تأثير عليها، وبلا شك فإن هذه الملاحظات تشتمل على جانب من الحقيقة التاريخية، ولكنها أيضًا تثير بعض التحفظات فيما يتعلق بطريقة الوصول إليها أو تكوينها، حيث تقوم ضمنيًّا على صمت كل من المصادر اليونانية والفارسية وعدم ذكرها شيئًا حولها، وبالتأكيد فإن هذا الصمت لا يعني شيئًا؛ وذلك لأن النقوش الملكية ليست نصوصًا روائية، وبالمثل فإننا لم نكن لنحصل على أية معلومة عن المدى الذي وصلت إليه السياسة التي اتبعها دارا DARIUS في وادي النيل لو لم تكن لدينا الوثائق المصرية، ولا توجد إشارة واحدة للثورة الأيونية التي كانت في أحد الألواح من Persepolis (1809Q) ، حيث تشير في الحقيقة إلى أن داتيس Datis (انظر: ص 158) قد عاد من سارديس SARDIS حاملاً معه تخويلاً ملكيًّا، ونميل إلى افتراض أنه قدم من عند دارا DARIUS ليقوم بجولة تفقدية لآسيا الصغرى عشية الهجوم الأخير (والذي من المؤكد أنه كان بناءً على أمر من الملك شخصيًّا ومستشاريه)، ولا يوجد شك بعد ذلك في أن القوات الفارسية المتمركزة في كيليكيا كانت تتلقى أوامرها مباشرة من الإدارة المركزية؛ وذلك للقيام بشن هجوم واسع على جزيرة قبرص في عام 497 (8، 1، 7)، وما يرويه هيرودوت HERODOTUS عن اللحظات الأخيرة في حياة هستيوس Histiaeus يوضح أيضًا أن دارا DARIUS أراد أن يتصرف أرتافرنيس Artaphernes بناءً على التعليمات الملكية له (الكتاب السادس فقرة 30) بالطريقة نفسها التي تصرف بها عندما قام بالحصول على إذن الملك أولاً قبل شنه الحملة على ناكسوس (الكتاب

الخامس فقرات 3-31)، وفي حين أنه من المحتمل أن دارا DARIUS في البداية (كان كما يسجل هيرودوت HERODOTUS في إحدى الفقرات المثيرة للشكوك: الكتاب الخامس فقرة 105) لم تكن تساوره مخاوف كبيرة، حيث إنه كان واثقًا من التفوق العسكري لقواته، إلا أنه من المؤكد بدرجة أكبر أن المسار الذي اتخذته العمليات العسكرية قد تسبب بالتأكيد في إثارة قلقه، وفي رغبته بألا يتم تنفيذ أي شيء إلا بناءً على قرار منه، ويروي لنا هيرودوت HERODOTUS في هذا السياق كيف أن هستيوس Histiaeus قد أقنع الملك الأكبر بأن يسمح له بالعودة إلى ملطية ليحاول إقناع مواطنيه بالكف عن القتال، وفي الحقيقة فإن الاستراتيجية الغريبة لدارا DARIUS قد تطلبت منه القيام بمجهودات كبيرة وقوية لاستعادة ساحل آسيا الصغرى؛ لأنه لو خسرها في ذلك التوقيت لكان رأى عددًا لا يمكن حصره من الإخفاقات الخطيرة، والتي ستكون أخطر من تلك الهزائم التي تعرض لها في السهول الأوكرانية، بالإضافة إلى ذلك، فإن الثورة الأيونية تثير عددًا من المشكلات التاريخية التي تتخطى أهميتها الحيز الجغرافي المحدود لساحل آسيا الصغرى، وفي الواقع فإن تحليل هذه الأحداث يمكن أن يرشدنا إلى الوضع السياسي والعسكري للإمبراطورية بأكملها عند بداية القرن الخامس، بالإضافة إلى طبيعة الروابط التي كانت تربط السلطات المحلية والمرزبانية بالسلطة المركزية، وللإجابة عن هذه التساؤلات قام المؤرخون -وبدون توقف- بتحليل رواية هيرودوت HERODOTUS ؛ لأنه باستثناء عدد قليل من الإشارات المختصرة الموجودة في مصادر أخرى (مثل ديودورس Diodorus الكتاب العاشر فقرة 25)، وبالرغم من النقد والهجوم الذي شنه بلوتارك Plutarch عليه (مال. هير. 240 مور 861) إلا أنه لا يزال يمثل مصدر المعلومات الوحيد لدينا.

وبالنسبة لهيرودوت HERODOTUS فإن قيامه بوصف الثورة يرتبط

بشكل وثيق بهدف تاريخي وجغرافي أشمل وأعم، وهو شرح أسباب اندلاع الحرب بين الفرس واليونانيين، وفي اعتقاده، فإنه من الواضح أن الأيونيين الذين لا يكن لهم أي تعاطف قد لعبوا دورًا حقيرًا فلقد جلبت ثورتهم الخراب والدمار (الكتاب الخامس فقرة 28)، ولقد أعطى حرق ساردیس SARDIS الذريعة للفرس لشن حرب للثأر من كل من أثينا إرتريا (الكتاب الخامس فقرة 102)، وكان إرسال التعزيزات إلى أثينا إرتريا هو بداية القلاقل والاضطرابات ليس فقط بالنسبة لليونان ولكن بالنسبة لباقي العالم أيضًا: (الكتاب الخامس فقرة 97)، ولقد تم تقديم أرستاجوراس Aristagoras كرجل مجنون يقوده ويوجهه في البداية الخوف من فقدان السلطة في ملطية، وكان مستعدًا لتوريط اليونانيين في ثورة لا أمل في نجاحها (الكتاب الخامس فقرة 35)، وعندما حث البيونيين الذين تم إبعادهم إلى آسيا على العودة واستعادة السيطرة على بلادهم لم يكن ذلك من أجل تحقيق أية فائدة للبيونيين، ولكن فقط ليضايق دارا DARIUS (الكتاب الخامس فقرة 98)، ويذكر هيرودوت HERODOTUS أيضًا (وبشكل ينم عن الخبث والمكر) أن أرستاجوراس Aristagoras نفسه لم يشترك في الغارة على ساردیس SARDIS (الكتاب الخامس فقرة 99)، وفي النهاية، وعندما عجز عن مواصلة العمليات الحربية التي كان قد تسبب في اندلاعها ترك «هذا المخلوق الجبان» آسيا الصغرى متجهًا إلى طراقيا THRACE (الكتاب الخامس فقرة 124-126) .

كارثة اقتصادية:

من الواضح أن المشكلة تتمثل في أن هيرودوت HERODOTUS لا يقوم بشكل واضح بتوجيه أسئلة يسعى المؤرخون للوصول إلى إجابات لها، ولا يزال يوجد العديد من الأمور غير المؤكدة، بما فيها تلك الأمور التي تتصل بالتواريخ المحددة للأحداث وتسلسلها، وهذه أكثر الأشياء التي تسبب حيرةً وإرباكًا لهؤلاء الذين يحاولون إعادة بناء سلسة

الأحداث التي تقوم على السبب والنتيجة، ولكن أسباب اندلاع هذه الثورة وطريقة تطورها خلال مثل هذه الفترة الطويلة هي من الأشياء المحيرة على وجه الخصوص، وقد تساءل العديدون عما إذا كان الغزو الفارسي قد تسبب في حدوث كارثة اقتصادية في آسيا الصغرى، ولا يزال يتم تقديم إجابات متناقصة تمامًا، والوثائق المتوافرة متفرقة ومتناثرة للغاية، ويتم الاستشهاد غالبًا بتقييم هيرودوت HERODOTUS والذي يقول فيه: لقد بلغت مدينة ملطية خلال هذه الفترة أوج ازدهارها، وكانت مصدر إجلال لأيونيا كلها (الكتاب الخامس فقرة 28)، ولكن يجب أن نضع هذه العبارة في سياقها، ويسجل هيرودوت HERODOTUS أنه قبل ذلك ببعض الوقت كانت هذه المدينة في الحقيقة ممزقة بسبب الاضطرابات المدنية، وقد تمت تسوية هذه الخلافات بواسطة المحكمين، وتظهر المناقشة بوضوح أنه من وجهة نظر هيرودوت HERODOTUS (الكتاب الخامس فقرة 29) كان هذا الثراء الافتراضي يرجع فقط إلى زراعة المحاصيل مرة أخرى في الأراضي التي كانت قد تحولت إلى أراضٍ جدباء، ولا شيء أكثر من ذلك، وإذا كان أرستاجوراس Aristagoras طلب من أرتافرنيس Artaphernes أن يعينه قائدًا على حمله يتم توجيهها ضد ناكسوس، فإن ذلك يرجع إلى أن بلدة ملطية لم تكن قادرة على تحمل نفقات هذه الحملة بمفردها (الكتاب الخامس فقرات 30-35)، فمن الواضح أن ملطية لم يكن عندها الثراء الكافي الذي يمكنها من انتهاج سياسة مستقلة، وبمجرد أن عاد هستيوس Histiaeus إلى ملطية (كما يذكر هيرودوت HERODOTUS)، شرح لمواطنيه لماذا حث أرستاجوراس Aristagoras على مواصلة الثورة كما يلي: «لقد كان دارا DARIUS يخطط لتنفيذ عملية نقل السكان، وكان ينوي توطين الفينيقيين في إقليم أيونيا، وأن ينقل الأيونيين إلى إقليم فينيقيا» (الكتاب السادس فقرة 3)، ويتم الاستشهاد أحيانًا بهذه الفقرة لادعاء أن الفرس بعد

قيامهم بغزو جبهة البحر المتوسط كانوا يفضلون وبشكل منظم البلاد الفينيقية التابعة لهم على البلاد اليونانية، وأن هذه السياسة أدت إلى الدمار التجاري للمدن الأيونية، ولكن هذا التفسير لا يقوم على أية مصادر أخرى مستقلة، فمن ناحية لا يخفى هيرودوت HERODOTUS حقيقة أنه يعتقد أن هذا التفسير غير صحيح، ومن ناحية أخرى فإنه يمكننا أن نفترض بسهولة أن القصور المرزبانية في آسيا الصغرى قد خلقت سوقًا استفاد منها الحرفيون في المدن الأيونية (انظر على سبيل المقارنة هيرودوت HERODOTUS الكتاب الثالث فقرة 105)، ويبدو من المحتمل أيضًا أن جزءًا كبيرًا من الأواني الخزفية اليونانية التي كان يتم توريدها إلى الشرق الأدنى في ذلك الوقت كان يأتي من مدن آسيا الصغرى، ولا يجب أن يتم التضخيم من حجم المنافسة التي كانت بين اليونانيين والفينيقيين مهما كانت أهمية الصراعات السياسية التي كانت موجودة بينهما ودورها في كسب رضاء الملك الأكبر (راجع الكتاب الثامن فقرة 90)، فلم يحدث أبدًا أن اختار الملك طرفًا أو آخر كشريك تجاري مفضل، وتشهد إحدى الوثائق الآرامية البارزة التي نشرت مؤخرًا (تاداي C 7030) ، والتي تعود إلى عهد كسركسيس XERXES (475) على أنه كان من الممكن أن نجد التجار الفينيقيين واليونانيين جنبًا إلى جنب في أحد الموانئ المصرية، وأنه في مواقع عديدة كان يتم المزج بين نماذج الآنية الخزفية اليونانية والفينيقية، بالإضافة إلى ذلك واجهت الأيونيين منافسة شديدة في العالم اليوناني، وخاصة من جانب الأثينيين الذين تمكنوا خلال القرن السادس -وبشكل متنامي- من الفوز ببعض التجارة الإيجية في المناطق الشمالية على حساب الأيونيين، ولكن من غير الممكن تحليل تأثير نتائج هذه المنافسة بأي قدر من الدقة على الوضع الاقتصادي لكل من ملطية والمدن الأيونية الأخرى .

التوترات المدنية والسلطة الأخمينية:

إن الشيء المفاجئ للغاية هو أن الاضطرابات نشأت حوالي عام (500) في حين أن الظروف كانت مواتيه بدرجة أكبر لحدوث ذلك في أوقات سابقة، على سبيل المثال من خلال التحولات الكبيرة التي حدثت في الفترة (522-520) عندما جاء دارا DARIUS إلى السلطة، أو خلال الحملة على أراضي سكيثيا (503) كمثال آخر، في حين أنه من الصحيح أن سلطة أوروتيس OROETES خلال فترة تولي دارا DARIUS السلطة لم توفر الظروف التي تسمح بمحاولة المدن اليونانية الانفصال عن الفرس في آسيا الصغرى، فإن هيرودوت HERODOTUS يقرر وبوضوح أنه من خلال حملة دارا DARIUS على سكيثيا كان لدى حكام الولاية الأيونيين - والذين تعرضوا إلى ضغط كبير من أهل سكيثيا للتخلي عن دارا DARIUS - كل ما يلزمهم لاختيار طريق الانشقاق على دارا DARIUS ، ولكن هذا كان هو المسار الذي اقترحه ملتياديس الأثيني، «يا سيد شبه الجزيرة التي تقع على الدردنيل والقائد... يجب أن يعملوا بنصيحة أهل سكيثيا، وهكذا سيحررون أيونيا» (الكتاب الرابع فقرات 137-138)، ولقد حاول هستيوس الملطي (ومازلنا نتحدث تبعًا لهيرودوت) HERODOTUS أن يستخدم حجج الديمقراطية لإقناع زملائه بالانفصال «كل واحد منهم كان يدين بمنصبه كرئيس دولة إلى دارا DARIUS ، وفي حالة سقوط دارا DARIUS فهو نفسه لن يكون قادرًا على المحافظة على سلطته في مدينة ملطية، وسوف يجد الباقون أنفسهم في مواقف مماثلة، ومن المؤكد أن كل مدينة من المدن الأيونية سوف تنقلب ضد الحكومة الاستبدادية التي تحكمها، وسوف تهيج الرأي العام من أجل الديمقراطية (الكتاب الرابع فقرة 137)، ولا تخلو رواية هيرودوت HERODOTUS هذه من عدم الدقة (دور ميلتياديس Miltiades على سبيل المثال)، أو الاشتمال على مفارقات تاريخية، ومن الواضح أنه يذكر هنا -علي لسان هستيوس Histiaeus -

مناقشة أو حجج كان قد استخدمها أرستاجوراس Aristagoras في بداية الثورة، وهذا يشير على الأقل إلى أنه من وجهة نظر هيرودوت HERODOTUS كانت المدن اليونانية تواجه مشكلات سياسية داخلية في ذلك الوقت، والتي كانت ذات صلة وثيقة بالعلاقة التي كانت تربطهم بالسلطة الفارسية، وتلقى هذه المناظرة بصيصًا من الضوء على طبيعة التناقضات التي وجد حكام الولاية اليونانيون أنفسهم فيها عالقين بين مطمحين لا يمكن التوفيق بينهما، وهما التحرر من الحماية الفارسية، واستعادة سلطاتهم الخاصة .

ويقدم هيرودوت HERODOTUS الإجراءات التي اتخذها أرستاجوراس Aristagoras في بداية التمرد المعلن كما يلي: فبعد أن قام بالقبض على القادة الذين شاركوا في حملة ناكسوس، اتخذ القرار التالي (الكتاب الخامس فقرات 37-38): «ليحرض أهل ملطية على مساندته (هيكونتيس)» بدأ في الادعاء بالتخلي عن مركزه لصالح حكومة ديمقراطية (إيسونومي)، ثم مضى ليفعل الشيء نفسه في الدويلات الأيونية حيث تخلص من القادة السياسيين بطرد بعضهم، وتسليم البعض الآخر كل إلى المدينة التي ينتمي إليها، آملاً بذلك أن ينال رضاء مواطنيهم السابقين، وفي مدينة Mytilene وبمجرد أن أصبح كوس Coes في قبضتهم أخذوه إلى الخارج ورجموه حتى الموت، ولكن في مدينة Cyme تركوا أرستاجوراس Aristagoras حرًا، ولقد أظهرت غالبية المدن الدرجة نفسها من اللين والتسامح تجاه حكامهم.

ومباشرة نجد أن هيرودوت HERODOTUS يصدر حكمه بدون شفقة على أرستاجوراس Aristagoras ، حيث إنه لم يصدق -ولو للحظة- حماسته هذه للديمقراطية (بدأ في الادعاء)، ولكن بغض النظر عن هذا فإن طريقة تقديمه للمواقف التي حدثت في عامي 513، 499 تقوم على اقتناعه بأنه كانت هناك رابطة مطلقة بين حكام الولاية والسلطة الأخمينية،

ومنذ ذلك الحين الذي استولى فيه الأخمينيون على السلطة، كان طرد حكام الولاية أحد المتطلبات اللازمة لاندلاع الثورة، ومن الصعب عدم الاتفاق مع هيرودوت HERODOTUS حول هذه النقطة، وبالتأكيد لم يتم طرد جميع حكام الولاية عن طريق التدخل الأخميني، فعندما رحل هستيوس Histiaeus إلى صوصا SUSA ، كان من تولى السلطة من بعده هو زوج ابنته وابن عمه أرستاجوراس Aristagoras (الكتاب الخامس فقرة 30) .

وهذا يوضح حقيقة أن تناقل وظيفة حاكم الولاية كان يتم في المقام الأول خلال الأسرة نفسها، وفي الوقت نفسه، وكما يقول هستيوس Histiaeus فإنه يبدو واضحًا أن السلطان الذي كانوا يمارسونه كلٌّ على المدينة التي يحكمها كان مرتبطًا وبشكل مباشر بالدعم الذي كانت تقدمه لهم السلطات الأخمينية .

وعلي أية حال، فإن معظم حكام الولاية الذين تم طردهم نتيجة لأفعال أرستاجوراس Aristagoras قد تحولوا على الفور إلى المعسكر الفارسي (الكتاب السادس الفقرتان 9-10)، وهناك قاموا بتزويد الفرس بمعلومات داخلية عن المدن التي كانوا يحكموها (راجع الكتاب السادس فقرة 13)، ومن وجهة نظر الأيونيين كان السلطان الذي يخضعون له يمارس عليهم بصورة مشتركة من قبل كل من الفرس وحاكم الولاية الذي يحكمهم (الكتاب السادس فقرة 21)، ولقد حدث هذا الوضع نفسه في قبرص، فبمجرد أن استولى أخوه أونيسيلوس Onesilus على السلطة، وثار ضد الفرس، قام جورجوس Gorgus ملك سلاميس بنقل ولائه إلى بلاد فارس (الكتاب الخامس فقرة 104)، وعندما يكتب هيرودوت HERODOTUS قائلاً إنه بعد انتصار الفرس أعاد الشعب (شعب سلاميس) المدينة إلى حاكمها السابق جورجوس Gorgus (الكتاب الخامس فقرة 115) فإنه بذلك يقول إن سلطة جورجوس

Gorgus كانت شرعية (بالنظر إلى التقاليد الملكية لسلاميس)، ولكنه يوضح في الوقت ذاته أن هذه الشرعية لا يمكن أن تتم استعادتها بدون القوة العسكرية الفارسية .

وبالتأكيد فإننا لا يمكننا أن نرى أي تفضيل أيديولوجي ضمني من جانب الفرس والذين قرروا ببساطة خلال إحدى الفترات في تاريخ المدن اليونانية أن التحالف مع حكام الولاية هو أفضل طريقة لتثبيت ملكهم هناك .

ومن هذا المنطلق، فإن السياسة التي اتبعها الفرس في آسيا الصغرى لا تختلف اختلافًا جذريًّا عن السياسة التي اتبعوها في البلاد الأخرى التي فتحوها، والتي تتمثل في مساندة القادة المحليين طالما وافقوا على أن يلعبوا مع الفرس لعبتهم، ولكن عند أول مخالفة لهم يستطيع الملك أن يطردهم، ويأتي بقادة غيرهم أكثر خضوعًا، بالإضافة إلى ذلك فإن سياسة دارا DARIUS فيما يتعلق بالمعابد الموجودة في آسيا الصغرى لم تختلف اختلافًا جوهريًّا عن سياسته في بابل، مصر، أو في إقليم يهودا (فصل 12) .

ويُظهِر ما حدث في ناكسوس أن سلطة الأسر العريقة التي انحدر منها حكام الولاية في آسيا الصغرى كانت مهددة بسبب الضغط الشعبي، والذي حدث بعد ذلك هو أن شعب ديموس (الكتاب الخامس فقرة 30) قام بإزاحة ممثلي هذا الحزب العريق، ومهما كانت الحقائق الاجتماعية التي تعكسها كلمات هيرودوت HERODOTUS فإنه من الواضح أن ناكسوس قد مرت بثورة ديمقراطية (أو أيسونومية، لا يوجد بينهما فرق مهم)، ولم تظهر هذه الاتجاهات الديمقراطية أو الأيسونومية في آسيا الصغرى فجأة، حيث -علي سبيل المثال- تشهد النقوش التي تعود للفترة ما بين عامي (575-550) على وجود حكام ومجلس محلي في كيوس (Ml8) ، ومن المحتمل أيضًا أن نموذج أثينا المجاور (الثورة

الكلستينية) قد حفز إرادة الشعب للتخلص من استبداد الأسر العريقة، وقد أدرك أرستاجوراس Aristagoras في ظل هذه الظروف أنه حتى تكون عندهم فرصة في النجاح، فإنه يقع لزامًا عليهم توسيع القواعد الاجتماعية للثورة؛ ولتحقيق ذلك كانوا مضطرين للاستسلام للضغط الأيسونومي (والذي من الواضح أن ملطية قد شعرت به هي الأخرى كما يقترح هيرودوت HERODOTUS في الكتاب الخامس الفقرتان 28-29)، ولقد سمحت هذه السياسة أيضًا لأرستاجوراس Aristagoras بأن يتولى قيادة العمليات حيث طلب من كل مدينة أن تسمي بعض القادة (ستراتيجوي) الذين سوف يعملون منذ ذلك الحين تحت توجيهه .

ويشهد هذا القرار على براعة أرستاجوراس Aristagoras السياسية فقد قام حكام الولاية الذين كانوا موجودين في عام 513 بتبني الخيار الأفضل فيما بين التبعية الخارجية أو الديمقراطية الداخلية، وفي ذلك الوقت أي عام (513) كان شعار تحرير أيونيا هو الشعار الذي كان ميلتياديس (Miltiades) يزعم الدفاع عنه، وعلي الرغم من أننا لا نعرف من حفزه على هذا القول فإن هذا لم يكن بالتأكيد شعارًا فعالاً في تعبئة الجماهير أكثر مما كانت عليه الحال في عام (500)، وبمعنى آخر فإنه من غير الممكن أن نشرح أسباب نشأة الثورة الأيونية من خلال وعي قومي (غير موجود أساسًا)، أو من خلال عدو وراثي (ونقصد بذلك «لقد كان الفرس أعداءنا دائمًا»)، وهما المفهومان اللذان تمت صياغتهما فيما بعد في بلاد اليونان بواسطة مناظرين مثل أيسوقراط .

ولم يتم تحديد الموقف الأيوني تجاه السيطرة الفارسية فقط من خلال النظر إلى الفرس على أنهم مختلفين ثقافيًا، وبدلاً من ذلك وبشكل أكثر أهمية فقد كان الموقف الذي يتخذه الأيونيون تجاه الفرس يتحدد تبعًا لمكانة كل مجموعة في إطار المدينة اليونانية التي تعيش فيها، وبالجهود التي كانت تبذلها كل جماعة لتحقيق مصالحها، ولقد استطاع

أرستاجوراس Aristagoras أن يصل بهذه الفكرة إلى نهايتها المنطقية لشن الحرب على الفرس، وكان ذلك يستلزم أن يتم إشراك فئات المجتمع التي ظلت مستثناة حتى الآن من السلطة، ومن الملائم أيضًا أن نقوم بإضافة ملاحظة أخيرة والتي ستسمح لنا بإنشاء رابطة أخرى بين التوترات الداخلية والثورة ضد بلاد فارس، ولقد تعززت هذه الملاحظة بالإجراءات التي اتخذها أرتافرنيس Artaphernes عند نهاية الثورة، ويقرر هيرودوت HERODOTUS بشكل واضح جدًّا أن هذه الإجراءات أدت إلى السلام (الكتاب السادس فقرة 42)، وبالنظر إلى أنها كانت تتصل في الأساس بمسألة الجزية وليس فقط بمقدارها: فصل 12- 5، فإن هذا يدفعنا للاعتقاد بأن انتزاع الجزية داخل كل مدينة قد أثار أو بشكل أدق كشف عن الاضطرابات الداخلية الاجتماعية، ولقد كان هذا هو أيضًا الوضع في إقليم يهودًا بعد ذلك بخمسين سنة (نهيميًّا 5: 1-3 انظر بالأسفل فصل 14-5)، حيث إن انتزاع الجزية بشكل ينم عن عدم المساواة بين الأغنياء والفقراء ربما يكون قد لعب دورًا في تسريع وقوع الاضطرابات الاجتماعية والسياسية، وعلى أية حال فإن تأييد الثورة في حالة الأيونين قد عزز الأمل في وضع نهاية لهذا الضغط الخارجي، وما سيلي ذلك من ضغط داخلي اجتماعي وسياسي .

استراتيجية أرستاجوراس Aristagoras بداية الثورة:

إذا افترضنا أن التفسيرات السابقة تعكس بشكل كلي أو جزئي الحقيقة، فإننا ما نزال في حاجة لأن نفهم لماذا قام أرستاجوراس Aristagoras في هذه اللحظة بالذات برفع راية الثورة؛ ولتحقيق ذلك فإننا يجب أولاً أن نرجع إلى قصة الحملة على ناكسوس، فمنذ وقت مبكر لم تكن هناك فرصة لعدم التعاون مع أرتافرنيس Artaphernes مرزبان سارديس SARDIS ؛ ولأن كل السفن كانت تحت قيادة القادة الفرس، فقد كانت الخطوة الأولى لأرستاجوراس Aristagoras هي

السـعي للحصـول عـلى مسـاعدة أرتـافرنيس Artaphernes ، ولقـد وعـد أثريـاء ناكسوس الذين تم إبعادهم عن الجزيـرة بتقـديم مسـاهمات ماليـة، ولقـد كانـت هذه هـي الشروط التـي قـام أرسـتاجوراس Aristagoras بنـاءً عليهـا بالتقـدم إلى أرتافرنيس Artaphernes ومفاتحته، وعقب صدور إعلام بالتعبئة طلب من بعـض المدن الأخرى إرسال مجدّفين إلى الأسطول الملكي، وبالتأكيد فإنه منذ البدايـة كانـت للأطراف المتحالفة أهداف متناقضة، فقد كان أرستاجوراس Aristagoras يأمـل أن ينال المزيد من المكانة بسـبب هـذه الحملـة، أمـا أرتـافرنيس Artaphernes عـلى الجهة الأخرى فكان يعلم أن هذه الحملة هي حملة فارسية أمر بها الملك، وأن لها هـدفًا أخمينيًّـا حقيقيًّـا هـو السـيطرة عـلى جزيـرة صـورها لـه أرسـتاجوراس Aristagoras على أنهـا المفتـاح للسـيطرة عـلى The Cycldes (الكتـاب الخـامس فقرة 31) ولكن سرعان ما دب الشقاق وعدم الثقة بين أرستاجوراس Aristagoras والقائد الفـارسي للأسـطول المسـمى ميجابـاتيس (Megabates) ، ولقـد ازداد هـذا الشقاق فيما بعد عندما وجد الفرس أنفسهم في حاجة إلى المال (الكتـاب الخـامس فقرة 34)، وفي الحقيقة فإنه من المحتمـل -وكـما كـان مـن المعتـاد- أن أرتـافرنيس Artaphernes قد تلقى أوامر مشددة من السلطة المركزية بمنح قدر محـدود مـن التمويل للحملة، والذي كان يتم حسابه اعتمادًا على عدد السـفن والجنـود الـذين تم تجنيدهم، والمدة المتوقعة للحملة .

وتبعًا لهـيرودوت HERODOTUS فمنـذ هـذه اللحظـة اتخـذ أرسـتاجوراس Aristagoras قراره بالتمرد والثورة، ويقـوم هـيرودوت HERODOTUS بتقـديم تفسيرات ذات طبيعة شخصية لذلك القرار، ويضـيف أن أرسـتاجوراس Aristagoras قد تلقى تعليمات بإعلان الثورة صـدرت إليـه مـن هسـتيوس (Histiaeus) في قصره الذهبي في صوصا SUSA ، ولكن القصة التي قدمها مشكوك في صحتها إلى حد كبـير

(الكتاب الخامس فقرة 35)، فلم يكن أرستاجوراس Aristagoras بأي شكل من الأشكال غافلاً عن تفوق الفرس، ولقد كان الأمل الوحيد لليونانيين -كما يصفه لنا هيكاتيوس (Hecataeus) - والذي من المؤكد أن أرستاجوراس Aristagoras كان يدركه جيدًا يتمثل في نقل المعركة إلى البحر، ولقد «نصح هيكاتيوس (Hecataeus) بالسيطرة على البحر»، وكان الحل الوحيد هو الاستيلاء على الأسطول الفارسي الذي كان قد رسى للتو في ميوس عقب عودته من الحملة الفاشلة على ناكسوس، ولقد تم إرسال أرستاجوراس Aristagoras إلى ميوس للقبض على قادة السفن (وهم حكام الولاية الذين ساهموا في الحملة على ناكسوس)، وبالتأكيد أيضًا للاستيلاء على السفن عن طريق شن هجوم جريء على القاعدة البحرية، ولكن كان على اليونانيين بعد استيلائهم على الأسطول الملكي أن يقوموا بتسوية وحل الأزمة المالية التي كان يعاني منها، ولقد كان الاحتفاظ بأسطول ضخم كهذا، والذي من المحتمل أن عدد سفنه كان يبلغ 200 سفينة أمرًا مكلفًا للغاية، ويمكننا أن نقدر التكلفة على الأقل بـ(60 طالن) في الشهر، وذلك بدون حساب تكاليف الصيانة والإصلاحات، وقد حل الفرس تلك المشكلة عن طريق التجنيد والجزية، وكانت التكاليف هي السبب الذي جعل أرستاجوراس Aristagoras يقترح قيامهم بالاستيلاء على خزائن ديديما: «إذا تم تنفيذ ذلك فسيكون لديهم أمل كبير في نجاحهم في السيطرة على البحر» (الكتاب الخامس فقرة 36)، ولقد تم رفض اقتراحه -كما يقول هيرودوت - HERODOTUS «فلقد قرروا على الرغم من ذلك التخلص من سيطرة الفرس واستعبادهم لهم».

وعلي الرغم من أن استراتيجية أرستاجوراس Aristagoras تبدو منطقية حتى الآن (أو على الأقل، إذا كان المؤرخ المعاصر يستطيع أن يعطيها معنى!) إلا أنه من الصعب إدراك لماذا قرر عقب عودته من أوروبا (حيث نجح هناك في الفوز بدعم مشوب بالحذر من كل من أثينا

إرتريـا) بـدء حملـة ضـد سـارديس SARDIS بعـد أن جعـل الأسـطول يرسـو في إيفيسوس، ولقد نجح اليونانيون في الاقـتراب مـن سـارديس دون أن تـواجههم أيـة مشكلات؛ وذلك بفضل المرشدين من مدينة إيفيسـوس الـذين قـادوهم عـبر طـرق متعرجة، وعلى الرغم من ذلك فقد أثبتوا عجزهم عن السيطرة على قلعـة المدينـة، والتي قامت جميع المصادر القديمة بالتأكيد على مدى حصانة موقعهـا، وعـلى أيـة حال كان من المستحيل بالنسبة لهذا العدد الضئيل من القوات الـذي تنقصـه آلات الحصار، والذي واجهته مقاومة كبيرة أن يتمكن من اقتحام هذا الحصن، ولا بـد أن أرسـتاجوراس Aristagoras كـان مـدركًا لحقيقـة أن أرتـافرنيس (Artaphernes) سوف يكون قادرًا في وقت قصير جدًّا على جمع قـوات مـن الفرسـان، وكـل الفـرس المتمركزين غرب نهر The Halys (الكتاب الخامس فقرة 102)، أي أنه من المؤكـد أن احتياطي الجيش سوف يتقدم من الأراضي الممنوحة للنبلاء الفـرس المتفـرقين في أرجاء الإمبراطورية، وبالفعل فـإن هـذا الاحتيـاطي قـد اسـتجاب لما حـدث، ولقـد اضطر اليونانيون إلى الفرار في حالة من عدم النظام نحو إيفيسوس قبل أن يـتمكن الناجون من القتال من التفـرق (الكتـاب الخـامس فقـرة 102)، وسرعـان مـا تخـلى الأثينيون والإرتريون عن الأيـونيين وتركـوهم يواجهـون الفـرس بمفـردهم (الكتـاب الخامس فقرة 103) .

وإذا قمنـا عـلى العكـس مـما يقولـه هـيرودوت HERODOTUS بـافتراض أن أرستاجوراس Aristagoras لم يكن مجنونًا، فإننـا يجـب أن نقـر بأنـه كانـت لـه أسـباب وجيهة لفعل ما فعله، فمن ناحية يجب أن نذكر أنه لم يضع في المواجهة سـوى جـزء ضـئيل للغاية من قواته، فلقـد ظـل الأسـطول والجنـود الـذين كـانوا عـلى متنـه سـالمين كـما هـم، ومستعدين لخوض معارك أخرى، هل يمكن أن يكون السبب من وراء الهجوم على سارديس SARDIS هو إعطاء إشـارة إلى سـكان آسـيا الصـغرى؟ فقـد كـان مثـل هـذا الهجـوم غـير

المسبوق سيؤدي إلى إثارة إعجابهم، حيث إنه لا يوجد له مثيل في تاريخ السيطرة الفارسية على آسيا الصغرى باستثناء المحاولة التي قام بها أجيسيلوس Agesilaus بعد ذلك بقرن من الزمان، أو المحاولة الأخرى التي قادها الإسكندر ALEXANDER بعد ذلك بأكثر من 160 عامًا (وفي ظل ظروف مختلفة تمامًا) .

وبمعنى آخر فإن ما نقترح قوله هو أن أرستاجوراس Aristagoras لم تكن عنده أية طموحات حول مدى الفاعلية العسكرية لتلك المغامرة، ولكنه كان يأمل من ورائها وقبل كل شيء أن ينال بعض المكاسب السياسية، وتظل الحقيقة هي أن الأسطول اليوناني قد قام سريعًا بعمل جولة دعائية حقيقية حول ساحل آسيا الصغرى من الدردنيل وحتى إقليم كاريا، ولقد انضم جزء كبير من شعوب ومدن هذه المنطقة إلى الثوار (الكتاب الخامس فقرة 103)، وكان هذا أيضًا هو ما فعله جميع الملوك القبارصة باستثناء ملك سلاميس الذي هرب إلى الفرس، وملك أماثوس الذي سرعان ما حاصرته القوات القبرصية الأخرى (الكتاب الخامس فقرة 104)، ولقد حقق الفرس بعد ذلك بفترة قصيرة نصرًا بريًّا على قبرص (ساعدهم في ذلك ارتداد بعض الفرق العسكرية القبرصية)، ولكن تعرض الأسطول الملكي الفارسي الذي كان عماده أساطيل المدن الفينيقية لهزيمة على يد الأسطول اليوناني (الكتاب الخامس الفقرات 108-114)، والتي قام الأسطول الأيوني بعدها باستعادة أيونيا (الكتاب الخامس فقرة 115)، ومن المحتمل أيضًا أن أرستاجوراس Aristagoras كان يأمل من وراء القيام بهذه الغارة الإضرار بهيبة وسلطة أرتافرنيس Artaphernes ، ويتحدث هيرودوت HERODOTUS عن حدوث انشقاق في بلاط سارديس SARDIS في سياق التسلسل التاريخي للعودة الغامضة لهستيوس Histiaeus مباشرة بعد الهجوم الذي شنه أرستاجوراس Aristagoras على سارديس SARDIS (الكتاب الخامس 105-107)،

ولكن التاريخ الذي ذكره هيرودوت HERODOTUS مشكوك فيه، ويحتمل أن ما قاله عن الوضع السياسي في ساردیس SARDIS له صلة وثيقة بإدراك دوافع أرستاجوراس Aristagoras من وراء شن هذا الهجوم، فلقد قام هستيوس Histiaeus بإرسال رسائل إلى رجال من الفرس كانوا موجودين في ساردیس SARDIS يفهم من مضمونها أنها كانت مرسلة إلىٍ أشخاص قد أجرى هستيوس Histiaeus معهم محادثات حول موضوع الثورة، ولقد اكتشف أرتافرنيس Artaphernes هذه المؤامرات وقام هذه المرة بإعدام عدد كبير من الفرس (الكتاب السادس فقرة 4)، وبغض النظر عن الشكوك التي تحيط بهذه الأحداث، إلا أنها تفسر الانشقاقات التي أحاطت بأرتافرنيس Artaphernes ، ويحتمل أنه على الرغم من كون أرتافرنيس Artaphernes أخًا للملك، إلا أن الرسائل التي استقبلها منه كانت تشير إلى عدم رضا الملك عنه، ولم يعد كل الفرس يثقون فيه ثقة كاملة، والذين لا بد أنهم كانوا بالفعل قد أصابهم الإحباط نتيجة تلك الغارة الأيونية والتي كانت تشير إلى فشل الأجهزة الاستخبارية، وعلى أية حال، فإن هذا هو أول دليل من هذا النوع على المناخ الذي ساد الدائرة القيادية في المرزبانية عقب قضية أوتانيس OTANES ، وإعدام عدد كبير من الفرس هو دليل على الخلافات العميقة التي نشأت حول الاستراتيجية التي يجب إتباعها.

الانتصار الفارسي:

ويمكن أن نفترض أن خطط أرستاجوراس Aristagoras -مهما كانت تلك الخطط- تم تنفيذها بشكل جيد نسبيًا حتى الآن، ولكن المشكلات التي ذكرناها بأعلى ظلت باقية، ومن ناحية أخرى فباستثناء الهزيمة السريعة في كاريا، ظل الفرس محتفظين بالسيادة المطلقة على البر .

ولقد تحركت العديد من الكتائب باتجاه المدن الساحلية وتمكنت بسرعة من الاستيلاء على الموانئ المهمة (ميناء واحد في كل يوم!) مثل

أبيدوس، لامبساكوس، كلازوميناي، سامِي، وأخرى (هيرودوت HERODOTUS الكتاب الخامس فقرات 16- 17، 123)، ولقد حرم هذا اليونانيين من الموانئ المفتوحة الضرورية للأسطول، والذي كان لزامًا عليه أن يجد الماء والإمدادات، بالإضافة إلى أحواض السفن لإجراء الإصلاحات (راجع أريان، أناب، الكتاب الأول الفقرتان 18-19)، ولم يتمكن اليونانيون مطلقًا بعد ذلك من أن يطأوا القارة الآسيوية، ولقد حاول هستيوس Histiaeus أن ينزل من السفن عندما غادر لسبوس؛ وذلك للحصول على القمح من أراضي أتارنيوس الغنية به، ولكنه تعرض للهزيمة على يد «هارباجوس Harpagus والذي كان موجودًا في المنطقة المجاورة على رأس جيش كبير» (الكتاب السادس فقرة 28)، ولقد كان تفوق خيالة الفرس ساحقًا، والوحيد الذي تمكن من تحديهم كان Agesilaus أجيسيلوس بعد ذلك بقرن من الزمان -ولو أن ذلك لم يدم طويلاً- عن طريق جمع الفرسان الموجودين في المدن اليونانية، وهكذا أصبحوا «غير مضطرين للاعتماد على أسلوب الكر والفر في الحرب» (زينوفون (Xenophon) ، هل، الكتاب الثالث الفقرات 4، 15) .

وكما ذكرنا بالأعلى، فإن مواصلة العمليات البحرية كانت تتطلب أن يتم تسوية المشكلات المالية أولاً، وكما يقول هيرودوت HERODOTUS فلقد قام أرستاجوراس Aristagoras لهذا السبب بعقد مجلس: «لقد أدرك أنه لا توجد أمامه أية فرصة في مواجهة دارا DARIUS »، ويستغل هيرودوت HERODOTUS هذه المناسبة لمتابعة هجومه على أرستاجوراس Aristagoras ، والذي يتهمه بتمهيد الطريق لهروبه (الكتاب الخامس فقرة 124)، وفي الحقيقة فقد اقترح حاكم الولاية أن يستولي على مرسينوس في إقليم طراقيا THRACE ، وهي المكان الذي قام دارا DARIUS بمنح بعض الأراضي فيه إلى هستيوس Histiaeus في عام 513، ولقد ركب هستيوس

Histiaeus البحر على خلاف ما نصحه بـه هيكـاتيوس (Hecataeus) ومـات بعـد معركة بحرية خاضها ضد الطراقيين الذين قام بمحاصرة مدينتهم (الكتاب الخـامس فقرة 126)، ومما لا شك فيـه أن أرسـتاجوراس Aristagoras كـان يبغـي مـن وراء ذلك وضع يديه على مصـادر جديـدة للخشـب والمـال، والتـي كانـت ستسـمح لـه بتمويل الحرب البحرية (راجـع الكتـاب الخـامس فقـرة 23)، أيضًـا فـإن هـذا هـو المنطق الذي تبناه هستيوس Histiaeus عندما عزم عـلى مهاجمـة ثاسـوس خـلال إعداده للعودة إلى ملطية، حيـث كانـت ثاسـوس هـي الأخـرى مشـهورة بمناجمهـا الغنية (الكتاب السادس فقرة 28)، ومن الواضح أنـه قـد حـاول أن يسـتعيد قوتـه البحرية عن طريق مصادرة السفن التجارية التـي كانـت تجـوب مضـيق البسـفور (الكتاب السادس فقرة 5)، وتبعًا لهيرودوت HERODOTUS فـإن الشيء الـذي لا يـزال أكثر روعة هو أن اليونـانيين في عـام 494 كانـت لا تـزال لـديهم القـدرة عـلى حشـد 353 سفينة ثلاثية المجاديف، وعلى الرغم من ذلك فإنه بحلول ذلك الوقت قد توفرت للفـرس الوسائل الكافية لإعـادة بنـاء أسـطول يتكـون مـن 600 سفينةـ وذلـك بمسـاعدة الفـرق البحرية التي أرسلها الفينيقيـون والقبارصـة والكيليكيـون والمصريـون (الكتـاب السـادس الفقرات 6-9)، وعلى الـرغم مـن أننـا لا يجـب أن نصـدق كـل الأرقـام التـي يقـدمها لنـا هيرودوت HERODOTUS إلا أنها على الأقل تعكس عـدم التكـافؤ بـين القـوتين، ومـن الواضح أن اليونانيين قد ألقوا بآخر ما لديهم من مـوارد في معركـة واحـدة؛ وذلـك لأنهـم كانوا يعرفون جيدًا أن نتيجتها سوف تحـدد نتيجـة الحـرب (الكتـاب السـادس الفقـرات 6-9)، ولم يكن لدى الأيونيين موارد مالية كافية، ولم يكونـوا موحـدين أيضًـا، وذلـك عـلى الرغم من الجهود التـي بـذلها أرسـتاجوراس Aristagoras في بدايـة الثـورة لبنـاء قيـادة موحـدة للمـدن الأيونيـة (الكتـاب الخـامس فقـرة 38)، ومـن الواضـح أن الأيـونيين قـد

حاولوا في مرات عديدة وبشكل مصطنع إحياء الرابطة الأيونية السابقة، وذلك كما يظهر من اجتماعاتهم في The Panionion (مهرجان المدن الأيونية)، ومن الواضح أن ذلك لم يحظَ بنجاح كبير، ولم يقتنع به الأيونيون، ولقد كان ذلك راجعًا بشكل رئيس إلى أنه من ناحية لم تكن جميع المدن الأيونية مشتركة في أعمال القتال، ومن ناحية أخرى لأن بعض المدن الأيولية والكارية كانت تشارك هي الأخرى في هذه الاجتماعات، وقد أظهرت المعارك التي تم خوضها في قبرص أن كل مدينة كانت مسؤولة عن نفسها، وأظهرت أنهم غير متحدين، فمثلاً لم يتردد ستيسينور Stesenor حاكم مدينة Curium في التحول إلى جانب العدو في وسط المعركة (الكتاب الخامس فقرة 113)، وعندما قرر الفرس في نهاية العمليات تركيز جهودهم للاستيلاء على مدينة ملطية، اجتمع اليونانيون مرة أخرى في « The Panionion »، وقرروا هناك التخلي عن البر الرئيس (وترك سكان ملطية ليدافعوا عن أسوار مدينتهم بمفردهم)، وأن يجمعوا الأسطول عند جزيرة لادي Lade المواجهة لملطية، وقد تهاوت سريعًا هذه الواجهة الموحدة أمام تهديدات قادة الجيش الفارسي، وأمام تأثير من صاحبهم من حكام الولاية، وسرعان ما خمدت الروح القتالية التي حاول القائد ديونيسوس Dionysius أن يثيرها في جنوده، ورفض الجند الخضوع للانضباط الشديد الذي حاول فرضه عليهم (الكتاب السادس فقرة 12) .

وفي ظل هذه الظروف، ونتيجة لهذا التفرق المتزايد قامت القوات المشاركة من جزيرة ساموس بالإصغاء بودّ إلى إيسيس Aeaces حاكم الولاية الذي كان يحكم جزيرتهم في السابق، والذي خلعه أرستاجوراس Aristagoras وتمكن حاكم الولاية هذا من إقناعهم بأنهم لا يستطيعون هزيمة الفرس، وتشهد الشكاوى التي يذكرها هيرودوت HERODOTUS على لسان الجنود على الإحباط الشديد الذي كانوا

يعانون منه (الكتـاب السـادس فقـرة 12)، ويجـب أن نلاحـظ أن الشـعب -وبهـذا الخصوص- ربمـا كـان مرهقًـا بـالنظر إلى تـرك الحقـول (والتجنيـد المتكـرر للرجـال ليكونوا جنودًا ومجدفين)، وأعمال السلب الناشئة عن الحرب (حيث استولى الفرس على كل الأراضي المنبسطة: الكتاب السادس فقرة 28)، وبلا شك أيضًا الضغط المـالي (حاجات تمويلية ضخمة)، والتي بالتأكيد لم تكـن واقعـة -بـأي شـكل- عـلى عـاتق الجزيـة الفارسـية، وخلاصـة ذلـك كلـه يـذكره هـيرودوت HERODOTUS في أن سكان جزيرة ساموس فضلوا العودة إلى السيادة المشتركة عليهم من قبـل كـل مـن حام ولايتهم إسيس Aeaces والفرس، ويذكر هيرودوت HERODOTUS من جهة أخرى أن سكان مدينة ملطية فيما بعد كانوا معارضين للرجوع إلى سيطرة حاكمهم السابق هسـتيوس Histiaeus : «لقـد تـذوق النـاس هنـاك طعـم الحريـة، وكـانوا سـعداء للغايـة لنجـاحهم في الـتخلص مـن أرسـتاجوراس Aristagoras ، ولم يكـن عندهم أي استعداد للترحيب بحاكم آخر على الشاكلة نفسـها» (الكتـاب السـادس فقرة 5)، وتظل الحقيقة أنه خلال المعركة التي دارت بـين الأسـطولين بـالقرب مـن بلدة ملطية، قامت أعداد كبيرة من سـفن جزيـرة سـاموس بمغـادرة الميـاه اللاديـة، وتبعهـا آخـرون: «لقـد ارتـد معظـم الحلفـاء» وهـذه هـي روايـة هـيرودوت HERODOTUS -على الأقل- (الكتاب السادس الفقرات 9-15)، والذي كـان مـن المؤكد أنه لا يكنّ أي تعاطف تجاه الأيونيين .

وسرعـان مـا جـاء دور مدينـة ملطيـة في الاستسـلام، حيـث إنـه عنـدما تمـت محاصرتها برًا وبحرًا، لم يكن لسكانها أية فرصة في مواجهة تلك الجيوش، وهم الذين لطالما كانوا أساتذة في فن الحصار (الكتاب السادس فقرة 18)، وكما تجـلى ذلـك تـوًا من حصارهم لمدينة برقة (الكتاب الرابع فقرة 200)، ومدن قبرص (الكتاب الخـامس الفقرتان 115-116): «وتمكن الفـرس بعـد خمـس سـنوات مـن ثـورة أرسـتاجوراس

Aristagoras من فرض سيادتهم على المدينة بأكملها» (عام 493، الكتاب السادس فقرة 17)، ولقد تم التخلص من آخر جيوب المقاومة في وقت قصير نسبيًّا، ولقد انهارت بعض مدن إقليم كاريا التي كانت لا تزال تحمل السلاح تحت وطأة الجيوش الفارسية (الكتاب السادس فقرة 25)، وفي بداية عام 493 نزل الأسطول الملكي إلى البحر مرة أخرى، وقام بإخضاع آخر معاقل المقاومة الواحد تلو الآخر: «وكما يشير هيرودوت HERODOTUS ، فإنه بهذه الطريقة تم استعباد الأيونيين للمرة الثالثة، حيث كان الليديون هم من استعبدوهم في المرة الأولى، ثم استعبدوا مرتين من قبل الفرس» (الكتاب السادس فقرة 32)، وسرعان ما اتخذ الفرس إجراءات في المدن الخاضعة لسلطانهم لإعادة الاستقرار إليها، مع المحافظة على مظهرها المستقل (فصل 12-5) .

4- من طراقيا THRACE إلى منف MEMPHIS :

مهمة ماردونيوس Mardonius في طراقيا THRACE:

يسجل هيرودوت HERODOTUS أنه في ربيع عام 492 قام الملك باستدعاء القادة الذين كانوا يتولون قيادة القوات في آسيا الصغرى، وأرسل إلى هناك زوج ابنته ماردونيوس Mardonius والذي هو ابن جوبرياس GOBRYAS ، ولقد أبحر ماردونيوس Mardonius من كليكيا قاطعًا الطريق حتى وصل إلى أيونيا، بينما اتجه الجيش برًا إلى مضيق الدردنيل، وعندما تجمعوا مرة أخرى عبرت القوات الفارسية الدردنيل، وسرعان ما توغلت في طراقيا THRACE ، وبعد عدة أشهر عاد ماردونيوس Mardonius إلى آسيا الصغرى؛ وذلك كنتيجة لحملة يعتبرها هيرودوت HERODOTUS كارثية: حيث إن أسطوله قد تحطم نتيجة لعاصفة بالقرب من جبل آثوس، وتعرضت قواته البرية لخسائر فادحة على يد سكان إقليم بريجيا، حتى إن هيرودوت HERODOTUS يذكر لاحقًا أن دارا DARIUS

قد أعفى ماردونيوس Mardonius من مهام القيادة؛ لأن حملته هذه لم تلاقِ سوى نجاح محدود (الكتاب السادس فقرة 94)، ولكن يجب أن نذكر أنه من وجهة نظر هيرودوت HERODOTUS فإن المهمة التي عهد بها دارا DARIUS إلى ماردونيوس Mardonius كانت تتمثل في الاستيلاء على أثينا إرتريا، ويرجع ذلك بشكل واضح إلى المساعدة التي قدموها إلى الأيونيين في عام 499، وفي إطار هذه الخلفية فإن النتائج التي حققها ماردونيوس Mardonius لا يمكن أن تكون سوى محطًا للسخرية والاستهزاء، وهذا هو التفسير الشخصي لهيرودوت HERODOTUS: فلقد كان مشتاقًا إلى دمج حملة ماردونيوس Mardonius في نظرته الواسعة والشاملة عن الحروب الفارسية، ويضيف هو نفسه مباشرة بعد ذلك أن هذه لم تكن سوى ذريعة «فلقد كان ينوي الفرس إخضاع أكبر عدد ممكن من المدن اليونانية» (الكتاب السادس الفقرات 43-45)، ولفهم استراتيجية دارا DARIUS من المهم وضعها في الإطار الأوسع للأحداث التي وقعت في الفترة ما بين عامي (513-492)، فلقد كانت الفتوحات التي قام بها بالفعل كل من ميجابازوس MEGABAZUS وأوتانيس OTANES في طراقيا THRACE كبيرة وملموسة -وذلك كما رأينا- ولكن ظلت هذه الفتوحات هشة نسبيًا؛ لأنه باستثناء المناطق التي كانت تسيطر عليها الحاميات القوية ظلت العديد من الأراضي فعليًا خارج الممتلكات والسلطان الفارسي، وعلى الرغم من أنه لا يوجد لدينا دليل قاطع إلا أنه من المؤكد أن طراقيا THRACE -وربما مقدونيا أيضًا- قد استغلتا الصعوبات التي واجهها الفرس في الفترة ما بين (499-492) في محاولة لإضعاف أو التملص من سيطرة الفرس عليهما، ومن هذا المنظور فإن المهمة التي أوكلت إلى ماردونيوس Mardonius لم تكن في البداية سوى إعادة فتح المدن الواقعة على الدردنيل وعلى بحر مرمرة في عامي (493-492)، وبمجرد تمكنه من إعادة بسط سيطرته على المضيق،

فإنه سيكون قادرًا على استعادة وفرض الوجود الفارسي في أوروبا بشكل أكثر قوة .

وعلى الرغم من بعض الانتكاسات العرضية (وإصابة ماردونيوس Mardonius نفسه بجرح خلال المعارك)، إلا أنه لا يجب الاستخفاف بنتائج تلك الحملة، فقد نجح الجيش الفارسي في ضم المقدونيين إلى لائحة رعايا دارا DARIUS » (الكتاب السادس فقرة 44)، وهكذا لم تعد مقدونيا مجرد محمية أنشأها ميجابازوس MEGABAZUS ، ولكنها أصبحت بلدًا مفتوحة، وفي الحقيقة فإن الإسكندر ALEXANDER الأول احتفظ بعرشه، لكنه أصبح الآن ملكًا خاضعًا للفرس، وملزمًا بدفع جزية لهم، بالإضافة إلى الضرائب الأخرى، وتفسر الفتوحات التي تم تحقيقها فيما وراء نهر The Strymon الموقف الذي أصبح واقعًا في عام 480، وهو كما يصفه هيرودوت HERODOTUS : «لقد تم إخضاع البلد بأكملها وصولاً إلى إقليم ثساليا Thessaly ، وأصبحت تدفع الجزية لبلاد فارس في البداية عن طريق الفتوحات التي قام بها ميجابازوس MEGABAZUS ، ثم فيما بعد كنتيجة لفتوحات ماردونيوس Mardonius » (الكتاب السابع فقرة 108)، ولكن وفي حين أن هيرودوت HERODOTUS كان يأمل في عرض القتال الذي دار بينهم وبين سكان بريجيا على أنه كان هزيمة لماردونيوس Mardonius ، إلا أنه لا يخفي حقيقة أن الواقع كان مختلفًا عن ذلك: فعلى الرغم من النجاح الذي حققوه في البداية، إلا أن البريجيين لم يستطيعوا تفادي ضربة ساحقة من الفرس» (الكتاب السادس فقرة 45)، ومضمون ذلك هو أنه قد تم إخضاع الشعوب الطراقية الأخرى لاحقًا، ويذكر هيرودوت HERODOTUS أخيراً أن مدينة ثاسوس قد استسلمت بدون قتال (الكتاب السادس فقرة 44)، ويؤكد هيرودوت HERODOTUS ذلك أثناء حديثه عن

حمله كسركسيس XERXES ، والذي يـذكر في سياقه أن شـعب Satrae كـان هـو الوحيد من بين شعوب المنطقة الداخلية الذي لا يزال حرًا في ذلك الوقت، أما باقي الشعوب الأخرى فقد أرسلت فرقًا عسكرية للإسهام في تلك الحملة (الكتاب السابع الفقرتان 110-111)، ومن المحتمل أن الحكام الفرس الذين كانوا يشغلون مناصب في مدن طراقيا THRACE وفي المدن التي تقـع عـلى الـدردنيل» (الكتـاب السـابع الفقرة 106- قبل عام 480) ربما كانوا يعـودون إلى هـذه الفـترة، وبعـد الإعـدادات التي قام بها الفرس لحمله كسركسيس XERXES في عام 480، تمكنـوا مـن تشـييد مخازن للغلال والقمح في أماكن عـدة: في Leuce- Acte الواقعـة في إقلـيم طراقيـا THRACE ، وفي Tyrodiza (الواقعة في إقليم برنثوس)، وفي دوريسـكوس وإيـون ومقدونيا (الكتاب السابع فقرة 25)، ولا يوجد ما يشير إلى أن الفرس قـد واجهـتهم أية ثورات في تلك المنطقة خلال هذه الفترة .

ولقد تمكن دارا DARIUS خلال السنة التاليـة مـن إكـمال الغـزو الـذي كـان ماردونيوس Mardonius قد بدأه، وبدون أن يحتاج إلى إرسـال جـيش، حيـث قـام دارا DARIUS بإرسال رسـالة إلى سـكان ثاسـوس الـذين اتهمهـم جـيرانهم سـكان Abdera بالتمرد والثورة «وكانـت هـذه الرسالة تقضي بأن يقوموا بتفكيـك دفاعـات الجزيرة، وأن يحضروا أسطولها إلى Abdera » (الكتاب السادس الفقرة 46)، ويذكر هيرودوت HERODOTUS بهذه المناسبة أن شعب جزيرة ثاسوس قد قـام ببنـاء هياكل العديد من السفن، وذلك بفضل الموارد التي توفرت لديه من ممتلكاتـه على البر الرئيس ومن مناجمـه: 200 طـالن في السـنة في مجملـه، «ولقـد أطـاع سـكان الجزيـرة أمـر دارا DARIUS وقـاموا بتفكيـك تحصـيناتهم، وأرسـلوا أسطولهم بأكمله إلى Abdera » (الكتاب السادس الفقرة 47)، ولقد كان سكان Abdera من الرعايا المخلصين للملك الأكبر (الكتاب الثامن الفقرة 120)، وأيضا

كانت Abdera قاعدة بحرية فارسية، وتؤكد هـذه الحادثـة العرضـية أن السـلطان والسيطرة الفارسية كانا قد ترسخا في هذا التاريخ: ومن الواضح أنـه لم يخطـر أبـدًا ببال سكان جزيرة ثاسوس عدم الإصغاء إلى أمر الملك، وبهذه الطريقة تمكن الفـرس من الوصول إلى مناجم ثاسوس (إما بشكل مباشر أو عن طريق الضرائب المفروضـة عليها) .

من كيليكيا إلى ماراثون:

كان هذا الأمر الصادر إلى جزيرة ثاسوس ينسجم أيضًا مع الاسـتعدادات التـي بدأها الملك الأكبر في السنة التالية (491)، وفي الوقت الذي تـم فيـه إرسـال الرسـل الملكيين لطلب «الأرض والماء» من المـدن اليونانيـة، شرع دارا DARIUS في تعبئـة قواته البحرية مصدرًا تعليماته إلى رعاياه الذين يقطنون في المناطق الساحلية ببناء سـفن طويلـة ومراكـب للنقـل (الكتـاب السـادس الفقـرات 47، 95)، ولقـد تمركـز الأسطول والقوات البريـة في كليكيـا تحـت قيـادة كـل مـن داتـيس Datis ، وأرتـافرنيس Artaphernes ، وهـو ابـن أرتـافرنيس Artaphernes مرزبـان سـارديس SARDIS ، وهكذا فهو ابن أخي دارا DARIUS (الكتـاب السـادس الفقرتـان 94-95)، حيـث أبحـر الفرس بعد مغادرتهم لجزيرة ساموس عبر الجزر الإيجية حتى وصلوا إلى إرتريا فاسـتولوا عليها (الكتـاب السـادس الفقـرات 95-102)، ثـم نـزولهم بعـد ذلـك إلى سـهل مـاراثون فهزيمتهم وعودتهم إلى دارا DARIUS (الكتاب السادس الفقـرات 102-119)، هـذا هـو مختصر القصة التي يحكيها لنا هيرودوت HERODOTUS عما يعـرف في العـادة (مـن وجهة نظر اليونـانيين) بـالحرب الفارسـية الأولى، ويسـجل هـيرودوت HERODOTUS الأوامـر التـي صـدرت إلى كـل مـن داتـيس Datis وأرتـافرنيس Artaphernes كـما يـلي: «اسـتعباد الآثينـين والإرتـريين، وإحضـار هـؤلاء العبيـد إلى الملـك» (الكتـاب السادس فقرة 94)، ويختـتم قصـته بشـكل منطقـي بعـودة داتـيس Datis وأرتـافرنيس

Artaphernes أمام دارا DARIUS وهم يسـوقون الإرتـريين «مهـزومين» أمـامهم (الكتاب السادس الفقرة 119)، إن رغبة الملك في الانتقام من أثينا إرتريا هي إحدى الأفكار المتكررة عند هيرودوت HERODOTUS) والعديد مـن الكتـاب القـدامى ممن تبعوه، ويرجع هـيرودوت HERODOTUS هـذه الرغبـة إلى اللحظـة التـي علـم فيهـا دارا DARIUS بالغـارة اليونانيـة عـلى سـارديس SARDIS (الكتـاب الخامس الفقرة 105)، وطبقًا لروايته فإن الانتقام أصبح هاجسًـا حقيقيًّـا بالنسـبة لدارا DARIUS (الكتاب السادس الفقرة 94 راجع أثينيوس Athenaeus ، الكتاب الرابع عشر 652 ب-جـ؛ بلوتـارك Plutarch ، مـور 173 جــ)، وإذا أضـفنا إلى هـذا التمجيد والتفخيم الـذي قـام بـه الكتـاب اليونـانيون فـيما بعـد في القـرنين الرابـع والخامس لمعركة ماراثون، فإننا نرى من ذلـك كيـف أن هـذا التفسـير الـذي قدمـه هيرودوت HERODOTUS قد لعب دورًا كبيرًا في ترسيخ فكرة أن الهدف الأساسي لدارا DARIUS في عام 491 كان يتمثل في تدمير المعابد اليونانيـة (وخاصـة قلعـة أثينا)، والتـي تـم توصـيفها بأنهـا أعـمال انتقاميـة لقيـام اليونـانيين بتـدمير معابـد سارديس SARDIS في عام 499 (الكتاب الخـامس الفقـرة 102)، أو فقـط كنتيجـة ثانوية لغزوهم اليونان .

غزو الجزر:

للتوضـيح، يكفـي أن نسرد الأحـداث بالترتيـب، وكالمعتـاد، فـإن تحيـز هـيرودوت HERODOTUS يتجلى في إعادة سرده للتاريخ، حيث يشعر أنه مضطر إلى شرح لمـاذا اختار الفرس التوجه من سـاموس إلى ناكسـوس بـدلاً مـن الإبحـار إلى مضـيق الـدردنيل وطراقيا THRACE (كما فعل كسركسيس XERXES فيما بعد)، حيـث إنـه كـان مـن الصعب التوفيق بين رغبة الفرس في غزو اليونان وبين هذا الطريـق، ويكتـب هـيرودوت HERODOTUS أن «ناكســوس أصــبحت الآن هــدفهم الأول في الحــرب»، ويقــول هيرودوت HERODOTUS إنه كان من الضروري بالنسـبة للفـرس القيـام بغـزو تلـك

الجزيرة التي فشلوا في غزوها قبل ذلك في عام 500 (الكتاب السادس الفقرة 96، راجع الكتاب الخامس الفقرة 34)، وإنه من الضروري عند هذه النقطة أن نسترجع الحوار الذي وجهه أرستاجوراس Aristagoras إلى أرتافرنيس Artaphernes في ذلك الوقت (وهو تبعًا لهيرودوت HERODOTUS): سوف يكون الفرس قادرين انطلاقًا من ناكسوس على القيام بغزو الجزر الأخرى وجزر The Cyclades (جزيرة باروس، جزيرة أندروس، وجزر أخرى)، وسيكونون قادرين على التوغل حتى يوبيا بدون أن تواجههم أية صعوبة (الكتاب الخامس الفقرة 31)، وهذا بالضبط هو البرنامج الذي عهد دارا DARIUS بتنفيذه إلى كل من داتيس Datis وأرتافرنيس Artaphernes في عام 490، وعلى الرغم من إنكار بلوتارك Plutarch لذلك (هير. مال. 36 [مور 8690])، فإنه قد تم الاستيلاء على جزيرة ناكسوس دون مواجهة أية صعوبة، ولقد تم إحراق مدينتها ومعبدها، وتم أيضًا أخذ سكانها كأسرى (الكتاب السادس فقرة 96)، ثم انتقل الأسطول بعد ذلك من جزيرة إلى أخرى مارًا بديلوس، تاريستوس، وباقي أجزاء يوبيا (الكتاب السادس الفقرات 97-101)، ولقد تم إنزال عقاب قاس بالمدن التي قاومت الفرس مثل مدينة كاريستوس، وعلى الرغم من مساعدة المستعمرين الأثينيين لها، اضطرت إرتريا هي الأخرى للاستسلام: «ولقد قام الفرس هناك بنهب المعابد وإضرام النيران فيها، وذلك انتقامًا من مشاركة الإرتريين في حرق معابد ساردیس SARDIS وبالتوافق مع الأوامر التي صدرت إليهم من دارا DARIUS » (الكتاب السادس الفقرة 101)، وهكذا فإنه على العكس من الإيحاء الذي سيعطيه لنا هيرودوت HERODOTUS ، فإن الرحلة مرورًا بناكسوس لم تكن التفافًا، ولكنها كانت المقصد الأول في طريق غزوهم للجزر، ومن الواضح أن غرض دارا DARIUS من وراء ذلك هو التخلص من أية مقاومة لهم في البحار، ونحن لا نعرف الوضع الدقيق

لهذه الجزر التي تم غزوها في خلال هذه الحملة، ولكن ومما لا شك فيه أنه قد طُلب منهم دفع جزية معينة، وأن يقوموا بإرسال فرق عسكرية (راجع الكتاب السادس فقرة 99) .

وباختصار فإن دارا DARIUS كان ينوي في عشية النزول إلى أتيكا (وهزيمة ماراثون لم تفعل شيئًا لتغير ذلك)، اتباع مخطط استراتيجي معين، والذي كان سيؤدي إلى نهايته المنطقية، وهو المخطط الذي ابتدأ بغزو ساموس مباشرة عقب اعتلاء دارا DARIUS العرش، ولقد كانت الحملة على كل من طراقيا THRACE وسكيثيا في عام 513 (والسنوات التالية لها)، وزيادة السيطرة البحرية للفرس عقب الثورة الأيونية، وحملة ماردونيوس Mardonius بعد ذلك في عام 492؛ كل هذه الأحداث كانت تمثل مراحل إضافية في مشروع ضخم، الهدف من ورائه ضمان السيطرة الفارسية على بحر إيجة وليس فقط الشواطئ، ولكن الجزر أيضًا .

ومن وجهة نظر ثيوسيديدس Thusydides فإن هذا الغزو كان يمثل خطوة ضرورية، فيكتب: «لقد أخضع قورش Cyrus مدن القارة؛ ولكن دارا DARIUS كان في موقف يسمح له بالاستيلاء على الجزر؛ وذلك بفضل قوة أسطوله» (الكتاب الأول: الفقرات 16-1)، وكما فعل بوليكراتيس POLYCRATES (حاكم ولاية ساموس)، والذي خلفه دارا DARIUS في أخذ مكانة «ملك البحار» (الكتاب الأول الفقرات 13-6، 14-2)، ولقد عبر دارا DARIUS عن سلطته وقوته هذه عن طريق التصرف كحامي حمى ديلوس، وفي الحقيقة، فلقد أصدر دارا DARIUS أوامر مشددة لداتيس Datis أن يحاذر من الرسو في ديلوس نفسها، وأن يرسو بدلاً من ذلك في ريناي، وبالنسبة لسكان جزيرة ديلوس الذين هربوا إلى جزيرة تينوس عندما علموا بنبأ وصول داتيس Datis ، كانوا على ثقة من أنهم سيتمكنون من العودة إلى منازلهم أحياء سالمين ومعافين: «فلقد نفذ داتيس Datis ما تقوله الرسالة وقام بجمع زنة 300 طالن من البخور على

المذبح، وأحرقها كقربـان» (هـيرودوت HERODOTUS الكتـاب السـادس الفقـرة 97)، ولقد كانت حملة داتيس Datis أيضًا بمثابة جولة دعائيـة، كـان الهـدف مـن ورائها إظهار أنه لا يوجد ما يخشاه سكان تلك الجزر من السيد الجديـد، ويسـجل هـيرودوت HERODOTUS نفسـه أن داتـيس Datis في أثنـاء عودتـه «أبحـر في سفينته الخاصة إلى ديلوس»؛ ليعيد تمثالاً ذهبيًا لأبوللو كان قد سرقه بحار فينيقـي من أحد المعابد في بلدة طيبة (الكتاب السادس الفقرة 118)، وهنا يمكننـا أن نـرى الجانبين المتكاملين للاسـتراتيجية الأيديولوجيـة الفارسـية، والتـي تتمثـل في الرعايـة الممنوحة للمعابد، ولكن، وفي الوقت نفسه الاضطهاد الذي لا شـفقة فيـه في حالـة رفض الخضوع، ولقد تم تدمير المعابد فقط في حالة المدن المتمردة .

الغزو الفارسي وميدية اليونانيين:

تمكن الفرس من الحصول على معلومة أخرى، أو بمعنـى أدق تأكيـد آخـر مـن حملتهم عـلى الجـزر الإيجيـة، ولقـد كـان هـذا التأكيـد يتمثـل في أن اليونـانيين في مواجهــة الاعتــداء الفــارسي لم يكونــوا موحــدين مــن حيــث كــراهيتهم الوطنيــة «للهمجيين»، ولقد كانت هذه ملاحظة حقيقية مؤكدة أدركوها منـذ وقـت طويـل مـن خلال خبرتهم عن اليونانيين في آسيا الصغرى، ولقـد أثبـت اليونـانيون مـن سـكان جـزر بحر إيجة أنهم غير موحدين تمامًا كما هو الحال مع رفاقهم الذين استقروا عـلى سـاحل آسيا الصغرى، ويسجل هـيرودوت HERODOTUS أنـه بعـد سـتة أيـام مـن حصـار مدينة إرتريا، قام كل من يوفوربوس وفيلاجروس -وهـما شخصـان معروفـان- (ونقصـد بـذلك أصـحاب ثـروات) مـن تلـك المدينـة، «قامـا بخيانـة مـدينتهم (بـرودي دوسي) وتسـليمها للعـدو» (الكتـاب السـادس الفقـرة 100)، ولقـد قـام الملـك بمكافـأة هـذين الشخصين، وأعطاهما قطعـة مـن الأرض كانـت -بـلا شـك- في آسـيا الصـغرى (بلوتـارك Plutarch ، مور 510 ب، بوسـانياس الكتـاب السـابع، 10، 2)، ولقـد كـان هـذا نمـوذج

آخر على مبادلة الهدايا مقابل الخدمات التي كان يقدمها اليونـانيون للملـك وهـو التقليد الـذي بـدأ في عهـد قـورش Cyrus (أثينيـوس Athenaeus ، الكتـاب الأول الفقرة 30 أ)، والذي تكرر عدة مرات بعد ذلك .

ومن الواضح أن داتيس Datis هو الآخر كان يعول على ميدية بعض الأثينيـين في إنجاح مخططاته، وفي الحقيقة فإن مناقشة هيرودوت HERODOTUS تقودنا إلى الاعتقاد بأن النزول في أتيكا كان له غرض سياسي، وهو تنصيب حاكم على أثينـا يكون متفانيًا في خدمة مصالح الفرس، وقبل راتيس كان الدور الذي لعبـة هيبيـاس (Hippias) ابن حاكم الولاية بسستراتوس جديرًا بالذكر إلى حد ما في هذا الخصوص، فلقد كان هو من دلهم على سـهل مـاراثون (الكتـاب السـادس الفقـرة 102)، ووجـه عمليات الإنزال وإقامة المعسكرات (الكتاب السادس الفقـرة 107)، ومـن الواضـح أن السبب من وراء ذلك هو أنه كان في وضع يؤهله للعب دور مستشار عسكري، ولقد كان ذلك راجعًـا أيضًـا إلى أنـه قـد أصبح عـلى مـر السـنين واحـدًا مـن المستشـارين السياسيين الأكثر نفوذًا بين الفرس، ويصوره هيرودوت HERODOTUS وهو يحرض المرزبان أرتافرنيس Artaphernes ضد أثينا (الكتـاب الخـامس الفقـرة 96)، ومـما لا شك فيه أن مشاركته في هذه الحملة كانت راجعة إلى أنـه قـد أقنـع دارا DARIUS بأنه يمكنه إعادة تشكيل حكومة استبدادية موالية للفرس في أثينـا، ومـن المؤكـد أنـه كـان يـدرك أنـه يسـتطيع الاعـتماد عـلى حلفائـه في المدينـة، ويـرفض هـيرودوت HERODOTUS بشدة أن يكون هذا الطرف المذنب منتميًا إلى الأسرة الكميونيـة، ويسجل أنه بعد معركـة مـاراثون تـم إرسـال إشـارة مـن أثينـا إلى الفـرس تفيـد بـأن الطريق إلى المدينة كان مفتوحًا (الكتاب الرابع الفقرة 115)، وبالتأكيد فإن من أرسـل هذه الإشارة هم أثينيـون كـانوا مؤيـدين لعـودة هيبيـاس Hippias (الكتـاب الرابـع الفقرة 121)، ولا توجد أسـباب وجيهـة تـدفعنا لـرفض هـذه الإفـادة، ونحـن نعـرف

من مصادر متعددة أنه كان هناك «أصدقاء لحكام الولايات» في أثينا، ولقد تم انتخاب أحدهم لشغل منصب الأرخون (الحاكم الأول في أثينا) عام 496 (أرسطو Aristotle ، أ ث. بول. 22-4)، بالإضافة إلى ذلك فإن الحديث الذي يذكره هيرودوت HERODOTUS على لسان ميلتياديس Miltiades (الذي قاد القوات الأثينية) يشير إلى حالة الشك الأخلاقي والسياسي التي كان يمر بها الأثينيون/ فلقد استمر ميلتياديس Miltiades في تحريضه للأثينيين على الدخول في المعركة دون أي تأخير؛ لأنهم إذا تأخروا في فعل ذلك، فسوف يواجهون خطر «هبوب رياح الفرقة والتي سوف تقذف بالأثينيين تجاه الميديين») ولقد حرضهم أيضًا على عدم الانتظار «حتى لا تفتر عزيمتهم» (الكتاب السادس الفقرة 109)، ويصف هيرودوت HERODOTUS أيضًا الرعب الذي كان يلقى به في القلوب مجرد ذكر اسم الميديين؛ وذلك بسبب شهرة انتصاراتهم العديدة (الكتاب السادس الفقرة 112) .

ماراثون:

لقد تذكر داتيس Datis أوامر دارا DARIUS ، وعملاً بنصيحة هيبياس (Hippias) ، وبثقة كبيرة أمر داتيس Datis قواته بالنزول إلى سهل ماراثون، حيث إن هذا السهل كان هو أقرب جزء من أراضي أتيكا لمدينة إرتريا، ولقد كان أيضًا أصلح مكان يستطيع الفرسان المناورة فيه، وبمجرد أن علم الأثينيون ومعهم أهل بلاتيا بهذه الأخبار، غادروا إلى ماراثون (الكتاب السادس الفقرتان 102-103)، وعلى الجبهة الأخرى فإن الإسبرطيين -وعلى الرغم من الطلبات الملحة التي قدمت إليهم- أجابوا بأن أحد الأعياد الطقسية تمنعهم من مغادرة أراضيهم، وأنهم لن يصلوا إلى ماراثون إلا بعد المعركة بعدة أيام (الكتاب السادس الفقرتان 105-106) .

ويخصص هيرودوت HERODOTUS عددًا قليلاً فقط من الصفحات

القصيرة جدًّا للمعركة الفعلية؛ ولهذا السبب قام بلوتارك Plutarch بتوبيخه «للتقليل من أهمية هذا الانتصار» (هير. مال. 26 [= مور، 862 ب])، وفي الحقيقة فإن الرواية مزدحمة للغاية لدرجة أنه تظل هناك بعض الشكوك الأساسية بخصوص القوات التي شاركت في تلك المعركة، والأرقام التي قدمها هيرودوت HERODOTUS مشكوك فيها بشكل كامل، حيث إنها تتعلق بعدد سفن الأسطول الملكي: (600) سفينة (الكتاب السادس الفقرة 90)، وعدد الجنود الذين لقوا حتفهم في المعركة: (192) أثينيًّا و(6400) من جنود داتيس Datis (الكتاب السادس الفقرة 117)، وتتعلق واحدة من أهم التفاصيل بغياب الخيالة الفرس، حيث إنهم بلا شك كانوا ضمن تشكيلة قوات هذه الحملة التي قادها داتيس Datis (الكتاب السادس الفقرات 48-95، راجع بوسنياس الكتاب الأول الفقرة 32-7)، والدخول إلى The Suda (خوريس هيبايس) يشير إلى أن الخيالة كانوا متمركزين في مكان منفصل، هل نستنتج من ذلك أنه قد صدرت إليهم تعليمات بالسيطرة على الطريق المؤدي إلى أثينا؟ من الصعب تحديد ذلك، وإلا فكيف يعقل أن داتيس Datis قد أغفل هذا العامل الذي أعطى السيادة والتفوق للجيوش الأخمينية، خاصة وأن هيرودوت HERODOTUS يقول إنه قد تم اختيار سهل ماراثون خصيصًا؛ لأنه يمكن أن يتم نشر الخيالة فيه بسهولة .

ومن الصحيح أن قوات المشاة الأخمينية كان لا يمكن إهمالها، وكما كان معتادًا، فلقد قام داتيس Datis بوضع خيرة جنوده وهم الفرس والساكيين في قلب تشكيلة الجيش (الكتاب السادس الفقرة 113)، وكما يذكر هيرودوت HERODOTUS فإنه على الجانب الآخر «كان الأثينيون -على حد علمي- هم أول من استخدم أسلوب الهجوم عن طريق العدو باندفاع باتجاه العدو» (الكتاب السادس الفقرة 112)، وفي الحقيقة فإن هذه كانت هي الطريقة الوحيدة للحد من القوة المدمرة لرماة الفرس،

حتى ولو استلزم الأمر مصرع بعض الجنود أثناء تنفيذ الهجوم، ولقد انتصر الفـرس في القلب ولكن تم اختراق صفوفهم عند الأجنحـة، ولقـد أُجـبروا عـلى الصـعود إلى سفنهم مرة أخرى، وقد حاول داتيس Datis الإبحار مسرعًا للرسو في فليروم، ولكـن الأثينيون كان لديهم الوقت الكافي لتجهيز المدينة للـدفاع عـن نفسـها، ولم يواصـل داتيس Datis هجومه، ولكـن قفـل عائـدًا إلى آسـيا الصـغرى، ويؤكـد هـذا القـرار المفاجئ حقيقـة أن دارا DARIUS في ذلـك الوقـت لم يكـن ينـوي فـرض سـيطرته وسيادته على بلاد اليونان بشكل دائـم، فلقـد تـم ببسـاطة تكليـف داتـيس Datis بشـن غـارة، وتـدمير المعابـد والمنـازل، وأخـذ بعـض الأسرى، ثـم الإبحـار عائـدًا إلى سواحل آسـيا الصـغرى، وباختصـار، فإنـه مـن وجهـة نظـر الفـرس لم تكـن معركـة ماراثون سوى اشتباك محدود، وأنه لم يكن له أي تأثير على الاستراتيجية الإيجية كما حددها دارا DARIUS ، ومن المؤكد أن هذه هي الرواية التي كانـت موجـودة في الدعاية الأخمينية (راجع ديو كريس الكتاب الحادي عشر الفقرة 148) .

ومن السهل إدراك لماذا وكيـف حـول الأثينيـون معركـة مـاراثون إلى انتصـار بارز، ولقد اكتسب هذا الانتصار في الفترات التي تلت ذلك قوة أسطورية حقيقية في الوعي الجماعي للمدينة، ولقد مثل انتصـار جنـود الهبليـت المـواطنين في عـام 490 تعزيـزًا لديموقراطيـة تـم الحصـول عليهـا حـديثًا بصـعوبة، ولقـد عـزز هـذا الانتصار أيضًا من الهيبة والوضع السـياسي والعسـكري للمدينـة في أعـين إسـبرطة ومدن الرابطة البلوبونيزيـة الأخـرى، ولكـن الفـرس كـانوا ينظـرون إليـه بطريقـة مختلفة نسبيًّا، وكما ذكرنـا للتـو، فلقـد حقـق دارا DARIUS أهدافـه الأساسـية، وعلى أية حال، فإن تداعيات هذا الانتصار لا يبدو أنها قد وصلت لما هو أبعد من المنطقة المحلية، ومن المؤكـد أن يونـانيي آسـيا الصـغرى والـذين كـانوا قـد نجـوا بالكاد من اضطهاد فظيع، لم يروا في معركة ماراثون أية إشارة على ضعف السلطة

الفارسـية، بـل عـلى العكـس مـن ذلـك، فلقـد كـانوا يـدركون جيـدًا أن قـوة دارا DARIUS لم يسبق أن كانت بهذه الدرجة من قبل، ولقد تم ذكر الإشارة الوحيدة على عدم التبعية في المقال الذي تـم الاستشـهاد بـه بالفعـل في The Suda: حيـث يفترض إن الفرق الأيونية التي كانت ضمن الجيش الفارسي قد أبقت الأثينيـين عـلى اطلاع متواصل بـالميول والاتجاهـات التكتيكيـة لـداتيس Datis ، وإذا كانـت هـذه المعلومة صحيحة، فمن الواضح أنها كانت تشير فقط إلى مجموعة صغيرة تعمل في أقصى درجة من السرية، فلم يحدث أبدًا أن تم ذكـر أي شيء حـول وجـود أنشـطة مناهضة للفرس في صفوف الفرق العسكرية الأيونية والأيولية التـي جلبهـا داتـيس Datis معه (الكتاب السادس الفقرة 98) .

من ماراثون إلى منف MEMPHIS :

طبقًا لهيرودوت HERODOTUS ، قام دارا DARIUS على الفور بالتخطيط لحملة جديدة، والتي كان سيقودها بنفسه ضد بلاد اليونان، ولتحقيق هذا الهدف، تم إرسال أوامر التعبئة إلى كل جزء في الإمبراطورية «ولقد كانت الفرقة العسـكرية بأكملها في حالة استنفار لمدة دامت ثلاث سنوات» (الكتاب السابع فقرة «1»)، وفي هذه الأثناء (486) وصلت أنباء التمرد المصري إلى البلاط، ولقد كان دارا DARIUS يعد للقضاء على هذا التمرد عندما نزل به المرض في نوفمبر (الكتاب السابع الفقـرة 4، ستيسياس CTESIAS 19)، ولسوء الحظ، فإنـه لا توجـد لـدينا أيـة معلومـات حول أسباب أو قوة انتشار هذه الثورة (لم يذكر ستيسياس CTESIAS شيئًا عنها)، وتذكرنا إشارة هيرودوت HERODOTUS المختصرة هذه أن التاريخ الأخمينـي في هذه الفترة لا يمكن أن يتم اختزاله في صورة المشكلة اليونانية فقـط، ولكنهـا تؤكـد أيضًا -وهو الشيء الذي يحبط المؤرخين- أن الشيء المهم من وجهة نظر هـيرودوت HERODOTUS كان يتمثل في المنظور اليوناني للحروب الفارسية .

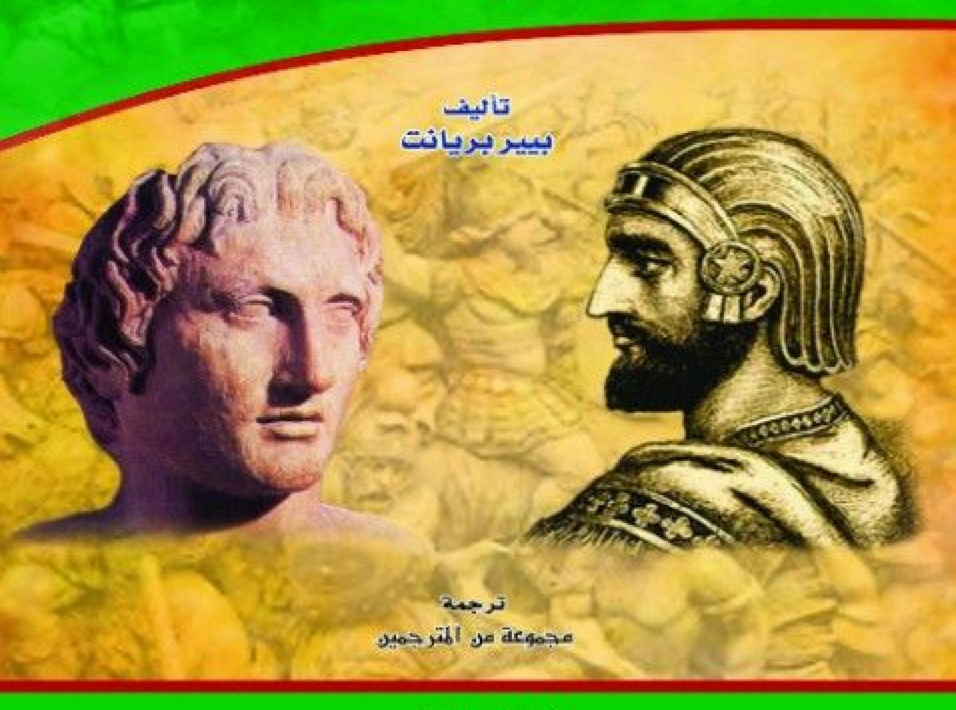
ومهـما كانـت الحـال، فإنـه عنـد وفـاة دارا DARIUS ، فـإن الإمبراطوريـة الأخمينية كانت قد وصلت إلى أقصى اتساع لها: مـن The Iaxartes حتـى الخلـيج الفارسي والشلال الأول في مصر، ومن نهر الدانوب حتى نهـر الإنـدوس، وفي الوقـت نفسه الذي كان يواصل فيه الملك الأكبر فتوحاتـه وغزواتـه، كـان يكـثر ويزيـد مـن الإصـلاحات والإجـراءات ذات الصـلة بتنظـيم السـلطة الفارسـية في كـل مـن مركـز الإمبراطورية والبلاد المفتوحة .

فهرس المحتويات

فهرس محتويات

المجلد الأول

موسوعة
تاريخ الإمبراطورية الفارسية
من قورش إلى الإسكندر



المجلد الثاني

الدار العربية للموسوعات

موسوعة

تاريخ الإمبراطورية الفارسية

من قورش إلى الإسكندر

اسم الكتاب: موسوعة تاريخ الإمبراطورية الفارسية مِنْ قورش إلى الإسكندر
المؤلف: بيير بريانت
الطبعة الأولى: ٢٠١٥م - ١٤٣٦هـ

ISBN 978-614-424-173-8 (٧ مجلدات)
ISBN 978-614-424-175-2 (المجلد الثاني)



الدار العربية للموسوعات
المدير العام: خالد العاني

الحازمية - مفرق جسر الباشا - سنتر عكاوي - ط١ - بيروت - لبنان
ص.ب: ٥١١ الحازمية - هاتف: ٩٥٢٥٩٤ ٥ ٠٠٩٦١ - فاكس: ٤٥٩٩٨٢ ٥ ٠٠٩٦١
هاتف نقال: ٣٨٨٣٦٣ ٣ ٠٠٩٦١ - ٥٢٥٠٦٦ ٣ ٠٠٩٦١
الموقع الإلكتروني: www.arabenchouse.com البريد الإلكتروني: info@arabenchouse.com

موسوعة

تاريخ الإمبراطورية الفارسية

من قورش إلى الإسكندر

تأليف

بيير بريانت

ترجمة

بيتر تي دانيلز

بحيرة وينونا، إنديانا أيزنبراونز

المجلد الثاني



الدار العربية للموسوعات

بيروت

الجزء الثاني

الملك العظيم

الفصل الخامس

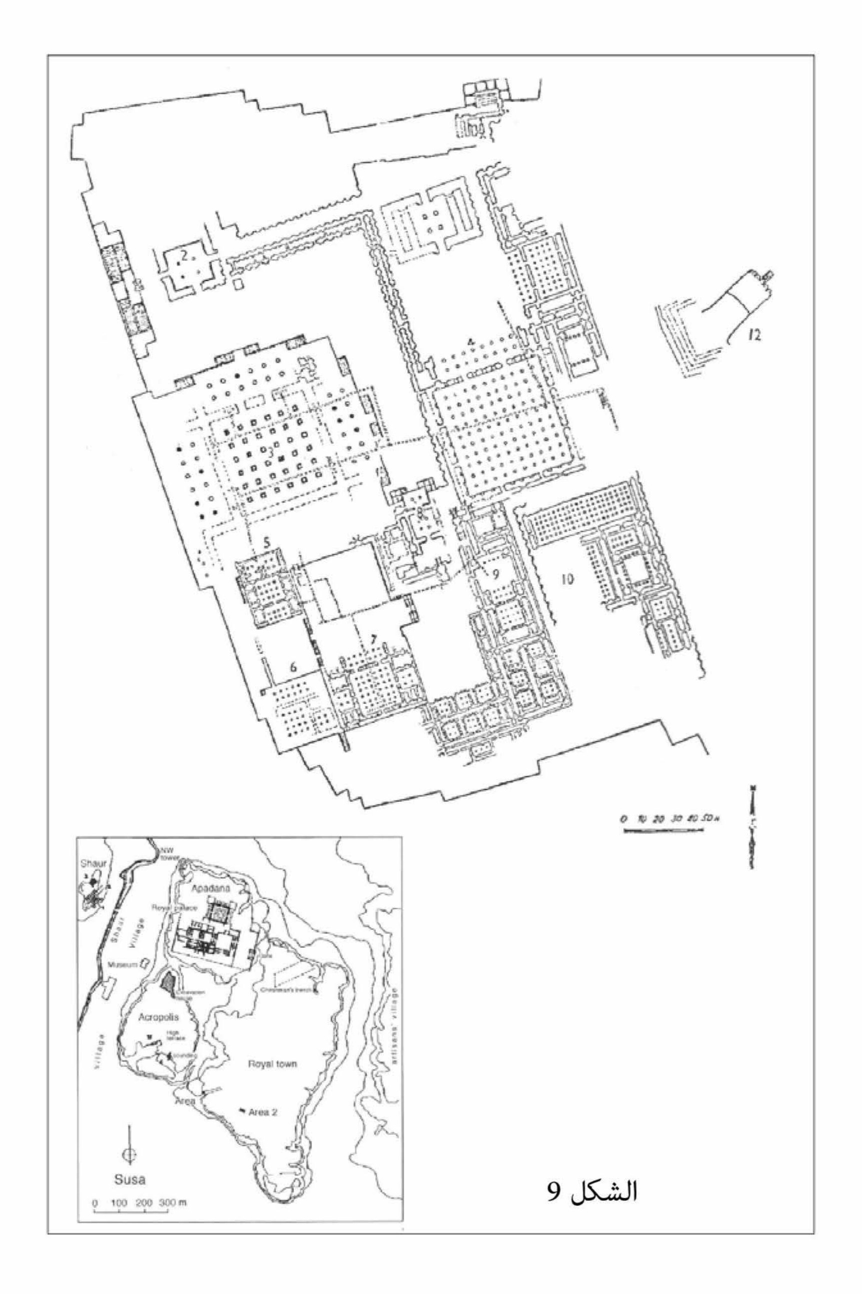
صور العالم

1- الملك البناء:

لقد كان دارا (Darius) قلقًا ومشغولاً بتمجيد قواته الجديدة ورفعها، ونقل دليل المجد إلى الأجيال أو الذرية، وقد كان ذلك واضحًا في الإصرار والجدية في نشاط البناء، وكذلك في النصائح التي كان ينصح بها عماله ممن يتولون زمام الأمور في المقطاعات الملكية الجديدة في صوصا (Susa) وبرسيبوليس (Persepolis) .

إن خطة العمران في صوصا لم تتغير منذ استيلاء قورش (Cyrus) على العرش، واستيفاء شكلها على ما هي عليه منذ العهد الإيلامي، والدليل الأثري لا يظُهر أي ازدياد مفاجئ واحد في ثقافة الأخمينيين (Achoemenid) حتى عهد دار (Darius)، وبعد ذلك نجد تغيرًا فجائيًّا من خلال الأدلة التي تدل على الاختفاء المفاجئ لثقافة إيلاميت (Elamite) ، وفي الحقيقة يمكننا أن نلحظ إعادة ترتيب كاملة للمدينة من خلال القصص العظيمة عن المدينة الملكية أكروبولس (Acropolis)وعن أبندا (Apanda) التي تشرف أو تطل على الضفة الشرقية لشاور (Shaur)بحوالي عشرين مترًا (شكل 9) .

إن الأسباب التي من أجلها اختار دارا (Darius) مدينة صوصا (Susa)


2
3
4
5
6
7
9
10
12
0 10 20 30 40 50 m
Shaur
NW tower
Apadana
Royal palace
Shaur
Village
Museum
Acropolis
Royal town
Area
Area 2
Village
artisans' village
Susa
0 100 200 300 m

الشكل 9

مذكورة فيما يلي كما وضحها سترابو : (Starbo) (فبعد أن سيطر الفُرس (Persians) وقورش (Cyrus) على ميديا (Medes) رأوا أن أراضيهم الأصلية موجودة عند أطراف إمبراطوريتهم، وكذلك منذ كانت صوصا أقرب إلى بابل (Babylonia) والقبائل الأخرى؛ ولهذا أقاموا مقر المملكة بالنسبة لإمبراطوريتهم في صوصا، في الوقت نفسه، فإنهم كانوا مسرورين بمكانة المدينة العالية، وكذلك فإن حدود مقاطعتها يقع في بيرسيس (Persis) ، وعلى الأرجح أنها في الحقيقة لم تحقق لنفسها أي شيء مطلقًا من الأهمية، ولكنها دائمًا كانت تخضع لهيئات سياسية أكبر ربما في الأيام القديمة منذ عهد الأبطال .

إن هذا النص يُثبت فيما مضى ندرة أو قلة المعلومات المتاحة لسترابو (Starbo)عن كل من الترتيب الزمني لإعادة تأسيس المدينة، والتاريخ القديم لصوصا (Susa) وإيلام (Elam) منذ عهد الأبطال، ربما أن هناك كاتبًا إغريقيًّا يمكنه أن يعتبر أن محيط فارس (Persia) داخل الإمبراطورية الجديدة .

في الحقيقة إن سترابو (Starbo) نفسه يؤكد على أن الملوك العظام لم يكونوا مهتمين بالقصور الفارسية (باساراجاداي وبرسيبوليس Pasargadae and Parsepolis)، وإنه تبعًا للسياق التاريخي، فإن هذا القرار يمكن فهمه بصورة أفضل كنتيجة للعلامة المستمرة بين إيلام (Elam) والبلدة العالية في آنسان Ansan): حيث إن بناء قصر في صوصا (Susa) قد وضع النصر للفرس (Persians) ، وكذلك اتحاد الكائنين المنفصلين في كينونة واحدة من السهل على كل شخص أن يفهمه

ففي الوقت الذي نعتقد فيه أنه قد بدأ أو شرع العمال في الوحدة التي أُعيدت صياغتها للإمبراطورية حول دارا (Darius) الذي أعاد النظام الذي اختل في الأراضي الثائرة، والعبارات المنقوشة التي تسجل نشاطات دارا

(Darius) كبناء غزيرة جدًّا، حيث يظهر الملك بمثابة المستعيد للسلالة الحاكمة التي لم يسمها، إنه يتباهى بإعادة بناء القلاع التي عمها الخراب وأيضًا التحصينات .

لقد قال الملك دارا : (Darius) (إني بمنه وبفضل من أهورا-مازدا(Ahura-Mazda) قد أكملت مباني متعددة وكثيرة تُركت من قبل دون أن تكتمل، لقد رأيت الحصون في صوصا (Susa) ، والتي بنيت من قبل أن تتهاوى بفعل الزمن، فأعدت بناءها. هذه في الحقيقة حصون أخرى قد بنيتها بنفسي). إنه يصر فيما سبق على التأكيد على القصة صعبة الفهم التي ترمز إلى تفوقه على الآخرين، وفي الموقع الذي بُني فيه هذا الحصن لم يتم بناء أي حصن آخر على الإطلاق. (إنني وبعناية من أهورا-مازدا (Ahura Mazda) قد بنيت هذا الحصن، وكذلك فقد كانت هذه خطة ومشيئة أهورا-مازدا، وكذلك كل الآلهة أن يتم بناء ذلك الحصن؛ لذا فقد بنيته وأكملته وكأنما كانت تلك خطتي أنا).

وفي نقوش أخرى يقدم دارا (Darius) نفسه على أنه باني البيت (bitu) والقصر (ekallu) ، وقد كان خلفاء دارا (Darius) ذوي سرعة في نسب أعماله إليهم، ولقد قال كسركسيس (Xerxes) إن البوابة التي يُطلق عليها الآن بوابة دارا (Darius) قد تم التفكير فيها وتشييدها في عهد والده، مثلها مثل أماكن أخرى للإقامة كصالة الجمهور التي أعاد أرتاكسركسيس الثاني بناءها (ArtaxerxesII) والتي بناها من قبل جد جد دارا (Darius) ، ثم دمرتها الحرائق خلال عهد جده أرتاكسركسيس الأول (ArtaxerxesI) ، ومن الصعب تحديد الزمن الذي بدأ فيه العمل بالتحديد، وقد كتب دارا في النقوش: (إن الكثير من الشرور التي ارتكبت قد حولها إلى خير، لقد تمكنت بنعمة وفضل من أهورا-مازدا (Ahura-Mazda) من أن أجعل البلاد التي كانت تتعامل فيما بينها ويقبل الناس فيها بعضهم البعض، بأن يحب بعضهم البعض، ولا يتقاتلون أحدهما مع الآخر، لقد أعدت كل شخص

إلى مكانه وواجباته من خلال أوامري التي احترموها بالطريقة التي جعلت القوي منهم لا يعتدي على حق الضعيف).

وربما يكون من المخاطرة أن نستشف من ذلك أن العمل قد بدأ مباشرة بعد نهاية الثورة الإيلامية (Elamite) الثالثة، وإننا هنا نقول إن أسلوب دارا (Darius)يعتبر قالبًا عاديًا، حيث إن كل الملوك الجيدين قاموا بعمل إعادة للنظام والعدل في بداية فترة حكمهم، إلى أي مستوى؟

من بين الناس الذين كانوا في الخدمة كان اللونيون (Lebanese) (Lonians) من بابليون (Babylon) إلى صوصا (Susa) وكما هو من المعتقد عادة أن هؤلاء اللونيين والآريين يمثلون شعوب آسيا الصغرى، والذين تم استبعادهم إلى بابل السفلى وإيلام بعد الثورة اللونية (492-493)، ولكن كان هناك لونيون وآريون في بابل قبل عهد دارا. (Darius)

لقد ذكر هيرودوت (Herodotus) أن دارا (Darius) كان متواجدًا في قصره في صوصا، وذلك في بداية عهده والذي من الواضح أنه لا يُثبت شيئًا، وإنه من الحكمة والتعقل أن يظل سؤال الترتيب الزمني مفتوحًا، ففي أي حدث يستغرق العمل وقتًا طويلاً، فعلى سبيل المثال نحن نعرف أن هناك مدى من سنوات متعددة تفصل بين وضع أساس قصر دارا (Darius) وأساس عبدان (Apadana)؛ لأن مقارنة هذه النصوص يوضح أن والد دارا (Darius) هيستاسيس (Hystaspes)قد مات في الفترة ما بين هذين الحدثين .

حتى وإن كان كل العمل وكل المباني في صوصا لم تكتمل في عهد دارا وحده (Darius) ، فإنه ليس من الواضح أن الملك ومستشاريه قد فكروا في الخطة بأكملها، إن المدينة الجديدة قد نظمت على ثلاث شرفات ترتبط إحداها بالأخرى، ويمكننا أن نعرف من القصر مقار القيادة (المدينة الملكية) والحصون (Acropolis) .

ولقـد أورد سـترابو (Starbo) مؤلفًـا منـذ زمـن الإسـكندر (Alexander)

ذكر أن مدينة صوصا كانت خالية من التحصينات، وهذه العبارة تبدو خيالية إلى حد ما، حيث إن دارا- (Darius) وكما رأينا- قام بإعادة دفع وبناء حوائط المدينة، وكذلك بناء حوائط جديدة، وقام بحماية صوصا وتحصينها ضد أعدائها.

وفي الحقيقة، فإن حوائط مدينة دارا (Darius) لا تعد تحصينات ولكنها تحتوي على حوائط طويلة تدعم الشرفات المختلفة، ولكن بالرغم من ذلك فإن القلعة نفسها تحتل مكان القوة إذا دعته الضرورة لذلك، كما تشهد بذلك مقاومة الـ317 عندما كان زينوفيلس (xenophlius) مسؤولاً عن كل من القلعة وحراسة الكنوز، يحميها ضد القوات من أنتيجونس(Antigonus)

لقد كان هناك احتياج لعدد كبير من العمال من أجل إنشاء سطح صناعي مرتفع، والذي يمكن بناء صرح ضخم عليه مساحته نحو 70 هكتارًا. لقد ذكر دارا نفسه Darius عندما تحدث عن بناء القصر في عبدان Apadana ذلك بقوله: (لقد كان يتم حفر الأرض حتى الصخر الأصلي، وعندما كانت الأرض تحفر كان الحصى كافيًا، وهناك كان يتم وضع الحصى في أكوام يصل ارتفاعها إلى نحو 20 ذراعًا أو 40 ذراعًا، ولقد بنيت القصر -يقول دارا- فوق الحصى) دارا. Darius

إن الحفريات الأثرية التي تمت في المدينة تؤكد وجود هذه الطرق البنائية، والمدينة الملكية قد تم تدعيمها بالطوب النيئ يبلغ ارتفاعه من 10 إلى 12 متراً وسمكه عند القاعدة 20 متراً. إن الرصيف الخاص بالقصر تبلغ مساحته نحو 12 هكتارًا (أو ما يساوي الشرفة في بيرسيبوليس (Persepolis) ، وفي بيرسيبوليس نفسها نجد أنها مدعمة ومحمية بحوائط داعمة يبلغ ارتفاعها نحو 15 متراً كانت موجودة ناحية الغرب، وتطل على شاور Shaur ، كذلك يجب عمل حاجز حقيقي للأمواج من حصى النشر يتم تجميعه، والذي وصل ارتفاعه إلى نحو 18 متراً في الركن الجنوبي

الغربي، حيث إنه كانت هناك حاجة إلى أكثر من مليون مترًا مكعبًا من أجل بناء هذا الرصيف، وبعض المباني ترتفع فوق الشرفات إلى عدة أمتار أكثر من التربة التي كان يتم إحضارها من هناك، وهذه المباني كان لا بد من عمل أساسات قوية ومتينة لها.

إن هذا يعتبر صحيحًا خاصة بالنسبة لبوابة داراس Daras (شكل رقم 38 ص 260)، ومن خلال خريطة واضحة بالنسبة للأساس ذات أبعاد 40 × 30، فإن البوابة قد وصل ارتفاعها من 12 إلى 13 مترًا، وتم تدعيمها بأعمدة صخرية قطرها أكبر من 1 متر، وكان لا بد من وجود أساس قوي من الطوب النيئ موضوعًا على الصخر الأصلي، ومحميًا ضد عوامل التعرية بواسطة متاريس مأخوذة من الحصن .

إن الرمز العملاق لأعمال المقاولات أيضًا َيتضح من خلال الممرات المرتفعة المكونة من الطوب النيئ، والتي تعبر الوديان المنحدرة العميقة بين المدينة الملكية وشرفات عبدانا Apadana بداية بيرسيبولس : Persepolis (لقد كان دارا Darius أيضًا هو من بدأ العمل في الإنشاءات في برسيبولس، وكما رأينا من قبل (ص86)، فإن كل الإنشاءات التي تمت كانت بناءً على الخريطة)، فلقد قرر دارا إنشاء عاصمة جديدة هناك من خلال إقامة شرفة أثرية تغطي نحو 25000 مترًا مربعًا، إن الرصيف العملاق المتاخم لجبل الرحمة القريب وجدت به أربع نصوص على الحوائط القائمة، اثنان منه باللغة الفارسية القديمة وواحد بالإيلامية Elamite وواحد باللغة الأكادية. Akkadian .

إن النص المكتوب باللغة الآرامية لهذا النقش يرجع مباشرة إلى التخطيط الذي كان فيه دارا Darius مسؤولاً، (دارا Darius الملك العظيم، ملك الملوك، ملك البلدان ملك الأراضين، كان ابنًا لهيستاسبس Hystaspes ملك الأخمينيين)، وقال دارا: (في هذا المكان تم بناء هذا الحصن ومن قبل لم يتم بناء أية حصون في هذا المكان،

وبعناية ورعاية أهورا-مازدا Ahura-Mazda فقد قمت ببناء هذا الصرح حسب خريطة أهورا-مازدا والذي كانت معه كل الآلهة، ولقد أنشأت هذا الحصن وأكملته وجعلته كما طلب مني)، ويقول الملك دارا كذلك : Darius (إن أهورا-مازدا Ahura-Mazda كان يحميني ومعه كل الآلهة)، وليس من الصعب أن نستنتج أن تلك العبارة تشبه تقريبًا أحد النقوش الخاصة بدارا Darius في صوصا Susa .

وفي كلتا الحالتين، فقد أنشأ دارا Darius حصنًا لم يكن موجودًا من قبل، وكلمة التحصينات في الحالتين لا تعود فقط إلى الأعمال العسكرية، ولكن إلى الحوائط العالية التي تحيط بـ وتدعم الرصيف الذي كان سيبدأ عليه إنشاء آثاره، وفي الوقت نفسه، فإن وجود مثل هذه التحصينات الحقيقية قد تم ذكره من الناحية الأثرية في برسيبولس Persepolis على الأقل، والترتيب الزمني ليس أقل في إشكاليته في برسيبوليس Persepolis عنه في صوصا . Susa إن هناك العديد من الآثار التي يمكن أن تعود إلى عصر دارا Darius ، وهي تشمل الخزانة حيث إن قطعة من الطين قد تم اكتشافها نقش عليها:

إن اللوح الإيلامي elamite ، ولكن اللوح الأكادي الوحيد Akkadian يرجع إلى عام 492 من مجموعة ترجع إلى عام 20 من عهد دارا Darius ، ربما أن الخزانة أو وزارة المالية كانت هي أول مبنى يكتمل في هذا المكان، وأحد المباني الأخرى كان قصر دارا Darius الذي أكدته نقوش Darius كسركسيس Xerxes ، ولقد أكدت تلك النقوش أن العمل قد بدأ بواسطة دارا Darius ثم اكتمل بواسطة ابنه، وقد كان ذلك صحيحًا أيضًا بالنسبة لقاعة المتفرجين ولعبدانا . Apadana في الحقيقة إن بقايا الأساس المدفونة في كل من الركن الجنوبي الشرقي والركن الشمالي الشرقي قد وجدت هناك. هذه البقايا تحتوي على سلسلة من العملات واللوحات الذهبية مكتوب على النصوص التالية:

(دارا Darius الملك العظيم، ملك الملوك، ملك البلاد ابن هيستابسيس Hystaspes، هذه هي المملكة التي أملكها منذ عهد الساسانيين Sacians الذين هم خلف سوجديانا Sogdiana من ثم إثيوبيا، من السند Sind ثم إلى سارديس Sardis ، ترعاني عناية أهورا-مازدا كبير الآلهة وتحميني وتحمي بيتي).

وإذا ما تقبلنا أن المبنى القريب وهو تريبليون Tripylon ينتمي للخطة العامة نفسها يجب علينا أن نردها إلى دارا Darius ، ولكن اختفاء أي من النقوش يفرض علينا أن نكون حذرين، إنه ليظهر -كما يُعتقد- أن هناك العديد من المباني تم إنشاؤها خلال حكم دارا Darius ، ولكنها قد اكتملت فقط بعد ذلك عن طريق خلفائه وورثته في الحكم، إنه لمن المعقد أيضًا أن نحدد تاريخ الآثار المختلفة، حيث إن الدليل الوحيد بالنسبة للترتيب الزمني المطلق يتجلى في الأرشيف الذي يطلق عليه ألواح التخصينات، والتي تعود بالتحديد للفترة بين (499-509)، وتعطي الدليل في عام 59، وهو آخر ما في برسيبوليس Persepolisمن إنشاء، حيث يعتقد أنها كانت لا تزال قيد الإنشاء (وظلت عملية الإنشاء حتى نهاية الفترة الأخمينية Achaemenid) .

من جهة أخرى فإن ألواح التخصينات الخاصة بعبدانا Apadana لا تزال تستدعي تفسيرات مغايرة بسبب التواريخ المسجلة على العملات التي وجدت معهم ودليل عبارة دارا Darius التي وجدت عليهم، وإننا إذا ما سلمنا بأن دارا Dariusأراد أن يصف حملته بصورة مجازية من خلال سرد الأطراف الأربعة الجغرافية التي وصلت إليها في تلك النقطة، وجب علينا عندئذ أن نسلم بأن تلك العبارة تعود إلى زمن يسبق الحملة الساسانية Scythion ، حيث إن ذلك عندما كان ساردیس Sardis ينشيء الحدود الغربية .

وافتراض جدلي مـن ناحيـة أخـرى، أن الطريـق لا يـزال مفتوحًـا أمـام

تاريخ يسبق ذلك حوالي عام 500 منذ عبدانا Apadana (قاعة الجمهور) في برسيبوليس وهي ليست متطابقة في التصور أو الفهم مع تلك التي في صوصا بالتحديد فهي مرتفعة فوق رصيف ذي سلالم، وهو غير موجود في صوصا، والأكثر من ذلك بسبب عدم التأكد من الاعتماد على إيقاع وتناغم العمل في صوصا، وليس بعيدًا عن السؤال من أن بداية العمل الأولى في برسيبوليس كانت تقريبًا متزامنة مع العمل في صوصا Susa .

على أية حال، فإن التناقض الزمني بين المشروعين لا يمكن أن يكون كبيرًا، وإن ذلك يفترض من ناحية أن دارا Darius قد قرر أن ينقل جزءًا معقولاً من المواد والعمال، ومن ناحية أخرى فإن البناء في الموقعين كان موضوعًا ضمن الخريطة الكلية لإعادة عمل المقرات الملكية، وهذا قد جعل من الواضح لكل العيون أن قدوم أو حلول الملك يمثل بكل بساطة ونقاء إعادة تأسيس المملكة والإمبراطورية .

العمل الذي تم في العواصم الأخرى:

إن التطور والتحديث في صوصا Susa وبرسيبوليس Parsepolis لا يعنيان اختفاء العواصم القديمة في بسارجاداي Pasargada وبابل Babylon وإكباتانا Echbatana ، ولكننا في الحقيقة لا نعرف إلا القليل عن نشاط البناء لدارا Darius في تلك المناطق، على الرغم من عدم التأكد من التوقيت الزمني الذي يحمل بعض الآثار في بسارجاداي، فإن مساهمة أو مشاركة دارا Darius تكون محتملة جدًّا، والأكثر من ذلك أن ألواح برسيبوليس Parsepolis تذكر وجود الخزانة في بسارجاداي Pasargada ، ونشاط جماعات العمال، كذلك فنحن نعرف أن الملك قد بنى قصرًا جديدًا في بابل Babylon ، أما بالنسبة لإكباتانا Ecbatana ، فإن دارا عاش هناك لعدة أشهر عام 521، وقد وجد نقش هناك تتطابق كتابته ومادته (حافظة من الذهب والفضة) يافطات الحصن التي اكتشفت تحت عبدانا Apadana .

الصالة المبنية على أعمدة برسيبوليس Persepolis :

هناك كذلك نقشان مهمان لأرتاكسركس الثاني Artaxerxes (A2Hb & A2 Ha) الثانية منها تسجل إنشاء عبدانا Apadana صالة ترتكز على أعمدة في هذا المكان، ومن هذا يمكننا أن تستخلص أن دارا Darius قد بنى بالفعل هذا النوع من الصالات المبنية على صفوف من الأعمدة في العاصمة الوسطى التي أعاد بناءها أرتاكسركسيس (Artaxerxes) الثاني، لاحظ كذلك أنه وبالنسبة لديودورس Diodorus فقد أرجع كاتسياس Catsias بعض الخطط في إكباتانا Ecbatina إلى الملكة الأسطورية سميراميس Semiramis ، فقد شيدت فيها قصرًا لا مثيل له يخطف العقول والقلوب ويشد الانتباه إلى المكان حيث إنه لما كانت المدينة خالية من المياه وليست فيها أية مصادر أو عون لها في المناطق القريبة أو في الجوار، فقد جعلتها كلها تُسقى جيدًا من خلال إحضار المياه إليها بالعناء الشديد والتكلفة العالية وجعلتها تستهلك الكثير من أنقى أنواع المياه .

وقد كان هناك جبل يبعد حوالي 12 قصبة من إكباتانا، ويدعى هذا الجبل أورنتيس Orantes ، وبالرغم من وعورة هذا الجبل وارتفاعه فقد حفرت الملكة نفقًا في قاعدته يبلغ عمره نحو خمسة عشرة قدمًا، وارتفاعه نحو أربعين قدمًا، ومن خلال هذا النفق استطاعت الحصول على المياه، من خلال عمل نهر ينبع من البحيرة حتى تستطيع إمداد المدينة بالمياه .

إنه من الواضح أن هناك أعمالاً هائلة وضخمة تُنسب إلى سميراميس Semiramis، والتي هي في الحقيقية تنتمي للأخمينيين Achaemenids مثل الخرائط التي وضعت من أجل السهل والجبل في بشتون Behistun ، والذي تم وصفه في هذا الفصل نفسه. (II.1.13-2)

وحيث إننا نعرف أن إكباتانا همدان Ecbatana/Hamadan كانت دائمًا

تحصل على الماء من خلال شبكة من القنوات، والتي أرجعها بوليبيس Polybius إلى النشاط الأخميني Achaemenid في تلك البقعة، فإنه يمكننا أن نتخيل أن واحدًا من الملوك الأخمينيين Achaemenid وربما دارا Darius كان هو البادئ، ولكن هذا في الحقيقة محض افتراض .

المقبرة الملكية في ناقشي - رشتام: Naqs- Rustam

إن الجهود التي بذلت في ذلك كله كانت فريدة من نوعها، حيث إن دارا Darius كان في الوقت نفسه يعمل في موقع قريب من برسيبولس Persepoles وهو ناقشي رشتام Naqs- Rustam ، ومما لا شك فيه أن دارا قد قرر في بداية حكمه أن يحفر مقبرة في الصخور على نحو 6 كيلو مترات من برسيبوليس، وقد اختار لهذا الغرض جرفًا يبلغ ارتفاعه نحو 64 مترًا، ويبلغ ارتفاع أرض المقبرة نحو 15 مترًا فوق سطح الأرض، وواجهتها ترتفع نحو اثنين وعشرين مترًا إلى أعلى، وقد تمت إزاحة كم هائل من الصخور في عملية الحفر لتلك المقبرة، وبذلك تم تفريغ مدخل كبير أو ردهة، والتي من خلالها فتح ثلاثة مدافن تحت الأرض، كل واحد فيها يحتوي على ثلاثة أضرح منحوتة في الصخر جميعًا، والواجهة تطابق تمامًا شكلاً متقاطعًا ومرتبة على هيئة ثلاثة أجزاء متطابقة (انظر الشكل 16 ص211)، والجزء السفلي غير منحوت، والجزء الأوسط به أربعة أعمدة مشغولة، وبها باب يفتح بين العمودين الأوسطين، إنها صورة شبيهة بالقصر الملكي فيما سبق، مولدًا بواسطة نحو ثلاثين ممثلاً لأناس مستعبدين، ويظهر الملك فوق قاعدة ذات ثلاث درجات سلمية مواجهًا لمذبح النار والمشهد بالكامل محاط بقبة سماوية إلهية، ويظهر كذلك الأشخاص الآخرون من الحراس والأرستقراطيون بعضهم ليس له اسم ربما أنهم مجازًا يمثلون الحداد الرسمي الملكي وآخرون مسلحون، اثنان ممن تم تعريفهم في نقش سابق مثل gobryas جوبرياس وأسباثينس Aspathines .

إن مقبرة دارا Darius معرفة بوضوح بواسطة نقشين ملكيين . DNa & DNb
لقد تبعه خلفاؤه، وقاموا بنحت مقابرهم في الصخور بصورة متقاربة كل منها له ترتيبه الخاص دون أن تخالف الخطة الأصلية إلى حد كبير، وفي غياب النقوش يمكننا أن نفرض أنها تخص كسركسيس Xerxes وأرتاكسركسيس الأول ArtaxerxesIودارا Darius الثاني، ومن جهة أخرى فبداية من أرتاكسركسيس الثاني (Artaxerxes)، فإن الملوك قد فضلوا بناء مقابرهم خارج برسيبوليس مباشرة، كما قال ديودورس : Diodorus (إنه في الجهة الشرقية للشرفة، وعلى مسافة نحو 4 قصبات، أي نحو 120 متراً ويوجد ما يعرف باسم الجحيم، حيث توجد مقابر الملوك، وهي عبارة عن صخر أملس مجوف من الداخل، ومقسم إلى حجرات عديدة يتم وضع رفات الملوك الموتى فيها.

أكد كذلك ديودورس Diodorus على الصعوبات التكنولوجية في دفن الموتى، حيث إن تلك المقابر ليس لها أي مدخل آخر، ولكنها تستقبل التوابيت الحجرية للموتى التي يتم رفعها بواسطة رافعات ميكانيكية معينة، وهذا الكلام يشبه ما أورده كاتسياس Catesias عن مقبرة دارا. (Darius)

إن لدى دارا (Darius) مقبرة أو مدفن أثري مبني على جبل ذي قمتين متماثلتين، وكانت لديه رغبة في أن يدفن معه أفراد أسرته لينضموا إليه، ولكن الكلداني Chaldeans وأقاربه منعوا ذلك، وهؤلاء المقربون منه تمنوا أن يتسلقوا إلى أعلى هناك عندما كان الكهنة يسحبونهم إلى القمة، ولكن الخوف جعلهم يتركون الحبال التي تمسك بهم، مما أدى إلى سقوط المصاحبين للملك فماتوا، فتأثر دارا Darius بشدة لذلك، وأمر بأن تقطع رقاب من كانوا يقومون بعملية السحب، وعددهم أربعين، إنه لمن الممكن في النهاية أن يكون مكاناً مثل بشتون Behistun قد تمت تقويته وتدعيمه ببناء من عدمه، وإذا ما تقبلنا تعريف ناقشي رشتامNaqs-Rustam

في موقع نوبيستاس Nupistas والذي تم التعرف عليه من خلال ألواح برسيبوليس
. Persepolis

الفن الملكي والمدن الإمبراطورية:

بالنسبة للمؤرخ، فإن جاذبية مشروعات البناء بالنسبة لدارا Darius (التي بدأت، ثم اكتملت بخلفائه فيما بعد وخاصة كسركسيس Xerxes لا تقف عند حد البناء الهندسي والمعماري والتخطيط العمراني فقط، حيث إن النقوش وبقايا الأساس تدل وتشير بوضوح إلى أن الملك المعظم أراد أولاً وفي المقام الأول أن يعمم صورة سلطته غير المحدودة ونفوذه اللانهائي؛ ولهذا الغرض فإن النصوص والتمثيل الفني يتكرران بوضوح في تأسيس وتنظيم القصر ومقراته .

إن الفنانيين (الرساميين) والنحاتين الذين عملوا في البناء والتشييد لم تكن لديهم الحرية الفنية، حيث إنهم كانوا مطالبين باتباع التحديدات المحكمة والتعليمات الصارمة التي يعطيها لهم ويضعها لهم مستشارو الملك العظيم، وكان واضحًا أن هناك استعارة من الذخائر المسرحية الآشورية والبابلية والآرامية والمصرية (Egyptian, Elamite, Assyro, Babylonian) والتي انصهرت جميعًا في فن جديد هو الفن الملكي بلا منازع، فالفن الملكي يعكس برنامجًا لا يترك أية حجرة تحتاج إلى تحسين أو تعديل، وهذه المشاهدة توجد أيضًا في الأشكال الموجودة على الأختام والصكوك الملكية في برسيبوليس، وكذلك من الواضح أنها تستخدم في إظهار الأشكال الملكية على العملات المعدنية، ففيها يظهر الملك المعظم في شكلين أو مظهرين من المظاهر التي تعكس أوج عظمته وقوته كملك وسيد للناس في الإمبراطورية في صوصا كما في برسيبوليس أو ناقشي رشتام Naqs- Rustam .

إن التصريحات المكتوبة والتقديمات الفنية كانت لإظهار صورة غير محدودة الزمن لقوة الملك العظيم ولقوة الفرس التي تعلو فوق كل الناس

في الإمبراطورية، ومن هذا المنطلق يجب علينا أن نؤكد على تفرد الآثار البشتونية Behistun التي تكون تمثيلاً وحيدًا وفريدًا على قوة دارا كمعيد للنظام والأمان للإمبراطورية في حقبة متفردة من التاريخ ضد الأعداء الموجودين والمعروفين بأسمائهم حتى في بشتون Behistun (النقوش والرسومات)، فبالرغم من أن (النقوش والمنحوتات) تعد تكرارًا يدل على أن قوة الملك المعظم مؤثرة، وبالتأكيد في إخضاع المهزومين، فإننا نجد هناك العديد من المنحوتات (أناس يحملون العرش - أناس يحملون الهدايا وقوائم البلاد ... الخ)، وهذا بكل وضوح يدل على أن العاصمة الجديدة كانت تصور المركز الذي يعطي المعنى لكل من قوة الفرس وقوة إمبراطوريتهم، لقد أكد الملك المعظم ومن خلال طرافته التي اكتسبها بسبب حماية أهورا-مازدا ورعايته للوحدة المثالية للعالم الواحد، ولكن في الوقت نفسه، وجود اختلافات وتنوع في الإثنيات (العرقيات) والتنوع الجعرافي، وإنه لهذا وللملائمة فحسب، فإننا في هذا الكتاب سوف نلاحظ تمثيل القوة الإمبراطورية من خلال الجلالة الملكية (الفصل السادس)؛ ولهذا فإنه من الواضح أن المكونين يتداخلان ويدعم كل منهما الآخر .

2- نقوش وأيقونات الملك وشعبه:

صك تأسيس صوصا:

إن هناك عددًا من مستندات التأسيس قد اكتشفت في صوصا Susa بعضها مجزأ والبعض الآخر مكتمل، والبعض كان من المفترض أن تُدفن كصكوك للتأسيس، والبعض الآخر كان معروضًا لكي يراه الزائرون، وعلى سبيل المثال فهي عبارات لدارا Dariusكما تظهر في أحدث الأمثلة التي تم اكتشافها، (والقصر في صوصا إنه أنا الذي بنيته، إن المواد التي استخدمت في تشييده قد آلت إليه من بعيد)، هذه التي

صنعت من طوب مشكل، صفة البابليين بأنفسهم، وكذلك الفروق والتدعيمات الخشبية صنعة البابليين بأنفسهم، وكذلك العروق والتدعيمات الخشبية التي صنعت من خشب السدر من جبل لبنان، وكذلك أحضره السوريون ونقلوه بأنفسهم من بعيد كما هو الوضع في بابل، ثم نقله الكاريون Carians واللونيون من بابل إلى صوصا، وكذلك خشب الياكا Yaka ، وقد تم إحضاره من قندهار ومن كارمينيا Carmania ، وكذلك الذهب تم إحضاره من سارديس Sardis ومن باكترا Bactria ، وتم تصنيعه هنا، وكذلك الأحجار الكريمة مثل اللازورد والعقيق الأحمر والتي تم إحضارها من سوجديانا Sogdiana ، وتم تصنيعه هنا، وكذلك التركواز الذي تم إحضاره من خوارزم Chorasmia ، وتم أيضًا تصنيعه هنا، وكذلك فبالنسبة للفضة والأبنوس فقد تم إحضارهما من مصر، أما بالنسبة لعناصر الديكور التي تم تزيين الشرفات بها فقد تم إحضارها من لونيا وتم إحضار العاج من أثيوبيا والهند وأركوزيا Arochoria ، وكذلك الأعمدة الصخرية التي تم تصنيعها هنا تم إحضارها من قرية تدعى Apitarus أبيتاروس في المنطقة السفلى من إيلام Elam .

أما بالنسبة للرجال الذين عملوا في الأعمدة الصخرية فيهم من لونيا Lonia ومن ساردیس Sardians ، والذين عملوا في الذهب هم من ساردیس ومن مصر، أما بالنسبة للذين قاموا بعمل الطوب فهم من بابل، والذين قاموا بعمل الديكورات والتزيين بالنسبة للشرفات فهم من مصر ومن ميديا Medes ، يقول دارا (Darius) الملك: (إنه وبعناية ورعاية أهورا-مازدا قد تم الكثير من العمل الرائع في صوصا، وبالنسبة لي فإن أهورا-مازدا يحميني ويحمي بلدي كذلك)؛ لذا فإن هذا النص يسجل نحو ستة عشرة شعبًا وبلدًا والذين قاموا بتهذيب المواد الخام وثمانية عملوا كنحاتين، وكان هناك من يعملون في كلا الفريقين وهم (البابليون- أهل ساردیس - المصريون - واللونيون)، والبعض منهم في المجموعة الأولى فقط وهم

(السوريون والكاريون Carions واللونيون)، والبعض في المجموعة الثانية فقط وهم الميديين Medes بعضهم يعتبر متخصصًا في مجالين، وهم من سارديس الذين تبرعوا في أشغال الخشب والحجارة والمصريين برعوا في أعمال الخشب والنحت بالبارز في القصر وأهل ميديا كانوا بارعين في أعمال النقوش الذهبية في القصر، وأخيرًا، فإن البعض كانوا عبارة عن عمال عاديين، البابليين لأعمال الأساس، السوريين واللونيين والكاريين لأعمال نقل عروق الخشب من لبنان إلى بابل، وبعد ذلك إلى صوصا، ولكن المعلومات في الكتب والنصوص المختلفة لا تتفق دائمًا في هذا الخصوص .

ولكن على الرغم من ذلك، فإن هناك ترجمة بالأكادية، لكنها دفنت في الوقت نفسه الذي دفنت فيه الترجمة الإيلامية Elamite ، وهذه الترجمات قد أوردتها في الجزء الأول، وهي تسرد وتعدد المواد التي تم استخدامها دون تحديد لأماكنها ومصادرها.

الجزء الآخر يعطي قائمة بالناس الذين أحضروا المواد التي استخدمت في عمل ديكورات القصر وفي تزيينه بنحو ثلاثة وعشرين بلدًا أو يزيد، قد تم ذكرها بما في ذلك فارس .

قوائم البلدان:

إلى جانب المستندات فإن لدينا أيضًا النحت والرسوم البارزة التي صنعها دارا (Darius) وخلفاؤه على واجهات مقابرهم وحوائط قصورهم، وكذلك حتى على الأعمدة الحجرية وتمثال دارا (Darius) في صوصا، هذه المستندات جعلتنا نستطيع أن نعيد بناء صورة مثالية -إلى حد ما- للعالم كأسياد للإمبراطورية متمنين أن يتم تسجيلها، وأول هذه المستندات هي ما نطلق عليه قوائم الإمبراطورية التي تم تضمينها في سلسلة من النقوش الملكية يؤرخ معظمها إلى حقبة أو زمن دارا Darius.

(DB)النقوش البشتونية والتي تعد واحدة من النقوش الأربعة الموضوعة على الواجهة الجنوبية للشرفة في برسيبوليس (DPe) وواحد من نقشين على المقبرة الملكية في ناقشي رشتام (DNa) . Naqs- Rustam ، وكذلك نقوش صوصا؛ واحدة من الترجمات لصكوك الأساس في صوصا (DSaa) ، وأخيراً نقوش كسركسيس Xerxes (XPh) .

هذه القوائم تسرد وتعدد البلدان التي كانت تخضع للملك العظيم، وهي تختلف في العدد والترتيب، وهذه هي البلدان المسجلة في تلك النقوش الستة.

Xph	Dsaa	DNa	DSe	DPe	DB
مدين	فارس	مدين	مدين	إيلام	فارس
إيلام	إيلام	إيلام	إيلام	مدين	إيلام
قرقوزيا	مدين	باريتا	بابل	بابل	بابل
أرمينا	بابل	أريا	أريا	الجزيرة العربية	سوريا
درنجيانا	سوريا	بكتريا	بكتريا	سوريا	الجزيرة العربية
Xph	Dsaa	DNa	DSe	DPe	DB
بارثيا	الجزيرة العربية	سوجديان	سوجديانا	مصر	مصر
أريا	مصر	كوراسميا	كوراشميا	أرمنيا	سيلان
بكتريا	سيلان	درانجيانا	درانجيانا	كابادوسيا	سردنيا
سوجديانا	سردينا	قرقوزيا	قرقوزيا	سردينيا	لونيا
كوراسميا	لونيا	ساناجديا	ستاجديا	لونيا	مدين
بابل	أرمينيا	قندهار	ماكران	اللوتيون	أرمينا
سوريا	كابادوسيا	الهند	قندهار	ساجرتيا	كابا دوسيا
ستاجيديا	بارثيا	ساكا إتش	هندوس	بارثيا	بارثيا

دراتجباتا	دراجباتا	ساكا اتش	ساكا ني	درانجيانا	سردينا
آريا	أريا	ساكا تي	بابل	أريا	مصر
كوراسميا	بكتريا	بابل	سوريا	كوراسميا	لونيا
بكتريا	سوجديانا	سوريا	الجزيرة العربية	بكترا	سيلان
سوجديانا	كوراسميا	الجزيرة العربية	مصر	سوجديانا	عبر البحر
قندهار	ساتاجاديا	مصر	أرمنيا	قندهار	ماكاش
ساتجديا	قرقوزيا	أرمينا	كابا دوسيا	ساكا	الجزيرة العربية
قرقوزيا	هندوس	كابادوسيا	ساردينا	ساتاهيديا	قندهار
ماكران	قندهار	ساردينا	لونيا	قرقوزيا	الهند
٢٣	ساكا	لونيا	ساكا إي	كواديا	كابادوسيا
	ماكران	ساكا إن	تراس	٢٣	داها
	٢٤	تركيا	لونيا ب		ساكاتش
		لونيا إي	ليبيا		ساكاتي
		كارباتس	أثيوبيا		سوكدرا
		٢٧	ماكران		خفقان
			كاربانس		ليبيا
			٢٩		كارتياس
DB	DPe	DSe	DNa	Dsaa	Xph
					اثيوبيا
					٣١

أ) إن ما يريد النص قوله حقيقة هو أن اللونيين في السهل، وفي البحر، وفي الأرض، ووراء البحر .

ب) اللونيون الأوروبيون .

ج) شاربو الساكي .

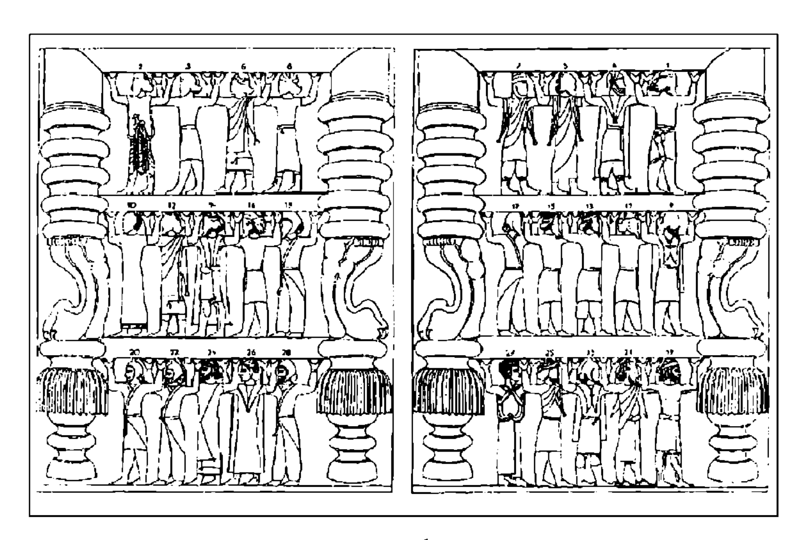
د) الساكي ذو القبعة المدببة وهو مصطلح يرجع لهيرودوت .

هـ) الساساثيون الأوروبيون .

و) اللونيون الملتحون .

حملة العرش:

إن الرعية الذين يظهرون في النقوش البارزة في مناطق كثيرة من الأخمينيين نجدهم أولاً كحاملي العرش وعددهم ثلاثين على كل المقابر الملكية في ناقشي رشتام Naqs- Rustam ، وفي برسيبولس، وكذلك في برسيبولس نفسها، وهذه النقوش تظهر في ثلاثة صفوف على كل شباك من شبابيك البوابة الشرقية في تريلون بالمثل كما على البوابة الجنوبية لقاعة المائة عمود (شكل 28)، وفي كلا المقبرتين الملكيتين (دارا (Darius) الأول وأرتاكسركسيس (Artaxerxes) الثاني) .



الشكل 10

وإن كل شخص من هؤلاء الناظرين إلى إيلام Elmite الذي يسهل إلى حد كبير تعريف الأشكال على النقوش البارزة الأخرى والموجودة على المقابر الملكية، محل شخص يبلغ طوله نحو متر، وفي أماكن أخرى نحو 40 سم، وكل شخص يمثل واحدًا من الرعية، كذلك فإن ذراعهم مرفوعة فوق رؤوسهم، وكف الأيدي إلى أعلى، وكلهم جميعًا يدعمون العرش الذي يجلس عليه الملك .

إن هناك تقديمًا آخر مماثلاً للرعية، موجود في العديد من المستندات المصرية مثل الأعمدة الحجرية في قناة السويس (التي حفرها دارا) (Darius) ، وكذلك تمثال دارا الموضوع في مدخل البوابة الكبيرة في صوصا (بوابة دارا) (Darius) ، ولكنها منحوتة في مصر، وإن عددهم يبلغ نحو 24 على القاعدة المستطيلة للتمثال (شكل 19)، وكذلك أيضًا على الأعمدة الحجرية الموضوعة في مكانين آخرين .

وتظهر هذه النقوش بالشكل المصري الذي تعلوه فتحات بيضاوية تحتوي على اسم الشخص باللغة الهيروغليفية، وهم يجثون على ركبهم وأيديهم مرفوعة إلى أعلى فوق الرأس والكف متجه لأعلى يحملون لبس العرش الملكي فقط، ولكن أيضًا أرض الإمبراطورية .

حملة الهدايا:

أخيرًا، أتينا إلى أشهر النقوش البارزة على الإطلاق، وهو ما يطلق عليه اسم إفريز الاحترام (شكل 12)، حيث يوجد منهما اثنين على درجات السلم في صالة الجمهور، اللوحة الموجودة عند درج السلم الشمالي، وكذلك اللوحة الجنوبية على الدرج الغربي للسلم، ومن المحتمل أنه قد تم عملهما (أو اكتمالهما إلى حد بعيد) في فترة حكم كسركسيس Xerxes يقدر عدد الأشخاص فيها بنحو 23 ممثلاً كوفد للتفاوض، كذلك فإن بداية درج السلم في قصر أرتاكسركسيس (Artaxerxes) الأول

كانت كذلك مزدانة بوفود من الناس بالشكل نفسه ولكن أعدادهم ثلاثية، والوفود تتكون من أعداد مختلفة من الأعضاء .

والمفاوضون يسبقهم حاجب بزي فارسي يمسك بيد رئيس المفاوضين يقوده إلى الملك الذي يجلس في منتصف العرش في الطقس الملكي الخاص بالجمهور، إن مشكلة تعريف المفاوضين لا تزال صعبة في غياب النقوش، ولكن هناك حلولاً متنوعة، والتي هي بصفة عامة تعتمد على الملابس والأشياء وحيوانات الهدايا للناس، وبالمثل كذلك بالمقارنة مع الرسوم والمصورات الأخرى، ولكن تلك المقارنات لا تعتبر دائمًا قاطعة؛ ولهذا تبقى هناك العديد من التساؤلات .

والجدول التالي يعتبر إعادة بناء أو إعادة ترتيب لثلاثة وعشرين من وفود المفاوضات التي تظهر على واجهة اللوحة الغربية .

3- الصورة المثالية للقوة الإمبراطورية وسفنها:

مدى السلطة:

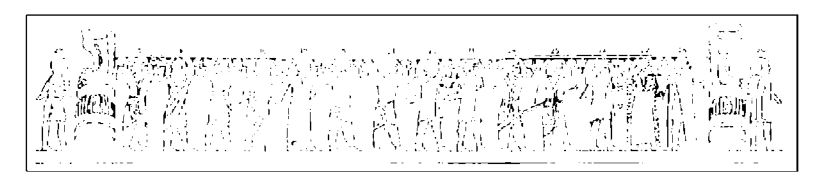
إن تفسير هذه القوائم والنقوش والرسوم يستمر في وضع العديد من المشكلات التي تظهر وتستمر في إظهار العديد من التحليلات المختلفة من قائمة إلى أخرى، فالعدد والمكان، وفي بعض الأحيان الاسم يختلف اختلافًا ملحوظًا، فأصغر وأقدم قائمة من بشتون Behistun تحتوي على أربعة وعشرين TPeو TSe تحتوي على سبعة وعشرين، وكذلك تسعة وعشرين في TNa .

إن أطول قائمة ترجع إلى عهد كسركسيس Xerxes (XE.9) ، والمقارنات كذلك أظهرت أن الترتيب ليس ثابتًا، والشيء نفسه صحيح أيضًا بالنسبة للرسوم والنقوش، فقد ذكرت أن أربعة وعشرين شخصًا كانوا خدمًا خاصين بالملك، وثمانية وعشرين أو ثلاثين يحملون العرش، ونحو ثلاثة وعشرين إلى ثلاثين يحملون الهدايا، وليس من

السهل أن نفسر وجود أو عدم وجود هذا أو ذاك من هؤلاء الأشخاص من قائمة إلى أخرى، وربما يمكننا أن نفترض جدلاً أن القائمة الأقدم هي الأقصر بسبب أن الإمبراطورية لم تكن قد اكتملت بعد؛ ولهذا فإنه ليس من المستغرب أن الهند Hindus لم تكن موجودة هناك، حيث إنها لم تخضع للإمبراطورية إلا بعد سنوات عديدة من اكتمال الآثار البشتونية Behistun ، ويبدو أنه من غير المجدي أن نوظف هذا المصدر أوتوماتيكيًّا، خاصة أن العديد من القوائم غير محددة التاريخ، وحتى عندما تكون كذلك فإنها تكون تبعًا لأسباب حول الموضوع .

إن الاختلافات في النقوش الملكية -على سبيل المثال- لا تستطيع أن تفسر لماذا لا توجد فارس في نحو أربع أو خمس قوائم؟ أو لماذا أن بلدًا مثل أكوقاسيا Akauracia تظهر فقط في قائمة كسركسيس Xerxes (XPh) ؟ وبالمثل فإنه في إحدى الترجمات الأكادية لصك صوصا (DSaa) لا توجد كل من الهند India ولا النوبة Nubia في القائمة، بينما أن هناك العديد من الترجمات الأخرى التي تشهد وتؤكد على أن العاج كان يتم إحضاره من تلك البلدان، بالإضافة إلى ذلك، فإن كلاً من سوجرا Skudra وليبيا وأكاديا، وكذلك الساسانيين الأوروبيين مفقود كذلك؛ لهذا فإن تلك القوائم لا تعطي صورة حقيقية عن الأوضاع الإمبراطورية السائدة في الوقت نفسه عند تأسيس القصر في صوصا.

ويبدو -كما هو معتقد- أن الاختلافات ترجع بالتحديد إلى مناطق في الجنوب (سواحل أجيان Aegean Coasts) ، وكذلك من الشمال (وسط آسيا)، فعلى سبيل المثال، فإن البدو الرحالة في الشمال وهم الساكا (saka) في (DPe) و (DSe) و (DNa)ينقسمون إلى مجموعتين هم الساكا الهوما فراجا (شاري الهوما) Haomavaga والساكا التجراكودا Tigraxauda أو لابسي القبعات المدببة، الذين يرجع اسمهم غالبًا إلى هيرودوت (Herodotus) ، وهناك ثلاثة مجموعات موجودة في (XPn) ،



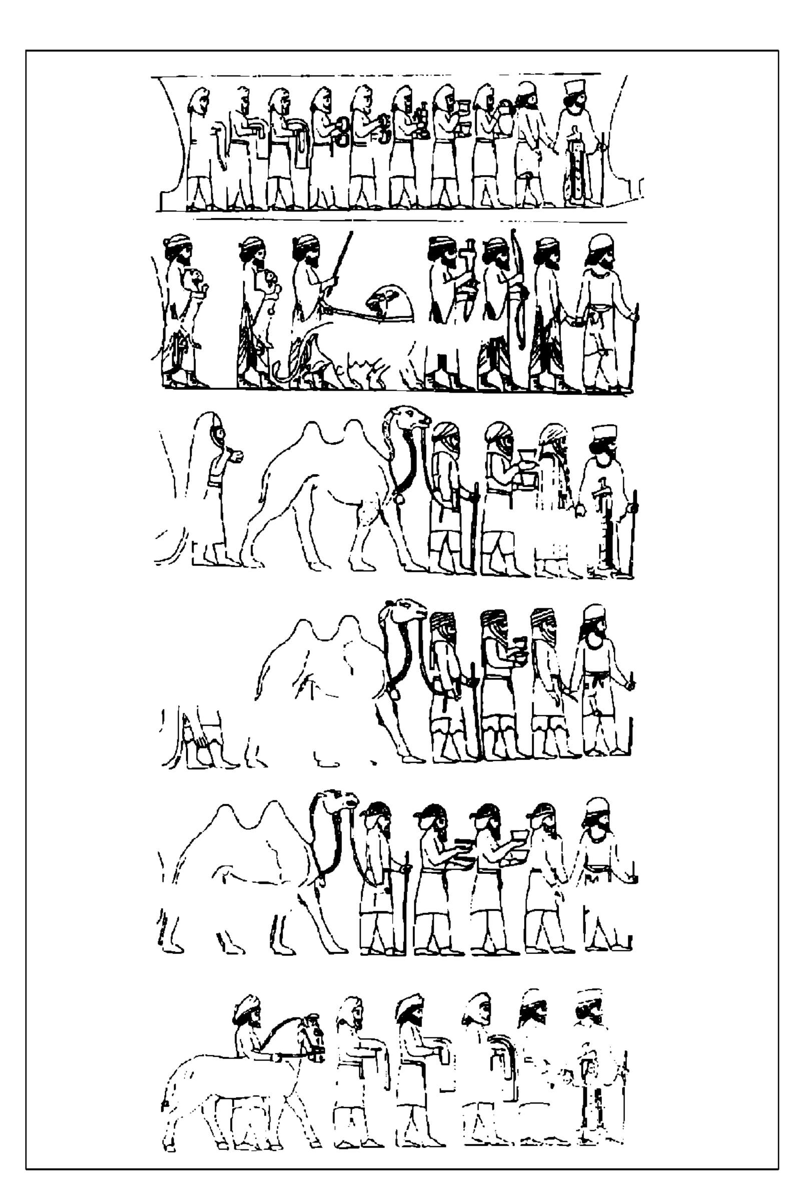
الشكل 11

حيث ظهر الضاحي Dahae الذي نعرفه على حدة بأنه جزء من العائلة الساسانية بوسط آسيا وهي الباكا.

إن الأرقام المختزلة لأسماء الناس من المناطق الغربية في النقش الخاص بكسركسيس نفسه لا تظهر في أي شيء آخر إلا في الدولة الخاصة بالمقاطعات، والشيء نفسه ينطبق على الرسوم البارزة، حيث إن مشكلة التعريف أصبحت معقدة للغاية، ومعيار التمييز بواسطة الملابس لا يكون مقنعًا .

إن تكوين أية معايير معينة يبدو أنه يعتمد على الإجبار المكاني والوصف أكثر من اعتماده على الحقائق المميزة للمقاطعات، والشيء نفسه صحيح بالنسبة لعدد المفاوضين على الإفريز من حاملي الهدايا، فالاختبارات الدقيقة أظهرت أن العدد لا يمكن أن يؤخذ كمعيار على سبيل المثال للأهمية المتعلقة برسم وتصوير الناس، وفي الحقيقة، فإن عدد المفاوضين يكون قليلاً عندما يكون عدد الحيوانات التي أحضرها الرعية أكبر. إن أكبر عدد للمفاوضين (رقم 1 مع 9 أشخاص: رقم 12 مع 8 أشخاص) لم يحضروا الحيوانات كهدايا، ولكن المفاوضين (4، 7، 13، 21) المصاحبون بالجمال عبارة عن أربعة أعضاء فقط، وينخفض العد إلى 3 بالنسبة للعرب الذين أحضروا الجمل العربي وحيد السنام، وكذلك بالنسبة للنوبيين الذين كان معهم حيوان غير معروف (ربما الزرافة) .

إن حالة أهل مدين تجعل هذا التحليل واضحًا، فعلى درجات السلم



الشكل 12

الشرقية لصالة الجمهور وصالة الاستقبالات نجد تسعة من مدين، بينما على الدرج الشمالي نجد أنهم ستة، وهذا ببساطة أنه في الحالة الأخيرة يكون معهم الفحول التي تختفي في الرسم البارز في الجهة الشرقية، كذلك على الأعمدة الحجرية المصرية لا نجد اليانس Yauns أو القندهاريون Gandharons ، والذين نجدهم في القوائم الأخرى، ولم تكن هناك حجرة تظهر كل الناس معًا .

إن هذا يعتبر صحيحًا كذلك بالنسبة لحاملي العرش (شكل 11)، حيث إن اثنين منهم (رقم 29، 30) يجب أن يتم نحتهم خارج المجال المميز بأرض العرض الملكي، واحد على اليمين رقم 30 والآخر على اليسار رقم 29؛ ولهذا يجب أن نلاحظ أن القوائم والرسوم لم تعطيا قائمة تعبر عن الصورة الحقيقية للعالم الإمبراطوري، ولم يكن الملك العظيم يريد أن يمثل الكلمة المستخدمة في النقوش بشكل رسمي، وهي كلمة أناس People التي لم يكن الملك ينوي أن يعطي قائمة بها كاملة أو مضبوطة .

إن القوائم المنقوشة لا تعني شيئًا، ولكنها تعطي اختيار البلدان التابعة للإمبراطورية. إن دارا (Darius) ومن ثم خلفاؤه لم يكونوا كتبة أرشيف أو مؤرخين، وإن ما تركوه للأجيال القادمة لم تكن بيانات رسمية، والنقوش المصاحبة للرسوم البارزة توضح أنهم كانوا يتمنون أن ينقلوا رسالة سياسية وأيديولوجية لخلفائهم.

الإخضاع:

الاستعباد والتعاون:

إن هناك توقعًا بأن تكون النقوش والرسوم تهتم بالناحية السياسية والأيديولوجية، حيث إن الترجمات المختلفة للنقوش الموجودة في صوصا (Bab DSz.DSI) تعطي توضيحًا معقولاً، فهي تعطي صورة للعالم أكثر من إعطائها تفسير إحصائي للمصادر الاقتصادية للإمبراطورية، وذلك

من خلال ما أراد الملوك العظام أن يظهروه خاصة دارا (Darius) من سلطتهم التي لم تكن مقيدة أو مكبلة للمقاطعات الخاضعة لهم والشعوب التي فيها هنا على سبيل المثال توضح كيف لخص دارا (Darius) العمل في إحدى النقوش الأكادية في صوصا: (لقد كانت هناك المواد التي استخدمت في قصره، وهناك البلدان التي كانت تمد الإمبراطورية بالمواد اللازمة لتزيين القصر)، يقول دارا الملك: (إنه بعناية ورعاية أهورا-مازدا، فإن المواد المستخدمة في ذلك القصر قد تم إحضارها من بعيد، وأنا وضعت الترتيبات).

وفي هذا النوع من النصوص، فإن التفصيل (من بعيد) يعتبر هو مفتاح المنطق في هذه المقولة، إن المنحوتات الملكية من صوصا لديها المهمة الأساسية في إعلاء وتمجيد النشاط والحركة في خدمة الملوك في الإنتاج وتقوية الإمبراطورية التي تعرف نفسها من خلال عمل على نحو بين وواضح يسمى بالنظام الاشتراكي التكاملي، وهذه المستندات تشبه -ببلاغة- الرغبة الملكية في تصوير كل بلد وكل الناس في الإمبراطورية على أنهم متحدون ومتعاونون في تناغم وانسجام منظم حول الملك، وفي ذلك السرد، فإن الأركان البعيدة من الإمبراطورية يمكن ملاحظتها وهي: سارديس، سوجديانا، هندوس، النوبة Nubia, Indus, Sogdiana, Sardis وكل منطقة ممثلة هنا في المركز نجد (إيلام وبابل) Elam. Babylauis ، وفي المغرب البعيد نجد سارديس ولونيا Sardis, Loniauis ، وفي الشمال نجد باكترا وسوجديان Bactria, sogdiansوكوراسميا، وفي الشرق كارمينيا وقندهار وهندوس، وفي الجنوب الغربي (سوريا ومصر والنوبة)، وكل منهم قد شارك بحجارة البناء من أجل هذا الصرح الذي أمر ببنائه دارا (Darius) بعناية من أهورا-مازدا.

تلك الكلمات نفسها توجد في بيرسيبولس: (هذه هي البلدان التي بنت هذا، والتي تم تجميعها هنا) (DPg) ، وبصرف النظر عن الصيغة

الأيديولوجية العميقة لهذا الجمل، فإنه يمكننا أن نلحظ منهم مكونًا حقيقيًا هو أنه بلا شك أن العمال قد تم جمعهم من بلدان مختلفة في صوصا كما حدث في بيرسيبوليس، وأن هذا المشروع العملاق قد استلزم آلاف الرجال والعديد من السنوات لكي يكتمل، كذلك فهناك فكرة تتعلق بالموضوع ربما توجد في الرسوم والصور البارزة للأشخاص كحاملي العرش، أو حاملي أرض الإمبراطورية، أو حاملي الهدايا، ولكن في تلك الحالات، فإن اللهجة تتعلق بالإخضاع السياسي والعبء الثقيل للضرائب أكثر منها بالتعاون .

ففي ناقشي رشتام Naqs-Rustam فإن دارا (Darius) يوجه من يتأملون المنحوتات الموجودة على مقبرته إلى: (أنت أيها الناظر!! تخيل كم عدد البلدان التي كان يمتلكها الملك دارا (Darius) ، انظر إلى الرسوم لمن هم يحملون العرش، ولتعلم أن حربة الفرس قد وصلت إلى مدى بعيد، وأن الرجل الفارسي قد حارب بعيدًا جدًّا عن فارس) (DNa) ، إن العلاقة بين الإخضاع الحربي والسيادة الإمبراطورية بينة وواضحة، وذلك في رسالة منحوتة على الثياب الموجودة في تمثال دارا (Darius) في صوصا، حيث إن قوائم التمثال الحجري الذي أمر دارا بعمله صنفت في مصر؛ ولهذا فإن أي شخص سوف يراه في المستقبل سوف يعرف أن دارا كان يملك مصر (DSab)، وهذا أيضًا هو الإحساس نفسه بالجمل الافتتاحية لقوائم البلدان والتي تقول: (هذه هي البلدان التي آلت إلى بتأييد من أهورا-مازدا، لقد كنت ملكهم)، وكذلك ينهي دارا (Darius) بتلك الجمل: (هذه هي البلدان التي آلت إلى برعاية أهورا-مازدا، لقد كانوا رعيتي، كانوا يدفعون الجزية لي، وكل ما كنت آمرهم به بالليل أو بالنهار كانوا ينفذونه) (DBs7) ، إن العبارة التي استخدمها كسركسيس (XPh) تعتبر تقريبًا مماثلة لذلك: (إنه بعناية أهورا-مازدا، فإن هذه البلدان التي كنت ملكًا عليها خارج نطاق فارس، فقد حكمتهم، وكانوا

يدفعون الجزية لي، وكانوا ينفذون كل ما أطلبه منهم، فقد كان قانوني الذي أحكمهم به صارمًا).

الإمبراطورية والعالم المعروف:

الحقائق والتصورات:

لقد رأينا أن كل العبارات الملكية تنتظم حول القول (من وإلى حد بعيد)، فالفرس يفتحون ويُخضعون البلدان البعيدة، وكذلك فإن الناس الذين عملوا في صوصا أتوا من بعيد جدًّا، هذا القول يعكس بنفسه مدى اتساع المناطق الخاضعة والتي يحكمها الملك والفرس، كذلك ففي الألقاب والأسماء الملكية، فإن دارا (Darius) الأول يظهر كملك في تلك الأرض العظيمة البعيدة الواسعة (DNa) .

ولكن هناك عامل واحد من بين العديد من العوامل هو أن ملك التعدد والكثرة هو سيد التعدد والكثرة، أنا دارا (Darius) الملك العظيم، ملك الملوك، ملك البلدان التي تحتوي على كل أنواع الرجال (DNa)، كذلك أنا (ملك بلدان عديدة) (DPa) ، وهنا نرى كيف عرف دارا (Darius) سلطاته الحدودية، وذلك على الألواح الموجودة في الأساس في صالة الجمهور في برسيبوليس: (هذه هي المملكة التي ملكتها من الساسانيين الذين هم خلف سوجديانا حتى أثيوبيا ومن السند وحتى ساردينا)(DPh)

إن هذا النوع من التقديم موجود في العديد من النصوص الكلاسيكية، فقد اعتبر سترابو (Starbo) أن قورش (Cyra) في لاكسارتس (Syra Darya) (laxartes) هي أبعد نقطة للنفوذ الفارسي في وسط آسيا، أما بالنسبة لهيرودوت (Herodotus) فإن كلوتيشس Colchis لعب الدور نفسه في إدارة وتوجيه القوقاز، وكذلك فمن بين البلدان الحدودية للعالم الأخميني، حيث كان يتم إرسال المرحلين على الترتيب إلى باكترا، الهند، أرمينيا، والخليج الفارسي، كما أورد ذلك المؤلفون اليونانيون .

وحسبما ذكر المؤلف دي موندو Demondo ، فإن الإمبراطورية الآسيوية كانت محاطة من الغرب بالهلينية Hellespont ، ومن الشرق بهندوس Indus ، وذلك من وجهة نظر مركزية الأرض، وقد وصف زينوفون Xenophon إمبراطورية قورش Cyrus كما يلي: (إن حدودها كما يلي: في الشرق البحر الأحمر (الخليج الفارسي)، وإلى الشمال بونتس إكسيوس Pontus Euxinus ، وإلى الغرب سايبروس في مصر، وإلى الجنوب أثيوبيا)، وفي أماكن أخرى أرجع زينوفون العبارات التالية إلى دارا (Darius) الأصغر: (حسنًا أيها الرجال المحترمين، إن دور ونفوذ مملكة أبي تمتد إلى الجنوب إلى مناطق لا يستطيع الرجال أن يقيموا فيها بسبب حرارتها، وإلى الشمال إلى مناطق لا يستطيعون العيش فيها بسبب برودتها). كذلك لكي يقنع مواطنيه بالموقع المركزي لأثينا Athens بسبب تساوي بعدها عن المناطق الحارة، وكذلك عن المناطق شديدة البرودة .

وقد كتب دارا (Darius) أنه: (الملك على هذه الأرض الشاسعة التي يوجد بها العديد من البلدان، فارس، مدين، بلاد أخرى ذات لغات أخرى وجبال وسهول أخرى من هذا الجانب من نهر القارص، وعلى الجانب الآخر من نهر القارص، وكذلك على هذا الجانب من الأرض الظمأى، وعلى الجانب الآخر من الأرض الظمأى .

إن كل هذا يؤكد على امتداد الإمبراطورية واتساعها، وكذلك على تنوع الثقافات والعرقيات واللغات للشعوب التي تخضع بلدانها للملك، وإلى حد أي مدى لم يؤكد زينوفون أن قورش Cyrus سادت على هذه الشعوب، ولكن بالرغم من ذلك فإنهم لم يتكلموا اللغة نفسها، كما يتحدث هو، وكذلك فكل منهم لم يتعلم لغة الآخر، أو لم يأمر دارا (Darius) نفسه في بشتون أن تكون أوامره وتوجيهاته منشورة بلغة شعبه .

إن كل هذه النصوص تهتم كذلك بالتصوير أو التمثيل المغلق الذي أعطوه للإمبراطورية الأخمينية التي كانت محاطة (بحدود)، ولكن من

النظرة الأولى، فإن هذا المفهوم يبدو معارضًا للافتراضات الأكثر تقدمًا، والتي تقول إن الملوك العظام يسوغون رعيتهم بالتأكيد على سيادتهم اللانهائية الواسطة، وفي الحقيقة، فإن ما يدعوه دارا (Darius) بالأرض هو ما يدعوه اليونانيون بالمقاطعات، وهو نفسه الذي ندعوه نحن بالإمبراطورية والتي تكون محاطة دوليًا بحدود من العالم المعروف: إن الإمبراطورية تمثل كلاً من الأراضي والشعوب معًا .

وهذا بالتأكيد هو الحقيقة التي عبر عنها دينو Dinon الذي كتب أن الفرس لديهم الماء من نهر النيل، ومن نهر الدانوب، وآخرين يضعونه مع كنوزهم كنوع من الشهادة على عظمة قوتهم واتساع إمبراطوريتهم، وهذا المفهوم لا يعني أن الملك لم يكن على دراية بما يحدث في البلدان التي كانت تقع خارج حدود إمبراطوريته، حيث إن محاولات الإنجاز للفرس حول أفريقيا التي ذكرها هيرودوت (Herodotus) تقترح أنهم كانوا على دراية تامة بتلك البلدان

إن التماثل أو التناظر بين الحدود في الإمبراطورية وحواف العالم المعروفة يجعلنا نفهم أن قوائم البلدان خالية من المسميات فبينما أن ترتيب السرد يختلف من قائمة إلى أخرى، فإن تلك البلدان لم تكن أسماؤها واضحة؛ وذلك بسبب التجمعات الجغرافية، فعلى سبيل المثال، إذا أخذنا النحت البشتوني سوف نلاحظ المجموعات التابعة التالية:

أ) مركز الإمبراطورية (فارس وإيلام Persia, Elam).

ب) المحور الجنوبي والجنوبي الغربي (بابل - سوريا - الجزيرة العربية - مصر) .

ج) المحور الغربي-الشرقي (هذه المطلة على البحر - سارديس - لونيا - مدين - أرمينيا - مقدونيا) .

د) المحور الشرق أوسطي (بارثيا - درانجيانا - آريا - كوراسمبا - بكريا - سوجديانا) .

هـ) المحور الغربي والجنوبي الشرقي (قندهار - ساسان - ساتاجيديا - القوقاز - ماكران) .

إن عالم النقوش الملكية عالم يدور في دائرة مغلقة، ففي الشمال شعوب الساكا والساسانيين يشكلون نصف دائرة من الشرق إلى الغرب، وبالمثل في الجنوب ليبيا، أثيوبيا، ماكران، مكاركا (وهم المرحلون من الكاريبي إلى الخليج الفارسي)، حيث تتكون نصف الدائرة الأخرى .

إن هذا التمثل السياسي لحدود الإمبراطورية ربما يتكامل كذلك مع المفاهيم الدينية الإيرانية، ففي الجزء العاشر من كتاب الزوشانيين المقدس (تسبيح إله النور حامي الحقيقة)، فإن العالم المراقب بواسطة إله النور وحامي الحقيقية محاط بنهر من الغرب ونهر من الشرق، وهناك كذلك إشارة إلى نهر الرنة Ranha الذي يحيط بالعالم، فالعالم الإيراني يمكن رسمه مثل اليونانيين خلال دائرة يمكن تحديدها من خلال الرنة .

المركز والأطراف (الآريون من أصل آري):

في الوقت نفسه، فإن هذا العالم كان قريبًا حول المركز، والذي هو في أغلب النقوش يشمل فارس ومدين وإيلام (ليس بالضرورة أن يكونوا بالترتيب نفسه)، وهذا حيث كانت هناك مراكز الإقامة للسلطة الأخمينية المتواجدة باسارجاداي، برسيبوليس، إكباتانا، وصوصا، وهذه المناطق هي أصول المحاور التي تشع في كل الاتجاهات مثل الطرق الملكية التي تربط المركز بالأطراف كما وصفها زينوفون Xenophon : (إن القبائل التي أخضعها قورش (Cyrus) لنفسه كانت كثيرة جدًّا؛ لهذا كان أمرًا صعبًا أن يسافر إليهم جميعًا حيث يبدأ المرء رحلته من القصر متجهًا إلى الشرق أو الغرب أو الشمال أو الجنوب .

حتى بالنسبة لتلك المجموعة، فإن المجموعات التابعة لفارس ومدين تمت تسميتها غالبًا من خلال الملوك العظام الذين احتلوا مكانة خاصة، مثلاً أن دارا (Darius) يعود لتلك الأراضي الشاسعة التي فيها العديد من البلدان (فارس ومدين وبلدان أخرى بلغات مختلفة) (DPg) ، إن هذه الجملة تدل على أن الثنائي فارس ومدين ليستا مرتبطين فقط بالتاريخ المشترك، ولكن كذلك بالتقارب في العرقيات وفي اللغات، وهذا بالضبط ما يعنيه استخدام كلمة آري Aryan، في العديد من النقوش الملكية تم تقديم دارا Darius وكسركسيس Xerxes على أنهما آريين من أصل أو خلفية آرية، وفي بشتون Behiston أصدر دارا (Darius) أمرًا بأن ينسخ على الألواح والمخطوطات نص موجود بالفعل في اللغة الآرية .

وأخيراً، فإن الترجمة الإيلامية Elamite بشتون تصف أهورا-مازدا مرتين كإله للآريين؛ لذا فإن كلمة آريا تعود إلى مرجعية ثقافية ودينية ولغوية، وكلمة آريا لها تاريخ طويل يعود إلى أصول الشعوب الهندية الإيرانية الذين تعود أصولهم المشتركة إلى التشابه بين كتاب الزروشاتيين المقدس وكتب الهندوس الدينية الأربعة، فمن هذا الجذع المشترك انحدر الشعب الآري، وإلى حد كبير فبالنسبة لمدينة آرا فإن هيرودوت (Herodotus) ذكر أنهم كانوا يعرفون عالميًا بالآريين .

إن الجغرافيين الهلينيين أنفسهم يعرفون بمنطقة جغرافية تسمى أريانا والتي تبعًا لما قاله سترابو تضم شعوب الهضبة الإيرانية، وتمد أكثر من ذلك إلى جزء من فارس وجزء من مدين، كذلك فقد وصف سترابو اتحادهما نتيجة للمقاييس اللغوية، حيث تتكلم تلك الشعوب اللغة نفسها مع اختلافات طفيفة في اللهجات حسبما عرف من خلال التحقيقات اللغوية، ماذا يعني استخدام كل من دارا (Darius) وكسركسيس (Xerxes) لهذا؟

إننا نعرف أنه خلال الحكم الساساني، فإن الملك شابور Shapur أدخل اللقب شاهن شاه إيران Shahan Shah Eran الذي تحول إلى اليونانية على شكل باسيلوس باسيلون أريانون، ومعناه ملك الملوك للآريين (الإيرانيين)، وذلك خلال الفترة الأخمينية، بالرغم من عدم وجود أثر للوحدة السياسية الإيرانية التي رمز إليها في كلمة إيران، وبالتأكيد فإن البلدان الإيرانية تحتل دائمًا مكانة خاصة في الإمبراطورية، فقد كانوا هم على سبيل المثال يمثلون القوات الخاصة في القوات المسلحة الأخمنية، وقد وصف كونيتس كيرتس الوضع في عام 330 قائلاً: إن هذه البلدان تمثل منطقة بالنسبة للرجال والسلاح، وبالنسبة للمقاطعات تعتبر هي الثانية بين هذه الأمم، وهي تحتل الجزء الثالث من آسيا، وعدد رجالها في سن الحرب مساوٍ لعدد الجيش الذي فقده دارا (Darius) الثالث في الحرب، ولقد أضاف كيرتس كذلك أنه في تلك الأمم كانت الجلالة الملكية عندهم فوق العادة .

إن هذه العبارات العامة المتضمنة أن الشعوب من باكترا إلى فارس يصدقون أنفسهم في أنهم ينتمون إلى كينونة سياسية واحدة، ولكن تركيبة بعض البلدان الموجودة في القائمة التي تنبع دارا (DNa, Dse) (Darius) ، والأكثر ممن يتبعون كسركسيس (Xerxes Xph) يفصلزن الشعوب الإيرانية عن مناطق مدين التي في أول القائمة .

إن الملوك العظام يستخدمزن كلمة آريا للتعبير عن قوة الشعوب الرائدة، وهي تتعارض مع من هم ليسوا إيرانيين، كذلك في نسخة هيرودوت (Herodotus)لم تظهر في الجزء الأساسي للأخمينيين، وبالرغم من ذلك، فإن دارا (Darius)يضع الفرس وأهل مدين على الجانب المضاد للبلدان الأخرى التي تتكلم لغات أخرى (DPg) ؛ ولهذا يبدو أن هذا الجزء لدارا (Darius) يعتبر رغبة منه في إحياء الألفاظ المهجورة، خاصة إذا لاحظنا أن مصطلح آريا يعود في الأصل إلى النبل القديم.

المركز والأطراف:

فارس والإمبراطور:

لم يكن دارا (Darius) الحقيقة ينوي أن يمجد الوحدة السياسية الإيرانية أو يؤكد وجود السلطة المشتركة للفرس وأهل مدين، فعندما ذكرت فارس في قائمة البلدان كانت دائمًا في القمة، وعندما لا يتم ذكرها، فإن اختفاءها يعبر عن تفوقها على البلدان الأخرى .

إنه لمن الواضح تمامًا أن المركز الحقيقي للإمبراطورية هو بلدة فارس وحدها، وهذا كان مفهومًا تمامًا بالنسبة لهيرودوت (Herodotus) عندما كتب (I.134) : (بعد أمتهم وشعبهم، فقد بسطوا نفوذهم على أقرب جيرانهم بالشرف، ثم الأقرب، وهكذا، فإن احترامهم أخذ يتضاءل كلما اتسعت المسافات والأبعاد، وهي الأقل احترامًا، هم أنفسهم يتفوقون على غيرهم على مستوى العالم، ويسمحون للأمم الأخرى بنصيب من الصفات الجيدة يقل بزيادة البعد لهؤلاء عنهم).

ونحن لا نستطيع أن نتخيل تعريفًا أفضل للشعوب التي تعيش على الأطراف، إنه بوضوح يفترض أنها كانت مستثناة من دفع الجزية لفارس، كذلك فإن الحاكم قلاموس Calamus كان قادرًا على إعطاء تصور حي للأهمية القاطعة للمركز السابق للإسكندر (Alexander) (بلوتارخ. الإسكندرPlutach Alex) .

فهو في الوصف الذي تم ذكره، كان السرد الكامل كما يلي: (دارا (Darius)الملك، ملك من ملوك عديدين، سيد من أسياد عديدين، أنا دارا (Darius) الملك المعظم، ملك الملوك، ملك البلدان التي تحوي كل أنواع الرجال، ملك في الأرض العظيمة البعيدة الواسعة، ابن هيستاسيس Hystaspes الأخميني الفارسي، ابن فارس الآري من أصل آري).

إن شجرة النسب الخاصة بدارا (Darius) يتم تعريفها من خلال العائلة (هيستاسبس)، الأصل الملكي (أخميني)، العرق (فارسي)، والأصل العرقي (الآري)، نحن نصل إلى الانطباع بأن كلمة آري هنا تعود إلى الفرس أو حتى إلى العائلة الملكية، ومن خلال هذا الافتراض، فإن استخدام هذا المصطلح آريا Arya من خلال دارا (Darius) ربما أنه كذلك يشـارك فـي عـدم إلـغـاء حقوق السلالة الحاكمة في النسب، وإلى حد ما في (DB) ، فإن كلمة آريا (اللغة الآرية) تبدو أنها لا تستخدم اللغة الفارسية بصورة محدودة، ومهما كانت الحالة بالنسبة لتلك النقطة، فإن نقوش دارا (Darius) وخلفائه تثبت المكانة العالية لفارس وللفرس بالنسبة للأورال -الشخص الملكي في ناقشي رشتام - Naqs-Rystam فإن قائمة البلدان التابعة تم تقديمها كما يلي: (إنه وبعناية أهورا-مازدا، فهذه هي البلدان التي عبدتها من خارج فارس (DNa) ، إن هناك نصًا عظيم الشبه، ولكنه أكثر وضوحًا يوجد في الترجمة الفارسية للقائمة ثلاثية اللغة الموجودة على الحائط الجنوبي للشرفة في برسيببوليس تقول: (إنه وبعناية أهورا-مازدا فإن هذه هي البلدان التي أمتلكها مع تلك الطبقة من الفرس (DPe) ، إن الصفة الفارسية المتفردة وهي الغزو تتضح بشدة في العديد من العبارات الملكية، فكما رأينا توًا: (أنا فارسي من فارس، لقد احتللت مصر، السفن تذهب من مصر عبر تلك القناة إلى فارس (DZe) والرجل الفارسي/ المحارب فاتح مصر (DSab) ، إن حربة الفرس قد وصلت إلى حد بعيد جدًا، فالرجل الفارسي قد حارب بعيدًا جدًا عن فارس)، وهكذا في العديد من النقوش، فإن دارا (Darius) يرعى البلد الفارسي وهو نفسه محمي من قبل أهورا-مازدا.

دارا (Darius) الملك (هذه هي البلد، فـارس الطيبـة التـي تحتـوي على أفضل الخيول، وأفضل الرجال بعناية أهورا-مـازدا لي، دار (Darius) الملك لا يشعر بأي خوف مـن أي أحـد آخـر مـع آلهـة البيـت الملـكي،

ورعاية أهورا-مازدا لهذا البلد من الجيوش ومن المجاعات ومن الكذب، إنني أصلي لأهورا-مازدا ولآلهة القصر من أجل أن يحموا هذا البلد).

هناك كذلك نقش آخر على اللوحة الثلاثية اللغة، لازال في فارس القديمة يحتوي على العبارة التالية: (دارا (Darius) الملك يقول: (ربما أنني لا أشعر بالخوف من أي شخص آخر)، أحمي هذا الشعب الفارسي، وإذا كان هذا الشعب الفارسي ستتم حمايته، فذلك عندما تتنزل عليه عناية أهورا-مازدا، أنا من يحميني أهورا-مازدا من الضرر، وكذلك يحمي البيت الملكي، ويحمي هذه الأرض) (DNa) ، وكل هذا السرد يبدو أنه يعبر عن بناء علاقات خاصة بين دارا (Darius)ووطنه، وهو فارس المعروفة قبل كل شيء بقوتها العسكرية، والخيول الجيدة، والمحاربين الأشداء، هذه هي بلده وبيته التي يدعو آلهة الفرس إلى أن يحموها، ولقد وصف هيرودوت (Herodotus) سير الملك كسركسيس (Xerxes) على أن الفرس كانوا يتقدمون إلى الأمام، وتسير حول وخلف عربته الملكية، مجموعات من كل الجنسيات يمشون في الأمام، ولكن هناك مسافة متروكة في أعمدة المشاة لكي تبقى تلك المجموعات بعيدة عن الملك، بالمثل فإنه في نهاية طابور السير هناك سرية مكونة من عشرة آلاف حصان (فارس) فارسي، وهناك فاصل بنحو 400 متراً بينهم وبين بقية الجيش).

في الوقت نفسه، فإننا نجد أن التوصيفات الملكية عادة لا تتفق تمامًا مع بعضها؛ ولهذا فإن فارس قد وضعت في القائمة في نقوش بشتون ونقوش صوصا (DSn)كإحدى البلدان التي خضعت لدارا (Darius) ، وفي إحدى الترجمات لصكوك التأسيس ذكر أيضًا أنه من بين الناس والبلدان التي أحضرت المواد من أجل تزيين هذا القصر، ومن جهة أخرى ففي الترجمات الأخرى، فإن الفرس لم يتم ذكرهم بين الناس الذين أعدوا المواد وجهزوها، كذلك فهم أيضًا غير موجودين بين

المفاوضين الذين أحضروا الهدايا إلى الملك المعظم، ولكنهم موجودين ضمن حملة العرش، وهذا يدل على أنه بالرغم من أن للفرس مكانة خاصة، فإنهم لا يزالون خاضعين للملك، أما بالنسبة لبقية النقوش مثال (DSaa) ، فإن مثل هذا النوع من السرد يعلي وقبل كل شيء التعاون بين الناس في الجهد العام.

إن الملك يظهر لفترة بسيطة جدًّا لمرتين وحيدًا في النقوش البشتونية (أنا دارا (Darius) الملك المعظم، ملك فارس، ملك البلدان) (DB) ، وكذلك في بعض النقوش الصغيرة من المكان نفسه (DBa) ، كيف يمكننا أن نحل ما يبدو لنا أنه تعارض بين المقالات الملكية؟ يجب علينا أن نفترض فاصلاً أو حدًا بين الإمبراطورية والمملكة، فالأخيرة ترجع غالبًا إلى فارس، أو يجب علينا بدلاً من ذلك أن نفهم الحدود بالنسبة للمصطلح، مع التأكيد على أن فارس توضح العلاقات المتداخلة بين الملك وبين الارستقراطية الفارسية في وقت الثورة، ببساطة أكثر، هل يمكننا رؤية المصطلحات المختلفة كاختلاف أساسي؟ عندما ادعى دارا (Darius) أنه فارسي ابن فارسي، فهذا ببساطة لأن الفارسي وجنوده استمروا في لعب دور مركزي ومحوري في الإمبراطورية، كذلك فإن هذا بسبب أن هيرودوت (Herodotus) وصف (I,132) الملك نفسه بأنه يعتبر من الفرس، ولكن إذا لم يصر دارا (Darius) على لقبه كملك لفارس؛ هذا لأنه كان ينوي وقبل كل شيء التأكيد على السلطة والعالمية والتي لا يمكن أن نلغي فارس منهما.

بالطريقة نفسها عندما أورد هيرودوت (Herodotus) أن تلك البلدة حيث يقطن الفرس يتمتعون بالحصانة، فإنه يرجع فقط إلى أن الرد يعني مبدئيًّا سردًا سياسيًّا وأيديولوجيًّا، حيث إن النصوص الحديثة قد أظهرت أنه بالرغم من السيادة السياسية غير القابلة للجدل، فإن فارس لم تكن أبدًا مستثناة من الواجبات الأميرية .

4- الحقيقة والصورة (الملك بين شعبه):

الناس والهدايا: الاحتفال الإمبراطوري في برسيبوليس:

إنه من الواضح أنه لا قوائم البلدان ولا سرد الأفراد تميل إلى إعطاء الصورة الحقيقية للسلطة أو الجغرافية الإمبراطورية، ولكن بدلاً من ذلك، فإن القوائم والسرد يعتبران مبدئيًّا المراجع لكل فكرة من الأفكار الملكية والسلطة الملكية، والسؤال يظل: هل تلك الصورة هي التي تعبر عن الاحتفالات التي تقام بصفة دورية في برسيبوليس؟ إن هناك إجابة موجودة على قاعدة الإفريز الذي يظهر منه المفاوضون يحملون أشياء وحيوانات إلى الملك، والذي يكون - من المحتمل- مماثلاً لما ينتجون، واعتمادًا على المقارنات مع النصوص الإيرانية المتعلقة بالقرون الوسطى (البيروني على وجه التحديد Al-Biruni)والنصوص الهندية، فإن هناك محاولات عديدة لإعادة بناء مراحل الاحتفالات الإمبراطورية السنوية أحيانًا بتفاصيل معقولة، والتي كانت تتم في كل عام جديد، وليس هناك شك في وجود الاحتفالات والمناسبات في برسيبوليس، ومن الخطوط العريضة لأعمال كاتسياس Ctesias ، فإن كونفوشيوس Photius كتب قائلاً: (بعدما عاد دارا (Darius) إلى برسيبولس قام بذبح القرابين، ثم مات بعد ثلاثين يومًا من المرض، وبالرغم من الخاصية التلميحية في هذا المقطع، فإنه محاولة لكي ننسبه إلى الوصف الطويل لزينوفون Xenophon للاستعراض الكبير الذي نظمه قورش Cyrus .

(ثانيًا يجب علينا أن نصف كيف أن قورش (Cyrus) كان يقوده من الآن فصاعدًا، ولأول مرة من قصره (1.3) ويتتابع الوصف بعد ذلك للبروتوكولات الملكية التي تنظم ذلك، والملك، والآلهة، والعربات الملكية، والقرابين، والألعاب، والولائم، وأخيرًا هدايا الملك، وبعد

ذلك فإن زينوفون (Xenophon) يصف تطور العربة التي تحمل الملك إلى فارس فيقول: (إنه عندما أراد أن يكمل رحلته فقد أتى حدود فارس، فترك الجزء الرئيس من جيشه هناك، ثم أكمل مع أصدقائه إلى العاصمة، وأخذ معه ما يكفي من الحيوانات لكل أهل فارس لكي يقدموا القرابين ويحتفلوا بالعيد، ومن الواضح أن ذلك لا يصف احتفالاً محدداً؛ لأنه بالحديث عن موت قورش (Cyrus)فإن زينوفون (Xenophon) أورد أنه كانت تلك هي المرة السابعة التي يذهب فيها الملك لهذا السبب إلى فارس، إن قورش (Cyrus) قدم القرابين المعتادة، وقاد الفرس في رقصهم الشعبي، ووزع عليهم الهدايا جميعًا، وكانت تلك هي عادته، وبالمثل فإن هناك القليل من التفصيلات التي أعطاها زينوفون (Xenophon)قد وجدت في كتابات مؤلفين كلاسيكيين آخرين، فمثلاً وصف هيرودوت (Herodotus) ترتيب السير في الطابور الملكي لكسركسيس xerxes الذي ترك سارديس Sardis عام 480 .

بينما نجد كونتيس كيرتس Quintus Curtius يقدم ترتيب السير في الطابور الملكي لدارا الثالث Darius III عندما غادر بابل عام 333. كذلك وبالمثل مع بعض الاختلافات، فإن هناك عناصر مشتركة موجودة في كتابات كل من زينوفون Xenophonوهيرودوت (Herodotus) وكوينتوس كيرتس (Quintus Cuirtus) ، وإن الأكثر تشويقًا في ذلك أنهم جميعًا أتوا من مصادر مختلفة .

الاستعراض الملكي الذي حدث في صن رايز) Sunrise زينوفون، كوينتس كيرتس، هيرودوت : (Herodotus) (كان قورش (Cyrus) في عربته، وسائق العربة بجواره، وبالمثل فقد كان دارا (Darius) الثالث في عربته التي كانت مميزة بين الباقين، كذلك فإن كسركسيس (Xerxes) كان يركب في عربة تجرها الخيول من نيسان Nisaean وسائق العربة باتيرامفس Patiramphes ابن أوتانيس Otanes الفارسي يقف بجانبه).

إن الكلمة التي استخدمها هيرودوت (Herodotus) وهي Hames تثبت أنها كانت عربة حربية وليست عربة ذات أربع عجلات Harmamaxe ، وبهذا يكون الكاتب قد أوضح أن هناك نوعين من العربات، كذلك فقد كان طابور السير الملكي مصاحبًا بالحراس والجنود .

بالنسبة لقورش: (Cyrus)

4000 من حملة الرماح أمام العربة و2000 آخرين على كل جانب من جوانب العربة الملكية بعد ذلك (بعد 200 حصانًا ملكيًّا) .

10000 من الفرسان (مرتبين في مائة مربع)، وبعد ذلك مجموعتين أخريين من الفرسان بهما 10000، وفي النهاية الجماعات المترابطة والعربات .

كسركسيس Xerxes .

1000 فارس من الفرس، 1000 من حملة الرماح، 10 من الخيول النيسانية Nisaeam قبل العربات الخاصة بالملك، وبعد ذلك مجموعات أخرى من الفرس 1000 من حملة الرماح، 1000 فارس، 10000 من حملة الرماح (ذوي الأوشحة الذهبية والفضية)، ثم 10000 فارس .

دارا الثالث Darius III .

10000 من الخالدين يسبقون أو يتقدمون العربة الملكية، ثم 10000 من حاملي الرماح يتبعون العربة الملكية .

كذلك فالملك تكون له صحبة، فبجوار قورش (Cyrus) نجد أقاربه، وكذلك فقبل العربة الملكية لدارا (Darius) الثالث، وبعد الخالدين يسير أقارب دارا (Darius) ، وعن يمين العربة وعن يسارها يوجد أكثر النبلاء المقربين إليه، وفي النهاية في كل طابور سير للملك توجد العربات المقدسة، واحدة لزيوس Zeus والأخرى للشمس Sun والثالثة يتبعها مذبح النار، وذلك بالنسبة لقورش (Cyrus) ، أما بالنسبة لكسركسيس

(Xerxes) فنجد العربة المقدسة لزيوس، أما بالنسبة لدارا (Darius) الثالث فنجد مذبح النار، وعربة لكبير الآلهة Jupiter .

لذلك، فإنه من الواضح أن المصادر الثلاثة تنقل معلومات هائلة عن الترتيب بالنسبة لطابور السير الملكي خلال الاحتفالات المنتظمة التي تجري في فارس أو خلال إعادة نقل البلاط الملكي تحت ظروف أخرى، وفي الحقيقة فإن عناصر كثيرة في الوصف الكلاسيكي توجد على بعض النقوش البارزة في برسيبوليس، الحراس، الخيول الملكية، العربات الملكية، حاملي الأشياء الخاصة بالملك، طابور النبلاء وكذلك الخدم الذين يحضرون الطعام والشراب والآنية إلى الطاولة الملكية .

وبالرغم من أنه لا يمكن أن تجمع الأدلة بين النقوش البارزة في برسيبوليس، وما تم ذكره في الكتابات الكلاسيكية، فإن هناك عدة اعتراضات ضد الافتراض الذي يقول بأن الاحتفال بالعام الجديد كان يتم في بيرسيبوليس، حيث إنه، وفي البداية، فإن هذا الافتراض مبني على افتراض أن بيرسيبوليس كانت مدينة للشعائر مكرسة فقط للافتخار السياسي بقوة الملك العظيم، وللتأكد من ذلك، فإن هذا المفهوم يجب ألا يمر من بين أيدينا هكذا، فهذا هو العكس تمامًا؛ لأن اكتشاف الخزانة والألواح الخاصة بالتحصينات أثبتت بما لا يدع مجالاً للشك أن برسيبوليس كانت كذلك مركزًا اقتصاديًّا دائمًا، وكذلك كانت مقرًا للدائرة الحكومية .

كذلك فسوف نجد أنه لا توجد أية كتابات معاصرة تذكر شيئًا عن الاحتفالات السنوية بالعام الجديد، ولكن على الرغم من ذلك، فإن تقنين هذه الملاحظات يجب ألا يكون هو الذي يحكم على أن هناك احتمال لوجود واحد منها، آخذين في الاعتبار كيف أن المستندات الأخمينية متفرقة ومجزأة، ومن الواضح أنه -حسبما أوردت الكتابات أو النصوص الكلاسيكية- فإن البلاط الملكي ينتقل إلى فارس في فصل الخريف وليس الربيع .

والأكثر من ذلك، أن زينوفون (Xenophon) لم يذكر في أي وقت وصلت وفود المفاوضين للشعوب الخاضعة للملك، وبدلاً من ذلك أكد على توزيع الملك للهدايا، إن الاحتفال الذي وصفه من الواضح أنه تم في سياق فارسي بحت، حيث إن العناصر الدينية تظهر لتكون هي السائدة أو المسيطرة، وكما نعرف من المؤلف دي موندو De Mundo ، فإن وجود من يتسلمون الهدايا في بلاط الملك العظيم لا يحتاج على الأرجح إلى احتفال، حيث إن الملك يمكن أن يتسلم الهدايا في العديد من المناسبات الأخرى، والتصريح الدائم لدارا (Darius) (ومن تبعوه) بأن (تلك البلاد التي تحضر لي الهدايا) لا يمكن أن يستخدم لكي يثبت أي شيء أكثر من الذي يقوله، ونلاحظ أولاً أن الكلمة الفارسية باجي Baji تفيد ضمنًا مشاركة الملك أكثر في من الثناء والإعجاب .

ثانيًا: إن المقارنات المجدولة بين الإفريز الذي يقف عليه حاملو الهدايا، والحديث عن دافعي الجزية من خلال هيرودوت (Herodotus) في الحقيقة محكوم عليها بالإخفاق، إن قائمة هيرودوت (Herodotus) لمقدمي الضرائب (الجزية) من المناطق المختلفة في الحقيقة تقدم منطقًا من المنطق السائد في تركيب القائمة، وكذلك في النقوش البارزة حتى في ترتيب دفع الجزية لدارا (Darius)؛ ولهذا فإن الرسوم قد وصفتهم على أنهم حاملي الهدايا أكثر منهم مقدمي الجزية (على أية حال، وبناء على كل الدلائل، فإن الهدايا كانت تُدفع على هيئة مال) .

ولكن على الرغم من ذلك، فإن الضبط اللغوي من الواضح أنه لا يحل هذه المشكلة، فالاعتراض الرئيس على الاحتفال الإمبراطوري هو في الحقيقة من حيث الطريقة، والتحليلات المتعلقة بدراسة الأيقونات والرموز وعملها أظهرت أن كل النقوش البارزة والرسوم من البديهي أن يكون مقصودًا بها فرض ونقل صورة القوة العالمية غير الملموسة .

إن البلاغة الأخمينية تستقى قليلاً من الحقائق الرسمية عنها من

الافتراضات الأيديولوجية التي لها منطقها الخاص، بمعنى آخر، فإن الفن في بيرسيبوليس ليس تصويرًا فوتوغرافيًا بسيطًا يعكس الحقيقة، وبالرغم من هذا، فهي تمسك بالحقيقة، وتقبض عليها، وذلك من أجل أن تجعلها تتسامى، فهي تتعلق بالسيناريو المشهدي بدرجة أقل من أن تكون مقالة أيديولوجية عن المملكة والإمبراطورية يمكن أن تنتظم حول مقالات بالتحديد تعيد ذكريات عدم قوة ونفوذ الملك العظيم، الملك في جلالته (النقوش البارزة للجمهور)، القوات المسلحة (طوابير من الحراس الفرس ومن إيلام)، تعاون الأرستقراطيين (طوابير النبلاء بالزي الفارسي وزي أهل مدين)، ونفوذ واتساع الإمبراطورية في المقابل يعبر عنه بالهدايا المقدمة من مختلف الشعوب والأمم، ومن خلال الثراء والفخامة في الطاولة الملكية .

ومن خلال تلك الظروف، فإنه ربما يكون من المخاطرة أن نعيد بناء الحقيقة (المشاهدون لاحتفالات إمبراطورية بصفة دورية حول الملك)، وذلك اعتمادًا على الوصف الذي هو ساكن وثابت وغير قابل للتغيير، ويجب علينا أن نلاحظ أن الاعتراض خطير، وذو شأن عظيم، وفي الوقت نفسه يجب أن نلحظ بحرص أنه حتى وإن كانت الرسوم والفنون الملكية تعمل وفقًا لنموذج مفترض وكانت غير مشحونة بوصف الاحتفال وامتيازاته في الحقيقة، فإن هذا في ذاته لا يعني أن الافتراضات بالنسبة للاحتفالات الإمبراطورية يجب أن يتم التخلي عنها، ومن أجل الأخذ في الاعتبار كل الحقائق المستندية، فإنه من الخير لنا أن نعود إلى المصادر الكلاسيكية، وفي الواقع، فإن أيًّا منهم -بما لا يقبل الجدل- لا ينشط الافتراضات بالنسبة للاحتفالات الإمبراطورية الدورية التي تتم في برسيبوليس (حتى وإن كانت أو لم تكن تتم في العام الجديد)، ولكن البعض منهم يصف عملية منح الهدايا للملك العظيم من خلال إعادة توطين البلاط؛ لذا دعونا في البداية نتكلم عن تفصيلات هذه العادة الأخمينية، والتي أظهر المؤلفون الإغريق اهتمامًا كبيرًا بها.

الملك الرحال:

هنا يوضح زينوفون (Xenophon) أصول الهجرات الملكية، فيقول: (إن قورش (Cyrus) نفسه جعل منزله في منتصف مملكته، وفي فصل الشتاء يقضي نحو سبعة أشهر في بابل حيث إن المناخ هناك دافئ، وفي الربيع يقضي نحو ثلاثة أشهر في صوصا، وفي ذروة الصيف يقضي شهرين في إكباتانا، وبهذا الشكل فإنهم يقولون إنه قد استمتع بالدفء والبرودة في وقت الصيف السرمدي .

هذا التفسير نفسه موجود في كتابات سترابو Starbo وأثينيوس Athenaeus ، والذي يرى في تلك العبارة توضيحًا لحياة الترف والرفاهية التي يحياها الملك المعظم، وأول الناس الذين كانوا مولعين بحياة الترف هم الفرس الذين قام ملوكهم بقضاء الشتاء في صوصا والصيف في إكباتانا، ويقضون الخريف في برسيبوليس، وما يتبقى من العام يقضونه في بابل، كذلك، وبالمثل، فإن الملوك البارثيون Parthian كان يقضون وقت الربيع في راجة Rhagae (مدين) ويقضون الشتاء في بابل، وباقي السنة يقضونها في بارثيا Parthia ، ويرى أليان Aelian أن هذه العادة للملوك دليل على حكمة الملك المعظم الذي تشبه هجراته، الهجرة السنوية للأسماك وللطيور، وعلى النقيض من ذلك في عمله الجدلي -أجيساليس - Agesilausيحاول زينوفون (Xenophon) أن يوضح مرة أخرى رأيه العلمي في التدهور النفسي للملك العظيم من حيث تجنب الحرارة وتجنب البرودة، وهذا يدل على شخصية ضعيفة تتصنع الحياة وليست شخصية الرجال الشجعان، ومهما كانت التفسيرات الإغريقية، فليس هناك شك في وجود هذا النمط .

الأكثر من ذلك، في المقالة المتعلقة بأسلوب الطهي الخاص بملوك بوليانوس Polyaenus أن قائمة الطعام الخاصة بالملوك تختلف من مكان إلى آخر حسب مقر الإقامة الملكية، كذلك فقد سجل أليان Aelian الكثير

من الحكايات النادرة المشتقة من الترحال الموسمي للبلاط، إن التفسير المناخي المقدم هو بالطبع ليس شاذًا عن هذا النوع من البداوة وحياة الترحال، وفي الحقيقة نحن نعرف أن صوصا Susiana يكون جوها خانقًا خلال الفصول الحارة، يقول سترابو (Strabo) :(عندما تكون الشمس ساخنة جدًّا في الظهيرة، فإن السحالي والثعابين لا تستطيع أن تعبر الشوارع في المدينة بسرعة كافية لكي تحمي نفسها من الاحتراق حتى الموت في منتصف الشوارع)، أو مرة أخرى يقول: (إن الشعير ينتشر في الشوارع، ويرتطم بالأرض، ثم يصعد إلى أعلى، ثم يرتطم، وهكذا كما تفعل حبات الشعير عندما تكون في الفرن).

إن هناك تقريرًا منذ أيام ديادوشي Diadochi يبين كذلك كيف كانت الحرارة شديدة جدًّا في شهري يونيه ويوليو: (لقد كانوا يمشون في فرن؛ وذلك بسبب شدة الحرارة، لقد مات كثير من أفراد الجيش، وأصبح ديدروس يائسًا).

وهناك العديد من النصوص الهلينية Hellenistic على وجه الدقة تصف الاختلاف بين سهل صوصا Susiana والهضبة الإيرانية في فارس، وهذه المستندات تعتبر أكثر أهمية؛ لأنها تتكون أو تتألف من وجهة النظر للرحال الذي ينتقل من صوصا إلى برسيبوليس (ديدروس) .

وليس هناك من سبيل لكي تشك في أن الملك العظيم وحاشيته كانوا يبحثون عن الأماكن الأكثر راحة في الصيف شديد الحرارة، وبالمثل يمكن أن يكون الشيء نفسه في الشرق القريب، وعلى الرغم من ذلك، فقد كانت هناك كذلك أسباب تاريخية بالرجوع إلى عادة متماثلة للملوك البارثيين خلال فترة حكمهم ولقد كتب سترابو (Strabo) :(إن ملوك بارثيا Parthian اعتادوا أن يمضوا الشتاء هناك بسبب جوها الدافئ، والصيف في إكباتانا وهوكانيا Hyracani بسبب شهرتهما القديمة، وبالمثل فإن الأخمينيين Achemenids لم يستطيعوا أن ينشئوا مقرات إقامة في صوصا

أو بابل دون الرجوع إلى الجذور في مدينة أوفارس، خاصة فارس، حيث كانت هناك مدينتان، هما: بسارجاداي Pasargada وبرسيبوليس Persepolis ظلتا هما القمتين الأيديولوجيتين لقوتهما، وعلى جانب من تلك الهجرات الموسمية، فإن الملك وحاشيته أحيانًا كانوا يغيرون مقار إقاماتهم بسبب ظروف أخرى، وهذا كان يحدث خاصة عندما كان الملك يستدعي الجيش الملكي ويقوده هو بنفسه، وفي تلك المناسبات، فإن الملك يكون مصحوبًا بحاشيته وأسرته وخدمة وحشمه ومديري القصر، حتى إنه كذلك كان يتم نقل قصره (يتحول القصر إلى خيام) .

إن هذه النصوص التي تتناول الهجرة وقت الحرب تجعلنا نعيد بناء وتركيب العظمة والأبهة والظروف التي تحيط بالتحرك الملكي، وتفهم دلالتها السياسية والأيديولوجية بدرجة أوضح .

الولاية المتنقلة:

إن العديد من النصوص أظهرت أنه أثناء الانتقال الدوري للملك وتغير الأماكن، فإن هناك الآلاف من الناس يهاجرون معه، فكل شخص وكل عضو من أعضاء الأسرة الملكية في الحقيقة يأخذ دوره ويشارك في الرحلة وفي التحرك، والمشاهدة للطابور الذي يصاحب دارا (Darius) الثالث عند خروجه من بابل توضح أن نهاية الطابور كانت كما يلي:

- على مسافة من سارية وحيدة توجد عربة تحمل سيسجامبيس Sisgambisوالدة دارا (Darius) وفي عربة أخرى زوجته .

- حشد من النساء ممن يخدمن في قصر الملكة يركبن الخيل، ثم يتبعهم خمسة عشر ممن يسمون حارماماكسا Harmamaxas ، حيث يوجد أبناء الملك ورهط من الأغوات، وفي الصف الذي يليه عدد 365 محظية من محظيات الملك كن كذلك في أبهى زينتهن .

- بعد ذلك نجد زوجات أقربائه وأصدقائه، وبعد ذلك يكون عساكر المراسلة ومسؤولو البيع في المعسكر .

وفي الحقيقة، ليست نساء البيت الملكي وحدهن ولكن أيضًا نساء أقارب الملك وأصدقائه كن يحملون على عربات ذات زلاجات ويصاحبن الجيش كعادة الجدد والقدامى للفرس (دايدروس)، ونحن نعرف أن كسركسيس (Xerxes) أحضر بعضًا من أبنائهم غير الشرعيين للزحف ضد اليونان (هيرودوت (Herodotus)) ، والعلاقات والأصدقاء يحتلون مكانة الشرف في طابور دارا (Darius) الثالث .

إن العديد من العناصر توضح أن التنقل والترحال يثبتان أن الولاية نفسها كانت دائمة الترحال، حيث يقوم الملك بإحضار لباسه وقومه ودرعه، وكذلك يحضر معه صورًا للآلهة، إن طابور كسركسيس (Xerxes) عام 480 كانت به العربة المقدسة لزيوس تجرها ثمانية خيول بيضاء، وقائد للعربة يسير على قدميه خلفهم يمسك باللجام ليمنع أي شخص من الرحالة من اعتلاء مقعد العربة بناءً على أوامر دارا (Darius) الثالث، وفي المقدمة المذبح الفضي الذي يحمل النار التي يدعونها مقدسة، بعد ذلك يأتي المجوس ينشدون ترانيمهم المعتادة، وهؤلاء كانوا يتبعون بثلاثمائة وخمسة وستين من الرجال الشبان بالأرواب القرمزية، يتساوون في العدد مع عدد أيام السنة بالكامل، وبالنسبة للفرس فإنهم يقسمون السنة على عدد الأيام، بعد ذلك الخيول البيضاء تجر العربة الخاصة بكبير الآلهة Jupiter ، بعد ذلك تأتي الخيول ذات الحجم غير العادي التي يطلق عليها جواد الشمس، وعندما يتوقف طابور السير فإنه يتم نصب الخيمة الملكية، وكما أخبر زينوفون (Xenophon)في البداية، فقد وضع قورش (Cyrus) تلك القاعدة، وهي أن خيمته لا بد أن تكون مواجهة للشرق، وبعد ذلك يقوم أولاً بتحديد المسافة التي ستقام عندها خيام الحراس من حاملي الحراب، وهو نفسه قورش (Cyrus) الذي

يقوم بأخذ مكانه في منتصف المعسكر اعتقادًا منه أن ذلك هو أكثر الأماكن أمنًا، بعد ذلك يأتي أكثر أتباعه المخلصين كما اعتاد أن يكونوا معه في المنزل الملكي، وبجوارهم في دائرة يكون المسؤولون عن خيول الملك وعرباته الملكية، وبهذه الطريقة فإن الخيمة الملكية تكون في القلب، هذه الكلمة تغطي في الوقت نفسه كلاً من الحقائق الطبوغرافية والكهنوتية، ويذكر زينوفون Xenophonأيضًا أن كل ضابط لديه سارية فوق خيمته .

وكانت الخيمة الملكية من السهل التعرف عليها، ففي الأيام المشرقة يتم إعطاء الإشارة من خيمة الملك باستخدام البوق الموجود أعلى الخيمة، والذي يمكن للجميع أن يراه، وهناك صورة تلمع للشمس محاطة بالبلور (كوينتوس كيرتس (Quintus Cuirtus)) ، وعندما يكون البلاط في حالة حركة، فإن الخيمة الملكية تكون هي مركز القوة تمامًا كما لو كانت مع الملك نفسه، وبناءً على هذا، فإن الاستيلاء على الخيمة الملكية من قبل الأعداء والمعارضين يعني أن هذا يمثل ببساطة الانتقال من سلطة إلى أخرى .

وكوينتوس كيرتس (Quintus Cuirtus) في الحقيقة يشرح أو يوضح أنه كانت هناك عادة قائمة، وهي أنهم كانوا يحصلون على النصر في خيمة الملك المهزوم؛ ولهذا، وبناءً على انتصاره على أستياجس Astyages دخل قورش (Cyrus) العظيم الخيمة الخاصة بالملك المهزوم، فأخذ العرش، وأمسك بالصولجان، بعد ذلك قام أحد رجاله بوضع التاج على رأسه، والانتصار المقدوني في عام 333 كانت له النتيجة نفسها.

حيث إن غلمان الملك قاموا بترتيب خيمة دارا (Darius) والإسكندر (Alexander)، وأعدوا حمامه وغذاءه، وأشعلوا المشاعل الكبيرة ينتظرونه حين عودته من مطاردة أعداء دارا (Darius) حتى يجد الخيمة جاهزة لاستقباله؛ لذلك لم يكن هناك شك في أن الملك أيضًا مصاحب لمتخصصين حتى يقوموا بمساعدته في كل المهام الحكومية، ولقد أورد

أليان (Aelian) فيما كتبه عن التنقل بالنسبة للبلاط الملكي القصة التالية: (لاحظ أنه عندما يسافر الملك الفارسي، فإنه يأخذ معه ألواحًا خشبية، وسكينًا صغيراً، ومكعبًا من الكلس أو الجير، حيث يقوم بخدش الخشب والكلس بالسكين الصغيرة، كان هذا هو نشاط يد الملك، فهو لا يأخذ بالتأكيد كتابًا معه، أو أفكارًا خطيرة حتى يستطيع أن يقرأ شيئًا مهمًا، ويفكر مليًّا في موضوع مهم ومفيد .

الوصول والارتحال الملكي:

إن المفهوم السياسي لتلك الهجرات يتم إثباته بقوة من خلال الاحتفالات التي كانت تصاحب وصول الملك المعظم إلى مدنه، وليس هناك شك في أن طابور السير كان يتم تنظيمه بناءً على قواعد صارمة يحكمها البروتوكول، كما يمكن أن نرى في النصوص الخاصة بزينوفون (Xenophon) وهيرودوت (Herodotus) ، وكذلك كوينتس كيرتس، وواحد من أهم النصوص الجذابة هو الذي وصف فيه كوينتس كيرتس وصول الإسكندر (Alexander) إلى بابل: (الآن، وعندما بدأ الإسكندر (Alexander) طريقه إلى بابل قابله مازيوس Mazaeusالذي فر من أرض المعركة في جوجاميلا Gougamela متوسلاً ومتضرعًا مع أولاده البالغين، واستسلمت المدينة، وهو نفسه (مازيوس) كان قدومه محل ترحيب من الملك، وذلك بسبب الحصار للمدينة شديدة التحصين .

والأكثر من ذلك، أن هذا الرجل بما له من صيت ذائع في المعركة كان بفعلته تلك سوف يدعو الباقين إلى الاستسلام لذلك، فقد عامله بلطف هو وأطفاله، ولكنه أمر رجاله بأن يدخلوا إلى المدينة على شكل مربعات وهو على رأسهم، كما لو كانوا ذاهبين إلى المعركة، وعدد كبير من البابليين أخذوا أماكنهم فوق الأسوار يتطلعون إلى التعرف على ملكهم الجديد والبعض منهم خرج لملاقاته، ومن بين هؤلاء الآخرين باجوفانيس Bagophanes بستاني القلعة والمسؤول عن مالية القصر، وقد قام برش كل

الطريق بالزهور، وقام بوضع أكاليل الزهور على جانبي الطريق، وقام بوضع مواقد ومشاعل كبيرة للنار من الفضة، وقام بتعطيرها بالعطور من كل صنف ومن كل نوع، وأحضر معه الهدايا من قطعان الماشية والخيول والأسود والنمور، والتي كانت محمولة في أقفاص من أجلهم، بعد ذلك جاء المجوس يتلون ترانيمهم، وبعدهم أتى الكلدانيون Chaldeans ، ومن بابل ليس فقط الشعراء الملهمين، ولكن أيضًا الموسيقيون بآلاتهم الخاصة، وبعد ذلك أتى في النهاية الخيالة البابليون بخيولهم التي تظهر عليها آثار الثراء والأبهة، والإسكندر (Alexander) نفسه كان محاطًا بالرجال المسلحين الذين أمروا حشود الناس في المدينة بالسير خلف المشاة، أما بالنسبة للإسكندر (Alexander) نفسه فقد دخل المدينة راكبًا عربته، ثم دخل القصر بعد ذلك).

إن هذا النص من الواضح أنه يرتكز على الوصف المبدئي، ويوضح أن العناصر المختلفة للاحتفالات المنظمة هي بلا شك تشبه العديد ممن كان في نصوص الفترة الهلينية Hellenistic ، إن الحقيقة مختلفة تمامًا حسبما يقول هيرودوت (Herodotus)بوضوح كمثال أنه قبل وصول كسركسيس (Xerxes) في مدنه الملكية كان هناك إعلان كبير في تلك المدن للدلالة على قرب وصول الطابور الملكي، وإعلام المدن لكي تقوم بتجهيز الولائم الملكية، إن الفرق نفسها كان يتم إعدادها، ويذكر أليان (Aelian) في هذا الصدد أن كل المواطنين كانوا مطالبين بقتل كل العقارب على الطريق من إكباتانا Ecbatans إلى فارس، وكان يتم تجهيز كل جزء من تلك الطرق قبل وصول الملك إليها، وذلك بالتعاون مع السلطات، وقبل وصول الإسكندر (Alexander)إلى صوصا بعدة أسابيع أرسل حاكم الولاية ابنه لكي يستقبل الإسكندر (Alexander)، من جانبه أرسل الاسكندر أحد مسؤوليه لكي يقوم بالاتصال مع حاكم الولاية، لكي يقوم بعمل الترتيبات اللازمة لوصول الملك حسبما يقتضي

البروتوكول الأخميني، وفي الحقيقة، فإن السلطات كانت مطلوبة لتأتي أمام الملك خارج المدينة .

وبالمثل كان الوضع في ساردیس Sardis في صيف عام 334 عندما كان الإسكندر (Alexander) لا يزال على بعد سبعين فرسخًا (12 كيلومترًا)، وقد قابل ميثرينس Mithrenes قائد الحامية العسكرية للقلعة ورئيس الحكومة في سارديس وقد تخلوا عن ميثرنيس وعن القلعة والكنوز، أما في بابل، فإن السلطات قد سلمت المدينة والقلعة والخزانة، وقد كانت مدينتهم مفتوحة أمام الملك، وقد اعتبروا بذلك من الرعايا، وقد خرجوا (أي البابليون) للقائه في جمع، ومعهم كهنتهم وقوادهم.

وبعد ذلك بدأ بالدخول إلى المدينة، ففي بابل قاد الإسكندر (Alexander) العربة الحربية (من المحتمل أيضًا أن يكون دخول الملوك إلى المدن في بعض الحالات على ظهر الخيول) (انظر: مقالة بلوتارخ)، لقد رأى دارا (Darius) في أحد أحلامه الإسكندر (Alexander) في زيه، والذي كان ملكًا يمتطي صهوة جواده متجولاً خلال بابل .

إن الخبرات التي تمت بالرغم من ذلك تتطلب أن يكون الملك العظيم في أبهته وعظمته داخل عربته؛ وذلك في الاحتفالات الرسمية، إن عربة كسركسيس (Xerxes) كانت تجرها خيول من نيسان Nisaean ، ولقد قال هيرودوت (Herodotus)إنه: (حينما أخذته الرغبة، فإنه يمكن أن يترك عربته الحربية ويأخذ مقعده في عربة مغطاة بدلاً من ذلك)، وهذا التفصيل البسيط يدل على أن طابور السير الذي وصفه هيرودوت (Herodotus) يتكامل مع نظام الاحتفالات، وقد كانت -حسبما ذكر كوينتوس كيرتس - (Quintus Cuirtus) في الحقيقة عادة من عادات الأجداد؛ ولهذا فقد ركب جواده ووقف بين الباقين .

ذكر ديودورس Diodorus أن الملك وهو في عربته يستطيع أن يتخذ

وضعه، ويحافظ على المكانة الكهنوتية، وكذلك فهو لا يقود العربة بنفسه، لقد كان كسركسيس (Xerxes) يركب عربة تقودها خيول من نيسان، وقائد العربة هو باتيرانيفيس Patiramphes ابن أوتانيس الفارسي Otanes يجلس بجواره Herodot ، وزينوفون Xenophon لم يحجب رغبة الملك في أن يرعب أو يخيف المتفرجين المحتشدين على جانبي الطريق، وقد ظل قورش (Cyrus) محتفظًا بيديه خارج أكمامه، ومعه سائق العربة الذي كان طويلاً، ولكن ليس في الحقيقة أو في الظاهر من هو أطول منه في كل الأحوال، لقد بدا قورش (Cyrus) أطول كثيرًا، وحينما شاهدوه انحنوا أمامه، وهناك مجموعة قد أمرت بأن تفعل هذا الشيء، أو ربما أنهم كانوا مبهورين بالأبهة والفخامة، أو لأن قورش (Cyrus) ظهر عظيمًا جدًّا، بعد ذلك عبر الملك شوارع المدينة في بابل، والتي كانت مفروشة بالورود وأكاليل الزهور ومعطرة بالرياحين والروائح الأخرى الجميلة، وهذا يعيد للأذهان دخول قورش (Cyrus) منذ قرنين سابقين، فبالمثل عندما عبر كسركسيس Xerxes وموكبه الجسر الذي يعلو هيلسبونت Hellespont قاموا بإحراق كافة الأشياء الموجودة على الجسر، ثم فرشوه بأغصان نبات الآس العطري، وذلك على طول الطريق (هيرودوت Herodotus) .

وهذا من الواضح أنه احتفال بالنصر، ففي أخبار الانتصارات بالنسبة لسلاميس Salamis قام الفرس بفرش الطريق بأغصان الآس وأحرقوا البخور، وقدموا لأنفسهم كل أنواع السعادة، والاستمتاع، واللهو الصاخب بعد ذلك، فقد قام الملك بتقديم القرابين لآلهة المدينة والبلدة، ولم ينسَ الإسكندر (Alexander) أبدًا أن يفعل ذلك حينما ذهب إلى هذا، ففي بابل قابل الكلدانيين Chaldaeans ، وعمل بكل توصياتهم فيما يخص معابد بابل، وبالتحديد فقد قدم قربانًا إلى بال Baal بناءً على توجيهاتهم، وهذا الاحتفال يبين أن الملك لم يكن يتم استقباله من قبل

الشعوب وقادتهم فقط، ولكن أيضًا حراس أو أوصياء آلهتهم، وفي النهاية فقد كانت المهمة الصعبة بالنسبة للمدينة هي إمداد المائدة الملكية المغمورة بالثراء كما أوضح هيرودوت (Herodotus) إلى حد ما.

حياة الترحال بالنسبة للبلاط الملكي ومسح جوانب الإمبراطورية:

إنه ليبدو من الواضح أن تحرك البلاط الأخميني كان له تأثير سياسي وأيديولوجي كبير، فخلال ترحاله كان الملك العظيم يزور كل الشعب في إمبراطوريته، فهو الذي كان عادة -وإلى حد كبير- يظهر ثروة بلاطه الملكي وكذلك جيشه إلى كل شخص، إن عادة الفرس يمكن أن تقارن بالدخول الملكي في القرون الوسطى لفرنسا، حيث قيل: إنه في نهاية العصور الوسطى كانت العاطفة الملكية مشجعة بالدخول المتعدد للملك إلى كل مدنه الرئيسة خلال توسعه خارج حدود المملكة، فأولاً: كان ذلك احتفالاً فقط، ولكن لا بد لذلك أن يأخذ صبغة دينية، وفي نهاية القرن الخامس عشر أصبح دخول الملك مشهداً عظيمًا، حيث كان مستشارو الملك يقومون بنشر كل الموضوعات الخاصة بالدعاية الملكية .

أثناء عملية الترحال كان الملك أيضًا يمر خلال القرى، ويقابل البيزنطيين وبسبب التوجه العسكري للمصادر الهلينية والكلاسيكية، فإنه لم يكن لدينا بالطبع معلومات كافية بهذا الخصوص، ولكن عندما كان طابور السير الملكي يمر خلال أية مقاطعة، فإن السكان المحليين كانوا يتجمعون على طول الطرقات، وقد تم التأكيد على ذلك من خلال الملاحظة التالية لكوينتوس كيرتس (Quintus Cuirtus) واصفًا عودة دارا (Darius) الثالث إلى مدينة ميديا Media بعد معركة جواجاميلا Gaugamela ، والذي في هذه الأثناء أخذ جولة جانبية من القرية القريبة إلى الطريق، حيث الرجال والنساء العجائز يمكن أن يتم سماعهم- والذين يعيشون بطريقة بدائية (بربرية)- وكان لا يزالون ينادون بأن دارا (Darius) هو ملكهم.

إن وصف ديودورس Diodorus للطريق الذي سلكته العربة الجنائزية للإسكندر (Alexander) من بابل وحتى شاطئ البحر المتوسط يمكن أيضًا أن يتم ذكره: (إنه، وبسبب شهرتها الواسعة، قد جاءها المشاهدون من كل مدينة مرت بها، وقد أتى الناس جميعًا لملاقاتها ومرافقتها في طريقها إلى الخارج).

إن هناك مقولة لهيرودوت (Herodotus) ، كذلك تبدو أنها تدل على أنه، وخلال بقائه في ساردیس Sardis ، فإن دارا Darius كان يعقد مجلسًا في الولاية، وذلك في ضواحي المدينة، وليس هناك من شك في أنه في أية حالة كان السكان المحليون يستغلون وجود الملك لكي يعرضوا عليه شكواهم ومطالبهم، كما أوضح ذلك زينوفون Xenophon في السيروبيديا Cyropaedia عندما كان يصف الترتيب والتنظيم بالنسبة لطابور السير الملكي أثناء الاستعراض الذي تم في برسيبولس، وعندما تقدم فإن هناك حشد كبير من الناس تقدموا بطلباتهم لكي يتم إعطاؤها إلى قورش (Cyrus) ، وبعد ذلك يقوم هو بإرسال بعضًا من حاملي الصولجان، والذين يكون ثلاثة على كل جانب من جوانب عربته، وذلك من أجل حمل الرسائل إليه، وكان يأمرهم أن يقولوا له ويخبروه إن كان هناك أي شخص يريد طلبًا أو أي شيء فيه هذا الاهتمام نفسه قد جعل أرتاكسركسيس الثاني Artaxerxes يعطي تعليماته بأن تسافر زوجته ستاتيريا Staterua في عربة مكشوفة حتى يستطيع أي شخص أن يرجوها أن توصل طلبه أو حاجته إلى الملك، فكانت دائمًا عربتها تظهر وغطاؤها مكشوف، وبذلك تعطي الفرصة لنساء القرية أن ينحنين لها، ويقتربن منها وهو الشيء الذي جعل الملكة محبوبة جدًّا في المملكة .

العطايا والهدايا:

يوضع آريان Arrian بدرجة أكبر أن كل جزء من البلدان كان يقوم بإحضار الهدايا إلى الإسكندر (Alexander) ، وهذا يعني بالطبع الهدايا

من الحيوانات بما في ذلك الأنواع غير العادية، ففي بابل كانت تقوم الأسود والنمور وهي موضوعة في الأقفاص (كوينتوس كيرتس (Quintus Cuirtus))، وفي صوصا قابله أبوليتس Abulies بهدايا فخمة وعظيمة من بينها كانت الجمال العربية وكذلك الاثنا عشر فيلاً الرشيقة التي جلبها دارا (Darius) من الهند، أيضًا كانت هناك العملات الذهبية، والفضية كما تم إيضاحه في قائمة الجرد الخاصة بأخمينيا في صوصا 317: (لقد تم جمعها من أجله (أنتيجونس) Antigoinns ، فإلى جانب الكم الهائل من المال من العملات والهدايا والغنائم، والتي وصلت إلى نحو خمسة آلاف طالن (وحدة وزنية قديمة)، فإن سكان المدن الفينيقية كانوا يحيون هولوفرنس Holophernes بالعملات تعبيرًا عن الخضوع طواعية، وعلى الرغم من أنه في كل اغتصاب سابق للبلاد، فإن الفرس كانوا يجعلون أرضهم قفرًا، ويقطعون أشجارهم النادرة (جوديت Judith) .

والآن لنرى المقالة المطولة الشيقة لثيوبومبس Theopompus من تشيوس Chiosالمعلومة من الشاهد الأخير، فبعضها قد أُعيد عن طريق أثينايوس Athenoeus، إن المؤلف كان من الواضح أنه مغرم جدًّا بالعادات الملكية الفارسية، وقد كتب العديد من المقالات عن الرفاهية والثراء في الولائم الملكية وكذلك عن تحركات الملك المعظم وترحاله، فعلى سبيل الدقة الوحيد الذي أمدنا بمعلومات عما يلزم من أجل إطعام الملك ومن معه والذي يعتبر حملاً على الشعوب والمدن التي يزورها الملك وحاشيته، إن المقالة المذكورة هناك - إلى حد ما- ربما تتكلم عن الحملة العسكرية التي أعدها أرتاكسركسيس (Artaxerxes)الثالث من أجل غزو مصر عام 343 .

وهنا يتضح كيف -وكيف بحماسة- يصف ثيوبومبس Theopompus الهدايا ومقدمي الهدايا الذين يسارعون في عجلة إلى المسلك الذي تسير فيه العربة الملكية على الطريق؟ هل هناك أية مدينة أو أي شعب في آسيا لم

يرسل السفراء إلى الملك؟ هل هناك أي منتج من المنتجات الثمينة رفيعة المستوى في متاجرهم لم يتم تقديمها كهدايا للركوع أمام الملك؟ الكثير من الألحفة الثمينة والبطاطين الجميلة بعضها قرمزي، وبعضها عديد الألوان، وبعضها أبيض، الكثير من الخيام تملأ بالذهب، ويتم تأثيثها وملؤها بالأرواب الكثيرة والوسائل الغالية الثمينة، وكذلك الأكواب والأطباق المصنوعة من الذهب والفضة بعضها مغطى بالأحجار الثمينة، وبعضها يتميز بالبساطة الجميلة، وفوق كل هذا وذلك عدد لا نهائي من عشرات الآلاف من الأسلحة الإغريقية والبربرية، وعدد لا يصدق من مجموعات الحيوانات السمينة من أجل القرابين، والعديد من أكياس المال، وكم هائل من ورق البردي من أجل الكتابة، وفوق كل ذلك كل ما يلزم المعيشة بما في ذلك اللحوم وحيوانات القرابين محفوظة في أعلى بطريقة تعطي انطباعًا للمشاهد أنه يرى أمامه جبالاً وتلالاً ترتفع أمامه منها.

والعديد من الحكايات حفظها أليان Aelian تصف الالتزام الذي وقع على كاهل الفرس والبيزنطيين من الهدايا عندما مر الطابور الملكي لأرتاكسركسيس (Artaxerxes)الثاني بالقرب من حقولهم وقراهم، ولقد كانت هناك عادة لدى الفرس هي أنه حينما يتجه الملك إلى برسيبوليس يقوم كل واحد منهم -على حسب استطاعته- بتقديم ما يقدر عليه، حيث إنهم يزرعون الأرض ويعيشون على ما تنتجه لهم، وهم لا يقومون بإحضار هدايا ثمينة وغالية، ولكنهم يحضرون الثيران والأغنام والذرة، وفي بعض الأحيان الخمر، وعند مرور الملك في طريقه، فإن تلك الأشياء تحمل وتعطى له كهدايا، والرجال الذين كانوا أكثر فقرًا من الفلاحين كانوا يقدمون الألبان والتمر والجبن مع الفاكهة الطازجة، وكذلك بشائر ما تنتجه الأرض من الفاكهة المحلية، وقد كان من المشين عدم فعل تلك العادة، وكان من الشرف أن تحضر حتى ولو هدية بسيطة، ويخبرنا أليان

بقصة رجل فارسي ذي فقر مدقع، والذي كان لا يستطيع أن يقدم لأرتاكسركسيس (Artaxerxes) أكثر من قربة من الماء من نهر قورش (Cyrus) ، وآخر لم يكن يستطيع أن يقدم أكثر من رمانة واحدة، وقد كان الأول مشرفًا ومعروفًا باسم المحسن أو الخير، إن تبادل الهدايا والذي كان سائدًا في تلك المناسبة يعود إلى كرم الملك المعظم، ويؤكد على الروابط القوية مع الشعب .

هدايا الملك العظيم والخضوع السياسي:

ليس هناك من شك في أن لإعطاء الهدايا مدلول سياسي كبير، فهو يدل على خضوع الشعب والمدينة للملك، لقد كان كل شخص ملتزمًا -خاصة الأغنياء- ففي طريق ذهابه وعودته من معسكراته في أوروبا عبر دارا (Darius) آسيا الصغرى وظل في سارديس، وفي هذه المناسبة قام بيثيوس Pythius الثري من سيلان Celaenas بتقديم شجرته الذهبية الشهيرة بعد ذلك في عام 480، وفي سيلان كان ينتظر كسركسيس (Xerxes) ، ولدى وصوله رحب به وبجنوده بأقصى معاني الترحيب، والمزربان نفسه كان مطالبًا بأن يقوم بتحية الملك بانتظام.

ومن بين الأمثلة الأخرى يمكننا أن نذكر أوركسيس Orxines الذي اتخذ لنفسه لقب حاكم ولاية فارس عندما اقترب الإسكندر من باسارجاداي Pasargadasفي طريق عودته من كارمينا . Carminia حيث جاء أوركسس من أجل تحيته على حدود فارس، ولقد استقبل الملك بالهدايا من كل نوع، ومنح الهدايا ليس فقط للإسكندر (Alexander) ولكن لرفاقه، وكذلك فقد جاء تتبعه مجموعات من الخيول ذات الحوافر المدببة والعربات المطعمة بالذهب والفضة، وكذلك الأثاث الغالي الثمين والجواهر الفضية والزهريات المصنوعة من الذهب ذات الوزن الكبير ونحو 3000 طالن من العملات الفضية .

إنه لمن المؤكد في قصص معسكرات الإسكندر (Alexander) أن

العديد من البلدان والشعوب قد أعطوه العملات في كل مرة يزور فيها الحدود لأية مملكة أو أية مدينة في الهند، حيث كانت تحية السفراء الذي يحملون الهدايا تمثل إنتاج تلك البلاد، وعلى سبيل المثال فقد أعطاه أومفيس Omphis ستة وخمسين فيلاً، بالإضافة إلى الكثير من قطعان الماشية ذات الأحجام غير العادية، وكذلك نحو 3000 من الثيران، كذلك فإن هذا الملك الهندي كان ببساطة يتبع أوامر الإسكندر (Alexander) والذي أرسل في طلبه هو وكل الهنود على هذا الجانب من نهر الهندوس Indus (تاكسيلاس) (أومفيس)، حيث حضر تاكسيلاس Taxilas والآخرون يحملون معهم الهدايا من أعظم الأشياء وأغلاها في الهند، ولكن الرفض المطلق لإحضارها الهدايا كان يؤخذ دليلاً على عدم الطاعة، وعدم الخضوع، وهذا كما في حالة الملك الهندي موسيكانوس Musidanas الذي لم يقابل الإسكندر (Alexander) لكي يستسلم له ويسلم له بلاده، فلا هو أرسل أية هدايا تليق بالملك العظيم، ولا هو نفذ أي طلب من مطالب الإسكندر (Alexander)، وبمجرد سماعه بنبأ وصول الجيش المقدوني، فإن موسيكانوس نفسه حضر راكعًا أمام الملك وأحضر الهدايا من أغلى وأنفس ما يكون في الهند مسلمًا نفسه وشعبه للإسكندر(Alexander) .

وكما سجل قورش (Cyrus) في السيروبيديا أن حكام الولايات كانوا ملتزمين بإرسال كل ما هو نافع ومفيد من مقاطعاتهم المختلفة إلى الملك من فاكهة وحيوانات وإنتاج الأراضي وما صنعوه أو استخرجوه، وقد كان الملك دائمًا يقول للولاة بأن أجمل وأروع منتجاتهم التي يرسلونها يحتفظ بها لنفسه شخصيًا، وبهذا فقد كان الملك يجعل تلك البلدان الخاضعة له تتفانى في إظهار ولائها له، وذلك من خلال تقديم الهدايا له كما أوضحنا من قبل.

5- الصورة والحقيقة والاحتفالات الإمبراطورية:

الجيش الكبير لكسركسيس:Xerxes

من بين الصور الغنية النابضة بالحياة للإمبراطورية وشعوبها تلك المقالة المطولة لهيرودوت (Herodotus) المتعلقة بوصف جيش كسركسيس (Xerxes) ، حيث يضع هيرودوت (Herodotus) المشهد والصورة أمام عين القارئ، فيقول إنه على الأرض المنبسطة في دوريكيس Dorisans حيث قام دارا (Darius) بإنشاء مقر إقامة وحامية هناك، في تلك البقعة وقف كسركسيس (Xerxes) وأخذ إحصاءً رسميًا للجيش، وبعد الإحصاء أصبح الجيش منقسمًا إلى عدة أقسام تبعًا للجنسية، بعد ذلك فإن هيرودوت (Herodotus) يعطي قراره قائمة تفصيلية شاملة لنحو 47 فرقة من المشاة، والفرسان، وكذلك البحارة؛ وذلك لكل عرق محتمل، فقد أعطى وصفًا للملابس والتسليح، وكذلك اسم للفارسي الذي يتولى القيادة، ومن بين المشكلات العديدة التي ظهرت بسبب هذا المستند الأكثر تشويقًا، فإننا سوف نركز على واحدة فيها بالتحديد وهي: التنوع غير العادي في الجيش المزركش بطريقة كبيرة جدًا، فالعديد من الفرق يمكن معرفة أفرادها بواسطة زيهم الغريب جدًّا، البعض كان يرتدي الجلود وعليها الشعر، فمثلاً الأثيوبيون من أفريقيا كانوا يرتدون جلود الأسود والنمور، وعندما يذهبون للمعركة، فإنهم يقومون بدهان نصف أجسامهم بالطباشير، وباقي الجسم باللون القرمزي، أما الأثيوبيون من آسيا فيرتدون أغطية للرأس تتكون من فروة رأس حصان بها الأذن والشعر، الأذن موضوعة بشكل منتصب لأعلى والشعر منظم كأنه تاج .

أما الجنود الأتراك Thracin فيرتدون جلد الثعلب فوق رؤوسهم وأحذية ذات رقبة طويلة من جلد الظباء، وكذلك فقد كان هناك تنوع

كبير في الأسلحة لا يقل عن الملابس، فالبعض يستخدم دروعًا من خشب السلال، والبعض يستخدم دروعًا من الجلد (الأثيوبيون والآسيويون)، والبعض يستخدم دروعًا من رأس الثور، والبعض يرتدي خوذات مزدانة بقرون وآذان الثور، والبعض يرتدي خوذات من البرونز، ويستخدم البعض الهراوات من الخشب والمطعمة بالمسامير الحديدية (السوريون والأثيوبيون من آسيا)، والبعض يستخدم الفئوس، السهام المدببة من الأمام بالصخر والرماح وهكذا، أما بالنسبة للقوات الراكبة، ففيها أيضًا تنوع شديد، فبدلاً من أن يكون عدد العرقيات فيها قليل، فبدلاً من ذلك نجد أن فرسانًا يركبون الخيول ذات السرج أو العربات التي تجرها الخيول أو الثيران البرية، وهو الهنود أو فرسان يركبون الجمال كالعرب وحتى من بين الفرسان فإن هيرودوت (Herodotus) أفرد السجرتيين وحدهم Sagartians نظرًا لشكلهم المميز .

والسجرتيون هم فرقة من الناس الذين يتكلمون الفارسية، ويرتدون زيًا نصف فارسي والنصف الآخر بكتيني Pactyan ، وهؤلاء عبارة عن فرق تتكون من ثمانية آلاف من الأشداء، ومن عادتهم أنهم لا يحملون أسلحة من البرونز أو الحديد ما عدا الخنجر، أما السلاح الذي يعتمدون عليه فهو عبارة عن الحبل المضفر والذي في نهايته خية، وعندما يكونون في المواجهة مع عدوهم يقومون باصطياده بالحبل وتكتيفه، فيصبح لا حول له ولا قوة، وبعد ذلك يقتلونه، وتلك هي طريقتهم في الحرب، إن فرقة السجرتيين كانت تنتظم كوحدة واحدة مع الفرس .

إنه ليتبادر إلى الذهن سؤال مهم الآن، وهو كيف أن القادة الفرس كانوا يستطيعون توجيه وقيادة قواتهم مع هذا التنوع الهائل في تلك القوات، سواء في هيئتهم أو في تسليحهم؟ إن هناك فكرة واحدة تقفز إلى الذهن بسرعة، وهي أن هذا الاختلاف والتنوع هو الذي جعل اليونانيين يستطيعون هزيمة الفرس أو هي التي جعلت دارا (Darius)

الثالث ينهزم على يد الجيش المقدوني، ولكن ذلك التفسير يجب أن يكون مرفوضًا؛ لأنه من جهة يتفق تمامًا مع التفسير اليوناني، ولكن من جهة أخرى - وهي الأهم- أنه يُغفل حقيقة أساسية، وهي ببساطة أن كل الفرق التي وصفها هيرودوت (Herodotus) لم تدخل الحرب مطلقًا .

في ترمبولي Termopylre بدأ الهجوم بقوات الصفوة من أهل مدين ومن الساسانيين، وبعد ذلك دخل المشاة (لقد أمروا بصد جناح الجيش) (هيرودوت (Herodotus)) ، (ديدروس)، وهنا الفرق التي التقطها ماردونيس Mardonius عندما أعاد كسركسيس Xerxes أخذ سارديس بعد سلاميس Salamis إلى جانب العشرة آلاف، فقد اختار ماردونيس حاملي الرماح من الفرس والفرسان الأشداء وعدوهم ألف، وأخيرًا من مدين، ساكا، باكترا، الهندوس، الخيالة والرجال، وهذه الفرق أخذها بالكامل من قوات جنسيات أخرى، فقد أخذ بعض الرجال من هنا، وهناك يقوده في ذلك الاختيار إما لمظهر أو معرفته بهم؛ وذلك حتى أكمل العدد كله بما في ذلك نحو 300.000 فارس، إن الفرس بقلاداتهم، وما يرتدونه في أذرعهم (نحو عشرة آلاف) يكونون أكبر فرقة في الجيش، يليهم في هذا أهل مدين؛ ولهذا لم يكن أهل مدين أقل في العدد، ولكن كانوا أقل في الاستعداد .

بعد ذلك فإن هيرودوت (Herodotus) أعطى أمر الحرب لماردونيس Mardonuis، وذلك في بلاتيا، وقد قال بكل وضوح: (إن الخطوط الأمامية تتكون من الفرس وأهل مدين والهنود والساسانيين)، هذا الأمر كان صحيحًا كذلك بالنسبة لميكال Mycale ، حيث إن الفرس قد قادوا الهجوم في المقدمة، وفي بلاتيا عرف هيرودوت (Herodotus) المجموعات التي اختارها ماردونيس Mardenuis كالآتي: الإغريق والمقدونيين والفرجينيين Phryglans والحيثيين والأتراك والبنوبيين وبعض الأثيوبيين والمصريين، وبالنسبة للمصريين، فقد ذكر هيرودوت

(Herodotus) التفاصـيل التاليـة: (لقـد خـدموا مـن قبـل في الأسـطول ولكـن ماردونيوس أحضرهم إلى الشاطيء من قبل أن يغادروا (فاليرام Phalerum).

لم يكن هناك أي جنود مصريين في القوة البرية التي أحضرها كسركسيس (Xerxes)إلى أثينا، ولكن السببين يمكن ألا نستنتج منهما أن الفرق منذ عهد دوريسكس Doriscus قد ذهبت بعيدًا: أولاً: إن صفوة المحاربين هم الذين يمكن أن يتم اختيارهم -كما أوضح هيرودوت - (Herodotus) جيدًا نسبة إلى المصريين أنفسهم. ثانيًا: لقد قال هيرودوت (Herodotus) في مرات عديدة: (إن سلاح البحرية كان أغلبهم من الفرس ومن أهل مدين والساسانيين؛ وذلك لأسباب من السهولة أن نفهمها، فإن الجيش المقاتل في البحر كان معظمه من القوات الفارسية والإيرانية).

ومن الواضح أن السبعة والأربعين فرقة العرقية التي تم سردها من خلال هيرودوت (Herodotus) في دوريسكس Doriscus لم يشهدوا معركة أبدًا؛ لذا يجب علينا أن نستخلص من ذلك أنه إذا كان كسركسيس (Xerxes) لم يفرض أبدًا تجنيدًا إلزاميًا عامًّا على رعاياه، فإن ذلك كان لأسباب هي أنه لم يكن له شأن بالمنطق العسكري .

الاستعراض العسكري الإمبراطوي:

لقد كانت هناك مراجعة مبدئية للجنود في أبيدوس قبل أن يعبروا الهيليسبونت Hellespont ، إذا كان الآن كسركسيس (Xerxes) يريد أن يلقي نظرة عامة على جنوده على ربوة عالية بالقرب من العرض المصنوع من الرخام الأبيض والذي قد تم إعداده خصيصًا من أجله، ومن خلال أوامره للناس في أبيدوس؛ لذا فإن الملك قد اتخذ مقعده هناك، وينظر إلى أسفل حيث الشاطئ، وحيث يمكنه أن يرى كل جنوده وكل بحارته بنظرة واحدة، وفجأة، وهو يشاهدهم، أخذته نزوة مشاهدة مباراة في التجديف، فقد تم السباق وفاز فيه الفينيقيون Phoenicians من سيدون

Sidon ، مما جعل كسركسيس (Xerxes) غاية في السرور من ذلك السباق كأنه مسرور بجيشه، ولقد نظم كسركسيس (Xerxes) استعراضًا آخر في دورسكس Doriscusفي تراس Thrace بعد الإحصاء الرسمي للجيش، وقد فكر كسركسيس في عمل استعراض عام لجنوده بعدما انتهى إحصاء الجنود؛ ولذلك فقد دفع بعربته أمام فرق الجنود المختلفة، وكلما مر بفرقة سألهم أسئلة، ويقوم السكرتير بتدوين الإجابات، واستمر كذلك حتى انتهى من استعراض كامل الجيش الرجال والخيالة، بعد ذلك قام باستعراض السفن، حيث هبط من عربته، ثم ركب في قارب سيدوني Sidonian ، فأخذ مقعده تحت مظلة من الذهب، وأبحر بين السفن يسأل أسئلة عن كل سفينة ويقوم السكرتير بتسجيل الإجابات تمامًا، كما فعل مع قوات الجيش، لقد أخذ كل ربان سفينة زورقه وبقوا جميعهم على مسافة نحو 400 قدمًا من الشاطئ، وأوقفوا زوارقهم جميعًا على خط واحد، بحيث كان مقدم الزورق تجاه الشاطئ، والمحاربون يقفون على السطح بكامل ملابسهم العسكرية كأنهم يستعدون للحرب، ولكي يقوم بالاستعراض فإن كسركسيس (Xerxes) يمر بين الخط وبين الشاطئ .

هذه الأمثلة تتحدث عن نفسها: فكسركسيس (Xerxes) لم يكن مهتمًا بقواته العسكرية، ولكن بالتنوع في العرقيات والثقافات بالنسبة لشعوب في إمبراطوريته، إن واحدًا من أهم عناصر هذا الاستعراض هي أننا يجب أن نؤكد مع هيرودوت (Herodotus) على أن القيادة للجماعات العرقية حتى الآن في يد رؤساء الجماعات الأصلية وهي قاصرة على الفرس حتى بالرغم من المعدل الكبير للمواليد، هذا الترتيب يوضح بصورة رائعة ويقوي تلك الحقيقة، وهي أن الإمبراطورية للملك المعظم كانت إمبراطورية فارسية، وإنه لمن الممكن من خلال ترتيب هذا النوع من التجميع أن يكون الملك يبحث عن تقوية نفسية جنوده، ذلك على الأقل تفسير كوينتوس كيرتس (Quintus Cuirtus) ، ولكن ذلك ليس هو قلب الموضوع .

وبالمرور أمام الفرق التي تم ترتيبها على أساس الشعوب، فإن كسركسيس (Xerxes) ثقف نفسه بالنسبة للبلدان وللشعوب المختلفة التي يعتبر الحراك فيها دليلاً على قوته، ويعتبر تنوعها دليلاً على قوة الإمبراطورية، وبأسها، والذي لا يعرفه هو جيدًا، إن هذه النقطة تذكرنا بالتعليق الآرياني Arrian فيما يخص بتجميع تلك الفرق في بابل عام 324: (لقد كان ذلك عندما أصبح المقدونيون Macedonians والإغريق لأول مرة مهتمين بأسمائهم ومظهرهم). كذلك فإن المرء أيضًا يعتقد فيما كتبه كوينتوس كيرتس (Quintus Cuirtus) عن جيش دارا (Darius)الثالث قبل ذلك (البكترياني Bactriane والسجودياني Sogdiane والهندي، وكذلك المستوطنون الآخرون بالقرب من البحر الأحمر (الخليج الفارسي) والتي لم تكن أسماؤهم معروفة حتى لدارا (Darius) نفسه الذي تذكر أيضًا جيش دارا (Darius)هذا نفسه والذي اصطف في جواجاميلا Gougamela بعدما تم إحصاؤهم في الزي نفسه الذي وصفه هيرودوت (Herodotus) في دوريسكيس Doriscus (كهؤلاء كانوا يتبعون الأمم الأخرى يأتي فارداتس Phrdates بعد ذلك يقود خمسة وأربعين من العربات مع جيش كبير من كاسبي.(Caspi)

إن الهنود والمستوطنين الآخرين على ساحل البحر الأحمر (الخليج الفارسي) هي مجرد أسماء أكثر منها جنود احتياطيين كانوا يمشون خلف العربات، هذه الكلمات التي قالها كوينتوس كيرتس (Quintus Cuirtus) تؤكد الحقيقة في الفصل بين مجموعتين من مجموعات القوات الملكية، الجيش المحارب (الذي يتكون من فرق عرقية مختلفة ومختارة أساسًا من الإيرانيين)، والمجموعة الثانية هي جيش الاحتفالات، وهؤلاء يشملون كافة الطوائف .

إن الدعوة لاجتماع الجيش الملكي بكامله كانت استجابة للحراك الذي كان أيديولوجيًا أكثر منه استراتيجيًا، وعلى كل حال، فإن هذا التجميع نتجت عنه مشكلات لغوية هائلة، إن الترحال والتنقل للقصر

الملكي جعل القوة والثروة للملك المعظم تتوزع في كل مكان، كذلك أيضًا فإن تلك الاستعراضات تكون لا أقل ولا أكثر من ارتحال الإمبراطورية أكثر من ذلك لإن حركة (الألعاب الإمبراطورية) مذكورة بطريقة جيدة ومعروفة بالتنظيم الجيد بسباقات القوارب على سواحل أبيدوس، لقد عين هيرودوت (Herodotus) مرة أخرى بعد وصف الجيش الذي يعبر الكباري الذي استمر لسبع أيام وليالي دون انقطاع .

لاحظ أيضًا رد الفعل لكسركسيس (Xerxes) بعد استعراض القوات في أبيدوس عندما رأى أن الساحل الهليني مختفٍ خلف السفن، وكذلك كل الشواطئ في أبيدوس، وكل الأراضي المفتوحة ملأى بالرجال، لقد هنأ نفسه لذلك وكان مبتهجًا بالقوة التي لديه، إن المشهد اللافت للنظر كان أقل تأثيرًا في الإغريق أكثر من إعطاء الملك المعظم مرآة ليتأمل فيها قوته، ويجب التأكيد على تلك النقطة، وهي أن قصة السير (الزحف) لدارا (Darius) عام 513، تم سردها من جديد بواسطة هيرودوت (Herodotus) يصف أحداثًا مماثلة .

فبعد الوصول إلى كالسيدون Vhalcedon أخذ دارا (Darius) سفينة، وأبحر إلى صخور كنعان Canean ، ثم جلس في المعبد الذي يوجد عند المضيق، ثم نظر إلى البحر الأسود، وبعد ذلك تأمل البوسفور Bosporus ، ثم قام بوضع عمودين حجريين من الرخام على شاطيء البوسفور، وحفر - على واحد منهما باللغة الآشورية والسورية Assyrian ، والآخر باللغة اليونانية - اسمه وأسماء كل الذين جاءوا معه، ولقد أحضر معه كل من كان يحكمهم.

أين توجد مثل تلك الأعمدة الحجرية؟ ربما أننا نتجادل ولكن على الأقل في مخيلة هيرودوت (Herodotus) قد كان ذلك من أجل نقل معلومات أرشيفية أكثر من أنها تظهر قوة الملك العظيم، على سبيل المثال، فإن الأعمدة الحجرية -(عادة تنتمي لهيرودوت (Herodotus)) -

التي أقامها دارا (Darius) عند مصادر زهرة الشاي كما لو كان يقوم بعمل مسح لفتحه الجديد، كذلك فبالمثل كان كسركسيس (Xerxes) في أبيسدوس، ودارا (Darius)نفسه يجلس على عرشه وحوله جنوده من كل جانب .

على كل حال، فإننا نصنع خيراً إذا ما استفسرنا: هل الصفة الاستثنائية ليست للاستعراض العسكري لدوريسكس Doriscus وليس دليلاً في المقام الأول وقبل كل شيء بالنسبة للتوزيع غير المتساوي لدليلنا؟ وربما أن ما شاهدناه في أبيدوس Abydos قد تكرر مرة أخرى -إلى حد ما- بانتظام في المقاطعات الملكية، ومقارنة بالاستعراض الذي نظمه قورش (Cyrus) الأصغر في تيرام tyriaeum لملكة إيبياكسا (Epyaxa) وملكة كيليكيا (Cilicia) ؟ .

مستقلاً عربته الحربية مر قورش (Cyrus) بالقوات يستعرض كل المقدمة قبل أن يقوم بإرسال قواته إلى النزال، وقد كان سعيدًا عندما رأى الخوف الذي أحدثه الاغريق في نفوس البرابرة .

ارتحال داتاميس: Datame's

إن هناك دليلاً غير مباشر يمكن الحصول عليه أو استنتاجه من قصة في حياة داتاميس من خلال كورنليس نيبوس (Corelius Nepos) ، إن المرزبان داتاميس قد انتصر على تايوس (Thuys) من السلالة الحاكمة مرزبان بافلاجونيا (Paphagonia) ، إن داتاميس لم يرد أن يقوم أي شخص بتوصيل أية كلمة من نجاحه إلى الملك، ولكن منه هو؛ ولذا فقد تصرف على هذا الأساس وهذا ما جعله يذهب إلى مقر إقامة الملك، ففي اليوم التالي أخذ تايوس - وهو رجل ضخم له جسم محارب بسبب بشرته السمراء وشعره الطويل ولحيته التامة وملابسه الفخمة التي يرتديها- حكام الولايات ومزدانًا أيضًا بالقلادات الذهبية وكل الجواهر الملكية .

أما داتاميس نفسه فقد كان يرتدى فقط وشاحًا فرديًا قصيرًا وسروالاً من قماش خشن، ويرتدى خوذة صيد فوق رأسه، وفي يده اليمنى رمح، وفي اليسرى سوط ملتصق بتاموس، كان يدفعه أمامه كما لو كان يسوق حيوانًا تم صيده .

كل واحد كان يحدق في السجين بسبب عدم معرفته، وبسبب مظهره الغريب، وقد تجمع حشد كبير من الفضوليين بما في ذلك بعضًا ممن تعرفوا على تايوس ونبهوا الملك، رفض الملك في البداية أن يصدق، وأرسل فارماباسوس (Pharmabazus)لكي يستقصي، وبمجرد أن عرف وتأكد الأمر فورًا بدخول طابور العرض، وكان مسرورًا بالقبض على تايوس، وبطريقة تقديمه خاصة أن هذا الملك المهم قد سقط، والذي لم يكن أحد يتوقعه بالنسبة لقوته، وقام بمكافأة داتاميس بالهدايا الرائعة، كما كان هيرودوت (Herodotus) ، فإن هذا المؤلف يصر على الطبيعة الخيالية غير العادية لفتح البلدان والغرابة التامة في الزى الذي كان حقًّا بالنسبة للبافليجونيانى (Paphlygenion) .

وفي الحقيقة فإن هذا السياق من الواضح تمامًا أنه مختلف عن وصف هيرودوت (Herodotus) ، ففي هيرودوت (Herodotus) فنحن هنا في الجزء الرئيس للموضوع، والذي ينبع مباشرة من عادة مألوفة تركز على براءة داتاميس (Datame)وإحساسه بكيفية عمل البلاط الملكي (بالحس السياسي - هذا من أجل تحقيق فارق في الخدمات التي قدمها للملك)، وفي كورنيليس نيوس لم يعد لدينا استعراض للقوات، ولكن وصوله أسيرًا والحبل حول رقبته مثل الملك الأفاق في بشتون على الرغم من أن تلك الاختلافات في السياق لا تمس منطقية الوصف التي تحمل الوزن الرمزي نفسه، وحقيقة فإن هذا الحدث كان مشهدًا ملكيًّا، حيث إن الرعية كانوا يصطفون قبالة الملك والبلاط، ولعدم ارتكاب أية أخطاء فقد كان تايوس مصاحبًا بعدد أفراد دائرته الخاصة .

ويمكننا أن نفترض أن مثل هذا الملك إذا كان قد حدث بالفعل أم لا، فإنه لن تكون له القيمة العملية التي وضعتها عليه معلومات كورنيليس نيبون إلا إذا شهد الملك والبلاط بانتظام استعراض البراعة للرعية الذين يرتدون أزياءهم التقليدية، وإن براعتهم وغرابتهم تظهر رغم تفوق الفرس عليهم الذين يرتدون أروابهم الرائعة المزدانة بالجواهر الثمينة وتماثيلهم الرائعة في الإمبراطورية، والتي يكون استعراض البراعة لداتاميس بالنسبة لها كالصدى المكتوم بالنسبة للاحتفالات الإمبراطورية التي تتم بصفة منتظمة في مقر الإقامة الملكية .

من أرتاكسركسيس الثالث (Artaxerxes III) إلى بطيميوس الثاني: (Ptolmy II)

لاحظ في النهاية أن هذا التفسير للاحتفالات الإمبراطورية يمكن تقديمه على أنه غير ممكن، إن التمجيد الجرئ للقوة الإمبراطورية يتواجد في كتابات أخرى كما هو مفترض على سبيل المثال -الاحتفال في أثينا - (Athenian) حيث إنه كان ينفق عليه من الدخل العائد من دفع الجزية الذي يمكن جبايته كل عام من اتحاد ديليان للدول، ولكن السير أو طابور العرض لفيلامفوس البطلمي (Ptolemy Ptiladephus)ربما يكون من الأشياء التي يمكن مقارنتها، وقد كان واضحًا أنه احتفال للبلاط الملكي، حيث يستعرض الملك ثروته وقوته .

لقد انتهى الطابور باستعراض للجيش احتوى على 57600 من المشاة و23300 من الفرسان، وكلهم بكامل سلاحهم، لقد كان استعراضًا مهيبًا للجيش البطلمى، فالعلاقة بين قوة الإمبراطورية وجباية الجزية كانت بكل وضوح موجودة ومثبتة في كل استعراض، ولقد كان شخصًا يمثل منطقة جغرافية ما، وهذا كان صحيحًا بالنسبة للنساء، فقد كان البعض يرتدى زيًّا مثل الأسرى الهنود، والبعض مثل من هم من المدن الإغريقية في آسيا وبالمثل كان هناك من هم مثل دافعى الجزية

من الأثيوبيين، فلقد كانوا يمثلون المقاطعات التي يمتد النفوذ البطلمى إليها، إما في الحقيقة أو في الخيال (الهند وإيثوبيا) .

إن الدعاية التي تحدث خلال الاحتفالات لها مردود سياسى كذلك من حيث إنها تؤكد الارتباط بين بطلميوس (Ptolmy) الثاني والإسكندر (Alexander) ، خاصة في تطوير الرموز بالنسبة لامتداد واتساع الفترة البطلمية فيما وراء حدود مصر، إن العربات التي تحمل الخيام البربرية بما فيها النساء الهنديات وغيرهن ممن وقعن في الأسر وجملة الجزية من الأثيوبيين تدل على أن الملك البطلمي قد أصبح ملكًا عالميًّا، ولمن الواضح تمامًا أن الهند أو أثيوبيا لم يكونا تحت سيطرته، ولكنها أصبحتا تحت سيطرة بطلميوس الثاني في عصر المملكة المصرية الحديثة، حيث إن ممثلي البلدان الأجنبية كانوا قد فقدوا اعتبارهم على أنهم دافعى الجزية للملك المصري .

6- الطاولة الملكية والجنة الملكية إعلاء المركز وتحديد المدى:

مهما كانت التفسيرات التي وصلنا إليها فإن الرسالة التي أعطتها النقوش الدالة على دفع الجزية في برسيبوليس هي من الوضوح وكأنها صورة قد تم الحصول عليها من النصوص القديمة، حيث إنه من حيث المفهوم الإمبراطورى فإن الشعوب الخاضعة للإمبراطورية قد ساهمت في هذا الثراء الفاحش للملك وحاشيته، وهذا في الحقيقة هو المفهوم الذي قدمه كل الكتاب والمؤلفون القدامى يشدهم ذلك المغناطيس العملاق الذي يقوم بتوجيه الأشخاص والمنتجات في البلاد المفتوحة إلى المركز، ومن بين كل مظاهر أو رموز القوة لفرض الجزية، فإن الإغريق كانوا على وجه الدقة مبهورين بالثراء الفاحش في طاولة الملك .

فى الصورة الجدلية للملك العظيم والمرسومة في أجسيالاس Agesilusكتب زينوفون Xenophon :(إن الملك الفارسي لديه تجار

للخمور يجوبون البلاد، وكل الأراضي لكي يجدوا شرابًا يدغدغ ويداعب فم الملك، جيشين من الطهاة يخترعون أطباقًا لإسعاده، لقد رجع العديد من كتاب الاغريق إلى هذه المقولة التي تقول غالبًا إن الملك العظيم كان يكافئ بانتظام كل من يحضر أنواعًا جديدة من الطعام إلى مائدته بالهدايا والمكافآت المالية. (انظر أثيناسبوس)

إن مائدة الملك في سخائها وتنوعها كانت في الحقيقة تعتبر رمزاً للسياسة وتنوع المواد التي يحتاج إليها الملك العظيم، ولقد رسخ في أذهان المؤلفين الإغريق أن المائدة كانت تمون من خلال الضرائب التي تفرض على الشعوب الخاضعة (الرعية) وهذه بلا شك أو بالتأكيد هي الوظيفة التي كلف بها قورش (Cyrus) حكام الولايات (المرزبانات) حيث قال: (ارسلوا إلى هنا كل ما هو جيد ومطلوب، وذلك من مقاطاعتهم المختلفة، وذلك من أجل الذي يبقى هنا ربما يكون له نصيب في الأشياء الجيدة الموجودة في كل مكان .

إن هذا أيضًا هو إحساس التمجيد المسجل لدينون Dinon عبر أثينايوس Athenaeus، فلقد اعتادوا أن يجلسوا إلى طاولة الملك، وحيث إن كل ما لذ وطاب من منتجات البلدان يحكمها الملك الموجود على الطاولة، والاختيار الأول يكون من الفاكهة الخاصة بكل من تلك البلاد، أما بالنسبة لكسركسيس (Xerxes) ، فقد كان لا يعتقد أن الأمراء يجب ألا يستخدموا أية أغذية دخيلة أو أية مشروبات من بلاد أخرى؛ ولهذا فقد كانت هناك عادة تحريم لهذا الاستخدام فيما بعد .

وذات مرة -كمثال- فإن أحد الأغوات قام بإحضار بعض الحلوى من التين من أتيكا (Attica) فسأله كسركسيس (Xerxes) من أين أتت تلك الفاكهة، فلما علم أنها أتت من أثينا (Athens) منع الموردين من شرائها حتى يحين الوقت عندما يحتلها، ويستطيع الحصول على التين دون أن يشتريه، ولقد قيل إن هذا الأغا قد فعل ذلك من أجل تذكير الملك

بالقيام بحملة عسكرية ضد أثينا، والمغزى من هذه القصة القصيرة واضح وهو أن الملك لم يكن يشترى أي شيء من الخارج، وكان يعتبر أن البلد التي لا تستلم وبالتالي لا تقدم الجزية التي عليها للطاولة الملكية تعتبر أجنبية، هذه الضرائب واجبة الدفع من وجهة نظر الكتاب الإغريق، وفي عمله على الضرائب المفروض عدد كاتسياس (Ctesias) كل المنتجات التي أرسلت إلى الملك المعظم من أجل وجباته، ولقد سجل على سبيل المثال زيت Acanthus من كارمينا والذي استخدمه الملك المعظم وأورد أميانتش (Amynts) أنه في بعض المقاطعات في فارس، فإن الجبال تنتج الجوز الفارسي الذي يتم إعداد زيتة الكثير من أجل الملك (Ibid) ، ولقد كان من المحتمل أن يكون هو الشيء نفسه بالنسبة لنبات Vineyards من خلال الفرس في سوريا بالقرب من دمشق (Damadcus) ، والذي يعطى إنتاجًا يقصر استخدامه على الاستهلاك الملكي فقط، وكذلك حقول القمح في آسوس (Assos)في آيوليس(Aeolis) .

لاحظ كذلك أنه من بين الأنواع المتنوعة من التمر فقد اختار ثيوفراستس (Theophrastus) نوعًا يطلق عليه اسم الملكي، والذي كان نادرًا بطبيعته، وقد كان موجودًا فقط في حديقة باجوس (Bagoas) بالقرب من بابل، إن هذه المعلومات قد أعيدت من خلال بلينى حيث قال: (من بين كل التمور فإن أشهرها على الاطلاق الذي يأتي من بابل، وعلى وجه الدقة من حديقة باجوس، وكان يتمتع بالجودة العالية جدًّا وهو ملكي لأنهم كانوا يأخذونه إلى ملك الفرس).

سرد آخر للمرور المركزي للمنتجات في الإمبرطورية يتم إعطاؤه بواسطة الملك: (إن تلك الجنان كانت عبارة عن مناطق للاستجمام ومحميات للصيد، وكذلك حيث كان الملك وحكام ولاياته يدخلون إليها الأنواع الجديدة من النباتات والحيوانات، وهي صفة كانت مثبتة بطريقة جيدة في الحقبة الآشورية الجديدة (Neo-Assyrian) ، والعديد من

الملوك أضافوا العديد من الأراضي الجديدة، وكذلك أحضروا المياه إليها وزرعوا فيها أنواعًا مختلفة من الأشجار حتى يستطيعوا أن يستجموا في تلك الحدائق الغانية والمروج الخلابة المليئة بكل أنواع النباتات العطرية، حيث يفوح العبير الجميل من حولهم عندما يتجولون .

إن الدليل على الحقبة الأخمينية أقل انتشارًا، ولكنه يخبرنا كذلك بالشيء نفسه من أن الجنان تتميز بانتظام بأن بها كل أنواع الأشجار التي تحمل كل أنواع الفاكهة على سطح الأرض، وهذه الأشجار تتم زراعتها في حفر صناعية -كما أورد كونيتس كيرتس - (VII) لهذا فهي حدائق تستلزم عناية خاصة، ذكر هذه الحدائق أيضًا موجود في ألواح برسيوس، ويقارن أليان (Aelian) بين جنات ملوك الهند بجنات فارس في صوصا وإكباتانا، ودائمًا يذكر أن الأولى لا تزال أكثر جمالاً من الأخيرة، وهو يجعلنا نفكر في أنها تتميز بالثروة نفسها من الحيوانات والأشجار، التي تم إحضارها بعناية الملوك ورعايتهم وإشرافهم.

فيما عدا ذلك فهو يتكلم بتعجب عن جنات صوصا، حيث استخدمت آلة دافعة خاصة ذات تروس منحنية لجلب الماء للحقول، كذلك ففي مصر وسوريا تمّ جمع نباتات وحيوانات متنوعة من كل البلدان الخاضعة للملك، مثل الجمال التي أطلق عليها وحيدة السنام، وكذلك الفيلة الاثنا عشر غير عادية الحجم، ورشيقة الحركة التي استوردها دارا (Darius) الثالث من الهند، والتي أهداها حاكم ولاية صوصا إلى الإسكندر. (Alexander)

لقد سجل أرستوسل (Aristotle) البغال المستأنسة لفرانسيس (Phranaces) وأرجعها إلى هيليبونتن فريجيا Hellespontine Phrygia (مما لا شك في الجنة بالقرب من داسيليوم)، وقد كان من الطبيعي وهو في موقعه كمسؤول ومشرف على الجنة أن يتلقى جاداتس (Gadatas) التهنئة من دارا (Darius) ، حيث إنه قد استزرع أشجارًا جاءت من سوريا بالقرب

من ماغنسيا (Magnesia) على الساحل المتعرج، ومن السهل أن نفهم أن النموذج الأخميني تم نقله بواسطة أمراء محليين قلائل يتطلعون إلى التعرف على الملك العظيم، من أمثلتهم بوليقراطيس (Poly crates) من ساموس Samos وكوتيس Cotys من تراس Thrace ، ولقد وصف ثيوبمبوس (theopompus) واحدة من مقاطعات السلالة الحاكمة، ولهذا فإن أونوكارسيس (Onocasis) هي إحدى الولايات في تراس (Thrace)، والتي تحتوي على نباتات جميلة مزروعة في الحفر، وتعتبر من أفضل المنتجعات على الاطلاق لكوتيس (Cotys) ، والذي هو أكثر من أي ملك آخر نشأ في تراس، وهو أكثر الملوك استمتاعًا بالحياة الفاخرة، وعندما ذهب إلى البلدة كان كلما اكتشف مكانًا فيه ظل ذو أشجار يسقى من خلال الأنهار يقوم بتحويلها إلى مناطق استراحات، ويقوم بزيارتها على الترتيب كلما سنحت له الفرصة لذلك، إن الحيز المنظم لكويتس من الجنات ترمز_للحكمة والقوة الإمبراطورية .

إن النموذج الأخميني غير قابل للشك، حيث إن الملك العظيم نفسه انتقل من جنة إلى أخرى، حيث تكون المحطات ومناطق الإقامة الملكية، وفي كل توقف للملك فإن نموذج الطاولة الملكية كان يعاد من جديد، وهناك قليل من الشك في أن هاربالوس (Harpalus) كانت له صلة بالتزييف، ولكن ذلك كان تبعًا لأوامر الإسكندر (Alexander) ، وهذا أيضًا ما اقترحه بليني (Pliny) ، فللقد أحضر الإسكندر (Alexander) الآلاف من الناس من آسيا ومن اليونان من أجل أن يعرفوه بكل شيء على سطح الأرض في البر أو في البحر، حتى لا يكون هناك أي شيء على سطح الأرض غير معروف بالنسبة له، والإسكندر (Alexander) كان حريصًا في تحويل الجنان لصالحه في الإمبراطورية وأن الجنات في الحقيقة تمثل عالمًا صغيرًا للتنوع البيئى والنباتى والحيوانى والحفري لحدود الإمبراطورية .

إننا نستطيع أن نقارن بسهولة بين هذه الجنات والتفسير الحديث للحدائق الموجودة في فيرازليس (Versailles) أيام لويس (Louis) ، إن المكان حيث كان الأمير يعيش يتسع حتى يبدو كأنه العالم كله؛ لهذا تبدو الحديقة والقصر تمثيلاً صغيراً للعالم كله، إن هناك مكانًا مثاليًّا يحتوي على أجمل وأندر الأشياء الموجودة التي ينتجها العالم الخارجى، وقد تم نقلها إلى هذا المكان .

فلقد أصبحت فيرساليس (Versaille's) النافذة التي تطل منها على العالم نباتات غير عادية، أزهار ألمانية، حيوانات برية، طيور نادرة، وأشياء جلبت من أركان العالم الأربعة، كلها موجودة هنا، كلها تظهر معًا، والحديقة تضم كل شيء وكأنها جمعت العالم كله والبلدان التي فتحها الملك العظيم؛ لهذا فإن الطاولة والجنة يشتركان في إعلاء وتمجيد الفخامة والأبهة الملكية .

ولقد سجل من قام بإعادة صياغة كتاب إيستر أنه بعد رفض الملك فاشتى (Vashti) ، فإن الملك أهاسوروس (Ahasuous) قام بعمل إعلان على مستوى المملكة ككل يدعو فيه لاختيار أجمل الفتيات للملك، ويدعو فيه المندوبين إلى البحث خلال كل المقاطعات في إمبراطوريته عن أجمل الشابات العذارى ودعوتهم إلى القلعة في صوصا لينضموا إلى الحريم.

إن أجمل نساء الإمبراطورية كن مطالبات بأن يدفئن ليالي الملك العظيم، تمامًا كالمنتجات التي يتم تقديمها من البلدان المختلفة، ويتم إحضارها من أجل إكمال الرفاهية والأبهة للطاولة الملكية.

الفصل السادس

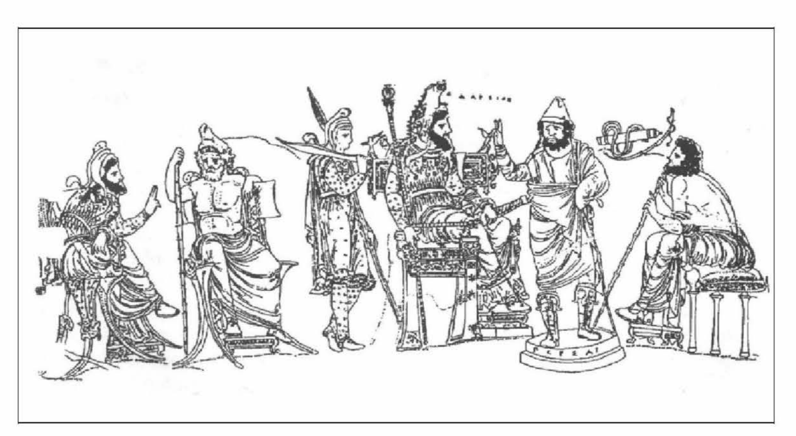
صور تمثيلية على الأيديولوجية الملكية

1- المصادر والمشكلات:

تنوع الأدلة: التكميلي والمجدد:

تتنوع وتتعدد مصادر المؤرخ المتاحة من أجل تحليل مكونات وتفاعلات الأيديولوجية الملكية التي رسخت وحددت من قبل دارا (Darius) الذي حافظ على جهرها أتباعه، فغالبًا يصف الملك العظيم نفسه في عدد من كتاباته بالتفصيل ما يمثل التبريرات الأيديولوجية التي تلتزم بها سلطته في رأيه، وليس بالنظر إلى سيطرته على شعب خاضع من الرعية، وغالبًا ما كان الملوك العظام يتم تمثيلهم في شكل رسومات بارزة في مدينة بيرسبوليس وأماكن أخرى وفي تمثال تذكاري في صوصا وفي كلتا الحالتين يوجد مع هذه الأعمال النحتية كتابات معبرة، وكذلك صور الملوك توجد في أشكال مختلفة في وسائل إعلامية أخرى وخاصة العملات المعدنية والأختام، وعند وضع هذه العناصر معًا في صورة مجمعة يتكون لدينا ما يسمى بالفن الملكي الرسمي، ومع هذه المصادر الاستعمارية يجب الأخذ في الاعتبار العناصر الممثلة للمصادر الكلاسيكية التي تمتاز بتصوير الأنشطة الملكية في إطار عملية تاريخ الأحداث ومنذ الوهلة الأولى، قد نصدم بتعارض مصادر المعلومات المختلفة، ولكن

عند استجلاء النظرة الكلية لمختلف المصادر نستطيع تقديم صورة كامل لأيديولوجية (النظرة الفلسفية) الأخمينية، وهي نظرة تحليلية وديناميكية، وبالرغم من ذلك من المستحسن أن نضع نصب أعيننا عديدًا من أوجه القصور المنهجية، وفي المقام الأول، أحيانًا يكون من المخاطرة أن نقيم ارتباطًا مباشرًا بين التصوير والكتابة على الأيقونات .



الشكل 13

والنصوص الكلاسيكية والنصوص التاريخية والتي تعلق على الأحداث بالصور البارزة للحكام، وحتى الفن الملكي فإذن، لا بد لنا من التمييز بين مصادر هذه المعلومات: (1) كوظيفة لتوصيل رسالة أراد الملك العظيم إيصالها. (2) كوظيفة للشعب المتلقي لها. (3) كوظيفة للوسيلة الإعلامية للنقود واللوحات البارزة والأختام.

وتسمح لنا أوجه التمييز هذه بأن نُعيد تقديم هذا التنوع في دراسة موضوعية، وهناك آثار أيقونية مثل القصور والصور المنحوتة البارزة والعملات وبعض الأختام، وهذه يمكن تبويبها على شكل بيانات (مع أن ذلك قد يكون موضع خلاف)، والمؤلفون الكلاسيكيون لا يضعون ثقة

كبيرة بهذه البيانات والمعلومات، بل يتحدثون عن الملك عند مناقشة الأعراف في البلاد الملكية، وتأتي المصادر الكلاسيكية من القرن الرابع والحقبة الهلينية (مؤرخي الإسكندر)(Alexander) .

وتهدف هذه الدراسات إلى تحليل النفاذية المحتملة للنظم الأيديولوجية، وعندما نضع أولوية للمصادر التي يعود تاريخها إلى الحقبة الأخمينية يمكن أن نتعرف على ما يرجع تاريخه إلى عهد دارا (Darius) والدعاية للأيديولوجية الملكية ومن الجدير بالذكر أن نعود إلى التعديلات التي أدخلها أتباع دارا (Darius) (على سبيل المثال تقديم تعديل في الدين الرسمي لميثارا وأناهيتا أثناء عصر أرتاكسركسيس (Artaxerxes) الثاني) في نهاية هذا الفصل .

الآثار الفارسية المفقودة أو الترميم الإغريقي من أجل السياح:

توجد عقبة إضافية للاستخدام غير النقدي للمصادر الكلاسيكية، ففي بعض الأحيان، تقدم هذه المصادر معلومات عن الأنشطة الملكية التي لا تتمثل في النحت البارز، وذلك لأن عديدًا من الآثار وعناصر الزينة في القصور قد اختفت، سواء كانت طوبًا مزخرفًا (يعرف جيدًا في صوصا)، أو أعمال زينة في تشكيل المعادن وزخرفتها معلقة على البوابات الأثرية أو تنميق الذهب والجواهر، وكذلك الألوان التي توجد في أماكن المعيشة، وعلى سبيل المثال، فقد اكتشف حديثًا أول دليل مادي على الصور المرسومة على الحوائط والرخام في أحد قصور أرتاكسركسيس (Artaxerxes) الثاني في صوصا، وعلى جدران الصالات العملاقة في أرمينيا، وهذا يقودنا إلى السؤال: هل يجب أو لا يجب أن نفترض أن المؤلفين الكلاسيكيين يقدمون معلومات صحيحة عن الآثار المفقودة منذ العصور القديمة؟ أو هل من الواجب علينا ترميم آثار الأخمينيين المفقودة بالطريقة نفسها التي كانت عليها باستخدام إعادة خلق مبتكرة بالكمبيوتر باستخدام الوسائل البصرية الحديثة Visual Graphics مثلاً

لحركة ماراثون بناءً على الوصف المقدم بواسطة بوزايناس؟ وفي بعض الحالات، فالوصف الإغريقي لا يمثل مشكلة كبيرة، وليس من الصعب مثلاً أن نقبل بوجود بوابات البرونز في بوابات الملوك كما ذكر ديودورس (Diodorus) (XVII 71.6) ومؤلفو كتاب العالم (398) الذين يذكرون وجود بقايا أثرية وجداول تابعة للخزانة تخص صرف مواد الغذاء والإعاشة للأسرة العسيرية Assyrian في مدينة برسبوليس والشيء نفسه يقال عند استراحة الكرمة الذهبية الموجودة في صوصا في دار المال تلك التي أنشأها أحد أتباع الإسكندر (Alexander) ، وعلى أية حال، وبالرغم من عناصر الزينة المفقودة، فإن المشكلة المحددة التي نواجهها مع الصور المرسومة على الخيش هي إلقاء الضوء عليها، حيث أكد كثير من المؤلفين الإغريق على روعتها، ولا يوجد أدنى شك أنه في معظم الحالات يتمثل تكوين التصميمات المنسوجة في أغراض رسم الحيوان التي شاعت في الحقبة الأخمينية في النقوش والأعمال الذهبية (أرسطوفانيس 937 - أثيناوس 538)، وعلى سبيل المثال، يوجد توضيح في سرج الخيل جدير بالملاحظة من بازيديك في قاعة الآثار في سيبيريا، وهو يعرف باستلهامه من الفن الأخميني .

ومن ناحية أخرى، تلقى بعض البيانات للكتاب الكلاسيكيين بظلال الشك حول التحليل النقدي، تبعًا لبلوتارخ (Plutarch Them 29.4) عندما جذب ثيميستوكليز Themistoles الانتباه الرسمي عندما استطاع استرعاء نظر الملك أرتاكسركسيس (Artaxerxes) الأول والاستحواذ على انتباهه، وهذا يُعد تكريمًا له .

وقد أجاب ثيميستوكليس Themisticles أن حوار الرجل يشبه سجادة فارسية قيمة وأشكالها ورسومها الزاهية يمكن فقط أن تظهر عندما تكون مفرودة أو منشورة، أما عندما تطوى فهي تصبح غامضة وتضيع رسومها.

ومـن المقنـع أنـه كـان يشـير ضـمنيًا -ولكـن بوضـوح- إلى المعلقـات

المزينة من السجاد والممثلات الرمزية في القصر الملكي، مما يذكرنا بصفة خاصة بصالات الاستقبال، وهنا يُثار السؤال إذا كانت هذه السجاجيد مزينة برسومات ورموز تمثل الأحداث؛ ولهذا تذكرنا بقصة تشارلز من مدينة ميتلين (III515)، فقد كان تشارلز رئيس الحرس الملكي للإسكندر الأكبر (Alexander) سجل أقصوصة شعبية عن قصة حب بين الأميرة أودتيس Odatis والأمير زاريادريس Zariadres، وفيها يقول تشارلز: إن، قصة الحب هذه تظل في الذاكرة بين البرابرة الذين يعيشون في آسيا، وهي شعبية تمامًا، حتى إنهم يصورون القصة في المعابد والقصور وحتى في مساكنهم الخاصة، حتى إن معظم الأميرات يهبن اسم الأميرة لبناتهن، ورغم أن القصة شيقة، وتظل دليلاً على طرق انتشار الأخبار والحفاظ على الفن الشعبي الإيراني والحكاية لا تتحمل احتمال وجود المشاهد التاريخية فقط ومن ناحية أخرى، وحسب مؤلف تالٍ له، وهو فيلوستراتوس Philostratus فإن حوائط قصور مدينة بارث في بابل كانت مُزينة بالسجاد المطرز، وعلى منوال الموضوعات الأسطورية المتكررة نفسه وجدت أيضًا المشاهد التاريخية .

وقد أظهرت أيضًا معلقات الحوائط السجاد داتيس Datis يلتقط ناكسوس من البحر وأرتافرنيس Artaphernes يحاصر إريتريا Eretria وهي من أعمال كسركسيس (Xerxes) التي بها يطلب النصر، ومن الواضح أن أعمال كل من أثينا وثيرموبالي Thermopylae كانت معروضة، وكذلك كل المشاهد العزيزة إلى ميديس Medes، وقد شملت الأنهار المسحوب منها الماء والجسر عبر البحر وطريقة شق القناة بجانب أتوس Athus ماذا يستحق مثل هذا الدليل؟ ومع التغاضي عما نقدمه) فيحق لنا أن نتساءل إذا كان المؤلف قد رأى هذا المشهد بالفعل أم هو إبداع فني تخيلي؟ ومما يزيد الشك لدى الملاحظ هو تكرار هذا الموضوع الفني، حيث إنه ألف نصًا في كتاب (قصة حب الإسكندر (III28 10) (Alexander) لأن كل

من عرض هذه الأوصاف المفترضة يكرر قطعًا مقتبسة من هيرودوت (Herodotus)بالضبط وخاصة المقتطفات المتعددة التي خصصتها لوصف الأزهار المفرغة من الماء، حسب ادعائه بواسطة جيوش كسركسيس (VII21) (Xerxes) بفقرات من ديودورس (Diodorus) والمصادر القديمة المتنوعة، وبعكس كل الأدلة في الموقع، فقد أقسموا أنهم رأوا بالضبط ما أعدته عاطفتهم المحبة للمؤلفين الكلاسيكيين لرؤيته .

وحقيقة أن المسافر كان شاهد عيان لا تثبت بنفسها مصداقية ما يدعيه: انظر إلى الأوصاف المناقضة لمقبرة دارا (Darius) وقورش (Cyrus) التي فوقها رفقاء الإسكندر (Alexander) الأكبر والتي قدمت بواسطة سترابو (XV 3.7) (Strabo) وآريان (Anb Vi.2 ، وفي إحدى القطع الوصفية هذه (أرسطوبولوس) يصف المبنى باعتباره برجًا صغيرًا تحيط به أشجار كثيفة النمو، وآخر (أوزيسيكرتاس) يذكر أن البرج نفسه كانت به عشرة أبراج، وقال آخر (أريسطوس): إن البرج كان كبيرًا وذا طاقتين، وكل أوصاف الآثار تشيع بها تلك الترهات والتخيلات، أو إعادة التركيب الدوائي مثل وجه بيهستون) Behistum وهي بالفعل لا يمكن الوصول إليها)، وحسب وصف ديودورس(Diodorus) (II.12.2) ، وفي الجزء المنخفض من المبنى، أزالت سميراميس (Smiramese) جزءًا من الأرض، ونحتت ما يشبه صورتها، وبجانبها مائة رامي رمح (وأيضًا الوصف نفسه لإيزادورا من شاراكس Charax) ، وبعد ذلك وضع تفسير بواسطة الجغرافيين العرب والمسافرين من أوروبا وكل منهم يفوق الآخر خيالاً .

ولا شك بالطبع أن الحروب الفارسية كانت مصدرًا لإلهام بعض الفنانين، ونعرف كيف أنه في أثينا رسم الفنانون موضوعاتهم منها، ولكن هذا كان يهدف إلى تمجيد زكرى الانتصارات الإغريقية، مثلاً، يسجل هيرودوت (Herodotus) قصة المعماري مندروكليس من مدينة

ساموز Samos الذي كان يدفع له دارا (Darius) بسخاء لتصميم جسر للقوارب عبر البوسفور .

فقد أنفق مندروكليس ببذخ ما حصل عليه من المال في رسم صورة تظهر العملية الكلية لبناء الجسر، ودارا (Darius) نفسه جالس على العرش، وجيشه يعبر الجسر، وهذه الصورة التي قدمها كإهداء لعبادة هيرا مع الأبيات التالية منقوشة عليها لتخليد إنجازه:

(يا معبودتي، تقبلي هذه الهدية من ماندروكليس

الذي بنى الجسر فوق البوسفور المليء بالأسماك

وقد نال عمله ثناء دارا(Darius)

وكان تشريفك تاجًا فوق رأسه)

ومن الواضح أن الصورة لم يأمر بتصويرها دارا (Darius) نفسه، ولم يقصد بها تزيين القصر الملكي، وبهذا الفعل كان ماندروكليس يعرض قدرًا كبيرًا من التملق والتودد، وأسهم في تخليد ذكرى الأعمال البطوكية لدارا (Darius) القريبة من بلاد الإغريق، ولكن كان الهدف الأول له هو ترك عمل تذكاري خاص به ذي قيمة في مدينته التي دفعت له جيدًا حتى إنها كافأته بالتاج .

وفي قطعة مطولة اهتم ديودورس (Diodorus) كثيرًا من صقلية بالملكة الأسطورية سميراميس (Smiramese) متبعًا ستيسياس Ctesias ، وهذا وصفه لأحد قصور الملكة: (على كل من برجي القصر، كانت توجد كل أنواع الحيوانات منفذة بطريقة عبقرية باستخدام الألوان والتقليد الواقعي لأنواع مختلفة، وكل هذه المجموعة صُنعت على شكل منظر صيد كامل بالتفصيل، وكل أنواع الحيوان البرية كانت موجودة وكان حجمهم يقدر بأربعة أشبال (2 متر)، ووسط الحيوانات صُورت سميراميس (Smiramese) ممتطية ظهر حصان في أثناء تصويب رمح رفع

تجاه فهد (وفي قصر آخر) صورت أيضًا مشهدي معركة وصيد من كافة الأنواع، وتلك المشاهد ملأت كافة من شاهدها بالمتع المختلفة التي تشبع العاطفة لديودورس(Diodorus) (11.86.7) .

ومن المعلوم أن تعويد الملك العظيم غالبًا ما يكون في الخلفية لهذه الأوصاف لسميراميس (Smiramese) ، ولكن لا يوجد أي تأكيد على ذلك في كل من صوصا أو بابل أو بيرسبوليس، ومن المحتمل أن سيتسياس Ctesias أو أحد أتباعه كان يتحدث عن مشاهد جيدة زينت قصور ما قبل المرحلة الأخمينية، وعلى أية حال، يجب التأكيد على أنه في القصور الآسيوية، كانت توضع مشاهد الحرب والصيد وكانت توضع أحيانًا خارج المنازل، وليس هناك أدنى شك في أن ستيسياس حمل نفسه مسؤولية تزيين قصور سميراميس (Smiramese) الملكة المعظمة بمشاهد يمكن أن يراها أي شخص على الأختام وخاصة الأختام الملكية الرسمية، وأخيرًا، وفي تفريد موازٍ، يصف أميانوس Ammianos مشهدًا لحملة الإمبراطور جوليان ضد الفرس الساسانيين كما يلي: (توقف بنا المسير في بقعة غنية بالنباتات المثمرة والأحراش والحشائش الكثيفة، وفي الوسط كان هناك عرين منعزل مظلل وممتع، وفي كل جزء منه رأينا لوحات بدائية تظهر الملك في أثناء قتله للحيوانات المتوحشة في جماعة صيد كبيرة، وفي الحقيقة فإن هؤلاء الناس لا يقومون بالرسم إلا لمشاهد المذابح والحروب المختلفة وهذا النص السابق جديد نوعًا .

وتبين دراسة المشغولات الذهبية الساسانية التي أصبحت مشاهد تعيد جزءًا من أسلوب الحياة الملكية، والأكثر تشويقًا هو وصف الريف السابق الذي قدمه أميانوس مارسيلينوس، فإننا بوضوح في جنة وحديقة غناء يتوقف فيها الملك للمرح، وهناك تنظم رياضة العدو في منتجعات رياضية مليئًا بالحيوانات البحرية، وما يصفه الكاتب ليس قصرًا في عاصمة، ولكن حديقة تعتبر استراحة ملكية، وهل كانت فترات الإقامة

هذه مُزينة بمشاهد العيد تكريمًا للملك؟ ربما، ولكن ليس لدينا دليل أثري لتأكيد هذه الفرضية، وتأتي المعلومة الوحيدة في هذا الموضوع من القاعات الصغيرة في آسيا الصغرى وخاصة ليسيا Lycia ، حيث كانت مستوحاة جزئيًّا من الفن الفارسي، حيث يحب الملوك وذووهم رؤية أنفسهم في حالة صيد، وهذا لا يعني أنهم قاموا بالتقليد في كل التفاصيل، بل ربما قلدوا وعددوا الصور التي على الأختام.

وهذه الملاحظات ليس المقصود منها الاستغناء كلية عن المعلومات التي أوردها المؤلفون الكلاسيكيون، فلا يوجد أدنى شك مثلاً في أن افراد البلاط الملكي في القرن الرابع والخامس قد اعتادوا على فخامة مقرات الإقامة الملكية، كما أدى التفاعل والتبادل السلعي المتكرر بين المدن الإغريقية والبلاط الملكي الأخميني عن طريق غنائم الحرب إلى جعل الإغريق مدركون لرموز الترف الفارسي (مثل الملابس والأواني والخيام وغيرها) تلك التي تبناها الإغريق من الطبقة العليا في حياتهم، وفي هذا النطاق تميل الكتابة في النصوص الرمزية الإغريقية إلى المبالغة في تصوير الحقبة الأخمينية، ولكنهم حريصون على فصل مصدر الإلهام عن طرف الاكتساب ومن ناحية أخرى، ليس لدينا أية معلومات كافية عن صور القصور الملكية التي قد توجد -خاصة في اليونان- والاستثناء الوحيد في هذا هي مرجعية أرسطو (Mirab 39) وأتينيوس (X II) اللذين ذكرا شيئًا عن العباءة الفاخرة التي كان يقال إن دارا (Darius) الأكبر قد اشتراها من تاجر غني، (وعلى حافة الرداء، تم تمثيل صوصا وبيرسبوليس في شكل منمق بلا شك تقليدًا لطريقة ارتدائه (موضة) الملابس الفاخرة، كما وجدت على التماثيل (وخاصة اسبيريان وليسيان)، وهذا يؤكد التساؤل عن مدى تأثر الإغريق في الفترة الكلاسيكية بالقصور الملكية الفارسية والبلاط الملكي لدرجة أن أهل أثينا في عصر بيريكليس قد تبنوا الأسلوب الفارسي في الأكروبول من أجل تأكيد سيطرتهم الاستعمارية الخاصة،

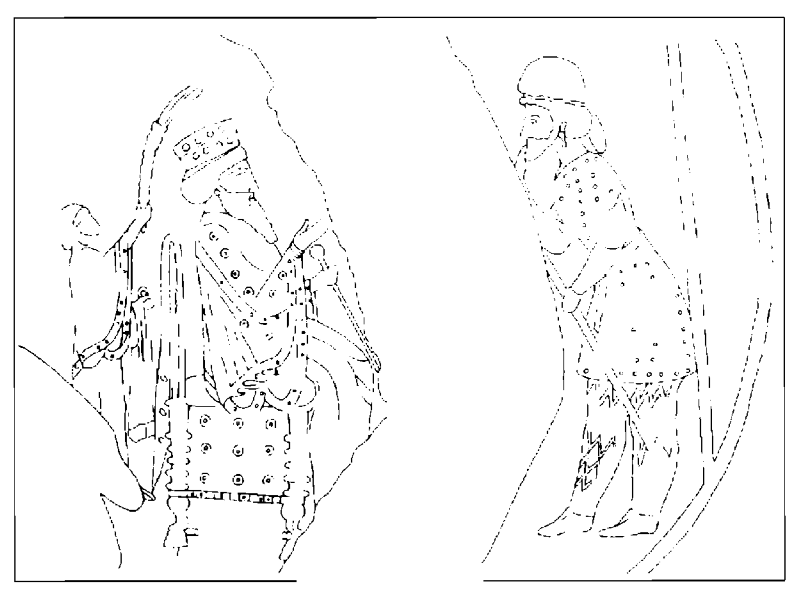
ومع هذا فإنه لم يحدث قبل وجود مؤرخي البلاط في عهد الإسكندر (Alexander) أن وجدت كتابات وصفية عن بيرسبوليس (ديودورس(Diodorus) (XVII 70) .

المركز والأطراف:

من المهم في دراسة الاعمال الفنية التمييز بين ما هو مستلهم من المركز وما هو مستلهم من الأطراف والنوع الأول يقدم فكرة عن الملوك وافراد البلاط الملكي ومستشاريهم، والنوع الثاني متوفر بصورة أكثر توثيقاَ لارتباطه بالملوك ولكن عند تفسيرها يجب على المؤرخين حل رموزها كما يجب عليهم عزل ما هو إقليمي او دعائي له خواص مميزة ذاتية بالرغم من كونه مستوحى من المركز (مثل المسمى بالأختام الفارسية والإغريقية في الشعارات الملكية من آسيا الصغرى أو الرسومات المنحوتة البارزة وكذلك الاعمال الفنية المختلفة)، وكل هذه المستندات تفرض أهمية لأي شخص يحاول فهم انتشار أغراض الملكية الفكرية في كافة أنماط الإمبراطورية وبطريقة أو بأخرى، فإن كل ما تهدف إلى إبلاغه به هو عن الحياة في القصور والبلاط الملكي والأقاليم الفارسية وعملية التثقيف الحياتي وسوف تتم دراستها بشكل مستقل (شكل13) .

وسوف نقوم بدراسة الصور التي تُعد نُسخًا حقيقية لتلك التي وجدت في مدينة بيرسبوليس، انظر إلى مشاهد الجمهور على إحدى القطع الأثرية من داسيليوم Daseylum (شكل 15)، والمنظر الموجود على درع أحد المحاربين للصورة الجانبية للإسكندر (Alexander) (شكل 14)، وقد افترض أن الفنان (بلا تأكيد قطعي) موازٍ لقاعات مدينة بيرسبوليس، ومن ناحية أخرى سيكون من الأفضل تجنب الإشارة إلى أن كل عمل تصويري يوجد في القلاع الفنية في الأقاليم هي نسخة طبق الأصل من أيقونة مفقودة حاليًّا من المركز .

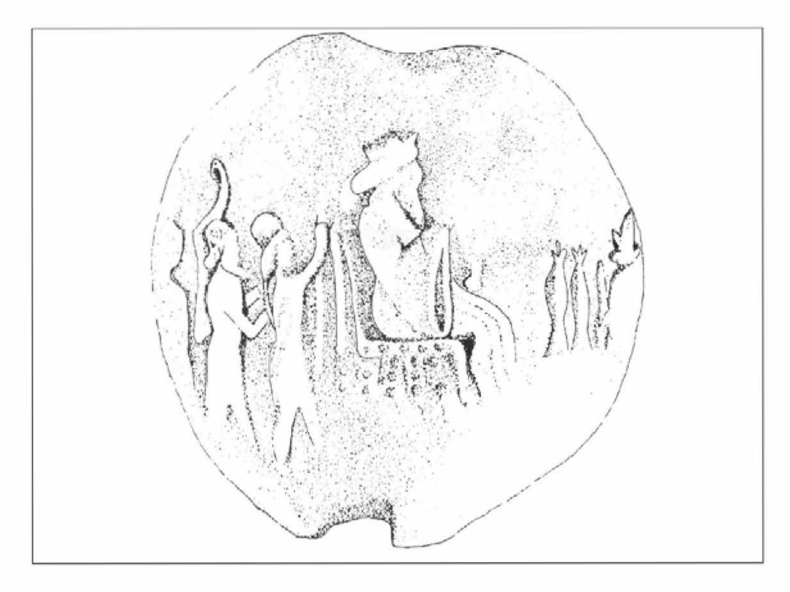
من المدهش حقًّا عدم وجود مشاهد الحرب والصيد في مدينة



الشكل 14

صوصا أو بيرسبوليس خاصة مع الأخذ في الاعتبار النصوص الكلاسيكية ومكانها وطبعات الأختام التي تصور الأنشطة الملكية وعندما نتذكر الميل القوى لملوك أسبيريا Assgria لمثل هذا النوع من التمثيل مع مقاومة الإغراء الذي يتمثل في محاولة تحقيق إنجاز وذلك بملئ الفراغات التاريخية الأخمينية باستخدام النصوص الكلاسيكية؛ لأنها هي فقط المقدمة لنا للرموز الإغريقية/ الفارسية، وفي التحليل النهائي تتعاون كل هذه التحليلات وتفسيرات النصوص في مقابل الدليل، وبصرف النظر عن معالم العمارة الرائعة المزينة في مدينة بهيستام Behistum، لم يقم الملوك العظام بتصوير أنفسهم كمحاربين (أو صيادين) على حوائط قصورهم، وحتى في المدينة سالفة الذكر فإن التصوير الفعلي للحدث أمر ثانوي، وهذا الميل الذين نحن بصدده له أهمية أكبر بالنسبة

للمؤرخين، فلم يكن المقصود بهذه الأعمال الفنية أن تصف أحداث الحياة اليومية، الواقعية للملك أو التصوير التفصيلي المعاصر للأيديولوجية الملكية، ويكفينا القول إنه لم يوجد أي نقش ملكي يشير بأدنى إشارة إلى قدرة الملك المعظم كصياد أو محارب فيما عدا نقش تخيلي مفترض نقله لمؤلفين إغريق، والمقصود بالنقل هنا إعادة التكوين في المعلومات التي تم الحصول عليها بواسطة معلومات أخرى، وهذه الملاحظة تقيد طريقة بحثنا، ولكن يجب استخدام المصادر المتاحة لفهم طريقة عمل الأيديولوجية الأخمينية الملكية مع أهمية تمييز الوسائل الإعلامية المتعددة بطريقة تتيح لنا فهمًا أفضل لخصوصية الرسالة التي يريد الفن التذكاري لبيرسبوليس وصوصا أومدينة ناكظي- روستام توصيلها.



الشكل 15

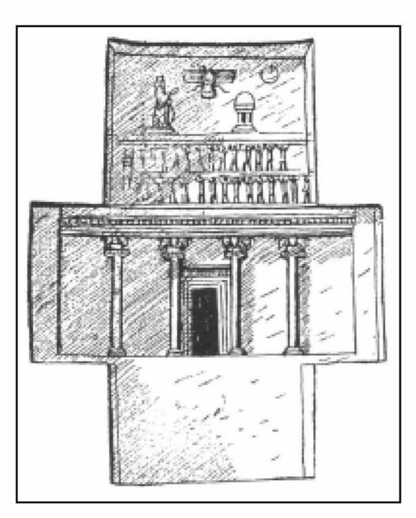
2 - الأمير في مرآته الخاصة

دارا (Darius) في مدينة ناكظي روستام:

إن دارا (Darius) نفسه هو المسؤول عن تقديم وعرض التبريرات الأيديولوجية للفلسفة السياسية، والسلطة حيث قدمها أولاً في بيهيستام حيث أصر وركز بصفة خاصة على الحماية له والتفويض بالملك الذي يمنحة لة أهورا-مازدا وحقوقه الأسرية ومكانته كفاتح .

وقد أكدنا بالفعل الاهتمام الكبير بنقش بيهيستام من أجل إعادة تكوين الأيديولوجية الملكية الأخمينية، وفي مناسبات عديدة سوف نقتبس ذلك في الصفحات التالية حتى نقارنها مع البيانات الملكية، ولكن في هذا المجال هناك أثر يناسب المكان بدرجة كبيرة حتى إنه مصدر فخر للمكان، وهي واجهة منحوتة للمقابر الملكية في مدينة ناكظي روستام (شكل 16)، وهذه المقابر تبدو متقابلة في الجزء الأعلى، ويبدو فيها الملك العظيم واقفًا على منصة ذات ثلاث درجات، ويمسك بيده اليسرى قوسًا يستقر على الأرض خلف قدمه اليسرى، وترتفع يده اليمنى تجاه أهورا-مازدا الذي يتمثل هنا، وفي أي رسم آخر على شكل شخص يرتفع على شكل قرص مجنح على خط الهلال نفسه، وبين الملك والمعبود يوجد مذبح متوهج والأرض مدعمة بصفين من ثلاثين تمثالاً يمثلون الشعوب المستعمرة وهم يحملون العرش (أو ربما الأرض الإمبراطورية) وعلى اليسار يوجد حاملو السلاح الملكي في وضع رأسي وهم جوبرياس (أو جوبرايوما) وأسباثينز Gebrayus & Aspa Thines ، ولكل منهما نقش يمثل اسمه، وعلى يمين الشكل يوجد أفراد البلاط الملكي (وربما هم من يقومون بالحداد) .

وقبر دارا (Darius) هو الوحيد الذي يحمل نقش موضوع خلق الملك بأشكال ونسخ مختلفة، وهناك ثلاثة رسوم متميزة يشمل الأول ورمزه



الشكل 16

(DNa) دعاء للإله العظيم أهورا-مازدا: (أيها الإله العظيم يا من خلقت هذه الأرض وخلقت هذه السماء وخلقت الإنسان وصنعت سعادته ومن أعطيت دارا (Darius) الملك)، ثم يعلن دارا (Darius) سيطرته على كل الشعوب التي استولى عليها بخلاف الفرس والذين يحملون الجزية له، ويتبع ذلك قائمة بالبلاد التي استولى عليها وهذه الشعوب هي (التي تقوم بتنفيذ ما أمر الملك به (إن قانوني هو الذي وحدهم(S3* يسجل دارا (Darius) انتصاراته التي أعانه فيها أهورا-مازدا، ويشير إلى الشعوب الحاملة للإمبراطورية، مما يوحي بأنهم يمثلون السلطة الملكية، وهناك توسل وصلاة أخيرة لأهورا-مازدا (S 5.0) كما يلي: يقول دارا (Darius) الملك: (هذا ما تم وما حدث تم بمشيئة أهورا-مازدا الذي أعطاني العون حتى أديت العمل، احمني من الضر وأهل بيتي الملكي وهذه الأرض، وهذه صلاتي لأهورا-مازدا متوسلاً عونها ومددها، يا أيها الإنسان هذا ما أمر به الإله، لا تتكاسل عنه، ولا تحد عن الصراط المستقيم ولا تعصاه .

وفي جزء آخر- (DNb) وهو الذي تكرر في تلخيص كسركسيس - (Xerxes) وهو يسترعي الانتباه في أسلوب الفن وإيحاءاته، وهو يشمل تصنيفًا للفضائل الملكية وواجبات كل من الملك والرعية؛ ولهذا السبب المبرر فهو مرآة الأمير الذاتية وما نُقش عن القمر: وهذه هي تفاصيل صلاته:

S7- إن الإله العظيم أهورا-مازدا هو المبدع لما تراه والواهب للإنسان سعادته، وهو من وهب دارا (Darius) الحكم والسلطان .

S8a-يقول دارا (Darius) الملك: بفضل الإله العظيم أنا من أنا صديق للحق ولا أصادق الباطل وليس من مشيئتي أن يُظلم الضعيف من القوي أو يُظلم القوي من الضعيف .

S8b-أن الحق هو ضالتي وأنا لا أصادق سيئ الطبع وغضبي ليس قريبًا وأن قوة عقلي تسيطر على ما يغضبني فأنا أجيد التعلم في ذاتي .

J8C-أني أكافئ من يتعاون معي قدر تعاونه ومن يخطئ يُعاقب فور خطئه وليس من مشيئتي أن يقع الضرر من البشر وقد أعفو عمن ظلم.

8b: لا أقنع بكل وشاية من فرد لآخر ولا أرضى إلا على فعل الخير للآخرين .

8e- أرضي بكل خير يفعله أو يؤديه الإنسان حسب قدرته تجاهي فإن رجائي كريم عظيم للإنسان ذو القلب النقي .

8F -إن أفعالي هي ما أعلمه وأفهمه وسوف ترى بنفسك ماذا وحتى أقوم بها في كلا من القصر والحرب، بل إن قدرتي على الفعل أعظم من قدرة فكري وفهمي .

8g- إن هذا هو فعلي، طالما بقى في جسدي قدرة فأنا في ساحة القتال إني أحسن القتال فلندع مكانًا للعقل في الحرب إني أول من يتخذ قرار الحرب ضد التمرد وأحدد من هو العدو ومن هو الصديق .

8h -إني قد أحسن تدريبي على القتال سواء بحسن إستخدام الأقدام أو الأيدي وفي مجال الخيل، أنا فارس ماهر وفي رمي السهام إني أجيد رمي السهام سواء واقفًا أو ممتطيًا جوادي .

8i-إن الإله قد وهبني المهارة الجسدية والقوة لاستخدامها وبفضل إنعام الإله على فعلت ما فعلت بهذه المهارة .

i- فليحفظني الإله ويحفظ ما قمت به .

وهناك فقرة منفصلة عما سبق تخلو من الكتابة، وهو ما لم يكرره كسركسيس Xerxes وفي الجزء، DNaيقوم الملك بمخاطبة أحد الرعية وهو يُعد رمزًا لكل من يخضع لدارا (Darius) من البشر والملك هنا يملي عليه ما يجب أن يقوم به .

يا أيها الإنسان، يا من تعلم من أنا وقدر مهارتي واستعلائي لا تدع شيئًا يضلك عني حتى لو سمعته بأذنيك عما فعلته، إن ما فعلته هو ما تراه بعينيك، إياك أن تخالف قانونًا أو تتمرد، لا تكن عرضة لجبروت الملك وبطشه (إن خالفته) عليك وعلى من الأرض جميعاَ .

الملك المنتصر والعادل:

إن النص التالي أكثر بيانًا عن الصفات المحدودة وفضائل الملك وتلك الصفات تحدد في مجالين، وهي متميزة ومتكاملة إلى حد كبير: القصر (أو المنزل) وميدان المعركة، إن دارا (Darius) ليس فقط ماهر كفرد مشاه أو فارس أو رامي قوس أو رامي رمح، بل إنه قائد جيش ماهر، وإذا تمكن من قيادة قواته في المعركة بنجاح فهذا يرجع إلى امتلاكه صفات الذكاء الخاصة والقدرة العقلية وروح التحليل وسرعة الجسم في اتخاذ القرارات، مما يحرره من الشعور بالخوف الذي يعتاد عليه الجندي الحقيقي، وهذا يمكنه من القيام بالتنفيذ الواضح والفعال للإجراءات الضرورية في خضم المعركة (S8n=11) ، وبهذا الضمان يتمتع الملك بالقدرة على قيادة الرجال .

وهذه العبارات تذكرنا بعبارات أخرى مثل: (بفضل وإنعام أهورا-مازدا علي، أصبحت دارا (Darius) الملك، وهذا البلد (فارس) لا يخشى بلدًا آخر DP ، وفي مواضع متعددة يقول دارا (Darius) أنه كان قائد المقاتلين الذين هرعوا وغزوا شعوب إمبراطوريته مشيرًا إلى نفسه وهو

يكتب إلى رعيته)، وسوف يكون معلومًا لديكم أن رمح الإنسان الفارسي، قد انطلق بعيدًا وسوف تعلمون أن الرجل الفارسي (دارا Darius)قد أدار المعركة في مكان يبعد عن فارس (DNB1) ، (إن الرجل الفارسي قد غزا مصر (Dsab) إنه أيديولوجية الملك المحارب موضحة جيدًا في مدينة بيهيستام في كل من النص والصورة، (فعلاً إن هذه البلد فارس التي وهبها الإله له هي بلد خير بها خيول جيدة ورجال مهرة، وكل الفرس مشهورون بالشجاعة القتالية كما أكدها هيرودوت (Herodotus) ، إن الشجاعة في القتال هي الدليل الرئيسي على الرجولة (13.1) وبفضل حماية الإله تفوق الملك العظيم على كل المحاربين الفرس لكونه ليس فقط فارسًا من الطراز الأول، ورامي رمح ورامي سهم، بل أيضًا يمتلك الصفات البدنية والعقلية التي تجعله قائدًا عامًا لا مثيل له .

إن نفس الصفات تجعل دارا (Darius) سيدًا عادلاً؛ لأنه في بيهيستام تعاون بين العدل والكذب S8 حيث تسمح قدراته على الفهم، والحكم أن يفصل الغضب عن العدالة؛ لأنه يستطيع التحكم في غضبه وتجاوزه 8 (b) ، ونستطيع مقارنة البيان الملكي السابق بما كتبه هيرودوت (Herodotus) عن طريقه إصدار الأحكام بواسطة كبار رؤوس العائلات والملك نفسه: (يمنع العرف حتى الملك نفسه من إصدار حكم بالإعدام على الفرد من أجل تهمة واحدة، وطريقتهم هي موازنة ما ارتكبه الفرد من أخطاء وما قام به من خدمات، وإذا كانت هذه الأخطاء ترجح فإن العقاب يتخذ مجراة، وهذا بالضبط تعريف دارا (Darius) الذي قدمه للعدل فهو (يُجازي من يخطئ ومن يكذب ومن يضر بغيره 8 (a-c)، وهذا بالوضوح يرتبط بمفهوم العدالة الملكية، وهي: أن كل فرد يحكم عليه بالنسبة إلى المساعدة والعون الذي قام به لصالح الملك -وهذا ما فهمه هيرودوت (Herodotus) تمامًا- لكن بيان دارا (Darius) جاوز هذا بمراحل، فهو يحاول موازنة مصالح الأقوياء والفقراء 8 (a) وفي نظره، أن الفقير يمكنه

أن يتصرف بطريقة فاضلة كالغني 9 (b) ، وبالإضافة إلى كونه المدافع عن السلام ضد هجمات العدو فهو أيضًا ضامن وحامي للسلام الداخلي (Dse0.01) ، ويعود تصرف الملك هذا باعتبار أنه مكلف أيضاً تبعًا للقانون الفارسي كحكم فصل بين الخير والشر (بلوتارخ (art 23.5) .

النص والصورة:

توضح العديد من الآثار الأخمينية، خطب دارا (Darius) على شكل صور في مدينتي بيهيستام وناكظي روستام دارا (Daruis) يسمك القوس في اليد اليسرى، وهي صورة في بيهيستام، ويستقر القوس على قدمه اليسرى التي تسحق جواماتا في الأرض، وهذا الملك يتمثل أيضًا كرامي سهم على عملات ملكية عديدة، وفي تصميمات عديدة يكون القوس في يده اليسرى والأسهم في يده اليمنى، وأحيانًا غطاء على الكتف، أو هو على ركبته ساحبًا سهمًا، وأحيانًا يمسك الرمح في يده اليمنى والقوس باليسرى، أو حتى وهو يجري ممسكًا بالقوس وساحبًا سهمًا باليد اليمنى ومما سبق يتضح أنه ليس التصوير لملك محدد ولكن للملك بصورة عامة.



الشكل 17

إن النزال الذي فاز فيه سمرديس Smerdis في مصر لهو دليل على أهمية القوس بصفة السيادة (III30) هل أيسكيليس Acschylus يسمى دارا (Darius) بالراعي الملكي؟ في مدينة ناكظي روستام فإن النبيل جوبرياس هو حامل رمح دارا (Daruis) ، بينما النبيل الآخر أسباثين Aspathine ، وحامل القوس هو عتاد الحرب للملك (DNcd) والقوس مصنف بواسطة المؤلفين الكلاسيكيين على أنه أحدى رموز وسمات السلطة الملكية الذي ربما استقبل به الملك العظيم أثناء مراسيم تتويجه للعرش .

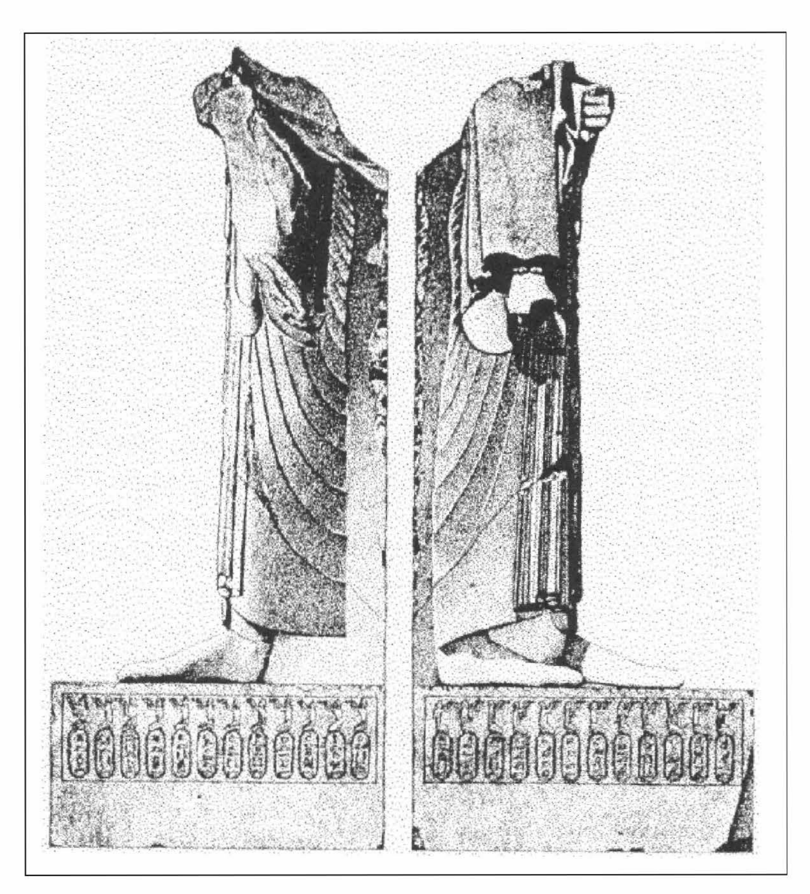
موضوع (الملك المنتصر) النمطي وتمثيله في الأسلوب السائد في مدينة بيهيستام للشعوب الخاضعة يتواجد على أختام متعددة (الشكل 18)، ويرجع أحدها إلى أرتاكسركسيس (Artaxerxes) الثالث الملك ذو الرمح المنتصب في يده اليمنى، والعباءة على كتفه، وهو يمسك حبلاً في يده اليُسرى، رابطًا بة ثلاثة من الأعداء المهزومين .

ويقول النص المكتوب (في أرتاكسركسيس (Artaxerxes) الملك العظيم شكل 18 (c) ، وفي ختم آخر من مصر أيضًا، نرى ملك فارس يمسك بيده اليسرى مصريًّا من شعره طاعناه إياه برمحه، بينما يمسك أربعة أسرى مقيدين بالحبال من أعناقهم (شكل 18(a - b) ، وموضوع الأسرى المقيدين بالحبال تكرر في أحد أختام جداول الخزانة (N 0.28) ، وربما كان ختم أرتاكسركسيس (Artaxerxes) المقصود به تخليد انتصار أرتاكسركسيس (Artaxerxes) الأول على المتمرد إيدانوس Ironos ، والهدف من ذلك التعظيم من قوة ورهابة الملك العظيم كبطل، والموضوع الفني للملك الفاتح على الأختام المتعددة، ففي أحدها يقتل الملك الفارسي أحد الوحوش الذي يمسكه من رأسه المدبب، وهو مشهد مماثل للختم الاسطواني من خزانة أوساس OUSUS (دالتون رقم XVI-114)، وفيه يطعن الملك أحد المحاربين الإغريق برمحه، ويركع المحارب أمامه وقد أعجزته يد الملك اليسرى عن الحركة (شكل -e



الشكل 18

18) ، وهناك صورة للملك المقاتل تتمثـل على ختـم قورش Cyrus (شكل 18 o)، ويوجد الموضوع نفسه على ختم أرشاما Arsama وهو مرزبان فارسي، وكل من هذه الرموز مقصود بها بوضوح نشر صور الملك الذي يكتسب كل فضائل المحارب القدير كما عبر عن هذه الحقيقة دارا (Darius) في ناكظي روستام وبيهيستام.



الشكل 19

3- حمال وجلاد الملك:

تمثال دارا: (Darius)

أحد الآثار المهمة هي تمثال دارا (Darius) الذي اكتشف في صوصا في عام 1972 (شكل 19) وكان موضوعًا على بوابة بدأ بناؤها في عهد

دارا (Darius) ، واكتملت في عهد كسركسيس (Xerxes) (شكل b صفحة 260)، والبوابة تشرف على الوادي بارتفاع 15 مترًا، مما يعطي الزوار رؤية كلية للمدينة الملكية في الطريق إلى قصر أماندا والقصور الأخرى (شكل 9 ص 167 شكل 19)، وربما كان هناك إثبات في التماثيل المتماثلة تمامًا موضوعين على جهة اليمين واليسار مقابل المدخل، وهذا يعد أول مثل معروف للتماثيل الأثرية الأخمينية والرأسي فقط غير موجود، وبالرغم من أنه قد تم نحته في مصر، ويتميز بأنه أصلي مبتكر، وقد أقيم في بادئ الأمر في هليوبوليس، ويمثل التمثال شكلاً يصوربطريقة مشابهة للتصوير في بيرسبوليس، حيث يمسك بحبل قصير في يده اليمنى وزهرة اللوتس في يده اليسرى والحبل يختلف لكونه بدون زينة أو لون .

وفي الحقيقة في كل تصوير ملكي من دارا (Darius) الأول إلى أرتاكسركسيس (Artaxerxes) الأول، يرتدي الملك العباءة نفسها بالزينة نفسها (وهي دوائر متحدة المركز مع صف من الأسود المتأهبة للصيد) للملك قورش Cyrusتلك التي وصفها زينوفون Xenophon (Cyr VIII 3.B) ، (وهي عبارة قصيرة منقوشة بالأبيض، ولا أحد غير الملك يمكنه ارتداء مثلها، وسروال مصبوغ باللون القرمزي من على الأقدام، مع حذاء من القطيفة (وقد صور كوينتوس كيرتس الرداء نفسه في وصف ملابس دارا (Darius) الثالث: (إن رداء الملك كان لا نظير له في الفخامة، حيث كانت العباءة قصيرة مغزولة باللون الأبيض في المنتصف مع عباءة أكبر تحيط بجسمه، وهي مطرزة بالذهب، ومزخرفة بالصقور الذهبية، وكأنها في حالة قتال، وهناك أيضًا حزام ذهبي وهي من أزياء السيدات وسطه جوهرة ضخمة، وكان أيضًا يرتدي الشعر المستعار .

وبعض مظاهر الزينة لا تظهر في المرويات في مدينة بيرسبوليس، ومن المحتمل أنها قد اندثرت بتغير أنماط الذوق العام في ارتداء الملابس

بمضي الزمن (III 3.5) ، ومع ذلك فالألوان التي ظهرت في بيرسبوليس وجدت في هذا الوصف اختيار الألوان معتمدًا على التقاليد الهندية الإيرانية، حيث يرمز الأبيض والأحمر والأزرق إلى النسيج الاجتماعي، وهي: الكهنة (الأبيض)، والجنود (الأحمر)، والفلاحين (الأزرق)، وليس هناك ما يدعو إلى أن نعتقد أن تمثال صوصا هو الوحيد في عصره، فنعلم من هيرودوت (Herodotus) (III 88) أنه عندما تولى العرش كان أول ما عمله دارا (Darius) هو إقامة تمثال حجري منحوت على شكل فارس على جواده مع النقش التالي: دارا (Darius) ابن هيستاسبيس Hystaspes بفضل حصانه وخادمه أوباريس Oebares فاز بعرش فارس، وقد نُقش معه أيضًا اسم الحصان، وبالرغم من الشك الذي في محله من المكتوب بالنقش فلا يمكن استبعاد وجود هذا الأثر، وهناك اهتمام كبير باكتشاف مثل هذه الآثار، وخاصة التماثيل الفارسية التي اختفت، وهناك وثيقة آرامية تشير إلى أمر أحد حكام الأقاليم واسمه أرساما Arsama لنحات مصري بعمل تمثال لحصان وفارسه (تمامًا مثل الذي صنعته من أجلي والتماثيل الأخرى (DAF 10) ، ونعرف أيضًا من ديودورس (Diodorus) (XVII 17) أن أريوباردانيس Aribazanes وهو والٍ سابق قد وضع تمثالاً، وعبد أثينا إيلياس وهكذا لا يوجد أدنى شك في وجود تماثيل ملكية في مواقع أخرى بما فيها بيرسبوليس كوينتوس كيرتس (V 6.5) ، وعلاوة على ذلك، يسجل بلوتارخ أنه بعد أن تم تخريب المدينة ونهبها، ما زال الفرد يستطيع أن يرى (تمثالاً ضخمًا لكسركسيس (Xerxes) (Alex 37.5) ، كتابة رمزية من بيرسبوليس تعرض صورة الملك في عديد من الأوضاع التقليدية في بيرسبوليس، وهي غالبًا ما تنعكس على جانبي المدخل كما لو كانت مرآة .

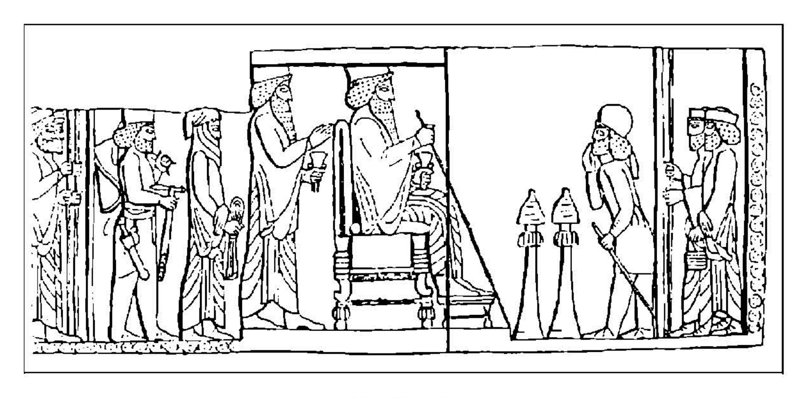
وفيها يكون الملك جالسًا على عرشه مستندًا على مسندي العرش، كما في ناكظي روستام، وأحيانًا يصطحب ذلك التصوير تمثال ملكي آخر،

وهو يرمز غالبًا إلى ولي العهد واقفًا خلفه، وتستقر قدما الملك على كرسي مخصص لذلك، والصولجان في يده اليُمنى، وطرفها مستقر على الأرض أمام الكرسي (البوابة الشرقية - تريبولين 77)، وفي مواضع أخرى يعُرض الملك بدون الأمير والشخص الوحيد خلفه هو خادم يحمل مظلة كبير تظلل الملك، ويمسك في يده اليسرى بمنشفة (حجرة العرش سكميدت 154-155)، والملك يكون دائمًا في هذه التصميمات جالسًا على العرش ممسكًا بزهرة اللوتس في يده اليُسرى، والملك يكون تحت مظلة كبيرة مزينة بصورة الأسود (تحيط بتصوير لأهورا-مازدا)، وفازات من الزهور (شكل 20)، وخارج السرادق، يملأ الحراس المشهد، اثنان من على كل جانب وهم محمولين على عرش من الزهور، وخلف الملك يقف ولي العهد ممسكًا زهرة اللوتس (ص218) في يده اليُسرى، وهو يمد يده نحو عرش أبيه، ويوجد مباشرة أمام الملك موظفو الدولة الكبار في حالة انحناء تجاه الملك، وهو يمد يده اليمنى، وخلف ولي العهد هناك اثنان من الحراس ومنشفة في يد أخرى، وهو ربما يمثل حاملي السلاح الملكي (الفأس الحربي في اليد اليمنى والقوس في اليد اليسرى)، وهذا التصوير كان موجودًا أصلاً في وسط البهو للمدخل الشمالي في مدينة أبادانا (Apadana (Schmidt 119.21 ، ولم يوجد ولي العهد في هذه الآثار (أربع مشاهد على البوابات الشرقية والغربية للصالة ذات الأعمدة المائة، التي بدأ بناؤها كسركسيس Xerxes وأتمها الإسكندر (Alexander) الأكبر (96-97))، وخلف العرش مباشرة حامل المظلة (شكل 22) .

وهناك عديد من الحالات التي يكون فيها الملك مصورًا وهو يمشي يتبعه خادمان (شكل 33)، يمسك أحدهما شمسية تظلل الملك، وآخر يحمل منشفة على جبهته (تريبيلون، سكميدت 75-76: قصر دارا (Darius) 138-141 ، قصر كسركسيس(Xerxes) 178-184 ، هاريم 393-194)، وفيه مشهد يعرض الملك برفقة حامل المظلة، ويوجد هذا

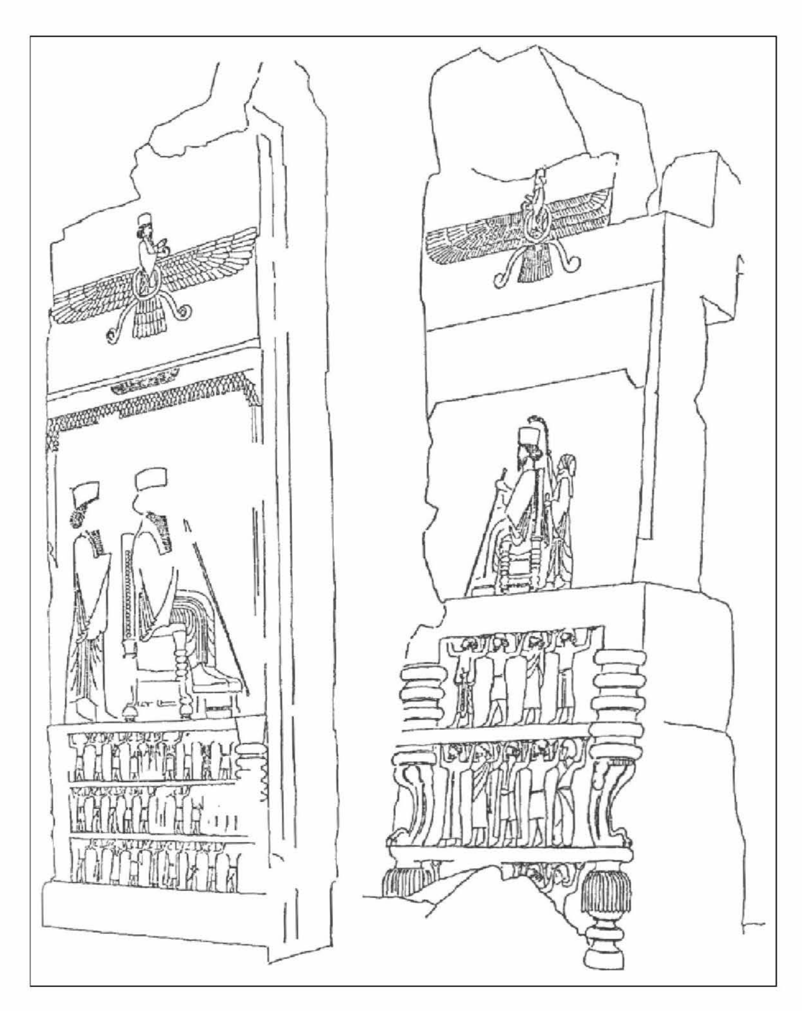
الشكل أيضًا على ختم نشره سبيلير (1917 رقم 708 وهناك منظر آخر لأسد رابض على الأرض) .

وأخيراً، هناك تصاوير كثيرة للملك وهو يواجه حيوانات حقيقية أو منقرضة (أسود وثيران ووحش له قرون الأسد ورأس الطائر)، وغالبًا ما تكون الرسومات جانبية كما لو كانت تمثل رسومًا رمزية (شكل 24)، وغالبًا ما يمسك الشخص الذي يقوم بالمواجهة بالقرون أو الشعر في رقبة الحيوان بيده اليسرى، ويطعن السيف بيده اليُمنى في جوف الحيوان (سكميديت 114-117، 144-146، 195-197)، وفي حالات نادرة يقوم الملك بخنق الحيوان -وهو غالبًا الأسد- بيده اليمنى، ويمسك بزهرة اللوتس بيده اليُسرى، ويمسك بخنجر وهو يطعن الأسد (147- قصر دارا) (Darius) .



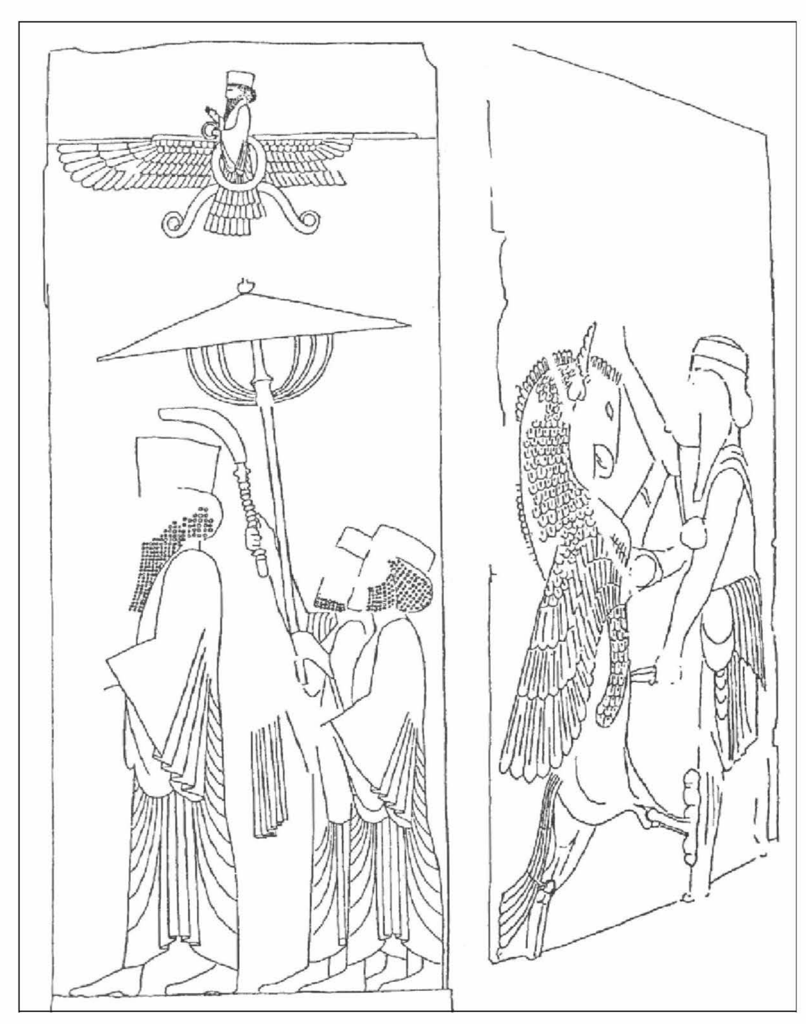
الشكل 20

وبصفة عامة تبدو هذه الرسومات وهي تعطي صورة الملك الهادئ والمسيطر والمنتصر، وهناك أشكال عظيمة تمثل هذا مثل صفوف النبلاء والحراس وحاملي العرش (شكل 25)، وهناك فكرة الإمبراطورية الموحدة حول الملك العظيم التي يستهدف تمجيدها، وهذه الرسومات



الشكل 21 و 22

المتعددة لا يجب الخلط بينها بالتحليل السطحي المبسط (ص 221) (تعليق على الصور السابقة الذي يفصل هذا التصنيف، فالأخير الذي يُسمى تقليديًّا (الملك البطل) (شكل 24)، وحتى لو لم تكون الثلاث



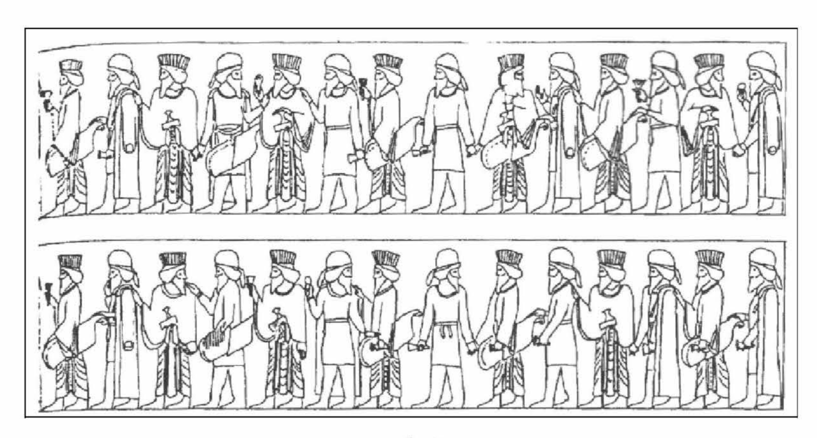
الشكل 23 و 24

رسومات الأخرى (شكل 21-23) لا تكون صورًا للحياة في البلاط الملكي، فإنها فقط شهادة على الإجراءات التي تحكم البلاد الملكية، وهذا الجانب يغيب عن شكل الملك البطل .

الملك على عرشه ينبع التعليق على أول ثلاث سجلات من الصور نفسها وتفاصيل الحياة الملكية التي يرويها المؤلفون الكلاسيكيون، والمقصود منها التعبير عن فكرة تفوق الملك واستعلائه على كافة الرجال الآخرين، وكل من هذه التصاوير يوجد على رأسها قرص يرمز إلى أهورا-مازدا، ويظهر الملك نفسه في وضع ثابت مستقر، وهناك الخدم المرافقين من أجل راحته وتخليصه من كل المتاعب الجسمانية من الحرارة الزائدة، وهناك ولي العهد في وضع متميز خلف الملك، ويمثل الوجود المشترك للملك وابنه في الصورة المحدد لشخصية الملكة .

كما يتسم الملك بالصفات المادية والجسمانية التي تخصه وحده ويمتاز بها فعندما يستقر على العرش، هناك رسم لأقدامه، وهذا يذكرنا بما قاله دينون (Attenaeus XII41) .

وعند نزول الملك من عربته الحربية ذات الحصانين يقول دينون: (لم يقفز نازلاً بالرغم من قصر المسافة إلى الأرض كما لم يتكئ مستندًا على أحد بل كان يوضع كرسي ذهبي في موضع نزوله حيث كان حامل كرسي القدم ينتظر متأهبًا نزول الملك)، ويتمثل حامل كرسي الأقدام



الشكل 25

الملكي في المداخل الشرقية والغربية لجناح مدينة بانداتا، وكان يعرف هذا الكرسي جيدًا بالنسبة للموظفين الكلاسيكيين لأنه من ضمن الغنائم التي استولى عليها أهل أثينا في أعقاب معركة لاتيا Plataea وتبعًا للقصص عن فترة ملوك الإسكندر (Alexander) استخدم هذا الكرسي أيضًا لمساعدة الملك على النهوض أو اعتلاء الكرسي عند ارتقاء الإسكندر (Alexander) للعرش الملكي كانت أقدامه (تتأرجح في الهواء وهذا على حد قول كوينتوس كيرتس في عباراته البلاغية التصويرية (V.2.13=15) ، وبهذه الطريقة تجنب الملك التقليل من مظاهر العظمة الخاصة في أي موضع له، ونعرف هذا في القصر عن طريق طريقة توزيع الحجرات حتى إن الملك كان هو الشخص الوحيد الذي يمكنه استخدام بعض الممرات الخاصة أو السير على سجاجيد خاصة من سيردينيا لا يستخدمها إلا هو .

الحضور الملكي:

ينشأ التعليق على أول ثلاث سجلات من الصور نفسها وتفاصيل حياة البلاط الملكي التي تناولها المؤلفون الكلاسيكيون، وهي تهدف إلى إظهار الملك في صورة تفوق كل البشر الآخرين، حيث يجلس الملك على العرش وسط صور الحضور، وقد اهتم العديد من المؤلفين الكلاسيكيين بمراسم الحضور تاركين انطباعًا رسميًّا للحضور مثل ملابس ميد Mede الذي يبدو منحنيًّا أمام الملك العظيم، ولم يكن إلا المستشار أو قائد الألفية، وكان رئيسًا للحرس الخاص، وهم على يمين ويسار الملك، وكان هو من يتلقى الطلبات والالتماسات لكل من يطلب شرف الحضور بين يدي الملك (وبدونه لا يمكن أن ينال أحد هذا الشرف (نيبوس 3.2.3، بلوتارخ 27.2.7) وكان الشخص الذي يأخذ الرسائل والطلبات ويقدمها للملك (Aelian VII21) أو نقل رسائل أخرى لم تقدم للملك شخصيًّا.

ويصر المؤلفون الكلاسيكيون على ضرورة أداء طقوس معينة قبل

الحضور بين يدي الملك، وهذا -مثلاً- ما جدده المستشار أرتابانوس Artabanus لثيموستكليس Themistocles .

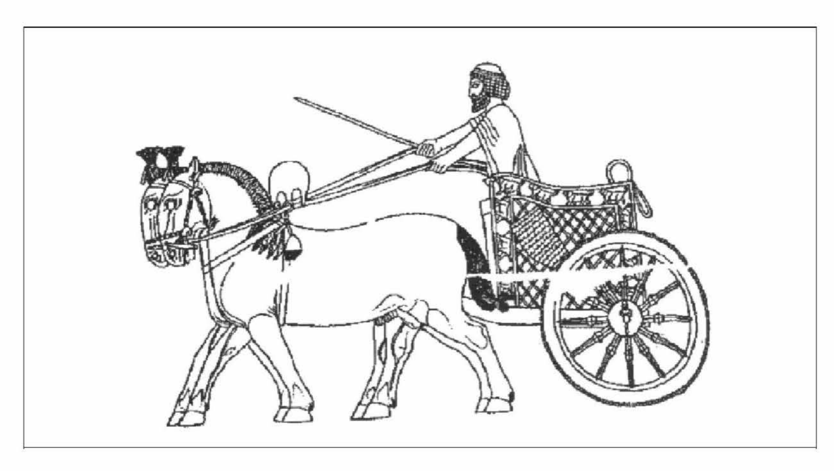
من بين القوانين العظيمة التي نقدرها هي توقير الملك أو عبادته باعتباره الحامي العظيم للكون، وفيما إذا قبلت قوانيننا، وتسجد بين يدي الملك فسوف تراه وتتحدث إليه، ولكن لو فعلت خلاف هذا، يجب عليك توظيف آخرين للتوسط من أجلك؛ لأنه من التقاليد الوطنية أن يُعطي الملك شرف الحضور لأي شخص لا ينحني له .

وبهذه الطريقة يخاطب المستشار نيثراوستيس كانون: أن أي إنسان يحضر أمام الملك يجب أن يُقدم له مراسم الخضوع، ويضيف نيبوس بصيغة آمرة: إن هذا البلد يشبه بلدة إسمينياس Ismenias في مراسم الحضور بين يدي الملك، وهذه القصص الثلاثة ربما ترجع إلى النموذج المعتاد الذي أصبح لدى الإغريق منوالاً متكررًا يدلل على الاستبداد الفارسي، وهو يركز غالبًا على المقارنة بين الإسكندر (Alexander) وحكام الأقاليم الفُرس .

وهناك مشكلة في التفسير المقارن بين النصوص الكلاسيكية والتصويرية وهو بالتحديد، ما هو الإجراء المحدد الذي يقوم به الشخص لينال شرف حضور الملك؟ وفي الرسوم يقوم الشخص المميز بالانحناء للأمام، ويُقوم بالتقبيل ليد الملك ولكن بالنسبة للمؤلفين الإغريق، يشير إلى القيام بإجراء هذه الفروض للطاعة وهو معروف في الشرق الأدنى فيما قبل الحقبة الأخمينية، ومع أهل بارثيا، وهو ينقسم إلى السقوط أرضًا ساجدًا أو راكعًا أمام العرش الملكي، وهو أيضًا ما وصفه هيرودوت (Herodotus) عندما كان يتناول موضوع العروق الاجتماعية بين الفرس: (عندما يتقابل الفرس في الشوارع يمكن أن يعرف الرد بطريقة إلقاء التحية إذا ما كانوا من الطبقة الاجتماعية نفسها؛ لأنهم لايتحدثون، بل يقبلون أمثالهم من الفم، ويقبلون من يفوقونهم من

على الجبين، وإذا كان الرجل في رتبة اجتماعية أدنى بكثير من غيره فإنه يسجد في وقار شديد) (10134) .

وبالرغم من أن المراسم تمثل التقبيل، فإنها لا تقتصر على ذلك، وهذا ما يحدده إيسمينياس Ismenias : (أما بالنسبة الي الدخول والخروج ورؤية الملك بصورة كاملة وعن قرب، فإنه في هذة الحالة يقوم بخلع أي حلي يرتديها ويُلقيها عند أقدامه وينظر إلى الأرض سريعًا لكي يلتقطها، وإذا أدى هذا بوقار فإنه يُعطي الملك انطباعًا عن طاعة من يكون حاضراً بين يديه وهكذا لم يفعل الشخص الذي يطلب المقابلة أي شيء يجلب العار).



الشكل 26

والتفسير للنص له وجهان، في نموذج القصص الإغريقية يمكن اعتباره متضمنًا لإجراءات مراسم المقابلة الملكية التي تتطلب السقوط أرضًا في حركة الانحناء، ومن ناحية أخرى يمكن اعتباره متضمنًا أن الانحناء للأمام فقط يكفي (لأن أسمينياس لن يهبط على ركبتيه لاسترداد الخاتم) .

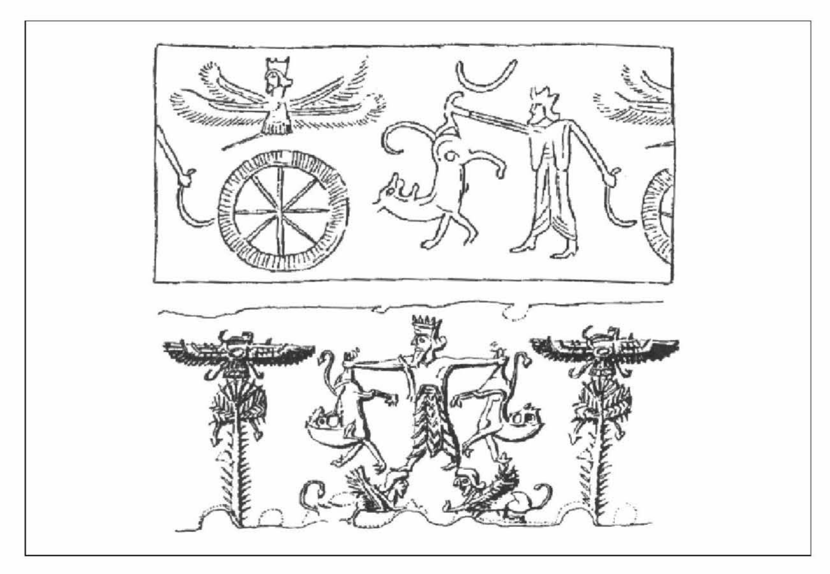
وهناك قطعة في مؤلفات هيرودوت (Herodotus) تحافظ على هذا الغموض (VIII 136) ، وعند التقدم لمقابلة كسركسيس (Xerxes) رفض كل من بوليس وسبيركياس أداء ما طلب منهما على الرغم من الحراس أمروهم بذلك فهم (أعلنوا أنهم لن يفعلوا هذا الشيئ بالرغم من تهديد الحراس بقطع أعناقهم على أرض البلاط الملكي، ولكنهم قالوا إن العُرف في إسبرطة أن يقدموا فروض العبادة لآلهتهم وليس لإنسان مثلهم ولم يأتوا إلى فارس لهذا الغرض).

وبصرف النظر عن التفاصيل فليس هناك شك في المغزى العام لهذه الطقوس، وهي الاعتراف بسلطان ومهابة الملك (زينوفون - أثاب 1.2.8.1)، ويجب إجراء هذا الفعل بعيدًا عن مكان الملك المادي، فقد رأينا الوالي داتاميس يقوم بالانحناء قبل استلامه لخطاب تلقاه من أرتاكسركسيس (Artaxexes)الثاني (V II 21.5) ، ولكن عكس ما استنتجه الإغريق لم تتضمن الطقوس ما يجعل من الملك إلهًا .

الخيول والعربات الملكية:

إحدى المواكب التي صورت في بيرسبوليس (الجناح الجنوبي لأبادان) يتقدمه حارس شرفي يتبعه الحراس وحامل كرسي القدم الملكي، ونبلاء يحملون السياط والسروج الفاخرة، وهناك نبلاء آخرون (في الجناح الجنوبي لأبادان) يقودون الخيول القوية، ويتبعها اثنان من العربات فاخرة الزينة، وكل منها يجرها اثنان من الخيول يقودها سائقون لها ممسكون باللجام (شكل 26)، وتوجد عديد من خيول نيساين وفي مسيرة كسركسيس (Xerxes) ووصفها هيرودوت (Herodotus) كما يلي: (ثم اثنتى عشرة من الخيول النادرة تعرف بالنيسيان في سروج رائعة تتبعها العربة الملكية المقدسة لزيوس، تسحبها ثمانية خيول بيضاء، ثم جاء الملك نفسه يركب عربة يجرها اثنان من الخيول النادرة وقائد العربة باتيرامفيس Patirmaphes ابن أوتانيز الفارس واقف بجانبه) (VII 40) ،

والعربة هي عربة حرب واستعراض عسكري ذات عجلتين، ومعروفة لكل مؤلف قديم، وتختلف عن عربة السفر رباعية العجلات، وهذه هي العربة التي قدم فيها زينوفون الملك قورش Cyrus للجمهور أثناء العرض العسكري في بيرسبوليس (طاقم قورش Cyrus الخاص بالخيول ذات القطع الذهبية تبلغ مائتين يقودها الفارس بلجام مرصع بالذهب، ومغطى بالتطريز الذهبي، وهي كانت جزءًا من العرض العسكري (Cyr VIII3) ، وفي أي موضوع حل به الملك، كان يحوطه الخيول الملكية الأصلية التي ربيت في مزارع الملك وكانت مربوطة بجانب الخيمة الملكية (هيرودوت (Herodotus) (IX 70) ويبلغ عدد هذه الخيول 400(III 3.21) .



الشكل 27

ويؤكد زينوفون على الانطباع الذي تركه قورش Cyrus عندما كان واقفًا في العربة الملكية، (وعندما رآه الشعب، سجدوا جميعًا أمامه، أما الآن فإن بعضهم قد أقر بذلك، أو إما أنهم قد انبهروا بجلال الملك، أو

أن قورش Cyrus كان من الجلال والجمال بحيث لا يمكنهم النظر إليه مباشرة (VIII 3.14)، وكثير من النصوص قد شهدت بهذه العظمة للملك والعربة الملكية، وقبيل النصر المقدوني الذي تخلده، والملك نفسه عندما كان في خطر عظيم أمسك باللجام وأُجبر على التخلي عن ممتلكاته الفخمة، فخالف العرف القديم لملوك الفُرس (ديودورس(Diodorus)(VIII 3)) ، ومن العربة الملكية ركب الملك الخيل بين الآخرين (كوينتوس) (III3.15) دارا (Darius) الثالث) دخل المعركة واقفًا في عربته (IVI 1.1) وذكر لأقاربه: (أنا بنفسي، وليس بسبب تقاليد وطني، ولكن لكي يراني الآخرون أركب هذه العربة) (IV. 14.26) ، وتشرح هذه النصوص بكل وضوح أن القواعد الصارمة تحكم حركات الملك التي صممت كليًّا لتحسين وضعه، ولا تظهر الخيول الملكية والعربة بهذه الطريقة فقط في رسومات بيرسبوليس من أجل الزينة، والعربة الملكية لها ثقل وأهمية أيديولوجية حيث كان جزءاً من العلامات المميزة الملكية، ومن أجل هذا السبب جرى تشويه متعمد لشهرة دار Daruis الثالث بواسطة الدعاية المقدونية التي صورته على أنه قد (تخلى عن عربته الملكية لتسهيل العمل المخزي وهو الهروب من المعركة (كوينتوس (III 11) ، وفي معركة بوجاميلا تم قتل سائق العربة بواسطة حربة، ولكن لأن الملك كان واقفًا، فقد ترك خط القتال لرعاياه (IV-15.30) ، وفي النهاية قام بالهروب، وللمرة الثانية استطاع الإسكندر (Alexander) الإمساك بدرع دارا (Darius)وقوسه وأسهمه والعربة الملكية (ايريان (III.5.15)) .

البطل الملكي:

إن من أحد الموضوعات الفنية المتكررة على الأختام بالإضافة إلى رسومات بيرسبوليس هي البطل الملكي وهو يحارب حيوانات حقيقية أو وحوشًا خيالية، والملك يكون في المركز بالنسبة الي الشكل الفني عامة وهو يمسك بحيوان في كل يد (شكل 27 (B)) ، ووضع هذه الصور على

مقابض الأبواب يظهر الملك بشكل أسطوري يحمي قصره وعالمه بهذه الطريقة، وبالإضافة إلى هذه الأمثلة على الأختام فإن الشخص الرئيس في بيرسبوليس يحمل الرموز المعتادة للملك (الحبل أو التاج) ربما في النقش، ولكن هذا التحديد والتوحد مع شخصية الملك بسيط وواضح، وهو تنوع على وتيرة الموضوع الفني للملك المنتصر .

4- المحارب الفاضل:

الملك الطويل والوسيم:

تمتلئ المصادر الكلاسيكية بعبارات عن القوة البدنية غير العادية للملوك العظام، وبالنسبة لسترابو (Strabo) (XV 3.21) كان دارا (Darius) أكثر الرجال وسامة ماعدا كسركسيس (Xerxes) بين كل من هذه العادات لم يكن هناك رجل أكثر وسامة منه في القوام والمظهر النبيل (VII.187) ، وبالنسبة لأرتاكسركسيس (Artaxerxes)الملقب بذي اليد الطويلة (كانت يده اليُمنى أطول من اليُسرى (بلوتارخ 1.1) .

(وقد امتلك الوسامة والحضور القوي والجمال الجسماني مقترنًا بالشجاعة غير العادية؛ لأنه بالنسبة للفُرس كان الأكثر وسامة) (نيبوس 4.21) كان دارا (Darius) الثالث أكثر الرجال طولاً ووسامة في عصره)، ومن ثم جاءت الحكاية التي سجلها ديودورس وكوينتوس (III 0.12) أخذت أم دارا (Darius) وأخته أسرى بعد معركة إيسوس إلى خيمة الإسكندر (Alexander) ، وقال هايفستيان: لقد كانوا من عمر الملك نفسه، ومع ذلك تفوق عليه في الجمال الجسماني، ومن ثم اعتقدت الملكة أنه الملك، وقام برفض الانحناء له بطريقته المعتادة .

والموضوع متكرر يصبح لافتًا للنظر أثناء المنافسات داخل الأسرة المالكة بين المتنافسين على الحكم الملكي، وكما رأينا من قبل كانت هذه الخلفية التي تقارن بين قمبيز Campysis وسميراميس في مصر، ولم يكن

الأخير هو الشخص الذي يستطيع ثني القوس الذي أرسله ملك أثيوبيا، ويمكن إحياء الموضوع بحماس زائد في عصر أرتاكسركسيس (Artaxerxes) الثاني ودارا (Darius)الثالث وفي كل منها تشهد النصوص بالجمال الجسماني والشجاعة في المواجهة والحرب التي تمثل التبرير الممكن للسلطة الملكية، وهذا هو التقليد المحتمل للنشر في أي حدث والذي أشار إليه سترابو (Strabo) :(وهذه عادة منتشرة لاختيار أشجع الرجال كملك ليس فقط من أبناء مدينة ميديس، ولكن من بين رجال المناطق الجبلية (13.1)، وهذا تبرير لما بعد ارتقاء العرش، فلم يصبح الرجل ملكًا لأنه كان وسيمًا أو مقاتلاً شجاعًا، ولكن لأنه ولد ليكون ملكًا، ثم بعد ذلك تم وصفه بالوسامة والشجاعة، وإذا صدقنا وصف بلوتارخ، فإن سمات الملك البدنية التي ترتقي إلى درجة نماذج الكمال التي يُقلدها الناس في الجمال والشجاعة (Mor 821) .

وقد تلقى فنانو وموظفو البلاط الملكي أوامر صارمة بترويج هذه الصورة للملك لشخصيته القوية والجميلة عن طوله وتبعًا لأفلاطون (Ale 121) فإن الوغد الذي عهد إليه بالرعاية الجسمانية لأطفال الأسرة المالكة قدم كل الرعاية الممكنة للأطفال، مما جعل الملك يبدو بأكثر الصور وسامة في الشكل واستقامة القوام، ومن أجل هذا كرم بأرفع المكافآت، وقد حصل على تلك المعلومات من المصدر نفسه، ولإعطاء الجسم المظهر الخلاب غطى الملوك والنبلاء أجسامهم بالدهن غير اللامع من الزهور البرية (زهرة دوار الشمس)، بالإضافة إلى دهن الأسد ونبيذ النخيل (XXIV 165)، وفي كل الرسومات يبدو الملك أطول من الآخرين، وهذا واضح في بيهستان، ولكنه أيضاً واضح للحضور الواقفين خلف الملك، بالإضافة إلى ولي العهد .

لا يخص زينوفون وجود الحيل المقصود بها التميز الجسماني للملك؛ لأنه عندما يقام عرض في بيرسبوليس ظهر قورش Cyrus (عظيم

وجميل لدرجة أنك لا تستطيع النظر إليه)، وهذا ليس بسبب فخامة ملابسه ومظهره في العربة الملكية ورغم طول سائق العربة فلم يكن أطول ولا أجمل من قورش Cyrus ، ومرة أخرى تبعًا لزينوفون أعطى قورش (Cyrus) تعليمات لمرافقيه المقربين: (نعتقد بذلك أننا لاحظنا في قورش Cyrus أنه يؤمن بالرأي بأن الحاكم يجب أن يتفوق على رعيته ليس لأنه بالفعل أفضل منهم ولكن بنوع من السحر يمارسه عليهم، وعلى أية حال فقد اختار رداء من مدينة ميد Mede بنفسه وأوصى مساعديه أن يضبطوه له؛ لأنه يعتقد أنه لو كان للشخص عيوب جسمانية فيجب أن يساعده الزي على إخفائها حتى يبدو من يرتديها أطول وأكثر وسامة؛ لأنهم يرتدون الأحذية بطريقة تجعل الشخص يبدو أطول مما هو عليه، كما شجع أيضًا تخطيط العين بالكحل حتى يبدو متألقًا أكثر من العادي واستخدام مستحضرات التجميل التي تجعل من الوجه أجمل وأكثر استدارة، وقد درب مساعديه على عدم القيام بالعادات السيئة أمام العامة مثل البصق ومسح الأنف وعدم الاستدارة للنظر إلى الأشياء لكونهم رجال لا يدهشهم شيئ وفي رأيه فإن كل هذا يسهم بطريقة ما باكتسابهم الاحترام الذي يليق بأتباعه .

وعلاوة على هذا ظهر النبلاء يرتدون الشعر المستعار مرات عديدة في بيرسبوليس، وهذا يشهد بالاستخدام المعتاد للحى والشوارب غير الحقيقية، ويذكر أيضًا سترابو (Strabo) أن الشعر المستعار قد أصبح سلعة يدفع عليها ضرائب، وقد أوضح هذا تقرير حالي .

(لاحظ كوندولس -أحد الحكام المحليين- ميل الناس لارتداء الشعر المستعار، وقال إن رسولاً جاء من قبل الملك في فارس يأمره بإرسال الشعر الطويل إليه؛ لذلك أمر بقطع شعر السيدات الطويل)، وقد عمل استيسياوس بقصة الوغد الذي اتهم بالتآمر ضد دارا (Darius) الثاني (لم يكن مكتمل الرجولة؛ ولذلك استخدم لحية وشاربًا مصطنعًا ليبدو مثل الرجل، وهنا وصف زينوفون للمظهر الرسمي لأستياجيس

Astyagesيخطط تحت عينيه ويلون وجهه باللون الأحمر مع الزينة وخصلة من الشعر مستعارة (VIII.1.14 ، وهو يذكر أيضًا وجود أطباء التجميل الذين يقومون بتخطيط العين وتحمير الوجنتين لهم وما إلى ذلك من عمليات تجميلية (في أجنحة النبلاء الفرس (VIII.820) ، وفي بيرسبوليس تظهر صورتان لخادم معه قنينة مواد تجميلية في يده اليمنى، ومنشفة مطوية في اليد اليسرى Schmidt pls./148A-149) .

القائد العام:

رموز تمثيلية ووقائع:

أهم الشخصيات الملكية لدارا (Darius) كانت عن كونه محاربًا وقائدًا عسكريًّا، وعند هذه النقطة قد ناقض شهادة المؤلفين الكلاسيكيين، ومع ذلك -كما يقول زينوفون- إن النصر هو أحد تبريرات الملك، ولكن غالبًا ما يركز الإغريق على تردد الملوك لوضع أنفسهم على رأس جيوشهم مثل أرتاكسركسيس (Artaxerxes)الثالث، وطبقًا لديودورس (فقد كان غير محب للحرب وبقى في حالة كسل حيث احتقره المصريون واضطر إلى أن يبقى صابرًا بسبب قلة حسمه وطبيعته المحبة للسلام وحتى هذه اللحظة، (حتى حـانت اللحظة التي غضب فيها وقرر أن يبدأ الحرب على المحاربين (X VI 40.4) وكان كسركسيس (Xerxes)مشهورًا بصفة الجبن بين أعدائه، وكذلك دارا (Darius) الثالث الذي كان مدانًا بالتخلي عن عربته وسلاحه الملكي (القوس والرمح) في حروب إيبوس وجوجافيلا.

إن المؤلفين القدامى يتولون الدعاية الإغريقية التي تصف غير الإغريق بالبربرية وملوكهم بالضعف وعدم القيمة كرجال، وهذا الاتجاه تدعمه الدعاية التي صدرت من خصومه في البلاط أثناء فترة الصراع من أجل الملك، وهذا هو الإطار الذي يشمل صوراً بالغة التناقض

لأرتاكسركسيس (Artaxerxes) الثاني الذي أحيانًا ما يُسمى بالجبان (في دعاية قورش Cyrus الأصغر)، وأحيانًا قائدًا غير عادي للرجال في الدعاية الملكية)، والصور والاختلافات نفسها توجد في رؤيتين لارتقاء دارا (Darius) للعرش (الفصل 1/17)، ووجود هذا الاختلاف في وجهات النظر يؤكد أهمية وظيفة المحارب في الأيديولوجية الإخمينية .

ولا يبدو أن التيار الإغريقي التاريخي يُفسر كل شيئ، بينما تفسير المؤلفين التاريخيين يُفسر الافتراضات الإغريقية، ولشرح هذا فإن تجنب المعارك من قبل الموك العظام يتأكد في أمثلة عديدة .

دعنا نلاحظ في البداية أن الوحيد من كل الملوك الإخمينيين الذين فُقدوا في حملة عسكرية هو قورش Cyrus ، ومات الآخرون من المرض (قمبيز - (Cambyses) دارا - (Darius) أرتاكسركسيس (Artaxerxes) الأول - دارا (Darius) الثاني - أرتاكسركسيس (Artaxerxes)الثالث وأرتاكسركسيس (Artaxerxes) الرابع - بارديا - Bardiya كسركسيس Xerxesالأول وكسركسيس (Xerxes) الثاني وسوجويانوس Sogdianus ودارا (Darius) الثالث)، ونلاحظ أيضًا عدم مشاركة كسركسيس في القتال في زمن الحملات الإغريقية، وفي ثيرجو بيليي، قام بمشاهدة القتال من على عرشه (هيرودوت (Herodotus) VIII 90)وفي معركة كوناكسا Cunaxa تراجع أرتاكسركسيس (Artaxerxes) إلى تل قريب (بلوتارخ 11.3) حتى عندما استمر الملك في القتال، فقد وضع في مكان تقليدي مخصص له في وسط قواته، ولا يُخفي زينوفون(الذي يقرر الأمر نفسه عندما عسكر الملك) إن هذا الاختيار تم لحماية حياة الملك (لأنهم يعتقدون أنه أأمن موقع له وقواته على كلا الجانبين، وعندما يصدر أمرًا، فإن الأمر ينتقل في نصف الوقت المعتاد (Anab 1.8) ، وبالمثل كان دارا (Darius) الثالث في إبيوس (كان دارا (Darius) يشغل منتصف قواته، وهو المكان المعتاد لملوك فارس) (آريان 8.11)

وتبعًا لنيكولاس الدمشقي، اتخذ قورش Cyrus الاختيار نفسه في معركة أستياجيس Astyages (لقد بقى في الوسط بين الفرس المتميزين (FGr H90 F66 34) ويتضح تحمل مشاق كبيرة حتى يضمن أن الملك سوف يتمكن من مغادرة أرض المعركة سليمًا معافى إذا لم تجري الأمور على ما يرام، (وخوفًا من الوقوع في يد الإسكندر (Alexander) في معركة إيبوس، وجد دارا (Darius) لنفسه حصانًا سريعًا أُعد لهذا الغرض (كوينتوسIII 10.11) .

ولا شك في الشخصية السياسية التي تتسم بها التقاليد الفارسية وفي مناسبات عديدة ناقش المؤلفون القدماء أمور البلاط الأخميني وتبعًا لهيرودوت (Herodotus) فقد كان أرتابانوس الذي حاول أثناء دارا (Darius) القيام بحملات ضد الكيثيانز (IV 83) قد استخدم أسلوب المجادلة نفسه ضد حملة الإغريق معتقدًا أنها مخاطرة كبيرة تعرضه للخطر، ويذكر ديودورس (Diodorus) عن معركة ثين مويلي أن الإغريق قد استولوا على الخيمة الملكية، ثم يُعلق: (لو بقى الملك في مقره المعتاد فقد كان من السهل ذبحه بواسطة الإغريق، وسوف تكون الحرب قد انتهت نهاية سريعة وحاسمة- (Xt 10.3) وتبعًا لتسياس - Tesias ثم إثناء دارا (Darius) بواسطة مساعديه عن رئاسة الجيش المستعد للتقدم إلى مصر، وتبعًا لديودورس (Diodorus) وكوينتوس (III 21049) دارت المناظرة نفسها حول دارا (Darius) الثالث بعد ورود أخبار موت ميمنون (أرتاكسركسيس (Artaxerxes)الثالث) .

قال البعض إن الملك يجب أن ينضم إلى المعركة شخصيًا، وفي هذه الحالة سوف يحارب الفرس بطريقة أفضل، وقد أوصى كايدينوس من أثينا أن دارا (Darius) لا يجب بأي حال أن يخاطر بالعرش باندفاعه في مقامرة، ولكن يحتفظ بالقوة والتحكم في آسيا، وإرسال قائد للحرب ذي مقدرة قتالية (ديودورس (Diodorus) (XVII30) .

ويروي المؤلفون القدامي حكايات مشابهة في معسكر قورش Cyrus

الأصغر وأرتاكسركسيس (Artaxerxes) قبل معركة كوناكسا (بلوتارخ 3.7)، وهكذا نرى أن تمجيد القدرات القتالية للملك العظيم هو اتجاه أيديولوجي تمامًا، في طبيعته، ولا يتضمن أن الملك يبالغ في قدراته القتالية في ميدان المعركة، وفي أثناء الحروب النادرة التي شارك فيها الملك بنفسه، فقد أظهر قدراته الحربية كمقاتل بارع وأول من يبادر في اتخاذ القرار بناءً على قول دارا (Darius) نفسه في ناكظي روستامONbS8 ، وفي هذا الإطار تلاحظ أن بلوتارخ (Mur 172) يسجل أنه عندما قدم شهادته، ذكر دارا (Darius) أنه: (في المعارك وفي مواجهة الأخطار الشديدة يصبح أكثر هدوءًا وثقة بالنفس)، وقد تفوق أداء أرتاكسركسيس (Artaxerxes)الثاني أثناء الحملة ضد الكوديستانز في دعاية البلاط بهذه الطريقة .

(ومع وجود خزانة الأسهم بجانبه ودرعه على ذراعه قادهم على الأقدام في الطرق الملتوية والزلقة بطريقة جعلت مشهد بهجته وقوته التي لا تلين يعطي دفعة معنوية لجنوده، وخففت من المرحلة اليومية سيرًا على الأقدام التي استغرقت 100 فرسخًا (مقياس مساحة) .

وعلاوة على ذلك، فالدليل على علاقاته الممتازة مع الأسر الكبيرة هو قيامه بالإشادة بتضحياتها أثناء حملاته (فصل 6/6)، فقد اعتز بحمايتهم لجيشه، بل انه قام برئاسة الجيش بنفسه مما مكنه من زيارة رعاياه أثناء إحدى الاستعدادات التي جابت الإمبراطورية من أقصاها إلى أدناها (فصل 4/5)، وبالنسبة لملك ارتقى العرش حديثًا، كانت طريقة لتأكيد مدى سلطته.

دارا Daruis الثالث في المعركة:

منظور للمعاناة من أجل الملك:

هناك عنصر حاسم يضع الملك العظيم في قلب الحدث في أثناء المعارك وهو المبارزة الفردية في نابولي التي كان بها دارا (Darius) واقفًا في عربته الملكية محاطًا بحراسة مباشرة في مواجهة الإسكندر (Alexander) الذي واجهه على حصانه والرمح في يده، وهو أسلوب تقليدي في المواجهة الشخصية بين ملكين لحسم نتيجة المعركة وردًا على تحدي الإسكندر (Alexander) في ماراثون، حيث قال الملك المقدوني: (إذا طلبت الملك قف على الأرض من أجله ولا تهرب لأني سوف أطاردك أينما تكون (آريان 11، 14)) واختيار الأسلوب الخطابي اللاذع ليس عفويًا، حيث وجد المؤرخ بولينبوس هذا الأسلوب عديم القيمة (X III 221.7) ، وهو هنا يقتبس كلمات كاليثينيز Calisthenes الذي رافق الإسكندر (Alexander) (لقد رتب الإسكندر (Alexander) قواته بطريقة معينة من أجل دعوة دارا (Darius) لمبارزته في مواجهة شخصية وقد كانت لدارا (Darius) نية مبيتة لفعل ذلك - وتبعًا لتشارلز مينيلين- لقد وقعت المواجهة الفردية في إيبوس: (في هذه المعركة، أصيب بجرح في فخذه من طعنة دارا (Darius) في المبارزة التي تمت بينهم وجهًا لوجه (بلوتارخ (Alex 8.20))، وهذا هو الأسلوب التقليدي .

ويعرف أسلوب المواجهة الفردية مع رئيس القبيلة أو جيش العدو بين الإغريق والمقدونيين كما هو بين الفرس والإيرانيين، وعلى سبيل المثال نعرف اقتراح قائد القوات الفارسية الإيرانية في آسيا واسمه ساتيبارزانيس Satibar Zanes لتحديد نتيجة المعركة التي لم يستطع أي من الجيشين تقرير مصيرها، وذلك في مواجهة فرد (كوينتوس (VII.33.4)) ، وقد قبل فريجيوس Frigyius المقدوني هذا التحدي،



الشكل 28

وحدثت المواجهة في ساحة مفتوحة بين الجيشين، وقد أصيب المقدوني وقتل، وحينئذ استسلمت قواته (ديودورس 83:5 XVII (Diodorus) (آريان 28.2 III (والموضوع نفسه تكرر بواسطة الدعاية الملكية لدارا (Darius) الثالث، وإحداها تدعى أنه يدين بالعرض لشجاعته العسكرية الباهرة التي أثبتها بانتصاره في مبارزة فردية ضد رئيس الجيش الكادوسيان (ديودورس Strabo XI 13.11 (Diodorus) -جوستين X3.2-5) ، وهذا يمكن مقارنته بسترابو(Strabo) (XI 13.11).

وأخيراً، يمكننا مقارنة التشابه الواضح في رؤية كل من تشارلز كاليثينيز لمعركة إيبوس، وما قد سجله العديد من المؤلفين عن معركة كوناكسا، حيث واجه الملك الشرعي العظيم أرتاكسركسيس (Artaxerxes) الثاني في عام 401 أخاه Cyrus قورش حقوقًا أكبر، وبالرغم من أن مساعديه أثنوه عن المبارزة الفردية ناصحين إياه بعدم تعريض حياته للخطر بهذه الطريقة فقد شعر قورش Cyrus أنه لا يجب أن

يسمح لنفسه بأن يبدو في صورة من لا يستحق الإمبراطورية (بلوتارخ 82) كما فعل الإسكندر (Alexander) ودارا (Darius) في إيبوس قام كل من قورش Cyrus وأرتاكسركسيس (Artaxerxes) بالمنازلة (إن من تنازعوا الحكم وُضعوا في مواجهة فردية مثل تلك المواجهة المأساوية بين الأخوين إيتيكوليس Eteocles وبولينيس Polyniceتلك التي طالما تغنى بها شعراء المأساة (ديودورس (Diodorus) (XIV 23.5).

وتوضح النصوص التي نحن بصددها المنظور الإغريقي أو المقدوني لاحظ إشارة ديودورس (Diodorus) الواضحة للعادات والتقاليد الإغريقية عند الإشارة إلى المبارزة الفردية بين الأخوين في القصة السابقة، ومن المعلوم أن تقليد المواجهة الفردية كان متعارفًا عليه بين أهل مقدونيا في بداية الحقبة الهلينية (أثينيوس IV 155)، وهكذا يقوم بالتوثيق للرؤية الإغريقية للسلطة الفارسية الملكية، ولكنها أيضًا تتجاوزها، حيث إن الرؤية الفارسية التي تروى في قصص البلاط الملكي التي تجعل الملك العظيم في حالة اشتباك ونزال مع أحد منافسيه -كما فهم بوليبيوس Polybius تمامًا- أن قصص البلاط الملكي تتناول التبرير الأيديولوجي، ولا تروى الوقائع الحقيقية لمعركة إيبوس وكوناكسا، وهي بوابة محرفة تاريخيًا، لكن استمر في الانتشار واكتساب المصداقية، وفي الحقيقة، تؤكد تقاليد البلاط على الأهمية المحورية للقدرة الحربية كإطار شرعي لاكتساب السلطة الملكية، وعندما تقع المواجهة بين اثنين من الطامحين إلى العرش لا يمكن حسم الحرب بينهما بدون المبارزة الفردية التي يمنح المنتصر بها الحق في العرش .

الملك الصياد:

إن الصيد كان بمثابة مناسبة أخرى يعرض فيها الملك العظيم شجاعته، وأحد مؤهلات الملك قورش Cyrus الأصغر هي شجاعته كصياد والتي بررت -بالنسبة لزينوفون- طموحات الملك، وهي القدرة

على المواجهة، وتشمل الإنجازات العسكرية وقدرته على استخدام الرمح والقوس، وكذلك حبه للصيد .

(لقد كان الأكثر ميلاً للصيد وأكثر من ذلك، تحديًا للأخطار في مطاردته للحيوانات المتوحشة (Arab 1.9.5-6) ، وعند هذا فهناك صمت في النقوش والرموز الأخمينية -كما شرحنا مسبقًا- ومع ذلك يمكن الاستشهاد بالنصوص الهلينية المتأخرة، وأحد الموضوعات الفنية المتكررة هي قيام الملك بنفسه بقتل وحوش برية لا تحصى، حيث يرجع كوينتوس للإسكندر وحده قتل أربعة آلاف من الحيوانات المتوحشة (VIII 1.19) ، وهذا أيضًا معروف في نقوش السيريان Assyrian أيضًا، حيث يتباهى آشوربانيبال الثاني Assurnaspil بقتل ما لا يقل عن 450 من الأسود البالغة و300 ثور بري بيده المجردة، وقطع رؤوس 200 زعامة، و20 من الأسود الضخمة (Anet 558-60) ، ولم يتخلف عن ذلك خلفاء الإسكندر (Alexander) ، حيث قيل إن ليسيماكوس Lysimachus قد قتل أسدًا ذا حجم هائل (VIII 1.15) بيده فقط، وهذه القصة قد روت ذلك بصورة أفضل .

لقد كان بريديكاس Prediccas الذي رافق الإسكندر (Alexander) في مهمته من الشجاعة لدرجة أنه قد ذهب وحده إلى كهف به لبؤة، ولكنه خرج من الكهف حاملاً أشبالها، وقد نال الإعجاب بسبب هذا العمل العظيم ليس فقط الإغريق لكن من جانب البرابرة أيضًا فقد اقتنعوا أن اللبؤة هي حيوان ذا شجاعة وشراسة ويصعب التعامل معها، ويقال إن قوم الملكة سميراميس (Smiramese)قد ارتفعت لديهم الروح المعنوية ليس لأنها قتلت فهدًا أو أسدًا، ولكن لأنها قد أسرت لبؤة (VHXII : 39) .

وقد بدأت القصة أولاً في دوائر قريبة من بيرديكاس، ولكنها انتشرت أيضًا في الشرق الأدنى، وأسطورة ليسيناكوس Sysinachus تصوره يتغلب على أسد بالغ الشراسة بإمساك لسانه وخنقه بيديه

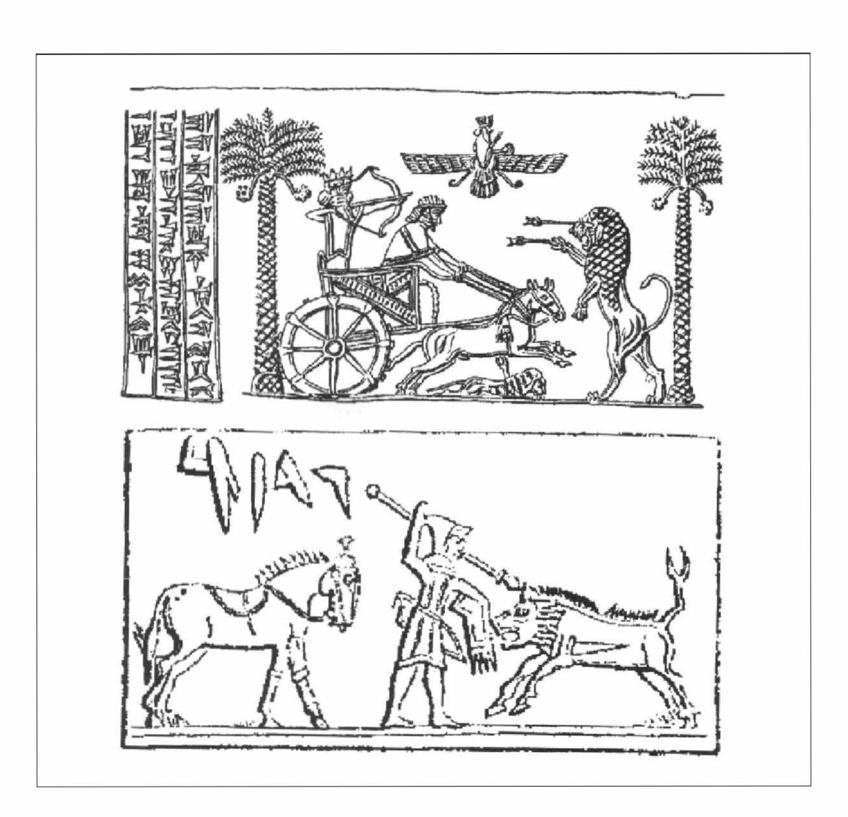
(جوستين XV3.7) ، وبالفعل هذا الموضوع المتكرر معتاد في الفترة الآسيوية في إحدى النقوش، ويفتخر الملك آشوربانيبال الثاني Assurnasipal بأنه أمسك ذات مرة بأسد من أذنيه، ومرة من ذيله، وهذه هي طريقة تصوير الفنانون له وتبعًا لأصول اللياقة، تم حجز معابد معينة للملك ففي العديد من المناسبات يقوم قورش Cyrus بالمشاركة في الصيد وخاصة في ساحة أستياجيز، وفي إحداها يذكر كرسايداس زينوفون أن من حقه أن يطلق أول رمح(Cry 14.14) ، ووجود هذا العُرف في البلاط الملكي الفارسي يؤكده بلوتارخ (Mor 173d) وتقدم قصة ميجابيزوس Megabysus هذا العُرف الملكي .

(انطلق أرتاكسركسيس (Artaxerxes) الأول إلى الصيد وقد هاجمه أحد الأسود، وبمجرد أن قفز الأسد أصابه ميجابيزوس بالرمح وأسقطه أرضًا، وقد كان الملك غاضبًا؛ لأنه قام بقتل الأسد قبل الملك، ولذلك أمر بإعدامه (Stesias 40) وبهذا الفعل، لم يقم فقط ميجابيزوس بمخالفة قواعد العُرف الملكي، ولكنه أيضًا أغضب الملك، ومن المهم أن نذكر أن هذا المشهد تحت رواية في اصطياد أحد الأسود، وتبين نصوص عديدة أن صيد الأسود كان أحد الامتيازات الملكية، وبعبارة أخرى فإن ميجابايزوس قد قلل من قدر الملك وشكك في قدرته كصياد، وكذلك في أهليته ليكون ملكًا، وهذه هي إحدى القصص عن صيد الإسكندر (Alexander)عندما يكون الأسد ذو حجم كبير ومندفع لمهاجمة الملك نفسه وتصادف أن ليسيماكوس Lysimachus الذي أصبح ملكًا فيما بعد، كان بجانب الإسكندر (Alexander) بدأ في توجيه الحربة المعدة للصيد نحو الأسد، لكن الملك دفعه جانبًا وأمره بالتراجع مضيفًا أنه كفيل وحده بقتل الأسد، وقد قتل لسيماكوس أسدًا بمفرده في رحلة صيد في سوريا لكنه أصيب كتفه بجرح نافذ إلى العظم، مما عرض حياته للخطر، وقد عالجه الملك، وقام ايضاً بمنافسته في الصيد حيث قتل الملك الأسد بطعنه واحدة .

وأثناء الصيد الملكي يقوم أفراد البلاط بالمحافظة على حياة الملك، وهناك مكافأة مجزية لمن يساعده في الصيد (ديودورسا XV103)، ولكن في مثال ميجابيزوس ظهر أنه ينافس الملك ولا يعاونه في الصيد .

ليست هناك مشاهد صيد في التصوير الموجود بالقصور، لكنها موجودة بكثرة على الأختام (شكل 29)، وأحيانًا ما يصور الملك وهو يصطاد من عربته الملكية، كما هو موضح في ختم دارا (Darius) الاسطواني الشكل (SDa) ، وكما روتها القصص التي حكاها ديودورس (XV10.3) (Diodorus) وبواسطة بوليباس (شكل 133)، ولكن لا داعي أن نخدع أنفسنا فإن مشهد دارا (Darius) ، وهو يصطاد عربته الملكية في مواجهة أسد ضخم (شكل 299)، تنتمي إلى أسلوب الترويج للأيديولوجية الملكية، وهي ليست واقعية بل مشاهد روائية فعادة ما يقوم الملك بالصيد، وهو راكب حصانه (انظر VHV 174 Aelian) مثل كل شباب الفُرس (يقومون بالصيد برمي الحراب من على ظهر الخيول بالأسهم والنبال)، (سترابو (Strabo) (XV 3.18))، ويؤكد هيرودوت (Herodotus) أنه في أثناء رحلة صيد قام دارا (Darius)بالقفز على ظهر حصانه سريعًا حتى إنه قد عانى من ألم شديد في ظهره ومع ذلك ففي الصيد، مثل الحرب يثبت الملك شجاعته غير العادية، وسرعة تصرفه، ومن أجل هذا السبب كان المشاركون الآخرون إما مجهولين أو تركهم الفنانون الملكيون في الظل في خلفية الحدث .

ويجب التأكيد على أنه في بعض الأختام يتم الخلط بين الملك الصياد والملك البطل حتى عندما يقوم الملك بمواجهة الأسود فإن المشهد يبعد تمامًا عن الواقعية مثلا، على أحد الأختام، يكون الملك مستقرًا على ظهر أحد الخيول مصوبًا رمحه نحو أسد متحفزاً للوثب عليه وواقف على رجليه الخلفيتين، وفي مشهد آخر يكون الأسد في الوضع نفسه على ختم آخر، حيث يكون الملك واقفًا على قدميه ومسلحًا بقوس



الشكل 29

مواجهًا له (فرانكفورت (XXXVI.39.19)) ، ولم يشتمل أي ختم ملكي لدارا (Darius) على ما يشبه التصوير للعيد الملكي، وفي أحد الأختام يكون الملك في عربته واقفًا على رجليه الخلفية، موجود أسد آخر أصغر حجمًا راقدًا تحت حوافر الحصان، وقد أصابه أحد السهام الملكية (SDa 29) ، وفي أحد الرسومات يواجه الملك أحد الوحوش التي تشبه تلك الموجودة في بيرسبوليس، والملك في عربته مسلح بقوسه يواجه وحشًا مجنحًا ذا قرون، واقف أيضًا على أقدامه الخلفية (فرانكفورت (XXX VII,n) .

5- الملك والأرض والماء:

المُزارع الصالح:

يمكن للملك العظيم، وهو المحارب الفذ أن يشارك في أعمال الزراعة ويزيد من ازدهار الحقول، وقد طور زينوفون هذا الموضوع الغني بإصرار خاص في كتابة بعنوان الاقتصاد، ومن أجل ذلك جعل المتلقي يصدق ويفهم جيدًا أهمية كل من الحرب والزراعة، وهو يعطي أمثلة للملك إلى الفُرس: (هل تخجل من تقليد ملك الفُرس؟ لأنهم يقولون إنه يهتم بالزراعة وبفنون الحرب؛ لأنه يؤمن أن كلاً منهما له الأهمية القصوى (IV4) .

ثم يعود زينوفون بلا كلل إلى موضوعه، (وبالنسبة للبلد فهو شخصيًا يراقبها وبتابع تقدمها، والمهمة الموكلة بالحكام هي ضمان كثافة بلدهم بالسكان، وأن الأرض مزروعة جيدًا ومليئة بالأشجار المثمرة (IV.8) ، ومن أجل التوضيح للسياسة العامة اهتم زينوفون بالإشارة إلى البساتين، وعلاوة على ذلك، أضاف سقراط أنه في كل الأحياء التي أقام بها توجد بساتين أو جنات كما يسمونها مليئة بكل شيء جيد تنتجه الأرض، وفيها يقضي معظم وقته ما عدا عندما يحل موسم الحصاد .

يقول كريتوبولاس: قسما بزايوس: (ومن المهم طبعًا أن نقوم برعاية هذه الجنان التي يقضي فيها الملك معظم وقته حتى تمتلئ بالأشجار وبكل الأشياء الجيدة التي تنتجها الأرض .

وفي موضع آخر يركز أيضًا زينوفون على أن ملكه قورش Cyrus قد أمر كل والٍ أن يقيم الجنان والبساتين (CyrV III6) ، وتبين النصوص الكلاسيكية وجداول بابل، وأيضًا جداول قليلة من بيرسبوليس وجود إحدى الجنان في كل إقليم، وكانت حديقة Tissapharnes تيسافارنيس في سارديس أجمل واحدة في جنانه، حيث قام ببناء الممرات وطرقات

لاستراحة الملك، وهي مزينة بطريقة فاخرة ذات فن رفيع (بلوتارخ 24.7) .

وقد عُرفت جنة داسيليام Dascylhum في اليونان بالخصوبة وبسحر المناظر بها (زينوفون IVI Hell 15-17) ، وهذه الصفات مصورة في لوحات وأختام عديدة توجد في الموقع، وقد كتب كوينتوس عن إحدى هذه الحدائق بالقرب من إكباتانا أن مواطن الإقامة في هذه الحدائق ذات سحر وجمال، حيث تم تخطيطها ووضع التصاميم والفراغات بها بطريقة فنية، حيث كانت أماكن خاصة بالترويح، للملوك والحكام (VII 2.22) ومع ذلك، فلم تكن هذه الحدائق فقط أماكن مفتوحة للصيد، بل للترويح .

وعندما كان سقراط يحاول إقناع كريتوبوليس أن قورش Cyrus الأصغر (سوف يثبت أنه حاكم متميز) (OecIV) ، فقد استشهد بعدة أمثلة لإثبات وجهة نظره بما فيها وصف ليساندر Lysandar لجنة قورش Cyrus الأصغر في ساردیس .

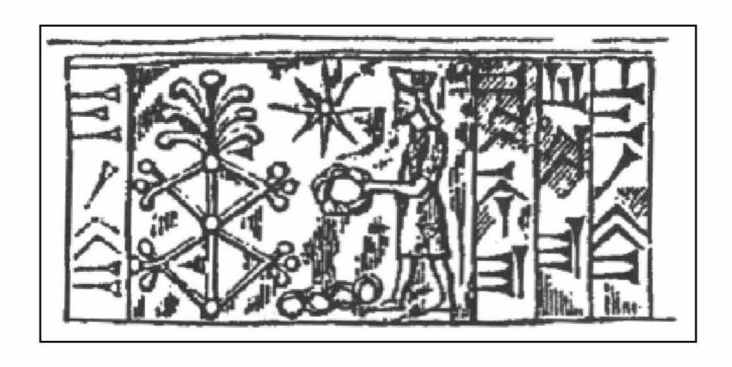
لقد أعجب ليساندر بجمال أشجارها ودقة المسافات بينها واستقامة صفوفها وانتظام الزوايا وتعدد الروائح العطرة والمشاهد الرائعة التي تتدلى حول من يمشى بها، وبسبب دهشته من هذا الجمال صاح (يا قورش) :Cyrus إنني في غاية الإعجاب بهذه الأشياء الجميلة، وأنا معجب أكثر بمهارة واليك في القياس والدقة الشديدة في التصميم).

وقد سعد قورش Cyrus بسماع هذا، وقال: (حسنًا إن كل هذا القياس والتخطيط من عملي الشخصي، بل قمت ببعض الزراعة بنفسي)، وصاح مخاطبه (ماذا يا قورش؟) أأنت الذي صنعت هذه الحبال ذات الجمال والرائحة الذكية وهذه العقود الساحرة، وكل الأشياء الثمينة التي يرتديها، هل زرعت جزءًا من هذه النباتات بيديك هاتين؟ (هل يدهشك هذا يا ليساندر؟ إنني أقسم بإله الشمس أني لم أجلس قط لتناول العشاء عندما تكون صحتي بخير قبل أن أقوم أولاً

بالعمل الجاد في مهمة حربية، وللزراعة حتى أرهق نفسي بهذه الطريقة-IV 20)
50)، ولا شك أن ما يرويه زينوفون قد جاء من رؤية خاصة لتمجيد قورش Cyrus الأصغر، والإشادة بصفاته الملكية، وأن الربط بين الملك العظيم والزراعة كان أحد العوامل المكَونة للأيديولوجية الملكية الأخمينية، وذلك بالمقارنة المنتظمة بين خضرة الجنان والصحراء القاحلة حولها، حاول المؤلفون الكلاسيكيون - بدون إدراك تام- المشاركة في مدح السلطة الملكية القادرة على إيجاد الازدهار والزراعة في مواجهة الظروف الطبيعية غير المواتية ولكن في القطعة السابقة فإن زينوفون -وهو المؤلف الوحيد الكلاسيكي الذي حافظ على هذه الرواية- وقد نسب صفة أخرى مميزة للملك: وهو أنه يزرع بنفسه الأشجار، وهذا ليس اختراعًا من المؤلف ينتسب إلى المرحلة الهلينية، ونستطيع الاستشهاد بقطعة أخرى من كتاب إيثار Esthar الذي يسجل تنظيم الاحتفال من قبل كسركسيس Xerxes في مقبرة في صوصا، وقد كان الاحتفال (مجاورًا لقصر الملك (5:1)، وفيها يقول الراوي: (في البهو الواسع للحديقة والغابات التي زرعت أرضها باليد الملكية بروعة تليق بهذه الأيدي والأهم من ذلك وجود أدلة رمزية تفسر وتؤكد الغرض وراء الدعاية عن الملك الزارع، فهناك ختم اسطواني من الحقبة الأخمينية، وفيه يقوم الملك مستخدمًا عصاه الطويلة لقيادة اثنين من الثيران ذوي السنام، وهم يجرون محراثًا، وهناك مشهد شبه مماثل مع هذا على عمله من صوصا في صقلية، ويوضع مشهد العمل على أحد وجهي العملة، ويعلوه قرص مجنح، كما يظهر المشهد في الوجه الآخر للعملة بقرة تُرضع وليدها.

ومن هنا لا مجال للشك في أن الملك يظهر في هذه الدعاية كزارع للبساتين.

كسركسيس (Xerxes) وشجرة الجميز:



الشكل 30

وهناك مشاهد أخرى تشهد على العلاقة بين الملك العظيم والحياة النباتية، ففي أثناء قصة مسيرة الملك كسركسيس Xerxes بين فريجي وسارديز، يذكر هيرودوت (Herodotus) بالتحديد، وقد تكرر أن صادف الملك شجرة جميلة حتى إنه قد تأثر لدرجة أن قام بتجميلها بالزينة الذهبية، وأن يترك وراءه أحد الحراس الدائمين للعناية بها (II 13) ، وقد انتشرت القصة بشكل كبير بين الإغريق، وهناك نسخة أخرى من هذه الحكاية في مسير الملك كسركسيس (Xerxes)في رحلة عودته من أوروبا حيث شجرة ضخمة (جميز) ملتصقة بطريقة إعجازية بشجرة زينوفون (Plincy VH VV I 42) ، وفي كتابة التاريخ الحقيقي، يعود إيليان مرتين إلى هذه الحكاية .

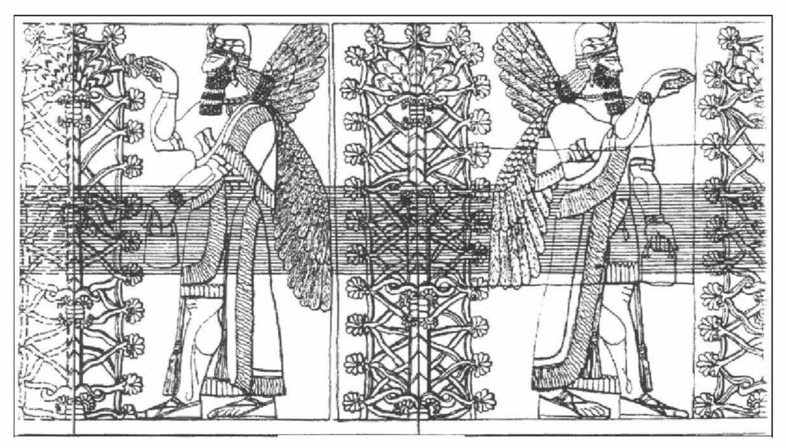
لقد كان الملك كسركسيس (Xerxes) مهملاً إذا كان حقيقيًا أنه يحتقر البحر والبر، فإن العمل اليدي لدارا يتمتع بحرية وبرؤية جديدة، وقد كان واهب للشجرة الكبيرة التي أعجب بها، يقولون في ليديا إنه قد رأى شجرة هائلة فتوقف عن العمل لهذا اليوم بدون ضرورة، وقد جعل المنطقة القاحلة حول الشجرة معسكرًا له، وقدم لها الحلي الغالية، حيث وضع العقود على الفروع، وكذلك السوار، وقد خلف وراءه من يعتني بها ويرعاها، كما لو كانت امرأة وقع في حبها، ما هي الفائدة التي عادت على الشجرة من هذا العمل؟ لقد سقطت الزينة من عليها حيث لم تكن جزءًا منها، وكانت معلقة بدون أية فائدة، كما لم تزد من جمالها ما قام به لأن سبب جمالها الشعر يرجع إلى الفروع الجميلة والأوراق الكثيفة والجذع والقوى والجذور العميقة والحركة مع الريح والظلال التي

تنشرها وتغير مشهدها بتغير فصول السنة، وهكذا فإن ذهب الملك الهمجي لم يحسن من وضعها أو يزيد شرف أي نبات آخر. (II-1)

وهذه هي طريقة حكم إيليان على السلوك الملكي بقوة وبلا رحمة في هذا الموضوع أو أي موضوع آخر، وهي تتضمن من بين أمثلة الحب الغريب الذي يدعو للسخرية، ومن أجل هذه الأسباب التي تشمل العاطفة التي يعبر عنها أحد شباب أثينا لأحد التماثيل أو الارتباط بين الإنسان والحيوان (IX39) ، وهذا التقرير (الذي لا يوجد له أثر عند (هيرودوت (Herodotus)) ، يأتي من الرؤية السلبية لكسركسيس (Xerxes) تلك التي صدرت عن كل الكتاب الإغريق الذين يتبعون مصدر إلهامهم وهو إيليان، قد أدانوا تواضع الإنسان الذي لم يبالِ بمخالفة قوانين الإنسان والإله بعمل الجسور في البحار، والاتجاه نفسه الذي قاده إيليان بافتراض توازن الطبيعة والتحديث وتطعيم قوانين الطبيعة التي لم تسمح بالعاطفة غير الطبيعية بين ما هو بشري وما هو غير بشري مثل تلكالتي بين الإنسان والشجرة ونمو الزراعة التي قد تسمح أو لا تسمح به قوانين الطبيعة وعناصرها (الماء والريح والفصول)، وجهد المزارعين (قنوات الري)، وفي وجهة النظر تلك، يصبح التدخل الشخصي حتى لو كان لملك يمثل قوة كسركسيس (Xerxes) عديم الفائدة في مقابل قيود الطبيعة التي لا تقهر .

وفي ضوء وجهة النظر تلك يتضح لنا أن إيليان لا يفهم شيئًا عن قوانين البلاط التي قرأها ربما في كتابات هيرودوت (Herodotus) نفسه، فهو قد بالغ بالتفاصيل غير الحقيقية حتى تعجب كتاباته الحالية العامة بقراءة الإغريق، إذا أُعيدت قراءة ما كتبه للقراء الفرس أولاً والإيرانيين، فإنه يثبت العلاقة الخاصة بين الملك وكل الحيوانات، فالهدايا التي قدمها للشجرة الضخمة هي من النوع نفسه الذي يقدمه لأتباعه المخلصين والمحسين (وهي الأساور والعقود والجبال المزينة)، وهم الرجال الذين

يعترف بولائهم البيت الملكي والشخص الملكي نفسه (فصل 1/8)، وقد زينت الشجرة بطريقة تزيين المشاهد نفسها لدى وضع للعناية بالشجرة، وتلك المجوهرات التي زينت الشاهد وصفها كوينتوس بما يلي: (وهي بصورة تفسر المجوهرات التي ترمز إلى فخامته التي تقدم لدى المناصب المهمة الذين ينالون العقود الذهبية والحبال المرصعة بالذهب والمجوهرات(III 3.13) ، ولكن بعضها كانت مما يرتديه الملك نفسه، كما يتركز زينوفون مؤكدًا أن هذه المدينة لم تعق قورش Cyrus الأصغر عن زراعة الأشجار .



الشكل 31

لا يوجد أدنى شك في أن هذه القصة تستجيب لما يسمى الاتجاه القلقي لحب الأشجار، وهناك أختام عديدة تفسر وتوضح هذه المشاهد أحدها هي نقش لكسركسيس (Xerxes) ، وهي تبين شخصًا يرتدي زي الملك الفارسي، ويكاد أن يضع تاج الملك على شجرة ترمز للحياة (Ske 30) ، وهناك ختم شيق وهو يتناول حارسين (مثل حراس صوصا وبيرسبوليس)، ويقفون في وضع ثبات عسكري، والحراب مستقيمة

ومتنحية أمامهم على جانبي نخلة، ويحلق القرص المجنح على المشهد، وهنا نتذكر الشاهد الذي وضع الحراسة للشجرة التي كرمها كسركسيس. (Xerxes)

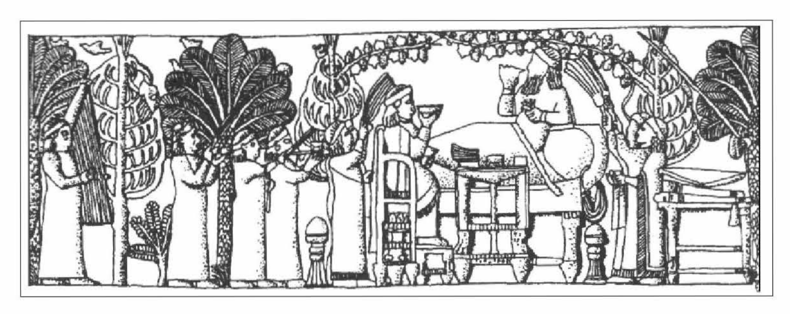
شجرة الجميز والعنب الذهبية للملك العظيم:

تمت المبالغة في القصص التي رواها كل من إيليان وهيرودوت (Herodotus)وذلك باستخدام العناصر الفنية للزينة المختفية حاليًّا التي تزيد من فخامة قصر الملك الفارسي، حيث سجل هيرودوت (Herodotus) أنه أثناء مرور الملك عبر آسيا الصغرى في عام 513 قام الثري Paythuse باثيوس من ليديا بزيارة الموكب الملكي، وقدم الملك العظيم شجرة الجميز والعنب الذهبية، وقد كان وجود مثل هذه الزينات المقلدة على شكل نباتي معروف جيدًا لدى الإغريق، حيث أشار أنتيوتاس Anttutus إليها عندما عاد من مهمة رسمية للملك العظيم في عام 367 (وقد اعتقد أن ثروة الملك وأمواله لم تكن إلا ادعاءً؛ لأنه قال إن الشجرة الذهبية التي طالما وددنا رؤيتها لم تكن بالضخامة الكافية لتوفير الظل لحيوان صغير (زينوفون VI.38)، وعندما قام أنتيجونوس Antigonus ذو العين الواحدة بمعاينة وجرد الخزانة في قلعة صوصا في عام 316 وجد شجرة العنب الذهبية وعدد هائل من الآثار الفنية تزن ثلاثين ألف رطل (ديودورس (Diodorus) (XIX 48) .

والتقارير التي كتبها المؤلفون الهلينيون التي نقلها أثيفاوس أكثر تحديدًا، ومنهم شالز من ميتيلين، وهي تشهد بالروحية التي تمتع بها الملك العظيم، وقد ذكر تشارلز أنه (في غرفة النوم، توجد شجرة العنب الذهبية وهي ذات براعم مصنوعة من المجوهرات الثمينة، وتمتد على طول سرير الملك، كما يذكر أمينتاس Amintas أن (هذه الشجرة كانت ذات عناقيد تكونت من أنقى المجوهرات المتألقة (II.514) ، كما كتب فيلاركوس Phylarcos أن شجرة الكرم الذهبية التي اعتاد ملوك الفرس

الجلوس تحتها وعقد الجلسات ذات عناقيد الكريستال الأخضر والياقوت الهندي وجواهر أخرى من كل نوع، وهي عالية إلى أقصى حد بالرغم من أنها تبدو خلاف ذلك، وأقل قيمة في الحياة المسرفة اليومية التي يحفل بها بلاط الإسكندر (Alexander) .

ربما كانت القصور الأخمينية هي مصدر إلهام الزينة التي وجدت في قصره مرصعة بالذهب في كل الممرات، وقد نحتت شجرة كروم بالذهب، وكذلك الطيور الفضية، مما سبب السعادة الكبيرة لكل من شاهدها إعجابًا بالتكوين البديع توينتوس (III 8.20) ، وهنا نتذكر المأدبة الفاخرة التي تمت في أسبيريان تحت ظلال الأشجار، ومما لا شك فيه أنه في الشرق الأدني كما في كل بلاد العالم القديم كانت تمثل شجرة الكرم رمز الخصوبة والغنى، وزيادتها كانت دليلاً على السلطة، وهناك تغيير جيد في الحلم الذي يقول هيرودوت (Herodotus)أن ميديان قد رآه بعد وقت قصير من زواج أخته مانوان من الملك الفارسي قمبيز (Cambyses) .



الشكل 32

لقد رأى في المنام أن شجرة العنب قد نبتت من أحشاء أخته، وانتشرت في كل أنحاء آسيا، وقد حكى للمفسرين عن هذا الحلم، ثم أرسل إلى أخته والتي أصبحت الآن في مرحلة الحمل، وعند وصولها،

جعلها تحت الملاحظة الدقيقة بقصد التخلص من الطفل بسبب حقيقة أن الماجوس قد فسروا الحلم بأن نسل البنات سوف يغتصب منه العرش .

وتحت هذه هذه الدعاية الحسنة ولد قورشٍ Cyrus وشجرة الكرم التي نبتت من أحشاء ماندان لم تكن إلا رعاية الأقدار له، حيث إن قصص فتوحاته قد انتشرت في كل أنحاء آسيا، وهذا بالضبط ما فهمه ميديان الملك (وهذا الحلم قد أنبأ بعظمة الطفل الذي سوف يولد والأستياجيز Astyges بنهاية عرشه، ومن هنا تمت محاولة التخلص من الطفل والنهاية السعيدة التي حددها القدر لهذه الأسطورة .

أرتاكسركسيس (Artaxerxes) الثاني في الجنة:

في الإطار الأيديولوجي للفترة الأخمينية لدينا مشهد ثانٍ على العلاقة بين الملك العظيم والحياة النباتية في كتابه حياة أرتاكسركسيس (Artaxerxes) يحدثنا بلوتارخ عن الصعوبات التي واجهها الملك وجيشه بعد عودتهم من حملة ضد الكادوسيسين، وقد عانى الجيش من نقص شديد في المؤن حتى إن الطهاة لم يستطيعوا أن يُعدوا العشاء للملك (3.24)، ثم روى بلوتارخ في الطرفة التالية: (وعند وصولهم إلى أحد قصوره الذي كان يحتوي على زهور الزنبق الرائعة وسط منطقة قاحلة بدون أشجار، وقد كان الطقس باردًا جدًّا، وقد أعطى التفويض لجنوده بأن يزودوا أنفسهم بالأخشاب بقطع أي نوع من الأشجار بدون استثناء حتى أشجار الصنوبر والسرو، وعندما ترددوا من أجل الحفاظ عليها لكونها أشجارًا ضخمة وجيدة، فقد تناول الفأس بنفسه وأسقط أضخمها وأجملها، وبعد ذلك استخدم رجاله معاولهم وصنعوا نيرانًا عظيمة وقضوا الليلة في دفئها) (1.25) .

يتضح من هذه القطعة أنها موضوعة بهدف تفسير فضائل الملك أرتاكسركسيس (Artaxerxes) الثاني الذي أراد بلوتارخ أن يؤكد على شجاعته، وقوته البدنية، بالإضافة إلى قدرته على القيادة (9.24)، وكان

الارتباط بين الملك والكلأ (طعام الخيول) معلومًا جيدًا للجنود لدرجة أنهم قد ترددوا في قطع الأشجار، وبالرغم من تصريح الملك بذلك، وهذا يؤكد دور الملك باعتباره المدافع عن الأشجار؛ لأن الجنة لا بد أن تظل (غير مدنسة)، وهذا يعني أن تكون خالية من تخريب الحرب (كوينتوس III 123) (بولبياسXXX129) ، وكان قطع الأشجار في تلك الجنة يعد إهانة لعظمة وجلال الملك العظيم، ومن العجيب أنه تبعًا لديودورس (Diodorus) صقلية (XVJ 41:5) فإن أول عمل عدائي ثوري قام به الفينيقيون ضد الملك أرتاكسركسيس (Artaxerxes) الثالث كان قطع وتخريب الحدائق الملكية التي اعتاد أن يأخذ ملوك الفرس فيها فترات الاستجمام والترفيه، وبالمثل، فإنه تحت زعم الانتقام قام قورش Cyrus الأصغر بتخريب جنة الوالي Belsys بيلسيز الذي انحاز إلى أرتاكسركسيس (Artaxerxes) الثاني (زينوفون) 142، وكذلك قام الملك الإسبرطي أجيلونز Ageyluns بتخريب باثين وجنان Tissphernes تيافنيرنز (ديودورس XIV 80.2).

دعونا نؤكد -كما في نسخة إيليان وفي نصوص أخرى كثيرة- أن بلوتارخ يركز على التناقض بين جفاف وضراوة البيئة المحيطة بالريف مع الثراء والتآلف لهذه الجنان، ومن كل أنواع الأشجار يولي بلوتارخ أهمية كبيرة لأشجار الصنوبر والسرو؛ لأن هذه المناطق تزدهر فيها مثل تلك الأنواع من خلال عملية التقليم التي تتم تحت الرعاية المكثفة، وهي بالفعل تحت مبادرة من الإدارة الملكية، ويشرح سترابو (Strabo) الصعوبات التي واجهت الملك الإسكندر (Alexander) في أعوام 324-325 في الحصول على الأخشاب من بابل، حيث إن أهل بابل عانوا من (ندرة في أخشاب الزان) حتى إن الإسكندر (Alexander) اضطر إلى أن يضحي بأشجار (السرو في الحدائق والأماكن الفضاء) (xv.1.11) ، وفي بيرسبولويس هناك الكثير من الرسوم محاطة بصفوف أشجار الصنوبر أو السرو .

مقبرة كليرشوس في نطاق الموضوع الذي نتناوله، فإن مقبرة كليرشوس Clearchasوهو أقرب المقربين لقورش (Cyrus) الأصغر الذي أشاد بقدراته كقائد عام للجيش المؤرخ زينوفون، بعد معركة توناكسا بوقت قصير وقع كل من كليرثوس وبعض القادة الإغريق أسرى في أيدي الوالي الفارسي نيسافيرنيز (31.5.11)، وبالرغم من ادعاءات زينوفون، فإنه لم يقتل في الحال، بل سجن تبعًا لما رواه ستيسياس Ctesias الذي أقام علاقة فيما بعد مع هذا القائد، وكان ستيسياس يتبع تعليمات أم قورش (Cyrus) الأصغر، وتسمى Parysatis التي أوضحت رغبتها لتكريم ذكرى ابنها المفضل، وعكس رغبتها استسلم أرتاكسركسيس (Artaxerxes) لإلحاح زوجته Stateria ستاتيريا، وقام بإعدام كليرشوس (بلوتارخ 4.18)، وفي هذا الموضوع يصف ستيسياس الأجنحة المقدسة التي اصطحبت دفن كليرشوس .

لقد كان المشهد غير عادي، ارتفعت الأجنحة المقدسة، وظهرت حول الجثة وبطريقة تلقائية، ارتفع الحداد وكان حول الجثة ريح عظيم (Soo) ، ويسجل بلوتارخ الحدث بتفصيل أكثر، وقد أضاف تفاصيل مهمة، وبالنسبة لآثار كليرثوس وبقايا جثته، فقد حملتها هبة ريح شديدة تحمل أمامها كومة كبيرة من الأرض، وارتفعت لتغطية الجثة، وقد نمت الأشجار حول القبر وقامت بتظليل المكان .

ويعتبر بلوتارخ بوضوح معلومات ستيسياس Ctesias عديمة القيمة مضيفًا أن هذه القصة هي من التاريخ الجنائزي الذي يهدف إلى تكريم كليرشوس، ويضيف أنه لو نمت الأشجار، فإن هذا لا يكون بهذه السرعة والتلقائية، والشكوك هذه في محلها، ولكن Ctesias لم يقدم هذه المعلومات من أجل ولائه فقط لإسبرطة (لأن كليرشوس كان إسبرطيًا)، ولكنه نقل رأيًا كان رائجًا في دوائر بلاط باريسانيس Parysatisالتي كانت تحاول مرة أخرى تخليد ذكرى ستيسياس باختلاق

قصة عن الصديق المخلص الذي واجه الموت بسبب ولائه للملك، ويقارن ستيسياس بين مصير كليرشوس واقدار القادة الإغريق الذين (مزقتهم الكلاب والطيور)، وتشير هذه التفاصيل إلى التقاليد الجنائزية المعروفة في شرق إيران، والتي كانت تمنع الدفن في باطن الأرض، وتتوقع أن تنزع الطيور والحيوانات اللحم من الموتى (فصل 9/2)، وهكذا نجد أنفسنا في إطار ديني من اجل الخلود، ويؤكد مجمل قصة ستيسياس -كما كرره بلوتارخ- أنه: عندما رأى أرتاكسركسيس (Artaxerxes) الحفرة الفاخرة التي أصبحت فيما بعد قبر كليرشوس فإنه (أعلن عن حزنه؛ لأنه قد قتل شخصًا مقربًا للآلهة (Ptilos 18.8) وبعبارة أخرى، إن الدعاية التي أطلقها أعوان باريباتيس قد تكررت وأكدت على الأيديلوجية الملكية التي نتناولها في بحثنا هذا وبين علاقة الملك مع الآلهة، فقد كان ضامنًا للرخاء، وقد كرمته عن طريقة الزراعة التي ازدهرت بدون تدخل الإنسان، حيث خلقت الآلهة جنة على شكل القبر المقدس حتى إن ظلال الأشجار قد غطت المكان الذي كان يقع في منطقة قاحلة، وقد أرسلت عبر كليرشوس -كما قال ستيسياس- (إشارة من الآلهة تؤكد على الصفات الملكية لوريث الملك قورش الأصغر التي أحب أن يكتسبها.

منزل الأمطار ومسير السحاب:

لقد تجلت القدرات الملكية أكثر بواسطة عوامل الطبيعة، وكانت أوضح علامة على ذلك، هي إشارة بوليانوس Polyarnus إلى حملة دارا (Darius) ضد خائن من آسيا الوسطى (VII 1.12) ؛ لأنه بسبب خيانة سيراكيس، دليلهم في الصحراء، وجد الجيش نفسه في منطقة جرداء تمامًا بدون ماء أو طعام حتى إنه لم يسكنها أي طائر أو حيوان يمكن رؤيته، وقد جاء الخلاص والنجاة على أيدي دارا (Darius) نفسه .

فقد تسلق جبلاً عاليًا، وبعد أن غرس رمحه في الأرض ووضع

العمامة والتاج الملكي على الحبل الملكي، ومن المدهش أنه قد صلى لأبولو لكي ينقذ الفرس ويرسل لهم الماء من السماء، وقد استمع الإله لصلاته وهطلت الأمطار بغزارة .

وهذه القصة التي رواها بولينوس يتضح أنها ذات أصل فارسي، وقد تكررت التفاصيل في أماكن أخرى: المكان المقدس (جبل) الوقت (شروق الشمس) المتوسل (الملك)، وغالبًا الصلاة والعبادة تتم بواسطة الفرس لقوى الطبيعة، (حيث عبدوا الشمس والقمر والأرض والنار والماء والريح) (هيرودوت (Herodotus 1013، وعلاوة على ذلك، فإن الخائن قد (استدعى عوامل الطبيعة والنار الخالدة والماء المقدس) ليشهدوا فعله في حضور دارا. (Darius)

فقط، لم يذكر اسم الإله، وقد ذكر بولينوس أبولو الذي يرمز غالبًا إلى ميثرا Mithra في المصادر الإغريقية، وغالبًا ما يرتبط اسم أبولو بالمطر، وقد كان مطلق الماء، لذلك صلى له من كان يريد الماء، وخاصة وقت الجفاف والحرارة، وهكذا كان الملك الوسيط بين الآلهة والبشر، وهكذا يكتسب دارا (Darius) كل صفات الملكية مثل الجبل والصولجان والعمامة والتاج حتى إن الصولجان (الرمح) الذي ضرب في الأرض هو الذي سبب سقوط المطر، وعندما قبلت صلاته، فإن الإله قد أعطاه صلاحية للملك، وهذه القصة التي وضعها المؤلف في بلد يتحدث الإيرانية قد صيغت من أجل إلقاء الضوء على علاقة الملك الممتازة مع الآلهة، وهكذا يتحكم في عوامل الطبيعة .

ويقدم ستيسياس دليلاً آخر للقوى الكونية التي يتمتع بها الملك العظيم، تلك المحفوظة عند فوتيوس Photius من بين كل المعجزات التي حكى عنها في الهند يتحدث ستيسباس عن نافورة تمتليء كل عام بالذهب المسال: (وقد تناول أيضاً وجود الحديد في قاع النافورة، وقد ادعى ستيسياس أنه قد صنع سيفين من هذا المعدن، أحدهم كان هدية من

الملك والآخر هدية من أم الملك باريساتيس، وبالنسبة إلى هذا الحديد، يقول إنه لو طعنت به الأرض، فإنه يعيد اتجاه السحب الكثيفة والبَرَد، والعواصف، وقد ادعى أنه رأى الملك يفعل ذلك مرتين بعينيه، وهناك على الأقل عنصر واحد مشترك بين كل النصين، ولكي ينزل المطر أو يحول العواصف، يجب وضع رمز ملكي داخل الأرض (الرمح-السيف) كطقوس للتذلل للآلهة .

وتذكرنا نصوص ستيسياس وبوليانوس عما كتبه هيرودوت (Herodotus) عن تقاليد دينية معينة للسيثيان Scythian فهم لا يقيمون التماثيل حسب تقاليدهم الدينية الخاصة التابعة للفرس، وكذلك لا ينشؤون المذابح أو المعابد لآلهتهم ما عدا معبودم أريز Ares الذي تقدسه معظـم القبائل الفارسية، وقد أقاموا له مدرجًا ومنصة يقول عنها هيرودوت (Herodotus) (وفي أعلاها يغرس سيف حديدي قديم وهو رمز لأريز Ares ، اقام ويتم ذبح الخيول والحيوانات الأخرى قربانًا لهذا السيف، وهو يرمز لإله الحرب والرياح .

وهناك شاهد للعلاقة بين الملك العظيم والعاصفة وفي الأساطير، ففي رواية نيكولاس الدمشقي أن أول مواجهة بين ميديس Medes وقورش (Cyrus) حدثت في فارس بجانب مدينة باسارجاداي حيث سارت أحداثها في صالح ميديس الذي حاصر قورش (Cyrus) في جبل، وقد اتخذ قورش (Cyrus) طريقه إلى مذبح والديه وقدم قربانًا على مذبح من شجر السرو والغازوقدم قرباناً من الشعير والدقيق، وبدأ اشعال النار بالاحتكاك البدائي تذللا وتواضعاً بنفس طريقة إشعال الرجل البسيط الذي لا يملك أية أدوات، وفي الحال أتى البرق والرعد، وهكذا أدى قورش (Cyrus) فروض الطاعة، ثم امتطى جوادًا وتبعته طيور خير، وهي من النوع المفترس التي نظمت وليمة عظيمة من جنود الأعداء، حيث دارت بينهم حرب طويلة وشرسة وشجاعة .

ويبدو أن دارا (Darius) قد صلى لإله العواصف من أجل تشجيع جنوده، ثم جاءت الاستجابة، وأكدت شرعيته كملك وقائد ذي قدرات قيادية وأخيراً، دعنا نؤكد أن هذه الأسطورة يرجع أصلها إلى بلدة ميثراديتس الفارسية، ويسجل بلوتارخ أن عاصفة قد هبت على مهده عندما كان وليدًا، وقد حرقت النار المقدسة ملابسه، لكن الطفل لم يصب بسوء بالرغم من أن الطفل ظل به أثر على جبهته من النار، وهذه العلامة المقدسة نفسها قد أهلته للملك (بلوتارخ 64 ZaMor-1.6.2).

6- بين الإنسان والإله:

الصلاة الملكية:

من بين كل ما تقدمت مناقشته، يتضح لنا أحد أهم وأقوى الأسس الأيديولوجية للملكية الأخمينية، وهي بالتحديد التوحد والتعاون (ص241) بين الملك العظيم والآلهة، ويذكر دارا (Darius) أنه قد نال سلطته الملكية من أهورا-مازدا الذي يدين له بالانتصارات وسلطانه على الشعوب المقهورة والمتمردة، وكذلك حمايته، وبعكس رأي المؤلفين الإغريق، لم يعتبر الملك نفسه إلهًا وكذلك لم يكن إنسانًا عاديًّا، ولكن بفضل ما ناله من فضائل متميزة من الآلهة، فقد كان فوق مرتبة الرجال والبشر، وقد ساعد البروتوكول الملكي على التذكير دائمًا بهذا (الفصل السابع)، حيث كانت مكانته موضع التقاء ما دونه من بشر، وما يعلوه من آلهة، وهو يقوم بدور الوسيط بينهم، وقد كان أهورا-مازدا (أكبر هذه الآلهة الذي خلق السماء والأرض والبشر والواهب للسعادة والرخاء والمهابة للإنسان، وهو الذي جعل دارا (Darius) ملكًا، وبسط ملكه فوق ربوع الأرض) (DPg) وعلى هذا، فإن الملك يعد بمثابة وسيط بين عالم البشر وعالم الآلهة، وقد توسل دارا (Darius) إلى أهورا-مازدا كي يحفظ له الملك والبيت والأب هيساتسبيس Hystaspes وولي العهد، وأن

يعينه بالسلام والرخاء للشعب الفارسي كما ظهر في نقش في مدينة بيرسيبوليس: (فليعينني أهورا-مازدا مع كل الآلة في البيت الملكي، وليحمي هذا البلد من الأعداء، ومن الجدب (الجوع والعطش)، ومن الكذب، ومن وقوع البلد في يد جيش العدو أو المجاعة، وهذه هي صلاتي التي تعد منحة من الآلهة للبيت الملكي، فلتمنحني عطاياها، وفي هذه الصلاة يستجدي دارا (Darius) أهورا-مازدا أن يحميه، وأن يحمي البيت الملكي، وفارس من العدوان الخارجي (الجيش) والثورة (الكذب)، وكل منهم يؤدي للهلاك في الحقول (المجاعة)، وهنا الأصل هو الفضائل الملكية: (المحارب الصالح (الذي يطارد جيش العدو)، والملك العادل (الذي يحارب الكذب)، وحامي الأرض والفلاحين (وهو مصدر ازدهار الحقول) .

وعند هذه النقطة يجب أن نؤكد أنه -طبقًا لهيرودوت - (Herodotus) إحدى القواعد التي تحكم القرابين الفارسية هي (ليس مسموحًا للعابد الحقيقي أن يصلي طالبًا نعمة خاصة أو شخصية، ولكن فقط للملك، وللصالح العام للمجتمع الذي يكون الإنسان جزءًا منه) (132.1)، وهذه العبارة تبين الشعور بانتماء الفرد لمجتمع عرقي ثقافي يرمز له هنا بالآلهة، والملك بالطبع جزءًا من هذا المجتمع، وفي هذا المعنى يؤكد دارا (Darius) على طلب الحماية له وللأسرة الملكية، وللفرس عامة طلبًا للتوحد مع الشعب، وقد تم استثمار الدين نفسه مع جلال الملك، حيث يجب على أي فارسي طلب النعمة والحماية للملك إذا قام بتقديم أي قربان .

الدين الرسمي:

يشهد كل إعلان للملكة بوجود دين للدولة يكون ذو صبغة رسمية يلعب فيه الملك الدور الأساسي (CyrVIII 1.3) ، وقد خصص زينون فقرة طويلة للآلهة والقرابين التي قدمها لها الملك قورش (Cyrus) (Cyr VIII

3.11)، وأن إقامة الملك في فارس كانت السابعة له (VIII7.1) من أجل القربان المعتاد، ولا شك أن الملوك العظام تكرر رجوعهم لفارس من أجل هذه الطقوس الدينية التي كانت منظمة بواسطة التقاليد في تقاديم دينية، وهو ربما ما يذكره ستيسياس عندما وصف نهاية حياة دارا (Darius) كما يلي: (وعند عودة دارا (Darius) إلى فارس قام بتقديم القرابين (Persica 9) ، وهذا يشير إلى تكريم الآلهة التي احتفى بها كسركسيس (Xerxes) عند استعداده للدخول إلى أوروبا داعيًا الآلهة التي تحرس وطنه) هيرودوتVIII53 (Herodotus) ، وهذه الآلهة (تشمل أهورا-مازدا وآخرين) وكذلك آلهة الأرض التي قدم قورش (Cyrus) القرابين لها (Cyr VIII3.24) وهناك توثيق جيد لتنوع الآلهة التي عبدت في فارس، وهي تقع في قائمتين موجودتين في بيرسبوليس (E. & K.) وقد ذكرت سابقًا (ص88)، وقد عبدت آلهة بابلية وإيرانية، وكان خدامها تتم مكافأتهم بواسطة الإدارية الملكية، وإضافة إلى أهورا-مازدا فلدينا دليل على عبادة زورفان (الطقس) فيسايباجا (الذات الإلهية بطريقة غير محددة) ميسدوشي (آلهة الخصوبة والقوة) ناriyاسانجا (ترتبط بعبادة النار) بارتاكاميوم (إله غير محدد) هافاريرا (روح الشمس) أرتاكا (غير موجودة في التقاليد الفارسية)، غالبًا المؤن تقدم لخدام هذه الآلهة بواسطة الإدارة وعن طريق القرابين، ومن هذا نستنتج أن كل منطقة محلية كان بها العديد من المعبودات، وقد قصد بالجداول تقديم المنتجات المختلفة لهم بطريقة منظمة من المخازن، ولكن لدينا تفاصيل قليلة عن الاحتفالات، وغالبًا ما يغيب اسم المعبود، فمثلاً يتسلم القائمون على الخدمة الحبوب والماشية قربانًا للآلهة (PF35) ، وهناك سجل لخدام الآلهة والإداريين، وموقع تقديم القربان للمحاسبين، وهناك صعوبة في فهم مصطلحات تقديم القرابين .

وعلاوة على ذلك يشهد التوثيق في مدينة بيرسبوليس تكرار تقديم

القرابين لقوى الطبيعة، وخاصة الجبال والأنهار، وعلى سبيل المثال نبيذ تحت تصرف أوشايا استخدمهم الكاهن للآلهة: 7 أهورا-مازدا، 2 لإله هامبان، 1 لإله الأنهار، 1 لإله نهر راناكارا، لإله نهر صوصا.

وهنا نجد اتفاقًا بين المصادر الكلاسيكية وخاصة هيرودوت (Herodotus) أشار إلى احترام الفرس للماء الجاري (لديهم احترام عميق للأنهار، فلم يلوثوا نهرًا بالبول، أو المخلفات ولم يغسلوا أيديهم بالنهر، أو يسمحوا لأحد غيرهم بذلك)، وقد ذكرنا بالفعل أن سيرافيس أشار للماء المقدس وسترابو (Strabo) نفسه يلاحظ أن الفرس يمارسون طقوسًا خاصة بتكريم النهر والنار)(XVIII 14)

بالإضافة إلى تقديم القرابين بصورة دورية، كان الملك وسيطًا مع الإله أثناء الحملات العسكرية، ويشير زينوفون دائمًا إلى أن هذا لأن -الملك باعتباره رئيسًا للجيش الفارسي- (بمجرد اختيار قورش (Cyrus) كان أول عمل له استشاره الآلهة حتى قام بتقديم القربان وتشجيعًا لذلك على أن يختار رجاله المائة) (56.1)، وأخبرهم (وهذا ما اعتقد أنه يقوى ثقتكم في هذه الآلهة عندما بدأت هذه الحملة وهذا من أجلكم لأنه ليس من طبعي أن أبدأ عملاً كبيرًا أو صغيرًا بدون موافقة الآلهة) (14.5) وعندما وصلوا إلى الحدود (عندما طار النسر الكبير من على يمينهم وطار فوق رؤوسهم صلوا للآلهة من أجل أن تحفظ الأبطال الذين يحمون أرض فارس، وأن تقودهم للمجد وترضى عنهم، ثم تقدموا بعد ذلك لعبور الحدود) (1.1.11) لم يفشل قورش (Cyrus) في طلب الفأل الحسن من الآلهة أو لشكرهم بعد النصر(IV.12)

وقد كانت عبادة الآلهة المتعددة منتشرة في كل من بلاد الفرس والإغريق، بل كان في كل مدينة عدة آلهة يرجعون إليها من أجل حفظ النفس والنصر الحربي .

يحفل وصف كسركسيس (Xerxes) للحملة التي قام بها في عام 480 بالإشارة إلى الطقوس الدينية والسحرية، ومن بين الأمثلة المتاحة نختار الطقوس التي أجريت في فريجيا لمعاقبة Pythius بيثيوس لرفضه إرسال ابنه للحرب، وقد اتخذ كسركسيس (Xerxes) القرار التالي: (كسركسيس (Xerxes) في الحال أعطي أوامر بأن المسؤولين المختصين يجب أن يجدوا بثيوس وابنه الأكبر ويقطعوه نصفين، وأن يضعوا نصفيه كل عكس الآخر على جانبي الطريق لكي يمشي الجيش بينهما، وقد تم تنفيذ الأمر، ومن بين نصفي الرجل بدأت مسيرة الجيش (هيرودوت) VII 39 (Herodotus)

هذه العادة البربرية وردت بين شعوب كثيرة، واتخذت مظهرًا دينيًّا سحريًّا، وفي نسخة هيرودوت (Herodotus) أصاب كسوف الشمس الملك بالرعب في وقت مبكر (VII 37) بالرغم من التفسير المهديء للمجوس، حيث بدأ الملك في إجراء تطهير للجيش متبعًا الأسلوب الذي وصفه هيرودوت (Herodotus) (هذا الإجراء مفيد جدًّا للمسيرة والحملة العسكرية كما أشار الكونت دي جوبينو Le Conte de Gobineau، وبهذه الطريقة خلفوا الشر وراءهم، وقطعوا عليه الطريق بفضل القربان، وعندما كان يتم اختيار الضحية البشرية (بالإشارة إلى الحيوان)، ولخطورة الموقت كان هذا قدر الجيش، وهكذا في كل الحملات قام الملك بعمل الموازنة بين الضحية البشرية والحيوانية .

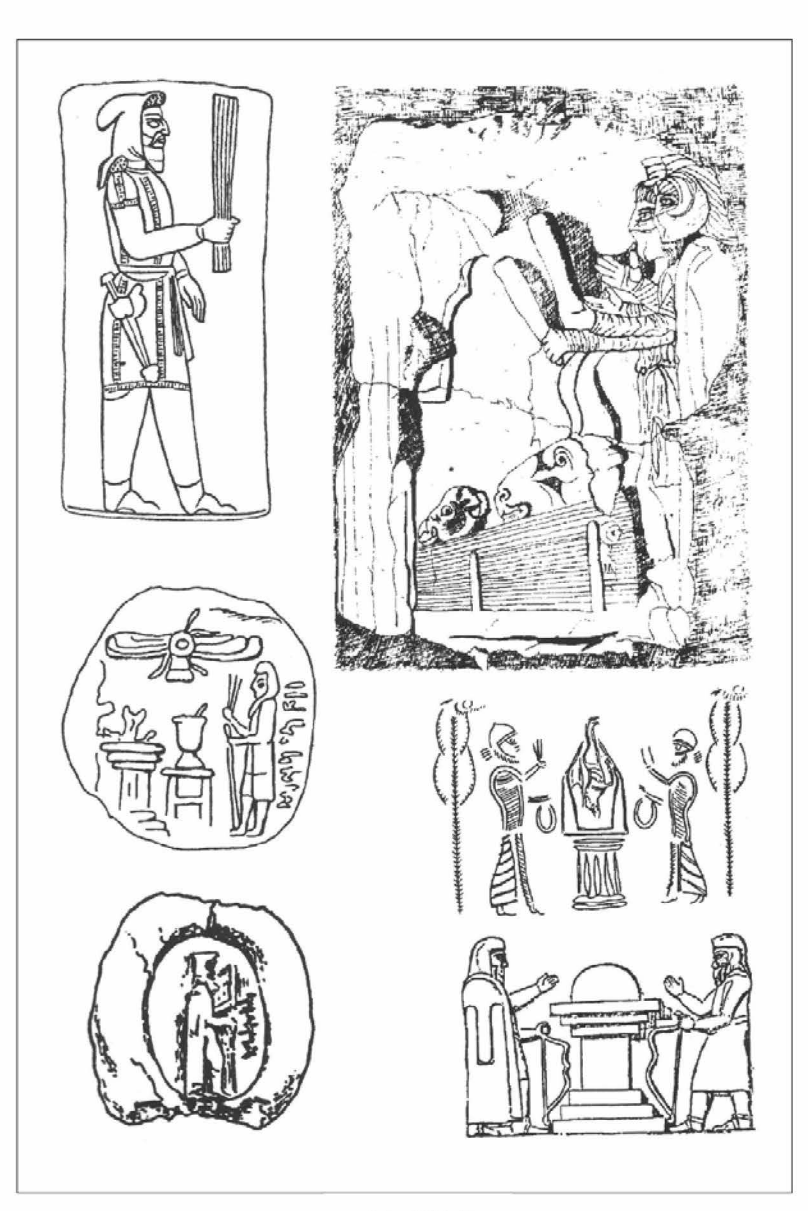
وبالنسبة لقورش- (Cyrus) زينوفون (14.5.1)- كان الملك والجيش يصحبون الآلهة الفارسية، وهذا أيضًا يوجد في وصف هيرودوت (Herodotus) لكسركسيس (Xerxes)وكوينتوس لدارا (Darius) الثالث في مسيرة رسمية، فإن عربات الآلهة الحربية تشغل مكانًا متميزًا وهكذا قبل جواميلا (استدعى دارا (Darius) إله الشمس ومثرا والنار المقدسة ليلهم الجنود الشجاعة ويذكرهم بالمجد القديم وإنجازات

أجدادهم) (كوينتوس IV 13.12) ، ثم خاطب إلهة الخاص بدعوة (آلهة أجدادي والنار المقدسة التي اشتغلت أمامي على المذبح وبإشراق الشمس في عالمي) (IV 14.24)، (لا شيء يحرك الناس عامة بفاعلية أكثر من الخرافة)، وهكذا علق كوينتوس ساخرًا(IV 10.7) ، وفي الحقيقة عندما نعلم التقارب الحقيقي بين الشرعية الملكية والنصر والحماية المقدسة نفهم أن خطاب الملك الديني يمكن أن يرفع شجاعة الجنود إلى جانبه .

ومن الدلائل المهمة الواضحة للدين الرسمي تظهر في قطعة من كتاب حروب آلهة الفرس (66.12) التي كتبها المؤرخ الروماني أبيان Appian وهذه طريقة وصفة لاحتفال رأسه مسراديتس Mithradates ، ملك يونتيوس بعد انتصاره على مورينا Murena الروماني .

وقد قدم القربان ليزيوس استرابتيوس على جذع خشبي كبير موضوع على جبل عالٍ اتباعًا للتقاليد المتوارثة، وفي البداية أحضر الملك الخشب، وبعد أن أقاموا في أحد السجون يضعون على أعلى اثنين من المواقد اللبن والعسل والنبيذ والزيت، وكل أنواع الأكل لحرقها، تلك التي توجد في السهول، ثم وضعوا أعلاها الخبز كما لو كانت هذة وجبة للآلهة، وهذا نوع من القرابين التي مارسها ملوك الفرس في مدينة باسارجاداي، ثم أشعلوا الخشب، وعندما احترق الطعام لدرجة كبيرة -حتى إنه يُرى من بُعد وحتى احترق الهواء- ويقال إنه لم يقترب منها لعدة أيام.

ورغم إن الدليل متأخر، إلا أنه كان في بلد إيرانية، وكان من بونتيوس مثل سترابو (Strabo) ، ويقدم ميسراديتيس نفسه كملك هليني دون إنكار أصله الإيراني ولا شك أنه خلف زيوس استراتيوس المحارب يوجد الإله الإيراني مسانداً ومتنكرًا جزئيًّا في شكل هيليني، والمقارنة التي عقدها المؤلف بين الممارسات الفارسية للملوك شيقة بالرغم من



الشكل 33

أنها تشمل الأمراء الفرس (شكل 36 ص250)، وليس الملوك الأخمينيين، وقد بقى تراث الملوك العظام ثابتًا حتى حقبة الفرس الهلينية .

الملك والقرابين الماجوسية:

أينما ذهب كان الملك يصحبه الماجوس، وكان من حول كسركسيس (Xerxes)على سبيل المثال الذين فسروا كسوف الشمس (هيرودوت (Herodotus) (VII 37وسلبوا الماء من بيرجام يقومون باستدعاء أرواح الرجال العظماء من الماضي، والذين ضحوا بالخيول البيضاء، وضحوا لثيتيس لتهدئة الإعصار (VII 19) ، والمجوس حول قورش (Cyrus) (لم يتوقفوا عن غناء الترانيم لآلهة طلوع النهار) (VIII 1.1)، وفي مسيرة دارا (Darius) الثالث تبعوا نار المذبح مغنين ترانيمهم التقليدية (كوينتيوس 9.3)، وبسببب مركزهم كان المجوس يحتفظون بجزء من المغانم للآلهة، وقد اختاروا الآلهة التي يجب أن يقدم لها الملك القرابين (لأن الفرس لا يوجد لديهم شك في ضرورة أن يسترشد من يريد أن يقدم قربانًا بأهل هذا العلم حيث إنهم أكثر تقديسًا من عامة الشعب (سترابو XV (Strabo) (1.68، وإحدى وظائف المجوس المتعددة في المجتمع الفارسي بالنسبة للملك أن يلعبوا دورًا يكتسب السلطة في تقديم القرابين، ويقول هيرودوت : (Herodotus) (عندما يقوم العابد بذبح القربان وطهيه، فإنه يضع بعض العشب الأخضر أعلاه مثل البرسيم، وفوقه كل طبقات اللحم، وبعد هذا يقوم أحد المجوس بنطق الترانيم والتعويذات عليها، وبعد فترة يدرك العابد أنها لحم ويفعل به ما يريد)، وكذلك يقوم سترابو (Strabo) بتقديم عدة أدوار يلعبها الفرس: (يقدمون للنار القرابين بإضافة الخشب الجاف وصب الزيت فوقه، ثم صب الزيت عليه أكثر لإشعاله، ثم يقومون بالنفخ والتهوية بأنفسهم، ثم ينفخون النار بأنفاسهم أو يضعوا شيئًا ميتًا أو نتنًا عليها لكي تنطفيء)(XVIII 14) .

ثـم يعطـي سـترابو (Strabo) معلومـات تخـص الـذبائح التـي قـدمت في

عصره في مدينة كابادوكيا، وبالنسبة للماء الذي يقدمونه للقرابين يذهبون للبحيرة أو النهر أو عين الماء، حيث يحفرون خندقًا في الأرض يوصل إلى المذبح، ثم يذبحون الضحية ويحرسونها خشية أن تصبح المياه مختلطة بالدماء لإيمانهم بأن الدم يلوث الماء، ثم يضعون قطعة من اللحم على فروع الأشجار، ويلمسها المجوس، ويقومون بإلقاء الترانيم والتعاويذ، وصب الزيت المختلط باللبن والعسل، مع عدم ملامسة النار أو الماء، لكن على الأرض، ويستمرون في ترانيمهم لفترة طويلة ممسكين في أيديهم حفنة ضئيلة من الأخشاب .

وتوضح هذه الصورة -ذات الأصل الفارسي- كلمات سترابو- (Strabo) إلى حد ما- وهي موجودة على عمود تذكاري اكتشف بالقرب من داسيليوم، ولكنه يبدو متماثلاً تمامًا مع الآثار الأخرى (شكل 33)، حيث يقف شخصان مقابل مذبح عالٍ ذي أرجل، ويرتدون الملابس الفارسية، وأفواههم مغطاة بقناع، ويمسكون بأيديهم قضيبين من الحديد، وهناك رأس الثور والكبش موضوعة على مجموعة من الفروع أمامهم، ويرمز القناع إلى الزي الرسمي الذي يرتديه المجوس في هذه الحالة، والموظف بهذه الحالة يوجد في العديد من الرموز (دالتون (XIV 48 ، ومع ذلك ليست كل معلومات سترابو (Strabo) مؤكدة، فهو يذكر- على سبيل المثال- أنه في أماكن احتراق النيران التي يحافظ فيها المجوس على اشتعال النيران المستمر لا يقوم الناس بقتل القربان بالسيف، ولكن بنوع من سيقان الأشجار وبضربها حتى الموت كما نفعل بالمطرقة (XVIII 15) ، ومن ناحية أخرى على أحد أختام بيرسبوليس يبدو أحد الموظفين ممسكًا بأحد الخراف في يده اليمنى وممسكًا بالسيف في يده اليسرى، وهذا التناقض يذكرنا من ناحية بأن معلومات سترابو (Strabo)قديمة، ومن ناحية أخرى وجود أشكال من الملل الدينية التي لا تتماثل كلية في الإمبراطورية (انظر شكل 33)، وهكذا لم يكن المجوس تماماً كهنة بل

ذوي خبرة في الطقوس، والذين يتوسطون لجعل مقدم القربان يتناول اللحوم المقدمة للآلهة، وقد تم تصويرهم عدة مرات في لوحات بريسبوليس، وكانوا مسؤولين عن سكب السوائل واستقبال المؤن المقدمة من الإدارة الملكية لهذا الغرض .

12 برميلاً من النبيذ تحت تصرف الكاهن المجوسي الذي أجرى طقوس القرابين والتي يتم سكبها أثناء هذه المراسم منذ أول إلى آخر شهر، مما يكفي 12 شهرًا و19 عامًا (PF 758) ، وقد استطاع المجوس فعل ذلك بسبب معرفتهم الخاصة، فإذا قدموا قرابين إلى ثيثيس فكان هذا يرجع إلى وجود سلطة لديهم، في هذا المجال، وفي إحدى مجادلاته النقدية ضد المجوس بليمي الأكبر، يصف الحجر الثمين (إنهم يبعدون الحشرات والجراد لو استخدمت بمصاحبة الابتهال الذي يدعوه) 3 (XVII40) ، وهناك أحجار كريمة أخرى قال عنها المجوس إنها تمنع العواصف واندفاع الماء وإيقاف تدفق الأمطار .

القرابين والولاء:

يصف المؤلفون الكلاسيكيون القرابين من الحيوانات، وكان قورش (Cyrus) يقدم الخيول كقرابين للشمس، بالإضافة إلى الثيران الجميلة لزيوس ولآلهة آخرين، كما يشير له بذلك المجوس (Cyr VIII 3.11) ، وأهمية القرابين من اللحوم ليؤكدها سترابو (Strabo) في قطعة قصيرة مخصصة للفرس أو الإيرانيين، وهناك صورة أخرى تنتج من برسبوليس، فالإدارة أساسًا توزع الحبوب والبيرة والنبيذ، وأحيانًا يتاجر الكهنة بهذه المنتجات لشراء الماشية، ولكن هذا كان من أجل نوع معين من القرابين الذي يقدم بصورة خاصة لآلهة الإيلاميين، ومنتجات السوائل تستخدم للإراقة على القربان التي يوضحها المؤلفون والكلاسيكيون، بما فيها سترابو (Strabo) ، والتي تشبه الزيت واللبن والعسل والنبيذ، ولاحظ أيضاً ندرة القرابين الحيوانية على الأختام.

وبالنسبة لسترابو (Strabo) في نهاية الطقوس تقسم اللحوم بين المشاركين ولا يخصص أي منها للإله الذي كما يقول الفرس لا يرغب إلا في روح الضحية المذبوحة ولا شيء أكثر من ذلك (XV 3.13) ، ويوجد توضيح لتوزيع الطعام كعادة منتشرة بعد القيام بتقديم القرابين في كثير من رسومات برسبوليس، مما يشير إلى وجود مراسم تنظم هذه الطقوس، حيث يتبع كل منهما وليمة، كما فسرها زينوفون (لكل الفائزين بسباقات العربات، قدم قورش (Cyrus) الكؤوس والماشية حتى يقدموا القرابين، ويتناولوا الوليمة، وعندما تنتهي يمضون عائدين إلى المدينة وإلى منازلهم) (XIII 3.33) ، ومن هنا نقدم أحد التفاصيل التي قدمها زينوفون (تلغى الوليمة عندما لا يقدم الملك أي القرابين) (CyrVIII 3.34)

وفي عبارة أخرى، فإن القربان لم يكن مقصودًا به وحده تكريم الآلهة، فإن الاحتفال والوليمة المصاحبة تمجد قوة وكرم الملك، وهناك تأكيد جيد لهذا العرف يوجد في شهادة من بداية الحقبة الهلينية: (عندما يصل الجنود إلى برسبوليس العاصمة بيوستيس Peueestes الذي كان القائد لهذه المنطقة يقوم بتقديم قربان رائع للآلهة وللإسكندر وفيليب، وبعد أن جمع من كل أنحاء فارس عددًا كبيرًا من حيوانات القرابين، وكذلك كل ما هو مطلوب للاحتفالات والتجمعات الدينية، وقد قدمها كوليمة إلى الجيش) (ديودورس Diodortus)(XIX 22).

ثم يصف ديودورس (Diodorus) ترتيبات القائد لوضع المشاركين في الاحتفال وترتيبهم في الوليمة، فقد وضعوا في أربع دوائر متحدة المركز تبعًا لوضعهم الديني والطبقي والاجتماعي .

وفي الدائرة الداخلية، وعلى بعد فرسخين، جلس كل من قادة الجيش ورجال الدين، وكل من الفرس المكرمين احتل مكانًا على أريكته الخاصة، وفي وسط هذه كان يوجد مذبح للآلهة والإسكندر (Alexander) وفيليب (222).

لا يوجد أي شك في أن بيوستيس Peueestes قد تولى تنظيم الاحتفالات الدينية الأخمينية لمصلحته الخاصة، فنحن نعرف أنه في أثناء المعسكرات وفي المعارك كان الملك العظيم يتمركز في الوسط، وترتيب المواكب الملكية يبين بوضوح أن كل شخص منهم يشغل مكانًا بطريقة معينة تبعًا لمركزة ومسؤلياتة ووضعه الاجتماعي الذي منحه الملك العظيم إياها، وقد كان لزينوفون بحث طويل عن مقدار الأهمية التي يوليها قورش (Cyrus) للبروتوكول أثناء تنظيم الولائم التي تتبع تقديم القرابين، وقد عدل الوليمة بوضوح لتتناسب مع الظروف الجديدة الناتجة عن الغزو المقدوني، وقد جعل المذبح المخصص للإسكندر وفيليب في المركز، ولكن لأنه كان متواطئًا وله ولاء مشترك للأرستقراطية الفارسية، فقد جعل لعلية القوم من الفرس مكانًا مركزيًّا يوازي أكثر القادة المقدونيين البارزين، ومن الجدير بالملاحظة أن تنظيم القرابين والولائم كان يتم في إطار من المنافسة بين بيوستيس ومنافسه يومينيس Eumenes، ومن الواضح أن توزيع اللحوم بالجلود كان يهدف إلى الاحتفاظ بولائهم (ديودورس XIX 21.3) .

وفي وقت لاحق قام يومينيس نفسه بتقديم قربان للآلهة، واستضاف الجيش ولم يتخلف أحد (5.24)، وفي الحقيقة فإن يومينيس قد زعم أن منافسه يتلاعب بمشاعر الجمهور للوصول إلى غايته حتى ينال مركز القائد العام، ويقول ديودورس (Diodorus) إنه استطاع كوالٍ فارسي أن يرأس هذه المراسم، وبفعل هذا كان يهدف إلى الاحتفاظ لنفسه بالمكانة الاجتماعية التي تؤهله لإرضاء الملك العظيم أثناء تنظيم الاحتفالات والولائم بعد القرابين .

الملك وديانة أهورا-مازدا:

توجد شواهد عديدة على علاقة الملك المتكررة وأهورا-مازدا في النقوش الملكية المتكررة، وفي صلوات دارا (Darius) الأول لأهورا-مازدا



الشكل 34

(أعظم الآلهة التي تنفرد بالخطاب، ونادرًا ما يصحبها في الدعاء آلهة أخرى (DPd.DPF)، وهذا يتأكد فيما بعد في خطابات المواساة التي وجهت إلى دارا (Darius)الثالث عن موقعة إيسوس، حيث قيل له إن معاناتهم الوحيدة أنهم فقدوا (نور بهاء وجهك الذي لا شك في أنه نور أهورا-مازدا الذي سوف يعيد لك كل ما فقدته حتى تستعيد مجدك القديم) (بلوتارخ 5.30)، دعونا نذكر قصة من فترة حب أرتاكسركسيس (Artaxerxes) الثاني كما سجلها بلوتارخ بعد أن حلت العقوبة الكبرى على أحد الأبناء الخائنين، ذهب الملك إلى بلاط القصر وعبد الشمس قائلاً: (اذهبوا في سلام أيها الفرس وأبلغوا زملاءكم من الرعية عن مدى قوتي، ومدى شدة انتقامي ممن يسعى إلى الخيانة، وقد كان أهورا-مازدا بالنسبة له مصدر السلطة الملكية والهيبة).

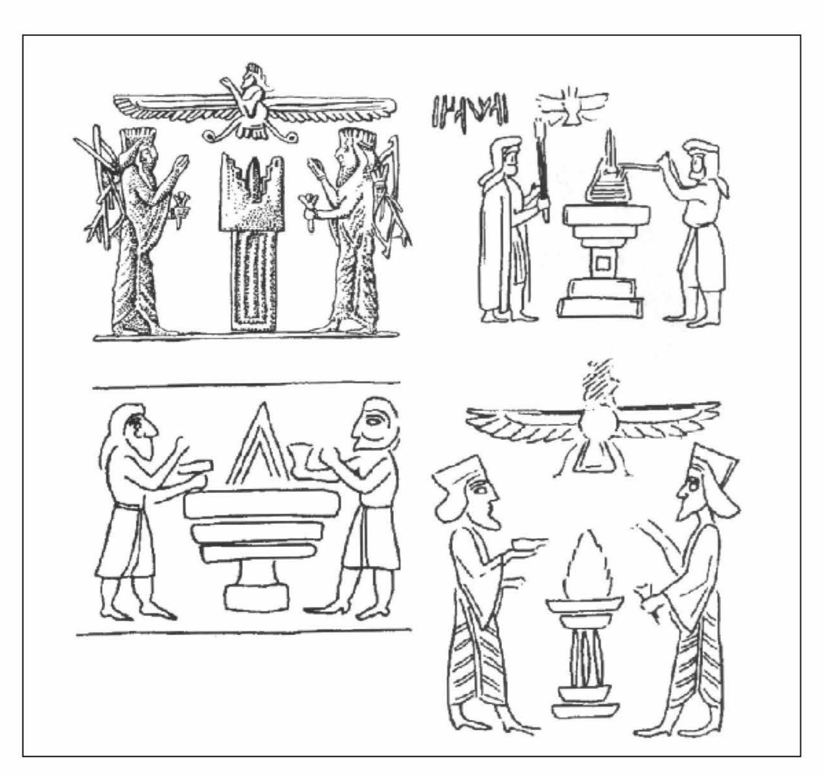
وبعيدًا عن هذه الأمثلة، فنادرًا ما كان يذكر اسم أهورا-مازدا، وأحيانًا كان يعرف باسم زيوس -كما روى هيرودوت - (Herodotus) عن الديانات الفارسية (كان زيوس في نظامهم الدائرة العامة التي تشمل السماء؛ ولذا قدموا له القرابين من على قمم الجبال، وهو صورة للهداية، والذي خلق السماء، والذي خلق الأرض، والذي وهبوا له العربة المقدسة لزيوس التي جلبها للإغريق كسركسيس)(VII.40) (Xerxes) ، وكانت هذه العربة في حوذة قورش (Cyrus) ، كما أن العربة مخصصة لجوبيتر في موكب دارا (Darius) الثالث، وهذا الصمت وعدم

ذكر اسم أهورا-مازدا في كثير من الوثائق هو لغز يصعب حله، وقد يرجع هذا إلى اختفاء كثير من الوثائق، وتم اقتراح الحل الآتي: أحد هذه القرابين كان يمارس بانتظام بواسطة المجوس في إطار الدين الرسمي للدولة تكريمًا للإله العظيم، وهذه الفرضية تبين لنا مدى الأهمية التي أولاها دارا (Darius) لأهورا-مازدا في فارس، ولكننا نعترف بفقدان ما يسمى بالدليل الملموس .

إن الكتابة الرمزية، وتحديد القرص المجنح يظل موضع خلاف، وبدون عرض المبادلات المتناقضة فإننا سنقبل هنا أنه فعلاً مثل أهورا-مازدا وهذا القرص المجنح الذي غالبًا ما يخرج منه شخص ملتحٍ يماثل الملك يوجد على كثير من النحت البارز في بيرسبوليس، ولكن القرص المجنح يظهر على كل أختام الحقبة الأخمينية، وليست فقط التي تصور الشخوص الملكية، وهناك أيضًا أختام عديدة تمثل مشهد عبادة اثنين من الفرس لأهورا-مازدا.

الملك وعبادة النار:

نعلم أن النار هي إحدى عناصر الطبيعة التي عبدها الفرس (هيرودوت (Herodotus) .131)، ويذكر أيضًا سترابو (Strabo) أن النار والماء كانت من العناصر المكرمة جدًا (XVIII.14) ، وأضاف: (وإذا رغبوا في تقديم أي قربان لأي من الآلهة، فإنه يبدأ المراسم ويوصلها بالنار (XV 3.16) ، وتبعًا لدينون : Dinon (FGrH690) (من بين كل الآلهة، فإن الفرس يقيمون التماثيل فقط للنار والماء)، وقد كان سيراكيس Sirakes مدركاً لهذا؛ لأنه (استدعى آلهة النار والماء المقدس)؛ لينصر في المواجهة مع دارا (Darius) (بولينيوس VII 11 Polyaenus) ، وربما كان ذلك بسبب الشخصية المقدسة للنار التي من أجلها منع حرق الجثث (سترابو XV3 .57 Ctesias (Strabo)) ، وفي رسومات بيرسبوليس نجد اثنين من الألقاب التي تنسب إلى النار، وحامل اللقب الأول يشغل



الشكل 35

الوظائف الإدارية التي لم يكن لها علاقة بالأعمال الدينية، والثاني (حارس النار) كان مختلفًا، وقد تكرر ذكره، وقد يكون الإطار يتعلق بالطقوس، ولكن عبادة النار بهذه الطريقة العلنية لم يكن لها دليل يشهد عليها، ونلاحظ كيف أن أحد الآلهة المذكورة في الجداول (واسمه نارياسانجا) كانت له علاقة وطيدة مع النار، وخادمي الطقوس المعاونين في تقديم القرابين، كان لكل ارتباطًا، بالنار ورغم عدم وجود دليل أثري من الحقبة الأخمينية، ولكن تتضح أهمية تقديس النار في الفترة الهلينية (شكل 36)، مما يمثل بلا شك استمرارًا وتواصلاً مع الفترة الأخمينية .

وفي ناكظي روستام -كما رأينا سابقًا- (شكل 6 ص211) أن دارا (Darius) يقف أمام مذبح للنار ذي ألسنة متأججة، والمشهد يعلوه القرص المجنح والهلال، ومن الصعب فهم الرموز وعلاقتها معًا في هذا المشهد، وإذا ما كان المقصود هو رسم أي شيء محدد، ومع ذلك نفترض أنه يرمز إلى قربان يقدم بطريقة منظمة وشخصية بواسطة الملك العظيم أمام مذبح النار، وتوجد مشاهد مشابهة له في أختام عديدة لجداول الخزانة (شكل 35)، وأهمها ختم منقوش باسم زاراثوستريس Zarthustris تحت شعار أهورا-مازدا، وعلى اليسار يمسك بقضبان للمراسم، والذي على اليمين يمسك بملعقة لإراقة السوائل في كلتا يديه، وهذا هو التمثيل الوحيد المعروف لهذه العبادة .



الشكل 36

وعلى أية حال، فإن صورة ناكظي روستام والنصوص الكلاسيكية معًا تعطي صورة جيدة عن العلاقة الوطيدة للملك مع النار، وربما تكون النار هي التي تستدعي بواسطة قورش- (Cyrus) زينوفون - (Xenophon) باستخدام اسم هيفاستاسHephaestas لكي تقوي شجاعة الجنود أثناء الهجوم الذي قاده بطله ضد بابل (Cyr VII 5.22) ، ويعبر ترتيب الموكب الذي قدمه لنا زينوفون بوضوح عن المكانة التي احتلتها النار في واقع السلطة الملكية: (في حاشية الملك قورش (Cyrus) بعد العربة الملكية لزيوس وعربة الشمس، وقبل عربة الملك

أتبعها رجال يحملون النار على مذبح عظيم) (Cyr VII 3.13) ، ومع ذلك، لا يذكر زينوفون أي شيء عن القربان المحدد للنار (24.3)، إضافة إلى ذلك، فإن النار قد احتلت مكانة بارزة في حاشية دارا (Darius) الثالث: (والآن كان ترتيب المسيرة كما يلي: في الأمام على مذبح فضي حملت النار المقدسة الخالدة، ثم تبعهم المجوس الذين ينشدون التراتيم التقليدية) (كوينتوس III 3.9).

وأخيراً، فإن إجراءات إطفاء النار المقدسة عند موت الملك (ديودورس (Diodorus) 11.4.4.5 XVII)تشهد على حقيقة أنه: 1) توجد عبادة نار رسمية في كل من الأقاليم التابعة (يحرسها المجوس: دينون 690 (FGrH. 2) كان هناك دين رسمي يرتبط بشدة بشخص ومكانة الملك .

الملك وميثرا والشمس:

كانت الشمس أحد العوامل الطبيعية التي ذكرها الكتاب القدامى مما يعبده الفرس (بلوتارخ 12.29)، وفي المهرجان الذي نظمه قورش Cyrus في فارس كانت هناك عربة مخصصة للشمس (لها طاقم من الخيول البيضاء، ولها تاج مثل عربة زيوس)، وقد كانت في الرفقة الملكية خيول مخصصة لقرابين الشمس وللنار (Cyr VIII 3.12)، وبالإشارة إلى ما ذكره هيرودوت (Herodotus) عن السيثيانز -شعب إيراني- (كان الإله الوحيد الذي عبدوه هو الشمس التي قدموا لها قرابين الخيول)، وبلا شك فإن الشمس كانت من بين الآلهة (التي تحفظ بلدنا بملكيتها) والتي طلب كسركسيس (Xerxes) من الفرس أن يصلوا لها قبل عبور النهر (VII 53) ، وقد وضح كوينتوس ارتباط النار بالخيول في ترتيب موكب دارا (Darius) الثالث: (عندما بزخ الفجر أعطيت الإشارة من الخيمة الملكية والبوق فوق الخيمة حتى يراها الجميع، وهناك لمعت صورة للشمس محاطة بالكريستال (البلور)، ثم

تبعهتا عربات مذابح النار -جوبيتر- أهورا-مازدا، ثم تبعهم حصان ذو حجم غير عادي الذي أسماه جواد الشمس، وكان له سرج ذهبي، وحبال مزينة يعجب بها قادة الخيول .

والعلاقة بين ميثرا Mithra والخيول لها شهود عند سترابو (Strabo) ، وتبعًا له، كان من واجب حاكم كل إقليم لأرمينيا أن يرسل للبلاط 20 ألفًا من الخيول الصغيرة (المهر)، من أجل أن يتم تقديمها كقرابين أثناء الاحتفال تكريمًا لميثرا (زينوفون IV 5.24) ، وكان تقديم الخيول للذبح ليس قاصرًا على هذه الملة الدينية لميثرا، وعلى سبيل المثال نتذكر أنه عند وصول المجوس عند نهر ستريمون أنهم حاولوا استعطافه بتقديم قرابين الخيول البيضاء (هيرودوت (Herodotus) 1.189)، وهناك قطعة أخرى منه تشير إلى تجمع الخيول البيضاء عند النهر؛ ولذلك ليس من المأمون أن نربط شخصية الإله بنوع الحيوان الذي يقدم له كقربان .

ويعتقد الكثيرون أن الفرس يشبهون الشمس بميثرا كما يدعي سترابو (Strabo) (XV3.13)وآخرون ومع ذلك، تتسارع وتيرة المناظرات حتى يومنا هذا عن هذا الترابط بناءً على التوثيق العلمي، حيث إن كليهما مليئان بالتناقض والتنافر، حيث لم تذكر جداول بيرسبوليس أي قربان لأي منهما، وكذلك لم يسجل أي نقش ملكي الإشارة بوضوح إلى ميثرا قبل الملك أرتاكسركسيس (Artaxerxes)الثالث، وقد كان دارا (Darius) أحيانًا ما يقول في صلاته (شكرًا لأهورا-مازدا وجميع الآلهة) (DDa) ، وهذا التعبير يشمل ميثرا وأناهيتا، ويظل استخدامهم محيرًا حتى في النصوص الإغريقية واللاتينية، وهناك نصوص أحدث نوعًا تشير إلى ديانة عبادة الشمس، وتنسبها إلى ميثرا والتي كانت منتشرة بدرجة عجيبة في الفترة الرومانية، وفي نصوص زينوفون يستجدي قورش (Cyrus) الأصغر ميثرا في جنته (Deciv. 24) ، وقد ادعى أرتاكسركسيس (Artaxerxes)ثمرة الرمان غير العادية التي قدمها له فلاح فارسي بسيط

(بلوتارخ 5.4)، والتي كانت من ميثرا، حيث إنه إله الشمس والحرب، ومن يحمي الحقول والحصاد، وهو (الذي يعطي فضله لمن يشاء، وكذلك الحقول لمن يشاء، ولا يوقع الضرر بمن يحرث، وهو الذي يزيد الماء، ويسمع النداء، ويجري النماء، ويعطي بسخاء)، وهذه الصفات للمحارب العادل وحامي الأرض والفلاحين تتكامل معًا في شخص ميثرا، كما كانت في شخص الملك العظيم، ونعلم أيضاً من زينوفون (Cyr VIII3.9) وهيرودوت (VIII 54) (Herodotus) زكوينتوس (III3.6) أن الموكب الملكي ينطلق عند شروق الشمس، ولكن لا يوجد دليل قوي للربط بين هذا وبين تكريم ميثرا، وربما كانوا يكرمون الإله هفاريرا Hvarira الموجود في قوائم بيرسبوليس لو كان متجسدًا في الشروق كما يعتقد البعض، وكذلك من غير الممكن أن الصلاة التي قد تمت للشمس بواسطة كسركسيس (Xerxes) قبل عبور النهر كان المقصود بها ميثرا.

ومن إحدى الدلائل المحيرة هي قبل معركة أربيلا، حيث قام دارا (Darius)بدعاء (الشمس وميثرا والنار المقدسة الخالدة) (كوينتوس 13.12 IV)، وهذا بيان يشمل التمييز الرسمي بين الإلهين، بالرغم من علاقاتهما الأصلية من ناحية الجنس، وبمقاربة نص آخر يرجع إلى فترة حكم دارا (Darius) الثالث وهو خطاب نقله بلوتارخ (Alex 30.7) ، ويظهر أن ميثرا بالنسبة للفرس كان هو الإله الذي يقوم بحفظ الأرض والنور -حسب اعتقاد الإيرانيين والإغريق- وهذا يظهر أن ميثرا من بين وظائفه (المحارب والحامي للحقول)... الخ، له علاقة خاصة مع الشمس، حيث إنها مصدر الضوء، وهناك إمكانية اشتراك أكثر من إله في خاصية واحدة، حيث إن أهورا-مازدا كان أيضاً مشتركًا في خاصية الضوء مع ميثرا؛ لأن كل الآلهة لها وظائف متعددة وترتبط أو تشترك في صفات معينة، وهكذا فإن حالة ميثرا لم تغلق بعد، بل مفتوحة للأبحاث والمناقشات، وكل ما يمكن أن نحدده أنه في الفترة الأخمينية كان ميثرا مرتبطًا بالشمس، ولم يكن هذا

متضمنًا في الدين الرسمي، حيث إنه ليس من السهل النفاذ إلى المعتقدات الشعبية .

وقد رأينا أنه المحتفلين بميثرا قد حاولوا تقديم آلاف من الخيول كقرابين، وهذا هو المهرجان الوحيد الذي نعرف فيه دور الملك من ناحية مشاركته فيه، ومن ناحية شرب الخمر يحدثنا أتينوس عما كتبه أستيسياس بهذه الكلمات: (يقول أستيسياوس أنه في الهند ليس مسموحًا للملك أن يشرب الخمور، ولكن بين الفرس يسمح بذلك للملك في يوم واحد فقط وهو يوم تقديم القرابين لميثرا، وعند هذا يقول ديوريس Duris في كتابه السابع من كتابه (التاريخ) ما يلي: (في أحد الاحتفالات التي أقامها الفرس بميثرا يتناول الملك الخمور، ويقوم بالرقص في فارس، ولا أحد غير ذلك عبر آسيا يفعل هذا، لكن يحذر على أي شخص في هذا اليوم الرقص سوى الملك)(x.343e)

وفي الحقيقة يبقى هذا الدليل صعب التفسير، وخاصة عند مقارنة ما أورده ديميتريوس الذي يخبر عن عصر أنتيكوس Antiochus العظيم، وتبعًا لما أورده (كانت هذه العادة لا يختص بها أصدقاء الملك والمقربون له، ولكن الملك نفسه تحت الحراسة في العشاءAathenaeus N.155

ولكن منذ زمن الملك العظيم حتى عصر الملك سيليوسيد Seleucid ، وهناك معالم متشابهة تخفي الكثير (في البلاط الفارسي فقط الملك يرقص رقصة شعبية)، ونعلم من البلاط الأخميني أن الرقصات كانت جزءًا من المراسم والشعائر الدينية: عندما قام قورش (Cyrus) بتقديم القرابين المعتادة قاد الفرس لأداء رقصتهم الشعبية القومية) (زينوفون)VIII 7.1 ، ونعرف أيضاَ أن بيرسيكان Persica كانت واسعة الانتشار، ويعرضها زينوفون كتعبير لمشاركة الملك لشعبه في الاحتفالات (VIII 4.12) ، ويحدد ديوريس Duris أن الفرس دائمًا ما كانوا يتركون لأنفسهم العنان في ذلك كما لو كانوا يؤدون الفروسية؛ لأنها تقوي

العضلات، ونتذكر هذا عندما نقرأ وصف زينوفون: (مؤخرًا قام أحد رجال طائفة ميسيان بأداء الرقصة الفارسية وقرع درعيه، ثم نزل جالسًا على الأرض، ونهض مرة أخرى في الحال محافظًا على التوقيت ومع النغمة التي تصدر من الناي)(Arav.VI.1.10)

ونلاحظ أنه عند مقارنة ديوريس برقصة (البيرسيكا) مع ركوب الخيل ليست مصادفة، حيث يسجل إيليان الذي حصل على هذه المعلومة من أستيسياس أن الفرس كان يقرعون أسلحتهم البرونزية أمام خيولهم حتى تعتاد على دوي المعارك (Animxv 125) ، وقد يكون مقصودًا بهذه الرقصة تدريب الشخص على شدة وضوضاء المعركة، حيث يبدو أنها رقصة عسكرية مناسبة تمامًا لتكريم إله الحرب ميثرا.

ومن الجدير بالذكر أنه في يوم مهرجان ميثرا يمكن فقط للملك أن يؤدي هذه الرقصة، وبالمثل يمكن أن يتناول الخمور، حيث كانت هذه حالة عادية بين الفرس بما فيهم الملوك؛ لأنه حسب قول بلوتارخ (4.6) كان قورش (Cyrus)الأصغر يحاول أن يظهر صفاته الملكية بتفوقه في الشرب على أخيه أرتاكسركسيس (Artaxerxes) ، وطبقًا لأستيسياوس فإن كسركسيس (Xerxes) الثاني قد لقى مصرعه على أيدي المتآمرين (عندما خر نائمًا) بعد حضوره احتفال ما، وقيامه بالسكر في قصره، وكان من المتعارف عليه أن الشرب بالنسبة للملوك في عيد ميثرا يعود إلى شرب أحد الخمور المحلية Haoma الذي يعتبر شرابًا مسكرًا، ولكن مكوناتها غير محددة بالنسبة لنا، وهناك افتراض وهو ارتباط عادة شرب الخمر بطقوس الخصوبة التي يرمز إليها النبيذ .

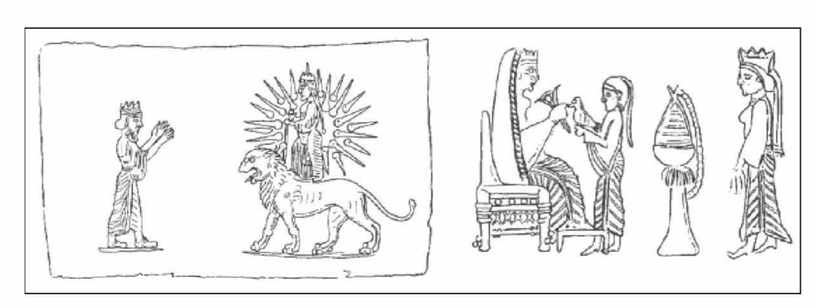
عبادة أناهيتا:

وعلى منوال ميثرا لا تظهر أناهيتا في أي نقش ملكي حتى عصر أرتاكسركسيس (Artaxerxes) الثاني، ولكننا نعلم أنه منح ميزات خاصة

لعبادتها في كل العواصم المستعمرة من باكترا Bactra إلى ساردیس Sardis ، وتطور عبادتها لم يظهر فجأة، ولكن لا بد أنها قد تطورت عبر عصور طويلة .

وخلاف وجود أمثلة استشهادية لأناهيتا في آسيا الصغرى في شكل طائفة أرتيميز Artemis الفارسية فهي مقصورة على مشاهد على الأختام والحلى، وإحدى هذا الأخـتـام تنتمي إلى Gorgippa والتي تظهر (شكل 37 a)ملكًا يرتدي عباءة طويلة، وتاجًا ذا فتحات، ويمد كلتا يديه تجاه امرأة، وهي ترتدي أيضًا التاج نفسه، وتظهر في هالة مشعة تقف على أسد، وفي يدها اليمنى تمسك زهرة، وفي اليسرى تمسك هراوة، وفي ختم آخر (Louvre. Coll) تظهر إمرأة جالسة على كرسي مقوس الظهر، وقدميها على كرسي منخفض، وترتدي تاجًا، وتمسك بزهرة اللوتس في يدها اليسرى، وفي اليمنى معها حمامة على وشك أن تقدمها لطفل صغير يقف أمامها، وخلف الطفل هناك مبخرة عالية، وأنثى ترتدي تاجًا متعرجًا، وتملأ المشهد من جهة اليسار، وتتم مقارنة هذين الختمين بمشهد آخر على خاتم من خزانة آثار oxus أوكساس، حيث تجلس إمرأة على أريكة منخفضة الظهر، وترتدي تاجًا ذا فتحات، وتمسك زهرة في يدها اليمنى، وتاجًا في يدها اليسرى .

وبالرغم من الخلاف على التفسير بين هذه الرسومات، فإن الرموز الثلاثة بها ترمز إلى أناهيتا، وارتباطها بالحمامة متعارف عليه، أما ارتباطها بالأسد فهو يرجع إلى أحد الطرائف التي أوردها إيليان الذي ذكر أن في محراب أناهيتا تجول الأسود المروضة بلا قيود (Anim XII 23) ، وعلاوة على ذلك، فإن لدينا وثيقة تاريخها أكثر تحديدًا وهي من جداول الخزانة التي تصور امرأة، وهي إلهة محاطة بهالة مشعة (PTS 91)، وهذا المستند -إلى حد ما- يسد فراغًا تاريخيًا، وبناءً على هذا الدليل، فإن تصوير الملك مواجهًا أناهيتا التي تركب على ظهر الأسد، يمكن إضافته إلى



الشكل 37

ملف العلاقة بين الملك العظيم والآلهة التي يعبدها شعبه، وفي النهاية نحتاج إلى مراجعة بعض التعديلات التي قام بها أرتاكسركسيس (Artaxerxes) الثاني لعبادة هذه الآلهة فصل 15.8 .

وهناك حقيقة شيقة هي أن تصوير الختم الأول يشابه جدًّا رسومات يوراريتا وميسوبوتاميا Urartia and Mesopotamia ، ويتضح من هذا السياق أن أناهيتا تدين بالكثير إلى عشتار، وبسبب هذا فإن المعقول هو أن نفترض وجود حركة توفيق دينية مستمرة على الأقل عند وصول الفرس إلى هذه المناطق، وهذا ربما ما كان يقصده هيرودوت (Herodotus) عندما كتب أن الفرس (قد تعلموا من العرب والعسيريين عبادة أفروديت (131.1))، وهذا يقودنا إلى الاعتقاد بأنه رغم عدم ذكر الآلهة في نقوش الملوك القدامى، فإنه من المؤكد أنها كانت تعبد في فترة مبكرة عن ذلك، ونتذكر أيضاَ أنه تبعًا لتاسيتوس (Tacitus III 62) كان هناك محراب للمعبودة الفارسية ديانا في مدينة ليديا يعود زمانها إلى عهد قورش (Cyrus) .

الفصل السابع

الناس والحياة في بلاط الملك

1 -المصادر والمشكلات:

لقد قدمت في الفصول السابقة بيانًا موجزًا عن الطريقة التي يدار بها القصر الملكي كمثال للقوة والفضيلة، وقد كان ذلك حيث يعيش الملك وأسرته وخدمه وحاشيته، حيث يتم تأهيل النبلاء، وحيث يتم اتخاذ القرارات الاستراتيجية والتنفيذية، وتتم دعوة حكام الولايات المختلفة للاجتماع والتشاور مع الملك، ويتم استقبال السفراء الأجانب، وتقام الاحتفالات، وتقدم القرابين،... الخ، ولكن، وعلى الرغم من ذلك فإن التوثيق لحياة البلاط الملكي يكون نادرًا وبصورة غير منتظمة من حيث التوزيع، فالألواح المحفوظة في برسيبوليس تعطي أحيانًا معلومات غير مباشرة ولكنها مهمة على الرغم من طبيعتها الإدارية الضيقة، ولكن يجب القول بأن معظم المعلومات تأتي بصورة مباشرة أو غير مباشرة من الكتاب اليونانيين الذين عاشوا في القرن الرابع ومن مؤرخي الإسكندر. (Alexander)

ويعتمد ذلك المصدر الأول غالبًا على كتاب البلاط الملكي أمثال ستيسياس Ctesias ودينون Dinon ، فكلاهما قد تم الاستشهاد به بكثرة من قبل مؤلفين عديدين، ونحن نستشهد بصورة متكررة ببلوتارخ (Plutarch)

من خلال كتابه (حياة أرتاكسركسيس Artaxerxes)) وإيليان Aelian في كتابه المعنون (منوعات تاريخية)، ولقد ركز العديد من الكتاب الآخرين على وصف البلاط الأخميني (مثل هيراقليدس Heraclides المنتمى إلى سايمي وفيلاركوس Phylarcusوثيوبومبوس Theopompus) ولقد فقدت أعمالهم، ولكن لحسن الحظ فقد استشهد بها أثينيوس Athenaeus والذي سنشير إليه كثيراً، من جهة أخرى وبالنسبة للقرن الخامس فإننا لا نعلم شيئًا محددًا؛ وذلك لأنه على عكس ستيسياس Ctesias فإن هيرودوت Herodotus بالكاد يهتم بحياة البلاط الملكي، وذلك بخلاف مناقشاته عن زيجات دارا Darius ودور أتوسا (المفترض) بخصوص زوجها الملك وقصة ماسيستيس Masistes الرومانسية التي أنهى بها تحقيقاته .

وعلى وجه العموم فإن كتاب القرن الرابع ومؤرخى الإسكندر (Alexander) كانوا منقادين برغبتهم في إثارة الإحساس بالإعجاب لدى أقربائهم، يدفعهم في ذلك ما يعتبرونه أهم ما يميز بلاط الملك العظيم وثراءه، والذي يعتبر دليلاً على قوته أو إثباتًا لضعفه، وكذلك فمن الأهمية بمكان بالنسبة لنا التفاصيل الهائلة التي أمدونا بها عن تنظيم المآدب الملكية، والاستطراد الممل عن الحياة المعزولة، والتأثير القوي للأميرات الفارسيات .

إنهم يوفرون تفاصيل أكثر عن التنظيم الإداري باستثناء الجداول والقوائم ولهذا، فقد عَدّدَ زينوفون Xenophon حياة جامعي الضرائب، ومديري الرواتب، ومجالس الأشغال العامة، ومراقبي العقارات ووكلائهم، والمسؤولين عن الخيول، وعن كلاب الصيد، وقد أورد مؤلف كتاب دي موندو: بالإضافة إلى الحراس، والخدم، والحمالين أنه كان هناك وكلاء لعائداته وقواده في الحرب، وكذلك في الصيد، ومن يستلمون الهدايا ... الخ (398أ/3020)، ولكن يجب أن نعترف أننا لا نعرف شيئًا عن معظم هؤلاء الناس سوى ألقابهم.

إن اختيار المعلومات من الواضح أنه كان يتم في ضوء الافتراضات الثقافية والقوالب الفكرية (الأيديولوجية)، ومن الواضح أن سرير الملك ومنضدته الملكية هما أكثر ما جذب اليونانيين، وأن كل هذا نحتاج إليه لتأكيد تلك القائمة التفصيلية المختصرة لمعسكر دارا (Darius) الثالث (أثينيوس Athenaeus 13. 608م) .

لهذا فإن استخدام تلك المصادر يطرح مشكلة منهجية قد تم توضيحها مرات عديدة في هذا الكتاب، وفي تلك الحالة تحديدًا (يجب ألا نلقي بالطفل الرضيع خارج المغطس)، فعند قراءتنا للكتاب الكلاسيكيين يجب علينا أن نلاحظ تلك الصبغة التفسيرية اليونانية من المعلومات الأخمينية القيمة، وإن رفض التفسير معناه أن الكتاب الإغريق (اليونانيين) قد أعطوا بلاط الأخمينيين عادات وأنشطة لم تكن فيهم، ولكنها من اختلاقهم هم أنفسهم.

الخيام والأماكن:

دعنا أيضًا نركز على حقيقة أن العديد من الكتاب قد ألمحوا إلى عادات البلاط الفارسي، وذلك ضمن سياق الحروب التي خاضها الجنود الفرس والإغريق والمقدونيون؛ ولهذا فإنهم كانوا مولعين بصفة خاصة بالغنائم، والحقيقة التي أدت إلى حد كبير إلى وصف دقيق واقتباس انتقائي لمعسكرات الفرس التي تم الاستيلاء عليها بعد المعارك، حيث نجد أنه في أيام الإسكندر (Alexander) (الملك العظيم) الذي حارب بعيدًا عن قصره، هو وحاشيته نجدهم قد هاجروا بصفة دورية بين المساكن الملكية، ولم ينتقل الملك مع عائلته المقربة وخدمه وحاشيته فقط، ولكنه انتقل مع مختلف طوائف حكومته بتلال من الأمتعة التي كانت تُنقل فوق ظهور الجمال والبغال، وفوق ظهور الحمالين الذين تم إعطاؤهم أسماء فارسية من قبل كونيوتوس وهي جانجباس أي حمال الخزانة .

وكلمة خزانة تعود أيضًا إلى كل الممتلكات التي تخص الملك، وهي الجزء الأكبر من أمواله، أما الأشياء الأخرى فقد كان يأخذها الملك معه خلال حملاته العسكرية، وذلك من أجل حياة البذخ التي كان يحياها، فعندما كان الملك الفارسي يذهب إلى المعركة لم يكن فقط يتم تزويده بالمؤن ولكن كذلك يتم تزويد حاشيته الخاصة بها، وعندما يتوقف الركب يقوم عمال متخصصون بتسوية المكان من أجل أن يقوموا بنصب الخيمة الملكية، وسوف تتعجب وتندهش من السرعة والدقة التي يقوم بها كل منهم في تنفيذ المهمة المكلف بها في تعبئة أو تفريغ الأمتعة، ويتم نصب خيمة الملك في منتصف المعسكر، ويتم وضع علامات مميزة على الخيمة، كذلك فكل ضابط له خيمتة الخاصة به، والتي يتم تمييزها بواسطة راية ترفرف فوق ساري على الخيمة .

الخيمة الملكية كانت في الحقيقة ضخمة جدًا، وعلى أحدث الطرز التي توجد في أجنحة القصر، وحسبما ذكر هيرودوت Herodotus ، فإن خيمة كسركسيس (Xerxes) التي تركت في اليونان لكي يستخدمها ماردونيوس Mardonius كانت تحتوي على المعلف الذي تستخدمه خيوله، وهو تحفة فنية رائعة مصنوعة من البرونز، وقد كانت هناك بوابة، كما هو الحال في أي قصر، حيث توجد به بوابة حتى يتم التحكم ومراقبة عملية الدخول إليه، وقد كانت هناك قاعة للولائم أذهلت فخامتها كل اليونانيين الذين وفدوا إلى خيمة ماردونيوس Mardoniusبعد معركة بلاتيا، وقد كانت تلك القاعة عبارة عن قطعة من القماش والجلد ذات أبعاد مثيرة للإعجاب، وكانت خيمة الطعام للإسكندر (Alexander) ترتفع فوق الأعمدة نحو 15 مترًا، وكان محيط قصره المتنقل من الداخل نحو 700 متر، وكان هذا هو المكان الذي يعقد فيه الإسكندر (Alexander) اجتماعاته، ويستقبل ضيوفه، ويهب العطايا.

فعلى غرار أباطرة الفرس أثناء ترحالهم كان يجلس فوق عرشه الذهبي يحيط به حرسه الشخصي، والذي يضم نحو 500 حارس شخصي فارسي (ميلوفوروى)؛ لذلك نستطيع أن نفهم كيف أن اليونانيين كانوا قادرين فيما بعد على فهم نموذجهم الخاص على غرار نموذج خيمة كسركسيس (Xerxes) ، وإن الوصف الذي قدم بواسطة الكتاب (المؤلفين) اليونانيين يعطينا معلومات أصيلة عن تلك الخيمة، وبلوتارخ (Plutarch) على سبيل التحديد، قام بتسجيل معلومات عن فخامة وروعة غرف الاستحمام الخاصة بدارا Darius الثالث، فقد كانت خيمة دارا Darius الثالث ممتلئة بالأثاث الفخم وكميات الذهب والفضة التي كانت مدخرة للإسكندر (Alexander) نفسه، وقد كانت آنية الاستحمام وأوعية الماء وأواني الطهي وصناديق المراهم كلها من الذهب المزخرف بشكل لافت للنظر تنبعث منها رائحة المسك التي كانت تعبئ المكان كله، وهذا المكان كان يؤدي إلى جناح واسع جدًّا ذي ارتفاع كبير، حيث توجد الأرائك والمناضد، وحيث تقام الاحتفالات الكبرى والعظيمة، وهذه هي الملكية كما قالها الإسكندر (Alexander) لمن هم بحضرته، حيث إن رد الفعل الذي ارتسم على شفتي الإسكندر (Alexander) يذكرنا برد الفعل بوسانياس Pausanias واليونانيين عندما شاهدوا الثروات الفاحشة في خيمة ماردونيوس Mardonius التي غنموها بعد معركة بلاتيا (هيرودوت Herodotus IX 820) ، كذلك فالعديد من المؤلفين قد أسهبوا في وصف الفخامة التي كانت في خيام القادة العسكريين الفرس .

إن التوصيفات التي أعطيت لخيمة الإسكندر (Alexander) كلها متساوية في ثرائها بالمعلومات، حيث إنه بكل وضوح كان معتادًا على عادات أباطرة الفرس، وبصفة عامة فإن المؤلفين القدامى أسهبوا في وصف الترف والثراء في بلاط الإسكندر (Alexander) والذي تؤكده الاستمرارية في ممارسات الأخمينيين .

تعتبر النصوص الكلاسيكية أكثر أهمية، حيث إنها تعرفنا القليل عن البيئة السائدة في الأماكن والمقرات الملكية، فلقد تم إنشاء مقر سكنى يشتمل على المساكن الملكية في صوصا Susa ، وكانت تربط بين الحجرات ممرات خاصة يتم التنقل من خلالها بينها، وبصفة عامة فإنه من المعتقد أن مدينة صوصا Susaكانت تحتوي على بعض المقرات الملكية الدائمة القليلة جدًّا، وينطبق هذا الاعتقاد نفسه على برسيبولس .

وفي بعض الأحيان يستدل على أنه أثناء تنقل البلاط الملكي، فإن حاشية الملك كانت تمكث في مدن الخيام التي تتم إقامتها على السهل المنبسط أسفل المنحدر، وبالطبع فنحن نعلم أن البلاط يحوي عددًا هائلاً من البشر؛ لأنه وتبعًا لستيسياس Ctesias ودينون Dinon فإن نحو 15000 شخصًا كان يتم إطعامهم يوميًّا بما فيهم الجنود، ولكن بالرغم من ذلك فإن هذه التفسيرات تنطوي على العديد من التحفظات المفاهيمية: وبادئ ذي بدء، فإن هذه التفسيرات تعتمد على وجود بعض الفجوات في السجلات الأثرية، ومن الواضح أن أية استنتاجات خاصة بالإقامة المستمرة في برسيبوليس تعتبر غير ناضجة طالما أن السهل لم يتم التنقيب فيه بشكل منظم.

ونحن نعرف أنه منذ زمن قمبيز Cambyses فصاعدًا تم بناء العديد من القصور وأماكن الإقامة هناك، كذلك فنحن نعرف أنه في عهد أرتاكسركسيس (Artaxerxes)الثاني تم بناء قصر جديد في صوصا Susa بجوار نهر شاور Shauer ، فلقد وجدت حجرة استحمام من الواضح أن الملك الأكبر اعتاد أن يخلو بنفسه فيها بانتظام كما كان يفعل نبلاء الفرس وكما كان يفعل الإسكندر (Alexander) في بابل، كذلك توجد بعض النقوش البارزة (خدم للمائدة الملكية) وكذلك أشياء (أطباق) وكلها تدل على وجود صالات الاستقبال داخل القصر، كذلك يوجد مقر القيادة العسكرية التي من المعروف جيدًا أن وجودها يدل على أن العديد من

البنايات الأخرى قد أقيمت من أجل فيالق الحراس المختلفة، بالإضافة إلى الثكنات التي كانت تقام للحرفيين الذين يعملون في الورش المختلفة .

ماذا بعد؟

إن النصوص الكلاسيكية في بعض الأحيان تلقي الضوء على هذه الموضوعات، والعدد الكبير من الإشارات إلى حجرة نوم الملك هو دليل قوي: ومن مقطع لبلوتارخ (Plutarch) نستطيع أن نستنتج على أن الحوائط لم تكن سميكة جدًّا.

أورد ديودورس (Diodorus) في وصفه لبرسيبولس أن مساكن الملوك والقادة العسكريين كانت تنتشر حول المساكن الملكية، والتي تم تأسيسها بأفخم أنواع الأثاث، وكل أنواع الرفاهية، ومنزل (أويكوس) باجوس Bagoas الذي أعطاه الإسكندر (Alexander) لبارمينيون Parmenion يجب أن يصنف ضمن هذه المساكن الخاصة .

إن المقارنة بين أوصاف قصور الأخمينيين وأوصاف خيمة الإسكندر (Alexander)هي شيقة أيضًا، فتبعًا لتشاريس Chares ، كان الإسكندر (Alexander) يتناول طعامه مع ضيوفه في خيمة مترفة في صوصا Susa ، بينما الجنود والسفراء الغرباء والسياح تناولوا الطعام في باحة القصر(أولى)، ويكتب هيراقليدس Heraclidesعن الوجبات الملكية الأخمينية قائلاً أن الملك الأكبر كان يتناول الطعام هو وضيوفه في قاعتين في القصر الملكي (أويكيماتا)، بينما الجنود والحراس والمجموعات الأخرى يتشاركون طعامهم في باحة القصر (أولى) .

نحن لا نعرف لماذا كان الإسكندر (Alexander) يختار تنظيم احتفالاته في الخيام، بينما لا تزال القصور الفارسية قائمة، ولكن ربما أن تفسير ذلك يرجع إلى طبيعة التنقل التي يحياها بلاط الإسكندر (Alexander)، كذلك فهناك إجماع على أن الخيمة الملكية الفارسية

كانت صورة مطابقة إلى حد كبير للقصور في صوصا Susa وفي برسيبولس، حيث إن ترتيب الحجرات وتنظيمها يتم بحيث تكون متقاربة من بعضها البعض بقدر المستطاع، وذلك لمن يقيمون على الدوام، ولكن من ناحية أخرى كانت هناك مقرات الإقامة الملكية الحقيقية التي تم تأثيثها بأفخم أنواع الأثاث، وهذا في كل مدينة من المدن الرئيسة في المقاطعات التي يبقى فيها الملك من وقت لآخر .

2- أفراد البيت الملكي:

كبير الياوران وخدمة الجمهور:

إن الضابط الأعلى مرتبة في البلاط الملكي يعرف جيدًا لدى اليونانيين باسم كبير الياوران، والذي ربما أن اسمه قد تم اشتقاقه من الكلمة الإيرانية (هازاراباتيس) ومعناها (قائد الألف)، هذه الكلمة الفارسية قد تم اقتباسها مباشرة من اليونانية من خلال الترجمات الصوتية لكلمة أزاراباتيس أو على أقل تقدير من كلمة أزاباريتيس، والسبب في كثرة ذكر ذلك الضابط في أعمال المؤلفين القدامى هو أن كل زائر كان يحتاج دائمًا إلى مساعدته حتى يستطيع أن يقابل الملك. وحسبما ذكر ديودورس (Diodorus) ، فإن (مكانة ورتبة كبير الياوران قد حظيت بالمكانة والشرف على يد ملوك الفرس)، ويكتب نيبوس Nepos عن تيثروستيس Tithraustes كبير الياوران في بلاط أرتاكسركسيس (Artaxerxes) الثاني قائلاً أنه (كان يعتبر الثاني في المرتبة في الدولة بعد الإمبراطور).

ولهذا فمن الممكن أن نقول إن معظم الكتاب القدامى كانوا يتعاملون مع كبير الياوران على أنه الشخص الأعلى رتبة في بلاط الأخمينيين، فهو المتحكم والمشرف على كل الأقسام الأخرى في البلاط، باختصار كانوا يعتبرونه كرئيس للوزراء أو كبير للوزراء، ولكن

هذا التفسير غير محتمل بشدة لسبب واحد هو أن الوثائق والمستندات التي تقدم عادة لتدعيمه هي غير متساوية في القيمة، علاوة على ذلك فإن السلطة والقوة كانت في يد الملك، والذي لم يعطِ أو يفوض سلطته إلى أي شخص آخر، حتى الإدارة الاقتصادية كانت تخضع له، وأي مدير مكتب كان يخضع شخصيًا للملك مثل الشخص المسؤول عن الخزانة في البيت الملكي، والذي كان نيبوس Neposيسميهم (الأوصياء على الثروة الملكية).

رؤساء المراسلة الملكية: أو ما يسمى رئيس المراسلة الملكية:

عندما يريد الملك أن يتخذ قرارًا، فإنه إما أن يتخذه منفردًا أو يستشير البعض ممن لديهم قدرة في المجال ذاته، فلا يوجد مجلس ذو عضوية دائمة على الإطلاق، فكل الوظائف في البلاط وظائف مؤقتة، ومن الممكن أن تنتقل من شخص إلى آخر جدير بالثقة بمرور الأيام، حيث يقول مؤلف كتاب (دي موندو De Mundo) : إن هذا الشخص يتم تكليفه بهذه المهمة أو الوظيفة، وعلى هذا الأساس فمن المستبعد تمامًا أن يحاط الملك برئيس وزراء، والذي من الممكن أن يلعب دورًا غير متناسب، ولكن مثل كل الملوك الأخرين فمن أجل الوجاهة فإن وظيفة كبير الياوران تعطى لشخص يتبع الملك حيثما ذهب حتي حينما يذهب إلى الحرب.لقد عَّرف النحوي هيسيشيوس Hesychius مهمة كبير الياوران (أزاراباتيس) كما يلي: (إنهم المقدمون من بين الفرس)، إن النصوص الكلاسيكية التي تتحدث عن استقبال السفراء اليونانيين تدفعنا إلى افتراض أن كبير الياوران هو الذي يظهر في النقوش الموجودة في برسيبولس منحنيًا أمام الملك، يبعث بقبلة بيده اليمنى تجاه الملك الجالس على عرشه، ومن هذا المنطلق فإن الدلائل الأدبية تعتبر غير أكيدة، وفي بلاط أستياجيس- Astyages كما يراه زينوفون - Xenophonفإن الساقي ساكاس Sacas كان يلعب دور المقدم للاشخاص الذين

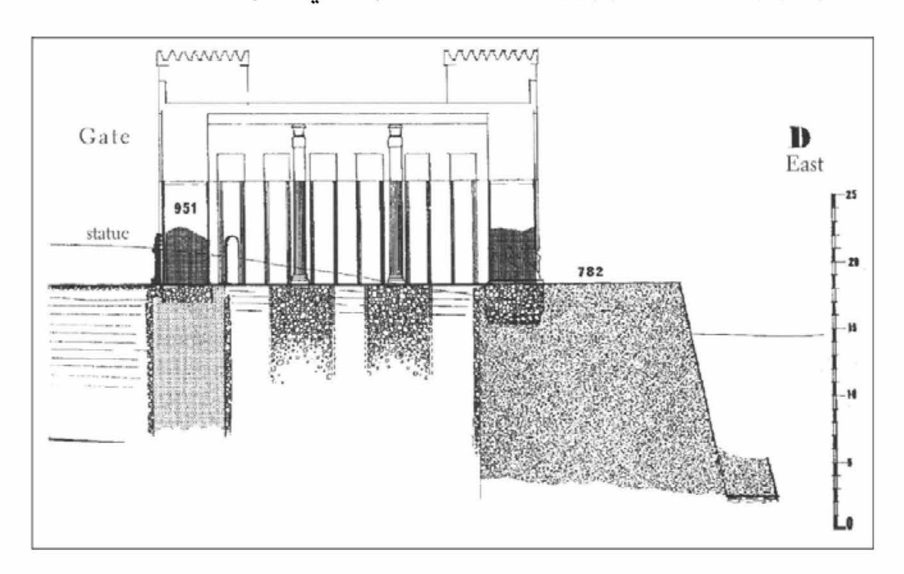
يريدون مقابلة الملك، حيث كان لديه مكتب التعارف والتقديم؛ وذلك للسماح لمن لديه تصريح بمقابلته، ومنع من ليس لديه تصريح من مقابلته .

ولقد أضاف زينوفون Xenophon أيضًا رئيس كبار الموظفين (سكبتوخوى: والتي تترجم حرفيًا كحاملي الصولجان)، أدرجه هو الأخر من ضمن أهم الشخصيات الإعتبارية الموجودة في القصر، والذين يحيطون بالملك عند خروجه من القصر، والذين يحملون كذلك الرسائل إلى الناس الذين يرغبون في تقديم طلباتهم إلى الملك .

جاداتاس Gadatas كان رئيس حاملي الصولجان، وكانت جميع العاملين بالبلاط يعملون حسب توجيهاته، وأيضًا هو الذي يشرف على كل شيء أثناء تناول الطعام، كذلك فإن وظيفة رئيس حاملي الصولجان (سكبتوخوى) كانت توجد أيضًا في حاشية قورش (Cyrus) الأصغر، ولكنها كانت لا تعدو أن تكون لقبًا شرفيًا أكثر منها وظيفة؛ لهذا كان لا بد من الحرص الشديد في تعريف الشخص الذي يقوم بتحية الملك من بين الحاضرين، وبالرغم من ذلك فيمكننا تعريفها على أنها الخدمة لجمهور المملكة التي تضم العديد من الأشخاص، والسؤال هنا هو: كيف أن المؤلف دي موندو يصف الملك ويصوره في قصره؟

وكما تقول القصة إن الملك في صوصا Susa قد شيد لنفسه قصرًا مهيبًا ذا سور مطعم بالذهب والعنبر والعاج، وبه العديد من المداخل الواحد تلو الآخر، والعديد من الأروقة والممرات العالية، والتي تبعد عن بعضها البعض، والتي هي مؤمنة بأبواب من البرونز وحوائط قوية، وخارج هذا المكان يعيش كبير الموظفين ورجال الملك الذين لديهم مكانهم المحدد، بعضهم من الحراس الشخصيين للملك وحراس الجدران القريبة يطلق عليهم حراس البوابات الذين يمكنهم سماع أو مشاهدة أي شيء، هذا النص ينقل إلينا العديد من الفروض التي كانت

راسخة بشدة في أذهان الإغريق مثل معاملتهم للملك على أنه إله، فمن خلال النص يمكن أن نحصل على الانطباع عن ملك منعزل في قصره، ولكنه يعلم كل شيء من خلال عيونه وأذانه المنتشرة في كل مكان، ولقد أبرز مؤلف كتاب Esther(هؤلاء الأشخاص الذين ميزة الوصول إلى الملك) (فقرة 1:14) ويصر زينوفون Xenophon على ذلك، إن أحد الإجراءات التي إتخذها بوسانياس Pausaniasالإسبرطى ليتشبه بالفرس هي (أنه جعل نفسه يصعب الوصول إليه، وتصرف بشراسة تجاه أي شخص دون استثناء، وبذلك لم يكن أحد يستطيع الاقتراب منه) (ثيوسيديدس Thucydides ، الكتاب الأول، فقرة 130-2)، وبالإضافة إلى ذلك، فلقد سجل ستيسياس Ctesias القصة الأسطورية لساردنابالوس Sardanapalusالذي عاش منعزلاً في قصره والذي لم يكن يراه إلا زوجاته والخصيان الذين يعيشون معه (أثينيوس Athenaeus ، الكتاب الثاني عشر، 528 و) .



الشكل 38

إن مؤلف كتاب (دي موندو) يستحق التقدير حيث إنه وضع الجمهور الملكي في السياق المعماري له حتى ولو لم تكن كل عناصر الديكور حقيقية، فعندما يصل الزائر إلى البوابة، كان يراها وبحق عبارة عن بناء قوي، أصبح رمزًا أو عنوانًا للبلاط كما يتضح ذلك من التعبير (هؤلاء أصحاب البوابة) والذي أصبح كنوع من لقب البلاط، حتى في الألواح البابلية، وإن أحسن الأمثلة المعروفة الآن هي بوابة دارا Darius في صوصا، والتي أمر كسركسيس Xerxes بعمل نقش مثلثي الشكل على أعمدتها كتب فيه: (يقول الملك كسركسيس : Xerxes بفضل أهورا مازدا قام الملك دارا Darius بإنشاء هذه البوابة، وهو والدى (.وعند القاعدة، تبلغ مساحتها نحو 40 مترًا طول و28 مترًا عرض، وترتفع إلى نحو 15 مترًا، حيث يقول كسركسيس (Xerxes) الملك: لقد تم بناء تلك البوابة وتزيينها بواسطة أبي دارا Darius الملك، تلك البوابة توجد بها ثلاث قاعات، القاعة المركزية المربعة والتي يبلغ طول ضلعها 2.21 مترًا، وهي محاطة بقاعتين أخريين من الشمال والجنوب يفتحان في القاعة الكبرى المركزية، وفي برسيبولس نجد أن البوابات مزخرفة بنقوش جذابة، وفي صوصا Susa فإن الممر إلى القاعة المركزية محاط بالتماثيل للملك دارا Darius ، وداخل القاعة الكبيرة توجد مصاطب حجرية بجوار الحائط حيث يتم انتظار المغادرين، وفي البوابة نفسها مقاطع للأبواب التي تؤدي إلى القصر من الداخل، ولكن قبل أن يصل الشخص إلى داخل القصر، فإنه يمر بعدد من العوائق ونقاط التفتيش، وإن كل خدم الملك والناس الآخرين في المقاطعة يعلمون أن أي رجل أو أية امرأة تصل إلى بلاط الملك دون أن يكون أو تكون قد دُعِيَت إلى ذلك، فإن هذا معناه الموت، وحسبما ذكرت النصوص فإن كل زائر يجب عليه أن يعطي اسمه وموطنه وعمله والسبب الذي أتى من أجله، وكل هذه البيانات يتم تسجيلها مع وصف هذا الشخص وملابسه، كما

كان يطلب من الشخص أن يسجد لصورة الملك، وكما أورد المؤلفون اليونانيون أن الشخص حتى يكون قادرًا على لقاء الملك يجب عليه أن يقدم لنفسه ويمهد لها، وإذا لم يفعل فسوف يكون التعامل معه من خلال الرسائل فقط .

الحراس الملكيون والحراس الشخصيون:

يبدو من الواضح أنه يجب أن تكون هناك احتياطات كبيرة يتم اتخاذها من أجل اللقاءات مع الملك، ليس فقط لأنه يتم النظر إليه على أنه إله، ولكن من أجل سلامته كذلك، وكان ذلك يتم من خلال تعيين نحو 10.000 من الفرس على أقل مستوى كحراس بالرماح (دوريفوروي) يحرسون القصر ليلاً ونهارًا، طالما كان الملك داخل القصر، ولكن عندما يرحل من القصر فإنهم يتبعونه حيثما ذهب، وكذلك فإن بعضهم يحرسون خيمة الملك إذا ما ذهب في حملاته الحربية .

ويتم اختيار نوعية المشاة من الفرس بحيث يكونون أقوياء، ويتم اختيار نحو عشرة آلاف منهم ألف لديهم رمانات ذهبية بدلاً من المسامير على نهايات رماحهم، هذه الألف تنتشر حول التسعة آلاف الأخرى التي توجد لديهم رمانات فضية، والعشرة آلاف الذين تم اختيارهم من القوة الفارسية تخضع لإمرة هيدرانيس Hydarnes ابن هيدرانس Hydarnes ، ولقد كانت هذه القوات تعرف بـ (الخالدين) لأنه إذا مات أي جندي منها حل محله آخر بحيث يبقى العدد عشرة آلاف كما هو، ومن بين كل هذه القوات كان الجندي الفارسي الأصل ليس فقط هو الأفضل ولكن أيضًا هو الأحسن من حيث التسليح ومن حيث الملابس والدروع، وقد كان الجندي الفارسي مزينًا بالذهب بقدر ما يستطيع حمله، وقد كانت هناك عربات مغطاة (هارمامكساى) تصاحب الجنود، وهذه العربات كانت تحمل نساءهم (بالاكاى) وخدمهم، وكان يتم إحضار طعام خاص للجنود الفرس على ظهر الجمال والبغال يختلف

عن طعام باقي الجنود (هيرودوت Herodotus ، الكتاب السابع، فقرة 41*83) .

هذا هو الوصف الذي قدمه هيراقليدس Heraclides في كتابه بلاد (فارس Persica)عن هؤلاء (الميلوفوروى) وهي الكلمة التي تعني حرفيًا (حاملى التفاحة) أوالحراس الشخصيين: كانوا جميعًا مولودين في فارس وكان يوجد تفاحات ذهبية على رماحهم، وكان عددهم ألف يتم اختيارهم بسبب رتبهم من بين العشرة آلاف فارسي الذين يسمون بـ(الخالدون) (أثينيوس Athenaeus ، الكتاب الثاني عشر، 514 ج) .

عندما كان الإسكندر (Alexander) يستقبل الأشخاص المقربين منه لكي يتناولوا الطعام في خيمته كانوا يقفون في صفوف، الأول عبارة عن 500 فارسي يرتدون عباءات فضفاضة ذات لون أصفر مائل للبنفسجي، ثم يأتي بعد ذلك ألف من رماة السهام يرتدون اللون القرمزي المضيء، ذكر كوينتوس كورتيوس Quintus Curtiusوصفًا مماثلاً للخالدين الذين كانوا مزدانين بفخامة، يرتدون القلائد الذهبية والثياب الموشاة بالذهب والسترات الضيقة ذات الأكمام الطويلة .

نظام الأمن:

عندما كان الملك يغادر القصر فإن عجلته الحربية كانت تحاط بفيلق من الجنود والحرس الخاص، ويحيط بموكبه عدد كبير وزحام شديد من الناس، ولكنهم جميعًا خارج الخطوط، ولا يستطيع أحد أن يدخل في صف الجنود إلا من كانت له مكانة وشرف، ورجال الشرطة يتمركزون هناك، والسياط في أيديهم يضربون أي شخص يحاول أن يتسلل إلى الداخل، ويصف زينوفون Xenophon كذلك: أن الفرسان يقفون بجوار خيولهم وأيديهم داخل أكمام ستراتهم، وبهذه الطريقة فإن المؤلف يربط بين طريقة وقوف الجنود وبين عملية الأمن ومتطلباتها، وحسبما ذكر مؤلف هذه الحاشية فإن قورش (Cyrus) الأصغر من المفترض أنه قد قتل

بعض أقاربه المقربين من دارا Darius الثاني؛ وذلك لأنهم عندما قابلوه لم يضعوا أيديهم متقاطعة خلال أكمامهم، ويعتقد زينوفون (Xenophon) أن هذا من دواعي الأمان في المملكة؛ وذلك لأن الأيدي عندما تكون بغير هذا الوضع فمن الممكن أن تخبئ سلاحًا أو ما شابه ذلك لا يراه الحراس .

التقاليد المتبعة في تناول الوجبات الملكية:

ذكر أيضًا زينوفون Xenophon النظام الدقيق والصارم الذي يبنى عليه تناول الطعام بالنسبة للضيوف؛ وذلك من أجل الأمن، فقد كان هناك ضابط في البلاط الملكي مهمته تذوق كل الطعام الذي سيقدم للملك قبل تقديمه له، وذلك للحفاظ على سلامة الملك وأمنه، وهناك حادثة عرضية تفسر الشك الذي يحوم حول القصر، ألا وهي الصورة التي رسمها ستيسياس Ctesias وبلوتارخ (Plutarch)للوجبات التي تشارك فيها الطعام كل من أرتاكسركسيس (Artaxerxes) ، وزوجته ستاتريا، وأمه بارستيس، ويخبرنا بلوتارخ (Plutarch) كيف تخلصت باريساتيس Parysatis من ستاتيرا Stateira: لقد بدأت المرأتان مرة أخرى في تبادل الزيارات وتناول الطعام معًا ومن يراهما هكذا يدرك أنهما قد تخلصتا من الغيرة والاختلاف اللتين كانتا فيهما، ولكنهما بالرغم من ذلك وللاحتياط كانا يتشاركان الإناء نفسه من الطعام، ويأكلان من الجزء نفسه في الإناء، وظلا هكذا حتى بقيت قطعة طائر فارسي صغير في الإناء، وهو طائر في مثل حجم الحمامة، ويعتقد ستيسياس Ctesias أن باريساتيس Parysatis قد قطعت الطائر إلى نصفين بالسكين أحدهما مملوء بالسم والآخر خالي من السم، فقامت باريساتيس Parysatis بتناول النصف الخالي من السم وأعطت لستاتيرا Stateira النصف الآخر المملوء بالسم.

وقد ذكر بلوتارخ (Plutarch) أنه كانت هناك عقوبة لمن يحاول أن يسم غيره وتلك العقوبة في البلاط عبارة عن حجر كبير يتم وضع رأس مرتكب تلك الجريمة على هذا الحجر ثم يتم سحق رأسه بواسطة حجر

آخر كبير حتى يتم تفتيت رأسه إلى قطع صغيرة، ومعنى هذا أن عملية التسميم كانت تؤخذ بجدية كبيرة، ويقول ستيسياس Ctesias إنه كان هناك نوع من السم الهندي الذي يسبب موتًا بطيئًا محفوظًا في الجناح الملكي ومتاح فقط للملك ولأم الملك .

الماء والخبز الخاص بالملك المعظم:

إن أحد الأسباب التي كان الملك من أجلها يتناول طعامه وحده ليس فقط مكانته العالية التي لاتدانيها مكانة أي شخص آخر، ولكن ذلك من أجل ضمان أمنه وسلامته، وقد كان طعام وشراب الملك يحفظ وينقل على حدة، وهذا ما أخبرنا به هيرودوت Herodotus في هذا السياق: (عندما كان الملك الفارسي يذهب إلى الحرب كان يتم إمداده ليس فقط بالطعام والمؤن من بيته، ومن حاشيته الخاصة، ولكن أيضًا بالماء من نهر تشوبيس The Choaspes ، وهو نهر يتدفق عبر صوصا Susa ، ولا يمكن لأي واحد من ملوك الفرس أن يتناول الماء من أي نهر آخر، ويتم جلب الماء ووضعه في آنية من الفضة يتم حملها في عربات تجرها البغال وتصاحب الملك أينما ذهب) (الكتاب الأول، فقرة 188) ويؤكد ستيسياس Ctesias وآخرون على هذه الممارسات في القصور الملكية والتي تنبع من زاوية دينية وعقائدية .

ولكن تلك النظرية لا تستقيم، فإنه لم يتفق معها الكثير من المؤلفين الذين قالوا إن الملك يمكن أن يتناول مياهًا من مصادر أخرى طالما كانت هذه المياه جيدة ومعقمة، ويقولون إن الماء الجيد هو الذي يسخن ويبرد في زمن معقول، وعندما يتم صبه في آنية من الفضة أو البرونز لا يفقدها بريقها ولمعانها، ويؤكد بليني Pliny أيضًا على أن الغلي المسبق للماء يحافظ على نقائه ونضارته .

ولقد كان الماء الذي يشربه الملك المعظم يتم صبه في آنية تحفظ

خصيصًا من أجله، وذلك من أجل الحفاظ على حياة الملك، كذلك كان الحال بالنسبة لخمر الملك، ويذكر هيراقليدس Heraclides أنه في أثناء حفلات الشراب التي تعقب تناول الطعام كان الملك يتناول نوعًا خاصًا من الخمور من سوريا، ولقد كان هذا هو الخمر الوحيد الذي إعتاد على شربه (أثينيوس Athenaeus ، الكتاب الثاني، فقرة 28 د) كذلك فنحن نعلم من دينون Dinon أن الملك كان يشرب من كأس خاصة على شكل بيضة، ولهذا فقد كان من يصبون الخمر في القصر غاية في الأهمية خاصة مدير هذا القسم وهو الساقي، فهو وحده لديه طريقة دقيقة في صب الخمر في كأس الملك تبعًا للتقاليد الملكية .

كان سقاة هؤلاء الملوك يعطرون مكاتبهم بالنسيم العليل، ويقومون بصب النبيذ بكل دقة، ثم يقدمون الكأس بثلاثة أصابع، بحيث يوضع بالضبط بجوار من سيتناول النبيذ، وقد كان ساقي الملك يقوم بصب بعض النبيذ في يده اليسرى، ثم يبتلعها أمام الملك حتى إذا كان بها سم لا يضار به الملك؛ ولهذا فإن الساقي هو أكثر فرد قربًا من الملك .

أطباء البلاط الملكي:

يمثل الأطباء جزءًا مهمًا من أفراد البلاط الملكي الموثوق بهم، إذا أنهم يجب أن يكونوا من الأشخاص الموثوق فيهم بدرجة كبيرة جدًا؛ لأنهم من الممكن أن يضعوا السم للملك، ومن المعلوم لنا أن العديد من الأطباء قد تدربوا في بلاط الملك أرتاكسركسيس (Artaxerxes) الثاني، ولكن واحدًا من هؤلاء معروف باسمه، وهو الطبيب بوليكريتوس. Polycritus

وفي الحقيقة إن المثال الجدير بالملاحظة هو ستيسياس Ctesias نفسه الذي نشأ في كنيدوس Cnidos ، والتي اشتهرت بوجود مدارس الطب بها، وأتى من دائرة إله الطب الذين كانوا على صلة بمعبد إله

الحرب، وإن التاريخ المحدد والظروف المحددة لوصوله إلى بلاط أرتاكسركسيس (Artaxerxes)لا تزال غير مؤكدة، فهل أحضره الملك بسبب معرفته الطبية؟ أم هل تم إحضاره إلى البلاط كأحد أسرى الحرب؟ وتظل الحقيقة هي أنه توجد دلائل على وجوده منذ وقت معركة كوناكسا Caunaxa ، والتي تلقى بعدها العديد من الأوسمة والتكريمات من الملك، وليس هناك شك في أنه كان يعتني بالملك الذي وقع من على ظهر جواده أثناء المقاومة .

على كل حال فهو يدعي أنه هو نفسه كان يداوي الجروح عندما جرحه أخوه قورش (Cyrus) الأصغر (زينوفون Xenophon ، الزحف العسكري، الكتاب الأول، 8*26)، ولكن هذه القصة بالنسبة للمعركة تبدو أنها ضجة إعلامية تحملنا على أن نضع ثقتنا في تعليق ستيسياس Ctesias ، والذي بقى في البلاط حتى (397-398) وعندما عاد إلى وطنه وكتب مؤلفه بلاد فارس Persica .

ولكي نذكر الحقيقة فإنه لدينا معلومات قليلة عن الشهادات الطبية التي حصل عليها ستيسياس Ctesias ، هو نفسه من الواضح أنه يفضل الحديث عن دوره كأحد المفضلين والموثوق بهم والدبلوماسيين، وهناك مقولة أخرى تشهد أنه كان يعتني بأرتاكسركسيس. (Artaxerxes)

يذكر فوتيوس Photius في ملخصه لكتاب (بلاد فارس) أنه طبيب باريساتيس Parysatis ؛ لذلك فقد كان من الواضح أنه أكثر الناس قربًا من أم الملك أرتاكسركسيس (Artaxerxes) الثاني، وهو يدعي أنه قد حصل على العديد من معلوماته الطبية منها، وحصل على العديد من الهدايا الرمزية الفريدة من باريساتيس Parysatis ومن الملك، ولقد كان بالتأكيد بسبب صداقته الحميمة لباريساتيس) Parysatis وليس فقط بسبب حبه لـ (لاكونيا Laconia) التي وهي القصة التي شجبها بلوتارخ ((Plutarch) أنه تدخل للتخفيف من ظروف سجن كليرشوسClearchus .

وقد ذكر ستيسياس Ctesias وجود طبيب يوناني آخر في بلاط أرتاكسركسيس (Artaxerxes) الأول هو أبولينيديس Apollynides وهو مواطن من جزيرة كوس (جزيرة صغيرة بالقرب ساحل آسيا الصغرى مشهورة بأطبائها)، ولقد تمت الإشارة إليه في القصة التي تتناول الأعمال البطولية لأسرة ميجابيزوس Megabyzus وكان أبولينيديس Apollynides مشهورًا بأنه ضمد جروح ميجابيزوس Megabyzus التي أصيب بها في الصراع الذي دار في البلاط في خلال خلافة كسركسيس (Xerxes) ، وبعد ذلك وقع في حب أرملة ميجابيزوس Megabyzus ، أميتيس Amytis وهي أخت الملك التي اشتهرت بجمالها وعلاقاتها الغرامية خلال نطاق الزواج (ستيسياس Ctesias ، فقرة 28) .

لقد أعطانا ستيسياس Ctesias فكرة سريعة وصورة غير مكتملة عن البلاط الفارسي من خلال ثقب المفتاح كما اعتاد أن يفعل، فلقد أخبر أبولينيديس Apollynidesأميتيس Amytis بأنها من الممكن أن تستعيد عافيتها من خلال معاشرة الرجال؛ لأنها كانت لديها مشكلة في الرحم (ستيسياس Ctesias ، فصل41) .

ولكن بعد ذلك، وبعد موت الأميرة أميتيس Amytis ، جعلت أمها أرتاكسركسيس (Artaxerxes) يعاقب الطبيب فعلى سبيل المثال: (جعلته يضع في يده الأصفاد الحديدية ويحبسه ويعذبه لمدة شهرين، وبعد ذلك تم دفنه حيًّا عندما ماتت أميتيس Amytis)، ولكن الظهور الأول لأحد الأطباء اليونانيين في البلاط الملكي يرجع إلى أيام دارا Darius ، فلقد أخبرنا هيرودوت (Herodotus) بقصة بكثير من التفصيل قصة حقيقية خصصها للحديث عن مغامرات الطبيب ديموسيدس Democedes (الكتاب الثالث، فقرات 125-138)ولقد ولد هذا الطبيب في كروتون في جنوب إيطاليا واكتسب خبرته من خلال انتقاله من بلد إلى آخر في اليونان، وكان يتقاضى أموالاً من الخزانة العامة للمدن التي يخدم فيها،

وبعد ذلك استقر به المقام في بلاط بوليكراتيس Polycrates حاكم جزيرة ساموس، وبعد تمكن أوروتيس Oroetes مرزبان سارديس من قتل طاغية ساموس، قام بالاحتفاظ بحاشية بوليكراتيس Polycrates بالقرب منه وخاصة الغرباء، وحصل على الخدمة الطبية من ديموسيدس Democedes والذي صار الآن عبدًا عنده .

في حادثة أخرى وأثناء الصيد، تعرضت قدم دارا Darius للإلتواء الشديد، ولم يستطع أطباؤه المصريون أن يعالجوه؛ لذلك استعان بديموسيدس Democedes الذي وصلت شهرته إليه، وبالرغم من تحفظه على بقائه في البلاط، فإن اليوناني كان في موقف من الصعب أن يرفض فيه هذا المريض المهيب وعالج له قدمه؛ ولهذا فقد نال مكانة يُحسد عليها، (فمنذ ذلك الوقت عاش في منزل كبير (أويكوس) في صوصا Susa ، وكان يتناول طعامه على مائدة الملك (هوموترابيزوس)، ولقد كان له تأثير كبير على الملك(بارا باسيلاى)) (الكتاب الثالث، فقرة 132)، وقد عالج أتوسا من خراج في الثدي (الكتاب الثالث، فقرة 132)، وبعد ذلك بفترة رتب لكي يهرب أثناء المهمة التي أرسله فيها دارا (Darius)إلى جزيرة صقلية .

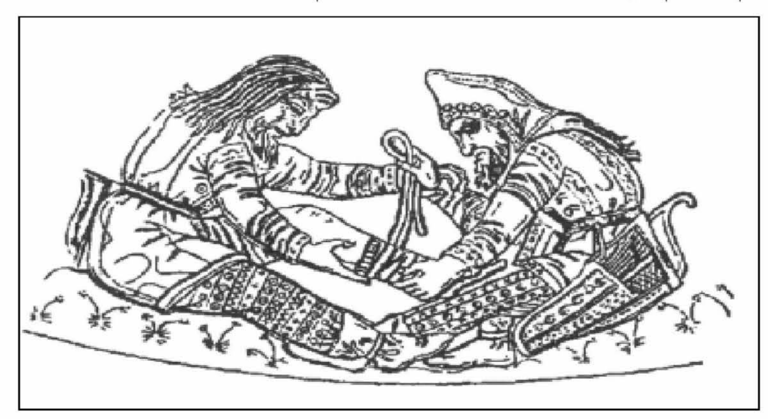
وتبعًا لهيرودوت Herodotus فإن دارا Darius قد ضاق ذرعًا بكل ما تحمله الكلمة من معنى من الأطباء المصريين الذين تنقصهم الكفاءة (بالرغم من شهرتهم الواسعة بأنهم التي الأمهر في مهنتهم هذه) (الكتاب الثالث، فقرة 129)، ولقد ذكر أيضًا أن ديموسيدس Democedes قد تشفع للاطباء المصريين لدى دارا Darius الذي أراد أن يضعهم على الخازوق .

ولكن يجب علينا ألا نرسم صورة محددة من الأمثلة الثلاثة السابقة، وهي أن الأطباء الإغريق هم فقط الذين كانوا يداوون الملك وعائلته، ولكن في الحقيقة فإن هيرودوت Herodotus أخبرنا أن الاتصال الأول كان بين الإغريق والفراعنة، فلقد كان الأطباء المصريون يفدون إلى

البلاط الملكي اليوناني، حيث طلب الملك الأكبر أعظم أطباء العيون في مصر، فلقد كان الطب المصري والأطباء المصريون هم الأكثر شهرة في القدم في جميع أجزاء الشرق الأدنى، حيث إنك كنت تجد جميع المتخصصين هناك .

إن اهتمام دارا Darius بالطب المصري لم يفتر، ففي سنة 519 تقريبًا أرسل أدجاهورسنت Udjahorresnet مرة أخرى إلى مصر بعد أن قدم إخلاصه وولاءه لقمبيز (Cambyses) ، فقد رافق الملك في طريقه العودة حتى وصلوا إلى إيلام، وكانت مهمته هي إعادة تأسيس مدرسة سايس Sais ، والتي كانت عبارة عن مركز طبي مصري معروف للدراسات الطبية، ولقد أظهرت بعض النقـوش التي تعـود إلى أيـام قمبيـز (Cambyses) ودارا Darius أنه حصل على لقب رئيس الأطباء (طبيب أول)، وبالرغم من صمت المصادر والاتجاه الشديد الموالي للمصادر اليونانية فهناك أسباب عديدة جعلت الأطباء المصريين يتواجدون في بلاط الملك، والدليل الوحيد نجده في علاج الجروح، حيث نجد أن علاج جروح الجنود كان يتم بتغطية الجرح بنبات المر، ثم عمل ضمادة من الكتان للجرح، ومن هنا يتضح أن الطريقة التي اختيرت في العلاج تشير إلى مصر .

ومن المهم أن نلاحظ أن الدليل الذي بين أيدينا لا يخبرنا بشيء تقريبًا عن الأمراض الأكثر شيوعًا، دعنا نقول باختصار هذا عن المعلومات التي أخبر بها هيرودوت Herodotus عن مرض الجذام، إن من يعانون من الجذام والجرب يتم عزلهم ويمنعون من دخول المدينة، فهم يقولون إن تلك الأمراض إنما هي



الشكل 39

عقاب لمن يسيء إلى الشمس، وكانوا يقومون بطرد أي غريب يصاب بتلك الأمراض: فارسي الذين كانوا يطردون حتى اليمامات البيضاء، كما لو كانوا هم أيضًا مدانين بنفس التهمة .

ولقد أكدت هذه الرواية إحدى فقرات ستيسياس Ctesias عندما أخبرنا أن ميجابيزوس قد هرب من منفاه في الخليج الفارسي بعد أن أمضى هناك خمس سنوات عن طريق تنكره في صورة الـ(بيساجاس) وهي الكلمة الفارسية التي تعني المجذوم والذي لم يكن أحد يستطيع الإقتراب منه .

الكهنة المجوس: أعشابهم وحجارتهم:

إن واحدًا من القرارات الكثيرة التي اتخذها زينوفون Xenophon في سيريس أنه جعل خزانة المملكة مسؤولة من الأطباء المتفوقين، فهم يعملون كسفراء طبيين يجلبون كل شيء مهم للخدمة الطبية من حيث الأدوات والأجهزة والأدوية سواء الصلبة أو السائلة، كذلك فقد أورد زينوفون Xenophon أن قورش Cyrus إنزعج عندما علم أن جنوده نادرًا ما كانوا يحصلون على الرعاية الطبية، ولكي يتغلب على ذلك فقد سعى إلى عمل مخزون احتياطي من تلك الأدوية والتي تكون في الخدمة في حالة المرض، وليس هناك شك في أن هذه المواد كانت عبارة عن نباتات طبية يقوم الشباب بجمعها كتدريب أثناء دراستهم، وفي الحقيقة يبدو أن الفرس قد أحسنوا استغلال النباتات الطبية في كل الظروف في حياتهم اليومية .

ونحن نعرف من كتابات كل من هيرودوت Herodotus وسترابو (Strabo) أن الفرس كان محرم عليهم البصق أو التبول في المجاري المائية، ويذكر أحد المعاجميين (أي من يضعون المعاجم) القدامى أنه حتى تُحل تلك المشكلة فقد كانت هناك وصفة طبية لمنع أي انسياب لمثل هذه الأشياء في المجاري المائية .

لا شك في أن المتخصصين الذين اختارهم قورش (Cyrus) لم يكونوا سوى الكهنة المجوس، حيث إن معرفتهم بالأحجار والنباتات التي تستخدم في المجالات الطبية مذكورة في الكثير من الكتابات القديمة، ومن الملاحظ أن التداوي بالطبيعة كان على يد زرادشت Zoroast نفسه، أو من خلال التعاليم التي نشرها المجوسي أوستانس Ostanes ، والذي حسبما ذكر بليني Pliny إنه قد صاحب كسركسيس Xerxes في حملته على اليونان، والذي قال عنه ديوجنيس لرتيوس Diogenes Laertius أنه تم تركه مع الكهنة المجوس الآخرين في أبديرا Abdera كمعلمين خصوصيين للفيلسوف ديموقريطوس Democritus ، ويقول بليني Pliny إنه هو نفسه قد حصل على العديد من معرفته من ديموقريطوس Democritus هذا المزيف؛ ولهذا فهو يرجع تلك المعلومات إلى المعرفة المجوسية بالخصائص العلاجية للنباتات، كذلك فهم يعرفون الكثير عن الفوائد الطبية للأحجار، فأحد الأحجار تم وصفه بواسطة زرادشت Zoroast لعلاج الصرع، وحجر آخر لعلاج العنف والهياج العصبي وكذلك السحر .

وبصرف النظر عن الكثير من التحريف فإن هذه المعلومات قد عانت من طول الزمن، ومن الصعب الشك في أن معظم هذه المعلومات يعود إلى التدريبات الطبية التي سادت خلال الحقبة الفارسية، ولقد أورد بليني Pliny في مرات عديدة أن استخدام الأعشاب المتنوعة كان مرتبطًا بالقدرة على السحر، والتي يملكها المجوس فعلى سبيل المثال، كانوا يستخدمون بعض النباتات عندما يريدون الاتصال مع الإله، ويضعون نباتًا آخر في الشراب من أجل الحصول على القوة، ومن أجل التكهن والتنبؤ، ويستعينون ببعض الصخور التي تجعلهم يستطيعون مواجهة العواصف والزوابع إلى جانب العديد من الأحجار والنباتات الأخرى .

وذكر أيضًا أن المجوس علموا بنبات له خصائص القوة الشافية، وتم

استخدامه من أجل صحة الملك، فقد كان الملك يتناوله مع الشراب حتى يتخلص من كل العيوب الجسدية، وكذلك من أجل التخلص من عدم الاستقرار والاضطراب ومن أجل الإحساس بالهدوء والسكينة، ويبدو أن هذا النبات له آثار مطهرة ومسهلة .

نحن نرى كذلك أن كفاءة المجوس في علم الأعشاب ذهبت إلى أكثر من الصحة، على وجه التحديد فإن الأعشاب التي تحدث عنها بليني Pliny يبدو أنها كانت تختزن من أجل الاستخدام الخاص للملك، علاوة على ذلك فهو يحصل على فوائد أخرى من هذه الأعشاب حتى بخصوص قدراته الخاصة كملك .

أضاف بليني Pliny أيضًا أن الملك والمجوس كانوا يبدون في نضارة وصحة، وذلك باستخدام نوع خاص من المراهم مصنوعة من أحد النباتات الكيليكية وهو الزعفران بالإضافة إلى دهن الأسد؛ ولذلك فإن الكل كان يتودد للمجوس بسبب قدراتهم، يذكر بليني Pliny على سبيل المثال أنه كان هناك نوع خاص من الأعشاب كان يسمح أو يتيح لهم الدخول إلى الدائرة الداخلية للإحسان الملكي، وأن استخدام نوع محدد من العقاقير يمنح كل فرصة ممكنة من أجل النجاح، بالإضافة إلى البراهين التي تشهد على وظائف المجوس في الشعائر والطقوس الخاصة بالتعليم خاصة تعليم أبناء الملك، كذلك وجودهم المستمر قبل الملك ومصاحبتهم له خلال مراسم التتويج (ص523) .

إن النصوص ذات الصلة بنشاطات الكهنة المجوس تُظهر مرة أخرى المكانة المركزية التي يحتلها الكهنة المجوس في البلاط الملكي للملك المعظم، إن لدينا انطباعًا بأنه في بلاط الأخمينيين كانت للكهنة المجوس الممارسة والمعرفة والمكانة التي كانت للحكماء والأدباء في بلاط الدولة الآشورية الجديدة والذين كانوا يصنفون إلى كتاب، أطباء، تعويذيون، مغنيون .

3- الخصيان:

هم صنف من الناس من ساكني القصور الملكية، وهؤلاء استثاروا خيال الرحالة والمستكشفين الأوروبيين أكثر من غيرهم، هؤلاء هم الخصيان الذين كان عملهم محصورًا في وظيفة واحدة تنحصر في كلمتين: (حراسة الحريم)، وفي العادة فإن التدهور والانحطاط الذي يحدث للسلطة الملكية المطلقة يرجع إلى الجهد المشترك لكل من النساء المنحرفات والخصيان الخائنين، وبلاد فارس القديمة لم تخلُ من هذه القوالب .

لقد لعب ستيسياس Ctesias بحق دورًا رئيسًا في ترسيخ هذا المفهوم وتلك النظرة، فكل ملك من الملوك الذين كتب عنهم كان محاطًا بواحد أو أكثر من الخصيان يتصرف كأنه أقوى شخص فيمن يحيطون بالملك أو فيمن هم بالقرب من الملك: مثال بيتيساكس Petesacas وباجاباتيس Bagapates بالقرب من قورش (Cyrus) (فقرات5.9)؛ إيزاباتيس Izabates ، أسباداتيس Aspadates وباجاباتيس Bagapatesبالقرب من قورش (Cyrus) (فقرة 19)؛ ونجد أرتاسيراس Artasyras في حاشية دارا Darius ، ناتاكاس Natacas وأسبامثريس Aspamithres بالقرب من كسركسيس (Xerxes) ، أرتوكساريس Artoxares بالقرب من أرتاكسركسيس (Artaxerxes)الأول، وفارناسياس Pharnacyas بالقرب من سكونديانوس Secundianus ، ويظهر أرتوكساريس Artoxares مرة أخرى بالقرب من أرتاكسركسيس (Artaxerxes) الثاني والذي كان يوجد في حاشيته خصى آخر إسمه باجاباتيس Bagapates أيضًا .

بصفة عامة فإن طريقة عرض ستيسياس Ctesias للخصيان غير متعاطفة تمامًا، فقد اشترك الكثير من الخصيان في مؤامرات عديدة، فمثلاً، تآمر باجاباتيس Bagapates ضد قمبيز (Cambyses) ، ولقد شارك

أسبامثريس Aspamithres في اغتيال كسركسيس (Xerxes) ، وكذلك فارناسياس Pharnacyasفي اغتيال كسركسيس (Xerxes) الثاني، وشارك أرتوكساريس Artoxares في مؤامرة ضد سكونديانوس Secundianus والذي ساعده في أن يصبح ذو سلطة كبيرة مع الملك الجديد دارا (Darius) الثاني، وقبل أن يتآمر بعد ذلك (بمساعدة امرأة) ضد سيده، ووفاء باجاباتيس Bagapates الذي مات بعد أن ظل يحرس مقبرة سيده لسبع سنوات هي أمر إستثنائي، وأخيراً دعنا لا ننسى إيزاباتيس Izabatesالذي شجب مؤامرة المجوسي، وقد تم إعدامه على يد من اغتصبوا العرش .

إن الكثير من قصص ستيسياس Ctesias هي محض خيال خاصة الحملة العسكرية للخصى باجاباتيس Bagapates على مصر، والتي جعلت ستيسياس Ctesiasيصور معركة بين الخصيان، فمصر نفسها كان يحميها كومبافيس Kombaphisكبير الخصيان لدى الفرعون إميرتيوس. Amyrtaeus

قصة أخرى جديدة جدًّا فيما يخص الخصى أرتوكساريس Artoxares الذي كان لديه شارب وذقن كاذبين (مستعارين)، فقد قاد مؤامرة ضد دارا Darius الثاني، والقيمة الرمزية لهذه القصة أنها جديرة بالملاحظة لأنها تتبع ستيسياس Ctesias، وهو يقول: لقد ساعدته امرأة، إن التحالف بين الخصى وبين امرأة من أجل التآمر على الملك يمكن أن ينجح في دغدغة مشاعر القراء الذين لديهم شغف لسماع القصص النادرة لهذه النماذج، ولم يكن ستيسياس Ctesias هو الوحيد الذي نقل إلينا تلك الصورة التقليدية السيئة، ولكن كوينتوس كورتيوس Quintus Curtiusتحدث عن (قطيع من الخصيان ليسوا على الإطلاق ممن يحتقرهم هؤلاء الناس)، وبالنسبة لـ الثلاثمائة والستين محظية ملكية فلقد كانت تتم خدمتهم من قبل قطعان من الخصيان، والذين تعودوا كذلك على ممارسة البغاء .

إن مصطلح كوينتوس كورتيوس Quintus Curtius يذكرنا أنه مثل بعض المؤلفين القدامى كان مصدومًا بشدة من القصص التي تدور حول العلاقات المثلية (الشذوذ) بين بعض الملوك وخصيانهم المفضلين، ولقد تحدث مؤرخو الإسكندر (Alexander) كثيرًا عن باجوس Bagoas والذي كان خصيًّا ذو وسامة كبيرة، وكان في عز الصبا والذي أحبه دارا Darius الثالث، وبعد ذلك أحبه الإسكندر (Alexander)، ولكي يعبر عن مدى اشمئزازه وامتعاضه من هذه الممارسات فإن كوينتوس كورتيوس Quintus Curtius يضع هذه المحادثة على لسان أوريكسينيس Orxinesأحد نبلاء الفرس والذي كان قد رفض للتو أن يعطي أي احترام لباجوس Bagoas : (ليس من عادة الفرس أن يصاحبوا الذكور الذين يجعلون من أنفسهم إناثًا لممارسة البغاء).

كلمات جميلة ولكنها بالتأكيد لا ترقى إلى مستوى الحقيقة، بالرغم من الهجوم العنيف على هذا الكلام بواسطة القدماء، إلا أن الممارسات المثلية بين الفرس قد تم إثباتها، ونحن نعرف ذلك الخصى الذي يدعي تريداتيس Tiridates الذي تم تصويره في قصة رائعة ذكرها إيليان Aelian في استطراد طويل تحدث فيها عن نهاية أسباسيا Aspasia ، أفضل صديقات قورش (Cyrus) الأصغر والتي تحولت إلى معسكر أرتاكسركسيس (Artaxerxes) الثاني بعد معركة كوناكسا.

لقد مات الخصى تريداتيس Tiridates فيما بعد، والذي كان أكثر الرجال وسامة وجاذبية في آسيا كلها، لقد انتهت حياته وهو لا يزال شابًا نبت من مرحلة الطفولة، وكان يقال إن الملك كان على علاقة غرامية معه، وكنتيجة لذلك فقد حزن عليه حزنًا مريرًا وأعلن الحداد العام في آسيا كلها، ولم يكن هناك أحد يجرؤ على الاقتراب منه أو مواساته، وبعد مرور ثلاثة أيام إرتدت أسباسيا Aspasia ثوب الحداد، وبينما كان الملك ذاهبًا للاستحمام وقفت تبكي وكان نظرها مركزًا على الأرض، لقد

كان الفارسي متأثرًا بتعاطفها وطلب منها أن تذهب إلى حجرة النوم وتنتظره، وعندما عاد الملك قام بوضع عباءة الخصى على فستان أسباسيا Aspasia الأسود، وإلى حد ما فإن ملابس الشاب الصغير كانت تناسبها، لقد أخذت بجمالها لب حبيبها بقوة أكبر وعندما لم يستطيع مقاومة ذلك طلب منها أن تزوره في هذا الثوب نفسه حتى تقل حدة ألمه وحزنه .

لقد كان هناك أيضًا العديد من الخصيان الخبثاء والسفلة في كتابات بلوتارخ (Plutarch) ، والذي أخذ بعضًا من معلوماته من ستيسياس Ctesias نفسه، وكذلك من دينون Dinon ، الخصى سباريمازيس Sparimazes دعا مثراداتيس Mithradatesفي مباهاته وتمايله حتى يبلغ عنه ويدمره، والخصى ماساباتيس Masabatesالذي قطع رأس قورش (Cyrus) فازت به باريساتيس Parysates في لعبة النرد مع ابنها أرتاكسركسيس (Artaxerxes) ، وقد كانت تسميه (الخصى العجوز النذل)، ونجد أيضًا أن أحد الخصيان هو من أرشد المتآمرين إلى حجرة نوم أرتاكسركسيس (Artaxerxes) الثاني وذلك على الرغم أنه من الصحيح أنه أولاً أبلغ الملك عن المؤامرة، ولكن أشهر الأمثلة على الإطلاق هو باجوس Bagoas ولكنه باجوس Bagoas آخر غير الذي ذكر من قبل، فهو باجوس Bagoas الذي سماه ثيوفراستوس Theophrastus باجوس الأكبر، والذي تعتبر الصورة التي رسمها ديودورس (Diodorus) له كارثة فادحة لذكراه .

وخلال فترة الحملة العسكرية لأرتاكسركسيس (Artaxerxes) الثالث على مصر أظهر القسوة والجشع تجاه الكهنة المصريين، وخلف وعوده التي أعطاها للمرتزقة اليونانيين الذين يعملون لحساب لفرعون، لقد اكتسب ثقة الملك الأكبر كاملة، وفي عام 343 أصبح كبير الياوران، وبعد النصر زاد تأثيره على الملك بدرجة أكبر، وتسلم زمام الحكم في المرزبانيات العليا، ولم يعد الملك يقرر أي شيء إلا بعد أن يأخذ مشورته؛ ولهذا فقد أصبح باجوس Bagoas السيد الحقيقي

للإمبراطورية، لقد كان ملكًا في كل شيء ما عدا الاسم، وبعد فترة صغيرة قام باغتيال أرتاكسركسيس (Artaxerxes) الثالث وإخوته، ونصب أرسيس Arses الصغير على العرش، وبعد ذلك حلت لعنته على الملك الجديد وأولاده، ثم قام باختيار كودومان / Codoman أرساتا Artasata ليكون ملكًا (دارا Darius الثالث)، وبعد ذلك مات بالسم من الكأس التي أعطاها له الشخص الذي قد رفعه للتو على العرش

وفي الحقيقة إن باجوس Bagoas لم يظهر أبدًا متعاطفًا، وكان سلوكه ومهنته كما يراها ديودورس (Diodorus) لعبت دور ليس بالقليل في تعزيز الانحطاط في البلاط الفارسي في ضوء المؤامرات والمكائد في القصر الملكي، ولكن يجب أن يكون واضحًا أن باجوس Bagoas بحق أصبح الشخصية الرومانسية الشرقية، هذا الصدى يتردد في الحكاية التي قالها إيليان :Aelian أرتاكسركسيس (Artaxerxes)معروف أيضًا باسم أوخوس Ochos والذي كان ضحية مؤامرة خطط لها الخصى المصري (باجوس)، لقد قيل إنه قتل، ثم قطع إلى قطع صغيرة، وتم إطعامه للقطط، ورأى آخر يقول إنه قد دفن في مكانه في الضريح الملكي، ولكن باجوس لم يكن له صلة بالقتل، تفاصيل عديدة في القصة تؤكد المصادر المصرية الدالة على قصة باجوس Bagoas الرومانسية، ولكن القصة كذلك تضم طبقة يونانية .

إن المقارنة مع قمبيز (Cambyses) (القاتل الأثيم لأبيس كما في هيرودوت (Herodotus، كذلك ربما تحول باجوس Bagoas إلى حامي المعابد المصرية بالرغم من أنه نفسه سلبهم ونهبهم أثناء الحملة العسكرية لأرتاكسركسيس (Artaxerxes) الثالث على مصر، وعلى سبيل التحديد، فإن اسم باجوس Bagoas يتم إعطاؤه للخصى المسؤول عن الشؤون الشخصية، إلى جانب ذلك حسبما ذكر بليني Pliny أن هذه كانت هي الكلمة الفارسية للتعبير عن كلمة خصى .

زينوفون Xenophon ونموذج الوزير المخلص:

لقد أظهر زينوفون Xenophon صورة مختلفة تمامًا، قورش (Cyrus) الذي قدمه كان قلقًا على سلامته الشخصية، وكان يختار من يأتمنه على سلامته من الخصيان، لقد وضح ذلك بمساعدة الأدلة والنقوش التي يبدو أنها صممت من أجل أن تدحض وتفند هذه النقط نقطة نقطة في الصورة الكارثية التي في أذهان الناس عن اليونان .

أولاً: الخصى ليست لديه أية روابط عائلية:

لذلك فهؤلاء الذين لديهم أبناء زوجات ودودات أو حبيبات سوف يعيشون مرتبطين بهم ومقيدين بحبهم، ولكن لوحظ أن الخصيان لم يكن لديهم أي تأثر بمثل هذه الأمور، إنه يعتقد أنهم يحترمون إلى أقصى حد من هم في أفضل الأماكن، والذين سوف يجعلونهم أغنياء ويقفون بجوارهم (يدعموهم)، حتى ولو كانوا مظلومين، وكذلك يضعونهم في مكان الشرف؛ ولهذا فقد كان الخصيان ليس لديهم أي تماسك أو ترابط عائلي، ومثل هذا الوضع جعلهم معتمدين بالكلية على قوة سيدهم وسلطته الذي يبدون له الولاء والطاعة بشكل غير منقطع النظير، في الحقيقة يؤمن قورش (Cyrus) وزينوفون- Xenophon بقدر ما- بأن الخصيان أهل للازدراء والاحتقار بالنسبة لباقي الجنس البشري، فهم يحتاجون سيدًا يكون هو معتقهم، وحوله يستطيعون أن يصلوا إلى المكانة والشرف إلى حد ما في هذا المجتمع الذي يتسم بالتسلسل الهرمي؛ لذا فهم يعتبروا دخلاء .

لقد تناول زينوفون Xenophon بعد ذلك هذه المسألة من خلال التصدي للرأي الشعبي أن الخصيان أشخاص ضعاف الجسم، ولقد بنى رفضه وعدم موافقته على هذا الرأي العام من خلال الحصان المخصي على سبيل المثال فهو ذو نفع كبير في الحرب، وبالمثل فإن الخصيان قد أثبتوا شجاعتهم في الحرب، وفي الصيد مسلحين بالسيوف والحراب، فقد كان

الخصى جيدًا كأي رجل، وبملاحظة هذه الحقائق فإن الخصيان كانت تسند إليهم جميع أعمال الخدمات الشخصية بدءًا من حراسة البوابات إلى ما هو أكبر من ذلك، وفي موسوعة قورش Cyropaedia فإن قصة جاداتاس Gadatas تعتبر تصويرًا حيًّا لشجاعة وولاء هؤلاء الخصيان .

جاداتاس Gadatas كان أميرًا يخضع لملك آشور، ولسبب تافه على ما يبدو (معارضة في الرأي السياسي غالبًا) فإن الملك أمر بإخصاء جاداتاس Gadatas ، فقرر جاداتاس Gadatas بعدها الانضمام إلى معسكر قورش (Cyrus) والتعاون معه، وسلمه معاقل الإمارة التي كانت خاضعة له وصاحب الجند إلى ساردیس ثم بابل، ومع جوبریاس Gobryas استطاع أن يطبق الزمام على المدينة التي تعتبر رأس الانفصال (التمرد)، وبعد ذلك شغل منصبًا ساميًا، فقد شارك في موكب النصر العظيم، وكان يقود فوجًا من عشرة آلاف فارسي، بعد ذلك بقليل خلع عليه قورش (Cyrus) لقب حامل الصولجان، ولقد كل من في المنزل الملكي كانوا يخضعون لإدارته وتوجيهاته، وعندما يكون هناك ضيوف يتناولون العشاء مع قورش (Cyrus) فإن جاداتاس Gadatas لا يجلس في مقعده، ولكن يكون في خدمتهم، ولكن عندما يكونون وحدهم فهو يجلس للعشاء مع قورش (Cyrus) حتى يأنس قورش (Cyrus) بصحبته؛ لهذا فقد حصل على الكثير من الهدايا القيمة من قورش (Cyrus) نفسه ومن الآخرين نتيجة تأثير قورش. (Cyrus)

إنه من الواضح أن قصص زينوفون Xenophon تناسب بدقة الملكية والتي كان يظهر من خلال موسوعة قورش Cyropaedia أكثر من أي شخص آخر، فإن الخصى قد أظهر موضوع الكرم الملكي في مقابل الولاء غير المحدود لرجل لم يكن قلقًا على مستقبل أطفاله؛ ولهذا فقد كان يظهر إخلاصًا مثل إخلاص الحيوان الأليف الذي هو مرتبط بأسرة أو عشيرة لا إلى فئة في البلاط (طائفة معينة في البلاط) .

إن زينوفون Xenophon بدون شك قد استخرج مقالته عن الوزير المخلص من التقاليد اللفظية، ومن القصص الأخلاقية الآتية -من الشرق الأدنى على سبيل المثال- فإن المؤلفين لواحدة من هذه القصص: قصة آهيكار Ahiqar قد وضعوها في سياق آشوري لأن آهيكار Ahiqar كان هو الوزير الأول لسيناكريب Sennacheribوبعد ذلك لإسارهادون Esarhaddon ، القصة معروفة في عدة ترجمات أهمها على الإطلاق هي الترجمة الآرامية والمحفوظة في أوراق البردي المصرية الآرامية منذ حقبة الأخمينيين، وقد كان آهيكار Ahiqar الذي لا ينجب متبنيًا لابن أخيه نادين Nadin ، وجعل الملك يعترف به كخليفة أو وريث للعرش، ولكن ابن أخيه خانه وأبلغ عنه كذبًا، فتم القبض على آهيكار Ahiqar ، ولكن الخادم الذي كان مكلفًا بقتله استبقاه وأوحى إلى الملك بأنه قد نفذ مهمته التي كلف بها، وبعد ذلك عرفت براءته ثم رد له الملك إعتباره بالكامل .

وفي النصائح الأخلاقية التي أعطاها لابن أخيه، أكد على الطاعة والإخلاص للملك، وإن قصة الاتهام الكاذب للخادم المخلص ظهرت من جديد في غراميات أخرى عرفت على الأكثر من حقبة في الترجمات الهلينية والموجودة في لوسيان Lucian (ديا سيريا)، فلقد كانت الملكة السيلويسية ستارتونيسى Startoniceزوجة الملك سيلويكوس Seleucus الأول تجهز للقيام برحلة، ولقد كلف الملك خادمه كومبابوس Kombabos لكي يكون في حراستها، ولكن كومبابوس Kombabosكان خائفًا من أنه ربما بعد ذلك يتهم بممارسة الجنس مع الملكة فقام ببتر أعضائه التناسلية ووضعها في صندوق، وهكذا فإن العاطفة التي سرعان ما أبدتها الملكة نحو كومبابوس Kombabos لم يتم إشباعها، وبالرغم من هذا فلم يسلم كومبابوس Kombabos من الاتهام عند عودة سيلويكوس Seleucusحيث حكم عليه الملك بالموت، ولقد كان قادرًا على أن يثبت

براءته عن طريق فتح الصندوق، ولقد أعجب الملك بما فعله إعجابًا كبيراً وأضفى عليه أسمى مكانة وأسمى تقدير عنده، ونجد إشارة لاسم كومبابوس Kombabosفي كتابات ستيسياس Ctesias والذي سجل أن أكثر الخصيان قربًا من الفرعون كان يدعى كومبافيس. Kombaphis

وكذلك ظهرت تلك الكلمة في النقش الهيروغليفي الذي يروي قصة عمل المصري بتاح حوتب والذي ارتبط بدارا Darius ، ولقد تكررت القصة مرة أخرى في مؤلف الفردوسى المسمى (كتاب الملوك) (شاهنامه) في القرون الوسطى، وأسطورة كومبابوس Kombabos مزدانة ومطعمة بأسلافها التي كانت منتشرة في بلاد ما بين النهرين، لا تعدو أن تكون حكاية من حكايات البلاط الملكي التي نشأت في فترة بلاط الأخميني، والتي ترفع وتعلي من قدر الملكية وكذلك الولاء المطلق من قبل الخصيان المخلصين، وعلى ذلك فنحن متشوقون بشدة لكي نسمع الصدى المكتوم في كتابات زينوفون Xenophon .

إن صورة الخصى المخلص توجد أيضًا في كتابات العديد من المؤلفين وفي أعمالهم مثل هيرودوت: (في البلاد الشرقية يتم تقدير الخصيان على أساس أنهم جديرون بالثقة (بستس باسى) في كل الجوانب)، وقد ذكر لنا هيرودوت Herodotusهيرموتيموس Hermotimos الذي تم تقديمه من قِبَلْ كسركسيس (Xerxes) أكثر من أي خصى آخر وعهد إليه الملك بالإشراف على أبنائه الذين تمت إعادتهم إلى آسيا الصغرى تحت حراسة أرتميسيا من كاريا، واحد من الخصيان التابعين لأرتاكسركسيس (Artaxerxes) الثاني، وهو ماساباتيس / Masabates باجاباتيس Bagapatesوالذي قطع رأس قورش (Cyrus) ، وآخر كشف مؤامرة كانت تدبر لأرتاكسركسيس (Artaxerxes) الثاني، وخصى ثالث هو(ساتيبارزانيس (Satibarzanes أحضر المياه إلى أرتاكسركسيس (Artaxerxes) عندما كاد أن يموت من العطش أثناء معركة

كوناكسا وهكذا، ولقد كان مؤلفو الإسكندر (Alexander) هم أيضًا مغرمون بموضوع الخصى المخلص، ولقد تمكن تيروتس Tyriotes أحد خصيان أم دارا Darius الثالث والذي تم أسره مع آخرين كثر في معركة إسوس، استطاع الهرب ووصل إلى معسكر دارا Darius الثالث بعد أن قاوم التعذيب بالصبر والتحمل.ولقد إنهار أحد خصيان دارا الثالث باكيًا عندما رأى الإسكندر (Alexander) يجلس على عرش الملك الأكبر، وحتى بعد أن تخلى الحرس الشخصيين دارا Darius الثالث عنه ظل خصيانه ملتفين حوله حتى النهاية .

الخصى وعملية الإخصاء:

بمعرفة طبيعة المصادر يمكننا أن نعيد بناء المؤسسة الفارسية وإعادة البناء ستكون جزئية فقط، ففي المقام الأول يجب أن نضع حدًا فاصلاً بين الخصيان الذين كانوا جزءًا من حاشية الملك، والعديد من الخصيان الآخرين الذين يكونون فريق العمل الداخلي في القصر والذين يختصون بخدمة الملك والأمراء .

كوينتوس كورتيوس Quintus Curtius يوضح أن الخصيان هم الأفراد الذين كانت حالتهم قريبة من العبيد بالرغم من الألفة والمودة بينهم وبين الملك وبين الأمراء في القصر الملكي؛ لذا فإنه يجب أن يكون هناك احترام وتبجيل، وهذه الحقيقة يجب أن يتم أخذها في الاعتبار عند قراءة ما قاله بلوتارخ (Plutarch)عن الرهانات في لعبة النرد بين أرتاكسركسيس (Artaxerxes) الثاني وأمه باريساتيس Parysates ، لقد ألحت عليه أن يبدأ لعبة جديدة على أحد الخصيان وقبل أرتاكسركسيس (Artaxerxes) الثاني ذلك، ولكن أولاً اتفقا على أن يستثنى كل منهم خمسة من أخلص خصيانهم ويمكن للفائز أن يختار من يشاء من بين البقية .

نحن نعرف أن العديد من البلاد التابعة للمملكة كانت ترسل الهدايا

عبيدًا من الصبيان والبنات 500 صبى كل أربعة أعوام من أثيوبيا ومائة صبي ومائة فتاة كل عامين من كولخيا، كذلك فكل عام كانت بابل ترسل 500 شاب من المخصيين إلى البلاط الملكي، كذلك فالخصيان أيضًا يمكن أن يكونوا ضمن الغنائم التي يغنمها الجيش .

كتب هيرودوت Herodotus عن العقوبات التي يتم إنزالها ضد الثوار البابليين، بمجرد أن تصبح المدن في أيديهم، فإنه يتم اختيار أفضل الأولاد شكلاً من أجل خصيهم حتى يصبحوا خصيان، وتتم إقامة سوق للخصيان في البلاط الملكي، وتكون هناك تجارة كبيرة بين البلدان المختلفة، ولقد تم إثبات ذلك بالدليل في حالة هيرموتيموس Hermotimos والذي أصبح أقرب الخصيان إلى كسركسيس (Xerxes) ، فقد كان مواطنًا من بيداسوس Pedasus في كاريا، وتم أخذه كأسير حرب، ثم اشتراه رجل يدعى بانيونيوس Panionius من كيوس،) وهو رجل كان يكسب رزقه من تلك التجارة البغيضة المتمثلة في إخصاء أي ولد بهي الطلعة يمكنه أن يقبض عليه، ثم يأخذ هؤلاء الصبية إلى سارديس أو إيفيسوس حيث كان يبيعهم بسعر مرتفع جدًا، ولقد كانت كاريا مشهورة جدًا بالخصيان - فتبعًا لزانثوس - Xanthus كانت مؤسسة خصيان البلاط قديمة في آسيا الصغرى حيث توجد عليها دلائل كثيرة في بلاط ليديا، ومع ذلك فإنه من المؤكد أن الشرق الأدنى كان يحتوي على مراكز أخرى تعمل كمصادر للخصيان .

إن الخصى كانت مهمته حراسة حجرة الملك وحجرة الأميرات الملكيات، أي أنها مهمة حراسة النساء، إن كتاب Esther في الحقيقة قد صور اثنين من خصيان الملك هيجاي Hegai وشاشجاز Shaashgaz وكلاهما كان يلقب بأمين أو حارس النساء، ويمكننا أن نسلم جدلاً دون أن يكون لدينا دليل حقيقي أن هؤلاء كانوا رجالاً مخصيين .

كان الخصيان يقومون بوظائف أخرى مختلفة، ليس فقط حراسة

الحريم والمحظيات ولكن أيضًا يخدمون الملك أثناء الطعام، في النهاية إذا كان علينا أن نصدق أفلاطون (Plato) فإننا نقول إنه كان هناك أغوات مسؤولين عن أطفال الملك .

الألقاب والمهام:

إنه من المستبعد جدًّا أن الناس -فيما بعد- سوف يطلقون على الخصيان اسم العبيد المخصيين، بينما هيرموتيموس يعرفهم بأنهم المخنثون، وهناك شكوك جدية بخصوص العبيد الآخرين خاصة فيما يتعلق بالخصيان المحيطين بالملك .

وستيسياس Ctesias يقص علينا قصة الخصى أرتوكساريس Artoxares ، الأقوي على الإطلاق بين الخصيان الثلاثة الذين يحيطون بالملك من الحاشية والذي في مؤامرته ضد الملك جعل امرأة تصنع له شاربًا ولحية مستعارين حتى يظهر كأنه رجل، ولكن حتى هذه القصة التي تثبت أنه قد تم خصيه، فنحن نعلم في الحقيقة أن الملك وكل النبلاء في البلاط الملكي يرتدون الباروكات؛ ولهذا وبكل بساطة فإن أرتوكساريس Artoxares قد إستعان بواحدة من النساء اللاتي يعتنين باللحى والشوارب في البلاط الملكي ليس فقط لكي يكتسب مظهر الرجل، ولكن أيضًا ليكتسب مظهر الملك وبالطريقة نفسها فإنه لا شيء على الإطلاق يمكن أن يلقى بظلال الشك على أن الأشكال الناعمة الأوجه في النقوش البارزة الموجودة في برسيبولس يجب أن تكون للمخصيين (الخصيان) .

إن حالة مثراداتيس Mithradates والذي اشترك في المؤامرة ضد كسركسيس (Xerxes)بالإضافة إلى كبير الياوران أرتابانوس Artabanus هي أيضًا أكثر تشويقًا، فقد صوره ستيسياس Ctesias كشخص ذو سلطة كبيرة وحظوة كبيرة لدى الملك .

ولقد أكد ديودورس (Diodorus) أنه كان مسؤول حجرة الملك الذي

يضع فيه الملك كل ثقته، وكان يعتبره الصاحب والقريب لأرتابانوس Artabanus ، ولقد كان أرتابانوس Artabanus نفسه ابن أرتاسيراس Artasyras وهو رجل قوي مقرب من الملك دارا Darius ، وأرتاسيراس Artasyras هذا هو بوضوح الشخص نفسه الذي يدعوه ستيسياس Ctesias الهركاني، والذي كان أكثر الأشخاص سلطة ونفوذًا في عهد قمبيز (Cambyses) ؛ ولهذا فهو -من الناحية النظرية- نبيل من أصل هركاني مقارنة بأريبازوس Aribazus الذي عرف في فترة دارا Darius ، وهذا الإشارة تدل على أقل تقدير أن الخصيان لم يكونوا بدون روابط عائلية داخل القصر، على العكس من الآمال التي وضعها زينوفون Xenophon وقورش Cyrus في الخصيان، بل يبدو أنه من المستبعد أيضًا أن يكون مسؤول الحجرة الملكية وأصدقاؤه من الأرستقراطيين في القصر عبيدًا مخصيين، وبالقوة نفسها فإنه باستثناء حالة هيرموتيموس Hermotimos فتقريبًا كل الخصيان قد ذكروا بأسماء إيرانية؛ لذلك فهناك تفسيران محتملان، ربما أنهم فعلاً كانوا أغوات تم إعطاؤهم أسماء إيرانية عندما وصلوا إلى البلاط، أو أنهم كانوا نبلاء إيرانيين انضموا إلى البلاط، وتم إعطاؤهم لقب خصى، على الأقل في بعض الحالات يبدو أنهم كانوا أناسًا ليسوا من أصول فارسية، وبالإضافة إلى مثراداتيس Mithradates يمكننا الاستشهاد بأرتاكسركسيس (Artaxerxes) .

ويبدو من المشكوك فيه أن الخصيان من الناحية الوظيفية يمكن أن يحصلوا على مكانة عالية كتلك التي حصل عليها الخصيان الذين ذكرهم ستيسياس Ctesias ، ولا يزال من المدهش أن واحدًا منهم يحصل على لقب كبير الياوران، حتى لقب مسؤول الغرفة الملكية يعطي لصاحبه مكانة وحظوة بجوار الملك، وأحد مسؤولي حجرة الملك وهو ساتيبارزانيس Satibarzanes كان يقدم النصح لأرتاكسركسيس (Artaxerxes) الثاني أو على الأقل كان في الدائرة الخاصة به، إنه لمن

المغري الاعتقاد بأن هذا الرجل المهم لا يمكن في الحقيقة أن يحضر إلى حجرة الملك، حيث إن العمل اليومي لأغوات القصر كان مقيدًا، والذي وصفه زينوفون Xenophon بمسؤول حجرة الاستحمام ومسؤول الحجرة الذي يساعدهم في النوم في المساء وفي الاستيقاظ في الصباح، وكذلك أطباء التجميل، وبناءً على تلك القصة فإن رجالاً مثل مثراداتيس Mithradates وساتيبارزانيس Satibarzanes حصلوا على ألقاب ليس لها علاقة على الإطلاق بالوظيفة والمهام التي يقومون بها كما هو صحيح غالبًا في المراتب في البلاط الملكي، من ناحية أخرى فإن حالة هيرموتيموس Hermotimos تبدو على النقيض من هذا التفسير بالرغم من أن هيرودوت Herodotus لم يقل شيئًا في الحقيقة عن وظيفة هيرموتيموس Hermotimosبالنسبة لكسركسيس (Xerxes) ، فهو قد تم خصيه وبيعه في أيونيا.

وبالرغم من العبارة المستخدمة، فإنه من غير المؤكد على الإطلاق أنه حصل على الدرجة نفسها، مثل الخصيان الذين صورهم ستيسياس Ctesias ، حيث إن المعادلة يتكرر استخدامها بالنسبة للأغوات في القصر الذين كان من الواضح أنهم ليسوا من الحاشية الملكية ذات المقام العالي، وعلى الأرجح غالبًا فإن المؤلفين القدامى لا يلحظون أية وظيفة محددة بالنسبة للأغوات الذين هم في الحاشية الملكية، وهم ببساطة يلقون الضوء على الطبقات والمراتب في البلاط، والتي تظهرهم في كنف العطف الملكي .

وهناك مصطلحان جديران بالملاحظة، بالرغم من أن مثراداتيس Mithradatesكان المسؤول عن حجرة كسركسيس (Xerxes) ، وباجوس Bagoas كان كبير الياوران في بلاط أرتاكسركسيس (Artaxerxes) الثالث، وعلى وجه العموم فإن الوظائف أو المهام كانوا يحصلون عليها بسهولة، وهذا يوضح لماذا كانوا متورطين في مؤامرات عديدة، حيث إنهم كانوا

وقد كان هذا واضحًا بالنسبة لكبير الياوران الذي كان مسؤولاً عن جمهور القصر، ولكن بصفة أكثر عمومية فإن الخصيان الذين كانوا يقودون المؤامرات ضد الملوك هم مسؤولي الحجرات الملكية مثل باجاباتيس Bagapates الذي كانت لديه كل مفاتيح القصر، كما كتب ستيسياس Ctesias وهيرودوت Herodotusأيضًا كتب واصفًا مؤامرة السبعة، أنه عندما وصل السبعة إلى باحة القصر قابلوا بالصدفة مع لخصيان الذين هم رُسلْ الملك والذين حاولوا منعهم من الوصول لحجرة المجوسي، ونحن نادرًا ما نرى الخصيان خارج هذا الدور، وذكر ستيسياس Ctesias اثنين من الخصيان الذين قادوا حملات عسكرية وهما باجاباتيس Bagapates في مصر ونوتاكاس ضد أبوللو في ديدما، ولكن المثال غير القابل للجدل هو اشتراك باجوس Bagoas في الحملة العسكرية المصرية إلى جوار أرتاكسركسيس (Artaxerxes) الثالث، ولقد كان هناك بصفته كبير للياوران، فلقد قام ستيسياس Ctesias أكثرمن مرة بتصوير الخصى على أنه كان يعهد إليه بقيادة العربة الجنائزية للملك الميت إلى المقبرة الملكية: فقد كان باجاباتيس Bagapates بالنسبة لقورش (Cyrus) وإيزاباتس Izabates بالنسبة لقمبيز (Cambyses) ، في كلا الحالتين كان هو الخصى الذي يفضله الملك الفقيد، وفي حالة واحدة فقط تولى هذا الأمر رجل من نبلاء الفرس، إن حالة باتيس Batis أيضًا جديرة بالاهتمام: فقد كلفه دارا Darius الثالث بالدفاع عن الحامية العسكرية في غزة، وقد قيل عنه أنه خصى غزة، ولكن على العملات المعدنية كان يلقب بملك غزة، ومن هذه الحالة فإن كلمة خصى أصبحت إفسادًا للقب .

إن وضع المصادر متجاورة تظهر الحقائق التي من أجلها استخدم

المؤلفون القدامى كلمة خصى من أجل الأشخاص الذين لم يكونوا في الحقيقة كذلك؛ ولهذا فإن أرتاباتس الذي هو من بين مسؤولي حجرة الملك عند قورش (Cyrus)والذي كان من أكثر أتباعه المخلصين لم يكن في الحقيقة خصى (مخصيًّا)، على العكس من مقولة إيليان Aelian فإنه ربما قرأ في موسوعة قورش Cyropedia أن جاداتاس Gadatas كبير الـ (سكبتوخوى) أيام قورش (Cyrus) الأكبر كان خصى .

إنه لمن المغري الاعتقاد بأنه كان هناك صنفان من الخصيان في البلاط الفارسي: 1) الرجال المخصيين، وهم قاصرون على عبيد القصر، وكانت لهم مهام محددة (في الأعمال المنزلية). 2) الخصيان في البلاط الملكي، وكانوا نبلاء، والذين هم في الدائرة المحيطة بالملك، ويعرفون أنفسهم تبعًا لرتبتهم في البلاط .

وعلى أية حال، إذا أعدنا قراءة زينوفون Xenophon عن قرب سوف يبدو أن قورش (Cyrus) يقوم بخصي الرجال الذين سوف توكل إليهم الأعمال الدنيا، والتي تحتاج إلى اهتمام فقط من أجل أنها في الأماكن التي يمكن منها الدخول إلى الملك بدأ من حراسة البوابات إلى ما هو أكبر مثل حراس بوابة الجناح الملكي، وهذه كانت ظاهريًّا الوظائف التي تخول إلى الخصيان الذين يطلق عليهم الحمالون أو كبار الحراس في كتاب Esther ، إن الانطباع السائد هو أن زينوفون Xenophon وستيسياس Ctesias لم يكونا يتحدثان عن الخصيان نفسهم، فزينوفون Xenophon يتناول الوظائف الملكية لهؤلاء الخصيان الذين يتم إرسالهم سنويًّا إلى البلاط وهم صغار السن مثل البابليين الذين كان يتم خصيهم لهذا الغرض، ويصور ستيسياس Ctesias الأرستقراطيين في القصر الملكي والذين يعطيهم اليونانيون لقب خصى .

إن كل هذا يؤدي إلى الشك في أن حالات كثيرة من هؤلاء الذين تسميهم الكتابات اليونانية بالخصيان لم يكونوا أكثر من كونهم حاصلين

على الوظائف العالية في حاشية البلاط الملكي، وإنه في الحقيقة كما هو في البلاط الآشوري فإن تلك الكلمة أصبحت لقبًا ملكيًا ليست له علاقة بأية خصائص فيزيقية .

والمشكلة الحقيقية هي أننا لا نعرف مفردات اللغة الفارسية، فاللغة اليونانية ومفرداتها لا تزال غير مؤكدة حول أي من المعاني الفارسية التي تدل عليها كلمة خصى، كذلك ففي بعض الأحيان فإن الناسخين يختلط عليهم الأمر بين كلمات مثل السقا، والخصيان، مثال ذلك (مهم)، وفي اللغة العبرانية تعني (ساريس) والتي تم اقتباسها من الكلمة الآكادية (سا ريس ساري) التي تعني (الذي يقف عند رأس الملك)، وهذه هي الكلمة التي تترجم بشكل متكرر كخصى في كتاب Esther السبعونى، ولأكثر من قرن فإنه كان يعتبر هذا القسم من الناس تلقائيًا يتكون من الرجال المخصيين، وهذه الآراء تتشابه تقريبًا مع الآراء التي تتعلق بالخصيان في بلاط الأخمينيين .

ويجب علينا أن نؤكد على تلك النقطة التي تقول إن هناك اهتمامات متعددة، فالوثائق المصرية من عصر الأخمينيين فيها كلمة (ساريس) الموجودة في العديد من النقوش الهيروغليفية من وادي الحمامات منذ عصر دارا Darius وكسركسيس. (Xerxes)

أحد المديرين المهمين من الفرس وهو أتياواهي Atiyawahy كان يحمل لقب (ساريس بلاد فارس) وهو لم يكن على الإطلاق من المخصيين؛ ولذلك فإن ساريس هنا تعود إلى مرتبة وظيفية عليا، وإنه من الممكن أن يكون اللقب المصري (قوى بلاد فارس) الذي أُعطى لأرياوراتا Ariyawrata أخو أتياواهى Atiyawahy هو الترجمة بالنسبة لكلمة ساريس، وهذا بلا شك يعتبر أكثر الأدلة إقناعًا؛ لأن نقوش وادي الحمام لم يتم جمعها إلا بواسطة أناس موثوق فيهم، وليس هناك من شك من الشكل الآكادي لتلك الكلمة؛ لهذا ربما تكون هي الكلمة التي تمت

ترجمتها في اللغة اليونانية إلى الخصى (المخصي)، وربما لأنه ببساطة في لغة الحياة اليومية للبابليين خلال عصر ستيسياس Ctesias وآخرين من مؤلفي الفرس، فإن تلك الكلمة كانت تعني وظيفة أو موظفًا ذا نفوذ، وفيما بعد فقدت تلك الكلمة معناها البيولوجي، وبالعودة إلى باجوس Bagoas الذي كان دائمًا يعرف بالخصى في المصادر الكلاسيكية، فنحن نعرف باجوس Bagoas على أنه كان موظفًا كبيرًا في القصر؛ لأنه حصل على لقب كبير الياوران، ولكي نختم ذلك باختصار، فإن الكتابات الكلاسيكية واضحة تمامًا في هذه النقطة في أنهم -أي الخصيان- يعملون كجزء من موظفي القصر دون أن نكون قادرين على التحديد بدقة، هل كانت لهم وظائف بعينها ومهام محددة؟ ولكن الاستثناء الوحيد أنهم كانوا يحرسون مجموعة محددة (فئة) محددة من النساء وهن المحظيات بصرف النظر عن قبول أو رفض المفهوم التقليدي للحريم، وكذلك على الأكثر فإنه من المشكوك فيه أن كل من هم حول الملك والذين تحدث عنهم ستيسياس Ctesias وآخرون مخصيين .

إن أكثر الافتراضات المقبولة هنا هو أن نقبل أن كلمة خصى قد نقلها الإغريق من القصر الذي يعتبره أحد الألقاب الملكية، فالدليل من النقوش الموجودة في وادي الحمامات تقترح أن هذا المصطلح هو الذي وجد في البلاط الآشوري تحت لقب ساري .

4- الجانب النسائي:

نحن نعرف من خلال أمثلة عديدة أن الملوك -شأنهم شأن جميع الفرس- كانوا متعددي الزوجات، وأن لديهم الكثير من العشيقات (المحظيات)، في السياق الفارسي يوجد فرق واضح في الدرجة (الرتبة) بين الزوجات وبين الخليلات، والتي تكلم عنها المؤلفون القدماء مثل هيرودوت Herodotus ، كل رجل لديه عدد من الزوجات وعدد أكبر من

العشيقات، وذكر بلوتارخ (Plutarch) أنه عندما كان الملك الفارسي يجلس لتناول الطعام، فإن زوجته كانت تجلس بجواره، ولكن عندما كان يريد أن يشرب الخمر كان يبعد زوجته، ويرسل في طلب العازفات والراقصات والعشيقات، وإلى حد ما فإنهم كانوا على حق فيما يفعلونه، حيث إنهم لم يعترفوا أبدًا بمشاركة الإباحية أو الفجور تلك مع أي من زوجاتهم المتمسكات، ويمكن أيضًا أن نستشهد بدينون Dinon ، حيث قال من بين كل الفرس فإن الملكة تسمح بوجود عدد كبير من العشيقات؛ لأن الملك كان يعامل زوجته كملك مستبد، وكذلك لسبب آخر وهو أن الملكة كانت تعامل بالوقار من قبل المحظيات وكانوا يسجدون لها، وفي إصدار ستيسياس Ctesias بخصوص العلاقات الأولية بين البلاط الفارسي وبين الفراعنة سجل لنا أن أماسيس Amasis رفض أن يرسل ابنته إلى قمبيز Cambyses ، حيث إنه شك في أنها ستكون محظية من محظياته ولن تكون زوجة .

إن القصة التي حكاها زينوفون Xenophon بخصوص العلاقة بين فازنابازوس Pharnabazus وسبثريداتيس Spithridates تؤكد تلك النقطة، حيث إن سبثريداتيس Spithridates كان في منتهى الغضب من فازنابازوس Pharnabazus الذي أراد أن يتزوج إحدى بنات الملك، والذي كان يخطط في الوقت نفسه لكي يأخذ ابنة سبثريداتيس Spithridates كمحظية من محظياته، وهذا يحقر من مركز والد الفتاة، إن تصنيف ودرجة الزوجة كانت مميزة عن درجة المحظية، حيث إن الزوجة يكون لها احتفال رسمي في الزواج، وكذلك أبناؤها يكونون أبناء شرعيين، أما المحظية فأبناؤها يكونون غير شرعيين، فأولاد الزوجة يدخلون في الدائرة المحدودة للورثة المحتملين .

استثناء فريد من نوعه قد حدث خلاف ذلك في خلافة أرتاكسركسيس (Artaxerxes) الأول، فزوجته دامسبيا Damaspia وضعت

ولدًا شرعيًّا وحيدًا وهو كسركسيس (Xerxes) الثاني، ثم مات كسركسيس (Xerxes) الثاني بعد توليه العرش بفترة بسيطة، وأصبح هناك صراع بين أبناء المحظيات البابليات، وفي هذه الحالة فإن الموقف بالنسبة للمحظيات اجتمعت فيه أهداف تعدد الزوجات وتملك محظيات عديدات، إن وجود المحظيات تم تأكيده أيضًا بواسطة ستيسياس Ctesias خلال فترة بارديا Pardiya ، والذي قال في قصته إن المجوسي قد قتله السبعة بينما كان نائمًا مع محظية بابلية .

الخدم والمحظيات:

من هن المحظيات؟ أو العشيقات؟ في السياق اليوناني (اليوناني) إن الاختلاف الداخلي واضح جدًّا، فمن خلال مقطوعة شهيرة لديموستينيس Demosthenes تدل على أن المحظيات (هيتايراى) كن للمتعة فقط، أما العشيقات بالاكاى فهن للاهتمام طوال اليوم، والزوجات (جينيسيوس) لإنجاب الأبناء الشرعيين، وبالرغم من ذلك فإن المؤلفين الإغريق استخدموا كلمة (بلاكيس) أو (بالاكيدس) بانتظام واستخدموا كلمة (هيتايرا) قليلاً جدًّا، دعنا نلاحظ في هذه الأثناء أنه في أثينيوس Athenaeus كان هناك فرق بين الفتاتين المسمتان بـ(أسباسيا Aspasia) اللتان كانتا لدى قورش (Cyrus) الأصغر، حيث كان يطلق على الأولى (هيتايرا) والتي كانت تسمى في الأساس ميلتو Milto ، والثانية (بطلة القصة الرومانسية) كان يطلق عليها بلاكيس، وثايس Thais سيئة السمعة التي يفترض أنها المسؤولة عن احتراق القصر في برسيبولس في عام 330 كان يطلق عليها أيضًا هيتايرا، وكما ذكر إيليان بالنسبة للبطلات القصص الرومانسية فإن الفتيات اليونانيات الأربع اللاتي تم تقديمهن إلى بلاط قورش (Cyrus) الأصغر قد تلقين تعليمًا على المهارات التي يجب أن تتعلمها الهيتايرا، وهو أن امرأة محترفة كانت تقوم بتعليم المبتدئات كيفية تهيئة أنفسهن للجلوس مع الرجال أثناء

الشراب؛ وأن تتصرفن بشيء من Aspasia الخجل، وكذلك تدربهن على العزف على الآلات الموسيقية (القيثارة والناي)، إن أسباسيا Aspasia الجميلة قد فتنت قورش (Cyrus)وجعلته يضمها إلى محظياته، وقد أتت من عائلة فقيرة، ونشأت في كنف أب فقير وهو هيرموتيموس Hermotimus ، ومنذ أن تم إحضار الفتيات الأربع إلى قورش (Cyrus) بواسطة شخص ما سماه إيليان Aelian أحد المرزبانات والذي كان هو أيضًا من اشتراها، ويمكننا أن نفترض أنهن قد بيعوا في سوق الرقيق والفتيات الثلاث الأخريات تصرفن وكأنهن كن عشيقات .

ويتحدث بلوتارخ (Plutarch) أيضًا عن هؤلاء النساء اللاتى كان الفرس يشترونهم بالمال ويجعلوهم من محظياتهم، لقد أحضر ستراتون Straton المنتمى إلى مدينة صيدا الكثير من المحظيات (بالاكاى) من إقليم أيونيا ومن اليونان كلها، ولقد أنعشن ونشطن مآدبه (أثينا 13-531ب)، في آسيا الصغرى وفي أماكن أخرى، حيث كانت هناك مراكز لإنتاج الخصيان، فقد كانت هناك أيضًا نساء متخصصات في الغناء والموسيقى ولهن سمعة جيدة لدى البلاط الملكي .

إن مثال أسباسيا Aspasia يوضح أن الواحدة يمكن أن تترقى من مجرد أمة تم شراؤها إلى أن تصبح محظية من محظيات الملك، وهذا يحدث في العديد من القصص الرومانسية في البلاط الملكي، فشدة الرغبة لدى الملك يمكن أن تضاهي بقصة أسباسيا Aspasia وقورش (Cyrus) ، والتي أصبحت بسرعة أفضل وأحب عشيقاته إليه لما لها من طبيعة جميلة، ومنذ ذلك الوقت تنامى حب قورش (Cyrus) لها بشكل كبير أكثر من أي امرأة أخرى يعاشرها، وأخيرًا صار متيمًا بحبها، وكانت هي كذلك تبادله الحب والغرام، إن حب هذين الزوجين وصل إلى نقطة معينة حتى أصبحا متساويين تقريبًا، ولا يشعر أي منهم بنقص تجاه الآخر، لا في التجانس ولا في الأخلاق بالنسبة للزواج اليوناني، وتم

الاحتفال الرسمي بقورش (Cyrus) وأسباسيا Aspasia في أيونيا وفي كل اليونان، لقد ذكر هيرودوت Herodotus أنه من بين كل زوجات دارا Darius (الشرعيات) فقط أظهر حنانًا وحبًا خاصًا لأرتيستون Artystone ، والتي أنشأ لها تمثالاً على شرفها.

ومعظم المحظيات تم إحضارهن إلى القصر كسبايا حرب، وبعد السيطرة على العديد من المدن الأيونية تم جر أجمل الفتيات من بيوتهن وإرسالهن إلى بلاط دارا Darius (هيرودوت Herodotus 3206)بواسطة القادة الفرس، وبعدما سقط مدينة ملطية تم أخذ الأطفال والنساء كعبيد، وأصبحت امرأة من كوس محظية الفارسي فرانداتيس Pharandates بالقوة، وتم أخذ امرأة مقدونية من ساموطراقيا إلى أوتوفراداتيس Autophradates أيضًا بالقوة (بلوتارخ 339 (Plutarch)أ)، وبعد الحملة المصرية فإن جنديًا من جيش قمبيز Cambyses باع فتاة سباها في بابل، وبعد الاستيلاء على صيدا في سنة (344-345)، أرسل أرتاكسركسيس (Artaxerxes) عددًا كبيرًا من النساء إلى بابل، وتحكي لنا التواريخ البابلية ذلك بالتفصيل: (كن يدخلن إلى قصر الملك)، ولكن ليس كلهن محظيات، بل يتم تقسيمهن على ساكني القصر، وتسميهم النصوص البابلية بـ(عبيد الملك)، والمرأة أو البنت التي تكون غير متخصصة في شيء يتم تشغيلها في أماكن متعددة في القصر .

ومن الممكن أيضًا أن ينضموا إلى خدمة الزوجات والأميرات، حيث إن الزوجات والأميرات يتم إعطاؤهن عددًا كبيرًا من الخدم، كما يتضح من مثال أم دارا Darius الثالث، ومن المفترض أن هذا هو مضمون الكلمات التي وضعها هيرودوت Herodotus على لسان أتوسا Atossa التي حثت دارا Darius على محاربة اليونانيين: (إنني أحب أن أحصل على فتيات من إسبرطة ومن أرجوس ومن أتيكا ومن كورنيث لكي يخدمنني)، وهذا يوضح كيف حصلت Esther على سبع وصيفات

مخصوصات من خدم قصر الملك، وهناك طريقة أخرى للحصول على النساء قام بتوضيحها مؤلف كتاب. Esther

دعنا نسترجع أنه في هذه القصة الرومانسية التي حدثت في البلاط الملكي، فإن أهاسويروس Ahasuerus قرر أن يطلق الملكة فاشتي Vashti ، والتي وجدت مذنبة لأنها لم تحضر وتلبي نداء ودعوة الملك، وحتى يقوم الملك باستبدالها كتب هذا الأمر الملكي في كل مكان (دع البنات الجميلات يكن مختارات للملك)، (دع الملك يعين المفوضين في كل أنحاء محافظات مملكته لجلب كل العذارى الجميلات إلى حصن صوصا Susa)، وبصرف النظر عن الصفة التخيلية للعمل، فإن هذه الطريقة لجمع النساء لا تبدو أنها بعيدة عن عالم الواقع، فالموضوع يتكرر في قصة ذكرها هيرودوت Herodotus لتوضيح كيف كان دارا Darius يحلم بإعادة إعمار بابل بعد أن أخذها أخيرًا بعد حصار طويل جدًّا، لقد ذكرت في بداية كتاباتي كيف كان البابليون يقتلون نساءهم من أجل توفير الطعام؛ ولهذا فقد كان على دارا Darius حتى يحافظ على النوع من الانقراض أن يجبر الأشخاص المجاورين على إرسال عدد محدود من الناس إلى بابل حتى تم جمع نحو خمسين ألفًا هناك، ومرة أخرى فهذه القصة جيدة أكثر من كونها تأريخًا بالرغم من أنها نسجت في إطار سياسي محكم، فكل ما فعله دارا Darius كان تقييمًا للجزية التي تحسب بالنسبة للمصادر الموجودة (النساء) في كل بلد من البلاد التي تخضع للضرائب، ولقد تم إثبات الجزية بالنساء من خلال هيرودوت (Herodotus) فيما يتعلق بكولخيس Colchis الذي كان يرسل 100 صبي و100 فتاة في كل عام.

إن السرير الملكي والمنضدة الملكية تعكس ضخامة الإمبراطورية والتنوع الهائل في سكانها، ومن هذا المنطلق لا أستطيع أن أقاوم الاستشهاد بكتاب فان جوليك Van Gulik حول محظيات الإمبراطور الصيني في عهد تانج : T'ang (ويبدو أن نساء القصر يشملن البنات

اللاتي تم تقديمهن كجزية من المقاطعات ومن البلاد المجاورة التابعة للإمبراطورية وذلك من عائلات بارزة ترغب في أن تنال عطف الملك وإحسانه، وكذلك النساء المرسلات من قبل وكلاء القصر، فدائمًا يحرص وكلاء القصر على تفتيش المملكة والبحث عن أجمل وأبرع النساء، ثم يأخذونهن أينما وجدوهن وعندما يتم جمع عدد من هؤلاء النسوة، يقوم الخصيان والوصيفات المسنات بفرزهن، والأفضل يتم ضمها إلى حريم الإمبراطور، ومن تستطيع أن تقوم بعمل فنى ترسل إلى مركز التدريب (شياو فانج)، والباقيات تتم الاستعانة بهن في أعمال القصر)، بالإضافة إلى كتاب Esther نستطيع أيضًا أن نسترشد بفيلاركوس Phylarcusالذي تحدث عن امرأة تدعى تيموسا Timosa ، والتي أبهرت الكل بجمالها، وفاقت كل النساء في الجمال وهذه الفتاة أرسلها ملك مصر كهدية إلى ستاتيرا زوجة الملك (أرتاكسركسيس الثاني) والتي محظية (بلاكيس) أوكسيارسيس Oxyarthes ومن المحتمل جدًا أنه كان مولعًا بها، وطلب من أخت زوجته أن تعطيه إياها.

محظيات الملك العظيم الثلاثمائة والستين:

مشكلة حقيقية تظهر عادة عند تفسير الكتابات الكلاسيكية والهلينية هي عدد عشيقات الملك بلوتارخ (Plutarch) ، ديودورس (Diodorus) ، كوينتوس كورتيوس Quintus Curtius وديكارخوس Dicaearchus ، ولقد ذكروا نحو 360 عشيقة لأرتاكسركسيس (Artaxerxes) الثاني ودارا Darius الثالث، والعدد 360 وجد عدة مرات في كتابات هيرودوت (Herodotus) وروايتهه عن دفع الجزية: فالهند كانت تدفع نحو 360 طالن من بودرة الذهب، وكانت كيليكيا تدفع 500 طالن من الفضة، كان يذهب 140 منها لتدعيم الفرسان المتمركزين في كيليكيا بشكل دائم، بينما كان يذهب 360 طالن الباقون إلى البلاط الملكي، بالإضافة إلى ثلاثمائة وستين من الخيول البيضاء، وأضاف هيرودوت(Herodotus)

(واحد لكل يوم في العام)، مثل هذا التعبير وجد أيضًا في كتابات ديودورس (Diodorus)بخصوص محظيات الملك، والمقارنة بين النصين لا تدع مجالا للشك بوجود نموذج مثالي، ولكن هل كان يونانيًا أم فارسيًا؟ أو هل كان هناك تفضيل معين للرقم 360 في التفكير الأخميني؟

إذا لم يكن فيجب علينا أن نحذف عدد المحظيات ليس فقط للملك ولكن أيضًا من مخططات هيرودوت (Herodotus) التي يستشهد بها، كذلك يجب أن نرفض قصة هيرودوت (Herodotus) الخاصة بالعقاب الذي أنزله قورش Cyrus بنهر The Gyndes ، والذي قيل إن حصانًا أبيض أهدى إلى الشمس غرق فيه، فانقسم إلى 360 مجرى صغير وتمكن من عبوره بسهولة، كذلك سيكون لدينا تساؤلات حول وجود 360 شابًا في موكب دارا Darius يساوي عدد أيام السنة، وكذلك الثلاثمائة وستين محظية، ومن الواضح أن هذا العدد الرمزي يوجد في العادات اليونانية، ولكن أيضًا يبدو في عادات الفرس والذي يتصل بعدد أيام السنة الشمسية وخمسة أيام من السنة القمرية البابلية، لقد أصبح ظاهرًا أن عدد 360 محظية، والخاص بالملك العظيم يعود مباشرة إلى الكتابات عن بلاط الأخمينيين، والعدد 360 محظية يعطي للملك صورة وقدرًا أعلى من كل الرجال الآخرين، يقول (ديودورس Diodorus) : إنه أثناء انتقال البلاط الملكي قد صاحب الملك نساء من البيت الملكي ومن أقربائه ومن أصدقائه .

ذكر كوينتوس كورتيوس Quintus Curtius أنه في موكب دارا (Darius) الثالث كانت هناك أم الملك وزوجته يصاحبهم حشد من النساء الراكبات، بالإضافة إلى أبناء الملك والمعلمات والخصيان، وفي الركب الذي يليهم 360 من محظيات الملك يرتدون الزينات الملكية، نعرف ذلك من كتابات هيراقليدس Heraclides أن محظيات كن يرافقن الملك في رحلات الصيد، ويمكننا أن نفرض جدلاً دون أن يكون لدينا برهان

واضح أنه في حالة موت الملك يتم اختيار 360 محظية أخرى (جدد)، فماذا سيحدث للمجموعة السابقة؟ عمومًا نحن لا نفرق على وجه التحديد بين المعطيات التي يتم على أساسها اختيار محظيات الملك وهل هن عادة يكنّ ذوات جمال فريد؟ وهذا ما تم ذكره في Esther ، والتي أضافت أن الهنديات كن عذارى، ويذكر ديودورس (Diodorus) إن الهنديات كن يفقن كل النساء جمالاً في آسيا، وعلق بلوتارخ (Plutarch) على ذلك من أن اختيارهن ما كان إلا لجمالهن، ولكن هذه صفات من الصعب التفرقة بينها ففي فتيموسا وأسباسيا تم وصفهن بالدرجة نفسها من الجمال، وكذلك أميتيس Amytis أخت كسركسيس (Xerxes)، وزوجة ميجابيزوس : Megabyzus (كانت أنوتيس Anoutis هي أجمل النساء في آسيا)، وكذلك إن الإسكندر (Alexander) أعجب جدًّا بالنساء الإيرانيات لسحر عيونهن؛ لذا فمن الصعب أن نجيب عن السؤال: ما هي معايير الاختيار؟ لأن محظيات الملك ذكرن هكذا جملة واحدة .

الحياة الجنسية للملك الأكبر (الحقيقة والخيال)

صورة واحدة لخيال الملك الخاصة يأتينا بها ديودورس (Diodorus) الذي يصف هذا المشهد: (في كل ليلة تأتي المحظيات، ثم يستعرضن ويتخايلن أمام أريكة الملك حتى يقوم باختيار من يريد أن يقضي تلك الليلة معها)، والنص يخبرنا أنه في كل ليلة تنضم واحدة جديدة من محظيات الملك العظيم إليه في الفراش، وبمقارنة الصورة التي قدمت من خلال كتاب Esther ، بمجرد أن دخلت Esther إلى بلاط أهاسويروس Ahasuerus ، قام الخصى هيجاي Hegae بتعطيرها وإطعامها وجمع لها سبع فتيات في خدمتها من نساء القصر المحظيات، ولمدة إثني عشر شهرًا تبعت Esther القواعد الخاصة بالنساء، ولمدة ستة أشهر كانت تدهن بالمر، ولمدة ستة أشهر أخرى بالتوابل والمستحضرات التي تستخدم في تجميل الإناث، وعندما استدعاها الملك غادرت في

المساء، ثم عادت في الصباح، ولكن في ذلك الحين بقيت مع باقي الحريم في مكان آخر وعهد برعايتها إلى شاشجاز Shaashgaz خصى الملك حامي المحظيات، ومن الناحية النظرية فإنها ربما لا تذهب إلى الملك إلى إذا طلبها هي بالتحديد، ولكن في الحقيقة هذا لم يحدث، فإستر Esther كانت مفضلة عن باقي النساء، ولقد وجدوا في كتاب جوديث Judith أنه عندما تتجهز المحظية لمقابلة هولوفرنيس Holophernes فإنها تخلع ثوب الأرملة، ثم تغتسل تمامًا، وتدهن نفسها بعطر ثمين، وتصفف شعرها، وتلف حوله العصابة، ثم تلبس فستان البهجة والمتعة، ثم تلبس الصندل في قدمها، وتضع أساورها وقلاداتها، وترتدي الحلق، وكل المجوهرات الخاصة بها، وليس من المستغرب أن يتم كل هذا الإعداد للمرأة التي سوف تشارك الملك فراشه، كذلك فالشابات اللاتي يخدمن على طاولة الملك يجب أن يستحممن ويرتدين الثياب البيضاء، وذلك حسبما ذكر هيراقليدس Heraclides (أثينيوس4Athenaeus ، ص145) .

ولذا فنحن نجد أن هناك توافقًا كبيراً بين ديودورس (Diodorus) وإستر Esther، بالرغم من أن القصة الرومانسية لا تذكر النزاهة الرائعة التي ذكرها المؤرخ، ولكن هل المؤرخون المحدثون وجدوا بالضرورة هذا التوافق مقنعًا؟ في محاولة للإجابة عن هذا السؤال دعونا نرجع مرة أخرى إلى هيراقليدس Heraclidesوالذي كتب في مؤلفه: (إن هناك نحو 100 امرأة تكون في حراسته ورعايته، وهؤلاء ينمن بالنهار ويستيقظن في الليل، وتظللن ساهرات يعزفن على القيثارة، ويغنين باستمرار، بينما تحترق الشموع، والملك يحصل على متعته منهن كمحظيات .

للوهلة الأولى فإن التوافق (التشابه) بين ديودورس (Diodorus) وهيراقليدس Heraclides يظهر جليا وواضحًا، ولكننا سوف نؤكد منذ البداية أن النص مرمم جزئيًا؛ ولهذا فإن كلمة غانيات (بالاكيديس) غير

مؤكدة، فبعض المخطوطات الأخرى تستخدم كلمة بولاكيس غالبًا، ولكن الكلمة غير القابلة للجدل هي كلمة جينايكيس، إن ديودورس (Diodorus) لم يذكر التفصيلات التي ذكرها هيراقليدس Heraclides ، مثال ذلك النساء الساهرات يغنين، وهذه الخلافات هي الأكثر بروزًا في كتابات هيراقليدس Heraclides الذي كان على معرفة بالعادات الموجودة في بلاط الأخمينيين، إن أهم التفسيرات على الأرجح أن هيراقليدس Heraclides لا يلمح هنا إلى محظيات الملك الثلاثمائة والستين، ولكن إلى الرقص والغناء والعزف، واللاتي يقمن بتزيين المائدة الملكية بأصواتهن ونغماتهن، كما نعرف من هيراقليدس Heraclides نفسه ومؤلفين آخرين أن بارمينيون Parmenion كان له 329 من المحظيات .

إن كان هذا التفسير مقبولاً، فإنه سوف يكون علينا أن نصدق أن ديودورس (Diodorus) إما أنه قد زاد واختلق تلك القصة لقرائه أو أنه قد خلط الحقائق التي ذكرها هيراقليدس Heraclides وشوهها، وسيكون وصفه متكاملاً بدقة مع واحدة من الصور المفضلة للكتاب اليونانيين، وليس من السهل ملاحظه الحقيقة في التفسير اليوناني هنا بالنسبة لعدد المحظيات الملكيات، فديودورس (Diodorus) خلص إلى أنهن كن يأخذهن أدوارهن للمجيء لجذب انتباه الملك العظيم.

أسطورة الحريم:

ارتباطًا بالنصوص التقليدية، فإن نص إستر Esther لم يلعب أي دور ولو صغير بالنسبة لمصطلح الحريم في بلاط الملك المعظم، فالحريم اللاتي تم وصفهن أو تخيلهن على الأرجح تشبه صورة مهاجع الحريم الذين كانوا في عصر الدولة العثمانية التي كان يسكنها الخصيان والمحظيات، وهذا النوع من الافتراضات الموضوعة سلفًا ترشد المحققين الأصليين في برسيبولس، والذين يؤمنون بأنهم قد اكتشفوا مصطلح الحريم، والذي هو عبارة عن مبنى تعيش فيه النساء في

حجرات منفصلة، وبلا شك فإن الأميرات الملكيات والملكات لهن أجنحتهن الخاصة، في قصته عن مقتل سمرديس يقول هيرودوت :(Herodotus) إن الرجال كانت لهن أجنحتهن الخاصة، والتي كانت بطبيعة الحال معزولة عن الأجنحة الخاصة للسيدات الأخريات، ووجود مثل هذا الحاجز بين أجنحة السيدات وأجنحة الرجال يفهم ضمنيًا من قصة ديموسيدس Democedes الطبيب اليوناني عندما وصل إلى القصر، وتم اصطحابه إلى زوجات الملك بواسطة الخصى، كذلك يجب أن نلاحظ التفاصيل التي ذكرها هيرودوت (Herodotus) بخصوص المواليد الفرس، حيث إن المولود يبقى في كنف أمه لمدة خمس سنوات لا يرى فيها أباه أبدًا، أما بخصوص الحديث عن الـ360 محظية، فقد أضاف بلوتارخ (Plutarch) ما يلي: (كان البرابرة شديدو الغيرة على نسائهم؛ ولذلك كانت عيونهم عليهن بصفة دائمة، والموت لمن يفكر أن يقترب أو يمس واحدة منهن، حتى في الرحلات كان الرجل منهم يتقدم، ثم يتراجع، ثم يتقدم، وكل ذلك من أجل مراقبة العربات التي تحمل النساء، وتأكيدًا على غيرة هؤلاء البرابرة يذكر بلوتارخ (Plutarch) أن ثمستوكليس Themistocles عندما أراد أن يهرب من نقاط التفتيش قام بتسلق إحدى عربات الحريم واختبأ فيها، وعندما مرت العربة لم يستطع أحد أن يوقفها على اعتبار أنها عربة خاصة بالحريم ممنوع الاقتراب منها)، ويعلق بلوتارخ (Plutarch) قائلاً: (إن الفرس هم أكثر الشعوب غيرة على نسائهم من بين كل من شعوب البرابرة، ليس فقط على زوجاتهم، ولكن أيضًا على محظياتهم وإمائهم، فهم يبقونهم قريبين جدًا منهم في أماكن مغلقة معزولة لا يقترب منهم أو يراهم أحد في الرحلات، وكن يوضعن في خيام مغلقة من جميع الجهات).

بلوتارخ (Plutarch) ، الذي كان مهتمًا بفضيلة النساء نجد أنه يعود إليها في حياة أرتاكسركسيس (Artaxerxes) قائلاً إن أرتاكسركسيس (Artaxerxes)

كان أول من سمح لزوجته ستاتيرا Stateira بالسفر في عربة مكشوفة، كذلك يقول بلوتارخ :(Plutarch) إن زوجات الملك الشرعيات كن يتركن طاولة الطعام في وقت حفل الشراب الذي فيه تدخل المحظيات والموسيقيون إلى القاعة، وليس هناك سبب وجيه لكي نرفض المعلومات التي ذكرها المؤلفون التقليديون بشكل كامل، وبالرغم من ذلك فإنهم ربما يزيدون في تلك التفصيلات، في الوقت نفسه فإننا نحتاج إلى إضافة مؤهلات مهمة، حيث إننا لا يجب أن نضع كل نساء القصر في مرتبة واحدة غير مميزة، فنحن لا نعرف الكثير عن حياة المحظيات في القصر الملكي .

إن من قام بتجميع كتاب Esther قد وضعهن جميعًا في منزل يسمى جينايكونوس، وقد كان هناك منزلان من هذا النوع الأول يديره هيجاي Hegae ، وهو يستخدم في تجهيز الفتيات، والثاني هو منزل النساء، ويديره شاشجاز Shaashgaz، وهو الذي يتولى حماية المحظيات، وفيه تستقر النساء بعد قضاء ليلتهن مع الملك العظيم، ولقد ألمح إيليان Aelian لهذا النوع من المباني، وذلك في مناظرته بين الملك الأكبر، وذكر السمك في البحر فكلاهما لديه العديد من الزوجات اللائي يعشن في حجرات عديدة، وهذه أيضًا هي الصورة التي رسمت بواسطة المؤلفين القدامى في قصص عديدة، والذين يستنكرون ويستهجنون فيها خنوثة الأمراء في البلاط الملكي، مثال نينياس Ninyas الذي لم يره أبدًا سوى الخصيان، وكذلك زوجاته فقط، وكذلك ساردانابالوس Sardanapalus الذي عاش مع المحظيات يلبس ملابس النساء ويغزل الصوف في صحبتهم.

إن كلمة (جينايكونيتيس) تعني الحريم، ولكن من هذه النقطة نقول إنها في الشرق الأدنى كلمة متناقضة، حيث إن كلمة حريم في مصر الفرعونية تدل على شيء مختلف تمامًا، واحدة منها تعني بالتحديد مجموعة الموسيقيين والمغنين، وتشمل النساء والرجال، ومن ناحية أخرى كما ذكرت ماري فإن هذه الكلمة (سكريتوم) تعني محجوز أو

محصور بمعنى أنه يتم تحديد مكان محدد، ويتم حجز النساء فيه؛ لذلك فنحن نرى أن هناك عناصر محدودة توجد في Esther تعتبر شرعية وجائزة، كذلك فمحظيات الملك يعشن في أجنحة خاصة بهن، هذا وإذا أخذنا كلام هيراقليدس Heraclidesحرفيًا فإن هذه الأجنحة تكون منفصلة عن الأجنحة الملكية، وذلك بواسطة الفناء، وبالرغم من ذلك، فإن الأميرات في البلاط الملكي لا يبقين متقوقعات داخل أجنحتهن، وإن ألواح برسيبولس تشهد على رحلاتهم المتكررة، وفي الحقيقة فقد كانت لديهن استقلالية أكثر من النساء الأخريات حتى لو كانت في نشاطهن كمديرات لمنازلهن، والذي يشمل من يعملون في الأرض، أو داخل المنزل؛ ولهذا فربما أننا سنذكر ثانية أميتيس Amytis أخت كسركسيس (Xerxes) وزوجة ميجابيزوس Megabyzus أجمل نساء آسيا وأكثرهن مجونًا حسبمًا ذكر دينون، Dinonويؤكد ستيسياس Ctesias على مغامرتها خارج نطاق الزوجية، والتي كان بسببها يشكو زوجها إلى كسركسيس (Xerxes) ، وبعد موت ميجابيزوس Megabyzus قامت بتطليق نفسها حتى تبحث لنفسها عن رفقة من الرجال مثلما كانت تفعل أمها أميستريس Amestris التي كانت لها علاقة مع الطبيب أبوللونيدس Apollonides ، وبصفة عامة فإن المرأة الأرستقراطية يتم تعليمها تعليمًا خاصًا حسبما ذكر كوينتوس كورتيوس Quintus Curtius مع إن معلمات الأطفال في البلاط الملكي كن يعلمن هؤلاء الأطفال خاصة الفتيات أكثر من ذلك، فإن ستيسياس Ctesias أعطى مثالاً وهو روكسانى Roxanne أخت زوج ابنه أرتاكسركسيس (Artaxerxes) الثاني تريتوشميس Teritouchmes ، والتي كانت غاية في الجمال، وكانت بارعة جدًا في استخدام القوس والرمح، وهذه مقولة فريدة من نوعها، وغاية في الأهمية تؤكد أن الفتيات يتلقين تعليمًا بدنيًا أحيانًا مثل الأولاد، وذلك أثناء دراستهن للفنون والمواد التقليدية .

ويجب أن نلاحظ أيضًا انه في مواكب دارا Darius الثالث كانت الأميرات تصاحبهن الفارسات كما قال ليس هناك أي شيء يجعل المرأة الفارسية تشعر بالخزي أكثر من عملها في غزل الصوف، ويمكن أن نضيف على ذلك إن المرأة المحاربة قد لعبت دورًا مهمًا في التراث الشعبي الإيراني، ويمكننا في النهاية أن نقول إن الفتيات الأرستقراطيات لم يكن يتم إعدادهن لكي يعشن حياة منعزلة، ولكن بالرغم من ذلك فإن لديهم أجنحتهن الخاصة في القصر الملكي أو في بيوت أزواجهن، من جهة واحدة فإن هذه الاستنتاجات قد صيغت بطريقة نظرية، وذلك لأسباب عديدة تم ذكرها من قبل، فإن غياب صورة المرأة في شؤون البلاط الملكي لا يدهشنا، فقد وجدت في وسائل أخرى، مثل العديد من الأختام التي في برسيبولس والتي تخص الأميرة إرداباما Irdabama ، والصور التي توجد على تلك الأختام لا تختلف عن تلك التي تخص الرجال، فواحد من هذه الأختام سيظهر عليه مشهد من مشاهد الصيد، وهناك ختم آخر يستخدم في الأوراق الرسمية المتعلقة بإرداباما Irdabama عليه مشهد المتفرجات من النساء فقط، ولكن هذا المشهد منسوخ من الاحتفال الرسمي للبلاط الأخميني:وتذكرنا بالإلتزام بأداء الـ(بروسكينيس) في البلاط وهو الالتزام الذي كان مفروضًا حتى على الأشخاص رفيعي المنزلة مثل الأميرات والمحظيات، ونجد أيضًا على أحد الاختام التي تخص أرتيستون Artystone شكل البطل الملكي المعروف .

إن استخدام تلك الأختام والأشكال التي توجد عليها يشهد مرة أخرى على المكانة التي وصلت إليها الأميرات الملكيات في البلاط الأخميني، ويجب أيضًا أن نذكر أحد المشاهد المهمة المصورة على سجادة من باذيريق Pazyryk (وهي المشاهد التي تم استلاهمها بشكل واضح من البلاط الأخميني): وهي عبارة عن امرأتين تصليان أمام مبخرة ذات أقدام.

5- على مائدة الملك الأكبر:

العشاء مع الملك العظيم من بين كل المناسبات الاحتفالية في البلاط الملكي حيث نجد الفخامة والترف والأبهة التي كانت عليها ولائم الملك، والتي أسرت خيال المؤلفين القدامى، والذين تسابقت رواياتهم وتزاحمت من أجل التقييم الشخصي والأجر الوفير .

يقول هيرودوت (Herodotus) إنه عند مولد الفرس الأغنياء يكون لديهم ثور أو حصان أو جمل أو حمار كامل في الفرن، وإذا كان هذا هو الحال بالنسبة لأغنياء الفرس فماذا يمكن أن تحتويه مأدبة الملك؟ ذكر دينون Dinon وستيسياس Ctesias أن المأدبة كانت تطعم نحو 1500 فردًا في كل يوم، ومنذ أن كان الإسكندر (Alexander) متواجدًا في البلاط الملكي الفارسي، فإن غذاء وعشاء الملك العظيم كان يقدم له حسب الوصفة المحفورة على عمود من البرونز، والذي قد كتبت عليه أيضًا كل القواعد التي وضعها قورش (Cyrus) ، وهذا ما تحتويه:

١- دقيق قمح صافٍ	٤٠٠ أردب
٢- دقيق قمح درجة ثانية	٣٠٠ أردب
٣- دقيق قمح درجة ثالثة	٣٠٠ أردب
إجمالي دقيق القمح في الغذاء	١٠٠٠ أردب
٤- دقيق شعير نقي جدًّا	٢٠٠ أردب
٥- دقيق شعير درجة ثانية	٤٠٠ أردب
٦- دقيق شعير درجة ثالثة	٤٠٠ أردب
إجمالي دقيق الشعير	١٠٠٠ أردب
٧- جريش الشعير	٢٠٠ أردب
٨- طحين دقيق جدًّا يستخدم في المشروبات	٢٠٠ أردب
٩- الرشاد المفروم	أردب
١٠- الشعير المصنع	١٠ أردب

١١- بذر خردل	٣/١ أردب
١٢- لحم خراف وماعز (ذكر)	٤٠٠
١٣- لحم ماشية	١٠٠
١٤- لحم خيل	٣٠
١٥- لحم إوز سمين	٤٠٠
١٦- حمام	٣٠٠
١٧- طيور صغيرة مختلفة	٦٠٠
١٨- حملان	٣٠٠
١٩- فراخ الأوز	١٠٠
٢٠- غزال	٣٠
٢١- لبن طازج ليومه	١٠ ماريس
٢٢- مصل الحليب الحلو	١٠ ماريس
٢٣- ثوم	١ طالن
٢٤- بصل مر	١/٢ طالن
٢٥- أعشاب	١ أردب
٢٦- عصير السيلفون (مادة مقوية للجنس)	١ طالن
٢٧- التفاح الحلو	١/٤ أردب
٢٨- شمع كمون	١/٤ أردب
٢٩- زبيب أسود	٣ طالن
٣٠- زهرة الشبت	٣ ميناس
٣١- بذرة محار الذرة	١/٤ أردب
٣٢- بذر لوف	١/٤ أردب
٣٣- سمسم	١٠ أردب
٣٤- هلام العنب الحلو	٥ ماريس
٣٥- لفت وعجل معلب معد بالملح	٥ ماريس
٣٦- كابر معلب بالملح	٥ ماريس

٣٧- ملح	١٠ أردب
٣٨- كمون إثيوبي	٦ كابتيس
٣٩- ينسون مجفف	٣٠ ميناس
٤٠- بذر بقدونس	٤ كابتيس
٤١- زيت سمسم	١٠ ماريس
٤٢- زيت مستخرج من اللبن	٥ ماريس
٤٣- زيت تربنتينه	٥ ماريس
٤٤- زيت نبات شائك	٥ ماريس
٤٥- زيت لوز حلو	٣ ماريس
٤٦- لوز حلو مجفف	٥٠٠ ماريس
٤٧- نبيذ خمر (عندما كان ملك بابليون في صوصا Susa، كان نصف النبيذ الذي يشربه من خمر النخيل (عرق البلح)، والنصف الآخر من نبيذ العنب (خمر العنب).	٢٠٠ عربة نقل
٤٨- حطب النار	١٠٠ عربة نقل
٤٩- مادة تشتعل بها النار	١٠٠ بلوك مكعب
٥٠- عسل نحل متصلب	كل منها ١٠ ميناس
عندما كان الملك في ميديا كان هذا ما يطلبه:	٣ أردب
٢ ميناس	٥١- العصفر
كل ما سبق للمشروبات وللغذاء بالإضافة إلي:	٥٢- الزعفران
٥٣- دقيق قمح ناعم	٥٠٠ أردب
٥٤- دقيق قمح وشعير ناعم	١٠٠٠ أردب
٥٥- دقيق درجة ثانية	١٠٠٠ أردب
٥٦- دقيق قمح ناعم جدًا	٥٠٠ أردب
٥٧- نخالة شعير	٥٠٠ ماريس
٥٨- شعير حيوان	٢٠٠٠ أردب
٥٩- قش مقطع (تبن مقطع)	١٠٠٠٠ عربة

٦٠- تبن (حشيش مجفف للعلف)	٥٠٠٠ عربة
٦١- زيت سمسم	٢٠٠ ماريس
٦٢- خل	١٠٠ ماريس
٦٣- رشاد مفروم ناعم	٣٠ أردب

كل ما سبق يتم إعطاؤه للجنود، وهذا ما يأخذه الملك كل يوم للغذاء والعشاء وكذلك ما يتسلمون منه الحصص.

ملحوظة:

المنيا (وحدة وزن قديمة تعادل من (1-2) باوند، والثالث أيضًا وحدة وزنية قديمة .

وحتى نقوم بتقييم معقولية هذا الكلام يجب أن نلاحظ جزأين في البدية، أولاً المعلومات الرقمية والتعليق الذي في المقدمة والخاتمة .

بوليانوس Polyaenus وصل إلى هذا المغزى من القصة التي تحكى:

بينما كان جنوده يحدقون النظر بجد وتعجب انفجر الإسكندر (Alexander)ضاحكًا، وأمر بالعمود البرونزي أن يسقط على الأرض، وعلق قائلاً لأصدقائه: (إن مثل هذا النظام الرتيب في التغذية يضعف البدن والعزيمة والروح مثلما أثبتت ذلك الهزيمة التي يعاني منها الفرس)، وهذا الحوار في ضوء المقدمة يصل كل هذه الأفكار الخاصة بالعلاقة بين الرفاهية بالنسبة لأباطرة الفرس وانحطاطهم المفترض، وهذا يمكن مقارنته حرفيًّا بما كتبه هيرودوت (Herodotus)كرد فعل اليونانيين بالنسبة للثراء الفاحش في خيمة ماردونيوس Mardoniusالتي غنموها بعد معركة بلاتيا.

إن الكلمات والمواقف التي نسبها بوليانوس Polyaenus إلى الإسكندر (Alexander) تتطابق مع الكلمات والمواقف التي نسبها

هيرودوت (Herodotus) إلى بوسانياس Pausanias الإسبرطي: فعندما رأي بوسانياس Pausaniasالمعلقات المطرزة والرائعة والديكورات من الذهب والفضة في الخيمة، واستدعى الطهاة والخبازين الذي كانوا يخدمون ماردونيوس وطلب منهم تجهيز وجبة من النوع نفسه كما كانوا يفعلون مع سيدهم السابق، وتم تنفيذ الأمر، وعندما رأى بوسانياس Pausanias الأرائك المصنوعة من الذهب ومن الفضة، وكلها ملفوفة بطريقة جميلة، والمناضد من الذهب والفضة، وكل شيء معد للاحتفال في منتهى الروعة كان من الصعب عليه أن يصدق عينيه من الأشياء الرائعة التي يراها أمامه، وعلى سبيل النكتة أمر خدمه الخاص بأن يجهزوا له طعامًا إسبرطيًّا عاديًّا.

إن الفرق بين الطعامين بكل تأكيد كبير جدًّا، وعندما أصبح الطعامان جاهزين ضحك بوسانياس Pausanias ، وأرسل إلى الأمراء الإغريق، وعندما وصلوا دعاهم إلى النظر إلى الطاولتين قائلاً: (أيها السادة المحترمين.. لقد دعوتكم إلى هنا لكي أريكم حماقة الفرس الذين يعيشون في هذا المستوى، لقد أتوا إلى اليونان لكي يسلبوا منا فقرنا)، إن هذين الاقتباسين يقدمان موضوعًا لطالما اشتهر لدى المؤلفين الإغريق، وإنه لمن المستبعد جدًّا أن تلك القواعد قد حفرت على أعمدة من البرونز، ولكن إن تلك المعلومات على الأرجح قد أتت من المؤلفين الذين هم على دراية تامة بعادات البلاط الملكي الأخميني، ربما أن ستيسياس Ctesias الذي نعرفه كتب كتابًا وصف فيه كل شيء كان يتم تقديمه في غذاء الملك، أو ربما من هيراقليدس Heraclides نفسه؛ ولهذا فإن تلك المعلومات كلها تبدو صحيحة .

إن بوليانوس Polyaenus كان حريصًا على إعطاءهم تقديرًا للحجوم باستخدام المقاييس اليونانية والمقاييس التي قام بتقديمها (بذكرها)، والمعروفة من الألواح في برسيبولس على الأقل الأردب والأوقية، علاوة على ذلك، فإنه بسبب الكميات الكبيرة التي تحتاج إليها بنود

المائدة الملكية قد كان على المديرين المسؤولين والذين كانوا مطالبين بتوفير كميات الطعام، وتدبير الاحتياجات بصورة كاملة أن يحضروا وثيقة رسمية مصدقة لرؤساء المخازن المسؤولين عن الاستهلاك والإنفاق الذي يجب عليهم تقدير تقرير سنوي للإدارة، والتي يجب أن تتم مراجعتها بدقة حسب الأصول، وفي الإدارة العليا لهذا القسم يوجد من يسميهم زينوفون Xenophon نائبي قسم الضيافة، وذكر هيراقليدس Heraclides كذلك ضابطًا لقبه في النسخة اليونانية هو تقريبًا بوتيبازيس Potibazis ، والذي يكون بالتحديد مختصًا بتوزيع المواد الغذائية، تفاصيل أخرى قد أكدها بوليانوس Polyaenus على أنه قد وصل إلى كمية محدودة من المعلومات الأصلية، لقد صنف خدمة المائدة حسب مكان البلاط الملكي: برسيبولس، صوصا، بابل، وإكباتانا وهذا الاشارة المباشرة لعادات البداوة في البلاط تشكل مقياسًا جديدًا لجودة مصادره .

ونحن نعرف بكل تأكيد أنه أينما ذهب الملك، فإن وليمته يجب أن تقدم له كل يوم بالعظمة والوفرة نفسها على العكس من ذلك، فنحن نعرف فقط مثالاً واحدًا للاستثناء الذي يثبت القاعدة أثناء عودة الجيش من إحدى الحملات ضد الكادوسيين، فقد عانت تلك الحملة من نقص في الطعام، وبهذه المناسبة يقيس بلوتارخ (Plutarch) حجم الفاقة وثقلها، وبتعبير رائع وهو (إن مائدة الملك قد سقطت)، ويقول هيرودوت (Herodotus) إن الملك عندما يذهب إلى الحرب فإنه عادة يتم تموينه من بيته، ومن ماشيته الخاصة، وكذلك بالماء من نهر Choaspes ، ولكن الاختلافات التي قدمت بخصوص عملية إعادة الإمداد هي قليلة إلى حد ما، حيث كانت تتمثل بالتحديد في المنتجات التي من الصعب نقلها مثل الخمور، وبلا شك البيرة والسمك، والتي توجد أدلة كثيرة على إستخدامهم في بابل، ومن الواضح أنه أينما ذهب الملك، فإن طاولة طعامه دائمًا يتم إعدادها بالطريقة نفسها، ويبدو أن هذا قد تم تأكيده بواسطة خبير تم

إرساله من خلال أثيانوس، من خلال قائمة الجرد التي أرسلها كليومينيس Cleomenesإلى الإسكندر (Alexander) ، والذي كان مسؤولاً عن الإدارة المالية في مصر، وتبدو في الحقيقة أنها قائمة جرد لثروة الملك الأكبر في مصر .

إن (خطاب كليومينيس Cleomenes) احتوى باستطراد على الطيور وأسمائها عشرة آلاف غراء مدخن (وهو طائر مائي)، خمسة آلاف دج (وهو طائر مغرد متوسط الحجم)، عشرة آلاف سمان مدخن، ونحن مضطرون للاعتقاد بأن هذه كانت قائمة الجرد للمزارع التي تستخدم لتربية الدواجن المنزلية بالقرب من منف، والتي تستخدم لإمداد مائدة الملك عندما يكون في مصر، وفي النهاية يمكننا أن نرى الترابط العام بين معلومات بوليانوس Polyaenus ومعلومات هيراقليدس Heraclides ، وذلك لشيء واحد؛ لأن كليهما قد حدد بوضوح أن كميات الطعام يمكن أن يتم تفسيرها كحصص للجند .

ولقد أضاف بوليانوس Polyaenus كذلك أنهم كانوا يحصلون على الأخشاب من أجل الطهي، وكذلك كانوا يطعمون الدواب بما في ذلك الخيل، وهذه هي قائمة هيراقليدس Heraclides والتي من المؤكد أنها ناقصة: كان يتم ذبح نحو 1000 حيوان يوميًا من أجل الملك يشمل ذلك الخيول، الجمال، الثيران، الغزلان، ومعظم الحيوانات الصغيرة، وطيور كثيرة مثل النعام العربي والإوز والديوك، إن هيراقليدس Heraclides ذكر اللحوم هنا، والسبب في ذلك بسيط وهو أن أكل اللحوم سائد بين الفرس، والذي أدهش اليونانيين الذين لم يكونوا معتادين على مثل هذه النوعية من الطعام، وأضاف هيراقليدس Heraclides أن الجنود كانوا يحصلون على اللحم والخبز كذلك، ومن هنا يمكن القول بأن الغذاء الرئيس يتكون من الحبوب واللحوم.

تأكيد آخر يوجد في نص شهير لهيرودوت (Herodotus) يصف

الإستعدادت الهائلة التي قامت بها المدن اليونانية لاستقبال أرتاكسركسيس (Artaxerxes)الثالث لدى وصوله حيث يقول: (إن الناس في كل مدينة عملوا لشهور لإعداد دقيق القمح والشعير، وكذلك لشراء وتسمين أفضل الماشية التي يمكنهم أن يجدوها، وكذلك لإطعام الدواجن في الأقفاص والطيور المائية في البرك)، وفي نص آخر في الفقرة الوحيدة التي نرى فيها ماذا يأكل الملك بالضبط، فلقد مد أوخوس يده اليمنى وأخذ بها واحدة من السكاكين الموضوعة على الطاولة، وإلتقط بيده الأخرى أكبر قطعة من الخبز، ووضع بعض اللحم عليها، وقطعها ثم أكلها بنهم.

وعندما كان الملك أو أحد أفراد أسرته ينتقل من مكان إلى آخر (ليس بالضرورة خلال التنقل السنوي للبلاط)، فإنهم كانوا يحصلون على المنتجات اللازمة من الإدارة: الماشية، الأغنام، الماعز الدواجن، وفي حين أن عدد الماشية يكون كبير إلا أن عدد الماعز يكون من الطبيعي أكبر ومثل ذلك أيضًا كمية الدواجن؛ وتتراوح كمية الدقيق (بين 5460 و126100)، بينما تتراوح كمية الخمور بين 750 لترًا و6900 لترًا، ومن الصحيح أنه من الصعب أن نقارن بين هذه الأرقام وبين أرقام بوليانوس Polyaenus ، فبعض من ألواح الطائفة (J) لا يمكن تمييزها من بعض الألواح في الطائفة) (Q) (جرايات السفر)، كذلك فإنه ليس من المؤكد أنها كلها تتصل بالتنقل السنوي للبلاط الملكي، ويشير واحد منهم على الأقل إلى أشياء تم تسليمها للملك في برسيبولس والتي تحتوي على أعلى كمية من الدقيق، والأكثر من ذلك هو أنهم يمثلون المشكلة نفسها كما في بوليانوس Polyaenus فهي لم تذكر عدد الناس الذين يتم إطعامهم في كل مرة من مرات التسليم، وهذا الرقم يمكن الحصول عليه فقط بالعودة إلى النسب العادية التي تم تحديدها من النصوص الأخرى حيث يمكن الافتراض بأن العدد نحو 11886 من الناس .

ذكر بوليانوس Polyaenus أيضًا المنتجات التي لم توجد في الألواح خاصة اللبن والذي لا يمكن تخزينه، ولكنه من المؤكد أنه كان يتم استخدامه بصورة منتظمة، فعندما كان يتم تتويج الملك كان عليه أن يشرب كوبًا من اللبن الرائب، كما أن العائلة المالكة كذلك تأكل الجبن ومنتجات الألبان، ولسوء الحظ ليست لدينا أية وصفات من التي كان يستخدمها طهاة الملك ولكن لكتابة (الفقرة) التي نستشهد بها يجب ألا تؤدي بنا إلى استخلاص أن قائمة الطعام الملكية كانت تشبه قائمة الطعام الذي يقدم للجنود في الحصص اليومية (التعيين)، وفي الحقيقة فإن زينوفون Xenophon يؤكد أن الطعام الذي كان يقدم للملك يتميز بالجودة العالية وحقيقة يعتبر طعامًا فوق العادة (سير 402)، وبالمناسبة ومن خلال التفسير، فهو يؤكد تخصص الطهاة ويذكر أثينيوس Athenaeusمن بينهم الطباخين الذين كانوا متخصصين في عمل صحون الألبان .

والعديد من كتاب الإغريق من خلال نظرتهم الجدلية تمامًا مثل زينوفون Xenophon والذين يؤكدون أن طهاة الملك العظيم كانوا يفتشون ويبحثون عن الوصفات الجديدة حتى ولو جلبوها من بعيد، وكما قال بوليانوس Polyaenus بخصوص الكبر (نبات صغير لونه أخضر غامق يستخدم جزء من زهرته كمخلل)، يكون أيضًا ضمن الطعام، كذلك فالطيور عادة تكون محشوة، كذلك فإن الفرس كانوا يتناولون اللحوم المملحة، وكذلك أشار ديودورس (Diodorus) إلا أنه كانت هناك أشياء عديدة مطهوة يتم نقلها من فارس إلى بابل بالتأكيد من أجل المائدة الملكية، أو مرة أخرى من أجل إظهار العظمة والأبهة، وهذا مثلاً دفع هاربالوس Harpalus إلى أن يأمر بإحضار الأسماك لمائدته من الخليج الفارسي .

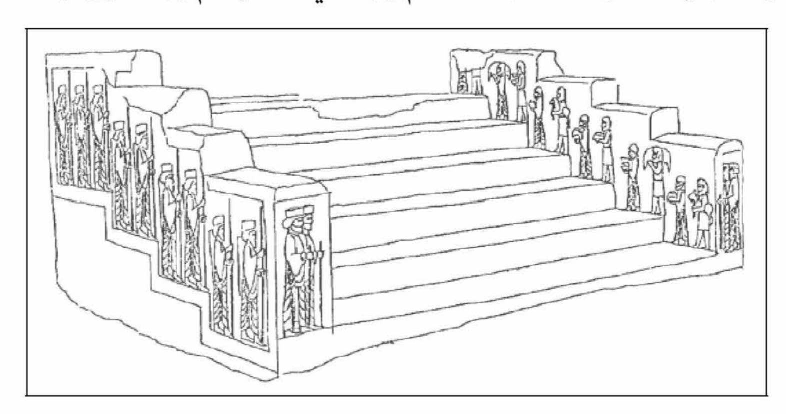
ودعونا نؤكد كذلك أنه كانت هناك أنواع مختلفة من الزيوت ذكر

ستيسياس Ctesias أن زيت الأقنثوس كان يصنع من إقليم كارمانيا من أجل الملك، وكذلك ذكر أمينتاس Amyntas أنه في فارس كان ينبت في الجبال التربنتين والجوز الفارسي، الذي تصنع منه معظم الزيوت الخاصة بالملك، من ناحية أخرى يذكر ستيسياس Ctesias أن الفلفل والخل لم يتم ذكرهما حتى بالرغم من أن بوليانوس Polyaenus هو من ذكر الأخير، إن الشيء الأخير اللافت للانتباه حول نص بوليانوس Polyaenus هو الغزارة والتنوع في التوابل والأعشاب العطرية، وليس هذا بغريب عندما نلاحظ أهميتهم من الناحية الطبية بالنسبة للفرس، وهذا الاستخدام لا يختلف أساسًا عن استخدام هذه الأعشاب في الطهو، إن أحدًا هذه الأعشاب هو التربنتين الذي يستخرج منه الزيت، وكان يفضل بدرجة أكبر من الفستق الذي كان يستخدمه معظم الفرس .

ذكر سترابو Strabo أنه (أي التربنتين) كان من النباتات التي يتم تدريسها للشباب حتى يستطيعوا ملاحظة هذه النباتات وجمعها، وكذلك فالتربنتين كان من ضمن قائمة الطعام التي يتناولها ولي العهد الذي يتم إعداده ليصبح ملكًا، وسجل نيقولا Nicolaus الدمشقي أنه الحكم الانتقاصي الذي أصدره الميديون على الفرس واصفين إياهم) بأنهم أكلة البطم (الضراوة))، إن الأطباق الرئيسة في طعام الفرس كانت قليلة، وكانت لديهم العديد من أنواع الحلوى المختلفة والتي يتم تقديمها بشكل مستمر؛ ولهذا فكان من عاداتهم أن يقولوا على اليونانيين إنهم يغادرون موائد الطعام جوعي، والسبب أننا (أي اليونانيين) لا نحصل على شيء آخر بعد الطبق الأول، وفي الحقيقة فإن الكتاب القدامى قد أعطوا أمثلة عديدة عن اليونانيين الذين كانت تتم دعوتهم من قبل الفرس لتناول الطعاموكيف أنهم كانوا يتخمون أنفسهم بالطعام لدرجة أن أحدهم إلتهم بمفرده الطعام الذي كان معد للمرزبان أريوبارزانيس Ariobarzanesوضيوفه التسعة حتى ستيسياس Ctesias نفسه كان معروفا

بشراهته في تناول الطعام، ولكن على العكس من الرأى اليوناني الشائع فإن هيراقليدس Heraclides ذكر أن حصص الطعام التي كان يحصل عليها ضيوف الملك الأكبر كانت متواضعة نسبيًّا.

إن ما سبق لا يعني على الإطلاق أنه لا يوجد من بين الفرس من يمكن السخرية من عاداته الغذائية: واحد من دستة من الرجال المشهورين بشراهتهم للطعام والذين أوردهم إيليان Aelian كان أحد الفرس، ويدعي كانتيباريس Cantibaris، والذي كان لا يغلق فمه أبدًا وكان خدمه لديهم تعليمات بأن يلقوا الطعام فيه كأنهم يلقون الطعام في إناء لا حياة فيه، كذلك فقد كان الفرس يستمتعون بأكل الكثير من الفاكهة مثل التمر، الرمان، التين، التفاح، زبيب الجوز، وقد ذكرت الألواح في برسيبولس الأنواع المختلفة من أشجار الفاكهة التي تزرع في الحدائق الملكية، أشجار السفرجل، أشجار الكمثرى، ... الخ، وقد عرف اليونانيون كل هذه الأشجار بالتأكيد عندما كانوا ينقلون الشجيرات من الشرق الأدنى خلال حقبة الفرس، مثال ذلك شجيرات التوت وأشجار الرمان وغير ذلك بلا شك، وهذا ما تم إثباته في خطاب تم إرساله إلى جاداتاس



الشكل 40

Gadatas والذي تمت مكافئته فيه لقيامه بزراعة الأشجار التي يعود موطنها الأصلي إلى إبير نارى في آسيا الصغرى .

وكان الفرس مولعين بالخمر، ولقد ألمح هيرودوت (Herodotus) إلى ذلك، وقد تبعه في ذلك كل المؤلفين القدامى، ولقد كان قمبيز Cambyses على وجه التحديد مشهورًا بذلك، وقورش (Cyrus) الأصغر كان يتفاخر بأنه يحفظ خمر بدرجة أفضل من أخيه، وكما كتب هيراقليدس Heraclides بنفسه ما يحدث أثناء جلوسهم حول الملك بعد تناول الغذاء، واختيار الملك لرفاقه في الشراب أنهم ربما يذهبون إلى بيوتهم وهم سكارى عن غرار رفاق الشراب الذين كانوا يصاحبون هولوفرنيس Holophernes ، ويمكننا أن تفترض أن عرق البلح الذي كان يقدم للملك أثناء وجوده في صوصا Susa ، وبابل كان له نفس ذلك التأثير .

خدمة منضدة الملك:

كتب المؤلفون القدامي عن كثرة الخدم الداخليين في القصر الذين كانوا متخصصون في خدمة أسرة الملك على المائدة، وغيرهم ممن يقفون عند درجات السلم في صوصا Susa وفي برسيبولس، ولقد حاول زينوفون Xenophon ألا يتجاهل أي من الخدم في القصر: الخبازون، الطهاة، السقاة، كبير الخدم، وكذلك النادل، لقد ركز الكتاب بقدر كبير على ما يعطونه من اهتمام للأشخاص عندما كانوا يصفون خيام الملك والقادة، وفي الحقيقة عندما يخرج الملك والبلاط فإن كل موظفي المطبخ بالكامل يذهبون معهم، رؤساء الطهاة، السقاة، كبار الخبازين، والطهاة، الطاهيات، من هذا المنطلق فإن أكثر النصوص تشويقًا هو فقرة من أثينيوس Athenaeus : (نحن نعرف أنه قبل معركة إسوس، اهتم دارا Darius بإخراج كل أمتعته من دمشق والنساء والأطفال وكل المعوقات الأخرى التي تعوق الجيش في زحفه، وبعد المعركة أمر بارمينيون Parmenion بالاستيلاء على دمشق وسرعان ما نجح في ذلك،

وقد أمر الموظفين المختصين بعمل جرد مفصل كما هو متبع في مثل تلك الحالات (زينوفون Xenophon)، وهذه هي القائمة التي وجدت في خطاب بارمينيون Parmenion :

المحظيات الملكيات اللاتي يعزفن الموسيقى	٣٢٩
حائك إكليل	٤٦
طهاة	٢٧٧
مساعد طباخ حديث (صغير)	٢٩
طباخ متخصص في أطباق الألبان	١٣
معدو المشروبات	١٧
مرشحو (صانعو) النبيذ	٧٠
صانعو العطور	١٤
إجمالي	٧٩٥

نحن نرى هنا أن التخصص في المهنة مذكور جيدًا حتى في وظيفة الطهاة، مساعد مطبخ حديث (صغير)، وكذلك المعدون الآخرون، وكذلك يجب أن يضاف الندلاء (جمع نادل) إلى كل هذه الوظائف المنزلية والتي ذكرها هيراقليدس Heraclides ، وكلهم يقومون بخدمة ملوك الفرس عندما يتناولون الطعام أولاً ثم يستحمون، ثم يرتدون ثيابًا بيضاء، ثم يقضون نصف اليوم تقريبًا في الإعداد والتجهيز للطعام.

الراقصون والعازفون والفنانون:

ليس من المدهش أن تكون قاعة الطعام ليست مخصصة لتناول الطعام وحسب، ولكنها أيضًا تكون فيها تصريحات اجتماعية وسياسية لها قيم رمزية كثيرة، والمائدة الملكية بحق هي رمز للقوة الملكية (انظر الفصل 6/5)، وهي المكان البارز لإعطاء الهدايا والهبات الملكية، بعبارة أخرى يمكننا أن نقول إنه في فارس كما في أماكن أخرى إن الولائم تكون

عبارة عن احتفال بكل ما في الكلمة من معنى، حيث كان في بلاط الملك العظيم يتم تنظيم قاعة الطعام بكل دقة حسبما يقتضي البروتوكول، ويكون عبارة عن احتفال منظم حول شخص الملك، وهذا يفسر وجود النساء العازفات والفنانين الذين يتم وضعهم في الاحتفال في قائمة الجرد الخاصة بارمينيون Parmenion، وهي عبارة عن جزء متمم للوليمة مثل من يجهز العطور والتيجان

ألم يكن أرتاكسركسيس (Artaxerxes) الثاني يوقر أنتالسيداس Antalcidas الإسبرطي بصورة خاصة عن طريق إرسال إكليل الرأس إليه بعد أن يغمره في العطر؟ ويقول هيراقليدس Heraclides في وصفه الدقيق للولائم الملكية، : في كافة الأماكن في حفل العشاء فإن محظيات الملك يغنين ويعزفن على القيثارة، وواحدة منهن تغني منفردة، ثم يردد خلفها باقي الكورال (الكورس)، بالمثل فإن أناروس Annaros الذي وصفه ستيسياس Ctesias بأنه كان حاكم بابل قام بتقليد أرتاكسركسيس (Artaxerxes) في أنه وظف النساء اللاتي يعزفن على القيثارة واللاتي يغنين أثناء تناول العشاء بالمثل، ففي أيام ستارون حاكم بيدون كان يشرب ويستمع إلى مغنيات القيثارة؛ ولهذا السبب فقد اعتاد أن يستدعى العديد من الفتيات المغنيات من أيونيا إلى جانب العديد من الفتيات من كل أنحاء اليونان، بعضهن كن مغنيات والأخريات راقصات، إن الموسيقيات اللاتي أسرهم بارمينيون Parmenion كن عازفات للناي وعازفات للقيثارة، ولقد كانت هذه الممارسة معروفة بدرجة تكفى لإدخال كلمة (موسارجوي) في قاموس صودا Suda ، والذي يعرفهم بأنهم الموسيقيين المتخصصين في العزف على الناي، بينما الأخريات يغنين، كن يوقفن الغناء عندما كان الملك يشرب، ثم يعدون للغناء -عندما يشعر الضيوف بالملل- العديد من الفنانين الآخرين كانوا يستضيفون رفقاء العشاء، كما وضح ذلك في التعليقات على عيد الزواج

الذي يقام في صوصا بأمر الإسكندر (Alexander) حسبما ذكر بوليكلايتوس Polycleitus، العازفات والعازفون على الناي كانوا دائمًا يصاحبون الإسكندر (Alexander)ويشربون في نخبهم خلال وليمة الخمسة أيام في صوصا، كما كان الإسكندر (Alexander) وضيوفه يصفقون للسحرة الهنود، كما كانوا يفعلون مع كثير من الفنانين اليونانيين (مغنيي القيثارة) وعازفي القيثارة والناي، والراقصات في بلاط أرتاكسركسيس (Artaxerxes) الثاني، وقد قال ستيسياس Ctesias إن زينو Zeno الكريتي كان أفضل الراقصين عند الملك، وهكذا يمكننا أن نفهم الإعجاب والحسد لدى بوليارخوس Polyarchus عندما يؤكد على التنوع والاختلاف الذي يميز الحياة في البلاط الملكي للملك الأكبر، وفي الحقيقة فإن أشهر الفنانين المعروفين على مستوى العالم كانوا يدعون للظهور أمام الملك والحاشية، ولكن ليس بالضرورة أثناء الولائم، وهناك مثال يجب أن نضعه في الاعتبار، وهو ذلك الرياضي العظيم بوليداماس Polydamas في اليونان:

(هذا الرجل كان الأطول في هذا العصر، وقد أرسل إليه دارا الرسل مع وعد بالهدايا، وأقنعوه لكي يحضر أمامه في صوصا Susa ، وهناك تحدى ثلاثة من الفرس الذين كانوا يدعون بالخالدين واحد ضد ثلاثة، ولكنه قتلهم) (بوسانياس Pausanias ، الكتاب السادس، فقرة 5-7)

وعندما عاد إلى اليونان فإن العمل البطولي لهذا الرياضي كان محفورًا على حجر ومرسومًا على عمود حجري، وكلاهما كان موضوعًا في أوليمبيا، والرسم يظهر البطل في أوج المباراة أمام الملك الذي يجلس على عرشه .

الكؤوس والوسائد:

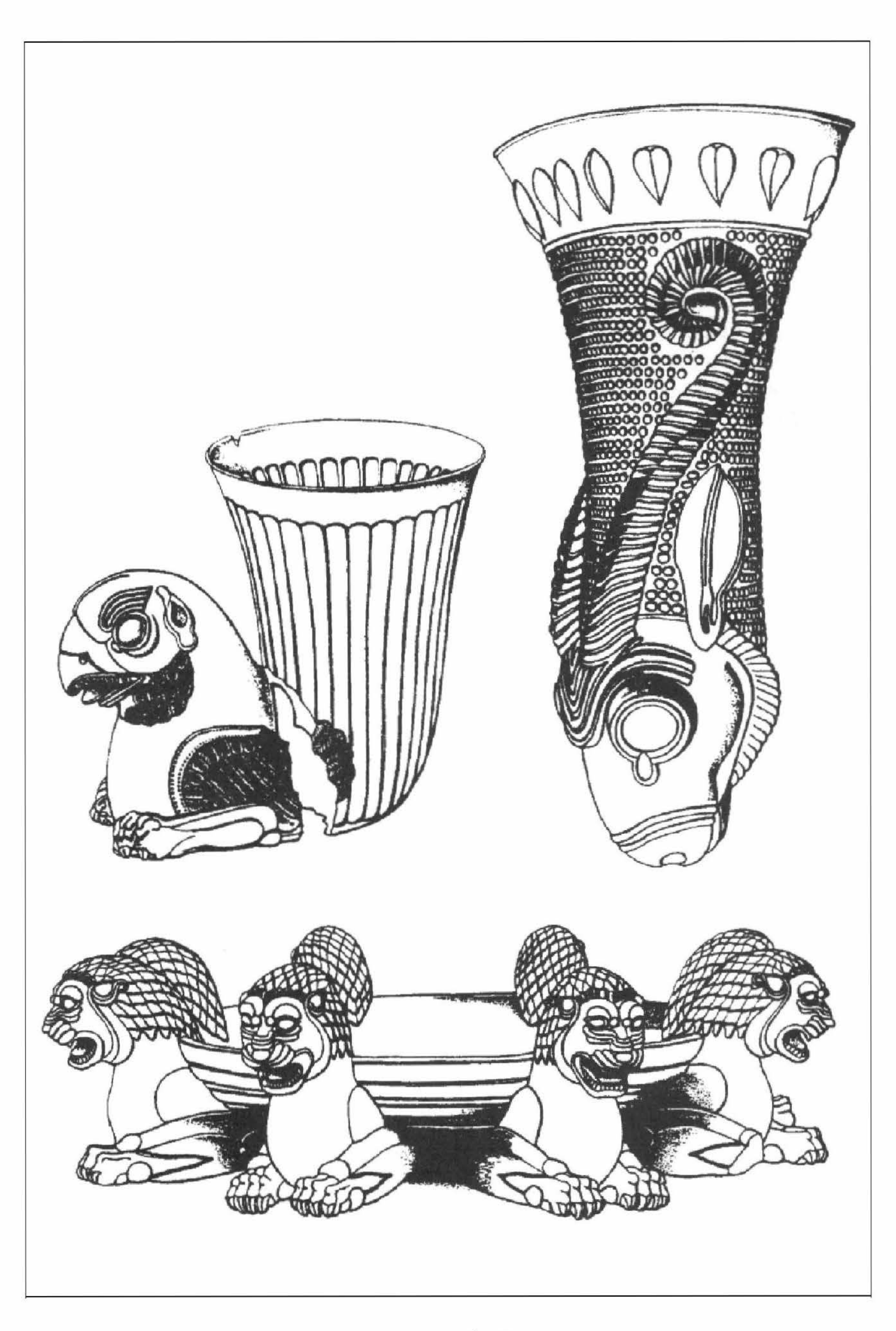
كانت ولائم الملوك الفرس محاطة برفاهية لا حصر لها، ولقد كان المؤلفون اليونانيون مهتمين بمدى غلو الصحون والأكواب، وفي مقتطف

آخر من خطاب بارمينيون Parmenion استشهد أثينيوس Athenaeus بجرد الأكواب (الكؤوس الذهبية) التي كانت تزن نحو 37 طالن بابلي، 52 مينا، وكانت مرصعة بالأحجار الكريمة التي تزن نحو 56 طالن بابلي، 34 ميناى، وخلاف ذلك، فكما رأينا أنه ذكر في قائمة الجرد التي أرسلت عن طريق كليومنيس Cleomenesإلى الإسكندر (Alexander) تصف حياة البذخ والترف الموجودة في القصور الفارسية في منف والتي أصبحت خاضعة للإسكندر، وكعادتة دائمًا في الاقتباس فإن أثينيوس Athenaeus اختار فقط التفصيلات التي تخدمه في تلك اللحظة من هذه القائمة الطويلة جدًّا عن أسماء مختلفة لآنية الشراب .

لقد أدرج أثينيوس Athenaeus أيضًا شرحًا لأسماء الآنية التي كانت غير مألوفة للقراء الإغريق في عصره، وقد قام بوصف إناء يسمى لابرونيا Labronia ، والذي اكتسب هذا الاسم في رأيه من العنف Labrotes الذي يحدث أثناء الشراب، وهو في تصميمه إناء مسطح وكبير وله أيدٍ كبيرة، ولقد تحدث أحد المؤلفين عن لابرونيوس يزن نحو 200 شريسوي، وإناء أخر من تلك النوعية قيل أنه كان يزن نحو 120 شريسوي، والاشارة إلى المباخر هي أمر مثير، ولقد ظهر هذه المباخر في النقوش البارزة الأخمينية خاصة النقوش البارزة لجمهور برسيبولس، وفي الأماكن الأخرى فقد ذكرهم أثينيوس Athenaeus ضمن محتويات قاعات الطعام.

لقد استشهد أثينيوس Athenaeus مرة أخرى بميناندر مؤلف الكوميديا الجديدة الأثينية في مسرحيتين من مسرحياته، مينادرز قام بجرد الثروات التي وجدها المقدونيون في خزانة الفرس الممتلئة في سينديا في إقليم كيليكيا:

(نحن نعيش في رخاء ولست أعنى عيشة متوسطة، إن لدينا الذهب من سينديا وأكوام من الأثواب الأرجوانية من فارس (أيها السادة المحترمون .. إن لدينا في بيوتنا آنية للشراب والطعام مصنوعة من



الشكل 41

الفضة والكؤوس مزخرفة ومرصعة بالأحجار الكريمة، وآنية فضية أخرى .

وتصف النصوص الآنية الفارسية التي كان يتم فيها تناول الغداء والتي وجدت بكثرة هنا وهناك في مخازن برسيلويس وصوصا Susa ، وهي ترجع بصراحة إلى الزخارف الحيوانية التي تظهر على الآنية التي كان يشرب فيها أغنياء الفرس ما عدا هؤلاء الذين كان يجبرهم الملك على استخدام أكواب من الخزف .

الملك الذي كان يشرب من كوب خاص على شكل بيضة:

يذكر دينون Dinon أن اليونانيين كانوا معتادين على الآنية الفضية الفارسية؛ لأنهم غنوها مرات عديدة في مقطوعة تصلح لأن تكون قصة فيلم تفوز بجائزة الأوسكار في هوليود، وبفخر كتب كوينتوس كورتيوس Quintus Curtiusواصفًا نهب خزانة دارا (Darius) الثالث في إسوس:

فقد استدعى الفرس الحمالين؛ لأنهم لم يكونوا قادرين على تحمل قسوة الطقس بسبب العاصفة التي أدت إلى سقوط الجليد فجأة على الأرض، وكان شديدًا وقويًّا، وبعد ذلك نزل الصقيع، وكانوا (أي الفرس) يرتدون أثواب الموشاة بالذهب، والتي كانوا يحملونها مع المال، وليس منهم من يجرؤ على منعهم من ذلك، فحظ دارا (Darius) العاثر أغرى السفهاء وحتى أقل الناس شأنًا، حتى تجرأوا عليه، فأموال الملك مبعثرة في كل مكان، والأموال التي كانت معدة لدفع رواتب عدد كبير من الجند وزهريات من الذهب وعربات محملة بالأموال .

هذه المقولة كوينتوس كورتيوس Quintus Curtius يمكن ببساطة مقارنتها بالوصف الذي ذكره دارا (Darius) نفسه عن غنائم برسيبولس التي حصل عليها جنود الإسكندر (Alexander) من حطام البحرية الفارسية سنة 480، اليونانيون حصلوا على عدد كبير من أكواب الشراب الذهبية

والفضية التي كانت على الشاطئ، وكذلك فمن ضمن الكنز الفارسي زينات النبلاء، الخيم المزخرفة بما يناسب العظمة الملكية والعربات الممتلئة بالثروات العظيمة وكذلك القطع الأخرى من المتعلقات القيمة، والغنائم كانت جذابة جدًّا؛ ولم تكن أيدى الأشخاص الذين يقومون بحمل هذه الكنوز كافية لحملها.

ولقد كانت الغنائم جذابة جدًّا لدرجة أن الغطاس الأشهر في ذلك الوقت بعد تحطم السفن الفارسية في بيليوم Pelium قام بإنقاذ قدر كبير من الممتلكات القيمة لأسياده إلى جانب أخذ جزء مناسب لنفسه، الشيء نفسه حدث في خيمة ماردونيوس Mardonius التي كانت مليئة بالمعلقات المزخرفة والديكورات الفضية والذهبية، وفي المعسكر الفارسي وجدوا خيامًا مليئة بأثاث من الفضة والأرائك المغطاة بالمعادن النفيسة، والأواني والأكواب كذلك من الذهب والعربات المحملة بحقائب مليئة بالأواني الفضية والذهبية، وفي المعسكر الفارسي وجدوا خيام مليئة بالأثاث الذهبى والفضى، وبالمثل فلقد تم نهب خيمة تيريبازوس Tiribazus التي كانت بها أرائك ذات أقدام من الفضة، وكذلك أكواب للشراب والخبازين .

في برسيبولس، وبناء على ما قدمه كوينتوس كورتيوس Quintus Curtius ، فإن الفرس كانوا يتناولون الطعام وهم مضطجعون على أرائك مزدانة ومزركشة مثل التي أعطاها أرتاكسركسيس (Artaxerxes) الثاني إلى إنتيموس Entimusالكريتى سريرًا ذا أقدام من الفضة بأغطيته، خيمه ذات ستائر بألوان مبهجة، وعرشًا من الفضة، ومظلة منزلقة ضد الشمس، وعشرين صحنًا للفناجين مرصعة بالجواهر، ومائة صحن فنجان من الفضة، وأطباق (سلطانيات) مفضضة، ومائة محظية، ومائة عبد .

يقول أثينيوس :Athenaeus كانت هناك مفارش ووسائد (مساند) على هذه الأرائك يتم ترتيبها بواسطة مختصين، وهذا يفسر لماذا كان الملك

يعين خادمًا خاصًا لذلك؛ لأن الإغريق لم يكونوا يعرفون كيف يرتبون الأسرة، في الحقيقة يقول هيراقليدس Heraclides أن الفرس كانوا الأوائل في تخريج ما يسمى منظموا الأسرة، وذلك من أجل توفير الراحة والجمال في الأغطية، ويقول زينوفون Xenophon إنه في حفل الزفاف في صوصا كان الضيوف يجلسون على أرائك من فضة، بينما جلس الإسكندر (Alexander) على أريكة لها أرجل من الذهب .

6- الصيد الملكي:

كما هو الحال في كل بلاط ملكي في الشرق الأدنى القديم فإن الملوك يحبون رحلات الصيد الطويلة، وهي من الأشياء السائدة بالنسبة للطبقة الأرستقراطية كما هو مجسد في التدريب الشامل الذي يتلقاه الفارسي الصغير، إن مشاهد الصيد منقوشة على أختام أخمينية في أحد مشاهد الصيد المتعددة والتي يحبها زينوفون Xenophon ، وقد كان الصيد يتم في الأماكن المفتوحة أو في المحميات المغلقة في داسيليوم، وقد كان لقورش (Cyrus) في سيليناى في إقليم فريجيا الكبرى قصر وحديقة كبيرة مليئة بالحيوانات البرية التي اعتاد صيدها من على ظهر فرسه عندما كان يريد أن يدرب نفسه ويدرب فرسه (الزحف العسكري 1.2.7)، والمحميات كانت مراكز للتجريب زراعة الاشجار مثال تلك المحمية التي كانت في سوجديانا والتي وضعها كونيس كيرتس، وليس هناك دليل على ثراء البرابرة في تلك المناطق أكثر من قطعان الحيوانات البرية الخاصة بالنبلاء والتي كان يتم إحتجازها في الغابات ومنتزهات كبرى؛ لهذا الغرض اختاروا الغابات الفسيحة التي تكون جذابة في فصول الربيع، وكانوا يحيطون تلك الغابات بالأسوار، ويضعوا عليها أبراج كنقاط للصيادين .

هذا أيضًا كان صحيحًا بخصوص المنتزه الموجود بالقرب من

إكباتانا، والتي كان الحراس يقفون عند مداخلها، هذه المنتزهات كانت كبيرة بحق، ونحن نعرف ذلك لأن قورش (Cyrus) الأصغر قام بتفقد جيشه في منتزه سيليناى، وضم ذلك (13) ألف رجل (زينون Zenon ، الزحف العسكري، الكتاب الأول، 2-9)، وكذلك لأن الإسكندر (Alexander) كان قادرًا على أن يأكل هو وكل جيشه في منتزه سوجديانا (كوينتوس كورتيوس Quintus Curtius الطبعة الثانية 1.19)؛ لذا فلا بد أن يكون هناك عدد كبير من الدواب المأسورة، حيث إنه تبعًا كوينتوس كورتيوس Quintus Curtius (الكتاب الثامن، 1-19) قام الإسكندر (Alexander)وجماعته بقتل ما لا يقل من 4000 حيوانًا، ومن المحتمل أن المقدونيون قد أخذوا هذه الممارسة عن الفرس:

إن أعضاء البيت الملكي في مقدونيا كانوا عادة مهتمين بالصيد، ويكرسون له الوقت والجهد والمقدونيون كانوا يحتفظون بأفضل المناطق لتربية الصيد، ولقد ظلت هذه المناطق محفوظة جيدًا أثناء الحرب -كما كان في السابق- ولم يكن يتم الصيد فيها أبدًا لمدة أربع سنوات، وذلك من أجل التزاوج بين الحيوانات، ولهذا كان هناك صيد وفير للأنواع المختلفة، وإميليوس Aemilius جعل الصيادين الملكيين تحت تصرف سيبيو Scipio وأعطاه سلطة كاملة على هذه المحميات .

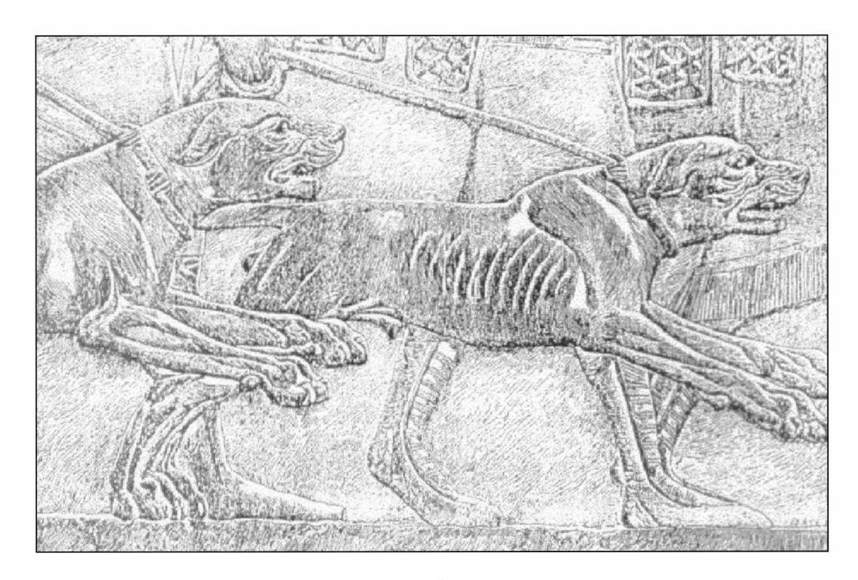
إن الأخلاق الأرستقراطية تستبعد استخدام الفخاخ، كذلك فإننا نعرف أنه أثناء تدريب الصغار من الفرس على الفروسية فإنهم يتعلمون كيف يصطادون بالشباك، وهناك مثال حي على ذلك النوع من الصيد في كتابات هيرودوت (Herodotus)، وهنا نوضح كيف أنه أدعي أن الفرس قللوا من مقاومة اليونانيين في نهاية الثورة الأيونية: يقول: (إن كل جزيرة بمجرد احتلالها يتم مسحها بواسطة شبكة السحب، والمقصود بها طريقة كان الفرس يعلمونها، حيث يقوم الرجال بتشبيك الأيدي وتكوين حلقة تقطع الجزيرة من الشمال إلى الجنوب، وبعد ذلك

يتحركون من طرف إلى آخر ويصطادون أي شخص يجدونه من اليونانيين).

ويبدو جليًّا أن الفرس قد استحدثوا تقنية جديدة في الحرب اقتبسوها من الصيد، وتظهر النقوش البارزة الآشورية ذلك؛ لهذا يمكن القول إن عمليات الصيد الملكي تتطلب إعدادًا دقيقًا ربما يتم تحت إشراف متخصصين، والذين ذكرهم مؤلف كتاب (دي موندو) وسماهم (قواد الحرب والصيد).

هؤلاء هم من يختارون الحيوانات، يطعموها ويعدونها في مجموعات منتقاة، وبعد ذلك يطلقونها من الأقفاص التي كانوا محبوسين فيها، كما نشاهد من خلال النقوش الآشورية البارزة، كذلك يقومون بجمع كلاب الصيد؛ ولهذا فقد كان هناك العديد من المشاركين في مراحل كثيرة، وأعمال عديدة، كما هو واضح في حادثة في موسوعة قورش : Cyropedia (خرج أستياجيس Astyages مع قورش (Cyrus) للصيد، ولقد أخذ الغلمان معه وعدد كبير من الرجال منهم من يمشي على قدميه ومنهم من يمتطون الجياد، ثم أخرجوا الحيوانات من مخابئها وبدأ الصيد الكبير).

ويؤكد المؤلف على احتياطات الأمان: فيقول لقد ترك أستياجيس Astyages قورش (Cyrus) يخرج للصيد مع عمه وأرسل وراءه فرسانًا أكبر سنًا لكي يعتنوا به، ويبتعدوا به عن الأماكن الخطرة ويحرسوه من الوحوش البرية في حالة ظهور أي منهم، هذا بالقطع هو الصحيح؛ لأن ذلك كان في الوقت الذي كان فيه قورش (Cyrus)صغيراً جدًّا وكان الصيد يتم في أماكن مفتوحة، وفي النهاية كانت هناك مسألة مرافقي الملك، حتى في هذا الموقف كان هناك انتقاء بين نبلاء البلاط الملكي، فقد كان ذلك شرفًا شخصيًّا أن يتم اختيارك ضمن رفاق الصيد مع الملك، يقول تيمسكتوسي: كان الملك يدعوه للمشاركة في التسلية والاستجمام في



الشكل 42

البيت وخارجه وحمله معه في الصيد)، وكان الملك محاطًا بأكثر المرافقين إخلاصًا له، كذلك وبكل تأكيد كان محاطًا بحرسه الشخصي، حيث إنه أثناء رحلات الصيد يكون أضعف من أي مكان آخر، وإن تاريخ البلاط يسجل محاولات اغتيال الملك أثناء الصيد .

7- الأبهة الملكية (البهاء الملكي):

كما سبق وأن أكدنا دائمًا فإن الصفحات الماضية مبنية أساسًا على المصادر اليونانية، والتي هي في بعض الحالات يمكن أن تقارن بالرسومات الفارسية اليونانية، ويمكن أن نلاحظ تيارين في التفسير اليوناني للأبهة والفخامة في البلاط الملكي، أحد هذين التيارين يمثله زينوفون Xenophon ففي موسوعة قورش Cyropedia حلل كل عنصر من عناصر البرتوكول في ضوء القلق المفرط على أمن وسلامة الملك سواء كان من حيث وجود الخصيان، أو نظام المائدة الملكية، أو الجمهور أو

شيء آخر، وليس هناك شك في أن هذا الهاجس كان دائمًا موجودًا. وعلى عن طريق قيام زينوفون Xenophon بالاشارة إلى هذا الهاجس بشكل مستمر فإنه يقدم لقرائه نظرة محدودة جدًّا حيث كان يتطرق في أحيان قليلة فقط لرغبة الملك في أن ينقل صورة عن نفسه كأنه رجل فوق كل الرجال .

وبالنسبة لغالبية المؤلفين اليونانيين فإن هذه الفخامة والأبهة التي لا يمكن وصفها وصرامة التقاليد المتبعة في البلاط كانت أولاً وقبل كل شيء دلالة على الرفاهية التي كان يعيش فيها الأباطرة الفرس (تريفي) والتي شكلت نموذجًا وسابقة إقتضى بها وقلدها كل من جاء بعدهم: (فلقد كان الأباطرة الفرس هم أول ملوك في التاريخ يشتهرون بسمعة سيئة نتيجة لعظمة الرفاهية التي كانوا يعيشون فيها) ولقد أثينيوس Athenaeus في ذلك دليلاً على بدوية البلاط الأخميني؛ولقد قام بتقديم مناقشة مطولة لهذا الموضوع إستشهد فيها بعدد كبير من المؤلفين الذين تناولوا هذا الموضوع، وتمثل هذه المناقشة ملخص كثيف لكل المعلومات التي توجد لدى المؤلفين اليونانيين عن البلاط الفارسي والتي ينصح أن نقوم بمراجعتها هنا .

لقد تحدث دينون Dinon عن اللابيزوس وهو مادة أغلى من المر الذي كان يستخدم لمعالجة وتجميل شعر الملك الأكبر كأحد العلامات الواضحة على تلك الرفاهية (تريفى)؛ولقد تحدث دينون Dinon أيضًا عن مسند القدم الذي كان الملك الأكبر يستخدمه دائمًا عندما يهم بالنزول من عربته الملكية، ويذكر هيراقليدس Heraclides أن الملك لم يكن من المفترض أن تتم مشاهدته وهو يمشى على قدميه في القصر أبدًا؛ ولقد كان يفعل ذلك فقط عندما كان يعبر فناء الميلوفوروى وحتى في تلك الحالة فإنه كان يمشى على سجاد كان مخصص له وحده: (وعندما يصل إلى الرواق الأخير فإنه كان يصعد إلى عربته أو يمتطى جواده أحيانًا)، ويذكر هيراقليدس Heraclides أيضًا بعض الأشياء التي كانت تشير إلى

الرفاهية الكبيرة بوجه خاص:مسند القدم، العرش الملكي والذي كان مصنوعًا من الذهب وكانت أرجله الأربعة مرصعة بالجواهر والذي كان يفرش عليه قماش غنى مطرز باللون الإرجوانى، يتحدث أجاثوكليس Agathocles عن الزهرية التي كانت تحتوي على (الماء المسمى بـ(الذهبي)) والذي كان مخصص فقط للملك ولإبنه الأكبر، ولقد قام تشاريس Chares المنتمى إلى ميتيلين بوصف الكرمة الذهبية المشهورة كما فعل أمينتاس Amyntas والذي تحدث أيضًا عن كأس ذهبية رائعة والتي صنعها ثيودورس Theodorus المنتمى إلى جزيرة ساموس، ويتحدث كليرخوس Clearchus عن الخصيان (والذين قد جمعهم الفرس والميديون من الشعوب المجاورة لهم)، بينما يتحدث هيراقليدس Heraclides عن المحظيات التي كن يصاحبن الملك الأكبر خلال رحلات الصيد وكن يحيين ويزين لياليه، وأخيرًا وكدليل على مطلق على الرفاهية المثيرة وغير المحدودة؛يتحدث تشاريس Chares عن الخزائن المقفولة والتي كانت توضع في حجرات تفتح مباشرة على غرفة نوم الملك (الوسادة الملكية ومسند القدم الملكي)، وفي أماكن أخرى إستشهد أثينيوس Athenaeus بكتاب أرستوزينوس Aristoxenus (حياة أرخيتاس Archytas) والذي يشير فيه إلى بوليارخوس Polyarchus الذي إشتهر بشراهته في تناول اللحم ولتوضيح خطابه حول موضوع المتعة والرفاهية (تريفى)؛ إستشهد بوليارخوس Polyarchus بنموذج الملك الأكبر واصفًا (الملذات التي كان يستمتع بها ملك فارس وإنغماسه في الملذات الجنسية؛والروائح العطرة التي كانت تفوح من جسده وأناقته وإسلوبه في الحديث، والمشاهد والعروض الترفيهية التي كان يقدمها الفنانون أمامه) ويذكر أيضًا أنه من وجهة نظره (كان الملك الأكبر الفارسي الرجل الأسعد في كل العصور) (الكتاب الثاني عشر، 545).

الفصل الثامن

رجال الملك

رأينا من خلال النص والصورة أن الشعور بمكانة وأهمية شخص الملك هو موضوع أساسي في سياق المصادر الكلاسيكية وأرسطو (Aristotle) ، وبالرغم من أنه لم يذكر ذلك بوضوح، إلا أنه قام بشكل أوضح بدمج الملكية (النظام الملكي) الأخميني في مجموعة أطلق عليها اسم (بامبا سيليا أو Pambasileia) وهي تعني (النظام الملكي المطلق)، والذي وجد -طبقًا لما كتبه- فيما بين النظم الأكيدة للبربر، أو الأشخاص الهمجيين غير المتحضرين، وأرسطو (Aristotle) قبل العديد من معاصريه كان يعتقد أن الشخصية الهمجية البربرية قد جعلتهم ينزلقون إلى درجة خدمتهم وإذلالهم أكثر من الهلينيين (اليونانيين) ذاتهم، والآسيويين أكثر من الأوروبيين (بمعنى أن البربر قد استطاعوا إذلال غيرهم من الأوروبيين بشكل أكبر من الآسيويين والهلينيين)، فقد تحملوا القواعد والنظم القاسية الهمجية التي وضعوها بدون أدنى شكوى، وفي داخل شكل وبناء البامبا سيليا، نجد أن الملك قد قام بتطويع سلطة عامة وشاملة؛ وذلك من أجل تقديم فروض الطاعة ليس لأي شئ سوى لرغبته ومشيئته، وهذا التفسير والشرح قد بدأ من أقلام أو شفاه العديد من اليونانيين) ومن الأمثلة العديدة على ذلك، سوف نجد ونلاحظ ببساطة تلك المذكرة التي ذكرها زينوفون Xenophon ووصف بها جاسون Jason

فيرا Phera ، وذلك في سياق الحديث) الذي كان هدفه هو التبرير والبرهنة على هزيمة الإمبراطورية الأخمينية Achamenid ، وعلى أن هزيمتهم هذه كانت سهلة حيث يقول: (أنا أعلم أن كل شخص هناك، يخدم شخصًا واحدًا، وقام بتدريب نفسه لخدمته).

وفي طريقنا لاستكشاف ذلك، فإن الصورة التي قد حصلنا عليها من اليونانيون ليست مختلفة كثيراً عن الصورة التي كان يبحث عنها دارا Darius وتابعوه؛ وذلك لبنائها وتشكيلها في النص والصورة)، بينما نجد أن كلا الصورتين تبدوان وكأنهما تنويان وتقصدان تقليل مشكلة شخص الملك نفسه وبمفرده، إما بواسطة الوفاء والولاء للنظام الملكي الحاكم والقائم، أو بواسطة الشعور بعدم أهمية فضائل وطباع الرجل الذي كان قادرًا على حكم العديد من الأشخاص والأفكار، وذلك نتيجة فضائله غير المشتركة وغير الشائعة، ويبدو من الواضح أن المؤرخ لم يستطع أن يكون راضيًا عن هذه الطرق والأساليب الأيديولوجية، ونجد أنه من المهم أن يتم فرض مشكلة العلاقات فيما بين الملك وأولئك الرجال الذين قاموا بخدمته، وشغلوا أعلى المناصب والوظائف في الإمبراطورية).

1- الملك:

أوضاع ملكية:

في العديد من المناسبات، نجد أن كلاً من دارا Darius ، وكسركسيس Xerxes قد أعطيا انتباهًا لجانب آخر من جوانب الملك الإيجابية)، فقد أظهرا استحسانًا لأولئك الرجال الذين ساعدوهم، أو الذين كان من المتوقع أن يساعدوهما بمضي الزمن)، ومع الإشارة إلى العدل الذي كان يقود كل أفعالهما وتصرفاتهما، حيث نجد أن دارا Darius يتعجب في بي هيستوني ويقول: (إن الرجل الذي تعاون مع سياستي وساعدني قمت بمكافأته جيدًا، ومن سبب أي أذى لهذه السياسة

وللوطن فقد عاقبته أيضًا بشكل قوي)، وهو أيضًا قام بتحرير تابعيه وتحريضهم على ألا يكونوا أصدقاء للشخص أو الرجل الذي سوف يكون رفيق سوء، أو تابعًا كاذبًا منافقًا، أو ذلك الرجل الذي سوف يكون ممن يسيئون التصرف، والذين يجب أن تتم معاقبتهم جيدًا)، ومثل ذلك يقال على لسان زوستام : Xustam (إن الرجل أو الشخص الذي سوف يتصرف طبقًا للسياسات والنظم سوف أكون راضيًا عنه جدًّا)، وأيضًا في صيغة مماثلة يعبر عنها كسركسيس (Xerxes وأنا بشكل كريم سوف أقوم بإعادة المنح للرجل ذي النية الحسنة)، وبالتالي فإن الجوائز التي كان يتم منحها للرجال حسني النية (ذوي النية الحسنة) هي حماية أهورا-مازدا Ahura-Mazda والعائلة المالكة، وهذا يجعلنا نسترجع الكلمات التي قالها هيرودوت (Herodotus) حول قمبيز Cambyses ، وهو في فراش الموت، حيث قام بتشجيع الرجال المقربين إليه للقيام بهزيمة سميرديس Smerdis الفاسد المارق المرابي، حيث قال لهم: (إذا فعلتم مثلما طلبت منكم، فإنني سوف أصلي من أجل أن تكون الأرض مباركة لكم ولزوجاتكم وأطفالكم، وأدعو من أجل أن يبارك الرب في قطعانكم ومواشيكم).

وهناك العديد من القصص التي أخبرنا عنها بواسطة هيرودوت (Herodotus)، حيث سجل هيرودوت (Herodotus) أثناء معركة سالاميس : Salamis (قام كسركسيس Xerxes بمتابعة تقدمه في القتال من الشاطئ) حيث يقول هيرودوت : (Herodotus) (إن كسركسيس (Xerxes) كان يراقب سير المعركة من قاعدة الـ MT إيجلوس، وعندما كان يرى واحدًا من ضباطه يقوم بالتصرف بشكل مختلف ومميز كان يقوم بتسجيل اسمه بواسطة السكرتارية الذين يقومون بتدوين ذلك باسم مدينته وأصوله).

وعلى سبيل المثال كانت هذه الظروف هي التي كان يقوم ثيومستر Theomesterباستثمارها واستغلالها، وذلك تحت قيادة ساموس Samos ،

اما فيلوكس Phylacus فقد تم استقطابه لمجموعة الملك، وتم تقديمه لعموم أو عامة الدولة .

وقد أضاف هيرودوت (Herodotus) قائلاً: (إن الكلمة الفارسية التي ترمز إلى المحسنين للملك أو الذين يتقدمون بهبات هي (أوروساناجي Orosangae) وأيًّا كان المسمى اللغوي لهم، فإن الإشارة إلى الكلمة الفارسية تتضمن وجود هذه المجموعة بعينها في البلاط الملكي .

ومن الواضح هنا، أن هناك سجلاً في القصر توجد بداخله الأسماء التي حصلت على لقب (المحسن)، وفي خطاب أرسله دارا (Darius) إلى جاداتس Gadatas يقوم بتهنئته على إنجازاته في مجال البناء الخاص بالحدائق والبساتين، حيث يقول له: (لذلك، أنت سوف تحصل على اعتراف شديد واستحسان في بلاط الملك)، ومثل ذلك، وربما في خطاب تم إرساله بواسطة كسركسيس (Xerxes) إلى بوسانيوس Pausanias في إسبرطة Sparta حيث يقول له: (إن هناك أمر تكليف وإلزام سوف يكون مطلوبًا منك)، وقد قام دارا (Darius) بالخطوات التالية، وذلك لـ كوس Coes الذي أعطاه نصيحة جيدة وقال له: عندما أعود إلى الوطن بأمان مرة أخرى، كن متأكدًا من أنك سوف تأتي وتراني، ولذلك فإنني سوف أعود على أساس إنصاتي لنصائحك والقيام باتباع ارشاداتك أنت أيضًا (هيرودوت (Herodotus)) .

ومع عودته من سارديس Sardis فإن دارا (Darius) بالفعل قد أوفي بوعده، وهذا هو بالضبط معنى قصة العلاقة بين أهاسيروس Ahasuerus وموردخاي Mordecai، كما تم الإخبار بها، ولذلك فقد كان الملك مندهشًا من أن يهودي صوصا Susa لم يحصلوا على أي شرف أو تكريم، وقام بشكل عاجل بالقيام ببعض الخطوات من أجل الإصلاح وتحسين الصورة .

وهذه الأمثلة تبرهن على أهمية الأداء والتصرف الجيد، وذلك تحت

دراية وتصرف الملك (بمعنى التصرف بشكل علني تحت علم ودراية من الملك)، وفي هذا الإطار، وبالنسبة للكتاب اليونانيين كانت الصراعات عبارة عن مشاهد تتضح أمام عيون الملك، فمنذ البداية كان كل شيء موضوع في مكانه بالضبط، ففي أبيدوس، نجد أنهم قد وضعوا القواعد التي سوف يقوم الملك من خلالها بمراقبة ومتابعة جيشه، ثم بعد ذلك وفي دوريسكوس Doriscus ، سوف يقوم الملك بمراجعة قواته والتأكد من تمام استعدادها، ومنذ ذلك الحين نجد أن كسركسيس (Xerxes) كان مشاهدًا لما يحدث (حيث كان يرى كسركسيس (Xerxes) قواته عبر الشاطئ الأوروبي وهي تأتي وتقترب، وفي ثرموبيل Thermopylae نجد أنه تم تتويجه على العرش وهو يستجيب بمنتهى الحساسية إلى التحولات غير المتوقعة في الأحداث، وذلك في المعركة، ودوريدس Doridorus أيضًا لم يقم بتضييع أية فرصة في أن يصد دوافع وبواعث الجنود اليونانيين، وذلك مع أولئك الجنود التابعين للملك العظيم كالتالي، أولاً، الجنود اليونانيون كانوا يجاهدون في شجاعة ولديهم رغبة شديدة في الحفاظ على حريتهم، ومع ذلك فإن البربر حاولوا أن يكونوا مميزين؛ وذلك لأن لديهم الملك شاهدًا على قتالهم، بينما نجد أنه في سالاميس Salamis ، قام كسركسيس (Xerxes) باختيار (بقعة)، والتي من خلالها يستطيع أن يتابع مجريات الأمور التي تحدث، وكان دائمًا مصحوبًا برجاله والمخلصين من أتباعه، والذين يقومون بتسجيل أسماء المحاربين الشجعان، والجنود كانوا يعرفون أن عيون الملك تتابعهم وتراقبهم وهو الشئ الذي كان يثير لديهم الحماسة والحمية للقتال بمنتهى الجرأة والشجاعة .

وكانوا يدخلون في منافسة مع بعضهم البعض، وذلك من أجل أن يكونوا هم الأوائل في الحصول على مكاسب وجوائز من كسركسيس (Xerxes)، وفي الحقيقة كان كل شخص ورجل منهم قد قام بأداء أفضل

ما لديه؛ وذلك بسبب الخوف من كسركسيس (Xerxes) ، وهو يشعر بأن عيون الملك عليه، وقد كان لدينا انطباع من خلال ذلك يقول بأن الحوار الصامت فيما بين الملك وجنوده قائم على أساس تكتيكي، ومن ثم فإنه أثناء الهروب بعد الحرب، كان أولئك الـ Astern وهم الجنود الذين أدوا في المعركة بشكل ضعيف- يشعرون بضرورة أن يقوموا بعمل أية محاولة من أجل تقديم بعض الخدمات لملكهم، والنتيجة الناجحة للمناورة التي تم تنفيذها وإجراؤها بواسطة سفينة أرتيميس Artemisia في كاريا Caria هي ذات آثار عظيمة .

وحتى عندما لم يكن الملك حاضرًا، كان الناس متأكدين من أنه سوف يتم الحفاظ عليه وأنه على دراية بكل شيء و(أنه من أجل هذا السبب كان هناك العديد من الناس الذين قاموا بارتكاب مثل هذه المخاطر، وذلك من أجل قورش Cyrus الصغير، والتفكير من جانب كل شخص بأن الملك سوف تكون له دراية بكل ما يحدث)، وإذا لم يعرف الملك ذلك بشكل مباشر، فإن الواحد كان يتمنى أن المشرفين الملكيين (الموجودين في القصر) سوف يقدمون تقريرًا جيدًا حوله، بالإضافة إلى أن مسؤول المحكمة كان دائمًا جاهزًا لتسجيل كل شيء.

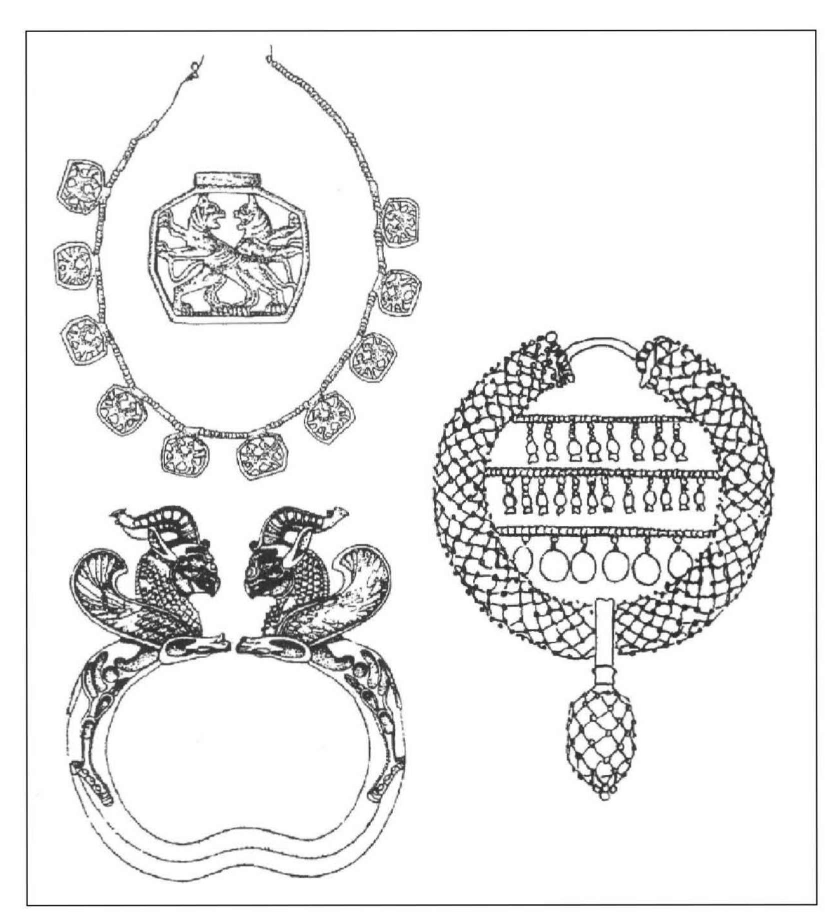
الهبات والهدايا الملكية:

واليونانيون يعرفون جيدًا أن الدخول في مجال خدمة الملك العظيم يؤدي إلى إتاحة الفرص الكبيرة؛ وذلك للحصول على الهبات والهدايا مقابل هذه الخدمة، وقام زينوفون Xenophon بشكل لا نهائي بإعادة استخدام وتطبيق هذه الأيديولوجية الملكية، وهذا يفسر كيفية قيامه باستخدام هذا الأسلوب في مجال الاقتصاديات، فإذا قام الضباط المسؤولون عن القوات بعمل وبذل أقصى ما في وسعهم، فإن الملك سوف يقوم بترقيتهم وإعطائهم مزيدًا من التبجيل والتكريم والشرف، وسوف يقوم بإثرائهم عن طريق منحهم الهبات من الأموال، بينما

الآخرون الذين سوف يعاقبهم الملك بمنتهى الشدة والقسوة، وسوف يقوم باستبدالهم ويعين غيرهم، والشيء نفسه سوف يكون مطبقًا على أولئك الضباط المسؤولين عن الحفاظ على الأرض وحمايتها.

وهذه الهدايا والهبات الملكية معروفة جيدًا لليونانيين، والذين استفادوا بشكل مستمر من هذه الهدايا والهبات، وقد أشار الكتاب الكلاسيكيون إليهم ببعض التعبيرات مثل: (الذين كانوا من أفضل الفرسان المستفيدين من الملك)، وأيضًا الهبات كان يطلق عليها أيضًا (الهبة الفارسية الكاملة)، وكان يتم تحديدهم بشكل أكبر كما يقول هيرودوت (Herodotus) عنهم: (في كل عام كان الفرس يحصلون على الزى الرسمي أو ما شابه، وغيرها من الهبات؛ وذلك لتقديمها إليهم باعتبار ذلك نوع من التقدير والشرف)، وفي هذا الإطار أيضًا يقول زينوفون Xenophon أن قورش Cyrus قد أعطى الهدايا والهبات التي كانت تعتبر علامة على الشرف والكرامة والتكريم مثل الحصان الذهبي والعقد الذهبي وغير ذلك من النياشين الذهبية التي تعبر عن تكريم الشخص) وبالنسبة لستيسياس Ctesias ، فهو يقول بأن: (الهبة أو الهدية الأكثر أهمية وقدرًا، والتي يستطيع الملك أن يمنحها للفرس هي الحجر الذهبي (حجر الرحى الذهبي)، ونحن ربما نتساءل عن الأهمية المطلقة لمذكرة أو مقولة ستيسياس Ctesiasونتعجب منها، ولكن التعبير الذي قام باستخدامه يناسب بشكل جيد سلسلة الحالات التي تتضمن الوجود الخاص في المحكمة الفارسية لمجموعات الهدايا والهبات والتي يطلق عليها (الملكية) والتي يتم تمييزها عن غيرها من الهبات وتمثل تكريم الملك لأولئك الفرس لأهمية (تصرفاتهم وأفعالهم الجيدة).

والمجوهرات والملابس أيضًا هي من أشكال وأنماط الهدايا الملكية التي وجدت في سجل خاص بذلك، حيث إن قورش Cyrus كان دائمًا أو غالبًا ما يرجع إليها، ويقوم قورش (Cyrus) بتوزيع هذه الملابس على



الشكل 43

(أولئك الفرس والموالين الذين يديرون مكتبه، وعندما يتم توزيع مثل هذه الملابس فيما بين النبلاء وغيرها من الملابس الجميلة، فإن قورش Cyrusيقوم بإحضار غيرها من الملابس التي قد تمت صناعتها بشكل جيد، ويقوم بتوزيعها أيضًا على أصدقائه، ويبدو من الواضح أن الألوان المختلفة والمشار إليها يتم تحديدها أيضًا بواسطة الملك، وبعض الوظائف في

المحكمة المركزية يكون لها الحق في ارتداء الملابس بشكل خاص أو بدون شك يكون هناك إلزام بارتداء هذه الملابس، وبدون شك أو عدم وضوح، فإن ارتداء مثل هذا الزي أو هذه الملابس يسمح لهم بأن يروا أنفسهم فوق غيرهم من الفرس .

وفي عيون الفرس، حقيقةً، نجد أن هذه الملابس والمجوهرات لم تكن من الحلي الرخيصة، فقد كانت تمثل لديهم إشارات ودلالات ذات مغزى على تقدير الملك لهم ومنحهم مثل هذه الأوسمة؛ وذلك كرد لجميع الخدمات التي قدموها له، وارتداء مثل هذه الحلي يعني التدرج والارتقاء في المرتبة الخاصة بالفرس، ومكانتهم وتقدير الملك الزائد لهم.

ومع كل هذه الحلي والملابس الفاخرة التي كان يتم تقديمها لنبلاء الفرس، فإنه لا يجب علينا أن نندهش من كون حفلة منح هذه الأوسمة والجوائز هي عامة ومفتوحة للجميع، ومن ثم فإن ميجابيزوس Megabyzus والذي منحه الملك وسام الشرف (جيراز Geras)كان مصحوبًا بهذا التعليق أمام العامة (ذات مرة، قام دارا (Darius) بمنح هذا الرجل هذا الوسام الفاخر والتقدير الرفيع، وكان ذلك في فارس عندما قام دارا (Darius) بمنحه هذا الوسام والتقدير)، وهناك مزيد من الأدلة والبراهين المتاحة؛ وذلك حول قصة موردخاي Mordecai الذي حصل على الزي الملكي كهدية أو وسام، وأيضًا الحصان (الذي كان يركبه الملك) ومن أجل أن يعطي الملك القيمة العالية للهدية أو الوسام الملكي، فقد أصدر تعليماته عند قيامه بإعطاء ومنح الوسام الملكي لموردخاي بأن (يتم قيادته خلال ميدان المدينة؛ وذلك لعمل احتفال بمناسبة ذلك، حيث يقول الملك على لسان الراوي (هذه هي الطريقة التي سوف يعامل بها الرجل الذي يرغب الملك في تقديره)، ومثال آخر على التقدير العام هو في القصة الخاصة بظهور صديق ديفرنس

Daiphernes أمام قورش Cyrus حيث قيل أمام الجمهور: (لقد قام قورش بمنح هذا الرجل واحدًا من خيوله وذلك لتكريمه وتشريفه العظيم).

وربما كان الملك هو الذي قدم درع الصدر الذهبي لماسيستوس Masistius ، وذلك كما وصفه هيرودوت (Herodotus) ، والمجوهرات التي كان يتم إعطاؤها وتقديمها بواسطة الملك كانت عبارة عن وسام خاص ومميز؛ وذلك لأن زينوفون Xenophon قال: (ليس من حق أي شخص أن يحصل على مثل هذه الأشياء إلا إذا قام الملك بإعطائها وتقديمها له)، وملابس التكريم هذه يجب أن تحتوي على العديد من الأوسمة الخاصة والعلامات، وقد سجل إلين Aelian أن تقاليد المحكمة قد نظمت قواعد منح هذه الهبات والأوسمة التي يتم إرسالها بواسطة الملك .

إن الهدايا التي يتم إعطاءها بواسطة ملك فارس، وذلك لأولئك الذين يأتون لرؤيته، من اليونان أو من أي مكان آخر كانت كالتالي: أولاً كل شخص كان يتسلم قطع الفضة الخاصة بالموهبين من البابليين، واثنتان من الفضة، وكل شخص قد تسلم سيفًا أو عقدًا، فإن هذه الأشياء تساوي ألف دارا (Darius) Darice، وبالإضافة إلى ذلك فإن هناك زيًا فارسيًا واسم هذا الزي هو دوروفوركي Drorophoriki.

وهذا النص يعطينا ويقدم لما انطباعًا على أن الهدايا والهبات الخاصة بالمجوهرات والأوعية غالية الثمن والذهب لم تكن فقط ذات قيمة لمعنى قيمتها الرمزية، وإنما أيضًا طبقًا لمقدارها من المعدن الذي قد صنعت منه (ذهب، فضة، برونز وغير ذلك) .

وكل دلالة تعبر عن القيمة الدبلوماسية لمثل هذه الأشياء، ونحن نحتاج فقط إلى استعادة مثل الفلاح أو المزارع الفارسي البسيط الذي قد تسلم من أرتاكسريكس Artexerxes الثاني، الزى الفارسي والفنجان أو الكأس الذهبي وآلاف الدارا Darices (Darius) .

الهدايا والأوسمة والتكريم: هيئة المحكمة:

كانت هذه الأوسمة والمجوهرات والملابس الملكية ذات أهمية كبرى، وكان هناك عامل واحد من عمال الملك العظيم هو المختص تقديم هذه الأوسمة، ونجد ان قورش Cyrus قد استخدم الهبات والأوسمة من أجل ترقية صاحبها في الوظائف والسلطات ألأعلى وأيضًا مقاعد الشرف والكرامة والتقدير، والترقية إلى الوظائف العليا كانت في حد ذاتها علاقة ودليل على التقدير الملكي، وذلك كما في حاله زيناجوراس Xenagoras ، فهو قد قام فعلاً بإنقاذ حياة ماسيستيز Masistes ، وهذا الفعل أو التصرف هو ما جعله يفوز ويكسب ليس تقدير ماسيستيز فقط، وإنما أيضًا كسركسيس (Xerxes) والذي قام زيناجوراس بإنقاذ أخيه ماسيستيز، وتم تعيينه على قيادة وحكم إقليم سيلسيا Cilicia بالكامل.

وبشكل واضح فإن الألقاب الخاصة بالمحكمة والألقاب الملكية يجب أيضًا أن يتم تضمينها في مجموعة الشرف والتكريم، ولسوء الحظ فإن الألقاب الملكية كانت غير معروفة إلا في المصادر الكلاسيكية، ونحن نعرف تلك الألقاب الخاصة بالأصدقاء (فيليو Philio)، والتي كانت عنوانًا فعليًّا متضمنًا وعند حدوث عقاب للشخص الحاصل على اللقب، فإنه يتم تجريده من صحبة الأصدقاء التي كانت قائمة على أساس درجة التفضيل الملكي وبالنسبة لهيستايوس ميليتوس Histiaeus Miletus ، نجد أن دارا (Darius) قد وعده عندما قال: (تعال معي إلى صوصا Susa ، وكل ما لدي هناك سوف يكون لك، فأنت سوف تأكل على طاولتي ومع مستشاري والطبيب اليوناني ديموسيدز Democedes نفسه كان من رفاق دارا (Darius) ، والأرستقراطيون الفرس من علية القوم مثل ميجابيزوس Megabyzus أيضًا نجدهم قد حصلوا على اللقب نفسه .

ولقب (صديق) كان واحدًا من أهم وأرقى الألقاب الملكية والخاصة بالبلاط الملكي، فنحن نعرف في الحقيقة أنه أثناء الاحتفالات المحددة، يوجد العديد من الناس يجتمعون حول الملك؛ وذلك من أجل مأدبة الطعام الخاصة بالملك من أجل الطعام والشراب الذي سوف يقدم إليه علـى طـاولته، ومن أمثلة هذه الـمـأدبة تلك التي قدمها أهاسيروس Ahasuerus ، وذلك في السنة الثالثة من حكمه، حيث نجد أنه قدم هذه المأدبة في قصره، وذلك لكل وزرائه ومستشاريه ومديريه)، وهذه ربما أيضًا كانت حالة يشار إليها على أنها (الوجبة الملكية)، وذلك على شرف عيد ميلاد الملك كما يقول هيرودوت (Herodotus)، وهذا النوع من المأدبة العامة نجده قد تم تصويره مرات عديدة بواسطة زينوفون Xenophon في سيروبيديا Cyropaedia ، وقد أوضح تقرير هيراسلايدز Heraclides أن الملك عمومًا يتناول عشاءه منفردًا في صالته، بينما الضيوف المدعوون نجدهم يتناولون عشاءهم بالداخل، وهم الذين يتم تشريفهم بشكل أكبر، وتتم خدمتهم بتناولهم للطعام في قاعة قريبة من قاعة الطعام الملكية، وتكون القاعتان أو صالتا تناول الطعام مفصولتين عن بعضهما بواسطة ستارة تسمح للملك برؤية من في الجانب الآخر، بينما تحول هذه الستارة دون رؤيتهم للملك وتحجبه عن رؤيتهم، والمجموعة الأولى يكون لها الوضع واللياقة الخاصة بها؛ وذلك لأنهم يتناولون العشاء في مرئي ومسمع من كل شخص يريد أن ينظر إليهم، وأخيرًا وفي نهاية الوجبة فإن حوالي دستة (إثنى عشر شخصًا) من الضيوف المدعوين أو أكثر تتم إذاعة أسمائهم، ويقومون بالانتقال إلى حجرة خاصة لتناول الشراب مع الملك وفي صحبته، وهو تكريم وشرف استثنائي من أجل مناقشة بعض الأمور المهمة والخطيرة مع الملك)، وذلك طبقًا لما رواه كل من هيرودوت (Herodotus) وسترابو وأثينوس .

وليس من الأكيد أن اللقب (هوموترابيزو) أو Homotrapezos وتعني (رفاق الطاولة) أي رفاق البلاط الملكي أي لقب ملكي والذي يوفر لحامله (حامل هذا اللقب) المكانة السائدة أمام الملك، وأثناء حرب ومعركة كيوناكسا Cunaxa كان هناك عدد قليل لم يخرج للمعركة، وهذا الفارق بين (رفيق المائدة) والضيف المدعو) قد تم استنتاجه بواسطة حاله ووضع أنتيموس Entimus والذي قام أثينوس (المؤرخ) بتمييزه عن حالة ووضع يتماجوراس Timagoras ، حيث تمت دعوة أنتيموس Entimus إلى مأدبة كنسمان Kinsmen ونجد أن تيماجوراس قد حصل على شيء ما من الطاولة الملكية وذلك كل يوم.

حيث يقول أثينوس (لا يمكننا أن نغفل عن ذكر العبد الذي أتم عمله من أجل تيماجوراس والذي كان رائعًا جدًّا وله زهوة .

وهذا المثال السهل يبرهن على أنه في القصر الملكي يكون هناك هيكل وتسلسل في المناصب الشرفية وأنواع التكريم، والنصوص المتاحة لا تقدم لنا فرصة ولا تسمح لنا بإعادة صياغة وتشكيل هذه المناصب وهذا الهيكل على نحو مؤكد بالرغم من أن اللقب (صديق) يسمح لنا بافتراض أنه ذو أهمية، خاصة وأنه يجب أن نكون واعين بالخلط بين هذه الألقاب والمهام، والألقاب التي ربما نتوقعها لشخص واحد، كانت في بعض الأوقات يتم منحها لعدد كبير من الناس، ويجب أيضًا أن نظل واعين للتغير بمرور الوقت في مثل هذه الألقاب ولمن يتم منحها له، وفي أذهاننا أن معظم مصادر هذه الألقاب ترجع إلى عصور حكم أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني ودارا (Darius) الثالث، بينما نحن نعرف من بلوتارث Plutarch أنه في ظل حكم أرتاكسركسيس Artaxerxes الأول، كانت تحدث تغييرات كثيرة في القصر، وإزالة بعض أشياء، وأشكال تفضيل الملك، وذلك عند بداية حكمه، وأيضًا مع تغير الملوك بالتتابع، وربما كانت هنا أشكال من

الإبداعات والابتداعات التي قام الملك أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني بتقديمها معه عند بداية حكمه .

وأيضًا كان من بين أشكال التكريم والتشريف الاستثنائية الزواج من ابنة الملك، ونحن نعرف بالتحديد أن دارا (Darius) كان يقوم بتزويج بناته وأخواته إلى علية القوم من الأرستقراطيين مثل جوبراس Gobryas ، وفي عام 499، نجد أن القوات الفارسية في آسيا مينور أو Asia Minor كانت تحت إمرة وقيادة ثلاث إخوة لدارا (Darius) وهم دوريسوس Daurises وهاميز Haymees وأوتانز Otanes ، وكان هناك أخ آخر لدارا (Darius) إخوته هؤلاء كانوا هم أخوات زوجته أو أزواج أخوات زوجته)، وهو أرثوشيمز Artochimes وكان واحدًا من قادة كسركسيس (Xerxes) ، وذلك في عام 480، وبوقت قصير قبيل حرب سالاميس Salamis، نجد أن اليونانيون قاموا بأخذ العديد من الأرستقراطيين الفرس ذوي المرتبة العالية كأسرى، وكان هؤلاء الأرستقراطيون من ضمنهم اثنان أو ثلاثة من أبناء ساندوس Sandauce ، وهي ابنة دارا Darius وابنه أرطيقوتس Artayctes ، وهناك قصة لبلوتارخ Plutarch تبين مثل ذلك: أرتاكسركسيس (Artaxerxes) الثاني، والذي كانت لديه العديد من البنات، وعد بأن يعطي ابنته أباما Apama إلى فارنايوزس Pharnabazus ، وأن يعطي ابنته رودوجين Rhodagune إلى أوفينتوس .

ويبدو من الواضح تمامًا أن وضع زوج ابنة الملك كان يرفع من مكانته الاجتماعية كثيرًا، فعندما أبرم بوساينوس إسبرطة المعاهدة مع كسركسيس (Xerxes) ، طلب من كسركسيس (Xerxes) أن يتزوج إحدى بناته، وبدون حتى أن يحصل على أي رد في هذا الموضوع، اعتبر نفسه جزءًا من الدائرة المقربة للطبقة الاجتماعية المسيطرة والعالية، وهذه الزيجات كانت أيضًا ذات هدف، وتستحق إيجادها وعملها؛ وذلك للتعبير عن تصميم الملك على القيام بصفقات للحصول على ولاء

العائلات الكبيرة التي يقوم بتزويج بناته فيها، ولكنهم لم يقوموا بمنح أي من الحقوق التي يكون لها صلة بالأسرة الحاكمة، وذلك لأي من الأولاد الذين سوف يولدون، كما هو موضح في المناقشات والحوارات والخاصة بدارا (Darius) كما تم الإبلاغ عنها بواسطة هيرودوت (Herodotus) ، ومع حدوث ذلك، نجد أن استبدال الزوجة كان غير متساوٍ ومتكافئ؛ وذلك لأن أبناء البنت (الأميرة المتزوجة من أحد أفراد العائلات الأرستقراطية الكبرى) كانوا يحصلون على تقدير الملك فقط، حيث إن أبناء بناته هم أيضًا يمثلون عنصرًا من عناصر قوته، وحتى مع افتراض أن الملك كان يعطي بناته فقط ويزوجهن من أفراد وأشخاص من العائلات العالية والنبلاء، فإن أي شخص يبحث عن أن يكون زوج ابنة الملك فإن عليه أن يثبت جدارته واستحقاقه لهذا الشرف، ويبرهن على ولائه الشديد للملك، فالعلاقة ليست حقًّا مكتسبًا، وإنما منحة ملكية .

ونادرًا ما يكون هناك شك في أن هؤلاء الأبناء (أزواج بنات الملك) يدخلون في مجموعة كنسمان الملكية، وهذه المجموعة ذاتها كانت متكاملة في هيكل وتكوين وتسلسل البلاط الملكي (القصر)، وفي وقت دارا (Darius) الثالث نجد أن مجموعة كنسمان الملكية شكلت مجموعة صفوة الفرسان الذين كانت أعدادهم قد وصلت إلى عشرة آلاف فارس، والذين اتسموا بالشجاعة أثناء معركة جرانيوس أو Granicus ففي جواجميلا Guagamila نجدهم قاموا بالمحاربة جنبًا إلى جنب مع الملك، حيث كان يقول: (إن هناك رجال تم اختيارهم من أجل شجاعتهم ومن أجل ولاءهم)، وكانوا مميزين بالزى الخاص بهم، وكان لهم الحق أيضًا في تقبيل الملك فوق شفاهه (على شفتيه)، وهي علامة على تحقيق إنجاز اجتماعي مهم، حيث إننا نعرف أن عددًا قليلاً من الفرس من المرتبة المقابلة كانوا يقومون بتحية بعضهم البعض بهذه الطريقة، وفي عهد الملك دارا (Darius) الثالث نجد أن كونتس كيرلس Quintus Curtius

قد قام بالتمييز والتفريق بين الكوجناتي Cognati والذين قد بلغ عددهم خمسة عشر ألفًا، وذلك عن بروبنكي Propinqui ، والذين بلغ عددهم مائتين، حيث إن المجموعة الأخيرة (بروبنكي) شكلت الصفوة المختارة للأسرة الملكية، وتم اختيارهم ضمن وحدات القوات المتعددة، ونجد أنه من الغواية أن نفترض أن البروبنكي يمثلون الأفراد العائلة المالكة، بينما مجموعة الكوجناتي يمثلون درجة ديوردورس Diodorus نفسها، ويحصلون على لقب ملكي يطلق عليه سجنيز Syggeneis .

ولكن متى ظهرت ووجدت هذه المجموعة (مجموعة الـ Syggeneis) ؟ حتى نجيب عن هذا السؤال يجب أن نذكر أولاً أن الألفاظ الخاصة بالمؤلفين اليونانيين كانت غير واضحة بالضرورة، وتقوم بعكس استخدام اللفظ نفسه في العصر الملكي، وفي عام 479 نجد أن سايمون Cimon قام بمحاصرة إيون Eion ، حيث كان هناك بعض الرجال العظماء وذلك فيما بين الفرس، وبالتالي فإن مصطلح سيجنز Syggeneis بشكل واضح يشير إلى العلاقات العائلية، وفي مقطوعة مأخوذة من فيناس Phaenias ، نجد أن أفينوس Athenaeus قد ذكر أن أنتيموس Entimusتمت دعوته إلى الإفطار في القصر الملكي العائلي، وذلك أثناء فترة حكم أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني، ولكن مرة أخرى يساورنا الشك؛ وذلك لأن بلوتارخ Plutarch يسجل ذلك مع زوجته ووالدته، حيث إن الملك دعا أخويه على طاولة الطعام، ولكن هل كان ذلك تقليدًا وعرفًا مبتكرًا بواسطة أرتاكسركسيس (Artaxerxes)الثاني، أم كان عبارة عن نوع من الترتيب المستخدم بالصدفة بواسطة كل الملوك العظام، ونحن ربما نلاحظ أيضًا أن النصوص الآرامية والأكادية خصوصًا، نجدها ترجع لوقت الملك دارا (Darius) الثاني، وتشير إلى أبناء المنزل، وأيضًا العبارة (التي تختص بالأميرة) ويشار إليها (bny byt) موجودة في هذه النصوص التي تحفل بالعديد من العبارات الأخرى .

الدائرة الأولى (المقربة):

إن الطبقة العليا من الأرستقراطيين نجد أنهم يحصلون على ألقاب، ولكن مثل حامل جعبة قورش الخاصة بالسهام، وأيضًا الملك قمبيز (Cambyses) كان له لقب والذي كان له (حامل الرمح)، وهي ألقاب ملكية، وأيضًا كان بريكساسبس Prexaspes هو حامل رسائل جامبيز Gampyses وابنه كان هو حامل كأس الملك، وهو الوضع والمكانة التي ليست ذات شرف بسيط يساعد الملك في ارتقاء جواده، وباختصار فإن طموح رجال الملك هو أن يكونوا على مقربة منه في القصر وفي الجيش وحتى في رحلات الصيد .

والتعبيرات التي كان يتم استخدامها بواسطة اليونانيون كانت هي الأكثر استخدامًا وشيوعًا، حيث إن قورش كان يوزع هداياه الملكية وعطاياه على أولئك الذين أطلق عليهم زينوفون (Xenophon) هوي بيري أونون(hoi Peri auton) .

ولكن كانت هناك أيضًا دائرة مقربة حول الملك، وهي دائرة الفرس النبلاء، وذلك فيمن هم في حضرته، ويبدو أن باتي جاس Pategyas كان بالضرورة جزءًا من هذه الدائرة وكان (فارسيًّا من أهل الثقة من رجال الملك قورش)، وأية ترقية تجعل من الرجل النبيل واحدًا من الدائرة المقربة من الملك، وذلك مثل تيري بازوس Tiribazus ، وذلك بعد أفعاله العظيمة أثناء الحملة العسكرية على الكادوسيين والذي استطاع أن يبلي بلاءًا حسنًا ضمن الرجال الذين كانوا حول الملك، بينما كان قبل ذلك من أقل الناس وكان من المهملين، وبالفعل استفاد مسبقًا بالرضا، والاستحسان الملكي من جانب الملك كان دائمًا بجواره، وهذا ما عرفناه من خلال كتابات ستيسياس Ctesias والذي كان حريصًا على أن يذكر أسماء الأشخاص الأكثر تأثيرًا في صحبة الملك .

وبطريقة أخرى، فإن تقدير واستحسان الملك كان يتم التعبير عنه من

خلال درجة اقتراب الشخص من الملك ومدى احترام الملك وتقديره لهذا الشخص .

ومن ثم فإن أهمية الألقاب كانت أنها تشير إلى علاقات القرابة أو النسب أو الثقة والأهلية والمشاركة في الوجبات والطعام والمكانة التي يحظى بها من يحصل عليها في أن يكون دائمًا بجوار الملك وعلى مقربة منه وفي حضرته (وهذه الألقاب هي مثل: حامل الكأس، حامل الدرع الملكي، وغيرها من الألقاب)، وقد ذكر الإسكندر هذا التقدير والاستحسان الملكي على أساس ثلاثة أبعاد، وهو ما تم محاكاته بعد سنوات قليلة بواسطة بيوستوس Peucestes الذي قام بوضع المشاركين في أربعة دوائر أساسية، حيث تشمل الدوائر العامة والهيبارس وأيضًا كل من الفرس والذين قد تم تكريمهم وإيثارهم، وهذا الهيكل الملكي تم الحفاظ عليه أثناء وطوال أنشطة القصر الملكي، حيث إن زينوفون (Xenophon) أكد ذلك بشكل خاص عندما حقق قورش (Cyrus) النصر، قام بدعوة أصدقاءه الذين برهنوا على ولائهم وطاعتهم ورغبتهم في الانصياع لأوامر الملك والولاء لله، حيث يقول: (وعندما حضر الضيوف المدعوون على العشاء، قام قورش (Cyrus) بإجلاسهم على المقاعد، ليس بشكل عشوائي وإنما على أساس مكانة كل واحد منهم، وتقدير الملك له، حيث يجلس على يسار قورش (Cyrus) ذلك الشخص الذي يحبه ويفضله ويحترمه كثيراً؛ وذلك لأن الجانب الأيسر يمثل للملك مكانة أهم من الجانب الأيمن، والشخص الثاني في التقدير نجده يجلس على اليمين، والشخص الثالث على اليسار مرة أخرى بجوار الأول، والشخص الرابع على اليمين مرة أخرى بجوار الثاني، وهكذا دواليك؛ وذلك لأنه يرى أنها خطة جيدة ليوضح للعامة والجمهور كمية وقدر الاحترام والتقدير الذي يكنه لهؤلاء الرجال الذين يجلسون إلى جواره، وحتى يعطي عبرة للأشخاص الآخرين للعمل الجاد في صالح الملك

وعدم التآمر ضده، وبالطريقة نفسها نجد أن قورش (Cyrus) اعترف بأولئك الذين يقفون في أنهم من أولويات تقديره واحترامه .

وبالتأكيد فإن زينوفون (Xenophon) (من خلال الملك قورش (Cyrus))يوضح أن الحكومة كانت تتألف من الصفوة التي كان يرغبها ويتمناها الملك لأثينا، وفي أثناء ذلك، فإن المعلومة التي يقدمها حول تنظيم الطاولة الملكية يتم تأكيدها بواسطة أدلة وبراهين عامة تكون مقبولة ومناسبة .

وطبقًا لزينوفون (Xenophon) ، فإن قورش (Cyrus) فرض نظمًا محددة جدًا في هذا المجال، حيث يقول زينوفون : (Xenophon) (إن قورش (Cyrus) منذ البداية، قام بوضع هذه القواعد)، وأنه يخطط ولديه نية في الاتجاه نحو الشرق، ولكن وعلى العكس مما تضمنه كلام زينوفون (Xenophon) ، فإن أسباب قورش (Cyrus) لم تكن عسكرية بشكل شديد أو فريد، (حيث إن موقعه في قلب المعسكر كان على أساس اعتقاده أن هذا الموقع هو الأكثر أمانًا، ثم يأتي بعد ذلك حوله الصفوة من تابعيه، وذلك مثلما هو معتاد على عمل ذلك دائمًا معهم في منزله، ثم في دائرة حوله هو ورجاله السابق ذكرهم، ثم يأتي الخيالة أو الفرسان، حيث إنه في المعركة يستلزم الأمن والمبدأ أن يكون الملك في وسط القوات .

والشكل نفسه كان في المجلس (غير الرسمي) الذي كان يعقده الملك مع المخلصين على أساس أنه مفيد، وفي واحدة من هذه اللقاءات- على سبيل المثال- بعد كسركسيس (Xerxes) ، نجد أن ماردونيس Mardonius قد افترش الأرض (جلس على الأرض)، وهو الرجل الذي كان له تأثير أكثر على كسركسيس (Xerxes) من أي شخص آخر في الدولة، فعندما تشاور مع قادة الوحدات والفرق البحرية قبل معركة سالاميس Salamis فإن البروتوكول لم يكن قد تم تنظيمه بشكل

كامل (فعندما أجلس نفسه، تم دعوة قادة الولايات والرؤساء للمثول أمامه، ليأخذوا مقاعدهم، وذلك طبقًا لدرجة امتيازهم الذي حدده الملك لهم، وكانوا يجلسون طبقًا للرتبة والدرجة).

الهبات والهدايا وإعادة توزيع الثروة:

إن العلاقة بين الملك ورجاله كانت أيضًا قائمة على أساس الثروة المعنوية من التقدير المادي والمعنوي التي يحصل عليها من الملك، وبعض الهدايا يمكن أن تعكس القيمة الاقتصادية الأكيدة لهذه الهدية، وهذه الحقيقة لم تغب عن الكتاب اليونانيين الذين كانوا مبهورين بأسلوب الحياة المترف الخاص بالملك ورجاله، وهذا هو ما كان يبحث عنه هيرودوت (Herodotus) لجعل قراءه يفهمون من خلال إعادة إحصاء القصة الرابعة لطبيب قورش (Cyrus) الذي أتى لعلاج دارا Darius ، وذهب لعلاج امرأة أخرى حيث يقول هيرودوت : (Herodotus) (لقد أعطوا ديموسيدس Democydes قدرًا كبيرًا من العملات المعدنية الذهبية، وكان هناك قدر كبير من المال الذي تم جمعه بواسطة خادم يدعى سكيتون Sciton، والذي كان يلتقط هذه العملات التي تقع من الكأس المعبأ بالعملات الذهبية لدرجة أنه استطاع أن يجمع ثروة من وراء ذلك)، وقدم لنا دارا Darius حدثًا آخر من الأحداث التي حدثت، عندما كان يحث هيستاسيوس Histiaeus)وهو طاغية ميلوتس) على أن تصحبه إلى صوصا Susa ، نجده لم تعده فقط بأن يكون رفيقه في طاولة الطعام ومستشاره فقط، إنما شجعه في هذا الطريق قائلاً له: (كل ما لدي هناك سوف يكون لك أيضًا).

ونحن نعرف أيضًا أن السفراء كانوا يحصلون على هدايا منتظمة، وقد كان اليونانيون كلهم على دراية بكل ذلك؛ لأن القليل جدًا من السفراء كان يتم اتهامهم.

وقد تعرض أرسطفانيس Aristophanese لذلك في كتاباته بشكل

وضح، ومن أمثلة ذلك نجد تيماجوراس Timagoras وهو سفير Congress في صوصا Susaفي عام 369، وهو الذي ذكره إثيناسوس، وقال إنه قد حصل على العديد من الهدايا العظيمة والمتعددة من (أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني)، ويقول بلوتارخ Plutargh أن أهل أثينا قد أدانوا تيماجوراس Temagoras (وحكموا عليه بالإعدام وذلك لقيامه بأخذ الرشاوي).

وأيضًا كونون Conon الأثيني ذاته، نجده تقريبًا في عام 395، قد حصل بنفسه على التكريم من خلال حصوله على العديد من الهدايا الرائعة، حيث إن الملك أرتاكسركسيس Artaxerexes قد استحسن كانون Canon كثيراً، وقدره إعطاء الكثير من الهدايا الرائعة والغالبية، وقام بتعيينه في منصب عالٍ كمسؤول عن الخزانة وأموال الدولة .

وهناك أيضًا قرصان من أقراص الـ Persepolis اللذان يرجعان إلى تاريخ 482، 486 واللذان كانا يصدقان على توزيع القصة على الأشخاص الذين يستحقونها، وواحد من هذه الأقراص هو PT4 والذي يسجل مبلغ 5.300 شيكل من الفضة هي تحت الأمر المباشر للملك والذي يتم توزيعه على ثلاثة عشر من الفرس، البعض يحصل على ستون شيكلاً وآخرون يحصلون على خمسين وآخرون يحصلون على ثلاثين وآخرون يحصلون على عشرين شيكلاً .

ومن الصعب أن نقوم بتحديد هؤلاء الناس؛ لأن أسماءهم شائعة ومشتركة، وهذه الهبات والهدايا لم تكن بسيطة أو ضئيلة الثمن في ذلك الوقت، حيث إن الخروف كان يساوي ثلاث شيكلات، وبالتالي فإن المائة خروف تساوي ثلاثمائة شيكلاً، وحتى يتم تأكيد ذلك، فإن كل ما يحتاجه هو ملاحظة المعدل اليومي من الخراف أو الأغنام (رأسين) يتم استلامهما بواسطة بارناكا Parnaka ، وهو المدير الأول المسؤول بعد دارا (Darius)في فارس، والسبب وراء هذا الأمر الملكي بدون شك يكمن في

القرص الثاني وهو (PTS) والذي يسجل توزيع 9040 (تسعة آلاف وأربعون) قطعة شيكل، وذلك على مائة وثلاثة عشر من رعاة البقر بمعدل ثمانون شيكلاً لكل شخص، وهؤلاء الرجال يتم دفع هذه الأموال لهم من الحفاظ على (الأنتاكا) Antaka وذلك في إقليم التوكا Tauka ، وبالرغم من وجود العديد من الأشياء غير المؤكدة حول الوضع بالضبط، فإنه يمكننا التمييز بين المستفيدين من ذلك الأمر وغيرهم، الذين يتم تكريمهم.

وأيضًا أرباح المكاسب والنصر في الحروب تثري وتؤدي إلى إثراء رجال الملك، فالعديد منهم يحصلون على أراضٍ يزرعونها، وتدر عليهم مزيدًا من الدخل، وهناك مرات عديدة كان يقول فيها زينوفون (Xenophon) أن قورش (Cyrus)قسم غنائم ومكاسب الحرب فيما بين دائرته المقربة وجنوده .

والتقسيم بلا شك كان غير عادل، حيث إن الملك كان يبقي لنفسه الجزء الأعظم والأهم والأغلى من الكنوز التي كانت تخص الملك المهزوم الذين انتصروا عليه، ولكن أيضًا ليس هناك شك في أن الهدايا الملكية تأخذ طريقها إلى الأغنياء مثل باجوس Bagoes ، وهو المقرب جدًا من أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث والذي استطاع انتزاع كمية معقولة من الذهب والفضة التي أخذت من المعابد المصرية، ثم قام بإعادة بيعها إلى الكهنة بسعر عالي جدًّا.

والمكانة التي كان يشغلها المرزبان (حاكم الولاية الفارسية القديمة) كانت أيضًا من الوظائف والأماكن التي لا تدانيها مكانة، مثل زوبيرس Zopyrusالذي أعطاه دارا Darius حكم ولاية بابليون Babylon ، وأعفاه من الضريبة مدى الحياة، وأيضًا فإن المرزبان يستفيد من العائلات التي تحصل عليها ولايته، وكان يحصل على ميزات إضافية بهدف تمويل طاولته، وهو أيضًا بدون شك كان يتمتع بميزات أخرى غير منتظمة من

العائدات بكل ما تحمله الكلمة من معاني، وبالرغم من أن المرزبان يتم الإشراف عليه، فإن عليه سنويًا أن يذهب للفقير، وذلك ليقدم تقرير عن عمله وعن الفترة الماضية في ولايته .

وعرض البقشيش Bakshesh (وهي الرشوة) كان يتم طلبه باستمرار وذلك حتى يتم تنفيذ الطلبات، ونحن ربما نقوم بوضع مثال كوندالوس Candalus وهو المدير عالي المستوى لموسولس Mousolus وهو كان مرزبان كاريا Caria في القرن الرابع: ففي أي مكان يسير فيه كوندالوس Kondalus بموكبه في المدينة، فإن أي شخص يحضر إليه خروفًا أو خنزيرًا يقوم بتسجيل اسمه (اسم مانح هذه الهدية) والتاريخ، ويطلب منه أن يعيدها إلى منزله ويحافظ عليها حتى يعود، ونجد أن كوندالوس Kondalus يكون معتادًا على السؤال عن الحيوان الذي سجله، ويقوم بطلب الضريبة عليه أيضًا .

ومثال كوندالوس Kondalus هذا يوضح أن المرزبان أو حاكم الولاية الفارسية نجده يحصل هو ورجاله على الهدايا والهبات بشكل جزئي من خلال دوريات تخصص للمدينة، ولكن هذه الهدايا تعتبر رشاوى وسرقات من الناس حتى يتقي الناس شرهم ولا يطالبونهم بمزيد من الضريبة .

والألقاب الملكية ذاتها تضمنت أوجه استفادة مادية كثيرة، وأولاً وقبل كل شيء، فإن الفرد الذي يصبح واحدًا من الدائرة الخاصة المقربة، تكون لديه الفرصة أن يقترب من الملك، وبالتالي فإنه يغدق بالهدايا والهبات، وهذا يشرح ويفسر قول زينوفون (Xenophon) (المؤرخ) حول جاداتس Gadatas وهو رئيس حاملي الصولجان في قصر قورش (Cyrus) ، حيث يقول زينوفون (Xenophon) عن جاداتس Gadates نتيجة خدماته، فإن جاداتس قد حصل على العديد من هداياه القيمة من قورش (Cyrus) ذاته، ومن تأثير قورش (Cyrus) على الآخرين أيضًا، نجده

قد حصل منهم على الهدايا والهبات وبعض المرافقين الذين كانوا يصحبون الملك العظيم لم يترددوا في الاستفادة من أنشطتهم، على سبيل المثال ساتي بارزانيس Satibarzanes كان المهجعي (المسؤول عن حجرة نوم (الملك) في فترة أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني، والذي تمت معاقبته على أفشاء سر الملك إيفاجوراس Evagoras ، ونحن أيضًا نعرف أن القضاة الملكيين كان يحكم عليهم بالإعدام إذا أصدروا قرارات غير عادلة نتيجة حصولهم على رشاوى .

والطاولة الملكية (بالمعنى الإداري) ترمز إلى القوة المادية والواقعية (للسيطرة) والخاصة بالملك الإغريقي، كانت هي موقع إعادة التوزيع (وذلك عندما يتم دعوة شخص إلى تناول وجبة مع الملك، وأيضًا عند تقسيم أقاليم المملكة، حيث نجد أن زينوفون (Xenophon) يعود بنا إلى هذه الأوقات حيث يقول على أساس رؤيته حول قورش (Cyrus) :

لقد أدرك قورش (Cyrus) منذ البداية أنه ليس هناك أي لطف أو طيبة يستطيع الرجل أن يظهرها إلى غيره وذلك بالقدر نفسه من النفقات التي ينفقها، وهو الشيء الذي يكون مقبولاً أكثر من المشاركة في الطعام والشراب معهم، ومن خلال هذا المفهوم، نجد أنه في البداية ومنذ ترتيباته الأولى، يجب أن يكون هناك مكان على طاولته الخاصة به، وذلك لكمية من الطعام التي تكون كافية لعدد كبير من الناس، وهم الذين يقدمون الخدمات له فيما عدا ما سوف يستهلكه الملك هو وصحبته وأصدقاؤه على الطاولة وهو سوف يقوم بتوزيع الهدايا والهبات عليهم ويرسل إليهم الأماني الحسنة، ويقوم بذلك من أجل تشريف هؤلاء الأشخاص ويرسل الهدايا لأصدقائه ورجاله المقربين حتى يذكرهم بتكريمه وتقديره لهم.

وهذه أيضًا كانت واحدة من الخصائص التي أدركها زينوفون (Xenophon)في قورش (Cyrus) الأصغر، والذي كان عندما يحصل على

بعض النبيذ بشكل خاص، فإنه غالبًا ما كان يرسل البطرمان نصف الممتلئ إلى صديقه، ومرة أخرى نجد أن زينوفون (Xenophon) يقول إن التعليمات نفسها كان يتم إعطاؤها إلى المرزبان (حاكم الولاية) عندما يقول: اجعل طاولة طعامه مثل طاولتي، عليك أولاً أن تطعم سيدك وأن تدعو أصدقائك لمشاركتك الطعام، وأن تفرق كل يوم بين الأشخاص الذين يقومون بعمل التصرفات النبيلة .

(ويقول نيهيميا Nehemiah ويخبرنا بأن طاولة الحاكم في جودا Judah كانت تسع مائة وخمسون رجلاً كل يوم من اليهود والموظفين)، ولا يتم ذكر أولئك الذين كانوا يأتون من الدول المجاورة .

وهذه الأشياء التي يتم توزيعها ذات أهمية، وكل شخص يعرف الوصف الشهير لها ومعناها وتقديرها.

وفي العام الثالث من حكمه، نجد أن أهاسيروس Ahasuerus قد قدم مأدبة في قصره، وذلك لكل مديرية ووزارة ورؤساء وقادة الجيش الخاص بفارس وميديا Media والنبلاء والحاكمين أو حكام الأقاليم، ومن ثم فإنه يعرض أشكال الثراء والبهاء الخاص بإمبراطوريته وأمجاده لمدة طويلة .

وعندما مرت هذه الفترة ولمدة سبعة أيام، قام الملك بتقديم مأدبة لكل الناس الذين يعيشون في قلعة صوصا Susa وكانت هناك معلقات بيضاء مثبتة بشكل قوي وتم تثبيتها في أجزاء ومقاطع ذات دوبارة بنفسجية وتعليقها على أعمدة من الرخام ومحلاة بالذهب والفضة، وبالإضافة إلى الأحجار الكريمة الغالية، وبالنسبة للشراب، كانت هناك أكواب من الفضة ذات تصميمات مختلفة، وهناك نبيذ ملكي كثير، وذلك طبقًا لرغبة الملك وحسب أوامره، فإن الشراب لم يكن إلزاميًا وضروريًا، ويعطي أوامره لموظفيه بحسن التعامل مع ضيوفه، وذلك حسب رغبة كل ضيف، ويبدو من غير المنصف أن نكون نتيجة حول ذلك من أن هذا مجرد (أسطورة شرقية) ومع ذلك، فإنه طبقًا لديتون وستيسياس، فإن

عدد الرجال أو الأشخاص الذين خدموا على طاولة الملك العظيم يوميًا قد يصل عددهم إلى خمسة عشر ألفًا، وهذا الرقم غير مدهش فقد كان سارجون Sargon يتفاخر بإطعام حوالي خمسة آلاف وأربعمائة رجل يوميًا وآشوربانيبال Assurpanipalالثاني قد سجل أنه قدم مأدبة طعام عليها العديد من عشرات الآلاف من الناس الذين يأخذون أماكنهم، وعدد 574.69 وذلك لمدة عشرة أيام وخمسة آلاف من أكرم الرجال من الدول والأقاليم التي استطاعوا أن يهزموها ويأسروا منها الرجال وحوالي ستة عشر ألف رجل من أماكن غير معروفة، وحوالي ألف وخمسمائة من الضباط، وحوالي 47074 من الرجال والإناث العاملين الذين كانوا يساعدون في بناء العاصمة الجديدة .

وبشكل واضح فإن كل الناس الذين يتم إطعامهم لا يجدون مكانًا على الطاولة الملكية، حيث إنه طبقًا لهيراقليدس Heracledes نجد أن الجزء والسواد الأعظم من هذه الوجبات والأطعمة الأخرى تكون مأخوذة إلى الفناء الخاص بالقصر، حيث يتم توزيعها على أساس قطع من اللحم والخبز، ويتم تقسيمها بشكل متساوٍ بين الناس، وأيضًا بين الجنود الذين كانوا يعملون على حراسة الملك والقصر .

وعلى الجانب الآخر من هذه الوجبات التي يتم توزيعها على الجنود، والتي يعتبرها هيراقليدس Heracledes جزءًا من المبالغ التي يتم دفعها إليهم وجزءًا من رواتبهم، فإن الأطباق كان يتم إرسالها إلى الأشخاص الذين يرغب الملك في تشريفهم وتوقيرهم مثل تيماجوراس Timagoras ، ولا نغفل الاحتفال الذي تم عمله من أجله وعلى شرفه في القصر، والذي كان احتفالاً ملكيًا ورائعًا، ويقول أنتيموس Entimus إن (بعض الطعام الذي يتم تقديمه إلى الملك يكون مرسلاً من طاولة الطعام)، والقيمة الاقتصادية لمثل هذه التوزيعات موضح جيدًا في القصة التي يرويها هيرودوت (Herodotus) .

ومع الطعام الذي كان يتم تقديمه على الطاولة، يجب أن تكون كل أدوات المائدة أيضًا مقدمة، مثل الأكواب والأطباق، وأيضًا طاقم خدمة الطاولة، وهذا التفكير كان موجودًا أيضًا في العصر الهليني Hellenistic ، ويسجل بوس داينوس Posdayniuse أنه مع ختام كل مأدبة عظيمة يتم تقديمها يوميًا بواسطة الملك أنتيكوس السابع Antiochus VII فإن كل الأشخاص الموجودين في الاحتفال يمكنهم أن يحملوا إلى المنزل اللحم النيء من حيوانات وطيور وكائنات بحرية ويملأون عرباتهم، وبعد كل ذلك يتم تقديم كميات من الحلوى العسلية، وغير ذلك من الحلويات والأطعمة التي يتم تناولها بعد الطعام.

وضمن الهدايا والهبات التي يتم منحها بواسطة الملك أرتكسركسيس Artaxerxesللسفير الأثيني تيماجوراس، حسب ما يذكره بلوتارخ كالتالي: (ولأن تيماجوراس كان يحتاج إلى لبن الأبقار في صحبته، فإنه تم إرسال ثمانون بقرة معه حتى يتسنى له الحصول على لبنها).

وهناك عدد من الأقراص التي تشير إلى نوعية ومستوى الطعام، وليست فقط للعاملين، ولكن أيضًا من أجل الإداريين والمناصب العليا الأخرى وذلك في قصر الملك وفي خدمته، وحسب أوامر الملك يكون هناك مؤن وطعام يومي ويتم توفيره بواسطة الإدارة، ودراسة مثل هذه الأقراص يوضح أيضًا أنه كان هناك هيكل وتسلسل من الهدايا، وذلك حسب القيمة الاقتصادية لها، وهذا الأسلوب قد تمت وراثته من الممالك الشرقية القريبة، حيث نجد أن (السيد لم يكن يأكل منفردًا، ولم تكن وجبته فقط من أجل إطعامه، فإنه يحتاج إلى أن يشاركه الطعام أي من الآخرين وهو يحافظ على طاولته مليئة بالآخرين من رجاله وقواته وشعبه.

2- التبادل غير المتساوي:

الهدايا والخدمات:

إن المبدأ كان بسيطًا والقاعدة واضحة، وهي أن الهدايا والهبات يتم منحها بواسطة الملك لأولئك الأشخاص نتيجة تقديمهم خدمات له وولائهم.

وهذه الحقيقة، تم التعبير عنها في كل النصوص (ففي فارس، كانت أية خدمة خاصة يتم تقديمها للملك يتم اعتبارها ذات قيمة عالية مهما كانت متواضعة) طبقًا لكلام هيرودوت (Herodotus) ، والتنوع الخاص بهذه الخدمات كان واسعًا جدًّا، من أجل الحفاظ على روح الملك وحياته أو أيٍ من أقاربه، وبشكل عام، إبداء الشجاعة في الحرب والدفاع حتى الموت عن القلعة الخاصة بالملك وقصره، وأيضًا القيام بإنجاز عمل رائع ومدهش في وجود الملك وغير ذلك، وباختصار ومع تكرار الصياغة التي قدمها لنا زينوفون (Xenophon) وقال فيها: (إذا قام شخص في الأزمان الغابرة بالمخاطرة بحياته من أجل الملك، أو قام أي شخص بالمساعدة في خضوع الأمة للملك، أو قام بعمل أي شيء آخر يكون جيدًا ويسبب المجد للملك، فإنه يحصل على الشرف والتكريم)، و(زينوفون (Xenophon))يعتقد ويتظاهر بأن ذلك ربما قد انتهى مع وجود بعض التصرفات التي يمكن مدحها مثل قيام أي شخص بالإتيان بأي من المميزات والأشياء الجيدة للملك بواسطة تصرف شرير) فمثل أولئك موجودين الآن في مناصب رفيعة ويحصلون على الشرف والتكريم، نجد أفعالهم الشريرة هذه انقلبت عليهم الآن .

ومع تقديم هذه الجوائز والشرف، فإن الملك كان يستهدف الحصول على الولاء من الذين يقومون بخدمته، وبالنسبة لزينوفون (Xenophon)، إذا كان هناك العديد من الرجال الذين كانوا أوفياء للملك

قورش (Cyrus) الأصغر فذلك لأنهم ربما اعتقدوا وآمنوا بأنهم لو تفانوا في خدمة قورش (Cyrus) بمنتهى الإخلاص فإنهم سوف يستحقون التقدير من قورش (Cyrus) أكثر من الملك)، فمن وجهة نظره (زينوفون (Xenophon))نجده يعتقد أن توزيع الهدايا والهبات لم يكن أكثر أو أقل من استثمار للربح، حيث يذكر زينوفون (Xenophon)كلام قورش (Cyrus) إلى كروس Croesus حين قال: (إنني أرضي احتياجات ومتطلبات أصدقائي، وعندما أقوم بإثرائهم وجعلهم عطوفين وطيبين فإنني أكسب وأحصل على صداقتهم وولائهم، وبذلك فإنني أستطيع تحقيق أغراض في حصولي على الأمن والشهرة الواسعة، والوعد بتقديم الجائزة أو الهدية كان بالفعل حافزًا كبيراً أثناء إعداد وبناء الجيش الضخم للملك كسركسيس (Xerxes) على مدى خمس سنوات على سبيل المثال: (كل نبلاء فارس الذي حضروا المؤتمر مع الملك هرولوا إلى أقاليمهم، وكل واحد منهم يتمنى أن يحصل على جائزة ومكافأة كسركسيس (Xerxes) التي قدمها، ولم يقدم أي أحد أية شكوى طوال إعداد هذا الجيش، حيث حصل المسؤولون وحكام الأقاليم على جائزة الملك لقيامهم بالعمل بشكل جيد).

وهذا الحديث طبقًا لهيرودوت(Herodotus) : والفرس غالبًا ما كانوا يقومون بموازنة أفعالهم مقابل التوقعات ملكية المعنى بالحصول على المكافأة على قدر الخدمة .

تقييم الخدمات:

إن تحقيق العدالة، بالنسبة للملك، جاء من أجل تحقيق التوازن بين من يعمل عملاً حسنًا وبين تلك التصرفات الشريرة الأخرى، وكان ذلك هو أساس وقاعدة الملكية، حيث يقول هيرودوت (Herodotus) إن دارا (Darius) توصل إلى النتيجة التي تقول بأن الخدمات المقدمة للقصر الملكي وللملك يجب أن يتم أداؤها بحكمة وبشكل جيد وبدون

تصرفات وأعمال شريرة) وبالفعل، كانت هناك حقيقة أخرى هي أن الملك لا يستطيع بنفسه أن يحكم على شخص بالإعدام، وذلك نتيجة اقترافه لإثم واحد، وإنما من خلال تكرار هذا الخطأ والإثم، والقيام بعمل توازن بين أعماله الحسنة وآثامه وخطاياه ومن ثم الحكم عليه .

وهذا هو الأسلوب التي قام ديوروس Drodorus بتصويره أثناء محاولة تريبازس Tribazus ، والذي قام أورونتس Orontes باتهامه بمحاولة عمل انقلاب وإثارة الفتن، وفور علم الملك بذلك لم يقم بالحكم عليه بالموت وإنما جمع القضاة الملكيين وطلب منهم النظر في أمره، وبالفعل قرر القضاة أنه برئ، وفي نهاية المحاكمة، التقى الملك بكل قاضٍ على حدة، حيث قدم القاضي الأول والقاضي الثاني والقاضي الثالث أدلة حكمهم عليه بالبراءة وعدم إدانته، وهو ما اقتنع به الملك، وقام بمدحهم على هذه الكياسة، ثم قام بتعويض تريبازس Tiribazusبمزيد من التشريف والتكريم من قبل هذا الاتهام.

ومثل تريبازس Trebazus ليوضح بشكل جلي أن الملك دائمًا ما يبقى متحكمًا وعلى دراية بكل الأمور، ومن الضروري القول بأن العمل البطولي أو الفدائي الذي يتم القيام به بواسطة أي شخص يتم استحسانه من جانب الملك ويكون على علم به، وهذا هو السبب وراء قيام كل الأقاليم والولايات التابعة للدولة وحرصها على إخبار أنفسهم بأغراض واهتمامات ونوايا الملك حتى يتم التصرف على أساسها؛ لأنه سوف يعلم ما يفعلون ولم يفشل كل من كوس Coes أو زابيروس Zapyrus في القيام بذلك، وقبيل المحاولة للقيام بالعمل البطولي ضد بابليون نجد أن زابيروس (Zapyrus ذهب إلى دارا (Darius) وسأله إذا كان ذلك يتوافق مع رغبته وفي أن يتم الاستيلاء على بابليون)، وأيضًا كوس Coes قبل أن يعرض ويقدم اقتراحاته نجده قد قام بتحديد ومعرفة رأي الملك واتجاهاته، وما إذا كان سوف يكون سعيدًا بمعرفة هذه الاقتراحات أم لا.

ويقدم لنا آليان Aelian هذا التقليد والأسلوب الفارسي والذي ليس هناك شك في شرحه وتفسيره حيث يقول: (وكان هناك تقليد وعادة فارسية أخرى، فإذا كان هناك أي شخص على وشك أن يقوم بتقديم نصيحة للملك حول سر من الأسرار أو موضوع صعب فإنه يقوم بالوقوف على حجر ذهبي، وإذا كان اقتراحه وافتراضه ذو جدوى وأهمية، فإنه يأخذ هذا الحجر الذهبي معه كهدية ومكافأة بعد تقديم نصيحته ويغادر به).

ومع قيام إيليان Alien بذكر ذلك بمنتهى الوضوح، فإنه كان حقيقيًّا، أن يقبل الملك أولاً بعض العروض والاقتراحات التي يقدمها العوام من الناس والمزارعون في فارس، ولكن كان يتم إعطاؤهم بعض الهدايا، وذلك على أساس معاملة الملك لهم والزى الفارسي والفنجان الذهبي وآلاف العملات (دارا (Darius))بواسطة الملك أرتاكسركسيس Artaxerxes ، بينما قام الملك كسركسيس (Xerxes)بتشريف الجنود بلقب (المحسن).

الهدايا ذات الجنوط والأسلاك:

نستطيع أن نقول إن الأشخاص الذين يحصلون على استحسان الملك هم الذين قدموا خدماتهم بشكل سابق، وهذا نراه واضحًا من خلال مثال ساليسون Sylosonوهو ما سجله هيرودوت (Herodotus) ، حيث يقول إنه أثناء الرحلة الاستكشافية لمصر بواسطة قمبيز Cambyses ، نجد أن ساليسون اليوناني، قام بتقديم عباءة بنفسجية للملك دارا (Darius) وبعد ذهاب دارا (Darius) ، نجد أن ساليسون تمنى أن يستفيد من هذه الهدية التي قدمها للملك وقام بتذكيره بهذه الهدايا العديدة، وقال لدارا (Darius) بأنه كان واحدًا من المحسنين، ومع ذلك فإنه لم يكن هناك أي شخص يجرؤ على أن يطلب هدية ملكية كمقابل لخدمة قدمها مثلاً للملك، وهذا هو الجانب الأخلاقي في قصة بيثوث Pythius حيث نجد إنه أثناء مرور دارا (Darius) عبر إقليم آسيا في 513، نجد أن هذا الرجل الثري (بيثون) قام

بالفعل بتقديم هدايا رائعة للملك (كما يروي هيرودوت (Herodotus))ومع وصول كسركسيس (Xerxes) في عام 480، نجده قد قام بمعاملة الجيش كله بمنتهى الكرامة والشرف وقدم للملك المبالغ الكافية والطائلة من أجل إنجاح الحرب (بيثوث هو الذي قدم الأموال وعامل الجيش بكرامة) .

ويأتي هنا التقدير الملكي لهذه الأفعال الجليلة، حيث يقوم الملك بمكافأة بيثوث على كرمه هذا وحسن أخلاقه، ويجعله في فريق صديق الملك الشخصي، بالإضافة إلى ذلك فإن الملك يعطيك من ماله الخاص سبعة آلاف دارا (Darius) ، والتي سوف تكون لازمة ومطلوبة لبناء ثروتك حتى تصل إلى أربعة ملايين دارا (Darius)، وعليك إذن أن تستمر يا بيثوث في ما تفعله وما قد قمت به وحصلت عليه ولتبقى دائمًا حكيمًا ولن تندم أبدًا على ذلك الآن أو بعد ذلك، ولكن بيثوث أخطأ عندما أخذ هذه الكلمات واعتبرها اتفاقًا رسميًّا على أن الملك سوف يعطيه أي شيء يتمناه، وبعد فترة بسيطة لاحقة نجده خرج باحثًا عن كسركسيس (Xerxes) وهو حامل لكل الهدايا التي حصل عليها، وطلب منه أن يحصل على هبة ملكية أخرى، ووعده كسركسيس (Xerxes) بأن يحصل على هذه الهدية ويعطيه إياها، ثم طلب بيثوث من الملك أن يعفي أحد أبنائه من الخدمة العسكرية، ونتيجة مفاجأة الملك بمثل هذا الطلب غير المتوقع، نجد أن كسركسيس (Xerxes) يقوم بإعطاء أوامره بالتضحية وتقديم أحد أبناء بيثوث كقربان وذلك تحت ظروف عامة ومرئى ومسمع من الجميع .

وعلى الجانب الآخر، فإن الخدمات التي يتم تقديمها لشخص الملك من الناس لا تقيد يديه أمام هذا الشخص المانح ويكون لديه الحرية في تحديد وقت وكيان الهدية التي سوف يتم منحها لهذا الشخص مقابل الخدمة .

وهنـاك مثـال آخـر وهـو القـدر الـذي لم ينسـه أرتاكسركسـيس الثـاني

والخاص باثنين من المحاربين في معركة كوناكا Cunaxa ليقوم واحد منهما والذي ترجل أثناء المعركة وحارب بدون حصان، ويقوم الملك بإعطائه هدية والتي لم تعجبه وشعر بعدم تقدير الملك له بالشكل الكافي وأصبح متضايقًا من ذلك، وهو الشيء الذي أثار حنق الملك وأمر بأن يقتل، والشيء نفسه حدث للثاني وهو ميثرادتس Mithradates الذي جرح وأصيب في المعركة)، وقام الملك بإعطائه الهدايا الملكية (وهو الزي الملكي والحلي الذهبية)، وقيل له (إن الملك قد قام بتشريفك وتكريمك بهذه الهدايا وذلك نظير ما فعلته وحضوررك رحلات الصيد بالخيل مع قورش (Cyrus) ، وهو ما كان له رد فعل عكسي لدى ميثراوكس الذي أصبح متضايقًا، وقام في إحدى المآدب بالتفاخر بأنه قام بقتل قورش (Cyrus) بيديه المجردتين وهو الآن قد تمت إدانته والقيام بتعذيبه بشكل رهيب بسبب أفكاره هذه .

ونحن الآن لسنا بصدد تحديد إذا ما كانت الهدايا يتم تبادلها بشكل متساوٍ حيث إنه (هناك علاقة وظيفية بين الهدية والاستجابة، حيث إن الهدية تعتبر عاملاً واحدًا من عوامل نظام الثواب، وحرية الهدية تقوم بإلزام مستلمها بالرضا والقناعة وبأن الأساس هو معناها ومدلولها وليست قيمتها، بالإضافة إلى هدايا التعويض الأخرى التي يتم تقديمها للأشخاص الذين يفقدون أشياء أو يضحون بأشياء) والمبدأ الأخميني هو أن الملك يعطي الهدايا الملكية فقط والتي بموجبها تكون هناك التزامات تقع على عاتق مستلمها).

ولكن طبقًا لهذا النظام، فإن الهدايا والهبات الملكية التي تخص الملك العظيم هي واحدة من عناصر قوته وسيطرته، وذلك بمعنى أن الخدمات التي يتم تقديمها للملك والهدايا التي يتم إعطاؤها لا تلزم الملك بأي شيء، إلا أنها في الوقت ذاته تلزم من يحصل عليها بأن يتصرف بأسلوب معقول وشكل خاص نتيجة حصوله على هذا الشرف

والتكريم والهدايا أو اللقب، وبدون شك فإن ذلك كان هو مصدر تردد ديموسيدس Democedes ، فهو قد رفض في البداية أن يقوم بمساعدة ومعاونة الملك، حتى إن هيرودوت (Herodotus) يقول: (إنني نفسي لم أصدق أن دافع دارا Dariusلم يكن أي شيء إلا العبقرية والاستقامة (فهو أيضًا لاحظ أن ديموسيدس لم يكن يقبل أي شيء يعطيه دارا (Darius) له، وهو مرحب به وفاتح ذراعيه؛ وذلك لأنه يعلم جيدًا أنه بقبول مثل هذه الهدايا سوف يلزمه بالعودة إلى مقر الملك العظيم وإلزامه بأشياء أخرى وهو الشيء الذي لم يكن في نيته، وبالنسبة لديموسيدس فإن استلام هذه البضائع والهدايا والألقاب مثل (رفيق الطاولة) يعني التعهد التام للملك العظيم وموافقته على كل شيء، والمبدأ نفسه كان هو السائد في العلاقة بين الإسكندر Alexander والفوسيون الأثيني Phocian ، حيث نجد أن فوسيون قد استجاب إلى عرض الإسكندر وهو كاره له (حيث إن الإسكندر لم يكن مسرورًا من ذلك، وقام بالكتابة إليه قائلاً له إنه لن يقوم بتقدير أصدقائه الذين لم يلتزموا ويكونوا متعهدين بخدمته) وفي حالة أخرى، نجد من الواضح أنه عندما قام دارا (Darius) بدعوة هيستاسيوس Histiaeus إلى صوصا Susa ليكون مستشاره ورفيق طاولته، لم يعطه أي خيار في هذا الموضوع (وهو ما ذكره هيرودوت (Herodotus)) .

ويبدو أن هناك حالتين تشيران إلى هذه القاعدة، حيث يقول هيرودوت (Herodotus) إنه مرة كل عام يكون هناك ما يطلق عليه (الوجبة الملكية)، ويقول إنها هي المناسبة الوحيدة في العام التي يغسل فيها الملك رأسه ويقوم بإعطاء الهدايا للفرس، وهذه التفاصيل التي ذكرها هيرودوت (Herodotus)ربما تثير بعض المشكلات، حيث إنه يمكن مقارنتها بالقطع العديدة المكتوبة بواسطة زينوفون (Xenophon) والتي يذكر فيها أنه في كل وقت يأتي منه قورش (Cyrus) إلى فارس، فإنه يقوم بإعطاء الهدايا المعتادة

فيما بين الفرس، وبشكل محدد فنحن نعرف ذلك من خلال اى فتره كان يقضيها في برسبوليس Persipolis ، فالملك العظيم أعطى قطعة ذهبية إلى سيدات برسيا أو فارس وذلك كتذكار عن الدور الذي لعبنه أثناء المواجهة الأولي مع الميديين Medes ، ولكن الملحوظة الخاصة بهيرودوت (Herodotus) ربما تكون مشروحة وتم تفسيرها بشكل فرض يحقق لدينا الرضا بواسطة التفاصيل التالية) إن قانون الوصية يتطلب ألا يتم رفض أي طلب في هذا اليوم).

والعادة أيضًا تطلبت، أنه يكون في يوم الاعتراف الرسمي (يظهر الوريث ويقوم بطلب هدية أو هبة، وأن من يعطيه هذه الهدية سوف تتم الاستجابة لأي مطلب له بشرط أن يكون طلبه في مقدوره وفي حدود سلطاته)، وباقي القصة يؤكد على ضرورة أن يكون الطلب في مقدوره وسلطاته).

والابن الأكبر لأرتاكسركسيس مادوريس، نجده طلب يد أسباسيا Aspasia وهي رفيقة قورش (Cyrus) الصغيرة، وبالفعل أعطاها إياها) ولكن بعد ذلك تم أخذها منه .

الهدية والاستحسان المشكوك فيه:

إن وضع المستلمين لهذه الهدايا ومكانتهم هو بالتأكيد غير مستقر وغير ثابت؛ وذلك لأن الهدايا الملكية والاستحسان هو طبيعة غير مستقرة، والحديث عن أماكن ومواضع التكريم والتشريف في المآدب التي يقوم بها قورش (Cyrus) لمن يفضلونهم هي حقيقة يثبتها زينوفون (Xenophon) ، وذلك بدون رياء أو محاباة حيث يقول زينوفون (Xenophon) (إن قورش (Cyrus) لم يقم مع ذلك بتحديد وتخصيص المكان الدائم، ولكنه جعل وقام بعمل قاعدة بأن من يفعل أي عمل جيد يستحسن الملك فإنه سوف يتقدم في مقعده من مكان إلى مكان أقرب

بجوار الملك ومن لم يتصرف بهذه الطريقة ولم يتحكم في نفسه وتصرفاته فإن ذلك سوف ينعكس على درجة تشريفه وتكريمه، والمؤلف نفسه يعود إلى هذه الفكرة عندما يقول بالرغم من أن الملك يقوم بتشريف وتكريم الأشخاص الذين يستحقون ذلك، فإن الجنود أو الضباط والعاملين الذين يهملون في أعمالهم أو يقومون بأعمال وتصرفات غير مناسبة، فإنه يقوم بمعاقبتهم بشدة ويقوم بتعيين غيرهم في مكانهم للقيام بأعمالهم.

ومهما كانت طبيعة وحجم الهدية والشرف الذي يحصل عليها الشخص، فإنه يمكن أن يتم الاحتفاظ بهم فقط إذا استمر الملك في وضعهم واعتبارهم في مكانة عليا، وذلك إما من خلال لقب ملكي أو هدية أو عبارة عن قطعة أرض أو غير ذلك، ودعنا الآن نأخذ حالة هستاس Histiaeus ، حيث إنه نتيجة الخدمات التي قدمها أثناء رحلة دارا (Darius) الاستكشافية فيما وراء الدانوب Danube، نجده قد حصل على إقليم ميركينوس Myrcinus في Thrace وذلك من الملك (لأنه تمنى أن توجد مدينة هناك) ولكن لاحقًا، قام ميجابازوس Megabazus بتحريض دارا (Darius) أنه من الخطر أن يتم منح هستاسيوس Histiaeus هذا الإقليم بكل هذه المناجم الفضية، وكل تلك الأخشاب الموجودة في غاباته لبناء السفن واستطاع دارا (Darius) أن يستدعي هستاسيوس Histiaeus إلى صوصا Susa وأعطاه الأول (دارا) أحترامه في أن يصبح واحدًا من أصدقائه المقربين، وقام هستاسيوس بطاعة الأوامر الملكية واستطاع أن يكون مستشارًا الملك .

والمثال المحدد والخاص بهستاسيوس هو مجرد توضيح للأسلوب والتطبيق العام والأراضي التي يتم تقديمها كهبات تحمل في طياتها لقبًا غير آمن ومستقر وليس لقب ملكية خاصة بالمعنى الكامل للعبارة، حيث إنه يمكن تجريدهم منه وذلك إذا قاموا بعدم إطاعة الأوامر الملكية .

والشيء نفسه بالتأكيد كان صحيحًا للألقاب الملكية، وأيضًا هدايا

التشريف والتكريم، وبعض الأشياء والألقاب التي يحصل عليها الأشخاص من الملك العظيم تعطيهم الفرص لاستخدام حاجات الملك وبعض أدواته مثل استخدام فناجين الفخار وأيضًا الأواني الذهبية والفضية التي تكون مخصصة للملك وزملائه أو رفاق طاولته، حتى عندما يتم منح هذه الهدايا والهبات والألقاب للشخص المحسن مدى الحياة، أو عندما تكون قابلة للانتقال إلى ورثته فإن ذلك يعتمد بالتأكيد على الخدمات التي يتم تقديمها للملك في المستقبل وإظهار الولاء والطاعة والمساعدة باستمرار).

وهناك العديد من الأمثلة التي تخص حياة بعض العائلات مثل حالة ميجابيزوس الثاني Megabyzus فهو كان من أفراد أحد العائلات الكبيرة، وكان والده زوبيروس Zopyrus الأول، واحدًا من أكثر الرجال تأثيرًا حول كسركسيس (Xerxes)والذي تزوج من ابنة كسركسيس (Xerxes) وهي الأميرة أميتيز Amytis وفي الرحلة الاستكشافية في عام 840، نجده يقود إحدى الفرق الثلاثة للجيش (أي يكون على رأس إحدى هذه الفرق)، وعندما عادت الرحلة الاستكشافية في عام 479، نجده قام بإخماد الثورة التي كانت في بابليونا Babylonia ومقابل ذلك قام كسركسيس (Xerxes) بإعطائه العديد من الهدايا خصوصًا كومة من الذهب لا تقدر بثمن، وهذه الهدية كانت من بين أفضل الهدايا الملكية التي يتم منحها وإعطائها على الإطلاق .

فقد لعب دورًا مهمًا جدًا أثناء مسيرة أرتاكسركسيس، ثم استطاع بعد ذلك الانتصار على الأثينيين والمصريين في مصر، وبالرغم من وعود ميجابيزوس، إلا أن الملك سمح لأميستريس Amestris بأن يقتل المرتزقة اليونانيين، وهو الشيء الذي أزعج ميجابيزوس وجعله متضايقًا ونقض عهده مع الملك، وقد قام ميجابيزوس بالعديد من الانتصارات على الجيوش التي كان يتم إرسالها لمحاربته بعد ذلك، وقبل حصوله على

العفو الملكي، وأصبح ميجابيزوس بعد ذلك هو المشهور في رحلات الصيد التي يقوم بها الملك كما يحكى: لقد ذهب الملك في رحلة صيد وهاجمه أسد وبمجرد أن قام الوحش بالقفز على الملك نجد أن ميجابيزوس قام بضربه قبل أن يلمس الملك وطرحه أرضًا، ولكن الملك كان غاضبًا لأن ميجابيزوس قد ضرب الوحش قبل أن يلمسه الملك بنفسه، وأمر بقتل وقطع رقبة ميجابيزوس ولكن مع توسلات كل من أمستريس Amestris ، وأميتيز Amytis وغيرهم واستطاع ميجابيزوس أن يهرب ويفلت من الموت بنفسه إلى الشاطئ الآخر من البحر الأحمر (خليج فارس) .

وبعد خمس سنوات يعود ميجابيزوس) ويشكر كلاً من أمستريس وأميتيز وسمح الملك له بأن يكون رفيق طاولته، وتوفي وعمره سبعون عامًا، وكان الملك حزينًا عليه، ومثال آخر هو حياة داتاميس Datames وقصته التي كانت في القرن الرابع، بعد انتصاره على (تيس Thuys)تمت مكافأته بالهدايا الرائعة وأصبحت له صلاحيات وسلطات كل من فلرنابوز Pharnabazus وتيثروست Tithraustوسرعة انتصار داتيميز Datames في كاتونيا Catonia جعلته يحصل على التشريف الكبير والاحترام الشديد من جانب الملك أرتاكسركسيس، لدرجة أن ذلك أثار حنق غيره ممن هم حول الملك وتآمروا على أن يقوموا بتدميره، وقد تم تحذيره من حدوث مؤامرة ضده بواسطة باندانتيس Pandantes الذي كان هو حارس الثروة والخزانة الملكية وهو الذي قام بتحذير داتاميس من أن الملوك لديهم عادة وهي إلحاق المصائب بأولئك الرجال الذين يكونون على مقربة منهم ويقومون بسهولة بتدميرهم إذا أظهروا أية قابلية للهزيمة، وبالتالي دخلت المؤامرة والخديعة والخيانة وبالتالي كانت النهاية).

وأيضًا مثال تريبازوس Tiribazus الذي تعتبر قصة حياته من الأمثلة المضيئة، فهو في البداية قد ظهر في معركة كوناكا Cunaxa ، وكان هو

الذي نصح أرتاكسركسيس Artaxerexes بأن يقوم بقتال قورش (Cyrus) الأصغر، وكان الرجل الذي قدم حصانًا آخر إلى الملك في أثناء المعركة بعد أن تم إلغاؤه وطرحه أيضًا من على حصانه، وبعد ذلك بوقت قصير، نجد أن زينوفون (Xenophon)يشير إليه على أنه حاكم أرمينيا الغربية، ولكن ربما يكون قد حصل على هذا المنصب في وقت مبكر، أو بشكل أكثر احتمالاً، المنصب غير العادي الذي حصل عليه كان ناتجًا عن أسلوبه وسلوكه وما فعله في معركة كوناكا Conaxaفهو قد برهن بنفسه على أنه صديق للملك، ونتيجة لذلك كان هو الرجل الوحيد الذي يستطيع أن يساعد الملك في ركوب الحصان، وتقريبًا في عام 392، أصبح هو القائد المسؤول عن الجيوش الفارسية في آسيا وعندما تولى هذا المنصب وهذا الدور، استطاع أن يبرم اتفاقًا معهم، أو أن يتفاوض معهم، وذلك بدون موافقة الملك، وفي عام 387 عندما تقابل اليونانيون معهم في صوصا Susa ، نجده هو الذي قرأ المرسوم الملكي).

ويظهر مرة أخرى في قبرص Cyprus وذلك عندما يأمر كل القوات الفارسية بمهاجمة والتصدي لإيفاجوراس Evagoras ، وبعد ذلك تم اتهامه بواسطة أرونتس Orantes(وهو الذي كان غيورًا بسبب شهرته وذيوع صيته (ذيوع صيت تيريبازوس (Tiribazus وقام أورونتس بإرسال خطاب إلى الملك يتهم فيه تيريبازوس، ويأخذ الملك هذا الخطاب على محمل الجد ويقوم بإلقاء القبض على تيريبازوس، وطبقًا لديودوروس Diodoros فإن تيريبازوس بقي في السجن حتى عودة أرتاكسركسيس الثاني وذلك في رحلته الاستكشافية، حيث أقام الكادوسيون Cadusians(أهل كادوسيا) بينما نجد أن بلوتارخ Plutarch على الجانب الآخر يعطي انطباعًا بأن تيريبازوس قد صحب الملك، ولكن وبدون شك، بسبب التهم الموجهة ضده فقد كان في هذا الوقت في وضع حرج ولا يتم توقيره أو حتى الاهتمام به، وكان يتم إهماله، بينما نجد أن مهاراته الدبلوماسية جعلته

يستعيد مكانته، وفي هذا الوقت يبدو من الواضح أن المحاكمة قد عقدت له جراء التهم التي كانت موجهة ضده، ورفع القضاة عنه هذه التهم، وذلك بسبب الخدمات الأولى السابقة التي قدمها تيريبازوس للملك، وبعد ذلك أغدق عليه أرتاكسركسيس Artexerexes بالعديد من التكريم والشرف كما كان معتادًا عليه في فارس .

ومن بين خدماته السابقة، استطاع تيريبازوس أن يؤكد أنه هو الذي استطاع أن ينال إعجاب الملك، باعتباره هو الصديق الأول له، حيث إنه أثناء رحلة صيد مع الملك قفز أسدان تجاه الملك وهو في عربته وقاموا بالفتك باثنين من الخيول وهم على وشك الفتك بالملك، عندما ظهر تيريبازوس وقام بقتل الأسدين، وبالتالي فقد قام بحماية الملك من خطر عظيم كان سوف يحدث له، بينما نجد أن بلوتارخ Plutarch على الجانب الآخر بالرغم من أنه يدرك شجاعة تيريبازوس، إلا أنه يقوم بإلقاء اللوم عليه وإدانته مرات عديدة بسبب حماقته، فهو بشكل واضح يشير إلى رحلة صيد أخرى ويصفها وليست هذه الرحلة، حيث يقول عنه أيضًا إنه غالبًا ما كان رجلاً له وقاره واحترامه فهو يقول عنه أيضًا في رحلة صيد أخرى، حينما تم تمزيق ملابس الملك قام تيريبازوس بطلب زي ملكي جديد له وأعطاه إياه، وقام الملك بإعطائه الزي القديم الممزق ولكنه منعه من أن يرتديه .

ونهاية هذا الرجل، كانت مثل نهاية داتيميز Datames نجدها قد حدثت في سياق شؤون القصر، فقد تم رفض طلبه من الملك بأن يتزوج إحدى بناته، ولذلك فقد قام بتشجيع دورتس Darius وهو الأمير المتوج من أجل القيام بثورة ضد والده، حتى قتل أثناء الهجوم على غرفة نوم الملك .

وبالطبع فإن مثل هذه السيرة الذاتية وغيرها يجب أن تتم قراءتها بما فيها من عظات وعبر، وفي هذا الإطار، لا يمكننا أن ننسى عدم الوقوف

بشكل أكيد على كل المعلومات التي تم نقلها بواسطة كل من ستيسياس Ctesias ونيبوس Nepos فمعظم هذه الحقائق التي ذكروها والأحداث تحتاج إلى إعادة كتابتها وصياغتها مرة أخرى، حيث إن هذه الكتابات تشير إلى خصائص العلاقات بين الملك والأرستقراطيين، ويبدو من الواضح أن أحكام بلوتارخ على تيريبازوس كانت تأتي مباشرة من كتاب القصر، وهم (الكتاب أو المؤرخين) في الوقت ذاته كانوا يعبرون بشكل واضح عن الصفات والأوضاع أو الحالات والاتجاهات التي كانت تميز خدام الملك أو من يقومون بخدمته، ونحن تقريبًا نجد الكلمات نفسها في كتابات هيرودوت (Herodotus) عنهم، وأيضًا تقييمه لهم خصوصًا ماردونيوس Mardonius وهو الذي كان طموحًا وفخورًا، ومن الذين يجيدون المديح وفي الوقت نفسه قويًّا وعنيفًا وقاسي الفكر، وهناك يسقط أيضًا وينتهي أثره مثل من سبقوه، ويمكن أيضًا أن يتم ذكر العديد من الأمثلة الأخرى التي تعبر عن التقدير وعدم التقدير، فليس هناك شخص يمكن أن يعفى من حكم الملك سواءً بتقديره أو بمعاقبته ولا حتى الناس الذين كان يتم تقديرهم بشكل كبير بما فيهم أزواج بنات الملك أو حتى الوريث المتمرد الذي يقود ثورة على والده مثل ابن أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني، وباختصار فإن الملك لا شيء يعلو فوقه مهما ارتفعت مكانته وهناك العديد من الأمثلة، ودعنا نذكر فيها على سبيل المثال لا الحصر، المثال الخاص بأورينتس Orontes ، وهو الذي كان مذنبًا نتيجة قيامه باتهام خاطئ لتيريباوس وهو الشيء الذي جعل الملك أرتاكسركسيس يقوم بإقصائه وإبعاده بعيدًا عن صحبته، ويزيل عنه شرفه وكبرياءه .

وهذه السير الذاتية التي يتم تأليفها وكتابة آثارها هي من أجل أن توضح وتقدم مثالاً لعدم امتنان الملك، ويبدو ذلك من خلال السيرة الذاتية التي قدمها بلوتارخ Plutarch عن أورونتس Orantes .

وهناك صورة مختلفة تمامًا، عن ذلك وهي الصفة الرسمية الخاصة بالدعاية الملكية، كما يتم رؤيتها من حكايات تيريبازوس، فإذا كان تيريبازوس قد لقى حتفه، فإن ذلك لأنه لم يوضح اعتدالاً في علاقته بالملك .

ونحن ليست لدينا تفاصيل أخرى حول هذا الحدث بشكل واضح، بينما نجد أن النصوص التي كتبت تشير إلى وجود حدث تآمر مثلاً ضده (تيري بارزوكا) ونحن لا نعرف الأسباب والدوافع وغير ذلك من الأشياء التي تبدو غامضة لنا، حيث يبدو واضحًا أن الحدث بأكمله قد تم إفشاؤه للملك، وعلى أية حال فإن هناك نصًا يحتوي على قليل من التفاصيل والهدف الأساسي منه هو رسالة أيديولوجية واضحة لا تتسم بالغموض، وهو ينتمي إلى شكل محدود وهو الدعاية الملكية، أو إذا كنت تفضل أن نطلق عليه لفظ (الثقافة الملكية)، وهذه الثقافة أو الأدب الملكي، نجده مبنيًا على سلسلة من الدوافع والتي نجدها مرتبطة بالأيديولوجية الملكية، والتي القصد منها إظهار دارا Darius الملك في صورة الملك الشجاع، وهذا يأخذنا إلى تلك القصة الخاصة برحلة الصيد الخاصة بالملك دارا، ونحن ربما نلاحظ أن نهاية القصة تشبه بشكل غريب قصة أو حكاية بولينسيوس أو Polyaenus والتي تختص بمرور دوريس، وذلك بمساعدة رجاله (حيث نجد أن المرزبان (حاكم الولاية الفارسية) يقوم مباشرة بتأصيل وجوده (وجود دارا)، ويجعله ملكًا على الفرس، ومع انتقال ذلك إلى إيليان Aelian ، يكون الهدف هنا إزالة عظمة ورحمة الملك ذاته، وليس إعلاء وإظهار ضعفه وعزلته، وتأتي خاتمة القصة التي تكون أخلاقية لحدٍ ما (بما تحمله كلمة أخلاقي من معانٍ ملكية)، حيث يساعده النبلاء (يساعدون الملك) ويقوم هو بدعوتهم في دائرة مقربة إليه، وبالرغم من معاقبة المتآمرين بشكل شديد، إلا أنهم كانوا يتغنون بالمديح للملك وعظمته بعد ذلك .

وكل الأدلة هنا تشير إلى تخصيص القدر والجزاء الفردي لرجال الملك، نتيجة وجودهم بالقرب من الملك ومن سيادته، ونجد أنه من المفيد هنا أن نقول إن أولئك اللذين كانوا يحصلون على الوظائف والمواقع العليا لم يكونوا مدنيين والترقيات الوحيدة داخل النظام كان يتم منحها نتيجة ما يدركه الملك من أشياء جيدة ومميزات يستحقها هذا الرجل، وبالتالي يتم ترقيته؛ لأنه يستحق أن يكون من رجال الملك الذين يتم إعلاء شأنهم.

3- الملك ومخلصوه أو أوفياؤه: الأساس المنطقي للنظام:

المخلص (الوفي) والبانداكا: Bandaka

نستطيع الآن الرجوع إلى السؤال الأساسي، وهو العلاقة بين الجماعات الأرستقراطية والسلالة الحاكمة، حيث كان التأثير السياسي للبولي داريا Polydaria الملكية هو تقييد سلوك الأرستقراطيين، وذلك حتى يقوموا بالتصرف فقط حسب مصلحة ومشيئة الملك، واعتبار واحتساب الشخص على أنه نبيل يعطي لعائلته نوعًا من البرستيج والعلاقات الحميمة مع العائلات الأخرى الخاصة بالنبلاء، والشخص النبيل يعرف من خلال صفاته وأصوله مثل (ماردونيوس Mardoniusوهو الذي كان زوج ابنة الملك وكان مرزبانًا، وكان أيضًا من بين أوائل الفرس الذين يقومون بأفضل الأعمال في الأسلحة والاستشارة وفي كتابات ديودوريس Diodarus نجد تقريبًا الكلمات نفسها التي تصف تيريبازوس Tiribazus ، حيث يقول: (في الحروب أيضًا، يقول الرجال، إنه كان يقاتل بضراوة، وفي المجلس، كانت أحكامه وآراؤه حكيمة لدرجة أن الملك كان يقوم باتباع هذه النصائح ولا يقوم بعمل أي خطأ مطلقًا).

وكل الخصائص والمميزات الخاصة برجال الملك كانت متمثلة في

كلمة واحدة (الإخلاص)، وهذه هي الفضيلة التي من أجلها قام قممبيز Cambyses بتشريف وتكريم بركاسبس Prexaspes ؛ لأنه كان من أكثر الأصدقاء الفرس الذين كان موثوقًا فيهم، وأيضًا أرطاباتيس Artapate والذي كان من أكثر أتباع قورش (Cyrus) إخلاصًا، وقورش (Cyrus) الأصغر، وحتى يكون متأكدًا، كان يعرف كيف يحكم على إخلاص الرجال، وكيف يعرف ولاءهم له وإخلاصهم، وعلى أساس مبدأ الإخلاص هذا، نجد أن قورش (Cyrus) كان يقوم بترتيب رجاله حوله في المعسكر، وفي خطابه إلى أرتاكسركسيس الثاني، يقوم أورانتس Orantas بتذكيره بالصداقة والإخلاص المتبادل فيما بينهم، ومن أهم الفضائل المطلوبة حتى تصبح من الكنسمان Kinsman (أي من رجال الملك) هي أيضًا الإخلاص والثقة، حيث نجد هذه الكلمة أيضًا في كتابات إيليان Aelian ، حيث يقسم النبلاء بأن يظلوا مخلصين لدارا (Darius) وأيضًا كلمة (بيستوس) Pistoi التي استخدمها زينوفون (Xenophon) لوصف رجال الملك الذين كان يأمرهم بفحص الأقاليم، وأيضًا مراقبة ووصف العامة والحكام والمسؤولين، ويبدو واضحًا لهذا السبب، أن بوجيز Boges قد حصل على المديح والإطراء من كسركسيس (Xerxes) ، وأن تابعيه (أتباع Boges) أيضًا قد حصلوا على الشرف من الملك كسركسيس (Xerxes)بانتظام نتيجة إخلاص ووفاء والدهم.

فعندما تمت محاصرة بوجيز بواسطة الأثنيين تحت قيادة سايمون Cimon وهو ابن ميلتدز Miltiades كانت الفرص سانحة له لمغادرة مدينة إيون Eion ، ولكنه رفض أن يقوم بعمل ذلك؛ لأنه كان خائفًا من الملك، واعتقد أنه سوف يعتبره مقصرًا في واجبه وتخلى عن مهمته، وذلك حتى ينجو بنفسه ففضل أن يصمد ويبقى في مكانه حتى وفاته .

والشيء نفسه أيضًا كان في حالة ماسكامس Mascames وهو حاكم ولاية دوريسكس Doriscus ، والذي استطاع بمفرده النجاح في صد الهجوم

اليوناني وهو الشيء الذي جعل كسركسيس (Xerxes) يقوم بإرسال هدية خاصة له كل عام للاعتراف بتفوقه على باقي حكام الولايات، وهذا كله هو السبب وراء الهدية السنوية من الملك الفارسي، وهذان الحاكمان قد برهنا على مدى إخلاصهم في كل اختبار يتم وضعهما فيه، وهو ما تمت مقارنته بالإخلاص الذي تمت برهنته لاحقًا في وجود الإسكندر بواسطة المدافعين عن سلينا Celaenae وبواسطة باتيس في جازا، وبواسطة مادانتيس في أوكسيانا Uxiana ، ويعتقد عمومًا أن الألفاظ الكلاسيكية ذات مفهوم فارسي، فنحن نعرف أن بيهستون دوريس قد استخدم كلمة بانداكا Bandaka لوصف كل من الناس الذين يتسمون بالولاء والخضوع والذين يقدمون المساعدة للملك ضد المتمردين والثوريين، والكلمة الفارسية ذاتها (بانداكا) صعبة الترجمة .

ومن أهم الأمثلة التي تتناول موضوع البانداكا هذا أي الولاء والخضوع هو العلاقة بين قورش (Cyrus) الأصغر وأورانتس Orantas ، وهو قائد القلعة في سارديس Sardis، ونحن نعرف قدر التكريم والتشريف الخاص بأورانتس وذلك من خلال الطريقة التي بواسطتها قدمه لنا زينوفون (Xenophon) كما يقول (هو الرجل الفارسي الذي كان مرتبطًا بالملك منذ الميلاد)، حيث تمت إدانته واتهامه بخيانة أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني وذلك بواسطة المحكمة التي نادى بها قورش Cyrus وأثناء المحاكمة يقول قورش (Cyrus) :(لقد تعهد هذا الرجل بواسطة والدي (دارا الثاني)، وفي عهد أخي أرتاكسركسيس الثاني، يقوم هذا الرجل بإعلان الحرب عليّ ورفع السلاح في وجهي، وهو يحكم قلعة سارديس Sardis)والتعبير الخاص بقورش (Cyrus)يوضح بشكل واضح طبيعة العلاقة التي كان من المفترض أن توجد بين البانداكا وبين من هو أعلى منه، وهذا الدليل أيضًا واضح في إحدى القطع المكتوبة بواسطة زينوفون (Xenophon) (عندما كان يعطي دارا إلى قورش (Cyrus) هذا

الرجل وهو أورنتوس، فإنه قام بإزالة كل الروابط التي تربطه به، وقام بربطها بابنه قورش (Cyrus) .

وبشكل آخر، نجد أن أورانتوس كان مجبراً على أن يكون مخلصًا لقورش (Cyrus)بحكم المهمة، وهذه كانت هي أساس الاتهام اللاحق ضد أورانتوس .

والنص الخاص بزينوفون (Xenophon) يشمل تفاصيل أخرى في منتهى المتعة، فقد كانت هناك تسوية مبدئية بين قورش (Cyrus) وأورانتوس (عندما يقول زينوفون (Xenophon) إن كلاً من قورش (Cyrus) وأورانتوس قد تسلم من الآخر ضمانًا، وهذا قد جعل من الواضح أنه بالرغم من أن الاعتراف بالبانداكا كان رسميًّا في المراسم والمناسبات الرسمية التي أثناءها قام أورانتوس بمد يده اليمنى لمساعدة قورش والذي قام أيضًا بإعطائه يده اليمنى (دليلاً على التسوية)، وهذه العادة كانت مصحوبة بالقسم واليمين كما هو معتاد وشائع .

وبالتالي فإن هذا هو وضع ضمان وتوكيد يشمل الملك أيضًا، وذلك مقابل أية دولة أجنبية في أن يكون هناك إخلاص ووفاء، وهذا الأسلوب فيما بين الفرس هو علامة على التحالف والضمان غير القابل للإلغاء، وهناك مقطوعة كتبها نيبوس Nepos ، فهو يمكن أن يقوم بإرسال شيء ما ينوب عن ذراعه الأيمن، وأرتاكسركسيس الثاني (ربما يقوم بإعطائه هذا الضمان أو رهن هذا الشيء، ووضع اليد اليمنى عليه من الطرف الآخر، ثم يتسلم هذا الضمان من رسول الملك، وهذا التبادل بين الملك والبنداكا يعني الولاء والطاعة والإخلاص في ذلك من جانب البانداكا، وأيضًا الثقة والحماية والتشريف والتكريم من جانب الملك، ومع نهاية المحاكمة والحوار، وعلى أساس أوامر قورش (Cyrus) قام الجميع وأخذوا أورانتوس بالطوق والحزام وذلك كإشارة على إدانته والحكم عليه بالموت، والشيء نفسه حدث عندما كان دارا Darius الثالث غاضبًا

من شاريديموس Charidemus نجده قام بالقبض عليه وإمساكه بالطوق والحزام طبقًا لعادات الفرس، وجعله يستدير أمام الحاضرين وقام بإعطاء أوامره بقتله).

وبالنسبة للعديد من الإيرانيين، نجد أن الطوق أو الحزام هو رمز الرابطة بين الطبقة العليا (الملك) وبين البانداكا، وعندما يتم الإمساك بهذا الطوق فإن هذا له معنى، وهو أن هذه الرابطة والعلاقة بين الملك والبانداكا قد انكسرت وتدهورت .

وهذا المفهوم له العديد من التطبيقات والمعاني المهمة المتضمنة على النظام السياسي، فهو يهدف إلى تقليل الدور الممتد الوحيد للعائلة، وذلك في سبيل الولاء الملكي، وأن يقوم بعزل النبلاء في علاقاتهم الواحد مع الآخر، وهي التي تربطهم بالملك، وقد قام زينوفون (Xenophon) هنا وهناك بوضع العديد من السيناريوهات حول الأوقات التي مضت، حيث سبق أن ذكرنا له قوله: (والآن إذا قام أي شخص بعمل جيد للملك بأسلوب شرير أو بواسطة طريقة شريرة، فإن مثل أولئك هم الذين يحصلون على التشريف والتكريم العالي الذي سوف ينقلب عليهم.

ويقوم زينوفون (Xenophon) باتهام وشجب إدارة مثيراديتس Mithradates ، الذي قام بخيانة والدة أريوبارزيتس Ariobarzan بدون تردد، والأكثر من ذلك، فإن هناك أمثلة أخرى تحكي عن الفرس الذين وصفوا في فتح الاختيار بين الولاء للعائلة والولاء للتاج الملكي والشيء نفسه أيضًا كان يحدث عندما يتفق بعض المتآمرين على تمرد أو عصيان، وذلك من خلال القسم والحلف، حيث يقسم كلا منهما للاخر ومن ثم فإن زينوفون (Xenophon) يقول بأنه في محاكمة أورانتوس، تم إمساكه بالطوق والحزام حتى بواسطة أقاربه.

نبلاء القصر، ونبلاء الجماعة أو العشيرة:

في مقطوعة قام زينوفون (Xenophon) بكتابتها من أجل الحاجة الملحة إلى توضيح الهيكل أو التسلسل الحكومي، نجد أنه قام بتقديم الشهير كريسانتيس Chrysantasوالذي قدم بالحديث أمام كبير النبلاء الذين كان على رأسهم قورش (Cyrus)وهو يتحدث عن فضيلة الطاعة، حيث يقول للنبلاء: دعونا مع ذلك نقدم أنفسنا أمام حاكمنا قورش (Cyrus) ، ودعونا نعرض عليه الخدمات التي سوف يحتاجنا فيها)، وهذه الدعوات الخاصة بكريسانتس قُوبلت بالبحث والتقدير والاستحسان).

ويقول زينوفون (Xenophon) : (إنهم اتفقوا (أي النبلاء) على أنه يجب عليهم أن يكونوا دائمًا في حضرة الملك وفي القصر، وعلى أتم استعداد؛ لتحقيق أي خدمة يطلبها قورش (Cyrus) ، وذلك حتى يقول إنه لم يعد يريد أي خدمات منا، وكانوا يأتون إلى قصر قورش (Cyrus) بواسطة خيولهم ورماحهم).

وفي موضع آخر، بشكل واقعي، يستعيد زينوفون (Xenophon) واحدة من الالتزامات والتعهدات التي يضعها الملك على كاهل المرزبان، حيث يقول: (من الحصول على مزيد من الأراضي والقصور، فإنهم يحضرون إلى قصر المرزبان، ويقومون بوضع أنفسهم تحت إمرة الملك وقتما يطلبهم).

ويقول زينوفون (Xenophon) أن ذلك لم يكن خيارًا لديهم، وإنما كان التزامًا، (فإذا فشل أي من أولئك القادرين على أن يعيشوا ويعملوا مع الآخرين في الحضور إلى القصر، فإنه يقوم باستدعائهم واستجوابهم حول ذلك) وأولئك الذين لا يلتزمون بالنداء أو بالأمر فعندها تتم معاقبتهم بشكل خطير، وهذا هو السياق الذي من خلاله يقوم النبلاء بأداء التزاماتهم، ويوضح كيف تلقى على عاتقهم، وفي حضور الطاولة الملكية على الأقل أثناء الوجبات، وزينوفون (Xenophon) جعل أهمية

هذه الترتيبات بشكل واضح، وهم يحضرون ويكونون موجودين؛ وذلك حتى يكون لهم نصيب من الفضائل التي ربما يقوم الملك بتوزيعها، وأكثر النبلاء طاعة وولاء في القصر يحصلون على أوسع الشرف والتكريم مثل مصاحبة الملك في رحلات الصيد، (وبالتالي فإن ذلك كان يلهب طموح الجميع، والكلٌ يحاول أن يجاهد من أجل أن يستحوذ على انتباه الملك قورش (Cyrus)) .

والعملية التي يقوم زينوفون (Xenophon) بوصفها ليست شيئًا أكثر أو أقل من تطور هيكل وتسلسل النبلاء، وذلك في وسط نبلاء القصر الملكي، ونبلاء القصر هؤلاء هم أولئك الذين يطلق عليهم كتاب الإغريق (الكتاب اليونانيون) (رجال البوابة) وهم الموجودون في هيكل القصر وتسلسل نبلائه، وهم الذين اعترضهم تيمستوكليس Themistocles على سبيل المثال في قصر أرتاكسركسيس، وباختصار كان من (رجال البوابة) أي رجال القصر أناس شجعان وقادرون، وأصدقاء للملك ومن أقاربه، ويطلق عليهم الروكسانز Roxanes ، ونجدهم مصورين ومكتوبين على جدران بيرسبوليس Persepolis في صفوف، والرجال المميزون منهم كان لهم مكانهم المحدد، والبعض منهم كان في حضرة الملك دائمًا، والبعض الآخر حراسه الشخصيين، والبعض الآخر هم حراس حجرته، حيث يوجدون على كل جدار، وكل واحد منهم له مكتبه، وله واجباته ومهامه، وطبقًا للكتاب الذين تناولوهم في كتاباتهم يصفونهم بأنهم: (عبيد الملك العظيم)، وفي بعض الكتابات نبلاء القصر أو الباندااكا.

ولحسن التنظيم فإن الملك جعل الاعتماد الكلي لهؤلاء النبلاء على الملك وعلى القصر، فقد كان من الواجب على الأرستقراطيين أن يتبعوا القيم والأخلاق الممكنة الخاصة بالطبقة الحاكمة، وفي حالة حدوث أي تمرد أو عصيان، نجد أن هؤلاء الأشخاص (رجال البوابة) يلعبون دورًا مهمًا مثلما حدث في حالة حرب كوناكسا Cunaxa .

وفي أثناء ذلك أتى إخوة أيريوس Ariaeus وأقاربه الآخرون أيضًا مع بعض الفرس من أجل أن يكونو أتباعهم، وظلوا يشجعونهم ويأتون بالأطواق للبعض منهم، وكان ذلك بسبب حملتهم ضد قورش (Cyrus) ، أو بسبب أي شيء آخر في الماضي).

وأثناء ثورة ميجابيزوس Megabyzus في وقت حكم أرتاكسركسيس الأول، وكان معه في هذه الثورة اثنان من أبنائه، وهما زوفيرس Zopyrus أرثيفيوس Artyphius، ولكن زوجته وابنه الأصغر أرثوكريكس Artoxores ظل في القصر، وبالرغم من أن ستيسيا Ctesia لم يوضح هذه النقطة فإنه يبدو من الواضح أنه قبل توقيع المعاهدة مع الملك، أصر ميجابيزوس على عودة زوجته وابنه الأصغر، وكانت زوجته وابنه هما اللذان قد أقنعاه بدون صعوبة أن يظهر أمام الملك، وفي الطريق أتى المرزبان والأقارب الذين كان يطلق عليهم (رجال البوابة) ليؤكدوا ولاءهم وكان من بينهم (ميمون Memmon) والذي (أرسل زوجته وأطفاله إلى دارا (Darius) ؛ لأنه عمل حساباته وقرر أن يتركهم في رعاية الملك، وذلك لأنه اعتقد أن ذلك في مصلحتهم ومن أجل تأمينهم، وفي الوقت نفسه، كان الملك على وشك أن يصدق ميمنون، ويصدر قراره بعودته بعد أن كان متقاعدًا).

وهناك مثال آخر، وهو بالنسبة لقورش (Cyrus) الأصغر، قبل أن يترك سارديس Sardis ، نجده قد ركز أن يحصل على الرهينة في تراليز Tralles وهما الزوجات والأطفال .

التعليم والتكامل الأيدلوجي:

في العديد من المناسبات، نجد أن زينوفون (Xenophon) قد ركز على أهمية التعليم بالنسبة للفرس، وكما لاحظ مرات عديدة، نجد أن المشاركة في التعليم كانت هي المبدأ والأساس المتاح لكل الفرس، ولكنه أيضًا نجده يركز على أن كل الفرس ربما يرسلون أطفالهم إلى

المدارس العامة والمشتركة وهي مدارس العدل (وفي الحقيقة فإن أولئك الأطفال الذين كانوا يلتحقون بهذه المدارس كانوا هم أولاد الهوموتايمز Homotimes ، وهي الكلمة التي استخدمها زينوفون (Xenophon) باستمرار ليصف أولئك الناس من الطبقة والمرتبة العالية، وذلك مقارنة بأولئك الرعاة والمزارعين البسطاء الذين كان عليهم أن يعملوا فقط من أجل لقمة العيش لا غير، وبشكل آخر فإن العائلات الأرستقراطية استطاعت إرسال أطفالها للتعليم، ويقول المؤلف زينوفون (Xenophon) نفسه بشكل واضح إن: (كل أولاد الفرس النبلاء كانوا يتعلمون في بلاط الملك وفي قصره، وكانت العادة هي تعليم الأولاد في البلاط الملكي في مكان مخصص لذلك، والشيء نفسه كان في الأقاليم، حيث نجد أن رجال المرزبان يكون عليهم تعليم الأولاد في القصر المحلي كما يحدث بالضبط في القصر الملكي، وكان من الواضح أن أولئك الذين يتهربون من الالتزام بالتعليم، يجدون أنفسهم محرومين من أية فرصة في ارتقاء الوظائف وأشكال التكريم والتشريف، وكما كان صحيحًا بالنسبة لأولئك الذين كانوا غير قادرين على متابعة الدورات التعليمية المطلوبة، وهذا النظام كان نظامًا رسميًّا للتعليم والذي كانت إدارته الناجحة في أيدي المعلمين الذين تم اختيارهم من بين أكثر الرجال حكمة .

والفصول الافتتاحية من موسوعة زينوفون (Xenophon) تشرح وتوضح المراحل المختلفة لتعليم قورش الأصغر في قصر أستياج Astyages وعنوان الكتاب أو الموسوعة يعني بتعليم قورش (Cyrus) ، وذلك منذ مرحلة الطفولة وحتى وصوله إلى مرحلة دخوله مرتبة الرجال، وبعد ذلك يأخذ قيادة الجيش وهذا التعليم كان متبادلاً بشكل قريب مع ما يُوصف بـ(قانون الفرس)، حيث يشير زينوفون (Xenophon)إلى أن أطفال الفرس الصغار يمرون بالعديد من أشكال التصنيف، وذلك طبقًا للعمر مثل الأطفال من عمر ستة عشرة أو سبعة عشرة عامًا، والشباب

حتى عمر يزيد عشرة سنوات عن ذلك، ثم الرجال الناجبون، ثم بعد ذلك الكبار وهم فوق خمس وعشرين عامًا في الخدمة، ثم أولئك الكبار في العمر (كبار السن) .

ونجد أنه من الصعب أن يتم فصل ما يُطلق عليه التعليم الفارسي، وذلك في الموسوعة، وبين تلك المعاهد التعليمية في إسبرطة، فالعلاقة بين النظامين التعليميين قد تم التركيز عليه أيضًا بواسطة أريان Arrian ، وهو الذي كان معجبًا بزينوفون (Xenophon) ، ولحسن الحظ، نحن نستطيع مقارنة زينوفون (Xenophon) بهيرودوت (Herodotus) وسترابو Strabo ، بالرغم من أن هناك العديد من التناقضات بين المؤلفين القدامى، وذلك حول التقسيم من حيث العمر والدورات التعليمية التي كان يتم تعليمها وتدريسها، وذلك في مستويات مختلفة، طبقًا لهيرودوت (Herodotus) ، فإن تدريب أبناء الفرس الصغار يبدأ من عمر خمس سنوات إلى عشرين عامًا، والعمر عند عشرون عامًا يكون هو الحد الأدنى لدخول الخدمة العسكرية - وطبقًا لسترابو Strabo ، فإن التعليم يشمل ويحتوي الصغار من عمر خمسة إلى أربع وعشرين عامًا، والجيش يشمل الفرس الذين يخدمون ابتداءً من عمر عشرون عامًا وحتى خمسين عامًا، وطبقًا لهيرودوت (Herodotus) ، فإن الفرس يعلمون أطفالهم (ثلاثة أشياء فقط، وهو كيف يمتطون الجياد، وكيف يستعملون القوس، وكيف يتحدثون بالصدق)، ويضيف سترابو Strabo (وكيف يرمون الرمح)، وهنا يقدم سترابو رؤيته حول التدريب، وذلك باستخدام الأدوات منذ الفجر: (إنهم يقومون بتقسيم الأولاد إلى مجموعات، كل مجموعة تشمل خمسين ولدًا، ويتم تعيين قائد لهم بمثابة ملكهم ويأمرونهم بأن يطيعوا أوامر قائدهم في السباق، ويجرون مسافة تتراوح بين 5,5 إلى 7.4 كم، ويتم تدريبهم بصوت عالٍ، ويعلمونهم كيفية استخدام رئتيهم أثناء الجري، ويعلمونهم كيفية تحمل الحرارة والبرودة والمطر وعبور

جداول المياه وتياراتها وكيفية الحفاظ على أسلحتهم وملابسهم جافة، وكيفية التعايش خارج المنزل، وكيفية تناول الفواكه البرية، وكيفية تناول الخنزير البري)، وهؤلاء يطلق عليهم الكارداس Cardaces حيث يشمل طعامهم بعد التدريب اليومي، الخبز والكيك واللحم المشوي أو المسلوق والماء .

وهم يصطادون من خلال رمي الرماح من على ظهر الحصان (وهم يركبون الحصان)، وبعد الظهر نجدهم يتعلمون زرع النباتات وقطع وجني الثمار والجذور، وعمل الأسلحة وشباك الصيد وحياكة الملابس، والأولاد لا يمسون لحوم الحيوانات البرية، بالرغم من أن هناك عادة إحضار هذه اللحوم البرية إلى المنزل، ويتم منح الجوائز بواسطة الملك لمن يفوز أثناء الجري).

وهذه القطعة المكتوبة بواسطة سترابو Strabo أكثر تفضيلاً من أي مما تمت كتابته حول هذا الموضوع، ولكنه أيضًا يفرض مشكلة في التفسير، فبدون إدراك ذلك قام سترابو حقيقة بالتمييز بين نوعين من الواجبات وهو (الفاكهة البرية) والقائمة اليومية)، حيث نجد أن الفاكهة البرية هي مطبقة على الأولاد الذين يطلق عليهم كاواكس Kardakes ، وهم الأولاد الذين يبقون بالخارج طوال الليل، ويعيشون على السرقة وعلف الماشية، وفي الأوقات يعودون للمنزل والرجال الصغار ينامون في المبيت (المهجع) فيما عدا المتزوجين، وبعيدًا عن هذا الجانب فإن الأولاد يتعلمون العدل والأمانة .

ومهما كان المعنى المقصود، فإن الكارداكس Kardaces كانوا مع ذلك مرحلة واضحة ومرحلة مؤقتة في التعليم، وذلك على أساس المجموعات العمرية .

وكانت هناك أوجه تشابه بين الـ Kardakes وبين الكريتبتي Kryptie وذلك بشكل واضح، وهنا توجد مقطوعة مكتوبة تحكي قيام الشباب

بإثبات قدراتهم، وذلك أثناء ظروف محددة بعينها، وهي التي تكون مقابلة لتلك الخاصة بالجنود، وهي ظروف التعايش بالليل، وفي الوحدة، وغير ذلك، وبعد هذا الاختبار يتم انتقالهم إلى المجموعة الأكبر سنًا، ومن ثم فإن ذلك يجب أن يشمل اختبارًا يتم تطبيقه على أولئك الذين قضوا عشر سنوات في التدريب وهم شباب .

وبالرغم من أنه لم يكن مذكورًا في نصوص هيرودوت (Herodotus) إلا أن هناك قدرًا أكيدًا من المعلومات قدمه لنا سترابو Strabo وهو الذي وُجد في كتابات زينوفون (Xenophon) ، وهذه المعلومات تشمل أهمية الصيد في التعليم وهو الموضوع المستمر والباقي في موسوعة زينوفون (Xenophon) وأعماله الأخرى، ففي كل مرة يذهب فيها الملك للصيد، نجد أن بعض الشباب يذهبون معه؛ وذلك لأنه في عيونهم تعتبر هذه الوظيفة أفضل فرص للتدريب الجيد على الحرب، فمن الصعب إيجاد موقف تكون فيه الحرب حقيقية، والتي ربما تحدث في رحلة صيد (وأثناء الصيد) نجدهم لا يأكلون شيئًا إلا الخبز فقط والماء إلا إذا اصطادوا شيئًا اقتاتوا عليه .

ويقول زينوفون (Xenophon) أيضًا إنهم (أي الشباب)، يتعلمون الخصائص التي تتمتع بها الأشياء التي يجدونها على الأرض وكيفية الحفاظ على أنفسهم، وبالتالي فإن التدريب كان تدريبًا جسمانيًا وعسكريًّا، وكان مناسبًا لعمل فارس جيد وأيضًا رامي قوس ورامي رمح جيد، وسترابو Strabo كان هو الوحيد الذي أضاف قيام الشباب بمراقبة قطعان الماشية وزرع الأشجار .

ونجد أنه من المستحيل أن نتجنب مقارنة ما سبق مع الفضائل الملكية وواحدة منها وهي (الحارس الأمين) ومع اشتمال واحتواء التدريب على اعمال الزراعة والتعليم، فإن صغارالفرس (الناشؤون) كان

يتم تشكيلهم على أساس أن يكونوا متطابقين مع النموذج الملكي والتساوي أو التعادل بين القيم الأرستقراطية والقيم الملكية (للقصر) يمكن أن يتم تحقيقه بشكل سهل مسلسل؛ وذلك لأن التعاليم والقيم الملكية مشتقة من القيم الأرستقراطية، ولكن بالرغم من الحقيقة القائلة بأنهم يشاركون أو يشتركون في القيمة نفسها، فإن الملك وغيره من الأرستقراطيين ليسوا ذوي أرضية ثابتة وغير متساوين، وبالرغم من أن الملك نفسه كان فارسًا جيدًا، ورامٍ جيد ورماح جيد، إلا أنه كان مميزًا بالفضائل العليا التي تم منحها له بواسطة أهورا-مازدا Ahura-Mazda، ومن المميز أيضًا أن هناك اختلافات في التشريف والتكريم، وهناك مميزات يتم منحها لأفضل الشباب بواسطة الملك نفسه، ويتم عمل حفلة عامة بمناسبة منح الجوائز للشباب حتى يستطيعوا التعرف على أولئك الذين يتم اعتبارهم مخلصين (الباندااكا Bandaka)، ومع تعليمهم عند البوابة الخاصة بالملك، فإنهم يرون ويسمعون أسماء أولئك الرجال الذين نالوا شرف الملك وتكريمه، بالإضافة إلى أولئك اللذين نالوا احتقاره وازدراءه .

والآن ما أهمية التعليم الثالث الذي يحصل عليه صغار الفرس (حتى يتم الحديث عن ذلك بصدق فإن هيرودوت (Herodotus) نفسه ربما لم يعرف ذلك، بينما نجد أن زينوفون (Xenophon) يخبرنا أن الأطفال (كانوا يقضون أوقاتهم في تعلم القانون والعدل والاعتراف بالجميل والاعتدال، فإنهم يكونون حاضرين لتلك المحاكمات التي يتم إجراؤها طبقًا للقانون، ومن غير الصحيح أن نفترض أن الكلمات اليونانية التي تعني الصدق والعدل هي كلمات متبادلة مع الكلمة الفارسية (آراتا arata)وبناءً على هذا الادعاء والافتراض فإن ما تسمعه من قول هيرودوت (Herodotus) وزينوفون (Xenophon) ، يعني أن الشباب كانوا يتعلمون في سبيل مهمة الولاء للقصر وللملك وللأسرة الحاكمة، وقدم لنا سترابو Strabo بعض

التفاصيل الضرورية، حيث يقول بأن المتعلمين يقومون بعملية خلط ودمج بين ما يتعلمونه وواقع العنصر الأسطوري أو الخيالى، ومن ثم تقليل هذا العنصر الأسطوري الخيالي وتحويله إلى غرض وهدف مفيد، وتمثيل ذلك بالأغنية، وبالحركات التي كان يتم أداؤها لكل من الآلهة والنبلاء، ويضيف زينوفون (Xenophon)عنصرًا زائدًا إضافيًا وهو يتحدث عن (حكايات وأغنيات ما زالت تتردد حتى اليوم) حيث يقول منها: (إن قورش (Cyrus) تقدم من أجل أن يحصل على هدية جميلة من الطبيعة، وهي روح في منتهى الكرم وعاطفة من أجل الدراسة، ومن أجل المجد حتى يتحمل المتاعب ويواجه كل المخاطر).

والذي كان ظاهرًا هو أن المعلمين كانوا متعهدين بنقل التقاليد الشفهية والأخلاقية لمجتمعهم إلى صغار الفرس، وهذه التقاليد نجدها تتعامل مع الأبطال بشكل كبير مثلما تتعامل مع الآلهة، وكما يقول زينوفون (Xenophon) ، فإن جزءًا كبيرًا من هذه التقاليد نجده قد تعامل مع الأبطال الفرس وكبار زعمائهم مثل قورش (Cyrus) ، وقد كان هناك أيضًا مجال للموسيقى والرقص والأشعار، ويقول أثينوس Athenaeus ويسترجع من الأيام الخوالي أن الموسيقى لعبت دورًا مركزيًا خصوصًا فيما بين الإسبرطيين، وبشكل عام وفي أيام القدامى، كانت التصرفات والأفعال الخاصة بالأبطال ومجد الآلهة هي التي تلهم الشعراء في التأليف ونوع الموسيقى، وقد كانت هذه العادة متوارثة من جيل إلى آخر خاصةً فيما بين البربر) فقد كان المغنون على سبيل المثال يستلهمون شجاعة قورش (Cyrus) الأكبر، وأيضًا الحرب التي كانت ضد آستياج Astyages)، وفي الحقيقة فإن دينون والذي قاد إلى تكوين الإمبراطورية (كان هو في ذلك الحين) هو حامل الصولجان، وذلك في قصر الميديين، وقام آستياج Astyages بعمل عيد عظيم دعا فيه المغني الكبير آنذاك (أنجارز) Angares ، وقام المغني الكبير بتلاوة حكاية الوحش الكبير وهو

سيد كل العوالم المحيطة، وفي إجابة على سؤال آستياج، أجاب المغني أن الوحش ليس أكثر من كونه قورش (Cyrus) ، ومن خلال هذه المقطوعة التي ذكرها دينون Dinon ، نستطيع الحصول على بعض التفاصيل حول الانتقال السنوي للأساطير العتيقة والمتوارثة، حيث تنتقل عن طريق السمع والتلاوة من جيل إلى آخر، وبالتالي تستمر، وليس هناك أدنى شك في أن البدء بدارا (Darius)، عند ذكر أسطورة الأخمينيين على أنه هو النسر، تعتبر من الدعاية الملكية التي قدمتها هذه الأسطورة لشرح وتفسير أصل النبلاء .

ولم يعد هناك شك في أن الرجال الحكماء قد نقلوا وتعهدوا بهذه المهمة وهم الذين كان يُطلق عليهم (ماجي Magi)، وهي تعني (حامل لواء الذكريات لمجتمعه)، فقد كانوا متخصصين في ذلك (أي في حفظ التراتيل ومباحث أصول الآلهة)، ونحن نعرف أيضًا أنهم كانوا متعهدين وعارفين بتعليم أطفال الملوك أو أطفال القصر، وكانت لهم معرفة تفصيلية بالنباتات وطرق العلاج المختلفة، وكانوا أيضًا يقومون بتدريس أهمية الأعشاب في العلاج والفائدة من كل منها للشباب الفارسي .

وباختصار فإن الشباب الفارسي تعلم من خلال تدريبه، وذلك حتى يصبحوا خادمين مخلصين لملكهم، وأيضًا جنودًا شجعان، والهيكل والتسلسل الإمبريالي أيضًا كان موجودًا بشكل واضح في هذا التدريب، حيث إن المجموعة التي كانت تتكون من خمسين، كان يتم قيادتها بواسطة ابن الملك أو ابن المرزبان .

وكلمة مرزبان هنا Strap مأخوذة لتنوب عن الصفوة الملكية أو صفوة القصر، وعلى الرغم من أن زينوفون (Xenophon) قال بأن أبناء الملك أيضًا قد شاركوا في هذا التعليم، فإنه من الواضح من خلال ما سبق أن ذكرناه أنهم أيضًا كانوا يتمتعون بوضع خاص .

4- الملك ومخلصوه: ديناميكية التناقضات:

الميلاد والمحاباة أو الاستحسان الملكي:

إن المناقشات السابقة نجدها قد قادت إلى سؤال بسيط والذي كثيرًا ما تردد في أذهاننا والذي افترضنا أن له إجابة لدينا وهو من هو النبيل بالضبط؟ وما هو النبيل؟ ونحن لا نملك إلا المصادر الكلاسيكية فقط، والتي سوف تساعدنا في تعريف شكل وتنظيم وبناء العائلات الملكية والنبلاء، ويمكننا القول بأن النبلاء معروفون من خلال أصل الميلاد ومن خلال الثروة (مثلاً أوتان Otanes روهواين فارناسب Pharnaspes كان واحدًا من أكبر الأثرياء أصحاب الأموال، وذلك فيما بين النبلاء الفرس، ومثال آخر يقدمه كونتس كوريتس Quintus Curtius وهو أويكسينز Oyxines في عام 125، حيث يقول عنه: (كان متميزًا بين كل البربر بالأصل العالي في الميلاد والثروة، فهو يتبع قورش (Cyrus) في مولده والذي كان هو الملك الأسبق لفارس)، وأوكسنز Oxenes مميز بمكانته كرئيس، وقائد قبيلة أو عشيرة الباسارجادي Pasargade والوضع الأرستقراطي الخاص به كان معروفًا من خلال اسم والده وعشيرته أو اسم قبيلته كما هو موضح عن طريق الكلمات التي استخدمها هيرودوت (Herodotus) ، وذلك لتحديد قادة الرحلات الاستكشافية ضد سيرين Cyrene في حوالي عام 513 .

والنبلاء أيضًا كانوا معروفين من خلال تناقضهم مع الفقراء واختلافهم عنهم حيث يشير دارا (Darius) إلى الطبقات الاجتماعية المحددة بعينها والمختلفة، فيقول: إن الملك كان بمثابة الوسيط بين الطبقة العالية والقادرة وبين الطبقة الضعيفة، والذي يمكن أن نفهم منه أنه هو الوسيط بين الأغنياء والفقراء، فهو ورجال القصر ضمن أولئك الذين يطلق عليهم (الأماتا Amata)، وهي الكلمة التي تعني (الممتاز)

والتي كانت يتم ترجمتها دائمًا بمعنى (النبيل)، وأيضًا كلمة آزاتا Azata وهي الموجودة في المخطوطات الملكية تشير إلى النبل في الأصل والتي تكون دائمًا مقابلة للأشخاص ذوي الوضع المتدني .

والكتاب اليونانيون أوضحوا بشكل جيد أن كلمة (فارس) تشير إلى الحقيقة الاجتماعية والواقع الاجتماعي المميز، وبالنسبة لهيرودوت (Herodotus) وسترابو فإن الاختلاف الاجتماعي والتفاوت بين المديرين والأشخاص الموجودين على المستوى الاقتصادي، وفي المآدب المعدة لحفلات عيد الميلاد نجد أن الأغنياء تتم خدمتهم بتقديم ثور، حصان، جمل، حمار (حيث كانوا يأكلون الحمير آنذاك) على مائدتهم وكل هذه الأشياء تكون مشوية بالكامل في الأفران، والفقراء يتم تقديم الخراف والماعز لهم على طاولاتهم وفي جيش كسركسيس (Xerxes)يضع هيرودوت (Herodotus) مقابلة داخل ما يطلق عليه (رجال الملك)، حيث يؤخذ حوالي عشرون ألف رجل من الفرسان (راكبي الخيول) وذلك من كل الفرس مقابل ألف رجل والذين يتبعوا أهورا-مازدا Ahura-Mazda وهم (كل الرجال الذين يحملون أفضل دم فارسي ويكونون من النبلاء) وفي هذا الإطار يمكننا أن نتذكر وصف هيراقليدس Heraclides لهذا العدد (الألف فارس) والذين يصفهم هيراقليدس بكلمة (ميلوفوري) أو(Melophoroi)، والذين يتم اختيارهم على أساس أصل ميلادهم العالي، وذلك من مجموعة مكونة من عشرة آلاف فارس.

وفي الطبقة الأرستقراطية، نجد أن هناك اختلافات ثابتة، وذلك كما يحددها المؤلفين اليونانيون باستخدام الكلمات، والتي يكون تنوعها الواضح سببًا في صعوبة التفسير والتأويل الاجتماعي والمنطقي، فالنبلاء الفرس يمكن وصفهم على أساس أنهم (محترفين)، (رائعين)، (مُكرمين)، (وجهاء) وذوي لياقة ووضع خاص بهم، وغير ذلك من الأوصاف، وفي الحقيقة فإن هذه الكلمات هي تستخدم عمومًا بشكل متبادل.

وأيضًا ذلك الوصف والتعبير الذي قدمه لنا المؤلفون الكلاسيكيون، وذلك من خلال المقارنة والتفضيل بين ما هو أفضل وبين الأفضل على الإطلاق، فلا يكفي -على سبيل المثال- أن تكون (محترمًا)، وإنما يجب أن تكون بين وضمن أولئك الأكثر احترامًا، ويقوم هيرودوت (Herodotus) غالبًا بوصف الأرستقراطيين مثل (البروتوي) أو Protoi والتي تعني تلك الطبقة من الأرستقراطيين، والتي تعني (الأول) أو (الأمراء) وهي المجموعة الصغيرة التي تكون بصحبة الملك في وقت السلم أو وقت الحرب، وهذه المجموعة نفسها تكون موجودة عندما لا يكون الملك حاضرًا في مسرح العمليات، وفي جيش أوتانيز Otanes في ساموس Samos ، ويقوم هيرودوت (Herodotus) بتمييز (الفرس من الطبقة العليا والذين لديهم مناصب في الدولة مخصصة لهم)، وبعد أن غادر كسركسيس (Xerxes) إلى سارديس Sardis ، نجد أن ماردونيوس Mardonius وضع على رأس الجيش ووكل إليه قيادته، وقيام ثيبان Theban بالتعهد بالمسؤولية في إدارة (الطاولة) أو المأدبة، وقام بدعوة ماردونيوس وخمسين آخرين من الفرس المميزين، وهم الذين كانوا من أفضل الناس الذين تم تشريفهم وتكريمهم بعد ماردونيوس .

ومن خلال الألفاظ السابقة يمكن أن نستنبط الحقيقة القائلة بأن النبيل هو الشخص الذي يُولد لأب من النبلاء، ولكن في الوقت نفسه، نجد أن هيكل القصر وتسلسله ينافس الهيكل والتسلسل الخاص بالجماعات والعشائر من حيث أفضل الناس ونبلائهم، وهو ما يكون مشتقًا بشكل أساسي وجوهري من أصل الميلاد، وحتى تكون مميزًا بكونك شخصًا نبيلاً، فإن ذلك أيضًا لم يكن مرتبطًا بالخط العائلي لك وارتباطك بعائلة نبيلة من الأصل).

حيث نجد أن هيرودوت (Herodotus) وعباراته قدمت لنا هذا الاستنتاج المزدوج، مثلاً ماسستوس Masistius الذي فُقد في معركة

بلاطيا Palatea ، يقوم هيرودوت (Herodotus) بوصفه قائلاً: (هو الرجل الذي كانت مكانته عالية، وذلك عند الملك وعند من يعرفونه أكثر من أي شخص آخر في الجيش الفارسي فيما عدا ماردونيوس نفسه)، وقد قام هيرودوت (Herodotus) باستخدام هذه التعبيرات المقارنة نفسها في العديد من المرات، مثلاً أخمينيد أريتش Achaemenid Artachaees)كان يتم احترامه بشكل كبير بواسطة الملك كسركسيس (Xerxes))ويرى بركساسبس Prexaspes أنه لم يكن (في درجة عالية من التشريف والتكريم بين الفرس)، وكان (رجلاً مميزًا) فقط، ولكن أيضًا (أكثر الرجال الذين كانت الثقة موجودة فيهم)، ونحن ربما أيضًا نعلق على أرتابازوس Artabazus وهو ابن فارناسيس Pharnaces)وهو الذي كان رجلاً متهورًا، وذلك في الجيش الفارسي، وكان كل يوم تزداد سمعته ويذيع صيته نتيجة لحرب بلاطيا Palataea)، وحتى قبل هذه المعركة، كان من الفرس الذين يتمتعون بسمعة حسنة لدى الملك كسركسيس (Xerxes)) .

وبالطريقة نفسها، فإن التعبيرين المستخدمين بواسطة هيرودوت (Herodotus)(الأكثر تقديرًا من أي شخص آخر في الجيش الفارسي)، والتعبير الثاني (الذي يتمتع بأفضل سمعة حسنة لدى الملك)، يشيران إلى هيكليّ وأسلوبيّ التصنيف اللذين ما زالا موجودين جنبًا إلى جنب، وهم الهيكل الملكي (للقصر والأسرة الحاكمة)، وهيكل أو تسلسل الجماعة والعشيرة (من حيث الميلاد) لأسرة عريقة ونبيلة، وبشكل آخر فإن الاستحسان والتقدير الملكي من جانب القصر هو أيضًا مرتبط بالمولد والنشأة، وذلك كما يقول إيليان Aelian بأن الارستقراطية الفارسية بالميلاد محددة ومعروفة من خلال التقاليد الخاصة بالأسلوب الملكي والأرستقراطي في التنشئة، حيث يُفسر اللغويون الكلمة الفارسية (آزاتاي Azatai) بمعنى (حر، نبيل) كالتالي: (هم أولئك الذين يكونون دائمًا على

مقربة من الملك)، وهم الذين يحصلون على تقدير الملك العظيم واحترامه وهي التي تعتبر خاصية أخرى ودلالة على نبل هؤلاء .

الاستحسان الملكي والارتحال والتنقل الاجتماعي:

وحيث إن هناك طرقًا وأساليب يمكن من خلالها الالتحاق بالهيكل الملكي بعيدًا عن كون الشخص مولودًا فيه بحاكم الميلاد أو الثروة، فإن ذلك يدعونا إلى الافتراض بأنه من الممكن نظريًا أن يصبح الرجل الفارسي الفقير متكاملاً مع الهيكل أو التسلسل الملكي .

وفي داخل الجيش الخاص بقورش (Cyrus) ، كان زينوفون (Xenophon) مرات عديدة يقوم بالتمييز بين الهودوتايمز Homotimes وبين الناس (الديموتوي (Demotoi حيث إن الأول (الهوموتايمز) يستطيعون العيش والحياة بدون عمل؛ لأنهم يعيشون على عمل الآخرين، بينما النوع الآخر (الديموتاي) يكون عليهم العمل من أجل العيش والحياة، وهم المزارعون والفلاحون والرعاة من العامة والذين أطلق عليهم زينوفون (Xenophon) وإيليان كلمة (أوتورجوي Autorgoi)، والتي تعني ملاك الأرض الصغار .

ويقوم زينوفون (Xenophon) بالإشارة إلى الترقية الاجتماعية حيث إن الأشخاص الذين يُطلق عليهم قورش (Cyrus) ، طقم الحراس الأول هم الأوتورجوي (Autorgoi) ، وعند مناقشة جائزة ومكافأة الترقية لما يفعله الفرد بين أفعال جيدة، نجد أن زينوفون (Xenophon) يقدم لنا فيرالوس الفارسي Pheraulas ، حيث كان فيرالوس واحدًا من الديموتوي Demotoi ، ولكنه الرجل الذي لسبب ما أو آخر، نجده قد اكتسب ثقة الملك قورش (Cyrus) ووده، فكان مفضلاً، ولكن بسبب أصوله لم يستطيع الالتحاق بالتعليم التقليدي لنبلاء فارس، فقد كان والده فلاحًا فقيراً يستعير بذور الغلال لزرعها في الأرض، وبالرغم من أن فيرالوس لم يكن لديه خيار إلا أن يعمل في الأرض مع والده، إلا أنه كان مغرمًا

جدًّا ومبهورًا بمهنة الجندية منذ طفولته، ومع تعرضه ومقابلته الهوموتايمز، نجده قدم وعرض نفسه كمثال لهم قائلاً: (نحن الآن جميعًا نبدأ على أرض واحدة ومشتركة من أجل الحصول على الشرف والكرامة)، ويضيف قائلاً: إن قورش (Cyrus) ، لن يدخل بمفرده في عملية تقديري، ولكنني أتوقع منكم أنكم سوف تكافئونني وتعطونني قدري، وبدأ في تحدي غيره من الديموتاي في الجيش حتى يحصل على شرف الجندية، ودخل في مناقشة مع هؤلاء الرجال من أجل أن يكون واحدًا منهم)، والخاتمة كانت أن كل واحد منهم سوف يحصل على المكافآت طبقًا لأعماله وبلائه وشجاعته وأن قورش (Cyrus) سوف يكون هو الحاكم.

ومن الصعب أن نعتبر تقديم زينوفون (Xenophon) هذا قاعدة ذات أهمية أو قيمة، فقد ألف العديد من الكتابات السياسية العالية لمناقشة مزايا المجتمع، والقائم على أساس تقدير واستحسان الفرد، وفي الوقت نفسه، فهو يبدو وكأنه يقوم بترقية واحد من الموضوعات المحددة، وذلك للأيديولوجية الملكية، والملك الأخميني نفسه قد وضع نفسه وحدد مهامه ووظيفته في أن يكون هو همزة الوصل، وشكل التسوية والحل الوسط بين مصالح واهتمامات الطبقة القادرة وتلك الضعيفة، فالجنود البسطاء والعامة من الشعب والمزارعين يمكن ترقيتهم فجأة إلى مرتبة المحسن الملكي، ويمكنهم الحصول على العديد من الهدايا والهبات، ولكن ليست هناك أمثلة محددة ربما تتطابق مع (حكاية المجتمع) لفيرالوس، ومع ذلك فإننا ربما نقوم بوضع مثال الفلاح الماrديني (راكوك Rhakoke)، حيث كان نتيجة لعدله وقسطه، أن قام الملك برفع مكانته وترقيته إلى مرتبة (القاضي الملكي) أو قاضي القصر، ودعنا نلاحظ أن بعض الفرس كان يتم تحديدهم ليس على أساس اسم قبيلتهم وإنما من خلال مكان إقامتهم، مثل أوميزا Umizza وهي تعني ابن هالبا Halpa وهو

الذي كان يعيش في حيران Hiran وغيرها، وغيرها من الأسماء، والتعايش جنبًا إلى جنب بين الجماعات والقبائل كان عبارة عن إشارة إلى التبادل أحيانًا فيما بينهم في العديد من هذه الأفكار، وأيضًا ربما تغير عن هذا الاختلاف والتنويع الاجتماعي بين العائلات القديمة الأرستقراطية التي كانت مرتبطة بهذه القبائل والفرس من أصل ميلاد متواضع، وفي الحقيقية فإن كلا التفسيرين نجدهما متناسقين ومنسجمين فيما يطلق عليه (الطبقة الاجتماعية الجديدة)، وهي الطبقة التي ربما كانت تتكون وتتشكل من الرجال الذين كانوا مطرودين من القبيلة والأرستقراطيين ذوي الدخول المتواضعة والذين استمروا مع ذلك في انتمائهم إلى القبيلة الأم حتى نهاية العصر الأخميني، وطبقًا لهيرودوت (Herodotus)فإن (مورافي) Moraphi كانت قبيلة فارسية، ومن ثم فإنه من غير المستحيل أنهم كانوا فلاحين فارسيين، وهم الذين لا نعرف إما تمييزهم عن أو مقارنتهم بالـ Kurtas ، والتفسير غير أكيد؛ لأننا لا نعرف بالضبط الأصول الاجتماعية للعديد من الفرس .

والأكثر من ذلك، إذا حدثت مثل تلك الترقيات، فإنها لا تؤثر بجدية في الهيكل الاجتماعي الفارسي، وهناك لوحتان تسجلان بعض الأسماء التي كان يتم إطلاقها على بعض الجماعات الفارسية مثل (الكورتاس) (Kurtas) ، ويجب أن ندرك أن بعض الفرس كان يتم تقليل مكانتهم إلى وضع (الكورتاس Kurtas)، وذلك في ظل ظروف لا ندركها ولا نفهمها، حيث إن مجموعة الكورتاس هي مجموعة متواضعة من الفرس، ويبدو أن هذه اللوحات التي تعرض هذه الأسماء ربما تعتبر مجرد عينًا فقط، ومن المعقول أن نتخيل أن القليل من الفرس الكورتاس Kurtas مذكورون في قائمة هذه اللوحات، ويبدو أيضًا من المنطقي وبشكل عادل التفكير في أن الفرس البسطاء كانوا يعملون في أراضي الأرستقراطيين، وكانوا بلا شك مطلوبين من أجل العمل في

هذه الأراضي، ومن أجل العمل مثل الحدائق القريبة من القرية، أو تمهيد الطرق من أجل مرور الملك العظيم ورجاله، ونحن أيضًا نعرف أنه مع بداية عصر قمبيز Cambyses ، فإن العبيد الذين كان يتم شراؤهم من الماتيز Matezzis كانت لهم أسماء فارسية، والانتصار الإمبريالي للمجموعة السائدة ذات القيمة لم يقم أيضًا بإلغاء الاختلافات والفوارق الطبقية) والطبقة الاجتماعية السائدة التي كانت موجودة ليس فقط في الإمبراطورية وإنما في المجتمع الفارسي ذاته).

ومع مناقشتنا لاجتماعية الترقي الاجتماعي، فليس هناك شك في أن الجزء الأعظم من رجال الملك، قد أتوا من العائلات الأرستقراطية العظيمة، فأصول الميلاد لم تنخفض أبدًا من حيث اهميتها، وأهمية الميلاد كمعيار لهذا العمل (خدمة الملك) كان شيئًا مهمًا تم توضيحه بواسطة النصوص اللاحقة، عندما قام الإغريق وأتوا بعد كوناكسا Cunaxa إلى أيريوس Ariaeus حتى يسألوه أن يأخذ مكان قورش (Cyrus) فأجابه: (إن العديد من النبلاء الفرس لن يدعموني في أن أصبح ملكًا) وعندما توسط الملك الإسبرطي أجيلوس Agesilaus في الترتيب للزواج بين ابنة (الفارسي Spithridates)والنبيل في القصر الملكي Otys ، لم يكن السبب وراء زواجه منها هو جمالها الطاغي فقط وإنما نبل أصل والدها وأجدادها، (وكانت الفتاة Spithridates من عائلة متواضعة جدًا في فارس ولكن والدها كان رجلاً نبيلاً، وفي جيش دايوس الثالث، كان الفرس مميزين ما بين (أريان Arrian)، و(ماسيز Masses)، وقد قام الإسكندر بعد ذلك باستخدام المبدأ نفسه، وذلك للتمييز بين بعض الفرس الذين كانوا تحت قيادته بعد وفاة دارا (Darius)، حيث قام بالفصل بين العامة وبين أولئك أصحاب الميلاد الرفيع .

المنازل الأرستقراطية الفارسية:

قام هيرودوت (Herodotus) وسترابو بالإشارة كثيرًا إلى الهياكل

الاجتماعية في فارس والتي لم تقلل من التمييز بين الغني والفقير والتعارض فيما بينهما، ومن بين العوامل الخاصة بالرمزية الاجتماعية في الحقيقة نجدهم (هيرودوت (Herodotus) وسترابو) قد اهتما اهتمامًا خاص بأسلوب تحية الفرس للآخرين ولبعضهم البعض، وذلك تبعًا لوجودهم في مكانهم في الهيكل وذلك حسب التسلسل الاجتماعي، فإذا كانوا متساوين في مستوى الشرف والتكريم فإنهم يقبلون بعضهم على الشفاة، فإذا كان أحدهم أقل في المرتبة أو الوضع الاجتماعي من الآخر، فإنهم يُقبلون الخدود، وأخيرًا إذا كان أحدهم متواضعًا جدًّا من حيث الميلاد، فإنه يكون مقيدًا بأداء البروسكيني Proskyneses وذلك أمام من هو أفضل منه، وبالتالي فإن هذه الأساليب تبدو وكأنها تتبع ثلاث مجموعات، وهذه المجموعات طبقًا لزينوفون (Xenophon) هي النبلاء وهم الهوموتوماي Homotomai والشرفاء أو (من دون النبلاء) وهم Petite noblesse والمجموعة الثالثة هي العامة وهم (Genus du commun) ، وهذه المجموعة بالتفصيل قدر الإمكان هي كالتالي المجموعة الأولى، النبلاء وهي المجموعة التي تشمل كبار العائلات الأرستقراطية العظمى، والتماسك الداخلي للعائلات العظيمة المعروفة جيدًا من خلال الرومانسية الأرستقراطية الرائعة لكل من أودايتس وزاريدس Zariadres, Odatis ، ويبدو من الواضح أن السلطة الأرستقراطية في فارس بالإضافة إلى الأقاليم كانت قائمة على أساس ملكية الأراضي، وربما كانت الملكيات من هذا النوع هي ما كان يتم ذكرها في اللوحات .

وطبقًا لهيرودوت (Herodotus) فإن هناك العديد من القبائل التي تعتبر من قبائل النبلاء مثل قبيلة باسارجادا Pasargadas التي تعتبر أعضاءها من النبلاء) ومن خلال ذلك، هل يجب علينا أن نتخيل الفارق بين طبقة النبلاء العليا التي تمتلك الممتلكات الموجودة في فارس والطبقات الأخرى من النبلاء التي تحصل على الملكيات فقط بواسطة الاستحسان والتقييد الملكي .

ونتيجة للتنظيم الاقتصادي الخاص بالبيوت الاستعراضية العظيمة، فإن النص الذي يتناول ذلك، هو مقطوعة كتبها هيراقليدس وعلق عليها أثينوس، وننتقل إلى التنوع في الأطباق المعدة لطاولة الملك كل يوم، والذي كان يوجد في طاولات الفرس الأكثر ثراءً، حيث إن (الفارسي الثري في عيد ميلاده، نجده يحصل على ثور أو حصان أو جمل أو حمار، ويكون مطهيًّا بالكامل في الفرن)، وحول شرح وتفسير الإدارة الاقتصادية الحريصة لإمدادات الطعام للطاولة الملكية يقول هيراقليدس إنها كانت إمدادات الطعام نفسها للصفوة من الفرس، ويكمل هيراقليدس قائلاً: (إن الوجبة بالكامل يتم إحضارها على الطاولة مرة واحدة، ولكن عندما يكمل رفاق الطاولة الانتهاء من طعامهم، فإن الطعام الباقي سواء كان خبزًا أو لحمًا، يتم أخذه بواسطة المسؤول عن الطاولة، ويوزع على كل رجال البيت الملكي، وبهذه الطريقة فإنهم يحصلون على وجباتهم كل يوم، وهذا هو الكسب الذي من أجله يأتي أكثر رفاق الطاولة تكريمًا وتشريفًا إلى القصر فقط من أجل تناول الغداء أكثر من مرتين).

وعندما نفكر في هذه الجمل ندرك أنها غير غامضة، فالبيوت الأرستقراطية كانت موجهة ومنظمة بطريقة محددة بشكل مطلق، ومناسبة للقواعد التي تحكم بروتوكول البيت الملكي أو الذي ينتمي إلى الأسرة الحاكمة، فكل منزل يكون له خادمه ومنظمه، ونجد أن التماثل أو التناظر بين المنازل الأرستقراطية والبيوت الملكية أوضح عند مقارنة تلك الطاولات والمأدبة، حيث يصف هيرودوت (Herodotus) عيد ميلاد أحد كبار هذه البيوت، ويقول إن: (عيد ميلاد الفارسي يكون مميزًا عن أي يوم من أيام السنة، ويكون حافلاً بعشاء فاخر جدًّا ورائع، وهذا بعكس أهمية المأدبة أو الوليمة التي يتم تقديمها كل عام في عيد ميلاد الملك، وأيضًا من الممكن أن يعطي الهدايا وغير ذلك .

وباختصار فإن المجتمع الفارسي يتصرف طبقًا للهيكل أو التسلسل المحدد، وكل فرد أرستقراطي أيضًا يكون له الباندكا الخاصة به .

وأوجه التشابه لا تقف عند هذا الحد، فهناك أشياء أخرى يشتركون فيها ويتشابهون مع بعض في أن كل شخص مثلاً يكون له عدد من الزوجات والعديد من الأطفال (حيث يضيف هيرودوت (Herodotus) ويوافق على ذلك قائلاً إن: (البرهان والدليل الأساسي على سيادة الرجل وهيبته يكون من خلال كون الرجل أبًا لعائلة كبيرة من الأولاد)، ومن الأكيد أيضًا عمليًا أن العائلات الأرستقراطية التي تتبع شكل العائلة الملكية يمكن أن تدخل في تحالفات واتحادات .

ويقوم هيرودوت (Herodotus) بوصف السلطة التي تكون في يد رئيس العائلة وكبيرها على أطفاله، ويقوم بمقارنتها بتلك السلطة التي كانت لدى الملك، حيث يقول: جرت العادة على منع أي شخص حتى الملك نفسه من أن يضع أي رجل ويحكم عليه بالموت نتيجة إثم واحد أو جريمة واحدة، ويمنع أي فارسي تحت هذه الظروف من أن يعاقب الخادم، وبشكل آخر فإن كبير المنزل يبدو وكأن لديه سلطة الحياة والموت بالنسبة للناس الذين يعتمدون عليه مثل أبنائه وأقاربه وخدمه على الأقل، فيقوم بمعاقبتهم فيما يتعلق بتقاليد العائلة).

وهذه هي الطريقة التي بواسطتها يجب علينا أن نفهم العلاقة بين كسركسيس (Xerxes) ، وساتسب Sataspes التي قدمها هيرودوت (Herodotus) ، حيث يقول إن ساتسب كان صديقًا مقربًا جدًا من الملك؛ لأن والدته كانت أخت كسركسيس (Xerxes)، فقبل أن يتم العفو عنه بسبب توسلات والدته، تمت إدانته بالحكم عليه بالموت بواسطة الملك؛ لأنه قام بجرح ابنة ميجابيزوس Megabysus والتي تُدعى زوبيروس Zopyrus ، والآن نعرف أن ميجابيزوس نفسه قد تزوج واحدة من بنات كسركسيس (Xerxes) ، وبالتالي، ربما كان هذا هو دورة باعتباره رئيس العائلة الملكية

أو القصر الملكي، وهو أن يقوم كسركسيس (Xerxes) بالتدخل في هذه القضية .

ترابط العائلة والسياسة الملكية:

لقد عرفنا الآن أن الهيكل العائلي وأصل الميلاد هو شيء لن نغفله عند مناقشة واعتبار عملية النبل والكرامة، والأفضل من ذلك، فإن ترابط وتماسك منازل الفارسي العظيم يعود إلى القضاء الاقتصادي والاجتماعي، بالإضافة إلى القضاء السياسي، وهناك العديد من الملحوظات التي تحدد وتخفض بشكل طبيعي تلك النتائج المقدمة مسبقًا على أساس الاعتماد المطلق الذي يربط الأرستقراطية بالطبقة الحاكمة عن طريق الهدايا والتكريم والتشريف وغير ذلك .

ويقدم كل من هيرودوت (Herodotus) وسترابو بعض الدلالات والإشارات حول الأساليب التفكيرية الفارسية والتي تتعلق باحتفالات الزفاف، (على سبيل المثال، تلك الوجبة التي كان يقدمها العريس ويدعو اليها الناس)، حيث نجد إنه من الأهمية بمكان أن يكون هناك تمييز بين الزيجات الشرعية الصحيحة وتلك الخاصة بالتحالفات غير الرسمية والاتحادات، وبالطريقة نفسها، فإن النصوص اليونانية تقوم بالتمييز بين الأطفال الشرعيين وبين أولئك غير الشرعيين والذين يطلق عليهم (نوتوي (Nothai) ، حيث يبدو أن هذا هو السبب وراء غضب Spithridate من فارنابازوس Pharnabazus والذي كان يريد ابنته بدون زواج، ومن المحتمل أن الزيجات كان يتم تنظيمها وترتيبها وعقدها بواسطة رؤساء العائلات، وأن العقد كان عبارة عن القسم والأضحيات، وقد يكون هناك تدخل بواسطة الملك في بعض الأحيان .

بالإضافة إلى ذلك فإن الزيجات وحفلات الزفاف في الفترة الأخمينية Achaemenoid كان يتم إجراء احتفالاتها في وجود الملك، وكانت الزيجات من الممكن أن يتم الاعتراف بها بواسطة السلطة

الملكية أو ربما داخل القبيلة، ثم بواسطة الملك وذلك في احتفال عام في القصر الملكي .

وقد كتب هيرودوت (Herodotus) عن العديد من العائلات الفارسية، حيث يضيف (أن أولئك الذين لديهم العدد الأكبر من الأولاد، يحصلون على هدية سنوية من الملك) وقد قام سترابو باستخدام كلمة (أثلا Athla) التي تقترح فكرة التنافس بين العائلات الكبرى، وذلك بالطريقة نفسها التي يقوم فيها الملك بتوزيع المكافآت مثل جوائز المسابقات على الشباب المتعلم في فارس، وفيما يختص بالهدايا الأخرى وأشكال الاستحسان والتقدير، يجب علينا أن نهتم بهذه المناسبة وتوزيع الجوائز لكي تكون شكلاً من الاعتراف الرسمي، وبشكل ما فإن قيمة العائلة التقليدية كان متكاملاً في السياسة الديموجرافية التي كان يقوم الملك بتشجيعها، ونحن نستطيع فهم الأسباب، فمن أجل حماية القوة السياسة والعسكرية في الإمبراطورية، كان على الفرس أن يحافظوا على قدر كبير من السكان والناس حتى يستطيع الملك من بينهم اختيار الصفوة وإمدادهم بمن يؤدون خدماتهم وأعمالهم، وفي الوقت نفسه، فإن الشباب الأرستقراطي يكون متعهدًا بخدمة الملك عن طريق التعليم المقدم لهم.

وعلى الجانب الآخر، فإن سلطة كبير العائلة لم تكن مطلقة مثلما نفهم من كلام هيرودوت (Herodotus) ، وفي البداية هناك اعتبارات كثيرة جعلتنا نفهم ذلك، فلو أن الشباب كانوا يعيشون مع والديهم، إلا أنه كان عليهم أن يطيعوا أي نداء في العودة للجيش الملكي، وقد قام هيرودوت (Herodotus) مرتين بتصوير الآباء الذين حاولوا إعفاء أولادهم من الخدمة العسكرية، وفي كل مرة كانت استجابة الملك شديدة العنف، ويذكرهم دائمًا بأنه هو نفسه قدم ابنه معهم للخدمة العسكرية، وفيما يتعلق باستمرارية وتماسك العائلة التي يكون لها نظام قضائي، ففي أثناء التمرد أو العصيان، نجد أن المتمردين يأخذون في طريقهم كل أفراد عائلتهم،

وعلى الجانب الآخر فإن جاذبية الاستحسان والتفضيل الملكي كانت لها علاقة بتماسك وصلابة العائلة، وبالتالي فإن تمرد العائلة يكون قائمًا على أساس تماسكها وصلابتها، حيث يقول ويتصرف الجميع، وتعتبر العائلة كلها مذنبة، والجميع بالتالي سوف يُعاقبون).

وتحت هذه الظروف، نفهم كيف كان جلوس Glus وهو زوج ابنة بازوس الثري Threbazus خائفًا من كونه متورطًا في تهمة التمرد ضد والد زوجته، وهناك وصية توضح جيدًا العلاقة بين العدالة الخاصة بالعائلة وتلك الخاصة بالقصر أو الملك، حيث يقوم راكاسيس Rhaceces في البداية بمحاولة الرعاية والاهتمام بالمشكلة أو الأمر باعتباره كبير العائلة، وثانيًا يكون خاضعًا للأحكام المحلية قبل أن يتم تسليمه إلى الملك نفسه، وبالتالي فإن هناك علاقة بين القضاء المحلي (العائلي) وبين القضاء الخاص بالملك والذي يأتي في المرحلة اللاحقة).

5- الملك والمرزبان:

استراتيجيات وخطط العائلة والسيطرة الملكية:

من بين كل المخلصين للملك نجد أن المرزبانات قد لعبوا دورًا مهمًّا في المملكة أو الإمبراطورية من خلال الصلاحيات والقوى التي أُعطوها، وذلك لحماية الملك والمملكة حتى وإن كانوا في أقاليمهم بعيدًا عن المملكة، والتفرد والتماسك الخاص بالعائلات الفارسية العظيمة يشرح كيف يمكن أن يطلق على الرجل النبيل لفظ (المرزبان)، فهو يمكن أن يأخذ عائلته بالكامل معه، وهذا يشرح أيضًا كيف يمكن أن يتعاون أولاده مع حكومته، وربما يشتركون معه في تمرد مثلاً ضد الملك، حيث إن كبير العائلة يكون هدفه ترقية أبنائه وتحسين وضعهم بحصولهم على أعلى المناصب في المملكة، والأكثر من ذلك أن أسلوب تمرير المسؤوليات وانتقالها إلى الأجيال المتعاقبة هو أمر قائم، حيث يقول

(سي تسيا) وهو يعبر عن ذلك أن (... أصبح هو المرزبان بدلاً من والده...).

ومن أشهر الأمثلة الخاصة بهذا المنصب وهذه المكانة نجد تلك الخاصة بإقليم فرجيا Phrygia ، حيث قام كسركسيس (Xerxes) في عام 479 بتعيين أرتابازوس Artabazus وكان رجلاً ذا أصول عريقة ومن عائلة، حيث كان والده هو فيرناسيز Pharnaces الذي كان مثل الباراناكا Parnaka ، وهو الوزير الاقتصادي في فارس، وذلك تحت حكم دارا (Darius) ، وقد كان فرناسيز أو بارناكا هو ابن أرسامز أو Arsames والذين اتفق الجميع على أنه هو أخو هيستاسب Hystaspes والذي كان هو والد دارا (Darius) وبالتالي فإن أرتابازبيس Artabazus كان ذو علاقة وثيقة بالأسرة الحاكمة؛ وذلك لأنه هو ابن عم دارا (Darius) ، فقد اشترك في الرحلة الاستكشافية في عام 480 أو الحملة (لاحظ أن كلمة رحلة استكشافية سبق ذكرها وتعني أيضًا كلمة (حملة أو بعثة أو إرسالية)، ولكن في سياق الموضوع فهي تعني (حملة)، وذلك منذ عام 480، حيث إنه عقب عودة الملك إلى سارديس Sardis ، كان أرتابازيس Artabazus يتمتع بشهرة كبيرة في الجيش الفارسي، ثم علا بعد ذلك ليضع نفسه تحت إمرة ماردوينس Mardanius ، ولكنه كان يقف في وجه استراتيجيته، وبعد الهزيمة في بلاطيا Platae ، نجده ينجح في قيادة بعض القوات إلى Asia Minor وكان هذا هو السبب وراء منح كسركسيس (Xerxes)له ليكون مرزبانًا على سبونت فرجيا Phrygia ، وقد لعب دورًا مهمًا في عام 470، وبقى في وظيفته هذه حتى 449، وفي تاريخ غير معلوم أو محدد بالضبط، نجد أنه نجح بمساعدة ابنه فارناسيز Pharnaces (الذي يحمل اسم جده)، وفي عام 412 نجد أن ابن فارتاتسيز والذي يدعى فارتابازوس Pharnabazus قد حكم الولاية الفارسية، وربما ذلك كان بمشاركة إخوته، وذلك لأن المعاهدة التي تم

إبرامها مع إسبرطة Sparta كانت موقعة باسم أبناء فارتاسيز، وقد تم استدعاء فارتابازوس إلى القصر، وتزوج من ابنة أرتاكسركسيس الثاني التي كانت تدعى آبامي Apame ، ونحن نستطيع أن نتتبع تاريخ العائلة وقصتها حتى وقت دارا (Darius)الثاني .

والشرعية الخاصة بالعائلة، تعرف على أنها هي أساس الوظائف والأوضاع الأخرى لها؛ ولذلك فإن أوتانز Otanes قد تفوق على والده ثم تفوق عليه Sismanes (وهو الذي حكم عليه بالموت بامر كامبيتر أو Cambyses)وأصبح هو القاضي الملكي .

وبالرغم مما هو معروف ومعلوم جيدًا، فإن مسؤوليات النبلاء المحترمين لم تكن تمر بشكل تلقائي، إلى أولادهم، وهناك العديد من الأمثلة التي توضح أنهم كانوا يشتركون تلقائيًا في هذه الوظائف وأداء مهامها، وهناك واحد من ضباط كسركسيس (Xerxes) ، وهو الأدميرال بريكساسب Prexaspes الثاني، وهو ابن أسباتينز Aspathines الأول عام 480 لم يكن هذا الأسباثينز إلا واحدًا من بين السبعة الذين ذكرهم هيرودوت (Herodotus) ، وكان واحدًا من حاملي الدرع الملكي، وكان من الأشخاص الذين اعتمد عليهم كسركسيس (Xerxes) كثيرًا .

ونتيجة لتلك الأسباب وهذه الأشياء، فإن الحظر الناتج عن إيجاد مثل ذلك المرزبان بشكل مبكر وكيفية اتباعه لهذه المبادئ والمسؤوليات كان عظيمًا، ويبدو أن أوريتوس Oroetes قد حاول ذلك في آسيامينور Asia Minor للاستفادة من هذه السلطة، والأبناء أيضًا بشكل طبيعي كانوا يريدون أن يكونوا مثل من سبقوهم ويحصلون على هذه الملكية، وذلك هو ما ذكره زينوفون (Xenophon) على لسان فارتابازوس Pharnabazus وهو يقول تلك الكلمات لآجي سيلوس Agesilaus (كل شيء تركه لي والدي، القصور الجميلة والحدائق المليئة بالأشجار والتي أسعدتني كثيرًا وفي بعض الأحيان يكون هناك معارك بين الورثة على منصب

المرزبان، ومع ذلك فإنه يبدو أن تعيين أو فصل المرزبان على العموم كان هو من سلطة الملك فقط، وإدخال أي من الأقارب في ذلك (ابن - ابن أخت - ابن أخ) في سلسلة الإمارة هذه بواسطة الأب أو العم في هذه الوظائف أيضًا كان يجب أن يتم تأكيده بواسطة الملك ذاته وهي الطريقة نفسها التي يتم تأكيد شرعية المرزبان بها، وأيضًا تأكيد سلطاته، وبالرغم من أنه يتم مراقبة المرزبان عن قرب، فإن مبدأ الوراثة العائلية للسلطة كان يتميز بإعداد الأبناء للتمرس على القيام بمهام ووظائف المرزبان، ويجب أن نضيف أن طول فترة المرزبان تكون حالة استثنائية، حيث إن المرزبان لا يستمر فيها فترة طويلة، ولا يفوتنا أن نقول إن المرزبان الأخميني Achaemenid هو مجرد خادم مدني كما في المجتمع المتحضر حاليًا، فهو يعتمد شخصيًا على الملك ويكون من الواجب عليه أن يتصرف مثل البانداكا المخلص Bandaka ، والأكثر من ذلك فهو يكون مُراقبًا بشكل قريب بواسطة السلطة المركزية).

المرزبان والقوات المسلحة:

من أهم الدروس التي تعلمها دارا Darius من عدم الاعتماد على أوريتس Oraetesفي ساردیس Sardis هو أن المرزبان لديه العديد من المصادر التي بواسطتها يمكنه تحرير نفسه من السلطة المركزية، حيث كانت من أهم هذه المصادر والمزايا التي تجعله مستقلاً عن السلطة المركزية هو القوات المسلحة المتاحة لديه، وهي حامي آلاف الفرس، وهي القوات التي يستطيع أن يحصل عليها من فريجيا Phrygia ، وليديا Lydia ولونيا Lonia ، ولكن هل هذه القوة ذات نظام وتتبع النظام ككل أم هي نتيجة للضعف الحالي في السلطة المركزية؟ وبشكل آخر، هل للمرزبان السلطة الكاملة على هذه القوات التي تتبع الولاية الفارسية؟

في حالة الحملات العسكرية الخاصة تبدو الإجابة واضحة، مثل قيام أوتانز Otanes بحملة ضد ساموس Samos ، وغيرها من الأمثلة التي

توضح بدون شك أو غموض أن المرزبان يكون عليه تقديم الطاعة والولاء بشكل أعمى للأوامر التي تأتي إليه من السلطة المركزية، وفي بعض الحالات يتم التعهد للمرزبان الذي تكون وظيفته ومكانته عالية جدًا في أن يقود القوات من مقاطعة أوسع، وهؤلاء هم القادة الذين أطلق عليهم الكتاب اليونانيون لفظ (كاراتوس Karanas)، فعندما تم إرسال قورش (Cyrus) الأصغر إلى إقليم آسيا مينور Asia Minor بواسطة والده دارا الثاني، نجد أنه حمل معه هذا الأمر الملكي التالي (لقد أرسلت قورش (Cyrus) ككارانوس ويُضيف زينوفون (Xenophon) بأن كلمة كارانوس تعني (مُطلق الصلاحيات والسلطات)، وسوف نعود لاحقًا إلى وظيفة ومكانة قورش (Cyrus) الأصغر، ودعونا نقول بأن العديد من القادة في أوقات الهزيمة والذين تم منحهم لقب (ستراتيجو Stratego)كانوا من بين الرجال الذين كانوا يقطنون المناطق الساحلية أو القرى الساحلية لآسيا مينور Asia Minor، خصوصًا أوتانز Otanes ، ميجابيز Megabazus .

ولكن ماذا بشأن القوات الدائمة الخاصة بالمقاطعات مثل بابليون ومصر وآسيا ميتور؟ أكانت هي القوات المتاحة لاستخدام أصحاب السلطة من الفرس الذين استقروا في هذه الأقاليم أم لا؟ ولسوء الحظ، فإن هذا السؤال يمكن الإجابة عليه فقط من الأجزاء الأخيرة التي كتبها زينوفون (Xenophon) ، حيث يشير منها ويميز بين المهام العسكرية والمهام الخاصة بالمرزبان)، وطبقًا له (فإن قورش (Cyrus) لم يكن يريد أن يرى القادة العسكريين في القلعة)، حيث يحدد قورش (Cyrus) بوضوح أنه على قادة الوحدات العسكرية أن يقوموا بأداء المهام الموكلة إليهم، وهذه التعليمات أعطاها بيرس للمرزبان حتى يبلغها للقادة العسكريين، بينما على المرزبان نفسه أن يقوم (بحكم الناس، ويحضر أي موضوع يتطلب الاهتمام منه) ويؤكد زينوفون (Xenophon) أن الإجراءات التي تم القيام بها بواسطة قورش (Cyrus) كانت محترمة طوال عهده، فعلى سبيل المثال،

نجد أن أسلوب اعتماد الوظائف على الملك ما زالت مصانة ومتاحة وقائمة، والهدف من وراء ذلك بالنسبة للملك كما قال زينوفون (Xenophon) هو (الاحتياط لقيام أي مرزبان بالتمرد عليه، وبالتالي فإنه في حال قيام ذلك سوف يستطيع التصدي له عن طريق القادة العسكريين).

وفي المجال الاقتصادي للمملكة نجد أن زينوفون (Xenophon) كتب حول (أعمال الحرب) و(أعمال السلم)، وذلك بالنسبة للملك العظيم، ويقول زينوفون (Xenophon) أنه مع اهتمام الملك بالزراعة والبساتين، فإنه كان أيضًا مهتمًا بأعمال المحاربين .

ونحن نرى هنا الاختلاف بين الـ Phrourarch وهو (قائد الحملة العسكرية) أو الوحدة العسكرية وهو الذي يدافع عن الدولة في حالة الضرورة، وهو الحاكم المدني الذي يشرف على الأعمال الخاصة بالزراعة، وبالنسبة لطريقة تفكير زينوفون (Xenophon) فإنه يفصل بين الطريقين بين (الأعمال المدنية) و(الأعمال الحربية)، ويقول زينوفون (Xenophon) إنه (في أي مكان يكون فيه مرزبان، فهو الذي سوف تكون له السلطة الأعلى، وذلك في كلا الجانبين المدني والعسكري)، وفي هذه النقطة نجد أن زينوفون (Xenophon) يميز بين المرزبان والأرخوف (وهو الحاكم الأول في أثينا)، حيث يكون من المهام التي تلقى على عاتقه الإشراف على تأمين القوات الخاصة بالمقاطعة أو الإقليم، وأيضًا توفير الإمدادات لقوات الحامية العسكرية .

وقد كانت لهذه المقطوعات الخاصة بزينوفون (Xenophon) والتي كتبها، العديد من التفسيرات، وقد أثارت العديد من الصعوبات والمشكلات، وأولاً وقبل كل شيء يجب التأكيد على المضمون العام للاقتصاديات، ومع مناقشة أسلوب الحياة اليوناني والمثالي، نجد أن زينوفون (Xenophon) أشار إلى مثال الملك العظيم، وفي هذا الوصف، ندرك الصورة المثالية لقورش (Cyrus) الأكبر، بالإضافة إلى قورش

(Cyrus) الأصغر، حيث تشير الخاتمة إلى أن الملك فقط هو الذي يجمع الفضائل والصفات الخاصة بالمحارب .

وواحدة من أكثر المشكلات صعوبة في العلاقة الهرمية بين المرزبان وقادة الوحدات العسكرية، فنحن نعرف أنه بعد هزيمة سارديس Sardis أصبح طابالوس Tabalus هو قائد القلعة بأمر قورش (Cyrus) ، ولكن ما العلاقة بينه وبين المرزبان وهو الذي تم تعيينه بواسطة قورش أيضًا؟ ومع تأكيد القاعدة العامة المقدمة بواسطة زينوفون (Xenophon) (والتي تقول بأن المرزبان، يكون لديه سلطة على القادة العسكريين) فإن المثال الأخير الذي قدمه أورانتوس Orantas والذي تم تصويره بواسطة المؤلف نفسه في الآنابيسيس Anabasis ، ونتيجة لاتهامه بالخيانة فإن أورانتس تمت الإشارة إليه بواسطة قورش (Cyrus) الأصغر على أنه متورط فيها، ويبدو أنه عندما قام دارا (Darius) الثاني بجعل أروانتس القائد العام، فإن قورش (Cyrus) تولى منصب أعلى من أورانتس Orantas ، ولكن بمجرد أن تم استلام أنباء حول تمرد أورانتوس، فإن الملك الجديد أرتاكسركسيس قام بإعفاء أورانتوس من مسؤولياته، ولكن الظروف محددة جدًّا حتى نستطيع أن نحصل على نتائج من هذا المثال الأخير لأورانتوس Orantas ، ومع ذلك يمكن أن نستنتج أن هذه العلاقة مع قورش (Cyrus) قد تم تعديلها وضبطها فيما بين وقت دارا (Darius) الثاني وأرتاكسركسيس الثاني).

وفوق كل ذلك، فإن كتابات زينوفون (Xenophon) ، مثل العديد من النصوص اليونانية الأخرى، هي تلميحية أو ضمنية لشرح وتفسير تعقد المواقف المادية، والحالة الوحيدة التي تم ذكرها هي حالة الحامية أو الوحدة العسكرية التي تدعى Syene-Elephantine وبشكل جوهري، فإن جنود الحامية العسكرية يتم تنظيمهم في سرايا (كل سرية ربما تحتوي على ألف شخص)، وكل سرية يتم تقسيمها إلى فصائل (كل فصيلة مكونة من

مائة رجل) في مجموعات، كل مجموعة تتكون من عشرة رجال، وكل مجموعة تشمل جنودًا من خلفيات عرقية مختلفة، وقائد الحامية أو الوحدة العسكرية تحت قيادة الحاكم وهو المعتمد على المرزبان .

وإذا أردنا أن نأخذ ونستخلص بعضًا مما قرأناه من زينوفون (Xenophon) ، فإننا ربما نتخيل أن قادة الوحدات العسكرية العظمى يتم تعيينهم بواسطة الملك كما يتم تعيين المرزبان، والسبب يكمن في قلاع الأقاليم التي يرغب الملك في حمايتها؛ لأنها تكون هي قرائن الكنوز التي يتم العهد بها إلى ضابط خاص، وهذا الضابط يطلق عليه (جازوفليكس Gazophylax)(أي حارس الكنز) والذي يقوم بشكل مباشر بتبليغ أنشطته وتقاريره إلى السلطة المركزية، ولكن هذه الملحوظة لا تعني أن قادة الوحدات العسكرية والحامية العسكرية يكونون مستقلين عن المرزبان إلا إذا قام الملك بإعطاء تعليمات وأوامر مباشرة لهم، ومن الصعب أن نعرف كيف يقوم المرزبان بأداء واحدة من أهم مهامه ووظائفه وهو طاعة الأوامر التي تأتيه من أعلى، وكيف يتم تنظيم تسلسل الأوامر والتعليمات، وفي حالة الانتقال الخاص بالوحدات العسكرية للجيش الملكي، يكون ذلك من صميم مهام المرزبان الذي يتعهد ويشرف على نقل هذه الوحدات وتأمين حدود الأرض بناءً على طلب وأوامر الملك، وطرق الانتقال التي يأمر بها كسركسيس (Xerxes) تشير إلى تلك النقطة ولكن بأسلوب واضح، حيث نجد أنه في وقت السلم لا يكون مطلوبًا فقط من المرزبان أن يقوم بإطعام الحامية العسكرية وإنما أيضًا التنظيم التكتيكي والعسكري لها، وهم الذين يكون المرزبانات مسؤولين مسؤولية مطلقة عن سلامة هذه القوات، وذلك من خلال الفحص الدوري لهم، ويقول زينوفون (Xenophon) أيضًا أن (قورش (Cyrus) قد أعطى أوامره إلى كل المرزبانات الذين قام بإرسالهم وتعيينهم من أجل تنظيم سرايا المحاربين من الفرس، والذين قد أتوا إليه وأتوا من الأقاليم الحليفة).

وبعد معرفة قيام كل مرزبان بإجراء وتنفيذ التعليمات الموكلة إليه، وبعد أن يعطى كل مرزبان قوته المسلحة فإنه يقوم بتحريرهم حتى يكونوا جاهزين لأية حملة عسكرية مخططة للعام القادم، ومن أجل أن يقوموا دائمًا بفحص الرجال والخيول والمعدات العسكرية، ويبدو أن المؤلف يحاول جاهدًا أن يوضح أن قورش (Cyrus) كان يفعل أقصى ما في وسعه لتجنب عدم التكامل الخاص بالسلطة المركزية.

ويذكر زينوفون (Xenophon) في كتاباته جزءًا عن العلاقة بين المرزبان والقائد أو قادة الوحدات العسكرية التي تكون مستقرة تمامًا -حسبما يقول- ولكن مع عدم وجود تأكيد يمكن أن نجده هنا أو هناك.

المفتشون الملكيون (الذين يقومون بالتفتيش على المرزبان وأعماله):

في هذا السياق من موسوعة Cyropaedia ، نجد أن هناك إشارة إلى الفحص والتفتيش الدوري على المرزبانات، حيث يقول في الموسوعة: (لقد لاحظنا أيضًا هذا التقليد والذي أسسه قورش (Cyrus) ، ففي كل عام يقوم رجل بالتفتيش والمرور بالأقاليم بالجيش؛ من أجل مساعدة أي مرزبان ربما يحتاج إلى مساعدة، أو تقويض سلطة أي شخص يبدو أن لديه ثورة أو تمرد لا يستطيع إخمادها، ويقوم بضبط الأمور إذا كان هناك تقصير في جمع الضريبة أو دفعها أو حماية السكان، ورؤية ما إذا كانت الأرض يتم زراعتها، أو إهمال أي شخص في أداء واجبه ومهمته، أو فشل أي أحد في عمله، ولم يتم إبلاغ الملك بذلك حيث يوضح بأن الملك (قادم) أو من ينوب عنه سواء ابنه أو أخوه ويتأكد من أن كل شيء يسير على ما يرام، وحسب تعليمات الملك).

وهناك عدد كبير من المؤلفين الإغريق في القرنين الرابع والخامس والذين أشاروا إلى إنشاء ما يطلق عليه (عين الملك) إيسخيلوس Aeschylusوأرسطو (Aristotle) فانيس Aristophanes وبلوتارخ Plutarch قد أشاروا بوضوح إلى الشخص الذي يحمل هذا اللقب أثناء حكم

كسركسيس (Xerxes) وأرتاكسركسيس الأول وأرتاكسركسيس الثاني، ويقول هيرودوت (Herodotus) في كتابه (أسطورة المؤسس) إنه من بين أولئك الموظفين الذين يتمتعون بمرتبة ومكانة عالية الذي كان الملك قورش (Cyrus) الأصغر يحيط نفسه بهم كان من يطلق عليه (عن الملك)؛ ولأن النصوص التالية أثبتت، وذكرت أنه كان هناك العديد من عيون وآذان الملك، فإنه من المستنتج أن الأقاليم كان يتم مراقبتها بواسطة شبكة من الجواسيس الذين يعملون لصالح القصر، ويبلغون عن أي حركة تمرد أو عصيان أو انقلاب ضد الملك .

والسلطة المركزية قامت باتخاذ التدابير والإجراءات وذلك للسيطرة على المرزبان، وضمان أنه دائمًا مسؤول وينفذ الأوامر والتعليمات التي تصدر إليه من الملك، فمن الضروري تمامًا بالنسبة لهم أن يكونوا متأكدين من أن التعليمات والأوامر الملكية يتم تنفيذها وإجراؤها بمنتهى الدقة، ونجد أن زينوفون (Xenophon)أيضًا قد تناول فكرة الجنود الذين يكونون بعيدًا عن الملك، حيث يقول: (بالنسبة للجنود الذين يكونون على مسافات من الملك، يقوم بإرسال أي من مخلصيه؛ وذلك لمراجعتهم ومتابعتهم، وفي موسوعة الـ Cyropaedia الخاصة بزينوفون (Xenophon) ، نجده يعارض الرأي السائد في اليونان، حيث يقول: (بالفعل، يجب أن نفكر ونؤمن بأن المكاتب التي نطلق عليها (عيون الملك) و(آذان الملك) قد أتت إلى الوجود، وذلك من خلال هذا النظام الخاص بالجوائز والمكافآت، والتي يقوم باعطائها لكل أولئك الذين يجعلون أنفسهم آذانًا تسمع كل ما حولهم وأعين تراقب كل ما حولهم، ويقومون بإخبار الملك به، وحتى يكونوا في خدمته، وبالتالي ظهر ما يطلق عليه (أعين الملك) وآذان الملك)، ولكن من الخطأ أن تفترض أن الملك قد اختار (عينه) فلا يستطيع رجل واحد أن يرى أو رجل واحد أن يسمع، ويقوم بإدارة هذا الأمر، بل على العكس من ذلك

فإن الملك سوف يستمع إلى أي رجل يقول ويؤكد للملك بأنه قد سمع أو رأى شيء ما يستحق الانتباه والاهتمام ومن ثم، فإن القول بأن الملك له آلاف الأعين وله آلاف الآذان كان هو السبب وراء عدم التلفظ بأية كلمة ضد مصلحة الملك؛ وذلك لأن القائل متأكد من أن الملك سوف (يسمع ذلك ويعرفه)، أو أن يقوم بعمل أي شيء من شأنه أن يضر بمصالح الملك؛ لأن الملك سوف يراه وهو ما جعل كل رجل يشعر أنه تحت عين وأذن الملك الذي هو دائمًا معه يراه ويسمعه).

الخطابات (الرسائل) الملكية وتبعية (خضوع) المرزبان:

رأينا أيضًا كيف قام دارا Darius بإرسال (باجيوس Bagaeus)حتى يعلم الفرس في ساروس Sardis بالرسائل الملكية التي هي تعتبر بمثابة كلمة وأمر الملك، وبالنسبة للفرس فإن قراره الرسالة الملكية (القادمة من الملك) هي تمامًا مثل الأمر الصادر من الملك نفسه، حيث يقول (بولينوس) Polyaenus أنه بمجرد استلام المرزبان (داتاميس) Datames الخطاب من الملك أرتاكسركسيس الثاني، فإنه قام بالالتزام بما فيها فورًا، وتنفيذ التعليمات الجديدة والمرزبان أو العامة عندما يتسلمون هذه التعليمات الملكية الموجودة في الرسالة، فإنهم يقومون باتباعها فورًا .

وهناك العديد من الأمثلة، فعندما قام أرسطاجراس Aristagoras بإحضار طلب هزيمة ساموس Samos إلى أرتفارينز Artaphernes ، نجد أن المرزبان قد وافق وأبدى استحسانًا من حيث المبدأ، ولكنه طلب في البداية أن يتم الحصول على موافقة واستحسان الملك، وهو ما حدث عندما وصلت الرسالة الملكية من أجل السماح بالحملة والاستعداد العسكري، وعمومًا فإن الأقاليم الكبرى ورؤساءها لم يكن لديهم الحق والسلطة في القيام بأي عمل عسكري أو البداية فيه بدون الحصول على إذن ملكي بذلك وعن أصل ذلك فقد كان هناك تبادل في الرسائل مع السلطة المركزية (الملك).

وكان الشيء غير العادي هو عدم اتباع تعليمات الملك كلمة بكلمة، وحدث ذلك عندما قام أوتانز Otanes ، بالتمهيد لمذبحة الساميين Saminas ، وهو ما كان ضد الأوامر الخاصة بالملك دارا Darius والتي قالت: (بعدم قتل أو أسر أي من الساميين) ولكن كانت هناك أسباب وجيهة لذلك، حيث قام ميندوريوس Meandrius ورجاله بعمل مجزرة (للفرس من الرتبة الأولى) والذين أصبحوا بعد عقد الاتفاق في أعلى مناصب الدولة).

وإذا حاول المرزبان بالفعل عدم طاعة هذه الأوامر الملكية، فهو يعرف جيدًا بأنه في مخاطر عديدة إذا علم الملك بذلك، وسوف يتم الإطاحة به، والعديد من الأمثلة في الحقيقة تقول بأن المرزبان دائمًا ما يتم اتهامهم والإطاحة بهم، وذلك بشكل صحيح أو خاطئ بواسطة مرزبان آخر أو أي من مسؤولي الأقاليم الأخرى الذين يتمتعون بمكانة عالية، وفي مثل هذه الحالات يتم استدعاء هذا المرزبان إلى القصر، ويكون على المرزبان أن يقوم بالإجابة على التهم الموجهة ضده أمام الملك نفسه .

القصور الخاصة بالمرزبان، والقصر الملكي:

قام زينوفون (Xenophon) بتقديم بعض المعلومات لنا حول التزامات المرزبان المحددة التي من أهمها هو أن يقوم بتصميم قصره وذلك على الطراز والنموذج الخاص بالقصر الملكي المركزي ولسوء الحظ، فنحن لدينا مجموعة بسيطة من المستندات والوثائق التي تصور هذه القصور الخاصة بالمرزبان، فيما عدا المناطق التي يكون لها سحرها الخاص وذلك بالنسبة للمؤلفين الإغريق (اليونانيين)، والترف والزينة الخاصة بالقصور التي تتبع المرزبان يجب أن تلهم خيال اليونانيين، ومثال قصر بوساتيوس Pausanias في إسبرطة يوضح أن اليونانيين كانوا مندهشين من أسلوب الحياة الفارسية في آسيا مينور Asia Minor .

وبشكل خاص، فإن المؤلفين الإغريق، قدموا لنا العديد من

الكتابات حول الحدائق الخاصة بالقصور والمباني الخاصة بها، وهذا هو السبب وراء روعة أسلوب حياة وترف كل من المرزبان والملك ومن أمثلة ذلك الوصف الذي قدمه لنا زينوفون (Xenophon) ، وذلك حول حديقة قورش (Cyrus) الأصغر في سارديس Sardis ، وفي آسيا مينور وحدها، بالإضافة إلى الحديقة الموجودة في سارديس فإن زينوفون (Xenophon) يقوم بوصف تلك الحدائق الأخرى الموجودة في سلينا Celaenae وداسليم Dascylium حيث كان رفاق زينوفون (Xenophon) قادرين على أن يقولوا عن هذه الحدائق إنها (حدائق عظيمة مليئة بالحيوانات البرية ويتم رويها بشكل جمالي، بحيث تسير المياه منها بشكل متعرج، وقام زينوفون (Xenophon)بوصف الحديقة الموجودة في داسليم Dascylium قائلاً (إن هناك قرى عظيمة حول هذه الحديقة، وبها العديد من المصادر والمساحات الشاسعة المفتوحة، وبها ألعاب رائعة، ويجري بها النهر الطويل والمليء بكل أنواع الأسماك والطيور التي يتم صيدها هناك أيضًا).

وهناك عادة من عادات المرزبان وهي أن يقوم اليونانيون -غالبًا- بتشكيل ما يطلق عليه (جمهور المرزبان)، وهو يعني مثلاً أن يقوم الإسبرطي Callicralidas، من أجل الحصول على المال من قورش (Cyrus) الأصغر، فإنه يكون عليه أن يذهب إلى أبواب حراس وقادة الملك، ويطلب الأموال على شكل (ترجي)، وذلك مثلما فعل ليساندر Lysander)، وبمجرد وصوله إلى بوابة قصر قورش (Cyrus) ، فإن الحراس يقولون له ويخبرونه بأن قورش (Cyrus) مشغولاً الآن في الشراب، وفي تقرير زينوفون (Xenophon)) فإن قورش (Cyrus) ترك هذا الإسبرطي Callicraditas ينتظر لمدة يومين، وهو ما جعله غاضبًا من هذا التأخير، وأصبح مغتاظًا من انتظاره أمام البوابة طوال هذه المدة الطويلة، وهو ما جعل الإسبرطي يقول (عندما ذهبت لأجد قورش (Cyrus) ، فإنه أخذ يؤجل

ويُرجئ ما طلبته منه يومًا بعد آخر، كي أحصل على الرضا وأنا أنتظر دائمًا أمام بوابة الملك قورش (Cyrus) .

وبالطبع فإن مسألة موظفي الدولة الهادئة لم تكن مقصورة على قصور المرزبان في آسيا مينور، فنحن نستطيع أن نراها في مصر، حيث صور أحد الأشخاص ذلك قائلاً (لمدة سبعة أشهر، حاولت أن أحصل على العدل من الحاكم أو موظفيه ولكن بدون جدوى وذلك لأن (بويب Pkoip) وهو مدير توزوي Teuzoi قد ذهب إلى ممفيس Memphis قائلاً لكل شخص (دعوة ينتظر حتى يعود الحاكم).

وأيضًا أجرة مائدة المرزبان كانت ضريبة إضافية على المواطنين والسكان، وربما لم تكن بعيدة عن تلك العادات الأخرى، وهذه المائدة التي كان يتم خدمتها على النظام الفارسي، وعملية تقليد خيمة كسركسيس (Xerxes) التي تم الاستيلاء عليها بعد حرب بلاطيا Plataea ، نراها واضحة من خلال مخيم المرزبان الذي كان يؤدي دوره باعتباره حجرة طعام، فقد كانت خيمة تيريبازوس أرمينيا مليئة بأكواب الشراب والأشخاص الذين كانوا يخدمون ويحملون كؤوس الشراب).

وأفضل وصف لخيام عموم الفرس، يبدو في كتاب جوديث Judith ، وذلك من خلال خيمة هولوفيرنز Holophernes ، حيث كانت مليئة بالأحجار الكريمة غالية الثمن والذهب والفضة، وعندما غادر جوديث هذه الخيمة، فإنه ذهب إلى مكان ما، حيث يتم تقديم خدمة العشاء الفضية وكميات الطعام والنبيذ الذي كان جاهزًا، وكل هذه النصوص توضح فكرة الثراء والغنى الخاص بالقصور الخاصة بالمرزبان، حيث كانوا ينظمون ويرتبون للمآدب، وذلك طبقًا للنموذج الملكي مثل مأدبة قورش (Cyrus) الأصغر، وذلك كما وصفتها إيليان أو Aelianفي قصة حول مغامرات آسباسياAspasia .

ويبـدو واضـحًا الآن، أنـه في كـل الأنشـطة الخاصـة بـالقصر المرزبـاني

(قصر حاكم الولاية الفارسي)، والترتيبات هي مطابقة لتلك الموجودة في القصر المركزي وما إذا كانت هناك طقوسًا دينية أو تنظيمًا للمآدب (الملكية) (ويجب أن نذكر ما قاله زينوفون (Xenophon) هنا، وهو أنه عندما استقبل قورش (Cyrus) الأصغر الناس في قصره في ساردِيس، نجده كان جالسًا على كرسي من الذهب والفضة)، وبالتالي فإن المرزبان يكون من الواجب عليه أن يتصرف طبقًا لأوامر الملك ورؤيته .

ومن بين الإجراءات التي تم تسجيلها بواسطة زينوفون (Xenophon) نجد أن هناك اثنين من تلك الإجراءات تبدو في غاية الأهمية، الأولى هو أنه يكون هناك إلزام لكل أولئك الذين كان عليهم أن يتسلموا الأرض، والإقامة الرسمية أن ينتظروا أمام بوابة المرزبان، وأن يقوموا بتعليم الأطفال عند البوابة، وأيضًا فإن الشباب الفارسي الموجود في أقاليم المملكة يحصل على التعليم عند بوابة المرزبان وهو التعليم التقليدي الذي يتم تقديمه في فارس، ونبلاء الأقاليم الفارسية يكونون مدعوين للحضور إلى القصر ليشهدوا هنا التعليم أيضًا وتقديمه، ويؤكد أيسوقراط هذه الحقيقة أيضًا قائلا أن (أولئك الذين يطلق عليهم المرزبانات نجدهم يقدمون بالعادات نفسها والتعليم المقدم في المنطقة المركزية (وهي المنطقة التي يوجد فيها الملك)).

6- الملك ومخلصيه أو أوفياءه: الفرس واليونانيون وآخرون:

المصادر والمشكلات:

قبل التوصل إلى نتائج عامة، من خلال ما سبق من تحليلات، فإننا نحتاج إلى مناقشة هذا السؤال، وهو: هل كان الفرس هم المستفيدون فقط من نظام التشييع والاستحسان الإمبريالي (من جانب القصر)؟ وهذا السؤال تقليدي وشائع؛ وذلك بسبب الاستفسار الذي تم إجراؤه على أساس المصادر اليونانية، والتي ذكرت العديد من اليونانيين أكثر من

الفرس من ضمن المحسنين، وكانوا من بين الأشخاص الذين قام الملك بتشريفهم وإعطائهم الألقاب والهبات والاستحسان الملكي .

وعندما نقرأ ما كتبه هيرودوت (Herodotus) ، نجد أن اليونانيين قد حصلوا على مكانة أكيدة، وذلك بالقرب من الملك وطبقًا لهيرودوت (Herodotus) ، فعلى سبيل المثال، نجد أن ديماراطوس Demaratus لعب دورًا عظيمًا في اختيار كسركسيس (Xerxes) كخليفةلأرتوبارزانز Artobarzanes وهو الذي كان أذن دارا Dariusوهيستياس Histiaeus ، وقد وصل تيموستكليس Themistocles إلى القصر من وقت أرتاكسركسيس Artaxerxes الأول، والملك الجديد وضع ثقته الكاملة فيه، وهنا يقدم هيرودوت (Herodotus) تعريف (الحسن) أو Euergetes ، ويشير إلى اليونانيين الذين كان يطلق عليهم Orasangae باللغة الفارسية، حيث يشير هيرودوت (Herodotus) إلى تكريم تيموستر Themoster فيقول (نظرًا لخدماته تمت مكافأته، وتم استثماره بواسطة الفرس، وأيضًا أصبح فيلوكس Phylacus من زمرة محسني الملك، وتم تقديم ملكيات واسعة لهم) وأيضًا أولئك اليونانيون الذين شاركوا في معركة سالاميس Salamis ، والذين قام الأمناء الذين يعملون لدى الملك والقصر بتسجيل أسمائهم، كانوا هم فقط الذين تم تكريمهم بواسطة كسركسيس (Xerxes) ، وأيضًا وبشكل مشابه لذلك، وفي مقطوعته التي كتبها هيرودوت (Herodotus) حول الإعداد لحملة كسركسيس (Xerxes) ، يوضح منها دور الأثينيين (من سكان أثينا، أي اليونانين) أو نوماكريتس Onomacritus .

وفي الحقيقة كان هناك العديد من اليونانيين الذين حصلوا على مميزات وتفضيلات، مثلاً ديموسيدس Democedes ذلك الطبيب الذي كان من كرونتون Cronton تم منحه جائزة من الذهب؛ وذلك لقيامه بشفاء مرض دارا (Darius) ، وأيضًا تم إعطاؤه ممتلكات ولقب ملكي وهو

(رفيق طاولة الملك)، وأيضًا ساليون Syloson وكوس Coes اللذين تمت توليتهما مناصب كبيرة، ومثال آخر هو هيستابوس Histiaeus الذي تم منحه أرضًا ووعدًا بأن يكون مستشار الملك، وأيضًا رفيق طاولته، ويسجل هيرودوت (Herodotus) أيضًا وصول ديماراتوس Demaratus ليري دارا (Darius) ، بعد أن تم نفيه من إسبرطة، وغير ذلك من اليونانيين الذين تم نفيهم، وتم تكريمهم بواسطة الفرس وملكهم زوكس Zokas)، وقد أوصى كسركسيس (Xerxes) بصداقته لهؤلاء الرجال، وأظهر تقديره واستحسانه لهم ولدعمهم الذي قدموه في الحرب وفي حفر القنال، وفي مدينة أبديرا Abdera نجد أن كسركسيس (Xerxes) قام بعمل صداقة مع الناس هناك وأعطاهم الهدايا الذهبية وغير ذلك .

وليس هناك نزاع في أن هناك العديد من الإغريق أو اليونانيين في قصر الملك العظيم، ولكن، ومن خلال هيرودوت (Herodotus) يبدو ذلك واضحًا بالرغم من أن الملك العظيم قد استخدم العديد من المندوبين والممثلين اليونانيين له، فقد كان ذلك فقط من أجل العلاقات التي يحافظون عليها مع المدن اليونانية، فعندما حصل بوسانيوس Pausanias على ثقة كسركسيس (Xerxes) ، كان ذلك بسب أن كسركسيس (Xerxes) كان يتمنى أن يجعل هذا في صالحه، وذلك في الاستمرار في الحرب أمام الإغريق أو اليونانيين في آسيامينور Asia Minor حيث يقول كسركسيس (Xerxes) (في اتفاق مع أرتابازوس Artabazus النبيل الذي أرسلته لك، عليك النظر فيما ذكرت، وذلك بمنتهى الثقة، وعليك أن تعاملهم (أي اليونانيين) بمنتهى الكرم، وأن تفعل ما هو أفضل لديهم).

والشيء نفسه كان صحيحًا بالنسبة لتيموستكليس Themistocles الذي قال للملك (اليوم، أرى الفرصة في أن أفعل الكثير بالنسبة لك، وأنا هنا بسبب صداقتي لك).

الأجانب هيئة القصر (تسلسل سلطات القصر):

والسؤال هنا هو حتى عندما يكون لليونانيين (أو الأجانب) ألقاب ملكية (تشمل المُحسن)، هل كانت لهم الدرجة نفسها والوضع الخاص بنبلاء فارس؟ وللإجابة عن ذلك نجد أن بلوتارخ Plutarch يشك في ذلك، فهو يقول بأن تيموستكليس كان مكرمًا بشكل خاص بواسطة الملك العظيم؛ وذلك لأنه قد شارك في حملات الصيد الملكية وأشكال المتع الخاصة بالقصر، وأصبح صديق والدة الملك، ونتيجة لذلك كانت استجابة النبلاء من الفرس سيئة، وقد ذكر بلوتارخ Plutarch غضبهم حيث يقول: (كان صحيحًا أن الشرف الذي حصل عليه تيموستكليس لم يحصل على أي أجنبي آخر)، ويقول أيضًا ثوثيدس Thucydides عن ذلك (أن ثيموستكليس حصل على مكانة مهمة لدى الملك وهو ما لم يحدث مع أي يوناني من قبل، وأيضًا يجب أن نذكر إنتموس Entimus الذي شارك أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني في عشائه مع الكنسمان، وحتى يتم تمثيل والبرهنة على الوضع الخاص لثيموستكليس، نجد أن بلوتارخ Plutarch يسجل كيف أن الملك رفض أن يمنح ديماراتوس Demaratus شرف دخوله إلى سارديس فوق ظهر الحصان وهي عادة ملكية، وهي الشيء الذي أثار سخرية ابن عم الملك، وأيضًا غضب كسركسيس (Xerxes) ، وبشكل واضح فإن ديماراتوس Demaratosباعتباره يونانيًّا، نجده لم يعلم قدره، وكان يعتقد أن التقدير الملكي سوف يجعله في منزلة الفرس ذوي الطبقة والمكانة العليا، وهذا أيضًا كان صحيحًا في حالة بوسانيوس Pausanias الإسبرطي .

فقد اعتقد بوسانيوس Pausanias (وكان يبدو بوضوح) أنه من خلال تصرفه كالمرزبان الفارسي فربما يعتبر من الطبقة العليا السائدة، وعندما قرأ رد كسركسيس (Xerxes) (الغامض) على طلبه، يبدو أنه قد اقتنع بأن الملك وافق على أحد طموحاته، وهو أن يزوجه واحدة من بنات الملك

العظيم، ولكن لم يكن هناك أساس واضح لذلك، فقد كان كسركسيس (Xerxes) ملتزمًا الصمت حول هذه النقطة، وتمامًا مثل ديماراتوس Demaratus فإن بوسانتوس Pausanias لم يفهم أنه بالرغم من ولايته للملك وتبادل الاحترام، إلا أنه الأصل اليوناني يمنع ويحول دون ذلك .

العرقية الفارسية: (الجنس الفارسي):

نحن الآن أمام حالة نادرة جدًّا للزواج الخاص بامرأة فارسية من رجل غير فارسي، ونحن أيضًا نعرف الزواج الخاص بجوجيا Gygaea وهي ابنة أميناس Amyntas، وذلك من الفارسي بوباريز Bubares ، وكانت نتيجة هذا الزواج، ولد وبقى في آسيا، وكان اسمه أميناس Amyntas والذي كان جده قد حصل على الهدية الملكية، ولكن الفارق بين المثالية واضح جدًّا، وعلى كل الاحتمالات، فإن أميناس Amyntas (الذي كان اسمه مقدوني) لم يتم الاعتراف به على أنه فارسي، وذلك على العكس من أبناء ميتوكس Metiochus ، ويبدو واضحًا أيضًا أن قبول ابن ميتوكس كفارسي أصلي (على الحياد) كان سوف ينتج عنه استحسان ملكي وهو ما سوف يكون سببًا لاعتبار هذا الشيء حدث استثنائي).

التكوين العرقي للإمبرياليين من الطبقة العليا:

إن التكوين العرقي للطبقة العليا يوجه بشكل ما إلى المكانة المخصوصة التي كان يحصل عليها الفرس في المملكة، والحقيقة التي تقول بأن الصفوة المحلية التي يتم الاعتراف بها لا تتعارض مع هذا المبدأ؛ لأن الوظائف التي يشغلها هؤلاء الصفوة كانت محدودة، على الأقل تحت الملك، ولكن بدون تأثير سياسي، ويمكننا أن نبدأ بالإقليم الخاص بمصر، والذي تم الحديث عنه أكثر من غيره، وبداية بوقت دارا Darius ، كان قادة المرزبانية المصرية من الفرس، وعلى أية حال، يمكننا الانتقال إلى وجود الإيرانيين خلاف الفرس، وذلك حول الملك، والذي لا يعتبر مجالاً للشك، وبشكل محدد، فنحن نعرف عن (دايتس) Datis أن

هناك اثنين من أبنائه، وهم هارماميثراس Harmamithras وتيتاس Tithaeus ، قاما بحكم وقيادة قوات كسركسيس (Xerxes) في عام 480، وقد قام دارا (Darius) أيضًا بتعيين أرميني في جيشه، وقورش (Cyrus) أيضًا كان هناك العديد من حوله، وبعض الكتابات الأخرى أيضًا تشير إلى وجود الإيرانيين من غير الفرس على رأس المؤامرة ضد دارا (Darius) والتي وصفها إيليان Aelian وهو آريبازوس Aribazus الذي كان مدعومًا في هذه المؤامرة بواسطة العديد من أولئك الفرس المميزين).

وباختصار فإن دارا (Darius) وكسركسيس (Xerxes) بعده كانوا يختارون نوابًا وممثلين لهم من الأرستقراطيين الفرس فقط على رأس المرزبانات والحاميات الفارسية، وأيضًا من قيادة الجيوش وغير ذلك من الوظائف المهمة، حيث كانت المناصب الملكية العليا يشغلها أفراد العائلات الأرستقراطية العظيمة والذين كانت لديهم تقاليد الفرس الثقافية والملكية نفسها.

7- الأسرة الملكية الأسثمينية، والطبقة الأرستقراطية الفارسية:

السلطة والقران أو النسب:

نجد أنه لدرجة ما، كان الملوك العظام قادرين على قيادة وتحويل الصراعات التي كانت ربما تنشأ بين السلطة الحاكمة أو الملكية وسلطة العائلات الفارسية الأرستقراطية الكبيرة وذلك إلى مصلحتهم، ونبلاء الفرس قد استطاعوا عن طريق تشكيل نظام الهدايا والهبات والهيكل الملكي والتعليم القائم على أساس القيم الخاصة بالأسرة المالكة أن ينجحوا في إدخال أنفسهم في الدوائر الأرستقراطية .

ونتيجة لما سبق، فإن البيوت الأرستقراطية نجدها قد تحركت نحو الفضاء الملكي الخاص بالأسرة الحاكمة بالرغم من أنهم قد حافظوا على دورهم الاجتماعي، وقد ذكر هيراقليدس العديد حول تنظيم طاولة الملك

والطاولات الخاصة بكبار العائلات الأرستقراطية، وبالرغم من أن الأرستقراطيين الفرس كانوا يقومون بدعوة رفاق مائدتهم على العشاء، إلا أنهم ما زالوا مجبرين على تناول الغداء في الطاولة الملكية، حيث يتم تشريفهم بشكل أكبر، وذلك فيما بين رفاق الطاولة الملكية، وفي الوقت نفسه فإن أوجه التشابه في التنظيم الخاص بالعائلة الملكية والعائلات الأرستقراطية يوضح أن السلالة الحاكمة الأخمينية ذاتها قد استمرت في التصرف طبقًا للقواعد والقيم المشتركة والشائعة في النظام الأرستقراطي بشكل كامل).

فهرس محتويات

المجلد الثاني



موسوعة
تاريخ الإمبراطورية الفارسية
من قورش إلى الإسكندر

تأليف
بيير بريانت

ترجمة
مجموعة من المترجمين

المجلد الثالث

الدار العربية للموسوعات

موسوعة

تاريخ الإمبراطورية الفارسية

مِنْ قورش إلي الإسكندر

اسم الكتاب: موسوعة تاريخ الإمبراطورية الفارسية مِنْ قورش إلي الإسكندر

المؤلف: بيير بريانت

الطبعة الأولي: 2015م - 1436هـ

978-614-424-173-8 (7 مجلدات)

978-614-424-176-9 (المجلد الثالث)



الدار العربية للموسوعات

المدير العام: خالد العاني

الحازمية - مفرق جسر الباشا - سنتر عكاوي - ط1 - بيروت - لبنان

ص.ب: 511 الحازمية - هاتف: 952594 5 00961 - فاكس: 459982 5 00961

هاتف نقال: 388363 3 00961 - 525066 3 00961

الموقع الإلكتروني: www.arabenchouse.com

البريد الإلكتروني: info@arabenchouse.com

موسوعة

تاريخ الإمبراطورية الفارسية

مِنْ قورش إلي الإسكندر

تأليف

بيير بريانت

ترجمة

بيتر تي دانيلز

بحيرة وينونا، إنديانا أيزنبراونز

المجلد الثالث

الدار العربية للموسوعات

بيروت



الجزء الثالث

الشعوب الخاضعة والاقتصاديات التابعة

الفصل التاسع

الاتصال والتجارة في المقاطعات

1- شبكة الطرق:

كان المؤلفون القدماء مبهورين من الامتداد الهائل للمقاطعة الإمبريالية (الملكية) وهي Achaemenid ، حيث إن العديد منهم قد قدم مناقشات كثيرة كانت علي الأقل تنصب علي نظام الاتصال داخل الإمبراطورية، فكلهم قد أدركوا العلاقة بين الانتظام في الاتصال وبين قدرة السلطة المركزية علي جعل وجودها ملموساً في الأقطار التي فتحت، حيث إن البعض -وخصوصاً في القرن الرابع- قد أصر علي استحالة سيادة الملك علي المقاطعة الملكية، وخصوصاً أنه يجمع ويوحد سلطانه علي كل مكان من نفوذه (أملاكه) مثل زينوفون Xenophon ، ديودورس Diodorus ، أسقراتس Scorates ، كوينتوس كورتس Quintus Curtius ، ... الخ، ولكن آخرين علي أية حال قد خدعوا من التناقض بين الامتداد الهائل للإمبراطورية وبين السرعة في الاتصال .

الطريق الملكي:

وفي قصته عن الاستعداد للثورة اليونانية، وصف هيرودوت (Herodotus) الجولة الدبلوماسية لأرستاجوراس Aristagoras وهو حاكم

Miletus إلي المدن اليونانية المختلفة بأنه كان يأمل في جمع تحالفات لـكي يقنـع ملـك إسـبرطة وهـو كليمـنس Clemenus ، حيـث حمـل لأرسـتاجوراس Aristagoras معـه خريطة العالم منحوتة مـن البرونـز، وتقريبـاً اسـتخدم هـيرودوت (Herodotus) وثيقـة مثل هذه ليعطي تفاصيل عن الطريق المؤدي من البحر إلي الملك، وهذا الطريـق يـربط سـارديس Sardis بمدينـة صوصـا Susa ، وكتـب أن هنـاك حـواجز مأهولـة بالسـكان ومناطق آمنـة في كـل إقلـيم، وقـد أعطـي هـيرودوت (Herodotus) المسـافة بالفرسـخ «وهو وحدة قياس فارسية تعادل تقريباً 4,5 كـم، وعـدد الاسـتراحات، وأمـاكن التوقـف التي توجد في المحطات والأنهار التي تمر بها، وأماكن الحماية التـي توجـد عـلي فواصـل منتظمة علي طول الطريق، وهذا الطريق اصطلاحاً قد عرف باسم الطريق الملكي .

وبالنظر إلي الامتداد والتقسيم الإقليمي لشبكة الطريق في Achaemenid فقد كـان وصـف هـيرودوت (Herodotus) قطعيًّـا، حيـث إنـه في هـذه الفقـرة نجـد أن حـدوده الجغرافيه الشرقية لم تتعدَّ أبعد من صوصا Susa وبابلونيا Babylonia ، حيث إنه تقريباً لم يكن يعرف أي شيء عن الطريق إلي فارس Persia ، أو الطرق التي عبر سهل (هضبة) إيران وآسيا الوسطي، ولسوء الحظ إن عمل ستيسياس Ctesias في هذا الموضوع لم يبقَ لنا، حيث إنه وصف في هذا العمل المسافة بالأيام وبالفراسخ بين إيفسـوس Ephsus وبـاكترا Bactra والهند India كما قال فوتيوس Photius ، وقد كانت للرقع المكتوبة الخاصـة ببرسـوبوليس Persopolis ميزة في إظهار الشكل حتي من المركز، وإن لم تكن كل معلومات هذه الرقع لم يتم نشرها حتي الآن، بيـنما الـروابط (الطـرق) بـين صوصـا-برسـوبوليس هـي التـي ثبتـت صـحتها، وقـد ذكـرت بـاكترا Bactra (مـرتين)، كارمانيـا Carmania (9، 10)، الهنـد (7)، وأرا كوسـيا وقانـدهار Arachosia of Kandahar (11)، آريـا Aria (4)، وميـديا (1)،

وبابلوينا (1 أو 2)، ومصر (1)، وسارديس Sardis (3)، حيث تمت تغطية المقاطعة ككل، والطريق الملكي من سارديس إلي صوصا هو طريق ملكي واحد بين المدن الأخري، فالطريق بين سوسيانا Susiana وميديا Media عن طريق بابلونيا Babylonia يسمي بازيليك، وهذا يوضح أن مصادر الفترة الهلينية مهمة جدًّا، حيث إنها غطت كل المقاطعات تقريباً التي كانت تحت سيادة الملك الأعظم، فقد ساعدنا مؤرخو أخبار العمليات العسكرية عن فترة تحركات وخط سير الجيش في ذلك، حيث إنه من Babylonia إلي صوصا Susa مسيرة 22 يوماً، ومن صوصا Susa إلي Persia تقريباً 30 يوماً، ومن صوصا Susa إلي Ectabana ماراً بالطريق الملكي عبر Babylonia نحو 40 يوماً، ومن صوصا Susa إلي Ectabana عن طريق الممر المباشر، وعبر جبال Cossean في لورستان Luristan نحو 9 أيام، ومن Ectabana إلي Persepolis نحو 20 يوماً ... الخ.

وأضف إلي المعلومات المتنوعة التي أخذت من هيرودوت (Herodotus) وزينوفون Xenephon البيانات المأخوذة من المؤلفين العسكريين (اليونانيين أو القدماء) هي التي ساعدتنا في البناء، وإن لم يكن بشيء من التفصيل شبكة الطرق الرئيسة في Achaemenid واضعين في الاعتبار أو الحملات العسكرية فقط هي التي تصف الطرق من جانب وجود الإمدادات التي قد يجدها الجيش هناك، وربما نلاحظ أولاً أن عواصم الإمبراطورية وهي [باسارجاداي Pasargadae ، برسوبوليس Parsopolis ، صوصا Susa ، بابليون Babylon ، إكاباتانا Ectabana] كانت مربوطة فيما بينها بطرق، وكانت أهم المذكرات (الأدلة) هي الخاصة بطريق صوصا-برسوبوليس Perspolis-Susa ، حيث إنها لم تقتصر علي تحليل لمسار الإسكندر Alexander ، ولكن أيضاً من خلال الرقع والألواح المكتوبة لبيرسوبوليس Perspolis ، حيث كان يوجد نحو 20 موقفاً بين برسوبوليس Perspolis وبيزيتيم Bezitme (قرب صوصا

Susa)، وطبقاً للمؤلفين الإغريق فإن عبور إقليم Fahliyn يأخذ تسع مراحل من Parmadan إلي Dosher ومن صوصا Susa إلي Ectabana والطريق الملكي يتجنب Luristan المركزية، حيث إن الطريق المباشر المار ببلدة Cossean كان صعباً وضيقاً، وقد أخذ الطريق الرئيس مساراً طويلاً عبر سهل (هضبة) Babylonia قبل أن ينحرف ناحية الشرق ليصل إلي هضبة إيران قرب Benhistun ، ومن Ecbatana كان هناك طريق يوصل Persia بـ Gabae (أصفهان)، وينتهي الطريق شمالاً حتي يصل إلي خليج إيران (فارس) عند Bushire .

والتنوع (التباين) في البلاد المكتوبة علي الرقعة يظهر أن العواصم كانت متصلة بكل المقاطعات في الإمبراطورية، حيث إنه من ناحية الشمال نجد أن طريق خراسان Kharasan يربط Ecbatana بـ Bactra بواسطة Rhagae (طهران)، وبوابات Caspian ، وهوريكانيا Hyrcania ، وبارسيا Parthia ، ومن ناحية الجنوب يستطيع الفرد السفر إلي أركوسيا Archosia ، وقندهار Kandahar (منطقة كابول)، ومن هناك إلي باكترا Bactra مثلما تصل إلي وادي Indus ، والطريق الشمالي والطريق الجنوبي متصلين عبر طريق مستعرض يستخدم بواسطة قورش Cyrus ثم الإسكندرية .

وبالنسبة لناحية البحر المتوسط كانت توجد مذكرتان ودليلان تصفان الطريق من صوصا Susa إلي أربيلا Arbela (الضفة الشرقية لنهر دجلة)، ومن Arbela يصل الطريق الملكي Sardis عبر أعلي نهر دجلة، وأعلي نهر الفرات وأرمينيا Armenia وكابادوكيا Cappadocia ، وهاليس Halys ، ووادي Meander .

والطريق الملكي عند هيرودوت (Herodotus) لا يزال مدهشاً، وخصوصاً طريق كابادوكيا Capadocia ، وسيليسيا Cilicia ، وقد كتب أن الطريق يمتد إلي 500,13ستاديا Stadia ، وإذا اتفقنا معه بأن 1 فرسخ

يعادل 30 ستاديا في اليوم، فإن طول الطريق يعادل نحو 500,2 كم، فإذا كانـت الرحلـة نحو 150 ستاديا في اليوم بأن الرحلة تستغرق 90 يوماً، وأصـف مـن إيفسـوس Ephsus إلي سارديس Sardis نحو 140 ستاديا، فهو يقدر أن الرحلة قد تأخذ 3 شهور وثلاثة أيام لكي تسافر من البحر إلي صوصا Susa .

وفي دليل آخر يعرف بوثيقـة Aramaic ، حيـث يـترك المسـافرون Arbela حتـي يصلوا إلي مصر ودمشق، ولكن أيضاً Lahira التي عرفت من النصوص البابليونيـة لهـذه الفترة، ويستطيع الفرد السفر إلي سيسيليا بواسـطة أليبـو Alepo ، وهـذا الطريـق كـان يتبعه الناس الذين سكنوا ساحل سيسيليا، أو انطلقوا من هناك مبحرين لآسـيا الصـغري أو اليونان، وقد بينـت قصـة Xenphone أن الطريـق يـؤدي مـن سيسـيليا Cicilia إلي سـارديس Sardis عـبر بوابـات سيسـيليا و Capadocia، Phyrgia ، ووادي Meander طبقاً للمذكرات الآتية، حيث يعطي Xenophon المسافات بالفرسخ والمواقف .

الدليل (المذكرات) الثانوية:

بالطبع هذه المـذكرات تتعلـق فقـط بشـبكة الطـرق الملكيـة، ولكـن بعـض المـذكرات الأخري كانت أقصر منها، وغالباً ما كانت تتبع الجبال والطرق الصحراوية، ومن خلال ما سبق نتعلم أنه من خـلال الحمـلات العسـكرية نعـرف الطريـق بـين ميلتـوس Miltus وسـارديس Sardis ، والذي مكن اليونانيين من شـن هجـوم مفـاجئ عـلي Achaemenid عاصـمة آسـيا الصغري، والطريقة نفسها قد تـم اسـتخدامها بعـد قـرن عـن طريـق Satrap Tissapherns عندما كان يحـاول أن يفـترض طريـق جـيش Agesilaus ، والـذي كـان عائـداً مـن سـارديس Sardis إلي إيفسوس Ephsus بواسـطة الطريـق الـرئيس الـذي يمـر بممـر Karabel ، ومثـال آخر للمـذكرة التـي هـي عـن طريـق Alexander بـين فـاهليون Fahliun وبوابـات فـارس، بينما معظم الجيش والإمدادات، قد أرسلت إلي Perspolis عـن طريـق السـهل

(الهضبة)، وقد اتخذ Alexander أقصر الطرق عبر قمة الجبل، بينما أرسل الركب عبر الطريق العسكري، وعندما أرسل قورش Cyrus الأصغر في Icanium أرسل إبياكسا Epyaxa إلي تارسوس Tarsus عن طريق أسرع طريق جبلي، وقد اختفي بعض الحراس، فقد انقسموا إلي أجزاء عند سيسيليانا Ciciana ، وقد اعتقد الآخرون أن الجنود قد ضلوا الطريق، وغير قادرين علي أن يجدوا الطريق، فقد كان من المستحيل أن تسافر عبر هذه الطرق بدون مرشدين محليين .

إن المصادر العسكرية علي أية حال تتطلب منا أن نكون حريصين علي معرفة الطريق الذي يوصف علي أنه غير مستعمل، وربما لا يكون كذلك بالنسبة لآخرين في الأوقات العادية، وهنا علي سبيل المثال ما وصفه Arrian عن الطريق بين مصر وبابلونيا Babylenia ماراً بالشمال الغربي، فقد قال إن: «الجنود في جيش قمبيز (Cambyses) الذي كان قادراً علي الوصول إلي صوصا Susa ، وباقي الجنود قد أرسلوا عن طريق توليمي Ptolemy وهو ابن لاجوس Lagos أرسلوا إلي بابلونيا عبر العربية ليساعدوا Silecusus Nicator حتي يعبر Isthmus ويسرع إلي البلد الصحراوية في 8 أيام علي ظهر الجمال، حيث إن جمالهم المحملة حملت المياه الضرورية، وقد سافروا قبل الليل فلم يستطيعوا أن يتنفسوا الهواء الطلق عبر النهار بسبب الحرارة، وقد ذكر الإقليم خلف Isthmus بين الخليج العربي (البحر الأحمر) وبحر Erythrean (خليج فارس) بأنه إقليم بعيد عن الاعتداء، حيث إن الجزء الشمالي صحراء ورمال .

وقد وصف الإقليم بأنه إقليم غير كريم (قاحل)، وقد تم استدعاء ذلك المعني عندما وصفوا البلد بالصحراء، والمؤلفون الإغريق (اليونانيون) في النصوص قد أشاروا إلي مسيرة الجيش الأكبر الذي يحتاج إلي إمدادات من المياه النقية، وقد شرح زينوفون (Xenophon) ذلك عندما ذكر مسيرة الجيش ناحية الضفة الشرقية لنهر الفرات، وقد

كانت بعض المراحل طويلة، حيث كان قورش Cryus يريد أن يصل إلي مكان يوجد فيه ماء، وهذا ما جعل قورش Cryus يطلب مساعدة ملك العرب أثناء مسيرته إلي مصر، حيث إن ملك العرب قد ملأ جلود الجمال بالماء، وحملهم علي الجمال الحية، ومن ثم أرسلهم إلي الجبال، حيث انتظر وصول الجنود بالضبط كما فعل إيسرهادون Esarhaddon في عام 671 علي حملته المصرية، وهم الناس الذين أطلق عليهم اليونانيون قاطني (ساكني) الخيام الذين لديهم معرفة بالبلاد، وقد ساعدوهم علي التغلب علي العقبات التي قد تواجه قادة الجيش .

ودعنا نعطي مثالاً آخر، فعندما وجد الإسكندر Alexander نفسه في Drangiana أراد أن يبعث برسالة إلي Ecbatanna ، ولكي يفعل ذلك في 10 أيام بدلاً من شهر بواسطة الطريق الرئيس كان يجب أن يعبر الصحراء الرهيبة لهضبة إيران، فقد عهد إلي الإسكندر Alexander بمهمة إلي Polydamas ، حيث خلع الرداء الذي كان يرتديه، وارتدي الملبس البدوي الذي كان قد أخذه من اثنين من العرب كرفقاء، وقد وصلوا إلي المكان المقصود في اليوم الحادي عشر، وقد اجتازوا الأماكن الجافة في الصحراء، ونجد هنا أن كلمة Arab (عرب) تستخدم بصفة عامة لتشير إلي السكان البدو الذين اعتادوا عبور الصحراء .

بناء وصيانة الطريق:

إن الطريق الملكي علي النقيض من الطرق الأخري كان واسعاً، بما وضعه المؤلفون القدماء بطريق للعربات (العجل) أي ممهد للمركبات الصغيرة، وهذا الوصف يستخدم كمثال للطرق من Phrygia إلي Cilicia ، ومن صوصا Susa إلي بيرسوبوليس Persepolis ، ومن صوصا Susa إلي أرابيلا Arbela عبر Hyrcania ، حيث إنه لم يكن المشاة أو الخيالة فقط هم المستخدمون لهذا الطريق الرئيس، حيث إن كثيراً من المسافرين عسكريين ومدنيين يستخدمون مركبات خفيفة تسمي خيماً ملفوفة، وهذه

العربات تستخدم بواسطة اليونانيين، ويجب التمييز بينها وبين العربات التي تستخدم في الحرب أو الصيد، ويجب أن نؤكد علي أن كلمة طريق المركبات لا يعني أن هذه الطرق كانت مرصوفة، فهي كانت بلا شك طرقاً قذرة باتساع مختلف، ولكن كان محافظاً عليها، والنص الهليني (اليوناني) يشير إلي طريق قديم قد حوله الفلاحون إلي الزراعة، والحقيقة أن الإشارة إلي الطريق الرئيس الملكي في التفاصيل قد تكون مفاجئة، ولكن هيرودوت (Herodotus) أيضاً أشار إلي أنه بعد 480-479 أن الطريق الذي اتخذه الملك كسركسيس Xerxes ، لم يلمس إلي اليوم، وقد حافظ عليه الـ Thracian ، ولم يحرثوه، أو يزرعوا المحاصيل عليه؛ لأن الطريق كان متسخاً، وأصبحت الرحلات عليه صعبة أثناء الفصول المطيرة أو في كثير من مناطق المستنقعات في الطريق، وقد وضح هذا من خلال الفقرة التي أخذت من زينوفون Xerphone ، وفيها: «أنه ذات مرة بينما كانوا يمشون في الطريق غير الممهد كان هناك مكان طيني يصعب علي عربة نقل البضائع أن تمشي فيه، وقد أمر قورش Cyrus كلاً من Glus و Pigres أن يأخذا بعض الجنود البربر ليساعدوهم في جر العربات إلي الخارج، ولكنهم أخذوا وقتاً في ذلك، ومن ثم فقد أمر بعض نبلاء الفرس الذين اصطحبهم معه برفع العربات، ومن ثم فإن العربات قد تم إخراجها وتجفيفها بسرعة كبيرة .

وفي الواقع فإن إدارة نظام الطرق تتطلب إدارة حاذقة ومتخصصة، ونلاحظ أن الطريق في T'ang China كان يديرها 500,21 موظفاً منتشرين في الطرق المختلفة، ونحو 100 موظف كبير في العمل في الطريق عند العاصمة، وقد أشارت الألواح والرقع المكتوبة في Persepolis إلي الأعوام المختصة في صيانة الطرق الموجودة، وبناء طرق أخري جديدة، ونحو 43 كم من طريق Persia-Media بقيت بين شيراز Shiraz وأصفهان Isfahan ، ومن الواضح أن بناء وصيانة مثل هذه الطرق يتطلب

قوة عمالية معقولة، وأثناء العمليات العسكرية كانت مهمة الجيش هي كيف يخبر قورش Cryus الرواد (القادة) وبناة الطرق بالمهام الخاصة بهم.

وقد وصف هيرودوت (Herodotus) واضعي الإشارات علي الطرق في عام 480، حيث إنه في Pseria قد أعطي كسركسيس Xerxes لثلث الجيش مهاماً بأن يزيلوا الغابات، ويبنوا طريقاً يعتمد عليه، والمتخصصون في الطرق ظهروا مرة أخري في 321-322 عندما غادرت عربة جنازة الإسكندر Alexander بابلونيا Babyonia إلي ساحل البحر المتوسط، وكانوا بصحبة بعض المتخصصين، فقد أمروا أن يحسنوا الطريق، وبعد عدة أيام في 333 افتتح Thracian الطريق بين Phaselis-Perga .

الكباري وبناة الكباري:

والأنهار الكبري كانت بها كباري دائمة (ثابتة) في كل من الفرات ودجلة، وفي وصف هيرودوت (Herodotus) لطريق صوصا-سارديس Susa-Sardis انتبه هيرودوت (Herodotus) إلي إحصاء الأنهار التي يمر بها الطريق، وهي نهر Halys ، الفرات ودجلة، ونهري الذاب Zab الأصغر والأكبر، ونهر ديالا Diyala ، ونهر كواسبس Choaspes ، وعلي الأقل فإن هناك كوبري علي الأقل قد بني علي كل نهر منهم، وهو محمي بحصن وبوابات، وقد تحدث هيرودوت (Herodotus) عن الكوبري الثابت، وقد سمي هيرودوت (Herodotus) أنهار دجلة والفرات ونهري الذاب الأصغر والأكبر ونهر كواسبس كلها، سماها بحاملات القوارب، والتي قد تعني أنه يتم عبورها بواسطة وسائل من الكباري العائمة، وقد أشار زينوفون Xenphon إلي أن هذه الأنهار كلها قد عبرها جنود قورش Crysus عند مسيرهم إلي Babylonia ، وقد كان يعطي زينوفون Xenphon فقط اتساع الأنهار، ولكن من الواضح أن في معظم الحالات كانت هذه الأنهار مزودة بالكباري العائمة، وهي مثل كباري من سبع قوارب مربوطة

معاً، حيث إن الفرات تقريباً 1000م اتساع عند مستوي Thapsacus ، وهو محصن، وقد قام Abrocamas بحرق القوارب أثناء هجومه علي Babylon ، وكما فعل الفرس في مواجهة تقدم الإسكندر Alexander ، وقد وصف Xenphon كوبري من 37 قارب مربوطة معاً وكوبري آخر عند مستوي OPIS .

وفي بابلونيا ميز Xenphon بين الكباري العادية من الكباري المصنوعة من قوارب مربوطة معاً، حيث إنهم ربما يتكونون من سيقان النخيل ملقاة في القناة أو ألواح موضوعة علي الصخور، وقد كان من السهل أن تستخدم الكباري العائمة علي أنهار Mesopotmian ، حيث إن مستوي الماء يختلف من فصل إلي فصل، وهنا في الفقرة التالية كيف أن الـ Arrians وصفوا الأسلوب الروماني في ذلك: «كانت القوارب متروكة للتيار في النهر، ولكنهم لم يندفعوا إلي الأمام، وكانوا محكومين بقوارب تجديف إلي أن يصلوا إلي النقطة المرغوبة، وقد كانت هناك سلال هرمية الشكل مملوءة بالحجارة الخشنة، وملقاة داخل الماء في كل مقدام لكل مركب حتي تمسك المركب ضد التيار، وعندما ينطلق المركب الأول فإن التالي ينفصل عن الأول لمسافة ترجع إلي الثقل الذي يحمله المركب، وهناك دعائم خشبية بها مسامير تربط هذين المركبين .

وقد استمر الآريون Arrians في قول إنه كيف استطاع الإسكندر Alexander أن يلقي بكوبري في Indus ، حتي إن من كانوا في الحملة معه لم يتحدثوا عن ذلك، ولكن في رأيي أن أسلوبه في بناء الكوبري يشبه كثيراً الأسلوب الروماني، ونحن نعرف أن جيش الإسكندر يشتمل علي مجموعة من بناة الكباري الذين علي سبيل المثال قد وضعوا اثنين من الكباري العائمة عبر نهر الفرات ونهر Thapsacus حتي يستبدلوها بالكباري التي حطمها الفرس، وأسلوب المتخصصين المقدونيين كان مثل أسلوب

الفرس، ووجود مثل هؤلاء المتخصصين إنما يؤكد أن وثيقة Babylonia تؤكد على أن مجموعة من بناة الكباري قد أقاموا أماكن لهم قرب نيبور Nippur .

وفي عام 513 لكي تعبر إلي أوروبا كان هناك كوبري من القوارب أسس علي Thracian ، والمهندس المعماري كان اسمه ماندوكرليس Mandrocles ، وفي عام 480 أمر كسركسيس Xerxes ببناء اثنين من الكباري عبر Hellspont عند أبيدوس Abydos باتساع سبع ستاد، وقد عمل متخصصون من دول مختلفة بها، فالفينيقيون جلبوا حبالاً من الكتان الأبيض، والمصريون جلبوا كابلات من ورق البردي، وفي المحاولات الأولي بعد أن جرفت العاصفة الكباري نجح المهندسون كما وصف هيرودوت (Herodotus) .

وهذا ما نجح فيه المهندسون كما يري هيرودوت (Herodotus) ، وقد تم عمله بالطريقة الآتية:

أعمدة ومجاديف شدت معاً لدعم الكوبري، 360 ماعوناً (سفينة) علي أحد جوانب البحر الأسود، و413 علي الجانب الآخر، وقد رست السفن بانحراف علي البحر الأسود، أو بزوايا صحيحة علي هليسبونت Hellespont لكي تقلل الضغط من علي الكابلات (الأسلاك)، وخصوصاً الهلب الثقيل قد تم إرساؤه مع التيار وضد التيار من جهة الشرق حتي يثبتوا السفن (الماعون) ضد الرياح التي تهب إلي أسفل نحو المضيق من جهة البحر الأسود، أما السفن التي في الجانب الآخر (الجانب الغربي) تجاه إيجيان Aegeen فلكي تتحمل هذا الحمل عندما تهب الرياح من الغرب إلي الجنوب قد تركت فجوات بين الأماكن الثلاثة؛ لكي تسمح لأي مركب يريد أن يمر إلي داخل أو خارج البحر الأسود .

وعندما تكون السفن في موضعها تكون الأسلاك مشدودة بإحكام من أوناش خشبية للشاطئ، وفي هذه المرة نجد أن النوعين من الأسلاك لا

يستخدمان بطريقة منفصلة بعيدا عن الكوبري، ولكن كل من الكوبريين له سلكين من الكتان، وأربعة أسلاك من البردي، كان لها نفس السمك والجودة، ولكن أسلاك الكتان كانت أثقل، حيث إن النصف قامة منها تزن 114 وحدة، والعملية التالية هي قطع الألواح بالتساوي بطول وعرض المراكب، ووضعها حافة بجانب حافة فوق الأسلاك المشدودة، ثم تثبيتها معاً علي سطحها العلوي، ثم توضع أغصان الخشب فوق، وتنشر مع طبقة من طمي فوق الكل، وأخيراً تنشأ الأوتاد بطول كل جانب، وتكون عالية بدرجة كافيه حتي تمنع الخيول والبغال من الوصول إليها والقفز في المياه .

2- حكم المقاطعة الامبريالية:

سلطات الحكام (المرزبانات) Satrapal Authorizations كانت في أن تأمين الطرق الملكية نفسها للسفر، فمثلاً (الحديث عن الطريق من ساردیس Sardis إلي صوصا Susa)، ولم تترك هذه الطرق أية بلدة مأهولة بالسكان، ولتكرار العبارة التي استخدمها هيرودوت (Herodotus) ، والتي يقول فيها إن المخاطر ليست في الجوع الشديد أو الفخاخ، وبالنسبة للمؤرخين العسكريين فإن هذه الطرق هي التي يمكن إعادة إمداد الجيوش بسهولة عن طريقها، ولكن استخدام هذه الطرق يتطلب سلطة رسمية سابقة، وهذا بالضبط ما اشتمل عليه الخطاب الذي أرسل من أرساما Arsama إلي نيهتور Nihtihor في وثيقة أرامية معروفة جيداً وفيها بالأسماء: «من أرساما Arama إلي الضابط النائب ماردوك Marduk الذي يوجد في (مكان ما)، نابولاداني Nabulan ، الضابط الذي يوجد في لاير Lair ، وزاتوفيها Zatuvyoha الضابط الذي يوجد في أزوهين Azuhin ، وآباستبارا Opastabora الضابط الذي يوجد في كل من أربيلا Arbela وهالسو Halsu ، وماتولوبس Mat-al-Ubas ، وإلي الضابط باجافار

Bagafarnal الــذي يوجــد في الســلام Salam ، وإلي فرادفارنــا Fradafana وجاوزينــا Gawzina الضــباط الموجــودين في دمشــق Damascus ، انتبهــوا إلي أن هنــاك شخصــاً يسمي نيتهور Niehtor ، وهو مــن ضــباطي، ذاهــب إلي مصر، فــاعطوه إمــدادات مــن البلاد التي في إماراتكم في كل يوم معيارين من الوجبة البيضــاء، 3 معــايير مــن الوجبــة الدنيا (لأقل مرتبة)، ومعيارين من الخمر أو البيرة، وخروف واحــد، وعشــب جــاف عــلي حسب عدد الخيول، واعطوا هذه الإمدادات إلي اثنين مــن سيلســيان Cilicians ، واحــد من الخادمين لي والذين سوف يذهبون معه إلي مصر، ولكل واحد مــن الرجــال في اليــوم معيار واحد للوجبة، واعطوا هذه الإمدادت لكل ضــابط مــنهم بــدوره طبقــاً لمراحــل أو محطات رحلته بين مقاطعة إلي مقاطعة حتي يصل إلي مصر، وإذا استمر لمدة أكــثر مــن يوم واحد في مكان واحد فلا تعطوهم إمدادات أكثر لهذه الأيام، وباجاساروا Bagasaru متفهم لهذا الأمر، وراستا Rasta هو الموظف».

وأهمية هذا الخطاب هو أنه يمكننا من إعــادة بنــاء العمليــة الإداريــة بدقــة، وكــل قائد رسمي لقافلة يضطر إلي أن يأخذ وثيقة مختومة تعمل كوسيلة لاتصــال آمــن، وأيضــاً كــإذن للســفر، وتوجــد وثيقــة هــالمي Halmi في إيــلام Elimat ، وتوجــد وثيقــة فياتيكــا Viyatika حتي الفرس Persion ، ونجد أن وثيقة Halmi تشمل عدد المسافرين ومقــدار طعامهم (تعيينهم)، والمسالك التي يجب أن تتبع في الطرق الملكية في الواقع كانــت تتميــز بوجود مراحل أو محطات بها مخازن، وهذا ما قاله هيرودوت (Herodotus) في تســجيله (وصفه) الشهيد وهناك فواصل علي طول الطريق تعرف باسم المحطات، وبهــا اســتراحات ممتازة، وهذه هي أسس التدابير الماليــة التــي قررهــا المؤلــف الاقتصــادي الــذي لا يقهــر، حيث وصف أنتيمنيس Antimnes من بابلونيا Babylonia خلال فترة الإسكندر Alexander : « لقد أمــر بمــلء المســتودعات (المخــازن) عــلي طــول الطريــق

الملكي، وطبقاً لظروف البلاد»، والنتيجة مـن هـذه القصـة هـي وضـع القواعـد الصـارمة للإدارة الأخمينيـة Achameind ، وفيهـا: «في أي وقـت يمـر الجـيش أو بعـض الكتائـب الأخري من البلد وفي حالة عدم وجود الملك فيها فإنه يرسل فريقاً من البائعين يطوفـون لبيع البضائع المعروضة في المخازن (المستودعات)، كما أن مديري المخازن ليست لـديهم السلطة في صرف البضائع بدون سلطة حاكمة، وعند وصول القافلـة لكـل محطـة-مركـز بطلب من قائد القافلة أن يظهر هذه الوثيقة التـي تسـمح لـه باسـتلام تعيـين (طعـام) السفر بالضبط بالقدر المشـار إليـه في الوثيقـة التـي يحملهـا، ونجـد أن خطـاب أرسـاما Arsama يشمل هذه العبارة: «وإذا كان موجـوداً لمـدة أكـثر مـن يـوم واحـد في مكـان واحد (أي مكان) فلا تقرر لهم إمدادات إضافيه لهذه الأيام»، وهذا الإمداد يشير إلي أنه حتي لو واجهت المسافرين صعوبات لا يقدرون عليها، أو إذا تلكأوا علي الطريق فلـيس لهم الحق في تعيين (طعام) إضافي»، وأيضاً يؤكد الخطاب علي المحطات ومراكـز الإمـداد التي توجد في كل رحلة يومية علي حدة .

ونجد أن الرقع المكتوبة مـن الطائفـة (النـوع) Q تقـدم القسـيمة التـي يجهزهـا رئيس المخازن عند المحطات لكي يسجل الاستلام والصرف، وكمثال تـم اختيـاره مـن بـين المئات فهذا هو نص من واحدة من هذه الرقع المكتوبة، وفيه: «65,4 بـاراً مـن الـدقيق تسلمها دوما Dauma ، ويسـلم كـل واحـد مـن الرجـال الثلاثـة والعشريـن مقـدار 5,1 جزءاً، وأيضاً جزء لكل طفل، وقـد أظهـر دومـاً Dauma وثيقـة مختومـة مـن ايردابيرنـا Irdapirna ، وهم كـانوا مسـافرين مـن سـارديس Sardis ، ووصـلوا إلي بيرسـبوليس في شهر 9 من عام 27 في هيدالو Hidalu .

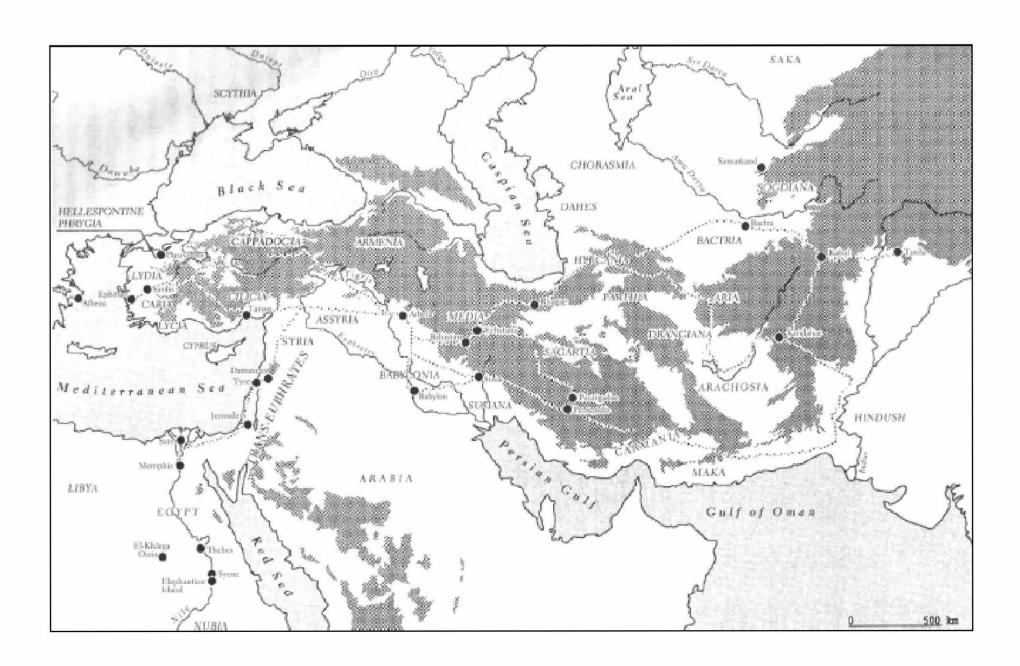
ويمكن تعريف إيردابيرنا Irdapirna علي أنـه أرتـافيرنيس Artaphernes وهو أخو دارا Darius ، والذي نفرق نحن من خلال هـيرودوت (Herodotus) أن كان مرزبان سـارديس Sardis ، وفي عـام 495 مـنح (وثيقـة) هـالمي Halmi

إلي دوما Dauma الـذي كـان ذاهبـاً إلي بيرسـبوليس Perspolis وبرفقتـه رجـال عديـدون وخدام، وقد كتب الإيصال في هيدالو Hidalu ، وهـو مكـان مهـم عـلي الحـدود بـين ايـلام Elam وفارس Persia ، وبعد ذلـك فـإن المـواد الأرشـيفيه تشـمل بعـض الوثـائق الآراميـة Aramaic من أراد Arad في فلسطين Palestine ، والتي يرجـع تاريخهـا إلي القـرن الرابـع، فهي تبدو أنها تؤكد علي وجود محطات الطريق، والتي فيها يستطيع المسافرون الرسـميون -بلا شك الأشخاص العسكريون- أن يأخذوا تعييناً (طعاماً) لحيواناتهم، والمصادر الكلاسيكية القديمة تؤكد علي حدوث هذا بالضبط، ديموثينس Demosthenes علي سبيل المثال سـجل أن كاردينوس Cardius وصل إلي سيتوس Sestos وحده لأن معه إيصـال أمـن مـن جانـب أرتابازوس Artabazus ، وقد شرح ثميستوكلز Thmistocles في كثـير مـن الخطابـات التـي ترجع إليـه أنه عندمــا نفــي مـن أثينـا Athens نجـح في الوصـول إلي حاشـية الأخمينيـين Achemenid ، وطلب سلطة من المرزبان أرتابازوس Artaobazus ، والذي بـدوره منحهـا له، وقد أكمل قائلاً: أعطاني حصانين، والعـدد نفســه مـن الخـادمين، وأرسـلني مـع 13 مـن الفرس Persian الآخرين الذين كانوا علي دراية بـالطريق والمقاطعـات، وقـد سـافروا عـلي ظهور الجمال».

وفي نسخة (ترجمة) أخري يقال فيها إن سيمسـتوكليس Themistocles وصـل إلي الملـك سراً بعـد النـزول إلي أيوليـا سـيم Aeolian Cyme ، وكانـت أفكـاره غـير مرغوب فيها؛ لأن الملك وضع الثمن، وهو مقابل رأسه، ولحسن حظـه فإنـه قـد وقـع علي مقيم ثري من إيليا إيجي Aeolian Aegea ، وهو نيكوجينز Nicagenes والذي كانت له علاقات مع نبلاء الفرس في البلاد المرتفعة، وبهذه الطريقة كان سيمسـتوكليز قادراً علي أن يرحل في عربـة مقفلـة كانـت تسـتخدمها السـيدات المسـافرات وحالـة السيبادس Acibiades أيضاً يؤكد علي صعوبة الهروب مـن سـيطرة الحـاكم

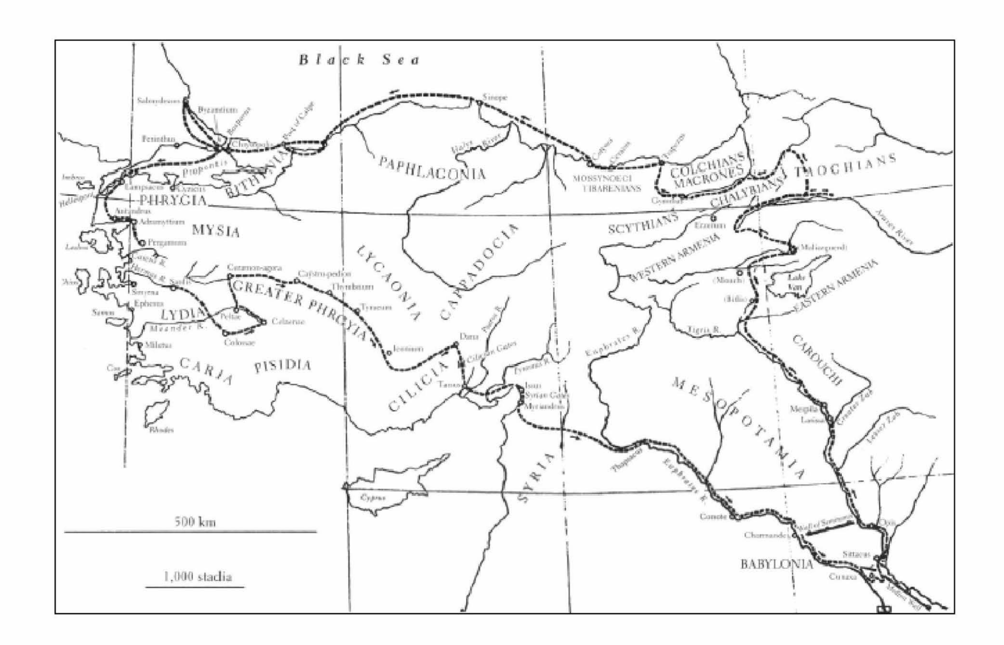
(الستراب)، فقد عزم علي الذهاب إلي أرتاكسركسيس Artaxerxes لـكي يسـافر في آمـان كامل، وقد قال له إن المرزبان فارنابازوس Pharnerbaz كـان قـادراً عـلي تسـهيل ذلـك بشكل أكبر؛ لذلك فقد فتش عنه في هليبسـونتين (فرجيـا) (Hellespontine (Phrgia ، ولكن ولأسباب خاصة بالمرزبان نفسه الذي أراد علي جميع الأصعدة أن يبعـد الأثينيـين Athenian عن رؤية ملكهم؛ ولذلك فقد رفض أن يتعـاون معـه، ومـن ثـم فقـد حـاول السيباديس Alcibiades أن يجد المرزبان بافلاجونيا Paplgonia ، والـذي بواسـطته قـد أخذ سراً الطريق من دايسليوم Dascylium عاصمة هيلسونتين فرجيا Phrygia ، وفوراً أرسل فرنابازوس Pharnabazus في كتيبة (فصيلة) صغيرة، والتي لحقت بـه عنـد قريـة فرجينية، حيث قتل فيها، ومن ثم فنحن نعرف أن الطرق كانت محمية بشـدة، فعنـدما عاد سيموستوكليز Themistocles إلي الساحل فيما بعد، وجد أن مسألة العـداوة لأحـد الفرس المهيمنين، وهو ملك فرجيا العظيم إيبكسس Epixyes ، وهذا الرجـل قـد أرسـل بعضاً من البيسيديانس Pisidians بالأوامر لكي يثخن (ينحر) اليوناني عندما يظهـر عنـد اليونتاسينا Leontocephalay ، وهي محطة مهمة علي الطريق الملكي، وقد تـم تحـذير سيمستوكلز Themistocles ، واتخذ طريق العودة، والسيطرة كانت أبدية، وعلي سبيل المثال فقد أرسل اليونانيون ثلاثة جواسيس إلي آسيا الصغري حوالي عـام 480، ولكنهـا لم تستمر حتي اكتشفوا ذلك في الوقت الـذي عملـوا اتصـالاً فيـه مـع جيـوش كسركسـيس Xerxes في سمرديز Smerdis .

وقد كان رضا (قبـول) المرزبـان مطلوبـاً للمسـافرين الرسـميين مثـل السفراء الأجانب، وعندما أرسلت وفـود مـن أثينـا Athena ، ومـن المـدن اليونانيـة الأخـري إلي الملـك في 408 اضـطروا إلي أن ينتظـروا السـلام مـع الحاكم فارنابازوس Pharnabazus ، ففي أول مرة حاول أن يأخذ السفراء



خريطة رقم 2

إلي الملـك «وقـد أمطـرت السـماء عـلي القافلـة في فرجيـا Phrgia عنـد جـورودين Gordion وهي محطة علي الطريـق الملـكي مـن سـارديس Sardis إلي صوصـا Susa ، وفي بداية الربيع التالي اتخذوا الطريـق نفسـه مـرة ثانيـة قاصـدين الملـك، ولم يحـدث شيء؛ لأن السفراء جروا إلي قورش Cyrus الأصغر والـذي أرسـله أخـوه أرتاكسركسـيس Artaxerxes لـكي يحمـل عـلي عاتقـه العمليـات العسـكرية في غـرب آسـيا الصـغري: «وعند وصـول هـذه الأخبـار، أراد المنـدوبون الأثينيـون Athenian أن يلتمسـوا أمـن الملك أو أي فرد آخر للعودة إلي المنزل، خصوصاً عندما رأوا قورش Cyrus ، وبأمر مـن قـورش Cyrus أراد فارنابـازوس Pharnabazoues أن يعـتقلهم لفـترة، وهـو يخـبرهم أحياناً بأنه قد يأخذهم إلي الملك، وأحياناً أخري ربمـا يعـودون إلي البيـت، وبعـد ثلاثـة أعوام طلب من قورش (Cyrus) أن يسمح لهم بـالعودة، وقـال لـه بأنـه أقسـم أن يأخـذهم ويعود بهم إلي البحر وألا يـرجعهم إلي الملـك، وقـد أرسـلوا إلي أريوبـارزنيس Ariobarzanes



خريطة رقم 3

الذي طلب منه أن يمدهم بالحرس، وقد أحضرهم إلي سيوس Cius في ميسيا Mysia ، ومن هناك ذهبوا ليلتحقوا (ينضموا) إلي باقي الجيش .

وهذا قد مكننا من أن نفهم فحوي (مضمون) الصوت العالي المعلن في أثينا Athens في الستينيات 360-370 لتعظيم وتمجيد ستراتون Straton ، وهو ملك سيدون Sidon ، وهو في الواقع فعل كل ما يستطيع لكي يري أن السفراء الذين قد أرسلهم الناس إلي الملك قد لاقوا ظروف سفر طيبة بقدر الإمكان».

الحرس العسكري:

كتب هيرودوت (Herodotus) عن السكة الملكية بأنها كانت تمر بمناطق مأهولة ومؤمنة، وعلي الطريق الملكي قد نظم المرور من جانب رجال الملك، وبصفة عامة، فإنه يرجع إلي الملك في إصدار الأوامر، والحفاظ علي أمن المسافرين من قطاع الطرق، وهذه هي إحدي مميزات

الملك الجيد، وكما رسم لـه زينوفـون Xenphon صـورة مثاليـة لقـورش Cyrus الأصـغر حيث قال: «لا يستطيع أحد أن يقول إنه قد سمح لأي أحد أن يسـخر منـه، حيـث إنـه علي النقيض فقد كان قاسيًّا إلي أبعد حـد في عقـابهم، وعـلي الـرغم مـن شـدة العقـاب للأشرار فلم يكن الأمان مضموناً في كل الأوقات، وفي كل الأماكن بالدرجة نفسـها، وهـذا هو السبب لماذا كانت القوافل محروسة برجال مسلحين، وعندما أرسل Nehemiah إلي أورشليم بواسطة Artaxerxes فعلي سبيل المثال، فإنه كان معه ضـباط شرطـة وخيالـة، وقد قـام عـزرا Ezro بالرحلـة نفسـها، وبصـحبة بعـض اليهـود، ومعهـم الـذهب لمعبـد Yahmeh ، وقد وصف عزرا Ezra الرحلة بأنه كان خائفاً دائماً مـن الهجـوم الـذي كـان موجوداً، وقد قال: «إنني أشعر بالخجل حينما أطلب من الملك حراسة مسـلحة وخيالـه لحمايتنا من الأعداء علي الطريق، وبعناية الـرب الـذي كـان معنـا وحمانـا مـن الأعـداء واللصوص».

حرس (دورية) السكة الملكية:

لم تؤثر المراقبة علي الناس فقط، ولكن أيضاً علي الرسـائل التـي كـانوا يحملونهـا، وثلاثة من رجال هيرودوت (Herodotus) قاموا بحركات بهلوانية محاولين الهروب مـن يقظة الإدارة، وقد كان هناك طريق يستطيع منه هارباجوس Harpogus أن يتصل مـع قـورش Cyrus سرًّا في Persia وهـو: «لأن الطريـق كـان محروسـاً، فقـد كانـت طريقـة واحدة للتفكير في توصيل الرسالة إليه، وهي شق أرنب بري دون أن ينزع جلده، ووضع في بطنه ورقة مكتوب فيها مـا يريـد أن يقولـه، ثـم يخـيط الأرنـب، ويعطيـه إلي خـادم موثوق به، ثم يرسله إلي Persia بالأوامر لكي يقدمه إلي قورش Cyrus ، ويخبره بـالكلام شفويًّا أن يقوم هو بنفسه بقطعه بيـده، وبالفعـل قـد أطيعـت الأوامـر وتسـلم قـورش Cyrus الأرنب وقطعه، ووجد الخطاب بداخله ليقرأه».

وهناك قصة أخري لـ Demaratus الإسبرطي الذي كان في المنفي في صوصا Susa ، وأراد أن يحذر أبناء وطنه في إسبرطه من القدوم المفاجئ لكسركسيس Xerxes : «وبما أن خطورة الاكتشاف كانت عظيمة فقد كانت هناك طريقة واحدة يستطيع تدبيرها لتوصيل الرسالة، وكان هذا عن طريق مسح السمع علي لوحين خشبيين ملفوفين، وللكتابة علي الخشب الذي تحتها ما يريد كسركسيس Xerxes أن يفعله، ثم يغطي الرسالة بالشمع مرة أخري، ومن ثم فإن هذا اللوح الخشبي لا يسبب أي مشكلات للحراس الذين يحملونه طول الطريق» .

البريد الملكي والمراسلات الملكية:

عندما كتب المؤلفون القدامي عن اتساع المقاطعات الملكية (الإمبريالية) قد صعقوا من تأسيس البريد الملكي، وقد أرجح زينوفون Xenophon كعادته أصل هذا التأسيس إلي قورش Cyrus الأكبر، حيث قال: «قد سمعنا عن تنظيمات تقابل هذا الاتساع الهائل للإمبراطورية، وتمكن الملك من أن يعرف أحوال وشؤون البلاد في أي مكان»، وفي البداية قدر قورش Cyrus إلي أي مدي يستطيع الحصان أن يسافر في يوم واحد بدون أن يركبه أحد، ومن ثم كانت لديه سلسلة من مراكز البريد، حيث يقوم أحد الأشخاص بالعناية بكل محطة بريد ليتسلم الرسائل ويسلمها، وقد نقول إن هذا البريد لا يعمل ليلاً، حيث إن رسول الليل يريح رسول النهار، ثم يكمل الركوب ثم التوصيل، وقد أعطي هيرودوت (Herodotus) معلومات حول هذه المؤسسة فارسية الاسم الذي يوصف باليونانية باسم Aggareion : «وفي الوقت نفسه الذي أرسل فيه كسركسيس Xerxes المراسلات إلي فارس عن أخبار هزيمته فلا شيء يسافر أسرع من المراسلات الفارسية، والكرة كلها فارسية الاختراع، فلا يستطيع أحد أن يعوق هذه المراسلات عن أن تصل، لا المطر، ولا الثلج، ولا الحرارة، أو الظلام، حيث إن الأول في نهاية مرحلته يسلمها

إلي الثاني، ومن الثاني إلي الثالث، وهكذا علي طول الخط، والكلمة الفارسية Astandes تعرف من خلال كثير من النصوص اليونانية، والتعريف في Suda أو الاستانداي Astandai هم حاملو الخطابات الذين يمررون الرسائل بنجاح من واحد إلي الآخر .

وفي القصص اليونانية نجد أن هناك أمثلة عديدة لاستخدام مثل هذه المراسلات، «وفي بداية Aeschylus الفارسي، حيث إن Choryphaeus وهو قائد Chorus أرجع وصول الرسول أو الرسائل إلي اللحظة التي وصل فيها رسول كسركسيس Xerxes لإحضار أخبار مفزعة بأن جيش البربر علي المشارف، وقبل عدة أعوام عندما أراد دارا Darius وهو حينئذ في سارديس Sardis أن يوصل أوامره إلي ميجابيزوس Megabazas الذي ترك في مقدمة الجيش عند Thrace ، فقد استخدم الرسول أقصي سرعة ليصل إلي Hellespont عابراً المياه، وسلم الخطاب إلي ميجابيزوس Megabazas ، وكتاب Esther يبين كيف أن الأوامر الملكية كانت تصل إلي كل مقاطعة في مملكة Ahasuerus .

ووجود مثل هؤلاء الرسل تم تأكيده في رقع (أقراص) Persopolis التي تستخدم فيها كلمة Pirradazis التي تغطي كل من المراسلات والخيول التي يركبها هؤلاء الرسل، وهذه الكلمة بوضوح تشير إلي نظام البريد يوجد بين الملك والخاضعين له في المقاطعات، واحدة من هذه الرقع شيقة، وهي تقول: «لقد تسلم داتيا Datiya عدد سبع Marris من الخمر كمرتب، وقد أتي من سارديس Sardis علي السريع، وكان ذاهباً إلي الملك في بيرسوبوليس Perspolis في شهر 11 عام 27 .

وكان هذا في يناير وفبراير عام 497، ونحن نعتقد أن Datiya ليس إلا Datis وهو القائد الذي قاد الحملة الأوروبية عام 490 لا شك في أن دارا Darius قد أمر Datiya بعد رحلة (جولة) معاينة في آسيا الصغري عند اندلاع الثورة اليونانية أن يعود بسرعة إلي Perpolis ويعمل تقريراً بالجولة،

والأوامر تصل بسرعة إلي مقصدها إذا كانت هناك إشارات مرئية أو شفهية أسرع، ووجود ذلك كان في بداية الفترة اليونانية التي توضح عملية من سلسة من الإشارات بين Susiana وفارس FArs ، وهذه النصوص التي توجد في الفترة اليونانية تعطينا كل الأسباب لتصديق استخدام الإشارات التي ترجع إلي فترة الأخمينيين Achaemenido ، وقد احتاج Eumenes وهو أحد خلفاء الإسكندر احتاج إلي دعم من Persia عن طريق البر، ولكن العساكر ربما يستغرقون 24 يوماً كاملة في السير، ولكي تقلل من التأخير قام Eumenes باتخاذ خطوة سميت باسم ديودورس Diodorus : «علي الرغم من أن بعض الفرس Persians علي مسافة رحلة تقدر بـ30 يوماً، إلا أنهم كلهم تلقوا الأوامر في هذا اليوم المحدد، والفضل يرجع للتدريبات الفائقة في مراكز الحراسة، وهي خطوة لا يجب أن تمر مرور الكرام، حيث إن Persia تتألف من كثير من الأودية الضيقة، ولها كثير من مراكز المراقبة التي تقترب من بعضها، والتي منها سكان هادئي الصوت، حيث إن هذه المراكز تنفصل عن بعضها بمسافات، بحيث يسمع صوت الفرد من مركز إلي آخر، والذين يتلقون الأوامر يمرون بها واحداً إلي الآخر حتي تصل الرسائل التي كانت قد تواجه فقط عقبة طبيعية مثل النهر، فما إن وصل دارا Darius إلي الضفة الشرقية لنهر الدانوب Danube حتي أخطر بأنه يواجه قادة اليونان الذين كانوا في قواربهم في مواجهة الشاطئ، ولهذا الغرض فقد نادي دارا Darius علي المصريين بصوت عالٍ، وكان قادراً علي أن يفسر الأوامر ببناء كوبري عائم، وقد تم تدريب الشباب من Persia علي استخدام الكلام بصوت عالٍ والتنفس، وأن يستخدموا الرئتين .

الخطوط الاستراتيجية وخطوط الاتصال:

من وجهة نظر سلطة (الإدارة) الأخمينية Achaemnid ، فإن نقاط الاتصال والمرور قد أرضت وظيفتها الاستراتيجية والسياسية، حيث إن

السكك الملكية كانت عبارة عن طرق عسكرية، وفي حالة التعبئة العامة فقد مكنوا الفرق المختلفة من الوصول إلي نقاط الالتقاء المحددة لهم، وهي ترجع إلي Sataps في تأسيس مراكز تدريب وصفها زينوفون Xenophon في مدينة Anabasis ، وعلي الطريق الملكي بامتداد الضفة الشرقية لنهر Tigris (دجلة)، «دقيق ونبيذ يجلبونه بكميات كبيرة للخيول»، كل هذا وتأخذ السلطة احتياطات لضمان وفرة احتياجات الحياة اليومية، والحاجة لهذه الإمدادات قد ذكرت من خلال الفلسطينيين الجنوبيين، حيث إنه أثناء السير إلي مصر في 525 فإن قمبيز (Cambyses) اضطر إلي الاستعانة بخدمات ملك العرب الذي أمد جيش Persia بإمدادات الحياة اليومية، وفيما بعد بالنسبة لهيرودوت (Herodotus) فإن الـ Persian قد حسنوا الطريق، وأمدوه بمستودعات علي الأقل قامت الإدارة الأخمينية Achamenid بدعم حفرة Quantas أسفل جبال Elburz ، والتي تعد في مخازن دائمة في الحياة علي الطريق الرئيس من Media إلي آسيا الوسطي .

وفي حالة الهجوم علي المقاطعة الملكية فإن خطوط الاتصال تعمل كعامل قوي بالنسبة للقيادة العامة الأخمينية Achamenid وقادة جيوش العدو، وفي الواقع فإن التحكم في الطريق الرئيس إنما له ضرورة مهمة في تقدم الجيوش، وبالنسبة للأعداء يمنعه من اختراق الإمبراطورية أمام الاختيار بالنسبة للطريق السنوي، إنما تخلق مفاجأة، ولكنها لن تكون سوي عملية مؤقتة أو تخضع للظروف، وقد وصل إلينا من قورش Cyrus الأصغر قائد الجيش وفيها: «وعندما فصل Corsote فإنه من الممكن أن تجد الإمدادات بسهولة، وعلي أية حال، فإن الجيش قد اضطر إلي عبور الصحراء إلي الضفة الشرقية لنهر الفرات Euphrate ، والتي جعلت من المستحيل علي الجنود إطعام أنفسهم ما عدا أن يشتروا من التجار المصاحبين للجيش، بينما الجيش الهائل عبر الإقليم قد أرهق مقدرة

الإقليم في إمدادهم مثال لهذا، قد وجد في المناقشات بين القادة اليونانيين بعد وفاة قورش Cyrus الأصغر في بابلونيا: «لقد تناقشوا حول الطريق الذي بواسطته يصلون إلي ساحل البحر، وقد اتفقوا علي أنهم لا يستطيعون أن يسلكوا الطريق نفسه الذي أتوا منه؛ لأن الأرض التي جروا بها أكثرها صحراء، وربما لا يجدون إمدادات تماماً مثل هؤلاء الذين نصحوا دارا Darius بألا يواجه الإسكندر Alexander في Cilicia ، وأن يتراجع إلي Babylonia ، وقد أجاب: «والظروف التي تحكمت فيها الاستراتيجية التي تبناها Eunemnes في بابولونيا Babylonia في 317 كانت هي: «أن Eunemnes قد أرغم علي أية حال علي عبور نهر الفرات؛ لأن الأرض من ورائه كانت وعرة، بينما في الجانب الآخر لم يكن قادراً علي إيجاد طعام لجيشه».

والنوع نفسه من الأٍسباب اتخذه دارا Darius بعد هزيمته عند جاوجاميلا Gaugamela ، حيث إنه عندما وصل إلي Media ترك الإسكندر Alexander يتخذ الطريق الملكي إلي بابولونيا Babylonia : «حيث إن السبب الذي اختاره للرجوع إلي ميديا Media هو أنه اعتقد أن الإسكندر Alexander ربما يتخذ الطريق إلي صوصا Susa وبابيلون Babylon بعد المعركة، حيث إن البلدة بطولها كانت مأهولة، ولم تكن الطريق فيها صعبة علي البهائم (معبدة)».

ومن الممكن أن يقال إنه بالنسبة لجيوش الملك الأعظم لكي يكون لديهم فرصة في النجاح لا بد أن يأخذوا شرح العمليات العسكرية الأخمينية Achamenid ، أو بعبارة أخري أن يأخذوا بخبرتهم في علم نقل الجنود التي أوجدتها السلطة في Persian لتؤكد علي بقائها، وهذه هي النقاط الرئيسة التي أخذنا بها بلوتارخ Plutarch : «ذات مرة استقبل الإسكندر سفراء الملك الأعظم وفي غياب والدته، وأحد الأسئلة التي وجهها إليهم هو «ما طول الطريق؟ وما الأساليب المتاحة للسفر في هذه البلاد؟»، وعلي الرغم من

الاستراتيجية الدفاعية التي اتخذتها السلطة في Persia وأحياناً ضدهم، إلا أن الطرق ربما تتحول إلي عقبات في مواجهة الغزاة .

بوابات الإمبراطورية وطريقة الدخول إليها:

انتشرت طريقة الحصول علي المواقع الاستراتيجية، وكانت سمة أخري للنظام الحكم في Persian ، وفي وصفه لطريق صوصا-سارديس Susa-Sardis ، وذكر هيرودوت (Herodotus) أن المراكز كانت علي نهر Halys وهما اثنين في Cappadocia ، وواحد في Armenia ، بالإضافة إلي هذه المراكز، فقد كانت هناك مراكز أخري وصفها المؤلفون بالبوابات، وتأتي هذه البوابات من الغرب (آسيا الصغري)، وأولها بوابة Cilicia ، وهي تسيطر حتي المدخل الشمالي لسهل Cilicia ، وقد تم وصفهم من جانب ديودورس Diodorus وزينوفون Xenophon والمؤرخون لحملات الإسكندر، وهي ضيقة جدًّا وبطول 20 ستاديًّا (نحو 6,3 كم) وجبال Giddy التي تمتد إلي حافة الطريق، وهو الطريق الذي يتسع بدرجة كافيه للمركبات الصغيرة، حتي لو كان هذا الطريق منحدراً، ولا يمكن لأي جيش أن يقترب منه، وبالرغم من المواجهة التي يواجهونها، وهذه الممرات الضيقة أطلق عليها المواطنون بوابات، حيث إنها تشبه الحصون التي بنوها بأنفسهم»، وفي عام 401 كان الجنود في Cilicia يحرسون الممر، وكان مدخل Persian محميًّا بالعديد من الحصون، فالبوابة الأولي كانت تقع بالقرب من Fahliyun ، وكانت هذه حماية حقيقية أسسها Madates في عام 331، وهو قريب من الملك الأعظم، والذي أراد أن يثأر لكرامته»، وبمساعدة من المرشدين المحليين، والكتاب المقدونيين استخدم القائد الطريق الجبلي، واتخذ مواقع تطل علي القلعة، وذات مرة وقع هذا البناء، وأصبح الطريق إلي Perpolis مفتوحاً، وقد أرسل الإسكندر غالبية الجيش الذي اتخذ الطريق عبر السهل تجاه بيرسوبوليس Perpolis ، وقد استخدم الإسكندر الطريق

الجبلي لكي يكون قادراً علي المرور ببوابات Persia ، والتي عندها كـان Ariobarzanes يحشد عدة آلاف من الرجال، وبني حوائط لمنع تقدم أو مرور الإسـكندر (Alexander) ، وأيضاً كانت بوابـات Caspain التـي تقـع عـلي مسـيرة 10 أيـام شـرق Rhagae فــي Media ، والتـي عبرها الإسكندر فـي 320 ساعـة إلي دارا Darius .

والقيمـة الاسـتراتيجية لنقـاط الحمايـة هـذه واضـحة، حيـث إنـه في مـذكرات هيرودوت (Herodotus) علي سبيل المثال: «أنه في مـدخل الكـوبري أعـلي نهـر Halys كانت المحمية عبارة عن بوابات، والتي يجب المرور عليها قبـل طلـوع النهـار، والأعـداد المتقاربة من الكبـاري العائمـة الثابتـة أرغمـت القوافـل عـلي اتبـاع الطريـق المـؤدي إلي السلطة الملكية، وهذا سهل علي السلطة التحكم في المرور»، ويجب أيضاً أن نؤكـد عـلي أهمية موقع Thapsacus ، حيث تعمل علي الكباري العائمة كممـر لنهـر الفـرات عـلي الطريق الرئيس الذي يربط بابلونيـا Babylonia بسـاحل البحـر المتوسـط، وقـد أطلـق زينوفـون (Xenophon) عـلي Thapsacus «المـدن الغنيـة والمأهولـة والواسـعة»، وفي الوقـت نفسـه، فإنـه يجـب علينـا أن نكـون حـذرين عنـد تفسـير الحصـون، حيـث إن معلوماتنا فقط عن البوابات والكباري إنما تأتي فقط من التقارير العسـكرية التـي كتبهـا المعدون المنتصرون، وعنـدما وقـع Thermopylee في أيـدي البيرسـيين Persian في عـام 480 كانت البوابات يحرسها عدد من الرجال، ما عدا حالة واحـدة هـي بوابـة Persian في 331، وكانت تقع علي الطريق السنوي الذي يسـتخدمه النـاس مـن صوصـا Susa إلي بيرسوبوليس Persopolis ، ومن وجهة نظر قادة بيرسيا Persian فإن وظيفـة البوابـات ليست من أجل الدفاع، بل لمواجهة العـدو، حيـث إن هـذه البوابـات محصـنة بطريقـة جيدة تحوي جـزءاً مـن شـبكة كثيفـة مـن المواقـع الدفاعيـة لتسـمح للنـاس في Persia بأن ينزلوا إلي مستوي الطريق الذي يصـل إلي البوابـات، وكانـت هـذه البوابـات

(الحصون) متصلة عبر سلسلة من الرسائل وصفها Mysia في نهاية القرن الخامس في وادي Caicus .

خدمة الملك:

من كل النصوص التي قد يضيفها الآخرون تستطيع أن تستخلص المعلومات، في بداية الأمر أخذت في وقت السلم والدراسة بالبريد والطرق الملكية، كانت من وجهة نظر المراقبين (الملاحظين) اليونانيين، والطرق الرئيسة تمثل واحدة من طرق السيطرة الإقليمية، والحفاظ علي الأوامر، وقد كانت وظيفة الطرق سياسية وعسكرية، وقد استخدمها المراسلون والجنود أيضاً العاملين في الحكومة، عندما كانوا يتحركون من نقطة لأخري، وقد كانت الحصون موضوعة علي طول الطريق، ومترابطة بشبكة كثيفة من المواقع المحصنة التي تنظم المقاطعات، وقد كانت للحصون أهمية في التنظيم السياسي للمقاطعات، حيث إنه مع اتساع الإمبراطورية لم يهدد ذلك بقاءها، وبمجرد أن ضعف وجود البيرسيين Persian أصبحت الطرق أقل أماناً، وقد كتب Nepos أنه في 37 أرسل Datames إلي معركة Dynast Aspis ، والذي كان يحكم زينوفون (Xenophon) وهيرودوت (Herodotus) مخطئين في التأكيد في الحكم علي الغرض السياسي لخدمة البريد عند الأخمينيين Achaemnid ، وبالنسبة لليونانيين، فإن وجود وفاعليه المراسلات عند الأخمينيين Achaemnid أكدت علي السيطرة الإقليمية للملك الأعظم، وقد كان غياب الرسل وجامعو الرسائل في الإقليم يشير إلي غياب سيطرة الإدارة المركزية؛ لذلك كان التنظيم وخصوصاً نظام الإشارات المرئية التي تتصل بذاتها بعضها بالبعض من نهاية الإمبراطورية إلي صوصا Susa وإكباتانا Ecbatana ، بحيث يستطيع الملك الأعظم أن يعرف ماذا كان يحدث في آسيا؛ ولهذا انبهر الإغريق بالإدارة التي نجحت في توحيد المقاطعات الواسعة في الإمبراطورية الكبيرة .

3- خطوط الاتصال والتجارة:

شرايين التجارة:

من المفترض أن الطرق الرئيسة الملكية كانت تستخدم بانتظام عن طريق قوافل نقل البضائع، وهي مشكلة لم تشر إليها أي من الرقع المكتوبة في بيرسوبوليس Perspolis ، أو النصوص القديمة، والإشارة الوحيدة لذلك تنقل طول المسافة وكانت في النصوص السياسية، فمن غير المعقول أن تشير في الرقع المكتوبة نفسها إلي أي مؤشر عن غرض هذه الرحلات ولماذا كانت تنظم، فنحن نعلم أن البابليين Babylonian قد قاموا بالتجارة في Elam، Persia، Media ، ونادراً ما كانت تشير النصوص الكلاسيكية إلي أي شيء أكثر من رحلات السفراء أو تحركات الجيوش، وقد أعطوا بالكاد معلومات عن النصف الشرقي للإمبراطورية التي كانت تسمي بهضبة إيران وآسيا الوسطي، وهناك أسباب تؤكد وجود تجارة طويلة المسافة، والتي بدأت من الفترات الأولي، واستمرت إلي فترات الأخمينيين Achaemnid ، ولسوء الحظ لم تتوافر هذه النصوص.

وإذا أردنا دليلاً مباشراً، فربما يكون من خلال مذكرات زينوفون Xenophon ، حيث إنه في طريق قورش Cyrus الأصغر إلي بابليون Babylon توجد أمثلة معينة، مثل «المدينة المأهولة»، وفي مقابل وصف آخر «المدينة المهجورة»، و«المدينة الصحراوية الواسعة»، واستخدام مثل هذه المفردات له وظيفة وصفيه في ذهن زينوفون (Xenophon) ، ولكن وصف مدن بصفات مثل «الغنية» إنما يشير بشكل واضح إلي حقيقة اقتصادية، وهي أن المدن كانت غنية؛ لأن الجنود يمكن أن يمكثوا هناك عدة أيام، ويجدون الإمدادات، وربما يوجد هناك سوق كان يسمح للجنود بتهريب بعض الأشياء من التجار المسافرين الذين يتبعون الجيش، وبعض المدن كانت تسمي بالمدن التجارية بداية من

المدن الساحلية مثل سيلسيا Cilicia ، وهناك مدن مثل Myriandus ، وهي مدينة مأهولة بالفينيقيين، حيث كان عدد كبير من سفن التجار ترسل هناك، ومن موقع مدينة Thapscaus بين الساحل المتوسط و Babylonia ، وربما نستنتج من أنه إذا كانت هذه المدينة مأهولة وغنية وعظيمة؛ فذلك لأنه كانت تتوالي عليها القوافل التجارية، وربما نلاحظ أن أنشطة تجار بابلونيا كانت في سوريا، وكانت تنتقل عبر الرسائل، ووثائق مسمارية الكتابة، وكان هناك شك قليل في أن عرب الشمال قد مروا بقوافل الجمال بين الجزيرة العربية والموانئ الساحلية الفلسطينية، وأيضاً بين وادي الدلتا ونهر الفرات .

الطرق المائية والبرية:

لقد تأثر المؤلفون القدامي كثيراً في إعجابهم بطريق الأخمينيين Achaemnid ، وهو أكثر إحكاماً من السفر عبر الأنهار والبحار، والسبب بلا شك هو أن الاتجاهات العسكرية التي تسلك البحار والأنهار إنما تواجهها عقبات أكثر من شرايين الاتصال بالطرق، وفي الواقع، وعلي الرغم من أن البحار والأنهار تشكل عقبة في اجتيازها أو عبورها، إلا أنهم في الغالب كانوا أسرع من الطرق البرية، وخصوصا نقل البضائع الثقيلة، فأول شيء هو أن الأقاليم الساحلية كانت غالباً صخرية، فإن الطرق الصحراوية إما أن تكون غير موجودة، أو أن يكون من الصعب الاقتراب منها، حيث إنه طوال العام توجد ملاحة ساحلية (بحرية)، وكثير من القصص التاريخية تري ذلك، حيث إنه في بلدة بافلاجونيا Paphlagonia كان هناك زواج بين الوالي أوتيس Otys وبين ابنة شريف (نبيل) Persia وهي سبيثريدوتيس Spithridutes ، وكانت تعيش في ذلك الوقت في سيزيكوس Cyzicus ، وهي ميناء علي بحر مرمرة Marmora ، وقد كان من المستحيل أن تحضر الفتاة (الأميرة) بالبر قبل الربيع بسبب البرد والثلوج، ولكن Otys الذي كان في عجالة قال إنه ربما يستطيع أن

يحضرها بحراً، وقد تم بالفعل إحضارها عن طريق البحر، والطريـق نفسـه أيضـاً اتبعـه Xecatonymus ، وهو من Sinopea عندما حاول إقناع جنود كسركسيس Xerxes بـأن يـذهبوا عـبر البحـر إلي Cotyord عـن طريـق Sinope ، ومـن ثـم Heraclea والبحـر الأسود، وقد أكد للذين سمعوه علي أنهم إذا لم يتبعوا نصيحته فربما يواجهـون عقبـات بشرية وطبيعية، والتي قد تعوق تقدمهم لاحقاً، حيث إن الطريق البري كـان مسـتحيلاً، وعلي الجانب الآخر فقد وعد قائلاً: «إذا ذهبتم عن طريق البحر من هذه البلدة يمكـن أن تتبعوا الساحل حتي تصلوا إلي Sinope ومنها إلي Heraclea ، ومـن هنـاك يمكـن أن تسيروا براً أو بحراً، حيث إن هذه المدينة بها وفرة من القوارب المتاحة»، والشيء نفسـه بالنسبة للبوابات التي كان حصنها يصل إلي حافة المياه نجد أن قورش Cyrus اعتمـد في بادئ الأمر علي قواته البحرية، وأراد أن يضع بعض المعـدات بـين البـوابتين لـكي يفـاجئ العدو، ويتغلب عليه، وبالطريق نفسه أرسل الإسكندر Alexander جواسيسه بحراً لـكي يكتبـوا تقريـراً عـن مواقـع جنـود دارا Darius عـلي سـهل Issus في Cilicia والسـاحل الغربي لآسيا الصغري فقد كان من الأفضل أن يذهبوا بحراً، وبعـد أن وصـل إلي سيلسـيا Cilicia أخذ سـفينة واسـتمر ماشـياً بطـول السـاحل بصـحبة الأسـطول، تاركـاً الضـباط الآخرين يوصـلون الجنـود إلي Hellespont ولكـن مـن اتجـاه آخـر، وقـد اتخـذ قـورش Cyrus طريقاً بريًّا حتي يلحق بالأسطول الذي بدوره أبحر من خلال Ephesus .

ولنقل البضائع الثقيلة من البلاد البعيدة، فقد كانت هنـاك بـدائل بالكـاد، وهـي استخدام الأنهار الساحلية، واتباعها حتي تصل إلي مصب النهر مـن الجهـة الأخـري عـن طريق قوارب (مراكب) تسير في نهر الفرات The Euphrates ، إن الأنهار والقنوات إنمـا تشـغل مكانـة خاصـة في الحيـاة الاقتصـادية والاجتماعيـة في Babyloina ، وكثـير مـن النصوص المكتوبة بالمسمارية قد دلت علي أهمية التجارة في المنتجـات الثقيلـة؛ الغـلال،

البيتـومين، الخشـب، والأحجـار، ... الـخ) خـلال الألفيـه الثانيـة، وقـد اهـتم هـيرودوت (Herodotus) بالملاحة في نهر الفرات، وقد وصف القوارب التـي تسـتخدم فيهـا قـائلاً: «سوف أصف الشيء الذي أبهرني أكثر، وهـي القـوارب الموجـودة في نهـر الفـرات، فهـي دائرية الشكل ومصنوعة مـن جلـود الحيوانـات وقـد بنـوهم في أرمينيـا، حيـث قطعـوا جذور الأشجار ليصنعوا (الإطارات)، ومن ثم وضعوا الجلود المملوءة بالمياه في جـزء مـن جانب المركب، وقد ملأها الرجال بالقش، وتركوا التيار يأخذها إلي أسـفل، وتـتم إدارتهـا برجلين، حيث يعمل كل واحد منهما بالبدال، بحيث يجذب البـدال تجاهـه، ثـم الرجـل الآخـر يقـف في الخلـف ليـدفع البـدال الناحيـة الأخـري، وكانـت المراكـب تختلـف في أحجامها، فبعضها صغير وبعضها كبير، وأضخم واحد فيهـا يسـع 130 طنًّـا، وكـل مركـب يحمـل حمـيراً حيـة، وعنـدما تصـل القـوارب إلي Babylon 158 ، وتعـرض البضـاعة أو الشحنة للبيع، يتم تفكيك القوارب، ويتم بيـع القـش وجلـود الحيوانـات المحملـة عـلي الحمير، وتعود مع الرحلة العائـدة إلي أرمينيـا، ومـن المسـتحيل أن تـدفع القـوارب ضـد التيار بسبب شدة التيار.

النقل في نهر دجلة:

إن نهر دجلة كان متاحـاً للسـفن الكبـيرة حتـي تصـل إلي منطقـة Nineveh في الشمال، وقد استخدم ملوك Assyrian النهر لكي يطفـو فيـه خشـب البنـاء والتماثيـل الضخمة لمقصوراتهم، وقد أنشأ Senncherib سـفناً، وأبحـرت نحـو جنـوب دجلـة إلي Opis ، وفي فترة الأخمينيين Achaemenid نفسها كان استخدام نهر دجلة قاصراً عـلي خطـط دارا Darius في 331-332، حيـث قـرر أن تتمركـز جيوشـه الهائلـة في الـوادي العلـوي لنهـر دجلـة عنـد Arbela ، وهـي مدينـة كبـيرة عـلي الطريـق الواصـل بـين Babylon والغرب، حيث إنه ربما يأخذ إمداداته إما عن طريـق الـبر أو البحـر، حيـث فكر في أن الضفة الشرقية لنهـر دجلـة كانـت محفوظـة بـالطريق الملـكي، وأثنـاء سـير

الجنود مروا بالقرب من Opis ، حيث كان بها ميناء نهري ذو أهمية رئيسة، وقد عبر قورش Cyrus نهر دجلة، وحقق نصراً ساحقاً علي جيوش بابليون Babylon ، وقد وصفها زينوفون Xenophon بالمدينة التي تستحق الذكر، ووصف المرور الموجود في كل مكان، وتوجد قنوات متفرعة من نهر دجلة (4 منها).

من بابلونيا إلي إيلام:

إن الملاحة لم تكن قاصرة علي نهري الشمال والجنوب وهما الفرات ودجلة، حيث إن الانهار من روافدها كانت متصلة عن طريق قنوات عديدة، والتي سهلت التجارة بين المراكز المهمة للغاية عند الأخمينيين Achaemnid ، وهما بابلونيا Babylonia وإيلام Elam ، وخلف هذه القنوات يوجد خليج فارسي، وهو الذي يقوم بعمل اتصال متميز.

ونجد أن قدوم وذهاب سفن المقدونيين في 324 هو مصدر للمعلومات، فبعد أن تقابلوا في كارمانيا Carmania اتفق كل من بيروكسي Nearchus وهو قائد السفن، والإسكندر (Alerxander) اتفقوا علي المقابلة في صوصا Susa ، وبصحبة قائد Persia نورخوس Nearchus الذي أبحر إلي أعلي حتي وصل إلي Pastigris (قارون)، ثم وصل إلي الأهواز Ahwaz ، ثم أخذ Eulaios ، ثم صوصا Susa دجلة، وفي العام التالي قام الإسكندر Alexander بدوره بمغادرة صوصا Susa ، ثم نزل إلي Eulaias حتي وصل إلي نقطة التقائه مع القناة التي تربط Eulaias مع دجلة، ودخلوا دجلة Nearchus الذي بدوره وصل إلي نهر الفرات Euphrates ، ثم تقابل مع الإسكندر Alexander في الحال، وقد كانت الملاحة صعبة في الجزء الشمالي لساحل الخليج عند Persia .

من الساحل المتوسط إلي بابلونيا:

في الخطاب الذي يرجع إليه (خطاب 30) وصف ثيميستوكليس

Themistocles للرحلة التي أخذته في مهمة رسمية من سواحل آسيا الصغري إلي بابليون Babylion أو صوصا Susa ذكر أنه: «أثناء السير، مررت بتلال وأودية عميقة، والتي كانت منحدراتها مأهولة بالسكان ومزروعة، أما المناطق غير المأهولة فكانت ملاذاً للحيوانات البرية، وأنواع أخري من الحيوانات، وقد عبرت الكثير من الأنهار وزرت الناس هناك»، وبامتداد المعلومات السابقة نجد أن النصوص تشير إلي استخدام كل من الطرق البرية والبحرية وخصوصاً المسافرين من آسيا الصغري بابليون Babybloin ، فالأنهار البابلونية والقنوات كانت قريبة ومتصلة بالساحل المتوسط بسبب التوافق بين رسائل (أنواع) النقل الثلاثة؛ النهري، والبحري، والبري، فإن طول مصدر نهر الفرات لم يكن أكثر من 180 كم من الخليج إلي الإسكندرونة (في تركيا الحديثة)، والتي كانت التجارة بها نشطة، وهذا ما كان يفكر فيه هيرودوت (Herodotus) عندما وصف شحنة القوارب البابلونية علي أن معظمها يحتوي علي نبيذ فينيقي مع أفرع الخشب، وقد أشار إلي أي فرد يريد السفر هذه الأيام من الساحل المتوسط إلي بابلونيا، ويرجع إلي الفرات، وقد أنزلت البضائع في الموانئ الفينيقية التي وصلت إلي Thapsacus بالبر، ثم نزلت إلي الفرات لتصل إلي Babylon ، ويقال إن قائد أثينا الذي كان في قبرص Cyprus وأراد أن يقابل الملك أرتاكسركسيس Artaxerxes بقدر الإمكان، وهذا الرجل قد أبحر بسرعة إلي Cilicia ، ثم Thapscus بالبر، ونزل إلي الفرات، ووصل إلي Babylon ، وفي 324 كان لدي الإسكندر Alexander أسطول مكون من 45 سفينة بنيت في فينيقيا، وهذه السفن أخذت مجزأة إلي نهر الفرات، في مدينة Thopsacul حتي تصل السفن إلي Babylon ، وهناك بني مضيقاً يستطيع أن يستقبل 1000 سفينة حربية، وتستطيع أن نقتبس من مواثيق دارا Darius في صوصا Susa : «أن الخشب تم إحضاره من جبل يسمي لبنان، والأفراد الذين يعبرون النهر كانوا من

Babylon ، وتم نقل الخشب اللبناني من مكان الجبل اللبناني بالبر أو البحر.

وقد كان هناك جدال كبير بين السفير الأثيني Damastes الذي كان لدي صوصا وبين سترابو Strabo الذي أراد القول بعدم اعتماده علي معلومات Damastes وناقش ذلك قائلاً: «إن إيراتوثينس Eratosthents قد أعطانا الدليل علي غباء Damastes ؛ لأنه ادعي أن الخليج العربي هو بحيرة، وأن Diotimus وهو ابن Strombichos قاد بعثة من الأثينيين، وسافر بالبحر من Cyndos إلي سيلسيا Cilicia حتي وصل إلي نهر Chospes الذي يجري بمحاذاة صوصا Susa في 40 يوماً، وهذا الشيء قد اضطر إليه Damates بنفسه، وكيف يمكننا أن نصدق أن الرحلات البحرية من Cilicia إلي صوصا Susa كانت ممكنة؟ وقد أكد كل من سايراتوثيتيس Eratosthenes وسترابو Strabo علي أن كلام وتأكيدات Damastes ليست لها معني وليست بسيطة.

ولقد لعبت الموانئ الفينيقية دوراً كبيراً، وحتي وإن لم يتم التأكد من هذا الدور في فترة الأخمينيين Achamenid ، وقد قام علماء الآثار بعمل تجارة داخلية وإقليمية أكثر من التجارة التي تعتمد علي المسافات الطويلة، وأكثر الوثائق الشيقة كانت قبل فتح قورش Cyrus لبابليون Babyblon ، وفي هذه الوثائق نجد أن أصحاب الدكاكين البابليونين أحياناً كانوا في مأمورية من Enna إلي Uruk مستوردي عدد من المنتجات من Ebir Nari ، وتشمل الشبة والنيلة المصرية من مصر، والنحاس من يامانا Yamana (قبرص)، والحديد من لبنان، وكذلك المواد الغذائية (عسل - نبيذ - توابل)، والمنسوجات، وفي الواقع أن تجار فينيقيا عملوا كوسيط بين تجار بابلونيا Babyblon وتجار غرب المتوسط في هذا القصر، ولا يوجد سبب للتفكير في وجود أي اختلاف في فترة الأخمينيين Achaemnid والطرق المائية داخل حدود مصر.

النيل بين البحر المتوسط والبحر الأحمر:

لقد كان هيرودوت (Herodotus) مبهوراً بقوارب الفرات، وهو أيضاً قد ناقش القوارب المصرية، والتي وصف مواد وتصنيف تصنيعها، فقد أطلق عليهم Baris ، وقال إن البعض منهم له قدرة حمل العديد من الأطنان، وأن وصف هيرودوت (Herodotus) أكد علي وجود المعدات التي تجمع بين طبقات المجتمع السبعة، والتعبير المصري «بلا مركب» يعني وجود الفقر المدقع، وكما نعرف أن النيل هو الشريان الرئيس للملاحة المصرية، وقد اتبع ديودورس Diodorus كلام هيرودوت (Herodotus) في إرجاع أن معظم الأيدي العاملة في هذه المنطقة كانت من الفراعنة الذين يسمونهم Sesoosis)) قائلاً: «علي مدخل الأرض إلي البحر قام بحفر قنوات دائمة تأخذ من النهر، وقد كان الغرض هو أن الناس ينفذون حصاد محاصيلهم بسرعة وبسهولة؛ لذلك كان هناك اتصال دائم من الفلاحين بعضهم ببعض، وهناك وفرة من كل شيء يشبع حاجات الفرد، والنتيجة العظيمة لهذا العمل هي أن البلد أصبحت أكثر أماناً، ومن الصعب أن تتعرض لأي هجوم من الأعداء، وعلي الأخص بالنسبة للجزء الأهم من ناحية مصر، وقبل ذلك كانت سهلة المرور بالنسبة للخيول والعربات، ومنذ ذلك الوقت أصبح من الصعب علي الأعداء أن يغزوها بسبب العدد الكبير من القنوات التي تؤدي إلي النهر.

وسوف نري كيف أن الفراعنة في القرن الرابع قد استخدموا هذا النظام ليمنعوا اقتراب الجيوش الأخمينية Achaemnid من طريق الدلتا، وقد أكد هيرودوت (Herodotus) علي أن الفرس حافظوا بعناية علي السدود والقنوات، وخصوصاً لكي يتحاشوا خطر الفيضان، وكان ميناء ممفيس Memphis يتصل مباشرة بالنيل عن طريق قناة، وميناء ممفيس كان مهماً للغاية فلم يكن مجرد ترسانة عسكرية للقيادة، بل كان ميناء تجاريًّا أيضاً، حيث يأتي إليه التجار من فينيقيا واليونان ومن كل مكان

ونجد أن دارا Darius بدأ بإنشاء قناة كان قد أعيد افتتاحها بين النيـل والبحـر الأحمـر، وكان هدف الملك الأعظم غامضاً إلي حـد مـا، ولم يوجـد مـا يوصـل بـين البحـر الأحمـر وخليج فارس في فترة الأخمينيين Achaemnid ، وفي المعاينـات الحديثـة أصـدرت نتـائج شيقة جدًّا، وهي أن هناك زخارف من مدن يونانية متنوعة في آسـيا الصـغري، وفي جـزر يرجع تاريخها إلي القرن الخـامس، وكـذلك أيضـاً المـدن الفينيقيـة، ونسـتطيع القـول إن القناة سهلت عملية تطور التجارة لسببين المدن التجارية الكبري في Aegean ونهر النيل والبحر الأحمر.

التجارة وجمع الرسوم (الجمارك):

إن إدارة الرسوم الملكية أثناء المعاينة عند وصول السفن أو رحيلها بـدون النظـر إلي أصلها أو نوعها، وكل قارب كان يـدفع عنـد المـدخل حسـب قيمـة شـحنه، فالسـفن اليونانيـة تـدفع ضريبـة تسـمي Mnt كانـت تقـدر بالـذهب أو الفضـة، بيـنما السـفن الفينيقية كانت تدفع 10% علي كـل منـتج تحملـه، وأسـماء الأمـاكن التـي تجمـع فيهـا الضرائب لا تعطي ربما لوعورة الطبيعة في ممفيس، ونحـن نعلـم أنـه أثنـاء فـترة حكـم Nectanebo قام الفرعون بتحديد الضرائب بالذهب أو الفضة عـلي الأنـواع المسـتوردة من البحر المتوسط، ويلاحظ أن (عشر) هذه الضرائب يرجع إلي بيـت المـال، ولقـد أعـاد قمبيز Cambyes اللوائح الضريبية، ولكن علي أية حال، فإن الوثـائق الموجـودة تناسـب التسلسل التاريخي والتنظيمي بين فترة Saite والقرن الرابع، ونعـرف أيضـاً أن الضرائـب كانت توجد علي مدخل مصب دلتا النيل في القرن الرابـع في مدينـة Enwe ، ويمكـن أن نتخيل أن هذه الحالة أثناء حكم الفترة الأخمينية Achaemenid .

من النيل إلي الفرات:

إن الوثائق السابق ذكرها أصبحت مصـدراً للمعلومـات عنـدما نقارنهـا بالرقع البابلونية المكتوبة التي تحمل كميات البضـائع التـي تصـدر وتبـاع في

السـوق البـابلوني لعـدة سـنوات قبـل فـتح قـورش Cyrus ، حيـث إن كلتـا الـرقعتين المكتوبتين تشير إلي الاسـتيراد إلي داخـل بـابليون Babyblon مـن منتجـات الغـرب مـن أماكن معينة ومعروفـة، وهـي (الـيمن Yamana ، لبنـان Lebanon ، ومصر Egypt)، وتعين الطرق التـي ذكرهـا هـيرودوت (Herodotus) عنـدما كتـب عـن اسـتيراد النبيـذ الفينيقي إلي بابلونيا Babyblon ، وهناك الكثير من السلع استوردت من مختلف أقطار البحـر المتوسـط، وكانـت تنقـل بالسـفن مـن المـوانئ الفينيقيـة، ومـن هنـاك تنقـل إلي بابليون، وربما يلاحظ أنه في كل الرقـع المكتوبـة والوثـائق الآراميـة كانـت التجـارة مثـل تجارة النحاس والحديد من اليمن Yamana ، والحديد من لبنان Lebanon ، والصـفيح والنبيذ والعسل من أماكن مختلفة مكتوبة علي الرقعـة، والصـوف الأزرق والبنفسـجي، حيث يوجد الصوف الأزرق أيضاً في مصر، والشبة (وهي منتج كان يستخدم ويرجـع إلي النـترون Natron)، وأيضـاً حقائـب جلـد الحيوانـات كـانوا يسـتخدمونها في بابلونيـا Babylonia ، ومـن فـترة Saite وفـترة Babylonia إلي فـترة Persia نجـد أن المنتجـات نفسـها كانـت تنقـل، وتـتم التجـارة فيهـا عـبر آسـيا الصـغري ومصر وقـبرص وبابلونيـا، مستخدمين خطوات وإجراءات معقدة ومتعـددة المراحـل، والاخـتلاف في الـنص هـو أن الوثـائق البابلونيـة توضـح الخطـوة الأخـيرة في هـذه الصـفقات، حيـث إن المبيعـات في بابلونيا كانت تجري عن طريق التجار، وهم الذين يستطيعون أن يقترحـوا الـدور الـذي يلعبه التجار الفينيقيون في هذه الحالة علي الأقـل مـن خـلال وثـائق الرسـوم الضرائـب المصرية، حيث إنها يتم استيرادها عبر وادي النيل، والبضائع نفسها كانت معروفة للبيـع من قبل أصحاب القوات ليس فقط في سنوقراثيس Naucratis ولكـن أيضـاً في ممفـيس Memphis ، ولا شك في ذكر المنـاطق والمواقـع الأخـري بـين تـونس Thonis وممفـيس . Memphis

الخاتمة:

إن التحليل النهائي هو محاولة لاستنتاج أن غياب المراجع المباشرة للتجارة والتجار علي الطرق البرية قد ينتج من تشويه الوثائق، والذي يرجع أصلاً إلي الأوساط السياسية والعسكرية، ونجد أن معلوماتنا عن الضرائب والرسوم تأتي لتؤكد علي اتساع وكثافة التجارة، وأن الضرائب الملكية قد تأخذ أشكالاً أخري، فنحن نعرف علي سبيل المثال أن العرب قد اضطروا إلي دفع كميات كبيرة تعادل 100 وزنة (30 طنًا) من البخور إلي الملك الأعظم كهديد (عطية)، وفي الواقع لم يكن هذا سوي استنزاف للأرباح التجارية بين الفلسطينيين والجنوب العربي.

الفصل العاشر

الرسوم الملكية والجزية في بلاد فارس

1- المصادر والمشكلات:

الجزية والسلطة الملكية:

مـن المفيـد الإشـارة إلي سياسـة الملـك دارا (Darius) الماليـة ومناقشـتها بشـكل منفصل من خلال المهمة الكبـيرة التـي شرع في تنفيـذها والتـي تمثلـت في إعـادة فـرض النظام وإعادة تعريف السياسات التي وضـعها خلفائـه، وبـالنظر إلي الأعـمال الإنشـائية الجديدة التي شرع دارا (Darius) في تنفيذها في مدينتي صوصا برسـيبولس والحمـلات العسـكرية التـي قـام بهـا، والهـدايا التـي كـان يمنحهـا لأتباعـه بالإضـافة إلي المتطلبـات الأساسية للبلاط، فإنه لا بد من أن دارا (Darius) كان يعتمد عـلي دخـل منـتظم كبـير، وفي الواقـع وكـما رأينـا فـإن كـل مـن قـورش (Cyrus) وقمبيـز (Cambyses) وبارديـا Bardiya كانوا حريصين علي ألا يهملـوا الإدارة الماليـة، وتقـدير الجزيـة عـلي الشـعوب الخاضعة لم يبدأ مع دارا (Darius) وعلي الرغم من ذلك فإنـه مـن الصـحيح أن جميـع النصوص القديمة تنسب إلي دارا (Darius) لعب دور كبير في إنشاء نظام الجزيـة ولكـن المشكلة تكمن في القيام بتقييم دقيق لأعماله ونتائجها علي المستوي التاريخي.

وأحد المصادر التي تتناول موضوع الجزية هي التصريحات الملكية، ولقد كانت هذه التصريحات تهدف إلي تمجيد إنجازات دارا (Darius) التي تمثلت في توحيد الإمبراطورية دون أن تضع في إعتبارها أي خصوصيات إقليمية، وتعبر المصادر اليونانية عن نفس وجهة النظر هذه لسبب بسيط هو أنها كانت تعتقد أن الامبراطورية الأخمينية هي وحدة واحدة من سارديس إلي باكترا، وبشكل عام فإن المصادر اليونانية هي لا غني عنها وفي نفس الوقت هي محبطة إلي حد كبير وتقدم هذه المصادر صورتين متناقضتين عن تأثير الجزية الأخمينية: حيث يؤكد بعضها علي إعتدال الضرائب التي فرضها دارا (Darius) ، بينما يميل معظمها إلي شجب هذه الضرائب ووصفها بأنها كانت عبء لا يمكن تحمله، وبالمثل نجد أن هذه المصادر تقدم صورتين عن الملك: حيث تقدمه أحياناً علي أنه ملك عادل وعطوف إلي حد ما علي رعاياه، وفي أحيان أخري كصاحب محل (كابيلوس) «بسبب فرضه لضرائب منتظمة وإجراءات أخري مشابهة» (هيرودوت (Herodotus) ، الكتاب الثالث، فقرة 89) .

ولكن النصوص الملكية يتم بنائها في الأساس من وجهة نظر أيديولوجية وسياسية: وتمجد هذه النصوص الذكري الإسطورية لملك مثالي، ولكن المؤلفون اليونانيون تدفعهم الرغبة التي تغلب عليها الصبغة الجدلية إلي شجب وإنتقاض العيوب الكامنة للنظام الذي حول يونانيين آسيا الصغري إلي «عبيد» للملك الأكبر بشكل غير مباشر عن طريق الجزية والتي كانت رمز للسيطرة الإمبراطورية نفسها، ومع ذلك فبالنظر إلي هذا المنظور نظرة تحليلية نجده مثيراً، وتكمن المشكلة في عدم وجود دليل محدد وقاطع علي أي من الروايتين سواء التي تقدمها التصاريح الملكية أو التي يقدمها المؤلفون اليونانيون، وهذا هو السبب في أن المناقشة الطويلة التي قدمها هيرودوت (Herodotus) للاصلاحات

الضريبية التي أدخلها دارا (Darius) مفيدة ومثيرة للغاية، حيث يقدم لنا ذلك النص ثروة من المعلومات حتي علي مستوي الممارسات المحاسبية علي الرغم من أن هيرودوت (Herodotus) نفسه لم يكن خبيراً في الأمور المالية، ولقد ركز أيضاً علي الجانب السياسي من السياسة الملكية أي علي العلاقة المباشرة بين تحصيل الجزية والسيطرة الإمبراطورية، ولهذا السبب فإنه لم ينظر إليها أبداً من بعيد، وكنتيجة لذلك فإن فقرته عن الجزية والضرائب لا تزال تثير العديد من المشاكل التفسيرية وخاصة فيما يتعلق ببعض التقديرات الملكية والقواعد التنظيمية الأخري الخاصة بالعائدات .

التزامن والترتيب التزامني للأحداث:

لتحليل ديناميكية النظام ككل فإنه من الضروري توسيع القاعدة الوثائقية وإدماج الوثائق التي صدرت في فترات تالية في المناقشة، ولكننا بفعل ذلك نخاطر بصورة واضحة بفقدان المنظور المتزامن للاحداث، ولذلك فإن إستخدام وثائق متأخرة ترجع إلي مابعد عهد دارا (Darius) وكسركسيس (Xerxes) يجب أن يتم بشرط تجانسها في كل منطقي ومترابط، وفي الحقيقة فإنه توجد أسباب كثيرة تدفعنا للاعتقاد أن نظام الجزية لم يخضع لأية تغييرات جذرية باستثناء واضح وهو التغير في نطاق وعدد المرزبانيات أو تخصيص هذا الشعب أو ذلك في هذه المقاطعة أو تلك، ولقد كان من الممكن أن يأتي الملك في أي لحظة بفروض جديدة ويمكننا أن نقر أيضاً أن التعديلات المؤقتة يمكن أن تتم في المعدل الأساسي للجزية أو في كمية الجزية، وأحد الأمثلة المحددة علي ذلك هو الإجراء الذي إتخذه أرتافرنيس (Artaphernes) في عام 492 بعد القضاء علي ثورة إقليم أيونيا (أنظر فصل 12-5)، ولكن هذه التعديلات المحدودة والخاصة بإقليم معين لم تؤثر مطلقاً علي النظام

ككل، و لا يقصد من هذه الملاحظة التخلص من البعد التزامني لمصلحة منظـور يتنـاول الموضوع فقط وسوف نحاول الإشارة -أيـنما تسـمح الأدلـة بـذلك- إلي التغـيرات وأوجـه الخلل المحتملة .

ويعود العدد الأكبر والأكثر فائدة من الأدلـة إلي نهايـة الفـترة الأخمينيـة أو بشـكل أدق إلي الفـترة الإنتقاليـة بـين الـعصر الأخمينـي وذروة الـعصر الهيلينـي وتتمثـل هـذه المجموعة من الأدلة في التقارير التي كتبها مؤرخـو الإسـكندر (Alexander) والتـي قـاموا فيها بوصف المؤسسات الأخمينية التي إقتبسها الفـاتح المقـدوني (سـواء بصـورة جزئيـة أو الكامل) بشكل دقيق للغاية، وتتمثل هذه الثروة من الوثائق أيضاً في العـدد المتزايـد مـن النقوش اليونانية الموجودة في المدن الهلينية الموجودة في غرب آسيا الصغري، وفي الحقيقـة فإنـه لـيس مـن الصـعب توضـيح أن المؤسسـات التـي تعـود إلي فـترة الـديادوكي (خلفـاء الإسكندر (Alexander)) أو إلي عهد الدولة السيلويسية قد تـم إقتباسـها في العديـد مـن الحالات من الممارسات الأخمينية، وهكذا فإن المؤسسـات الأخمينيـة يمكـن إعـادة بناؤهـا من خلال صورتها الموجودة في هذه الأدلة مع الوعي دائماً بضرورة إستخدام طريقة حـذرة في ذلك: حيث أننا قد نضل الطريقة في قاعة كبيرة من المرايا العاكسة!

ولقد شهد الربـع الأخـير مـن القـرن الرابـع ق.م أيضـاً تـأليف الكتـاب قليـل الأهمية المعنون بـ«أوكونوميكـا» أو «الإقتصـاد»، ولقـد كتبـه أحـد ممـثلي مدرسـة أرسطو (ولهذا السبب يتم نسبتها دائماً إلي الكاتب المجهول الذي يعـرف بــ«أرسـطو المزيــف» (Pseudo-Aristotle) »، وفي الحقيقــة فلقــد قــدم كتــاب أوكونوميكــا التحليل الشامل الوحيد لعمل نظام تقدير الجزية الأخميني، حيـث يبحـث المؤلـف عن نموذج إقتصـادي بـالمعني الـذي يفهمـه: والمتمثـل في الطـرق التـي يسـتخدمها «الأكونوم» أي مدير المنزل لـ«إكتساب وحماية ووضع ممتلكاته في نصابها الصـحيح،

وإستخدامهم بالشكل الأمثل ..... ولحفظ الثروة فإن أفضل طريقة هي إتباع كل من الطرق الفارسية واللاكونية، ويتمثل النظام الفارسي في تنظيم كل شيء وفي قيام السيد بالإشراف علي كل شيء شخصيًّا» (الكتاب الأول، 6*1-3)، وبعد هذه الملاحظات في الكتاب الأول يأتي الكتاب الثاني الذي يحتوي علي دقيق ومكثف للأنواع الأربعة للأنظمة الاقتصادية (الكتاب الثاني، 1*1-8):» النظام الأول «نظام الملك» وهو الأكثر أهمية والأبسط، والنظام الثاني «نظام المدينة» وهو الأكثر تنوعاً والأسهل، والنظام الثالث «نظام الفرد» وهو الأقل أهمية والأكثر تنوعاً»، ولقد تم أيضاً إضافة «الإقتصاد المرزباني» والذي يرتبط عضويًّا بالإقتصاد الملكي: ويتعلق الإقتصاد المرزباني بإيصالات (الجزية، الضرائب، ..الخ)، بينما يتمثل دور الإقتصاد الملكي في الإدارة الجيدة للسلع (وهو مايسميه اليونانيون «أويكونوميا»)، فلقد تمتع الملك بعائدات كان يرسلها له مرزباناته، والمبدأ المشترك الذي تقوم عليه الأنظمة الإقتصادية الأربعة بسيط وهو: «ضرورة ألا يتجاوز حجم الإنفاق مقدار الدخل المتوفر» (الكتاب الثاني، 1-6)، ثم تلي ذلك سلسلة طويلة من الخدع والذرائع التي كان يستخدمها كل من الأشخاص والمدن والمرزبانات لجمع المال الذي يحتاجون إليه (الكتاب الثاني-2) .

وأحد اليونانيين مثل مؤلف كتاب «أوكونوميكا» كان مهتماً بدراسة الإمبراطورية الفارسية لأن هذا كان سيمكنه من دراسة منظمة والتي علي العكس من المدن اليونانية لم تكن تواجهها مشاكل مالية، ومن الواضح أن المؤلف قد أرجع السبب في ذلك إلي حجم وإنتظام تدفق الجزي التي كان يفرضها المرزبانات بإسم الملك، ولقد كانت هذه أيضاً هي وجهة النظر التي عرضها زينوفون (Xenophon) من قبل، والذي أوضح في مؤلفه المسمي «أوكونوميكوس» الذي تناول الطريقة النموذجية لإدارة أحد المزارع الكبيرة، أوضح مدي إهتمام الملك الأكبر بالفلاحين

و«بزراعة واستصلاح الأرض» ولقد أكد زينوفون (Xenophon) علي الطريقة التي مكنت بها الجزية الملك الأكبر من تقديم المال للاشخاص الذين كانوا يقدمون له خدمات .

الوثائق الموجودة في الإدارة المركزية:

بالإضافة إلي المصادر الكلاسيكية كنا محظوظين للغاية لحصولنا علي وثائق من الأدارة المركزية الفارسية وخاصة آلاف الألواح التي وجدت في برسيبولس، وربما يتم إعادة تقييم نص «أرسطو المزيف (Pseudo-Aristotle) » في ضوء هذه الوثائق، حيث أن هذه الألواح توضح عمل الإقتصاد الملكي في برسيبولس، وبابل هي المنطقة الأفضل توثيقاً من بين باقي أجزاء الإمبراطورية علي الرغم من أن معظم المعلومات حول تنظيم الأراضي والأمور المالية المتعلقة بها تعود إلي ما بعد عهد دارا (Darius) الأول، والوثائق البابلية المتوفرة تعود بشكل أساسي إلي فترة حكم كل من أرتاكسركسيس (Artaxerxes) الأول ودارا (Darius) الثاني وعلي الرغم من ذلك فإن التحليل الحذر يسمح لنا هنا أيضاً بالوصول إلي إفتراض مفاده أن البنية الأقتصادية هناك تعود إلي عهد كل من دارا (Darius) الأول وحتي في بعض الحالات إلي قورش (Cyrus) وقمبيز (Cambyses) وينطبق هذا أيضاً علي الوثائق الآرامية الموجودة في مصر وهي الحقيقة التي تكتسب أهمية حاسمة، حيث أن تركيبة الوثائق والتحديد الزمني لها للوحدات الفرعية الإقليمية يستحضر إلي الذهن قاعدة الإبهام الأساسية:فبالرغم من الطبيعة العالمية لتنظيم الجزية الأخمينية التي أشار إليها كل من أرسطو المزيف (Pseudo-Aristotle) وهيرودوت (Herodotus) ، فإنه يبدو من المنطقي دائماً وضع تحليلاً منفصلاً للنظام في كل منطقة علي حدي، ولهذا السبب فإن إتساع وخصوصية ألواح برسيبولس تتطلب مناقشة منفصلة، وفي نفس الوقت فإن الأسئلة التي أثارتها هذه الوثائق لدفعنا إلي وضعها في إطار

الإمبراطورية ككل (فصل 11) قبل العودة إلي الدراسات الإقليمية (فصل 12)، وهذا النوع من الحوار بين المركز والمحيط يمكنه وحده فقط أن يثير -إن لم يحل- المشاكل المعقدة المتصلة إسلوب العمل الشامل لنظام إقتصادي يقوم علي فرض الجزية الإقليمية .

2- المرزبانيات والجزية:

هيرودوت (Herodotus) والجزي التي فرضها دارا (Darius) :

قام دارا (Darius) ومستشاريه بمعالجة مشكلة إعادة تنظيم الجزية بسرعة فائقة، ويشهد هيرودوت (Herodotus) علي هذه العجلة والسرعة فيكتب قائلاً: «ثم شرع في إنشاء (20) حكومة محلية (نوموي) تسمي مرزبانيات وقدر الجزية التي يجب أن تحصل من كل منها» (الكتاب الثالث، فقرة 89) ومن المحتمل أنه قد تم تحصيل الجزي للمرة الأولي بعد إصلاح نظامها في عام 517/518 أي في نهاية فترة تأجيل دفع الديون التي أمر بها بارديا Bardiya في عام 522، وبعد هذا الشرح الأولي قام هيرودوت (Herodotus) بتقديم قائمة بأسماء جميع المقاطعات وحدد الشعوب التي كانت تسكن فيها بالإضافة إلي كمية الجزية التي كانت تحصل من كل منهم (الكتاب الثالث، 90-94) .

النوم	الشعوب	مقدار الجزية بالطالن	إعتبارات إضافية
1	الأيونيين، المغنيسيين، الأيوليون، الليسيون، الميليون والبامفليون	400	
2	الميسيون، الليديون، اللاسونيون، الكاباليون، الحييتينيون	500	
3	الفريجيون (سكان الدردنيل)، الطراقيون سكان آسيا، البافلاجونيون، الماريندنيون، السوريون	360	

4	الكيليكيون	500	+360 حصان أبيض
5	مـن بوسـيديوم إلي مصر (العـرب معافون)	350	
6	مصر، الليبيون المجاورون، جزيرة ثيرا، برقة	700	+ دخل من السمك المصطاد من بحيرة موريس (Moeris)+ 120 ألف مدمنيس من القمح لإعاشة الحامية الفارسية في منف
7	شعوب ستاجيديا، قندهار، داديكـاي، أباريتاي	170	
8	صوصا وبلاد السيسيين	300	
9	بابل وباقي أجزاء آشور	1000	500 من الخصيان الصغار
10	إكباتانـا وبـاقي أجـزاء ميـديا، الباريكانيون، الأورثوكوريبانتيس	450	
11	سـكان بحـر قـزوين، البوسـيكاي، البانتيماثي، الداريتاي	200	
12	الباكتريون و...(؟)	360	
13	الباكتينـاس، الأرمينيـون، والشـعوب المجاولة حتي بونتوس يوكسينوس	400	
14	الساجرتيون، السـانجيون، الثامـانيون، اليوتيون، الميسي، سكان بحر يوريثريا	600	
15	الساكا وسكان بحر قزوين	250	
16	البارثيون، الخوارزميون، السـوجديون، الآريون	300	
17	الباريكـانيون، الأثيوبيـون مـن سـكان آسيا	400	
18	الماتيناي، الساسبريس، الألاروديون	200	
19	الموسـكيون، التيبـارينيون، المكرونيـز، الموسينوسي، الماريس	300	
20	الهنود	360	

النومات، المرزبانيات، والشعوب:

ولقد أثارت هذه الفقرة التي قدمها هيرودوت (Herodotus) ولا تزال تثير تحليلات متعددة من جانب المؤرخين، ولقد أصر البعض علي أن هذه القائمة لا تحتوي علي أية معلومات جديرة بالتصديق لأنه تم صياغة تركيبها علي غرار التقليد اليوناني المتداول الشعري والأدبي الذي يعود إلي قائمة هومر للسفن. ومن الواضح أن هذا الحكم السلبي يذهب إلي حد كبير، فمن ناحية نجد أن المقارنة التي يتم إجرائها دائماً بين قائمة هيرودوت (Herodotus) وبين صور الشعوب الموجودة في برسيبولس وفي أماكن أخري ليست مهمة، وهذان النوعان المختلفان من الوثائق يتصلان بمفهومان مختلفان:حيث يقدم أحد المصادر (الوثائق الموجودة في الإدارة المركزية) صورة مثالية وأيديولوجية عن الإمبراطورية (أنظر فصل 5)، بينما يشير المصدر الآخر (هيرودوت (Herodotus)) بشكل غير قابل للجدل إلي تنظيم إداري، وبالطبع ونتيجة لكونه أساساً من آسيا الصغري، قام هيرودوت (Herodotus) بتقديم الحقائق من وجهة النظر اليونانية:والشيء المدهش علي وجه الخصوص هو أن هيرودوت (Herodotus) بدأ قائمته بالمقاطعات الأيونية، بينما في كل الوثائق الفارسية تبدأ قائمة البلاد بفارس والتي تعتبر مركز السلطة الملكية، وبالمثل فإننا يجب أن نتخلي عن النقد اللاذع للشخصيات التي قدمها، وإنه لمن غير المفاجيء أن هيرودوت (Herodotus) واجه صعوبات عديدة في تحويل مقدار الجزي من المقياس الذي عرفه وهو الداريك إلي الطالن، ولكن علي الرغم من التحويلات المتعددة والأخطاء الحسابية، إلا أنه من الواضح أن المعلومات العددية التي يجب أن يتم النظر إليها علي أنها موثوق فيها، وتشير دقة هذه الأرقام إلي أنه تمكن من الوصول - من خلال قنوات غير معروفة (وبالتأكيد غير مباشرة)- إلي الوثائق الرسمية مثل علي سبيل المثال المقتطفات (المكتوبة أو الشفوية) الموجودة في أرشيف سارديس وفي أماكن أخري .

وعلي أي حال، فبالرغم من أن هيرودوت (Herodotus) قد أرجع قائمة الأقاليم الإدارية إلي عهد دارا (Darius) ، إلا أنه هناك شك في أن بعض المعلومات تعود إلي فترة لاحقة ونقصد بذلك الفترة التي كان يقوم هيرودوت (Herodotus) خلالها بجمع المعلومات اللازمة لكتابه، فعلي سبيل المثال؛لم يتم دمج الهند في هذا النظام إلا بعد غزو دارا (Darius) لها، وعلي الأقل فإن دفعها للجزية التي كانت مقررة عليها قبل ذلك هو أمر لا يمكن فرضه إلا بعد الغزو، ويصرح هيرودوت (Herodotus) نفسه في (الكتاب الثالث، فقرة 96) أنه «بمرور الوقت تم إرسال جزي أخري من الجزر ومن شعوب أوروبا التي تقع في شمال اليونان حتي ثساليا» أي في الفترة التي تلت 510-512، ولكن من الصعب التأكد من التفاصيل.

والمنطق الذي تقوم عليه بعض التصنيفات لا يكون دائماً شفافاً، وبالإضافة إلي ذلك فإنه سيكون من الصعب إلي حد ما القيام بتحديد مكان بعض الشعوب التي ذكرها هيرودوت (Herodotus) بدقة علي الخريطة بواسطة الأسماء التي قد حرفها، وتبعاً له فإن الفرس كانوا يسمون الحكومات (أرخاي) التي تدير هذه المقاطعات بـ «المرزبانيات» وكان يقودها حكام (أرخونتيس)، وتكمن المشكلة في أننا لم نحصل علي أي قائمة بالمرزبانيات إلا في وقت وفاة الإسكندر (Alexander) والتي يمكن إستخدامها بشكل منتظم للتحقق من تصريحات هيرودوت (Herodotus) ، ونحن لسنا جاهلين تماماً فيما يتعلق بمرزبانات دارا (Darius) ، حيث أنه بالإضافة إلي النصوص اليونانية تسمح لنا الوثائق البابلية وألواح برسيبولس بإعداد قائمة جزئية وربطها بقائمة هيرودوت (Herodotus) .

المرزبان	التاريخ	السكن	النوم الذي حدده هيرودوت (Herodotus)
متروباتيس	525؟	داسيليوم	3
أوروتيس	+521	سارديس ومغنيسيا	2، 1؟
جوبارو	-522	بابل وعبر الفرات	
أوستانو	535-525		4، 5
حوتا	516-521	مصر وقورنائية	
أرياندیس (Aryandes)	486	صوصا	6
باكابانا	525-510؟	باكترا	8
دادارسي	500-499		
إردابانوس	522	أراخوسيا	
فيفانا	500	قندهار	17
باكابادوس	522	أريا	؟
هاربامیسا	494	إكباتانا	16 (جزئيًا)
ميتورنا (هيدارنيس)	503-499؟		10

في بعض الحالات (داسيليوم، ساردیس، مصر، صوصا، باكترا، إكباتانا)، نجد أن هناك إتفاق ملائم بين نومات هيرودوت (Herodotus) وبين حدود السلطات المزبانية - كتقارب أولي علي الأقل، فمثلاً يبدو أنه كان هناك مرزبان في أريا في عهد دارا (Darius) ، وتوجد شواهد علي وجود مرزبانية بارثيا أو بارثيا هركانيا في في مرحلة تالية، وبالإضافة إلي ذلك وبشكل عام فإن سوجديانا كانت متصلة بباكتريا، وبالرغم من كل هذه الأشياء فلقد تم دمج الآريون مع البارثيون والخوارزميون والسوجديون في النوم السادس عشر الضخم من نومات هيرودوت (Herodotus) ، ولقد قام هيرودوت (Herodotus) أيضاً بتعيين حدود النوم الخامس وهي الحدود التي تتطابق إلي حد كبير مع حدود ما يسمي

بإقليم (إبير ناري)، وفي الحقيقة فنحن نعرف أنه في التاريخ الذي يتم إرجاع إصلاحات دارا (Darius) إليه كان إقليم عبر الفرات لا يزال يقع ضمن نطاق الإدارة الشاسعة المعروفة ببابل وعبر الفرات، ومن الواضح أن إقليم عبر الفرات كان يشكل مجرد وحدة فرعية تابعة في هذه المرزبانية الشاسعة كما يتضح ذلك من قرار دارا (Darius) المتعلق بالقدس حوالي عام 518 (عزرا 8-6)، والذي كان يتعلق بالجزية من إقليم «إبير ناري» (ميدات أبار نهاري)، ولكننا لا نملك وثائق تثبت بصورة منظمة أن هيرودوت (Herodotus) كان مخطئاً، وأحد المشاكل الرئيسية تتمثل في أنه في الأوقات التالية كان هناك تمييز بين المقاطعات المرزبانية والمقاطعات التي تدفع الجزية، ومن المحتمل أنه في أغلب الحالات لم يكن هناك مثل هذا الإختلاف: حيث أنه كانت تقع علي عاتق المرزبان مسؤولية تحصيل الجزية من الشعوب التي كان من المفترض أنها تخضع لسلطته، وعلي الرغم من ذلك فإن أحد النصوص المتأخرة (فقرة عند أريان (Arrian)) تشير إلي أنه حتي بعد تعديل الحدود بين المرزبانيتين، فإن أحد الشعوب الذي ينتمي إلي إحدي المرزبانيتين إستمر في دفع الجزية للمرزبانية المجاورة (فصل 16-4) .

والطريقة التي يروي هيرودوت (Herodotus) أن دارا (Darius) قد إستخدمها لتعيين حدود المقاطعات والجزي المقررة عليهم هي طريقة مثيرة للغاية: «لأغراض إدارية كان يتم ضم الشعوب المتجاورة في وحدة إدارية واحدة (كاتا إثنيا) وكان يتم إعتبار الشعوب الخارجية أنها تنتمي إلي هذه الأمة أو تلك تبعاً لمدي ملائمة ذلك» (الكتاب الثالث، فقرة 89)، ومن منظور الجزية فإنه كان يتم «تصنيف جميع شعوب النوم في طائفة واحدة (إس توتو تيتاجيمينوي)» (الكتاب الثالث، فقرة 92)، وكانوا يسهمون مع بعضهم في تقديم هذه الجزية»، وكان يتم تحديد مبلغ معين يتم تحصيله من جميع شعوب النوم» (الكتاب الثالث، فقرة 90)،

وفي إستثناء واحد -وهو النوم الخامس- لم يتم فيه تعيين حدود المقاطعات بالاشارة إلي مظاهر جغرافيه، وتقابل كلمة «إثنوس» إلي حد كبير مع كلمة كان يستخدمها أباطرة الفرس في نقوشهم وهي «داهيو»، وكلاهما يشير إلي مجتمع وإلي الأرض التي يعيش هذا المجتمع ويتكاثر .

تحديد مقدار الجزية:

يوجد نصان -متأخران ولكنهما مهمان- يقدمان لنا معلومات عن الإعتبارت العملية التي إشتمات عليها عملية تقدير الجزية في بداية عهد دارا (Darius) ، أحد هذان النصان نجده عند بلوتارخ (Plutarch) والآخر عند بوليانوس (Polyaenus) ، وتسجل لنا الروايات الشعبية المتداولة الأفعال التي قام بها دارا (Darius) في أحد الأيام المجيدة والسعيدة جدًّا:

«بعد تحديد مقدار الجزية التي يتوجب علي رعاياه دفعها، أرسل في طلب عليه القوم (هوي بروتوي) في الأقاليم (إبارخيس)، وسألهم عما إذا كانت الضرائب ليست ثقيلة، وعندما أجابوه بأنها معتدلة أمر بأن يدفع كل منهم مبلغ إضافي يتمثل في نصف الضرائب المقررة عليه فقط «(بلوتارخ (Plutarch) ، مور، 172 و)

وهناك رواية أخري نجدها عند بوليانوس (Polyaenus) (الكتاب السابع، 11-3) ومن الواضح أنها تعتمد علي نفس المصدر:

«لقد كان دارا (Darius) هو أول حاكم يفرض ضرائب علي رعاياه (إثني)، ولكي يجعل هذه الضرائب معقولة لم يقم بفرضها بنفسها ولكن ترك أمر تحديدها إلي مرزباناته والذين حددوها بمقدار مفرط، وبحجة عطفه علي رعاياه قام دارا (Darius) بتخفيض مقدار الجزي المفروضة إلي النصف، ولقد إعتبرت الشعوب هذا التخفيض ميزة كبيرة في مصلحتهم منحها لهم الملك الأكبر وقاموا بدفع المقدار المتبقي وهم مسرورين».

ولا يوجد سبب مقنع يدفعنا للشك في صحة هذه الرواية، وعلي

الرغم من أنها ربما لم تفلت من الآلة القوية للدعاية الملكية، إلا أنه من السـهل التعـرف فيهـا علي القول الملكي المأثور القائل: «لا يوجد ملوك سيئون، ولكن يوجد مرزبانات سيئون»، وعـن طريق معارضة سلوك المرزبان، أقنع الملك قادة هـذه الشـعوب بقبـول مقـدار الجزيـة الـذي حدده؛ وبفعله ذلك فمن المحتمل جدًّا أنه خالف التقليد السابق والذي من المؤكـد أنـه كـان يعطي للمرزبانات هامش كبير من الحرية والذين يتحرقون شوقاً لإنتزاع أكبر قدر ممكن مـن المال من رعاياهم لكي يثروا أنفسـهم عـلي حسـاب رعايـاهم، ولقـد كـان الملـك حريصـاً عـلي إستشارة كل من المرزبانات والقادة المحليين لتحديد المقدار الرسمي للجزية -حيث أنه قد تم إستخدام الفعل «تاسين» بجميع أشكاله من قبل كل من هيرودوت (Herodotus) وبلوتـارخ (Plutarch) وبوليـانوس (Polyaenus) ، ويمكننـا أيضـاً أن نسـتوعب الفـارق الـذي يوضـحه هيرودوت (Herodotus) بين فـترة حكـم كـل مـن قـورش (Cyrus) وقمبيـز (Cambyses) وفترة حكم دارا (Darius):حيث كان دارا (Darius) هو أول من نشر قائمة رسـمية للجزيـة، وهكذا فإن الملك الجديد قد اعلم درسـاً مـن الثـورات التـي كـان قـد أخمـدها للتـو، وبهـذه الطريقة أيضاً أكمل مسيرة الإصلاحات التي بدأها بارديا Bardiya الـذي كـان قـد أزاحـه مـن الحكم للتو (أنظر فصل 3-1)، حيث كان من المنطقي إتبـاع إجـراءات تضـمن سـداد الجزيـة بشكل منتظم دون إثارة تحدي الشعوب الخاضعة للسيطة الأخمينية .

إنه من الصعب المضي إلي ما هو أبعد من هذه الاعتبـارات العامـة، وعـلي الـرغم من ذلك توضح العديد من النصوص أنه قـد تـم تحديـد الجزيـة «بالتناسـب مـع قـدرة الشعوب علي الدفع» (كاتا تو ميجيسوس/كاتا دينامين)، فلقد تم تحديد مستوي الجزية بالنظر إلي المصادر الزراعيـة للمصـادر المختلفـة، ولقـد عـبر أرسـطو المزيـف (Pseudo-Aristotle) عـن ذلـك بوضـوح شـديد في خـلال تحليلـه للجوانـب المختلفـة للاقتصـاد

المرزباني: «من بين كل هذه العائدات، كانت أهمها هي العائدات التي تأتي من الأرض والتي تسمي إكفوريون أو ديكاتي»، وإعتماداً علي أحد نصوص الفترة الهيلينية المسمي بـ«نقش منيسيماخوس (Mnesimachus) » تم إقتراح أن الجزية تم تحديد مقدارها بمعدل 1/12 لكل مينا من الذهب (أي حوالي 500 جرام) إعتماداً علي قطعة من الأرض مساحتها 5,1كمŽ&#2;144#&#؛.

وتفترض الوثيقة الفارسية الأصلية مسبقاً القيام بقياس محاسبي رائع للتنوع الذي تتميز به الإمبراطورية والذي كان يجب أن يكون قائماً علي مسح أولي عميق والذي من المؤكد أن تنفيذه قد إستغرق عدة سنوات، ولسوء الحظ فنحن لا نعرف تفاصيل هذه العملية التي يمكن مقارنتها ولكن مع الفارق الكبير في الحجم والنطاق مع التحليل الذي أجراه أرستيديس (Aristides) الأثيني في المدن التي كانت قد شكلت للتو الرابطة الديلية (في عام 478)، فلقد تلقي توجيهات للقيام «بفحص الموقف والعائدات من كل من المناطق المختلفة ليفرض علي كل منها القدر الذي يجب أن تدفعه بالتناسب مع قدرتها علي الدفع» (بلوتارخ (Plutarch) ، أرستيديس (Aristides، 1-24)، ومن المحتمل جدًّا أن تقدير أرستيديس (Aristides) للجزية كان قائماً علي التحليل الذي أجرته الإدارة الأخمينية في ساردیس في 492-493 بعد إخماد الثورة الأيونية (راجع هيرودوت (Herodotus) ، الكتاب السادس، فقرة 42) ومهما كان الحال فلقد كان المبدأ الذي قامت عليه جزية دارا (Darius) بسيط:وهو أن كل شعب من شعوب الإمبراطورية كان عليه يقدم جزء من إنتاجه (داسموس) إلي ملك الملوك بما فيهم الشعوب غير المعروفة مثل «سكان جزر الخليج الفارسي(البحر الإريتري) وهي المكان الذي كان الملك يرسل إليه الذين شردتهم الحروب» (الكتاب الثالث، فقرة 93) .

3- الهدايا والجزية:

وجهة نظر هيرودوت (Herodotus) :

والإستثناءات لقاعدة أن كل الشعوب يجب أن تدفع جزية هي أكثر أهمية وأكثر إستحقاقاً للذكر، ومن بين هذه الشعوب التي تمت معافاتها من الجزية (أتيليا)، سرد هيرودودت بلاد العرب والتي تقع جغرافيًّا في نطاق النوم الخامس (الكتاب الثالث، فقرة 91)، ونجد التفسير بعد ذلك حيث يتحدث هيرودوت (Herodotus) عن طائفة من الشعوب «والذين لم يتم فرض أي جزية منتظمة (فوروس) عليهم، ولكن كانوا يقدمون مساهمة في شكل هدايا (دورا)» (الكتاب الثالث، فقرة 97):كان يتوجب علي الإثيوبيون الموجودون علي حدود مصر وجيرانهم تقديم (2) كوارت من الذهب غير المنقي، و(200) جذع من شجر الأبنوس، و(5) صبية إثيوبيون، و(20) قطعة من العاج؛بينما كان يقوم الكولخيون وجيرانهم حتي نصل إلي القوقاز بإرسال (100) صبي و(100) فتاة كل أربع سنوات، وكان العرب يقومون كل عام بإرسال (1000) طالن من البخور، ونحن لا نعرف شيء عن أسباب المعاملة الخاصة لهذه الشعوب بإستثناء حالة العرب الذين كانوا قد عقدوا معاهدة مع قمبيز (Cambyses) ، ولقد تم دمج هذه الشعوب أيضاً في نطاق الإمبراطورية الأخمينية كما يؤكد هيرودوت (Herodotus) مميزاً رسميًّا بينهم وبين الشعوب الأخري التي تقع خارج حدود الإمبراطورية» والذي كان يقعون خارج نطاق النفوذ الفارسي» (الكتاب الثالث، فقرة97)، ومثل الشعوب التي كانت تدفع الجزية، فلقد تم جمع هذه الشعوب المعافاة في مقاطعات إدارية «تضمهم هم وجيرانهم»، ولم يكونوا يتمتعون بإعفاء عام، حيث كانت تضاف مساهماتهم إلي مساهمات الشعوب التي تدفع الجزية علي الرغم من أنها كان يتم حسابها بشكل منفرد (راجع عبارة باريكس تو فورو = «بشكل منفصل

عن الجزية»)، وكما هو الحال مع الشعوب التي تدفع الجزية، فلقـد كـان مطلـوب مـن هذه الشعوب المعافاة أن ترسل فرق عسكرية للمشاركة في الجيش الملكي، وفي الحقيقـة نلحظ وجود الأثيوبيون والعرب في جيش كسركسيس (Xerxes) (الكتاب السابع، فقرات 69*86) .

والفرق بين هذه الشعوب والشعوب التي كانت تدفع الجزية هو أنه، أولاً، «كانـت تقوم هذه الشعوب بفرض الضرائب علي نفسها» أي أن مقدار المسـاهمة التـي يقـدمونها كان يتم تحديدها (في الأسـاس) «بشـكل إختيـاري»، ولكـن مـن المؤكـد أن مقـادير هـذه المسـاهمات كـان يـتم تحديـدها بـالتوافق مـع «رغبـات» الملـك (راجـع هـيرودوت (Herodotus) ، الكتـاب الثالـث، فقـرة 13)، وبالإضـافة إلي ذلـك فـإن تقـديم هـذه المساهمات كان يتم في حالة الإثيوبيون والكولخيـون كـل سـنتين وكـل أربـع سـنوات، وفي مقارنة أخري مع الشعوب التي تـدفع الجزيـة، فـإن مسـاهمات هـذه الشـعوب المعافـاة كانت تقاس بإستخدام المواد الخـام ولـيس بــ«طـالن الفضـة»، وفي الحقيقـة فـإنهم بهـذا المعني «لم يتم مطابتهم بدفع جزية»: حيث أن الإدارة الأخمينية لم تحـدد مسـتوي معـين للدفع(تاكسس)، ولكنها إكتفـت بمطـالبتهم بتقـديم بعـض الأشـياء (أبوفـورا)، وفي النهايـة يمكننا أن نفترض -ولكن هـذا مجـرد تخمـين- أنهـم كـانوا عـلي خـلاف الشـعوب الدافعـة للجزية كانوا يقومون بإرسال هداياهم مباشرة إلي السلطة المركزية دون الحاجة إلي المـرور بالوسـيط المرزبـاني، ومهـما كـان الحـال فـإن هـذه الأمثلـة مـن وجهـة نظـر هـيرودوت (Herodotus) لم تكن سوي استثناء سطحي متخلف عن التنظيم المالي الجديد الذي أنشأه دارا (Darius) ، ويؤكد علي المقارنة بين هذا الوضع وبـين مـا كـان يحـدث في عهـد قـورش (Cyrus) وقمبيز (Cambyses) (الكتاب الثالث، فقرة 89) وأحد الأمثلة يبدو واضـحاً عـلي الأقل عند القراءة الأولية، وهو مثال سكان كل من قورنائية وبرقة والليبيون، فعنـدما وصـل

قمبيز (Cambyses) في عام 525 «أعلنوا جميعاً خضوعهم له بدون قتال، ووافقـوا عـلي دفع جزية وإرسال هدايا» (الكتاب الثالث، فقرة 13)، وعـلي العكـس مـن ذلـك فخـلال وصف هـيرودوت (Herodotus) لتنظـيم دارا (Darius) ، قـام بـدمج كـل مـن سـكان قورنائية وبرقـة والليبيـون ضـمن الشـعوب الدافعـة للجزيـة في النـوم المصري (الكتـاب الثالث، فقرة 91)، ولكن كلمات هيرودوت (Herodotus) تجعل من الواضح أنهم كانوا يدفعون الجزية ويقـدمون الهـدايا بالفعـل في عهـد قمبيـز (Cambyses) ، وهـذا يثـير تساؤلات حـول التمييـز بـين دفـع والجزيـة وتقـديم الهـدايا وهـو الفـارق الـذي ذكـره هيرودوت (Herodotus) في أماكن أخري.

الهدايا التي كانت تقدمها الشعوب الدافعة للجزية:

إن الشيء الـذي يتضـمن بعـض التنـاقض هـو أن مقـدمي الهـدايا الـذين ذكـرهم هـــيرودوت (Herodotus) يظهـــرون في البدايـــة في صـــورة مجموعـــات عـــلي هـــوامش الإمبراطورية، ولكـن مـع مـرور الوقـت يأخـذ مبـدأ تقـديم الهـدايا للملـك الأكـبر في الظهـور والانتشار بصورة واضحة، وهذا يستحضر إلي الذهن ما كتبه زينوفون (Xenophon) (قـورش (Cyrus) ، الكتاب الثامن، فقـرة 6-6) عـن المهـام التـي أوكلهـا دارا (Darius) إلي مرزباناتـه: «أرسلوا إلي هنا كل ما هو جيد ومرغوب في الأقاليم المختلفة»، ولقد حقق هذا المطلب نتـائج هائلة: «حيث اعتقدت جميع الشعوب أنها ستلحق الضرر بنفسها ومصالحها إذا لم ترسـل إلي قورش (Cyrus) أقيم ما أنتجته بلدهم، سواء مـن ثمـار الأرض أو الحيوانـات التـي يربونهـا أو المصنوعات التي أبدعتها فنونهم، ولقد فعلت جميع المدن مثل ذلـك، وحتـي كـل فـرد فعـل نفس هذا»، ونحن نعرف من ستيسياس (Ctesias) أن ملـوك الهنـد كـان مـن الواضـح أنهـم بالإضافة إلي الجزية المقررة علـيهم كـانوا معتـادين عـلي إنتـاج بعـض الأشـياء للـبلاط الملـكي والتي كان يقدرها الملك الأكبر إلي حد كبـير، ولقـد ستيسـياس (Ctesias) أنـه قـد تـم إرسـال

حيـوان خـرافي إسـمه «مـارتيخورا» كهديـة (دورون) إلي الملـك الفـارسي، ويعـبر إليـان (Aelian) عن مدي إحتقاره للوصف التضخيمي الذي قدمه ستيسياس (Ctesias) لهـذا الحيوان، ولقـد ذكـر ستيسـياس (Ctesias) أيضـاً قيـام الهنـود بإرسـال نـوع خـاص مـن الحديد إلي الملك الأكبر (إنديكا، فقرة 4)، وعطر معين لـه رائحـة قويـة ومبهجـة، «وهـو عطر لا تستطيع الكلمات التعبير عنه والذي لا يوجد له مثيل، ولقد يرسله ملـك الهنـود إلي الملك الأكبر الفارسي» (إنديكا، فقرة 28)، ولقد كان الملك الفارسي يحصـل أيضـاً عـلي ملابس مصبوغة بـاللون القرمـزي بإسـتخدام صـبغة حيوانيـة، والتـي تفوقـت في درجـة إشراقها ولمعانها حتي علي صبغات ساردیس، وفي النهاية فلقد أنتج الهنود عقاراً من براز أحد الطيور والذي كان يسبب موت سريع وهادىء وحلو، ويذكر ستيسـياس (Ctesias) أن «ملك الهنود قد أرفقها ضمن الهدايا القيمة التـي أرسـلها إلي ملـك الفـرس .... ولقـد كان الملك الأكبر يخزنها بشكل منفصل (أبوثيسوريساي)، ولقـد كـان هـو ووالدتـه هـما فقط اللذان يستطيعان الوصول إلي هذا العطر» (أنم، الكتاب الرابع، فقـرة 46) ويـروي دينو (Dino) بدوره أن «المصريون كانوا يرسـلون أمـلاح الأمونيـا ومـاء النيـل إلي الملـك الأكبر» (أثينيوس (Athenaeus) ، الكتاب الثاني، فقرة 67 ب)، ولقد كان يقـال عـن مـاء النيل أنه «يزيد الخصوبة وطعمه حلـو للغايـة»، وربمـا كـان يشـير أريـان (Arrian) إلي هذه العادة عندما ذكر في وصفه لواحة سـيوة أن السـكان المحليـون كـانوا يسـتخرجون الملح الطبيعي، ولقد حملها الكهنة معهم من مصر «ليتم تقديمها كهدية إلي ملك فـارس (دورون توي باسيلاي أبوفيروزين) أو لشخص آخر» (الكتاب الثالث، فقرة 4*3-4) .

ولكن هذه ليست سوي أمثلة ناقصة رواهـا الأشـخاص الـذين كـانوا يزودون كل من ستيسياس (Ctesias) ودينـو (Dino) بالمعلومـات، ومـن الواضح أنهم كانوا يشيرون إلي ممارسة عامة والتي تتفق معهـا التفاصـيل

التي قدمها مزودوهم بالمعلومات، والهدايا التي قدمها بثيـوس (Pythius) الليـدي تقـع ضمن هذه الطائفة (هيرودوت (Herodotus) ، الكتاب السابع، فقـرات 27-28)، ولقـد كانت كل هذه الهدايا هي جزء من محاولة الملك الأكبر جمع عينات من أنتاج كـل بلـد من البلاد الخاضعة له ليزين بها ضياعه وقصوره ومائدته وسريره، حتي أنـه كـان يوجـد موظفين في البلاط مسـؤولين عـن إسـتلام الهـدايا المرسـلة إلي الملـك الأكـبر (أبـودكتريس دورون، دي موندو 398 أ)، حتي أنه من المحتمل أن الوظيفة الرئيسية للمبني الموجـود في برسيبولس والذي كان يسمي بالخزانة كانت تتمثل في تخزين كل الهدايا القيمة التي حصل عليها دارا (Darius) وخلفائه المبـاشرين، ونجـد أيضـاً في قـوائم الجـرد الهيلينيـة للكنوز الملكية الفارسية أعمال فنية ومجـوهرات ومشـغولات ذهبيـة وأثـواب أرجوانيـة هرمونية وآنية وأزياء قيمة، وأحـد الهـدايا الثمينـة التـي كانـت في صوصـا هـي الكرمـة الذهبيــة التــي قــدمها بثيــوس (Pythius) الليــدي إلي دارا (Darius) (ديــودورس (Diodorus) ، الكتاب التاسع عشر، فقرة 48-7)، ومن المؤكد أن ممارسة تقديم الهـدايا هذه هي التي تم إستحضارها بصورة رمزية في النقوش البـارزة الموجـودة في برسـيبولس والتي تصور وفود من الشعوب المختلفة للامبراطورية وهي تقدم هدايا تمثل عينات من السلع التي تنتجها شعوبهم (الحيوانات، الخامات المصنعة، المجوهرات، الآنية النفيسـة، الأسلحة، العربات، الـخ، راجـع أيضـاً أرسـطو المزيـف (Pseudo-Aristotle)) والجـدل الذي يحيط بهذه الصور (هـل كانـت الشـعوب المقدمـة للجزيـة أم الشـعوب المقدمـة للهدايا؟) ليس جدلاً مملاً (فصل 5)، بل إنه العكس تقريباً، ولكـن يجـب أن نسـأل عـما إذا كان يجب أن نضع فارق كبير بين كلا الطـائفتين، نظـراً إلي حقيقـة أن كـل الشـعوب الدافعة للجزية كانت يتوجب عليها أيضاً إرسال هدايا منتظمة إلي البلاط المركزي.

ومن الواضح أن الملك الأكبر كان غالباً ما «يقترح» قيام أحد الشعوب بإرسال منتجات معينة والتي وصلت شهرتها إلي البلاط، والنظر إلي قوة «إقتراحات» الملك، فإنه من المحتمل أنه كان يتم دمج هذه الهدايا في تقديرات الجزية التي كان لا مفر من تقديمها، ولهذا السبب فإنه من الصعب التمييز بين الهدايا والجزية، وينطبق هذا أيضاً علي الهدايا التي كان علي المدن والشعوب تقديمها للملك أثناء تحركات الملك والجيش، ويمكن أن ينطبق هذا أيضاً علي التيجان التي كان يجب علي السكان تقديمها إلي الملك عند حدود هذا البلد خلال أسفار البلاط الملكي (ومن المؤكد أن هذا كان يتم مع البلاط المرزباني أيضاً)، ونعرف من أحد الشهود المتأخرين أن هذه التيجان كانت تخزن هي الأخري في الخزائن الملكية مع «مع هدايا أخري (دوريا) وغنائم الحرب» (ديودورس (Diodorus) ، الكتاب التاسع عشر، فقرة 48-8)، ويجب أن نسأل عما إذا كانت هذه «التيجان» قد تحولت في أحد الأوقات إلي إلتزام سنوي تبعاً لأحد التطورات التي عرفناها من عصر الدولة السيلويسية ويجب أن نتأمل أيضاً إحدي القصص التي سجلها أرسطو المزيف (Pseudo-Aristotle) (الكتاب الثاني *2*14*د) ليوضح مدي جشع وطمع كوندالوس (Condalus) أحد مساعدي ماوسولوس (Mausolus) الذي كان يشغل منصب مرزبان كاريا: «لقد أخبر الليسيين بأنه قد وصلته رسالة من الملك الأكبر يطلب منه فيها إرسال شعر لعمل الباروكات ولذلك فلقد أمر ماوسولوس (Mausolus) أن يتم حلاقة رؤوس جميع الليسيين تماماً» سوف يكون من الطيش إلي أقصي مدي أن نقوم هنا بالتمييز بين الهدايا الإختيارية والضرائب الجبرية! لاحظ أنه في هذا السياق قد قام سترابو (Strabo) بذكر الشعر من بين المطالب العينية التي كان يتوجب علي بعض شعوب الإمبراطورية تقديمها مثل العقاقير والصبغات والصوف وحتي الحيوانات، أي بإختصار «الأشياء التي تنتجها

كل بلد من البلاد»، وبالمثل فإن الفرق بين الذهب الذي يرسله الأثيوبيون كهدية والذهب الذي يرسله الهنود كجزية يعكس الجانب السياسي/الأيديولوجي وليس فقط الجانب المالي البحت، وبالإضافة إلي ذلك فإنه من الواضح إلي حد ما أن عدم إرسال الهدايا التي يطلبها الملك كان يتم معاملته بنفس القسوة التي يتم التعامل بها مع عدم إرسال الجزية، ونحن نعرف أيضاً أنه كان لزاماً علي العرب القيام سنويًّا بإرسال 1000 طالن من البخور كهدية (هيرودوت (Herodotus) ، الكتاب الثالث، فقرة 97)، وفي الحقيقة فإن هذه الهدية لم تكن سوي ضريبة يفرضها الملك الأكبر علي أرباح التجارة التي تتم بين فلسطين وجنوب شبه الجزيرة العربية، وبالنسبة للعرب أنفسهم فإن الفارق بين الهدية والجزية كان غير ملحوظ علي الإطلاق، ومن المؤكد أن هذا هو سبب التداخل فيما بين المصطلحات الذي ظهر في كتابات بعض المؤلفين القدامي: فمن وجهة نظر ستيسياس (Ctesias) علي سبيل المثال فإن المنتوجات التي كانت ترسلها الشعوب الخاضعة إلي مائدة الملك تقع تحت مسمي الجزية، في حين أنه يبدو من الأفضل ـن يتم تصنيفها تحت مسمي الضرائب .

المناقشة السابقة تجعل من الواضح أنه قد تم إستيعاب الهدايا في إطار ما يسمي بالجزية، وإذا كان ما حدث هو العكس فإنه من المحتمل أن الفارق بين المصطلحين كان سيختفي، ويوضح المثال التالي المعلق بالنباتيين أن بعض الجماعات العرقية كانت لا تزال تعمل وفقاً لنظام الهدايا في نهاية القرن الرابع، ولقد قام ديودورس (Diodorus) بإجراء مقارنة واضحة بينهم وبين «الشعوب الدافعة للجزية» (هوي فورولوجومينوي)، لقد «حافظوا علي حريتهم»، ولقد نظروا إلي أي إتفاق بينهم وبين السلطة المركزية علي أنه معادل لعقد يقضي بتقديم الهدايا مقابل الفوز الصداقة، ودعونا نقرأ ما رواه هيرودوت

(Herodotus) مـرة أخـري والـذي بعـد أن وصـف «حـدود العـالم المعـروف في ذلـك الوقت» كتب يقول:

«وعلي أي حال فإنه يبدو من الصحيح أن البلاد التي تقع علي أطراف العالم المأهول بالسكان (هاي إسخاتياي) تنتج الأشياء التي نعتقد أنها الأندر والأجمل» (الكتاب الثالث، فقرة 116).

وفي الواقع فإن البلاد المقدمة للهدايا التي ذكرها هيرودوت (Herodotus) (العرب، الكولخيون، الإثيوبيون) تقع علي أطراف الإمبراطورية (إسخاتياي)، وكانت هذه الشعوب لا تخضع لسيطرة مباشرة من السلطة المركزية وكان بإمكانها لقديم منتجات غريبة (أومنتجات تنظر إليها السلطة المركزية علي أنها غريبة ومثيرة) .

من برسيبولس إلي بابل:

في نهايته فقرته التي تتناول موضوع الجزية كتب هيرودوت (Herodotus) عن بلاد فارس موضحاً الفارق بينها وبين كل من الشعوب الدافعة للجزية والمقدمة للهدايا: «إن البلد الوحيد الذي لم أتحدث عنه كدافع للجزية (داسموس) هو بلاد فارس نفسها وذلك لأنها فعلاً لم تكن تدفع أي جزي»، ولقد كان من السهل قبل إكتشاف ألواح برسيبولس الربط بين هذا الإعفاء وبين المكانة البارزة التي منحها الملك نفسه لبلاد فارس في مراسيمه، ولكن فرض ضرائب ملكية علي منتجات المزارع والمنتجات الحيوانية (بما فيها البازيس) والتي قد كشفت ألواح برسيبولس عنها أدي إلي إثارة الشكوك حول صحة المعلومات التي قدمها لنا هيرودوت (Herodotus) (راجع فصل 11) .

والتناقض بين تصريحات هيرودوت (Herodotus) وبين الأدلة التي قدمتها لنا ألواح برسيبولس هو أمر لا يمكن إنكاره ولكنه ثانوي، حيث أن وجهة نظر هيرودوت (Herodotus) حول هذا الموضوع هي أولاً وقبل

كل شيء وجهة نظر سياسية: كشعب من الشعوب لا نجد الفرس مـدرجين ضـمن قائمـة دافعي الجزية وهذا ليس لأنهم لا يوجد عليهم أي إلتزام تجاه الملك (وهـو الأمـر الـذي ربما لم يكن يعرف هيرودوت (Herodotus) عنه)، ولكن لأنهم لم يكونوا ملزمين بشـكل جماعي (بأكملهم) بدفع مقدار سنوي مادي وعيني محـدد في إطـار مـا يعـرف تحديـداً بالجزية، وبالطبع فإن ترجمة كلمة «بـازيس» كـ«الجزيـة» هـو مجـرد وسـيلة مفيـدة، وتؤكد الوثائق اليومية علي أن الفروق بين الضرائب والهدايا والجزي هي مجرد فروق في المعني، حيث أن المسميات تتغير ولكن الفروق غير مؤكدة، ففي إقليم بابل خـلال عهـد دارا (Darius) الثاني كان يتم تأجير الأراضي المخصصة للجماعات العرقية (بموجب نظـام الهـاترو) إلي أسرة موراسـو بشرط قيـامهم بتحصـيل الضرائـب الملكيـة والتـي كـان يـتم تدوينها علي سبيل المثال في صورة «برميل واحد من شراب الشعير، (2) بـان و(3) سـاتو من القمح والشعير، (2) ألمينا من الفضـة، الضريبـة المقـررة لجنـود الملـك (إلكـو)، وكـل الهدايا/الرسوم (ناداناتو) التي يتم تحصيلها من أجل بيت الملك (بيت ساري)»، وفي مثل هذا النوع من الوثائق لايزال يتم التمييز بين الهدايا والضرائب في المفـردات المسـتخدمة ولكنهما يتم دمجهما أيضاً في إلتزام مـالي عـام والـذي يحـتفظ كـل عـنصر مـن عنـاصره بقيمة إلزامية .

الهدايا التي يقدمها الفلاحون الفرس:

للوصـول إلي فهـم أوضـح، دعونـا نتجـه إلي وجـه جديـدة وهـي المؤلـف إليـان (Aelian) الذي شكل مصدر لا ينفذ للحكايات عن أحداث وشخصـيات الـبلاط، ولقـد قام في مرات عديدة بوصف الفلاحين الفرس (أوتورجوي) وعلاقاتهم مع الملك، وإحدي هذه القصص هي مثيرة ومهمة بشكل خاص وهي التـي تتحـدث عـن إحضـار الفـلاح المسـمي «سـينيتيس (Sinetes) » بعـض قطـرات مـن المـاء في يـده مـن نهـر قـورش (Cyrus) (نهر كورا حاليًّا) إلي أرتاكسركسيس (Artaxerxes) الثاني، ولقـد إنتهـز إليـان

(Aelian) هذه الفرسة للحديث عن أحد العادات الفارسية (نوموس برسيكوس):

«من بين عادات الفرس كان هناك عادة كانوا يحافظون عليها بإخلاص شديد، وتتمثل هذه العادة في قيام سكان الأماكن التي كان يمر بها الملك خلال رحلاته بتقديم هدايا له (دورا) كل علي حسب قدرته (كاتا تين هوتو دينامين)».

هناك ملمحين في هذا النص يشيران إلي أن دفع الجزية كان أمراً إجبارِيًّا: الأول هو إستخدام كلمة نوموس والتي هنا كما في أي مكان آخر تشير إلي قاعدة الزامية (التزام) للبلاط الأخميني؛ والثاني هو أن التعبير «كل علي حسب قدرته» والتي بالمقارنة مع النصوص الأخري تشير قاعدة من نوع مالي:حيث أن الضريبة المقدرة تتناسب مع مصادر الدخل الفردية، ويمكننا أن نضيف أنه من المؤكد أن هذه المبالغ كان يتم دفعها بمعدل سنوي حيث أن الملك والبلاط كان يذهبون إلي برسيبولس مرة واحدة في العام.

وفي الحقيقة فإن نموذج فارس نفسها يبدو فريداً من نوعه:حيث أنه لا يمكن مساواة الروابط التي توجد بين الفرس والملك الأكبر مع العلاقات التي توجد بين العرب أو الكولخيون والسلطة المركزية، فعندما جاء الملك إلي برسيبولس قام هو نفسه بمكافأة الفرس وأعطاهم العديد من الهدايا، وبمعني فلقد تم دمج هدايا الفلاحين الفرس في ممارسة الهدية ورد الهدية، ويميز هيرودوت (Herodotus) أيضاً بوضوح بين بلا د فارس وبين كل من البلاد الدافعة للجزية والمقدمة للهدايا (الكتاب الثالث، فقرة 97)، وعلي الرغم من هذا الفارق التميز الحقيقي، فلقد كان المنطق بشكل أساسي هو نفسه: فلقد كان الملك هو الذي يحدد ما إذا كانت الضرائب المقدرة علي هذا الشعب أو ذاك تسمي هدايا أو تسمي جزية، وبهذه الطريقة ميز الملك سيادته علي هذه الشعوب

عن علاقته مع الشعوب الدافعة للجزية، ولكـن هـذا التمييـز يفقـد الكثـير مـن قيمتـه عمليًّا وذلك لأنه من ناحية كانت تسجل هذه الهدايا كما أنها كانت إلزامية، ومن ناحية أخري فإنه كان لزاماً أيضاً علي الشعوب الدافعة للجزية القيام بتقديم هدايا منتظمة .

وتقدم لنا إحدي الجمل في رواية إليان (Aelian) المفتاح: «يطلق علي كل هـؤلاء إسم الهدية (كاي أونومازيتـاي دورا) وهـذه هـي الطريقـة التـي كـان ينظـر بهـا الملـك إليهم»، وهكذا فإن الفارق بين الهدية والضريبة المقدرة لم يكن يرجع إلي طبيعة الهديـة أو مقدار الضريبة أو المعدل الزمني لتحصيلها، حيـث أن الملـك هـو الـذي كـان يقيمهـا وكانت تقوم نفسها علي قاعدة (نوموس) كان يعرفهـا الجميـع والتـي لم يكـن يسـتطيع أحد أن يعفي نفسه منها، ولقـد كـان إمتيـازاً خاصـاً بالملـك أن يسـمي المبلـغ الإلزامـي المقدر دفعه هدية وأن يمنح مقدمه بعد ذلك إعترافـاً منـه بأنـه محسـن، وبمعنـي آخـر فبالعودة إلي السياق الأخميني فإن الفـارق بـين المبـالغ الإلزاميـة المقـدر دفعهـا (سـواء أكانت جزية أو رسوم مالية) والهدايا لم يكن ناتج عـن الممارسـات المحاسـبية المتبعـة في كل منهم، ولكنه نشأ أساساً من الطريقة الأيديولوجية التي إستخدمها الملك لتقديم كـل منهما.

والإنطباع الذي يسود هو أن ممارسة تقديم الهدايا لم تكن تتناقض عـلي الإطـلاق مع حقيقة الجزية بل علي العكس من ذلك كانت تـدعمها، حيـث كـان لزامـاً عـلي كـل شعب من الشعوب القيام بتقديم هدايا، وتوجد أدلة كثيرة علي الطبيعـة الإلزاميـة لهـا، وكنتيجة لذلك فإن الفرق بين الهدايا والجزية كان يتعلق بما يرمزان إليه أكثر مـن كونـه مسألة فهم وإدراك، حيث شاركت الهدايا والجزية والمبالغ الأخري التي كان يـتم دفعهـا في عمل نظام الجزية، ولقد تم إستخدام مصطلح الجزية هنا بمعناه العام.

4- الجزي والهدايا والضرائب:

الضرائب:

لتوضيح الصورة المالية بالكامل يجب أن يتم دمج مناقشة الضرائب في تحليل أكمل وأكثر تفصيلاً للموارد المالية الأخمينية، وكما أوضحت للتو مناقشة الضرائب والمكوس (فصل 3-9)، وفي الواقع فلقد كان الملك يحصل علي قدر كبير من العائدات الأخري والتي يمكن تصنيفها تحت عنوانين هما: الضرائب المنتظمة والمساهمات الخاصة، ولكن لا يوجد لدينا معلومات كافيه حول النوع الأول حيث أن معلوماتنا تأتي بشكل أساسي من النصوص المتأخرة، وسوف يكون من المفيد الاستشهاد مرة أخري بذلك المصدر الذي لا غني عنه المتمثل في أرسطو المزيف (Pseudo-Aristotle) ، وسنستشهد بالمجموعات الأربعة الأخري التي يصفها من بين المصادر الستة المحتملة للعائدات المرزبانية:

«ثالثاً يأتي ذلك الدخل الذي يتم الحصول عليه من البضائع والسلع (إمبوريا)؛ ورابعاً تأتي الواردات التي يتم تحصيلها من زراعة التربة (جي) ومن رسوم السوق (أجورايا تيلي)؛ثم تأتي خامساً العائدات التي تأتي من تربية الماشية والتي تسمي ضريبة الإنتاج الحيواني (إيبيكاربي) أو العشر؛وسادساً تأتي الموارد التي يتم تحصيلها من الرجال والتي تسمي بضريبة القرعة (إيبيكيفالايون) أو الضريبة علي الحرفيين (خيروناكسيون)».

وتؤكد العديد من الوثائق المتعلقة بالأعمال بعض من معلومات المؤلف، وتوجد شواهد وأدلة علي وجود الضرائب الملكية (باسيليكا تيلي) والتعاريف الجمركية علي النقل التجاري (ديكاتي تيس إمبورياس) في إقليم كاريا خلال تولي بكسوداروس (Pixodarus) منصب المرزبان هناك، ويبدو أنه كان هناك تنوع كبير في الضرائب حيث كانت تحصل

علي العديد من المنتجات، وفي إقليم كاريا في بداية القرن الرابع كان يتم تحصيل ضريبة معينة (أبوموريا) علي عدد معين من المنتجات الزراعية وكان يتم دفعها إلي الإدارة الملكية، ولقد ذكرت نفس هذه الضريبة (علي القمح) في أحد النصوص في مدينة تلمسوس عندما كانت تحت الحكم البطلمي، ويزودنا مرسوم آخر (الفترة السيلويسية) والذي وجد في إيجاي في إقليم أيوليا بقائمة مثيرة بدرجة أكبر:ضريبة (ديكاتي) ضريبة قيمتها 8/1 وتفرض علي الفاكهة، 50/1 وتفرض علي الأغنام والماعز، 8/1 علي العسل، وحتي «علي نتاج الصيد، حيث كان يتم تحصيل رجل واحدة علي كل غزال وعلي كل خنزير بري»، وهذا يبدو مشابهاً بدرجة كبيرة لأحد التوضيحات التي قدمها أرسطو المزيف (Pseudo-Aristotle) حول الضرائب التي كان يقوم بتحصيلها المرزبان علي الفواكه التي تنتجها الأرض، ولكن بإستثناء بعض الإرتباطات المتزامنة سهلة التوضيح بين المناطق المختلفة (الضرائب التي كان يتم تحصيلها علي الأسواق أو علي نقل البضائع والتي توجد عليها شواهد في بابل وآشور في العهد الأخميني)، يجب علينا أن نسأل أنفسنا عما إذا كان المؤلف يصف تحديداً النظام الذي كان معمول به فعلاً في عصره في آسيا الصغري، فبالرغم من جوانب التواصل والإستمرارية معي الفترة الأخمينية إلا أنه من المستحيل القول بأن كل هذه الضرائب كانت موجودة بالفعل خلال عهد دارا (Darius) .

ولقد تم التخفيف من حدة هذه الحالة من عدم التأكد علي الأقل فيما يتعلق ببابل عن طريق سلسلة (قصيرة) من الألواح والتعليقات التي حصلوا عليها مؤخراً، وتشير العديد من الألواح التي تعود إلي فترة حكم أرتاكسركسيس (Artaxerxes) (من المؤكد أنه كان الثاني أو الثالث) إلي أن عمليات بيع العبيد كانت تسجل في مكتب مختص بالضرائب الملكية(بيت مكسو سا ساري)، ومن الواضح أنه كان يتم تحصيل

ضريبة خاصة بهذه المناسبة، ويمثل هذا أحد الإجراءات التي كانت معروفة في بابل في الفترة السيلويسية، ويعود إنشاء هذه الضريبة في الحقيقة إلي عهد دارا (Darius) الأول وتقودنا الأمثلة المختلفة للاستمرارية بين العصر الأخميني والعصر الهيليني إلي الإعتقاد بأن عدد من الضرائب الأخري التي كانت معروفة في الفترة السيلويسية ربما تعود إلي عهد أباطرة فارس ولكن تنقصنا الأدلة الوثائقية التي تثبت ذلك .

المناجم:

يتمثل أحد الأنواع الستة للعائدات التي يربطها أرسطو المزيف (Pseudo-Aristotle) بالإقتصاد المرزباني في «المنتجات التي تنتجها التربة في منطقة معينة» (الكتاب الثاني، فقرة 1-4) ويشير الشرح الذي أعقب ذلك إلي أنه كان يقصد بذلك فقط إلي المنتجات التي يتم إستخراجها من باطن الأرض: «وتشتمل هذه الطائفة علي المنتجات المحددة الموجودة في التربة: فمثلاً يستخرج من باطن الأرض في هذه المنطقة الذهب بينما يستخرج الفضة من تلك المنطقة والنحاس من منطقة ثالثة أو أي كان المعدن الذي تشتهر به تلك البلد»، وهذا هو الجانب الأساسي من السياسة الملكية والتي للأسف لا توجد لدينا أي حقائق محددة حولها، ونعرف أيضاً بالمناجم التي كانت تديرها وتستغلها المدن اليونانية نفسها مثل المناجم المعروفة التي كانت موجودة في لامباساكوس، ومناجم الفضة التي كانت موجودة في باكتريا وكيليكيا، ومناجم اللازورد التي كانت موجودة في بادخشان في إقليم باكتريا، والمناجم المتعددة التي كانت موجودة في إقليم كارمانيا، ومناجم الحديد في كل من أيونيا ولبنان، ومناجم النحاس في قبرص والتي توجد شواهد عليها في نصوص المملكة البابلية الجديدة، وتلمح أيضاً صكوك الإنشاء الموجودة في صوصا إلي الموارد المعدنية التي تتميز بها هذه المنطقة أو تلك:الذهب في سارديس وباكتريا؛اللازورد والعقيق الأحمر في

سوجديانا؛الفيروز في خوارزم، وبالرغم مـن الطبيعـة الشـديدة الأيديولوجيـة لمثـل هـذه التصريحات (أنظر فصل 5)، إلا أنه مـن المحتمـل أنهـا تشـير إلي المـوارد المشـهورة التـي كانت توجد في المناطق المختلفة .

ولكن لا توجد لدينا أية معلومات دقيقة حول تشغيل هذه المناجم، ومن المؤكـد أن مصادر النفط الموجودة في سوسـيانا كانـت جـزء مـن الضيعة الملكيـة (هـيرودوت (Herodotus) ، الكتاب السادس، فقـرة 119)، ولقـد يـتم إقـتلاع الحجـارة مـن محـاجر وادي الحمامـات في مصر تحـت توجيـه مـديرين ومسـؤولين فـرس خـلال عهـد دارا (Darius) ، ومن المحتمل أن بعد المناجم كانت تحت السيطرة المبـاشرة أو غـير المبـاشرة للادارة الفارسية، مثلما كان الحال وبدون شك مع منـاجم الحديـد نيريـز في بـلاد فـارس حيث كانت الموقع الـذي توجـد فيـه ورش إنتـاج الأدوات المعدنيـة (الأسـلحة) في عهـد كسركسيس (Xerxes) .

والمنـاجم الوحيـدة التـي يمكننـا جمـع بعـض المعلومـات عنهـا هـي تلـك المنـاجم الموجودة في ليديا، ولقد كان يتم إستخراج المعادن منها بالفعل في عهـد الملـوك المرمنـاداي (Mermnadae) ، حيث كانوا يقومون باستخراج الـذهب والفضـة منهـا لصـنع الالكـتروم (مزيج من الذهب والفضة)، ولقـد أدي إخـتراع عمليـة خلـط الـذهب بالفضـة إلي جعـل كريوسوس (Croesus) مشهوراً بضخامة ثرواته في جميع أجزاء العالم اليونـاني، حيـث أنهـا قد مكنته علي وجه الخصوص من إصدار عملات ذهبيـة وفضـية ذات شـهرة كبـيرة، مـاذا حدث عندما قام قورش (Cyrus) بغزو ليـديا؟ تبعـاً لـديودورس (Diodorus) الصـقلي لم يكتفي الفرس بالاستيلاء علي الخزانة الملكية لكريوسوس (Croesus) ولكـنهم قـاموا أيضـاً بمصادرة الممتلكات التي كان يديرها الليديون لمصلحته، ولم يتـأثر بـذلك بـالضرورة جميـع الليديين ولكن الفئة التي تأثرت منه هي ملاك المناجم، ولا يمكننا أن نستنتج مـن ذلـك أن

الإدارة الأخمينية سيطرت علي جميع المناجم في ليديا، ولكن الإحتمال الأكثر رجحاناً هو أن قورش (Cyrus) قد صادر الإحتياطيات الموجودة من الذهب والفضة من ملاك المناجم وليس الذين يعملون بالتعدين في هذه المناجم أنفسهم، وفي عام 480 قام بثيوس (Pythius) الليدي بمعاملة كسركسيس (Xerxes) وحاشيته وجيشه خلال زحفهم بإتجاه البحر بأبهة غير عادية(هيرودوت (Herodotus) ، الكتاب السابع، فقرات 27-29)، ولقد كان بثيوس (Pythius) معروفاً عند حاشية الملك الأكبر ولقد علم منهم كسركسيس (Xerxes) أنه قد قدم هدايا رائعة وفخمة إلي دارا (Darius) وأنه «كان الرجل الأغني بالإضافة إلي الملك نفسه» وفي وقت الحملة اليونانية قام بثيوس (Pythius) علي الفور بوضع كل ثروته تحت تصرف الملك والتي كانت تقدر بـ«2000» طالن من الفضة بالإضافة إلي ما لا يقل عن 000,993,3 داريك (daric) ، ومن المحتمل أن بثيوس (Pythius) كان يمتد نسبه إلي الأسرة الملكية الليدية، حيث نعرف في مكان آخر أنه كان يملك العديد من المناجم الهامة في الريف الليدي حتي بعد الغزو الفارسي لليديا وهكذا فلقد إحتفظت أسرته بالسيطرة علي قدر كبير من الموارد المعدنية، ويجب أن نستنتج أن عمليات التعدين وتشغيل المناجم إستمرت بعد الغزو الفارسي بنفس الطريقة التي كانت عليها بعد في عهد الأسرة الحاكمة الليدية:حيث كان يتم إستخراج المعادن من هذه بواسطة أفراد مستقلين وليس السلطة الحاكمة، غير أنهم أصبح مطلوب منهم الآن تسليم جزء من إنتاجهم إلي خزانة سارديس وذلك ليقوم المرزبان بنقلها إلي الخزائن الملكية (ودور صك العملة الملكية)، وفي غياب أي أدلة ملموسة فنحن نفترض أن الملاك/الحاصلين علي إمتيازات التعدين في هذه المناجم كانوا مطالبين بشكل سنوي القيام بتقديم سجلات محاسبية دقيقة للغاية عن إنتاجهم ولقد كانت هذه الوثائق المحاسبية بعد أن يتم التأكد من صحة ما تزعمه تمثل

الأساس الذي يتم علي أساسه تحديد مقدار الضريبة أو الرسوم المقررة عليهم ولكننا لا تعرف معدل هذه الضريبة .

نظام السخرة:

لقد كان لدي المواطنين والفلاحين ما يقلقون منه أكثر من الضرائب، حيث كان يتم تسخيرهم بشكل متكرر (دفعهم للعمل الإجباري أو القانوني) للقيام بمهام لخدمة مصالح الإدارة الإدارة الملكية، وحالة إقليم بابل هي أفضل الأمثلة المعروفة لدينا، ولقد رأينا بالفعل كيف أن الهياكل كان يمكن أن تتم مطالبتها في أي وقت القيام بأعمال يدوية بناءاً علي طلب المرزبان وخاصة فيما يتعلق بحفر وصيانة القنوات (أنظر فصل 2-4) وهذا النظام هو ما يشار إليه بخدمة «الأوراسو» والذي تعرفه من عهد المملكة البابلية الجديدة ولقد يشتمل علي جميع ملاك العقارات سواء أكانوا مديري الهياكل أو أفراد مستقلين وخاصة هؤلاء الذين تقع حقولهم علي طول القنوات ولقد كان من بين مسؤوليات المدير الملكي المسؤول عن القنوات (الذي كان يسمي بالماسينو في الفترة الأخمينية) القيام بإعلان هذه الرسوم والضرائب ومن الممكن أنه قد تم وضع أنظمة وقواعد محددة لهذه المنظمة في عهد دارا (Darius) الأول وفي ذلك الوقت كانت خدمة «الأوراسو» واحدة من إلتزامات مالية عديدة كان تسمي في مجملها بـ«الإلكو»، ولقد كان الموظفين المسؤولين عن تحصيل ضرائب الإلكو هذه هم نفس الموظفين المسؤولين عن مطالبة المواطنين القيام بأعمال يدوية لضمان مثلاً «القيام بقطر أو جر مركب موجود عند الرصيف» أو «نقل الضرائب العينية».

ونظام السخرة هذا غير معروف في أي مكان آخر علي الرغم من الأدلة أقل تحديداً، وأحد أضخم المهام التي تم إنجازها من خلال العمل الإلزامي هذا هي القناة التي تم شقها عبر البرزخ الموجود عند سفح جبل

أثوس بناء علي أمر من كسركسيس (Xerxes) ولإنجاز هـذه المهمـة لم يـتم فقـط تسـخير الفرق العسكرية المقدمة من الشعوب الأسيوية والذين كـانوا مـن المفـروض أنهـم جـاءوا لتأدية الخدمة العسكرية ولكن أيضـاً تـم الإسـتعانة «بالسـكان المحليـين في منطقـة جبـل أثـوس» والـذين مـن المحتمـل أنـه قـد تـم تجنيـدهم مـن المـدن الخمسـة التـي ذكرهـا هيرودوت (Herodotus) (الكتاب السـابع، فقـرة 22)، ومـن المحتمـل أيضـاً أنـه قـد تـم إنجاز مهمة حفر قناة السويس من خلال تسخير الفلاحين المجندين (الكتاب الثـاني، فقـرة 159)، وفي إطار هدايا منيسيماخوس (Mnesimachus) -والتـي يعـود تـاريخ فرضـها إلي الفترة الأخمينية- تم إلزام القرويين بدفع ليس فقـط مقـدار نقـدي مـن المـال (فـوروس) ولكن أيضاً فرض عليهم ضريبة العمـل الإجبـاري لمصـلحة الإدارة لعـدد معـين مـن الأيـام (فوروس ليتورجيكوس)، ولقد تم تأكيد ذلـك مـن خـلال أحـد الرسـائل التـي أرسـلها دارا (Darius) إلي أحـد المـديرين الـذي عيـنهم وهـو جاداتـاس (Gadatas) ، والـذي قـام في مخالفة لنظـام الإمتيـازات الممنوحـة مـن قبـل الإدارة الأخمينيـة «للبسـتانيين المقدسـين» بإخضاع «البستانيين المقدسين» الموجودين في معبد أبوللو (Apollo) «لضريبـة العمـل في الأراضي الدنيوية» ويقصد بها الأراضي التي تدار مباشرة مـن قبـل جاداتـاس (Gadatas) ، وبمعني آخر فإن الفلاحين بشكل عـام كـانوا خاضـعين لـدفع ضريبـة بالإضـافة إلي القيـام بأعمال إلزامية وهي الأعباء التـي تـم إعفـاء البسـتانيين في معبـد أبوللـو (Apollo) منهـا بسبب الإمتياز الذي منحهم الملك إياه، وأحد المهام المفروضة علي الناس كانـت تتمثـل في صيانة الطرق الملكية والتي كانت الإدارة المرزبانية هي المسؤولة عنها وهذا حسبما يـزعم أرسطو المزيف (Pseudo-Aristotle) ، وفي الحقيقـة نقـرأ في مؤلـف إليـان (Aelian) أن الملك عندما أراد الإنتقال من صوصا إلي ميـديا، كـان لزامـاً عليـه المـرور بمنطقـة موبوئـة بالعقارب: «فقام الملـك قبـل عبـوره لهـا بـثلاث أيـام بإصـدار أوامـره إلي الجميـع بالقيـام

بقتل هذه الحشرات ولقد كافأ هؤلاء الذين قتلوا العدد الأكبر»، وهذه الحكاية مليئة بالصور الجميلة كما أنها تتركز في مكان معين ولكنها من المؤكد تشير إلي نظام أكثر عمومية للسخرة والتكليف بالقيام بأعمال من جميع الأشكال .

إلتزامات الضيافة:

تحت مسمي المساهمات التي كانت «فوق وقبل كل شيء» مجرد جزية عادية تقع المساهمات التي كانت تقتضيها حالات إنتقال البلاط والجيش، ومن بين الإلتزامات الثقيلة التي كانت موجودة في ذلك الوقت والتي كانت أكثرها إرهاقاً علي الإطلاق هو العشاء الملكي، فعندما كان يأمر الملك بالتوقف القرب من أحد المدن ففي الحقيقة كان يفرض بذلك علي هذه المدينة إطعامه هو وحاشيته وهو الأمر الذي كان يمثل عبئاً ثقيلاً للغاية، وأحد الأمثلة علي ذلك هي الرواية التي قدمها هيرودوت (Herodotus) عن زحف كسركسيس (Xerxes) في عام 480 ق.م، حيث تم مسبقاً إرسال خطط لطريقة الترحيب بالملك إلي المدن والشعوب التي سيمر بها في طريقه: «أول فعل قام به كسركسيس (Xerxes) عندما وصل إلي سارديس هو إرسال مبعوثيه إلي كل جزء في بلاد اليونان بإستثناء أثينا وإسبرطه لطلب الأرض والماء منهم وبأمر إضافي وهو الإعداد للترفيه عن الملك إنتظاراً لمقدمه» (الكتاب السابع، فقرة 32)، ولقد روي هيرودوت (Herodotus) ضخامة العبء الذي تمثله إستضافة الملك بإتقان شديد (الكتاب السابع، فقرة 118-120): «لقد كان الوضع أسوأ بالنسبة لليونانيين الذين كان لزاماً عليهم إستضافة الجيش الفارسي وتقديم العشاء للملك، فلقد تم استنزافهم بشكل كامل، وإضطروا إلي مغادرة البيت والوطن، فعلي سبيل المثال عندما قام سكان ثاسوس بالنيابة عن مدنهم التي تقع علي البر الرئيسي بإيواء وإطعام الجيش الفارسي، قدم أنتيباتر إبن أورجيوس (Antipater the son

of Orgeus) - وهو المواطن ذو الشهرة الكبيرة الذي عهد إليه بمهمة عمل الترتيبات اللازمة لذلك- إثبات علي أن هذه الوجبة كلفت 400 طالن من الفضة، ولقد قام الموظفون المسؤولون عن هذه المهمة في مدن أخري بتقديم تقارير حسابية مشابه لذلك، ولقد حدثت ضجة كبيرة حول هذه الوجبة ولقد صدرت الأوامر بإعدادها قبل تاريخ تقديمها بوقت طويل؛وبناءاً عليه فمن لحظة وصول الأمر علي لسان الموظفين الذين تم تكليفهم بنقله، قام السكان في كل مدينة من المدن بتوزيع الغلال الموجودة في مخازنهم وعملوا لشهور علي إنتاج دقيق القمح والشعير وشراء وتسمين أفضل ما يمكنهم أن يجدوه من الماشية وإطعام الدواجن في المحبوسة في الأقنان والطيور الموجودة في البرك لتكون جاهزة عندما يصل الجيش، وبالإضافة لذلك فقد أمروا بصنع كئوس الشراب وآنية مزج الخمر من الذهب والفضة، وكذلك أيضاً تصنيع أي شيء آخر يحتاجون إليه لتزيين المائدة، وكل هذا بالطبع كان من أجل الملك وهؤلاء الذين سيتناولون معه الطعام وبالنسبة للجنود بشكل عام فلقد كانت الاستعدادات مقتصرة فقط علي الطعام وعند وصول الجيش كانت هناك دائماً خيمة معدة لكسركسيس (Xerxes) ليستريح فيها بينما عسكر الجنود في العراء، ولكن بدأت المشاكل الحقيقية لهؤلاء المضيفين سيئي الحظ عندما حان وقت العشاء؛فلقد تناول الضيوف طعامهم وبعد قضاء الليل في هذا المكان قاموا في الصباح التالي بطي الخيمة وإستولوا علي الكؤوس وأدوات المائدة وكل شيء آخر إحتوت عليه وواصلوا زحفهم دون أن يتركوا أي شيء خلفهم».

حتي أن العبء المالي كان أكبر من ذلك حيث أن حفل الترحيب الرسمي كان يشتمل علي الهدايا التي يجب تقديمها إلي الملك عندما يصل إلي ضواحي المدينة، ولكن الشعوب والمدن لم يكن عندها خيار آخر غير ذلك، ولقد علق هيرودوت (Herodotus) مشفقاً عليهم (الكتاب السابع،

فقرة 120) فقال: «وعلي الرغم من ذلك فلقد تمكنت الأماكن المختلفة التي تقع علي طول طريق الحملة من تنفيذ الأوامر التي صدرت إليها ولكن ليس من دون المرور بمعاناة ومحنة شديدة»، وأي مجتمع في هذا الموقف كان سيصاب بعناء شديد بما في ذلك المعابد كما تخبرنا العديد من الألواح البابلية من عهد قمبيز (Cambyses) (فصل 4-2)، وأيضاً يروي لنا أحد الألواح الذي يعود إلي عهد أرتاكسركسيس (Artaxerxes) الثاني أنه عندما وصل الملك إلي صوصا، فقد طلب أيضاً من سكان إقليم بابل المجاور المساهمة في تجهيز عشاء الملك، وهنا أيضاً ما كتبه ثيوبومبوس (Theopompus) في كتابه فيليبكا والذي إستشهد به أثينيوس (Athenaeus) (الكتاب الرابع، فقرة 145):

«في كل مرة كان يقوم فيها الملك الأكبر بزيارة شعب من الشعوب الخاضعة له، كان يتم إنفاق 20 وأحياناً 30 طالن علي عشائه وكانت بعض الشعوب تنفق أكبر من ذلك بكثير، حيث أن العشاء الملكي مثله مثل الجزية قد تم فرضه منذ وقت طويل علي جميع المدن بالتناسب مع عدد سكانها (كاتا تو ميجيثوس)».

وقراءة نص ثيوبومبوس (Theopompus) وهو النص الذي تمت كتابته في القرن الرابع يدفعنا للتساؤل حول ما إذا كانت هذه المساهمات الإستثنائية قد تحولت في وقت من الأوقات إلي فريضة منتظمة مثل علي سبيل المثال ضريبة «مائدة المرزبان» التي التي كان يتم تحصيلها في صورة عملات معدنية، ويجب أن نتذكر أن التمييز بين الضرائب المنتظمة والمساهمات الخاصة هو أمر مصطنع جزئيًّا وخاصة في حالة الشعوب والمدن التي تقع علي الطرق التي كان يسلكها الملك كل عام من أحد العواصم إلي الأخري .

الضرائب الملكية والضرائب المرزبانية:

بالإضافة إلي كل ما تم مناقشته بالأعلي، فإنه كان علي المواطنين

أيضاً دفع عدد متنوع من الضرائب إلي المرزبان نفسه، حيث أن المرزبان - والذي كان صورة من الملك- كان ينتقل هو أيضاً خلال السنة الواحدة من سكن إلي آخر، هذا باستثناء العطلات التي كان يقضيها في ضيعته ويوضح أحد النصوص التي كتبها بوليانوس (Polyaenus) أن المرزبان كان يسافر مع حاشية كبيرة وأنه كان لزاماً علي السكان أن يقوموا بتحيته عند الحدود ولقد قام ماوسولوس (Mausolus) الذي أراد الإستيلاء علي هراقليا التي تقع بالقرب من لاتموس بسلوك طريق بيجيلا: «وعندما مر بمدينة لاتموس خرج سكانها لمشاهدة النظام والفخامة اللذان كان يتميز بهما الموكب ..... ولقد وجدت قوات ماوسولوس (Mausolus) المدينة فارغة والأبوب مفتوحة» (الكتاب السابع، 23-2)، ومن المؤكد أنه في هذه المناسبات كان يتوجب علي السكان المحليين والمدراء القيام بتقديم الهدايا إلي المرزبان مثلما فعلوا عندما وصول الملك (زينوفون (Xenophon) ، هيلينيكا، الكتاب الثالث، 1-12) .

أحد الضرائب المرزبانية الأخري كانت تسمي مائدة المرزبان، وعلي سبيل المثال ويقدم لنا بلوتارخ (Plutarch) (دون أن يؤيد ذلك) تفسير قدمه الحكام الذين سبقوا قورش (Cyrus) الأصغر عن أسباب ثورته: «إذا كان قد أعلن إنفصاله عن الملك فإن هذا يرجع إلي أنه لم يكن يحصل علي كمية كافيه لمائدته من الطعام كل يوم»، وفي مناسبة أخري كان فارنابازوس (Pharnabazus) مرزبان إقليم فريجيا الذي يقع علي مضيق الدردنيل يعاني من فقر شديد نتيجة لأعمال السلب والنهب التي تعرضت لها هذه المنطقة ويشكو من أنه «لم يكن يوجد في أراضيه ما يكفي ليكون وجبة واحدة» (زينوفون (Xenophon) ، هيلينيكا، الكتاب الرابع، 33، 1)، وقد تبدو هذه النصوص غامضة بعض الشيء ولكن هذه الصورة الرمزية عن وجبة الطعام تخفي ورائها حقيقة مالية والتي خرجت إلي النور وصارت واضحة في فقرة في كتابات نهيميا (Nehemiah) :

«منذ اليوم الذي عيني فيه الملك حاكماً علي إقليم يهودا في الفترة ما بين السنة العشرين والثانية والثلاثين من فترة حكم الملك أرتاكسركسيس (Artaxerxes) الأول، وخلال هذه المدة التي بلغت (12) عام لم أتناول قط لا أنا ولا أي فرد من أقاربي شيئاً من خبز المرزبان، حيث كان يمثل الحكام السابقين -أسلافي- عبئاً علي الناس، حيث كانوا يحصلون منهم (40) شيكل من الفضة كل يوم كضريبة تخصص لإقاتتهم وإعاشتهم في الوقت الذي كان يقوم فيه خدمهم أيضاً بتعذيب وإضطهاد الناس، ولكني لم أفعل ذلك لأني أخاف الرب ولقد كان يأكل معي علي مائدتي اليهود وعدد من المسؤولين والذين يبلغ مجملهم 150 شخصاً هذا بالإضافة إلي هؤلاء الأشخاص الذين قدموا الينا من الشعوب المحيطة، وفي كل يوم كان يتم طهو ثور و(6) من الغنم وعدد من الدجاج كل ذلك علي نفقتي الخاصة، وكل عشرة أيام كان يتم إحضار قرب من الخمر بكميات كبيرة، ولكن حتي مع ذلك لم أطالب أبداً بضريبة إعاشة الحاكم وذلك لأن السكان كان عندهم ما يكفي من العناء نتيجة أعمال الإنشاء» (فصل 5:14-18).

ما هو فوق وبالإضافة إلي الجزية (باريكس تو فورو):

يذكر هيرودوت (Herodotus) أن الرسوم التي كانت تحصل من الشعوب المقدمة للهدايا كان يتم حسابها بشكل منفصل عن الجزية (باريكس تو فورو، الكتاب الثالث، فقرة 97)، ولكنه يذكر أيضاً أن الشعوب التي كانت دافعة للجزية كان يتم فرض رسوم أخري عليها» فوق وبالإضافة إلي الجزية»، وفي الواقع فإن هيرودوت (Herodotus) يذكر أنه بالإضافة إلي مقدار 500 طالن من الفضة كان علي الكيليكيين القيام سنويًّا بتقديم «عدد (360) حصان أبيض (بمعدل حصان واحد لكل يوم من أيام السنة)» (الكتاب الثالث، فقرة 90)، وكان علي مصر -بالإضافة إلي دفع مبلغ (700) طالن كجزية- «القيام بتقديم بشكل

منفصل (خـوريس) عـدد (120 ألـف) بوشـل مـن القمـح إلي جنـود الحاميـة والقـوات المدعمة لهم الموجودين في قلعة الجدار الأبيض في منف»، ولقد كان الملك يحصـل أيضـاً علي «قدر معين من المال كنصيب من السمك الذي يـتم إصـطياده مـن بحـيرة مـوريس (Moeris) » مبلغ كان يتم إقتطاعه بالإضـافة إلي (بـاريكس) مبـالغ أخـري يـتم دفعهـا (الكتاب الثالث، فقرة 91)، ولقد كان علي بابل كل عام القيام «بـدفع 1000 طـالن مـن الفضة بالإضافة إلي عدد (500) من الصبيان الخصيان» (الكتاب الثالث، فقرة 92)، ولقد أكد سترابو (Strabo) وجود مثل هـذه الرسـوم العينيـة التـي كانـت تضـاف إلي طـوالن الفضة وذلك بالإشارة إلي إقليمي ميديا وكبادويا: «إن التقارير حول الجزية التي تدفعها ميديا يتفق مع حجم والطاقة الإنتاجية لهذا الإقليم، وبالنسبة لكبادوكيـا فكانـت تـدفع كل سنة بالإضافة إلي الضريبة من الفضة (بروس توي أرجيريكـوي تـيلاي) عـدد (1500) حصان و(2000) بغل و(50 ألف) رأس من الغنم، بينما كانت تدفع ميديا تقريباً ضعف هذا القدر» (الكتاب الحادي عشر، فقرة 13-8) .

وتوجـد معلوملـت موازيـة لـذلك في أحـد النصـوص مـن عهـد الإسـكندر (Alexander) ، حيـث أمـر الإسـكندر (Alexander) سـكان المـدن البامفليـة في أسـبندوس «بـدفع (50) طـالن مـن الفضـة كمرتـب للجـيش بالإضـافة إلي إعطائـه الخيول التي كانوا يربونها لتقدم كجزية (داسموس) للملك الفارسي (دارا (Darius) الثالث)» (أريان (Arrian))، الزحف العسكري، الكتاب الأول، 26-3)، ويشبه هـذا كثيراً النظام نفسه الذي أشار إليه هـيرودوت (Herodotus) فـيما يتعلـق بكيليكيـا (الكتـاب الثالـث، فقـرة 90)، وهنـاك رسـوم أخـري مشـابهة كانـت تفـرض عـلي مرزبانيات أخري، وفي الحقيقة يكتب أريان (Arrian) أن أرمينيا كان عندها مراعي غنية لدرجة أن الخيول النسائية كانت تربي هنـاك» والتـي كـان يسـتخدمها الملـوك

الفرس...... ولقد إعتاد مرزبان أرمينيا إرسال (20) ألف مهر (حصان صغير) كل سنة في وقت مهرجان المثراسينا» (الكتاب الحادي عشر، فقرة 14-9)، ويجب أن تتم مقارنة هذه الحقيقة مع الملاحظة التي ذكرها زينوفون (Xenophon) في تسجيله لمحادثة أجراها مع زعيم إحدي القري في أرمينيا (كومارش) «حيث سأله لمن تتم تربية هذه الخيول فأجابه بأنها ستقدم كجزية للملك (داسموس)» (الزحف العسكري، الكتاب الرابع، 5-34)، وهذه هي الخيول التي كما علم زينوفون (Xenophon) كانت «مخصصة لإله الشمس (هليوس)»، حيث كان علي كل قرية تقديم عدد معين من الأحصنة (كان عددهم (17) من القرية المخصصة لزينوفون (Xenophon) ورفاقه)، وكان يقوم شيوخ القري (كومارشوي) بجمعهم في كل سنة ثم يرسلهم مرزبان أرمينيا بعد ذلك إلي البلاط الملكي، ولاحظ الكلمات المستخدمة في هذه النصوص: لا تتم معاملة هذه الضرائب علي أنها «فوروس» ولكنها تعامل كـ«داسموس» وذلك علي الرغم من أن كلا الكلمتين يتم إستخدامهما وترجمتهما بشكل متكرر بنفس الطريقة ولإعطاء نفس المعني (راجع هيرودوت (Herodotus) ، الكتاب الثالث، فقرة 97، داسموفوروس)، ولكن أصل كلا الكلمتين مختلف: حيث أن كلمة «داسموس» تعني «الجزء الخاص بالملك» كما في الكلمة الفارسية القديمة «باجي»، ولقد قام أريان (Arrian) بالتمييز بشكل واضح بين «فاروس» و«داسموس» فيما يتعلق بمدن الأسبندوس، فبجانب الجزي نفسها (والتي كانت تقدم في صورة فضة) - والتي تم إعفائهم منها بشكل مؤقت مقابل مساهمتهم في المجهود الحربي (الكتاب الأول، 26-3)- كان لزاماً علي سكان هذه المدن تقديم عدد معين من الخيول كل سنة كـ«داسموس» للملك دارا (Darius) الثالث .

ونحن لا نعرف لماذا فضل هيرودوت (Herodotus) عدم الإشارة إلي هذه «الهدايا أو (داسموس) إلا في حالة كيليكيا ومصر وبابل، إلا أنه من

المنطقــي أن نســتنتج أن هــذه الإشــارة إلي «داســموس» هــي مجــرد إســتيفاء (إقحــام للمعلومات في قائمة)، حيث أن الهدايا أو «داسموس» التي يـتم تقـديمها كانـت تسـجل كان من الواضح أنه يتم تسجيلها خارج حسابات الجزية نفسـها والتـي كانـت موضـوع مناقشته، والمعلومات التي تم ذكرها هنا أو هناك في المصادر الكلاسيكية تبدو دائماً كـما لو كانت تشـير شـكليًّا إلي أن تحصـيل الهـدايا كـان قاعـدة عامـة، وبالإضـافة إلي تناولـه لموضوع الجزية فلقد كان هيرودوت (Herodotus) متلهفـاً لإلقـاء الضـوء عـلي ثـروات بابل ويشير بشكل أكثر وضوحاً وأكثر عمومية إلي الجزء المتعلق ببابل من نظام الضرائب الأخميني:

«بجانب الجزية العادية، فلقد كانت الإمبراطورية الفارسـية بأكملهـا مقسـمة إلي مناطق لتقديم الإمدادات إلي الملك الأكبر الفارسي وجيشه، ولقد كانـت الإمـدادات تـأتي لمدة أربع شهور من الشهور الإثنـي عشر الـذين يمثلـون السـنة مـن أراضي بابـل، ولقـد كانت الأراضي الباقية من آسيا مسؤولة عن تقـديم الإمـدادات إلي الملـك خـلال الشـهور الثمانية الباقية مـن السـنة ...ولقـد كانـت مديريـة آشـور(أو «مرزبانيـة» كـما يسـميها الفرس) هي الإقليم الذي يشتهيه الفرس بدرجة أكبر عن باقي الأقاليم الخاضـعة لهـم لم لديه من ثروات جمة».

ثم أخذ هيرودوت (Herodotus) يفصل الفوائد التي حصل عليها المرزبان الـذي كان يتم تعيينه في بابل:مزارع معدة لإستيلاد الخيل (تحتوي علي 800 من ذكـور الخيـل المخصصة للاستيلاد و(16ألف) مهرة مخصصة للاستيلاد) «هـذا بالإضـافة إلي عـدد كبـير جدًّا من الكلاب الهندية لدرجة أنه تم إعفاء أربعة قري كبـيرة مـن القـري الموجـودة في السهل من الرسوم الأخري (تون ألون أتيليس) بشرط أن يقوموا بإطعـام هـذه الكـلاب» (الكتاب الأول، فقرة 192) .

الرسوم العسكرية ونظام الضرائب:

إن النظام القاضي بفرض رسوم علي العامة بغرض الحصول علي موارد عينية كان هو المبدأ الذي قامت عليه منظمة الهاترو(قطع الأرض الإقليمية التي كان يتم تخصيصها للعسكريين) والتي كانت مشهورة نسبيًا في بابل، والأشخاص العسكريين الذين يحصلون علي أراضي بموجب نظام الهاترو(والذين من المؤكد أنهم لم يكونوا جميعاً من العسكريين) كانوا مطالبين بسداد ضريبة «جندي الملك» (ساب ساري) وكانوا مطالبين بتلبية أي نداء بالتعبئة، وتوضح العديد من الوثائق من عهد دارا (Darius) أنه عندما كان يستلم أحد المزارعين المستأجرين للأراضي بموجب نظام الهاترو الأوامر الملكية التي تستدعيه للجيش، كان يتوجب عليه أن ينطلق علي الفور وهو في كامل عدته وتسليحه ومزوداً بما يحتاج إليه من مال وإمدادات، أي أن الجندي نفسه كان هو من يدفع ثمن الأسلحة والتجهيزات، ولقد كانت تكلفة ذلك كبيرة للغاية: ففي عام 513 تم إستدعاء أحد الفرسان للخدمة في الجيش لمدة ثلاث سنوات كاملة، ولقد كان عليه أن يشتري بغل كلفه 36 سيسولي بالإضافة إلي (12) من الرجال خفيفي التسليح والذين كانوا يعدون مستلزماتهم بأنفسهم (الملابس، البطاطين، حقائب السفر، الأحذية، الزيت، الملح، ...الخ)، وهو العديد من الأمثلة علي عمليات إستدعاء منتظمة نسبيًا كانت تتم في عهد دارا (Darius) وخلفائه وهذه بالإضافة إلي نداءات الاستدعاء التي كانت تصدرها السلطات المحلية، أي أن الجيش الإحتياطي الإقليمي وبقدر ما يمكننا ملاحظة طريقة عمله في بابل لم يكن يتم الإنفاق عليه من الخزينة الملكية، بل علي العكس كان المستأجرون الذين كان يتم تخصيص أراضي لهم مقابل الخدمة في الجيش لم يكونوا معافين من دفع الرسوم والضرائب والتي كانوا يقومون بتسديدها كل سنة إلي الإدارة .

وفي الأوقات العادية فإن حشد الجيش والإنفاق عليه لم يكن يؤدي بالضرورة إلي تقييد ميزانيته، وفي الحقيقة فلقد كانت منظمة البحرية تقوم علي مبدأ بسيط (حيث كانت الإدارة الملكية تقوم ببناء السفن بمساعدة من السكان الذين كان يطلب منهم القيام بأعمال يدوية)، بينما كانت تقوم الشعوب الساحلية الدافعة للجزية (اليونانيون، الكاريون، الليسيون، الكيليكيون، القبارصة، الفينيقيون) بتقديم المجدفين، ويمثل هذا مصدراً هائلاً للموارد، والمبدأ الذي تقوم عليه القوات الإقليمية هو أيضاً بسيط إلي حد ما:حيث كان علي إحدي طوائف الشعب القيام بتقديم عدد معين من الجنود المزودين بجميع مستلزمات القتال، مقابل إستغلالهم لقطعة من الأرض، ولقد كان هو الحال مع الفرس المغتربين والذين كانوا يعيشون في مزارع وضياع ضخمة في آسيا الصغري والذي كان يتوجب عليهم تقديم فرق من الخيالة المدربين جيداً علي نفقتهم الخاصة عندما يطلب المرزبان منهم ذلك، ونحن نعرف أيضاً أن الفرس الذين تم منحهم أراضي في مصر كان يتوجب عليهم هم الآخرين القيام بدفع جزية (مانداتو)، ولقد كان هذا ينطبق أيضاً علي الشركات الموجودة في منف وهذا هو دليل مادي علي القول المأثور «الفتح يأتي بفتح آخر»، ومن الواضح أن الخزانة الملكية كانت أيضاً تدفع مبالغ كبيرة لضمان توفير المواد الغذائية (تروفي) للحاميات التي تحصل علي مرتباتها منها، ولقد أشار إليهم زينوفون (Xenophon) بإستخدام المصطلح المبهم «مستوفوروي» والذي كان يقصد منه ليس المرتزقة ولكن «الجنود الذين يحصلون علي راتب» مثل الحاميات الموجودة في Syene وفيلة والذين كانوا يحصلون علي مؤن عينية (بتب) بالإضافة إلي أجور نقدية (برس) من الخزينة الملكية، وفي الواقع وتبعاً لمبدأ الضرائب التي كانت تحصل من الشعوب الخاضعة (باريكس تو فورو) والذي شرحه هيرودوت (Herodotus) (الكتاب الأول، فقرة 192) فإنه حتي المواد الغذائية التي

كان يتم تقديمها للجنود كانت تحصل عن طريق فرض ضرب عينية علي الشعب .

الجزية والضرائب المقدرة بجانب الجزية:

وهكذا فقد أصبح من المؤكد أن ما نسميه (تبعاً لهيرودوت (Herodotus)) بالجزية كان يمثل جزء واحد فقط من الضرائب التي تقدرها الإدارة الملكية أو في استعارة للصورة التي قدمها «أر. ديكا» «الجزء الظاهر من الجبل الجليدي الذي يمثل الصرح المالي الأخميني»، وتضيف هذه الملاحظة البسيطة الكثير لمناقشة العلاقة الوظيفيه بين مفهومي الهدايا والجزية، حيث أن كل منهما كان يمثل عنصر جزئي ومكمل من نظام أكثر تعقداً إلي حد بعيد، ونتيجة وجهة النظر هذه هي أن الفارق بين الهدايا والجزية والذي أعطاه هيرودوت (Herodotus) وزناً أكبر من اللازم قد تقلص .

5- سداد الجزية: المعادن والعملات المعدنية:

المثال المجسد للاقتصاد الطبيعي: الساحل والمنطقة الداخلية:

دعونا نعود إلي الجزية نفسها، حيث تشير الكلمات المستخدمة والمنطق الذي تقوم عليه النصوص التي تتناول الجزي عند كل من هيرودوت (Herodotus) (الكتاب الثالث، فقرة 96) وسترابو (Strabo) الذي حرص فيما يتعلق بأرمينيا وميديا علي التفريق بين المنتجات العينية والمبالغ التي تدفع في صورة فضة «أرجيريكون تيلوس» (الكتاب الحادي عشر، فقرة 8-13)، تشير إلي أن مقدار الجزية كان يتم إرساله في صورة معادن يتم وزنها في الخزائن الملكية، وعلي ذلك يمكننا أن نفترض أن المرزبانات كانوا يطلبون أيضاً أن يتم سداد الجزية لهم في صورة فضة، ومن ناحية أخري يمكن أن يفترض الواحد منا عكس ذلك تماماً وهو أن نموذج لـ «الاقتصاد الطبيعي» ساد بلاد الشرق الأدني، وطبقاً لهذا

الإفتراض فإن نص هيرودوت (Herodotus) لم يقدم سوي قيمة تقديرية من الفضة للجزية التي كان يتم دفعها أساساً في صورة سلع عينية، ولكن مثل هذه المقارنة العريضة بين ما يسمي بـ «الإقتصاد الطبيعي» الإقتصاد النقدي تأتي فقط من منظور يوناني يبسط إلي حد بعيد آليات تبادل السلع، وأحد الأسباب وراء ذلك يمكن أن يكون هو أن إلتزام الجزية هذا لم يشكل أي مشكلة فنية للشعوب والمدن التي كانت تدعم أنفسها عن طريق دورة النقود وخاصة المدن اليونانية التي كانت تقع في آسيا الصغري:حيث كان بإمكانهم دفع الضرائب المقررة عليهم بإستخدام العملات المعدنية التي كانت تقدرها الإدارة المرزبانية تبعاً لوزنها، ولكن في أماكن أخري لم يكن يتم تحصيل الجزية عامة في صورة نقود، فعلي سبيل المثال قام الفلاحون في إقليم يوديا في في منتصف القرن الخامس بدفع الجزية المقررة عليهم في صورة فضة موزونة وذلك كما علمنا كان ناتجاً عن شكوي بعضهم من أنهم «قد إضطروا إلي إقتراض المال بضمان حقولهم وأشجار الكروم المزروعة بها لسداد ضريبة الملك (ميدات هاميليك)»، أو أنهم قد إضطروا إلي «بيع أبنائهم وبناتهم كعبيد لضمان سدادها» (نهيميا ((Nehemiah، 4:5-6)، وفي بلاد فارس نفسها توجد شواهد علي أنهم كانوا يدفعون الجزية في صورة فضة موزونة منذ عام 502، وحتي في البلاد التي كان يتم فيها تقدير الضرائب التي تقع في إطار ضريبة (باريكس تو فورو) في صورة سلع عينية فإن قيامهم بسدادها إلي المدراء الملكيين في صورة فضة لم يكن يمثل مشكلة كبيرة، وفي بابل حيث كان إستخدام الفضة الموزونة أمراً عاديًّا؛ كانت توجد مؤسسات تجارية كان عملها هو تحويل الرسوم المفروضة علي الأراضي الزراعية إلي فضة، وفي مصر والتي انتشر فيها إستخدام العملات المعدنية الأثينية واليونانية علي مدار القرن الخامس؛ كان التحويل النقدي (تحويل الجزية إلي نقود) يحدث بدرجة أقل (إلا أنه كان معروفاً لدي المصريين)، وتوجد شواهد

كثيرة علي الإستخدام الشائع للفضة الموزونة كوسيلة لدفع الجزية في العديد من الوثائق الآرامية .

لا تزال هناك فقرة صعبة عند سترابو (Strabo) دمجها في الفصل الذي يتناول فيه الخزائن (ثيسورووي) ومستودعات التخزين (باراثيسيس) والتي يقول أن كل ملك من ملوك فارس قام ببنائها لتخزين الجزية (فورووي)، حيث قام سترابو (Strabo) بتلميح من بوليكليتوس (Polyclitus) بالتفريق بين الشعوب الساحلية (بارااليا) والشعوب التي تسكن المناطق الداخلية (ميسوجيا) حيث كان الملك يقوم بتحصيل الفضة من الشعوب الساحلية (باتيستاي ...أرجيريون)؛ بينما كان يقوم بتحصيل سلع عينية من البلاد الداخلية تختلف من بلد لأخري (ها فيراي إكاستي خورا) أصباغ، عقاقير، شعر، صوف، وأشياء أخري وحتي الماشية)، وهذه المقابلة الثنائية بين الفضة:البلاد الساحلية/السلع العينية:البلاد الداخلية من الواضح أنها تتماشي مع الفارق الذي أوضحه بين الخزائن (الفضة) ومستودعات التخزين (السلع العينية)، علي الرغم من الفارق في المصطلح هو فارق شكلي أكثر من كونه فارق وظيفي، ولكن ما هو السبب الذي يمكن أن يجعل بعض الشعوب تفضل دفع الجزية المقررة عليها في صورة سلع عينية مع أنه من الواضح نسبيًّا أن الجزية كانت تنقل دائماً إلي البلاط المركزي في صورة معادن؟ وفوق كل شيء ما هو التفسير الذي يمكن تقديمه لمثل هذا التفريق الواضح بين مدن الساحل والمدن الداخلية؟

ويبدو أنه كان هناك تفريق مماثل لهذا في فقرة ديودورس (Diodorus) ، ففي حديثه عن «التمرد الكبير للمرزبانات» الذي حدث خلال العقد الرابع من القرن الرابع ق.م، أكد علي أن المشاركين في هذا التمرد «كانوا تقريباً كل البلاد الساحلية» (هوي باراثالاسيوي) بالإضافة إلي «المرزبانات والقادة العسكريين الذين كانوا يحكمون

المقاطعات الساحلية» (هـوي باراثالاتيوي توبـوي)، ويضـيف أنـه «بإنـدلاع تمـرد بهـذه الضخامة وعلي هذا النطاق الواسع، فإن هذا أدي إلي إنخفاض عائدات الملك إلي النصف وكان النصف المتبقي غير كافي لتغطيـة نفقـات الحـرب» (الكتـاب الخـامس عشر، فقـرة 90-3)، ولكن هذه الشهادة التي يقدمها ديودورس (Diodorus) ليست فقـط محاطـة ببعض الجدل التاريخي (فصل 7/15) ولكنها أيضاً لاتوضح نص سترابو (Strabo) ، وعلي الرغم من أنه من الصحيح أنه قد عهد بالمناطق الساحلية -علي صعيد التنظيـم الإداري والعسكري- إلي قائد عسكري أعلي واحـد (في إطـار العمليـات العسـكرية) في مناسـبات عديدة، إلا أنه لا يوجد أي سبب يدفعنا لإفتراض أن الإدارة الماليـة الأخمينيـة قـد نحـت جانباً المناطق الساحلية الفرعية والتي كـان ينظـر إليهـا تحديـداً عـلي مصـادر محتملـة للحصول علي المعادن أو النقد .

هل من الممكن أن سترابو (Strabo) كـان يشـير إلي شـعوب بعيـدة جـدًّا عـن الطرق التجارية لدرجة أنهم كانوا عـاجزين عـن بيـع منتجـاتهم؟ولكن حتـي هـذا لا يصلح أن يكون سبباً لإفتراض أن التجارة بإستخدام الفضة الموزونة كانت تقتصر فقط علي الموانيء، وفي الحقيقة فبالرغم من إستخدام المعادن في التجارة فإن نظام المقايضة لم يختفي:فعلي سبيل المثال يصف زينوفون (Xenophon) بعض سـكان عـلي الضـفة الشرقية «لنهر الفرات والذين أحضروا إلي بابل أحجـار الرحـي ثـم باعوهـا مسـتبدلين إياها بالطعام» (الزحـف العسـكري، الكتـاب الأول، فقـرة 5-5)، وبالإضـافة إلي ذلـك يذكر أريان (Arrian) أن الأكسيين سكان الجبل «لم يكن عندهم أي مال (خريماتا) أو أراضي قابلة للزراعة» (الكتاب الثالث، فقرة 17-6)، ولكننـا لا نسـتطيع التعمـيم مـن هذه الأمثلة (هذا بالإضافة إلي أن معلومـات أريـان (Arrian) حـول حـول الأكسـيين هي غير محتملة)، وفي الواقع فإن مغامرات الناجون مـن «الـعشرة آلاف» الـذين

تمكنوا في مرات عديدة من شراء الإمدادت التي يحتاجونها من الأسواق التي إفتتحها المرزبان الفارسي تيسافرنيس (Tissaphernes) تجعلنا نقترح تفسيراً آخر مختلف تماماً، إن التبادل التجاري بإستخدام الفضة الموزونة كان يوجد في كل مكان حتي في البلاد التي يمكن أن نعتبرها «متخلفة»، وبالإضافة إلي ذلك فإن هناك العديد من الأمثلة التي توضح أن البلاد الداخلية كانت أراضيها هي الأخري تحتوي علي المعادن النفيسة (بوليانوس (Polyaenus) ، الكتاب السابع، فقرة 1-21: أحد معابد كبادوكيا الذي نهبه داتاميس (Datames)).

إن هذه المقابلة بين الفضة/السلع العينية ربما تعكس وجود فارق أو تمييز بين الجزية/الهدايا، ولقد كان كل مجتمع من مجتمعات الإمبراطورية يدفع الإثنين معاً (أنظر بالأعلي)، حتي أن بعض الشعوب المقدمة للهدايا (بمفهوم هيرودوت (Herodotus)) كانت تقدم «هداياها» في صورة معادن (الكتاب الثالث، فقرة 97)، وبالإضافة إلي ذلك وتبعاً لسترابو (Strabo) نفسه فإن بعض الشعوب الداخلية مثل الأرمن والميديين وسكان كبادوكيا كانوا بالفعل يدفعون الجزية المقررة عليهم في صورة فضة، ولكن أضيف إلي هذه الجزية الإلتزام المتمثل في تربية خيول لتقديمها إلي مزارع الإستيلاد الملكية (الكتاب الحادي عشر، فقرة 13-8)، وفي المقابل توضح لنا أحد الخطط التي وصفها أرسطو المزيف (Pseudo-Aristotle) أنبعض الأقاليم الساحلية مثل ليسيا كان لزاماً عليها تقديم الشعر الذي يريده البلاط الملكي (الكتاب الثاني، 2-14)، بينما وعلي العكس من ذلك نجد أن الشعر كان من ضمن السلع العينية التي كان يتم تحصيلها تحديداً من البلاد الداخلية!

وفي التحليل الأخير فإننا في الحقيقة لا نستطيع تحديد حقائق الجزية التي تقوم عليها الصياغة التي قدمها سترابو (Strabo) ، ونميل للإعتقاد أن التفسيرات التي إقتبسها عن بوليكليتوس (Polyclitus) تعبر في الأساس عن

وجهة النظر اليونانية للطبيعة الجغرافيه للامبراطورية الأخمينية، وفي الحقيقة فلقد كان من التقليدي عند اليونانيين فرض حدود وفواصل ثقافيه بين الساحل (كاتو) والجزء الداخلي من البلاد (آنو)، ويمكننا أن نري هذا بوضوح في الخطاب الذي وضعه ثيوسيديدس (Thucydides) علي لسان الكورنثيين في بداية الحرب البلوبونيزية:حيث طالب الكورنثيون الشعوب الداخلية (ميسوجيا) بعدم التخلي عن قضية الشعوب الساحلية (كاتو؛الكتاب الأول، فقرة 120-2)، وبتطبيق ذلك علي الإمبراطورية الأخمينية قادنا هذا المفهوم المكاني/الإقتصادي بشكل طبيعي إلي النظر إلي الساحل علي أنه يوناني وإلي الأراضي المرتفعة علي أنها تمثل الفرس (بلوتارخ (Plutarch) ، سايمون، 9.6)، وهذا هو السبب الذي أثار إعجاب المؤلفين اليونانيين بشكل عام برجل مثل أجيسيلوس (Agesilaus) والذي -كما يقول البعض (فصل 15-5)- كان عازماً علي التوغل إلي مدي بعيد في الأراضي المرتفعة (آنوتاتو، زينوفون (Xenophon) ، هيلينيكا، الكتاب الرابع، فقرة 41) ونقل الحرب «بعيداً عن البحر الهيليني» (بلوتارخ (Plutarch) ، أجيسيلوس (Agesilaus) ، فقرة 15-1)، وهذه هي وجهة نظر متكررة تم التعبير عنها عدة مرات في الزحف العسكري كما في النصوص التي تعود إلي بداية الفترة الهيلينية، وكما هو الحال فإن فكرة وجود حدود فاصلة بين البلاد المنخفضة والأراضي المرتفعة كانت تقوم في الأساس علي إفتراضات ثقافيه مسبقة:حيث نشأت مقارنة بين شعب ساحلي مثقف يعتمد إقتصاده في المقام الأول علي التجارة (ونقصد بذلك اليونانيين) وشعب داخلي من سكان الأراضي المرتفعة حيث يسود نوع من الإقتصاد الطبيعي (البربري) كما علي سبيل المثال في اليونان فيما بين الإتوليين (ثيوسيديدس (Thucydides) ، الكتاب الأول، فقرة 3-5)، وعلي الرغم من أن مثل هذا النوع من التقديم يكشف إلي حد بعيد عن الفكرة اليونانية عن الحضارة والتمدن؛ إلا أن المؤرخ المعاصر لا يوجد

لديه سبب مدعم بأدلة كافيه يدفعه إلي تكرارها في أثناء عمله علي إعادة رسم صورة عن تنظيم الجزية في عهد الإمبراطورية الأخمينية .

الخزائن الملكية والجزية:

بعد أن تقوم السلطات المرزبانية بجمع الجزية، كان يبقي جزء منها في مكانه في الزائن المرزبانية، وهيرودوت (Herodotus) علي سبيل المثال ذكر هذه الحقيقة في إشارة إلي كيليكيا (الكتاب الثالث، 90):من (500) طالن التي كان يتم تحصيلها كجزية علي إقليم كيليكيا «كان يتم إنفاق (140) طالن منها علي فرسان الحامية الموجودة هناك»، أما الجزء المتبقي وهو الجزء الأكبر فكان يتم حفظه في الخزائن الملكية مع (مع عائدات الهدايا والتيجان والغنائم)، وبمجرد الإنتهاء من جمع الجزية كان يتم تخزينها:

«تتمثل الطريقة التي كان يستخدمها ملوك فارس لتخزين كنوزهم في إذابة المعدن وصبه في برطمانات من الفخار، ثم كان يتم بعد ذلك تقطيع هذه البرطمانات لإزالتها عن المعدن الصلب، وعندما تكون هناك حاجة للمال كان يتم صك المبلغ المطلوب لسد هذه الحاجة» (هيرودوت (Herodotus) ، الكتاب الثالث، فقرة 96) .

وعلي العكس من الإعتقاد الذي ظل سائداً لفترة طويلة، فإن هذه الفقرة لا تشير بأي شكل من الأشكال إلي تحويل المعادن إلي عملات معدنية، ولقد أوضح سترابو (Strabo) في حديثه عن أحد الفترات التالية أنه -حتي بعد أن تم تداول العملات الملكية- فإن جزء ضئيل من الجزية السنوية المستلمة كان يتم صك العملة منه: «كان يتم إستخدام معظم الذهب والفضة في صناعة المعدات ....حيث كانوا يعتبرونهم مؤهلين بدرجة أكبر من غيرهم للاستخدام كهدايا وللتخزين في المستودعات» (الكتاب الخامس عشر، 3-21)، وهذا هو بالضبط ما تعنيه عبارة هيرودوت (Herodotus) ، حيث أن تلك الفقرة تصف طريقة عمل

إشتهرت بها المعابد البابلية: حيث أن كل الفضة التي كان يتم إستقبالها سواء من القرابين أو من خلال إدارة الديون كانت ترسل كل شهر إلي صائغي الذهب التابعين للمعبد ليقوموا بصهرها وسبكها في صورة قوالب، والتي تصبح المخزون الإحتياطي الذي يستخدم عند الحاجة كمصدر للمعدن اللازم لصناعة التيجان أو الأكاليل لتزيين تماثيل الآلهة.

مشكلة صك العملات الملكية:

إذا لم يكن الغرض من الجزية هو ان يتم إستخدامها في سك العملة، إذا ماذا كان الدافع من وراء سك العملات الملكية سواء الفضية منها (سيسولي، شيكل) أو الذهبية (الداريك)؟ أحيانا كان يقوم اليونانيون بتسمية العملات الملكية بـ«الرماة» لأنه كان يتم تصوير الملك عليها في صورة أحد رماة السهام، وبالرغم من المناقشات التي مازالت مستمرة حول أصل كلمة «داريك» إلا أن الرأي الغالب اليوم يأخذ في الإعتبار أن أولي العملات الملكية قد تم سكها في عهد دارا (Darius) ولكن التاريخ الدقيق للإصدار الأول لهذه العملة لم يتم تحديده بشكل قاطع، ولكننا يوجد لدينا صورة صورة محددة، حيث يحمل أحد ألواح التحصينات الذي يعود إلي السنة (22) من حكم دارا (Darius) (عام 500 ق.م) طبعة للصورة الموجودة علي أحد العملات الملكية والتي تظهر ملك أخميني في صورة رامي سهام جاثي علي ركبتيه، وهذه العملة تنتمي إلي النوع المسمي بـ(النوع الثاني) والذي يمكن أن يعود تاريخ تصميمها إلي ما قبل عام 500، وترتبط مناقشة تاريخ ظهور عملات دارا (Darius) بشكل جزئي علي الأقل بالغرض الذي ينسب إلي هذا الإبتكار الجديد، ولقد كان يتم سك عملات الداريك والسيسولي في ساردیس فقط -علي الأقل في الفترات المبكرة- عن طريق الذهب المستخرج من مناجمها إلي عملات، ولقد أراد دارا (Darius) أن يستفيد من عائدات هذه المناجم، وتبعاً لهيرودوت (Herodotus) (الكتاب الثالث، فقرة 89) فربما كان هذا هو السبب وراء

إكتسابه تلك الشهرة بأنه كان «تاجراً» (كابيلوس)، وبالنظر إلي هذه الحقـائق يمكننـا أن نفترض أن دارا (Darius) قد إتخذ قراره بسك العملات المعدنيـة في طريـق عودتـه مـن أوروبا حوالي عام 512، وهكذا فإذا أردنا التحدث بشكل دقيق لا توجـد أيـة علاقـة بـين قراره هذا وبين الإصلاحات التي أدخلها علي نظام الجزية، فلقد كـان يـتم دفـع الجزيـة كما رأينا باستخدام الفضة الموزونة؛ولقد كان الداريك في البداية هو معيار الـوزن (30,8 جم)، ولقد كان السيكيولس الفضي (40,5 جم) مختلفاً، حيث كان يتم تداوله أساسـاً في آسيا الصغري وربما تم إسـتخدامه لتمويـل العمليـات العسـكرية في عهـد كـل مـن دارا (Darius) وكسركسيس (Xerxes) ، وهكذا فقد كان الغرض من إصدار السيكيولس هـو الحد من الإعتماد علي عملة الكروسيد وهي العملة التي إستمر سكها بعد فـتح قـورش (Cyrus) لساردیس، ولكن لم يتم فرض السيكيولس كالعملة الوحيدة؛فعلي سبيل المثـال إستمرت المدن السـاحلية اليونانيـة في سـك عملاتهـا الخاصـة وكانـت العمـلات الفضـية اليونانيــة يــتم تــداولها في الإمبراطوريــة الأخمينيــة بشــكل أوســع مــن العمــلات مــن السيكيولس نفسه .

ولكن لماذا قام الملك الفارسي بإصدار عملـة ذهبيـة لم يكـن الهـدف منهـا لا تسهيل التبادل التجاري ولا دفع رواتب الجند أو مسـتحقات المـوردين؟ يجـب أن نصر علي أن الإجابة علي ذلك كانت تتمثل في الوظيفة السياسية للعملات الملكية، فليس فقط أن صورة الملك الأكبر سوف تنتقل بدرجة أكبر من خلال هذه الطريقة ولكن أيضاً هذا الإبتكار الجديـد سـوف يتـوج إنجـازات دارا (Darius) كالمؤسـس الجديد للامبراطورية، ولقد كانت هذه هي الفكرة الرئيسية التي عمـل هـيرودوت (Herodotus) علي نقلها عندما كتـب يقـول: «كـان دارا (Darius) يرغـب في أن يخلد ذكراه (منيموسينون) عن طريق فعل شيء لم يسـبق أن فعلـه ملـك آخـر

قبلـه» (الكتـاب الرابـع، فقـرة 166) ويمكننـا أن نجـد تعبـيراً مشـابهاً عنـد بوليكليتـوس (Polyclitus) الذي إستشهد به سترابو (Strabo) كـما يـلي (الكتـاب الخـامس عشر، 3-21): «حيث يقول بوليكليتوس (Polyclitus) أنـه في صوصا قـام كـل ملـك مـن ملـوك فـارس بتشـييد مسـكن خـاص وخزانـة (ثيسـوروي) خاصـة ومسـتودعات تخـزين (باراثيسس) خاصة به للجزية التي كانت ترسل إليه من الشعوب الخاضعة لـه كـدليل علي إدارته الرشيدة (هيبومنيماتا تيس أويكونومياس)»، وبمعنـي آخـر فـإن مبـادرة دارا (Darius) لم يكن الهدف الأسـاسي منهـا هـو هـدف إقتصـادي (بـالمعني الـذي تقصـده اليوم)، فلقد كان يهدف من ورائها إلي توضيح مدي قوته وزيـادة نفـوذه ومكانتـه أكـثر مما كان يريد منها توفير نفقاته، فلقد كان الهدف المباشر منها مالي (زيادة قيمة ذهـب سارديس) وسياسي (فرض معيار مالي واحد علي جميع أجزاء الأمبراطورية) وأيـديولوجي (إبراز مكانته كمؤسس للامبراطورية)، ويؤكد كل من هيرودوت (Herodotus) وسـترابو (Strabo) بوضح علي وظيفة الخزائن الملكية، ولقد إستخدم الملك الأكـبر هـذه الخـزائن في إطار سياسة إعادة التوزيع (الأشياء القيمة التي يمكن أن تستغل كهدايا)، ولقد كانت عملة الداريك تلعب نفس هذا الدور أيضاً .

دارا (Darius) وأرياندیس (Aryandes) :

لقـد إسـتخدم هـيرودوت (Herodotus) كلمـة (منيموسـينون) للحـديث عـن عملات دارا (Darius) في قصة مازالت في مجملهـا تثـير عـدد مـن المشـاكل التفصـيلية، ولقد تعامل معها علي أنها تمرد من جانب مرزبان مصر:

«بالمناسبة لقد تم تعيين أرياندیس (Aryandes) كحـاكم عـلي مصر مـن قبل قمبيز (Cambyses) ، ولقد كان هو نفس الرجـل الـذي فقـد حياتـه بعـد ذلك إثر محاولـة لتحـدي دارا (Darius) ، حيـث أنـه عنـدما علـم مـما سـمعه وشاهده أن دارا (Darius) كان يرغب في تخليد ذكـراه (منيموسـينون) مـن

خلال عمل لم يقم به أي ملك آخر من قبله، بدأ أرياندیس (Aryandes) يحزو حزوه ولكنه سرعان ما حصل علي ما يستحقه عقاباً له علي وقاحته، ولقد كانت الحقائق كما يلي: لقد أصدر دارا (Darius) عملة ذهبية والتي كانت تسك من ذهب علي أعلي درجة من النقاوة، ولقد حزي أرياندیس (Aryandes) حزوه وقام بإصدار عملة من الفضة، وفي الواقع فإن «الأرياندیك» وهي العملة التي أصدرها أرياندیس (Aryandes) لا تزال هي العملة الفضية الأنقي علي الإطلاق، وعندما علم دارا (Darius) بذاك أخفي السبب الحقيقي لغضبه وزعم أن أرياندیس (Aryandes) بفعله ذلك تمرد عليه وأمر علي الفور بإعدامه» (الكتاب الرابع، فقرة 166) .

ونص هيرودوت (Herodotus) هذا يثير أسئلة أكثر مما يقدم إجابات مؤكدة، حتي أن مجرد وجود عملة «الأرياندیك» هو من الأمور المشكوك فيها إلي حد بعيد، فمن ناحية لا توجد أي عينة علي الإطلاق من هذه العملة ومن ناحية أخري فإن نص هيرودوت (Herodotus) غير دقيق في حديثه عن هذه النقطة .

ومن المحتمل أن أرياندیس (Aryandes) قد غير المعيار المستخدم في مصر لدفع الجزية بإستخدام الفضة الموزونة وهذا قد يفسر لماذ قال بوليانوس (Polyaenus) (الكتاب السابع، فقرة 11-7) «أنه لما لم يستطع المصريون تحمل صرامة وشدة (أوموتيس) أرياندیس (Aryandes) ثاروا عليه»، ثم مضي يخبرنا كيف إستعاد دارا (Darius) سيطرته علي البلاد في قصة تم تخصيصها بالكامل تمجيد الرثاء الذي تم تقديمه للعجل المقدس أبيس من قبل الملك/الفرعون، وتاريخ هذه الأحداث هو غير محدد، ولكن إذا فصلنا هذه الأحداث عن التمرد الذي ذكره دارا (Darius) في نقش بيهستون - وهو الأمر الذي يبدو منطقيًا- فيمكننا أن نقترح أنها تعود إلي العقد الأخير من القرن السادس ق.م، ومن المحتمل أن المصريين قد أرسلوا شكوي إلي الملك الأكبر بسبب معاناتهم من

الإرهاق الشديد نتيجة الضرائب الباهظة التي فرضها عليهم أرياندیس (Aryandes) ، والتي قام الملك بناءاً عليها بإعادة النظام إلي الإقليم، وتبعاً لهذا الإفتراض فمن المحتمل أن أرياندیس (Aryandes) قد خالف الإجراءات شديدة الصرامة التي وضعها دارا (Darius) في حوالي عام 518، من خلاله قيامه بتنفيذ عملية إعادة تقييم للجزية بإستخدام الفضة الموزونة وهو الفعل الذي تم إعتباره عادلاً من قبل العديد من المؤلفين القدامي، ودعونا نؤكد في الوقت الحالي أنه وتبعاً لهيرودوت (Herodotus) نفسه فإنه لم يكن هذا الفعل هو ما أدي إلي هذه الإستجابة الغاضبة من دارا (Darius) ، ومن وجهة نظره فإن الملك قد أراد معاقبة ذلك المرزبان علي التجاوزات التي إقترفها والتي تمثلت في محاولته أن يصبح نداً لدارا (Darius) شخصيًّا في النقطة التي إعتبرها دارا (Darius) علي وجه الخصوص الملمح المميز لفترة حكمه .

6- إدارة الجزية: الجوانب التي تشير إلي الإستمرارية مع النظام القديم والنقاط الأخري التي حدث فيها تعديل:

* الشعوب والأراضي:

بعد أن قمنا برسم مخطط عام لنظام الجزية الذي وضعه دارا (Darius) ، دعونا تتنقل إلي تناول تطبيقاتها الإقليمية؛وهذه الإصلاحات التي أدخلها الملك الأكبر ومستشاريه يمكن أن يكون لها تفسيرات عديدة، فمن ناحية فإن هيرودوت (Herodotus) يرغب في وصف مدي عالمية وشمول المراسيم الملكية، ومن ناحية أخري حتي لو كان كل شعب يقابل إقليم واحد فإن المفهوم السياسي الذي يقوم عليه هذا النظام لم يكن في الحقيقة إقليميًّا ولكنه كان عرقيًّا ولقد كان هذا هو تحديداً الوضع القائم في ذلك الوقت والذي وصفه مؤلف كتاب «دي موندو»: «كانت إمبراطورية آسيا بأكملها من مضيق الدردنيل غرباً إلي نهر الأندوس

شرقاً مقسمة تبعاً للأجناس فيما بين القادة العسكريين (ستراتيجوي) والمرزبانات والملوك (باسيلايس)»، وفي الحقيقة فإن مصطلح (إثنوس/داهيو) يجب أن يفهم بمعناه الواسع علي أنه يشير إلي جميع التنظيمات الإجتماعية والسياسية بما تشتمل عليه من تنوع .

ويمكن أن نلاحظ أن مبدأ العرق كان هو القاعدة التي يقوم عليها التنظيم العسكري للامبراطورية، فعندما كان دارا (Darius) يعد للحملة المقترحة ضد بلاد اليونان «قام بدون أن يضيع أي وقت بإرسال الرسل إلي جميع أجزاء ملكه محملين بأوامر إلي المرزبانات بحشد الجيوش» (هيرودوت (Herodotus) ، الكتاب السابع، فقرة 1)، ولقد قام كسركسيس (Xerxes) بفعل نفس الشيء بعد ذلك ببعض الوقت: «ففي إطار حشده لجيوشه، قام كسركسيس (Xerxes) بنهب وإفراغ كل ركن من أركان القارة» (هيرودوت (Herodotus) ، الكتاب السابع، فقرة 19-20)، وهكذا فإن الشعوب هي من قامت بتعبئة قواتها وكان يقود كل فرقة من الفرق العسكرية العرقية قائد محلي (الكتاب السابع، فقرة 96)، وكان يتم تنظيم الفرق العسكرية في كل جيش من الجيوش الأخمينية تبعاً للعرق الذي تنتمي إليه (كاتا إثنيا) (زينوفون (Xenophon) ، الزحف العسكري، الكتاب الأول، 8-9)، ولقد كان الحال بالمثل في تنظيم العمل علي شق القناة عند سفح جبل أثوس: «فلقد تم تقسيم الأرض إلي أقسام متعددة وتم تكليف كل شعب من شعوب الإمبراطورية بحفر جزء من هذه الأجزاء (كاتا إثنيا)» (الكتاب السابع، فقرة 23)، ولكن بمجرد أن وصلت هذه الفرق العرقية إلي نقاط التجمع تم إعفاء القادة المحليين من قيادة هذه الفرق وأوكلت مهام القيادة كلها إلي قادة فرس (الكتاب السابع، فقرة 96):

«إن هؤلاء الرجال الذين خدموا في الإسطول وهؤلاء الذين خدموا في الجيش كان لديهم ضباط وقادة من بني جنسهم(إبيخوروي) ولكن لم

أذكر أسمائهم لأن قصتي لا تحتاج ذلك، ولقد كـان بعضـهم غـير بـارزين عـلي الإطـلاق ولقد كان لدي كل شعب ضباط عديدين بقدر ما لديه مـن مـدن، وعـلي أي حـال فـإن هؤلاء الضباط المحليين لم يكونوا قادة بالمعني الحقيقي (ستراتيجوي)، حيث أنهم مثلهم مثل باقي الجنود كانوا مكرهين علي القتال، أمـا بالنسـبة لأسـماء القـادة الفـرس الـذين كـانوا يتولـون القيـادة الفعليـه (إخـونتيس كراتـوس) للحاميـات التـي أرسـلتها شـعوب الإمبراطورية المختلفة فلقد ذكرت أسمائهم للتو».

ولقد أوكلت مهمة قيادة الفرق الرئيسية في الجيش إلي رجال الملك، وهكـذا فـإن الجيش الملكي لا يمكن أن يتم إختزاله إلي مجرد حشـد هائـل مـن الجنـود بـدون وجـود وحدة حقيقيـة بيـنهم، ولكـن المؤسسـة العسـكرية النظاميـة كانـت قائمـة عـلي أسـاس إقليمـي، وفي الحقيـق يـذكر زينوفـون (Xenophon) أنـه كـان يـتم تجميـع القـوات الإقليمية كل عام من أجل التفقد الذي كان يتم في «في مكـان التجمـع أو (سـيلوجوس) كما كانوا يسمونه (زينوفون (Xenophon) ، الكتاب الرابع، فقرة 6)، ولقد ذكر من بـين أماكن التجمع هذه كاسـتولوس في سـهل كاسـتولوس في ليـديا وسـهل كايسـتر في إقلـيم فريجيا الذي يقع علي مضيق الدردنيل وثيمبارا في سوريا ولقد ذكرت هذه الإحتشـادات كثيراً في الألواح البابلية التـي تعـود لعهـد دارا (Darius) الثـاني، وهكـذا فإنـه يبـدو أن الإمبراطورية كانت مقسمة إلي عدد محدد من المناطق العسكرية والتي لم يكن تركيبهـا متقيداً بالمعايير العرقية، ومـن المحتمـل أن الوضـع كـان مماثـلاً فـيما يتعلـق بالأنشـطة البحرية حيث كانت كل من كيليكيا وساي‍مي هما مراكز المقاطعات البحرية .

ويشير أيضاً نظام الجزية الذي تم إنشـائه في عهـد دارا (Darius) إلي أن البني السياسية المحلية قد تم الإبقاء عليها، أي الإعتراف بسلطة الـزعماء والقادة المحليين للشعوب المختلفة سواء أكـانوا يسـمون ملوكـاً (قـبرص،

فينيقيا) أو عاهل (بافلاجونيا) أو زعماء جماعات عرقية أو حكام مدن (سواء يونانيين أو بابليين)، ولقد كانالمرزبان هو المسؤول في كل مقاطعة من المقاطعات أمام الملك عن تحصيل وإرسال الجزية العامة التي تم تحديدها، ولكن يمكننا أن نفترض أيضاً أن كل ملك أو عاهل أو حاكم مدينة كان مسؤولاً بدوره عن تحصيل الجزء المقرر علي شعبه من المقدار الكلي للجزية؛ولقد كان يقع علي عاتقه مسؤولية تقسيم عبء الجزية علي التجمعات الفرعية التي يتكون منها الشعب الذي يمثله أمام السلطات المرزبانية، ولقد وفر هذا الإتفاق علي المرزبان الإنخراط بصورة مباشرة في التعقيدات التي تتضمنها عملية التوزيع الداخلي لمقدار الجزية فيما بين المجتمعات المختلفة التي تقع في الإقليم الذي يحكمه، وكان يضطر للتدخل بشكل مباشر فقط إذا لم توفي السلطات المحلية بإلتزاماتها.

ولكن هذا المنظور الإداري ينطبق فقط علي الشعوب التي يوجد لديها سلطات محلية معترف بها، أما في الحالات الأخري كانت تضطر السلطة المركزية إلي تحديد مقادير الجزية لكل وحدة من الوحدات الإجتماعية، ونحن نعرف علي سبيل المثال أنه قد تم دمج الكاريين مع شعوب أخري في النوم الثاني (الكتاب الثالث، فقرة 90)، ولكن هذا المجتمع تم تقسيمه بين مجموعة من الحكام المحليين، ولقد ذكر هيرودوت (Herodotus) أسماء أربعة منهم في حملة عام 480، ولقد أدي إهتمامه الشخصي بأرتيمسيا (Artemisia) ملكة هاليكارناسوس إلي تقديمه تفاصيل مهمة حولها:حيث كانت مطالبة بتقديم خمسة سفن من السبعين سفينة التي كان إقليم كاريا مطالباً بتقديمها (الكتاب السابع، فقرة 99)، ولا بد أن تقسيم الجزية فيما بين الجماعات الفرعية في إقليم كاريا قد تم وفقاً لأسس مشابهه لما حدث في أماكن أخري، وفي هذا المثال المحدد نعلم أن التقسيم لم يتم تحديده دون وقع خلافات وإضطرابات بين الحكام المحليين، لأنه كان علي السلطة المركزية التدخل .

ويشير أحد النصوص المتأخرة إلي أن تحصيل الجزية كان يتم تنقيذه بشكل إقليمي، وهذا النص هو نقش منيسيماخوس (Mnesimachus) الشهير والذي يذكر بالتفصيل العناصر التي كانت تتكون منها هدية (دوريا) تقع بالقرب من سارديس والتي تعود إلي الفترة الأخمينية، ويذكر النقش أن الجزية كانت يجب أن تدفع إلي كبير الياوران، ومن الواضح أن مصطلح كبير الياوران يشير إلي تنظيم عسكري إقليمي والذي عمل في هذه الحالة أيضاً كمقاطعة دافعة للجزية، ولكن التاريخ المتأخر لهذا النص يمنعنا من نقل المعلومات الموجودة به إلي الفترة السابقة، ولكن دعونا فقط نذكر أن أراضي الممالك القديمة قد تم تقسيمها في الغالب إلي مقاطعات إدارية فارسية جديدة وهي التي تسميها النصوص الآرامية «مدينة» في كل من مصر والبلاد التي تقع في إطار مرزبانية إبير ناري، ومن المحتمل أن هذا هو الوضع الذي أشارت إليه العديد من النصوص التوراتية التي تحدثت عن (120) أو (127) مدينة التي كانت تتكون منها إمبراطورية أهاسويروس (Ahasuerus) ، وسواء كنا نصدق هذا الرقم أم لا فإن هذه النصوص تشير إلي سعي الإدارة الأخمينية إلي تقسيم الإمبراطورية .

سجلات الأراضي الممسوحة في غرب آسيا الصغري:

بمجرد أن تم تقسيم الإمبراطورية لم يعد من الممكن إختزالها إلي مجرد مجموعة من وحدات القياس العرقية، ولقد كان من الضروري لتحديد مقدار الجزية القيام بإنشاء سجلات للأراضي الممسوحة (تسجيل الأراضي) أو علي الأقل تعليم الحدود بين الأقاليم المختلفة («بيريورسموس» بلغة موظفي المحفوظات والأرشيف في عهد الدولة السيلويسية)، ونحن متأكدين من أن هذا كان يتم في غرب آسيا الصغري علي الأقل بعد الإجراءات التي إتخذها أرتافرنيس (Artaphernes) في الفترة بين عامي 492/493 (أنظر فصل 5-12)، ولا يوجد شك في أن مثل هذا النظام كان موجوداً بالفعل في عهد دارا (Darius) ، ويمكن إستنتاج ذلك

علي سبيل المثال من عمليات مصادرة الأراضي في ملطية التي تمت عام 493 (هيرودوت (Herodotus) ، الكتاب السادس، فقرة 20)، ومن المحتمل أن الإدارة الملكية كانت تعتمد علي سجلات المسح السابقة وهو ما تقترحه إحدي الفقرات في مؤلف هيرودوت (Herodotus) حول الأراضي والحقول في ملطية (الكتاب السادس، فقرة 29)، ولكن في عهد الفرس كانت السلطات المرزبانية هي التي تقوم بتسجيل هذه الوثائق، وتشهد الأختام التي وجدت في داسيليوم والتي كان منقوش عليها إسم كسركسيس (Xerxes) علي وجود دور للمحفوظات هناك، ويجب أن نفترض أن سجلات الأراضي الممسوحة كانت تحفظ في ساردیس حيث كانت تعرف هناك في الفترة الهيلينية بـ«باسيليكاي جرافاي»، ولقد كان الشخص المسؤول عن إدارة شؤونها في ساردیس يعرف بـ«ببليوفيلاكس» والذي كان مسؤولاً عن تسجيل كل ما يتعلق بنقل ملكية الأراضي وخاصةً نقل الملكية الناتج عن تقديم الملك لإمتيازات ومنح الأراضي الملكية .

حالة إقليم بابل:

في حين أنه من الصحيح أن الإدارة الأخمينية كانت تعتمد أحياناً علي الوثائق المسجلة من فترات سابقة -وعلي وجه الخصوص في بلاد مثل بابل ومصر والتي كان لديها أنظمة للتسجيل والمحاسبة منذ وقت كبير- إلا أننا وعلي الرغم من ذلك يجب أن نتسائل عما إذا كان إدخال نظام الجزية الذي وضعه دارا (Darius) قد أدي إلي حدوث تعديلات حتي في حالة مصر وبابل، حيث أنه منذ اللحظة التي أدي فيها الفتح إلي حدوث عملية إعادة توزيع للأراضي يجب أن نقر أنه كان لزاماً علي الإدارة الأخمينية القيام بتحديث سجلات العقارات والتي كانت تعتمد عليها في فرض أنواع عديدة من الضرائب، وهناك حوالي (70) لوحاً يعود معظمها إلي بابل في عهد دارا (Darius) وتشير بشكل أساسي إلي

عمليات نقل ملكية للعقارات والأراضي وتحتوي بجانب النص علي خريطة تخطيطية للحقول التي تم بيعها أو نقل ملكيتها، ومثل هذا النوع من الوثائق ليس جديداً تماماً؛ولكن النقطة غير العادية فيما يخص هذه الوثائق هي إحتوائها علي معلومات غير موجودة عامة في المصادر الأخري ونقصد بذلك مقدار الغلال المطلوبة أو عدد أشجار النخيل المزروعة في حقل ما، ومثل هذه الوثائق الخاصة التي تم رسمها من قبل الأفراد وليس الإدارة يمكن أن يكون قد تم كتابتها فقط لتقديم ضمان للمشتري، وحيث أن مثل هذه الوثائق الخاصة كانت موجودة؛فإننا يجب أن نستنتج من ذلك أيضاً وبشكل قاطع وجود سجلات للأراضي الممسوحة في مدينة بابل وبالتأكيد في أماكن أخري من إقليم بابل .

هل من الممكن أن سجلات مسح الأراضي هذه لم تكن موجودة قبل الإصلاحات التي أدخلها دارا (Darius) علي نظام الجزية؟ إن هذا الإفتراض جذاب ويرجع ذلك ببساطة إلي التوزيع الزمني للألواح:حيث نجد أنها تعود إلي عهد دارا (Darius) ، ولكن التغير السريع وغير المتوقع في المجموعة الكاملة للالواح التي تتناول هذا الموضوع تجعلنا حذرين في إعطاء مثل هذا التأكيد، وعلي أي حال فإنه لا يوجد أدني شك في إدخال الفرس لنظام إداري مالي في إقليم بابل، حيث أننا نعرف بوجود خازن لبيت المال إسمه مثراداتا (Mithradata) منذ عهد قورش (Cyrus) ، ومن المحتمل أن الشخص الذي خلفه في شغل هذا المنصب كان فارسي كان إسمه «بجاسارو (Bagasaru) » والذي تكرر ذكر إسمه في الألواح البابلية فيما بين عامي 518-500 والتي كان يحمل فيها اللقب الآكادي «راب قصير» وأحياناً اللقب الإيراني «جانزابارا» ويشير كلا المصطلحين إلي وظيفة خازن بيت المال، وهكذا فلقد كان هذا الشخص هو المسؤول عن إدارة شؤون خزانة بابل، وكمدير كان لديه عدد ضخم

من الموظفين يعملون تحت يديه نظراً لسلطة الإشراف والسيطرة علي الأراضي التي منحته إياها هذه الوظيفة .

وتظهر أيضاً الألواح التي تشير إلي وجود مكتب للتسجيل الملكي (كارامارو سا ساري) الإلتزام بدفع ضريبة جديدة خاصة علي بيع العبيد والذي ظهر للمرة الأولي في عهد دارا (Darius) ويظهر الأصل الإيراني لهذه الكلمة بوضوح وهو (كارامارا) أن هذا الإبتكار المالي ظهر للمرة الأولي مع قدوم الإدارة الفارسية، ويشير إلي ذلك أيضاً المصطلح المالي المتخصص زيبيلو سا أوبياتا (تسليم الضرائب في صورة سلع عينية)، ونعرف الكلمة الأخيرة من كلمة «أوكبياتاس» الموجودة في برسيبولس وهي الكلمة التي من الواضح أن أصلها الفارسي هو «أوبایاتا»، وفي نفس الوقت «فإن ممارسة تسجيل المبيعات مثلها مثل الإبتكارات الأخري التي إستحدثها الحكم الأخميني قامت بالإختيار من بين الوظائف البابلية الموجودة وقامت بتكييف الأشكال الموجودة من السلوكيات القانونية وطرق التسجيل البابلية» ستولبر (91:79) (Stolper).

حالة مصر:

إن الممارسات والتقاليد البيروقراطية في مصر قديمة ومعروفة، ولقد كان حكام النومات (نومارك) هم الأشخاص المسؤولين تقليدياً عن تحصيل الضرائب العينية من الفلاحين، ثم كان يتم نقلها خطوة بخطوة إلي «مديري مخازن الغلال» والذين كانوا يقومون بنقلها في النهاية إلي خازن القصر، ونرغب في الإعتقاد بأن دارا (Darius) لم يكن مضطراً إلي تغيير إدارة مالية محترمة كتلك التي كانت موجودة في مصر مثلما فعل الإسكندر (Alexander) بعد ذلك بوقت طويل علي الأقل في البداية: حيث قسم الإسكندر (Alexander) أراضي مصر بالكامل فيما بين حاكمين إثنين للنومات (واللذان لم تكن لها أي علاقة مع حكام المقاطعات الرئيسية) ولكنه أمر «كليومينيس (Cleomenes) المنتمي إلي نوكراتيس فيما بعد

بالسماح لحكام النومات بأن يحكموا مقاطعاتهم بالتوافق مع الممارسات القديمة (كاثابر إك بالايو) وأن يقوم هو بنفسه بتحصيل الجزية (فوروي) منهم وأمرهم بأن يقوموا بدفعها له» (أريان) (Arrian) ، الزحف العسكري، الكتاب الثالث، 4-5)، والأهم من ذلك هو أن العديد من الوثائق الديموطيقية والتي يعود بعضها إلي فترة حكم دارا (Darius) ذكرت لقب «سنتي»، وينظر إلي هذا اللقب بشكل عام علي أنه كان يشير إلي الشخص الذي كان «مسؤولاً عن إدارة الحقول» أو الذي كان «يوجه كتبة الملك المسؤولون عن تسجيل كل شيء»، وبشكل ما كان «هؤلاء الموظفين رفيعي المستوي مسؤولين عن جرد الموارد والسيطرة علي مستوي الممتلكات وتقسيم عائدات المعابد ومرتبات الكهنة وتنظيم عملية تحصيل وتخصيص الضرائب لبيت الملك»، وكان نطاق سلطات ومسؤوليات السنتي يشمل مصر بأكملها، ولقد تمت ترجمة هذا اللقب باللغة اليونانية إلي كلمة «ديويكيتيس» وهو نفس اللقب الذي كان يعطي إلي وزير المالية في الفترة البطلمية، وعلي أي حال فإن يبدو أن الإدارة الفارسية قد إقتبست هذه المؤسسة التي أنشأها فراعنة أسرة سايتي ووظفتها لخدمة أغراضها ولكننا لا نستطيع الجزم حول ما إذا كان الفرس قد إقتبسوها كما هي دون تغيير أم أنهم قد عدلوا فيه ليتلائم مع أغراضهم.

وفي النهاية فإنه توجد شواهد علي قيام الأخمينيين بتسجيل الأراضي بما فيها الإمتيازات المقدمة من الملك لمن يقدمون خدمات له، فعلي سبيل المثال يشير قيام السلطات الفارسية بالتدخل القضائي في مرات عديدة إلي وجود سجل رسمي لإمتيازات ومنح الأراضي، وتحمل أحد الوثائق علي وجه الخصوص تأكيداً علي ذلك، حيث طلب «بامون (Pamun) » وهو أحد المصريين أن يتم منحه قطعة من الأرض كهدية (باجا) وهي الأرض التي كانت ملك أبيه الراحل سابقاً، ورد عليه المرزبان أرساما (Arsama) بأنه سوف يلبي طلبه إذا كانت «تلك المزرعة

التي كان يملكها أبو بـامون (Pamun) - والتـي يبلـغ إنتاجهـا 30 أردب- مهجـورة أو لا يملكها أحد، أما إذا كانت جزء من أرضه (أرساما (Arsama)) أو إذا كان قد أعطاها إلي أي شخص آخر من خدمه فلن يستطيع فعل ذلك»، وتثبـت الإحتياطـات التـي إتخـذها أرساما (Arsama) والتي تتجلي لنا من خلال هذه الجمل الشرطية أنه قـد أمـر موظفـه بالتأكد من أحقية بامون (Pamun) في هذه المزرعة وهو ما يتضمن وجود سجل تـدون فيه الأنواع المختلفة من الأرض، وتذكرنا عبارة أرساما (Arsama) بالرسـالة التـي أرسـلها الملـــك الســـيلويسي أنتيوخـــوس (Antiochus) الأول إلي قائـــد جيشـــه مليـــاجروس (Meleagrus) والتي يأمره فيها بإعطاء أرسطوديسيديس (Aristodicides) المنتمي إلي أسوس منحة من الأراضي: «وهكذا سوف تقـوم بـإجراء إستقصـاء عـما إذا قـد تـم مـنح أراضي بترا إلي شخص آخر»، ولقد تبين أن «بترا هي والأراضي المجاورة لها قد تـم منحهـا للتو إلي أثينيوس (Athenaeus) »، وإنـه لمـن شـبه المؤكـد أن هـذا الإستقصـاء قـد تـم إجرائـه في الأرشـيف الملـكي الموجـود في سـارديس (باسـيليكاي جرافـاي) بالمقارنـة مـع السجلات المعروفة في إقلـيم بابـل في الفـترة الأخمينيـة، ومـن المؤكـد أنـه كانـت توجـد مؤسسة من هذا النوع في مصر أيضاً: حيث يمكننـا التعـرف عليهـا مـن خـلال المصـطلح «ست-سسوا» الذي كان يستخدم للتعبير عـن السـجلات والمحفوظـات والـذي وجـد في نـص الهبـات في إدفـو وفي «سـجلات الكاتـب الملـكي للقـوائم» المـذكورة عـلي «بلاطـة المرزبان»: «وفي الأوقات التي تلت ذلك إستخدمت كلمة (مكان الكتابات) للاشـارة عـلي وجـه الخصـوص إلي دار المحفوظـات حيـث كانـت تحفـظ الوثـائق المتعلقـة بصـفقات الأراضي»، ومـن الواضـح أن وظيفـة «الببليوفيلاكيـون» التـي عرفـت في مصر في العهـد اليوناني والروماني كانت تمثل الوظيفة التي خلفت وظيفة الكاتب الملكي للقوائم.

الأوزان والمقاييس:

لا بد أن نذكر أن قد تم إستخدام مقياس «الأردب» للمرة الأولي في مصر في عهد دارا (Darius) الأول وهو مقياس للسعة من أصل فارسي (هـيرودوت (Herodotus) ، الكتـاب الأول، فقرة 192) ولكننا نعرفه أيضاً من المصادر اليونانية ومن الألـواح الإيلاميـة الموجـودة في برسيبولس، ولقد كان يتم قياس الأقوات التـي يـتم إرسـالها إلي الحاميـة في جزيـرة فيلـة بالأردب، ولقد كانت مساحة الأرض أو مقـدار المحصـول يقاسـان أيضـاً بإسـتخدام الأردب، وبالإضافة إلي ذلك توجد إشارة في وثائق سقارة إلي «الماريس» (الكلمة الآرامية المقابلـة لـه هي «مري») وهو مقياس لسعة السوائل مشهور في برسيبولس كما أنـه غالبـاً مـا يظهـر في النصـوص اليونانيـة ككلمـة مسـتعارة «مـاريس» ويمكننـا أن نخمـن مـن ذلـك أن إدخـال مصطلحات فارسية متخصصة إلي مصر يتماشي مع التغيرات التي طرأت عـلي الحـدود، وفي الحقيقة فإنه يبدو أن كلمة أردب كانت تنطبق علي أحد المقـاييس المصريـة القديمـة وهـو «الخار»، ونستطيع الجزم بـأن الرسـوم والتقـديرات تشـير إلي إنخفـاض ملحـوظ في القيمـة النسبية للمقياس الأخير، وكنتيجة لذلك فنحن نتسائل عما إذا كان إدخال الأردب كمقيـاس هو مرتبط مع فرض الجزية عـلي مصر في عهـد دارا (Darius) ، وهـذه الجزيـة الفرعونيـة التي كان يدفعها الفلاحون بالتوافق مـع المقيـاس الملـكي الجديـد قـد زادت قيمتهـا نتيجـة لمجرد إستخدام هذا المقياس، ومهما كان الحال فمن المهم التأكيـد عـلي أن إدخـال مقيـاس الأردب لم يكن مقتصراً علي مصر فقط: حيث أنـه كان يوجـد أيضـاً في إقليـم بابـل خـلال عهــد قمبيــز (Cambyses) ، ويظهـر نقـش منيسـيماخوس (Mnesimachus) كـان يـتم تقدير الحدائق والرياض في منطقة سارديس في أواخر الفترة الأخمينيـة بالتناسـب مـع كـم أردب من البذور تحتاجها لتغطية مساحتها بالكامل .

وتشير الوثائق الآرامية أيضاً إلي معايير للوزن، فعلي سبيل المثال تستخدم سلفة مقدارها (4) شيكل إلي «معيار ملكي»، وكان يتم تقييم مبلغ مقداره (4) كار ومبلغ آخر مقداره (4) كار و(2) شيكل بإستخدام المعيار الملكي ولقد كان لزاماً علي الموظفين المسؤولين عن المخازن تقديم مواد (خارصين، كبريت) «بإستخدام معيار الوزن الفارسي»، ونستطيع أن نجزم بأن إدخال الأوزان الفارسية لم يؤدي إلي إختفاء المعايير الأخري، فلقد تم سرد أحد القروض التي تم تقديرها «بإستخدام معيار بتاح (Ptah) »، ولقد إلتزم المقترض برد قيمة القرض «من راتبه الذي يدفع له في صورة فضة من الخزانة الملكية»، ولكن النص يحدد أيضاً التقابل بين أوزان بتاح (Ptah) والأوزان الفارسية، واذا كان يتم دفع الجزية إلي المرزبان في صورة فضة موزونة؛ فلا بد أن هذا قد تطلب معايير للوزن غير قابلة للجدال أو الشك، ولقد وجدت أوزان عديدة منقوش عليها إسم دارا (Darius) في صوصا وهناك أوزان أخري مطبوع عليها إسم دارا (Darius) أيضاً وجدت في برسيبولس، وتتنوع هذه الأوزان من (1) كار (ما يعادل 10 شيكل) إلي (70) كار (ما يعادل 10 ألمينا)، ولقد وجدت أوزان أخري في مناطق عديدة من الإمبراطورية مثل أوزان الأسد في أبيدوس (تعادل 1 طالن) والترابيزوس، ولا يوجد أدني شك في أن هذه الأوزان كانت تستخدم لقياس وزن الجزية.

ويؤكد كلا المثالين المصري والبابلي ما سبق أن إقترحته التحليلات السابقة بقوة وهو أننا لا نستطيع أن نختزل التأثير الذي خلفته عمليات إعادة التنظيم التي قام بها دارا (Darius) إلي مجرد تقابل منطقي بسيط مع العناصر الموجودة سابقاً، وعلي الرغم من ضخامة المساهمات والإنجازات التي قام بها أسلافه إلا أنه من الواضح إلي حد ما أن الملك الجديد قد تمكن من دمج جميع ما إكتسبه وورثه منهم في نظام مترابط يتسم بالكفاءة، وعلي الرغم من إحتفاظ دارا (Darius) بالمقياس العرقي، إلا أن

هـيرودوت (Herodotus) كـان عنـده مـا يكفـي مـن المـبررات عنـدما وصـف تنظيمـه للجزية بأنه أحد أبرز الدلالات علي قوته الإقليمية.

7- إقتصاد الجزية وتخصيصها:

الأراضي الملكية والأراضي التي تفرض عليها الجزية:

من وجهة نظر المؤلفين اليونانيين كان نظام الجزيـة قائمـاً بالفعـل عـلي عمليـة تخصيص مهولة للأراضي والشعوب مشتقة من نتائج عمل الفلاحـين، وهـذا هـو أحـد موضوعات زينوفون (Xenophon) المفضلة؛ حيث أنـه قـام في مـرات عديـدة بـذكر الحقوق غير المحدودة للفاتحين علي الشعوب والأشياء الخاضعة لهم، ومن الواضح أن الأيدولوجيـة الإسـتعمارية الأخمينيـة كانـت تنظـر إلي جميـع الأراضي المفتوحـة دون إستثناء علي أنها تخضع لسلطتها، وهذا هو ما تعنيه كلمة «بـومي»، ولقـد ذكـر كـل مـن مـاردونيوس (Mardonius) وأرتـايكتيس (Artayctes) كسركسـيس (Xerxes) بذلك بإستخدام نفس الكلمات بالضبط، حيـث نصـح الملـك بشـن حملـة عـلي ضـد اليونانيين رداً علي ما فعلوه «حتي لا يفكر أي شعب آخر في المستقبل في غزو بلادك» (هــيرودوت (Herodotus) ، الكتــاب الســابع، فقــرة 5)، ولقــد بــرر أرتــايكتيس (Artayctes) قيام الفرس بنهب مقبرة بروتيسـيلوس (Protesilaus) وتيمينـوس كـما يلي: «لقد كان أحـد اليونـانيين الـذي قـاموا بغـزو بـلادك (كسركسـيس (Xerxes))»، ويمكـن أن نقـول مثـل ذلـك فـيما يتعلـق بأهـداف الرابطـة الديليـة كـما حـددها ثيوسيديدس (Thucydides) : «لقد كان هدفهم المعلن يتمثل في الإنتقـام لمعانـاتهم عن طريق سلب وتدمير بلاد الملك» (هي باسيليوس خـورا، الكتـاب الأول، فقـرة 96-1)، ومن تعريفها فـإن «الأراضي الملكيـة» (بـالمعني العـريض للكلمـة) يجـب أن يـتم الحفاظ عليها من «الجيوش المعادية» كما صرح دارا (Darius) بنفسـه بوضـوح، أمـا

الأراضي التي تم إحتلالها فتقع ضمن طائفة «الأراضي المعادية»، وتوضح العديد من الأمثلة أنه من وجهة نظر اليونانيين كانت الملك يمارس سلطته بدون تفرقة علي جميع الشعوب التي كان يحصل منها الجزية والتي كانت نفسها أوضح مثال علي الخضوع، وهكذا فإنه من السهل إدراك كيف برر الفاتح مطالبته بما هو ملكه، وبنفس هذه الطريقة قال الإسكندر (Alexander) إلي دارا (Darius) الثالث: «إن البلد ملكي (كاي تن خوران إخو)، لقد أعطتها لي الآلهة» (أريان) (Arrian) ، الكتاب الثاني، فقرة 14-7)، ومن تلك اللحظة فصاعداً صار الإسكندر (Alexander) سيداً (كريوس) علي كل ما كان تحت يد دارا (Darius) الثالث من أراضي وممتلكات (الكتاب الثاني، فقرة 14-9)، فلقد أصبح «سيداً (كريوس) علي آسيا كلها» مثلما كان دارا (Darius) الأول من قبل، وبهذا المعني فإنه «أينما يكون البيت الملكي تكون الإمبراطورية» (راجع ثيوسيديدس (Thucydides) ، الكتاب الأول، فقرة 129-3).

السدود ذات البوابات التي أنشأها الملك الأكبر وقنوات الهركانيين:

تتسم النصوص اليونانية بأنها دعائية إلي حد لا يسمح لنا بأن نقبلها بدون الإعتماد علي نوع آخر من التحليل، دعونا نعود إلي هيرودوت (Herodotus) الذي كتب يقول:

«هناك سهل في آسيا تحيط به حلقة من التلال والتي تقسمها الشقوق إلي خمس أماكن منفصلة، ولقد كانت قطعة الأرض هذه فيما مضي ملك للخوارزميين أنفسهم وللهركانيين وللبارثيين وللسارناجيين والثمانائيين، ولكن منذ وصول الفرس إلي السلطة (إخوسي تو كراتوس) أصبحت هذه الأرض من ممتلكات الملك الأكبر ولقد إنبثق نهر كبير في مكان ما في حلقة التلال هذه والذي كان يسمي بنهر «أسس» والذي كان فيما مضي يزود القبائل الخمسة التي ذكرت أسمائها بالماء حيث أنهم قاموا

بتقسيمه إلي خمس قنوات يتدفق كل منها خلال ممر أو مجـري خـاص، أمـا الآن وبعـد أن أصبح الفرس هم أسياد هذه البلاد، وجدت كل هذه الشعوب نفسها في مأزق خطـير حيث سد الملك هذه القنوات وأنشأ سد ذو بوابات لإحتواء تدفق الماء وهو ما نتج عنـه أن ما كان في السابق سهل أصبح الآن بحيرة كبيرة، ومع أن النهر كان يتدفق كما هـو إلا أنه لم يعد عنده أية وسيلة للخروج، ولقد كانت نتيجة ذلـك كارثيـة بالنسـبة للاشـخاص الذين كانوا يعتمدون علي هذا النهر كمصدر للماء والذين حرموا منه الآن، ومن المؤكـد أنهم في الشتاء كانوا يحصلون علي الماء من المطـر مـثلهم مثـل أي شـعب آخـر ولكـنهم كانوا محتـاجين إلي مـاء النهـر عنـدما كـانوا يبـذرون الـدخن (الجـاورس) والسمسـم في الصيف، وعندما كانوا لا يجـدون المـاء كـانوا يرتحلـون برفقـة زوجـاتهم إلي بـلاد فـارس وكانوا يقفون أمام بوابات قصر الملك حتي يصـدر الملـك أوامـره بفـتح بوابـات السـدود والسماح للماء بالتدفق تجاه القبيلة التي كانت تحتاجه أكـثر مـن غيرهـا، ثـم وبعـد أن تشرب الأرض كفايتها من الماء كان يتم غلق بوابات السد تلك، وكـان الملـك يـأمر بفـتح البوابات الأخري لتروي كل قبيلة من القبائل الباقية أرضها بدئاً بـالأكثر إحتياجـاً فـالأكثر فالأكثر» (الكتاب الثالث، فقرة 117)

لا يجب أن نأخذ قصة هيرودوت (Herodotus) بـالمعني الحـرفي لهـا، حيـث أن القصص الشفوية التي سـمعها مـن الواضـح أنـه قـد تـم تطعيمهـا في أسـاطير السـيادة الهندية/الإيرانية (بما فيها الأخمينية) والتي كان يحتل الماء فيهـا مكانـة مركزيـة (راجـع فصل 5-6)، وبنفس الطريقة فإن الإحتفال الهندي بالسنة الجديدة والـذي تـم تنظيمـه حول مصارعة البطل المقدس للتنين الذي حجز الماء وراء قلعته وترك البلاد المحيطـة بـه جدباء وجافة، ولقد أدي إنتصار البطل إلي تحرير الماء من الجدران التي سـد بهـا التنـين مجري الماء .

ولكننا يجب أن نؤكد أيضاً علي حقيقة أن فقـرة هـيرودوت (Herodotus) هـذه كانت مرفقة كجزء من القسم الـذي يتنـاول فيـه مسـألة الجـزي، فبعـد تقديمـه لقائمـة بأسماء الدول الدافعة للجزيـة (الكتـاب الثالـث، فقـرات 89-98)، قـام بتنـاول الحـدود الإقليمية لسلطة الملك الأكبر تجاه الهند (الكتاب الثالث، فقرات 98-105) التي يصـنفها من ضمن «أبعد المناطق في العالم» (الكتاب الثالـث، فقـرة 106)، ثـم نحـو الجنـوب أي بلاد العرب (الكتاب الثالث، فقرات 107-113) وتجاه إثيوبيا والتي يصـفها بأنهـا «أبعـد البلاد المأهولة بإتجاه الجنوب الغربي» (الكتاب الثالث، فقرة 114)، وأخيراً بإتجـاه أراضي الغرب (الكتاب الثالث، فقرات 115-116)، ثم تأتي الفقرة حـول السـدود ذات البوابـات التي أنشـأها الملـك الأكـبر، وهكـذا فإنـه مـن الواضـح أن هـذا المثـال مـن وجهـة نظـر هيرودوت (Herodotus) يوضـح يوضـح مـدي قـوة دارا (Darius) ونتـائج الفتوحـات الفارسية وتأثيرها علي إسلوب حيـاة الشـعوب الخاضـعة وتنظيمهـا الـداخلي، فبعـد أن يتحقق الفتح تصبح الأرض «ملك للملك».

ولم يؤدي الفتح الفـارسي فقـط إلي فـرض الجزيـة، ولكـن الملـك الأكـبر أصـبح منـذ لحظة الفتح مسيطراً علي الماء والذي كان يمثل العامـل المحـدد للانتـاج في المنـاطق التـي تعتمد علي الري، وبصياغة أخـري فلقـد أصـبح الملـك منـذ ذلـك الحـين هـو المـتحكم في تخصيص الماء في المجتمعات المختلفة والتي كما يمكننـا أن نفـترض قـد قامـت في السـابق بعقد إتفاقات خاصة بهم تنظم حصولهم علي الماء، ولكن في هذه الحالة كانـت السـيطرة الملكية علي مصادر الماء تمثل عبئاً مرهقاً بوجه خاص؛حيث أنـه كـان عـلي السـكان دفـع ضرائب خاصة لكي تكون قادرة علي إستخدام المـاء لـري أراضـيهم؛وهذه الضرائـب كانـت تدفع بالإضافة إلي الجزية (باريكس تـو فـورو) ولقـد أشـار هـيرودوت (Herodotus) إلي

إعتمادهم وتبعيتهم للملك وذلك من خلال تصويره لهـم كمبتهلـين جـاءوا مهـرولين إلي بوابات القصر مثل عامة الناس الذين يملئون حجرة الإنتظـار قبـل حصـولهم عـلي الإذن بمقابلة الملك الأكبر أو أحد المرزبانـات، وبـالرغم مـن أن هـيرودوت (Herodotus) قـد قدم روايته في شكل قصة تعليمية ملكية؛إلا أنها تعرض الوضع الحقيقي الذي كان قائمـاً في ذلك الوقت:حيث أن تعميق وترسيخ السيطرة الفارسية علي الشعوب الخاضـعة لهـم مضي يداً في يد مع تطور إقتصاد الجزية والذي كان يمثل القوة الدافعة خلـف تخصـيص الملك للأراضي .

ولقد أكد بوليبيوس عـلي الصـلة بـين السـيادة الفارسـية والسـيطرة عـلي حقـوق إستغلال المياة في فقرته الشهيرة التي تتناول القنوات التـي شـقها الفلاحـون الهركـانيون: «في الوقت الذي كان فيه الفرس هم حكام آسيا (برساي تيس أسياس إيبيكراتون)، قاموا بإعطاء الحق لهؤلاء الذين نقلوا مصدراً للتزود بالماء إلي أماكن لم تكن تروي من قبـل في زراعة أراضيهم لمدة خمس أجيال» (الكتاب العاشر، فقرة 28-3)ويوضح هذا الـنص مـن بين أشياء أخري العلاقـة القويـة السـيادة الإقليميـة (حـق الغـزو) وحقـوق الفلاحـين في الأراضي والمياه، وفي هذه الحالة فإن حقوق المجتمعات الريفيه لا تنبـع مـن كـون هـذه الأراضي تقع ضمن طائفة «الممتلكات» ولكنها تنبع فقط من الإمتيازات التي منحها لهم الملك للقيام بإستغلال إنتاج هذه الأراضي (كاربويسـاي) لفـترة طويلـة ولكنهـا محـددة، وتشير النصوص بوضوح إلي أن الغزو الفارسي لم يؤدي إلي مصادرة عامة لـلأراضي ولكنـه أدي من خلال الجزية والضرائب إلي سيطرة الملك علي وسائل الإنتـاج وإسـتحواذه عـلي جزء من المحصول.

الأراضي الملكية وأراضي الإمتيازات:

كان يتم إستقطاع قطع الأرض صاحبة الإمتيازات من الأراضي الملكية وإعطائها كهدية (دوريا، باجا، داسنا، نيدنتو ساري) إلي الأشخاص المقربين والمحببين لدي الملك أو أقاربه أو إلي المستعمرين (سواء أكانوا من العسكريين أم لا)، وهذا هو مضمون النص الهيليني الذي يفصل شروط أحد إمتيازات الأراضي والذي تم إعطائه إلي رجل إسمه أرسطوديسيديس (Aristodicides) من أسوس؛فلقد حصل علي هدية «دوريا» كان الملك قد تنازل عليها في السابق إلي شخص آخر، ولقد كانت هذه الهدية تتمثل في أراضي ملكية (خورا باسيليكي)، وتظهر هذه الصيغة أن الإمتيازات الملكية في المبدأ كان يمكن إسترجاعها، وأحد الأمثلة الواضحة بشكل خاص علي الإمتيازات الملكية التي تم إسترجاعها يظهر لنا في حالة أخري وهي حالة هدية «دوريا» منيسيماخوس (Mnesimachus) والتي كانت تقع بالقرب من سارديس، ومن الواضح أن هذه الحالة تعود إلي الفترة الأخمينية، فلقد إقترض منيسيماخوس (Mnesimachus) مبلغ كبير من هيكل أرتميس، وكتب ضمانة علي تسديد هذا الدين تمثلت في المحصول الذي تنتجه الأرض التي منحها له الملك، ولقد وضع مدراء معبد أرتميس في إعتبارهم أن الملك (أنتيجونس Antigonus) قد يسترجع هذه الأرض، ولقد كان هذا من الضروري لأن الأرض كانت لا تزال تقع ضمن طائفة الأراضي الملكية (سارديس، الكتاب السابع، فقرة 1-1) .

ولقد أكدت العديد من الوثائق الآرامية التي إكتشفت في مصر وجود هذه الممارسة المتمثلة في منح إمتيازات إستغلال الأراضي الملكية، فعلي سبيل المثال نحن نعرف بوجود قطع الأرض الخاصة بالعسكريين في جزيرة فيلة والتي تذكرنا بنظام الهاترو البابلي، وبالإضافة إلي جرايات الجنود التي كانت تقدم إليهم في صورة سلع عينية (بتب) وفي صورة

فضة (برس) والتـي كـان يـتم الحصـول عليهـا مـن المخـازن الملكيـة، كـان لـدي الجنـود المستعمرين في فيلة قطع من الأرض خاصة بهم، وتظهر أقدم الوثائق التي تعود إلي عام 495 أن قطع الأرض هذه (منت) قد خصصتها الإدارة إلي الجنود -أحياناً في صور أجـزاء- ولقـد كانـت تقـع عـلي عـاتق الإدارة مسـؤولية الفصـل في أي دعـوي ترفـع إليهـا بهـذا الخصــوص، وفي عهــد أرتاكسركســيس (Artaxerxes) (الأول أو الثــاني) قــدم أحــد المستعمرين نفسه بهذه الطريقة: «مالكية؛آرامي يمتلك أرض في حصـن فيلـة»، وتسـجل أحد الوثائق الأخري التي تعود إلي عهد أرتاكسركسـيس (Artaxerxes) الأول نزاعـاً نشـأ بين أحد المستعمرين وإمرأتين، حيث يشكو هذا المستعمر إلي السـلطات الفارسـية مـن أن المرأتين لم تدفعا المال اللتان تدينان له به مقابل إستخدامهم للحقل الذي يقول عنـه «إن شركتنا (دجـال) كانـت تسـيطر عليـه منـذ السـنة (24) إلي السـنة (31) مـن حكـم «أرتاكسركسيس (Artaxerxes) »، وتشير كلمة «مهاهسـين» رسـميًّا إلي أن قطـع الأرض هذه لم تكن من الممتلكات الخاصة لصـاحب الإمتيـاز، ونشـك في أنـه كـان يـتم العمـل بنظام مماثل في منف؛حيـث تشـير أحـد أوراق الـبردي في سـقارة إلي «حقـول الحاميـة» (هايلا) والتي كان يدفع جنود الحامية جزية مقابل إسـتغلالها، ولقـد تكـرر نفـس هـذا الموقف مع البحار الذي كان «يسيطر» علي قـارب ملـك لـلإدارة، وفي وثيقـة أخـري قـام بتوسـيريس (Petosiris) المصري إبـن بـامون (Pamun) -وهـو السـائس المسـؤول عـن إسـطبل الخيـول الخـاص بالمرزبـان أرسـاما (Arsama) - بإحضـار شـكوي إلي أرسـاما (Arsama) ولقد ذكر بتوسيريس (Petosiris) المرزبـان فيهـا بـأن والـده قبـل أن يلقـي مصرعه في «فترة الإضطرابات» كان يسيطر علي ضيعة، ثم قام بتقـديم الإلـتماس التـالي: «أعطني الآن ما كان ملكاً لأبي، مرهم بأن يمنحوها لي، واطلـب منـك أن أكـون مسـيطراً عليها»، أحد الأشياء التي يظهرها هذا النص هـو أن المرزبـان كـان بإمكانـه التنـازل عـن

أراضي كهدايا؛ولكن الأراضي مـن هـذه النـوع ظلـت ضـمن طائفـة «السـيطرة» ولـيس «التملك»، ولقد كان من بين المسؤوليات المفترضة للوريث أن يطلب تأكيد المنحـة التـي تم منحها من قبل إلي المورث .

وأقدم الوثائق الآرامية (بردية باور مايسنر Bauer Meissner) هـي أيضـاً مثـيرة ومهمة للغاية، وتعود هذه الوثيقة إلي السـنة السـابعة مـن حكـم دارا (Darius) الأول (عام 515) وقد كتبت في مكان ما من الهبه (تويزوي)، وهي عبارة عن عقد بين شـخص مسيطر علي أحد الحقول إسمه بادي Padi وفلاح إسمه أها Aha ؛ومـن المحتمـل جـدًّا أن بادي Padi كان عضواً في أحد المجتمعات الآرامية أو التي تتحدث الآرامية علي الأقل والتي قد تم إنشـائها في الواحـة إمـا في عهـد فراعنـة أسرة سـايتي Saite أو بعـد الفـتح الفارسي، أما «أها Aha » فكان أحد أبنـاء الشـعب المصري، وبموجـب هـذا العقـد قـدم بادي Padi الأرض بينما كان علي أها تقـديم البـذور والأدوات والجهـد الـلازم لزراعتهـا، ولقد وافق الطرفان علي التشارك في المكسب وفي الخسارة، ويصف بادي حقله الآن بأنه كان «قطعة من الأرض منحه له الملك»، وبالإضافة لذلك أرفقت بالعقد فقـرة إشـتراطية تنص علي أن العقد يكون صالحاً فقط إذا وافـق عليـه الملـك (أو إذا لم يعارضـه)، وهـذا يشير بوضوح إلي أن الشخص الذي كان يمنح إمتياز إستغلال قطعـة مـا مـن الأرض كـان يحق له إستخدام الأرض بشـكل جـزئي فقط؛فعنـدما بعطـي الملـك أحـد الأفـراد إمتيـازاً بإستغلال قطعة ما من الأرض فهو لا يلغي بذلك حقوقه عليها، ولقد كـان وضـع قطعـة الأرض التـي منحـت لبـادي Padi مشـابهاً لوضـع قطـع الأرض التـي منحـت للجنـود المستعمرين في فيلة .

دارا (Darius) وجاداتاس (Gadatas) ، الإسكندر (Alexander) وبريين:

بالرغم من كل الأمثلة التي تم ذكرها بالأعلي، إلا أنه مازال من الضروري أن نذكر أنفسنا بـأن مفهـوم ومـدي إتسـاع الأراضي الملكيـة الفارسـية هـما أمـران مـن الصـعب فهمهما، حيث أنه من ناحية لم يستخدم نص واحد من النصوص الأدبية اليونانيـة تعبـير (باسـيليكي جـي) أي الأراضي الملكيـة أو (خـورا باسـيليكي) الممتلكـات الملكيـة لوصـف الأراضي الملكية الأخمينية بالمعني المستخدم هنا، ومن الناحيـة الأخـري فإنـه مـن المهـم التأكيد علي أهمية الرسالة التي أرسلها دارا (Darius) إلي جاداتـاس (Gadatas) والـذي من المحتمل جدًّا أنه كان المدير المسؤول عن الضيعة الموجودة بالقرب من مغنسيا عـلي نهر The Meander :

«لقد قمت بإخضاع البستانيين المقدسين إلي الجزية (فوروس) وأمرتهم بالعمل في الأراضي الدنيوية (خورا ببيلوس)».

في هـذا الرسـالة التـي يـوبخ الملـك فيهـا عاملـه، أشـار الملـك بوضـوح شـديد إلي طائفتين من الأراضي وهما الأرض التي يملكها الهيكل (والتي تسميها النصوص الهيلينيـة بـ«هييرا خورا») و«الأراضي الدنيوية»، ولقد تم وصف النوع الثاني بوضوح أكبر في فقـرة أخري من هذه الرسالة، حيث يهنيء دارا (Darius) جاداتاس (Gadatas) عـلي الجهـد الذي بذله في زراعة وإستصلاح الأرض «التـي تقـع ضـمن ممتلكـات الملـك» (تـين إمـين جين)، ولقد وجد نفس هذا التعبير في رسـالة وجهـت مـن الإسـكندر (Alexander) إلي مدينـة بـريين في عـام 334؛ والتـي يميـز فيهـا الملـك بـين طوائـف عديـدة مـن الأراضي والسكان:حيث أن أراضي هذه المدينة (والتـي كانـت معافـاة مـن الضريبـة العسـكرية: سنتاكسس) وبعض الأراضي الأخري المجاورة والذين كان يخضع سكانهم (كاتويكونتس) إلي الجزية (فوروي)، وفيما يتعلق بهذه الطائفـة الثانيـة ذكـر الإسـكندر (Alexander) مؤكداً: «أنا أعـرف أن هـذه الأرض ملـكي»، وبالإضـافة إلي حقيقـة أنـه يوجـد تشـابه في

المفردات الموجودة في كل من هاتين الرسالتين وفي تصريحات ماردونيوس (Mardonius) وأرتايكتيس (Artayctes) (هيرودوت (Herodotus) ، الكتاب السابع، فقرة 5)، وكلا الرسالتين تمثلان بشكل خاص مصدر غني للمعلومات نظراً لكونهما صادرتين عن المستشارية الملكية .

ومن خلال إجراء مقارنة بين هاتين الوثيقتين يمكننا أن نصل إلي إستنتاجين:الأول يتمثل في أن أراضي تلك الضيعة وهي الشيء الذي لم نكن متأكدين حوله تماماً كانت تقع ضمن ما تسميه النصوص الهيلينية بالأراضي الملكية (خورا باسيليكي)؛ والثاني هو أن قيام الملك بتخصيص الأراضي إلي الأشخاص لا يعني أن جميع أراضي الإمبراطورية قد صارت من ممتلكات الملك (بالمفهوم الروماني لكلمة ممتلكات)، حيث أن الغزو لم يؤدي إلي عملية مصادرة عامة ومفاجئة للأرض؛ولقد إستمرت الشعوب في تملك أراضيهم التقليدية (وفقاً لمعاييرهم المحلية)؛ولقد إعترفت الإدارة الفارسية بالحدود المتعارف عليها للقري والمدن والجماعات العرقية والهياكل أو الممالك وجعلت من هذه الحدود الأساس الذي فرضت بناءاً عليه الضرائب، وعند مناقشتنا لتخصيص الأراضي لا يجب أن ننظر إليها علي أنها حقوق بالتملك ولكن علي أنها رمز لسيطرة الملك المباشرة أو غير المباشرة علي الإنتاج والمنتجين .

فبعد القضاء علي إحدي الثورات كان من الممكن أن يقوم الملك الأكبر بمصادرة الأراضي وإعادة توزيعها حسبما يتراءي له، ولقد حدث هذا في منطقة أتارنيوس والتي تم منحها إلي كيوس في حوالي عام 545 (هيرودوت (Herodotus) ، الكتاب الأول، فقرة 160)، ولقد حدث هذا الأمر أيضاً مع أراضي ملطية في عام 493 (خورا بوليتيكي): «حيث إستعمر الفرس أنفسهم الأراضي التي تقع بجوار المدينة مباشرة وباقي

الأراضي الصالحة للزراعة التي تملكها هذه المدينة أما المنطقة الداخلية الجبلية فلقد تـم إعطائهـا إلي الكـاريين مـن سـكان بيداسـوس» (هـيرودوت (Herodotus) ، الكتـاب السـادس، فقـرة 20)، وهكـذا فإننـا نـري أن الملـك يسـتطيع إعطـاء أراضي إضـافيه مـن الأراضي التي تمت مصادرتها سابقاً لأحد الشعوب أو المدن التـي تسـتحق ذلـك، وتوجـد شواهد عديدة علي عـلي مـنح الأراضي في الفـترة الهيلينيـة، وتشـير منحـة الأراضي التـي قدمها الملك الأكبر إلي إسـمونازار Esmunazar ملـك صـيدا (أنظـر فصـل 12-3) إلي أن هذه الممارسة نفسها كانت موجودة في الفترة الأخمينيـة، وإحتفـاظ المـدن أو الأفـراد أو المجتمعات بممتلكات خاصة لم يتعارض مع حق الملك في إسـتخدام أراضي الإمبراطوريـة، ويمكننا القول بأن جميع الأراضي الزراعية كان من الممكن أن يتم سحب حق إسـتغلالها ممن أعطيت له، وفي أغلب الحالات لم يكن لدي الملك أي نية في مصـادرة الأراضي التـي سحب حق إستغلالها وهكذا فإن هذا الإمتياز الملـكي ظـل عـادةً نظريًـا، ولكـن الجميـع كانوا يعلمون أن هذا الإمتيـاز سـوف يـتم إسـتخدامه بـدون تـردد في حالـة قيـام أحـد الأشخاص أو الشعوب بتصرف يتم عن التمرد أو عدم الولاء.

الأراضي المنتجة الخاضعة للجزية وأراضي التاج:

لـكي نمضي في حـديثنا يجـب أن نعـود أولاً إلي أرسـطو المزيـف (Pseudo-Aristotle) مؤلف كتاب «أوكونوميكا»، ففي بحثه القـيم ميـز وركـز رسـميًا عـلي نوع من الرسوم التي يتم تحصيلها تحت مسـمي «الجزيـة»، وفي الحقيقـة يكتـب فيما يتعلق بإيصالات ونفقات المنتجات التي يتم إدارتها مبـاشرة مـن قبـل الإدارة الملكية فيقول بأن «المرزبانات كانوا يتسلمونهم كـ(تاجي)» (الكتـاب الثـاني، فقـرة 3-1)، إن هـذه الكلمـة هـي كلمـة صـعبة والتـي فهمهـا أحـد اللغـويين اللاحقـين (هسشيوس Hesychius) علي أنها تعني «الهدية الملكية وكل المستلزمات الحياتيـة»،

ويجب أن يتم فهم كلمة دوريا هنـا في إطـار الإقتصـاد الملـكي أي الأراضي التـي تسـتغل بموجب إمتياز ممنوح بإستثناء أن الملك في هذه الحالة هو المستفيد مـن هـذا الإمتيـاز، وهذه الأراضي التي تقدم كهدية «دوريا» يتم وصـفها مـن قبـل المـؤلفين القـدماء دائمـاً بالهدايا التي لا يتم رعاياتها أو تدعيمها من أي جهة، وأشهر الأمثلة علي هذا النوع مـن الهدايا -ولكنه ليس المثال الوحيد- هو ثمستوكليس (Themistocles) الذي حصـل عـلي عائدات مدن عديدة، ولقد كان عـلي كـل واحـدة مـن هـذه المـدن أن تقـدم لـه الخبـز والخمر والسمك والملابس وجزء من نفقات بيتـه وهـذه بالتحديـد هـي الطريقـة التـي يعرف بها «هسشيوس Hesychius » كلمة «تـاجي»: لقـد ذهبـت عائـداتها إلي إشـباع حاجات الملك، وبالنظر إلي حقيقة أنه توجد شواهد علي تقديم هذه الهدايا «دوريـاي» في العديد من المرزبانيات، فإننا يجب أن نقر بأنه في جميـع أجـزاء الإمبراطوريـة كانـت توجد مساحات من الأراضي مخصصة لتلبية حاجات الملك الشخصية، وهذا تحديداً هـو النظام الذي عرفه هيرودوت (Herodotus) فيمت يتعلق بالطائفة المالية «باريكس تـو فورو«: «بالإضافة إلي الجزية العادية، كانت الإمبراطورية الفارسـية بأكملهـا مقسـمة إلي مناطق بغرض تقديم الإمدادات (تروفي) إلي الملك وجيشه» (الكتـاب الأول، فقـرة 192)، وهكذا فإنه من المشروع إستنتاج أن كلمة «تاجي» تشير إلي طائفة محددة مـن الأراضي والتي سوف نطلق عليها «أراضي التاج» والتي كان الملـك يحصـل عليهـا رسـوم مبـاشرة، ولقد أوضح أرسـطو المزيـف (Pseudo-Aristotle) أن هـذه الرسـوم كانـت تحصـل في صورة منتجات عينية، وكمت يقول المؤلف فلقد كان للملك مطلـق الحريـة في الـتصرف في هذه السلع كيفما أراد بمجرد أن يـتم تخزينهـا في مخـازن الغـلال أو في المسـتودعات الملكية (باراثيسيس: الكتاب الثاني، فقرة 2) .

وهناك فقرة أخري والتي علي الرغم من أنها قد تبـدو سريعـة الـزوال

إلا أنها توضح الطريقة التي كانت تدار أو تعمل بها أراضي التاجي، وما تقوله هو أنه بالأضافة إلي الجزية التي كانت تدفعها مصر كان الملك يحصل أيضاً علي عائدات السمك الذي يتم إصطياده من بحيرة موريس (Moeris) (في صورة فضة) (الكتاب الثالث، فقرة91)، ولقد كانت هناك إمتيازات أخري من هذا النوع في مصر مثل مدينة أنثيلا والتي «تم نقل ملكيتها منذ الفتح الفارسي إلي زوجة الملك المتولي للسلطة لتزودها بالأحذية التي تحتاجها» (هيرودوت Herodotus) الكتاب الثاني فقرة 98)، وفي هذه الحادثة نري إشارة إلي العادة الأخمينية الشهيرة المتمثلة في السماح للأميرات بإمتلاك أراضي وقري في الإمبراطورية للاستعانة بعائداتها في الإنفاق علي ما لديهم من خدم وموظفين، وتبعاً لأثينيوس (Athenaeus) فلقد كان يتم إرسال عائدات مدينة أنثيلا المصرية التي الأميرات الفارسيات في الفترة الأخمينية، ولقد قال ديودورس سيكيولس (Diodorus) (الكتاب الأول، فقرة 52-5) عن الفرعون موريس (Moeris) «والذي قام بإعطاء الدخل المتراكم الذي حصل عليه من السمك الذي يتم إصطياده من البحيرة إلي زوجته لتستخدمه في الإنفاق علي مراهمها وزينتها العامة، ولقد كانت قيمة السمك الذي يتم إصطياده تصل إلي واحد طالن من الفضة في اليوم»، ولقد كان هذا الوضع مختلفاً عن الوضع الذي ساد في عهد دارا (Darius) حيث والذي كان يتم في عهده دفع العائدات مباشرة إلي الخزانة الملكية (تو باسيليكون) .

ولسوء الحظ فإنه بإستثناء هذه الفقرة نجد أن الإشارات المباشرة إلي الطائفة التي نسميها هنا بـ «أراضي التاج» هي نادرة، ودعونا نعود إلي المعلومات التي قدمها سترابو (Strabo) حول جزية الحيوانات من أقاليم كبادوكيا وأرمينيا وميديا (الكتاب الحادي عشر، فقرة 13-8)، ويجب أن يتم مقارنتها بما نعرفه عن تربية الخيول في هذه المنطقة ولقد قال سترابو (Strabo) للتو (الكتاب العاشر، فقرة 13-7): «إن هذا البلد متميز بشكل

إستثنائي في تربية الخيول، كما أنه كان يوجد هناك مرعي يسمي مرعي الخيول هو المرعي الذي يمر به المسافرون من برسيس وبابل إلي بوابات بحر قزوين ويقال أنه كان يرعي به في فترة الحكم الفارسي خمسون ألف مهرة، ولقد كانت كل هذه القطعان ملكاً للملك الأكبر الفارسي (أجيلاي باسيليكاي)»، ولقد قدم لنا أريان (Arrian) بدوره (الكتاب السابع، فقرة 13-1) عدد المهرات النسائية وهو (000,150) مهرة (000,160 في رواية ديودورس (Diodorus) ، الكتاب السابع عشر، فقرة 110-6)، وفي الحقيقة فإن الخيول «النسائية» التي كان يتم تربيتها هناك قد تم تسميتها بهذا الإسم نسبة إلي سهل «نسائيا» الذي يقع بين بيهستون وإكباتانا، ولقد كان هذا السهل مشهوراً بنبات الفصة والذي كان يسمي بـ«العشب الميدي» (راجع هيرودوت (Herodotus) ، الكتاب السابع، فقرة 40)، ويقول بوليبيوس (Polybius) أن هذا هو السبب في «أن مزارع إستيلاد الخيول الملكية قد أوكلت مهمة إدارتها إلي الميديين بسبب جودة أعشاب مراعيهم» (الكتاب العاشر، فقرة 27-1)، وكما هو الحال مع مزارع إستيلاد الخيول الموجودة في بابل (هيرودوت (Herodotus) ، الكتاب الأول، فقرة 191) فلقد تم إعتبار المزارع المشابهة الموجودة في ميديا هي الأخري جزء من ضريبة «التاجي» وكان يتم تقديم إنتاجها من الخيول «بدلاً من دفع الجزية في صورة فضة»، ومن المؤكد أن هذا كان هو أيضاً حال مزارع إستيلاد الخيول الموجودة في إقليم أيوليا والتي نتيجة لكونها من الممتلكات الملكية كان يتم إدارتها من قبل مدراء متخصصين .

ومن المحتمل أن الغابات- والتي قام أرسطو المزيف (Pseudo-Aristotle) بدمجها بشكل ضمني في طائفة «منتجات الأرض»- كانت هي الأخري جزء من التاجي، ويؤكد أحد المراسيم التي صدرت في الفترة الهيلينية (213) علي وجود الغابات الملكية في آسيا الصغري، فلإعادة

بناء مدينة ساردیس اصدر أنتيوخوس (Antiochus) الثالث هـذا الأمـر: «فليتم قطـع الأخشاب بسرعة من أجل المدينة ولتقطعوها من غابات ترانزا» ومن المحتمل أنه يقصد بذلك الغابات الشهيرة الموجودة في جبـل تمولـوس والتـي كانـت قريبـة إلي حـد مـا مـن ساردیس، والنص واضح: إذا كان الفرد مكلف بـأداء عمـل للملـك، فـان يكـون كافيـاً أن يزعم أنه هو فعلاً كما يدعي لكي يستلم البضاعة، حيث أنه من الضروري أن يظهـر أمـر كتابي بذلك من الملك (أو المرزبان) قبل أن يعطيه مدراء المخازن بإعطائه ما يريد، ولقـد كان هذا ينطبق أيضاً علي مزارع إستيلاد الخيـول الملكيـة، وتوجـد شـواهد عـلي وجـود الغابات الملكية في ميسيا أيضاً، ولقد أكد سترابو (Strabo) علي مدي ثراء غابات كيليكيا الطراقية، حيث ذكر أن اخشاب الصنوبر الموجـودة في المنطقـة كانـت تسـتخدم بشـكل منتظم في بناء السفن، ولقد كان ساحل كيليكيا هو المكان الـذي قـام فيـه الفـرس ببنـاء أحواض ضخمة لبناء السفن .

أما بالنسبة لمناطق الإمبراطورية الأخري فلقد كانت أقـل غنـي مـن حيـث كميـة الأخشاب، ولقد أشار سترابو (Strabo) عدة مرات إلي وجود نقـص في الأخشـاب اللازمـة للبناء بإستثناء جذوع أشجار النخيـل (الكتـاب السـادس عشر، فقـرة 1-5)، ولقـد إضـطر الإسكندر (Alexander) في عام 324 إلي جلـب الأخشـاب والنجـارين مـن لبنـان، وعـلي الرغم من ذلك فإن سترابو (Strabo) يمضي ليقـول أن الملـك تمكـن مـن تشـييد أحـواض لبناء السفن في بابل مستخدماً أخشاب السرو التي كان يتم قطعها من الغابات والضـياع الملكية، ونحن نعرف أن الضياع كانت مشهورة بجـمال اشـجارها وغاباتهـا ولكـن أراضي الأشجار تلك كان لها أهمية في هذا العـالم أكـبر بكثـير مـن مجـرد تـوفير الظـل للملـوك والمرزبانـات! حيـث أنهـا كانـت أراضي مربحـة أيضـاً، فعـلي سـبيل المثـال عنـدما قـام أرتاكسركسيس (Artaxerxes) الأول بإرسال نهيميا (Nehemiah) إلي القدس كان حاملاً

معه رسالة رسمية موجهة إلي «عساف Asaph » المسؤول عن الحديقة الملكية» (نهيميا (Nehemiah) (8:2)) والذي نستطيع القول بأنه كان مدير الغابات الملكية في لبنان، وهذا يعني أن الإدارة الملكية قد أمرت ملوك صيدا وصور منذ عام 538 بنقل أخشاب الأرز بحراً من لبنان وحتي جوبا Joppa من أجل إعادة بناء المعبد في القدس، ولقد كانت هذه هي الغابات الملكية نفسها التي قام أنتيوخوس (Antiochus) الأعور بقطع آلاف الأشجار منها في عام 316 ق.م من أجل بناء الإسطول الذي كان ينوي إستخدامه في غزو مصر، ولقد ظلت غابات لبنان ضياعاً ملكية طوال الفترة الهيلينية كما هو واضح من الأمر الذي أصدره أنتيوخوس (Antiochus) الثالث في عام 200ق.م بخصوص تزيين معبد القدس .

تقييم عام وبعض النقاط المشكوك فيها:

دعونا نراجع ماسبق، إنه ليس من السهل دائماً تعيين حدود فاصلة بين الأراضي الدافعة للجزية والتاجي، حيث أن النصوص التي تم الإستشهاد بها بالأعلي لا تسمح لنا بالوصول إلي إستنتاجات قاطعة تثبت أن مزارع إستيلاد الخيول والغابات كانت جزءاً من التاجي علي الرغم من أن هذا هو التفسير الذي تبنيته في إفتراضي، وتشير الألواح البابلية إلي طائفة من الأراضي تسمي «أوزبارا» وهي كلمة ذات أصل إيراني والتي يفهم معناها علي أنها تشير إلي «الأراضي الملكية» بالمقارنة مع طوائف الأرض الأخري، وفي بعض الأحيان كان يتم تقييم «الجزء الخاص بالملك» (زيتي ساري) علي أوزبارا ولقد كان من الممكن أن يتم أيضاً التنازل عن أجزاء من الأراضي الملكية لأفراد البلاط في صورة ما يسمي بالهدايا الملكية (نيدنتو ساري) ولكن يظل هناك العديد من الأسئلة حول مدي إتساع الأراضي الملكية في إقليم بابل .

وفي الواقع؛ فإن مصطلح الأراضي الملكية يظل غامضاً إلي حد بعيد، وتظهر أدلة علي مثل هذه الأراضي في حالتين موازيتين من العصر

الهيليني: ففي إحداهما أمر الملك أنتيوخوس (Antiochus) بتقـديم إمتيـاز مـن الأرض إلي أحد المفضلين لديه (أرسطوديسيديس (Aristodicides) المنتمي إلي أسـوس) وحـدد أن هذه الأرض الممنوحة له سوف يتم أخذها من الأراض الملكية (خـورا باسـيليكي)، وفي الحالة الأخري ذكَر أنتيجونس (Antigonus) المدن الساحلية بأنهـا كانـت مطابـة بقـوة بشراء القمح الذي جاء من الأراضي الدافعة للجزية(خورا فورولوجوميني)، هل كان كـل مـن أنتيوخـوس (Antiochus) وأنتيجـونس (Antigonus) يشـيرون إلي طـائفتين مـن الأرض تم التفريق بينهما من خلال إستخدام مصطلحات مختلفة أم أنهـما كانـا يشـيران إلي طائفة واحدة مع وجود فوارق بسيطة فقط تم تحديدها من خلال السـياق؟ أقـترح أنه من المنظـور الأيـديولوجي/السـياسي للمصـطلح حـدث إنـدماج بـين الأراضي الملكيـة وأراضي الجزية أي مع الإمبراطورية بالكامل (وهذا هو المفهـوم الـذي أعلنـه هـيرودوت (Herodotus) أو أشار إليه ضمنيًا في حديثه عن الجزية)، أما بالنظر إلي المصـطلح مـن المنظور المالي/الإقتصادي فلقد تـم إختـزال الأراضي الملكيـة إلي مجـرد الهـدايا الملكيـة أو التاجي والتي أعبر عنها هنا بإستخدام مصطلح «أراضي التاج»، وبـالنظر إليهـا مـن هـذا المنظور فإن الوثائق الموجود في برسيبولس تسمح لنا بتوضيح وإجلاء هذا المصطلح .

الفصل الحادي عشر

بلاد فارس: الإمبراطورية واقتصاد الجزية

1- سجلات برسيبولس:

ألواح التحصينات وألواح الخزانة:

في أعوام 1933-1934 و1936-1938 اكتشف المنقبون الأثريون الأمريكيون مجموعتين من الألواح في برسيبولس، كانت الأولي تقع في الركن الشمالي الشرقي من الأرض المحاذية للشاطئ، أما الثانية فقد تم اكتشافها في الجزء الجنوبي الغربي، وبسبب هذه المواقع الذي تم اكتشاف الألواح فيه أصبحت الألواح تسمي بألواح التحصينات (PFT) ، وألواح الخزانة (PTT) ، ولقد قام جورج ج. كاميرون (George G. Cameron) بنشر المجموعة الثانية في عام 1948، واستمر في تنقيحها وإعدادها للنشر في السنوات التالية (1957، 1963)، وتحتوي هذه المجموعة علي (129) لوحاً، وتعود إلي الفترة بين السنة الثلاثين من حكم دارا (Darius) (عام 492) والسنة السابعة من حكم أرتاكسركسيس (Artaxerxes) (عام 458)، ولقد وجد أيضاً لوح مكتوب باللغة الأكادية يعود تاريخه إلي ديسمبر 502 (لوح الخزانة رقم 85)، أما ألواح التحصينات، والتي تعود إلي الفترة من العام الثالث عشر إلي العام الثامن عشر من حكم دارا (Darius) (509-494) فهي أكبر بكثير من حيث

العدد، ولقد قام ريتشارد ت. هـالوك (Richard T. Hallock) بـنشر (2087) مـنهم في عـام 1968، ثـم قـام بـنشر عـدد (33) لوحـاً آخـر بعـد ذلـك بـعشر سـنوات (ألـواح التحصينات)، وقد تم أيضاً نشر عدد آخر من الألواح بشـكل منفصـل منـذ ذلـك الحـين، وقد أعلن هالوك Hallock في مقال نشره عام 1977 أنـه قـد قـام بدراسـة (4500) مـن هذه الألواح تقريباً، ولكننا لا نزال ننتظر نشر النصوص التي كان قـد كتبهـا قبـل وفاتـه، بالإضافة إلي ذلك فإنه يوجد تقريباً (500) لوحاً باللغـة الآراميـة و(80) تعليقـاً وحاشـية باللغة الآرامية علي الألواح الإيلاميـة، ولقـد وجـد عـدد (580) طبعـة خـتم عـلي هـذه الألواح (تحمـل 86 منهـا نقوشـاً)، ولقـد تـم الإعـلان عـن بعـض هـذه الأختـام (أختـام الخزانة)، ولكن مازال البعض الآخر تحت الدراسـة (أختـام التحصـينات)، ولقـد وجـد في برسيبولس أيضاً هاونات وأيادٍ، هـذه الهاونـات بالإضـافة إلي (163) نقشـاً آراميًّـا والتـي نشرها ريموند أ. باومان (Raymond A. Bowman) في عام 1970، وتعود هذه النقوش نظريًّا إلي فترتي حكم كل من كسركسـيس (Xerxes) وأرتاكسركسـيس (Artaxerxes) في الفترة من 479/ 478 إلي عام 436/ 435، ولسوء الحظ، فـإن عـدة مئـات مـن النصـوص والنقوش الآرامية لم يتم نشرها بعـد، ويوجـد أيضـاً عـدد قليـل مـن النصـوص المكتوبـة بلغـات أخـري: فنجـد لـوحين مكتـوبين باللغـة الأكاديـة (لـوح الخزانـة رقـم 85 ولـوح التحصـينات رقـم 11786)، وأحـد النصـوص اليونانيـة القصـيرة (لـوح التحصـينات رقـم 1771)، ونص آخر مكتوب باللغة الفريجية (تقريباً)، وهكذا فإنه يوجـد لـدي المـؤرخين الذين يريدون دراسة تاريخ الإمبراطورية الأخمينية عدة آلاف من الألواح والنقـوش مـن هذه الفترة .

وجميع ألواح برسيبولس باستثناء واحد فقط - والذي من الصعب ترجمته (لوح الخزانة 4-5)- هي وثائق غير روائية، حيث إنها لا تحتوي علي أية معاهدات أو أي سرد لوقائع الحملات العسـكرية أو حتـي أيـة

إشارات غير مباشرة إلي تاريخ الأسرة المالكة، وتتحدث ألواح الخزانة بشكل أساسي عن عمليات جمع وتخزين وتوزيع المواد الغذائية، ويتمثل المستقبلون لهذه المواد الغذائية بشكل أساسي في الملك، والأسرة المالكة، وكبار المسؤولين في الإدارة، والكهنة أو المسؤولين عن خدمة المنشآت الدينية، الرعاع، وخاصة جماعات العمال (كورتاس) في المفوضيات، والمؤسسات الريفيه، والورش ومواقع البناء في برسيبولس، وإحدي طوائف هذه الألواح (الطائفة Q) - والتي تتميز بأنها كاملة- تسجل عمليات توزيع مؤن الطعام علي الأشخاص والجماعات المسافرين من مكان لآخر في الإمبراطورية، ويظهر هؤلاء الأشخاص في ثلاث سلاسل أخري: الرسائل، والسجلات، وحسابات المستودعات، بينما، وعلي الجانب الآخر نجد أن ألواح الخزانة تسجل في الأساس توزيع جرايات الطعام علي الحرفيين الذين كانوا يعملون في مواقع التشييد في برسيبولس في عهد دارا (Darius) وكسركسيس (Xerxes) وأرتاكسركسيس (Artaxerxes) الأول، وكان يتم توزيع بعض الجرايات (أو تقييمها في صورة فضة) بدلاً من توزيعها في صورة منتجات غذائية فقط، وذلك بداية من عام 492/ 493 .

وتتسم الوثائق الأخمينية بأكملها بأنها مركزة بشكل غير عادي في الزمان والمكان، وباستثناء أقوات المسافرين (الطائفة Q) نجد أنها تغطي منطقة جغرافيه تقتصر علي وسط فارس وسوسيانا من صوصا إلي شمال غرب نيريز الواقعة في الجنوب الغربي، وتركز ألواح الخزانة بشكل حصري تقريباً علي العمليات التي وقعت في برسيبولس نفسها، ومن ناحية أخري، فإن التوزيع الزمني لهذه الألواح هو غير منتظم إلي حد كبير، حيث إن 5,46% من ألواح التحصينات تعود إلي الأعوام 22 و23 من حكم دارا (Darius) (499-500)، بينما تصل نسبة ألواح الطائفة Q (أقوات المسافرين) التي تعود إلي هذه الأعوام إلي 72%، وتعود معظم

ألواح الخزانة إلي فترة حكم كسركسيس (Xerxes) (466-486) ، وفي إطار هذا الحيز الزمني نجد أن أكثر من 60% من هذه الألواح تعود إلي عام 466 وحده، بينما ترك 90% من فترة حكمه دون توثيق، ومن الصعب الحصول علي بعض الاستنتاجات التاريخية من هذه النسب، حيث إن أدوات المنقبين الأثريين لم تكشف سوي عن جزء ضئيل من السجلات المركزية التي كانت موجودة في برسيبولس، حيث إنه من المؤكد أن جزءاً كبيراً من السجلات الإدارية قد تمت كتابته علي مواد قابلة للتلف، وقد ذكرت ألواح التحصينات بشكل متكرر من قبل الكتبة البابليين الذين كانوا يكتبون علي ورق البرشمان، وهي الطريقة التي عرفناها ليس فقط من المؤلفين القدامي (هيرودوت (Herodotus) ، الكتاب السابع، فقرة 58)، ولكن أيضاً من مراسلات المرزبان أرساما (Arsama) ، والتي كانت تكتب علي الجلد، حتي إن ورق البرشمان قد تم ذكره صراحةً في برسيبولس، حيث تشير رسالة موجهة من الأميرة إرداباما (Irdabama) ، ومكتوبة علي لوح من الطين إحدي الوثائق المكتوبة علي ورق البرشمان، وبالإضافة إلي ذلك تذكر الإشارات في مؤلف هيرودوت (Herodotus) (الكتاب السابع، فقرة 239)، ومؤلف إليان (Aelian) (الكتاب الرابع عشر، فقرة 12) أن الألواح الخشبية المغطاة بالشمع، والتي اشتهر استخدامها في بابل في عهد الدولة البابلية الجديدة (والتي توجد شواهد علي شيوع استخدامها قبل ذلك في عهد الآشوريين والحيثيين) كانت لا تزال مستخدمة فيها في عهد الأخمينيين، وبالنظر إلي هذه الحقائق فإننا نحتاج أن ندرك أن كل ما لدينا هو سجلات عدد قليل من المكاتب (الوزارات) فقط وبإلقاء نظرة علي الوثائق التي وصلت إلينا من الممالك السابقة التي كانت تقع في الشرق الأدني سوف ندرك أن بعض السجلات المفقودة والتي كانت تتعامل بعناية مع إدارة بعض السلع الأخري مثل الأشياء النفيسة والأسلحة وحتي الملابس، وتؤكد بشدة الحكايات القديمة التي تتناول

قيـام المقـدونيين بنهـب برسـيبوليس، حـدثنا فـيما يتعلـق بهـذا الخصـوص (كوينتـوس كورتيوس (Quintus Curtius) ، الكتاب الخـامس، فقـرة 6*3-5: الأثـاث، المنسـوجات، الملابس الملكية، المنتجات الخزفيه، الخ) .

وسوف تكون للوثائق أهمية ضخمة في عملية صياغة المفاهيم المتعلقـة بالتـاريخ الأخميني وخاصة فيما يتعلق بالتنظيم الاقتصادي، وتنظيم الجزية في تلك الإمبراطوريـة، حيث إنها تسمح علي وجه الخصوص بصياغة تحليل قائم علي السلطة المركزية بدلاً من الاعتماد فقـط عـلي المصـادر القديمـة، والتـي -عـلي الـرغم مـن أهميتهـا- تظـل جزئيـة ومتفرقة وغالباً متحيزة، وعلي النقيض مـن ذلـك نجـد أن المـؤرخين لم يسـتعينوا بـألواح برسيبولس سوي بشكل محدود، والأسباب الرئيسة وراء الإهمال النسـبي لهـذه المصـادر هي أسباب ذات صلة باللغة، حيث واجهت المـؤلفين الأوائـل الـذين حـاولوا فـك رمـوز اللغة الفارسية القديمة، ولغات الإمبراطورية الأخري صعوبات جمة، والتي لا تزال لم يتم التغلب عليها بشكل كامل برغم التقـدم الكبـير الـذي تـم تحقيقـه في الجهـود المبذولـة للتغلب عليها، وفـيما عـدا بعـض الاسـتثناءات القليلـة نجـد أن ألـواح برسـيبولس تلـك مكتوبة باللغة الإيلامية، وهي اللغة التي كانت تستخدمها السلطات الإداريـة في صوصـا وآنسـان، ولا تـزال اللغـة الإيلاميـة الجديـدة مـن المنظـور اللغـوي والبنـائي تضـع أمـام المتخصصين صعوبات لغوية كبيرة لدرجة أن بعـض الممارسـات المحاسـبية الأكيـدة التـي أشارت إليها الألواح لا تزال غير مؤكدة إلي حد بعيد للحد الذي يعجـز فيـه الواحـد منـا عن التفريـق بـين الفعـل والعميـل، والأكـثر مـن ذلـك هـو أن نسـبة كبـيرة مـن اسـماء الأشخاص والبلاد والمفردات المتخصصة هي من أصل فـارسي، ولا توجـد لـدينا أعـمال أدبية كافيه من هذه الفترة، والتي ستسمح لنا بجمع معجم كامل للكلمات الفارسية ومقابلاتها الإيلامية، والنصوص الوحيدة التـي تتسـم بأنهـا شـاملة هـي النقـوش

الملكية، والتـي تسـتخدم عـدداً قلـيلاً نسـبيًّا مـن الكلـمات، وهكـذا فإنـه لإدراك معنـي الكلمات الفارسية يشترط من ناحية أن يتم تقديم وصف دقيق لطريقة النطق الفـارسي للكلمات التي كتبها الكتاب باللغة الإيلامية، ومن ناحية أخري تحليلاً للأصول الاشتقاقية للكلمات، والذي يصعب الشروع في تنفيذه بدون الاستعانة باللـهجات اللاحقة (العديد من اللغات الإيرانية، بما فيها الفارسية الوسطي واللغة الفارسية الحديثة)، ولكن المبحث الخاص بالأصول الاشتقاقية للكلمات لا يجيب علي كافة الأسـئلة بمفـرده، وذلـك بسـبب الحقيقة الشهيرة المتمثلة في أن معني الكلمة قد يتغير كثيراً مع مرور الزمن، وهكذا فإن المعني الاشتقاقي للكلمة يجب أن تتم مقارنته مع السياق الذي تأتي فيه هـذه الكلمـة، ثم بعد ذلك تتدخل مشـكلات البنـاء اللغـوي مـرة أخـري، وعـلي الـرغم مـن الكلـمات المستعارة الموجـودة في الوثـائق الآراميـة في مصر، وفي الألـواح البابليـة والمفـردات التـي جمعها مؤلفو المعاجم اليونانيين (هسشيوس (The Suda ،Hesychius) ، الـخ)، إلا أن معني عدد كبير من الكلمات التي استخدمها الكتاب العاملون في خدمة الملـك الأكـبر لا يزال غير معروف أو يوجد عليه خلاف كبير، وفي الوقت الحالي لن يكون من الحكمـة أن نستسلم لهذه الشكوك، بل علي العكس من ذلك، فإن اتساع المدي الـذي تغطيـه هـذه الوثائق والنتائج التي تم تحقيقها بالفعل تدفع المـؤرخ لاستكشـاف هـذه الألـواح بصـبر وحماس .

السجلات والتقارير:

تعطينا الألواح أولاً -وقبل كل شيء- أدلة علي الطبيعة «الخالطة للأوراق» للنظام الإداري الذي تم إنشاؤه للإشراف علي الإنتاج والتخزين، فبعـد أن يـتم جمـع المحصـول والماشية في المقاطعات كان يـتم تخـزينهم في المسـتودعات، ولقـد كـان هنـاك موظفـان اثنان مسؤولان عن كل مستودع من هذه المستودعات: أحـدهما يـدير شـؤون المخـازن

(التومارا للغلال) والآخر (اليوليرا)، فكان المسؤول عن إعطاء الإذن بتوزيع البضاعة، وقد كان المحاسبون يقومون بإجراء جرد في كل عام، وكانوا يسلمون نتائجه إلي الإدارة المركزية في برسيبولس، ولقد كان هناك أيضاً رؤساء للمستودعات التي توجد عند كل محطة من محطات التوقف علي الطرق الرئيسة، والتي كان يستطيع الموظفون المسافرون الحصول علي إمدادات السفر منها، وقد كان يتم إرسال نسخة من هذه السجلات إلي برسيبولس، حيث كان يسجل المحاسبون الموجودون هناك بشكل سنوي الوصولات وسجلات السلع التي تم توزيعها، وكانوا يحفظون الدفاتر، وهكذا فإنه نظريًّا كانت السلطات المركزية علي علم في جميع الأوقات بوضع كل مخزن من المخازن الموجودة في أراضي الإمبراطورية الشاسعة، وكان بإمكان المختصون أن يقوموا بإعطاء الإذن بتخصيص أي من السلع الموجودة في هذا المستودع أو ذاك لغرض من الأغراض .

ومن الواضح أن عاصمة كل إقليم من الأقاليم كانت تحتوي علي العديد من المستودعات، وقد كان كل واحد منها مخصصاً لجمع وتخزين منتج واحد فقط: الغلال (بأنواعها المختلفة)، السمسم، الخمر، شراب الشعير، الحبوب، أو الماشية (الأغنام، الماشية، الجمال، الخيول، الطيور)، ويسجل كشف الحساب المقدم من إقليم هداران في العام 19 توزيع كمية إجمالية مقدارها 2615 باراً (أي ما يعادل 14 طناً) من الغلال خلال تلك السنة، ولقد تم تقسيمها إلي 11 طائفة: للعمال (الكورتاس)، للخيول، للطيور، لأسراب الطيور، وقطعان الحيوانات، وللمستودعات الملكية، وفي دور، في السنة 25 غادر تقريباً 11000 باراً (أي 61 طناً) من حبوب المستودع، ولقد تم تخصيص عدد 5500 لتراً من الخمر في عام 503 من المستودع الموجود في سرامندا، وتذكر قوائم الجرد الخاصة بالماشية كل جنس من الأجناس بنوعه وسنه، ولقد كانت الحسابات تذكر

تحـت كـل طائفـة اسـماء الأشـخاص المسـؤولين عـن المسـتودعات، بالإضـافة إلي اسـماء المديرين الـذين أعطـوا الأمـر بـالصرف؛ بالإضـافة إلي الكميـات المصروفـة ونـوع وعـدد المستفيدين (الكهنة، الكورتاس، الحيوانات، الخ)، والكميات التي تم نقلها إلي برسيبولس أو مواقع أخري، وكل أمر من أوامـر التسـليم التـي تـأتي مـن أعـلي عـبر هـذا التسلسـل الإداري كانت ترسـل في «وثيقـة مختومـة» (حـالمي)، فعـلي سـبيل المثـال، يـذكر سـجل مستودع الغلال الموجود في راكان أنه في العام 21 (501) من حكـم دارا (Darius) كـان هناك (20) حالميًا موقعة من طرف «إرسـينا (Irsena) » أحـد المقيمـين الرئيسـين (لـوح التحصينات 1964)، وفي أي وقت كانت تحدث مشكلة لم يكن يـتم تحديـد مسـؤوليات كل شخص عنها بوضوح شديد، وكان يحمل كل لوح من الألواح طبعتـي ختمـين: خـاتم المسؤول الذي قدم البضاعة، وخاتم الشخص الذي استلمها من أجل التوزيع، وكـان يـتم إعطاء خصوصية مميزة لأختام كبار المسؤولين، وذلك عن طريق نقـش اسـمائهم عليهـا: فمـثلاً يـنقش «خـاتم فـلان ابـن فـلان»، وفي عـام 500 قـام بارناكـا (Parnaka) كبـير المسؤولين في الإدارة بإعلام الجميع بأنه قد غير خاتمه: «إن الختم الذي كـان ملـكي حتـي الآن قد تم استبداله، ومن الآن فصاعداً فإن الخاتم الذي يحمله هذا اللوح هو خـاتمي» (لوح التحصينات 2076-2086) .

وتظهر العديد من الوثائق أنه عـلي الـرغم مـن هـذا التعقيـد والتـدقيق الـذي يتسم به النظام، إلا أنه أدي إلي ظهور بعض المنازعـات، حيـث يشـكو أحـد المحاسـبين مـن أن أحـد المسـؤولين لم يقـدم وثيقـة مختومـة (ألـواح التحصـينات 1957، 1988)، وهناك اتهامات موجهة لـبعض المسـؤولين «بالقيـام بتخصـيص هـذه السـلعة أو تلـك لأنفسهم»، ولقد ذكر المحاسبون في مايو عام 498 أن عاملات إناث معينات لم يحصـلن علي أقواتهن، والإمدادت المخصصة لهن لمدة شـهرين (لـوح التحصـينات رقـم 1960)،

وفي بعض الأحيان طلبت المساعدة من الإدارة المركزية ليستعيد المدير وظيفته، وهناك رسالة - والتي علي الرغم من غموض تفاصيلها- تذكر أن: «المحاسبون لم يقدموا وثيقة مختومة»، وأن الرجل الذي كان هو الساعي المكلف بنقل اللوح قد هرب»، ولقد صدر الأمر بأن يتم أسره وإرساله إلي ميديا (؟)، حيث سيتم إجراء تحقيق هناك، وقد صدر الأمر التالي إلي المديرين: «عندما تقومون بإرسال أحد الألواح إلي بارناكا (Parnaka) ، «اكتبوا عليه اسم الشخص المسؤول عن تسليمه»، وفي الحقيقة، فإن هذا الأمر يظهر أن مثل هذه الاحتياطات لم يكن قد تم اتخاذها من قبل (لوح التحصينات أ 28)، وغالباً ما كانت تتم محاسبة المسؤولين عن هذه المستودعات، وينتهي أحد الألواح -التي تحدثت عن العجز الذي وجد في سجلات العديد من هؤلاء المسؤولين والتعديلات التي تلت ذلك- بالصيغة التالية: «بالتوافق مع القانون المعتاد» (لوح التحصينات 1980)، والتي يبدو فيها أن المصطلح الفارسي القديم «داتا» - والذي تمت ترجمته هنا كـ«قانون»- يشير إلي القواعد الإدارية .

2- التسلسل الهرمي الإداري وتنظيم الإنتاج:

بارناكا (Parnaka) :

إن الشخص الذي كان مسؤولاً عن الإدارة بأكملها هو رجل اسمه بارناكا (Parnaka) ، وتظهر الوثائق أنه كان هو المسؤول في الفترة بين عامي 506-497، ويحمل خاتمه الأسطورة الآرامية «بارناكا (Parnaka) ابن أرساما (Arsama) »، ومن المتفق عليه بشكل عام أن أرساما (Arsama) المذكور في النقش هو بالتأكيد جد دارا (Darius) ، وهكذا فإن بارناكا (Parnaka) هو أخو هستاسبيس (Hystaspes) الذي هو عم دارا (Darius) وأبو أرتابازوس (Artabazus) ، والذي عينه كسركسيس (Xerxes) مرزباناً

علي إقليم فريجيا الذي يقع علي مضيق الدردنيل، وعلي أية حـال، فـإن حجـم «المـؤن» اليومية التي كان يحصل عليها خلال تنقله الموسمي يكشف عن مدي سمو منزلـة هـذا الشخص، وعظم مسؤوليته، حيث كان يحصل علي خروفين، 90 لـتراً مـن الخمـر تقريبـاً، 180 لتراً من الدقيق تقريباً، وتشهد العديد من الألواح البابلية علي العـدد الكبـير مـن الرسائل التي كان يرسلها إلي مساعديه، والتي كانت في معظم الوقت تشتمل علي أوامـر لهم للقيام بإعطاء قدر ما من المنتجات (خمر، غـلال) إلي أشـخاص أو جماعـات معينـة، وقد كانت تحمل اثنين من هذه الرسائل أوامر بإعطاء قدر ما من الإمدادات إلي الأمـيرة إرتاسدونا (Irtasduna) ، وتذكر هذه الرسائل أن الأمر جاء مبـاشرة مـن دارا (Darius) نفسه، ولتنفيذ المهام المنوطة به كان يرأس عدداً ضخماً من الموظفين، وتحمل كل رسالة أيضاً اسم الناسـخ الـذي قـام بكتابتهـا، وتشـير العديـد مـن هـذه الرسـائل إلي «النسـاخ البابليين الذين كانوا يكتبون علي ورق البرشمان»، والذين كانوا يعملون مباشرة لحسابه، ومـن المحتمـل أن الشـخص الـذي خلفـه في هـذا المنصـب هـو رجـل اسـمه أبسـمندا (Appismanda) ، وكـان ذلـك في عـام 497، ولقـد قـام النسـاخ الـذين يعملـون لـدي «زيساويس (Zissawis) » - والـذي كـان الـذراع اليمنـي لبارناكـا (Parnaka) - بكتابـة العديد من رسائل بارناكا (Parnaka) أيضاً، ولقد كان ختم زيساويس (Zissawis) هـذا يحمل اسم دارا (Darius) ، وكانت المؤن اليومية المخصصة له بالطبع أقل من نظيراتهـا المخصصة لبارناكا (Parnaka) ، أقل من 3 لترات من الخمر، وأقل مـن 60 مـن الـدقيق، وخروف واحد .

رؤساء الأقسام:

يلي بارناكا (Parnaka) وزيسـاويس (Zissawis) مبـاشرة العديـد مـن كبار المسؤولين، ولقد كان كـل واحـد مـنهم مسـؤولاً عـن جانـب معـين مـن جوانب الإنتاج، حيث كانوا يستلمون رسائل منتظمة من بارناكـا (Parnaka)

وزيساويس (Zissawis) تطلب منهم عمل اللازم لتسليم منتجات محددة، ومتسلحين بهذه الرسالة كان يقوم هؤلاء المسؤولون بإرسال أوامر تحمل أختامهم إلي الموظفين الأدني في التسلسل الإداري، وبقدر ما لدينا من معلومات نستطيع القول بأن الإنتاج كان يتم تنظيمه في خمسة أقسام، هي: الماشية، الغلال، الخمر (وشراب الشعير)، الفاكهة، والطيور .

وكمجرد مثال، دعونا نلقي نظرة عن قرب علي قسم الماشية، حيث كان يديره رئيس قسم الماشية (كاساباتيس)، وعلي الأقل في الفترة من (506-501) كان يشغل هذا المنصب رجل اسمه «هارينا (Harrena) »، ولقد قام هذا الرجل في عام 503 -بناءً علي أوامر من بارناكا (Parnaka) ، والذي بدوره كان قد تلقي أوامره من الملك دارا (Darius) - بتسليم عدد (100) خروف إلي الأميرة «إرتاسدونا (Irtasduna) » -إحدي زوجات دارا (Darius) ، والتي يسميها هيرودوت (Herodotus) في روايته بـ«أرتيستون (Artystone) » (لوح التحصينات رقم 6764)- ولقد كان لدي كل مقاطعة مكتب إداري يشبه المكتب الإداري المركزي، حيث كان يوجد في أوراندوس في عام 503 كاساباتيس يسمي «ماكاما (Makama) »، والذي كان يرسل تقاريره إلي هارينا (Harrena) ، وكان مسؤولاً عن عدد من رعاة الأغنام ومربي الماشية، ولأن المراعي لم تكن تكفي بمفردها -وخاصة في شتاء فارس قارص البرودة- فلقد كان من الضروري التخطيط لتوفير مصادر إضافيه من الغذاء -وخاصة الغلال- في مستودعات التخزين، وتتناول العديد من الوثائق مسألة جمع مخزونات الغلال (ألواح الخزانة 432، 465، 495-496، 522، 526، 527، 535، الخ)، وتسجل طوائف عديدة من الألواح (S1-S3) الأقوات المقدمة إلي الحيوانات، بما فيها المؤن الخاصة التي تسبق تنقل الملك (S3) ، وتسجل هذه النصوص جميع الطوائف (الخيول، الماشية، الأغنام، الإبل، وجميع أنواع الدواجن)، وتتبع دائماً الأسلوب

نفسه، حيث إنه بناءً علي أوامر صادرة من أعلي (غالباً وثيقة مختومة [حالمي])، كان مدير المستودع يقوم بإعطاء الحبوب -علي سبيل المثال- إلي الشخص المكلف بإطعام الحيوانات، وفيما يتعلق بالخيول في العام 17 (505) كان الإداري من المستوي الثاني المسؤول عن المؤن هو «هيوميزا (Hiumizza) »، والذي قام بناءً علي أمر مختوم صادر إليه من المستوي الأعلي بإرسال أوامر إلي المسؤول عن قبو الخمر والمسمي «ياماكسيدا (Yamaksedda) » الذي قام بدوره بتسليم المؤن المحددة من الخمر إلي «مودادا (Maudadda) » المسؤول عن الخيول في بارميزان، وعلي هذا المستوي نفسه كان المسؤولون عن الخيول المحلية هم «المودونرا» أو «مسؤولي الإسطبل»، ولقد كانوا هم من استلموا الأقوات من المستودع لإطعام الحيوانات منها، وتظهر أحياناً ألقاب أخري، وهي تحديداً مودونراباتيس، باساناباتيس، هرماناباتيس، والتي تستخدم كلها غالباً لتعطي المعني نفسه، ولكن من الممكن أيضاً أنها تشير إلي تسلسل هرمي داخلي للقيادات (راجع «باتيس» = «باتي» بمعني «رئيس»)، وتدفعنا قراءة الألواح الفردية للاعتقاد بأن كل مودونرا كان مسؤولاً عن عدد بسيط من الحيوانات، ففي بعض الأحيان كان يتعامل مع فرس واحد، ولكن في الغالب كان يتعامل مع أربعة أو خمسة أحصنة، ونادراً ما يكون مسؤولاً عن عشر أحصنة أو أكثر، وفي كل موقع من المواقع كان هناك العديد من الأشخاص المكلفين بالعناية بالخيل، وفي منطقة راكان في السنة الواحدة والعشرين (501) تم تسليم أقوات الخيول إلي سبع أشخاص، والذين كان اللقب المميز لهم أكثر من غيره هو «مودونرا»، ويبدو أن كل مودونرا كان مسؤولاً عن مجموعات عديدة من الخيول، حتي إن واحداً منهم كان يتعين عليه الإعتناء بالخيول والماشية والأغنام.

ولقد كانت الأقوات نفسها تتدرج من (1) قا (أقل من 1 لتر) إلي

(40) قا من الحبوب في اليوم، ولقد كانت الخيول تحصل هـي الأخـري عـلي كميـة غـير عادية من الأقـوات: الخمـر، شراب الشـعير (لـوح التحصـينات 1779)، والحبـوب (ألـوح التحصينات 1766-1768)، والدقيق (ألوح التحصينات 1770-1771)، وهـذه الإمـدادات من الخمر وشراب الشعير المخصصة للخيول - والتي خصصت ذات مـرة للجـمال أيضـاً- هي شيء لا يدعونا للدهشة أو التفاجؤ بـالنظر إلي مـا ذكـره أرسـطو مـن تخصـيص (5) ماريس من الخمر لإطعام أحد الأفيال، وهذه الممارسة هـي إحـدي الممارسـات الشـائعة والمعروفة في العصر الحديث أيضاً، حيث إنه يتم التمييز بين الخيول من خـلال السـن - «صغيرة» و«كبيرة»- وكذلك أيضاً من خلال الوظيفة، وهناك مصطلحان جـديران بالـذكر في هذا الخصوص، هما: النوع الأول مـن الأحصـنة يسـمي «بـيرادازيس»، والنـوع الثـاني وهو الحصان المخصص للقيام بالرحلات، وكلاهما يشير إلي أحصنة تستخدم في في العـادة في توصيل البريد، والنـوع الأول منهـا يمثـل «الأحصـنة السريعـة»، والتـي كانـت تشـتهر بسرعتها وقوة تحملها، وكان يستخدمها السعاة المكلفون بنقـل البريـد السريـع، والـذين كان يطلق عليهم أيضاً «بيرادازيس» (فصل 9-2) .

رؤساء الكورتاس (كورداباتيس):

نجـد في ألـواح التحصـينات أن هنـاك أربعـة مـن المسـؤولين يحملـون لقـب كورداباتيس: هم إرسينا (Irsena) ، كاركيس (Karkis) ، سودايودا (Suddayauda) ، ومسبارما (Misparma) ، وقد تم تقديم تفسيرين لكلمة كورداباتيس، يعتقد البعض -وهم يمثلون العدد الأكبر- أن مثل هؤلاء الأشخاص كانـت تقـع عـلي عـاتقهم مهمـة الإشراف علي العمال الذين كـانوا يعملـون في الحقـول والمحـلات ومواقـع التشـييد، وهي الطائفة التي يطلق عليها بشكل عام في مئات الألواح طائفـة «الكورتـاس» أو العمال «وهي التسمية التي تقابلها باللغة الفارسية القديمة كلمـة [جـاردا]»، بيـنما

يعتقد آخرون أن تسمية «الكورتا» تلك تقابل كلمة «جردا» بمعني «منزل» -وليس «جاردا»- وأن الكودراباتيس كانوا هم القهرمانات الرئيسون، والذين كانت تقع علي عاتقهم مسؤولية رئاسة الأقسام الخمسة وطاقم العاملين بهم، ولكن مناقشة المعني الاشتقاقي لكلا الكلمتين لن تكون له أهمية كبيرة، حيث إنه كان هناك تشابك وتشابه واضح بين المهام التي تقع علي عاتق كلا الشخصين، حيث إن وظيفتيهما كانت تتمثل في تنظيم عملية تخزين الإمدادات والإشراف الإداري علي العاملين تحت سلطته، وكانا يشتركان أيضاً في أحد أبرز أدوارهما، والذي توجد عليه شواهد كثيرة، وهو الدور المتمثل في توزيع الأقوات، وفي عام 494 تم تخزين البلح في ضيعة ميسدوكبا (Misdukba) تحت إشراف مسبارما (Misparma) الذي كان يحمل لقبي كورداباتيس وسارمانا والذي يمثل المدير/ الموزع ذي المستوي الأدني (لوح التحصينات 158)، أي أنه كان مسؤولاً عن تسليم مؤن البلح عندما يستلم أمراً عبر قنوات التسلسل الإداري بذلك، وفي حالات أخري -إن لم يكن الاسم يشير إلي شخص آخر غير مسبارما (Misparma) الذي نعرفه- فإن مسبارما (Misparma) كان مسؤولاً عن مخزونات مجموعة متنوعة من المنتجات، وكان إرسينا (Irsena) - والذي عمل ككورداباتيس هو الآخر- هو الذي يوزعها غالباً علي جماعات الكورتاس، وكون شخصين يحملان اللقب نفسه لا يعني أنهما متساويان في المكانة، كما في حالة كساباتيس (المديرين المسؤولين عن الماشية)، ولقد كان بإمكان بعض الأشخاص أداء مهام وظائفهم في إطار محدود تحت إشراف وسلطة الكورداباتيس الرئيس، ومن المؤكد أن هذه العلاقة الهرمية هي التي كانت موجودة بين مسبارما (Misparma) وإرسينا (Irsena) .

ومن الواضح أن إرسينا (Irsena) كان أحد كبار المسؤولين المشغولين للغاية، ونحن لا نعرف أصله أو نسبه بالتفصيل، ولكنه أعاد

استخدام الختم الموروث عن الدولة الإيلامية الجديدة والمنقوش عليه اسم همبان-أهبي (Humban-ahpi) ابن ساتي-همبان (Sati-Humban) وعلي الرغم من ذلك فقد كان فارسيًّا، والذي يسجل أحد الألواح أنه قدم من آنسان (لوح التحصينات 1368)، ولقد ذكر اسمه في أكثر من 70 لوحاً، وتكشف تواريخ هذه الألواح أنه كان يصدر أوامره علي الأقل من عام 505 إلي عام 498، وتظهر طبعات أختامه أنه كان يعمل وكانت عنده امتيازات في منطقة فهليون، ولكننا يمكننا أن نجد أدلة أيضاً علي أنه كان يعمل في قطاع برسيبولس، وباختصار، فإن وظيفته كانت تتمثل في أنه كبير المسؤولين الماليين، ونتيجة لهذا المنصب فقد أرسل وثائق مختومة (حاملي) إلي العديد من مساعديه، والذين كانت تتمثل وظيفتهم في تخصيص الأقوات تبعاً لأوامره، وهكذا قام في عام 503 بإرسال أكثر من عشر أوامر إلي المستودع الموجود في هداران، حيث كان المديرون المسؤولون عنه خاضعين لسلطته، ولقد خطط أيضاً لنقل الحبوب من مكان إلي آخر وتسليم عدة شحنات إلي الملك، وفي عام 500 حصل بعض الكورتاس الذين كانوا مسافرين علي أقوات للسفر في أحد الضياع (إرماتام)، حيث كان إرسينا (Irsena) هو المسؤول عن عملية التخصيص، أي أنه هو من أرسل الأمر إلي مدير المستودع «ميدومانوس (Medummanus) »، وإلي المسؤول «سياتيبارنا (Siyatiparna) » الذي كان سيستلم الغلال منه ليقوم بتوزيعها علي الكورتاس (ألواح التحصينات 1368) .

وقد كان إرسينا (Irsena) نفسه خاضعاً لسلطة بارناكا (Parnaka) ومساعده زيساويس (Zissawis) الذي استلم منه رسائل تدعوه إلي اتخاذ الخطوات الضرورية لتوزيع الأقوات علي عدد من الأشخاص (ماجوسي، مدير أحد المستودعات، النساخ البابليين الذين يعملون لحساب بارناكا (Parnaka) ، ... الخ)، وفي عام 498 استلم أيضاً خطاباً من مارازا

(Maraza) يحمل أوامر إليه بتوزيع أقوات الحبوب علي الكورتاس (لوح التحصينات 1844)، فبعد نجاحه في تحمل المسؤوليات الكبيرة التي كلف بها في قسم الخمر بكفاءة في الفترة بين عام 405 وجزء من عام 498، وبروز نجمه بين موظفي بارناكا (Parnaka) (لوح التحصينات رقم 1789) تم نقل مارازا (Maraza) بعد ذلك لإدارة قسم الغلال (الألواح 1841-42-44-45)، ومن خلال المكانة الكبيرة والسلطات التي منحها له هذا المنصب، أصدر أوامره إلي إرسينا (Irsena) ؛ للقيام بتوزيع أقوات الغلال علي الكورتاس التابعين له، ويظهر هذا المثال البسيط أن الكوردباتيس إرسينا (Irsena) لم يكن هو كبير القهرمانات، وأن المنصب الذي كان يشغله في الهرم الإداري كان أعلي من منصب رئيس القسم، وعلي العكس من ذلك فبناءً علي تعليمات من المستوي الأعلي قام هو بإصدار أوامره إلي المسؤولين في المستوي الأدني ليوزعوا الأقوات علي جماعات الكورتاس المسؤولين مباشرة منه، وينطبق هذا الوضع نفسه أيضاً علي كاركيس (Karkis) وسودايودا (Suddayauda) ، والذين خلفوه في إدارة منطقة برسيبولس، ولقد شغل الأول هذا المنصب في الفترة من 507 إلي 503، أما الأخير فقد شغله من 502 إلي 496، وقد اقتصرت نشاطات كل منهما علي منطقة معينة، ولكن اقتضت الظروف أيضاً تدخلهم في مناطق أخري ربما بسبب نقص الموظفين المؤهلين، وعلي أي حال، فإن دراسة الألواح تظهر مدي تعقد وصرامة التسلسل القيادي للنظام الإداري في برسيبولس، كما أنها تقدم إشارات ومعلومات مهمة حول الحياة العملية للموظفين مثل مارازا (Maraza) ، والتي يمكن أن نقتفي أثرها لسنوات عديدة.

السفن الناقلة للكنوز والمسؤولين عن الخزنة:

إن المشكلات التي يثيرها أحد المسؤولين الآخرين هي أكبر بكثير، والمعلومات المباشرة الوحيدة التي لدينا تأتي من ألواح الخزانة التي

سمحت لنا بعمل قائمة بمن شغلوا منصب أمين الخزانة بعد عام 490، وهي السنة التي تولي فيها بارادكاما (Baradkama) هذا المنصب واحتفظ به حتي عام 466، وتسمح لنا الملاحظات الآرامية المنقوشة علي الهاونات ومدقات الهاونات الموجودة في برسيبولس بملء قائمة بأسماء أمناء الخزانة الذين شغلوا هذا المنصب خلال الفترة من 436-435 بفرض أن التواريخ التي ذكرها محرر هذه النقوش هي مؤكدة بالكامل، وهو ما ليس صحيحاً في الواقع، وفي ألواح الخزانة نجد أن أمين الخزانة أو خازن بيت المال، كان يحمل اللقب الفارسي «جانزابارا» المشتق من كلمة «جانزا» والتي تعني «الكنز»، ويظهر أيضاً في النقوش الموجودة علي الهاونات والمدقات لقب «أوبا-جانزابارا»، أي «الأمناء المساعدين»، ومن المحتمل أن هذا كان هو دور «ساكا» الذي عمل مع «بارادكاما (Baradkama) »، ولقد تم إعطاء أمناء الخزانة في مرات عديدة اللقب البابلي «كابنوسكيرا»، وهو الكلمة الإيلامية المقابلة لكلمة جانزابارا الفارسية، ويمكن أيضاً أن تتم الإشارة إليهم باستخدام عبارة «خازن بيت مال بلاد فارس» و«خازن القلعة» (هالماريس)، والتي تشير بوضوح إلي برسيبولس، ولقد كانوا يقومون بانتظام وبناءً علي طلب من أحد المسؤولين بإعطائهم بعض المبالغ لاستخدامها في دفع رواتب الكورتاس، وفي الحقيقة، وبداية من عام 493 كان يتم دفع رواتب العمال جزئيًّا في صورة فضة موزونة، وكانت هذه الفضة تأتي من الخزانة، والتي كانت تسمي في أحد الألواح بالخزانة الملكية (سونكينا: اللوح رقم 27)، وينحصر نطاق صلاحيات أمناء الخزانة في إقليم فارس فقط، وهؤلاء الكورتاس كانوا في معظم الحالات عبارة عن «حرفيين يعملون في برسيبولس» في مواقع التشييد، ولكن الخزانة كانت من الممكن أيضاً أن تعطي المال/ الفضة لجماعات الحرفيين الذين كانوا يعملون في مواقع أخري في إقليم فارس، مثل العمال الذين كانوا يعملون

علي صناعة المعاطف المدرعة في نيريز (لوح الخزانة 52)، وعلي الرغم من هذه البيانات، إلا أنه ليس من السهل تحديد مكانهم في الهرم الإداري بدقة، حيث إننا لا نعرف بالضبط ما هي الخزانة؟ وما هي الأموال التي كانت تستخدم في إعادة ملئها أو سد النقص بها؟ وهل كانت هذه الأموال تأتي من بلاد فارس نفسها (خزانة بارسا)؟ أو أن هذه الأموال كانت تؤخذ من أموال الجزية والضرائب التي كانت تتدفق علي بلاد فارس من جميع أنحاء الإمبراطورية؟ (وهو ما تقترحه ألواح الخزانة 1459، 1357، 1342)، هل كان أمين الخزانة يرفع تقاريره إلي المسؤول الأعلي منه؟ خلال فترة تولي بارادكاما (Baradkama) هذا المنصب لم يتم ذكر أي شيء أكثر من ذلك عن بارناكا (Parnaka) أو عن أي شخص آخر خلفه في تحمل تلك المسؤوليات العظيمة، وتظهر من الألواح أن بارادكاما (Baradkama) قد تلقي في مرات عديدة أوامر من دارا (Darius) مباشرة (ألواح الخزانة 4-7)، هل نستنتج من ذلك أنه كان يتم إرسال خطاب ملكي في كل مرة من هذه المرات؟

وتكشف ألواح التحصينات عن وضع مختلف، حيث إن كلمة «جانزابارا» ظهرت في هذه الألواح مرتين فقط، فقد استلم رجل اسمه مانويا (Mannuya) مال/ فضة في صوصا، وتلقي أوامر تقضي بإرساله إلي ماتيزيس (لوح التحصينات 1342)، هل يشير هذا إلي عائدات الضرائب التي تم تحصيلها في إيلام؟ ولكن إذا كان الوضع كذلك فعلاً فلماذا يعطيها إلي ماتيزيس بدلاً من تسليمها إلي الخزانة الفارسية في الحصين القريب جدًّا من برسيبولس؟ ويسجل لوح آخر كشف بالحسابات التي تم إنشاؤها في راكان والتي تسمي بالخزانة (لوح التحصينات 1947)، ولقد كان أمين الخزانة (جانزابارا) من بين المسؤولين العاملين هناك، والذي كان يستلم أقواتاً من المستودعات، والموظف المسؤول عن إعطاء التصاريح بصرف السلع من المستودع

(يوليرا)، والـذي كـان يسـمي «يـوليرا كابنوسـكيرا» أي «يـوليرا صـاحب الخزانـة»، وأحـد النساخ «تيبيرا كابنوسكيما»، ولكن الخزانة التي يدور حولها الحديث هنا لم تكن خزانـة بلاد فارس، ولكن واحدة من الخزائن المحلية العديدة الموجـودة في جميـع أنحـاء فـارس وإيلام والتي قامت الألواح بذكرها، ويشير أحد النصـوص بشـكل غـير مبـاشر إلي خزانـة برسيبولس، كما أنها تسجل تقديم الأقوات إلي الرعـاة الـذين أحضروا «الأغنـام الملكيـة» إلي صوصا، والذين تـم وصـفهم بـأنهم «مرتبطـون بخزانـة برسـيبولس» (كانزايكـا، لـوح الخزانة 1442)، ومن المحتمل أن هذا المصطلح كان يشار به إلي الكورتـاس الـذين كـانوا يعتمدون بشكل كامل علي سـلطات الحصـن في الحصـول عـلي أقـواتهم، والـذين كـانوا لازمين للقيام بوظائف معينة (راجع ألواح الخزانة 45، 65، 67) .

لقـد ظهـرت كلمـة «كابنوسـكي» أي (الخزانـة) وكلمـة «كابنوسـكيرا» أي (أمـين الخزانة) في 53 لوحاً من ألواح التحصينات، ولقد كان عدد هذه الخزائن في بلاد فـارس هو (11) خزانة محلية، ومن الواضح أنه لم يكن هناك مـا يربطهـا بخزانـة برسـيبولس التـي تتحـدث عنهـا ألـواح الخزانـة، ولقـد كانـت هـذه الخـزائن تحتـوي أيضـاً عـلي مستودعات للسلع، وكان يعمل بها عدد كبير من الموظفين (كما في راكـان)، ولقـد كـان هناك عدد صغير أو كبير من الكورتاس المرتبطين بهذه الخزائن، فعلي سبيل المثال كـان هناك 47 من هؤلاء الكورتاس في شـيراز في عـام 504 (ثـم أصـبحوا 231 في عـام 500)، وكان عددهم 677 في ماتيزيس عام 497، و544 في أوراندوس عـام 500، وهكـذا، وقـد كانت هذه الخزائن المحليـة في الأسـاس مراكـز لتجميـع وتخـزين ومعالجـة المنتجـات النباتية والحيوانية، وهكذا فإنه لم تكن هناك روابط كثيرة تجمع بـين أمـين أحـد هـذه الخزائن وبين المسؤول عن خزانـة بـلاد فـارس (مثـل بارادكامـا (Baradkama)) عـلي الرغم من أنه كان يطلق عليهما هما الاثنين اللقب نفسه وهو «جانزابارا»، ولقد ظهـر

بارادكامـا (Baradkama) في مـرات عديـدة في عـامي 495-494 كمـوزع للأقـوات عـلي الكورتاس التابعين للخزانة (كابنوسكي) في كل من أوراندوس وشيراز (ألواح الخزانة 864-867) -عنـدما كانـت الحبـوب تحـت سـيطرة إرسـينا (Irsena) - وفي عـام 495 كـان بارادكاما (Baradkama) مسؤولاً عن سبعة من الكورتاس التـابعين لخزانـة «كوربـون»، ومن الواضح أنه قد حصل علي ترقية في الفترة مـا بـين عـامي 494-490، والتـي جعلتـه علي رأس خزانة برسيبولس، وهكذا فإنه لا يوجد أي شك في أن الخـزائن كانـت تشـتمل أيضاً علي جماعات من الكورتاس الذين كانوا يعملون في المحلات، كـما أشـارت النقـوش الموجودة علي الهاونات ومدقات الهاونات الموجودة في الخزانة .

ومـن الواضـح أنـه لم يشـغل أحـد قبـل بارادكامـا (Baradkama) منصـب أمـين الخزانة في فارس بقدر ما يمكننا إعادة بناء الوضع الذي كـان قائمـاً في ذلـك الوقـت مـن ألواح الخزانة، ولا يعني هذا أنـه بعـد بارناكـا (Parnaka) لم تعـد هنـاك خزانـة ملكيـة بالمعني الذي نعرفه، وهي مستودع للمعادن والأشياء النفيسة، وفي الواقع فـإن المـؤلفين القدامي يشيرون إلي مثل هذه الأماكن المسـماة بــ«ثيسـوروي» و«باراثيسـيس» (راجـع سـترابو (Strabo) ، الكتـاب الخـامس عشر، فقـرة 3-21)، وإنـه لمـن الخطـير دائمـاً بنـاء افتراضات اعتماداً علي صمت المصادر، فالظهور المفاجيء لعملية دفع رواتب الـكورتاس باستخدام الفضة في عام 493 بالتأكيـد لا يعنـي أن بارناكـا (Parnaka) لم تكـن بحوزتـه المبالغ المالية اللازمة، ففي الواقع يثبت لوح الخزانة المكتوب باللغـة الأكاديـة أنـه عـلي الأقل منذ عام 502 فصاعداً كان يتم تحصيل الرسوم المقررة في صورة فضة (لوح الخزانة رقم 85)، ويبدو من المعقول أكثر أن نفترض أن بعضـاً مـن سـجلات بارناكـا (Parnaka) قد اختفت، وبالإضافة إلي ذلـك، فـإن ألـواح التحصـينات متحفظـة للغايـة فـيما يتعلـق بالعمليات التي كانت تجري في برسيبولس .

3- عالم العمل: الكورتاس:

حرفيو الكورتاس:

تشير الغالبية العظمي من الألواح إلي الأقوات التي كانت تقدم إلي الكورتاس، وفي الوثائق الخاصة ببرسيبوليس تشير كلمة «الكورتاس» الإيلامية بشكل عام إلي العمال الذين كانوا يعملون في الحقول والمحلات التي تسيطر عليها الإدارة، أو الذين كانوا يعملون في مواقع البناء في برسيبولس، وفي معظم الحالات لم تكن تتم الإشارة إلي مجال تخصصهم، حيث كان يتم تسجيل أسمائهم في قوائم علي أنهم الكورتاس المستلمون للأقوات والمؤن في بلدية معينة أو خزانة معينة (كورتاس كابنوسكيب)، ومن ناحية أخري، فإنه لم يتم ذكر العديد من الأسماء التقنية للمهن، وهكذا فإننا يوجد لدينا قوائم كاملة غير قابلة للتفسير (راجع لوح الخزانة رقم 865) .

وتحتوي ألواح الخزانة في الأساس علي اسماء العمال المتخصصين في حرف البناء والزخرفة، ويشار إليهم غالباً كـ«حرفيي الكورتاس الذين يحصلون علي أقواتهم من برسيبولس»، وهناك احتمال كبير في أن كلمة «ماريب» الإيلامية التي تعني (الحرفيين) تقابل أو تعادل الكلمة الفارسية «كرنوفاكا»، وفي بعض الأحيان تتم الإشارة إلي هؤلاء الحرفيين بشكل عام مثل الرجال الذين بلغ عددهم 1149 والذين أطلق عليه «حرفيون من جميع التخصصات» أو «العمال الذين يقومون بجميع المهام» (لوح الخزانة 79)، وفي بعض الأحيان كانت تتم الإشارة إلي تخصصاتهم بتحديد أكبر، هؤلاء الذين يعملون علي الحجارة، أو هؤلاء الذين ينحتون الصور البارزة علي الخشب، أو الذين أسهموا في إكمال القاعة المرفوعة السقف علي أعمدة، أو صائغي الذهب، أو العاملين في مصاهر المعادن، ويشهد عدد كبير من الألواح علي استمرار العمل في

التشطيبات والزخرفة في برسيبولس طوال عهد كسركسيس (Xerxes) بشكل خاص، ولقد تم ذكر الحرفيين (ماريب) الذين يعملون في برسيبولس في ألواح التحصينات، ولكن بشكل أقل تكرار نسبيًّا، وتسجل ألواح معينة في الفترة بين عامي 507-500 عمليات نقل الحبوب والدقيق والخمر الذي كان يمثل أقوات الحرفيين، وقد كان أباتيا (Abbateya) هو الموزع (ألواح التحصينات، 1580-1584* 1594* 1614* 1801* 1831)، وتم ذكر الجنس الذي ينتمي إليه هؤلاء الحرفيون ذات مرة (الليسيون: لوح التحصينات 1049)، ونادراً ما كان يتم ذكر التخصص: النحاتون علي الحجارة (ألواح التحصينات 1587، 1633)؛ صائغي الذهب (ألواح التحصينات 1805، 872)؛ النجارون (لوح التحصينات 1799)، ويشير أحد الشروح المكتوبة باللغة الآرامية إلي مقتلعي الحجارة (لوح التحصينات 1587)، وهذا يذكرنا بالكتابات والرسوم اليونانية التي وجدت في أحد المحاجر في برسيبولس، وتحمل إحدي هذه الكتابات اسم بيثاركوس (Pytharcus) ، وتحمل أخري اسم نكياس (Nikias) ، وبالإضافة إلي ذلك، تظهر الهاونات ومدقاتها الموجودة في برسيبولس أنه تم توظيف الكورتاس في عهد كسركسيس (Xerxes) وأرتاكسركسيس (Artaxerxes) الأول في محلات الحصن ليقوموا بصناعة أشياء من الواضح أنها كانت مخصصة للمائدة الملكية .

ولكن لم يكن جميع الحرفيين متمركزين في برسيبولس، حيث إن أمين خزانة برسيبولس كان يعطي مرتبات أيضاً للعمال الذين كانوا يصنعون المعاطف المدرعة في نيريز (لوح الخزانة رقم 52)، أو للذين كانوا يعملون في إقليم فارس (لوح الخزانة رقم 53)، أو شيراز (لوح الخزانة رقم 42، 60)، ومثلما كان الحال مع خزانة برسيبولس، فإن الخزانات الأخري المنتشرة في جميع أنحاء بلاد فارس كانت في الواقع لديها جماعات من العمال (كورتاس كابنوسكيب) يختلف عددهم من

خزانـة إلي أخـري، وكانـت توجـد بيـنهم مجموعـة متنوعـة مـن الحـرف: البنـاءون في أوراندوس، وصائغو الذهب العاملون في كورا، والـذين تـم جلـبهم مـن سـارديس (لـوح التحصينات 873)، وصائغو الذهب الموجودون في هيدالو (لوح التحصينات 874)، ومـن بين الجماعات الأكثر تخصصاً كـان العـمال الـذين سـلمتهم الإدارة الجِلـد والـذين قـاموا بمعالجته لصـنع ورق البرشـمان منـه، والـذي كـان يـتم اسـتخدامه بعـد ذلـك مـن قبـل الوزارات العديدة والمكاتب المحاسبية، وبالإضافة إلي ذلـك يشـير (23) نصـاً مـن مواقـع مختلفة إلي جماعات «الباساب» التي تتكون من النساء فقط، ومـن المحتمـل أنهـن كـن النساجات اللواتي كن يغزلن الصوف ويصنعن منه مجموعة متنوعة من الملابس .

وفي عام 497 -وبناءً علي أوامر أباتيا (Abbateya) - حضرت مجموعة مكونة من 31 عاملاً كانوا تابعين لخزانة نيريز للعمل في برسيبولس كبنائين (لـوح التحصـينات رقـم 1852)، ولم يكن هؤلاء العمال بالضرورة يعملون كبنائين مهرة في السابق، حيث إنه مـن الممكن أنهم قد تم استدعاؤهم كعمال عـاديين، ثـم تـم دمجهـم في الجماعـات المكلفـة بأعمال البناء، وعلي أية حال، فإنـه يبـدو أن جماعـات العـمال كـان يـتم نقلهـم بشـكل دوري من موقع لآخر علي حسب الحاجة، وتوجد شواهد علي مثـل هـذه التحركـات في ألواح الطائفة Q (مؤن السفر): من صوصا إلي برسـيبولس، مـن صوصـا إلي ماكـان، مـن برسيبولس إلي صوصا، من راكان إلي تاموخان، وهكـذا، وتوجـد شـواهد أيضـاً عـلي نقـل العمال وإعـادة تمركـزهم مـن مكـان إلي آخـر في ألـواح الخزانـة، ففـي نهايـة عهـد دارا (Darius) تمّ إحضار عمال البناء الذين تم استخدامهم في تشـييد الـقصر في نوبيسـتاس من مصر (ناكظي روستام، لوح الخزانة رقم 9)، وفي عام 462-461 صدر أمر بإرسال أحد المتخصص المشهورين في زخرفة الأحجار مـن صوصـا إلي برسـيبولس (لـوح الخزانـة 78)،

والجماعات التي كانت تنقل بهذه الطريقة كانت من الممكن أن تكون كبيرة في العدد: حيث تم نقل 547 من الحرفيين المصريين من صوصا إلي برسيبولس (لوح التحصينات 1557)، ولقد تم أيضاً نقل 108 حرفيًا كبادوكيًا من برسيبولس إلي إيلام (لوح التحصينات 1577)، وفي مرة أخري تم نقل 1500 رجل من برسيبولس إلي صوصا (لوح التحصينات 1542)، وتم نقل 150 طراقيًا و980 كبادوكيًا و303 ليسيًا من مكان إلي آخر في إقليم فارس (لوح التحصينات أ 18، 30)، الخ .

إن تغير عدد العمال الموجودين في الموقع نفسه هو دليل إضافي علي تلك الممارسة في نقل العمال من مكان لآخر، حيث إن الأوامر المتعلقة بتوزيع المؤن والأقوات تسمح لنا فعليًا بإجراء إحصاء سنوي لعدد هؤلاء العمال، ويمكننا أن نلاحظ أن بعض الخزانات كان لديها عدد قليل من العمال المرتبطين بها بشكل دائم مثل خزانة حيران والتي -باستثناء عام 488- كان يعتمد عليها عدد (88) عاملاً بشكل دائم، ومن ناحية أخري كان يتم توزيع الأقوات في ماتيزيس علي عدد 259 عاملاً في عام 506، ولقد زاد عددهم إلي 694 عاملاً في عام 499، و702 عاملاً في عام 498، و677 عاملاً في عام 497، بينما في خزانة أوراندوس نجد أن الأرقام هي كما يلي: 15 في عام 503 عمال، و544 عاملاً في عام 502، ثم صار عددهم أكثر من 200 عامل في المتوسط حتي عام 497، وفي بعض الأحيان تكون الاختلافات في الأرقام أكثر وضوحاً، ففي بارميزان وهو المكان الذي كانت توجد فيه أعداد ضئيلة للغاية (5 عمال في عام 505، و6 عمال في عام 501)، وصل الرقم فجأة إلي 527 عاملاً في عام واحد (508؟)، والشيء الأكيد هو أنه لا يجب أن تؤخذ هذه الأرقام علي أنها صورة دقيقة للظروف القائمة في هذه السنوات بسبب نقص السجلات التي لدينا، وأيضاً وعلي وجه الخصوص، صمتها فيما يتعلق بعدد الحرفيين الذين كانوا يعملون في برسيبولس، وعلي الرغم

من ذلك فإن السجلات الموجودة لدينا تقدم لنا فكرة عامة عن التسلسل الهرمي للخزائن، وعن تنقلات العمال من موقع إلي آخر .

قائدو المائة والمشرفون:

إن الأوامر التي تتعلق بالأقوات وتنقلات العمال (الكورتاس) كانت تصدر من رؤساء العمال (كورداباتيس)، والذين كانوا من الممكن أيضاً أن يؤدوا مهام الموزعين (سارامانا)، وكان من الممكن أن تصدر الأوامر مباشرة من عند بارناكا (Parnaka) أو حتي من عند الملك، ولكن جماعات العمال -وخاصة أفضلها من حيث كمية الإمدادت التي تصلهم- كانت لديهم منظماتهم الداخلية الخاصة، والتي كانت بالطبع خاضعة لسلطة مسؤولي الإدارة، وتظهر لنا ألواح التحصينات في مرات عديدة تحويل منتجات إلي «رؤساء المائة» (ساداباتيس/ ساتاباتي)، ورؤساء العشرة (داساباتيس/ داثاباتي)، والذين كان يتم ذكر أسمائهم بشكل صريح تبعاً للصيغة «قائد المائة لكذا وكذا، أو قائد العشرة لكذا وكذا» (ألواح التحصينات 138-143)، حتي إننا نجد لقب قائد الأربعة في أحد الألواح (لوح الخزانة 1963:10)، ويسجل أحد الألواح قائمة بأسماء الأشخاص (تاسوب/ الأشخاص) مقسمة إلي مئات (لوح الخزانة رقم 84)، ونميل إلي الاعتقاد بأن وظيفة قائد المائة وقائد العشرة كانت تتمثل في القيام بتوزيع الأقوات علي رجالهم، وعلي الرغم من ذلك فإن المعلومات التي حصلنا عليها من ألواح الخزانة لا تؤكد بشكل كامل مثل هذا التفسير، حيث نجد في بعض النسخ أن قائد المائة هو بالفعل من يقوم بالتوزيع (سارامانا، لوح الخزانة 42، 53، 60)، ولكن هذه ليست هي القاعدة العامة، وإنما هي الاستثناء، ففي عامي 482/483 كانت هناك مجموعة من العمال من مصر، ومن سوريا، ومن أيونيا الذين يعملون في برسيبولس، وكانوا يشكلون في مجملهم 201 وحدة، وقد كانت الإمدادات تقسم بصورة غير متساوية بين الجماعات الفرعية التي كانت

تحتوي كل منها علي 46 رجلاً، ومـن الواضـح أن هـذا التفـاوت في كميـة الإمـدادات كـان راجعاً إلي تفاوت مؤهلاتهم، وقد كانت هذه المجموعة تحتوي أيضـاً عـلي 63 رجـلاً كـانوا يسمون بقادة المائة، وقادة المائة الفرعيين، وإذا افترضنا (وهو الافـتراض المنطقـي) أن كـل لوح من الألواح يتعامل مع طائفة محددة من العمال، والذين كانوا يحصـلون عـلي مـؤن، فإنه سيكون من الواضح أن كل واحد من قـادة المائـة -عـلي الـرغم مـن كـثرتهم- لم يكـن يقود مائة رجل، ولكي نكون دقيقين فإنه يبدو أن كـل مـن ينتمـي إلي طائفـة قـادة المائـة كان يسمي قائد المائة، ومن المحتمل أن هذا كان امتيازاً يعطي الحق لصاحبه في الحصـول علي مؤن أكثر مما يحصـل عليـه 138 عـاملاً آخـرون مجتمعـين (لـوح الخزانـة 15)، ومـن المحتمـل أن هــذا كـان ينطبــق أيضـاً عــلي قائـد المائــة المصري المســمي هارادومــا (Haradduma) ، والذي كان يعمل كنجار ولاصق للأثاث، والذي يذكر اسمه أحد الألـواح علي أنه الشخص الوحيد الذي كان يحصل علي مؤن (لوح الخزانة 1)، ولا بد أنه كان أحـد الحرفيين الذين يتم احترامهم بشـكل خـاص بـالنظر إلي الحجـم الكبـير للمـؤن التـي كـان يحصل عليها (ما يعادل 6.5 سيكولي في الشهر)، وهي الكميـة التـي تفـوق بكثـير مـا كـان يعطي لقادة المائة الآخرين (1+3/4+1/8 سيكولي في الشهر لكـل مـن قـادة المائـة وقـادة المائة الفرعيين الثلاثة والستين المذكورين في لوح الخزانة رقم 15)، ولقد كانت أيضاً تفـوق كثيراً الأقوات التي تمنح لأحد المزخرفين، والذي علي الرغم من أنـه قـد تـم اسـتدعاؤه مـن صوصا إلي برسيبولس في عام461/462 إلا أنه كـان يحصـل عـلي 3/1 سـيكيولس في الشـهر (لوح الخزانة 78)، حيث إن تواضع حجم المؤن التي كان يحصل عليها هو أمر لا يوجد لـه تفسير علي الإطلاق، حيث إنه يسمي «ماناكوراس»، وهو اللقب المقابل للكلمـة الفارسـية «فراماناكارا»، والتي تعني (مشرف العـمال)، وفي عـام 466/ 465 كـان هنـاك رجـل اسـمه

إسكوس (Eskus) ، وكان مشرفاً علي 612 نجار يعملون في برسيبولس، ولكن لم يتم تحديد كمية المؤن التي كان يحصل عليها (لوح الخزانة 75)، وفي عام 466 حصل رجل كان يشرف علي اثنين من النجارين علي مؤن تقدر بـ(6,1) سيكولي في الشهر (لوح الخزانة 44) .

المؤن الغذائية وتنظيم الإنتاج:

تبعاً لألواح التحصينات، كانت المؤن العينية توزع بشكل غير متساوٍ تبعاً للجنس والنوع، وبشكل عام كان يتم التمييز بين الرجال و«الصبيان» (بوهو) من ناحية، وبين النساء والبنات من ناحية أخري، ولكن يظل هناك بعض الشك حول المعني الدقيق لكلمة (بوهو) (هل يتم تحديدهم تبعاً للسن؟ أم تبعاً للمنزلة [خادم]؟)، وبتحليل الموضوع تحليلاً كليًّا يبدو أن 83% من الرجال كانوا يحصلون علي 30 قا من الحبوب في اليوم، أي حوالي 5,16 كجم (حيث إن كل مائة لتر كانت تعادل 56 كجم)، بينما كان يحصل الآخرون علي كمية تتراوح بين 11-25 كجم، ولقد حصلت 87% من النساء علي كمية تتراوح بين 5,6-11 كجم، بينما كانت تحصل النسبة الباقية منهم تقريباً بأكملها علي 22 كجم، ولكن هذه الأرقام التي تمثل المتوسط لا تأخذ في اعتبارها التنوع الموجود في المواقف، وكمثال (من بين مئات الأمثلة الأخري) دعونا ننظر إلي كمية مؤن الحبوب التي تم تسليمها في مارس عام 498 إلي عدد (702) عاملاً في ماتيزيس والذين حصلوا علي 1638.5 باراً، أي أكثر من (100) قنطار [لوح التحصينات رقم 960 (1 قنطار= 100كجم)]، ولقد كانت الكميات المخصصة هي كما يلي:

(1) رجل	50,27 كجم	(4) سيدات	50,27 كجم
(48) رجل	22	(120) إمرأة	22 كجم
(31) رجل	75,18	(146) إمرأة	50,16
(23) رجل	50,16	(100) إمرأة	11
(15) صبي (بوهو)	25,13	(3) بنات	75,13
(28) صبي	11	(13) بنت	11
(38) صبي	11	(43) بنت	25,8
(20) صبي	50,5	(22) بنت	50,5
(22) صبي	75,2	(17) بنت	75,2
		(8) لباب	11

ويمكننا أن نري الفرق مع كل طائفة أيضاً دون أن يكون لدينا في أية حالة محددة من الحالات أية معلومات تساعدنا في فهم المعايير التي يتم بناءً عليها تحديد الكمية الموزعة (باستثناء معيار العمر، والذي من الواضح أنه ليس هو الاعتبار الوحيد)، وبالإضافة إلي ذلك، تظهر في هذا الجدول طائفة جديدة وهي «اللباب»، حيث يذكر اسم هذه الطائفة غالباً في جماعات المسافرين الذين يحصلون علي الإمدادات من المستودعات الموجودة علي الطرق الملكية، ويمكن تمييز مجموعتين فرعيتين بشكل عام جدًّا: السالويب واللباب، وهاتان الطائفتان تقابلان طبقات اجتماعية مختلفة، ولكن لم يتم تحديدهما أكثر من هذه الصورة «السادة» و«الخدم/ العبيد»، حيث يحصل السادة في العادة علي 28,0 كجم في اليوم، بينما يحصل البوهو علي 55,0 كجم وهي الكمية نفسها التي كان يحصل عليها الخدم/ اللباب هم الآخرين (55,0 كجم) .

وفي حين أنه كان من الواضح أن الحبوب هي الغذاء الرئيس، إلا أن بعض الجماعات كانت تحصل أيضاً علي الخمر أو شراب الشعير، ولكن هذا الأمر كان نادر الحدوث نسبيًّا، حيث كان يحدث في أقل من 1/5 من

الحالات، ففي مارس وأبريل من عام 500 -علي سبيل المثال- تم توزيع (24) ماريس من الخمر (ما يعادل 228 لتراً) علي ثمانية من العمال في نيريز كالتالي: تم إعطاء 4,19 لتراً لكل رجل من رجلين أولين، وتم إعطاء 7,9 لتراً لكل رجل من رجلين آخرين، وأعطيت امرأة عدد (23) لتراً (لوح التحصينات رقم 878)، ويمكننا أن نستنتج من هذين المثالين أنه كان يتم بشكل منظم إعطاء النساء مؤناً أقل مما يعطي للرجال، حيث كان يتم بصورة منتظمة تخصيص مؤن قدرها ثلاثة ماريس من الخمر للنساء اللواتي يحملن لقب «إرسارا»، والذي يقابل اللقب الفارسي «ماثيستا»، والذي يعني رئيسة، ومن الواضح أنه كان يوجد رجال يحملون اللقب نفسه، وأنهم كانوا نتيجة لذلك يحصلون علي كميات كبيرة جدًّا من المؤن، ولكن كان يوجد في الغالب سيدات ترأسن الباساب الإناث، ولقد كانت تلك السيدات الرئيسات يحصلن علي مؤن كبيرة جدًّا من الحبوب والغلال تقدر بـ(27.5) كجم، وفي إحدي المرات (لوح التحصينات رقم 1790) حصلت خمس من هذه السيدات علي 1/2 خروف، وفي مناسبة أخري حصلت (544) من العاملات العاديات في أوراندوس علي 1/30 من الخروف في الشهر (لوح التحصينات رقم 1794)، وعلي الرغم من ذلك، فإن توزيع اللحم علي العمال (الكورتاس) كان أمراً نادراً للغاية (لوح التحصينات 1793، 823-825)، ولقد كان العمال الباساب من بين طوائف العمال التي كانت تحصل علي مؤن إضافيه، واحد لتر من الدقيق في الشهر في إحدي الحالات (لوح التحصينات 1090)، و(3) لتر من شراب الشعير لمدة ستة أشهر في مثال آخر (لوح التحصينات 1108)، حتي في جماعة النساجات -واللاتي كان يوجد معهن عدد قليل من الرجال- كان يتم تقسيم الأقوات إلي ثلاث مجموعات فرعية تبعاً للوظيفة (علي حسب خامة الملابس التي يصنعونها هل هي فائقة الجودة - جيدة للغاية - أو

ذات مستوي أقل من الجودة)؟ ومن المحتمل أن الوضع في مواقع البناء في برسيبولس كان مماثلاً لذلك، حيث إنه من المحتمل -إلي حد ما- أن العمل هناك كان مقسماً إلي فرق ومجموعات، وكان يتم تكليف كل مجموعة أو فريق بمهمة تكرارية محددة .

وتشهد أيضاً النقوش الآرامية الموجودة في برسيبولس علي الجهود التي كانت تبذلها الإدارة لإحكام مراقبتها علي العمال، ولزيادة إنتاجيتهم إلي أقصي مدي ممكن، وقد تمت صياغة هذه النقوش الموجودة علي الأطباق والهاونات والمدقات والحجر الأخضر علي غرار النموذج التالي: (تبعاً لأحد التفسيرات المقترحة):

في خزانة الحصن

وبناءً علي أوامر السيجان X

قام N بصنع هذا الهاون/ هذه المدقة/ هذا الطبق

والذي قام بصنعه تحت سلطة Y1 (أمين الخزانة) و/أو Y2 (مساعد أمين الخزانة) خلال سلسلة من العمل في السنة A

ويمكن أن تتم إعادة بناء مخطط للإجراءات المتبعة كما يلي، حيث إن الورش المخصصة لإنتاج الآنية الحجرية (من المؤكد بهدف تزيين المائدة الملكية) كانت تقع في غرف في الخزانة، وقد كان يعمل في هذه الغرف حرفيون لم يتم تحديد مكانتهم بالتحديد، ولكن من الواضح أنهم يقعون تحت المسمي العام لطائفة عمال الخزانة (كورتاس كابنوسكيب) الذين كان يتكرر ذكر أسمائهم كثيراً في الألواح، وقد كان بعضهم من المتخصصين الذين يعملون علي إكساب هذه المنتجات اللمعان والبريق، وفرق الكورتاس تلك - والتي من المحتمل أنه كان يتم تقسيمها إلي مجموعات تضم كل واحدة منها عشر عمال أو مائة عامل- كان يتم توجيهها والإشراف عليها من قبل «الحراس/ المديرين»، والذين كانوا هم أنفسهم خاضعين لسلطة أمين الخزانة

(جانزابارا) ومساعد أمين الخزانة (أوباجانزابارا)، ولقد مكنت هذه الملاحظات المكتوبة علي الأشياء المنتجة المدير من التحقق من هوية العمال الذين اشتركوا في صنعها (وبالتأكيد القيام بدفع مقابل إنتاجها)، وقد مكنته أيضاً من إنشاء صلة أو مقابلة بين وزن الحجارة الذي يتم إعطاؤه إلي كل ورشة من الورش وعدد الأشياء التي يتم إنتاجها، وبهذا صارت لديه وسيلة يقيم بها الناتج الذي تنتجه كل ورشة من الورش، وذكر تاريخ الإنتاج والرقم المتسلسل يؤكد الطبيعة الدقيقة شديدة الاهتمام بالتفاصيل التي كانت تتسم بها إدارة الخزانة، والتي توجد عليها شواهد واضحة في جميع الوثائق الفارسية، ولولا أن المؤلف ديودورس (Diodorus) يتسم بنزعة واضحة لتضخيم الوقائع وعرضها بأسلوب درامي، لكنا استخدمنا وبدون تردد إحدي فقراته لتوضيح مدي اهتمام الإدارة وتأكيدها علي «الكفاءة» (الكتاب السابع عشر، فقرة 69-4)، وفي الحقيقة وتبعاً لمؤرخ الإسكندر (Alexander) كانت تتم معاملة العمال اليونانيين بهذه الطريقة: «لقد كانوا أشخاص لديهم مهارات ويعملون بحرف معينة، وكانوا قد قطعوا شوطاً كبيراً في طريق تعلمهم وإتقانهم لهذه الحرفة، ثم تم بتر أطرافهم غير الضرورية، وتركت لهم فقط الأطراف الضرورية التي يحتاجونها للقيام بهذه الحرف»!

أصول ومنزلة الكورتاس (الحرفيين):

لم نقم بعد بتوضيح منزلة الكورتاس -وليس من السهل القيام بذلك- حيث إن الأصل الاشتقاقي لكلمة (جاردا) لن يفيدنا كثيراً، ويمكننا من خلال السياق فقط محاولة استشقاق بعض التشابه في المعني الذي تعبر عنه هذه الكلمة، والملاحظة الأولي هي أن الكورتاس كانوا يشتملون علي عناصر من جميع شعوب الإمبراطورية بما فيهم الفرس، ولكن كان عددهم محدوداً بشكل واضح، فلقد كان من بين الكورتاس حرفيون تم جلبهم من أقاليم باكتريا، سوجديانا، بابل، آشور، إيلام، شبه

الجزيرة العربية، سوريا، مصر، ليسيا، كاريا، أيونيا، سارديس، كبادوكيا وطراقيا، ويختلف عدد المرات التي ذكر فيها العمال المنتمون لكل من هذه الشعوب، ففي حين أن الكاريين قد تمّ ذكرهم ثلاث مرات فقط (لوح التحصينات 1123، لوح الخزانة 37، 1963)، ولقد تم ذكر العرب أربع مرات فقط (لوح التحصينات 1477، 1507، 1534، لوح التحصينات أ 17)، بينما يظهر العمال المنتمون للشعوب الأخري في العديد من الألواح وخاصة الليسيين (أكثر من 10 مرات)، والطراقيين (علي الأقل 20 مرة)، ولكنه يبدو من الصعب بناء بعض الاستنتاجات اعتماداً علي الإحصائيات القائمة علي مثل هذه السجلات الناقصة .

لماذا أتوا أو لماذا تم إحضارهم إلي بلاد فارس؟ لا توجد إجابة واحدة عن هذا السؤال، ويمكن تقديم العديد من التفسيرات المتناغمة لهذا الأمر، حيث توجد شواهد عديدة علي سياسة الترحيل التي كانت تتعرض لها الشعوب المهزومة، وهي السياسة التي كانت شائعة من قبل في عهد الدولة الآشورية والبابلية الجديدة (فمثلاً ترحيل العبرانيين في عهد بنوخذ نصر (Nebuchadnezzar) ، وبعد هزيمة أرتاكسركسيس (Artaxerxes) الثالث لأهل صيدا وتدميره لهذه المدينة في عام 345-344 تم اقتياد الرجال والنساء أسري إلي بابل، «وتم إدخالهم إلي القصر الملكي هناك»، وتشير النصوص الكلاسيكية بشكل متكرر إلي هذه الممارسات والتي كان يستخدمها الفرس في بعض الحالات كالتهديد الأخير والأسوأ للشعوب الثائرة عليهم (هيرودوت (Herodotus) ، الكتاب السادس، فقرات 3، 9، 94)، ولقد تعرض أهل بلدة ملطية للترحيل (الكتاب السادس، فقرة 32*98)، وهو ما حدث أيضاً مع البيونيين من سكان طراقيا (الكتاب السادس، فقرة 98)، والبرقيين (الكتاب الرابع، فقرة 204)، والإرتريين (الكتاب السادس، فقرات 101*119)، وسكان بيوتيا، والكاريين، هذا بالإضافة إلي كهنة معبد ملطية -الذين

فروا خلال انسحاب كسركسيس (Xerxes) - والذين تم توطينهم في باكتريا، ولم تقم أي من الوثائق بتحديد اسم بلاد فارس علي أنه المقصد الذي كان يتم إرسال الشعوب المرحلة إليه، ولكنها تذكر بدلاً من ذلك ما كان اليونانيون يفضلون تسميته بـ«أطراف الإمبراطورية»، يقصد بذلك باكتريا، بابل، إيلام، بالإضافة إلي جزر الخليج الفارسي، والتي تم استخدامها بشكل متكرر كمكان ترسل إليه الشعوب المرحلة، وكذلك أيضاً الفرس الأشرار والمسيئين، ولكن من المؤكد أنه كان من الممكن توطين أسري الحرب في فارس، حيث إن الإسكندر (Alexander) عقب وصوله إلي هناك اتصل باليونانيين الذين كانوا قد تم ترحيلهم إلي فارس، بالإضافة إلي راعي أغنام أصله من إقليم ليسيا، والذي أخبره أنه قد تم تحويله إلي هذا الوضع بعد هزيمة شعبه علي يد الفرس، وهذا يذكرنا علي الفور بالكورتاس الرعاة الذين تحدثت عنهم الألواح، وينطبق هذا الوضع أيضاً علي اليونانيين الموجودين في برسيبولس والذين «نقلهم ملوك الفرس السابقين من بيوتهم إلي هذا المكان» (ديودورس (Diodorus) ، الكتاب السابع عشر، فقرة 69-3)، والذين - نتيجة لقيام رؤسائهم في العمل ببتر أطرافهم وتشويهم- اشتكوا إلي الإسكندر (Alexander) من أنهم قد تم إجبارهم علي القيام بأعمال شاقة في ورش العبيد الفارسية (إرجاستوليس، كوينتوس كورتيوس (Quintus Curtius) ، الكتاب الخامس، فقرات 5*13) .

وإلي حد ما تظهر صورة أخري من «صكوك التأسيس» الخاصة بقصر دارا (Darius) في صوصا (فصل 2-5)، حيث تم مدح وتمجيد الملك فيها؛ لأنه أحضر مواد خام وحرفيين متخصصين من كل مكان (من شعوب أيونيا، وكاريا، وسارديس، ومصر، وباكتريا، وإيلام، وبابل)، وعلي الرغم من الطبيعة الأيديولوجية الطاغية لهذه التصريحات الملكية، إلا أننا نوافق وبسهولة علي أن دارا (Darius) قد استفاد من الفرق العرقية

التي كانـت تشـتهر بتفوقهـا وتخصصـها في حرفـة معينـة، ولقـد عـرف هـذا الاسـتخدام الانتقائي للمتخصصين من عهـد الدولـة الآشـورية الجديـدة، ومـما لا شـك فيـه أيضـاً أن قورش (Cyrus) نفسـه لـكي يـنجح في تنفيـذ مشروعاتـه الإنشـائية في باسـارجاداي قـام باستدعاء الحرفيين من ليديا، وأيونيـا، وتبعـاً لـديودورس (Diodorus) سـيكيولس فقـد كان هذا هو الحال أيضاً مع قمبيـز (Cambyses) ، والـذي لم يكتـفِ بنهـب المعابـد في مصر، «بل أخذ معه أيضاً الفنيين والحرفيين المهرة (تكنتاي) الذين قاموا بتشييد القصـور الشهيرة في برسيبولس وصوصـا، وجميـع أجـزاء ميـديا»، ولكـن لسـوء الحـظ، فإنـه مـن الصعب التأكد، مما إذا كانت الجماعات العرقية المذكورة في الألواح متخصصة في نشـاط مهني معين، وعلي الرغم من أنه من الصحيح أن بارناكـا (Parnaka) قـد قـام بتوظيـف البـابليين كنسـاخ يقومـون بالكتابـة عـلي ورق البرشـمان، إلا أن هـذا لم يكـن نشـاطهم الوحيـد، حيـث إن بعـض البـابليين الآخـرين كـانوا يعملـون «كتجـار للحبـوب» (ألـواح التحصـينات 1811، 1821-1822)، وكـان بعضـهم الآخـر يعمـل كحفـار للقبـور (لـوح التحصينات 1856)، ومن الكاريين كانت هناك طائفة تعمل علي الأحجار (لـوح الخزانـة 37)، وطائفـة أخـري تعمـل كبنـائين (لـوح الخزانـة 37، 1963)، ولقـد كـان المصريـون والسوريون يعملون في حرف مختلفة متصلة بالبناء، البنـاء، والنجـارة، والنحـت،... الـخ، وإذا أضفنا إلي ذلك حقيقة أنه في بعض الأحيان كانت جماعـات الكورتـاس تتكـون مـن عمال من أجناس مختلفة، فسـوف يوضـح لنـا ذلـك كيـف أن أي اسـتنتاج فـيما يتعلـق بتخصص كل شعب من الشعوب في حرفة أو فن معين هو استنتاج غير مفيد وخادع .

ويشكل الحرفيون الذين تم ذكرهم بالاسم حالة خاصة -علي سـبيل المثـال- المشرف المصري الـذي تخصـص في الأعـمال الخشـبية، والـذي تـم توظيفه في برسـيبولس عـام 489-490 (لـوح الخزانـة رقـم 1)، أو المشرف

الذي تخصص في الزخرفة، والذي أرسل في طلبه بأقصي سرعة من صوصا إلي برسيبولس (لوح الخزانة 78)، ونميل إلي افتراض أن بعض الحرفيين/ الفنانين الأساتذة ربما جاءوا إلي برسيبولس ليس لأنهم قد تم إجبارهم علي ذلك، ولكن لأن المسؤولين الفرس -الذين كانوا يسعون لاجتذاب الفنيين المهرة- قد طلبوا منهم ذلك، ومن المحتمل أن هذا كان هو الوضع في حالة النحات تيليفانيس (Telephanes) المنتمي إلي فوسيس الذي تحدث عنه بليني (Pliny) ، والعديد من الفنانين اليونانيين الآخرين الذين برعوا في مجالات متعددة (الرياضيون، الشعراء، الراقصون)، علي الرغم من أن بعضهم -أمثال الطبيبين ستيسياس (Ctesias) وديموسيدس (Democedes) - كانوا أسري، ويشير هذا الافتراض إلي أنه كان من الممكن لهؤلاء الفنانين في نهاية مدة تعاقدهم أن يعودوا إلي بلادهم أو أن يقوموا بتبني أسلوب حياة آخر، وفي الوقت الحالي فإن هذه العملية -إذا أمكن إثباتها- فلا بد أنها كانت تنطبق فقط علي عدد محدود من الحرفيين المهرة، حيث إنه لم يكن هناك سوق عمل حقيقي (انظر بالأسفل: فصل 9-11، حالة هنزاناي (Hinzanay) ، ولا بد أن هناك تفسيرات أخري لأسباب قيام الإدارة الفارسية بنقل آلاف العمال -الذين لم تكن لديهم أية مهارات محددة باستثناء ما يتم تكليفهم به من مهام- بشكل مؤقت إلي مواقع البناء في برسيبولس، حيث كان يقوم معظمهم بأداء مهام تكرارية رتيبة لم تكن تشتمل علي أي نوع من الإبداع .

العومل الديموجرافيه ونمو السكان:

إن النساء اللواتي كن علي وشك الوضع كن يحصلن علي مؤن خاصة (لوح التحصينات 1200-1237* 1248)، وعلي الرغم من أن مصطلح «الكورتاس» لم يكن يتم تحديده دائماً إلا أنه من المؤكد أنه كان يشير غالباً إلي النساء العاملات اللاتي كان يتم تحديد تخصصاتهن أحياناً، فمثلاً النساجات (ألواح التحصينات 1200، 1203، 1236،

راجع 1224)، ولقد كان يتم تسجيلهم بالاسم من آن لآخر، ولقد كن يحصلن بشكل عام علي الخمر وشراب الشعير والدقيق، ولقد كان يتم مضاعفة المؤن المخصصة للمرأة العاملة في حالة ما إذا أنجبت ولداً، فمثلاً كانت تحصل الأم علي عشرة لترات من الخمر في حالة إنجاب صبي وخمسة لترات في حالة الفتاة، (11 كجم) من الحبوب للولد، و(5,5 كجم) للفتاة، ولقد كان يتم مكافأة بعض الأمهات بتخصيص كميات أكبر من المؤن لهم؛ وذلك لأسباب لا نعرفها (كماكاس: 15 لتراً من الخمر في إحدي الحالات)، وتظهر العديد من الألواح أن كل أم كانت تحصل علي كل من الخمر/ شراب الشعير والغلال، وعلي الرغم من أن العينة محدودة في العدد، وفي الحيز الزمني الذي تغطيه (معظم الألواح تأتي من الفترة بين عامي 497-500)، إلا أنه من المثير ملاحظة أن العدد الكلي للمواليد هو 449 وأن 247 مولوداً منهم كانوا ذكوراً (55%)، ويبدو أنه لم تكن هناك حالات ولادة توائم، وعلي الرغم من ذلك، فإن الوثائق تشهد علي انتهاج الإدارة الفارسية لسياسة الإضافات الاختيارية، والتي توجد شواهد كثيرة أيضاً -ولكن في إطار سياسي مختلف إلي حد ما- علي أنها كانت تستخدم مع الأسر الفارسية نفسها (راجع هيرودوت (Herodotus) ، الكتاب الأول، فقرة 136، سترابو (Strabo) الكتاب الخامس عشر، فقرات 3، 17)، ومن الواضح أن هذه المؤن التي كانت تعطي للأمهات بعد الولادة هي مؤن إضافيه غير المؤن العادية، حيث إنها كانت تمثل مكافأة، وفي الوقت نفسه، فإن هذه الزيادات لا بد أنها مكنت النساء من التعافي من ولادة الطفل في ظروف جيدة، ومن المؤكد رعاية المولود، وذلك إذا إفترضنا أن القدماء كانوا يعتقدون أن إفراز اللبن يكون في أفضل حالاته بتناول شراب الشعير!

وتظهر هذه الوثائق أيضاً أن بعضاً من العمال الموجودين في إقليم فارس كانوا ببساطة نتيجة للزيادة الطبيعية في عدد السكان، حيث إنه من

المؤكد أن منزلة الأمهات كانت تنتقل إلي الأطفال، ولسوء الحظ لا توجد لدينا أية معلومات عن الآباء، كما أنه نادراً ما كان يتم تحديد الموطن الفعلي للأمهات، حيث كن من طراقيا في إحدي الحالات (لوح التحصينات رقم 1215)، ومن أيونيا في حالة أخري (لوح التحصينات رقم 1224)، ولكن هل كان الآباء أيضاً من طراقيا أو أيونيا؟ وربما نعود إلي الراعي الليسي الذي أرشد الإسكندر (Alexander) إلي البوابات الفارسية، والذي كما يذكر بلوتارخ (Plutarch) «كان أبوه من ليسيا، بينما كانت أمه فارسية» (الإسكندر (Alexander) ، فقرة 37-1)، ولقد كان هناك عمال يعملون في ذلك الوقت في «سجون العبيد» (إرجاستولا) الموجودة في برسيبولس، والذين أشار ممثلوهم إلي النساء «اللاتي جمعتهن الصدفة والضرورة بهم»، واللاتي أنجبن لهم أطفالاً «اضطرتهم العبودية إلي الاعتراف بهم» (كوينتوس كورتيوس (Quintus Curtius) ، الكتاب الخامس، فقرات 5* 15* 20)، ولكن هل يمكننا أن نطبق هذه التفاصيل علي بلاد فارس في عهد دارا (Darius) الأول؟ وهل تصف هذه الروايات تقليداً شائعاً في ذلك الوقت؟ ويظهر التاريخ البابلي والنصوص اليونانية فيما يتعلق باستيلاء أرتاكسركسيس (Artaxerxes) الثالث علي صيدا أن الأشخاص الذين تم ترحيلهم منها كانوا يشتملون علي رجال ونساء .

ولكن ماذا حدث للأطفال الصغار؟ هل تم دمجهم بصورة نهائية في مجموعة من الكورتاس كانت تشتمل (افتراضيًّا) علي آبائهم وأمهاتهم؟ لحسن الحظ أنه يوجد لدينا -وكما رأينا- عدد كبير من ألواح المؤن التي تسجل كميات من المؤن تختلف حسب الجنس والسن تبعاً لطوائف عامة هي الرجال، النساء، الأولاد، والبنات، وعلي أساس هذه الوثائق يمكننا عمل بعض الإحصائيات، فبوضع جميع ألواح التحصينات في الاعتبار، قام إم. إيه. دنداميف (Dandamaev) ببناء الجدول التالي:

الإجمالي	الرجال	النساء	الصبيان	الفتيات
21567	8183	8564	2687	2142
%100	%5,37	%39,8	%12,7	%10

نظراً لأن النسبة بين المؤن التي يحصل عليها الرجال، وتلك التي تحصل عليها النساء هي تقريباً مساوية للنسبة بين مؤن الصبيان والفتيات، فإن الاستنتاج الوحيد الممكن الوصول إليه من ذلك هو أن الكورتاس كانوا يعيشون في أسر، ولكن المنطق الذي يقوم عليه هذا الاستنتاج توجد به بعض الثغرات، فأولاً وقبل كل شيء نجد أن معدل الخصوبة يبدو منخفضاً بصورة غير عادية حتي مع أخذ معدل الوفيات المرتفع بين الأطفال في ذلك الوقت (راجع ستيسياس (Ctesias) ، فقرة 49)، ويجب التأكيد أيضاً علي أن أي استنتاج يعتمد علي النسب الكلية لن تكون له أية قيمة تجريبية، حيث إنها تفترض أن الكورتاس كانوا عبارة عن مجتمع ثابت، مستقل ومتجانس، وهو الأمر الذي من الواضح أنه لم يكن صحيحاً، وفي الحقيقة، إذا كنا سنتساءل حول تركيبة الأسرة، فإنه سيكون من الواجب علينا القيام بتحليل تركيب جماعات الكورتاس التي كانت تتميز بعزلتها الشديدة .

ونلاحظ أولاً أن العديد من مجموعات الكورتاس لم تكن تحتوي علي أعداد متساوية من الرجال والنساء، وهذا ينطبق بشكل خاص علي نساجات الخزانة، ففي (14) لوحاً وجدت في (5) مواقع تعود للفترة بين عامي 501-496، نجد أن نسبة السيدات في المجموعات هي بين 63% و5,73%، والزيادة في أعداد النساء والأطفال تبدو أوضح كثيراً في حالة جماعات العمال التابعين لخزانة شيراز، ونعلم أنه قد حدثت عمليات تجنيد وتعبئة في عام 505، وفي الفترة بين عامي 499-502، وفي حالة التجنيد الأولي ظل عدد الرجال دون تغيير، بينما زاد عدد النساء

والأطفال من (6) إلي (18)، وفي حالة التجنيد التـي تمـت بـين عـامي 499-502 زاد عـاد الأطفال من (16) إلي (99)، وبنـاءً عـلي ذلـك، فـإن النسـاء والأطفـال يمثلـون 90% مـن العدد الكلي للعمال، ولقد أدت عملية التجنيد الجديدة هـذه إلي إعـادة تنظـيم العمـل في المجموعة، ويظهـر أحـد الألـواح أن المجموعـة قـد تـم تقسـيمها إلي (11) مجموعـة فرعية، كانت تتكون (6) مجموعات منها من رجال فقط، بيـنما كانـت تتكـون الخمـس مجموعات الباقية من نساء فقط، والذين كان يتم خلط عدد قليـل مـن الرجـال معهـم أحياناً، ويبدو واضحاً أن هذه التغيرات ليست راجعة إلي العوامـل الديموجرافيـه، ولكـن إلي قرارات اتخذتها الإدارة الأخمينية التي كانـت مهتمـة بزيـادة الإنتاجيـة عـن طريـق إنشاء نظام يعتمد علي التقسيم الجنسي للعمـل، ونفـترض أن النسـاء والأطفـال قـد تـم فصلهم عن الآباء، ولكن لا يوجد ما يظهر أن تلك السيدات كن أمهات الصبية والفتيـات الذين يعملون بجوارهم.

ويبـدو أيضـاً أن نسـبة الأطفـال كانـت منخفضـة بصـورة غـير عاديـة في بعـض الحالات، ويسرد أحد النصوص مجموعة من صـائغي الـذهب مـن إقلـيم كاريـا، كانـت تشـتمل هـذه المجموعـة عـلي (27) رجـلاً، (27) امـرأة، (13) فتـاة، و(3) صـبية (لـوح الخزانة رقم 37)، وحتي إذا افترضنا (دون أن يكون عندنا دليل) أن هذه المجموعة مـن الكاريين كانت تشتمل علي (27) زوجاً، فإنـه مـن الصـحيح أيضـاً أنـه لا يمكـن توضـيح نسبة الصبية؛ وذلك لأن النصوص التي تسجل الأقوات التـي كانـت تعطـي إلي الأمهـات تشير إلي أن عدد الصبية المولودين كان أكبر قليلاً من عدد الفتيات اللاتي تمت ولادتهـن، ويمكننا أن نعدد الأمثلة علي عدم التوازن بين عدد الصبية والفتيات، لم تكن هناك فتـاة واحدة في مجموعة تتكون من (70) رجلاً، (95) امـرأة، و(20) صـبيًّا (لـوح التحصـينات رقم 951)، وقد كانت إحدي مجموعات العمال في ماتيزيس تتكـون مـن (103) رجـال،

(364) امرأة، (122) صبيًّا، و(84) فتاة (لوح التحصينات 959، راجع رقم 960)، وتشتمل مجموعة من الكورتاس من طراقيا علي (250) رجلاً، (220) امرأة، (18) صبيًّا، و(32) فتاة (لوح التحصينات 1010)، وقد كانت إحدي مجموعات الحرفيين في موقع البناء في برسيبولس في عام 466 تتكون بالكامل من (501) رجلاً (لوح الخزانة رقم 74) .

دعونا الآن ننظر إلي إحدي الحالات الشاذة (بالمعني الإحصائي)، ويتعلق هذا المثال بالصبية الفرس (بوهو) الذين كان يطلق عليهم لقب «كورتاس»، والذين كانوا يعملون علي «نسخ النصوص» في بيتامان، حيث إنهم حصلوا في مارس ونوفمبر عام 499 علي مؤن من الحبوب والخمر بناءً علي أمر سودايودا (Suddayauda) (ألواح التحصينات أرقام 871، 1137)، ومن الواضح أن هؤلاء الصبية أو الشباب قد تم أخذهم من أسرهم وتجميعهم في موقع تعلموا فيه أساسيات فن النسخ، ونري أيضاً كيف أن عددهم قد تقلص في الفترة من مارس إلي نوفمبر من 29 إلي 16، وأنه في داخل المجموعة كان يوجد تسلسل هرمي في كمية المؤن التي يحصل عليها كل واحد منهم، ومن الصحيح أيضاً أنه في السنة نفسها، وفي المكان نفسه يسجل لوحان وجود مجموعة من العمال تخضع للمسؤولين أنفسهم، والتي كانت تتكون من نساء ورجال فقط (لوح التحصينات 903-904)، ولكننا يجب أن نقاوم الميل للنظر لهولاء الرجال والنساء كآباء وأمهات للبوهو الفرس، وفي الواقع، فإن تلك المجموعة كانت تشتمل علي رجل واحد وأربعة نساء، وماذا حدث لبناتهم؟

علي الرغم من وجود إشارة وحيدة لإحدي زوجات (إرتيري) الكورتاس (لوح التحصينات رقم 999) ربما يقودنا هذا إلي الاعتقاد بأن الزيجات بين العمال كان يتم الاعتراف بها من قبل الإدارة، إلا أننا يجب

أن نتخلي تماماً عن فكرة أن الكورتاس كانوا يعيشون في أسر، وهـذه الملاحظـة البسـيطة تقدم لنا فهم مكانة هؤلاء العمال، وفي الحقيقة، فإنـه مـن الواضـح أن الإدارة لم تكتـفِ بمجرد نقل جماعات الكورتاس من مكان إلي آخر في أراضي الإمبراطورية، فلضـمان زيـادة الإنتاج قامت بقطع الوحـدات الأسريـة أو منعـت إنشـاءها (هـذا بفـرض أن السـلطات الفارسية كانت تعترف بها في الأساس)، وتظهر الألواح أيضاً أن الرابطة بين الأم وطفلها لم تكن دائمة، ففي حين أننا يمكـن أن نفـترض أن الأم كانـت تبقـي صـغيرها بـالقرب منهـا خلال السنوات القلائل الأولي -فقط من خلاله إلحاقه بالتدريب علي إحدي الحـرف- إلا أن النصوص تثبت أيضاً أن الأطفال أو الشـباب كـان يـتم أخـذهم إلي جماعـات أخـري، والتي كان من الممكن أن يتم تقسيمها تبعاً لحاجات إدارة الأفراد وهي الحاجـات التـي كان يتم تحديدها من قبل الإدارة .

وأخيراً، فإن هذا النقص الموجود في الشباب (الذكور والإناث) يجعلنا نعتقد أنه ربما قـد تم إرسال بعضهم إلي البلاط؛ ليتم تحويلهم إلي عبيد للقصر عـلي غـرار الكـولخيين والبـابليين، والذين كان يتوجب عليهم كل عام القيـام بإرسـال (100) صـبي و(100) فتـاة [الكولخيـون]، و(500) خصي [البـابليين] إلي الملـك (هـيرودوت (Herodotus) ، الكتـاب الثالـث، فقـرة 92، 97)، ومن المؤكد أن العديد من أقسام البلاط الملكي كانت تحتوي علي عدد كبير مـن العبيـد، وبالإضـافة إلي ذلـك، فـإن طائفـة العبيـد الملكيـين (أراد-سـاروتو) كانـت إحـدي الطوائـف التي تحدثت عنها النصوص البابليـة كثـيراً، حيـث ذكـرت هـذه النصـوص أحـد عبيـد قمبيـز (Cambyses) -قبـل توليـه السـلطة- ونعـرف أيضـاً بطائفـة عبيـد الـقصر (أراد إكـالي)، ويشتمل لوح التحصينات الآكادي (لوح التحصينات رقم 11786) علي فقرة تقضي بأن يشـهد البائع بأن العبد الذي يبيعه ليس عبداً ملكيًّـا (أو مواطنـاً حـرًّا أو مـن خـدام المعابـد)، وعـلي

الرغم مـن أن هـذه الفقـرة كانـت إحـدي الفقـرات القياسـية في مثـل هـذا النـوع مـن الصفقات، إلا أنها تستحق أن نوليها اهتماماً خاصاً؛ لأن هـذا اللـوح قـد تمـت كتابتـه في بلاد فارس.

فصل أفراد الأسر عن بعضهم البعض والتجانس العرقي:

تظل هنـاك مشـكلة أخـيرة، حيـث إنـه توجـد شـواهد عـلي تواجـد العديـد مـن الجماعـات العرقيـة في الموقـع نفسـه، فمـثلاً الليسـيون والطراقيـون في راكـان (لـوح التحصينات رقم 1946)، وكان يوجد هناك أيضاً حرفيون من كبادوكيا (لـوح التحصـينات أ 30)، وكان عدد ضئيل للغاية من جماعات الكورتاس هو الذي يحتوي علي أعضـاء مـن جماعات عرقية مختلفة، الليسيون والطراقيون (ألواح التحصينات 1006، 1172، 1823)، والليسيون والباكتريون (لوح التحصـينات رقـم 1947)، والمصريـون والآشـوريون والـذين يمكن أن نضيف إليهم مجموعة من الحرفيين الـذين كـانوا يعملـون في مواقـع البنـاء في برسيبولس، حيث كان من الممكن مشاهدة المصريين والسوريين والأيونيين وهم يعملون جنبـاً إلي جنـب (لـوح التحصـينات رقـم 15)، ولقـد كـان يـتم تقسـيم المـؤن في هـذه المجموعات تبعاً للطوائف التقليديـة (الرجـال، النسـاء، الصـبية، الفتيـات)، ولـيس تبعـاً للخلفيه العرقية، وبشكل عام، فإن مجموعات الكورتاس الذين تم ذكر أجنـاس أعمالهـم ظلت متناغمة، ونميل إلي استنتاج أنه في حين أن الإدارة الفارسية قد قامت بفصل الآبـاء عن أبنائهم، إلا أنها لم تقم بمحاولة موازية للتخفيف من الهويـة الجماعيـة لهـم، ولكـن هل يشكل الانتماء إلي جنس واحد معيار مطلق للتجانس الثقافي؟ توجد أسباب معقولة للشك في هذه الفرضية.

وبالقيام بتحليل مجتمعـات الأجانـب الـذين اسـتقروا في إقلـيم بابـل، سنجد أنه من المتفق عليه بشكل عام أن هذه المجتمعات قد حافظت عـلي قدر كبير من الترابط الداخلي؛ لأن السلطات الأخمينيـة قـد اعترفـت بـالبني

الداخلية لهم وخصوصياتهم الثقافيه، وعلي وجه الخصوص ممارساتهم الدينية، ولكن كيف كان الوضع في بلاد فارس نفسها؟ يظهر فحص الألواح التي تتناول المؤن التي كانت تقدم للمسؤولين عن خدمة المعابد التابعة للأديان المختلفة أن الفرس سمحوا للأديان الأخري بعبادة آلهة غير آلهتهم بالنمو، علي الرغم من أن عبادة الآلهة الفارسية كانت هي العبادة الطاغية هناك، ولقد كان الكهنة المسؤولون عن معابد الآلهة الإيلامية (هومبان، نابيريسا، سيموت، نابازابا)، والآلهة البابلية (أداد، كي) يحصلون هم أيضاً علي مؤن من الإدارة الفارسية، وفي بعض الأحيان كانت المؤن تعطي «للآلهة» دون أن يتم تحديدها، وفي أغلب الحالات كان يتم إرسال هذه المؤن إلي العديد من الآلهة، وإنه ليس من غير الطبيعي أن تجد المؤن وهي توزع بشكل مشترك علي المشرفين علي معابد الآلهة الإيرانية وغير الإيرانية (لوح التحصينات 338-339* 1956)، وقد يشير هذا إلي أنه كانت توجد في بعض المواقع هياكل لعبادتها.

إن الهياكل المخصصة لعبادة الآلهة الإيلامية كانت توجد في مناطق جغرافيه متعددة، ويعزي هذا الانتشار إلي قدم توطن السكان الإيلاميين في آنسان ونشاط النساخ الإيلاميين في مكاتب الإدارة الفارسية، ويستوطن الإيلاميون في الجزء الشمالي الشرقي علي وجه الخصوص، وهي المنطقة التي تحولت إلي جيب إيلامي حقيقي، وتوزيع الآلهة البابلية مشابه لذلك إلي حد كبير باستثناء أن الشواهد عليها أقل من الشواهد التي تتحدث عن المعابد البابلية، ومن المعترف به بشكل عام هو أن هذا السجل يوضح ما يمكن أن نسميه بالسياسة الدينية للأخمينيين، والذين كانوا حريصين علي عدم المساس بالمعتقدات الدينية لمواطنيهم.

ومن ناحية أخري فنحن لا نعرف شيئاً عن الممارسات الدينية للكورتاس ، ويظهر أحد الألواح أن الكورتاس كان بإمكانهم المشاركة في الاحتفالات الدينية (لوح التحصينات 337) ، وتقول إن : « 80 باراً

من الحبوب كانوا تحت تصرف باكاميرا، ولقد استلم الكاهن باكابانا الحبوب واستخدمه في إتمام المراسم الدينية، 40 باراً لأهورا-مازدا، والأربعين الباقية للإله «مسدوسي»، ثم تناوله الكورتاس، وكان ذلك في السنة 22»، ولكن ما المغزي من وجود الكورتاس في أحد الاحتفالات التي تمجد الآلهة الفارسية؟ هل كانوا عمالاً فرس؟ أو هل كانوا مجرد عمال موجودين في المنطقة المجاورة، وتم استدعاؤهم للمشاركة في الاحتفال، وللحصول علي بعض المؤن التي كانت توزع خلاله؟ ولا توجد لدينا أية إشارات إلي الآلهة اليونانية أو الكبادوكية أو السورية، وبالنظر إلي حقيقة أن أكثر من (120) لوحاً من ألواح التحصينات (التي تم نشرها) تتحدث عن الكهنة والآلهة والخدمات، فإنه من الصعب تصور أن عدم الإشارة إلي آلهة غير الآلهة الإيرانية والإيلامية والفارسية هو محض صدفة، وكذلك أيضاً فإنه لا يوجد أي سبب يدفعنا للاعتقاد بأن الفرس منعوا الكورتاس من تكريم آلهتهم التقليدية، ولكن الأدلة المتوفرة لدينا تشير بقوة إلي أن الإدارة الفارسية لم تكن تقدم لهم لا الخمر ولا الحبوب اللازمين لتقديم القرابين .

وهكذا فإنه توجد لدينا المبررات الكافيه للنظر إلي مثال الممارسات الدينية الإيلامية والبابلية علي أنهما كانتا حالة خاصة، ويجب أن نتساءل أيضاً: هل كانت الهياكل الإيلامية والبابلية مخصصة للعمال؟ الإجابة عن هذا السؤال ليست واضحة، وتوجد شواهد كثيرة علي وجود مجموعات متجانسة من البابليين في فارس، حيث توجد أدلة منذ عهد قمبيز (Cambyses) تشير إلي قدوم بعض التجار لاقتراض المال والمتاجرة في العبيد في ماتيزيس (فصل 7/2)، ويؤكد لوح التحصينات الأكادي بوضوح هذه النقطة، فعلي الرغم من أنه قد تمت كتابته في فارس إلا أنه يستخدم النموذج البابلي التقليدي، حتي إن ألقاب دارا (Darius) نفسها هي الألقاب البابلية: «دارا (Darius) ملك بابل، ملك الأراضين» (لوح

التحصينات 11786)، وهذا يظهر أن البابليين الموجودين في برسيبولس قد حـافظوا عـلي قدر معين من التجانس الثقافي والعرقـي، ويجـب التأكيـد مـرة أخـري عـلي أن البـابليين الذين تم تصويرهم في الألواح الأكاديـة لم يكونـوا مـوظفين إداريـين، حيـث إنهـم كـانوا رجالاً أحرار، ومن المحتمل أن بعضهم قـد جـاء إلي فـارس لإدارة شـؤون أعمالهـم، بيـنما قدم آخرون من بابل إلي فارس لعقد صفقات، وكـان هـذا أيضـاً هـو سـبب ذهـابهم إلي إكباتانا وصوصا.

ومن المؤكد أن هذا كان هو الحال بالنسبة للغالبية العظمي من جماعات العمال (الكورتاس)، وعـلي خـلاف بعـض المجتمعـات اليونانيـة التـي تبنـت العـادات والأفكـار الفارسية، نجد أن الليسيين والكبادوكيين والسوريين لم ينتقلوا إلي فـارس اختياريًّـا، حيـث إنهم لم تكن لديهم وبصورة واضحة أية استقلالية أو حرية في إطار النظام الفارسي الذي حرمهم من الحريات الفردية والجماعية، وإلي حد ما نجد أن المفردات التي اسـتخدمتها الإدارة الفارسـية تكشـف عـن رأي الفـرس في هـذه الجماعـات، لقـد شـكلت جماعـات الكورتاس قوة عاملة لا توجـد بـين عناصرهـا أيـة فـوارق والتـي أرادت الإدارة الفارسـية استخدامها إلي أقصي مدي دون أن يعوقها شيء عن ذلك، وبشـكل عـام فقـد كـان ذلـك الوضع أقرب كثيراً إلي العبودية منه إلي نظام «الهلـوت» للتبعيـة الريفيـه، وهـو النظـام الذي سمح للفلاحين المحليين (والـذين كـانوا يسـمون بــ«لااووي» في النقـوش الهلينيـة) بالاستمرار في العيش في قراهم مع أسرهم، وكذلك أيضاً الاحتفاظ بممتلكاتهم الخاصة .

4- الزراعة: الإنتاج والضرائب:

البازيس وأشكال الضرائب الأخري:

تشير إحدي طوائف الألواح إلي وصولات استلام المـاعز والخـراف،

والتي كانت تدفع كضريبة تسمي «بازيس» (لوح التحصينات 267-273)، وتشتمل هذه النصوص علي عدد الحيوانات محددة تبعاً للنوع والعمر والجنس، وقد تم أيضاً ذكر اسم المدير المسؤول عن استلام الحيوانات، وفي العديد من الألواح الأخري يمكننا تمييز شخصين يحملان الاسم نفسه «ماكاما (Makama) »، واللذين يمكن تمييزهما من خلال اسم الأب، حيث إن أحدهما كان ابن «نابوندا (Nappunda) » (لوح التحصينات 268)، بينما كان الآخر ابن «ونتيس (Wuntis) »، وكان ماكاما (Makama) الثاني يشغل منصبه في «بيريتوكاس» (لوح التحصينات 269-270)، ويظهر هذا الاسم في دفتر للحسابات (لوح التحصينات 2008) يسرد عدد الحيوانات التي استلمها ماكاما (Makama) ، والذي كان يرفع تقاريره إلي «هارينا (Harrena) » في العامين 16، 15 (506-507) من حكم دارا (Darius) ، كما أنه يظهر أيضاً في حساب عن السنة التاسعة عشرة (503)، والذي يحمل فيه لقب «رئيس القطعان» (كاساباتيس) في أوراندوس (لوح التحصينات2025)، ويسجل هذا اللوح استلام ماكاما (Makama) عدد (526) حيواناً من روباسا (Raubasa) و«رفاقه»، ولقد حصل رجل يسمي أوميزا (Umizza) - والذي كان يعمل كراعٍ-علي عدد (48) حيواناً، ولقد ظهر اسم «أوميزا (Umizza) »، والذي كان يلقب بـ«الراعي الملكي في هيران» في السنة السابقة (504) في رسالة وجهها «روباسا (Raubasa) ورفاقه» بناءً علي أمر من بارناكا (Parnaka) إلي أشخاص لم يتم تحديد هويتهم بوضوح (لوح التحصينات 2070) .

وفي هذه الرسالة يحمل روباسا (Raubasa) ورفاقه لقب (دافعي ضرائب الأرض؟)، وعلي الرغم من الغموض الشديد الذي يكتنف هذا اللقب، إلا أنه من المؤكد أن هؤلاء الرجال كانوا خاضعين لدفع الضرائب، ويشير النص أيضاً إلي أنهم كانوا مسؤولين عن البازيكارا (جامعي ضريبة البازيس) والذين كانوا يرسلونهم إلي المقاطعات

المختلفة، وفي وثائق أخري تظل الظروف غامضة، ومن الصعب تفسيرها، وتظهر كلمة بازيكارا في لوحين تالين (466)، وفي أحد اللوحين يظهر البازيكارا وهو يوزع المؤن علي الكورتاس (لوح الخزانة 54)، وتظهر وثيقة أخري أن بعض الكورتاس كانوا يلقبون بـ«البازيكارا»، وأنهم كانوا يحصلون علي مرتب لقاء خدماتهم تلك (لوح الخزانة 41)، ولقد كان البازيكارا (يقابله اللقب الإيلامي ماتيرا) يحصلون علي الحبوب، والذي كان يحدد أحياناً بشكل معلن أنه مخصص «للماشية الملكية» -فعلي سبيل المثال- لقد كان البازيكارا المسمي «كوبيا» هو من قام بتنحية الحبوب المخصص «للماشية الملكية» في هداران جانباً مرتين في السنة نفسها (ألواح التحصينات 1943، أ 32)، ومن الواضح أن «كوبيا» كان عضواً مهماً في إدارة تربية الماشية، حيث إنه قام في مناسبات عديدة بتسليم الأغنام لأشخاص رفيعي المنزلة وللملك (لوح التحصينات 663، 678، 696)، ويظهر حجم المؤن التي كانت تقدم له أنه كان من المسؤولين رفيعي المنزلة في الإدارة الفارسية (ألواح التحصينات 843، 1323)، هل تعني هذه الإشارات أن البازيكارا كانوا مسؤولين عن الإشراف عن قطعان الحيوانات وأسراب الطيور الملكية (أي أنهم كانوا المستوي الأعلي من الرعاة)، أو أن ضريبة البازيس كان يتم تحصيلها علي منتجات حيوانية أخري بالإضافة إلي المنتجات النباتية (وهو ما سيساعدنا علي فهم وتفسير لقب روباسا (Raubasa)) من الصعب معرفة الإجابة عن هذا السؤال .

وهناك ملاحظة أخري تستحق الذكر، وهي أنه في أحد سجلات المستودعات في «كوركاراكا» يظهر لقب آخر يطلق علي فئة من الموظفين، وهو «روسدابازيس»، ويمكن أن يفهم هذا اللقب علي أنه «محصل ضريبة الأراضي» (وكانت ضريبة الحبوب تعادل 10/1 إجمالي المحصول)، وتوجد شواهد علي وجود ضريبة العشر في العديد من الألواح

الأخري التي تشير إلي الخمر (لوح التحصينات 1953-1954، 1997-2001)، وفي كل عام كان يتم تخصيص جزء من الكمية المخزنة يمثل «ضريبة العشر»، وفي إحدي المرات تم ربط كلمة «العشر» (داثايا) بالحبوب، وتم تعيين المدير المختص بتحصيلها «من قبل الملك» (لوح التحصينات 1942)، وفي مثال آخر، تذكر سلسلة من الألواح جمع الإنتاج (الحبوب، الخمر، الفاكهة، والسمسم) التي كان يتم تحصيلها من القري قبل أن يتم نقلها إلي مستودع آخر، والذي من المحتمل أنه كان يقع في قلب المقاطعة، وكان يتم تخصيص جزء من حصيلة الضرائب هذه (10/1 من الشعير، 30/1 من السمسم)؛ ليتم استخدامه في إطعام الحيوانات، وأخيراً تسجل سلسلة من الألواح (ألواح التحصينات 48* 49* 388-396* 428) نقل وتسليم هذه المنتجات المتعددة (الخمر، أنواع متعددة من الحبوب، السمسم)، والكلمة التي كانت تعبر عن الجهة التي تنقل إليها هذه المنتجات هي «أوكبياتاس» (أوبایاتا)، وهي تشير إلي الضرائب التي كانت تدفع في صورة سلع عينية، وفي بابل كانت توجد ضريبة تسمي «رسم نقل الضرائب المسددة في صورة سلع عينية» (زيبيلو سا أوبياتا)، والتي من المحتمل أنها كانت تذهب لمائدة الملك، وفي إحدي الحالات كان النص أكثر تحديداً بقليل: «300 باراً من الحبوب (تارمو) كانت تحت تصرف بابينا (Babena) ، والتي استلمها مانا-كيتين (Manna-Kitin) في السنة (28) بوصفه الأوكبياتاس الملكي، وقام بإعداد شاب الشعير من هذه الحبوب» (لوح التحصينات 428).

ضريبة البازيس المقررة علي الحيوانات:

بالنظر إلي التشابكات بين الوثائق التي تسجل ضريبة البازيس المقررة علي الحيوانات والسجلات الأخري التي تسجل أعداد الماعز والأغنام (ألواح التحصينات 2007-2012)، فإن هذه الوثائق تدعونا إلي محاولة إعادة بناء الطرق المختلفة التي كان يتم فيها فرض رسوم

علي الحيوانات، وهـذا عـلي الـرغم مـن النقـاط الكثـيرة غـير المؤكـدة، والتـي لا يمكـن التغلب عليها، والنص الأوضح من بين هـذه الوثـائق (أو الأقـل غموضـاً!) هـو الرسـالة التي أشرنـا إليهـا سـابقاً الصـادرة مـن روباسـا (Raubasa) ورفاقـه (لـوح التحصـينات 2070)، والذي يسرد ضريبة البازيس التـي تـم جمعهـا في مقاطعـة هـيران، ويبـدو أن أوميزا (Umizza) الراعي «الذي كان يعيش في هيران» قد طلب منه جمع عـدد (48) رأساً من الأغنام والماعز التي عهد إليه روباسا (Raubasa) برعايتها، ومهما كان الحـال، فإن الشيء المبهر هو أنه في السنة التالية حصل علي العدد نفسه من الحيوانات الـذي كان روباسا (Raubasa) ورفاقه قد عهدوا إليـه في السـابق برعايتـه (لـوح التحصـينات 2025)، والشيء الذي تغير فقط هو النسبة بين عدد الـذكور وعـدد الإنـاث ويبـدو أن هذا يشير إلي أن كل مقاطعة كان يقدم إليها العدد نفسه من الحيوانات كل عام، وقد قام أربعة أفراد -من ضـمنهم امـرأة- عـلي التـوالي بتقـديم (5* 5* 8* 9) مـن الأغنـام والماعز، فلقد كانوا تابعين لإحدي ضياع (إرماتام) ميتورنا (Miturna) (والذي تسـميه النصوص اليونانية هيدارنيس (Hydarnes) ، ولقد قام شخصان آخـران بتقـديم 6، 15 حيواناً علي التوالي، أحدهما كان أحد عمال الخزانة (كابنوسكي، من هيران؟)، أما الآخـر فكان يسمي «عامل الملك»، وهكذا فإنـه يبـدو أنـه كـان يـتم تقـديم الأغنـام والمـاعز لسداد ضريبة البازيس أو «الجزية» كل سنة، وكان يتم إعطاء جزء من العدد الإجـمالي الذي يتم تحصيله من هذه الحيوانات إلي الرعاة (مثل أوميزا (Umizza)) وجزء كـان يذهب إلي «رئيس القطعان (كاسـاباتيس)» في المقاطعـة (مثـل مـاكيما (Makema))، ويمكن ان يتم إرسال بعض الحيوانات إلي «هارينـا (Harrena) » رئـيس الكاسـاباتيس (لوح التحصينات 271)، وكان من الممكن أن يتم نقلهم مسافة طويلة، حيث يتحـدث لوحان من الألواح عن القيام بنقل حيوانـات البـازيس إلي صوصـا (ألـواح التحصـينات 57،

1495)، وتبعاً للوح الثاني فقد حصل 32 رجلاً علي مؤن سفر من أجل هذا الغرض، فبأمر من باكابادوس (Bakabadus) ، قاموا بنقل حيوانات البازيس التي تم تحصيلها من أوراندوس إلي صوصا، وتوجد شواهد أخري علي أن هذين المسؤولين كانا المديرين المكلفين بشؤون الأغنام والماعز (لوح التحصينات 62-66)، فلقد كان كلاهما مسؤولاً عن الأغنام والماعز التي يتم إرسالها إلي الخزائن .

وفي الحقيقة، تسجل سلسلة أخري من الألواح (ألواح التحصينات 58-77) تسليم الجلود - والتي كانت بشكل عام جلوداً للأغنام والماعز، وأيضاً للإبل- إلي الخزائن، حيث كانت تتم معالجتها، وتذكر السجلات أن هذه الجلود هي جلود الحيوانات التي تم تسجيلها بشكل منفصل قبل أن يتم ذبحها في ذلك موقع جمعها، ثم كان يتم إرسال الجلود إلي الخزانة تحت إشراف هذين الموظفين، ومن المحتمل أن الصوف كان يأتي من هذا المصدر، ثم كان يتم غزله ومعالجته من قبل العمال المتخصصين، أما الحيوانات التي لم يتم ذبحها فكانت تربي في المكان نفسه تحت رعاية بعض العمال (الكورتاس) (راجع ألواح التحصينات 484، 1142)، وفي الحقيقة، فإنه توجد شواهد علي وجود كورتاس رعاة في العديد من ألواح الخزانة، والتي تتحدث عن مجموعتين: الأولي تضم أكثر من (370) فرداً (رجال - نساء -صبية - فتيات)، والثانية تضم (131) فرداً (ألواح الخزانة 50، 61، راجع ألواح الخزانة 13، 1963)، ولقد تم أيضاً ذكر الرعاة هنا وهناك في ألواح التحصينات، ولقد علمنا عن الرعاة الليسيين الذين كانوا يعملون بالقرب من برسيبولس عندما وصل الإسكندر (Alexander) ، ويمكننا القول بأن إدارة الأنواع الأخري من الحيوانات مثل الماشية (ألواح التحصينات 2085-2086)، والطيور (لوح التحصينات 1721) كانت تتم بالأسلوب نفسه، وتظهر سجلات محطة بارنيس علي وجه الخصوص أن الماشية كانت أيضاً مقسمة إلي

مجموعات متنوعة: مجموعة سيتم ذبحها، ومجموعة سيتم تربيتها في المكان نفسه، ومجموعة سيتم تكليف الرعاة برعايتها (باتيرا: لوح التحصينات 2013، راجع 1947، 2085، 2087) .

ويساعدنا لوح الخزانة الآكادي في إدراك حجم الفجوات الموجودة في الأدلة، كما أنه يساعدنا علي إدراك مدي جهلنا بالحقائق (لوح الخزانة 85)، وفي الحقيقة فإننا يمكننا أن نري في هذا النص أنه بعد انتهاء عام 502، كان هناك ثلاثة أشخاص يدفعون ضريبة (مانداتو) في صورة فضة موزونة وهم: (1) امرأة اسمها «إندوكا (Indukka) » والتي كانت أم توتو (Tutu) «كبير التجار» (تامكارو)، (2) باتيميدو (Pattemidu) الميدي «ابن الراعي»، و(3) [؟] والذي كان «الراعي»، وفي بعض الألواح تم استبدال كلمة بازيس بالكلمة الآكادية مانداتو والتي تشير بشكل عام إلي جزية إجبارية، ونحن نعرف أيضاً أن هذه هي الكلمة التي استخدمها أرساما (Arsama) ، بالإضافة إلي الكلمة التي تقابل كلمة خزينة، وهي (جانزا) للتعبير عن كمية «الضرائب/ الرسوم» التي يتم تحصيلها علي ضياعه الموجودة في مصر، ومن الضياع المملوكة لرجلين آخرين من النبلاء الفرس، وفي نقش بيهستون تم استخدام كلمة «مانداتو» كمقابل لكلمة «بازيس»، وبالطبع فإن كلمتي «مانداتو» و«بازيس» هما كلمتين مرنتين جدًّا من حيث المعني، لدرجة أننا يمكن أن نستنتج أن باتيميدو (Pattemidu) والراعي المجهول كانا يسددان ضريبة البازيس المفروضة علي الحيوانات في صورة فضة موزونة، وعلي أية حال، فإن لوح الخزانة رقم 85 علي الأقل يثبت أنه في عام 502 في برسيبولس كانت هناك طائفتان مختلفتان من المهن -بما فيهم راعي أو راعيين- والذين كانوا يسددون الضرائب المقررة عليهم باستخدام عملة السيكيولس المصنوعة من الفضة الموزونة، وهي حقيقة لم نستطع إدراكها من خلال أي من ألواح التحصينات الإيلامية.

المنتجون المباشرون:

بسبب الطبيعة الخادعة للوثائق الفارسية، نجد أن تلك الوثائق لم تجب علي سؤال مهم جدًّا نتوق بشدة لمعرفة إجابته: من كان يدفع هذه الضرائب المختلفة؟ من كان يزرع هذا المحصول؟

إن أول شيء يجب قوله هو إنه -بغض النظر عن الرعاة الذين تم الحديث عنهم بالأعلي- توجد إشارات صريحة قليلة جدًّا للكورتاس المخصصين للعمل في الأرض علي الرغم من أن وجود العديد منهم في الحقول والمزارع هو من الأمور المؤكدة؛ حيث إن الكورتاس علي سبيل المثال قد استلموا بذوراً من الإدارة عدة مرات (ألواح التحصينات 508، 484، 463، 123) فإننا يمكننا أن نستنتج من ذلك أنهم كانوا مزارعين، ومن المؤكد أن زراعة واستصلاح الضياع كان يحتاج إلي عدد ضخم من العمال (لوح التحصينات أ 33)، ولكن كلمة «فلاح» نفسها ليست موجودة في السجلات، أو أنه لم يتم التعرف عليها بعد، حيث إن الإشارات إلي «الرجال المسؤولين عن رعاية النباتات في المشاتل» (مارسابارا) أو «المتخصصين في ري الحقول» تظل افتراضية أو حتي مختلف عليها إلي حد كبير»؛ وذلك لأن الكلمة الثانية من هاتين الكلمتين تفهم أحياناً علي أنها: «غزال/ نساج»، وتقدم لنا بعض الحواشي المكتوبة باللغة الآرامية تفاصيل تكميلية، ويظهر أحد الألواح أنه تم توزيع المؤن علي كورتاس وكانوا يسمون بيراساناس: ويقول النقش الآرامي «مؤن الطحانين»، وليس من السهل تحديد السبب وراء هذا النقص المفاجيء في الإشارات للفلاحين، ومن المحتمل أن العمال الزراعيين كانوا يقتاتون علي جزء من المحصول الذي ينتجونه؛ ولذلك لم يحصلوا علي مؤن من الإدارة، أو علي الأقل أن هذه المؤن لم يكن يتم تسجيلها من قبل الإدارة، ومن ناحية أخري، فإن الوضع كان مختلفاً بالنسبة للعمال الذين كانوا يعملون في معالجة المنتجات الزراعية:

صانعو الخمر، مخمرو الجعة أو صانعوها، الطحانون، عاصرو الزيوت، الخبازون (؟)، وهؤلاء الذين كان يتم استخدامهم في المستودعات أو لنقل المنتجات من مكان إلي آخر، بالإضافة إلي هؤلاء العمال الذين كانوا يعملون في المكاتب الإدارية (المحاسبون، النساخ، الخ) .

وعلي أية حال، فمن المؤكد أن الكورتاس لم يكونوا هم الوحيدون الذين يعملون في الحقول، حيث إن المؤلفين القدامي قد قاموا بتصوير الفلاحين الفرس في مرات عديدة، ولكن، ولسوء الحظ كان ذلك في صورة إشارات غير مباشرة إلي حد ما، ومن بين الإصلاحات التي ينسبها زينوفون (Xenophon) إلي قورش (Cyrus) هي قيامه بإنشاء فرقة مكونة من (10000) من رماة الرماح لتكون من ضمن الحراس الملكيين، وتبعاً لزينوفون (Xenophon) (قورش (Cyrus) ، الكتاب السابع، فقرة 5-67)، فقد قام قورش (Cyrus) باختيار هؤلاء الرجال من بين الفلاحين الفرس الأكثر فقراً، والذين يسميهم زينوفون (Xenophon) «أوتورجوي» أي الفلاحين الذين كانوا يقومون بزراعة قطع الأرض الصغيرة التي كانت تحت أيديهم، وهذه أيضاً هي الكلمة التي استخدمها إليان (Aelian) ، وفي بعض الأحيان كان يتم ذكر هؤلاء الفلاحين بالاسم (سينيتس Sinetes ، أوميسيس Omises ، رهاكوكيس Rhakokes) ، وقد كانوا يبذلون الكثير من الجهد (الكتاب الأول، فقرة 31) في حدائقهم (بارادايسوي)، ومزارعهم (إيبوليس، الكتاب الأول، فقرة 32)، وقد كانوا يربون الحيوانات (الماشية والأغنام)، ويزرعون القمح والكروم والفواكه (الكتاب الأول، فقرات 31، 32) والخضروات مثل الخس (الكتاب الأول، فقرة 31)، ومن الواضح أن هذه هي الطبقة الاجتماعية التي كان ينتمي إليها الفلاح فيرولاس Pheraulas الذي تحدث عنه زينوفون (Xenophon) في كتابه، فقد كان أبوه فلاحاً فقيراً، والذي اضطر إلي اقتراض البذور في فترة انقطاع بين محصولين (قورش (Cyrus) ، الكتاب الثامن، فقرة 3* 36-38) .

وعلي الرغم من ذلك، فإن أهمية هذه النصوص تكمن في تقديم صورة ملموسة عن هذه الشريحة غير المعرفة من السكان، والتي تعرف بصغار ملاك الأراضي الأحرار، حيث إن الوثائق الموجودة في برسيبولس بأكملها تدفعنا إلي افتراض أن الأرضي كانت تتم زراعتها بالكامل عن طريق استخدام الكورتاس، ولكن ما العلاقة المحتملة التي يمكن اكتشافها بين هذه المعلومات وبين المعلومات الموجودة في الألواح؟ يمكننا علي سبيل المثال إجراء مقارنة بين حالة والد فيرولاس وبين الكورتاس الذي حصل علي البذور من الإدارة (ألواح التحصينات 508، 484، 463، 123)، ولكن ما القيمة المعلوماتية لهذه القصة البائسة عن فيرولاس؟ ونعرف أيضاً من إليان (Aelian) أن صغار الملاك من الفرس طلب منهم تقديم هدايا إلي الملك الأكبر عندما عبر بلاد فارس (الكتاب الأول، فقرة 31-32)، ومن المحتمل أن المعني الذي تم اقتراحه مؤخراً لكلمة «نوتانوياس/ نادانو» علي أنها تعني «الهدية» تسمح لنا بفهم ما يقصده إليان (Aelian) ؟

ومن الأشياء التي تم اقتراحها أيضاً أن هؤلاء الزراع كانوا يوقعون عقداً مع الإدارة كل عام، حيث إنهم كانوا يربون ويطعمون الحيوانات التي يعهد بها إليهم، وكانوا يحصلون في المقابل علي جزء من الزيادة، ولكن يجب أن نذكر أن الوثائق الموجودة لدينا لا تشير إلي وجود مثل هذا النظام، وكل ما لدينا هو سجلين (ألواح التحصينات 2010-2011)، والتي تعطي قوائم بالأشخاص (12 و22)، ونجد أسماء بعض هؤلاء الأشخاص في وثائق أخري، والتي يطلق عليهم فيها -وبوضوح- لقب مديرين، وأحد هؤلاء الأشخاص كان «مانوكا (Mannuka) »، والذي كان مسؤولاً في عام 493 عن الدقيق الذي يتم تقديمه لمن يقومون بدبغ الجلود، ولكن احتمال وجود أشخاص آخرين يحملون الاسم نفسه يجعلنا نتوخي الحذر، ولكن هل حقًّا لهذه البيانات أية علاقة بصغار

ملاك الأراضي الأحرار؟ وتبعاً لهذه النظرية، فإن الحدود التي تفصل بين الناتج الذي ينتجه الفلاحون أو ملاك الأراضي والإنتاج الذي تنتجه الأراضي التي تسيطر عليها الإدارة مباشرة هي غير واضحة، هل كان يتوجب علي الكورتاس العاملين في الحقول القيام ببساطة بتقديم جزء من إنتاجهم والاحتفاظ بنسبة ثابتة لأنفسهم؟

باختصار، تظل هناك نقاط كثيرة للغاية غير مؤكدة؛ وذلك نتيجة لأننا لا نعرف الإجابة عن سؤال أساسي، وهو: هل يمكن اعتبار جميع الضرائب -التي يمكن التعرف عليها أو تحديدها في الألواح- رسوماً مالية (سواء كانت تسمي جزية أم لا) هو أمر سيظل مناقشة فرعية؟ إن هذا السؤال في الحقيقة يثير سؤال آخر والذي هو أيضاً شديد الأهمية حول وضع الأرض والأشخاص في الريف الفارسي، حيث إن الملاحظات التي تم تقديمها في الأعلي تمثل إجابات جزئية فقط والتي يجب أن يتم تناولها بشكل أكثر تنظيماً .

5- الأراضي والضياع (العزب):

بارتيتاس:

علي الرغم من هذا التأكيد والاهتمام بالإنتاج النباتي والحيواني، فإن الألواح لم تشر مطلقاً بصورة صريحة إلي الأرض الزراعية باستثناء عدد قليل من الإشارات غير المؤكدة إلي المراعي، وعلي الرغم من ذلك، فإن هناك ثلاث كلمات تستحق أن نوليها اهتماماً خاصًّا، هي: بارتيتاس، إرماتام، وأولهي، ومن المؤكد أن كلمة «بارتيتاس» توازي تماماً ما يسميه الكتاب اليونانيون «الضيعة أو الروضة»، وكلمة الروضة هذه هي كلمة استعارها اليونانيون من الكلمة الفارسية (بارادايدا)، والنقض الذي تم توجيهه لهذا التفسير يقوم علي الاعتقاد بأن هذه الرياض الفارسية كانت عبارة عن محميات مخصصة للصيد فقط، ولكن

المصادر الكلاسيكية تثبت بشكل لا يقبل الشك أن استخدام هذه الرياض كان أكثر تنوعاً من ذلك بكثير، حيث إن هذه الرياض كانت تحتوي أيضاً علي مزارع وأراضي زراعية كانت تزرع بالأشجار المثمرة والفواكه علي وجه الخصوص، وبالنسبة لزينوفون (Xenophon) فإن الروضة كانت نوعاً محدداً من الحدائق (كيبوس)، وهذه الفكرة عن الحدائق/ الحقول هي ما يقصده إليان (Aelian) بالكلمة التي تشير إلي قطع الأرض الصغيرة التي كان يملكها الفلاحون في بلاد فارس نفسها، وهي أيضاً المعني المقصود من «حدائق السوق» الذي كان يستخدمه اليونانيون في الفترة الهلينية، وعلي أية حال، فإن هذا هو المعني الذي تنقله كلمة موجودة في أحد النصوص اليونانية في ساردیس، والتي تعود لأصول أخمينية (ساردیس، الكتاب السابع، فقرة 1-1)، والتي تسجل المكونات المتعددة التي كانت تتكون منها «العزبة أو الضيعة الهدية» (دوريا) .

ولقد تم اختيار أماكن مفضلة لإنشاء رياض البارتيتاس، وعلي وجه الخصوص الأماكن التي كانت تحتوي علي مياة جارية (أنهار وينابيع)، وتتميز أجزاء متعددة من بلاد فارس بهذه الملامح، فتبعاً لنيرخوس (Nearchus) قام سترابو (Strabo) (الكتاب الخامس عشر، فقرة 3-1) وأريان (Arrian) (إنديكا، فقرة 40: 2-5) بتقسيم بلاد فارس إلي ثلاث مناطق مناخية وبيئية رئيسة، ولقد وصفا ساحل الخليج الفارسي بأنه: «رملي وجدب بسبب الحرارة الشديدة»، ووصفا المنطقة الشمالية الجبلية بأنها: «شتوية وجليدية»، وعلي العكس من ذلك، فقد أكد أريان (Arrian) علي خصوبة المنطقة المركزية، والتي سماها سترابو (Strabo) «كوليبرسيس» محدداً مكانها بالمنطقة المجاورة لباسارجاداي (الكتاب الخامس عشر، فقرة 3-6): «يتميز الريف بأنه عشبي، ويحتوي علي مراعٍ مائية، وعلي العديد من أنواع الكروم والفواكه الأخري، باستثناء الزيتون، وقد كانت غنية بجميع أنواع الحدائق (باراديسوي)، وكانت

تجري بها أنهار عذبة ونقية، وكانت بها البحيرات أيضاً؛ ولـذلك كانـت صـالحة لجميـع أنواع الطيور التي تبني أعشاشها علي ضفاف الأنهار والبحـيرات، وكـذلك كانـت صـالحة أيضاً للخيول، وكانت تحتوي علي المراعي اللازمة للحيوانات المنزلية الأخري، كـما كانـت تكثر بها الغابات، وكان يوجد بها الكثير من الطرائد» (أريان) (Arrian) ، إنـديكا، فقـرة 40: 3-4) .

ويصـف كوينتـوس كورتيـوس (Quintus Curtius) منطقـة برسـيبولس فيقـول: «إنها سهل فسيح، وأرض خصبة تكـثر بهـا المـدن والقـري، التـي يرويهـا نهـر أراكسـيس (الفولجا)، وتحدها أشجار مستوية وأشجار الحور، وتتميز تربتها بشـدة خصـوبتها، كـما يكثر بها علف الماشية» (الكتاب الخامس، فقرة 4* 6-7* 20) .

ولقد كان هذا الوصف ينطبق أيضاً علي منطقة «فاهليوم» التي كانـت تقـع في كل من بلاد فارس وإقليم سوسيانا، ولقد ترك لنا الشهود العيـان (مـن عهـد الإسـكندر (Alexander) والفترات التالية) أوصافاً متحمسـة عـن هـذه المنطقـة: «غنيـة تغـذيها بالمياة العديد من المجاري المائية، وتنتج فواكه متعددة من جميع الأنواع» (ديـودورس (Diodorus) ، الكتاب السابع عشر، 67-3)، فبعد أن وصف الطريق بين سوسيانا علي أنه: «منحدر الجوانب، تلفحه الشمس، ولا يوجد فيه أي مستراح للمسافرين»، تحدث عن التغير المفاجيء في الترحيب بالمسافر عندما يدخل إلي حوض فاهليوم: «أمـا الجـزء الثـاني مـن الطريـق فيقـع عـلي أرض مرتفعـة تتميـز بمنـاخ صـحي للغايـة، ومـليء بالفواكه علي حسب الموسم الذي يدخل فيه المسـافر إلي هنـاك، حيـث إنـه كانـت توجد أودية صغيرة كثيرة الظلال ومليئـة بالأشـجار، وريـاض مزروعـة بأشـجار ذات أنواع متعددة، هذا بالإضافة إلي الفُرَج الطبيعية المتلاقية في الغابة، والتي كانـت مليئة بالأشجار من كل نوع ومجاري المياة، وكل هذه الأشياء تسمح للمسـافرين

بالتريث أثناء عبورهم هذه المنطقة، وقضاء بعض الوقت في هذه الأماكن التي تقدم لهم الكثير من مسببات الراحة والسرور، وأيضاً كانت توجد وفرة في الماشية من جميع الأنواع، ولقد كان هذا الإقليم يتفوق من حيث كثافة سكانه علي جميع المرزبانيات الأخري» (الكتاب العشرين، فقرة 21: 2-3) .

ومن المؤكد أن هذه الروضة كانت هي الموقع الذي أقيم فيها سرادق يعود إلي الفترة الأخمينية، والذي تم إكتشافه في منطقة فاهليوم، وكانت مثل هذه الرياض هي في الغالب الأماكن التي تستريح فيها الحاشية والملك لبعض الوقت خلال تنقلهم (بلوتارخ (Plutarch) ، أرتاكسركسيس ((Artaxerxes، 1-25)، وبالطبع فإن خصوبة هذه الرياض كانت تعتمد أيضاً علي المنشآت المائية مثل تلك التي اكتشفها علماء الحفريات في الروضة الموجودة بالقرب من باسارجاداي، حتي إننا نعرف أن مقبرة قورش (Cyrus) كانت تحتوي علي معدات كثيرة: «فلقد تمت زراعة بستان -حول الروضة- وكان يحتوي علي جميع أنواع الأشجار، ولقد نمت حشائش طويلة في هذا المرعي» (أريان (Arrian) ، الزحف العسكري، الكتاب السادس، فقرة 29-4)، وقد تم أيضاً اكتشاف بعض القنوات وخزانات المياة التي تعود إلي الفترة الأخمينية بالقرب من سهل برسيبولس .

ويقدم لنا أحد ألواح التحصينات علي وجه الخصوص الكثير من المعلومات حول هذا الموضوع (لوح التحصينات أ 33)، وهذا اللوح هو عبارة عن قائمة جرد (تشير إلي بذور؟) 6166 شجرة فاكهة (الكمثري، التفاح، البلح، التوت، السفرجل، الخ)، والتي كان ستتم زراعتها في الرياض القريبة من برسيبولس، ويشير نصان آخرين (لوح التحصينات 1946، لوح الخزانة 38) بوضوح إلي الكورتاس الذين كانت تتمثل وظيفتهم في «حراسة الأشجار» (راجع أيضاً ألواح الخزانة

49 و1963-1969)، ويتحدث لوح آخر (لوح التحصينات 1815) عن المؤن التي سيتم تقديمها إلي أربعة عمال، والذين كانت تتصل وظيفتهم بالأشجار في الروضة الموجودة بالقرب من برسيبولس، ولقد كانت هذه الرياض تعمل أيضاً كمصادر محتملة لهذه الأخشاب (راجع بلوتارخ (Plutarch) ، أرتاكسركسيس (Artaxerxes) ، فقرة 25: 1-2)، وهو الأمر الذي كان واضحاً في بعض الأقاليم التي لم يكن يوجد بها غابات مثل بابل (سترابو (Strabo) ، الكتاب السادس عشر، فقرة 1، 5، 11) .

وباستثناء هذه الأمثلة - والتي هي الأسهل في التفسير- فإن كلمة بارتيتاس تعاود الظهور مرة أخري في سلسلة مكونة من (15) لوحاً، ويبدو أن بعض الرياض التي تم ذكرها في هذه الألواح كانت تقع في منطقة برسيبولس (واحدة منهم كانت تقع في نوبيستاس [ناقسي روستام])، ولكن هذه الألواح تتعامل فقط مع الأمور الإدارية، وليس مع إدارة الضياع (العزب)، وفي الحقيقة، فإنهم عبارة عن سجلات لتخزين العديد من المنتجات: حيث كان يتم وضع الفواكه المتنوعة، البلح، التين، والحبوب/ تارمو تحت عناية أحد المديرين، حتي يتم توزيعها لاحقاً (في صورة مؤن) علي حسب الأوامر التي تصدر إلي الموزع (والذي كان يتم أحياناً تحديد اسمه بشكل صريح)، ويمكن أن نذكر أنه في عشر من هذه الألواح تمت تسمية هذه المنتجات «السونكينا» الملكية، ولكن يصعب تفسير هذه النقطة؛ لأن صفة «الملكية» يتم استخدامها بشكل منتظم، ويبدو أنه يُقصد بها وصف مصدر هذه المنتجات التي تم جمعها أكثر مما تصف مستودع التخزين؛ ولهذا فإنها تمثل مشكلة أخري (فصل 11-10 بالأسفل)، ومن هذا السجل المختصر يبدو من المحتمل أن إدارة الرياض - والتي من المؤكد أنه كان يوجد مدير خاص مكلف بها في بلاد فارس وفي المناطق الأخري- قد تم دمجها ضمن الإدارة العامة للناتج الذي كان

ينتقل بين المستويات الإدارية والمقاطعات المختلفة، وهكذا فإن إدارة الرياض كانت تمثل مجرد فرع آخر من الحكومة علي الأقل بشروط معينة .

إرماتام:

أما الطائفة الثانية من «العزب» وهي الإرماتام فتثير مشكلات أكثر صعوبة، ولسنا متأكدين من الكلمة الفارسية القديمة التي تقابل هذا المسمي، وتظهر هذه الكلمة في النسخة الإيلامية من نقش بيهستون فيما يتصل بـ«فيفانا (Vivana) »، والذي قيل إنه: «كان يقوم بمهام المرزبان في أراخوسيا»، فقد حقق فيفانا (Vivana) نصراً -خلال الثورات الكبيرة التي اندلعت في عام 522- مع المتمردين بالقرب من حصن أرسادا في أراخوسيا، وهو الحصن الذي كان يسمي بإرماتام فيفانا (Vivana) ، ومن الصعب تفسير هذا الاستخدام لكلمة إرماتام؛ وذلك لسببين: الأول هو أنه لا يوجد مقابل لهذه العبارة في النسخة المكتوبة باللغة الفارسية القديمة والتي لم تذكر سوي كلمة «حصن» (دايدا)، كما هو الحال أيضاً في النسخة الأكادية من هذا النقش (برتو)، ومن الصعب أيضاً بالنظر إلي الأدلة المتوفرة تحديد ما الذي كان يقصده الكاتب الإيلامي الذي كتب هذه العبارة، وبالنظر إلي أنه في الألواح الموجودة في صوصا والتي تعود إلي ما قبل السيطرة الأخمينية نجد أن كلمة إرماتام كانت تشير إلي نوع من «العزب» (بمعني غامض)، وأنه يبدو أن هذه الكلمة قد تمت استعارتها من اللغة الفارسية القديمة في المقام الأول، فإنه لا يوجد سبب يجعلنا نظن أن لها معني مختلفاً في نقش بيهستون، ولكن إذا افترضنا ذلك فعلاً، فلماذا استخدمت النسخة الفارسية القديمة كلمة «دايدا»؟ وما العلاقة التي كانت موجودة بين كلمة حصن وكلمة إرماتام في عام 522؟ من المحتمل أنه -كما في ألواح برسيبولس- فإن كلمة «حصن» (والتي تعني باللغة الإيلامية «هالماريس») تشير إلي كل من مقر عسكري ومركز إداري مثل عاصمة

المقاطعة التي كان يتم فيها جمع محصول المنطقة المجاورة، وإذا كان فيفانا (Vivana) يمتلك «عزبة» هناك فيمكننا فهم السبب الذي جعل المتمردين يقومون بجعلها الهدف الأساسي لهجماتهم، ويذكر النص بوضوح أيضاً أن مثل هذه العزب كانت موجودة قبل عهد دارا (Darius) ، وهي حقيقة لا نستطيع التأكد منها بالاعتماد علي ألواح صوصا.

وتظهر هذه الكلمة في (30) لوحاً من ألواح التحصينات (لم يتم نشر [9] منهم)، وفي كل مرة تكون مرتبطة باسم شخص: الإرماتام الخاصة بـ«إستيمانكا (Istimanka) »، أو الخاصة بـ«إرتوبيا (Irtuppiya) »، أو الخاصة بـ«داياكا (Dayaka) »، أو الخاصة بـ«مسبارما (Misparma) »، الخ، وفي أغلب الحالات كانت تسجل النصوص تخزين السلع في إرماتام (لوح التحصينات 2079)، أو أن الإرماتام تحت تصرف (كورمين) مدير معين، حيث كان يتم «تخزين هذه المنتجات» (نوتيكا، لوح الخزانة 1857) قبل أن يقوم الموزع بتوزيعها في صورة أقوات، والذي كان يتم ذكر اسمه أيضاً (ألواح التحصينات 1892، 1256، 331)، وكان من الممكن أن يتم توزيع هذه الأقوات علي الكورتاس (ألواح 1802، 1368)، أو علي الحيوانات (لوح 331: الإبل)، وأحياناً كان يتم ذلك بناءً علي أوامر مختومة من الملك (لوح التحصينات 1256)، وفي أحد الألواح كانت إحدي هذه العزب تسمي ببساطة «العزبة التي يمثل فيها إرسينا (Irsena) رئيس العمال (الكورداباتيس) بالمنظم/ الموزع (سارمانا)» (لوح التحصينات 1368)، ويوضح هذا اللوح نفسه أيضاً أن العزبة المذكورة كانت تمثل نقطة توقف لجنود الكورتاس الذين كان يتم تحريكهم من مكان إلي آخر، وقد كانوا يحصلون علي مؤن للسفر تكفي ليوم واحد .

ومن هذا المنظور، تم دمج الإرماتام ضمن الإدارة العامة تماماً مثل البارتيتاس، وقد كانت كلتاهما تعمل كمراكز لتجميع وتخزين وتوزيع

الناتج المحلي، وبالإضافة إلي ذلك كان يتم أحياناً الربط بين الإرماتام والضياع، ففي ستة من ألواح التحصينات (ألواح التحصينات 150-155)، والتي تعود إلي السنة الثانية والعشرين من حكم دارا (500) (Darius) نجد أن الوجهة التي كانت ترسل إليها الحبوب المخزنة في بعض الضياع هي كالتالي: «ليتم استخدامها في الإرماتام الخاصة بـ(سوتيزا (Sutezza) »)، ويمكن ربط اثنين من هذه الألواح بثلاثة ألواح أخري تم دمجها في سلسلة من الألواح تتناول الضرائب المفروضة علي المنتجات الزراعية التي تنتجها القري والمزارع المجاورة (لوح التحصينات 640/152-641، اللوح 637/153)، وتظهر هذه الألواح سوتيزا (Sutezza) علي أنه المسؤول عن المحصول الذي تم جمعه من المنطقة المجاورة لـ«موتريزاس (Mutrizas) » (لوح التحصينات 640) أو سوراكاس (لوح التحصينات 641)، والتي تم تخزينها في ضياع موتريزاس (Mutrizas) وكوتكوس (Kutkus) ، ومرة أخر يظهر سوتيزا (Sutezza) علي أنه المسؤول، ولكن هذه المرة عن الحبوب في «كوتكوس (Kutkus) » التي تم تخزينها لتستخدم كبذور (لوح التحصينات 520-521) .

وعلي الرغم من ذلك، فإنه من المؤكد أيضاً أن الإرماتام كانت أيضاً عزباً زراعية، وقد كان معظمها يقع في المنطقة الوسطي بالقرب من الضياع، مما يعني أنها كانت تتكون من أراضٍ زراعية خصبة يتم ريها، ونميل إلي افتراض أن الملك قد منح هذه العزب للمديرين، وهكذا كانت عبارة عن منح أو علاوات، بما فيهم العزبة التي تم منحها لفيفانا (Vivana) في أراخوسيا نتيجة لكونه المرزبان هناك، وبالنظر إلي كل هذه العوامل فإنه لا يمكن اعتبار أن هذه الجزية كانت بلا مقابل علي الإطلاق، حيث إن أصحاب هذا الإمتياز كانت عليهم التزامات تجاه الإدارة، فقد كانوا مجرد تروس في الآلة الإدارية للإمبراطورية، وقد كان يتم في بعض قوائم الجرد تحديد مكان الإرماتام في إحدي المقاطعات (باتن)، والقري المجاورة

(هومانوس)، وتشير بنية النص الموجود علي أحد الألواح (لوح التحصينات 1857) إلي أن هذه العزب كان يتم محاسبتها كوحدات مالية من قبل الإدارة، ويشير هـذا اللـوح أيضـاً إلي أن الأشخاص الذين تم منحهم هذه العزب كانوا مطالبين بتقـديم جـزء مـن إنتاجهـا (الحبوب في هذه المرة) إلي المستودع الخاص بالإدارة، ويؤكد لوح آخر (لوح التحصـينات 2070) والذي يتحدث عن تحصيل ضريبة البازيس أن هذه العـزب لم تكـن تتمتـع بـأي شكل مـن أشـكال الحصـانة الماليـة: ففـي الواقـع تمـت الإشـارة إلي أربعـة مـن دافعـي الضرائب علي أنهـم «كـانوا في الإرماتـام التابعـة لميتورنـا (Miturna) (؟)»، والـذي كـان يقوم بنفسه بتنفيذ بعض المهام الرسمية، وربما كان هذا هـو سـبب حصـوله عـلي هـذه العزبة .

أولهي:

إن الكلمة الثالثة هلي أولهي، وفي النقوش الملكية تقابل كلمة أولهـي الكلمـة الأكادية «بيتو»، وهما مترادفتان يمكن ترجمتهما علي أنهما «منزل»، واللتان تشـيران إلي أن الأشخاص الذين يعيشون ويعملون في إحدي العزب التي تشـتمل عـلي أراضٍ وأنواع متعددة من المزارع، والتي يرأسها سـيد البيـت أكـثر مـما يشـيران إلي المبنـي الذي يتكون منه هذا المنزل، وهذا بالضبط هو المعنـي المـراد مـن هـذه الكلمـة في الفقرة (16) من نقش بيهسـتون: وفي حـين أن النسـخة الفارسـية القديمـة تسـتخدم «فيث» في النسخة الإيلامية كلمة «أولهي»، وقد قام دارا (Darius) في صلواته للإله أهورا-مازدا بالتضرع إليه حتي يحميه ويحمي شـعب فـارس (داهيـو)، وأن يحمـي بيتـه (فيـث)، وتحمـل عنـاصر زخرفيـه معينـة في الـقصر (أطـر النوافـذ، مفصـلات الأبواب) نقش يقـول: «صـنع في بيـت (فيـث) الملـك»، وتقابـل هـذه الكلمـة تمامـاً الكلمة اليونانية «أويكوس»، وهي ما تسميه النصوص اليونانية بشكل متكرر البيت الملكي الفارسي، وتظهر بهذا المعني نفسه أيضاً في العديد من ألواح برسيبولس، ولقد قـام

بارناكا (Parnaka) في عام 506 بناءً علي أوامر من الملك دارا (Darius) بإرسال الأمر التالي إلي هارينا (Harrena) رئيس قسم القطعان: «ارسل إلي الأميرة إرتاسدونا 100 (Irtasduna) من الأغنام مأخوذة من بيتي» (أولهي، لوح التحصينات 6764)، وفي لوح آخر (لوح التحصينات 1987) تم نقل الأغنام إلي البيت الملكي (أولهي سونكينا) وعُهد بها إلي أحد الرعاة .

وهناك أشخاص آخرون يعملون في عزبة يشار إليها كـ«أولهي»، وقد كان هذا هو الحال مع إرتاسدونا (Irtasduna) -إحدي زوجات دارا (Darius) - والتي كان يعرفها هيرودوت (Herodotus) بـ«أرتيستون (Artystone) »، والتي كان لديها عزبتان من هذا النوع في ميراندو وكوكناكا (ألواح التحصينات 1835-1837)، وأيضاً بالنسبة لأرساميس أحد أبناء دارا (Darius) (لوح لم يتم نشره بعد)، وأيضاً بالنسبة لامرأة تسمي إرداباما (Irdabama) ، والتي كانت تمتلك أولهي في سولاكي (لوح التحصينات أ 27)، ومن المحتمل أيضاً أن إرتاسدونا (Irtasduna) كانت لديها ممتلكات بالقرب من قرية متانان، حيث أرسلت رسالة إلي هناك تطلب منهم فيها تزويدها بالحبوب (لوح التحصينات 1857)، ومن الواضح أنه قد تم تخصيص الحبوب بناءً علي طلبها في مرتين (ألواح التحصينات 166، 168)، وفي المثال الثاني كان اسم المنظم (سارناما) هو «سلامانا (Salamana) »، ومن المحتمل أن هذا كان هو الشخص نفسه الذي نقل أوامر أرتيستون (Artystone) التي تقضي بتسليم المحصول «الذي أنتجته عزبتها» في ثلاث مرات منفصلة (ألواح التحصينات 1836-1838)، وقد كان لدي شخصين آخرين مثل هذا النوع من العزب: رامانويا (Rammanuya) (لوح التحصينات 1855)، وربما ناكتانا (Naktanna) (لوح التحصينات 2075)، ولسوء الحظ فنحن لا نعرف شيئاً عن ظروف هؤلاء الأشخاص، وفي كل حالة من هذه الحالات تظهر هذه العزب في في خطابات يأمر فيها صاحب أو تأمر فيها صاحبة هذه الأولهي

بتسليم قدر معين من الناتج إلي شخص معين، محددة أنهم سوف يقومون بأخذ الحبوب أو الخمر «من الأولهي الخاصة بي»، وقد قام إرداباما (Irdabama) بتوجيه أحد هذه الخطابات إلي محاسبيه (لوح التحصينات أ 27)، وكذلك أيضاً قامت أرتيستون (Artystone) بإرسال أحدها إلي محاسبها «كماسابانا (Kamasabana) » تأمره فيها بإرسال المؤن (لوح التحصينات 1837)، ومن حيث المكونات المادية لا يمكن أن تكون العزب الزراعية الملحقة بواحد من هؤلاء الأولهي مختلفة عن الإرماتام أو الروضة، ولا يمكن أن يكون التمييز اللغوي بين هذه المفردات قد تم بشكل عشوائي، حيث إن أفراد العائلة المالكة لا يحصلون مطلقاً علي «إرماتام»، ولكنهم يحصلون دائماً علي «أولهي»، ولكن هذه الملاحظة - والتي يمكن أن تتغير مع الإعلان عن ألواح إضافيه- لا تساعدنا في شرح الإختلاف الفعلي بينهما في المنزلة، حتي إنه يبدو في قرية متانان كما لو أن بعضاً من الناتج كان يتم دفعه وتقديمه إلي الإدارة بأوامر من أرتيستون (Artystone) (لوح التحصينات 1857) .

وكان بيت الأميرات يحتوي علي ما هو أكثر من المزارع، فمن الواضح أنه كانت لديهم حاشية شخصية، وعدد ضخم من الموظفين والخدم، ويكمن الدليل علي ذلك في تلك الكميات الهائلة من المواد الغذائية التي كانت توضع تحت تصرفهم عند السفر (ألواح الخزانة 730-739* 2019، 2035)، وينطبق هذا الوضع أيضاً علي الأميرات الملكيات الأخريات (لوح التحصينات أ 5)، واللاتي من المؤكد أنهن أيضاً كن يرأسن بيوت خاصة بهن، ولقد تم ذكر اسم أرساميس مع أرتيستون (Artystone) في هذا السياق (لوح التحصينات 733-734* 2035)، فقد كانت لديه هو الآخر خيول (لوح التحصينات أ 24* 29)، وبالإضافة إلي ذلك، فإن العديد من الألواح تسجل تقديم المؤن إلي العمال، والذين كانوا يسمون عمال أرتيستون (Artystone) أو إردباما

(Irdabama) (ألــواح التحصــينات 1236* 1454* 849* 1002* 1028-1029* 1041-1043* 1089* 1109* 1198* 1221* 1232)، وتثــير هــذه الوثــائق بعــض المشــكلات؛ وذلك لأنها لم تحدد بوضوح العلاقة بين الأميرات وهؤلاء العمال، والـذين لا يبـدوا أنهـم كانوا مختلفين في شيء عن الجماعات الأخري المماثلة، فقد كانوا يعملون في مكان محدد (شيراز علي سبيل المثال)، ولكنهم كانوا يؤدون العمل نفسه (فعلي سبيل المثال الباسـاب الإناث الخاصين بأرتيستون (Artystone) : لـوح التحصـينات 1236)، ومـن المحتمـل أن هؤلاء العمال كانوا مرتبطين وتابعين للإدارة بشـكل عـام، ولكـن المسـتفيدين مـن هـذه المنح المؤقتة كانوا يستعينون بخدماتهم، ومن ناحية أخـري، فإنـه مـن المؤكـد أن أفـراد الأسرة المالكة كان لديهم أيضـاً مسـاعدون قـد تـم تخصيصـهم للعمـل بشـكل دائـم في بيوتهم، مثل الشخص «الـذي تـم إلحاقـه ببيـت (فيـث) هستاسـبيس (Hystaspes) » والد دارا (Darius) (لوح التحصينات 1596)، والذي يمكن مقارنته بالأشخاص الذين تـم إلحاقهم بالبيت الملكي، والذين كان يوجد من بيـنهم أفـراد يشـغلون وظـائف مهمـة في اقتصاد القصر (لوح التحصينات 1946) .

6- ألواح برسيبولس والإدارة الإمبراطورية: المصادر والمشكلات:

بعد إعادة بناء تنظيم العمل والإنتـاج في بـلاد فـارس - وخاصـة في عهـد دارا (Darius) - تظل هناك مشكلة أساسية، هل يجب أن تقتصر الصورة التـي حصـلنا عليها من الألواح علي بلاد فارس نفسها؟ أم هل يمكن أن نمدها لتشمل بعض أجزاء الإمبراطورية مع أخذ الظروف المحلية في الاعتبار طبعاً؟ أو بشكل آخر هـل تعكـس وثائق برسيبولس بصورة محددة -علي الرغم من أنهـا آليـة- الخصـائص التنظيميـة لإقليم فارس فقط؟ دعونا نؤكد منذ البداية عـلي أن لهـذا السـؤال أهميـة حاسـمة:

حيث إن الإجابة عنه تقدم لنا صورتين متناقضتين عن الإمبراطورية الأخمينية، تكشف إحدي هاتين الصورتين عن تنظيم منحل ومهلهل للغاية يربط مجموعة من البلاد التي استمرت في اتباع طرقهم وأساليبهم التقليدية، دون وجود أدني أثر للسيطرة الفارسية، أما الصورة الثانية -أو ما يسمي بالنظرة القوية- فتحول الإمبراطورية الأخمينية إلي بناء إمبراطوري بكل معني الكلمة، أي دولة قام فيها الفاتحون بوضع وتوحيد قواعد التنظيم الإداري والاستغلال الاقتصادي والتي -بدون أن تشن هجوماً مقصوداً علي القواعد المحلية- تمكنت علي الرغم من ذلك من التغلغل داخل هذه التقاليد وغيرتها بعمق علي الأقل ببعض الطرق الرئيسة، والتي سمحت للطبقة الإجتماعية العرقية المسيطرة بالتمتع بالهيمنة بالتحالف مع النبلاء المحليين .

دعونا نبدأ برفض ودحض بعض الأفكار الخاطئة القائمة علي ضيق الحيز الزمني والمكاني لهذه الألواح (فصل 11-1 بالأعلي)، والفترة التي تعود إليها هذه الألواح (فيما بين عامي 509-458) لا تشير علي الإطلاق إلي أن التنعيم الإداري الذي كان معروفاً في عهد دارا (Darius) قد اختفي فجأة في السنة السابعة من فترة حكم أرتاكسركسيس (Artaxerxes) الأول، أو أنه لم يكن معمولاً به قبل عام 509، وللأسباب التي ذكرناها للتو، فإنه من الواضح أننا لا نملك سوي عينة ضئيلة من الكم الهائل من الوثائق التي كانت في دور محفوظات الإمبراطورية الأخمينية، وبالنسبة للحيز الجغرافي الذي تغطيه هذه الوثائق، فيجب علينا هنا أيضاً الانتباه إلي الأفكار الخاطئة التي قد نصل اعتماداً علي الأماكن التي وجدت فيها الوثائق التي لدينا، ففي البداية لا يمكن إنكار أنه كانت توجد دور محفوظات في كل مرزبانية من المرزبانيات الأخمينية، ولقد قدم لنا هيرودوت (Herodotus) ، هذا التفصيل في إحدي الحواشي، وهو يتحدث عن مساعد أوروتيس (Oroetes) : «هذا الموظف يمثل جزءاً من

المؤسسة الخاصة بكل حاكم (جراماتيستاي باسيليوي)» (الكتاب الثالث، فقرة 128)، ويشير زينوفون (Xenophon) أيضاً إلي هذه المؤسسة عندما يتحدث عن وجود ميجافرنيس (Megaphernes) -أحد النساخ الملكيين- في خدمة قورش (Cyrus) الأصغر (فوينيكستيس باسيليوس، الزحف العسكري، الكتاب الأول، فقرة 2-20)، ونجد أيضاً في الوثائق المصرية والبابلية والتوراتية أشخاص رفيعي المنزلة في الإدارة المرزبانية يحملون ألقاباً (أحياناً متعددة) «بل تيمي» و«سبيرو»، أي «المستشار» و«الناسخ»، وهكذا فإنه من الواضح أنه قد تم تنظيم جميع الإدارات المرزبانية بالأسلوب نفسه، وأنهم كانوا مسؤولين عن إرسال خطابات وأوامر واستلام وحفظ الرسائل التي ترد إليهم من الإدارة الملكية .

ومن الصحيح أنه لم يتم العثور علي أرشيف مرزباني واحد بالمعني الدقيق في صورة سليمة وكاملة، وترجع هذه الفجوة في الأساس إلي فرص الوصول إلي مثل هذا الاكتشاف، ولكنها ترجع أيضاً، وبشكل خاص إلي تلف المواد التي كانت شائعة الاستخدام للكتابة عليها في ذلك الوقت (البردي، البرشمان، الألواح الخشبية المغطاة بالشمع)، ويشهد أحد فصول «حياة يومينيس (Eumenes) » (الكتاب الثاني، فقرة 6-7) بوضوح شديد علي هشاشة مثل هذه المحفوظات: فبعد أن أتت النيران علي خيمة الإسكندر (Alexander) «قام الملك بإرسال خطابات إلي جميع المرزبانات والقادة العسكريين؛ ليقوموا بإرسال نسخ من الوثائق التي احترقت بفعل هذه النيران، والتي قام يومينيس (Eumenes) بناءً علي أوامر بجمعها كلها»، لقد وجدت في داسيليوم الواقعة في مرزبانية فريجيا المطلة علي الدردنيل أختام تحمل نقوشاً مسمارية وآرامية، ولقد كانت تحمل بعضها اسم كسركسيس (Xerxes) ، وتشهد طبعات الأختام التي وجدت علي أوراق البردي والخيوط علي وجود رسائل ووثائق مكتوبة علي أوراق البرشمان أو البردي المحفوظة في دور

المحفوظات المرزبانية، والشيء الوحيد الذي لازال موجوداً حتي الآن هو الأظرف الطينية (الأختام) .

ولقد اتسع الحيز المكاني الذي تغطيه الألواح بعد إضافة الطائفة Q (مؤن السفر)، والتي تغطي جميع أجزاء الإمبراطورية، وتشير طريقة عمل النظام نفسها إلي وجود العديد من دور المحفوظات الملحقة بالمستودعات التي تزود المسافرين علي شبكة الطرق بالمؤن في كل مرزبانية، ولكن من المحتمل أن العديد من الأشياء كانت تسجل علي ورق البردي أو البرشمان، ولقد كان هذا هو حال الوثيقة التي أعطاها أرساما (Arsama) إلي قهرمان قصره نهتيهور (Nehtihor) عندما هم بإرساله إلي مصر، ولقد تم التعرف علي العلاقة بين هذا النص وبين ألواح الطائفة Q منذ فترة طويلة، وتؤكد بعض الوثائق الأخري مثل وثيقة آراد الآرامية -إذا كان هناك حاجة لذلك- أن تنظيم السفر علي الطرق الملكية كان يعتمد علي نظام إمبراطوري موحد، وتوجد العديد من الاكتشافات التي تمت في أماكن أخري - والتي مع أنها استثنائية- إلا أنها تستحق الذكر، وخاصة أحد الألواح الإيلامية من صوصا، وآخر من قندهار، وآخرون في أرمينيا(؟)، ومن المفارقات أن الطبيعة العشوائية لهذه الاكتشافات تشهد علي حقيقة أنها ممثلة للمكان والفترة التي جاءت منها (انظر فصل 16-18) .

وهكذا فإنه من المحتمل أن خصوصية وثائق برسيبولس لا تعني أن التنظيم الإداري للإنتاج كان منحصراً في بلاد فارس أو في محور برسيبولس-صوصا، ومن الواضح أن هذا ما زال يحتاج إلي التحقق منه من خلال جمع قدر أكبر من السجلات والوثائق الإقليمية، وفي الحقيقة، فإنه سيكون من غير الصحيح القيام بصورة تلقائية بتعميم أي تحليل نستخلصه من هذه الألواح علي الإمبراطوية بأكملها، والسبب في ذلك ليس ببساطة هو أن بلاد فارس والفرس كانوا يشكلون شعباً (داهيو) ذا

مكانة سياسية وأيديولوجية غير عادية، وإنما هو أيضاً لأنه توجد درجة من الشك حول تفسير الألواح فيما يتعلق ببعض النقاط، وفي ظل هذه الظروف فإن أي تعميم لنتائج تحليل الألواح يجب أن يقوم علي إجراء مقارنة مع الوثائق الأخري، والتي تتسم نفسها بأنها مؤكدة، ولا يوجد أي التباس حولها.

7- إدارة الممتلكات والمستودعات الملكية في مصر:

إن مناخ مصر الجاف يعني فقط أن كم الوثائق التي بها مساوٍ ومشابه لكم الوثائق التي وجدت في برسيبولس، فبالإضافة إلي كم من الرسائل المكتوبة علي ورق البردي أو علي الجلد تعود إلي عهد المرزبان أرساما (Arsama) توجد لدينا العديد من الرسائل الرسمية التي تشهد علي مدي دقة الإدارة المرزبانية هناك، وخاصة فيما يتعلق باستلام وتوزيع المنتجات التي تتطلب وجود مستودعات، وسوف نقوم بتوضيح وشرح هذا الموضوع من خلال خمس وثائق، بعض هذه الوثائق هي وثائق متأخرة (تعود إلي عهد دارا (Darius) الثاني)، ولكنهم جميعاً يجعلوننا نتخيل أن طريقة التنظيم التي يصورونها تعود علي الأقل إلي عهد دارا (Darius) الأول .

إعادة تزويد الحامية الموجودة في حصن فيلة- Syene بالمؤن:

الوثيقة الأولي هي بردية مكتوبة باللغة الديموطيقية تعود إلي السنة الأخيرة من حكم دارا 486 (Darius) ب. لويب.1)، وتتحدث هذه الوثيقة عن «خنوميماش (Khnumemash) » المصري -ابن هوروينميفر (Horwenmefer) - والذي صدرت إليه أوامر هو والأرتابان الفارسي تدعوه للبحث عن السلع -وخاصة القمح- في المنطقة الجبلية (جيبيل)، علي أن يتم تخزين الحبوب -من المحتمل في Syene - في بيت الرجل الذي أصدر الأمر وهو مصري آخر اسمه أوزوريريس (Osoreris) ، وقد تم إرسال خطاب الدعوي إلي بارنو « المسؤول عن المقاطعة الجنوبية »،

والذي كان المدير المباشر لأوزوريريس (Osoreris) ، ويمكننا أن نتصور أن خنوميماش (Khnumemash) كان بحاراً مصريًّا، وأنه كان يعمل لحساب المديرين المسؤولين عن إطعام الجنود الموجودين في حصن فيلة- Syene تحت إدارة البارنو .

وقد كانت عملية إعادة تزويد الحامية بالإمدادات هي الموضوع الذي تحدثت عنه إحدي الوثائق الآرامية أيضاً، والتي كانت تعود إلي السنة الثانية من فترة حكم كسركسيس 484 (Xerxes) ، حيث حصل شخصان يحملان أسماء يهودية (حوسيا Hosea وأهياب Ahiab) علي سلع (شعير وعدس) مباشرة من مصري يدعي «إسبيميت (Espemet) »، والذي كان يعمل كخادم (؟) لدي القائد حناني (Hanani) ، وهذه هي السلع التي كان قد تلقي أمراً بنقلها بالقارب إلي فيلة، وقد كان العدس والشعير يمثلان إمدادات إلي الجنود المستعمرين الموجودين هناك: عدد (22) جنديًّا ينتمون إلي وحدتين عسكرتين مختلفتين (من وحدات المائة)، ولقد أُمر كل من حوسيا Hosea وأهياب Ahiab في وجود إسبيميت (Espemet) أن يقوموا بتسليم هذه السلع «أمام المسؤولين في بيت الملك، وأمام كتبة المستودع»، وقد كانت تقع علي عاتق هؤلاء الكتبة مسؤولية القيام بتقسيم هذه المؤن علي الجنود الاثنين والعشرين الذين يشكلون قوة الحامية، وهذه الوثيقة موثقة بأسماء العديد من الشهود، كما أنها تحدد كمية المؤن الفردية، وإجمالي كمية السلع التي تم استلامها: 38,32 هل، منها (16,6) هل من العدس، وكان علي كتبة المستودع القيام بتسديد ثمن هذه السلع إلي إسبيميت (Espemet) ، وفي الحالة المقابلة شرع حوسيا Hosea وأهياب Ahiab بدفع (100) كار من الفضة النقية إلي إسبيميت (Espemet) ، وكضمانة إضافيه قام الاثنان بإيداع مرتباتهم التي يحصلون عليها من بيت الملك، بالإضافة إلي بيوتهم وممتلكاتهم، والتي في حالة حدوث أي خطأ أو مشكلة يحق لإسبيميت

(Espemet) أن يضع يده عليها، وهكذا فإننا نري أنه في مصر كان الأشخاص ذوو الرتب المختلفة في الهرم الإداري مسؤولين شخصيًّا عن السلع التي في عهدتهم: ففي حالة الضياع أو السرقة كان عليهم سداد قيمتها من مالهم الخاص .

وتمكننا إحدي الوثائق الأخري من الحصول علي فهم أفضل لهذه الإجراءات علي الرغم من أنها تأتي من فترة لاحقة (مايو 419)، وتتحدث هذه الوثيقة عن سجلات الحامية في فيلة- Syene ، حيث قام فيها المحاسبون والكتبة بتلخيص إجمالي المؤن التي تم توزيعها علي جنود فيلة و Syene في سنة واحدة، ولقد جاء الشعير المذكور من مواقع عديدة: من مقاطعة طيبة والمقاطعة الجنوبية (التي عاصمتها فيلة)، وقد تم إحضارها إلي Syene بالاستعانة بجهود العديد من الأشخاص ممن يحملون أسماء مصرية والذين من المحتمل أنهم كانوا من البحارة وأن مكانتهم كانت مشابهة لمكانة إسبيميت (Espemet) أو بيتيسيس (Peteisis) ، والذي كان أحد البحارة المصريين الآخرين، والذي عرفناه من خلال أحد الأختام المصرية، ولقد كان يتم إيداع جزء من الشحنة في مخزن الحبوب، وكان يتم توزيع الباقي علي جنود الحامية كمؤن غذائية (بتب)، وبقدر ما يمكننا إعادة بناء صورة عنه فإن نقل السلع في Syene كان يتم بطريقة تشبه كثيرا الطريقة التي تصورها لنا ألواح برسيبولس، وبالإضافة إلي ذلك هناك وثيقة رابعة تشير إلي أن المدراء المحليين -النساخ- كانوا مطالبين بإرسال «كل بند من هذه البنود شهريًّا» إلي منف، وكانت الإدارة المركزية في منف تقوم بتعويض هؤلاء المدراء المحليين علي أساس هذه الوثيقة، وقد كان المشرفون مسؤولين عن الإشراف علي انتظام إجراءات توزيع المؤن في الموقع نفسه.

إصلاح أحد قوارب الإدارة:

تمثل الوثيقة الخامسة مثالاً واضحاً بشكل خاص علي الطبيعة

البيروقراطية للإدارة المرزبانيـة، فهـذه الوثيقـة التـي تعـود إلي عـام 411 تتنـاول عملية إصلاح أحد القوارب، وقد كـان يقـوم بتشـغيل هـذا القـارب اثنـان مـن المصريـين هـما: باسمسينيث (Psamsineith) وبحار آخر لم يتم حفظ اسمه، وكلاهما كان يحمـل لقـب «بحارة التحصينات»، وتشير الكلمة الأخيرة إلي حصني فيلـة و Syene ، ولم يكـن هـذان البحاران هما مالكي القارب: فقد كانا «مسؤولين عنه» بالطريقة نفسها التي كان الجنـود المستعمرون «مسؤولين» بها عن الأراضي، وهكذا فإن القارب كان ملك الإدارة، وقد كـان البحاران المصريان يستخدمانه في القيام بالمهـام الرسـمية مثـل نقـل المـواد الغذائيـة إلي Syene ، وهي خدمة كانا يحصلون علي أجر في مقابلها.

وتلاحـظ أيضاً أنـه في ذلـك الوقـت، كـان القـارب الـذي يعمـل عليـه باسمسـينيث (Psamsineith) ورفيقه بحاجة إلي بعض الإصلاحات: حيث إن سطحه كـان بحاجـة إلي أن يتم استبداله بالكامل، وهو العمل الذي كان يمكـن إجـراؤه فقـط في أحـد أحـواض السـفن التابعة للإدارة في فيلة، ولتحقيق ذلك كان عليهما أن يتعهدا بدفع تكاليف ذلك، وهي التي كان يجب أن يتم أخذ تصريح بها من المرزبان أرساما (Arsama) نفسه، ولقد كان هذا هو السبب الـذي جعـل أرسـاما (Arsama) يرسـل خطابـه إلي المصري المسـمي «واهبريمـاهي (Wahpermahi) »، والذي يبدو أنه كان مسؤولاً عن إدارة الخامات في حوض بناء السـفن الموجود في فيلة، ولكن القرار النهائي سبقه تبادل عدد كبير من الرسائل والأوامر بـين Syene ومنف، ففي البداية لجأ باسمسينيث (Psamsineith) ورفيقه إلي رئيسهم المبـاشر، والـذي كان مثراداتا (Mithradata) الفارسي الذي كان يحمل اللقب (الفارسي) «ناف-باتي» أو كبـير البحـارة، ويخضـع لسـلطته جميـع البحـارة الموجـودين في مقاطعتـه، وقـد أخـبرا مثراداتـا (Mithradata) عن الأعطال التي أصابت قاربهم، وبعـد إجـراء فحـص أولي للقـارب الـذي

جـنح «أمـام الحصـن»، قـام رئـيس مثراداتـا (Mithradata) بإرسـال تقريـر إلي أرسـاما (Arsama) ، ولكن قبل إعطاء الإذن بعملية الإصلاح، أمر المرزبان أن يتم إجـراء فحـص كامل، وأن يتم رفع تقرير مفصـل للغايـة عـن حالـة هـذا القـارب إليـه، وقـد كـان مـن الضروري أن يتم تنفيذ هذه العمليات بشكل مشترك فيما بين محاسبي الخزانة (جـانزا) والمشرفين (فراماناكارا) [سماسيليك (Samasillek) ورفاقه] ورئيس النجار المسـؤول عـن هذه المقاطعة، وهو مصري اسمه سماو Samaw ابن كونوفي Konufi .

وبعد فحص القارب - والذي تم إجراؤه في حضور مثراداتا (Mithradata) والبحارين اللذين يعملان عليه- تم إرسال تقدير دقيق جدًّا عن حالة القارب إلي الإدارة في منف، وبناءً عليه أرسل المرزبان أمراً إلي واهبرماهي (Wahpermahi) يصرح له فيه بتقـديم الخامـات اللازمة إلي رئيس النجارين سماو Samaw: ولقد ذكر عدد وجودة الألواح الخشـبية اللازمـة لإصلاح الأجزاء المختلفة مـن القـارب، بالإضـافة إلي الإمـدادات الأخـري (الأشرعـة، الشرائـح البرونزية، الخ) -حتي عدد المسامير: (425) مسماراً برونزيًّا للحافة العليا من جانب المركب، (200) لتثبيت العناصر المعدنية، وبالإضافة إلي ذلك طُلب منهم تقديم الخارصين والكبريت واللذين سيتم تقدير وزنهما «تبعاً للوزن القياسي لـبلاد فـارس»، وقـد تحـدد أيضـاً أنهـم في مقابل الخشب الجديد «سـوف يقومـان بإحضـار الخشـب القـديم والألـواح المكسـورة إلي الخزانة»، ويكشف هـذا التفصـيل عـن نـدرة الخشـب في مصر، ويشـير الـنص أيضـاً إلي أن «ألواح خشب الصنوبر المستخدمة» كانت من بين الألواح التي تم إعطاؤها للنجار، ويوضح أيضاً أن الإدارة لـن تسـمح بتضـييع أو الإسراف في أي بنـد مـن السـلع أو الممتلكـات التـي تملكها، فعـلي سـبيل المثـال لم يسـمحوا للبحـارة أو لعـمال حـوض بنـاء السـفن أن يقومـوا بإعادة بيع الألواح المستخدمة لحسابهم الخاص! ومن المؤكـد أنـه بعـد الإنتهـاء مـن عمـل

هـذه الإصـلاحات طلبـت الإدارة المركزيـة في منـف مـن واهبرمـاهي (Wahpermahi) تقـديم وثـائق مكتوبـة عـلي الدرجـة نفسـها مـن التفصـيل حـول الخامـات التـي تـم استخدامها، وهو ما يعني قيام رئيس النجـارين ومحاسـبي الخزانـة بـإجراء فحـص آخـر للقارب، وقد كان القرار يعود إليهم في تحديد ما إذا كان يجـب إعـادة أي مـن المسـامير التي لم يتم استخدامها إلي مستودعات ومخازن الإدارة! وهكذا تمـت الاسـتعانة بالجهـاز الإداري بأكمله من أجل التأكد من صحة الأوجه التي سيتم فيها إنفاق مبلغ لم يتعـدَّ في مجمله طالن واحد و(10) ألمينا.

أحواض بناء السفن والورش الملكية:

وكانت هناك أحـواض أخـري لبنـاء السـفن معروفـة في مصر، وخاصـة حـوض بنـاء السفن الذي كان موجوداً في منـف، والـذي توجـد شـواهد عـلي وجـوده في أحـد الوثـائق الآرامية، والتي لسوء الحظ لم تصلنا بحالة جيـدة، وقـد كـان هـذا الحـوض يسـمي «بيـت القوارب»، والنص نفسه هو نوع من الدفاتر التي كان يتم فيها تسـجيل تحركـات العـاملين بدقة شديدة، وكان العاملون فيه ينتمون إلي أجناس متعددة، وكما هو الحال في مسـتعمرة فيلة، فإن العمال الذين كانوا يعملون في حوض السفن في منف كان مقسمين إلي جماعـات تتكون كل واحدة منها من «ألف عامل» (دجالين)، والتي من المحتمل أنهـا كانـت تنقسـم بدورها إلي جماعات تتكون كل منها من (100) عامـل (كـما هـو الحـال في برسـيبولس)، ولقد كانت إحدي جماعات الألف هذه تحت قيادة رجل إيـراني اسـمه باجاباتـا، وهـذه الوثيقة -بالصورة التي هي عليها- لا تقدم أية معلومات مباشرة حول وضع العمال الذين كانوا يعملون في حوض بناء السفن في منف، ولا يوجـد أي دليـل يجعلنـا نسـاوي بيـنهم وبين الكورتاس الذين كانوا موجودين في برسيبولس عـلي أنهـا مـن هـذه النظريـة تبـدو جذابة، كما أننا لا نعرف أي شيء عن العلاقة الفعليـه التـي كانـت تـربطهم بمجموعـات

«الدجالين» (جماعات الألف) العسكرية، والتي توجد شواهد علي وجودهـا في منـف في إحدي أوراق البردي التي نشرت مؤخراً .

وهناك دلائل قوية علي وجود الورش الملكية في مصر حصلنا عليها مـن اكتشـاف -في صوصا علي وجه الخصوص- العديد من الأواني الزهرية الأراجونية التي نُقشت عليها باللغة الهيروغليفيـه أسـماء كـل مـن دارا (Darius) ، كسركسـيس (Xerxes) ، وأرتاكسركسـيس (Artaxerxes) الأول في شكل بسيط «الملك الأكبر كسركسيس (Xerxes) »، أو في شكل أكثر تعقيداً وتفصيلاً «الملك دارا (Darius) ، ملك مصر العليا والسفلي، سيد الأراضين، أطال الإله عمره إلي أبد الآبدين»، وقد نُقش علي الآنية الزهرية التي تم إنتاجهـا في عهـد كسركسـيس (Xerxes) وأرتاكسركسـيس (Artaxerxes) الأول نـص بـأربع لغـات مختلفـة (الإيلاميـة، الفارسية، البابلية، والمصرية القديمة)، وقد تم تحديد تاريخ العديد من هذه الأواني الزهرية باستخدام السنة الملكية، وتشير اثنتان مـنهما إلي المحتويـات باسـتخدام المقـاييس المصريـة، والشيء شبه المؤكد أن هذه الآنية الزهرية قد تم إنتاجها في الورش المصرية، ثم أُرسلت بعد ذلك إلي البلاط المركزي، ومن المحتمل أنه قد تم تنظيم عملية التصـنيع في مصر عـلي غـرار ورش برسيبولس التي كانت متخصصة في صناعة الآنيات الحجرية (فصل 11-3)، وقد كانت أدوات المائدة الملكية الحجرية توجد أيضاً في برسيبولس، وتحمل الأشياء التي وصـلت إلينـا جميعها اسم كسركسيس (Xerxes) مكتوب بأربع لغـات، وأشـكال هـذه الأدوات وطريقـة حفر النقوش عليها تشبه كثيراً الأواني الزهرية المصرية السابقة، ولكن من الصعب تحديد ما إذا كانت مصنوعة في مصر وليس في برسيبولس علي يد حرفيين مصريين .

وقد كانت صناعة الأسلحة معروفة في منف خـلال عهـد الفراعنـة، ووجدت أوانٍ زهرية منقوشة عليها أسـماء بسـماتيك Psammetichus

وأماسيس (Amasis) في برسيبولس، حيث إنها كانت جزءاً من الغنائم التي استولي عليها قمبيز (Cambyses) بعد هزيمته لأماسيس (Amasis) ، وهذه الآنية الزهرية تشبه كثيراً الآنية التي تعود إلي عهد دارا (Darius) الأول وخلفائه، كما أنه توجد شواهد كثيرة علي وجود أحواض لبناء السفن في مصر الفرعونية، وكان يتحكم في أحواض بناء القوارب «سيد السفن» والذي انتقلت سلطاته وواجباته إلي مرزبان مصر، وعلي الرغم من ذلك، فإن هذا التواصل لا يجب أن يجعلنا نغفل عن الابتكارات التي أدخلها الفرس، وتمثل المصطلحات الإدارية ذات الأصل الفارسي التي توجد بكثرة في النصوص الآرامية بأدلة محددة علي ذلك، ويمكننا في الغالب اكتشاف معني هذه المصطلحات عن طريق مقارنتها بالمفردات الموجودة في ألواح برسيبولس، فالخزانة المسماة (جانزا) والتي تحدثت عنها أوراق البردي يبدو أنها كانت تعمل بأسلوب مماثل لأسلوب عمل الخزائن الموجودة في فارس، ويمكن الإشارة إليها باستخدام مصطلحات «مستودع»، «مستودع الملك» أو «بيت الملك»، وفي كل حالة من هذه الحالات نجد أنها تشتمل علي الخزانة نفسها بالإضافة إلي المستودعات، حيث إن الجنود كانوا يحصلون علي مرتبات في صورة فضة (برس)، بالإضافة إلي المؤن التي كانت تقدم لهم في صورة سلع عينية (بتب)، والخزانة هي المكان الذي يتم فيه إيداع المخزونات الاحتياطية «لتكون تحت تصرف مسؤولي الحكومة، وتحت تصرف موظفي الخزانة»، وهذا يوضح لنا الإجراء الذي كان معروفاً في برسيبولس، حيث إن الناتج كانت «يوضع هناك تحت تصرف» (كورمين) أحد المسؤولين والذي كان يعطيه إلي المسؤول المكلف بالتوزيع (سارامانا).

كما كانت توجد في مصر أيضاً بعض الألقاب التي توجد شواهد كثيرة علي أنها كانت مستخدمة في برسيبولس، ففي فيلة تم التصريح

بصرف الخامات اللازمة لإصلاح القارب من قبل مسؤولين يحملون اللقب الفارسي «هاماراكارا»، وهو اللقب الذي نجده أيضاً في النصوص الموجودة في برسيبولس وفي الوثائق الأكادية، وقد كان هؤلاء المسؤولون يقومون بوظيفتين في وقت واحد، فقد كانوا مكلفين بحفظ السجلات، كما أنهم كانوا محاسبين، والذين تبعاً لألواح الخزانة كانوا مسؤولين عن جماعات الكورتاس، وقد كان من بين المسؤولين الذين تم تكليفهم برفع تقرير مفصل عن أعطاب القارب (سماسيليك (Samasillek) ورفاقه)، والذين كانوا يحملون لقب «فراماناكارا» (أي المشرفين)، وهو المصطلح الذي يظهر أيضاً في وثائق برسيبولس، ويظهر تحليل الوثائق أن هذه الاستعارات لم تكن لغوية فقط، حيث إنها تتصل بمنظمة مماثلة تعمل علي إدارة الناتج وتوزيعه علي المستودعات والخزائن .

8- إدارة الفائض:

العودة إلي أرسطو المزيف:

لا بد عند هذه النقطة من إجراء مقارنة مع مصدر آخر وهو كتاب «أوكونوميكا» لأرسطو المزيف، فعندما قام (جي.جي.كاميرون) (George G. Cameron) في عام 1948 بنشر ألواح الخزانة، قام أحد أول من كتبوا مقالات نقدية حول هذه الألواح (إف.ألتهايم) - والذي سرعان ما تبعه كاميرون نفسه- بتوضيح أوجه الشبه بين تحليل أرسطو المزيف (Pseudo-Aristotle) وممارسات الإدارة الفارسية في برسيبولس، وتتناول هذه المقارنات المقترحة تقديم المؤن في صورة فضة إلي الكورتاس، وهي الممارسة التي تم تفسيرها في ضوء أحد التعبيرات في «أوكونوميكا»، وسوف نعود قريباً إلي هذه الفقرة مرة أخري، ودعونا نذكر فقط أنها قد تم دمجها في مناقشة أوسع وأشمل للاقتصاد الملكي، والتي تشتمل علي أربعة قطاعات: «العملات، الصادرات، الواردات،

الإنفاق» (الكتاب الثاني، فقرة 1-3)، وعند هذه النقطة يشير المؤلف بشكل موجز إلي إدارة الفائض في السلع والمنتجات، الذي يتولد نتيجة الضرائب التي تفرضها الإدارة علي الشعوب الخاضعة لها، وتقدم لنا ألواح برسيبولس -وخاصة ألواح التحصينات- تأكيداً واضحاً وتعليقاً دقيقاً علي تحليل أرسطو المزيف (Pseudo-Aristotle) ؛ لأن هذه الطوائف الأربعة الرئيسة تقابل العمليات المركزية الأساسية، والتي يمكن إعادة رسم صورة لها: الضرائب/ التخزين/ التسجيل/ التوزيع .

وتتمثل المهمة الأولي بالنسبة لمسؤول الإدارة في الإشراف علي عملية حفظ وتسجيل المنتجات التي تم جمعها، ولكي نظل في الإطار الزمني والجغرافي نفسيهما، يمكننا أن نستشهد بأحد الأمثلة اليونانية الموازية، والتي تعود إلي البدايات الأولي للفترة الهلينية (عام 320)، وهو وثيقة تعكس ما قاله أرسطو المزيف (Pseudo-Aristotle) بقدر ما تعكس ألواح برسيبولس، فقد كان الديادوكي يومينيس (Eumenes) حاكم كاريا -الذي كان يتعرض للهجوم من جانب أنتيباتر (Antipater) ، والذي كان أيضاً ينظر إلي نفسه علي أنه الممثل الأعلي للنظام الإمبراطوري- يقوم بتعزيز فرسان جيشه بالاستعانة بمزارع استيلاد (ولادة) الخيول الملكية الموجودة في إدا الواقعة في تروس: «لقد أخذ عدداً كبيراً من الخيول بقدر ما تسني له من فرص، وأرسل سجلاً بفعله ذلك إلي المشرفين، وهو الشيء الذي ضحك عليه أنتيباتر (Antipater) قائلاً إن يومينيس (Eumenes) يستحق المديح فعلاً لكونه مستعد بهذه الطريقة لتسليم سجلات دقيقة لنا بكل أمور الإدارة (تاباسيليكا)» (بلوتارخ (Plutarch) ، يومينيس (Eumenes) ، فقرة 8-5).

يمكننا تفهم رد فعل أنتيباتر (Antipater) ، فقد اندهش عندما علم أن يومينيس (Eumenes) حتي في مثل هذه الفترة التي تعمها الفوضي أظهر أنه ملتزم بالقواعد والقوانين وكله أمل في النجاة سياسيًّا من هذا الهجوم، أي

أن يومينيس (Eumenes) في اهتمامه بإظهار مدي ولائه للملك الفارسي حرص علي تطبيق قواعد المحاسبة التي اقتبسها المقدونيون من الإدارة الأخمينية، وفي الوقت نفسه يظهر هذا المشهد بوضوح شديد أن الاضطرابات السياسية لم تتسبب علي الإطلاق في تغيير الأساليب الإدارية الروتينية، حيث إن الموظفين الإداريين كانوا يعلمون أنهم يمكن أن يطالبوا في أية لحظة بإظهار السجلات التي تثبت إدارتهم الرشيدة أي الدفتر الذي يحتوي علي تسجيل لجميع السلع التي تم استلامها، وكذلك أيضاً جميع الأشياء التي خرجت من مستودعاتهم.

الفائض في السلع وعمليات التبادل:

لم يقم مؤلف كتاب أوكونوميكا فقط بمناقشة عملية تخزين الناتج -الذي كان يتوفر لدي الإدارة من تحصيل الجزية- في المستودعات الملكية (باراثيسيس) مثل تلك التي تقع عند المحطات الموجودة علي طول شبكة الطرق الملكية (الكتاب الثاني، فقرة 2-34أ: ثيسوروي)، أو المخزونات الاستراتيجية التي كان يقوم المرزبانات بإيداعها في أراضيهم (زينوفون (Xenophon) ، الزحف العسكري، الكتاب الثالث، فقرة 4-31)، ولكنه تناول أيضاً كيفيه تسويق هذا المنتج، وتشير عبارة «معرفة اللحظة التي يمكن عندها والطريقة الأنسب التي يمكن بها تحقيق أكبر قدر من العائد عند بيع هذا الناتج» إلي إحدي مهام الاقتصاد الملكي، والتي كانت تعمل بالدرجة نفسها علي مستوي «الإكساجوجيما» و«أيساجوجيما» (الكتاب الثاني، فقرة 1-2)، والمقصود من هاتين الكلمتين ليس ما نسميه بالصادرات والواردات ولكن المقصود بهما هو عمليتي شحن المنتجات من المستودعات الملكية واستلام هذه المنتجات، وإدخالها إلي تلك المستودعات، وربما كان المؤلف يقصد حاجات الجهاز الإداري للدولة (وحدات الجيش التي كانت في حالة تحرك، الرحلات الرسمية علي الطرق الملكية، المائدة الملكية، نقل الناتج من مرزبانية إلي أخري،

الخ)، ولتلبية مثل هذه الحاجات كان من الضروري القيام بعمليات جرد دائمة، ولكن تحليل ذلك المؤلف يمضي إلي ما هو أبعد من ذلك: فالفعل المستخدم «دياتيثيتاي» يأتي من قاموس المفردات المستخدمة في السوق، وهكذا فإن الشيء الذي يشير إليه المؤلف هو طريقة تمكن بها الملك من جني المال من خلال بيع الفائض الموجود في مخازن الحبوب في الوقت المناسب (الكتاب الثاني، فقرة 1-3) .

لا توجد أية لمحة عن منظور نظري، ومن الواضح أنه باستثناء طلبات الإمدادات الهائلة مثل تلك التي كان يطلبها أباطرة الفرس من أجل حملاتهم، وباستثناء بعض السنوات السيئة، فإن مخزونات القمح أو المنتجات الأخري كانت تخضع لإدارة دقيقة: ما الذي كان يتم فعله بالفائض؟ إن هذا بالضبط هو السؤال الذي أجاب عنه المؤلف: فقد كانت الإدارة تستغل الظروف المواتية في إخراج مخزونها من هذه السلع إلي السوق، ومن الواضح أن الكاتب قد وجد هذه المشكلة مثيرة للغاية كما يتضح لنا من أحد الاستراتيجيات المالية التي نسبها إلي أنتيمينيس (Antimenes) حاكم رودس في عهد الإسكندر (Alexander) : «لقد أصدر أنتيمينيس (Antimenes) أوامره إلي المرزبانات أن يحافظوا علي امتلاء المخازن الموجودة علي طول الطرق تبعاً لعادة تلك البلاد، ولكن عندما كان يمر بها أحد الجيوش أو فرقة من الرجال غير مصحوبين بالملك، كان معتاداً علي إرسال أحد رجاله وعلي القيام ببيع محتويات هذه المخازن» (الكتاب الثاني، فقرة 38) .

وعلي الرغم من أن سلوك أنتيمينيس (Antimenes) يمكن تفهمه إلي حد ما من منظور القواعد الإدارية، إلا أنه يذكرنا علي الأقل بالمبدأ الذي وضعه أرسطو المزيف (Pseudo-Aristotle) وهو تسويق القمح الموجود في الأجران الملكية .

ونجد أحد الأمثلة الملموسة علي هذا الإجراء في وثيقة أخري من

غرب آسيا الصغري تعود إلي الربع الأخير من القرن الرابع، ففي رده علي مبعوثين مدن لبدوس، أجاب أنتيوجونس (Antiogonus) الأعور بأنه لا يميل إلي إبقاء هذه المدن علي مخزونات القمح: حيث كتب يقول: إن هذا النظام سوف يكون مكلفاً للغاية بالنسبة لهم، وقام بتذكيرهم بسياسته مستخدماً الكلمات التالية: «لم نكن راغبين حتي الآن في منح أي مدينة الحق في استيراد القمح أو إنشاء مخزونات من القمح، ومرة ثانية في الحالة الحالية، فإن تفكيرنا الأولي هو ألا نصرح بالقيام بهذه العملية، حيث إن الأراضي الدافعة للجزية (خورا فورولوجوميني) تقع علي مقربة منا، وهكذا فإنه من السهل علينا - كما نعتقد- الحصول علي ما نريد منها».

وبمعني آخر، فقد استفاد الملك من وجود سوق قريب منه (المدن اليونانية) في بيع فائض القمح الذي توفر لديه من تحصيل الجزية (باستخدام الكلمة بمعناها العام)، وفي هذا التاريخ، كانت لديه الوسائل السياسية الكافيه لفرض ما يبدو أنه كان نوع من الاحتكار، حيث إن المدن لم يكن يحق لها شراء ما تريد من الخارج، فقد كان يتعين عليهم طلب القمح الذي يحتاجونه من مدراء المخازن الملكية للقمح، ويوجد لدينا دليل آخر يعود لبداية الفترة الهلينية، وهو عبارة عن مرسوم يكرم ثرسيبوس (Thersippos) : إن أحد الأعمال الصالحة التي قام بها والذي استحق الثناء والتقدير من المدينة بسببه يتمثل في قيامه بإمداد المدينة بالقمح خلال إحدي فترات المجاعة (سيتوديا): «فقد حصل علي الإذن من المرزبان باستيراد القمح (أيساجوجا [نسيتو])»، ومن الواضح أن هذا القمح جاء من مخزونات الإدارة المرزبانية، ويشير المثال السابق بشدة إلي أن ثرسيبوس (Thersippos) ، قد تفاوض علي هذا الشراء مع المرزبان، وتؤكد نقوش أخري تم نشرها مؤخراً تكرار حدوث مثل هذه الصفقات في الفترة السيلويسية .

ومن الواضح أن هذه الممارسات قد وُرثت من عهد الإمبراطورية الأخمينية، وهذا التأكيد علي الاتصال ليس مجرد افتراض، فأولاً وقبل كل شيء، إن وجود مخزونات في المستودعات المرزبانية يتجلي لنا بوضوح من التعليمات التي أصدرها دارا (Darius) فيما يتعلق بالقدس (عزرا 6-9 (Ezra) ، راجع جوزيفوس Josephus ، الكتاب الحادي عشر، فقرة 16)، وتوجد لدينا أدلة قاطعة علي وجود هذه الممارسة نفسها، والتي تم التغاضي عنها بالكامل، وتأتي هذه الأدلة من أحد المراسيم الأثينية -الذي لم يتم تحديد تاريخه بشكل قاطع -ولكن من المحتمل أنه يعود إلي منتصف القرن الرابع ق. م.- والذي يكرم المرزبان أورونتيس (Orontes) الذي كان يشغل منصباً في آسيا الصغري في ذلك الوقت (من المفترض في ميسيا)، وقد مُنح أورونتيس (Orontes) حق المواطنة الأثينية لأنه رد بالإيجاب علي طلب طلبته منه هذه المدينة، وقد كانت الجيوش الأثينية في هذا الوقت تخوض حرباً في المنطقة القريبة من المضايق، ولأن القادة كانوا يواجهون ضائقة مالية شديدة للغاية، فقد عجزوا عن دفع «المستوس» إلي جنودهم، والذي كان يدفع جزءاً منه في صوة سلع عينية، وبناءً عليه لجأت أثينا إلي المرزبان الفارسي، حيث إن كل يوناني كان يعلم أن لديه مخزونات هائلة من القمح (مثل أي مرزبان آخر)، وهكذا فإن المبعوثين الأثينيين قد ذهبوا إلي أورونتيس (Orontes) ليقدموا له هذا الطلب، ويظهر هذا المرسوم بوضوح أن أرونتيس (Orontes) لم يمنحهم القمح مجاناً، ولكنه باعهم إياه، حيث إن هذا المرسوم يذكر الأموال التي سيتم أخذ المبالغ الضرورية منها، كما أنه يحمل تعليمات إلي أمناء الخزانة تتعلق بسداد هذه المبالغ إلي المرزبان، وهكذا فإنه يبدو جليًّا أن أنتيوجونس (Antiogonus) ، والملوك السيلويسيين كانوا يسيرون فقط علي خطي مرزبانات آسيا الصغري: حيث إنهم كانوا يقومون بصورة منتظمة

بإخراج الفائض الموجود في مخازن القمح الملكية وعرضه للبيع في السوق الإيجـي، ومـن المؤكد أن هذا طبعاً كان يـتم بعـد موافقـة السـلطة المركزيـة وبشرط أن يكـون السـعر مرتفعاً .

السمك الذي يتم اصطياده من بحيرة موريس (Moeris) :

تقدم فقرات عديدة في تاريخ هيرودوت (Herodotus) المزيد من الإشارات عـلي أنه كان يتم سداد الرسوم العينية في صورة فضة، ويذكر -كما رأينا للتو- أن الأربـاح مـن الأسماك التي كان يتم اصطيادها من بحـيرة مـوريس (Moeris) كانـت تـدفع في صـورة طالن في اليوم إلي الخزانة الملكية (تو باسـيليكون، الكتـاب الثالـث، فقـرة 91)، وللتعبـير عن ذلك بصورة أخري، كان يتم بيع السمك الملكي كل يوم في السـوق القريـب في منـف أو في مكان آخر، ويمثل هذه بالطبع حالة استثنائية، حيث إنه كان مـن الصـعب حفـظ السمك إلا من خـلال التملـيح، وهـي الطريقـة التـي كـان المصريـون مغـرمين بهـا جـدًّا (الكتاب الثاني، فقرة 77)، ولكن علي المدي الطويل كانت هـذه مشـكلة عامـة بالنسـبة للإدارة: كيف يمكننا تحقيق أرباح من بيع عائدات الضرائب العينية؟

العمال الذين حفروا فناة أثوس:

من الممكن أن نتساءل عما إذا كانـت الحـرب تمثـل فرصـة ممتـازة لبيـع مثـل هذه المخزونات، ربمـا نجـد جـزءاً مـن الإجابـة عـلي هـذا التسـاؤل في الاسـتعدادات الضـخمة التـي قـام بهـا كـل مـن دارا (Darius) وكسركسـيس (Xerxes) ، فبمجـرد سماعه أنباء الهزيمة في ماراثون أمر دارا (Darius) بحشد الجنود، بالإضافة إلي جمـع «السفن الحربية، وسائل النقل، الخيول، المواد الغذائية» (الكتـاب السـابع، فقـرة 1)، وبعد ذلك بعدة سنوات كرر كسركسـيس (Xerxes) مـا فعلـه أبـوه: «حيـث تـم إنشاء مخازن للمؤن خشية أن يتعرض الجنود أو الحيوانات للجوع خلال الزحـف نحو بلاد اليونان، وقد تم اختيـار أنسـب المواقـع لهـذه المسـتودعات بعـد إجـراء

مسح دقيق، وقد تم إحضار الإمدادات من العديد من أجـزاء آسـيا المختلفـة في السـفن التجارية أو في سفن النقل» (الكتاب السابع، فقرة 25) .

ولسوء الحظ، فإن هيرودوت (Herodotus) لم يقدم المزيد من التفاصـيل، ولكـن يمكننا افتراض أن القمح كان يأتي أساساً من مخـازن القمـح الملكيـة، وأن الملـك قـد أذن للقهرمانات المسؤولين عن المخازن الملكية للقيام بالصرف (إكساجوجيما) .

ونحن نعلم أن الإمدادات الغذائية لفرقة الخالدين «منفصلة عن باقي الجيش، قـد تم نقلهم إليهم علي الجمال والبغال» (الكتاب السـابع، فقـرة 83)، ومـن الأشـياء المحزنـة فعلاً هو أننا لا نعرف شيئاً عن توزيع المؤن علي الجنود، هـل كـانوا يحصـلون عـلي المـؤن مجاناً؟ أم أنهم كان يتوجب عليهم أن يدفعوا مقابلها؟ إن هذا السـؤال قـد يبـدو مفاجئـاً، ولكنه مشروع، فنحن نعرف من العديد من الأمثلة أن الجيوش القديمة بما فيهـا الجيـوش الأخمينية لم تكن تحتوي علي فرع خاص بالإمداد والتمـوين بـالمعني الـذي نعرفـه اليـوم، ففي الغالب كان الجنود يعيشون علي ما في الأرض، إمـا بالسـلب أو عـن طريـق شراء مـا يحتاجون إليه من السكان المحليين، وهـذه هـي الطريقـة التـي كـان يقتـات بهـا الجنـود المرتزقة الذين استأجرهم قورش (Cyrus) الأصغر، حيث الإعداد الوحيد الذي قام بـه هـو تجهيـز عربـات الـدقيق والخمـر ليقتـات عليهـا اليونـانيون في حالـة عجـزهم عـن إيجـاد الإمدادات في الموقع (الزحف العسكري، الكتاب الأول، فقرة 10، 18)، وقد صاحب جـيش قورش (Cyrus) الفعلي التجار الذين كانوا يسيطرون عـلي «السـوق الليـدي»: حيـث إنـه في وقت الندرة كان المرتزقـة اليونـانيون يـأتون لإعـادة التـزود بـالمؤن مـن هـذا السـوق، بالرغم من الأسعار المرتفعـة التـي كانـت تطلـب مـنهم، والتـي كانـت تجعلهـم يرفضـون الشراء منه (الزحف العسكري، الكتاب الأول، فقرة 5، 6)، ونعرف أيضـاً التجـار الفينيقيـين

الذين كانوا يصاحبون جيش الإسـكندر (Alexander) (أريـان (Arrian) ، الكتـاب السـادس، فقرة 22-4) .

إن أحد أكثر الأمثلة إثارة وأهمية فيما يتعلق بالقوات المرزبانية هي جزيـرة قـبرص في عامي 386-385: لأن إيفـاجوراس (Evagoras) كانـت لديـه كـل تلـك المميـزات، فقـد دخل الحرب وهو مطمئن؛ ولأنه لم يكن لديه قوارب من النوع المستخدم في القرصنة، فقد قبع ساكناً وانتظر الإمدادت الواردة إلي العدو، وقام بإغراق بعض سـفنهم، وأبعـد الـبعض واستولي علي البعض الآخر، وكنتيجة لهذا لم يجرؤ التجار (إمبوروي) بعد ذلك عـلي إرسـال المؤن الغذائية إلي قبرص؛ ولأنه قد تجمعت قوات حربية كبيرة علي الجزيـرة، فسرعـان مـا بدأ جيش الفرس يعاني من نقص الطعام، ودفع ذلـك الجنـود إلي التمـرد، فهـاجم المرتزقـة الذين جلبهم الفرس ضباطهم وذبحوا بعضهم وملأوا المعسـكر بالاضـطراب والتمـرد، وقـد تمكن القادة الفرس وقائد الأسطول المعـروف بــ«جلـوس Glos » -بصـعوبة- مـن القضـاء علي هذا التمرد، وأبحروا مـع أسـطولهم بالكامـل، ونقلـوا كميـة كبـيرة مـن الحبـوب مـن كيليكيا، وأمدوهم بكمية وفـيرة مـن المـواد الغذائيـة (ديـودورس (Diodorus) ، الكتـاب الخامس عشر، فقرة 3* 1-3) .

وفي الحقيقة، فإنه في هذا الوقت -وكما كان الوضـع في عهـد دارا (Darius) - كان الساحل الكيليكي يمثل قاعدة للتـزود بـالمؤن للجيـوش الفارسـية، فقـد كـان القادة الفرس يعتمدون علي مخزونات القمح الملكي في كيليكيا لإحضار الإمـدادات إلي قبرص، وعندما أصبح البحر خالياً من الأخطار وقعت هذه المهمـة عـلي عـاتق التجار، والـذين كـانوا مكلفـين بضـمان تقـديم الإمـدادات إلي قـبرص، ويمكننـا أن نتصور أن التجار في هذه الفترة كـانوا يقومـون بشراء القمـح مـن مخـازن القمـح الملكية، ثم كانوا يعيدون بيعه إلي الجنود بمكسب كبير، وبمعني آخـر فتبعـاً لهـذه

النظرية كان يعود جزء من رواتب الجنود إلي الخزانة الملكية عبر مخازن القمح الملكي مع خصم نسبة الربح التي كان يحصل عليه التجار، وبالطبع فإن جنود دارا (Darius) وكسركسيس (Xerxes) لم يكونوا من المرتزقة، ولكن هذا لا يعني أنهم كانوا يحصلون علي مال أقل (في شكل فضة موزونة)، وقد رأينا بالفعل كيف إن حشد الجنود في بابل لم يكن يكلف الإدارة أي شيء، حيث إن هؤلاء الجنود كانوا يقدمون المعدات الخاصة بهم، وكذلك المعدات الخاصة بموظفيهم من مالهم الخاص، كما أنهم كانوا مطالبين بإحضار ما يلزمهم من الطعام لعدة أيام (فصل 10-4)، ولن يكون من المفاجيء أن حركة الجنود أدت إلي خلق سوق خاص بهم، مما سمح للإدارة بتصريف ما لديها من فائض عن طريق بيعه إلي جنودها.

وفي الحقيقة، فإن هذه هي طريقة عمل النظام الذي تم إنشاؤه لضمان توفير الإمدادات إلي العمال الذين يعملون في حفر قناة جبل آثوس، وقد كان هؤلاء العمال عبارة عن الفرق العسكرية التي أرسلتها الشعوب الخاضعة للفرس والمجموعات التي قدمتها المدن اليونانية الموجودة في المنطقة: «كان المرعي المجاور يمثل المكان الذي يجتمع فيه هؤلاء العمال (أجورا)، كما أنه كان يمثل السوق أيضاً (بريتيريون)، وكان يتم إحضار كميات كبيرة من الحبوب المطحونة من آسيا لتباع فيه» (الكتاب السابع، فقرة 23) .

وهكذا، فإنه من المؤكد أن العمال كانوا يشترون المؤن التي يحتاجونها، ومن المحتمل أنهم كانوا يحصلون علي مرتب (في أي صورة كان: فضة أو عملات)، والتي سرعان ما كانوا ينفقونها في المستودعات العسكرية الملكية!

العودة إلي برسيبولس:

من المحتمل أن نص هيرودوت (Herodotus) يصف إجراءً مشابهاً للعملية التي تصفها ألواح الخزانة، فبداية من عام 493 كان يتم دفع

رواتب الكورتاس في صوة فضة أو علي الأقل جزءاً من راتبهم، ومن الواضح أن الكورتاس كانوا يحصلون علي مواد غذائية (شراب شعير، حبوب، خمر)، ولكن لا يزال هناك بعض الغموض فيما يتعلق بطريقة العمل الفعليه لهذا النظام، ولكن الشيء المؤكد هو أن طريقة الدفع تعني أنه قد تم تحديد أسعار ثابتة للسلع بمعدل (3) سيكيولس لكل خروف و(1) سيكيولس ثمناً للماريس الواحد (7,9 لترات) من الخمر، وغالباً ما يتم المقارنة بين طريقة الدفع هذه وبين أحد مبادئ الاقتصاد الملكي، والتي عبر عنه أرسطو المزيف (Pseudo-Aristotle) بهذه الكلمات: «فيما يتعلق بالإنفاق، ما النفقات التي يجب أن يقتصد فيها؟ ومتي؟ وما إذا كان يتوجب علي الفرد القيام بالدفع في صورة عملات معدنية (نوميسما) أو في صورة سلع لها قيمة مساوية؟» (أنتي نوميسماتوس أونيا، فقرة 2* 1-3)، مع فارق بسيط ولكنه أساسي، وهو أن الفرس لم يكونوا يستخدمون عملات الفضة، ولكنهم كانوا يستخدمون بدلاً من ذلك الفضة الموزونة، وبالنظر إلي هذا المبدأ مع قاعدة أخري «لا يجب أن يتخطي الإنفاق الدخل» 70601)، يصبح من الواضح أن الهدف الرئيس للاقتصاد الملكي كان يتمثل في زيادة عائدات الإدارة المركزية .

وبالنظر إلي كل هذه العوامل، يمكننا أن نفترض أن الفضة التي كان يتم تخصيصها إلي عمال الإدارة سوف تساعدهم علي شراء المواد الغذائية، والتي سوف تكمل المؤن العينية التي يحصلون عليها في العادة، ولكن ممن سيشترون هذه المواد الغذائية؟ من المحتمل أنه كان يوجد سوق خاص في بلاد فارس، حيث تشير العديد من الألواح البابلية إلي وجود تجار في بلاد فارس، كما أنه من المحتمل أيضاً أن البلاط لم يكن يتم إطعامه بالكامل من خلال الرسوم التي كانت تحصل في صورة سلع، حيث يشير دينون (Dinon) إلي المشترين الملكيين (هوي

أجوراستاي) الذين أتوا إلي السوق لشراء (أونيستاي) التين، وعلي الرغم من ذلك، فإن هـذا السوق -إذا كان موجوداً في برسيبولس- لم يكـن «حـراً» بـالمعني المعتـاد، حيـث إن الإدارة كانت تقوم بتحديد الأسعار، وتشهد وثائق أخري علي صفقات أجراهـا مـديرون ملكيـون، وهكذا، ففي عام 503 قام مدير مستودع أوداراكا بتخصيص قدر مـن الحبـوب وحصـل في مقابلة علي «بغل جيد وبقرة جيـدة» (لـوح التحصـينات 1978)، ومـن المحتمـل أن هـذه المبادلة جرت مع مستودع آخر (أو من المحتمل حتي مع حصن أوداراكا)، وليس مع تجـار خصوصيين، وتشتمل كل حالة من الحالات علي مبادلة للسلع (فلـم تـتم المبادلـة بالفضـة مطلقاً)، ولكن ضآلة بعـض مخصصـات الفضـة (1/18 مـن السـيكيولس) تجعـل مـن غـير المحتمل أن الإدارة كانت فعلاً تزن وتحسب مثل هـذه المبـالغ الضـئيلة، ولكـن يبـدو مـن المحتمل أكثر أن هذه المبالغ كانت عبـارة عـن صـفقات «عـلي الـورق»، أي أن الكورتـاس كانوا يحصلون علي قدر من المال، والذي كان بإمكانهم إنفاقه في المستودعات الملكية، ولـو كان الوضع كذلك فعلاً فقد كان هذا الموقف كله مكاسب بالنسبة للإدارة الفارسية، حيـث إنها كان بإمكانها تحديـد الأسـعار، وأن تطلـب مـن الكورتـاس التسـوق مـن هنـاك، وقـد أصبحت الظروف المعيشية أصـعب وأصـعب بالنسـبة للكورتـاس بسـبب ارتفـاع مسـتوي المعيشة، وهـو الوضـع الـذي كـان يمكـن ملاحظتـه فعـلاً في برسـيبولس في الفـترة مـا بـين ديسمبر 467 وأغسطس 466، وتظهر الألواح تنوعـاً فـوق المعتـاد في سـعر الحبـوب، فقـد ارتفع السعر إلي خمسة أضعاف السعر العادي، واسـتمر في الزيـادة إلي مـا هـو أكـثر مـن ذلك، ولم يرجع السـعر إلي مسـتواه الطبيعـي إلا في أغسـطس 466، ولا نعـرف شـيئاً عـن ملابسات ذلك، ولكننا نستطيع القـول بـأن مسـتوي حيـاة العـمال الكورتـاس قـد تضاءل كثيراً بسبب احتكار الإدارة للسلع، وبشكل عام فإن هـذا المثـال يبـدو أنـه

يؤكد أنه لم يكن هناك ما يعرف بالسوق الحر والذي -من المحتمل- أنه كان بإمكانه خفض الأسعار عن طريق استيراد كميات كبيرة من المناطق المجاورة (مثل بابل) .

وبالمقارنة مع نص هيرودوت (Herodotus) الذي بدأنا به، فإن وثائق برسيبولس تلقي بضوء شديد وتجريبي علي الطرق التي كان يتم اتباعها في إدارة الفائض في السلع المخزنة في مخازن القمح الملكية، هل كان يتم استخدام هذه الطرق بانتظام في جميع المرزبانيات؟ وفي الوقت الحالي فإن أحد الوثائق الآرامية التي وجدت في مصر تثير مشكلة حقيقية، هل تذكرون البحارين المصريين اللذين استلما الشعير والعدس من إسبيميت (Espemet) -خادم (؟) القائد حناني Hanani - وذلك ليقوما بنقله إلي مستودع فيلة، وفي الحقيقة، فإن هذه الوثيقة تخبرنا وبشكل صريح أن الموظفين في مستودع فيلة كانوا من المقرر أن يقوموا «بسداد السعر» إلي إسبيميت (Espemet) والذي كان يعادل (100) كار، وتظهر هذه الوثيقة أيضاً أن أحد المستودعات (مستودع Syene) كان بإمكانه «بيع» السلع إلي مستودع آخر (فيلة) تبعاً للإجراء المعروف من وثائق برسيبولس، هل كان يتم شراء هذه السلع في Syene من السوق المصري؟ من المحتمل أن هذا كان هو الحال؛ وذلك لأنه من المحتمل أن المؤن السلعية -التي كان يتم تقديمها إلي الحامية من الجزية المدفوعة في صورة سلع ومنتجات- لم تكن تكفي لضمان إعادة تزويد الحامية بالإمدادات بصورة منتظمة .

9- الأراضي والفلاحين:

الكورتاس، الجاردا، الجاردو:

يمكن أن يؤدي إجراء مقارنة مع المصادر الأخري إلي تعميق فهمنا لسلسلة أخري من ألواح برسيبولس، حيث تظهر كلمة كورتاس في صورة

جـاردا/ جـاردو في الوثـائق الآراميـة المكتشـفة في مصر، ويمكـن اسـتخدام كـلا المصـدرين لتوضيح معني كلمة كورتاس في ألواح برسيبولس، ولقد تم استخدام كلمة جـاردا في ثـلاث رسائل آرامية يعود تاريخها للفـترة بـين عامــي 410-420، ولقــد قـام أرسـاما (Arsama) بإرسال إحداها إلي نهتيهور (Nehtihor) ، والذي كان المـدير المسـؤول عـن عـزب وضـياع المرزبان الموجودة في مصر، ويشكو أرساما (Arsama) في هذه الرسالة من سلوك نهتيهـور (Nehtihor) ، ويقارنه بالسلوك الحسن للمدير السابق «بسميسيك» والـذي بـالرغم مـن الصعاب «نجح في الإعتناء بممتلكاتنا وحماية الجاردا الخاصـة بنـا»، حتـي إنـه بحـث عـن الجاردا في أماكن أخري لاستبدال هؤلاء الذين ماتوا أو الذين هربوا، وبالمثل مـع المـديرين الآخرين الموجودين في مصر السـفلي، حيـث إن أوامـر أرسـاما (Arsama) كانـت كالتـالي: «اجتهدوا في البحث في كل مكان آخر عـن الجـاردا (كـل أنـواع الفنـانين)، وأحضروهـم إلي بلاطي، سموهم بعلامتي، وقوموا بتخصيصهم وتقسيمهم للعمل في عزبتي (بيـت)، مـثلما كان يفعل المراقبون السابقون» [الرأس الأبيض]، أمـا الرسـالة الثانيـة فقـد أرسـلتها إحـدي نبيلات الفرس وهي «فارفيس (Varfis) »، والتي كانت لديها هـي الأخـري أراضٍ في مصر، وقد كانت هذه الرسالة موجهـة هـي الأخـري إلي نهتيهـور (Nehtihor) الـذي في تحـدي لأوامـر المرزبـان أرسـاما (Arsama) رفـض إعطـاء مجموعـة مـن العـمال الكيليكيـين إلي مساباتا (Masapata) المدير المسؤول عن الإشراف عـلي ممتلكـات «فـارفيس (Varfis) »، وقــد صــاغ مســاباتا (Masapata) شــكواه في هــذه الصــورة: «لقــد اعتــدي نهتيهــور (Nehtihor) علي ممتلكـات سـيدتي، واسـتولي عـلي سـلع منهـا»، وقـد غضـبت فـارفيس (Varfis) بشدة، ونفست عن غضـبها بهـذه الكلـمات إلي نهتيهـور (Nehtihor) : «والآن، وحيث إنك ليست لك أية علاقة أو أي حق في الجاردا التابعين لي، أعـد إليّ الجـاردا الـذين أخذتهم بالقوة من ممتلكاتي» (الرأس الأبيض) .

أما الرسالة الثالثة فقد أرسلها أرساما (Arsama) مرزبان مصر إلي المدير المسؤول عن أراضيه نهتيهور (Nehtihor) ، وإلي المحاسبين التابعين له الموجودين في مصر، وجاء فيها: «من أرساما (Arsama) إلي نهتيهور (Nehtihor) ، كنزاسيرما ورفاقه (المحاسبين)، أما بعد، يوجد لدي خادم يعمل كنحات (باتيكارا كارا) اسمه «هينزاناي (Hinzanay) »، والذي أحضره باجاسارو (Bagasaru) إلي صوصا، قدم له هو وطاقمه (بيت) المؤن نفسها التي تقدم إلي أفراد الجاردا الآخرين (الملمعين؟) الذين يعملون عندي، حيث إنه سيقوم بنحت نقش بارز يصور جنديًا علي صهوة جواده، ونقش بارز آخر يصور حصاناً يجر عربة، تماماً كما نحت لي في السابق العديد من النقوش البارزة الأخري، مر بإرسالهم إلي علي الفور! إن أرتوهي Artohi يعلم عن هذا الأمر، الناسخ: راستا Rasta (الرأس الأبيض/ كتابة الأسماء بحروف هذه اللغة: جريلو)».

وقد تمت صياغة رسالة أرساما (Arsama) بالأسلوب نفسه الذي كانت تصوغ به الأميرات إرتاسدونا (Irtasduna) وإردابama (Irdabama) خطاباتهن الموجهة إلي المحاسبين المسؤولين عن بيوتهن (راجع لوح التحصينات أ 27)، وتقرر هذه الرسالة أن النحات هينزاناي (Hinzanay) - والذي كان خادماً (ليم) لدي أرساما (Arsama) - بالإضافة إلي نساء بيته سيحصلون علي مؤن في شكل سلع (بتب) من القهرمان التابع لأرساما (Arsama) : «تماماً مثلما كان يحصل الجاردا الآخرون التابعون للمرزبان أرساما (Arsama) »، والنحات المذكور - والذي من المؤكد أنه كان من بلاد ما بين النهرين- كانت له من الشهرة ما يكفي لجعل أرساما (Arsama) يستدعيه إلي صوصا قبل أن يتم إرساله إلي مصر، ونحن نعرف أيضاً أنه كان فناناً كثير التنقل، وأنه كان يأخذ معه أسرته أينما ذهب، كما أنه كان لديه عمال يعاونوه متخصصون في نحت الأحجار، مثل «المشرف الذي كان موجوداً في برسيبولس» (راجع لوح التحصينات 75)، ولكن لم يتم

تحديد منزلته بوضوح، ومن المؤكد أنه سيكون من الخطير اعتبار هذا النحات علي أنه نموذج للفنان الحر الذي يكسب أجره من خلال العمل لحساب الحكام، حيث إن أرساما (Arsama) يسميه الخادم العبد (ليم)، وهذه الكلمة غامضة بعض الشيء، ولكن يمكننا مقارنة حالة هينزاناي (Hinzanay) مع العديد من الحرفيين المهرة الآخرين الذين تحدثت عنهم الألواح، والتي ذكر فيها أن أفراد معينين «قد تم إلحاقهم بالبيت» (لوح التحصينات 1946)، وبدلاً من أن يكون حرفيًا حرًّا يتنقل كثيراً لكسب عيشه، فإنه يبدو أن هينزاناي (Hinzanay) قد أصبح أحد الحرفيين التابعين لأرساما (Arsama) ، والذين يحركهم كيفما يشاء، وكما يتفق مع مصالحه .

إن إحدي العبارات التي استخدمها أرساما (Arsama) «الجاردا (جميع أنواع الحرفيين)» هي إحدي الترجمات الآرامية المفترضة للعبارة الفارسية التي نعرفها من ألواح الخزانة (لوح الخزانة 79)، والتي ذكرت فيها بترجمتها الإيلامية (كورتاس ماريب مسبازانا)، ولكن المقارنة اللغوية بين هذه المفردات لا تعطينا أية إشارة حول وضع الجاردا ومنزلتهم، حيث إن كلمة «جاردا» قد تم استخدامها هنا بمعناها العام وهو «الأفراد العاملون»، ويقع الكليكيون الذين تحدثت عنهم الرسالة الثانية والعديد من الوثائق الأخري ضمن هذه الطائفة، وقد تم وصفهم في وثيقتين أخريين بكلمات غامضة (بد، ليم)، وهذه الكلمات تجعلنا ننظر إليهم علي أنهم كانوا عبيداً بالدرجة نفسها التي يعملون بها كخدم، ونحن لا نعرف إذا ما كان القهرمانات يقومون بتجنيد والحصول علي «عبيد» جدد عن طريق شرائهم من مصر، أو من أسواق العبيد الأخري بعد أن يتم أسرهم في الحرب، ومن المحتمل أن الغالبية العظمي منهم كانوا يعملون في الحقول، ولكن العزب والضياع الخاصة بالنبلاء كانت توظف هي الأخري موظفين لهم مهارات متنوعة للغاية، حيث إن عدداً

معيناً منهم مثل هؤلاء الذين تم تخصيصـهم لزوجـة مسـاباتا (Masapata) مـن المؤكـد أنهم كانوا عبيداً منزليين، وبشكل عام، فإن الإنطباع السائد هو أن كلمـة «جـاردا» هـي تسمية أو لقب عام أكثر من كونها مصطلحاً متخصصاً يمكن تحديد مكانته الشرعية علي الفور، ويمكننا أن نذكر بصورة عابرة أن الجاردا كانت لديهم ممتلكـات شخصـية، حيـث إنه قد تم اتهام نهتيهور (Nehtihor) بأخذ البعض منها لنفسه، ولكن يمكننا أن نستنتج أنهم لم يكونوا أحراراً، بل كانوا أتباعاً و/أو عبيـداً يزرعـون الأرض والضـياع مقابـل المـؤن التي يحصلون عليها من القهرمان .

وهناك حقيقة أخري تحتاج إلي توضيح: الحديث عن علامـة مميـزة كـان يتوجـب علي هؤلاء الأشخاص إرتداؤها، ومن المفارقات الغريبة أننـا تمكنـا بشـكل غـير مبـاشر مـن خلال إحـدي الفقـرات في مؤلـف كوينتـوس كورتيـوس (Quintus Curtius) مـن إنشـاء علاقة وظيفيه بـين الوثـائق الآراميـة وألـواح برسـيبولس، ففـي وصـفه لوصـول الإسـكندر (Alexander) في عـام 331، قـام كوينتــوس كورتيــوس (Quintus Curtius) (مثــل ديـودورس (Diodorus)) بتخصـيص إحـدي فقراتـه (والتـي أرادهـا أن تكـون مـؤثرة) للحديث عن اليونانيين الـذين تـم تـرحيلهم إلي برسـيبولس، والـذين -كـما يكتـب- كـانوا يعملـون في المحـلات التـي يـديرها العبيـد (إرجاسـتوليس)، وقـد أضـاف أحـد التفاصـيل المهمة: وهو أنه «كان يتم وسمهم بالحروف البربرية» (الكتـاب الخـامس، فقـرات 5* 6)، وكانت هذه الممارسة مشهورة أيضاً في بابل، حيث كان يتم وسم العبيد (سركـو) وقطعـان الحيوانـات التابعـة لمعبـد الإلهـة إينـا بالنجمـة المميـزة للإلهـة، وكـان يـتم وسـم العبيـد المملوكين لأفراد باسم سيدهم، ويؤكد اللوح الأكادي الوحيد من ألواح التحصينات وجـود مثل هذه العادة (لوح التحصينات 11786)، حتي إن إحدي الوثـائق البابليـة التـي ترجـع إلي عهد قمبيز (Cambyses) تذكر أن يد أحد عبيد إيتي-مـاردوك-بـالاتو «كانـت تحمـل

نقشاً باللغة الأكادية وآخر باللغة الآرامية» (قمبيز (Cambyses)، 143)، وتقدم لنا وثيقتين أخريين من مصر روايات مماثلة مثيرة، ويتحدث أحد أمثلة تقسيم الممتلكات بين مجموعة من الورثة عن عبد ذكر (بد)، والذي كانت يده تحمل كلمة آرامية تمثل اسم المالك المتوفي، وتؤكد رسالة أخري أن العبيد كانوا يوسمون علي أذرعهم بأسماء الملاك المتعاقبين لهم، وهكذا فإنه من المؤكد أن المعلومات التي قدمها لنا كوينتوس كورتيوس (Quintus Curtius) هي معلومات صحيحة، ولكن هل نستنتج من ذلك أن كل أفراد الكورتاس كان يتم وسمهم؟ من الصعب تأكيد هذا، وعلي الرغم من ذلك يبدو أن إحدي الفقرات في تاريخ هيرودوت (Herodotus) تشير إلي أن هذا كان في الحقيقة هو حال أسري الحرب (الكتاب الثالث، فقرة 233: الأسري اليونانيين الذين كان يتم وسمهم بالعلامات الملكية (ستجماتا باسيليا))، ومن ناحية أخري، فإن الشيء المؤكد فعلاً هو أن العبيد أنفسهم كان يتم بيعهم وشراؤهم ووشمهم، وقد عرفنا ذلك من أحد اللوحين المكتوبين باللغة الأكادية اللذين وجدا في برسيبولس، كما تحدثت عن ذلك أيضاً الألواح التي تعود لعهد كل من قمبيز (Cambyses) وبارديا (Bardiya) ، والتي تمت كتابتها في ماتيزيس (فصل 2-7)، ولكن علي أية حال، فإن هذا كان يتعلق بالعبيد المملوكين لأفراد خاصين، والذين من الواضح أنهم كان يجب تمييزهم عن الكورتاس المملوكين للإدارة .

وقد وجدت كلمة كورتاس أيضاً في العديد من الألواح البابلية في شكل «جاردو»، ولكن كما هو الحال دائماً، فإن هذه الكلمة تستخدم بشكل ضمني وعشوائي، وتتسلل خلسة إلي سياقات نعجز حتي عن فهم المنطق الذي اعتمد عليه استخدامها فيها، حيث إنه يفترض دائماً أننا نعرف بالضبط ما الذي نأمل في معرفته، وتذكر إحدي الوثائق التي تعود إلي عهد دارا (Darius) الأول (الفترة بين عامي 507-500) أن الجاردو كان

من الممكن أن يتم درجهم ضمن القوات الاحتياطية للجيش، أما الشواهد الأخـري فهـي شواهد متأخرة وتعود إلي سجلات بيت موراسـو في عهـد أرتاكسركسـيس (Artaxerxes) الأول ودارا (Darius) الثاني، والشيء الذي تخبرنا به هذه السجلات هو أن الجاردو كـان بإمكانهم زراعـة قطـع الأرض التـي اسـتأجروها مـن بيـت موراسـو، ونجـد أيضاً بعـض الكلمات المتخصصة التي تمت استعارتها من مجموعـة المفـردات الفارسـية التـي كانـت معروفة في برسيبولس، ويوجـد لـدينا أيضـاً مصـطلحات مثـل الجـاردو الملكيـين ورئـيس الجـاردو (جاردوبـاتو = كوردابـاتيس)، وأحـد المسـؤولين الآخـرين كـان يحمـل لقـب «بتيباباجا» الجاردو والذي يعنـي «مـوزع المـؤن السـلعية» (بتـب)، وهـو اللقـب الـذي نجده في مؤلف دينون (Dinon) مكتوباً في صورة بوتيبـازيس (أثينيـوس (Athenaeus) ، الكتاب الحادي عشر، فقرة 503 ف)، ويظهر هؤلاء المسـؤولون في اثنتـين مـن الوثـائق وهم يحصلون الضرائب المقررة علي أراضي ولي العهـد، والتـي كانـت تحـت إدارة بيـت موراسو، والتي قام بتأجيرها إلي الجـاردو، ويخضـع الجـاردو أنفسـهم بشـكل هرمـي إلي ثلاثة أشـخاص أعـلي مـنهم في المنزلـة، يلقـب أحـدهم بــ«سـاكنو الجـاردو» عـلي غـرار السيجان الذي يشرف علي الكورتاس الموجـودين في ورش برسـيبولس، وقـد كـان سـاكنو الجاردو هذا هو «المشرف» علي الجاردو، وكـان الشـخص الثـاني مـنهم يلقـب بالمرزبـان (فقد تم استخدام هذه الكلمة بصورة مرنة للغايـة في الوثـائق الفارسـية)، وكـلا هـذين الشخصين كان من المسؤولين الملكيين، وهكذا فإننا نميل إلي اسـتنتاج أن النـبلاء البـابليين والجاردو الذين كانوا يعملون في أراضي النبلاء والملك في بابل كانوا منظمين اعتماداً عـلي نموذج إداري وإجتماعي يشبه كثيراً النموذج الذي كان موجوداً في برسيبولس: فقد كانوا يحصلون علي أقواتهم من الإدارة الملكية .

وتوضح الوثائق الملكية في الوقت نفسه أن بعض أفراد آخرين من

الجاردو كانوا يحصلون بدلاً من المؤن علي أراضٍ من خلال نظـام الهـاترو، وقـد كـان هـذا علي سبيل المثال هو حال أحد أفراد الجاردو الذي كان يسـمي «سلامانو (Salammanu) »، وقد ظهر هذا الشخص نفسه في مكان آخر وهو يحمل اسم «جاردو السنة الرابعة مـن فترة حكم دارا (Darius) الثاني»، ويبدو هـذا التعبـير غامضـاً إلي حـد مـا، وقـد قـام أحـد التفسيرات المقترحة له بالمقارنة بين هـذه العبـارة وبـين اسـتخدام كلمـة «ربـاب»، والتـي يوصف بها بعض الكورتاس الموجودين في برسيبولس، وبفضل نقوش بيهسـتون تمكنـا مـن معرفة المعني الأساسي لهذه الكلمة بوضـوح إلي حـد مـا: حيـث تعنـي «مـرتبط/ ملحـق/ تابع»، وقد تمت ترجمتها إلي كلمة «مجند»، وهي الكلمة التي تستخدم لوصف جماعـات الكورتـاس الـذين تـم اسـتدعاؤهم بشـكل مؤقـت للعمـل بالسـخرة في المشروعـات التـي تنفذها الإدارة في إقليم فارس، ومن المؤكد أن نظام السخرة كان معـروفاً في إقليــم بابــل، ومـن المعـروف أيضاً أنـه في عهد دارا (Darius) الأول كـان مـن الممكـن أن تصـدر أوامـر للبابليين للقيام بتأدية الخدمة العسكرية في إيلام لمدة محددة، ولكن لا يزال أمامنا الكثـير لمعرفته حتي نصبح متأكدين من تفسير كلمة «رباب» في ضـوء المعلومـات الضـئيلة التـي تقدمها الألواح البابلية، خاصة وأنه في هـذه الحالـة نجـد أن فكـرة الـدعم المتبـادل الـذي يبدو أن الوثائق البابلية والفارسية تقدمه لنا تعتمد علي منطق دائري.

الكورتاس واللاووي: تيسافرنيس (Tissaphernes) والفلاحون الموجودون في قـري باريساتيس (Parysatis) :

توجد فقرة عند زينوفون (Xenophon) ، والتي علي الرغم من كونها خادعة إلا أنها تسـتحق أن تـتم إضـافتها هـي الأخـري إلي المناقشـة، فبعـد انسحاب المرتزقة اليونانيين مـن بابـل وصـلوا إلي مكـان بـالقرب مـن «قـري باريساتيس (Parysatis) » (والذي من المحتمل أنه لم يكن بعيـداً عـن

أوبيس)، وقد كتب زينوفون (Xenophon) يقول: «قام تيسافرنيس (Tissaphernes) -ليهين قورش (Cyrus) - بإعطاء هذه القري إلي اليونانيين لينهبوها ويستولوا علي ما فيها بشرط ألا يستعبدوا أهلها (بلين أندرابودون)، وقد كانت توجد بها كميات وفيرة من الحبوب والماشية والممتلكات الأخري» (الزحف العسكري، الكتاب الثاني، فقرة 4-27).

يتماشي تفسير زينوفون (Xenophon) هذا من الناحية السياسية بشكل جيد مع سياق الأحداث فيما بعد معركة كوناكسا، حيث أصبح تيسافرنيس (Tissaphernes) عدواً لقورش (Cyrus) ، ومكروهاً من قبل باريساتيس (Parysatis) ، ولكن الحظر الذي فرضه علي استعباد السكان يبدو مثيراً إلي حد ما، وعلي الأقل يعطينا شيئاً لنتأمله ونفكر فيه.

ومن بين الوثائق التي تتحدث عن اللاووي «عامة الناس»، يمكننا أن نستشهد بما يعرف بنقش منيسيماخوس (Mnesimachus) (ساردیس، الكتاب السابع، فقرة 1-1)، والذي يشير إلي هدية (دوريا) بالقرب من ساردیس، وقد تم ذكر العديد من القري (كوماي) واللاووي في قوائم الجرد، وقد كانت كل قرية منهم تدفع ضريبة «فوروس» إلي المقاطعة العسكرية (Chiliarchy) التي تتبعها، وتشهد كل الوثائق المتاحة علي أنه حتي في حالة إعطاء القري كهدية لأحد الأشخاص، فإن الفلاحين الذين يعيشون بها كانوا يظلون مرتبطين بقريتهم، والتي كان يحكمها «الكومارك» كما في حالة القرية الأرمينية التي ذكرها زينوفون (Xenophon) ، والذي كان مطالباً بتسليم الجزية «داسموس» إلي الإدارة الملكية (الزحف العسكري، الكتاب الرابع، فقرة 5* 9-10* 24)، وفي أمثلة أخري تؤكد النصوص الأدبية والمقتبسة التي تعود إلي آسيا الصغري وجود مثل هذا النظام، وقد تمت الإشارة إليه بشكل ضمني في الخطاب الذي أرسله دارا (Darius) إلي جاداتاس (Gadatas): حيث كانت تقوم الإدارة بحماية الفلاحين (اللاووي، اللاووي باسيليكوي [عبيد القصر]، هيرودولوي

[عبيد المعبد])، والذين يكونون مرتبطين بقريتهم، ولم يكن يسمح بأي حال من الأحوال بأن يتم أسرهم أو بيعهم في أسواق العبيد (راجع فصل 12-4)، وبناءً عليه، فإن هذا يدفعنا إلي التساؤل عما إذا كان هذا هو السبب وراء التصرف الذي شهدناه من تيسافرنيس (Tissaphernes) في بابل، ويمكننا أن نقارن سلوك تيسافرنيس (Tissaphernes) هذا بسلوك مثراداتيس، والذي قام بنهب القري ليعلن عن تمرده (أبوستاسيس) بوضوح علي الملك الأكبر (كوماي، بوليانوس، الكتاب السابع، فقرة 29-1، نيبوس (Nepos) ، داتاميس (Datames) ، فقرة 10-2)، ويتوارد إلي الذهن مثال آخر، فنحن نعرف أن الصكوك المسجلة لعمليات بيع العبيد في بابل كانت تشتمل بشكل منتظم علي فقرة مقيدة وهي: عملية البيع قد تم تسجيلها بشكل جيد في السجلات الملكية، ويشترط لصحتها ألا يكون العبيد المذكورين عبيداً ملكيين، مواطنين أحرار أو عبيد معابد، وإذا كانت المقارنة مع المثال البابلي صحيحة، فيمكننا القول بأن القرويين الذين كانوا مخصصين لأرض مقدمة كهدية (دوريا) قد استفادوا هم الآخرون من فقرة الأمان هذه، وهكذا فإن مكانتهم الاجتماعية/ القانونية كانت معادلة لمكانة اللاووي والهييرودولوي الذين عرفوا فيما بعد في الأناضول في الفترة الهلينية .

ولكن لكي ننتهي من هذه النقطة يجب أن نؤكد أيضاً أن الاستنتاج الذي تم تقديمه للتو لا يمكن أن يتم تعميمه، حيث إنه لا يمكن تطبيقه سوي علي الفلاحين، والذين بسبب إعطاء أحد الأشخاص امتياز استغلال الأرض استمروا في العيش في قراهم التقليدية، وزراعة الأراضي التي ورثوها عن أجدادهم، وقد أشار إليهم زينوفون (Xenophon) في موسوعة قورش (Cyrus) في الخطاب الذي كتبه «لقورش (Cyrus) » والذي كان قد وضع يديه للتو علي مناطق كانت خاضعة «للآشوريين»: «هناك شيئان من المفيد لنا أن نسعي لتحقيقهما: أن نجعل من أنفسنا أسياداً علي هؤلاء

الذين يملكون هـذه الأراضي، وأن نحـرص عـلي بقـائهم في أمـاكنهم؛ لأن الـبلاد المأهولـة بالسكان (أويكوميني خورا) هي ممتلكات قيمة للغاية، علي العكس مـن الأراضي قليلـة السكان، والتي تصبح بالمثل قليلة الإنتاج، وأنا أعرف أن هؤلاء الذين قاوموكم قد قمـتم بذبحهم، ولا يوجد مانع عندي في ذلك، فأنتم فعلتم الصواب بذلك، ولكن هـؤلاء الـذين استسلموا لكم وأخذتموهم كأسري حرب (أيخامالوتوي) إذا قمنا بتحريرهم الآن فأعتقد أن هذا سوف يعود علينا بالنفع؛ لأننا في المقام الأول لا يجب أن نشـغل أنفسـنا بعـبء مراقبتهم أو حمايتهم أو توفير الطعام اللازم لهم؛ وثانياً لأننـا إذا قمنـا بـإطلاق سراحهـم سوف نحصل علي عدد من أسري الحرب أكبر مما لو لم نفعـل ذلـك، حيـث إننـا إذا كنـا أسياد البلاد فسوف يكون كل من فيهـا أسري لنـا، وعنـدما يـري الآخـرون هـؤلاء أحيـاءً ويتحركون في حرية فسوف يبقـون في أمـاكنهم، ويفضـلون الخضـوع بـدلاً مـن القتـال» (الكتاب الرابع، فقرة 4* 5-8) .

وبمعني آخر، فإن اقتصاد الجزيـة اقـتضي الإبقـاء عـلي تبعيـة الـلاوي للمكـان الـذي يعيشون فيه وعلي حريتهم، حيث إن الكلمات التـي خاطـب بهـا قـورش (Cyrus) الأسري الآشوريين كانت كـما يـلي: «سـوف تسـكنون في البيـوت نفسـها التـي كنـتم تسـكنون بهـا، وتعملون في الحقول نفسها التي كنتم تعملون بها، وسوف تنامون مـع الزوجـات أنفسـهن، وتعيشـون مـع الأولاد أنفسـهم الـذين هـم لكـم الآن، ولكـن لا يجـب علـيكم أن تقومـوا بمحاربتنا أو محاربة أي شخص آخر» (الكتاب الرابع، فقرة 4* 10-11) .

وتقودنا مقارنة هذه المادة الأدبيـة مـع روايـات الكتـاب الكلاسـيكيين الآخرين إلي الاعتقاد بأن زينوفـون (Xenophon) كـان ينقـل فقـط الرؤيـة اليونانيــة عــن نظــام التبعيــة القرويــة: حيــث إن الإجــراء الــذي اتخــذه تيسافرنيس (Tissaphernes) يمثل تطبيق دليل ملموس علي هذه السياسة

التي نُسبت إلي «قورش (Cyrus) »، حيث إن الغنائم كانت تقتصر علي المحصول والماشية، وتم استثناء القرويين منها بشكل واضح، وفي الحالة المقابلة لا بد أن المرزبان قد أبطل الفوائد الاقتصادية التي منحها الملك إلي باريساتيس (Parysatis) ، حيث إن هدية الأرض بدون الفلاحين الذين يزرعونها كانت لا فائدة من ورائها، وهذه الحقيقة توضح لنا المسافة بين منزلة الكورتاس ومنزلة اللاووي.

الإرماتام، الأولهي والأراضي المقدمة كهدية (دورياي):

وبالمثل، فإننا نميل إلي مقارنة الألواح مع الوثائق الأخري في محاولة للتخلص من بعض الشكوك التي تحيط بالمكانة الدقيقة للضياع (الإرماتام، الأولهي) التي كانت تمنح إلي الأمراء والأميرات والأفراد رفيعي المنزلة الذين ينتمون إلي الدائرة الداخلية لدارا (Darius) (أسرته المباشرة) .

وكما رأينا للتو من إحدي الفقرات في زينوفون (Xenophon) ، فإن الكتاب الكلاسيكيين يشهدون غالباً علي وجود الأراضي و/أو العائدات التي كانت تمنح للأميرات الفارسيات، وينطبق هذا علي سبيل المثال علي عائدات الأسماك من بحيرة موريس (Moeris) في مصر، والتي ذكرها هيرودوت (Herodotus) في فقرته التي تحدث فيها عن الجزية (الكتاب الثالث، فقرة 91)، وقد استخدم زينوفون (Xenophon) تعبيرات مشابهة لوصف القري التي تقع بالقرب من مدينة حلب، والتي كانت تملكها باريساتيس (Parysatis) زوجة دارا (Darius) الثاني: «فقد تم إعطاؤها لتستفيد من دخلها في عمل حزام المال الخاص بها» (الزحف العسكري، الكتاب الأول، فقرة 4-9)، وبالمثل نجد أفلاطون (Plato) يقول: «لقد تحدثت ذات مرة مع رجل ثقة، اختلط بالبلاط الفارسي، وقد أخبرني أنه مر بقطعة من الأرض كبيرة جدًّا، وتتسم بالغني الشديد، وقد استلزم الأمر لعبورها يوماً كاملاً، وكان السكان المحليون

يسمون هـذه الأرض «حـزام الملكـة»، وتوجـد قطعـة أخـري تسـمي «حجـاب الملكـة»، بالإضافة إلي العديد من القطع الأخري، والتي كانت تتميز كلها بأنها أراضٍ جيدة وغنية، وكانت كل قطعة من هذه القطع تسمي باسم جزء من أجزاء ملبس الملكـة؛ وذلـك لأن كل واحدة كانت يخصص دخلها للإنفاق علي هذا الجزء من ملابس الملكة» (فقـرة 123 ب، جـ) .

وقد أشار العديد مـن المـؤلفين القـدامي الآخـرين إلي مثـل هـذه الممارسـة، والتـي وصفها سيسيرو (بطريقة ازدرائية) علي أنهـا كانـت خاصـة فقـط بملـوك المشرق (الكتـاب الثالث، فقرة 33)، ومهما كانت القيود المفروضة علي استخدامنا للمصـادر الكلاسـيكية، إلا أن جميع هذه المصادر قد أوضحت أن الأميرات كانت لديهن أراضٍ وقـري مخصصـة لهـن في منـاطق متعـددة مـن الإمبراطوريـة، وأنهـن كـن يسـتخدمن عائـداتها في الإنفـاق عـلي بيوتهن، ويوجد تأكيد علي ذلك في العديد من الألواح البابلية التي تعود إلي عهد كـل مـن أرتاكسركسيس (Artaxerxes) الأول ودارا (Darius) الثاني، والتي تشير إلي البيوت (بيتـو)، أي الضياع التي كانت مخصصـة لأفـراد الأسرة المالكـة، بالإضـافة أيضـاً إلي النـبلاء الفـرس، ونعـرف أنـه كانـت توجـد في عهـد أرتاكسركسـيس (Artaxerxes) الأول ضـيعة تسـمي «ضيعة سيدة القصر»، والتي من المحتمل أنها كانت إحـدي زوجـات الملـك، بالإضـافة إلي «ضيعة ابن الملك» (مارساري: عهد دارا (Darius) الثـاني)، ودعونـا نركـز بالخصـوص عـلي الإشارات العديدة إلي ضياع باريساتيس (Parysatis) ، والتي يمكننا أن نستشهد مـن بينهـا بالمقتطف التالي: يقدر إيجـار الأراضي المخصصـة لباريسـاتيس (Parysatis) - والـذي كـان يتم تحصيله في صورة عينية- بـ(60) كوراً من الشعير، وقد كانت هـذه الأراضي تقـع عـلي طول ضفتي قناة أدو-أب-أوسور مـن بوابات السد إلي المصب، وهــذا في السنــة الثالثــة من عهـد دارا (Darius) ، وهذه الأراضي هي تحـت يـد «ماتينـاي لامـا» الـذي هـو عبـد

«إيا بولتسو» (المدير (باقدو) المسؤول عن أراضي باريساتيس (Parysatis))، كما أن هذه الأراضي هي تحت تصرف «ريموت نينورتا (Rimut-Ninurta) » ابن موراسو، وقد قام ماتاني-ياما (Mattani-Iama) بتقديم هذا الشعير (60 كوراً) - والذي يمثل الإيجار المقرر علي هذه الأرض لمدة ثلاث سنوات- إلي إنليل إتانو وموتير جيميلي، وهما المحاسبان اللذان يعملان لدي ريموت نينورتا (Rimut-Ninurta) ، وقد حصل ماتاني-ياما (Mattani-Iama) علي إيصال بمقدار (60 كوراً) والذي يمثل الإيجار المقرر علي الأرض لثلاث سنوات، والمقدم من إيا-بولتسو (Ua-bulitsu) مدير أراضي باريساتيس (Parysatis) إلي إنليل إتانو وموتير-جيميلي [تم ذكر أسماء الشهود والناسخ]، نيبور .

وقد ذكرت أيضاً الضياع العديدة -التي كان يملكها أرساما (Arsama) أمير البيت (الملكي)- في الفترة بين عامي 425-404، وإذا كانت الألواح التي تتحدث عن باريساتيس (Parysatis) تعكس ما جاء في روايات زينوفون (Xenophon) وأفلاطون (Plato) ، فإن تلك التي تتحدث عن أرساما (Arsama) بشكل طبيعي تذكرنا بالرسائل الآرامية العديدة التي صدرت منه عندما كان مرزباناً علي مصر، والتي كان يمتلك فيها ضياعاً هي الأخري (بيت)، وبالإضافة إلي ذلك، لم يكن أرساما (Arsama) الوحيد الذي يملك مثل هذه الضياع، حيث تشير بعض الضياع إلي اثنين من النبلاء الفرس هم «فارفيس (Varfis) » و«فاروهي (Varohi) »، واللذين كانا يمتلكان هما أيضاً أراضٍ في مصر، وبالطبع فإن هذه الوثائق متأخرة كثيراً عن ألواح برسيبولس، وعلي الرغم من ذلك، فإن مقارنتها مع الألواح البابلية التي تعود إلي عهد دارا (Darius) الأول تدفعنا إلي الاعتقاد بأن التنظيم الداخلي للضياع البابلية لم يتغير كثيراً في الفترة من عهد دارا (Darius) الأول إلي عهد دارا (Darius) الثاني .

وترجمة كلمة «بيت» («بيتو» باللغة الأكادية) كعزبة لا يجب أن

يصيبنا بالارتباك علي الإطلاق، حيث إن الأراضي التي كان يـتم تخصيصـها كعـزب مـن هـذا النوع لم تكن تتكون بالضرورة من وحدة إقليمية متجانسة محددة، وتابعة لشـخص واحـد كما في الريف، فهذه العزب لم تكن «عزباً ريفيه»، أو قصـوراً محاطـة بأسـوار عاليـة، فهـذه البيوت كانت تشتمل علي العديد من العناصر المسـاحية بمـا فيهـا أراضي «الهـاترو» (أراضي الأقواس علي سبيل المثال)، وأجزاء من «الأراضي الملكية» (أوزبارا)، وهذه أيضاً هي الصـورة التي قدمها لنا أحد النقوش اليونانية الموجودة في سارديس (سارديس، الكتاب السابع، فقـرة 1-1) التي تسجل الأراضي المختلفة التي كانت تتكون منها «دوريا» الأخمينية: كان الشخص الذي تم منحه هدية الأراضي هذه هو رجل اسمه منيسيماخوس (Mnesimachus) ، وكان يعيش في نهاية القرن الرابع، وقد كانت هذه الهدية تشتمل علي قري، كليروي (قطع أراضي عسكرية)، حدائق للإيجار (بارادايسوي)، إلخ، وهذا يشير إلي أن الملك لم يمـنح أفـراد أسرتـه والمقربين منه مزارع ريفيه في وحدات بالطريقة التـي نتخيلهـا، حيـث إن الإدارة خصصـت العائدات التي يتم الحصول عليها من عدد معين من الوحدات المساحية لهم، والتـي يمكـن أن تزيد أو تنقص، ويشير منشأ ومكانة الأراضي التي يتم تخصيصها بهـذه الطريقـة بشـكل واضح إلي أن الأشخاص الذين يحصلون عـلي هـذه الامتيـازات -سـواء كـانوا مـن النـبلاء أو الأميرات- لم يكونوا معافين من الالتزامات المالية نحو الملـك: حيـث إنـه حتـي لـو تـم مـنح بعض أراضي الهاترو إلي أحد أمراء البيت الملكي، فإنها كانت تحتفظ بالالتزامات الأصـلية المفروضة عليها، والتي تتمثل في أشـكال الضرائـب المختلفـة والخدمـة الملكيـة (تقـديم الجنود إلي الملك و/أو المرزبان في حالة طلبهم)، وبالمثل ظلت الأراضي -التي تم تقـديمها إلي منيسيماخوس (Mnesimachus) كهدية- خاضعة للجزيـة (فـوروي)، والتـي مثلت عبئاً علي القري والكليروي التي كانت تتكون منها هذه الدوريا، وهذا هو

المعني الذي حفظت به روايات المؤلفين اليونانيين بعضاً من الحقيقة المؤسسية، فـالشيء الذي منحهم الملك إياه لم يكن الأرض والفلاحين بقدر ما هو جـزء مـن العائـدات، ومـن وجهة نظر زينوفون (Xenophon) أو أفلاطون (Plato) ، فإن القري التي تم تخصيصها لباريساتيس (Parysatis) ليست سوي ما يسمي اليـوم بالقائمـة المدنيـة، وينطبـق هـذا الأمر نفسه عـلي عائـدات بيـع السـمك الـذي كـان يـتم اصـطياده مـن بحـيرة مـوريس (Moeris) ، وعلي الرغم من أن هذه الأشياء كانت منحاً إلا أن أصحاب هذه الامتيـازات كانوا يدركون منذ البداية أن هذه المـنح يمكـن أن يـتم سـحبها في أي وقـت، فلـم تكـن ممتلكات خاصة بالمعني الكامل .

كون هذه المنح قابلة للاسترداد لا يعني أن المستفيدين منهـا لم ينخرطـوا بنشـاط في إدارتها، فبشـكل عـام كـانوا يعهـدون بإدارتهـا إلي القهرمانـات التـابعين لهـم (باقـدو) مثـل نهتيهور (Nehtihor) ، بساميسيك (Psammesek) ، هاتوباستي (Hatubasti) أو مسـاباتا (Masapata) في مصر، أو لاباسي (Labasi) القهرمان المسؤول عـن العـزب البابليـة التابعـة لأحـد أمـراء الأسرة المالكـة وإيـا-بولتسـو (Ua-bulitsu) القهرمـان الخـاص بباريسـاتيس (Parysatis) ، وقد كانت مهمتهم تتمثل في مراقبة الأراضي والممتلكـات والعـمال، وبالتـالي مراقبة الناتج والعائدات، وفي مقابل خدماتهم تلك كانوا يحصـلون عـلي مـنح مـن الأراضي، وهكذا فقد كـان يقـع عـلي عـاتق المسـتفيدين مـن هـذه المـنح القيـام باسـتغلال عـزبهم الاستغلال الأمثل من استخلاص أكبر قدر من الـربح منهـا بعـد خصـم الضرائـب التـي يـتم دفعها إلي الإدارة الملكية بالطبع، وقد كان هذا في الحقيقة هو الهدف الـذي حـدده أرسـاما (Arsama) والنبلاء الفرس الآخرون إلي قهرماناتهم.

حتي إذا قدمنا هذه الحقائق في شكل مجمل وغير كامل، فإنها تكـون مفصلة بدرجة أكبر بكثير من الحقائق التي يمكننا استخراجها من ألـواح

برسيبولس، وبغض النظر عن كلمة «أولهي» (والتي تقابل الكلمة الأكادية بيتو)، وكذلك أيضاً بغض النظر عن مكانة الأشخاص حاملي هذه الامتيازات (الأميرات)، إلا أنه من الصعب في الحقيقة بناء جسور قوية بين الوثائق المختلفة، حيث إن العلاقة بينهم هي مجرد علاقة جزئية وغير مؤكدة، وكمثال.. دعونا نفحص البيانات التي يعطيها لنا لوح واحد من هذه الألواح، ويسجل هذا اللوح مؤن السفر التي تم تقديمها إلي (71) ولداً (بوهو) يتبعون أباموس (Abbamus) وإرتاسدونا (Irtasduna) ، وهم عبارة عن خدم «ينقلون خزانة (كابنوسكي = جانزا) من كرمان إلي صوصا» (لوح التحصينات أ 14)، وأيهما كانت الأولي من بين هاتين السيدتين (من المؤكد أنها كانت ذات مكانة كبيرة)، فإن المعلومات تثير قدراً من المشكلات، ويسجل لوح آخر (لوح التحصينات 1357) نقل إحدي الخزانات (كابنوسكي) من بابل إلي برسيبولس، ولكنها لم تذكر شيئاً عن الخلفيه الإدارية، ويحكي لنا (لوح التحصينات 1342) عن حدث مشابه لذلك، وهو قيام أحد أمناء الخزانة (جانزابارا) بنقل الفضة من صوصا إلي ماتيزيس، ونميل إلي مقارنة أولي هذه الوثائق (لوح التحصينات أ 14) برسالة من المرزبان أرساما (Arsama) تأمر بنقل الخزانة (جانزا) - والتي تتكون بشكل جزئي من عائدات الضرائب (مانداتو) المقدرة علي العزب التي يملكها النبلاء الفرس في مصر- وإحضارها إلي بابل، ومن المحتمل أن إرتاسدونا (Irtasduna) وأميرات أخريات كن يملكن عزباً في إقليم كارمانيا، وتلك الخزانة التي كان يتم نقلها تشير إما إلي العائدات التي تم استخلاصها من هذه العزب، أو أموال الضرائب التي كانوا يدينون بها إلي الإدارة الملكية أو ربما كليهما معاً .

وتوضح لنا الرسالة التي عهد بها إلي قهرمانه نهتيهور (Nehtihor) وبصورة رائعة نقاط الالتباس التي تحيط بكلمة «بيت» (بيتو)، وبإعادته نهتيهور (Nehtihor) إلي مصر، فإن ما عهد به أرساما (Arsama) إليه لم

يكن أقل من صك للسفر، ففي خطابه إلي القهرمانات (المديرين) المسؤولين عن المحطات التي كانت توجد علي طول الطريق من إقليم بابل إلي مصر (من «مدينه» إلي «مدينه») أمرهم بأن يقدموا إلي نهتيهور (Nehtihor) ورفاقه (بتب) «مأخوذة من بيته (بيت)»، ولكن إلي أي شيء يشير ذلك؟ فحقيقة أن القهرمانات الآخرين المسؤولين عن المدن العديدة التي تقع في الطريق كانوا يحملون اللقب (بيقيد/باقدو) نفسه لا تعني أنه كانت لهم المهام نفسها، وبالمثل أيضاً، فحقيقة أن الأفراد الذين يعملون في عزب أرساما (Arsama) كانوا يحصلون هم أيضاً علي أقوات (بتب) لا تعني أن البيوت الموجودة في أربيل أو دمشق قد تم ضمها إلي عزب المرزبان أرساما (Arsama) الموجودة في مصر، وإلا فكيف يمكننا تفسير حقيقة أن مؤن السفر كانت تؤخذ من أموال خاصة مع العلم بأن ألواح برسيبولس تقول إنها كان يتم الحصول عليها من مستودعات الإدارة أو الولاية؟

وتسمح لنا الألواح بتقديم إجابة عن ذلك علي الرغم من أنها مجرد افتراض، حيث إنه من المؤكد أن هذه العزب كانت تشبه الإرماتام -أي العزب- التي كانت تقع ملكيتها عند نقطة الالتقاء بين الملكية العامة والملكية الخاصة، وقد رأينا كيف أنها كانت تعمل كمراكز لجمع وتوزيع منتجات الملاك الذين كانوا معفيين من الضرائب المقررة علي الإرماتام، ويمكننا أن نفترض أن بيت أرساما (Arsama) كانت لديه بعض الممتلكات في لاهيرو، أربيل، أو دمشق، والتي استغلها في مساندة أنشطة امتزجت فيها مصالحه الخاصة مع مصالحه كمرزبان، ويمكننا بسهولة أن نستخدم المثال الموازي الخاص بمكانة الرياض المرزبانية، وفيما يلي نري كيف كان رد فعل فارنابازوس (Pharnabazus) علي التلفيات التي تسبب فيها جنود أجيسيلوس (Agesilaus) للروضة الخاصة به والموجودة في داسيليوم: «كل تلك المساكن والرياض الجميلة

الممتلئة بالأشجار والحيوانات البرية التي كنت أسعد بها كثيراً، والتي تركها والدي لي، ها أنا أراها مقطوعة بالكامل» (هيلينيكا، الكتاب الرابع، فقرة 1-33) .

تبدو الكلمات التي استخدمها فارنابازوس (Pharnabazus) كما لو كانت تشير إلي أن هذه الروضة قد انتقلت إليه عن طريق الميراث، وفي الحقيقة، فإن ما ورثه هو فقط وظيفة المرزبان، وهذه الروضة لم تكن من ممتلكاته الخاصة، ولكنها ظلت مرتبطة بالوظيفة التي شغلها بشكل مباشر عن طريق رضا الملك، وليس لأنه ورثها عن أبيه، ولكن، وكما هو الحال، فإن الممارسة المتمثلة في انتقال الوظيفة بين أفراد الأسرة الواحدة يبدو أنها تلقي ببعض الغموض علي إحدي الحقائق الأساسية: حيث إن هذه الروضة كانت عبارة عن عزبة مصاحبة للوظيفة، والتي مثلها مثل عزب أرساما (Arsama) في مصر كانت تقع عند تلاقي المصالح فيما بين الملك والشخص حامل هذا الامتياز .

10- بيت الملك:

أغنام، إبل، وخيول الملك:

ولكن ما ملابسات قيام دارا (Darius) بإصدار أمره القاضي بإرسال (100) من الأغنام من بيته (أولهي) إلي أرتيستون (Artystone) ؟ (لوح التحصينات 6746)، إن الإجابة الأسهل هي الإجابة الأكثر وضوحاً، والتي تتمثل في افتراض أن البيت الملكي كان في أوج قوته بالمفهوم السياسي والاقتصادي، وتبدو هذه الملاحظة أكثر وضوحاً إذا نظرنا إلي أن الأمر قد صدر إلي بارناكا (Parnaka) ، وهو الموظف الذي كان مسؤولاً عن إدارة شؤون الإنتاج والعمال في إقليم فارس، وفي رسالة أرسلها دارا (Darius) إلي جاداتاس (Gadatas) القهرمان المدير المسؤول عن إحدي الرياض الملكية في آسيا الصغري، تقول الترجمة اليونانية لها: «سوف

تنال تقديراً كبيراً في بيت الملك» (إن باسيليوس أويكوي)، والكلمة هي «أويكوس»، والتي هي قريبة جدًّا من كلمة «فيث» الفارسية، وقد استخدمها اليونانيون غالباً لتسمية ما كانوا يعتبرونه بنظام الإدارة الوراثي للإمبراطورية، ويظهر هذا الاستنتاج نفسه من الصيغ المالية البابلية «الضرائب المدفوعة، جندي الملك، دقيق الملك، البارا، وجميع أنواع الإيجار لبيت الملك (بيت ساري)».

ولكن المفردات المستخدمة في الألواح تدفعنا إلي نكون حذرين، ويمكننا أن نذكر باختصار أن بعض النصوص تشير إلي «الرعاة الملكيين» (باتيرا سونكينا، لوح التحصينات 2025* 1091)، وإلي «أغنام الملك» (ألواح التحصينات 775، 1442)، وإلي «ماشية الملك» (ألواح التحصينات 1965، 1991، 1946، لوح التحصينات أ 32)، وإلي «خيول وبغال الملك والأمراء» (1973)، وإلي «الخيل الملكي» (1942، 1675، 1668-1669* 1784-1787)، وإلي «حصان أريارامنيس (Ariaramnes) » (لوح التحصينات أ 29، 24)، وقد كان بعض رؤساء إسطبلات الخيل (مودونرا) «ملحقين بالعزبة الملكية» (لوح التحصينات 1946)، أو قد يتم اختيارهم تحديداً للاعتناء بخيول الملك (1765) أو «خيل وبغال الملك والأميرات» (لوح التحصينات 1793)، وقد كان يقال إن الجزء السفلي من البلاط في برسيبولس (أو جزء منه) «كان مملوكاً للمستودعات الملكية» (1797)، وكان يطلق لقب «الملكية» أيضاً علي بعض أجزاء من المنتجات المخزنة في المستودعات (ألواح التحصينات 150-156* 158-160)، الخ، وتتمثل إحدي أهم الوثائق في وثيقة «تصريح النقل»، والتي تسجل عبور قطيع ضخم (أكثر من 100 ألف رأس)، والتي قام حوالي (700) راعٍ بإحضارها من برسيبولس إلي صوصا (1442) تصاحبهم بالتأكيد أعداد كبيرة من الكلاب (راجع لوح التحصينات 1264-1266* 1904)، ومن المؤكد أن هذه الوثيقة تشير

إلي الكورتاس، حيث إنه تم وصفهم علي أنهم «مملوكين للخزانة»، ومن المؤكـد أيضـاً أن الأغنام هي «أغنام ملكيـة»، ومـن الممكـن أن ينطبـق هـذا التحليـل نفسـه عـلي ألـواح أخـري، والتـي تتحـدث عـن حركـة قطعـان الحيوانـات وقطعهـا لمسـافات كبـيرة (لـوح التحصينات أ 31) .

وهكذا، فإن السؤال الذي تثيره هـذه الوثـائق بسـيط للغايـة، حيـث إنـه تسـهل صياغته علي الأقل، وهو: لماذا تم استخدام كلمة ملـكي «سـونكينا» في عـدد قليـل فقـط من الوثائق؟ ماذا تعني هذه الكلمة؟ هل هي محددة أما أنهـا مجـرد إشـارة عـابرة إلي حقيقة معروفة؟ هل كانت هناك قطعان ورعاة آخرين لم يكونوا «ملكيين» عـلي الـرغم من أنهم كانوا ملكاً للإدارة، وكانوا يحصلون علي مؤن منها؟ أم أننا يجـب أن نفـترض أن حذف الصفة «سونكينا» ليست له أية أهمية خاصة، وأنه كان راجعاً ببساطة إلي عجلـة وتسرع الكتبة، والـذين لم يـروا أيـة ضرورة في تحديـد الشيء الـذي يعرفـه الجميـع؟ إن الفكرة الأخيرة هذه هي ما يعتقده محرر ألواح التحصينات، والـذي قـام بإدخـال كلمـة «ملكي» في بعض الحالات في الألـواح التـي تشـير إلي تسـليم المنتجـات إلي المسـتودعات (ألـواح التحصـينات 2-4* 30-32* 53* 378-383* 385-387)، ولكـن لـيس في آخـرين (ألواح التحصينات 435* 459-460* 488، الخ)، ولا يوجد في الوقت الحالي مـا يثبـت أن إحدي الكلمات التي تستخدم للتعبير عـن معنـي المسـتودع (هوتهـوت) يجـب أن يـتم النظر إليها دائماً علي أنها تشير إلي «مستودع ملـكي»، هـل يمكننـا القـول بأنـه نظـراً لأن كلمة «سونكينا» قد تم استخدامها لوصف بعض المستودعات، وأنها لم تستخدم لوصـف بعضها الآخر، أليس من المحتمل بدرجة أكبر أن جميع المستودعات لم تكن مسـتودعات ملكية؟ وإذا «كان الملك يقوم باختيار (دامانا) بعض المديرين» (لوح التحصينات 1942) أليس من الممكن أن يكون السبب وراء ذلك هو علاقتهم المميزة بالبيت الملكي؟

تصعب في الحقيقة معرفة الأسباب وراء وجود أو اختفاء صفة «ملكي»، فعلي سبيل المثال لماذا تم وصف ضريبة البازيس بالملكية مرة واحدة فقط (لوح التحصينات 2025)؟ ولماذا تم تلقيب ضريبة أخري (أوكبياتاس) بالملكية في (6) مرات من (13) مرة التي ظهرت فيها في الألواح (48-49* 388* 395* 396* 428)؟ ونحن أيضاً نميل إلي مشاركة المحرر اعتقاده بأن الصفة هي ضمنية في جميع الألواح، وتسمح لنا مقارنة الألواح المتناظرة أحياناً بملاحظة أن الناسخ قد حذف كلمات معينة من هذا اللوح أو ذاك، حيث إن «أوميزا (Umizza) » قد تمت تسميته «الراعي الملكي» في هيران في أحد الألواح (لوح التحصينات 2070)، بينما تمت تسميته «الراعي» فقط في أحد النصوص التي كُتبت في السنة التالية (لوح التحصينات 2025)، وهذا علي الرغم من أن السياق هو نفسه، ويمكننا أن نستشهد أيضاً بالمثال المثير المتمثل في الإبل الثلاثة والثلاثين التي تم إحضارها من برسيبولس إلي صوصا «حيث يوجد الملك» (لوح التحصينات 1787)، والتي تمت إعادتها إلي برسيبولس بعد ذلك بشهر (ألواح التحصينات 1786، أ 26* 29)، فلقد تمت تسميتهم في النص الأول «الملكيون»، ولكن ليس في الثلاثة الآخرين، والتي تكرر فيها ذكر مؤن الدقيق التي حصلوا عليها خلال رحلة العودة، حتي إن النصوص الموجودة في هذه الألواح الثلاثة ليست متماثلة تماماً، حيث إن المقصد أحياناً يكون برسيبولس، وأحياناً ماتيزيس (والتي من المؤكد أنها كانت إحدي ضواحي برسيبولس)، ولم يتم تحديد اسم الموظف المسؤول عن عملية النقل في كل الحالات، وبالمثل أيضاً باكابادا (Bakabada) الذي أعطي التصريح بالسفر، حتي إن أغراض الألواح الثلاثة ليست متماثلة، وفي السجل العام (لوح التحصينات 29 أ) قام الناسخ بحذف بعض التفاصيل وأضاف أخري، ولكننا لا نعرف ما الوثائق التي كانت متاحة أمامه؟ ومهما كان الحال، فإن السبب الذي

جعل الإبل التي كانت تلقب بالإبل الملكية بعد ذلك بشهر خلال رحلة الذهاب تفقد هذه التسمية خلال رحلة العودة هو غير واضح .

ولكن بمجرد أن نبدأ في تناول سلاسل النصوص الأكثر طولاً لا يبدو الأمر بمثل هذه البساطة، حيث إنه من مئات الألواح التي تسجل المؤن التي تم تقديمها إلي الكورتاس نجد أن أربعة منها فقط أشارت بشكل صريح إلي الكورتاس الملكيين (ألواح التحصينات 1092* 1127* 1211* 2070)، كما أنه من بين (100) نص تحدثت عن المؤن التي كانت تقدم للخيول، نجد أن (5) منها فقط سجلت المؤن التي تم تقديمها إلي خيول الملك أوالأمراء (ألواح التحصينات 1669-1670* 1775* 1784، لوح التحصينات أ 24 = لوح التحصينات أ 29)، وبعض سجلات المؤن تجعل الأمر يبدو كما لو أن بعض الأقوات كانت محجوزة لـ«الماشية الملكية» (السمسم: ألواح التحصينات 1991* 2082)، ولكن في السجلات الأكبر نجد أن أقوات «الماشية الملكية «هي مجرد جزء من المقدار الكلي للأقوات (لوح التحصينات أ 32)، ويتضح هذا بشكل خاص في لوح التحصينات 1792 الذي يخاطب فيه «سودايودا (Suddayauda) » -كبير الكورتاس- بارناكا (Parnaka) من خلال رئيسه «هارينا (Harrena) »، ويذكر أنه قد خصص (60) باراً من الحبوب للماشية التي تم تحديدها بوضوح علي أنها «الماشية الملكية»، وبالمثل، ففي سجل عام آخر (لوح التحصينات أ 29) تمثل المؤن التي تم تخصيصها إلي «حصان أريارامنيس (Ariaramnes) » مجرد طائفة فرعية محددة من أحد السجلات العامة (راجع لوح التحصينات أ 24)، والتي حصلت فيها خيول أخري علي أقوات السفر المخصصة لها، ويذكر هذا السجل ببساطة أن مقدار (2) بار من (5) بار -وهي القدر الإجمالي الذي يحق له الحصول عليها- هو مؤن السفر الخاصة به، ومن الواضح أن مؤن السفر هذه كانت أكبر بكثير من المؤن التي تحصل عليها الخيول الأخري التي تم ذكرها

مسبقاً (0.7 بار)، وبمعني آخر فإن الخيول الملكية (أو خيول الأمراء) كانت تمثل طائفة خاصة معترفاً بها من بين الخيول التي تطعمها الإدارة، وتنطبق هذه الملاحظة أيضاً علي الأغنام، الدواجن، والماشية التي تلقب بالملكية، ويجب علي وجه الخصوص أن نذكر الوصف الذي تم وصف رؤساء إسطبلات الخيل (مودونرا) به: «إنهم ملحقون بالبيت الملكي» (لوح التحصينات 1946)، كما أن آخرون «ملحقون ببيت هستاسبيس (Hystaspes) 1956.

المجالات الاقتصادية:

ولكن إذا كانت بيوت الأمراء والبيت الملكي توجد فعلاً بشكل منفصل عن الملك، فماذا كانت علاقاتهم؟ إن أحد الألواح له أهمية خاصة فيما يتعلق بهذا الخصوص، ويقول هذا اللوح: «أحد الثيران -الذين كانوا يوجدون في المستودع تحت مسؤولية (كورمين) رومادا- تم دفعه (زاكي) إلي الملك، وإلي أنزاماناكا في العام التاسع عشر، وقد كان إسكوميبانا هو الراعي (باتيرا)» (لوح التحصينات 692).

وقد أرفق المحرر هذا اللوح ضمن الوثائق التي تشير إلي السلع التي كان يتم تسليمها إلي الملك، وتحديداً إلي المائدة الملكية (لوح التحصينات 691-740)، وعلي الرغم من الروابط والتشابهات الكبيرة التي تربط الأسماء الموجودة في هذا اللوح باللوح الذي يليه (لوح التحصينات 693) وصعوبات الترجمة، إلا أن هذه العملية يمكن أن تكون مرتبطة بعملية مختلفة تماماً، حيث إن كلمة «زاكي» هي كلمة نادرة الاستخدام إلي حد ما كما أن استخدامها غير محدد بشكل واضح، ففي بعض الحالات نجد أن «زاكي» لها علاقة بتوزيع المؤن علي الكورتاس (1178-1181* 1986-1987: «لقد دفع كمية إلي كورتاس محددين»، ولكن لا يمكننا تمييز الفرق بوضوح بينها وبين

عمليات التوزيع العادية (علي الرغم من أنه من المؤكد أنه كانت توجد واحدة)، وتشير كلمة «زاكي» في أربعة من هذه الحالات إلي عمليات شراء يقوم بها أحد المديرين لأحد الحيوانات مقابل حصوله علي الحبوب (ألواح التحصينات 1976-1978* 1980)، وهكذا فإنها وبشكل واضح تشير إلي صفقات كانت تجري بين مستودعين، ومن المحتمل أن هذا هو ما كان يحدث: فالوثيقة تعني ببساطة أنه في أحد المرات قد طلبت الإدارة ثوراً من أحد مستودعات الماشية، وتم نقله إلي العزبة الملكية (من المحتمل في مقايضة)، ولو صح ذلك، فإن هذه يمكن أن تكون الطريقة التي تمت بها تسمية هذا الثور «الملكي»، حيث إن الراعي الذي تم اختياره، إما أنه كان الراعي الملكي الذي استلم الثور باسم الملك أو (وهو الاحتمال الأرجح) أن الراعي كان راعي المستودع، ومن المؤكد أن قيام الرجال المسؤولين عن القطعان الملكية بإعادة تجديد ماشيتهم عن طريق الاستعانة ببعض من الحيوانات المختارة بعناية كانت أحد الممارسات الشائعة إلي حد ما، ويخبرنا أحد الألواح (لوح التحصينات 198732) أن المديرين قاموا بمبادلة الحبوب بالأغنام، والتي تم نقلها إلي البيت الملكي (أولهي سونكينا)، ووضعوا تحت رعاية أحد الرعاة، والذي من المؤكد أنه كان من الرعاة المسؤولين عن قطعان الأغنام الملكية، ويشير لوح آخر إلي أن الراعي الخاص بدارا (Darius) قد استلم (55) حيواناً من الإرماتام التابعة لإرتوبيا (Irtuppiya) ، والتي توجد في بارمادان (لوح التحصينات، 1091) .

دعونا نعود إلي المثال المهم المتمثل في «أوميزا (Umizza) »، والذي كان أحد «الرعاة الملكيين» (باتيرا سونكينا)، والذي تم توضيح وضعه بوضوح في أحد الألواح (لوح التحصينات 2070): «أوميزا (Umizza) ابن هالبا (Halpa) الذي يعيش في هيران في المقاطعة المسماة هالكوكاباتاريس»، ويظهر هذا الراعي في لوحين من الألواح يعود

تاريخهما إلي عامين مختلفين (504، 503)، ولكنهما يعكسان السياق نفسه، حيث توجد بهما أسماء المديرين نفسها (لوح التحصينات 2025، 2070)، وكلاهما يتناول مسألة تحصيل الجزية (والتي تم وصفها بـ«الملكية» في أحد هذين اللوحين: 2025)، وفي كل من الحالتين يستلم أوميزا (Umizza) أغنام وماعز، ويتم تسليم عدد آخر من الأغنام والماعز إلي «رئيس القطعان» المحلي، وإذا كان الراعي الملكي يتعامل مع الأغنام الملكية - وهو الشيء الذي يبدو منطقيًّا- فإننا يمكننا أن نستنتج أن عدداً من الأغنام والماعز (قليل: أقل من 10/1) التي تتوفر لدي الإدارة من خلال تحصيل الجزية المقررة علي الحيوانات (البازيس) لم يكن يتم ذبحه علي الفور، ولكنه كان يستخدم في تجديد القطعان الملكية، أما الجزء المتبقي فكان يذهب بشكل طبيعي إلي رؤساء قطعان الإدارة.

وتوجد شواهد علي حدوث عمليات نقل أو تبادل أخري فيما بين الممتلكات الملكية والممتلكات الإدارية، وفي بعض الحالات كان يتم وضع المنتجات الملكية كمخزون مدخر في مخازن الرياض (لوح التحصينات 150-156* 159-160)، وفي إحدي المرات تم ادخار محصول الحبوب الملكية ليتم استخدامها كبذور توزع بين أربعة من المسؤولين بما فيهم أحد رؤساء الاسطبلات (مودونرا، لوح التحصينات 440)، والوثائق الأكثر عدداً بكثير هي الوثائق التي تصف تزويد الملك أو أفراد أسرته بالعديد من المنتجات من المستودعات، ويمكن أن يتم تسليم المنتجات المذكورة إلي أحد المستودعات الملكية: الخمر (لوح التحصينات 42، 729)، القمح (لوح التحصينات 1796، 348)، الفاكهة (لوح التحصينات 133)، بالإضافة إلي الحيوانات (لوح التحصينات 533، 543)، أو ببساطة «إلي الملك» (لوح التحصينات 1846)، والفاكهة التي يتم تخزينها بهذه الطريقة كانت تأتي أحياناً بشكل صريح من الرسوم المقررة علي القري المجاورة (لوح التحصينات

رقم 650)، وقد رأينا أيضاً كيف أن الحيوانات «الملكية» كان يتم إطعامها بشكل متكـرر من مخزونات الإدارة، وقد كان هذا هو الحال مع قطيع هائل من الأغنـام الملكيـة التـي قام الكورتاس «الملحقون بالخزانة» بنقلها إلي صوصا (لوح التحصـينات 1442)، وتسـجل سلسلة أخري من الألواح (ألواح التحصـينات 691-740* 2033-2035) إمـدادات المـواد الغذائية المستهلكة في خـلال عمليـات تنقـل الملـك أو أعضـاء الأسرة المالكـة: إرتاسـدونا (Irtasduna) ، أرساميس، إرداباما (Irdabama) (ألواح التحصـينات 730-740* 2035)، أو حتي أخوات دارا (Darius) (لوح التحصينات أ 5، 31) .

بارناكا (Parnaka) ، بلاد فارس، دارا (Darius) :

لقد رأينا كيف أن النقوش الملكية قد خصصت مكانة منفصـلة للشـعب الفـارسي مـن بـين الشـعوب (داهيافـا) التـي يحكمهـا دارا (Darius) ، ولقـد أضـفي هـيرودوت (Herodotus) عليها مكانة مميزة فيما يتعلق بالجزية المفروضة عليها، وذلك في إحـدي فقراتـه (الكتـاب الثالـث، فقـرة 97)، والتـي قـد قمنـا بالفعـل بتوضـيح أوجـه القصـور والفجوات الموجودة بها، ومسبقاً، ومن البداية، فإن المكانة المميزة لبلاد فارس بين جميع أقاليم الإمبراطورية لا تعني بطبيعة الحال أنهـا لم تكـن خاضـعة لإشراف وإدارة الدولـة، ولكننا لا نستطيع أن نكون متأكـدين حـول ذلـك، حيـث إن الوثـائق لم تتعامـل بشـكل مباشر مع مشكلة الإدارة الإقليمية لهذا البلد، والتي أثارتها بعض ألواح برسيبولس .

وعلي الرغم من ذلك، فإن المكانة المميزة لبلاد فارس تثـير التسـاؤل حـول المكانـة المميزة لبارناكا (Parnaka) ، هل كان يمارس نوعاً من السيطرة الاقتصادية العليا بحيـث كان يحقق له التدخل في الجانب السياسية البحتة؟ لا توجد لدينا أيـة إشـارات واضـحة حول وجود مرزبانية في بلاد فارس خلال حكم الملوك الأوائل، ولكـن أشـارت الألـواح إلي

وجود «مرزبان» هناك (ألواح التحصينات 679-681)، وتسجل هذه الألوح تقديم المؤن إلي ثلاثة أشخاص، الشخصان الأولان تمت تسميتهما «المرزبان الذي يمارس مهام منصبه في مكاش»، أما الشخص الثالث فقد تمت الإشارة إليه علي أنه «المرزبان الذي يمارس مهام منصبه في بورا(؟)»، وقد كانت المؤن التي حصل عليها هؤلاء الثلاثة كبيرة بصورة غير عادية، ولكن لا يمكن استخدام هذه المعلومة لتحديد وتوضيح مكانتهم، فقد كانت هذه المؤن في الحقيقة هي مؤن للسفر، والتي يحتمل أنها قد استخدمت لإطعام الحاشية المرافقة لهم (علي الرغم من أنهم لم يتم ذكرهم، راجع لوح التحصينات أ 4)، ولو سلمنا بأن هؤلاء الأشخاص كانوا مرزبانات بالمعني الإداري للكلمة، وأن هذه التسمية ليست مجرد لقب عام، فإنه يبدو علي الرغم من ذلك أن هؤلاء الأشخاص كانوا يمارسون مهام منصبهم هذا في مناطق بعيدة عن بلاد فارس .

ولم تذكر النصوص الكلاسيكية شيئاً عن ذلك عن مثل هؤلاء الأشخاص، والمعلومات التي ذكرها هيرودوت (Herodotus) حول واجبات ومهام «الحاكم» (الهيبارخوس) المسؤول عن إقليم فارس، وهي المهام التي كان من المفترض أن هستاسبيس (Hystaspes) هو الذي كان يقوم بها قبل عام 522 هي معلومات خاطئة بشكل واضح (الكتاب الثالث، فقرة 70)، ولم تتوافر لدينا أية معلومات عن هذا الأمر حتي عهد الإسكندر (Alexander) ، كما أننا لم نعلم أنه كان هناك مرزبان مسؤول عن فارس «أريوبارزانيس (Ariobarzanes) » حتي ذلك الوقت، ومن المهم مرة أخري أن نؤكد أن أريان (Arrian) كان هو المؤلف الوحيد الذي استخدم هذا اللقب (الكتاب الثالث، فقرة 18-2)، وهو الأمر الذي لم يمر دون إثارة مشكلات في التفسير، وقد كانت هناك في هذا الوقت أيضاً حامية مكلفة بحراسة برسيبولس، ولقد كانت بلاد فارس

نفسها مزروعة ومملوءة بالقلاع التي كان علي الإسكندر (Alexander) أن يتغلب عليها بالقوة، ونحن نعرف أيضاً أن شخصاً اسمه تيريداتيس (Tiridates) كان يلقب بـ«حامي الثروة الملكية» (كوستوس بيكونياي ريجيس)، وأن فارسيًّا آخر القائد (برافكتوس) كان هو المسؤول عن باسارجاداي، ويقول ديودورس (Diodorus) عن تيريداتيس (Tiridates) إنه: «كان يحكم مدينة برسيبولس»، ومن المحتمل أن ذلك كان في حالة غياب أريوبارزانيس (Ariobarzanes) ، والذي منع من دخول المدينة؛ لأنه نفسه كان يتفاوض مع الإسكندر (Alexander) ، وعلي أية حال، فقد قام بتسليم الخزانة التي كان مكلفاً بحراستها إلي الإسكندر (Alexander) (راجع فصل 16-12)، ومن المحتمل أن لقب تيريداتيس (Tiridates) الفارسي كان «جانزابارا».

وللوهلة الأولي، نجد أن المعلومات التي قدمها لنا المؤلفون الهلينيون لا تتعارض مع المعلومات الضئيلة التي استخلصناها من الألواح، فأولاً وقبل كل شيء نجد أنه قد تم ذكر القلاع في مرات عديدة، فلم تكن هذه القلاع (هالماريس) مجرد مراكز لتحصيل وإعادة توزيع المنتجات التي توفرت من الضرائب المفروضة علي الريف، ولكن من المؤكد أنها كانت أيضاً -وبشكل طبيعي- مواقع عسكرية كاملة التجهيزات، والتي خدمت أيضاً كمحطات تبديل لنقل الإشارات السمعية (ديودورس (Diodorus) ، الكتاب التاسع عشر، فقرة 17-6: فيلاكاي)، ويسجل لوحان من الألواح تقديم المؤن (شراب الشعير، الحبوب) إلي «حراس القلعة» (هالماريس نوسكيب) بما فيهم القلعة الموجودة في برسيبولس، وفي إحدي الحالات كانت المجموعة تتكون من (3) فصائل (10* 20 و70 رجل) كانت كل واحدة منهم تحت قيادة قائد مختار، ويجب التمييز بين هؤلاء الجنود وبين الكورتاس الملحقين بالورش الأربعة لإحدي الخزائن (كابنوسكيرا)، أو الكورتاس الذين كانوا

يشرفون علي الورش (لوح التحصينات 874)، وكذلك أيضاً يجب تمييزهم عن حراس الرياض أو العزب الريفيه، والذين كانوا ينتمون أيضاً إلي طائفة الكورتاس (بوهو) .

وعلي الرغم من أن هذه المعلومات محدودة، إلا أنها تثبت -هذا إن كانت هناك ضرورة لذلك- أن الحاميات التي سمعنا عنها في عام 331 لم يتم وضعها فجأة في هذه الأماكن لصد التقدم المقدوني، ولكن هذه المعلومة لا تسمح لنا بمفردها أن نستنتج أي شيء فيما يتعلق بالمكانة السياسية لبلاد فارس في عهد دارا (Darius) الأول، والشيء المحير بشكل واضح هو أنه لم يتم مطلقاً ذكر أي من هؤلاء المرزبانات المسؤولين عن بلاد فارس بصفته الرسمية في الألواح من بين كبار المسؤولين الذين كانوا يحصلون علي أقوات من الإدارة، ومن الصحيح فعلاً أن عدم وجود أي لقب متصل باسم بارناكا (Parnaka) هو ليس أساساً لأي شيء سوي لحجة تقوم علي صمت المصادر، وهذه الحجة هي أقل وضوحاً من المنظور الذي اقترحه بعض المفسرين الذين يشيرون إلي بعض الأشخاص كمرزبانات، مع أنهم لم يحملوا أبداً هذا اللقب؛ وذلك بسبب الدور الذي كانوا يلعبونه في توزيع «الهالمي» علي المسافرين الذين كانوا يستخدمون الطرق الملكية، وعلي الرغم من ذلك، فإن هذه الحجة القائمة علي المصادر ليست بدون سند علي الإطلاق؛ لأن كلمة مرزبان -وكما رأينا- موجودة في سجلات برسيبولس .

وتخبرنا الألواح أيضاً عن وجود مجموعات عديدة من المديرين المكلفين بمهام قضائية وتشريعية، وتشير ثلاثة ألواح علي سبيل المثال إلي كلمة «ساميداكورا»، وهي كلمة تفهم أحياناً علي أنها تعني: «ضباط السلام / الموفقين» (ألواح التحصينات 1311، 1374، 1461)، وقد كان هناك أشخاص آخرون، والذين يبدو أنهم كانوا مكلفين بأداء مهام الشرطة، ويخبرنا أحد الألواح (لوح التحصينات 1272) عن تسليم مؤن

من الخمر إلي شخص معين اسـمه باكابـادا (Bakabada) ، والـذي كـان يسـمي «قـاضي (داتابارا) بارناكا (Parnaka) »، وحيث إنه حصل علي مؤن تكفيـه عشريـن يومـاً، فمـن المحتمل أن وظيفته جعلته يتنقل من مكان إلي آخر في داخل بـلاد فـارس، ولا يجـب أن نصاب بالدهشة علي الإطلاق من تعبير «قـاضي بارناكـا (Parnaka) »، حيـث إننـا نجـد هذه الصيغة نفسها في الألواح البابلية كما في «داتابارو الخاص بأرتاريم (Artareme) »، وهو شخص من الواضح أنه كان يقوم بواجبات ومهام رسـمية (أرتـاريوس (Artarius)/ أرتاريم (Artareme) كان مرزباناً علي بابل)، أو «قـاضي جوبـارو (Gubaru) »، والـذي كان مرزباناً (أو أحد كبار المسؤولين) في إقليم بابل في عهد دارا (Darius) الثاني .

ونعرف من إليـان (Aelian) (الكتـاب الأول، فقـرة 34) أنـه كـان يوجـد قضـاة متنقلـون في بـلاد فـارس في عهـد أرتاكسركسـيس (Artaxerxes) الثـاني، ولكـن مهـام باكابـادا (Bakabada) تبـدو مختلفـة نوعيًّـا عـنهم، ولا يوجـد دليـل عـلي أن باكابـادا (Bakabada) كان في الحقيقة مسؤولاً يقضي في الموقع الذي هـو فيـه باسـم المرزبـان، وفي الحقيقة فإن هذه النظرية سـوف تسـاعدنا في فهـم لمـاذا لم تعـطِ الألـواح بارناكـا (Parnaka) أبداً لقب مرزبان؟ حيث إنه لم يتم تعريفـه مطلقـاً بهـذه الطريقـة، وقـد كانت مهام بارناكا (Parnaka) متنوعة للغاية، ولكنها كانت مقتصرة في الوقـت نفسـه علي إدارة الممتلكات، وإدارة شؤون العمال العاملين في الحكومة، ومن المؤكـد أن هـذا هو الإطار الذي كان يعمل فيه «قاضي بارناكا (Parnaka) »، وفي الحقيقـة فإنـه يبـدو أن كلمة داتا «قانون» في الاستخدام الإداري كانت تشير إلي القواعد التي تحكم سـلوك الموظفين العاملين في الإدارة بما فيها إحصاء حساباتهم المالية (لوح التحصـينات 1980)، وهكذا، فإنـه مـن المحتمـل أن باكابـادا (Bakabada) قـد تـم تكليفـه -باسـم بارناكـا (Parnaka) - بالقيام بالفصل في النزاعـات الداخليـة في الإدارة، وضـمان أن المحاسـبين

ورؤساء المستودعات كانوا ملتزمين بالقواعد والتعليمات المنظمة لوظائفهم، وبهذا المفهوم، فإن العلاقة بين باكابادا (Bakabada) وبين قضاة القضاة المتنقلين الذين تحدث عنهم إليان (Aelian) لا يجب أن تجعلنا نخلط بين وظيفة باكابادا (Bakabada) وبين المهام التي كُلف بها القضاة المتنقلون، حيث إن باكابادا (Bakabada) كان جزءاً من الإدارة العامة، بينما كان ينتمي الآخرون إلي الإدارة الملكية، ولا يجب أن يدفعنا تواضع المؤن اليومية التي كان يحصل عليها (أقل من لتر من شراب الشعير) إلي عدم نسبة مكانة بارزة في الهرم الإداري إليه، ويمكننا أن نستنتج بشكل قاطع أن بارناكا (Parnaka) لم يكن يحمل لا اللقب ولا المسؤوليات الخاصة بالمرزبان بقدر ما يمكننا تعريفها اعتماداً علي تحليلنا للمرزبانات الذين كانوا يحكمون الأقاليم المختلفة الموجودة في إمبراطورية دارا (Darius) (راجع فصل 12) .

ويمكن إضافة ملاحظتين إضافيتين إلي ما سبق، أولاً: هناك شك في أن العائلات الأرستقراطية الكبيرة في فارس كانت تخضع إلي الإدارة نفسها التي كانت مسؤولة عن الإشراف علي حياة وعمل الكورتاس، فقد كانت حياتهم قبلية بدرجة أكبر بالمعني الذي ينسبه هيرودوت (Herodotus) إلي كلمة «جيني» الفارسية (الكتاب الأول، فقرة 125)، ويجب علينا عند هذه النقطة أن نسترجع ما كتبه كوينتوس كورتيوس (Quintus Curtius) عن أوركسينيس (Orxines) في عام 325: «ومن هناك قدم الإسكندر (Alexander) ورفاقه إلي باسارجاداي والتي تعني الجنس الفارسي والتي كان مرزبانها هو أورسينيس (Orsines) » (الكتاب العاشر، فقرة 1-22)، وبالطبع فإن كلمات كوينتوس كورتيوس (Quintus Curtius) غير مؤكدة، وتخبرنا بقية القصة بأن أوركسينيس (Orxines) كان هو شيخ قبيلة باسارجاداي، ولكن في الوقت نفسه، فإن المحتوي الإداري لكلمة «مرزبان» نفسها هو غير أكيد، وبالنظر إلي جميع الملاحظات التي

ذكرناها، فإنه سوف يكون من المفهوم إطلاق لقب المرزبان علي رؤساء العائلات الأرستقراطية الكبيرة والتي بلا شك كانت تسيطر علي الفلاحين الذين يعملون في الأراضي التابعة للقبيلة، ومهما كانت حقيقة هذا الاستخدام (الثانوي) لتلك الكلمة، فإنه من المعقول التفكير في أنه بالتوازي مع التقسيم الإقليمي الخاص بالإدارة التي كان يرأسها بارناكا (Parnaka) ، فإن التقسيم القديم المتعارف عليه عند القبائل والعشائر الفارسية كان لا يزال معمولاً به، وهذا بغض النظر عما إذا كان شيوخهم يحملون لقب «مرزبان» أم لا، وبالإضافة إلي ذلك، فإنه في داخل المجتمع المدني الفارسي استمر ربط اسم القبيلة باسم الجد الأكبر فيها، كما نري في مثال «ماسدايسانا (Masdayasna) المنتمي إلي قبيلة المارافي» (لوح التحصينات 1797) ومعاصريه «أماسيس (Amasis) المنتمي إلي قبيلة المارافي» و«بادريس (Badres) المنتمي إلي قبيلة الباسارجاداي» (هيرودوت (Herodotus) ، الكتاب الرابع، فقرة 167)، وتبعاً لهذه النظرية، فإن إنشاء منصب «مرزبان فارس» فيما بعد عزز إلي حد كبير من السلطة الملكية في فارس نفسها علي حساب السلطة الوراثية لشيوخ القبائل، ولكن تبقي هناك بعض الأمور غير الأكيدة حول هذه النقطة، والتي يلزمنا التأكد منها لتدعيم مثل هذه النظرية.

ويجب أن نضع في اعتبارنا أيضاً أن الحيز الجغرافي والسياسي الذي تغطيه ألواح برسيبولس لا يشمل جميع أجزاء بلاد فارس، فقد كانت العرقيات الفارسية تشتمل علي مجموعات فرعية تقع علي هامش السيادة الملكية نفسها، ومع أن هيرودوت (Herodotus) قد ذكر بعضاً من هذه الجماعات مثل الساجرتيين واليوتيين ضمن الشعوب الدافعة للجزية، إلا أن البعض الآخر لم يتم ذكره وخاصة المارديين والأوكسيين، وقد كانت المجموعة الأولي تعيش في الجبال التي لا تبعد كثيراً عن مركز السلطة الملكية، أما الثانية فكانت تسكن الجبال المتاخمة لكل من سوسيانا وبلاد

فارس بالقرب من منطقة تسيطر عليها الإدارة الملكية بقوة وهي حوض فاهليون، وقد كان كلا الشعبين من البدو الذين لا يتنقلون لمسافة بعيدة، حيث إنهم كانوا مرتبطين بالعمل قي الزراعة في الوادي الأصلي، فعلي سبيل المثال قام أريان (Arrian) بوصف «الأوكسيين سكان الجبل» بهذه الطريقة: «لم يكن لديهم لا المال ولا الأراضي القابلة للزراعة، ولكنهم كانوا في الغالب رعاة (نوميس)» (الكتاب الثالث، فقرة 17-6)، ويكشف مقدار الجزية التي فرضها عليهم الإسكندر (Alexander) عن حجم القطعان التي لديهم: 100 حصان، 500 حيوان من حيوانات النقل، و(30 ألف) رأساً من الأغنام (أريان (Arrian) ، الكتاب الثالث، فقرة 17-6)، ولم يكن الأوكسيين دافعي جزية أو مقدمي هدايا، بل علي العكس من ذلك، وتبعاً للمؤلفين اليونانيين، فلقد كان أباطرة فارس هم الذين يدفعون لهم جزية أو يقدمون لهم هدايا عند عبورهم لأراضيهم (فصل 16-11)، وباختصار فإن هناك استنتاج لا يمكن تجنبه، وهو أن أراضي فارس لم تكن كلها تتم إدارتها بصورة مباشرة من قبل الإدارة التي يرأسها بارناكا (Parnaka) .

البيت الملكي، بلاد فارس، والإمبراطورية: افتراض

عندما أمر دارا (Darius) بأن يتم إعطاء (100) رأس من الأغنام إلي إرتاسدونا (Irtasduna) من بيته (أولهي)، نميل إلي افتراض أنه لم يكن يشير بذلك بشكل عام إلي الممتلكات التي تديرها الإدارة، وأنه كان بدلاً من ذلك يأمر بارناكا (Parnaka) بأن يضيف هذه الحيوانات إلي حساب معين، وكذلك أيضاً فإن الأوامر التي أصدرها كل من أرساميس، إرداباما (Irdabama) ، وإرتاسدونا (Irtasduna) بأن يتم أخذ سلع معينة من بيوتهم (أولهي) وتخصيصها إلي أفراد معينين تبدو كأنها حالة مشابهة، وربما يمكننا أن نتتبع في المصادر القديمة آثار أحد البيوت الملكية ذات الحسابات المنفصلة عن الإدارة المالية العامة،

ونحن نعلم أن الملك الأكبر عندما كان ينتقل إلي الإقامة في أحد المقار الرسمية له كان يصاحبه البلاط بأكمله بما فيه الخزانة الملكية، والتي كان يتم نقلها باستخدام مئات الحيوانات، وليس من المؤكد إذا ما كان من الممكن الخلط بين هذه الخزانة والخزائن الموجودة في عواصم الإمبراطورية، وهي الخزائن نفسها التي قد استولي عليها الإسكندر (Alexander) في عامي 330-331، وعلي أية حال، فإن هذا هو ما اقترحه كاريس المنتمي إلي ميتيلين في إحدي فقراته، والتي استشهد بها أثينيوس (Athenaeus) في مناقشته المستفيضة للترف الخاص بملوك فارس: «بالقرب من السرير الملكي، وخلف رأسه كانت توجد حجرة كبيرة، بحيث كانت تسع خمس أرائك، ولقد كان مخزن بهذه الأرائك (5000) طالن من العملات الذهبية، والتي كانت تملأها تماماً، وكان هذا المبلغ يسمي بالوسادة الملكية، وعند رِجل السرير كانت توجد غرفة أخري تحتوي علي ثلاث أرائك تحتوي علي (3000) طالن من العملات الفضية، وكانت تسمي بمسند القدم الملكي (الكتاب الثاني عشر، فقرة 514 هـ-و) .

ويوضح لنا هذا النص الصيغ التي كان يستخدمها المؤلفون اليونانيون للإشارة إلي العائدات التي كان يخصصها الملك للقائمة الرسمية من الأميرات الفارسيات (الحجاب، حذاء الملكة، الخ)، وهذه المقارنة هي مقارنة مثيرة، حيث إنها تشير في الحقيقة إلي أن الملك كانت لديه خزانة يستخدمها لحاجاته الشخصية، والتي لا يجب أن نخلط بينها وبين الخزائن التي كان يديرها أمناء الخزانة الذين يظهرون في ألواح برسيبولس .

ويقوم هذا التفسير علي الفارق الذي اقترحناه بين (التاجي) وبين الأراضي المنتجة للجزية (فصل 10-7)، فعلي الرغم من أن جميع الأراضي - ما نسميه بالإمبراطورية - كانت ملكاً للملك الفاتح (عن

طريق الجزية التي تحصل منها)، إلا أن أجزاء منها كانت مخصصة له (التـاجي)، كهديـة ينفق منها علي الحاجات الخاصة لبيته، ونقترح نحن بشكل خاص أن بلاد فـارس نفسـها كانت منظمة بالأسلوب نفسه: أي أننا في إطار هـذا البلـد كـان بإمكاننـا أن نميـز وجـود عدة أنواع من الأراضي، هي الأراضي المملوكة للجماعات العرقية المختلفة (إثنـي)، عـزب النبلاء (الذين حصـلوا عليهـا عـن طريـق الوراثـة عـن آبـائهم و/أو كهديـة مـن الملـك)، الأراضي التي تديرها الإدارة، والأراضي الملكية (بالمعني الضيق الـذي أشـارت إليـه كلمـة «تاجي» في مؤلف أرسطو المزيف)، والتاجي هو الظاهرة التي أشارت إليها الألواح التـي تذكر وتحدد الأولهي الملكية، والتي تعرف أيضاً بالبيت الملـكي (أويكيـا باسـيليوس)، وفي الحقيقة، كان التاجي الملكي الفارسي عبارة عن هديـة «دوريـا» بمفهـوم أرسـطو المزيـف (Pseudo-Aristotle) ، أي أنه لم يكن يتم تمييزه في الإطار الكـلي لأراضي الإدارة، حيـث إن الأراضي والقري كان يتم تخصيصها للبيت الملكي، ومن المؤكد أنها كانـت تـتم إدارتهـا من قبل القهرمانات التابعين لهم، وكان يتم استخدام العائدات مـن هـذه الممتلكـات في تغذيـة خزانـة الملـك، كـما أنهـا أدت إلي زيـادة حجـم أوقافـه وثروتـه، وقـد أخـبر دارا (Darius) بارناكـا (Parnaka) بـأن يضـيف الأغنـام المائـة التـي أعطاهـا إلي إرتاسـدونا (Irtasduna) علي هذا الحساب، ويتضمن اقتراحنا - والذي نقدمه هنا فقط علي سـبيل المناقشة- أن الملـك لم يكـن فقـط سـيد الإمبراطوريـة، ولكـن كانـت لـه حيـاة منفصـلة كمواطن مستقل، أو بدلاً من ذلك كـرب بيـت (أولهـي)، ولا يجـب أن يـتم الخلـط بـين الأموال التي تأتي منها وبين ما يعرف عادة بالاقتصاد الملكي .

وربما يعكس هذا الالتباس الموجود في الكلـمات الالتبـاس الموجـود في الموقف، والذي يخلـط ويميـز في الوقـت نفسـه ، حيـث إن معنـي كلمـة « أولهي » لا يمكن أن يتم اختزاله إلي مجرد عزبة ريفيـه بالتقابـل مـع عزبـة

عاملة «إرماتام»، والتي تمثل الروضة الملكية أحد الأمثلة الشهيرة عليها، وفي الأساس، فإنه من المؤكد أن البيت الملكي كان يتكون من ممتلكات الأسرة مثل أي بيت آخر من بيوت النبلاء (أويكوس: هيرودوت (Herodotus) ، الكتاب الثالث، فقرة 119، فصل 4-8)، وقد كان يتم تدعيم البيت الملكي في الأساس بالمنتجات الواردة من الجزء الذي يعني الأصل الاشتقاقي لمعناه «جزء الملك»، والذي كان يتم دفعه إلي الملك في صورة «هدية» وفقاً لعملية من المحتمل أنه قد تمت الإشارة إليها من بعيد في «العادات الفارسية (نوموس برسيكوس)» التي قام إليان (Aelian) بتحديدها بعناية شديدة (الكتاب الأول، فقرة 31، فصل 10-3)، وفي الحقيقة، فإن هذا هو المعني الأصلي لكلمة «باجي بازيس»، ولا بد أن هذا التقسيم كان قديماً جدًّا، حيث إن كلمة «بازيس» تظهر في اسم الشهر الفارسي الخامس (يوليو-أغسطس) الذي يسمي درنابازيس أي «شهر البازيس (المحصول)»، وفي إطار عملية تعزيز السلطة الملكية استمر استخدام كلمة بازيس، ولو أنها قد أصبحت تستخدم للإشارة إلي واحدة فقط من الضرائب المالية .

ولا يعني هذا الافتراض أنه كان يوجد اقتصادان منفصلان تماماً عن بعضهما البعض، فقد كان بارناكا (Parnaka) هو الذي أمره دارا (Darius) بأخذ الغنم من الأولهي الخاصة به، ونقلها إلي حساب إرتاسدونا (Irtasduna) ، وفي الحقيقة، فإن بيت الملك كانت لديه موارد أخري غير تلك التي تأتي من عزب معينة، حيث كان يتم في كل عام تخصيص جزء من الإنتاج أو الربح ووضعه في حساب خاص تابع لبيت الملك، وعلي الرغم من الأنشطة التي كان يؤديها بعض الموظفين «الملحقين ببيت الملك»، إلا أن المديرين الذين يعملون مباشرة لحساب بارناكا (Parnaka) كانوا يؤدون العديد من الوظائف هناك، حتي الراعي الملكي «أوميزا (Umizza) » نفسه يبدو أنه كانت له علاقات هرمية (غير واضحة) مع

ميسومانيا والذي -بتفويض مـن هارينـا (Harrena) (ألـواح التحصـينات 267، 2070)- كان يتولي مسؤوليات في إدارة القطعان (ألـواح التحصـينات 267، 2012)، والشيء الـذي يجعل التفسير صعباً إلي هذه الدرجة هو أن البيوت -بيت الملك وبيوت الأمراء- قـد تـم دمجها في الوقت نفسه، وبأشـكال مختلفـة في إطـار الإقتصـاد الملـكي؛ وذلـك لأن هـؤلاء الأمراء والأميرات كانوا يستمتعون بعائدات بيـوتهم بـإذن وموافقـة مـن الملـك تحديـداً، تماماً مثلما كان بارناكا (Parnaka) يتمتع بسلطته تلك بتفويض من الملـك، وبشـكل مـا، ونتيجة لمنصبه وجـد بارناكـا (Parnaka) نفسـه في النقطـة التـي يلتقـي فيهـا المجـالان اللذان يسيطر عليهما الملك دون أن يفصل بينهما بوضوح، ونميل عنـد هـذه النقطـة إلي الاعتقاد بأن هذه كانت هي الحقيقة التي ألمح إليها دارا (Darius) عندما قام في وقـت واحد بالتمييز والجمع في صيغة مكثفة بين العنصرين المتمثلين في بلـدة (داهيـو = بـلاد فارس) وبيته (فيث = أويكوس) .

ومن وجهة نظر تاريخية، يمكننا أن نسأل أخيراً إذا كان هذا الالتباس في المفـردات المستخدمة ناشئاً أيضاً عن الولادة والتطور (الصعب والمتضارب) للجهاز الإداري للدولـة، والذي نشأ في عالم كان ينظر إليه في النهاية علي أنه من الممتلكات الخاصة بالملـك، وقـد تم المزج في إطار ديناميكية الجزيـة بـين الـنماذج الأيديولوجيـة والحقـائق الاقتصـادية/ السياسية؛ لأنه عن طريق الجزية والهدايا والرسوم، كشف الملك ومارس سـلطته التـي لا ينازعه فيها أحد ليس علي الأراضي نفسها بقدر ما هو عـلي الـثروة التـي ينتجهـا العمـل الذي يقوم به المواطنون الخاضعون له .

11- التحول:

إن تركيبة الاقتصاد الملكي -كما كان يراها أحـد الكتـاب اليونـانيون في نهاية القرن الرابع في آسيا الصغري- كانت تشبه كثيراً الطريقـة التـي

كانت عليها قبل ذلك بقرنين من الزمان في بلاد فارس أو في مصر الأخمينية، وتتكشف التنظيمات الإقليمية -من خلال تحليلها في ضوء المعلومات التي تقدمها لنا ألواح برسيبولس- عن ترابط وتماسك داخلي لا يمكن إنكاره، ويمتاز هذا الاستنتاج بأنه يرجع العالمية والتنوع الكبير الذي كانت تتميز به الإمبراطوية إلي ما كان ينظر إليه في العادة علي أنه مجرد تقرير عن الدخل المحلي، وقد رأينا علي وجه الخصوص المساهمة الكبيرة التي قدمتها الوثائق الآرامية الموجودة في مصر إلي هذه الحجة، وفي الحقيقة، فإنه لا يوجد سبب تاريخي قاطع لاعتبار أن مصر كانت حالة خاصة في إطار الإمبراطورية الأخمينية، بل علي العكس من ذلك، فإن الأدلة الواردة من مصر تكشف بصورة كاملة عن نقاط القصور الموجودة في هذا الادعاء الذي يقوم بشكل تلقائي بالربط بين كمية الوثائق الموجودة في إحدي البلاد، وبين الدرجة التي تم بها دمج هذا البلد في إطار البنية الإمبراطورية، وفي الحقيقة -وبالنظر إلي أن كمية الأدلة هي أمر عرضي بحت- فإن مصر كانت البلد الوحيد الذي نجح في أن يفصل نفسه سياسيًّا عن مركز الإمبراطورية ولمدة جيلين كاملين؟ وعلي الرغم من الفجوات الموجودة في الوثائق، ومهما كانت الخصوصيات المحلية التي تميزها، فإننا يمكننا -وبشكل منطقي- أن نفترض أن إدارة الممتلكات الملكية كان يتم تنظيمها بصورة مماثلة في كل مرزبانية من مرزبانيات الإمبراطورية، ويدفعنا كل من التوافق الواضح الذي يتسم به تحليل أرسطو المزيف (Pseudo-Aristotle) والمعلومات التي تقدمها لنا الوثائق المصرية والبابلية ونموذج برسيبولس إلي الاعتقاد بأن هذا النظام كان معمولاً به منذ وقت دارا (Darius) الأول .

ولا تعني هذه الملاحظات أن ضرورة تنصيب آلة إدارية إمبراطورية قد أدي إلي محو التقاليد والعادات المحلية في المجالات الاجتماعية والاقتصادية والثقافيه علي وجه الخصوص وبشكل مستمر ، ومن

الواضح علي سبيل المثال أن وجود طائفة تسمي جاردو لم يؤدِّ إلي طمس أو محو الطوائف الأخري من العمال الموجودين في بابل، حيث إننا في الفترة الأخمينية -كما في الفترات السابقة- نقابل في بابل عدداً من العمال الأحرار والملاك مساوٍ للعدد نفسه الذي نجده من العبيد والمجموعات الأخري التابعة (والتي كانت مرتبطة غالباً باقتصاد الهياكل)، والذين كانت مكانتهم «تقع بين مكانة الأحرار والعبيد»، وهذه هي الصيغة الشهيرة التي وضعها واضع المعاجم المسمي بولوكس للتعبير عن حالهم، وبمعني آخر، فإن المنظور الذي تم تبنيه هنا لا يزيل أو يطمس المنظورات الأخري، ولكنه يضفي عليها أهمية أكبر، وقد تمت إثارة هذا الاستقصاء، والبدء في منافشته بالفعل خلال الفصل السابق (فصل 10-7)، وسوف تتم مواصلته بشكل منتظم.

الفصل الثاني عشر

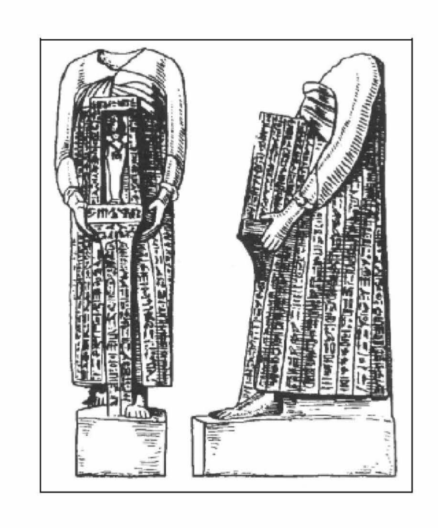
ملك الأراضين

1- دارا Darius ومصر:

المرزبان والمرزبانية:

إن ما يتوافر لدينا من مصادر عن سياسة دارا Darius في مصر غزير ومتنوع، حيث إن النصوص المكتوبة باللغات المصرية، والآرامية، واليونانية، بالإضافة إلي المعلومات الأثرية (مثل تمثال دارا Darius ، الصور والتماثيل، الألواح الحجرية التي تحمل نقوشاً تذكارية، والنواويس)، تشهد كلها وبوضوح علي الأنشطة المتعددة التي قام بها دارا Darius علي ضفاف النيل، وفي الصحراء الشرقية والغربية والتي تمثلت في بناء الهياكل وصياغة أو وضع قانون لمصر، وحفر قناة تربط بين النيل والبحر الأحمر إلي غير ذلك من الأعمال والأنشطة الأخري، ومهما كانت الشكوك التي توجد حول الملابسات التي أدت إلي حدوث ثورة في مصر عام 522 فإنه من الواضح أن دارا Darius قام في ذلك الوقت بتولية أرياندیس Aryandes كمرزبان علي مصر، وأن أرياندیس Aryandes ظل يحكمها حتي عام 510، وهو التاريخ الذي تم فيه خلعه وقتله في ظل ظروف وملابسات لم توضحها رواية هيرودوت Herodotus بشكل كامل (الكتاب 4-166)، وفي الحقيقة فإن النصوص التي كتبت

باللغة الديموطيقية توضح أن فاراندا تيس Pharandates قـام في عـام 492 بتـولي مهـام المرزبـان (بـرلين أ. 15339-15340)، وذلـك عـام 484 عنـدما قـام كسركسـيس Xerxes بتعيـين أخيـه أخيمينـيس Achaemenes مرزبانـاً عـلي مصر (هـيرودوت Herodotus الكتاب 7-7) .



الشكل 44

وبعـد قيـام قمبيـز Cambyses بغـزو مصر، تم اختيار مدينة منف لتكون مقراً لبلاط مرزبـان مصر، ولتكـون مركـزاً لكـل المكاتـب (الوزارات) والفروع الإداريـة المختلفـة، وكانـت هنـاك حاميـة مـن الجنـود الفـرس والقـوات التابعة لهم، وكانوا يتمركزون في القلعة أو هذه الحامية بالمؤن، فرض عـلي المصريـين دفـع 120 ألف بوشل من القمح، هذا بالإضافة إلي الجزية (هـيرودوت Herodotus الكتـاب 3-91)، ولم يتعرض التنظيم الأساسي لأراضي مصر الذي كان يتمثل في القـري والنومـات لأي تغيـير واضح، ولكن كانت مصر مقسمة تحـت السـلطة العليـا لمنـف إلي عـدد مـن المقاطعـات، والتي كانت تسميها النصوص الآرامية التي كتبت في القرن الخامس «أقاليم» (مدينة) .

وتوضح الوثائق الآرامية أن المقاطعة الجنوبية المعروفة بـ (تستريس)

قد اتخذت من جزيرة فيلة عاصمة لها، وقد كانت إقليماً مستقلاً عن إقليم طيبة (DAE 55[AP24]) ، وكانت هناك حامية تتمركز في حصن Syene الذي يقع في مواجهة جزيرة فيلة، وكان علي قمة التسلسل الهرمي للسلطة في هذا الإقليم الفراتاراكا أي الحاكم، والذي كان يعيش في جزيرة فيلة وكان يتبع المرزبان، وهناك أيضاً قائد الحامية الذي كان يعرف بـ(الراب هيلا) وكان يقطن في Syene ، ويظهر اسم أول قائد نعرفه للحامية في إحدي أوراق البردي المكتوبة باللغة الآرامية والتي يعود تاريخها لعام 495، وهي عبارة عن حوار بين ثلاثة نساء من أصل يهودي، وفيه تشير السيدتان الأوليان إلي «نصف الحصة التي قد منحنا إياها قضاة الملك والقائد رافاكا» (DAE 2[AP11]) ، ومما لا شك فيه أن منصب «القائد» هذا كان يشغله واحد من «البارنو»، أي شخص هندي أو إيراني والذي كان اسمه مذكوراً في بعض أوراق البردي المكتوبة باللغة الديموطيقية التي يعود تاريخها إلي عام 487، 486 وقد تم تعيينه «كممثل للمقاطعة الجنوبية، وعُهِدَ إليه بإدارة الحصن الموجود في Syene » (برلين. أ13582، ب. لويب (1))، ومن المحتمل جدًّا أن قرار رافاكا كان يتعلق بجزء من الحصة أو (المنن) التي خصصتها الإدارة للجنود المستعمرين الموجودين في جزيرة فيلة، والتي كانت تحتوي علي مؤن الجند مثل المواد الغذائية (بتب) والفضة الموزونة (برس)، وهناك دلالات تشهد علي التدخل المتكرر للسلطات الأخمينية في الشؤون القضائية الخاصة والمدنية، فمثلاً يطالب أعضاء المجتمع اليهودي في جزيرة فيلة -في التماس لهم (410، Ca) - بأن يقوم القضاة وأفراد الشرطة والمرشدون (الجوساكا) المسؤولون عن الإقليم الجنوبي بإجراء استقصاء (DAE 101[AP27]) .

وكان علي القوات والحامية الموجودين في جزيرة فيلة وحصن Syene الذي يقع مباشرة أعلي الشلال الأول، الحفاظ علي النظام كجزء

من مهمتهم وفي الوقت نفسه كان يتوجب عليهم حراسة الحدود الجنوبية مع النوبة، وعلي الرغم من ذلك فإن الحدود مع النوبة لم تكن مغلقة تماماً كما نستنتج من إحدي الوثائق التي تتحدث عن شخص من البارنو، والتي تشير إلي قافلة من القمح قادمة من جنوب الشلال الأول (ب. لويب (1)) .

عودة أودجاهورسنت Udjahorresnet إلي سيس:

تشهد الوثائق المصرية -فوق كل ذلك- علي وجود درجة معقولة من الاتصال من عهد قمبيز Cambyses وصولاً إلي دارا Darius ، وتأتي أقدم الأدلة التي لدينا -والتي من المؤكد أنها متحيزة- من السيرة الذاتية لأودجاهورسنت Udjahorresnet المشهور الذي ظهر علي الساحة بعد غزو قمبيز Cambyses لمصر في عام 525، ويبدو أنه قد رافق قمبيز Cambyses عندما رحل عن مصر عام 522، ولكنه وجد نفسه بعد ذلك في حاشية دارا Darius ، والذي سرعان ما أرسله ثانيةً إلي وادي النيل (شكل 44)، وقد كتب: «عظمة السلطان دارا Darius ، سلطان مصر العليا والسفلي، أطال الله عمره إلي أبد الآبدين أمرني بالعودة إلي مصر بينما كان عظمته في إيلام، وعندما كان الملك الأكبر لكل البلاد الأجنبية والعاهل العظيم لمصر يقوم بإعادة تنظيم مؤسسة ديوان المخطوطات بعد تدميرها، ولقد حملني البربريون من بلد إلي بلد حتي أوصلوني في النهاية إلي مصر كما أمر بذلك سيد الأراضين (بوسنر Posener رقم1 (E)) .

وهكذا، ومثل نهتيهور Nehtihor قهرمان أرسامة الذي عاد إلي مصر «ماراً بإقليم بعد إقليم» (DAE 67[AP6]) ، قام أودجاهورسنت Udjahorresnet متسلحاً بالتفويض الملكي بالاستعانة بالخدمات الرسمية للعودة إلي وادي النيل «ماراً ببلد بعد الآخر»، ويكتب أنه قام هناك بإعادة تنظيم وبناء المؤسسة المنوط بها تدريس الطب (بيت الحياة) وتزويد التلاميذ بكل ما يلزمهم لمتابعة دراستهم» كما كانت في السابق» ويقول

المصري محدداً: لقد قام جلالته بفعل ذلك لأنه أدرك مدي فائدة ونفع هذا الفن ومـدي ضرورته لإحياء كل شخص مريض»، وقد رأينـا بالفعـل كيـف أن الأطبـاء المصريـين كـانوا يحظون بتقدير كبير في بلاط الأخمينيـين (الفصـل السـابع 2)، وقـد تـم إحضـارهم دون غيرهم إلي دارا Darius عندما أصـيب بـالتواء عنيـف ومفـاجئ بيـنما كـان يترجـل عـن جواده خلال إحدي رحلات الصيد، وذلك «لما كان لهم من شهرة واسعة بـأنهم الأبـرز في مهنتهم هذه» (هيرودوت Herodotus الكتاب الثالـث- 129)، ويؤكـد أودجاهورسـنت Udjahorresnet أن أعمال الترمـيم والتجديـد والتـي تـم البـدء فيهـا بمبـادرة مـن دارا Darius اشتملت علي هيكل الإلهة نيث بالكامل والموجود في سيس، حيث يقـول «قـام جلالته بفعل هذا ليحفظ أسماء الآلهة ومعابدها والعائـدات التـي تـأتي مـن ممتلكاتهـا الموقوفة، وللحفاظ علي واحترام احتفالاتها إلي الأبد»، ومن وجهـة نظـر أودجاهورسـنت Udjahorresnet فإن دارا Darius هكذا أكمل ما بدأه قمبيز Cambyses والذي أظهر تقوي واحتراماً واضحين تجاه الإلهة نيث .

دارا Darius والقوانين المصرية:

قام دارا Darius في التاريخ نفسه تقريباً، أي عام 519 بإرسال رسـالة إلي مرزبـان مصر، والتي نعرف محتواها بشكل جزئي مـن نـص كُتِـبَ خلـف التقـويم الـديموطيقي، وفيها يأمر دارا Darius المرزبـان الـذي ولاه عـلي مصر بجمـع حكـماء المصريـين الـذين سيتم اختيارهم من بين الكهنة والمحـاربين والكتبـة، وأن يصـدر إلـيهم تعلـيمات بجمـع وتدوين جميع القوانين المصرية القديمة من البداية وحتي السنة الرابعـة والأربعـين مـن حكم الفرعون Amasis ، أي حتي عام 526 عشية الغـزو الأخمينـي لمصر، وقـد اسـتمر عمل هذه اللجنة 16 عاماً (519-603)، وأعـدت نسـختين مـن عملهـا إحـداهما باللغـة الديموطيقية والأخري باللغة الآرامية .

ولا يذكر النص بالتفصيل الدقيق محتـوي الكتـاب الـذي أعـدوه،

ولكنـه يميـز فقـط بـين القـانون العـام «(أو الدسـتوري) «وقـانون المعابـد» «والقـانون الخاص»، وسوف يكون من المفيد القيام بمقارنـة هـذا الـنص مـع برديـات أخـري تعـود للـعصر البطلمـي، والتـي تـم تكوينهـا عـلي غـرار قـوانين دارا Darius ، وإحـدي هـذه البرديات مكتوبـة باللغـة الديموطيقيـة وتعـرف بــ«قـوانين هيرموبـوليس غـرب»، وهـي ليست قوانين بالمعني الحرفي للكلمة بل هي أكثر مـن ذلـك، حيـث إنهـا مجموعـة مـن السـوابق القانونيـة التـي تتنـاول في الأسـاس النزاعـات حـول الإيجـارات والممتلكـات، ويستطيع القاضي أن يجد بسهولة المسار الذي سـيتبعه في أيـة قضـية قـد يتعـرض لهـا، ومن الأكيد بصورة عملية أن هذه المجموعات من القوانين قد تمت مراجعتهـا مـن قبـل رجال الدين والذين من المتاح لهم الحصول علي الوثائق المحفوظة في بيوت الحياة مثـل بيت الحياة الذي قام أودجاهورسنت Udjahorresnet بترميمه وتجديده .

فارانداتيس Pharandates هيكل الإلهة خنوم في جزيرة فيلة:

لقد كان حل المنازعات وبشكل واضح هو أحد الأدوار الشائعة التي قـام بهـا دارا Darius وحاكمه الذي عينه علي مصر، وهكـذا تـدخلا في قضـية تتعلـق بهيكـل الإلهـة خنوم في جزيرة فيلة فيما بعـد في عـامي 492-491، وتشـهد رسـالتان مكتوبتـان باللغـة الديموطيقيـة عـلي أن العلاقـة بـين المجلـس الإداري لهـذا الهيكـل وبـين شـخص يـدعي فارانداتيس Pharandates «والـذي عُهِـدَ إليـه بـإدارة شـؤون مصر» (بـرلين. أ 15339-15340)، ولا يمكن أن يكون ذلك سوي إشارة للمرزبان خليفـة أريانـديس Aryandes ، وتتمثل القضية موضع المناقشة هنا في اختيار Lesonis لمعبد لجزيرة فيلة، و Lesonis هذا ليس كاهناً بالمعني الدقيق ولكنه مدير لأملاك المعبد، وهو يشبه Neocore أي مدير لأحـد المعابد اليونانية، وفي الرسالة الأولي يـذكر فارانـداتيس Pharandates مجمـع كهنـة الإلهـة خنوم بـالشروط الأخلاقيـة والاجتماعيـة التـي يجـب توافرهـا في المرشـحين لهـذه الوظيفـة

والتي يجب أن يتم التفكير فيها بما يتوافق مع ما أمر به الفرعـون دارا Darius ، وبعـد ثمانية شهور كتب كهنـة خنـوم إلي فارانـداتيس Pharandates دون الإشـارة مبـاشرة إلي رسالة المرزبان السابقة وأعلموه باسم الشخص الذي اختاروه .

وهكذا فإن تدخل دارا Darius وممثله في مصر لم يكن مهمـة شـاقة أو مرهقـة، ولكي يتم التحكم في استخدام التواريخ الدقيقة للرسـائل ومحتواهـا فـإن كهنـة خنـوم لم يقوموا بالمعني الحرفي بتقديم مرشحهم للحصول علي موافقة الحكومة عليه، ولكن كـل ما فعلـوه هـو أنهـم قـاموا بنقـل اسـم المرشـح الـذي اختـاروه إلي المرزبـان، وقـد كـان فارانداتيس Pharandates مسروراً بالتذكير السابق بأن عملية الاختيار يجب أن تتوافق مع الشروط المعروفـة لكـلا الطـرفين، ومـما لا شـك فيـه أن فارانـداتيس Pharandates بفعله هذا، كان ببسـاطة يكـرر دوراً كـان مـن المسـؤوليات التقليديـة للفرعـون، وهـي حقيقة عكسها اسم «دارا Darius الفرعون».

بالإضافة إلي ذلك، فإن الـنص المشـهور المسمــي بــ «الـتماس بيتيسـيس Peteisis » يبدو أنه يضع حدوداً لاستخدام السـلطة الملكيـة في هـذه المجـالات، ففـي السـنة التاسـعة لحكم دارا 512) Darius) قام أحمس Ahmose بسجن بيتيسيس Peteisis الثالـث الـذي أجري استقصاء في El-Hibeh (Teuzoi) جنباً إلي جنب مع Lesonis Zeubestefonk ابن جينهارو Jenharou ، وقد كان بيتيس Peteisis يعمل كأحد كتبـة المعبـد في ذلـك الوقـت، وقد تم رفع تقريره هذه إلي الحاكم (مرزبان منف)، وبعد ذلك بوقـت قصـير جـاء Pkiop إلي El-hibeh وقام بشجب ما فعله بيتيسيس Peteisis أمام الكهنة، «وقام أيضـاً بالإضـافة إلي ذلك بإعفاء Lesonis من واجباته، وزج به في السجن وأحكم إغـلاق بـاب السـجن، ثـم قام بعد ذلك بتعيين جينهارو Jenharou ابن بيتيهابي Petehahapi في منصب Lesonis »،

وبعد مواجهة صعاب عديدة، تمكن بيتيسيس Peteisis من أن يحظي بفرصة استماع الحاكم إلي شكواه، وقد قام بيتيسيس Peteisis بتقديم اتهامات إليه حول أنشطة كهنة Teuzoi ، وعندما عاد بيتيسيس Peteisis وجد بيته قد احترق، ثم عاد الحاكم للكهنة للاجتماع في منف وكان Lesonis هو الوحيد الذي أجاب هذه الدعوة وحضر، وقد تمت معاقبته بخمسين ضربة عصا، ولكن سمح له في النهاية بالعودة إلي Zeuzio برفقة بيتيسيس Peteisis الذي لم يستطع الحصول علي حقوقه رغم وعود Lesonis (ب. ريلاندز 4) .

دارا Darius في معبد هيبيس (الخارجة):

يمكن ملاحظة نشاطات دارا Darius التشييدية في عدد من المواقع في مصر، ففي الكاب -هيكل الملك الأكبر في جنوب مصر- وهو المكان الذي تلقي فيه حورس Horus الفرعون الجديد التاج الأبيض، قام دارا Darius في هذا المكان بإعادة بناء المعبد، ويوجد علي أحد الأوزان المقابلة الموجودة في الكرنك كتابات تم وصف دارا Darius فيها بـ«محبوب هاروريس» والذي كان إلهاً لجنوب مصر، وأيضاً تحمل قطعة من الأوراق الطقسية نقشاً باسم دارا Darius ، وقد وجد حديثاً في الهيكل نفسه نصف عمود منقوش عليه اسم دارا Darius «إنه هو الذي قام بممارسة الطقوس، ملك مصر العليا والسفلي، دارا Darius » ومظاهر تواجد دارا Darius بارزة ومهمة بشكل خاص في واحة الخارجة، والتي تقع علي بعد 200 كم غرب وادي النيل علي دائرة العرض نفسها التي تقع عليها الأقصر، حيث وُجِدَ هناك معبد مبني علي الطراز المصري، وهو المعبد السليم الوحيد المعروف الذي ينتمي إلي العصر البطلمي، وقد كان الفرعون الأخير من أسرة سايتي هو أول من بدأ العمل في هذا المعبد، ولكن يعود تاريخ الجزء الأعظم من أعمال التشييد فيه إلي دارا Darius ، حيث تم تكريس هذا الهيكل الذي تم تزيينه بتماثيل لمئات من المعبودات

المصرية بشكل رئيس للإله آمون رع، وقد ظهر دارا Darius بمظهر الفرعون في أماكن عديدة، وفيها يرتدي التيجان وباقي الملحقات التقليدية التي تمثل قرابين متنوعة لآلهة البانتيون المصري (البخور، الخمر، الماء، الأرض)، وتم نقش اثنين من الأناشيد الدينية للإله آمون والابتهالات هناك، بالإضافة إلي ابتهال للشمس والذي قام الملك بتلاوته أثناء تأدية المراسم.

وقد تمت تحية الملك بما فيها بهذه الطريقة: «سيد التيجان، ابن الإله آمون، وآلهة مصر، ملك مصر العليا والسفلي، نور رع، ابن رع الذي يحب دارا Darius ، أطال الله عمره إلي الأبد، محبوب الإله آمون رع سيد هيبيس، الإله العظيم والقوي، أطال الله عمره إلي الأبد»، وتوجد علي الجدار الخارجي نقوش متعددة تحتفي بأعمال دارا Darius الإنشائية، وقد قام الإله آمون رع بإظهار رضاه كما يلي: ظهر قرص آمون رع في قوة الحياة في الصباح، مضيئاً الأراضين بإشراق عينيه، الآلهة مبتهجة، لقد شاهد الغرف المريحة والفخمة والثمينة الموجودة في معبده، ولا يوجد أمير آخر له عظمة ملك مصر العليا والسفلي، دارا Darius ، ابن الإله رع والملك علي جميع أمراء البلاد الأجنبية، وقام دارا Darius ببناء هذا المعبد تخليداً لوالده أمينيبيس Amenebis الإله العظيم ذي القوة الكبيرة، وقد بناه من الحجر الأبيض الجيد المجلوب من «مسكا» مكان الخلود، والذي قام سيشار ببناء جدرانه، وقد بذل لتحقيق ذلك جهداً وعملاً يناسب الأبدية، وقام بزخرفته «ريسي إنبيف» الذي جمل بواباته بحيث تسطع عليها الشمس دائماً.

وتصور العديد من النقوش والصور البارزة العلاقات المتميزة بين الآلهة والفرعون والذي كان في هذه الحالة هو دارا Darius ، فعلي سبيل المثال الألواح الأربعة المعروضة علي الجدار الشرقي للقاعة (ب) المرفوع سقفها علي أعمدة، تظهر هذه الألواح دارا Darius مع آلهة معينة: حيث يأخذ الإله موت Mut بيد الملك وينفخ الحياة في

منخاريه، ونري أيضاً الإله إيمي-ويت وهو يمد صولجانه باتجاه منخاري دارا Darius ، وبالأسفل نجد إيزيس وهي تعانق دارا Darius مخاطبة إياه بابنها المحبوب، بالإضافة إلي ذلك نجد الإلهة نيث إلهة سيث، وهي ترعي دارا Darius وهو صغير، بينما أمسك الإلهة حتحور إلهة هيبيس به من ذراعيه، ويوجد نصان يشرحان هذا المشهد: «كلمات تنطقها نيث العظيمة، الأم المقدسة وسيدة سيس التي تسكن في هيبيس»، و(خلفها): «ضع أيها الشاب حلمتي ثدييها في فمك؛ فهي الإلهة القوية التي تتزعم سيس»، ويتكرر هذا المشهد نفسه في الحجرة (L) من حجرات الهيكل: كلمات تتفوه بها نيث العظيمة، سيدة سيث: «أنا أرضع جسدك من لبني بالطريقة نفسها التي تقوم فيها بجمع الأرضيين والرخيت (مواطنيها) كلهم وضمهم إلي صدرك، يا بني!، وأيضاً في القاعة ذات الأعمدة (N) حيث نري الإله Mut وهو يرعي دارا Darius ، ويقوم هذا الطقس الفرعوني المشهور بإضفاء مكانة مقدسة علي الملك الجديد .

دارا Darius وهليوبوليس:

إن أحد الأشياء المهمة التي تم نشرها مؤخراً هو تمثال دارا Darius شكل (19)، وقد تم وضعه في النهاية علي مدخل بوابة صوصا المعروفة «ببوابة دارا Darius »، ولكن وكما توضح إحدي الشهادات الصادرة عن دارا Darius نفسه فإن التمثال قد أتي من مصر حيث تم نحته هناك، وقد تم نقش أربعة نصوص باللغة الهيروغليفيه علي قطع من الحزام، وعلي طيات التنك، وعلي حافة القاعدة، ويشير أحدها إلي أن: الصورة التي تم رسمها عن الشكل الدقيق للإله المثالي سيد الأراضين والتي أمر جلالته بإعدادها لتكون أثراً له يخلده إلي الأبد وحتي يتم تذكر شكله أمام أبيه (أتوم) هليوبوليتان سيد الأراضين ورع هاراختي (عبدة آمون) إلي الأبد، لعله يعطيه في مقابل ذلك كل الحياة وكل القوة، وكل الصحة والفرحة التي يستمتع بها الإله رع .

ويقوم أطول هذه النصوص بتوضيح -بدرجة أكبر- الروابط الموجودة بين دارا Darius وأتوم، وحتي بالطريقة التي تمزج بها بين الألقاب الفرعونية والفارسية: «ملك مصر العليا والسفلي، سيد الأراضين، الدرويش أحياه الله إلي الأبد! الملك الأكبر، ملك الملوك، السيد الأسمي للأرض بأكملها ابن أبو الإله (Hystaspes Wishtapa) الأخميني الذي ظهر كملك علي مصر العليا والسفلي، وجلس علي العرش الذي حكم حورس Horus الأحياء من عليه، وهو مثل رع يعلو علي الآلهة جميعاً إلي الأبد».

يضفي الإله قوة عالمية علي دارا Darius :

أنا أعطيك كل البلاد التي تحتوي علي السهول والجبال، كلها موحدة تحت نعليك، أعطيك مصر العليا والسفلي، وأجعل الناس يعشقون وجهك الوسيم إلي الأبد مثلما هو الحال مع رع .

شهرة دارا Darius الفرعونية:

في كل مرة تصور المصادر القديمة دارا Darius كفرعون يحترم -بدرجة كبيرة- عادات مواطنيه المصريين، وذلك علي العكس من سلوكيات قمبيز Cambyses ، وهكذا فإن تمثال دارا Darius في صوصا يجعلنا نفكر فيما كتبه كل من هيرودوت Herodotus (الكتاب الثاني 110) وديودورس Diodorus سيكيولس Diodorus Siculus (الكتاب الأول 58-4) عن العلاقات التي كانت بين دارا Darius وكهنة هيكل هيناماسيتس (بتاح) في منف، حيث إن هذا الهيكل -كما يقول المؤلفون اليونانيون- هو المكان الذي تم فيه وضع الصور والنقوش والمنحوتات البارزة التي تمجد المآثر والأعمال البطولية للفرعون سيزوستريس Sesostris ، والذي اشتهر بغزواته الآسيوية، وقد تمني دارا Darius أن يضع تمثاله فوق تمثال الفرعون سيزوستريس Sesostris ، ولم يسمع الكهنة بمثل هذا الشئ: «وقد عارض كبير الكهنة (أرخيهيريوس) ذلك في خطاب له ألقاه أمام مؤتمر

للكهنـة، وكـان يـري أن أعـمال دارا Darius لم تتفـوق بعـد عـلي أعـمال سيزوسـتريس Sesostris »، ويبدو أن دارا Darius قد تقبل ذلك وعدل عن خطتـه مؤقتـاً، وإذا كـان لهذا التقليد الشعبي أي معني فإنه يشير إلي أن دارا Darius حـاول في مصر أن يسـتغل لمصـلحته الهيبـة والمكانـة التـي كانـت للفراعنـة السـابقين، وعـلي وجـه الخصـوص سيزوسـتريس Sesostris الـذي قدمـه كـل مـن هـيرودوت Herodotus وديـودورس Diodorus علي أنه أعظم الفاتحين والمديرين، حيث إنه وقبل أن يشرع في غـزو العـالم المأهول بالسكان، «قام سيزوسـتريس Sesostris بتقسـيم أراضي مصر بالكامـل إلي (36) جزءاً والتي يسميها المصريون نومات، وولي علي كل واحدة منها حـاكماً تتمثـل واجباتـه في الإشراف علي جميع العائـدات الملكيـة، وإدارة جميـع شـؤون إقليمـه»، ولقـد أحـاط نفسه بمجموعة من الرجال من جيله والذين كان يثق في إخلاصهم الكامل لـه وتفـانيهم في خدمته: «وقام بمنح كل هؤلاء القادة قطعاً من أفضل أراضي مصر؛ وذلك لكي يتمتعوا بدخل كافٍ، ولا يشعروا بأنه ينقصهم أي شيء، مـما سـيجعلهم يمارسـون فنـون الحـرب بكد ومثابرة»، وقد شملت فتوحاته مساحة شاسعة من الأرض، حيث إنهـا امتـدت مـن Ganges وحتي نهر الدانوب شمالاً، وقد قام بغزو إقلـيم طراقيـا Thrace وأيضـاً بـاقي أجـزاء قـارة آسـيا ومعظـم جـزر Cyclades ، وقـام بتشـييد أعمـدة في طراقيـا Thrace محفور عليها أشكال للشـعوب التـي غزاهـا، «وتعامـل بلطـف مـع كـل الشـعوب التـي غزاها، وبعد أن أكمل حملته التي استمرت تسعة أعوام، أمرهم بـأن يقـدموا هـدايا إلي مصر كل عام كل علي حسب مقدرته (كاتـا دينـامين)» (ديـودورس Diodorus الكتـاب الأول 54- 55)، ومرة أخري يؤكد ديودورس Diodorus عـلي الإنجـازات التـي قـام بهـا هذا الفرعون في وقت السلم باستخدام ما توفر له مـن عـمال بعـد حملاتـه العسـكرية هذه، «وقد قام بحفر قنوات كاملة في المنطقة من منف وحتي البحر، وتصب كل هـذه

القنوات في النيل، وكان الغرض من وراء حفر مثل هذه القنوات تسهيل نقل الفواكه، وزيادة العلاقات الاقتصادية بين جميع السكان، ولكن الغرض الأكثر أهمية من وراء ذلك تمثل في حماية مصر من غزو الأعداء» (الكتاب الأول 56-57)، ومن المغري إلي حد ما أن نري في هذا العرض والتصوير لمآثر سيزوستريس Sesostris إشارات ضمنية إلي الإنجازات التي قام بها دارا Darius في العديد من المجالات، بالطريقة نفسها التي تعامل بها ديودورس Diodorus (أثناء تتبعه ستيسياس Ctesias) مع الملكة الأسطورية سميراميس في ضوء الواقع الأخميني .

وبالمثل فإن ديودورس Diodorus يضع قيام دارا Darius بصياغة وجمع القانون المصري علي مدار التاريخ الطويل للفراعنة بعد أعمال الفراعنة السابقين مثل منيفيس و Sasyches وسيزوستريس و Bocchoris (الكتاب الأول 94-95) .

ويقال إن هناك رجل سادس شغل باله بقوانين المصريين وهو دارا Darius أبو كسركسيس Xerxes ، حيث إنه كان غاضباً من الفوضي التي تعامل بها سلفه قمبيز Cambyses مع الهياكل والمعابد المصرية، وكان يرغب في أن يعيش حياة مليئة بالفضيلة والتقوي واحترام الآلهة، وفي الواقع فقد رافق كهنة مصر وشاركهم في دراسة علم اللاهوت، وفي دراسة الأحداث المسجلة في كتبهم المقدسة (هيراي جرافاي)، وعندما عرف من هذه الكتب مدي عظمة أرواح الملوك القدامي ونواياهم الحسنة تجاه شعبهم، قام بتقليد سلوكياتهم وأساليبهم، وهذا السبب كان محل هذا التكريم الكبير لدرجة أنه وحده من بين جميع الملوك قام المصريون بمخاطبته كإله خلال حياته، وعند وفاته تم منحه تشريفات وتقديرات مساوية لتلك الممنوحة لملوك مصر القدماء الذين حكموا بأقصي درجة من التوافق والالتزام بالقوانين .

وبشكل موازٍ يؤكد كل من هيرودوت Herodotus (الكتاب الثاني

159-158)، ديودورس Diodorus (الكتاب الأول33) أن دارا Darius أمر بإنشاء ممر مائي بين يوباستيس والبحر الأحمر، وكرر إنجاز نيخو الثاني وهو الفرعون الذي تبعاً لرواية هيرودوت Herodotus » بدأ في حفر هذه القناة وهو العمل الذي أكمله الملك الأكبر دارا Darius الفارسي فيما بعد»، ويذكر هيرودوت Herodotus أن نيخو قد أجبر علي وقف العمل في هذه القناة بسبب معارضة المصريين لها، فقد أعلن أحد الكهنة أن «هذا العمل هو في مجمله موجه لمصلحة البربريين»، فالتجار الأجانب هم الذين سيجنون الفوائد من وراء إنشاء هذه الوصلة المباشرة، ويقلل ديودورس Diodorus من هذا التقليد، ولكنه يضيف أن دارا Darius لم يكمل هذه القناة؛ وذلك لأن مستشاريه قد أقنعوه بأنه «إذا حفر في هذه الأرض الضيقة، فإنه سيكون مسؤولاً عن غمر مصر بالمياه»، وذلك نتيجة لاختلاف مستوي الارتفاع بين البحر الأحمر والأراضي المصرية! وقد سمح هذا المنظور لديودورس Diodorus بأن ينسب إلي البطالمة وحدهم القيام بإنهاء المشروعات السابقة .

الفرعون والملك الأكبر:

في الأعمدة الحجرية الموجودة عند هذه القناة، تم إعلان دارا Darius مولوداً لنيث سيدة سيس «إنه هو الشخص الذي أجلسه الإله رع علي العرش ليكمل ما بدأه» وقد قامت «أمه» نيث بمنحه القوس» ليقاوم الأعداء كل يوم، مثلما فعلت في السابق مع ابنها رع» (بوسنر Posener رقم 8)، وتوجهنا الرسوم والتركيبات الجمالية الموجودة في هيبيس (الخارجة) إلي الأهداف الأيديولوجية لدارا Darius ومستشاريه في مصر، ويوجد دليل آخر مثير والذي يمثل ناووساً خشبيًّا صغيراً وجد في هيرموبوليس، ويحمل نقوشاً باسم «الإله الكامل سيد الأراضين، دارا Darius »، «ملك مصر العليا والسفلي، دارا Darius ، أطال الله عمر الإله الكامل سيد الأراضين دارا Darius المخلد»، وتقودنا كل هذه النصوص

بالإضافة إلي أدلة أخري إلي الاعتقاد بأن دارا Darius أراد أن يشير إلي تواصل التقاليد عن سلطة الفرعون .

ومن ناحية أخري، فإنه يوجد أحياناً التباس في الخطاب الأيديولوجي، وقد تم تصوير فرعي النيل تحت القرص المصري المجنح علي العمود الحجري الموجود في تل المسخوطة، وتخاطب الآلهة دارا Darius بهذه الكلمات: «أنا أعطيك كل الأراضي وكل البلاد التي قمت بإخضاعها، وكل البلاد الأجنبية، كل الأقواس أعطيها لك لتظهر كملك علي مصر العليا والسفلي» إن دارا Darius هو مولود نيث إلهة سيس، وهو صورة رع، وهو الذي أجلسه رع علي عرشه لينهي ما قد بدأه»، ولكن يقوم النص الهيروغليفي بتكرار الألقاب الفارسية لدارا Darius : «الملك الأكبر، ملك الملوك وينادي به أيضاً كملك للملوك وابناً لهستاسبيس، الأخميني» (بوسنر Posener رقم (8)، وبالمثل وكما علي تمثال صوصا، حتي هيستاسبيس تم جعله مصريًا باستخدام صفة «أبو إله»، وقد تم التعبير عن الخصائص الفارسية أيضاً لحكم دارا Darius من خلال النقوش المكتوبة باللغات الثلاث الفارسية والإيلامية والأكادية، وتنتظم هذه النقوش علي يسار الرداء الملكي لهذا التمثال، والتي تقول إن: هذا هو التمثال الحجري الذي أمر الملك دارا Darius بنحته في مصر لكي يعلم كل من يري هذا التمثال في المستقبل أن الرجل الفارسي قد حكم مصر» (Dsab) ، وهذا الإعلان المتغطرس عن السيطرة بقوة السلاح لا يدع مجالاً للشك فيما يتعلق بالطبيعة الفارسية للسيد الجديد، ويستدعي إلي الأذهان الكلمات التي نقشها دارا Darius هذا نفسه علي نقصي-روستام والتي يخاطب فيها بصورة مجازية مواطناً أعزل من السلاح: «لاحظ التماثيل التي تحمل العرش، وسوف تعرف حينها أن رمح المحارب الفارسي قد وصل إلي أماكن بعيدة، تماماً كما ستعرف ذلك بعيداً عن بلاد فارس، فلقد خاض المحارب الفارسي

الحروب» (DNa) ، ولا يقل غرابة عن ذلك التمثال الذي تم نحته في مصر بيد نحاتين مصريين، والذي يصور الملك الأكبر مرتدياً لباساً فارسيًّا مراسميًّا، وفي الحقيقة هناك احتمال كبير أن يكون قد تم وضع التمثال في الأساس في هيكل آتوم في هليوبوليس، ولا يمكن أن يكون الهدف من وراء ذلك سوي إثارة إعجاب المصريين بمثال واضح لا لبس فيه عن السلطة الفارسية، ويتم عامة وضع عملية حفر القناة في السويس في إطار المهمة التي كلف بها دارا Darius إحدي سراياه، ولقد أخبرنا هيرودوت Herodotus عن ذلك (الكتاب الرابع 44)، والذي استقي معلوماته بدون شك من مواطنه الذي يرجع أصله إلي إقليم كاريا المعروف بسكيلاكس Scylax of Carianda والذي شارك في هذه الحملة: لقد قام دارا Darius باكتشاف الجزء الأعظم من آسيا، وقد أراد أن يكتشف المكان الذي يلتقي فيه نهر الإندوس بالبحر، ونهر الإندوس Indus The هذا هو النهر الوحيد بخلاف نهر النيل الذي وجدت فيه التماسيح؛ ولتحقيق هذا الغرض قام بإرسال بعثة لاكتشاف مصب النهر، وهم مجموعة من الرجال ممن يثق بكلمتهم، ولقد أبحرت هذه البعثة تحت قيادة رجل اسمه سكيلاكس Scylax of Carianda انطلاقاً من Caspatyrus في مقاطعة باكتيكا Pactyica ، وتتبعوا مسار النهر شرقاً حتي وصلوا إلي المصب، ثم استداروا جهة اليسار، وتتبعت السفن الساحل وبعد رحلة استمرت ما يقرب من (30) شهراً، وصلوا إلي المكان الذي أطلق منه ملك مصر البحارة الفينيقيين الذين ذكرتهم توا ليدوروا حول ليبيا، وبعد اكتمال هذه الرحلة قام دارا Darius بإخضاع الهنود واستخدم المحيط الهندي بشكل منتظم، وبهذه الطريقة فلقد ثبت أن آسيا كلها باستثناء الجزء الشرقي هي محاطة بالبحر؛ ولذلك فإنه يوجد تشابه جغرافي عام بينها وبين ليبيا.

ولقد أدخلت هذه الفقرة إلي كتاب هيرودوت Herodotus فيما يبدو في

مناقشة أكثر عمومية حول حدود العالم المعروف، وتركيبة كل وحدة من الوحدات الجغرافيه الرئيسة (الكتاب الرابع 36-46)، وقد تم إرفاق هذه المناقشة نفسها خلال عرض بانورامي كبير لغزوات دارا Darius الأوروبية، وأفضل ما يمكن أن نقوله هو أن المهمة التي عهد بها دارا Darius إلي سريته كانت تتمثل في اكتشاف نهر Indus إعداداً لغزو هذا البلد (حوالي عام 518)، ويقوم هيرودوت Herodotus بتكوين رابطة مباشرة مع مرسوم أصدره الفرعون نيخو بعد توقف العمل في القناة: فقد أمر نيخو بعض البحارة الفينيقيين بالدوران حول أفريقيا عبر بحر أوسترال Austral (المحيط الهندي)، والعودة عبر طريق أعمدة هرقل (جبل طارق)، وهي رحلة بحرية كانوا سيكملونها في ثلاثة أعوام (الكتاب الرابع-43)، وتبعاً لرواية سكيلاكس Scylax ، فإن الأسطول الذي أرسله دارا Darius كان سيدور حول شبه الجزيرة العربية قبل الدخول مرة أخري في البحر الأحمر، ولكن ومهما كانت حقيقة هذا الدوران الملاحي، فإنه سيكون من الكثير جدًّا أن نتخيل أن الملك قد أمر في الوقت نفسه بحفر القناة؛ لكي يوفر بذلك خطاً ملاحيًّا منتظماً بين مصر والخليج الفارسي، وإذا حدث ذلك في أي وقت من الأوقات فإن إرسال القوارب المملوءة بمال الجزية كان بالتأكيد حدثاً غير عادي، وتوجد صلة كبيرة بين أمر دارا Darius الموجود علي عمود شالوف (بوسنر Posener رقم 9)، ومثل هذه الأشياء التي نراها في النقوش الملكية: حيث إنها تمثل اقتباساً رمزيًّا للحيز الذي تحدده الآثار التي تخلفها السفن السائرة في الماء، بالإضافة إلي ذلك، فإنه تصاحب النقوش أوصاف لأشخاص علي الطراز المصري، والذين يخضعون نظريًّا إلي سلطة الملك الأكبر، وعلي الرغم من ذلك فإنه يجب أن نقلل من شأن أمر إنشاء هذه القناة، وأن ننظر إليه علي أنه كان رؤية سياسية، وتظهر الحملات الاستكشافيه أنه كان هناك توسع تجاري ملحوظ في منطقة تل المسخوطة خلال القرن الخامس .

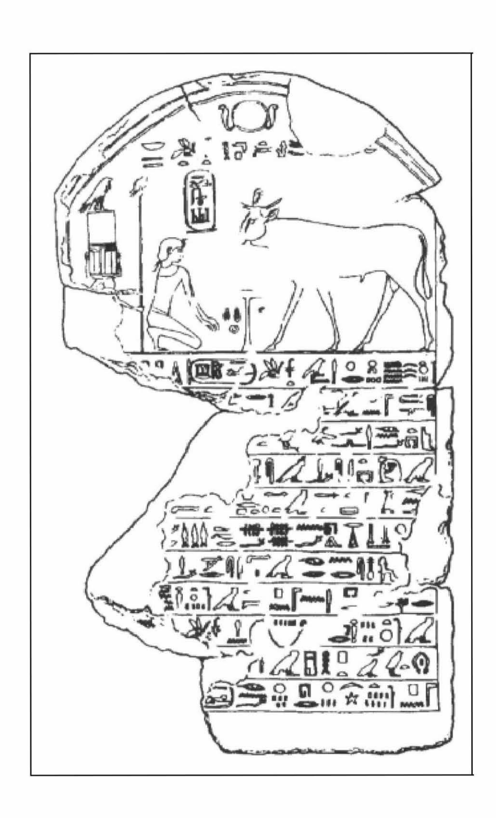
من قمبيز Cambyses إلي دارا Darius :

يحب المؤلفون القدامي أن يظهروا تناقضاً شديداً بين سياسات قمبيز Cambyses في مصر (غير الورع) ودارا Darius (الذي يحترم الدين المصري)، ولقد ذكر ديودورس Diodorus هذا التعارض بشكل صريح عند مناقشته لدارا Darius كمشرع، فبعد عرضه لنموذج قمبيز Cambyses ، شغل دارا Darius نفسه بدفن العجل المقدس أبيس في السنة الرابعة من حكمه (بوسنر Posener رقم 5) كـ«ملك مصر العليا والسفلي، سيد الأراضين والذي تم منحه الحياة «الأبدية» مثل رع، وفي الحقيقة فقد أحب جلالته العجل المقدس أبيس الحي أكثر من أي ملك آخر»، وعلي الرغم من أن الإطار التاريخي يثير بعض المشكلات، فإننا يمكننا أن نذكر ما كتبه بوليانوس Polyaenus في هذا الخصوص (الكتاب السابع II-7).

لم يستطع المصريين التساهل مع أو تحمل ظلم واضطهاد المرزبان أرياندیس Aryandes ؛ ولذلك تمردوا عليه، ولقد عبر دارا Darius الصحراء الغربية ووصل في اللحظة التي كان فيها المصريون في حالة حداد؛ لأنه في ذلك اليوم نفسه توقف العجل المقدس أبيس عن الظهور، فأصدر دارا Darius الأمر التالي: سوف يتم إعطاء مائة طالن من الذهب لأي شخص يتمكن من استعادة العجل المقدس أبيس، ولقد فرح المصريون وفوجئوا بورع الملك وتقواه وخضعوا بملء إرادتهم إلي دارا Darius .

ومن الممتع أن نقوم بمقارنة هذا النص مع النقش الهيروغليفي الذي ذكرناه للتو والذي نصه هو كما يلي (شكل 45): في السنة الرابعة، الشهر الثالث من فصل شيمو، اليوم 13 تحت حكم جلالة الملك دارا Darius ملك مصر العليا والسفلي والذي تم منحه الحياة الأبدية مثل رع، تمت قيادة هذا الإله نحو الغرب الجميل، ورقد يستريح في المقبرة في مكانه الذي أعده له جلالته، وذلك بعد أن تم إجراء جميع المراسم له في غرفة

التحنيط، ولم يسبق أن حدث مثل هـذا الشيء مـن قبـل، وفي الحقيقـة فقـد قـام جلالتـه بتمجيده مثلما فعل حورس مع أبيه أوزيريس، وقد صنعوا له ناووساً عظيماً من مادة صلبة غالية، وكما حدث في السابق، فقد ألبسوه ملابس، وقاموا بإرسال تعاويذه وكل حليه الذهبية، وكل مادة فخمة قيمة أخري، وقد كان شكلهم أجمل مما كان عليه الحال في المرة السابقة، وفي الحقيقة فقد أحب جلالته العجل المقدس أبيس الحي أكثر من أي ملك آخر، لعل دارا Darius يتمكن من أن يكون مستقبلاً للحياة والرخاء بالنسبة للإله أبيس إلي الأبد (بوسنر Posener رقم (5)) .



الشكل 45

ويظهر أحد النقوش المكتشفة حديثاً أنه بالإضافة إلي ذلك وفي العام 33 من حكم دارا Darius ، كان هناك موكب حزين لدفن أم أحد العجول المقدسة الذي كان يمثل الإله أبيس، وتثير هذه المقارنة بين بوليانوس Polyaenus والعمود الحجري لأبيس بعض الأسئلة التي تتعلق بالتواريخ والتي مازالت لم تحسم بعد، بالإضافة إلي ذلك وإذا علمنا أن هذه الفقرة لبوليانوس Polyaenus تتحدث عن المعارضة التي أبداها بعض المصريين تجاه سياسة المرزبان الذي ولاه دارا Darius عليهم، فيجب أن نتساءل عن الأسباب المحددة لهذا الرفض الشعبي، والشيء الرئيس الذي نجده في

تلك الفقرة هو الصورة التقليدية التي تضع الملك الخَيِّر في مواجهة المرزبان الشرير، ونميل إلي الشك في أن «دارا Darius » كان بإمكانه إخماد ما ظهر علي أنه انتفاضة (ارتداد عن العقيدة) بمثل هذه السهولة .

وعلي الجانب الآخر -وكما رأينا- فإن «ديودورس Diodorus » يذكر أن كهنة هيكل الإله بتاح في منف قد رفضوا السماح لدارا Darius بتشييد تماثيله بجانب تمثال الفرعون سيزوستريس، وبينما يؤكد ديودورس Diodorus علي أن دارا Darius قد عدل عن خطته هذه بدون الشعور بأية مرارة أو غيظ، فإنه سيكون من السذاجة أن نستنتج من ذلك أن علاقات دارا Darius مع الكهنة قد تحسنت بالقدر نفسه الذي رغب به ديودورس Diodorus في التأكيد علي مدي خيرية دارا Darius وإحسانه نحو الدين المصري، بالإضافة إلي ذلك فإنه إذا كانت هذه الحكاية قائمة علي حدث معين، فإنها تميل بدلاً من ذلك إلي إثبات أن الكهنة لم يكونوا ليوافقوا، بل إنهم كانوا بعيدين كل البعد عن السماح لملك أجنبي حتي ولو تشبه بالفراعنة واتبع عاداتهم بأن يقوم بفرض أي قرار عليهم، وهكذا فإن التناقض بين «قمبيز Cambyses » ودارا Darius هو فقط مجرد تناقض نسبي، وذلك من وجهة نظر إعادة التقييم لسياسات قمبيز Cambyses الذي تم تقديمه بالفعل (الفصول 1-8، 1-9، 2)، حيث أراد كل من دارا Darius وقمبيز Cambyses أن ينظر إليهما في مصر كملوك عظام وشرعيين في الوقت نفسه .

ولم نعد نستطيع الجزم بأن دارا Darius قام بإخماد وإبطال الإجراءات التي إتخذها قمبيز Cambyses بخصوص عائدات المعابد المصرية، وذلك علي الرغم من أن المقارنة بين الملكين تظهر بشكل ضمني في وجهة النظر التي نجدها في النص المكتوب خلف التقويم الديموطيقي، ولقد ظهر دارا Darius بالطبع علي جدران معبد الإلهة «هيبيس» في واحة الخارجة، وهو يقدم الحقول والأراضي في مرات

عديدة إلي الآلهة المصرية المختلفة، ولكن هذه الصور هي تمثيلات للفرعون غير محددة بزمان معين، ولا تعني بالضرورة أن دارا Darius قام فعلاً بتقديم هذه العطايا لهم، ولكنها أيضاً لا تمنع أن يكون قد قام بتقديمها لهم، وفيما يتعلق بالمعابد، فقد تعرض دارا Darius للمشكلة نفسها التي تعرض لها قمبيز Cambyses من قبله، حيث إنه أراد أن يحصل علي مساندة وتأييد المعابد، ولكن بدون أن يتنازل عن الكثير من سلطته لهم، وبحيث لا يتعارض ذلك مع مصالحه، بالإضافة إلي ذلك، فإن إحدي الوثائق المكتوبة بالديموطيقية والتي يعود تاريخها لعام 486، يبدو أنها تشير إلي أن حاملي الرُتب والألقاب الكهنوتية الذين يحصلون علي دخل في هيكل الإلهة خنوم في جزية فيلة كان لزاماً عليهم أن يقوموا بدفع مبالغ مالية إلي القائد والذي كان واحداً من البارنو (وفي هذه الحالة إلي مير، برلين أ. 13582) .

الفرس والمصريون:

لم تكن الاتصالات بين أفراد الشعب الذي تعرض للغزو والسلطة المركزية تتم عن طريق إدارة مجردة، حيث كان هناك ممثلين محليين للإدارة الاستعمارية، وهؤلاء الممثلون لم يكونوا المرزبانات فقط ولكن كان هناك طاقم كامل من الموظفين الإداريين، وعلي الأقل منذ عهد قورش Cyrus وقمبيز Cambyses بدأ ملوك الفرس بإرسال المواطنين الفرس إلي كل واحدة من المرزبانيات التي تقع تحت أيديهم، وقد كان جميع الإداريين الذين يشغلون المناصب الرفيعة في مر زبانية مصر هم من الفرس، وكان منهم المرزبان وحكام الإقليم وقادة الحامية في حصن Syene بجزيرة فيلة وحكام Coptos ، وحتي الضباط العسكريين الذين تم إرسالهم للاستيلاء علي برقة في ليبيا عام 513، ولكن استعان الفرس بالمصريين لخدمتهم؛ وذلك للأسباب التي تم اقتراحها بالفعل، فعلي سبيل المثال كان أحد المسؤولين ذوي المكانة السامية المسؤولين عن

إدارة الجزية (سنتي) مصريًّا، ونسمع أيضاً بشخص اسمه أوسوروير Osorwer ، وهو أحد التابعين لبارنو في Syene ، وتعطينا قصة Petesis الرومانسية بعض أسماء المصريين الموجودين في بلاط الحاكم في منف (ب. ريلاندنر IV).

وكما حدث في عهد قمبيز Cambyses فقد قبل المصريون أن يعملوا في خدمة غازي متشبهاً بصفات الفراعنة وعاداتهم، وذلك دون مواجهة أية صعوبة ظاهرة، وبالإضافة إلي أودجاهورسنت Udjahorresnet نفسه يمكننا أن نذكر خِنيميبري Khnemibre والذي قام من خلال سلسلة تكوين أكثر من درزينة من النقوشات، قام بإعطائنا معلومات قيمة عن أصوله وواجباته (بوسنر Posner أرقام 1-23)، ولقد تم حفر هذه النقوش في الصخر في وادي الحمامات وهو ما يستخدمه الفراعنة في مصر تقليديًّا كمصدر للحصول علي الصخور اللازمة لنحت التماثيل ولتشييد المباني، وكان هذا أيضاً هو المصدر الذي اقتلعت منه قطعة الحجارة التي تم نحتها وتحويلها في النهاية إلي تمثال دارا Darius الذي تم اكتشافه في صوصا، ولقد حمل خنيميبري في مصر لقب «المسؤول علي الأعمال في جنوب وشمال مصر»، ويعود ذلك علي الأقل إلي السنة الأخيرة من حكم الفرعون Amasis ، ويزعم خنيميبري من خلال سلسلة نسب خيالية أنه توجد صلات أسرية بينه وبين من سبقوه في عصر الدولة الحديثة وفي الفترة الإثيوبية، وتعود بعض نقوشه إلي السنوات 26 (496)، 27 (495)، 28 (494) والسنة 30 (492) من حكم دارا Darius وبعض هذه النقوش مخصصة ومكرسة للآلهة مين، حورس، وإيزيس إلهة Coptos ، ويلقب خنيميبري نفسه في هذه النقوش بألقاب مثل «قائد الجند، قائد أعمال القوات»، ومن المستحيل أن يكون هذا اللقب إشارة إلي تنظيم الحملات العسكرية التي تهدف إلي جمع الحجارة.

ومن المحتمل بالدرجة نفسها أن هذه الألقاب لا تتوافق مع السلطات

الدقيقة التي أعطيت له، ولدينا أيضاً سلسلة من النصوص المنقوشة باسم شخص فارسي اسمه أتياواهي Atiyawahy «وهو ابن أرتاميس Artames وابن السيدة قانجو Qanju»، ويمتد نشاط أنبا واهي هذا في وادي الحمامات على مدار واحد وخمسين عاماً، من السنة السادسة لحكم قمبيز 524) Cambyses) وحتي السنة الثالثة عشر من حكم كسركسيس 473) Xerxes) ، وهو يرحب بدارا Darius ويناديه بما يلي: «الإله الخير، سيد البلد المزدوجة، دارا Darius الذي تم منحه حياة مثل حياة رع، محبوب الإله مين العظيم الذي يسكن في « Coptos » (بوسنر Posener رقم 24)، ومن المحتمل أن وظيفته كانت تتمثل في جلب الحجارة إلي ساحة البناء في الخارجة، ويحمل لقب «ساريس Saris » الفارسي، ومما لا شك فيه أنه كان حاكماً علي « Coptos » ومنطقة وادي الحمامات بأكملها.

ويوجد مصري آخر عمل في خدمة الفرس، وهو أحمس ويعطي نفسه ألقاب تفخيمية مثل: المكرم أمام الإله أبيس-أوزيريس، والرفيق الأوحد، قائد الجند أحمس، ويذكر أنه لعب دوراً بارزاً للغاية خلال دفن العجل المقدس أبيس: لقد وقف أمام العجل المقدس أبيس، مسؤولاً عن الرماة وموجهاً للقوات ولصفوة الجند، وذلك حتي يتأكد أن هذا الإله قد دفن في مكانه في المقبرة، أنا خادم نشيط من أجل (Ka) ، ولقد قضيت كل ليلة في حالة يقظة وترقب وبلا نوم، ساعياً لإعداد كل الأشياء التي قد تحتاجها.

ولقد زرعت احترامك وتبجيلك في قلوب الناس والأجانب الذين ينتمون إلي جميع الدول الأجنبية والذين كانوا يعيشون في مصر، وذلك من خلال ما فعلته في غرفة تحنيطك، ولقد قمت بإرسال مبعوثين إلي الجنوب وآخرين إلي الشمال لاستدعاء جميع حكام المدن والأقاليم حاملين معهم الهدايا إلي غرفة تحنيطك (بوسنر Posener رقم (6)) .

ومـرة ثانيـة، لا يجـب أن تجعلنـا المصـطلحات التقليديـة نخطـئ، فـإن الوظيفـة الأساسية لمثل هذا النوع من النقوش هو الحفاظ علي ذكري شخص مهـم بـين المصريـين والذي توجه إليه هذه النقـوش، ولا تعنـي الكلـمات التـي اسـتخدمها أحمـس أنـه قـام شخصيًّا بتنظيم كل المراسم التي صاحبت دفن العجـل المقـدس أبـيس وتخبرنـا الألقـاب نفسها بمعلومات أكثر عن هذه المكانة المهيبة ذات الاعتبـار الكبـير في المجتمـع المصري، أكثر مما تشير إليه مكانته الفعليه في التسلسل الهرمي الإداري والسياسي للدولة .

وابتداءً بما فعله دارا Darius نفسه، فلقد كان من الممكن للفـرس الموجـودين في مصر أن يقوموا بتبني التقاليد المصرية، والشيء المدهش الـذي يسـتحق أن نـذكره عـلي وجه الخصوص هو أن Amasis والذي يشير إليه هيرودوت Herodotus قائلاً بأنه كـان أحد أفراد قبيلة «مرافي» الفارسية الشهيرة، كان يحمل اسماً مصريًّا (الكتاب الرابع 167)، وحيث إن بوليانوس Polyaenus يسميه أرساميس Arsames (الكتـاب السـابع 28-1)، فإن هذا يدفعنا إلي الاعتقاد بأنه قد اتبع العادة المصرية التي تتمثل في ازدواج الأسـماء، ونسمع أيضاً بـ(أرياوراتا) Ariyawrata وهو شقيق (أتياواهي) Atiyawahy الذي يقوّم نفسه في أحد النقـوش التاليـة عـلي أنـه «أرياوراتـا Ariyawrata الفـارسي، وأن لقبـه أو كنيته هي «جيهو» ابن أرتاميس، وأن أمه هي السـيدة قـانجو» (بوسـنر Posener رقـم 13)، ومما لا شك فيه أن هذه الممارسات فيما يتعلق بالتسمية قد سهلت اتصال الفـرس بالمصريين، ولكننا لا نستطيع أن نجـزم بـأن الغـزاة الفـرس قـد تمصروا واتبعـوا التقاليـد المصرية اعتماداً علي الأسماء فقط .

وسوف نقوم بذكر هذه الملاحظة الحذرة نفسها فيما يتعلق بابتهـالات فارسية معينة للآلهة المصرية، وهذا هو الحـال مـع الإداريـين الفـرس الـذين عملوا كموظفين في وادي الحمامات: مثل أتياواهـي الذي تم ذكـره بـأعلي

والذي حلف اليمين أمام قمبيز Cambyses دارا Darius ، كسركسيس Xerxes ، وأخيه أرياوراتا الذي خدم في عهد كسركسيس Xerxes ، وأرتاكسركسيس Artaxerxes الأول، ولقد ابتهل الأخوان للآلهة المصرية أو علي الأقل أشارا إليها بهذه الصيغة: الإله العظيم مين والذي علي مذبحه في السنة العاشرة لحكم سيد الدولة المزدوجة كسركسيس Xerxes الذي صنعه الساريس الفارسي أتياواهي وأرياوراتا.

أو: الذي صنعه الساريس الفارسي، أتياواهي، لعله يسكن أمام الإله مين الذي يوجد علي مذبحه (بوسنر Posener أرقام 27، 28) .

ويبدو من الخطير اتخاذ هذا كمؤشر علي تمصر الفرس بالمعني الدقيق لذلك، حيث إنه كان مجرد تقليد للملوك العظماء، والذين قاموا جميعاً بتبني الألقاب المصرية، وحيث إن الأخوين كانا حاكمين علي Coptos ، فقد كان من المنطقي بالنسبة لهما أن يقوما بالابتهال إلي إله المدنية وهو الإله مين، وتشير الأختام النذرية التي وجدت في مصر إلي أن بعضاً من الفرس قد قاموا -تقليداً لقمبيز Cambyses ودارا Darius - بإظهار احترامهم للعجل المقدس أبيس .

وقد حاول المصريون في المقابل استيعاب الطبقة الاجتماعية العرقية المسيطرة وبالإضافة إلي أودجاهورسنت Udjahorresnet يمكننا أن نذكر حالة بتاح حُتب، ولا يحمل تمثاله أية نقوش سوي لقب قيم بيت المال، ولكن من الصعب أن نقوم اعتماداً علي ذلك بمعرفة الوظيفة المحددة التي كان يشغلها في إدارة المرزبانية، ويرتدي علي زيه المصري بعض الحلي الفارسية النموذجية (طوق العنق)، وكان بالتأكيد هدية من الملك، وقد نقش في مكان آخر خاتم يحمل اسم بيتيسيس الذي كان بحاراً مصريًّا، ويشهد هذا الخاتم أيضاً علي التداخل والتمازج بين كل من التقاليد المصرية والفارسية، ويمكننا علي وجه الخصوص أن نتبين صورة أهورا-مازدا في شكل جسم ذي أجنحة أفقية منفصلة .

وبشكل عام فإن الصفوة من المصريين لم يجدوا صعوبة كبيرة في أن يصبحوا مساندين لقمبيز Cambyses ودارا Darius ، حيث إن منح الهدايا الملكية كان إحدي الممارسات المعروفة عند الفراعنة، وواحدة من أكثر الوثائق إثارة فيما يتعلق بهذا الخصوص هي تمثال يحمل نقوشاً وجد بالقرب من Priene ، ويبدو أن مُهدي أو مكرس هذا التمثال وهو رجل اسمه بيدون قد عمل بخدمة الفرعون أبسماتيك، وكمكافأة له علي خدماته منحه الفرعون سواراً ذهبيًّا ومدينة، كجائزة له؛ نظراً لقيمته (Aristeia) وشجاعته (tes HenekaءAr) .

وقد تم رسم صورته علي الطراز المصري، وبالتأكيد تم صنع التمثال نفسه في مصر، وقد كان من النموذجي أن يقوم الفراعنة بإعطاء المواطنين المخلصين لهم عقوداً وأساور كأوسمة لهم نظير ولائهم، ولقد عرفنا من بعض النصوص الأخري أن الفرعون قد يقوم أيضاً بإعطائهم مدينة ما كهدية، ولقد لفتت انتباهنا علي الفور حقيقة أن طريقة التكريم والأشياء التي يتم تقديمها كأشكال له تتوافق بدرجة كبيرة مع ما هو معروف عن الهدايا الملكية الأخمينية (الأراضي، المدن، الأساور، العقود، انظر الفصل 8-1)، وتعكس أيضاً الزخارف الموجودة علي رداء بتاح حُتُب التلاقي الحادث بين الممارسات الفرعونية والأخمينية، ولا يقل أهمية عن ذلك أن نذكر أن النحات قد قام بتصوير الحلي التي يرتديها أودجاهورسنت Udjahorresnet علي الطراز المصري، وبمعني آخر فإن أودجاهورسنت Udjahorresnet وبتاح حُتُب لم يكونوا يشعرون بأنهم يخونون بلدهم بحصولهم علي هدايا وتشريفات من الملك الأكبر؛ وذلك لأنه من وجهة نظرهم كان هذا الملك مجرد فرعون آخر يكرمهم بهذه الطريقة، وهذا بالتحديد هو معني أحد التصريحات التي أدلي بها أودجاهورسنت Udjahorresnet ، حيث قال: «لقد تم تكريمي من قِبل أسيادي مادمت حيًّا، فلقد أعطوني الحلي الذهبية وقاموا بعمل كل

الأشياء النافعة لي» (بوسنر Posener رقم (1) و)، ومن الواضح هنا -كما في أماكن أخري- أن أودجاهورسنت لم يكن يري أن هناك فرقاً بين فراعنة أسرة سايتي The Saites وبين الملوك الفرس، وبمعني آخر فإن أباطرة الفرس قد أخذوا مكانهم مثل أي فرعون آخر في التاريخ الفرعوني الطويل .

وقد أخذ ولاء المصريين لدارا Darius أحياناً أشكالاً شخصية أكثر، وأحد أكثر الأشياء إثارة هو بلاطة تحمل نقوشاً تذكارية تم إعدادها وفاءً لنذر ما، وتظهر هذه البلاطة أحد المصريين وهو يصلي أمام صقر حورس (شكل 46)، ويقوم مكرس هذا التمثال بمخاطبته علي أنه دارا Darius الذي تمثل في صورة هذا الإله المصري، وقد كانت هذه اللحظة لحظة خاصة ويبدو أنها توضح أن دارا Darius قد تم تقديسه بشكل كامل وحقيقي في الوعي الشعبي المصري .



الشكل 46

تقييم مختصر:

بشكل تام، إن طبيعة سلطة دارا Darius في مصر تتكشف عن تقييم مختلط، حيث لا يمكن إنكار رغبته في أن يكون جزءاً من التواصل الفرعوني، وأن ينظر إليه عن أنه امتداد لفراعنة مصر، ولكن ربما يتوجب علينا ألا نقوم بعد الآن بالتركيز علي هذا العامل وحده دون

باقي العوامل خاصة لأن أودجاهورسينت يصر عليه بشكل مثير للريبة إلي حد بعيد، ولا بد أنه قد رأي فائدة كبيرة من تضخيم وإعلان ولائه لدارا Darius وقمبيز Cambyses بهذه الطريقة، واللذين وضعهما عن عمد في تسلسل التواصل الفرعوني المصري، وعبارات دارا Darius نفسه أكثر التباساً، حيث إنه حتي عندما يقدم نفسه كملك شرعي فإنه لا ينسي أن يؤكد علي أنه الفاتح الذي لا يدين بسلطته فقط إلي حسن نوايا أودجاهورسنت ومن هو علي شاكلته، وتحول مصر من سلطة فراعنة أسرة سايتي Saite إلي ملكية وسيطرة الفرس لم يتم تحقيقه بدون حدوث تحولات وتغيرات جذرية، وبالإضافة إلي المرسوم الذي أصدره قمبيز Cambyses ، فإن اختفاء بلاطات الأساس ذات النقوش التذكارية يبدو أنه يوضح استرجاع الفرس للهياكل المصرية، وربما يجب أن نضع قيامهم بكبت وتقييد «الاتحاد المقدس» في الإطار نفسه، فقد كان إحدي المؤسسات الدينية التي أصبح من الواضح أنها لم تعد تناسب الظروف الجديدة بعد الغزو، وظهور فرعون اشتملت اهتماماته ومصالحه علي مجموعة غير محدودة من الأمور، التي هي أوسع وأكبر بكثير من وادي النيل والمناطق المحيطة به .

2- بابل في عهد دارا Darius :

المصادر:

علي الرغم من وجود عدد كبير من الألواح التي تعود إلي عهد دارا Darius الأول، إلا إن ما نعرفه عن تاريخ بابل في الفترة التي تلت استعادة إنتافرنيس Intaphernes (فيدافارنا) لسيطرته علي هذه المنطقة في عام (520) هو قدر ضئيل نسبيًّا DB (فقرة 50) .

ويرجع ذلك إلي أنه في العديد من الحالات لا يمثل ذكر السنة الملكية لدارا Darius - ملك بابل ، ملك البلاد - سوي عنصراً في

الصيغة التاريخية للوثائق التي يكون مصدرها القطاع الخاص (الأفراد)، وهكذا فإن تمكننا من اكتشاف وجود العمليات الفعليه للإدارة الأخمينية قد يحدث فقط نادراً وبشكل غير مباشر، وبالمقارنة مع الفترة السابقة، فإننا نعاني هنا إما من فقدان أو عدم نشر السجلات المحفوظة في المعابد وخاصة بالنسبة لـ Eanna of Uruk ، وقد تزامن تولي دارا Darius للسلطة مع تعيين جيميلو مسؤولاً عن Generale Ferme ، وقد قام هذا الخادم الكهنوتي غير الأمين بإجراء عملياته المثيرة للريبة في عهد الحاكم المغتصب للسلطة نبوخذنصر الرابع، وذلك قبل أن يتم طرده في عام 520، وبعد هذا التاريخ فإننا نجد نقصاً شديداً في المواد التي تتحدث عن تاريخ بابل في تلك الفترة، وذلك باستثناء بعض الوثائق المتفرقة التي تعود لعامي (510-511)، والتي تذكر اسم (مورانو) وهو القيم الذي عينه الملك في إينا، وبالنظر إلي حالة الأدلة المتوافرة، فإنه لا يمكن أن نصيغ أية استنتاجات عن طبيعة العلاقة بين السلطة الفارسية وبين المدن والمعابد الموجودة في بابل، وذلك علي الرغم من أن عدد الألواح التي يتم الإعلان عن اكتشافها يتزايد يوماً بعد يوم.

المرزبانات والحكام:

لقد نجا النظام الإداري الذي وضعه قورش Cyrus في عام 535 من الاضطرابات التي وقعت ما بين عامي 522-520، وقد استمر «حاكم بابل وإبير ناري (عبر الفرات) في حكم مقاطعة شاسعة تمتد من نهر دجلة شرقاً حتي حدود مصر غرباً، وكان يحكم هذه المقاطعة شخص تسميه النصوص البابلية «الحاكم» أو (بيهاتو) والذي تسميه النصوص اليونانية «المرزبان»، ويكتب هيرودوت Herodotus -علي سبيل المثال- في (الكتاب الأول 197، الكتاب الثالث 161) مشيراً ومؤكداً علي المكاسب الضخمة التي يمكن أن يحصل عليها المرزبان من حكم هذه المنطقة «إن حكومة هذه المنطقة أو «المرزبانية» -كما يسميها الفرس- هي الحكومة الأهم والأكثر

غني من بين جميع الحكومات، وهناك ألواح تشهد علي أن (أوستانو) قد شغل منصب المرزبان في هذه المرزبانية في الفترة ما بين عامي (521-516)، وقد اختفي في تاريخ غير محدد، وتظهر إحدي الوثائق أن ذلك كان في أكتوبر 486، وذلك قبل أسابيع من وفاة دارا Darius ، وقد تولي إدارة المرزبانية من بعده هوتا (...) ابن باجا كاتا، وكانت أراضي بابل نفسها مقسمة، وهذا دليل علي التواصل المستمر، وعلي سبيل المثال فإننا نعرف بوجود «بلد البحر» (مات تامتيم) والتي كانت توجد في منطقة المستنقعات في القطاع السفلي من نهر دجلة .

وقد كانت المدن الكبيرة لا تزال تحكم من قبل حكام محليين (الساكين تيمي)، وهم مجموعة من البابليين الذين لا بد أنهم أتوا من طبقة (المارباني)، وهي طبقة المواطنين ملاك الأراضي الذين يتمتعون بحقوق كاملة في المدن البابلية، وكانوا معروفين في عهد دارا Darius الأول في أور، بورسيبا، بابل.

ويبدو في الوقت نفسه أن هؤلاء الحكام المحليين قد تم دمجهم بشكل كامل في إدارة المرزبانية، وفي البداية وقبل كل شيء اختفي منصب «سانداباكو» بعد عام 521، وذلك علي الرغم من أن تلك الوظيفة ظلت حتي هذا التاريخ أعلي المناصب في بابل، ويبدو أنه بعد تولي دارا Darius السلطة، قام باستبدال العديد من الأشخاص ممن يشغلون المناصب العليا في بابل، وقد ظلت بابل إحدي عواصم الإمبراطورية الفارسية، وكان الملك يقيم فيها بشكل دوري، ويشير أحد الألواح التي يعود تاريخها لعام 496 إلي القصر الجديد، وقد تمت الإشارة إلي هذا الوجود الملكي أيضاً عن طريق إنشاء نصب تذكاري يحمل بعض الرموز، وأيضاً بالنقوش الموجودة في بيهيستون في عاصمة بابل، وكانت إحدي الدلالات الأخري علي الدمج المتزايد لإقليم بابل في النظام الإداري للإمبراطورية هي العدد المتزايد من

الأسماء الفارسية التي تم استخدامها وخاصة في النواحي المالية والقضائية .

ومن الممتع أن نذكر أن أحد حكام بابل وهو إيـدين نرجـال كـان يحمـل اللقـب الفارسي (فارداناباتي) أي «قائد المدينة»: وتذكر سلسلة من الألواح الأخـري أيضـاً شخصـاً معيناً اسمه (باجاسارو)، والذي شغل منصب خازن بيت المـال في بابـل في الفـترة (581-501)، وتذكر الألواح في الفترة من (511-510) اللقب البابلي لهذا الرجل أولاً وهو «راب قصير»، ثم بعد ذلك لقبه الإيراني وهو «جانزا بارا»، ولقد كان باجاسـارو أحـد المـواطنين الفرس الذين كانوا يمتلكون أرضاً في بابل، وبالتأكيد كانت أرضاً مشتركة، وكان يدار منزل باجاسارو هذا من قبل ماجور دومو (راب بيتي) يُسمي «بسيا»، والذي كان تحت يديـه عدد كبير من الموظفين، ويظهر العديد من الألواح أن باجاسارو لم يكن هو الـذي يـزرع الأرض التـي يملكهـا، ولكنـه تـرك مسـؤولية إداراتهـا إلي ممثلـين عـن مؤسسـة إيجيبـي التجارية، والتي كان ترد له جزءاً من المحاصيل (أو ما يعادل قيمتها) كإيجار لـلأرض، أي أنـه بدايـة مـن تـولي دارا Darius الأول للحكـم تـم وضـع نظـام جديـد لإدارة الأراضي الزراعية وعائداتها، وتسمح لنا عمليـات التوثيـق التـي حـدثت في بيـت موراسـو خـلال حكم أرتاكسركسيس Artaxerxes الأول ودارا Darius الثاني بالقيام بتحليل هذا النظـام بشكل أكثر دقة .

وقد تضمن هذا النظام حدوث تعاون كبـير بـين الطبقـة الأرسـتقراطية في بابـل والسـلطات الفارسـية، بالإضـافة إلي ممـثلي الشركـات التجاريـة البابليـة، وحـول هـذا الموضوع فإن أحد ممـثلي عائلـة إيجيبـي وهـو «مـاردوك نصـير أبـلي» والـذي يلقـب بـ«سيركو» قد عمـل أيضـاً كوسـيط لـلإدارة: فمـثلاً كـان يقـوم بجبايـة الضرائـب عـلي الأراضي المملوكة للأفراد في بابل، وقد قام أيضاً بجباية ضرائب ملكيـة معينـة كـما هـو

موضح بشكل مفصل في اللوح (TCL 13. 196) : وفيما يتعلق بجمع المكوس (الرسوم) المفروضة علي عبور الجسر والرصيف (بالنسبة للقوارب) المتجهة نحو أعلي مجري النهر أو إلي أسفله، والتي هي إحدي الامتيازات الخاصة «بجوزانو» حاكم بابل، والتي هي تحت تصرف سيركو بالنسبة لنصف الجزء الذي يعود إليه من عائدات جسر جوزاتو حاكم بابل، والذي كان يتشارك فيه مع مورانو ابن نابو موكين آبلي، ونابو بوليسو ابن جوزانو، بالإضافة إلي هاريسانو وإيقوبو ونِرجال إيبني وهم حراس الجسر، وسيركو ابن إدينايا وسليل إجيبي، ومورانو ابن مابو موكلين أبلي وسليل ...؟ إيجار المزرعة مقابل 15 شيكلاً من الفضة البيضاء عيار 1/8 من النوعية المتداولة، فقد قام بإعطاء ما جمعه هنا إلي «بل أسوا» ابن نرجال أوباليت وسليل موداميك أداد وأوبارو ابن بل أهي إريبا وسليل ...؟ وسوف يقوم (بل أسوا) و(أوبارو) بفرض ضرائب علي القوارب التي ترسو عند الجسر، ولن يقوم «بل أسوا» و«أوبارو» بتحويل الفضة التي تأتي من العائدات الشهرية للجسر الذي يخص سيركو ومورانو واللذين يملكان جزءاً من هذه العائدات بدون الحصول علي موافقة سيركو، وسوف يقوم بل أسو وأوبارو بتقديم أية تعليمات كتابية تصدر بخصوص الجسر إلي سيركو والحراس الآخرين (مأخوذة عن ف. خوانيز).

وتلقي هذه الوثيقة الضوء علي الرسوم المفروضة علي عبور الأنهار في بابل، والامتيازات التي كان يحصل عليها الأشخاص ذوي المناصب الرفيعة من عائدات هذه المكوس، وعلي الطريقة التي كان يتم بها جمع ضرائب معينة.

العزب وهارتو:

لدينا ألواح عديدة تظهر أن نظام قطع الأراضي المخصصة لرجال الجيش، والذي تم وضعه في عهد قورش Cyrus وقمبيز Cambyses كان

موجوداً أيضاً في عهد دارا Darius ، وقد تم توسيع هذا النظام بداية من نهاية العقد التاسع من القرن السادس ق.م، وتم فرض سلسلة من الرسوم علي كل قطعة من الأرض والتي كانت تُسمي في مجملها «إلكو»، وفي المبدأ، فإن كل قطعة من هذه القطع المخصصة للجيش سمحت للإدارة باختيار جنود يتم وصفهم بالطريقة نفسها التي توصف بها «العِزَب» التي ينتمون إليها، فمثلا كان يتم إجراء القرعة لاختيار الخيالة من عزبة للخيول، وتوضح العديد من الوثائق من عهد دارا Darius أن الجنود البابليين كان من الممكن أن يتعرضوا لعمليات تعبئة استثنائية مثل الخدمة في إيلام، وعلي أية حال، فقد كان لزاماً عليهم أن يقوموا بتجهيز أنفسهم طبقاً للمعايير التي وضعتها الإدارة، وأن يتحملوا نفقات ذلك، وهي النفقات التي كانت من الممكن أن تكون مرتفعة إلي حد ما، وقد يطلب الجنود «عند رأس السفن»، وهذا يعني أنه يتوجب عليهم مصاحبة السفن، أو ربما سحبها، وذلك وهم متنكرون في زي الخدمة « Urasu »، وكان هذا طلب للقيام بأعمال يدوية، والذي كان في عهد دارا Darius أحد عناصر « Ilku ».

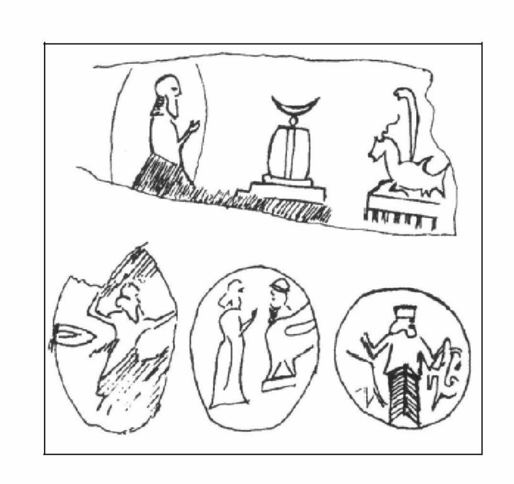
وتذكر بعض الوثائق التي تلت ذلك والتي تعود إلي عهد أرتاكسركسيس Artaxerxes الأول ودارا Darius الثاني أنه كان يتم بشكل منتظم تسجيل لوائح الرسوم التي يتم تقديرها علي حصص الجند من الأراضي بهذه الطريقة: «ضرائب كاملة، ضرائب لجند الملك، ضرائب لدقيق الملك، ضرائب لـ barra الملك، بالإضافة إلي كل أنواع المساهمات والهدايا الأخري «نادانو» التي يتم تقديمها للقصر الملكي.» وهناك أسباب كثيرة تدفعنا إلي الاعتقاد بأن ذلك كان يحدث أيضاً في عهد دارا Darius الأول .

وتشير البنود المستخدمة إلي أن عملية تقدير الضرائب كانت تتم في صورة سلع وليس بالعملة النقدية، ولكن تكشف العديد من الوثائق أنه

بداية من حكم دارا Darius الأول كان يقوم بعض أصحاب الممتلكات بـدفع الضرائـب المقدرة عليهم في صورة ما يعادل قيمة هذه السلع من الفضة، وهكذا تم توضيح الدور الذي كان يلعبه Egibi .

ولقد قاموا أيضاً بإدارة العمل في الأراضي مثل حصص الأراضي المخصصة للعسـكر، وهكذا قام سـيركو (وهـو مـاردوك نصـير أبـلي) بجباية الضرائـب المفروضـة عـلي قطـع الأراضي حول بابل في الفترة ما بين عامي 497 و495 .

وقد قام Egibi أيضاً بإدارة العزب التابعـة لـقصر ابـن الملـك (بيتـو سـامار سـاري)، ولقـد كـان هذا النشـاط مربحـاً إلي حـد مـا، ويمكننا الحكـم بـذلك مـن خـلال كـل مـن باجاسـارو و Egibis في الفترة ما بـين (518-500): حصـل الطـرف الأول عـلي الثلـث، وكـان هو مالك الأرض، أما الطرف الثاني فحصل علي الثلثين وكانوا هم المديرين .



الشكل 47

الفرس والبابليون:

بالنسبة لبابل تسمح لنا المعلومات حول معاني الأسماء وأشـكالها والتي تم جمعها حديثاً بالقول بأن عدد الفرس والإيرانيين قـد ازداد في الفترة ما بين (521-483)، ولكنه ظـل عـلي الـرغم مـن ذلـك متواضـعاً

نسبيًّا بالمقارنة مع الأعداد الكبيرة ليس فقط من البابليين ولكن أيضاً من ممثلي البلاد المختلفة، وبالنسبة لعمليات التبادل الثقافي بين الإيرانيين والبابليين، فإنها تتضح بشكل خاص في الوثائق التالية (ألواح وأختام بيت موراسو)، وبالرغم من ذلك فإنه يمكن ملاحظتها أيضاً في الفترة التي سبقت ذلك، وذلك علي الرغم من أن المشاهد المرسومة علي الأختام ظلت بابلية في الغالب (شكل 47) .

وبداية من القرن الخامس نلاحظ ظهور ممارسة الزواج البيني وما ترتب علي ذلك من تبني البابليين للأسماء الفارسية والعكس صحيح .

ومن المؤكد أن الاتصالات بين الفرس والبابليين هي علاقات قديمة، ولقد شجعت أهمية بابل الكبيرة في الإمبراطورية بالإضافة إلي الوجود المتكرر للبلاط في بابل علي الاتصال والتأثير المتبادل فيما بينهم وبين الفرس والبابليين .

3 - عبر الفرات:

مقاطعة عبر الفرات:

تقع هذه المقاطعة في داخل المنطقة الشاسعة التي كانت بابل مركزها، ويحكم مقاطعة عبر الفرات حاكم كان فرداً خاصاً وفي الوقت نفسه مسؤول تابع للحكومة، وفي بداية عهد دارا Darius يتحدث عِزرا Ezra في كتابه عن «تاتيناي Tattenai ، مرزبان إقليم عبر الفرات (إبير ناري)، وشيزار بوزيناي (ساتي بازانيس) ورفاقهم الفرس الآخرين» (3:5)، وفي ألواح يعود تاريخها إلي عام (502)، يحمل هذا المرزبان أيضاً لقب الحاكم (بيهاتو إبير ناري)، ومن المحتمل أن مقره كان دمشق والتي تُصَنَّف معلوماتنا عنها بأنها متأخرة ورديئة .

ونعرف أن دمشق كانت أحد المواقع المهمة علي الطريق بين بابل ومصر، وتتحدث الوثيقة التي أرسلها أرسامه مع نهتيهور عن وجود اثنين

من القهرمانات هناك (DAF-76[AD6]) ، وهـذا يمكـن أن يـفسر -إن لم يؤكـد- عبـارة جوزيف (Ant.X1.2.2) بأن قمبيز Cambyses مات في دمشق خلال عودته مـن مصر، ونعرف أيضاً أنـه في عهـد دارا Darius الثالـث حكـم المدينـة حـاكم خـاص (كوينتـوس كورتيوس الثالث 3-2)، وأخيراً يصفها سترابو Strabo بأنها «كانـت أشـهر المـدن في هـذا الجزء من العالم في عهـد الإمبراطوريـة الفارسـية (XVI.2.20) ، ويتضـح لنـا مـن إحـدي الفقرات في بيروسوس (FGrH680. F11) أن هذه المدينة كانت مهمة بالنسـبة للنظـام الإمبراطوري في عهد أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني .

وبالرغم من التشابه بين الألقاب العامة للحكام فمثلاً «بيهـاتو» و«بيهـا»، فـإن تاتيناي Tattenai لم يكن يحكم مَرزُبانية مستقلة بشكل كامل، ولكن لا توجد وثيقـة توضح طبيعة علاقته بحـاكم بابـل وإبـير نـاري، وعـلي الـرغم مـن ذلـك فـإن رد دارا Darius علي تاتيناي يشير إلي «العائدات الملكية، أي التي تأتي من جزية مقاطعة عبر الفرات (إبيرناري)» (عزرا 6-8)، وهذه الإجابة تشير إلي أن إدارة وجمع الجزية كانـت تقوم بها المناطق الفرعية -كما نعرف- وتتطابق مقاطعة إبيرناري بشكل دقيق تقريباً مع النوم الخامس الذي ذكره هيرودوت Herodotus والـذي يمتـد مـن Posideium (رأس البسيط) وحتي حدود مصر (الكتاب الثالث 91)، وحتي في داخل هذه المناطق الشاسعة كان الأشخاص والأراضي بدورهم مقسمين إلي مدن، أو بمصطلح مناسب أكثر «أقـاليم»، ويشـير محـرر كتـاب (1-1) Esther إلي وجـود عـدد (127) إقلـيماً في إمبراطورية أهاسويروس، ويوجد هذا المصطلح أيضاً في الرسـالة الموجهـة مـن أرسـامه إلي القهرمانات الذين أُمروا بتسليم المؤن والأرزاق إلي نهتيهـور وخدمـه الـذين كـانوا عائدين إلي مصر: أعطوهم هذه المؤن قهرماناً بعد قهرمـان واتبعـوا الطريـق المؤديـة من إقليم إلي إقليم (مدينة)، حتي يصل تهتيهـور إلي مصر (DAE 67 [AD6]) ، ومـن

المؤسف أن الوثيقة لا تقول شيئاً عن المراحل التي تبين الطريق من دمشق إلي وادي النيل .

إقليم يهوداً:

مما لا شك فيه أن بداية من عهد قورش Cyrus وقمبيز Cambyses ، كانت أرض يهودا تشكل مدينة مستقلة بذاتها، ولكن لا توجد لدينا معلومات محددة عن تنظيمها منذ ذلك الوقت وحتي وصول نيهيميا Nehemiah إليها في عهد أرتاكسركسيس Artaxerxes الأول (الفصل 5/4) .

ويشير إليها نيهيميا Nehemiah نفسه كما يلي: «لقد شكل أسلافي من الحكام السابقين عبئاً علي الناس، وكانوا يأخذون من الناس في كل يوم شيكل من الفضة كمخصصات لإعاشتهم «ويقول إنه علي النقيض منهم «لم يأكل في يوم من الأيام خبز حاكم» (5: 15-18)، ومما لا شك فيه أن المجتمع اليهودي كان مفروضاً عليه دفع جزية للملوك، بالإضافة إلي أنواع الضرائب المتنوعة مثل «ضريبة مائدة المرزبان»، ويبدو أن النظرية التي تجعل من إقليم يهودا منطقة تابعة لسامراء هي نظرية لا أساس لها من الصحة، حيث وجدت في إقليم يهودا سلسلة من طبعات الأختام والأختام الذهبية والتي يمكن قراءة إشارات صريحة عليها إلي إقليم يهودا (يهود) وحاكمه (بيها)، وعلي أساس هذا الدليل تم إعادة تكوين وتركيب لائحة بأسماء حكام هذا الإقليم الذين حكموه في الفترة بين الحاكم زيروبابل والحاكم نيهيميا Nehemiah وهم: إلناثان (يحتمل أنه زيروبابل)، ييهوزر (بداية القرن الخامس ق.م) وأهزاي (بدايات القرن الخامس)، وكل هؤلاء الحكام كانوا يهوداً مثلهم مثل زيروبابل ونيهيميا Nehemiah ، وتشهد العديد من الأختام علي الوجود الفارسي، ولكنها تشير إلي الفكرة التي تلت ذلك أي النصف الثاني من القرن الخامس والقرن الرابع .

ولقد أصبح إقليم يهوداً وحاكمه تحت سلطة حاكم إبيرناري ، وقد حدث في بداية عهد دارا Darius أن اصطحب الحاكم تاتيناي Tattenai

مستشاريه ورجال بلاطه وخرج في جولة تفقدية للقدس، حيث وجدوا اليهـود منشـغلين بإعادة بناء معبد يهوه، وعندما سألهم تاتيناي Tattenai عـن سـبب فعلهـم هـذا، بـرر شيوخهم القيام بهذا العمل بمرسـوم أصـدره قـورش Cyrus ، وعنـدما لم يقتنـع الحـاكم بذلك بعث برسالة إلي دارا Darius يطلب منه فيها البحث في الأرشـيف الملـكي في بابـل عن مثل هذا المرسوم (عِزرا Ezra 10/11).

وفي الحقيقة فقد وجد الدليل علي مثل هذا المرسوم في قلعة إكباتانا؛ وكنتيجة لذلك أمر الملك الأكبر الحاكم تاتيناي Tattenai أن يدع اليهود يكملوا أعمال التشييد، وهـذا هـو الأمر الصادر من دارا Darius كما نقله المحررون الذين حرروا كتاب عِـزرا (Ezra) (6: 6- 12): ومن أجل ذلك فأنا آمرك يا تاتيناي Tattenai يا مـن تشـغل منصـب مرزبـان إقلـيم عبر الفـرات أن تقـوم أنـت وشـيثار بوزينـاي وزملاؤكـم المسـؤولون في ولايـة عـبر الفـرات بالانسحاب من هناك، وأن تتركوا المفوض الأعلي المسؤول عن إقليم يهـودا وشـيوخ اليهـود ليكملوا بناء معبد الرب هذا، وسوف يقومون بإعادة بنـاء معبـد الـرب في موقعـه القـديم، وهذه هي الطريقة التي ستقومون بها بمساعدة شيوخ اليهود في إعادة تشييد معبد الـرب: سيتم دفع نفقات هؤلاء الأشخاص مباشرة ودون أي تأخير مـن العائـدات الملكيـة (أي مـن جزية إقليم عبر الفرات)، وسوف يتم تزويدهم بما يحتاجون إليه لتقديمه كأضـحية إلي إلـه السماء من ثيران صـغيرة، كبـاش، وحمـلان، وأيضـاً سـوف يـتم تزويـدهم بـالقمح، والملـح، والخمر، والزيت بصورة يومية ودون أي تـأخير، وكـما يطلـب كهنـة القـدس؛ وذلـك حتـي يقوموا بتقديم أضحيات وقرابين مقبولة يتقبلها إله السماء، ولكي يصلوا ليحفظ الـلـه حياة الملك وأبنائه، وآمركم أيضاً بخصوص أي شخص يخالف هـذا الأمـر السـامي أن يـتم انتـزاع عارضة خشبية من منزلـه وأن يـتم ربـط رأسـه ويديـه عليهـا بغيـة التشـهير بـه وتعذيبـه

وأن يتم تحويل بيته إلي كومة من الروث عقاباً له علي جريمته، أرجو اللـه الـذي جعـل اسمه يظل باقياً هناك أن يهلك أي ملك أو أي شخص يتجـرأ عـلي تحـدي هـذا المرسـوم وتـدمير معبـد الـرب في القـدس! ولقـد أصـدرت أنـا دارا Darius الأول هـذا المرسـوم، فلتطيعوا ما جاء في الرسالة .

وهكذا فلقـد قـام دارا Darius بتكـرار الإجـراءات التـي أمـر بهـا قـورش Cyrus مقدِّماً لهم هبات وعطايا جديدة، ولكن تم تسـديد هـذه النفقـات مـن أمـوال الجزيـة التي تجمعها حكومة عبر الفرات، وفي المقابل فإن أحبار القدس كانوا يبتهلون إلي اللـــه ليحمي دارا Darius وأبناءه، ولقد اكتمـل تشـييد هـذا المعبـد في مـارس مـن عـام 515 وتمكن اليهود من الاحتفال بعيد الفصح فيه مباشرة، وهكذا اسـتمر مجتمـع القـدس في التمتع بالحكم الذاتي الـداخلي مـثلما كـان الحـال منـذ عهـد قـورش Cyrus ، بيـنما وفي الوقت نفسه كان لزاماً عليه أن يظهر خضوعه للسلطة الأخمينية (وعلي وجه الخصوص فيما يتعلق بالجزية).

قبرص:

يوجد لدينا نقص كبير في معلوماتنا عن بعض الأقاليم الفرعية الأخري مثل جزيرة قبرص وإقليم فينيقيا، والتي كانت تابعة لحكومـة عـبر الفـرات، وكـما يقـول هـيرودوت Herodotus في (الكتاب الثالث 91) فلقد كان لزاماً علي هـاتين المنطقتـين دفـع جزيـة، وتجهيز فرق عسكرية بحرية، ولقد كان كل منهما مقسـماً إلي دويـلات عديـدة، ويقـوم هيرودوت Herodotus في (الكتاب السابع 98) بتسـمية انتقائيـة للحكـام الـذين ينظـر إليهم علي أنهم من أهم الحكام في هاتين المنطقتين، وهما ملكان قبرصـيان (جورجيـوس Gorgus ، تيموناكس) وثلاثة ملوك فينيقيين، هم (تترامِنستوس ملك صيدا، مـاتن ملـك Tyre ، مِربالوس ملك أرادوس) .

ومن الواضح أن جزيرة قبرص وبفضل علاقاتها القويـة مـع إقلـيم

كليكيا (انظر أسفل) كانت لها دائماً أهمية استراتيجية بالنسبة للسياسة الفارسية في البحر المتوسط، وهكذا فإننا سنوسع التأملات التي خص بها ديودورس Diodorus أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني في العقد الثاني من القرن الرابع ق.م لتشمل الفترة بأكملها: «فقد أدرك الملك فوائد ومميزات موقع قبرص، حيث إنها يمكنها تجهيز أسطول كبير، وأن تعمل كقاعدة خارجية في الحروب الأسيوية» (XVI 2-44) ، وتربط هذه الجزيرة أيضاً علاقات قديمة بإقليم فينيقيا، وكانت هناك مدينة تُدعي «قرطاجة والتي تتبع (Tyre (Amathente or Kition ، وتوجد أدلة كثيرة علي التأثير الفينيقي في قبرص، وذلك بجانب التأثيرات اليونانية والجذور الإتيوقبرصية القديمة لها، بالإضافة إلي ذلك، فقد كانت العديد من الأسر الحاكمة في قبرص ذات أصول فينيقية واستمروا في استخدام اللغة الفينيقية في نقوشهم.

ونعرف قدراً أكبر قليلاً عن قبرص وقت اندلاع الثورة الأيونية، حيث قام أونيسيلوس Onesilus أخو الملك جورجيوس Gorgus ملك سلاميس بالاستيلاء علي السلطة، وأقنع المدن القبرصية الأخري باستثناء أماثوس أن تنضم للثورة (هيرودوت Herodotus الكتاب الرابع 104)، ويقوم هيرودوت Herodotus عند هذه النقطة بإعطائنا شجرة نسب ملك سلاميس والتي تبدو أنها أهم الممالك التي قامت علي هذه الجزيرة، فملك سلاميس جورجيوس Gorgus وأخيه أونيسيلوس Onesilus هم أبناء خرسيس وأحفاد سيروموس، وأبناء أحفاد إيولثون (الكتاب الخامس 104)، وهكذا انتقلت السلطة من الأب لابنه، ولكن، وعلي الأقل في مناسبة واحدة نري الملك الأكبر الفارسي قد تدخل في هذه الشؤون الداخلية، فتبعاً لميرودون قام الفاتحون الفرس بإعادة السلطة إلي الملك جورجيوس Gorgus (الكتاب الخامس 15)، وحيث إن جورجيوس Gorgus هرب إلي الفرس (الكتاب السابع 104)، فلا بد أنه قد استعاد

عرشه بفضل الدعم المباشر الذي قدمه له دارا Darius ويكتب هـيرودوت Herodotus أنه في نهاية الثورة «تم إخضاع قبرص مرة أخري بعد تمتعها بعام من الحريـة» (الكتـاب الخامس 116)، ولكن لا تخبرنا كلمات هـيرودوت Herodotus بشيء عـن وضـع المـدن الفينيقية، ونعرف أن الحاميات الفارسية قد تمركزت في الجزيرة، ولكن من المحتمل أنهـا كانت موجودة بالفعل قبل ذلك، وهناك ما يدفعنا -من دون أن يكون عنـدنا دليـل- إلي تكرار الحكم الذي صاغه ديودورس Diodorus عن مكانـة ووضـع الملـوك القبارصـة في القرن الرابع: «كان يوجد علي هذه الجزيرة (9) مدن مأهولة بالسكان، وكانـت تتـبعهم بعض المدن الصغيرة، والتي كانت عبارة عن ضواحي لهذه المـدن التسـعة، وكـان يحكـم كل واحدة من هذه المدن ملك خاص بها، وكـانوا خاضـعين لملـك الفـرس (VI، 44-42)، وفي الوقت نفسه فإن الحملة التي قادهـا أرتاكسركسـيس Artaxerxes الثـاني تظهـر أن الملك الأكبر الفارسي لم يكن ليسمح لملك قبرص أن يعلن استقلاله رسميًّا عن إمبراطوريته وأن يتوقف عن دفع الجزية (ديودورسDiodorus XV ، 209) .

فينيقيا:

تم ذكر الـدويلات الفينيقيـة مثـل الـدويلات القبرصـية والـدويلات الموجـودة في كـل مـن فلسطين وسوريا، في النوم الخامس لهيرودوت Herodotus (الكتاب الثالث 91)، ويرجـع حـديث المصادر القديمة عنهم إلي قيامهم بتجهيز فرق عسكرية بحريـة مشـهورة بدايـة مـن غـزو قمبيـز Cambyses لمصر وحتـي حملـة كسركسـيس Xerxes، 479-525، وتبعـاً لمـا ذكـره هـيرودوت Herodotus في (الكتاب السابع فقرة 89)، فقد اجتمع الفينيقيـون مـع السـوريين الموجـودين في فلسطين وقاموا بتزويـد كسـركسيس Xerxes بأكبر فرقـة عسـكرية بحريـة (300 سـفينة)، وكـان قادة هذه الفرقة من بعد القادة الفرس هم أشهر من قـاموا بالإبحـار مـع هـذا الأسـطول: وهـم

ملوك صيدا، Tyre ، وأراد Arad (الكتاب السابع 98)، ويذكر هيرودوت Herodotus أن السفن الفينيقية كانت هي الأسرع، وكانت سفن صيدا هي الأفضل بين السفن الفينيقية (الكتاب السابع 98): والسفن الوحيدة التي كانت تعادل سفن صيداً في سرعتها وتفوقها هي سفن أرتيميسيا ملكة هاليكارناسوس والتي «كانت السفن الأشهر من بين سفن الأسطول وذلك بعد سفن صيدا» (الكتاب السابع 99)، وكان الفينيقيون من أهل صيدا هم من فاز بمباراة التجديف التي أُقيمت بالقرب من أبيدوس (الكتاب السابع 44) .

وقد قام كسركسيس Xerxes بتفقد الأسطول في دوريسكوس وهو علي متن إحدي سفن صيدا (الكتاب السابع 100)، والتي ركب فيها عندما غادر الأسطول (الكتاب السابع 128)، وكانت هذه السمعة الكبيرة للسفن الفينيقية ترتكز علي أساس قوي، ويظهر أحد الأختام علي لوح بِرسيبولس (PT8) الذي يعود إلي عهد دارا Darius ، يظهر سفينة تشبه سفن صيدا والتي عرفت من بعض عملات صيدا التي تم اكتشافها فيها بعد (شكل 50 هـ صفحة 606) .

وتأتي الوثيقة الأكثر أهمية من صيدا، وتتمثل في تابوت حجري للملك إشمونصر الثاني والذي هو من أصل مصري (شكل 48) ويقدم هذا الملك نفسه والطريقة التالية: إشمونصر الأول ملك صيدا، ابن الملك تابنيت ملك صيدا، وحفيد الملك إشمونصر ملك صيدا، وأمي هي أموشتارت كاهنة الإلهة عشتريت، سيدتنا الملكة، بنت الملك إشمونصر ملك صيدا (روزنثال، A NET 662).

ثم يشير إلي العطايا والهبات العديدة التي قدمت تكريماً للمدينة، فيقول: لقد أعطانا سيد الملوك دوروجوبا أراضي التنين القوية التي تقع في سهل شارون، بالتوافق مع الأعمال المهمة التي قمت بعملها، وقد أضفناها إلي حدود دولتنا حتي تصبح جزءاً من دولة صيدا إلي الأبد .

وهكذا فإن هذه النقوش تشهد علي إفراد الملك الأكبر الفارسي أراضٍ جديدة ومنحها إلي صيدا، ولكن تاريخ و-أيضاً- ظروف هذه الهدية تظل موضع خلاف وجدل، وفي الحقيقة فقد لعبت السفن الفينيقية دوراً مهماً بداية من عهد قمبيز Cambyses ووصولاً إلي كسركسيس Xerxes ومن أتوا من بعده، وبالإضافة إلي ذلك وتبعاً لما ذكره هيرودوت Herodotus (الكتاب السابع 98)، فإنه في عام 480 قام الملك تترامنستس ابن أنيسوس بقيادة فرقة صيدا العسكرية ، وحتي إذا افترضنا حدوث تحريف لفظي لأسماء



الشكل 48

الأشخاص فإنه من غير الممكن أن يكون اسم الملك هذا إشارة إلي إسمونازار ابن تابنيت، والذي -إضافة إلي ذلك- مات وهو في عمر 14 عاماً، وحيث إننا لا نمتلك أي معيار أو مقياس مستقل لتحديد التسلسل التاريخي لملوك صيدا عند نهاية القرن السادس وبداية القرن الخامس فإن هذا السؤال سيظل مطروحاً .

وبالإضافة إلي ذلك فإن هيرودوت Herodotus يقول إن ملك صيدا قد حظي بمكانة خاصة في عهد الملك الأكبر كسركسيس Xerxes ، فقبل موقعة سلاميس كان هذا الملك هو أول من ذهب إليه كسركسيس Xerxes

طلباً للنصح من بين «جميع حكام الدول وقادة البوارج الحربية، وقد كانت مجالسهم محددة تبعاً لدرجة حظوتهم وقربهم من الملك، وكان ملك صيدا هو الأقرب، ثم يليه سيد Tyre وهكذا، في الترتيب الذي حدده لهم كسركسيس Xerxes (الكتاب الثامن 67-68)، ولكن وعلي العكس مما افترضه البعض أحياناً، فلم يكن ملك صيداً هو قائد الأسطول الفارسي والذي ظل تحت سيطرة مجموعة من القادة الفرس رفيعي المستوي، ويذكر هيرودوت Herodotus أسماء أربعة من هؤلاء القادة (منهم اثنين من أولاد دارا Darius)، ويذكر أن الفرق العسكرية الفينيقية والفرق الأخري كانت تقدم تقاريرها إلي بركساسبيس Prexaspes وميجابازوس Megabazus ، وإذا كان يتم استشارة القادة المحليين (بمن فيهم أرتيميسيا) فإن هذا كان بسبب خبرتهم في ركوب البحر، وكانت المكانة المميزة التي حظي بها ملك صيدا ترجع ببساطة إلي ما كانت تُعرف به السفن التي قدمها من قدرة علي المناورة، ولكن رغم ذلك ظل الملك الأكبر الفارسي ورفاقه هم المسؤولين فقط دون غيرهم عن وضع وإداراة استراتيجية المعركة .

4 - من القدس إلي مغنيسيا علي نهر The Meander :

دارا Darius جاداتاس Gadatas وأبوللو ملك أولاي:

لا توجد لدينا كلمة واحدة حقيقية عن السياسة الفارسية في آسيا الصغري في الفترة بين قيام أوتانيس Otanes بغزو ساموس (519-520) وتوقف دارا Darius المتكرر في سارديس في طريق عودته من حملاته الأوروبية، وذلك لأنه توجد أهمية كبيرة واهتمام شديد بوثيقة تُعرف تقليديًّا برسالة دارا Darius إلي جاداتاس Gadatas والتي سنقدمها ونناقشها عند هذه النقطة مهما كانت الشكوك حول التاريخ الحقيقي لها ، وتقول هذه الرسالة : من ملك الملوك دارا Darius ابن هيستاسبيس إلي

خادمه (دولوس) جاداتاس Gadatas أبلغك بالآتي: أدرك أنك لا تمتثل إلي كل أمر من أوامري، ويبدو أنك حريص في زراعتك واستغلالك للأرض التي أملكها؛ لأنك قمت باستزراع مجموعة من الأشجار التي تنمو علي الجهة الأخري من نهر الفرات في مناطق آسيا السفلي؛ ولهذا السبب أمدح نواياك، وسوف تكون هناك مكافأة وتقدير كبيرين في بيت الملك، ولكن من جهة أخري، بما أنك اخترت أن تغفل وتخالف رغباتي فيما يتعلق بالآلهة، فإن لم تتغير وتكف عن ذلك فسوف تذوق ويلات غضبي الذي أثرته بمخالفتك هذه .

لقد فرضت علي البستانيين المقدسين لأبوللو (فيتورجوي هيروي) رفع الجزية (فوروس)، وطلبت منهم أن يعملوا في الأراضي الدنيوية (خوراً بيبيلوس) وخالفت بذلك المشاعر والاحترام الذي كان يكنه أسلافي لهذا الإله الذي قال للفرس.... (ثغره)... (ML 12) .

ولم يحدث حتي الآن أن ادعي أو أثبت أحد عدم صحة هذه الوثيقة، وقد يبدو مفاجئاً أن نجد نسخة يونانية من إحدي الرسائل الملكية؛ وخاصة لأن النقوش والكتابات الموجودة عليها مكتوبة بطريقة تجعلنا ننسبها تاريخيًّا إلي عهد الإمبراطورية الرومانية، وفي الواقع فهي عبارة عن إعادة نقش لوثيقة تعود النسخة الأصلية منها إلي عهد دارا Darius ، حيث إن الخصائص التركيبية لهذه الرسالة تشبه إلي حد كبير أسلوب المستشارية الأخمينية في كتابة الرسائل، وفي عهد الفتوحات الرومانية، كان لزاماً علي المدن والمعابد أن تقدم الدليل علي الحصانات والامتيازات التي تتمتع بها من فترات سابقة، والتي كانت ترغب في تجديدها، وبالطبع فإن المُترجم أو المحرر الذي قام بإعداد هذه النسخة لا بد أنه قام باستخدام بعض الكلمات اليونانية ليُعبر عن الكلمات الفارسية التي لم يجد لها مقابلاً، ومن المحتمل أن المحدد (Doulos) علي سبيل المثال، والذي يستخدمه دارا Darius ليخاطب به جاداتاس Gadatas يمثل

الكلمة الفارسية القديمة «بانداكا» والتي بدورها تعني «التابع المخلص للملك»، وبالمثل فإنه لا يوجد أي شك في أن الاسم «جاداتاس Gadatas » هو النقش غير المتقن للاسم الفارسي «باجاداتا»، ومازال هناك شيء واحد لسنا متأكدين منه وهو تاريخ إرسال هذه الرسالة في عهد دارا Darius حيث لا توجد أية صورة أو علامة عليها تجعلنا نقول بأن تاريخها كان بعد أو قبل اندلاع الثورة الأيونية (492-500)، أي قبل أو بعد عبور دارا Darius لآسيا الصغري (512-513)، وببساطة فإنه من المغري أن نفترض أن هذا الإعلان الملكي قد تم تسجيله في سلسلة من الإجراءات التي اتخذها أثناء إقامته في سارديس في طريق عودته من أوروبا، ويوضح هيرودوت Herodotus أن الملك الأكبر قد جلس علي العرش (بروستيون) في سارديس خلال استقباله للوفود (الكتاب الخامس 2)، ومن المحتمل أن مديري هيكل أبوللو قد قدموا إليه هناك، وطلبوا منه أن يتخذ موقفاً بخصوص هذه القضية التي كانت تقلقهم.

والرسالة نفسها تقع في جزأين كلاهما مستقل عن الآخر ولكنهما مرتبطتان، ففي الجزء الأول يعرب الملك عن رضاه وسروره بجاداتاس Gadatas لما فعله من أعمال زراعة البساتين والتي نفذها بشكل جيد للغاية، ولم تتم الإشارة إلي وظيفة جاداتاس Gadatas ، ولقد افتُرض أحياناً أنه شغل منصب المرزبان في سارديس بعد وفاة أرتافرنيس Artaphernes حوالي عامي (492-493) (غير موثقة) .

ومن الصحيح أنه في مغنيسيا علي نهر The Meander كان يوجد هناك سكن يستخدمه مرزبان سارديس وذلك في عهد أوروتيس Oroetes (هيرودوت Herodotus الكتاب الثالث 122-125) حوالي عام 525، واستخدمه أيضاً تيسافرنيس Tissaphernes بعد ذلك بأكثر من قرن (ثيوسيديدس Thucydides، VII، 53-51) وتبعاً لكتاب أوكونوميكوس الذي كتبه زينوفون Xenophon فقد كانت وظيفة الحكام أيضاً تتمثل في

الحفاظ علي الأرض التي يتم زراعتها وزيادة المحصول، وإلا فإنه لن تتوافر المؤن الكافيه للحاميات، ولن يتم دفع الجزية (الكتاب الرابع، فقرة 11)، ولكن هذه الرسالة تتحدث عن أرض معينة، والتي تم مدح جاداتاس Gadatas ؛ لأنه تمكن من أقلمة واستزراع بعض الأشجار والنباتات المجلوبة من «بيران تيس يوفراتو» أي (عبر الفرات) وهي عبارة يونانية تصف بأسلوبها الكلمة الأكادية «إبير ناري»، ولا يمكن أن تفهم هذه العبارة إلا كإشارة إلي الحدائق والجنان الفارسية المشهورة التي اشتملت من بين مكوناتها علي حدائق نباتية مكرسة ومخصصة لتجارب استزراع الأنواع النادرة من النباتات، وبالنظر إلي هذه الظروف فإنه من المحتمل جدًّا أن جاداتاس Gadatas هذا كان القهرمان المسؤول عن البستان الملكي/ المرزباني، الذي يقع بالقرب من مغنيسيا علي نهر The Meander ، «وذلك مثل عساف الذي كان مسؤولاً عن منتزه الملك» (بارديس لاميليك) في سوريا في عهد أرتاكسركسيس Artaxerxes الأول (نيهيميا 2-8)، ويشير دارا Darius إلي أراضي هذه البساتين في الجزء الثاني من رسالته» بالأراضي المدنسة» بالمقارنة مع عبارة أخري في بداية النص وهي «الأراضي التي أملكها» (الفصل7/10)، وهذا التعبير اللافت للنظر «الأراضي المدنسة» يمكن أن تبرره حقيقة أنها ملحقة وبشكل واضح بالأراضي التي تخص ذلك الهيكل اليوناني وهو هيكل أبوللو إله أولاي بالقرب من مغنيسيا علي نهر The Meander ، ويوبخ دارا Darius جاداتاس Gadatas ؛ لأنه أجبر «البستانيين المقدسين» علي العمل عنده وعلي دفع الجزية، ويمكن الآن إعادة تنظيم وذكر الامتيازات التي تمتعوا بها كالتالي: فقد تمتع الهيكل بحصانة مالية، حيث إن «البستانيين المقدسين» لم يكونوا يدفعون الجزية ولم يكونوا يتعرضون لأي من المطالب المرزبانية المنصوص عليها بمقتضي نظام السُخْرة .

دارا Darius ، تاتيناي Tattenai ، وجاداتاس Gadatas :

أولاً وقبل كل شيء تشهد الرسائل التي وجهها دارا Darius إلي كل من تاتيناي Tattenai علي المواقف الحازمة التي كان يتخذها دارا Darius من النزوات الشخصية للمرزبانات الذين كان يقوم بتعيينهم، وعندما كان الملك يقوم بمنح أحد المجتمعات امتيازات معينة كان يتم إرسالها إلي الممثلين المحليين للإدارة، وعندما قام أرتاكسركسيس Artaxerxes الأول بعد ذلك بوقت قصير بإرسال «نهيميا» إلي القدس وحمله بعض الرسائل إلي حاكم إقليم عبر الفرات، وحمله أيضاً رسالة موجهة إلي عساف قهرمان الحديقة الملكية (والذي كان عليه توفير الخشب اللازم لبناء معبد الرب، نيهيميا 2: 7-8)، وقد كان علي المسؤولين الملكيين أو المسؤولين عن مرزبانية ما إجراء استقصاء أولاً قبل اتخاذهم أي قرار مهما كان، ولم يهمل تاتيناي Tattenai فعل ذلك، فقد سأل شيوخ القدس عمن أعطاهم التخويل والتصريح بالعمل علي إعادة بناء المعبد، ومن الواضح أن أيًّا من اليهود أو المسؤولين المحليين للحكومة لم تكن لديهم نسخة مكتوبة من الأمر الذي أصدره «قورش Cyrus »، وهكذا قام تاتيناي Tattenai بإرسال رسالة إلي دارا Darius يطلب منه فيها أن يجري بحثاً في الأرشيف المركزي، وفي حالة خطاب دارا Darius إلي وجاداتاس Gadatas كانت الامتيازات الممنوحة لهيكل أبوللو إله أولاي قديمة جدّاً، حيث إن دارا Darius قام بنسبتها إلي أسلافه، ومن الممكن أن قورش Cyrus أثناء قيامه بفتح آسيا الصغري قد كون علاقات طيبة مع الكهنة، وفي المقابل حصلوا نتيجة لذلك علي حصانة مالية، وهكذا فيحتمل أن دارا Darius قام بإرسال رسالته إلي جاداتاس Gadatas بعد أن طلب مديرو الهيكل من الملك الأكبر أن يعكس القرار الذي اتخذه قهرمان البستان، وهكذا كانت الرسالة الموجهة من الملك تأكيداً علي الاعتراف بتلك الامتيازات والتي لا يستطيع جاداتاس Gadatas أن

يتجاهلها بعد الآن؛ وذلك خوفاً من التعرض لعقوبات قاسية علي الرغم من الجهود الجديرة بالثناء التي قام بها في البستان الملكي، واستزراع أنواع جديدة .

وتمثل الرسائل الخطية الصادرة عن الملك استمراراً لسياسة هؤلاء الأباطرة العظام ابتداءً من قورش Cyrus وحتي دارا Darius ، والتي لدينا الكثير من الأسباب للاعتقاد بأنه أرسلها أيضاً للتأكيد علي الامتيازات الممنوحة للمعابد البابلية، وتزودنا هذه الرسالة الموجهة إلي جاداتاس Gadatas بمثال صريح عن الحصانة المالية التي منحت لأحد المعابد، والمثال الوحيد المماثل هو الحصانة التي تم منحها فيما بعد لمعبد القدس: «يمنع فرض جزية أو جمارك أو مكوس عليهم» (عزرا 7: 24، فوروس في ترجمة التوراة السبعينية)، وتشهد هذه الرسالة من دارا Darius إلي جاداتاس Gadatas علي استراتيجية أيديولوجية شاملة اتبعها أباطرة الفرس، وأيضاً علي الأمثلة المحددة لتطبيقاتها المحلية، فإذا كان قورش Cyrus قد منح مثل هذه الامتيازات، فربما يرجع ذلك إلي أنها كانت قد منحت لهم في الأساس من قبل ملوك ليديا، ونظراً لمحدودية مساحة هذه الأراضي التي تتبع الهيكل، فإن هذا يعني أن خسائر الخزانة الملكية نتيجة هذا الإعفاء كانت صغيرة، وبالنسبة للمخاطر السياسية فقد كانت ضئيلة بالمقارنة مع الفوائد الأيديولوجية التي سيحصل عليها الملك من عقد تحالف مميز مع هيكل له احترامه في قلوب الناس يقع بالقرب من أحد مساكن الإدارة الأخمينية .

وتسهل مقارنة البستانيين المقدسين (هيرو فيتورجوي) لأبوللو إله أولاي مع آلاف العبيد المقدسين (هيرو دولوي) الذين كانوا يعملون في أراضي الهياكل العظيمة في الأناضول، ويقول سترابو Strabo متحدثاً عن العبيد الذين كانوا يعملون في خدمة هيكل كومانا (Comana) في بونتس (Pontus) (الكتاب الثاني عشر 3-34) أن سيد الهيكل كان له سلطان كامل

عليهم باستثناء القيام ببيعهم (كيريوس بلين تو بيراسكين)، ولقد قال «أنتيوخوس ملك كوماجين Antiochus of Cammagene » مؤكداً علي مثل هذه السوابق الصريحة أو الوقائع الموازية عندما شيد الهيكل الملكي في نمرود راغ: «لن يسمح لأي شخص، ملكاً كان أم فرداً من أسرة حاكمة، أم كاهناً، أم حاكماً محليًّا أن يقوم بتحويل خدام الهيكل إلي عبيد (كاتادولايثاي) أو حتي أبنائهم، أو من هم من نسلهم، والذين ينتمون إلي هذه الطائفة إلي أبد الآبدين، أو أن يبعدهم، أو ينفرهم بأية طريقة كانت (أبالورتريوزاي)، أو أن يسئ معاملتهم (كاكوزاي) بأي شكل كان، أو أن يجبر مجموعة منهم علي العمل الإلزامي والسخرة (ليتورجيا)، ولكن سيكون الكهنة والحكام المحليون مسؤولين عنهم، وسوف يتولي الملوك والحكام المحليون، وكل شخص بذاته حمايتهم (OGIS ، السطور 171-185) .

وكانت القري التي يعيش فيها خدام الهيكل، والتي منحها الملك للهيكل كـ(دوريا) محمية هي الأخري (VII, IGLS) رقم 4028).

وبالتأكيد تعد الحروب وأعمال السلب والنهب هي أحد الأسباب الممكنة للاستعباد أو إساءة المعاملة التي كان يضعها الملك وإدارته في اعتبارهم (والتي كان من الممكن أن تضر بانتظام تدفق العائدات من القري المتناثرة في المنطقة المقدسة التابعة للهيكل)، ويجب أن نتذكر عند هذه النقطة ما كتبه سترابو Strabo عن خدام هيكل «زيليا Zeleia » (الذي تم تخصيصه للإله آنيتيس): كنتيجة لكل أنواع الأفعال السيئة التي تم ارتكابها في حقهم وتقليص عددهم (الكتاب الثاني عشر، 3-37) .

هل كانت كل الهياكل في الأناضول، والتي تم تفريس بعضها وإكسابها الأفكار والعقائد والعادات الفارسية (مثل أناتيس) تتمتع كلها بالامتيازات نفسها التي تم منحها لهيكل أبوللو إله أولاي؟ لا تقدم الأدلة المتوفرة أية إجابة عن هذا السؤال، ويجب ببساطة أن نؤكد علي أن وقف

عـدد قليـل مـن الهياكـل كـان أحـد الأمـور الواضـحة خـلال الـعصر الفـارسي (بلوتـارك Plutarch، Art 27-4) (سترابو Strabo XI 14-16).

وتقدم وثيقة أخري (هي أيضاً من الفترة المتأخرة) نموذجاً موازياً، حيـث تكشـف بعض النقوش اليونانية من كابادوكيا عـن وجـود هيكـل، تـم تكريسـه للإلهـة الفارسـية أنايتس بارزوكارا، وأنه قد تم تكريس خدام ليعملوا علي خدمته، وتـذكر هـذه النقـوش أنهم كانوا معافين من التعرض لإساءة المعاملة من قبل أي شخص، وكذلك مـن هـم مـن نسلهم إلي الأبد»، وتذكرنا بقوة مثل هذه القواعد التنظيمية والعادات بحقـائق الرسـالة الموجهة من دارا Darius إلي جاداتاس Gadatas ، وتوضحها أيضاً، ولكـن ولسـوء الحـظ لا نستطيع أن نقـول شـيئاً عـن الوضـع المـالي لهـذه الهياكـل الأناضـولية تحـت الحكـم الأخميني، ولا تعني أعمال السلب والنهـب التـي نظمهـا داتـاميس Datames في بعـض من هذه الهياكل، والتي يمكن أن تكون إشارة لتمرده عـلي الملـك الأكـبر (Arist.Ps) (أو يكون) II 24 - أ، بوليانوس Polyaenus (VII 21-1) -والـذي لم يثبـت بعـد- أن هـذه الهياكل معفاة بشكل طبيعي من أية التزامات تجاه السلطة الإمبراطورية .

5- غرب آسيا الصغري: المدن، الملوك، وحال الإمبراطورية بعد الثورة الأيونية:

الإجــراءات التــي اتخــذها كــل مــن أرتــافرنيس Artaphernes ومــاردونيوس (Mardonius (493-492 :

تظهر طبيعة عمليـة إعـادة غـزو آسـيا الصـغري التـي تمـت في نهايـة الثـورة الأيونيـة (الفصـل 3/4) أن الاهـتمام الـذي تـم إعطـاؤه إلي الهياكـل المحلية قد وجد حدوده في ولاء الناس، فقد قام الفرس بعملية إعادة الغـزو هذه بشكل فظ وبدون شفقة أو رحمة، وهو الشيء الذي لم يفاجـأ بـه

اليونانيون، وكما يخبرنا هيرودوت Herodotus ، فلقد أوضح الفرس أن هؤلاء الذين سيقاومونهم حتي النهاية سوف يتعرضون لعقاب يجعل منهم عبرة، حيث سيتم تحويلهم إلي عبيد، وسيتم ترحيلهم من بلادهم إلي أماكن أخري، وستصادر أراضيهم، وتهدم منازلهم وهياكلهم (الكتاب السادس فقرة «9»)، ولقد كان هذا هو مصير ملطية Miletus : فقد تم قتل معظم الرجال، وتم استعباد النساء والأطفال، وسلب وسرقة المعبد في ديميا بهيكله وضريحه، ثم إحراقه، وقد قام الفرس بالسكن في الأراضي المجاورة للمدينة مباشرة، وباقي المنطقة المزروعة التي تقع ضمن ممتلكاتها، ولقد عهدوا بالأجزاء الجبلية من المناطق الداخلية إلي «الكاريين سكان بيداسوس»، وبهذه الطريقة تم إفراغ ملطية Miletus من سكانها (الكتاب السادس، 19-20-22) .

ولقد تم إحراق جزر كيوس، ليسبوس، تينيدوس، ثم مدن البر الرئيس، والمدن التي تقع علي مضيق الدردنيل، تم حرقها جميعاً وتحويلها إلي خراب (الكتاب السادس: 32 هـ) .

وعلي العكس مما سبق، فإن أهل جزيرة ساموس الذين لم يشتركوا في الثورة بناءاً علي إلحاح وطلب إيسيس Aeaces تم منحهم معاملة تفضيلية: «لم يقم الفرس بحرق ساموس نفسها لا المدينة ولا المعبد» (الكتاب السادس، 25) .

وكما يقرر هيرودوت Herodotus ، ففي نهاية حملات إعادة الغزو هذه، وفي السنة نفسها (493) «قد تم فعل شيء في مصلحة أهل أيونيا إلي حد بعيد»: فلقد أقام أرتافرنيس Artaphernes حاكم سارديس بالإرسال إلي كل الدويلات الأيونية حتي يرسلوا ممثلين لهم، وأجبروا علي أن يقسموا علي تسوية خلافاتهم بالتحكيم بدلاً من أن يظلوا هكذا متربصين ببعضهم البعض، وبالإضافة إلي هذا قام بمسح أراضيهم وقياسها باستخدام الفرسخ (وهو وحدة قياس فارسية للمساحة تعادل 30

فرلنغ)، وقام بناءاً علي ذلك بتحديد الضريبة التي تدفعها كل منهم بمبلغ معين ظل ثابتاً لم يتغير علي ما أتذكر، وبالإضافة إلي ذلك فقد كان المبلغ هو نفسه مثلما كان في السابق، ولقد قادتهم هذه الإجراءات إلي السلام (الكتاب السابع، 42-43) .

ثم بعد الحديث عن تعيين ماردونيوس Mardonius قائداً عسكريًّا، ووصوله إلي هناك في الربيع التالي (492)، يشير هيرودوت Herodotus إلي إجراء آخر: حيث قام ماردونيوس Mardonius بطرد كل الحكام الولايات غير المسؤولين من كل الدويلات الأيونية، وقام بإنشاء مؤسسات ديمقراطية لتحل محلهم» (الكتاب السابع، 43) .

يشير ديودورس Diodorus معطياً الانطباع بأن هذه الإجراءات قد اتخذها أرتافرنيس Artaphernes بعد إجرائه محادثة مع هيكاتيوس Hecataeus (والتي هي مختلقة بالتأكيد)، يشير إلي عملية إعادة الغزو بالكلمات التالية: «قام أرتافرنيس Artaphernes بإعادة القوانين (أبيدوك) إلي المدن، وفرض عليهم جزي محددة (إيبي تاكسين) تبعاً لقدرة كل منها علي الدفع (كاتا دينامين) (X 25-4) .

الحروب الحدودية والتحكيم:

دعونا نجري فحصاً أوليًّا للقرارات التي يقوم هيرودوت Herodotus بنسبتها بشكل صريح إلي أرتافرنيس Artaphernes ، ومن الواضح أنه علي الرغم من أن هيرودوت Herodotus يصف هذه الإجراءات بأنها كانت «مؤدية إلي السلام» (أيري نايا)، فإنه لم يدافع عن القائد الفارسي أرتافرنيس Artaphernes هذا، ولقد كان مسروراً لذكر ما كان بالنسبة له دليلاً علي أن المرزبان الفارسي قد بدأ عملية تحسين جديرة بالذكر للعلاقات بين الدويلات الأيونية، ولقد عرف هيرودوت Herodotus ، والذي كان موطنه الأصلي هو بلدة هاليكارناسوس الأيونية، عرف أن الصراعات الحدودية كانت واحدة من أكبر المشكلات التي تعاني منها

الدويلات اليونانية، ولقد قدم مثالاً حيًّا علي أعمال السلب والاغتصاب عـن طريـق نقـل ما رواه بعض الجنـود الـذين نجـوا مـن معركـة لادي Lade ، فأثنـاء محـاولتهم العـودة لبيوتهم دخلوا إلي أراضي إيفيسوس وكان ذلك في الوقت الذي تحتفل فيه النسـاء بعيـد ثيسموفوريا Thesmophoria ، وعندما وجدوا هذه المجموعة من الرجال المسلحين قد دخلوا إلي أراضيهم، اعتقد رجال إيفيسوس عـلي الفـور أنهـم قطـاع طـرق يسـعون وراء نساءهم، فأسرعوا لنجدتهم، وجمعوا كل ما اسـتطاعوا جمعـه مـن الرجـال، وقتلـوا كـل أولئك الرجال الذين كانوا من جزيرة كيوس» (الكتاب السادس، 16) .

ولقد أثارت قلة ما لدي المدن المجاورة من أراضي قابلـة للزراعـة أثـارت حقـدهم علي هذه المدينة، وتسجل إحدي الكتابات اليونانية (282-283) هذه الحقيقة بوضـوح: فلقد اضطر الملك ليسيماكوس Lysimachus إلي التدخل للفصل في نزاع مرير تشـأ بـين ساموس وبريين حول أحقية كل منهم في إمتلاك إحـدي المقاطعـات (بـاتينيتس (RC7 ، ولقد استدعاهم الملك، وقام كل من وفدي المدينتين بعرض قضيته، وكيف أنه لـه الحـق في ضم هـذه المقاطعـة، وقـام مبعـوث مدينـة سـاموس بسرد تـاريخ أحقيـتهم في هـذه المقاطعة، والذي يعود إلي القرن السابع ق. م، وذلك من خلال تقديم قصـص وشـهادات ووثائق قضائية أخري، والتي أقنعـت الملـك بـأحقيتهم في ضـمها لهـم، والتـي تعـود إلي الأجداد .

والشيء المثير أيضاً هو أننا نمتلك وصفاً واضـحاً للإجـراءات التـي فرضـها المرزبـان الفارسي، ولقد حصلنا عليه من أحـد النقـوش في ملطيـة التـي يعـود تاريخهـا إلي بدايـة القرن الرابع أي بعد عصر أرتافرنيس Artaphernes بقرن كامل، ويسـجل هـذا الـنقش قراراً اتخذه الملك الأكبر أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني وستروسيس Struses مرزبـان إقليم أيونيا وذلك بهدف وضع نهاية للنزاعات الحدودية العديـدة بـين مـدينتي ملطيـة

وميوس حول منطقة في سهل نهر The Meander ، ولقد قامت كل من المدينتين بعرض قضيتها علي الملك والذي أمر ستروسيس Struses بأن يقضي بينهما، وقد تم نقل هذه القضية في البداية إلي القضاة الأيونيين ليفصلوا فيها (والذين تم ذكر أسمائهم في هذه النقوش)، ولقد قامت كل من المدينتين بإرسال وفد يمثلها وكلفته بعرض قضيتها بالاستعانة بالشهود والأدلة، وقد سافر القضاة حول تلك المنطقة المتنازع عليها وذلك حتي يقوموا بتحديد أراضيها، ثم نقلوا قرارهم (أو بشكل أدق مقترحهم) إلي ستروسيس Struses والذي قضي بعد الاستماع إلي ما قاله القضاة الأيونيون بأن المنطقة المتنازع عليها هي ملك ملطية (تيلوس إيبويزي) (تود رقم 113)، وتؤكد هذه الوثيقة نوعية المعلومات التي حصل عليها هيرودوت Herodotus ، وتشهد بشكل يثير الإعجاب علي العلاقة التي كونها المرزبان مع المدن الأيونية، وقد اعترفت الإدارة الفارسية رسميًّا باستقلالهم الذاتي، وذلك بقدر استمرار ستروسيس Struses في عدم التصرف بناءً علي سلطته فقط ولكن قيامه بنقل المسؤولية إلي السلطات المحلية التي يعود تاريخها إلي الرابطة الأيونية القديمة (والتي لم تنحل مطلقاً)، وفي الوقت نفسه فإن الإجراءات والمداولات تشير بوضوح إلي أن السلطة كان مركزها سارديس .

وقد كانت عملية التحكيم هذه التي قام أرتافرنيس Artaphernes بفرضها علي الدويلات اليونانية تنسجم بشكل كامل مع الطرق الأخمينية والتي كانت تهدف إلي السيطرة علي هذه المدن أكثر من السعي إلي حكمها، ولقد كان الحفاظ علي النظام والاستقرار هو الأساس الذي قامت عليه سياسة أرتافرنيس Artaphernes ، فلقد كافح ليضمن استمرار النظام الذي فرضته الإمبراطورية، والذي لم يكن من الممكن الحفاظ عليه في ظل هذه الصراعات الحدودية المستمرة، ولكن أصبح استقلال هذه الدويلات وحكمها الذاتي لأنفسها خاضعاً للمراقبة والتقييد من قبل

سلطات أعلي، حيث إن اللجوء إلي التحكيم لم يعد يعتمد علي حسن نواياهم ولكن بدلاً من ذلك علي سياسة ينادي بها ويدافع عنها المرزبان والذي راقب تطبيقها مراقبة دقيقة، وبمجرد أن تم إعلان الحكم، فإن أي من المدينتين طرفي النزاع لم تكن تستطيع التملص من الالتزامات التي فرضت عليها بمقتضاه دون أن يتم اعتبارها مدينة متمردة، فقد كان المرزبان هو المسؤول عن تفعيل وتطبيق الحكم الصادر ولو بقوة السلاح إن اقتضي الأمر .

مسألة الجزية:

إن تفسير عملية إعادة تنظيم الجزية تثير مشكلات أكثر تعقيداً، حيث إنه أولاً: لم تؤدِّ عملية إعادة تنظيم الجزية إلي زيادة مقداراها، حيث إن ملاحظة هيرودوت Herodotus التي تشير إلي أن مقدار الجزية ظل كما هو دون تغيير «تبدو صادقة ويمكن تصديقها إلي حد كبير، حيث إنه من المستحيل أن يفكر أرتافرنيس Artaphernes في زيادة الضغط المالي علي المدن التي كانت قد استُنزفت مواردها المالية للتو نتيجة تمردها الطويل، وكما تتضمن ملاحظة هيرودوت Herodotus فلم يكن القصد من وراء الترتيبات المالية التي استحدثها المرزبان هو زيادة الجزية، ولكن كان الهدف هو توزيعها بشكل عادل، ويشير ديودورس Diodorus منطقيًا إلي أن الجزية تم تحديدها علي أساس قدرة كل مدينة علي الدفع، وذلك اعتماداً علي حجم إنتاجية أراضيها (كاتا دينامين)، وكما نعرف فإنه في قلب الجزية كانت توجد العائدات الزراعية (P.S-Arist [oecon] II. 1-4) ، وكان هذا هو السبب وراء قيام السلطات الأخمينية بمسح وقياس أراضي كل مدينة، ومن المنطقي أن تستخدم عمليات المسح والقياس «الفرسخ» كوحدة للقياس، وفوق كل شيء، فإنه لم يتم تعديل مقدار الجزية التي قام دارا Darius بفرضها في عام 518 (كاتا إثني) علي كل إقليم من الأقاليم، ومن ناحية أخري، فإن المقدار الذي تدفعه كل مدينة من المدن قد يكون

زاد أو نقص بالتناسب مع التقييم الذي أعلنه المساحون الملكيون لمساحة أراضيها».

وهكذا فإن هيرودوت Herodotus لم يكن مخطئاً عندما قام بالربط بين اثنين من الإجراءات، واللذين قد يبدوان مختلفين، وهما التحكيم الإجباري، وإعادة توزيع حساب الجزية، حيث كان من اللازم لحدوث استقرار في العلاقات بين المدن الأيونية وبعضها البعض أن يتم أولاً تحديد الأراضي الخاصة بكل مدينة منها، وأن يتم تسجيل حدود كل منها في وثائق رسمية يتم حفظها في الأرشيف المرزباني في سارديس (بازيليكاي جرافاي)، وكان يتم تسجيل كل تعديل يحدث علي هذه الحدود ويحفظ في الأرشيف بما في ذلك علي سبيل المثال عمليات المصادرة والمنح التي تم تقريرها بعد سقوط ملطية (هيرودوت Herodotus الكتاب السادس 20)، وقد أصبحت هذه الوثائق دائماً هي المصدر الرئيس للتأكد من صحة شيء ما، ومعني أن تبدأ حرب بسبب نزاع حدودي هو أنك تعارض هذه الوثائق وتشكك في صحتها، ولقد ضمن مثل هذا الإجراء الوقائي انتظام عملية دفع الجزية، وهي ميزة ليست فقط في صالح الإدارة الملكية ولكن أيضاً بالنسبة للمدن، والتي من ناحية أصبح يتم فرض الضرائب عليها بشكل أكثر عدلاً، ومن ناحية أخري أصبحت قادرة علي التقدم باستئناف اعتماداً علي إحدي الوثائق المرزبانية، وفي الوقت نفسه فإن هذه الإجراءات أدت أيضاً إلي القضاء علي بعض جوانب القصور في النظام الإداري والتي كانت قد لعبت دوراً في إشعال فتيل الثورة.

الأنظمة الديمقراطية والأنظمة الديكتاتورية:

لقد كان الإجراء الثالث الذي اتخذه الفرس والذي يتمثل في (خلع الحكام الولايات) هو السبب وراء حدوث أصعب المشكلات، وإثارة أعمق التساؤلات، بالإضافة إلي أن هذا كان هو الحال في أيام هيرودوت Herodotus ، والذي مارس قدراً كبيراً من الحكمة عندما قام بتقديم عبارته

بهذه الطريقة: «لقد قام (أوتانيس Otanes) بفعل شيء سيكون مفاجأة كبيرة لهؤلاء اليونانيين الذين لا يستطيعون تصديق أنه أعلن للمتآمرين السبعة أن بلاد فارس سوف تدار بواسطة حكومة ديمقراطية» (الكتاب السادس 43)، وإحقاقاً للحق، ومن وجهة نظر المؤرخ فإن المقارنة التي أجراها هيرودوت Herodotus غير حاسمة وغير قاطعة، وتوجد الكثير من الشكوك حتي منذ القدم (III، 80) حول الحماسة الديمقراطية التي تنسب إلي أوتانيس Otanes ! ودعونا أيضاً نذكر هذا التناقض الذي وجدناه بين ما يقوله هيرودوت Herodotus وما يقوله ديودورس Diodorus : فإذا كانت العبارة التي ذكرها ديودورس Diodorus «أعاد للبلاد قوانينها» تعادل الإجراء الذي يصفه هيرودوت Herodotus (خلع حكام الولايات وتأسيس الديمقراطيات)، فإن ديودورس Diodorus يصف أرتافرنيس Artaphernes بأنه أول من شرع في هذا الاتجاه الديمقراطي، ولكن بالنسبة لهيرودوت Herodotus فإن ماردونيوس Mardonius هو أول من بدأ فيه .

وإحدي الملاحظات المبدئية هي: لا يوجد معني لأن نقترح -وعلي نموذج جمهور هيرودوت Herodotus - أن هذا الإجراء لا يمكن تصديقه بسبب الاتجاه السياسي الذي ينسب إلي الفرس؛ ولأن الفرس لم يكونوا يفكرون بأي من التفضيلات أو الاتجاهات الأيديولوجية فيما يتعلق بشكل الحكومة التي تدير أمورهم، فإنهم من الممكن عند أية لحظة أن يقوموا بمساندة مثالية (أو عدم معارضة) لميلاد أو ظهور نظام ديمقراطي، ومن الواضح أن السؤال الوحيد هو كالتالي: هل قاموا حقًّا بفعل ذلك؟ وعند هذه النقطة نجد أن الأدلة متعارضة علي الأقل عند التحليل الأولي، وكبداية فإنه من الواضح أن حكام الولايات الذين قام أرستاجوراس Aristagoras بطردهم والذين لجأوا إلي الفرس وعاشوا بينهم، قد استعادوا مكانتهم السابقة، وبالتأكيد فإن هذه الحقيقة تنطبق علي إيسيس

(Aeaces) حاكم ساموس، والـذي أعيـد توليتـه عـلي الجزيـرة «كمكافـأة عـلي خدماتـه الجليلة والقيمة» التي قدمها للفرس (VI، 25)، ومن المعـروف أن العديـد مـن حكـام الولايات الآخرين قد تولوا السلطة لاحقاً في مدن أخري (مثل كيوس، لامبساكوس)، وقـد قام كسركسيس Xerxes بتنصيب العديد منهم لاحقاً (الكتاب الثـامن 85)، وإذا لم تكـن المعلومات التي قدمها هـيرودوت Herodotus هـي مجـرد كـلام فـارغ، وتقودنـا بقيـة مناقشته للاعتقاد بأنه قام بجمع معلوماته بعناية، فإننـا يجـب أن نعـترف بـأن الإجـراء الذي يصفه وحتي إذا كـان مقـتصراً عـلي إقلـيم أيونيـا (ولكـن مـاذا يعنـي هـذا الاسـم بالتحديد؟) فإنه لا يستحق الصفة أو السمعة التي ينسبها إليه .

والشيء الواضح أيضاً هـو أن إدخـال أنظمـة ديمقراطيـة لم يكـن ناتجـاً عـن قـرار متسلطاً اتخذته الإدارة الفارسية، ولكن، وبدلاً من ذلك فإنه يمكننا أن نتصـور أن الفـرس قد تعلموا درساً من الثورة الأيونية، فقد أظهرت بداية الثورة وبشكل صريح أن الأنظمـة الاستبدادية في العديد مـن المـدن قـد أصـبحت عـاجزة، وهـي الظـروف التـي اسـتغلها أرستاجوراس Aristagoras (الفصل 3/4)، وأدت إعادة فرض حكام الولايات هؤلاء عـلي المدن، والتـي كانـت تـرفض أي شيء لـه صـلة بهـم وبـأي ثمـن (VI، 5، ملطيـة)، أدي بـالضرورة عـلي المـدي القريـب أو البعيـد إلي عـودة المشـكلات الداخليـة الخطـيرة إلي الظهور، ولربما أضر ذلك بـ(بـاكس بِرسـيكا)، والتـي كـان أرتـافرنيس Artaphernes قـد استعادها لتوه؛ ولأن الفرس كانوا عمليين، فقد قاموا أحيانـاً بإعـادة توليـة بعـض حكـام الولايات الذين كانوا أوفياء لهم مثل إسيس (Aeaces) والذي تمكن مـن إقنـاع مواطنيـه بـأن يتخلـوا عـن الثـورة خـلال معركـة لادي Lade ، وقـد قـاموا أيضـاً في أحيـان أخـري بالاعتراف بالحكومات الديموقراطية التي نشأت في مدن أخري بعد عام 499 .

ومن المحتمل أن ما أراده هيرودوت Herodotus قوله هو إنه ببساطة «عند نهاية الثورة، لم يعد الفرس يقومون بشكل منتظم بإعادة فرض حكام الولايات علي مدنهم»، ولا شيء غير ذلك، ولكن هذا كان كافياً -إلي حد ما- بالنسبة لليونانيين في القرن الخامس! وقد كان هذا هو الموقف نفسه الذي يشير إليه ديودورس Diodorus عندما يتحدث عن «استعادة قوانين المدن» أي استقلالها وحكمها الذاتي لنفسها، بمعني أن الفرس لم يتدخلوا في إنشاء الأنظمة الحاكمة في المدن التي تم غزوها حديثاً، وقد نبع مثل هذا الاتجاه من سياسة تسعي إلي نشر السلام (بالمعني الذي أراده هيرودوت Herodotus) بتوافق تام مع النشاط العام لأرتافرنيس Artaphernes - والذي ينسب ديودورس Diodorus هذا الإجراء إليه- وربما بشكل غير خاطئ، وإذا كان ماردونيوس Mardonius -كما يقول هيرودوت Herodotus - هو من اتخذ هذا القرار، فإن هذا يشير ببساطة إلي أنه قد صدرت إليه أوامر بأن يعلن عن سياسة ملكية ما بشكل رسمي، وربما كاستجابة لطلب توضيح قدمه أرتافرنيس Artaphernes سابقاً، والذي بالتأكيد لم يصدر أي من قراراته بدون استشارة السلطة المركزية قبل ذلك .

وبعد كل شيء، فقد عرف دارا Darius عند انتهاء الثورة الأيونية إلي أي مدي يمكنه أن يثق في ولاء حكام الولايات له، ولم يكن غافلاً عن أن المدينة الديمقراطية ستكون مسؤولية بطريقة مثالية عن دفع الجزية، ولكن في المقابل (هل نحتاج إلي قول ذلك؟) لم يكن هناك ما يمنعه من تنصيب حكام الولايات كحكام علي المدن في المستقبل حتي في إقليم أيونيا، وذلك إذا شعر بأن مثل هذه السياسة سوف تكون في مصلحته.

الحكم الذاتي والسيطرة العسكرية:

علي الرغم من أن المدن اليونانية كانت تتمتع بالاستقلال الذاتي ، إلا أن سيطرة الفرس عليها كانت لا تقل شيئاً عن سيطرتهم علي باقي المدن ، وعلي الرغم من أن الأدلة المباشرة علي ذلك كانت نادرة ، إلا

أنه مما لا شك فيه أن الحاميات الفارسية كانت متمركزة في أماكن عدة علي الشاطئ، وهكذا فإننا نعرف من هيرودوت Herodotus أن ساندوسيس Sandoces كان هو حاكم (هيبارخوس) مدينة سايمي (Cyme) في إقليم إيولِس عام 480، وأنه في عام 499، أو بعد هذا التاريخ بقليل، انضمت سايمي Cyme إلي الثورة، وقد تم إعادة الاستيلاء عليها بسرعة عام (497) من قبل الجيش الذي كان يقوده أرتافرنيس Artaphernes وأوتانيس Otanes (V ،123)، وقد كانت مدينة سايمي Cyme إحدي القواعد البحرية للأسطول الملكي: وقد أمر كسركسيس Xerxes قبل عام 480 السفن بالتجمع في سايمي Cyme وفوقيا Phocaea (ديودورس Diodorus الكتاب الحادي عشر 302)، وكانت مدينة سايمي Cyme أيضاً هي المكان الذي أمضي فيه الأسطول الشتاء في طريق عودته من سلاميس عامي (480 - 479) (XI. 27-1 ، هيرودوت Herodotus الكتاب الثامن فقرة 130)، وقد حد وجود حاكم في المدينة من استقلالها وحكمها الذاتي إلي حد كبير، ولم يكن الفرس يسمحون بأدني قدر من عدم السرية في قواعد أسطولهم، أو في ترسانات بناء السفن والتي كانت منتشرة وموزعة علي طول ساحل البحر المتوسط .

القوة الإمبراطورية والقوات الملكية:

لا يمكن أن يتم اختزال آسيا الصغري إلي مجرد شاطئها الغربي، أو إلي المدن الموجودة فيه، ففي داخل آسيا الصغري لم يُعنَ الغزو أو الاستعمار الفارسي بضم ودمج كل الأراضي الملكية في شبكة المنظومة الإمبراطورية الجديدة، ولسوء الحظ فإن ما لدينا من معلومات حول العلاقات بين هذه الأراضي وبين القوات المرزبانية هي معلومات متفرقة، وبشكل واضح يمكن أن نستشهد بكتالوج جيش كسركسيس Xerxes -كما قدمه لنا هيرودوت Herodotus - فقد كان جيش كسركسيس Xerxes مكوناً من عدد مبير من أفراد المشاة (تم ذكرهم في

قائمة الأشخاص الموجودين في النومات التي تدفع الجزية، وظل بعضهم خاضعاً لسلطة الملوك والحكام، وهي حقيقة نعرفها من الوثائق التالية، فلقد تم تعبئة البفلاجونيين (Paphlagonians) مع الماتيني The Matieni (VII 72) وتم أيضاً دمج الميسيين والبيسيديين (VII 74, 76 Pisidians) بالإضافة إلي Moschians ، والماكرونيين Macrones و Mossynoeci (VII 78,79) والذين تفضل النصوص اليونانية المكتوبة في القرن الرابع قبل الميلاد أن تؤكد علي أنهم قد حظوا باستقلال كامل عن السلطة المركزية، ولكننا لا نعرف عنهم شيئاً (أو أقل من لا شيء بقليل) خلال حكم دارا Darius وكسركسيس Xerxes باستثناء ما ذكره ديودورس Diodorus (XI 61-4) ، حيث صور البيسيديين Pisidians عام 466 في صورة أنهم سيظلون أعداءً للملك .

ويذكر هيرودوت Herodotus أن من بين الفرق العسكرية كان هناك القبارصة (50 سفينة)، والكليكيين (100 سفينة)، والبامفليينPamphylians (30) سفينة، وسفن إقليم ليسيا (50 سفينة) (الكتاب السابع 90-92)، وعلي الرغم من أن هيرودوت Herodotus رفض أن يذكر أسماء قادة الفرق العِرقية المشتركة في الجيش (الكتاب السابع 96)، إلا أنه قام بإعطائنا أسماء قادة الفرق البحرية المشاركة، بالإضافة إلي ذكره لاسمي قائدي الفرقتين الفينيقية والقبرصية، ذكر أيضاً «سينيسيس ابن أورميدون قائد سفن كليكيا، سيبرنِسكوس ابن سيكاس قائد سفن ليسيا، وهستيوس ابن تيمنيس، بيجرس ابن هيسلدوموس، داماسيثيماس ابن كاندوليس قائد سفن كاريا» (الكتاب السابع 98)، وتوضح بقية المناقشة أنه في داخل هذه الدول كانت القوة مقسمة بدورها فيما بين عدد من البلديات الصغيرة، ومرة أخري لا يقوم هيرودوت Herodotus بذكر أسماء الحكام واحداً تلو الآخر، ولكن، وعلي الرغم من ذلك فقد كان هناك استثناء واحد، حيث ذكر اسم الملكة أرتميسيا: «إنها ابنة

ليجداميس وهو من سكان هاليكارناسوس، أما أمها فكانت من جزيرة كريت، وقد أبحرت كقائدة علي رجال هليكارناسوس وكوسنيسايروس وكاليدنا، وقد قامت بتجهيز خمس سفن حربية» (الكتاب السابع فقرة 99)، وفي وقت حدوث الثورة الأيونية، نعلم بوجود «بيكسوداروس ابن موسولوس وهو رجل من سينديا وقد تزوج من ابنة ملك كيليكي اسمه سينيسيس» (الكتاب الخامس فقرة 118)، ويحتمل أنه كان أحد أسلاف موسولوس حاكم ميلاسا، والذي سيذيع صيته منذ بداية القرن الرابع، وتبعاً لرواية هيرودوت Herodotus فيبدو أن سكان إقليم كاريا كانوا غير قادرين علي التوحد مع بعضهم إلا تحت ضغط العدوان الخارجي، وقد عقدوا اجتماعاً عاماً «في مكان يدعي الدعائم البيضاء (لويكاي ستيلاي) علي نهر The Marsyas » (الكتاب الخامس 118)، وبعد انتهاء المعركة ضد الفرس «قام الناجون بالإغلاق علي أنفسهم في Labraunda في البستان العظيم الذي يحتوي علي أشجار الدّلب المقدسة والمعروفة بمنطقة زيوس ستراتيوس»، حيث قاموا بالتفكير مليًّا والتشاور حول الخطة التي سيتبعونها (الكتاب الخامس فقرة 119)، ونعرف أيضاً أن أرض ليسيا كانت مقسمة فيما بين عدد من الأسر الحاكمة، ومن بين هذه الأسر كانت الأسرة الحاكمة في زانثوس (Xanthus) تحاول دائماً فرض هيمنتها علي الأقل في غرب ليسيا.

إن ما يوجد لدينا من معلومات عن إقليم كليكيا في هذه الفترة ضئيل جدًّا ويبدو أن هذه المنطقة قد احتفظت بشكل من أشكال الاستقلال والإدارة الذاتية، وعلي الأقل فإن هذا ما اقترحه وجود حاكم محلي أشار إليه الكتاب اليونانيون بـ«سينيسيس»، وقد كان بلا شك وريث «ملك الكيليكيين» والذي يقول عنه هيرودوت Herodotus أنه قام بالتوسط بين ملوك ليديا وملوك ميديا حوالي عام 585 (الكتاب الأول فقرة 74)، ويسميه الكاتب نفسه «سينيسيس ملك الكليكيين» في عام 499 (الكتاب

الخامس 118)، ومرة أخري فإنه تبعاً لهيرودوت Herodotus كان «سينيسيس الكليكي ابن أوروميدون» من بين أكثر الرجال أهمية في أسطول كسركسيس Xerxes (الكتاب السابع 98)، والذي تبعاً لما يرويه إسشيلوس Aeschylus (327 pers) لقي حتفه في موقعه سلاميس، ويجب أن ننتظر حتي نهاية القرن الخامس لنحصل علي المزيد من الأدلة، وقد دخل قورش Cyrus الأصغر في علاقات مع «سينيسيس ملك الكليكيين» عام 401، (زينوفون Xenophon، Anab ، الكتاب الأول 2، 12، 23 - ستيسياس (Ctesias) 58) والذي أتت زوجته إيبياكسا لتجده في Tyriaeum علي رأس جيشه (الكتاب الأول، 2، 14-20)، وقد كان لسينيسيس هذا سكناً (باسيليون) في طرسوس (الكتاب الأول، 2، 23)، وتم التوصل إلي اتفاق بينه وبين قورش Cyrus: حيث قام قورش Cyrus بمنحه هدايا تكريمية «ووعده بأنه لن يتم نهب أو سرقة أراضيه بعد ذلك، وأنه سيستعيد العبيد الذين تم أخذهم من عنده في حالة ما إذا صادفوا أحداً منهم في أي مكان» (الكتاب الأول 25، 27) .

ولا يجب أن نتسرع في استنتاج أن الملك سينيسيس وكليكيا مملكته قد ظلا خارج نطاق الإمبراطورية الأخمينية، أو أن دمجهم كان نظريًا أو صوريًا فقط، ففي البداية وقبل كل شيء، فإن كليكيا كانت تمثل جزءاً من نظام الجزية الذي وضعه دارا Darius ، وكانت تشكل النوم الرابع بأكمله بمفردها، وقد قامت في كل سنة بدفع مقدار (500) طالن من الفضة، بالإضافة إلي (360) حصاناً أبيض (الكتاب الثالث فقرة 90)، وكان لزاماً علي سينيسيس أن يقدم الجند والبحارة مع (100) سفينة، وكانت الفرقة الكليكية تعادل كلاً من الفرقة الأيونية وفرق المدن التي تقع علي الدردنيل (هيرودوت Herodotus ، الكتاب السابع الفقرات 91، 94-95)، وأخيراً، كانت كليكيا منطقة ذات أهمية استراتيجية بالنسبة للفرس، وبداية من عهد دارا Darius كانت هي المنطقة التي كان يتوجب علي الجميع عبورها لقطع

الطريق العظيم الذي يربط بين كل من بابل وآسيا الصغري كما يوضح ذلك الإجراء الذي اتبعه ماردونيوس Mardonius عام 492: لقد نزل إلي الساحل علي رأس قوة ضخمة برية وبحرية، وعندما وصل إلي كليكيا علي رأس جيشه الكبير ركب إحدي السفن، وسار بمحاذاة الساحل برفقة الأسطول تاركاً وراءه ضباط آخرين ليتولوا مهمة قيادة الجنود إلي مضيق الدردنيل (الكتاب السادس 42) .

وقد احتفظت كليكيا علي مدار التاريخ الأخميني بدورها المتمثل في كونها مفترق طرق ومركز عصبي بين أراضي الميسابوتاميين Mesapotamian وأرض الأناضول، ويظهر هذا بوضوح مرة أخري خلال الإعداد لحمله عام 490: لقد ترك القادة الجدد (داتيِس Datis وأرتافرنيس Artaphernes) البلاط واتجهوا مع قوة كبيرة مسلحة بشكل جيد إلي سهل أليان في كليكيا، وقد توقفوا هناك، وانضمت إليهم الفرقة العسكرية البحرية - تتشكل من جميع السفن والرجال التي أُمرت المجتمعات الخاضعة للامبراطورية بتقديمها- بما فيها سفن نقل الخيول التي طلبها أو صادرها دارا Darius من الدويلات الدافعة للجزية في السنة الماضية، وتم إدخال الخيول علي متن السفن التي تنقلهم، وصعدت القوات إلي البوارج الحربية، وأبحروا إلي إقليم أيونيا، وتكون الأسطول من 600 قطعة بحرية (الكتاب السادس فقرة 95) .

وقد حدث مثل ذلك في أربعينيات القرن الخامس، حيث صدرت الأوامر إلي كل من أرتابازوس Artabazus وميجابازوس Megabazus للإعداد لشن الحرب علي الثوار المصريين، وقد تركوا أوطانهم مع فرق عسكرية قوية من المشاة والفرسان، وقاموا بإقامة معسكرات في كليكيا وفينيقيا، وعسكروا في كليكيا لعام كامل حتي تم استكمال وصول القوات قبل انطلاقهم باتجاه مصر عن طريق سوريا وفينيقيا (ديودورس Diodorus الكتاب الحادي عشر، 74، 6- 75، 1) .

ويذكر هيرودوت Herodotus أيضاً في الفقرة التي يتحدث فيها عن الجزية، أنه من بين عدد (500) طالن كانت جزية مستحقة سنويًّا علي نوم كليكيا، كان يتم استخدام (140) طالن منها للإنفاق علي وتدعيم قوة الفرسان التي تحرسها» (الكتاب الثالث 90)، وبهذه الطريقة كانت القوات المحتلة والحاميات (بما فيها تلك المتمركزة علي بوابات كليكيا) قادرة علي إعادة التزود بما تحتاج إليه بشكل كافٍ، كما اقترح زينوفون Xenophon: لقد نزل قورش Cyrus إلي سهل فسيح وجميل، به مصادر كافيه للماء، وهو مليء بالأشجار من مختلف الأنواع، وبه أيضاً أشجار العنب، وينتج كمية وفيرة من السمسم، والبنيك، والدُخّن (الجاورس)، والقمح والشعير ومحاط من جميع الجهات من البحر إلي البر بسلسلة عظيمة وشاهقة من الجبال، (Anab الكتاب الأول 2، 22) .

هذا هو سهل أليان الذي تأتي مياهه من نهر بيراموس (أريان، الكتاب الثاني 5، 8-9، وسترابو Strabo الكتاب الرابع عشر 5، 17) .

وللسيطرة علي جزيرة قبرص أيضاً، كان لا بد من السيطرة بإحكام أولاً علي الساحل الكليكي، فعلي سبيل المثال، كانت كليكيا هي النقطة التي عبرت منها القوات الفارسية إلي جزيرة قبرص الثائرة في عام 499 (الكتاب الثالث 109)، ويمكن أن نستشهد أيضاً بالمثال الذي تلي ذلك، وهو الحرب التي شنها تيريبازوس Tiribazus وأورونتيس Orontes ضد هذه الجزيرة الكبيرة في العقد الثاني من القرن الرابع: حيث قاموا بالاستيلاء علي الأسلحة الموجودة في فوقيا وسايمي، وتجمعوا في كليكيا ثم عبروا إلي قبرص حيث خاضوا الحرب بقوة وعنف» (ديودورس Diodorus ، الكتاب الخامس عشر 2، 2)، وقد كانت كليكيا هي المكان الذي سعي القادة الفرس لإعادة التزود منه بالطعام اللازم لقواتهم التي كانت تحارب المدينة، وفي الأوقات العادية كان التجار يقومون برحلات دورية ما بين جزيرة قبرص والساحل الكليكي (الكتاب الخامس عشر، 3، 1-2)، وقد

كان علي أهل قبرص المتجهين إلي بابل أن يسلكوا طريق الساحل الكليكي؛ وذلك ليكونـوا علي الطريق الرئيس المؤدي إلي هناك (الكتاب الخامس عشر - 204، راجـع 79 - XIX، 4-6)، ولم تكن الواجهة البحرية لكليكيا مجرد موقع لتمركز وتجمع القـوات، ولكـن قـام الفرس أيضاً بإنشاء مجموعة من الترسانات البحرية (نوريا) وأحواض بناء السـفن عليهـا، وقد كان بإمكانهم الحصول علي خشب ذي نوعية جيدة، وبكميـات وفـيرة مـن غابـات الأرز الكليكية الشهيرة، ولقد كانت كليكيا غنية ببعض المواد الاستراتيجية الأخري، حيـث توضح المصادر البابلية والآشورية علي وجه الخصوص أن الملـوك الميسـوبوتاميين وجـدوا هناك أيضاً أعداداً كبيرة من الخيول، بالإضافة إلي مناجم شهيرة للفضة والحديد .

وفيما يخص الفترة التـي نتناولهـا هنـا، فإنـه لا يوجـد لـدينا معلومـات مبـاشرة عـن الوجود المحتمل للفرس في منطقة كليكيا طراقيا (منطقة جبلية)، وتأتي النقوش التي لا تقبل الدحض والأدلة الأثرية عن الوجود الأخميني هنـاك مـن القـرن الرابـع في الموقـع المعـروف بـ«ميدان سـيكال»، والـذي يقـع عـلي الـرّغن (أنـف الجبـل) عـلي ارتفـاع 900 م في جبـال طوروس الكليكية، وهكذا فإنه سيكون لن يكون من الحكمة -إلي حد كبير- أن نقـوم بنقـل الاستنتاجات التي حصلنا عليها من هذا الدليل الذي يعود إلي القرن الرابع، والعودة قرنـاً أو أكثر إلي الوراء، وذلك حتي نصل إلي العقد الأول من القرن الخامس (وهذا يعني أنه إذا ذُكِر اسم أرتاكسركسيس Artaxerxes في هذا الـنقش المكتـوب باللغـة الآراميـة فـإن هـذا لا يقصـد منـه أرتاكسركسـيس Artaxerxes الأول وهـي احتماليـة لا يسـتثنيها التحليـل الببليوغرافي لهذا النقش)، دعونا نذكر ببسـاطة أن هـذا الموقـع هـو موقـع قـديم جـدًّا: واسم «كيرسو» الذي يستخدم للإشارة إلي هذا الموقع في ذلك النقش الآرامي هو بالفعـل معروف من حملة نِريجليسار Neriglissar (556-577) ، ولقد كان هذا الموقع في ذلك

الوقت هو محل سكن الحاكم المحلي والمسمي «أبـوازو»، وهكـذا فإنـه مـن الممكـن أن يكون الفرس قد شيدوا حصناً هناك «بيرت» في تاريخ مبكر جدًّا.

الفرس في آسيا الصغري:

علي الرغم من أن الملوك والأفراد الفـرس كـانوا منـتشرين في آسـيا الصـغري، وأن ذلك من الأشياء الأكيـدة، إلا أنـه مـن الصـعب القيـام بتحديـد مـن هـم هـؤلاء الأفـراد باستثناء المرزبانات الفرس وعدد قليل من الحالات الأخري المتفرقة، وعندما كان الكتاب اليونانيون يقومون بالإشارة إليهم، فإن ذلك كـان غالبـاً بشـكل عـام لدرجـة كبـيرة مثـل «الفرس الموجودين في سـارديس» (هـيرودوت Herodotus الكتـاب الثالـث فقـرة 128، الكتاب السـادس فقـرة 4، راجـع، Xenophon ، هيلينكـا الكتـاب الثالـث (4-25))، وفي بعض الأحيان كانت هذه الإشارات أكثر تحديداً إلي حد ما، فعندما قام سايمون Cimon بأخذ أسري من الفرس في مدينة سستوس Sestos ، «فقد حدث بعد ذلك بقليل أن قـام أقرباء وأصدقاء هؤلاء الأسري بالتوافد من ليديا وفريجيا، وقاموا بتحريرهم مقابـل دفـع فدية كبيرة» (بلوتارك Plutarch ، سايمون 6-9) .

وقد وصفهم بلوتارك Plutarch أيضاً بـأنهم كـانوا أشخاصـاً أقويـاء مـن سـكان الـبلاد المرتفعة «هوي أنو ديناتوي»، وقد كان هؤلاء الأشخاص هم أنفسهم الذين كـان نيكـوجينيس Nicogenes مضيف ثيميستوكليس Themistocles في إيجاي يتمتع ويحـافظ عـلي علاقـات منتظمـة معهـم (ثيميسـتوكليس 26-1)، وقـد سـلك ثيميسـتوكليس Themistocles أيضـاً الطريق الرئيس المؤدي إلي الملك الأكبر برفقة أحد الفرس من سكان السـاحل (ميتـاتون كـاتوا برسون تينوس، ثيوسيديدس 1، 137، 3) .

وأفضل الأمثلة عن الفرس الذين استقروا في أقاليم الإمبراطورية هـو أسيداتيس Asidates (وهو أفضـل الأمثلـة لأن لـدينا أدلـة ماديـة كافيـه

عنه)، وقد كان لأسيداتيس مزرعة في ميسيا Mysia علي سهل كايكوس (زينوفون Xenophon: Anab الكتاب السابع، 8، 7-22)، وكانت هذه المزرعة غنية للغاية، وكان بها الكثير من العبيد والأتباع، وعندما عجز اليونانيون عن الاستيلاء علي البرج (تيرسيس) -حيث كان «مرتفعاً وكبيراً ومزوداً بشرفات مفرّجة وبقوة كبيرة من المدافعين شبه العسكريين»- قاموا بمهاجمة الحظيرة المسيّجة المحصنة «بيجروس» والتي كانت محاطة بجدران «سمكها 8 قوالب من الطوب اللبن»، وقد تم دمج هذا التحصين بدرجة أكبر في النظام الدفاعي للمرزبانية، حيث إن المدافعين عن المزرعة كانوا قادرين علي إرسال إشارات للاستغاثة باستخدام النار، وذلك لطلب المساعدة من القوات المتمركزة بالقرب من الحاميات الملكية، ولا بد أن العديد من المزارع في آسيا الصغري كانت منظمة بالطريقة نفسها، ولكي نمر بوصف المزارع «إيبولايس» والقلاع «تترابرجيا» الموجودة بالقرب من سيليناي Celaenae «والتي كانت ممتلئة بالرجال والبهائم»، حيث كان يمكن الاستيلاء عليها فقط بالاستعانة بالآلات الحربية المستخدمة للحصار (بلوتارك Plutarch، Eum، 8-9) .

وقد قام زينوفون Xenophon بوصف هذا النظام بطريقة بسيطة وواقعية، وقد كان المرزبان نفسه محاطاً بعدد كبير من الفرس، كما كان الحال علي سبيل المثال في سارديس (هيرودوت Herodotus الكتاب السادس 3-4)، بالإضافة إلي ذلك، فقد تم منح بعض الأشخاص من الفرس أراضي في البلاد التي تم غزوها (وكان من بين هؤلاء الأشخاص النبلاء الذين توجد لهم روابط وعلاقات كبيرة مع البلاط الملكي)، وكان الهدف من ذلك هو أن يكون لديهم منازل يسكنوا فيها، ومصادر للدخل لينفقوا منها أثناء قيامهم بتأدية المهام التي يكلفهم بها الملك الأكبر هناك (قورش VIII 5-6,4)، وقد كان هناك أيضاً عدد كبير من المواطنين الفرس

الذين قدموا للاستقرار هناك: كان من عاداتهم الوطنية أن الـذين يمتلكـون أراضٍ هنـاك كان يتوجب عليهم أن يقدموا عدداً من الفرسان من رجالهم وممتلكاتهم، وأنه في حالـة الحرب كانت تتم مصادرة الحقول (الكتاب الثامن، 8، 20) .

ويمكننا أن نلاحظ النظام الذي كان معمولاً به في بداية الثورة الأيونية عندما قـام الأيونيون بشن غـارة عـلي سـارديس: «عنـدما وصـل إلي مسـامع كـل القـوات الفارسـية المتمركزة غرب نهر The Halys ما حدث من تجمع للدفاع عن الليديين».

(هـيرودوت Herodotus الكتـاب الخـامس فقـرة 102)، ويقصـد بالليـديين هنـا «الفرس الموجودين في ساردیس»، وقد كـانوا خاضـعين لسـلطة المرزبـان (قـورش، VIII 6.10)، ومن الواضح أنه تم استدعاؤهم (مـع قـوات أخـري)؛ وذلـك مـن أجـل عمليـة التفقد السنوية الفارسية في أماكن التجمع، وبهذه الطريقة تم دمج الفرس المنتشرين في الولايات الفارسية في تنظيم يضم قوات الاحتلال الإقليمية، وأسهموا في الدفاع عن أراضي الإمبراطورية، وقد تم ذلـك بكفـاءة كبـيرة بـالنظر إلي أن اليونـانيين في آسـيا الصـغري لم يتمكنوا -إلا في استثناءات سريعة الزوال- من صد أو مواجهة الفرسان الذين كـان يقـوم بتقديمهم نبلاء الفرس في الأقـاليم الموجـودة عـلي الجهـة الأخـري مـن نهـر The Halys (زينوفون Xenophon ، هلينيكا، 15-4 III).

إن مثال نيكوجينيس Nicogenes هو أحد الأدلة الفردية النادرة والظـاهرة عـلي وجود الفرس في البلاد المرتفعة، ويثبت هذا المثال أيضاً أن الساحل والبلاد المرتفعة عـلي الرغم من أنهما كانا يشكلان طائفتين مختلفتين للغاية عن بعضـهما الـبعض مـن وجهـة نظر اليونانيين إلا أنهما لم يكونا منفصلين في الحقيقة عن بعضهما الـبعض، ومـن الأشـياء الأخري التي تستحق الملاحظة بدرجة أكـبر هـي أننـا لا توجـد لـدينا حالـة واحـدة مـن

الزواج المختلط بين الفرس واليونانيين (علي سبيل المثال)، والدليل الوحيد المتوافر لدينا هو بخصوص وجود محظيات يونانيات في قصر المرزبان الفارسي، وباستثناء حالة هارباجوس Harpagus في ليسيا، يمكننا أن نلاحظ أن الأسماء الشخصية يمكن أن تشير إلي حدوث زيجات مختلطة في إقليم كاريا في القرن الخامس: فمثلاً ميجاداتيس Megadates (اسم فارسي) ابن Aphyasis أفياسيس (اسم يوناني)، أو ليتودورس Letodorus (اسم يوناني) ابن شخص آخر اسمه ميجاداتيس Megadates (اسم فارسي) .

وتعود المعلومات الأساسية التي توجد لدينا حول انتشار وتوزيع الفرس في غرب آسيا الصغري إلي فترة تالية، وفي الحقيقة -وكما نعرف- فإن معظم الوثائق التي تعطينا فكرة ما حول كثافة المستعمرات الفارسية والإيرانية التي كانت موجودة في بعض المناطق المفضلة لهم هي وثائق متأخرة جدًّا (يعود معظمها لفترة الحكم الروماني)، ولكن من الصعب -إلي حد ما- بتأريخ دقيق لاستيطان العائلات الكبيرة في هذه المنطقة أو تلك من آسيا الصغري باستثناء الفارناسيين pharnacids سكان إقليم فريجيا الذي يقع علي مضيق الدردنيل، وتعود المشروعات الفارسية الرئيسة التي تمت إقامتها في سيليناي (Celaenae) في منطقة فريجيا الكبري إلي عهد كسركسيس Xerxes (انظر الفصل 9/13)، وتزودنا أيضاً أسماء الأماكن التي تحتوي علي اسم دارا Darius ، تزودنا ببعض المساعدة والإرشاد فيما يخص هذه الناحية، ومن بين المعلومات الأخري نجد في النصوص المتأخرة أدلة علي إنشاء بعض الطوائف الدينية الفارسية، ولكن من المؤكد أن هذه العملية قد بدأت مع المراحل الأولية للفتح وخاصة إذا كنا نقر مع تاسيتوس (III، 60) بأن هيكل الإله الفارسي أرتيميس في هيروكيساريا (هيبايبا) تعود بدايات إنشاءه إلي عهد قورش Cyrus ، ولكننا لا نمتلك معلومات عن الطوائف الدينية الفارسية خلال هذه الفترة في

مركز مثل سارديس علي سبيل المثال، وتتمثل أفضل الأدلة الموجودة لدينا في بلاطة حجرية عليها نقوش توجد في منطقة داسيليوم، وتصور النقوش الموجودة عليها تقديم أحد القرابين الفارسية والتي تتوافق بشكل جيد إلي حد ما مع أوصاف هيرودوت Herodotus وسترابو Strabo لها، ولسوء الحظ فإنه من الصعب تحديد تاريخ كتابة هذه النقوش بدقة، ولكن يحتمل أنها تعود إلي النصف الثاني من القرن الخامس، وعلي أية حال فهي صورة متكررة نجدها في العديد من المناطق في العالم الأخميني (شكل 33 أ-هـ ص 244) وخاصة علي طبق ذهبي من خزانة Us × O ، وأحد النقوش البارزة التي وجدت بالقرب من قيصري (الفصل 16-6، شكل (60) ص 712) .

وأحد الأدلة المثيرة بشكل خاص هي بلاطة تحمل نقوشاً وجدت عام 1981م بالقرب من داسيليوم (سلطاني كوي) والتي يعود تاريخها لحوالي عام 500، وهي تمثل المثال الأقدم في سلسلة من الصور البارزة المسماة بـ«الصور اليونانية الفارسية»، حيث توجد في اثنين من السجلات المكدسة صور توضح مشهدين: الأول يصور مأدبة طعام جنائزية، أما الثاني فيصور أحد مشاهد الصيد، وقد نُقِش تحت هذين المشهدين باللغة الآرامية أنهما تم جمعهما ونقشهما بواسطة «أرياباما» تكريماً لـ«آدا»، ومن الواضح أن الشخص الأول هو أحد الأشخاص الفارسيين ذوي المناصب العالية، والثاني هو أحد رفاقه، ويبدو أن أرياباما قام بوضع رفاة «آدا» في أو بالقرب من الرابية الجنائزية التي بناها لنفسه عندما كان حيًّا، ويشبه هذا النقش نقشاً آخر والذي ربما قد يكون معاصراً إلي حد ما للنقش السابق أو يليه بفترة كبيرة، وهو مكتوب بالآرامية، وقد وجد أيضاً بالقرب من داسيليوم، وهذا النقش هو نقش جنائزي يستحضر ذكري المتوفي «إلناب» ابن أسيا، ويبتهل إلي الآلهة بيل ونابو (جبسون II ، رقم 37) .

ويتمثل الهدف الرئيس للوح الحجري الأول في تقديم ما يمكن أن

نسميه بالجيل الأول من الموظفين الفرس رفيعي المستوي الذين يسكنون في مقاطعات آسيا الصغري، وذلك علي الرغم من أننا لا نستطيع تكوين روابط مباشرة مع الفرس (الذين تم ذكر أسماء أعداد قليلة منهم) في المصادر الكلاسيكية الخاصة بمنطقة داسيليوم، ويظهر هذان اللوحان الحجريان أيضاً أنه كان يوجد موظفون من غير الفرس ضمن العاملين في إدارة المرزبانية: حيث إن «آدا» هو اسم سامي ويمكن أن يكون «إلناب» هذا من أصل يهودي (ولكن طريقة قراءة الاسم غير أكيدة)، وربما كان هذا الرجل هو أحد اليهود المعروف أنهم قد استوطنوا في ليديا في القرن الرابع، وإذا كان هذا صحيحاً، فإن النقش الثاني يقدم لنا دليلاً علي حدوث توفيق واضح بين المعتقدات الدينية المتعارضة، ولقد قام إلناب -مثل بعض من هم علي ملته الموجودين في جزيرة فيلة، وذلك لو كان يهوديًّا فعلاً، وبدون تردد- بالابتهال والتضرع للآلهة البابلية، ولم يعد يوجد هناك أي شك في أن المرزبانات في سارديس قد اتخذوا من العديد من اليهود الموجودين في ليديا معاونين لهم، مثل مِرسوس ابن جيجس، الذي كان نشطاً في الفترة ما بين قمبيز Cambyses (وبالتأكيد قورش Cyrus أيضاً) وبداية الثورة الأيونية عندما قُتل في كمين نصب له (هيرودوت Herodotus الكتاب الثالث فقرة 122، الكتاب الخامس فقرة 121) .

الفن المرزباني والفنانون المحليون:

تندرج الألواح الحجرية التي تم مناقشتها تواً تحت طائفة الأعمال الفنية التي تعرف تقليديًّا بـ«الفن الفارسي اليوناني»؛ وهذا بسبب الدور المحوري الذي لعبه الفنانون اليونانيون في إنتاج هذا الفن، وعلي الرغم من ذلك فإن التفسير يحتاج إلي أن يتم تعديله مثل التفسير الذي يعطي مكاناً رئيساً للفنانين اليونانيين في الاستديوهات الملكية، فمن ناحية سكون من الصحيح أن الجاذبية التي كان يتمتع بها الفنانون اليونانيون

في داسيليوم وفي مناطق أخري كانت مناسبة جدًّا، ففي هذه المنطقة الحدودية لا بد أن هناك اتصالات قوية كانت بين الفرس الذين يعملون في البلاط المرزباني واليونانيين الذين يعيشون علي الساحل، وذلك كما يتضح -علي سبيل المثال- من حالة نيكوجينيس التي ناقشناها بالأعلي، وقد كانت الأسواق اليونانية هي المكان الذي يقصده الفرس الموجودون في ساردیس لشراء البالاكاي والخصيين (هيرودوت Herodotus الكتاب الثامن - 105، إيليان VH-XIII)، ومما لا شك فيه فإن قدراً كبير من البضائع الأخري والعديد من الأشخاص كان يتم تداولهم بين اليونانيين من سكان الساحل وبين النبلاء من سكان البلاد المرتفعة» (بلوتارك Plutarch ، ثمستوكليس، 26-1)، ومن المحتمل أنه بدايةً من هذه الفترة وصاعداً، بدأ الفرس أنفسهم في المجيء إلي المدن اليونانية، وقضاء أجازات طويلة أو قصيرة بها، ومن هذه المدن مدينة إيفسوس التي خضعت لتأثير الإيرانيين منذ غزو قورش Cyrus لها، ولا بد أن استقرار العديد من اليونانيين في هذه المنطقة بمبادرة من الملك الأكبر الفارسي وخاصة في عهد كسركسيس Xerxes (الفصل 9/13)، لا بد أنه قد أدي إلي توفير الجو الملائم لازدهار جميع أنواع التفاعلات علي الساحة الثقافيه .

وبالإضافة إلي ذلك، فإن الأشخاص الذين تم تصويرهم علي الألواح الحجرية والأختام هم فارسيين نموذجيين، وكان الفرس يسرون علي وجه الخصوص بأن يتم إظهارهم وهم يشاركون في الأنشطة المتصلة بمآدب الطعام والصيد، وقد وجدت أيضاً مشاهد تصور تقديم الفرس القرابين لآلهتهم.

فقد كان الفرس هم الرعاة، بينما كان اليونانيون هم الفنانين والحرفيين، ويمكن أن نلاحظ هذا الشيء نفسه في أجزاء أخري من الإمبراطورية، وعندما طلب «أرساما» Arsama من نحاته الخاص

«هنزاناي القيام بنحت تماثيل تصوره وهو يمتطي الجياد (AD9] DA 70])، ومن الواضح أنه قد وضع قيوداً كبيرة علي إبداع هذا الفنان، وكان هذا ينطبق أيضاً علي سبيل المثال علي الفنانين والحرفيين الذين كانوا يعملون في الورش الفنية الإقليمية المرتبطة بالقصور المرزبانية وعلي هؤلاء الذين صنعوا الزهريات المنقوش عليها أسماء أباطرة الفرس في ورش منف، وفي أماكن أخري والتي تم إرسالها بعد ذلك إلي البلاط الرئيس، حيث يوجد الملك الأكبر، وقد كان النمط التي يتم صناعتها عليه هو النمط نفسه الذي كان يطلب استخدامه في الورش الفنية في صوصا وبرسيبولس، وبالمثل فإن القطع الفنية الصغيرة التي تم صنعها من الخشب أو العاج والتي وجدت في مصر تشهد بشكل نموذجي علي استخدام الموضوعات الفارسية، وقد قامت بشكل نموذجي باقتباس واستعارة بعض الأشكال الفارسية، وكذلك كان الحال أيضاً مع المشغولات الذهبية، ووجود مثل هذه الورش الفنية يشرح التجانس النسبي الذي تتميز به الأشياء المصنوعة في الفترة الأخمينية التي وجدت في أماكن أخري، وتؤكد المشغولات الذهبية والأشياء الصغيرة الأخري التي تم استخراجها من مانيسا وسارديس وجود ورش للأعمال الفنية في عاصمة إقليم ليديا.

ونتيجة أنه تم تصميم وتنظيم قصور حكام الولايات الفارسية لتكون تقليديًّا للبلاط المركزي في عاصمة الإمبراطورية (انظر فصل 8-5)، فقد كانت تلك القصور عبارة عن محطات تبديل للفنون المنتجة في القصور الأخمينية والأختام الذهبية المنقوشة الخاصة بداسيليوم، والتي يعود بعضها إلي عهد كسركسيس Xerxes هي أدلة جيدة علي ذلك، ويعرض العديد من هذه الأختام مشاهد تستحضر الحديقة المائية الشهيرة التي تحيط بالقصر المرزباني هناك، بينما يحمل البعض الآخر صوراً للشخصيات الملكية، فعلي سبيل المثال يظهر عدد كبير من الأختام

البطل الملكي (شكل 56 ب، صفحة 700)، وتشـهد عـلي ذلـك بشـكل متكـرر لحـد كبـير الأختـام الخاصـة بــ«برسـيبولس» (وأمـاكن أخـري)، ويحمـل خـتم آخـر مشـهداً يصـور الجمهور (شكل 15، ص 210)، والذي يشبه ليس فقـط مشـاهد مـن برسـيبولس ولكـن أيضاً رسماً تم لصقه علي الجهة الداخلية لدرع أحد الجنود الفـرس، والـذي تـم تصـويره علي تابوت الإسكندر (شكل 14)، وقـد اقـترح الـبعض اقتراحـاً قـابلاً للتصـديق وهـو أن الفنان الذي رسمها صنعها من رسوم تخطيطية، والتي جاءت نتيجة الاتصال المباشر مـع فن برسيبولس، وذلك الاقتراح أكثر قابلية للتصديق؛ لأن أحـد المشـاهد المطابقـة تقريبـاً لذلك المشهد يظهر علي أختام عديدة في برسيبولس (الفصل 1/6-3) .

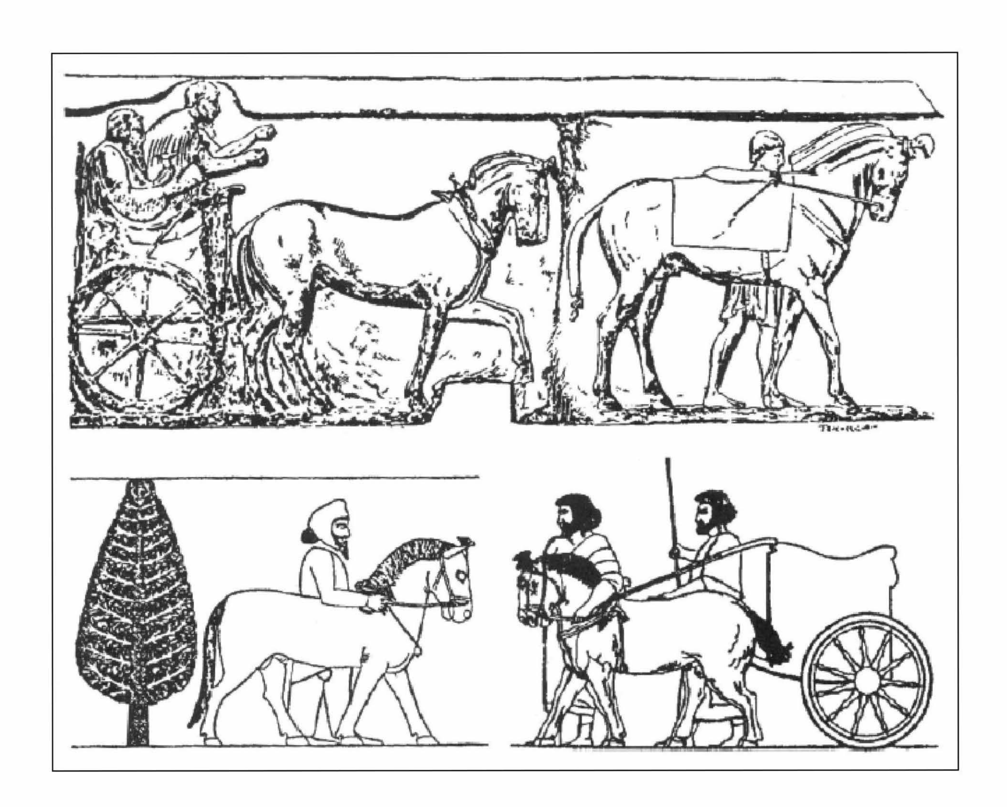
الفن المنتج في قصر الملك الأكبر الفارسي والفن المنتج في قصر أمير ليسيا:

توجد أدلة تعود إلي هذه الفترة نفسها تم الحصول عليهـا مـن مجموعـة عديـدة من الآثار الموجودة في زانثوس Xanthus في إقليم ليسيا، وتشير إلي انتشـار الموضـوعات الفارسية، وخاصة علي الأثر المشار إليه بـ «المبنـي (ز)»، بالإضـافة إلي تصـوير مجموعـة من الشباب يحملون منشات للذباب، ويظهر أحـد الأفـاريز موكبـاً مـن الرمـاة والخيالـة (شكل (49أ))، وتشبه الوضعية التي يتخـذها حـاملو الـدروع (حيـث يضـعون أذرعهـم فوق الأحصنة التي يقودونها)، تشبه بصورة مذهلة ما نراه في برسيبولس (شـكل 49 ب، ج) لدرجة أنه افـترض أن «النحـات الـليسي اعتمـد عـلي دراسـة أحـد المصـادر الشرقيـة الأصلية لينتج مثل هذه الحركة أو هذا الشكل غير اليوناني تماماً».

أيضاً فإنه من السهل أن نـري ونلاحـظ تـأثيرات الفـن المنـتج في الـبلاط الأخميني علي واحدة من أشـهر الآثـار في زانثـوس Xanthus ، والـذي عُـرف منذ اكتشافه بنصب الخطـاطيف، وهـو عبـارة عـن عمـود جنـائزي منصـوب

علي قاعدة ضخمة، والذي ربما كان طوله يصل في الأصل إلي 10 أمتار، وفي العادة يرجع تاريخه إلي الفترة ما بين عامي 480 و470، ويوجد علي كل جانب من الجوانب الأربعة تماثيل منحوتة في المنتصف، والتماثيل المنحوتة علي الجهة الشرقية هي تماثيل مثيرة علي وجه الخصوص: حيث تصور أميراً ذا لحية جالساً علي عرش منحوت، ويمسك بيده اليسري صولجاناً طويلاً نهايته موضوعة علي الأرض، بينما يحرك الملك باستخدام يده اليمني زهرة لوتس تجاه وجهه، وترتكز قدماه علي مسند للأرجل، ويجلس خلف العرش شخصان من الواضح أنهما خادمان، ويركع أمام الأمير ولد صغير يقدم ديكاً للملك، ويمكننا أن نري خلفه شاباً آخر يقف مستنداً علي عكاز، ويوجد بجواره كلب، ويوجد علي الجهة الشمالية للعمود أمير له لحية وشارب وجالس علي عرش، ويبدو أصغر في السن من الملك السابق، ويحمل في يده صولجاناً ويضع قدميه هو الآخر علي مسند للأرجل، ويوجد في مواجهته واحد من الهبليت (جندي مشاه أثيني) يمسك في يده خوذة كورنثية مكسوة بالريش بشكل كامل، وهذا النحت البارز محاط بعدد من السيرانات التي تبعد الأطفال، ويظهر علي الجهة الغربية مجموعة متعددة من النساء، تجلس إحداهن علي عرش، بينما تأتي ثلاث سيدات لمقابلتها، وتوجد امرأة أخري تجلس هي الأخري علي عرش وتواجه أحد الأبواب والذي يحتمل أنه باب المقبرة .

وأخيراً، يجب أن نؤكد علي الألواح الجصية المثيرة التي توجد علي جدار إحدي المقابر في كارابورون في ليسيا، والتي لا تبعد كثيراً عن مقبرة أخري توجد في إيلام (والتي تمت مناقشتها بالأعلي 6/2)، وتعود المقبرة في إيلام إلي حوالي عام 525، بينما تعود المقبرة الموجودة في كارابورون إلي تاريخ قريب من التاريخ الذي يقترح أن المبني (ز) ونصب الخطافات في زانثوس قد بنيا فيه (وهو الفترة ما بين 480، 470)، ويظهر التطور



الشكل 49

الذي حدث في بناء المقابر من وقت مقبرة إيلام إلي تاريخ بناء مقبرة كارابورون ليظهر واضحاً إلي حد ما: حيث إنه في حين تتوافر فيها العناصر شبه الشرقية في مقبرة إيلام، إلا أن الأيقونات التي تم تصويرها هي يونانية بشكل أساسي، بينما من ناحية أخري نجد أن التأثيرات الفارسية في مقبرة كارابورون هي أكثر وضوحاً بشكل لا يقبل النقاش، حيث تظهر الرسوم المتنوعة مشاهد من حياة أحد الحكام المحليين: فتصوره وهو مضطجع علي أريكة وأمامه وليمة من الطعام، وتصوره وهو يبارز محارباً يونانيًّا وهو راكب جواده، أو مسافراً وهو راكب علي عربة يجرها حصانان، وفي مشهد الوليمة يرتدي رداءً طويلاً ملوناً، ويلبس تاجاً علي رأسه، ويوجد خادمان يرتديان ملابس فارسية، بينما يقوم ثالث بتحريك مروحة، وتوجد امرأة خلف الملك تحمل حزاماً أرجوانيًّا

ومرمريًّا، ولا يظهر التأثير الفارسي في الملابس فقط والأوضاع التـي تتخـذها الشخصـيات، ولكن يمكن ملاحظته أيضاً في الزخارف النباتية والحيوانية: حيث يرتدي الحاكم سواراً له رأس أسد، ويحمل كأساً مزخرفاً برسوم نباتية علي مقبضـه، ويـحضر أحـد الخـدم قـدحاً مزخرفاً بنقش لحيوان الغرفين، وبالنسبة للمروحة التي يحملها الثالث فهـي ذات طـرف علي شكل رأس كبش، ونصب الخطافـات يشـبه هـذه المقـبرة، حيـث إنـه لا شـك في أن الفنان الذي نحت الجانب الشرقي علي وجه الخصوص قـد اسـتلهم ذلـك مـن النمـوذج الموجود في برسيبولس؛ وذلـك لأنـه توجـد أوجـه تشـابه واضـحة بينـه وبـين المنحوتـات البارزة التي تصور الجمهور الموجود في خزانة برسيبولس، والتي تعـود إمـا إلي عهـد دارا Darius أو إلي عهد كسركسيس Xerxes .

ومما وجـدنا في الأثـر الموجـود في زانثـوس ومقـبرة كـارابورون فإنـه تكـون لـدينا إشارات واضحة عـلي التـأثر بالثقافـة اليونانيـة، فقـد أراد الحكـام المحليـون أن يظهـروا أنفسهم في صورة الملك الأكبر، وإنه لصحيح أن حالـة زانثـوس هـي حالـة خاصـة بعـض الشيء؛ لأنه يُعتقد بشكل عام أن الأسرة الحاكمة هناك هي من نسل أحد قـادة جيـوش قورش Cyrus وهو هارباجوس Harpagus ، والذي قام بغزو كاريا، كونوس، وزانثـوس، وبدون شك المدن القريبة من وادي زانثوس، وقد بدأ التـأثير الفـارسي هنـاك في الظهـور بداية من حكم كبرلي (485-440)، والتي تحمل العملات التي تم صكها في عهده صـورة مأخوذة من البيئة الإيرانية (غرفين يمشي فارجاً قدميه) .

6- إعادة توطين السكان وعمليات الترحيل:

ترحيل اليونانيين وشعوب أخري:

لم يكن السكان الفـرس الـذين يسـكنون في الولايـات المختلفـة

والسكان المحليون هم الوحيدون الذين تحدث مواجهات بينهم، فقد قام أشخاص أو مجموعات من الأشخاص بالانتقال من مكان إلي آخر داخل الإمبراطورية، أو تم نقلهم وترحيلهم، وكان ذلك بمعدل أكبر بكثير مما كان يحدث في عهد الملوك البابليين أو الآشوريين الجدد، وقد أصابت المؤلفين اليونانيين الحيرة والارتباك بسبب المرات العديدة التي تم فيها ترحيل سكان المدن اليونانية بناءً علي الأوامر الملكية، ونحن نعرف البيان الرسمي الذي هدد به الفرس سكان أيونيا الثائرين (عام 493) «سوف يتم خصي أبنائهم، وسوف يتم أخذ بناتهم إلي إقليم باكتريا» (هيرودوت Herodotus الكتاب السادس فقرة 9)، وبالمثل تهديد بنوخذنصر Nebuchadnezzar الذي نقله هولوفرنيس Holophernes إلي اليهود: «سوف أسوقهم أسري حتي نهاية الأرض» (جوديث 2: 9) .

وأقدم الحالات المسجلة هي حالة أهل برقة الذين أخذهم الفرس بعد انتصارهم عليهم أولاً إلي مصر ثم إلي دارا Darius «والذي أعطاهم قرية في إقليم باكتريا ليعيشوا فيها»، وقد أطلقوا علي هذه القرية اسم برقة، حيث ظلت مأهولة علي ما أتذكر» (هيرودوت Herodotus الكتاب الرابع، 202-204)، وبعد غزو الفرس لملطية (عام 493) «تم إرسال الذين تم أسرهم أحياءً في المدينة إلي صوصا، ولم يتسبب دارا Darius لهم في أي أذي، ووطنهم في أمبي علي الخليج الفارسي بالقرب من مصب نهر دجلة» (الكتاب السادس، فقرة 20)، وقد قام العديد من الكتاب اليونانيين بحفظ مثال للسكان الإرتريين الذين تم أخذهم أسري خلال الحملة التي قام بها داتيس Datis وأرتافرنيس Artaphernes عام (490): «قبل أن يتم أسرهم كان دارا Darius ساخطاً علي الإرتريين سخطاً شديداً؛ لأنهم جرحوه، وتعدوا عليه دون أن يستفزهم، والآن وعلي الرغم من ذلك، فعندما شاهدهم أمامه بعد أن تم إحضارهم مهزومين، وعلم أنهم أصبحوا في قبضته تبخر غضبه، ولم يؤذهم بعد

ذلك بشيء، بل قام بتوطينهم علي بعض أراضيه المسماة «أردريكا» في سيسيا علي بعد 26 ميلاً تقريباً من صوصا» (الكتاب السادس، 120) .

ويتحدث الكتاب اليونانيون القدامي عن وجود بعض المرحلين من إقليم بيوتيا، وأيضاً بعض المرحلين من قري إقليم كاريا بالقرب من صوصا (ديودورس Diodorus، XVII، 110، 5-4)، وخلال ما يسميه هيرودوت Herodotus بالثورة الأيونية الثانية انضم الكهنة المسؤولون عن إدارة المعبد في مدينة ملطية إلي صف كسركسيس Xerxes ، وكنتيجة لانتصارات الثوار اليونانيين اختاروا الفرار في عربات الجيش الملكي، وقد قام كسركسيس Xerxes بتوطينهم في باكتريا، وطبقاً للتقليد الذي تكرر فقد قام الإسكندر بمعاقبتهم بشدة بعد ذلك (سترابو Strabo ، الكتاب الحادي عشر، 4111 - كوينتوس كورتيوس Quintus Curtius، VII، 5، 35-28)، ولا يوجد أي سبب يجعلنا نعتقد أن اليونانيين كانوا هم الوحيدون الذين تمت معاملتهم بهذه الطريقة، وتفقد المجتمعات والأجناس المختلفة التي حدث معها ذلك والموجودة في ألواح برسيبولس هو دليل علي ذلك (الفصل، 3/11)، ويذكر هيرودوت Herodotus أيضاً أن من بين الجماعات التي تم ترحيلها البيونيين والذين قام دارا Darius بتوطينهم في آسيا الصغري (الكتاب الخامس، 12-14)، وتبعاً لديودورس Diodorus ، قام قمبيز Cambyses أيضاً بترحيل الحرفيين المصريين (I، 4-46)، وتبعاً لبليني (VI، 116-29)، فمن المفترض أن دارا Darius قام بترحيل المجوس إلي أرض ميديا (ولكن يمكن أن يكون هذا مجرد صدي لتقليد مشكوك فيه بخصوص ثورة مجوس ميديا، والإجراءات التي قام دارا Darius باتخاذها ضدهم (ماجوفونيا) (هيرودوت Herodotus ، الكتاب الثالث، 79)، وطبقاً للمصادر المتأخرة والتي يمكن الثقة فيها إلي حد بعيد، فإنه من المفترض أن اليهود أيضاً قد تم ترحيلهم خلال عهد أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني (انظر: فصل 15-7) .

وضعية أو حالة المجتمعات المرحلة:

ليس من السهل تحديد وضع الشعوب التي تم ترحيلها، وسوف ننحي جانباً النصوص التي تعود إلي عصر الإسكندر، والتي تشير إلي وجود اليونانيين والليسيين في الورش والمؤسسات الزراعية (مزارع تربية الحيوانات) في برسيبولس)؛ وذلك لأنه من المستحيل تحديد تاريخ وصولهم هناك، ويشرح ديودورس Diodorus ببساطة أن وجودهم يعود إلي «ملوك فارس السابقين» (XVII، 2-69، وانظر أيضاً: فصل 16-12)، وعلي الرغم من ذلك فإنه توجد أدلة علي وجود اليونانيين في بلاد فارس خلال عهد دارا Darius الأول، وهي لا تتمثل فقط في بعض النصوص المعينة وجرافيتي المكتوبة باليونانية، ولكنها أيضاً تتمثل في الألواح العديدة التي تشير إلي ذلك (CFPF2072) ، حيث يشير أحد هذه الألواح إلي أقوات الأمهات التي كانت تعطي للنساء الأيونيات (PF1224) ، بينما تشير بعض الألواح الأخري إلي شخص كان يستخدم «إثنيكون يونا» كاسم شخصي، ومن المؤكد أن هذا الشخص كان أحد اليونانيين الذين يشغلون مناصب في الإدارة الفارسية؛ لأنه قام بإدارة شؤون الغلال (1995، 1942 (PF ، وفي عامي (498-499) كان عضواً في طاقم الموظفين الذين يعملون في بارناكا وزيساويس .

وتوضح النصوص الأقدم أنه في كل حالة من الحالات كان يتم تزويد المرحلين اليونانيين بمستوطنة دائمة لهم وبأرض لكي يأكلوا منها، وبالتأكيد فإن وضعهم لم يكن يختلف كثيراً عن وضع أية جماعة عرقية أخري تم توطينها في بابل بموجب نظام الهاترو، ولم يكن أعضاء هذه التنظيمات -بشكل استثنائي- من الجنود، فقد كانت تشكيلة متنوعة من الجماعات العرقية، فنجد الإيرانيين والهنود والساكيين، بالإضافة إلي أشخاص آخرين قدموا في الأساس من الأناضول، وتقترح إحدي الوثائق التي تعود إلي عهد قمبيز Cambyses أن المصريين الذين استقروا بالقرب

من نيبور كان لديهم تنظيم مستقل يدير شؤونه بشكل ذاتي، يحكمه شيوخهم، وتعترف به الإدارة الأخمينية، وكان هذا ينطبق أيضاً علي اليهود المستقرين هناك، وظل بعضهم نشطاً حتي بعد عودة الآخرين من المنفي، وبالنسبة للعديد من اليهود الذين نجحوا في الاندماج بشكل كامل في الحياة الاقتصادية والثقافيه للمجتمع الجديد، فقد فضلوا البقاء مكانهم بدلاً من العودة -غير معروفة العواقب- إلي إقليم يهودا موطنهم الأصلي، ويمكن أن نلاحظ الشيء نفسه مع البابليين الذين استقروا في بلاد فارس بداية من حكم قمبيز Cambyses ، ويرجح احتمال أن المجتمعات اليونانية المرحلة إلي بلاد فارس قد حظيت بمكانة مماثلة لتلك المكانة التي حصلت عليها بعض الجماعات المرحلة الأخري، أو تقريباً مساوية لها، وهذا ما قد يفسر إصرار هيرودوت Herodotus علي أن «دارا Darius لم ينزل بهم أي أذي -بعد ذلك» (الكتاب السادس، 20-119)، وقد قام اليوبيون سكان سوسيانا بتقديم فرقة عسكرية للجيش الملكي (كويتتوس كورتيوس، V، 2-1)، ولا بد أن هذه كانت ممارسة عامة؛ ذلك لأنه تم دمج الجماعات المرحلة (أناسباستوي) التي استقرت في جزر الخليج الفارسي في تنظيم دارا Darius للجزية (هيرودوت Herodotus ، الكتاب الثالث، فقرة 93)، وقد قاموا بإرسال فرق عسكرية للمشاركة في جيش كسركسيسXerxes (VII ، 80).

الحاميات الموجودة في مصر:

يُظهِر توزيع ووضع الحاميات الملكية في جميع الولايات والأراضي التي تخضع لسلطة الملك الأكبر أنه مثلما تم منح حصة من الأرض لكل جماعة من الجماعات بمقتضي نظام الهاترو، فقد اشتملت الحاميات علي مجموعة متنوعة من الجماعات العرقية، وأفضل مثال علي ذلك هو الحامية المتمركزة في حصن Syene بجزيرة فيلة، ويرجع وجود اليهود في فيلة إلي ما قبل الغزو الفارسي لمصر؛ وذلك لأنه في التماس قدمه

اليهود إلي حاكم يوديا عام (407)، ذكروا أنه: «عندما دخل قمبيز Cambyses مصر، وجد هذا الهيكل مبنيًّا بالفعل» ([DAE 102 [AP 30-B1) ، وعلي الرغم من أنه بطبيعة الحال تأتي الوثائق الآرامية من مجموعة اليهود الأثرياء، وتوضح أيضاً أنه كان هناك جنود من العديد من الجماعات العرقية: حيث كان يوجد الفرس بالطبع وأيضاً الإيرانيون والميديون ({DEA 64{BMAP5) ، وممن يسكنون بجوار بحر قزوين ([nos 36, 44-46 [AP13,BMAP3:5])، والخوارزميين أرقام (33-34 [AP6,8]) ، هذا بالإضافة طبعاً إلي المصريين ([no. 101 [AP27) ، والآراميين ([nos b-9 [AP 29.35.43.7) ، وحتي البابليين ([no33 [AP6) ، وقد كان من المعتاد أن يحمل قادة الفرق (دجال) أسماء إيرانية (أرقام11، 33-36-38-41 (AP45)، 6، 8، 9، 13، 15، 28)، ولكن كان البعض الآخر منهم يحمل أسماء بابلية مثل نابوكودوري (أرقام 7، 9، 53، [7، 12]) أو إدينابو (أرقام 39، 48 [AP20، BMAP، 7])، ونلاحظ هذا التنوع العرقي نفسه في منف أيضاً في كل من الحامية الموجودة هناك وفي الورش الفنية، وبدون شك فإنه علي الرغم من أن الحالة المصرية هي أشهر الأمثلة علي هذا التنوع إلا أنها حالة فريدة، وبالإضافة إلي المثال البابلي، فنحن نعرف أنه كان هناك جنود مصريون وآشوريون، وجنود من هاليكارناسوس ومن باكتريا من بين جنود الحاميات الموجودة في آسيا الصغري، وقد أظهرت أعمال الحفر التي تم إجراؤها في مقبرة ديف هويوك (تقريباً 30 كم من كارشيميش) أظهرت أن معظم الجنود هناك كانوا من شمال إيران .

وتقدم جميع الوثائق أدلة علي التمازج بين الشعوب، حيث إن المنظمة العسكرية نفسها (الدجال) لم تكن قناعاً لوحدة عرقية: فقد احتوت كل فرقة علي جنود من أصول متنوعة، وتزودنا الممارسات التي كانت متبعة في التسمية بإشارات إلي ذلك، فعلي سبيل المثال كان للبابلي

المسمي نابوكودوري ابنا اسمه باجاداتا (DAE32 [AP5]) ، وقد كانت أسماء آباء كل من مانوكي ونابوري فارسية (رقم 37 [AP14]) ، وقيام اليهود بتبني الممارسات الطقسية، أو الابتهالات للآلهة المصرية، أو الآرامية، أو الكنعانية هو دليل أكبر علي التمازج والاختلاط العرقي .

7- الوحدة والتنوع:

الإدارة الإمبراطورية والتعدد اللغوي:

أدت عمليات إعادة التنظيم وإعادة البناء، والتي قام بها دارا Darius استكمالاً للخطوات والجهود التي بذلها كل من قورش Cyrus وقمبيز Cambyses إلي تسريع جذري للحركة نحو التوحيد الإداري للأراضي التي تم غزوها، ويثبت تحليل العائدات التي جاءت من الجزية أنه ابتداءً من عهد دارا Darius يمكن أن نتكلم عن مشروع استعماري أو إمبراطوري بكل معني الكلمة، وعلي الرغم من ذلك فإن توحيد الممارسات الإدارية المتبعة في جميع أجزاء الإمبراطورية لا يعني فقدان التقاليد المحلية والتي من المفترض أنها انصهرت وامتزجت مع «الكويني» الأخميني، وقد تم الغزو والسيطرة علي مستويين، واللذين يظهران كما لو كان هناك تناقض واضح بينهما وهما: التوحيد، والمحافظة علي التنوع .

وتكشف الوثائق التي تعود لفترة حكم كل من دارا Darius وكسركسيس Xerxes عن انتشار استخدام اللغة الآرامية بشكل عام في الدواوين الإدارية في الولايات الفارسية المختلفة مثل برسيبولس، بابل، مصر، سارديس، داسيليوم، وفي باقي الأماكن وصولاً إلي الساحة الإيرانية، وعلي الرغم من ذلك فإن انتشار استخدام اللغة الآرامية في النواحي الإدارية لم يؤدِّ إلي إزاحة اللغات المحلية، ومن الطبيعي أن يتم تذكيرنا بالأمر الذي أصدره أهاسويروس في كتاب Esther ، والذي أرسله إلي كل إقليم بكتابته التي يعرفها، وإلي كل جماعة من الناس

بلغتهم التي يتحدثونها (3-12، cf Daniel، 4-3، 7، 26-6)، وأيضاً بالأمر الـذي أصـدره دارا Darius في بيهيسـتون «بعـد ذلـك هـذه النقـوش التـي أرسـلتها إلي كـل مكـان في الأقاليم الفارسية، والتي اتحد الناس في العمل عليها مع بعضهم البعض» (70، الفارسـية، الإيلامية)، وتثبت النسخ التي وجدت في بابل مكتوبة باللغـة البابليـة، وفي فيلـة باللغـة الآرامية أن الأمر الملكي قد تم تنفيذه بكفاءة .

ومن الواضح أنه قد تـم الاسـتمرار في اسـتخدام اللغـات وطـرق الكتابـة المحليـة بشكل كثيف في النصوص الخاصة، بالإضـافة إلي الوثـائق الرسـمية التـي كانـت السـلطة المركزية تقوم بإرسالها، مثل النصـوص الهيروغليفيـه التـي أرسـلها كـل مـن دارا Darius وكسركسيس Xerxes ، ويوجـد العديـد مـن الشـواهد عـلي هـذه الاسـتمرارية في آسـيا الصغري، وبابـل، وفينيقيـا، وحتـي في برسـيبولس، فعـلي سـبيل المثـال تـم نشر القـانون المصري باللغتين الآرامية والديموطيقية، وتتمثل إحدي الوثائق التي كان يتم اسـتخدامها في الحياة اليومية في بابل تحت حكم قمبيـز Cambyses في العبيـد الـذين كـان يكتـب علي معاصمهم باللغتين الأكادية والآرامية (قمبيز 143 Cambyses).

وتحليل المراسلات التي جرت في عام 492 بين فاراندانيس Pharandates مرزبان مصر والأشخاص المسؤولين عن هيكل خنوم في جزيرة فيلة يوضح هـذا الأمـر بشـكل كبـير، حيـث توضح بشكل ملموس أنه لا يمكن استخدام اللغة الآرامية بشكل منظم كلغة تواصـل وحيـدة بين الإدارة الفارسية والشعوب الخاضعة لها، وقد تتم كتابة رسالة المرزبان أولاً باللغة الآراميـة في مكاتب ودواوين منف، وذلك تحت توجيه وإشراف أحـد المستشـارين (وهـو غـير مصري، يحتمل أن يكون فارسيًّا)، ثم كان يتم بعد ذلـك ترجمتهـا عبـارة بعبـارة بالاسـتعانة بسـكرتير مصري (بفتـو أونيـث) يعـرف الديموطيقيـة، وقـد كانـت تقابلـه بعـض الصـعوبات في إنجـاز

هذه المهمة التي تنشأ من مشكلات الترجمة التـي يقابلهـا البـاحثون المعـاصرون، وعـلي الرغم من ذلك فقد كان يتم كتابة رد كهنـة فيلـة عـلي رسـالة المرزبـان مبـاشرة باللغـة الديموطيقية، وبمعني آخر، فإنه لكي تتمكن الإدارة المرزبانية من إيصـال مـا تريـد قولـه كان لزاماً عليها أن تستعين بالكتابات المحلية .

وفي مثل هـذه الظـروف، فـإن تـرجمات الوثـائق الرسـمية لم يكـن يـتم إنجازهـا دائماً بالدقة القانونية، وخاصة إذا كانت اللغة التـي تـتم الترجمـة إليهـا لا تحتـوي عـلي مفردات مكافئة لكلمة فارسية ما، وهكذا فإن المترجم اليوناني الذي قـام بترجمـة رسـالة دارا Darius إلي جاداتس لم يجد أيـة كلمـة تعـادل «بانـداكا Bandaka » سـوي كلمـة «دولوس Duolos »، ولكن بالنظر إلي المعني فإن العلاقة بين الكلمة اليونانيـة والكلمـة الفارسية هي علاقة بعيدة (أيضاً زينوفون Xenophon، Anab، I، 6-6)، وقـد كانـت عمليات الترجمة أكثر تعقيداً؛ لأنه في الغالب كانت توجد هنـاك نسـخة وسـيطة باللغـة الآرامية بين المصدر الفارسي الأصلي للنص والنسخة المترجمـة إلي اللغـة المحليـة، وتظهـر النقوش المكتوبة بلغتين أو ثلاثة الصعوبات التي تتم مواجهتها أثناء عملية نقل المعنـي، وأفضل مثال ينتمي إلي هذه الفترة هو النقش البيهيستوني والمكتـوب في نسـخ مختلفـة، وبالنسبة للفترات التالية فإن نص زانثوس المكتوب بثلاث لغات هو أفضل مثال .

ونعرف بأمثلة قليلة للغاية قيام أشخاص بتعلم اللغات، وثمستوكليس هو أشهر هذه الأمثلة، فقد تعلم اللغة الفارسية عندما انضم إلي حاشـية الملـك أرتاكسركسـيس Artaxerxes الأول (ثمستوكليس 28-5، ثيوسيديدس، I، 1-138)، وقد تعلمها ووصل فيها إلي درجة جيدة للغاية لدرجة أنه وتبعاً لما يقوله نيبوس (ثمسـتوكليس 10-1) «كان من السهل عليه بدرجة أكثر بكثـير أن يـتكلم في وجـود الملـك عـما إذا كان من يتحدث معه لم يولد في فارس» ويتحـدث هـيرودوت Herodotus عـن

هيستيوس من سكان ملطية «والذي كان يتحدث الفارسية بدرجة تكفي علي الأقل لأن يقوم بتعريف نفسه إلي جندي فارسي» (الكتاب السادس فقرة 29)، وبالطبع فإن هذا الشخص قد قضي أكثر من عشر سنوات في بلاط دارا Darius ، وعلي الرغم من ذلك فإن الأمثلة المعروفة عن أشخاص قاموا بتعلم لغة الفرس هي أمثلة قصصية ومتفرقة، وتشير كل الدلائل إلي أن اللغة الفارسية لم تكن من اللغات واسعة الانتشار، ومن الأشياء الأكيدة التي لدينا أن زينوفون Xenophon يروي أنه قام في أرمينيا بمخاطبة شيخ إحدي القري من خلال مترجم يتحدث اللغة الفارسية، (برسيستي: Anab، IV، 5-10)، أو عن طريق الاستعانة بشخص لغته هي الفارسية (برسيزون، IV، 34-5) .

ولكن لا يجب أن تتم المبالغة حول أهمية هذا الدليل، حيث إن زينوفون Xenophon لم يقل في الحقيقة أن الكومارش Komarch كان يتحدث الفارسية بالفعل، ويمكننا أن نفترض أن شخصاً أرمينيًّا يستطيع أن يفهم وبدون صعوبة كبيرة مضمون محادثة بسيطة تتم باستخدام لغة قريبة الشبة من لغته الأم.

ويذكر سترابو Strabo أن الشعوب التي كانت تسكن علي هضبة إيران (أريا) كانت تتحدث اللغة نفسها (هوموجلوسوي)، ويذكر أيضاً أن هذه اللغة كانت لها لهجات تختلف عن بعضها اختلافات بسيطة (باراميكرون، IV، 8-2)، ومن المحتمل أن بعض الشعوب التي كانت تسكن علي هذه الهضبة كانت تستخدم هذه اللغة، ومن الأكيد أن البدو الساجرتيين Sagartian كانوا من بين هذه الشعوب التي تحدثت اللغة الفارسية (فون)، وتبعاً لهيرودوت Herodotus فإن هؤلاء البدو كانوا ينحدرون من أصل فارسي (إثنوس برسيكوس، VII، 85)، وبرغم كل هذا التنوع القبلي (I، 125) فقد حافظوا مثلاً علي طرق القتال والتي لا تختلف كثيراً عن طرق الفرسان الملكيين .

ويحتمل أيضاً أن تقاليد ولغة القبائل الفارسية الأخري مثل قبائل الماردين سكان Persis لم تتغير كثيراً علي مر السنين (إليان، I، 34)، ويذكر سترابو Strabo أن سكان درانجيانا أيضاَ قد حدث بينهم وبين الفرس تبادل ثقافي (XV، 10-2)، ويمكن أن تؤدي بنا الكلمة التي يستخدمها وهي (برسيزونتس) إلي الاعتقاد بأنه يشير إلي تبنيهم اللغة الفارسية، ولكن السياق لا يقتضي هذا التفسير، ويتحدث هيرودوت Herodotus (في الكتاب الأول فقرة 125) عن قبائل «العمال الفارسية المسماه بـ«الجرماني»، والذين يسميهم سترابو Strabo الكارمانيين (XV، 14-2)، ويقول عنهم إنهم تبنوا ممارسات زراعية مشابهة لتلك التي كان يستخدمها الفرس، ولكن تظهر رواية سترابو Strabo أيضاَ إلي أي مدي حافظ الكارمانيون علي عاداتهم، وخاصة طقس المرور، والذي -كما يصفه- يختلف كثيراً عن الطقس الفارسي (الفصل 8-3): فيقول إنه قبل الزواج كان علي الشاب أن يثبت رجولته عن طريق قطع رأس أحد الأعداء وإحضارها إلي الملك، وكان الملك يقوم بتخزين الجماجم في القصر الملكي».

وباستثناء الحالة المحددة للساجارتيين، فإن لا يوجد أي دليل يشير إلي أن اللغة الفارسية كانت تستخدم بشكل واسع النطاق بين الشعوب الإيرانية؛ ولهذا السبب احتاج الإسكندر الأكبر إلي الاستعانة بمترجم متمرس علي اللغة الدارجة (فوني) التي يتحدث بها سكان ماراكاندا في سوجديانا (أريان IV، 7-3)، وبالإضافة إلي ذلك، فإن كل الوثائق التالية تتحدث عن قوة اللغتين الباكترية والسوجدية، بالإَضافة إلي الحفاظ علي عادات جنائزية في شرق إيران تختلف بشكل كامل عن العادات المتبعة في غرب بلاد فارس (مثل تجفيف الجثث) .

وقد أدي الإبقاء علي التعددية اللغوية إلي الاستعانة بالمترجمين، وكان هناك العديد من المترجمين في الجيش الملكي (زينوفون، Anab،

I، 12-8-17)، وكذلك أيضاً في البلاط المركزي في عاصمة الإمبراطورية، وذلك ليس فقط خلال استقبال السفراء الأجانب، وعلي سبيل المثال عندما ظهر ثمستوكليس في البلاط الإمبراطوري لأول مرة قام بمخاطبة الملك الأكبر من خلال مترجم (ثمستوكليس 28-1)، وقد أبلغنا هيرودوت Herodotus أيضاً عن وجود مترجمين في الاجتماعات التي تمت بين قورش Cyrus وكريوسوس Croesus (الكتاب الأول 86)، وخلال الاجتماعات بين دارا Darius واليونانيين (الكتاب الثالث 38)، ومن الواضح أن دارا Darius الأول لم يزعج نفسه بتعلم اللغة اليونانية، ولكن خليفته البعيد دارا Darius الثاني قد تعلمها (وذلك علي الأقل كما يقول كوينتوس كورتيوس، V، 5-11)، وقد قام بعض الفرس بتعلم كيفيه التحدث باستخدام اللغات المحلية مثل الشخص الفارسي الذي كان يتحدث اليونانية في المأدبة التي أقيمت في طيبة عام 479 تكريماً لماردونيوس (هيرودوت Herodotus الكتاب التاسع فقرة 16)، أو «باتيجياس» الذي كان من ضمن حاشية قورش Cyrus الصغير، والذي كان يجيد اليونانية بقدر يكفي لإعطاء أمر إلي مرسيناريس (زينوفون Xenophon، Anab، I، 1-8)، وعلي الرغم من ذلك فإنه في نهاية القرن الخامس كان المرزبان الفارسي لا يزال يستخدم مترجماً للتواصل مع اليونانيين (زينوفون Xenophon، Anab، II، 17-3) .

ويشير أحد الألواح البابلية (أمهرست 258)، والتي يعود تاريخها نظريًّا إلي بداية القرن الخامس إلي أن معرفة اللغات المحلية لم يكن أحد الإنجازات المنتشرة بين الفرس، ويذكر هذا اللوح المؤن والأقوات الصادرة إلي سلسلة من الأشخاص، والذين كانوا في معظمهم أشخاص فارسيين، ومن الواضح أنهم كانوا رفيعي المستوي (وكان من بينهم أوستانو، والذي من المحتمل أنه لم يكن سوي مرزبان بابل وإقليم إيبرناري)، ويحتمل أن هؤلاء الفرس كان يمرون عبر إيلام وبابل، أو

أنهم قد أكملوا مهمة لهم هناك، وعلي أية حال، فإن هذا اللوح يذكر اسم مترجم الكتابة (ليبلوتو)، أو مترجم الحديث (ماردوكا)، والذي كان ملحقاً بحاشية أوستانو، بالإضافة إلي المترجم الخاص بأرتاباتي (بيل-إيتانو)، ومن الواضح أن هؤلاء الحكام الفرس لم يكونوا قادرين علي التواصل مباشرة مع الأشخاص الذين يحكمونهم، وقد اضطروا إلي الاستعانة بمترجمين بابليين ليساعدوهم في فعل ذلك، ومن الصحيح أيضاً أن هذه الوثيقة يمكن ترجمتها بشكل مختلف: يحتمل أن الحكام الفرس وعلي الرغم من أنهم كانوا يستطيعون نطق بعض الكلمات البابلية إلا أنهم لم يكونوا يتقنون تلك اللغة بدرجة تكفي لإعطاء أوامر محددة باستخدامها، أو ربما أنهم أصروا علي التحدث باللغة الفارسية للحفاظ علي هيبتهم ووضعهم، أو ربما أن الكلمة المستخدمة لوصف الأشخاص المرافقين للحكام الفرس (سيتيرو) تشير أساساً إلي وظيفتهم المكتبية التي يقومون بها في الإدارة، والتي ليست بالضرورة ذات صلة بوظيفة المترجم.

ومن الأفضل ألا نمنح هذا النص أهمية كبيرة، وعلي الرغم من أن التواصل الشفهي بين الحكام الفرس ومواطنيهم كانت تعوقه وتقف في طريقه سلسلة كاملة من العقبات اللغوية والسياسية، إلا أنه يجب التأكيد علي أن استخدام اللغة الآرامية والدور الذي كان يقوم به الكتاب والمترجمون سمحا لهم بتجاوز مثل هذه العقبات بسهولة في الشؤون الإدارية، وحتي في الحياة اليومية، وعندما قام الفرس بعقد صفقة مع المصريين تمت كتابه النص باللغة الآرامية (DAE 109) ، وقد كان هذا هو الحال أيضاً بالنسبة للعقد الذي تم الاتفاق عليه بين شخص آرامي من الهبة (توي زوي) وفلاح مصري (DAE 1) ، وبمعني آخر فإن التنوع اللغوي الدائم لم يؤدِّ إلي تهديد للوحدة السياسية للإمبراطورية، حيث إنه سواء تمت كتابته أو الإعلان عنه باللغة اليونانية أو البابلية أو الليسية أو

الديموطيقية، كان المرسوم المرزباني الملكي يحتفظ بالمقصود الفارسي الكامل من ورائه، ومثل ذلك هو أنه علي الرغم من الاستعانة بالحرفيين من كل ولاية من الولايات واستعارة العديد من الأيقونات والصور شبه الشرقية، ظلت الأعمال الفنية المنتجة في برسيبولس أعمالاً فنية ملكية أخمينية بكل ما تحمله هذه الكلمة من معني .

القانون الملكي والقانون المحلي:

بسبب قيام دارا Darius بإصدار أوامره لصياغة القوانين المصرية، فإنه يقال أحياناً أنه بلا شك كان ينتوي إصدار مجموعة مشتركة من القواعد السلوكية المعروفة بـ«القانون الملكي» في جميع أجزاء الإمبراطورية، ونعرف أيضاَ بوجود القضاة في بابل (داتابارو، دايانو،... الخ)، ولكن استخدام هذه الكلمات الفارسية المستعارة (داتابارو، داتابارا) لا يثبت في حد ذاته أنه قد تم العمل بالقانون الملكي في بابل، وعلي أية حال فإن وجود مثل هؤلاء المسؤولين والتي كانت واجباتهم غير محددة بشكل واضح لا يعني أن بابل كانت خاضعة للقوانين الملكية، ومهما كانت ألقابهم فقد قام هؤلاء القضاة بإصدار أحكامهم بالتوافق مع القانون المحلي طالما أن القضية لم تخرج خارج نطاق النظام الإقليمي، وبالإضافة إلي هذا فإن عبارة «تبعاً لقانون الملك (داتو سا ساري) والتي تتكرر في العديد من الألواح البابلية ربما كانت تشير بشكل أساسي إلي الالتزامات المالية، أي الالتزامات التي تشبه القواعد والأحكام المنظمة أكثر منها أن تكون القوانين الفعليه، وتتضمن أوراق البردي المكتوبة بالآرامية، والتي تم اكتشافها في سقارة هذه المصطلحات نفسها، ومن المحتمل جدًّا أن هؤلاء القضاة كانوا يترأسون المحاكمات المدنية، كما هو الحال في الأقاليم الجنوبية (ديني في الوثائق الآرامية التي وجدت في فيلة)، وبالطبع فإن هؤلاء القضاة يظهرون في حالات نادرة في فيلة «كقضاة ملكيين» (ديني مالك)، ولكن يجب أن نقاوم الميل إلي

تصنيفهم ضمن فئة القضاة الملكيين، والتي نعرفها من المصادر القديمة، وقد كان الملك هو من يختار هؤلاء القضاة الملكيين، وكانوا يعملون فقط في إطار بلاد فارس (هيرودوت Herodotus الكتاب الثالث فقرة 31 هوي باتريوي ثيسموي)، وقد كان القضاة وقضاة الأقاليم والقضاة الملكيين يترأسون جلسات القضايا والاستئنافات تحت سلطة الحاكم المحلي والمرزبان وأخيراً الملك الأكبر .

والكلمة الفارسية «داتا» والتي تترجم «قانون» هي نفسها مسؤولة عن بعض هذا الالتباس الذي حدث، فعلي سبيل المثال تعني هذه الكلمة في أحد الألواح التي تعود إلي برسيبولس «القواعد التنظيمية التي كان علي أمناء المخازن أن يتبعوها» (PF1980 ، باللغة الإيلامية (Datam) ، وهذا أيضاً هو الإطار الذي يجب أن نفهم فيه المهام التي كان يعهد بها إلي قاضي بارناكا (داتابارا) 1272 (PF) ، وتظهر كلمة داتا في كتاب إستر Esther 19 مرة لتشير إلي إحدي القواعد التنظيمية في البلاد (وهي 1-8 الخمر المحجوز للملك «كاتا بروكيمنون نومون»)، أو لكي تشير إلي إحدي العادات المتعارف عليها (1-15 حكم إثر «كاتا تون نومون»)، أو لكي تشير إلي أحد المرسومات الملكية (1-19 بروستجما)، وترجمة كلمة «داتا» إلي «نوموس» هذه هي ترجمة ملائمة جدًّا، وعند الكتاب اليونانيين تشير كلمة نوموس ببساطة إلي الممارسات الفارسية (ستيسياس Ctesias فقرة 57) أي إحدي الممارسات الجنائزية (هيرودوت Herodotus الكتاب الأول 131-40 إلخ) و/أو إلي ممارسات البلاط الأخميني (كما في «إليان» والذي كان مغرماً بهذه القواعد التنظيمية للبلاط (الكتاب الأول 21، نوموس إيبيخوريوس: بروسكينيسيس)، [الكتاب الأول 31-32 (برسيكوس نوموس: الهدايا الإلزامية التي يتوجب علي الفلاحين الفرس تقديمها إلي الملك الأكبر)]، [الكتاب الثاني عشر 62 (نوموس برسيكوس: الالتزامات المفروضة علي مستشاري الملك)، ولكي نصل

إلي مضمون هذه المقارنات بما فيها إحدي المقارنات المستهترة دعونا نعود إلي العبارة الإيلامية «داتام أبوكانا» والتي تفهم عادة كـ«تبعاً للقواعد التقليدية أو المعتادة»، بدلاً من تبعاً للقانون السابق (Pf 1980) ، ويمكننا أن نري كيف أن أحد الكتاب اليونانيين لكي ينقلها إلي لغته سوف يستخدم صيغته مثل «كاتا تون (برسيكون) باتريون نومون!».

«ففي الفقرات ذات المصداقية التاريخية المحدودة، يقوم محرر كتاب Esther بمقارنة قوانين اليهود مع قوانين الملك الأكبر (3-18 نوموي توباسيليوس)، ولكن التركيز هنا علي الجوانب السياسية وليست القضائية، ولم يسعَ الملك الأكبر الفارسي إلي فرض القوانين الفارسية في جميع أجزاء الإمبراطورية، ولكن وبدلاً من ذلك فإن المرسوم الملكي يعترف وبشكل صريح بقوانين الشعوب المختلفة (نوموي، بارابانتا تي إثني) .

وبالطريقة نفسها تم نشر وإعلان المراسيم الإمبراطورية المختلفة بكل اللغات الموجودة في الإمبراطورية معلناً أن كل رجل يجب أن يكون هو سيد بيته (1: 22)، وهناك مثال أخير، والذي يتم الاستشهاد به غالباً وهو (عزرا 7 (25-26)، والذي نجد فيه المرسوم الملكي بهذا الشكل: «وأنت يا عزرا بفضل حكمة ربك التي أعطاها لك، فإنك ستقوم بتعيين الكتبة والقضاة (كريتاي) ليكونوا مسؤولين عن إحقاق الحق لكل الناس في إقليم عبر الفرات، وإذا عصي أي شخص قانون ربك والذي هو قانون الملك فليكن عقابه رادعاً».

ولا يوجد هنا أي أثر أو دليل علي رغبة الملك الأكبر في نشر «مجموعة من القوانين الإمبراطورية»، حيث إن الملك الأكبر يقوم هنا بالاعتراف وحماية قوانين اليهود (التوراة)، والتي سيحكم بمقتضاها القضاة الذين سيقوم عزرا بتعيينهم بمن فيهم اليهود الذين يعيشون خارج أراضي إقليم يهودا «كل الأشخاص اليهود الذين يعيشون في ولاية عبر

الفرات»، والتفسير مختلف إلي حد ما، فبمجـرد أن يـتم الاعـتراف بهـم مـن قبـل الملـك الأكبر يتم دمج هذه العادات المحلية في الفئة العامـة لــ(القـانون الملـكي)، وتكتسـب في ذات نفسها (وقبل كل شيء فيما يخص الإدارة المرزبانية التي يتحدث الملك إليها) سلطة لا تنبع بشكل استثنائي من العـادات المحليـة الخاصـة بهـذه الجماعـة، وبشـكل مـا مـن وجهة نظر حكام المجتمعات المحلية (الجماعات العرقية، المدينة، الهيكل)، فـإن مفهـوم «القانون الملكي» والذي هو بعيد كل البعد عن أن يـتم النظـر إليـه كمقيـد لاسـتقلالهم وحكمهـم الـذاتي قـد شـكل نوعـاً مـن الضـمان الملـكي لحمايـتهم مـن تعسـف وظلـم المرزبانات، وبهذا المعني فإنه يمكن اعتبار أن إصلاحات دارا Darius فيما يتعلق بتوزيع الجزية تقع ضمن طائفة «القانون الملكي»، وعلي الرغم من أنها كانت ترمز إلي الخضوع إلا أنها قد حدت أيضاً وبدرجة كبيرة من الدوافع والنزوات السيئة للسلطات المرزبانية .

وتلخيصاً لما سبق، فإننا يجب أن نستنتج وبشكل قاطع أنه لم يكـن هنـاك قـانون مفروض علي جميع الشـعوب في الإمبراطوريـة دون تمييـز، وبهـذا المعنـي فـإن مفهـوم القوانين الملكية يأتي في إطار السياسة وليس القانون، وهذه هي الطريقة التـي يجـب أن يتم بها فهم كلام دارا Darius الموجـود في «بيهيسـتون»: «بقـوة أهـورا-مـازدا احترمـت هذه الشعوب قانوني (داتا)، وفعلوا كما أمرتهم (8)، ولا تعني كلمـة «داتـا» هنـا سـوي طلب الولاء «أرتا» والالتزام بدفع «نصيب الملك» (= باجي (بـازيس) «الجزيـة»)، ومـن الواضح أنها هذه الكلمة تعكـس أيديولوجيـة سياسـية-دينيـة، ولـيس منظمـة قضـائية، حيث إنها تشير إلي وتمجد سيطرة الملك الأكبر التي لا يشاركه فيها أحد علي جميع البلاد والشعوب التي تقع تحت يديه.

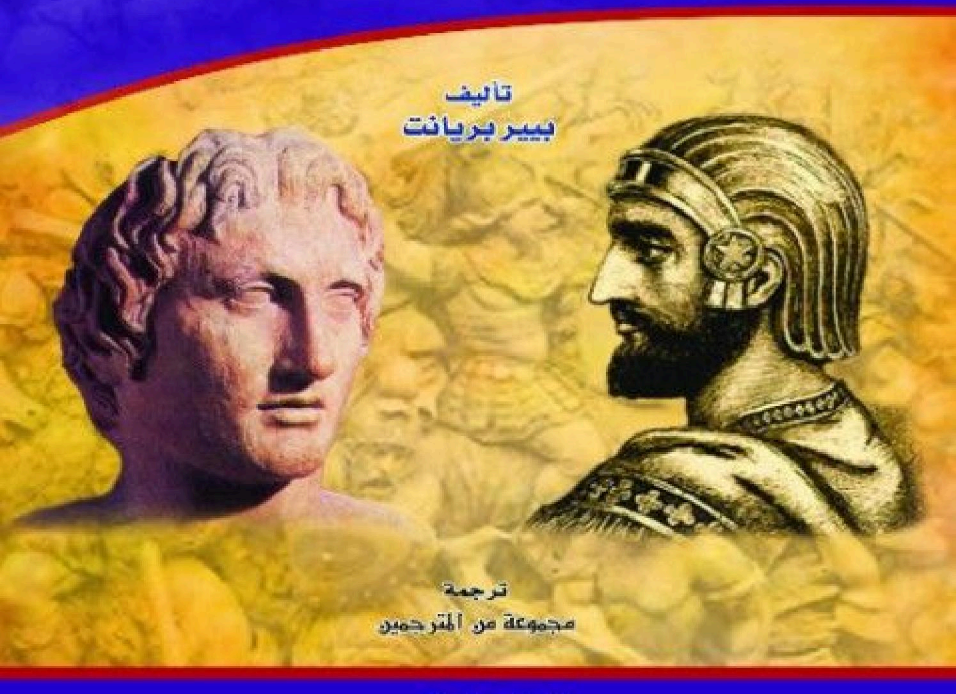
فهرس محتويات

المجلد الثالث

موسوعة

تاريخ الإمبراطورية الفارسية

من قورش إلى الإسكندر



تأليف

بيير بريانت

ترجمة

مجموعة من المترجمين

المجلد الرابع

الدار العربية للموسوعات

موسوعة

تاريخ الإمبراطورية الفارسية

من قورش إلى الإسكندر

اسم الكتاب: موسوعة تاريخ الإمبراطورية الفارسية مِنْ قورش إلى الإسكندر

المؤلف: بيير بريانت

الطبعة الأولى: ٢٠١٥م - ١٤٣٦هـ

ISBN 978-614-424-173-8 (٧ مجلدات)
ISBN 978-614-424-177-6 (المجلد الرابع)



الدار العربية للموسوعات

المدير العام: خالد العاني

الحازمية - مفرق جسر الباشا - سنتر عكاوي - ط١ - بيروت - لبنان
ص.ب: ٥١١ الحازمية - هاتف: ٩٥٢٥٩٤ ٥ ٠٠٩٦١ - فاكس: ٤٥٩٩٨٢ ٥ ٠٠٩٦١
هاتف نقال: ٣٨٨٣٦٣ ٣ ٠٠٩٦١ - ٥٢٥٠٦٦ ٣ ٠٠٩٦١
الموقع الإلكتروني: www.arabenchouse.com البريد الإلكتروني: info@arabenchouse.com

موسوعة

تاريخ الإمبراطورية الفارسية

من قورش إلى الإسكندر

تأليف

بيير بريانت

ترجمة

بيتر تي دانيلز

بحيرة وينونا إنديانا أيزنبراونز

المجلد الرابع

الدار العربية للموسوعات

بيروت



الجزء الرابع

من عهد كسركسيس **Xerxes**

وحتى عهد دارا **Darius** الثالث

إمبراطورية في حالة من الاضطراب والفوضى

الفصل الثالث عشر

كسركسيس Xerxes الملك الأكبر 486-465

1- المصادر والمشكلات:

سنة 479 وشهرة كسركسيس Xerxes :

لقد قدمت كتب التاريخ المعاصرة صورة تقليدية مرعبة عن حكم وشخصية كسركسيس Xerxes ، ولقد تم بالفعل صياغة هذه الصورة بشكل كامل في كتاب رولينسون Rawlinson المعنون «خمس ممالك عظيمة»، وهو المؤلف الذي تم نشره عام 1867م، فلقد بدأت -مع تولي كسركسيس Xerxes السلطة- الاضطرابات الناشئة عن تدخل نساء الملك في أمور الحكم، وظهور الاغتيالات والمؤامرات، ولقد أطلق العنان لرغبات أميرات البلاط من حوله، وازداد تأثير الخصيين في القصر، ونتج عن ذلك أن «شخصية كسركسيس Xerxes انحدرت لتكون أقل من شخصية أي من الملوك الذين سبقوه»، ولقد كان هذا الملك ضعيف الشخصية، ويسهل التأثير عليه، وغير ناضج في رغباته وشهواته، وكان أيضاً قاسياً، وأنانيًّا، ومغروراً، ومؤمناً بالخرافات، وفاسقاً لا يتقيد بالمعايير الأخلاقية، ويفسر كل هذا انحطاط الإمبراطورية، والتي أصابها الإرهاق نتيجة سفك الدماء الذي نتج عن الحرب الفارسية الثانية.

ولقد كان هذا الانحلال بادياً ليس فقط على الصعيدين العسكري والإقليمي ولكن أيضاً في النواحي الإدارية وعلى صعيد «الروح الوطنية»، حيث إنه «مع وصول كسركسيس Xerxes إلى سدة الحكم بدأ الفساد يستشري في البلاط»، ولقد كانت مظاهره واضحة في زيادة التخنث والرفاهية في العادات المتبعة في القصر، ويسلم رولينسون Rawlinson بأن الملك كان قادراً على إظهار استعداده وقدرته على القيام بالأعمال الإنشائية، ولكنه يؤكد في الوقت نفسه على أن معظم المباني والإنشاءات التي ترجع إلى فترة حكمه يحتمل أنها كانت من تخطيط والده دارا Darius ، ويمكننا أن نرى أنه وعلى الرغم من التحذيرات الكثيرة والواضحة فقد استمر نشر وتداول هذه الصورة عن كسركسيس Xerxes حتى في المقالات والكتب التي صدرت حديثاً، ويمكنني صياغة ما يقلقني حول هذه الصورة التي يتم بها تقديم كسركسيس Xerxes في شكل سؤال واحد بسيط ومباشر وهو: ما أهمية سنة 479 ق.م في التاريخ الفارسي؟ وللإجابة عن هذا السؤال يجب أن نستفسر ونستقصى أولاً حول أصل وجهة النظر التي تم عرضها بالأعلى، حيث إن عملية إعادة الفحص التي قمت بها تستلزم دراسة الطريقة التي نشأت بها وجهة النظر دراسة تاريخية.

التاريخ الفارسي وتركزه في المصادر الإغريقية:

من السهل أن نرى أن وجهة النظر التقليدية هذه قائمة بشكل أساسي على قراءة غير ناقدة ومدققة للمصادر القديمة، وباستثناء الفقرة الموجودة في كتاب هيرودوت Herodotus عن اختيار ولي العهد الكتاب السابع فقرة 2-3 ، والإشارة القصيرة إلى قيام كسركسيس Xerxes بإعادة غزو مصر الكتاب السابع فقرة 7 ، فإن الكتب 7، 8، 9 بأكملها في مؤلفه «التاريخ الجامع» تم تخصيصها لفحص التحضيرات التي قام بها الملك لغزو بلاد اليونان، والهزائم التي مُنيت بها القوات الفارسية هناك في

موقعة سلاميس البحرية عام 480 ، وموقعتي بلاتيا وميكالي عام 479 ، وتتوقف رواية هيرودوت Herodotus فجأة عند إعداد كسركسيس Xerxes لمغادرة ساردیس بعد الهزيمة في موقعة ميكالي، والشيء الأكثر من ذلك هو أن الفصول الأخيرة من مؤلف هيرودوت Herodotus قد لعبت دوراً ليس بالصغير في خلق هذه الصورة عن ملك منحل أخلاقيًا، حيث يروي هيرودوت Herodotus أنه في الحقيقة وخلال إقامة كسركسيس Xerxes في ساردیس في طريق عودته من حملته الأوروبية، أنه وقع في حب زوجة أخيه ماسيستيس Masistes ، وعندما فشل في إغوائها «قام بترتيب زواج ابنة دارا Darius من ابنة أخيه ماسيستيس Masistes ، وابنة هذه المرأة أيضاً، ظناً منه أنه بهذه الطريقة سيكون هناك احتمال أكبر أن ينال من هذه المرأة» الكتاب التاسع فقرة 108 ، ثم يقوم هيرودوت Herodotus بعد ذلك بتقديم أمستريس Amestris زوجة كسركسيس Xerxes وتأثيرها الكبير والمصيري على روح وعقل زوجها، بالإضافة إلى قسوتها غير المحدودة الكتاب التاسع فقرات 109-112 ، وتلمح هذه المغامرة إلى الثورة التي قام بها ماسيستيس Masistes ، والتي أدت ليس فقط إلى مقتله وحده، ولكن أفنت أيضاً معه أولاده وقواته الكتاب التاسع، فقرة 113 ، وبإقحام هذه الروايات في قلب قصة الانتصارات اليونانية في آسيا الصغرى، فإنها قامت بتدعيم هذه الصور السلبية عن ملك خاضع للتأثيرات الشنيعة والمشينة لنساء البلاط، وأن اهتمامه بإشباع رغباته ونزواته الشريرة كان أكبر من اهتمامه بالدفاع عن الميراث الإقليمي الذي تركه له والده دارا Darius ، وفي الحقيقة فإن التأكيد -بهذه الدرجة- على قصة كسركسيس Xerxes مع زوجة أخيه ناتج عن استخدام طريقة يثور حولها الكثير من الجدل والنقاش، فمن ناحية هذه القصة نجد أنها قصة حب تتميز بسلسلة كاملة من الموضوعات والأفكار المتكررة، والتي سيكون من غير الحكمة

-إلى حد بعيد- أن نقوم ببناء أي استقراء تاريخي اعتماداً عليها، ومن ناحية أخرى فإن رواية هيرودوت Herodotus تحتوي على العديد من العناصر الإخبارية الأخرى - المقنعة بدرجة أكبر بكثير- عن السياسة والاستراتيجية التي اتبعها كسركسيس Xerxes عقب عودته من سلاميس، على الأقل إذ اختار المؤرخ أن يتحرر من التأثير الشامل للأفكار والآراء التقليدية حول كسركسيس Xerxes ، ولقد قمنا بالطبع، وفي عدة مرات بتوضيح نقاط القصور الموجودة في تاريخ هيرودوت Herodotus ، ولكن اختفاؤه كمؤرخ بعد عام 479 يشير أيضاً إلى أننا نحتاج إلى إعادة تقييم مكانه والدور الذي لعبه أثناء قيامنا بإعادة بناء التاريخ الأخميني، حيث إننا نفقد الخيط الروائي الذي يربط الأحداث المتسلسلة ببعضها منذ الفتوحات التي قام بها كل من قورش Cyrus وقمبيز Cambyses ، ولم يقدم أي مؤرخ يوناني آخر بديلاً صالحاً لتاريخ هيرودوت Herodotus ، وكرواية، فإن الفصول الشهيرة التي كتبها ثيوسيديس Thucydides حول بناء القوة الأثينية [الفصل الأول 89 - 95] والأعمال التي قام بها كل من بوسانياس Pausanias [الفصل الأول 128 - 130] وثيمستوكليس] Themistocles الفصل الأول 135-138]، فإن هذه الفصول -إلى حد ما- تبدأ من حيث توقف هيرودوت Herodotus ، ولكن ثيوسيديس Thucydides لم يزعم أبداً أنه يكتب تاريخ بلاد فارس، حيث إنه يلمح إلى بلاد فارس فقط بشكل سطحي، وعندما تتسنى له الفرصة للإجابة عن السؤال، فإنه يقترح ما يتصل بالسبب الذي أدى إلى اندلاع الحرب البلوبونيزية، وكيف استخدم الأثينيون القوة التي أعطتها لهم هذه الحرب في عام 432، وخلال الفترة المعروفة بفترة الخمسين سنة بنتا كونتا الفصل الأول 89 - 1، 118؟ ، وبالتأكيد فإن تحليله هذا يحتوي على فقرات يلمح فيها أيضاً إلى تاريخ بلاد فارس، مثل قصة الحملة الأثينية على مصر الفصل الأول، 104، 109 ، ولكن إعطاء أهمية كبيرة لهذه

الفقرات يمكن أن يؤدي إلى إعطاء وزن أكبر من اللازم إلى الجزء من الإمبراطورية الـذي يقع على البحر المتوسط، وتنطبق هذه الاعتبارات نفسـها عـلى مؤلفـات بعـض الكتـاب اليونانيين الآخرين، مثل ديـودورس سـيكيولس Diodorus Siculus أو حتـى بلوتـارك Plutarch ثيمسـتوكليس Themistocles ، أريسـتيدس Aristides ، سـيمون Simon ، حيث إنه لا يمكن اختزال فترة حكم كل من كسركسيس Xerxes والأبـاطرة الآخرين الذين خلفوه إلى فترات الصعود والنزول التي مـرت بهـا فـارس نتيجـة المعـارك التـي خاضـتها ضـد الأثينيـين في بحـر إيجـة. بلوتـارك Plutarch ، ثيمسـتوكليس Themistocles 31 ، 3 .

والرواية التي أسهم بها ستيسياس Ctesias حول الأحداث التاريخية التي وقعت في هذه الفترة هي روايـة ضـعيفة ومشـكوك في صـحتها، وينطبـق ذلـك أيضـاً عـلى «ملخـص فوتيوس Photius »، والذي باستثناء ذكره لإحدى الثورات البابليـة فقـرات 21-22 فإنـه تظهر به جوانب القصـور الفاضـحة نفسـها والشـديدة الوضـوح التـي تعـاني منهـا «روايـة ستيسياس Ctesias »، فرواية ستيسياس Ctesias ليست فقط مليئة بالأخطـاء 23-27 ، ولكنها أيضاً قامت بتغطية الفترة ما بين عامي 479-466 باستخدام جملتين حول العلاقات الجنسية التي أقامتها أميتـيس Amytis ابنـة كسركسـيس Xerxes وزوجـة ميجـابيزوس Megabyzus خارج نطاق الزواج، والجملة الأخرى تدور حول المؤامرة التي فقد الملك فيها حياته على إثرهـا 28-29 ، ويبـدو واضـحاً أنـه ابتـداءً مـن الفقـرة 22 أصبح ستيسـياس Ctesias مهـتماً بتـاريخ الأعـمال البطوليـة لأسرة ميجـابيزوس Megabyzus أكـثر مـن اهتمامه بسرد تاريخ الأباطرة الفرس لدرجة أنه خصص لهذه القصـة فقـرات طويلـة حتـى وصل إلى وفاة آخر أبناء ميجـابيزوس Megabyzus وهـو «زوبـيروس Zopyrus الثـاني» خـلال عهـد الإمبراطـور أرتاكسركسـيس Artaxerxes الأول فقـرة 43 ، ولم يقـم أي

كاتب آخر من المؤلفين القدماء بسد هذه الفجوات، حيث إننا نجد عدم التوازن هذا نفسه عند جوستين Justin الفصل 3 1-1 ، وعند إيليان VHX Aelian، III، 3 : حيث يقول جوستين Justin : «إن كسركسيس Xerxes ملك فارس والذي كان فيما سبق مصدر رعب للعالم كله، أصبح محتقراً حتى من قبل مواطنيه»، ويقول إيليان Aelian : «لقد قدم ليحارب اليونانيين ولكنهم هزموه هزيمة نكراء، وفي طريق عودته تعرض لميتة من أشنع الميتات، حيث قتلة ابنه وهو نائم في سريره في إحدى الليالي».

فكرة الانحطاط:

يتم تقديم عام 479 في كل المصادر بصورة ضمنية أو صريحة على أنه كان تاريخاً مصيريًّا وحاسماً، والذي بدأت بعده آلام الاحتضار الطويلة للإمبراطورية التي أسسها كل من قورش Cyrus وقمبيز Cambyses ودارا Darius ، ولقد كان أفلاطون Plato الذي قام بتوسيع تفسير التاريخ الأخميني في مجمله يعتقد هو الآخر ذلك، حيث قام في فقرته التي يتكلم فيها عن الطريقة التي تم بها تعليم وتربية أطفال الأسرة المالكة بإبراز حالة كسركسيس Xerxes ، وتوصل منها إلى استنتاج مفاده «أنه منذ ذلك الوقت أي عهد كسركسيس Xerxes لم يكن أي من ملوك الفرس عظيماً فعلاً، وأن عظمتهم كانت مجرد ألقاب وأسلوب حياة فقط» القوانين 695 هـ ، ولقد قام أفلاطون Plato أيضاً بالمقارنة بين كسركسيس Xerxes وقمبيز Cambyses ، وتوجد مقارنة مناظرة لتلك المقارنة في كتاب آريان Arian أيضاً، الفصل الرابع، 11-6 ، حيث إنه من وجهة نظر اليونانيين كان كلا الملكين نموذجاً مثاليًّا على الطاغية المجنون، ويقوم أفلاطون Plato أيضاً بالمقارنة بين كسركسيس Xerxes ودارا Darius والذي نتيجة لعدم كونه ابن ملك لم يتعرض لتأثيرات نساء البلاط الباعثة على الأسى، وتمكن بسبب ذلك من المحافظة على سياسة قوية، وأضاف إلى أراضي الإمبراطورية التي

أورثها قورش Cyrus لأبنائه -على الأقل بالقدر نفسه مرة أخرى. القوانين 695 د .

ويمكن أن نجد هـذه المقارنـة نفسـها أيضـاً في كتـاب إسشـيلوس Aeschylus ، والذي يعد مسؤولاً عن الإسهام وبالقوة نفسها في نشر هذه السمعة الكئيبـة والموحشـة لكسركسيس Xerxes ، حيث يقول إن دارا Darius كـان «ملكـاً لا نظـير لـه» فقـرة 560 ، وأنه كـان «أب خـير» فقـرات 665-670 ، وأنـه كـان «القائـد والـزعيم المحبـوب لسوسيانا» فقرات 555-556 ، وأنـه كـان «الملـك الجبـار، الخَـيِّر الـذي لا يقهـر، والـذي يعادل الآلهة في المكانة» فقرة 853-855 ، أما كسركسيس Xerxes فكان بالمقارنة مـع أبيه «ضعيف وطفولي في اختياراته التكتيكية» 353-364 ، وأنه كـان جبانـاً، حيـث أنـه بمجرد أن لاحت الهزيمة أمامـه في سـلاميس «انـدفع هاربـاً بشـكل متهـور» فقـرات 469-470 ، ولكي ينظم المقارنة بشكل أكثر وضـوحاً، يقـوم الشـاعر باستحضـار شـبح دارا Darius ، والذي شجب ما فعله ابنه الذي فقـد رشـده وإتزانـه فقـرات 829-831 ، ويقوم بتكرار الاتهام الـذي يـتهم اليونـانيون كسركسـيس Xerxes بـه دائمـاً، وهو عدم الاعتدال والتطرف هيبريس ، والـذي كـان عنـده مـا يكفـي مـن الوقاحـة للتفكير في هدم وإلقاء الجسر الـذي عـبر مـن عليـه في البحـر قبـل المعركـة فقـرات 715-725، 740 ، ولقد أصـيب كسركسـيس Xerxes نفسـه باليـأس نتيجـة هزائمـه وإخفاقاته فقرات 908-915، 934 ، فلقد كان مسـؤولاً عـن الكارثـة الشـنيعة التـي تمثلت في فقدان عدد كبير جدًّا من الرجـال والـذين كـان العديـد مـنهم مـن النـبلاء والأمراء فقرات 441-444، 765 ، ولقد تم تجريد آسيا كلها من ثرواتهـا وممتلكاتهـا للإعداد لهذه الغزوة الفاشلة فقرة 550 ، «ولقد أبيدت شـعوب بأكملهـا في المعـارك التي دارت» فقرة 827-731 ، ويمكننا عد حِفنة من الناجين فقط مـن هـذه الغـزوة

فقـرة 510 ، وفي النسـخة التـي كتبهـا إسشـيلوس Aeschylus ، كانـت عواقـب تلـك الهزائم كارثية بالنسبة لإمبراطورية الملك الأكبر، حيـث إن سـلاميس هـي «مقـبرة القـوة الفارسية» فقرة 596 ، وفي النهاية تأتي المناجاة الشائعة التي يؤديها الكورس: «لن يطـاع قانون الفرس بعد الآن على آراضي آسيا ولوقت طويل، ولن يـتم دفـع الجزيـة بعـد الآن تحت الإكراه والتهديد من الإمبراطور، ولن نحتاج إلى أن نجثو على ركبتينا لتلقي الأوامر منه، فلقد تم القضاء على قوة الملك الأكبر، لن يتم إسكات الألسنة بعد الآن، فلقد تحرر الإنسان، وأصبح يستطيع التكلم بحرية بمجرد أن تم التخلص من نـير القـوة الفارسـية.» فقرات 585-595 .

وإنه لمن الغريب أنه حتى في الكتابـات المعـاصرة، يـتم الاستشـهاد بهـذه الفقـرة لإسشـيلوس Aeschylus لتبريـر اسـتنتاج مفـاده أن الإمبراطوريـة الأخمينيـة كانـت في انحطاط مستمر، وأن كسركسيس Xerxes كان ضعيفاً للغاية، وأنـه اكتفـى بعـد ذلـك بأن يشغل نفسه بمشاريعه الإنشائية في برسيبولس، والانغماس الفاجر في مفاتن النساء .

بالإضافة إلى ذلك، فإن هذه النظرة التي تعتمد على آراء الإغريق قد تسللت ونفذت إلى الدراسات الإيرانية، ويمكننا ملاحظة ذلك في التفسير التقليديالـذي يـتم تقديمـه لنقـوش «دايفا» الخاصة بكسركسـيس Xerxes . انظـر بالأسـفل 519 ، وبالإضـافة إلى ذلـك فلقـد أصبح كسركسيس Xerxes الضـعيف القـاسي الفاسـق رمـزاً حيًّـا لعـدم التسـامح الـديني: «حيث ذاعت وترددت إحـدى الملاحظـات الجديـدة التـي تشـير إلى كسركسـيس Xerxes بشكل خاص، وهي التدين العميق الذي لا يتسامح مع الأديان الأخـرى». ويـؤدي الاعـتماد على المصادر التي تعود لعهـد الإغريـق إلى الإصرار عـلى أن كسركسـيس Xerxes قـد قـام بتعديل سياسة مـن سـلفوه بشـكل خطـير، سـواء في بابـل أو في مصر، «حيـث إنـه بمجـرد

تمكنه من القضاء على التمرد المصري، قام بتجريد نفسه من لقبه الملكي المصري وقام بمعاملة هذا البلد ذو الثقافة المبجلة والجديرة بالاحترام كما لو كان أية مرزبانية أخرى، ولقد أحزن كسركسيس Xerxes الكهنة البابليين كثيراً عندما أمر بتدمير معبد ماردوك Marduk ، حيث أنهم كانوا قد فتحوا أبواب معبدهم لاستقبال قورش Cyrus »، ومن الأكيد أن الإمبراطورية ظلت موجودة وواقفة على قدميها، ولكن «التآكل الداخلي الذي أصابها هو الطريقة الوحيدة من وجهة نظر عَالِم مضطرب لاستيعاب كيف تحولت كل هذه العظمة والسمو إلى أنقاض عند مواجهة القبضة الفولاذية للإسكندر الأكبر» م. مايرهوفر ، وهكذا عدنا إلى أفلاطون Plato بعد القيام بجولة في المصادر الموجودة في المركز والتي رجع إليها النص الذي يتناول الإسكندر بالشرح.

التاريخ والتوثيق:

لقد كان من الممكن اقتراح القيام بمثل هذه العمليات لإعادة بناء وجمع التاريخ فقط؛ لأن فكرة الانحطاط هذه منتشرة في جميع الكتابات الموجودة في الأدب الغربي الذي تم إنتاجه حول «الطغيان الآسيوي»، وعلى الرغم من ذلك فإن عمليات إعادة التجميع هذه لا تقوم فقط على ثقة عمياء في المصادر اليونانية بل إنها تعتمد أيضاً - من حيث الطرق التي تستخدمها- على القيام بتجميع الأدلة الموزعة بشكل متفاوت بطريقة تلقائية، وصياغتها مباشرة في صورة عرض روائي؛ وذاك لأنه بداية من عهد كسركسيس Xerxes فإن المصادر الموجودة في المركز قد أصبحت أقل بدرجة كبيرة من حيث الغزارة والتنوع عما كان عليه الحال في عهد دارا Darius الأول، حيث انخفض عدد الوثائق المصرية والبابلية انخفاضاً كبيراً، أما بالنسبة للأدلة الأثرية ومعظم ألواح الخزانة وعدد من النقوش الملكية فإنها كانت تشير بشكل أساسي إلى الأنشطة الإنشائية التي قام بها الملك الأكبر .

ولم تكن كل النقوش الملكية تتركز في صوصا وبرسيبولس فقط، حيث يشير أحد النصوص إلى وجود ورشة ملكية في إكباتانا XH ، ويوجد نقش آخر يقع بالقرب من نقوش دارا Darius DE وهو منحوت على Mt Elvend بالقرب من إكباتانا XE ، ولقد تم مؤخراً اكتشاف نقش ثالث بالقرب من بحيرة فان في أرمينيا، ولكنها مهمة صعبة أن تقوم باستنتاج بعض الدلالات التاريخية من مثل هذه النقوش، ولكن تظل الحقيقة هي أن المصادر حول عهد كسركسيس Xerxes هي مصادر غير ملائمة ومؤلفة من قطع وشظايا غير مجتمعة، وكنتيجة لذلك فإنه من المستحيل أن نقوم بإعادة تكوين تاريخ روائي متصل عن هذه الفترة، ولكن يمكن أن نستنتج منها أنه بداية من عام 479 فقد كسركسيس Xerxes اهتمامه بالمشكلات السياسية، وكرس كل وقته فقط لتزيين برسيبولس، وهذا الاستنتاج هو نتيجة نوع معين من الطرق التاريخية التي تقوم على ما يمكن أن نسميه بـ «حقيقة أن الأدلة الروائية لم تعد تذكر شيئاً عنه»، وبمعنى آخر، فإن التشويهات الواضحة التي تسببت فيها الكتابات الإغريقية الجدلية لذكرى وسمعة كسركسيس Xerxes تدفع المؤرخ إلى التساؤل حول هذا الموضوع الذي ما زال حيًّا، وأن يقوم بإلقاء نظرة ثانية على الأهمية التاريخية لفترة حكم كسركسيس Xerxes .

2- من عهد دارا Darius إلى عهد كسركسيس Xerxes :

طريقة عرض هيرودوت Herodotus للفترة والتصريحات التي قدمها كسركسيس Xerxes :

«عقب عودته إلى فارس، قام دارا Darius بتقديم القرابين ثم مات، وانتقل العرش من بعده إلى ابنه كسركسيس Xerxes »، قام ستيسياس Ctesias أو على الأقل فوتيوس Photius بهذه الكلمات البسيطة بوصف مسألة خلافة دارا Darius الفقرتان 19-20 مقدماً بذلك

تلميحاً أو إشارة ضئيلة عما حدث، وعلى الرغم من أن الملك كان رجلاً فوق كل الرجال إلا أنه نفسه كان معرضاً للضغوط السياسية، والصراع الذي دار بين قمبيز Cambyses وبارديا Bardiya وتولي دارا Darius السلطة بعد ذلك قد أوضح وبأسلوب بليغ صعوبة نقل السلطة الملكية حتى عندما كان خليفة قورش Cyrus قد تم اختياره أثناء حياته، والسؤال الأساسي هنا هو: هل كان لدى البلاط الأخميني قواعد متبعة لنقل السلطة؟ وفي بيهيستون، وكما رأينا فإن دارا Darius يصر وبالتأكيد أن ذلك كان مزيفاً على الأهمية التي يمنحها لمسألة خلافته، ولا بد أنه كان يرى ضرورة نقل السلطة إلى أحد أبنائه؛ وذلك لضمان استمرار الحكم والسلطة في أسرته .

ويقوم هيرودوت Herodotus في بداية الكتاب السابع الفقرات 2-4 بإفراد فقرة طويلة إلى قيام دارا Darius بالإعداد لمسألة الخلافة وتحديد من سيخلفه، ولقد قام هيرودوت Herodotus بتحديد تاريخ وقوع الأحداث التي تتحدث عنها هذه الفقرة بأنه كان متزامناً مع اندلاع التمرد المصري نفسه، أي بعد موقعة ماراثون بأربع سنوات عام 486 الكتاب السابع، فقرة 1 : «لقد اندلع صراع عنيف ستاسيس بين أبناء دارا Darius حول أحقية كل منهم بخلافة أبيهم بيري تيس هيجيمونيس ، ولقد كان لدى دارا Darius قبل توليه السلطة ثلاثة أبناء من زوجته السابقة والتي كانت ابنة جوبرياس Gobryas ، ورزق بأربعة آخرين بعد توليه الحكم من أتوسا Atossa ابنة قورش Cyrus ، وكان أكبر الثلاثة الأوائل هو أرتوبارزانيس Artobarzanes ، وأكبر الأربعة الأواخر كان كسركسيس Xerxes ، ولقد نشأ الصراع بين هذين الاثنين، حيث إنهما كانا من أمين مختلفتين. الكتاب السابع، فقرة «2» ».

أيهما تختار؟ فلقد قال أرتوبارزانيس Artobarzanes «أنه كان الأكبر من بين جميع أبناء دارا Darius برسبوتاتوس بانتوس تو جينو » الكتاب

السابع، فقرة 2 ، بينما أكد كسركسـيس Xerxes عـلى مكانـة وعظمـة أجـداده والتـي كانـت تعـود مـن ناحيـة أمـه إلى مؤسـس الإمبراطوريـة قـورش Cyrus ، ومـن خـلال استمرارنا في تتبع ما يرويه هيرودوت Herodotus نعـرف أن دارا Darius كانـت في حيرة حول أيهما يختار، ولقد زاد من حيرتـه هـذه بعـض الجـدل الـذي قـام ديماراتوس Demaratus الإسبرطي بالهمس به في أذن كسركسيس Xerxes ، والذي كان قـد تـم طرده للتو من بلده وجاء للمثول أمام الملك ، وبالإشـارة إلى النمـوذج الإسـبرطي، اقـترح ديمـاراتوس Demaratus أن أحقيـة كسركسـيس Xerxes في العـرش لم يكـن يمكـن تخطيها؛ وذلك لأنه ولد عندما كان أبيه دارا Darius ملكاً، وهو الوضـع الـذي لم يكـن يتمتع به أرتوبارزانيس Artobarzanes والذي تمت ولادتـه عنـدما كـان أبيـه لا يـزال مجرد شخص عادي إيديوتِس: الكتاب السـابع، فقـرة «3» ، ونهايـة القصـة هـي: «قـام كسركسـيس Xerxes بتبنـي هـذا الاقـتراح، وعنـدما رأى دارا Darius عدالـة وصـحة وجهة نظره قام بإعلانه وريثـاً للعـرش، وشخصـيًّا أعتقـد أن كسركسـيس Xerxes كـان سيصبح ملكاً حتى بدون نصيحة ديماراتوس Demaratus ؛ وذلك بسبب التأثير الهائـل الذي كان لأتوسا Atossa أيخي تو بان كراتـوس ، وبعـد ذلـك تـم الإعـلان للنـاس أن كسركسيس Xerxes هو من سيجلس على العرش بعد أبيه، وصار دارا Darius قـادراً مرة أخرى على تحويل انتباهه إلى شن الحروب» الكتاب السابع، فقرة «5» .

وبدروه قام كسركسيس Xerxes بالإشارة إلى اختيـار والـده هـذا في أحـد النقـوش الشهيرة XPF ، فبعد تذكر ما حدث أثناء اعتلاء والده للعرش، وبيـنما كـان هيستاسـبيس Hystaspes وأرساميس Arsames لا يزالان على قيد الحيـاة، كتـب: «الملـك كسركسـيس Xerxes : لقد كان هناك أبناء آخرين لدارا Darius ، ولكن كانت الرغبـة لأهـورا-مـازدا،

ولقد جعلني والدي دارا Darius الأعظم من بعده هو، وبعد رحيل أبي دارا Darius عن العرش، وبإرادة أهورا-مازدا، أصبحت ملكاً على عرش والدي».

هناك نقطة واحدة على الأقل يتفق حولها كل من هيرودوت Herodotus وكسركسيس Xpf 4 Xerxes ، وهي أن دارا Darius قام باختيار وريثه من بين مجموعة متعددة من أبنائه، وعلى العكس من هيرودوت Herodotus الذي يعرض مسألة الأخلاق على أنها كانت مبارزة بين كسركسيس Xerxes وأرتوبارزانيس Artobarzanes ، فإن كسركسيس Xerxes يشير إلى إخوته بطريقة ينكر فيها ضمنيًّا أن يكون لأي منهم حق خاص في أن يناقش حقه في خلافة أبيه، وبالتأكيد فإن كسركسيس Xerxes يفكر هنا في أشقائه الثلاثة ولكن دون أن يسميهم ، والذين كانوا الوحيدين أيضاً بالإضافة إليه الذين لهم الأصل الكريم والعظيم نفسه، والذين -طبقاً لهيرودوت Herodotus - كانوا أخمينيين أيضاً مثله الكتاب السابع، 7، 97 ، وطبقاً لماسيستيس Masistes الكتاب السابع، فقرة «28»، الكتاب التاسع، فقرة «107» ، وطبقاً لماسيستيس Masistes أيضاً الكتاب السابع، فقرة «64» ، ولكن كانت توجد هناك تقاليد متشعبة حتى حول هذه المسألة؛ لأنه، وكما سنرى قام بعض المؤلفين بتقديم شخصية أريارامنيس Ariaramnes . وفي الوقت نفسه، فإن حقيقة قيام كسركسيس Xerxes بكتابه مثل هذه العبارة والتي لا يوجد لها نظير ، وحقيقة تأكيده على تحقيقه «انتصاراً» على إخوته تؤكد أيضاً أنه تغلب على بعض المعارضين .

التأريخ ونوموس nomos :

لا يجب أن يتم التقليل من أهمية نص هيرودوت Herodotus ، ولكن طريقة عرضه تؤدي إلى خلق الكثير من المشكلات فيما يتعلق

بتفسير أسباب وكيفية اختيار الوريث للعرش، حيث يضع هيرودوت Herodotus قرار الخلافة في اللحظة التي «عـزم فيها دارا Darius عـلى شـن الحـرب لـيس فقـط ضـد اليونان ولكن أيضاً ضد مصر»، ولقـد قـام دارا Darius بتسـوية مسـألة الخلافـة هـذه تحت ضغط من أبنائه «لأنهم قالوا إنه تبعاً للقانون الفـارسي كاتـاتون بِرسـيون نومـون لا يجب أن يخرج الملك على رأس جيشه إلا بعد أن يسمي خليفة له» الكتـاب السـابع، فقرة «2» ، ولا يوجد مثال آخر يؤكد وجود مثل هذه العادة، ومن الأشياء الأكيـدة هـي أنه قبل قيام قورش Cyrus بعبور نهـر أراكسـيس الفولجـا قـام بإرسـال ابنـه قمبيـز Cambyses إلى فارس تحت حراسة كروسوس Croesus : «فلقد كان يقصد بـذلك أن يمنحه صفة الملك»، وكما يشير هيرودوت Herodotus فإنه يفهم من ذلك أنه في حالة حدوث كارثة، سيخلف قمبيز Cambyses أباه قـورش Cyrus الكتـاب الأول، فقـرة «208» ، ولكن قورش Cyrus قام بهذا الاختيار قبل ذلك بسنوات عديدة، كـما يتضـح ذلك من إعطائه لقمبيز Cambyses لقب «ملك بابل» لفترة قصيرة ما بـين 538-537 ، وعلاوة على ذلك، فإن هذه لم تكن حملة قـورش Cyrus الأولى، وينطبـق هـذا أيضـاً على دارا Darius ، فإذا كان التاريخ الذي ذكـره هيـرودوت Herodotus صحيحـاً، فإننـا يجـب أن نسـتنتج أن دارا Darius قـد انتظـر وقتـاً طـويلاً -إلى حـد مـا: ففـي عام 486 كان يبلغ من العمـر 65 عامـاً هـيرودوت Herodotus الكتـاب الأول، فقـرة «209» ، ولا بد أن عمر كسركسيس Xerxes في ذلـك الوقـت كـان مـا بـين 30-35 عامـاً فلقد تزوج أبواه عام 522 ، ومـن الصـعب تصـديق أنـه إذا كـان دارا Darius فعـلاً قـد وجد في أولاده من يصلح ليكون ملكاً ومن لديه الشرعية الكافيـة ليكـون ملكـاً مـن بعـده فلماذا انتظر كل هذا الوقت؟ ولماذا لم يتخـذ الإجـراءات التـي تكفـل اسـتمرارية السـلطة في أسرتـه مـن خـلال الابـن الـذي اختـاره؟ وهكـذا فإننـا يمكننـا أن نفـترض أن الاعـتراف

الرسمي كان سابقاً للفترة 490-486 ، ولكن دون أن نكون قادرين على إثبات هذا، أو اقتراح تاريخ أكثر تحديداً، وبمعنى آخر، فإن ما يسميه هيرودوت Herodotus «نوموس» لم يكن إلزامياً بأي شكل من الأشكال، بالإضافة إلى ذلك، فإننا يمكن أن نلاحظ ذلك على أساس تحليل معنى كلمة «نوموس» في إطار كل عملية من عمليات الخلافة التي تمت. انظر فصل 17-1 .

دارا Darius ، كسركسيس Xerxes وأتوسا Atossa :

بالإضافة إلى ما سبق، فإنه من الخطأ وبشكل واضح أن نذكر أن أم الأمير والتي هي أتوسا Atossa في هذه الحالة كان لها الحق في التدخل، وعلى الرغم من أنه في الواقع الفعلي كان لأم ولي العهد -والتي ستصبح لاحقاً أماً للملك الذي يحكم- مكانة مميزة في البلاط إيليان Aelian ، Anim ، الكتاب الرابع، فقرة «46» ، إلا أنه لم يكن هناك ملكة أخمينية بالمفهوم الدقيق للكلمة على الرغم من، أثينيوس Athenaeus XIII ، فقرة 556 ب ، ولم تكن لأم ولي العهد أية حقوق خاصة، وربما أنها كان بإمكانها أن تستخدم نفوذها الشخصي لا أكثر، بالإضافة إلى أن كسركسيس Xerxes في إعلانه عن شرعيته وأحقيته في تولي السلطة لم ينطق كلمة واحدة عن أتوسا Atossa وأنه ما كان ليفعل ذلك لو أنها مارست ذلك النوع من السلطة التي ينسبها إليها هيرودوت Herodotus أحياناً، وعلى العكس من ذلك فلقد أصر على انتقال السلطة من الآباء إلى الأبناء Xpf 3 ، حيث أن الشرعية والأحقية في تولي السلطة لم تكن قائمة على أساس الأم، ولقد كانت المكانة المميزة التي تتمتع بها أتوسا Atossa في البلاط تعود إلى أن أحد أبنائها قد تم اختياره ليكون وريثاً للعرش، ولقد قام دارا Darius باختيار كسركسيس Xerxes لأسباب مختلفة تماماً عن تلك الأسباب التي تمت مناقشتها فصل 3-4 ، حيث إنه باختياره لأرتوبارزانيس Artobarzanes كان

سيضفى على عائلة جوبرياس Gobryas امتيازاً يتعارض بالتأكيد مع أهداف دارا Darius كما تكشفها سياسة الزواج الداخلي التي اتبعها؛ وذلك للمحافظة على السلطة فقط لأبنائه الذين ينحدرون من نسله بشكل مباشر .

ولي العهد:

لم يتم إعطاء الابن الذي يتم اختياره لقب ولي العهد رسميًّا إلا بعد القيام بطقس خاص، والذي قام بلوتارك Plutarch بالإشارة إليه: «لقد كان من قواعد وأساليب بلاد فارس أن الشخص الذي يتم اختياره ليكون وريثاً للعرش عليه أن يسأل الملك الحصول على عطية أو هبة ما، وأنه على الملك الذي أعلنه وريثاً له أن يعطيه ما يطلب طالما أن في سلطته أن يعطيها له». أرت. 26-5 ، وإذا تذكرنا القواعد التي تنظم إقامة مأدبة عيد ميلاد الملك هيرودوت Herodotus الكتاب التاسع، فقرة «110» فإننا يمكننا أن نرى أن الملك قد قام بهذا الإعلان خلال هذه المأدبة، أو خلال الوليمة التي أقيمت بمناسبة ذكرى ميلاد ولي العهد، ويضيف بلوتارك Plutarch أنه من ذلك الحين فصاعداً كان للأمير الحق مثل والده في «أن يرتدي القبعة المنتصبة أو كيداريس كما كانوا يسمونها» وتتجلى مكانته المميزة هذه من خلال وقوفه خلف أبيه في المنحوتات البارزة الموجودة في قاعة المقابلات في خزانة برسيبولس، ومن المحتمل أيضاً أنه منذ ذلك الوقت صار يحمل لقباً خاصاً فيزا بوثرا والذي ميزه عن بقية الأمراء في القصر الملكي بربيت ، ولكن هذا اللقب الفارسي القديم هو تصور للشكل الذي كان عليه، ولا يوجد أي مثال يشهد على صحته في أي من النصوص الفارسية القديمة، ويذكر كسركسيس Xerxes ببساطة أن دارا Darius منحه لقب «ماثيستا» والذي يعني «الأعظم من بعده طبعاً » وهي الكلمة التي كانت تتم ترجمتها في المصادر القديمة إلى «الثاني في المكانة بعد الملك».

مبدأ حق البكورة:

ولكن من هو الابن الذي اختاره الملك أثناء حياته ليكون خليفة له؟ وبمفهوم آخر، هل وضع كسركسيس Xerxes قاعدة عامة في اختيار ولي العهد؟ وتبعاً لبلوتارك Plutarch -والذي يرمي إلى شيء من وراء ذكره سابقة ديماراتوس Demaratus عند هذه النقطة- فلقد جرت مناقشات مماثلة لهذه المناقشات في بلاط دارا Darius الثاني للاختيار ما بين قورش Cyrus الأصغر وأرتاكسركسيس Artaxerxes والذي سيكون هو أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني أرت 2-4 ، ويصبح هذا التشابه بين خلافة كل من دارا Darius الأول ودارا Darius الثاني أكثر وضوحاً إذا ما ذكرنا أنه مثلما فعلت أتوسا Atossa في الحالة الأولى، قامت باريساتيس Parysatis وهي أم الأمراء بالتدخل بقوة في المناقشة في الحالة الثانية، ولكن النتائج كانت مختلفة إلى حد ما، ويقول بلوتارك Plutarch أنه لتقرير وحسم مسألة خلافة أرتاكسركسيس Xerxes الثاني، تم اللجوء إلى حق البكورية «وذلك كما حدث مع أرتاكسركسيس Artaxerxes نفسه» 26-1 ، والاختلاف بين أتوسا Atossa وباريساتيس Parysatis هو أن المناقشات والحجج التي قدمتها باريساتيس Parysatis لمساندة أحقية الابن الذي ولد ليكون ملكاً لم يكن لها أي تأثير على الإطلاق، وتشير العديد من النصوص الأخرى إلى أن الابن الأكبر كانت له مكانة ذات وضع خاص، وتقدم أحد النصوص التي كتبها أجاثوكليس Agathoclese من سكان سيزيكوس والذي قام أثينيوس Athenaeus بالاستشهاد بها الكتاب العاشر فقرة P 515 ، تقدم المعلومة التالية: « في بلاد فارس يوجد ماء أيضاً يسمى بالماء الذهبي، ويتكون هذا الماء من سبعين نبعاً متدفقاً بالمياة الفوارة، وغير مسموح لأي شخص بأن يشرب منها سوى الملك وابنه البكر بريسيبياتوس ، وإذا قام أي شخص آخر بالشرب منها فإن العقوبة هي

الموت»، ومن الصعب فهم هذه العادة بشكل محدد، ولكن هذا التعليق واضح وصريح فيما يتعلق بالمكانة المميزة التي كان يتمتع بها الابن البكر، ودعونا نستشهد بما قاله أفلاطون Plato : «عندما يولد الابن البكر للملك هو بريسبياتوس بيس والذي يكون أيضاً الوريث للعرش، فإنه تتم إقامة وليمة لجميع أفراد الشعب بهذه المناسبة» Alc c 121 ، وبالنسبة لأفلاطون Plato ، فإن مأدبة ذكرى ميلاد الملك هيرودوت Herodotus الكتاب التاسع فقرة 110 لم تكن سوى تكراراً للوليمة الأصلية، وهكذا فإنه في السنوات التالية كنت آسيا كلها تحتفل بذكرى ميلاد الملك بتقديم المزيد من القرابين وإقامة الولائم».

ويذكر أفلاطون Plato أيضاً أنه منذ مولده، كان يعهد بالابن البكر إلى بعض الخصيين المختارين بعناية، «حيث يقومون بتلبية جميع حاجات ذلك الطفل ويهتمون بشكل خاص بجعله جميلاً بقدر الإمكان، ويهتمون بتشكيل أطرافه وجعلها مستقيمة 121 د ، وتوجد فكرة سياسية خلف هذا الوصف الحي وهي أن الابن الأول الذي سيتم اختياره ليخلف أباه يجب أن يتم جعله يبدو كالملك، والذي هو بالتعريف وسيم وطويل فصل 6-4 ، ويمضي أفلاطون Plato قائلاً إنه يُعهد بالطفل بعد ذلك إلى المتخصصين التربويين، وكمثل بقية الشباب فإنه كان يتلقى تعليماً عسكريًّا، حيث يتم تدريبه وتعليمه الفروسية والصيد والشجاعة الصدق» Alc 121P-122 P ، بالإضافة إلى ذلك فإن سترابو Strabo يقول إن قادة الجماعات كان يتم اختيارهم «من بين أبناء الملك أو المرزبانات» الكتاب الخامس عشر 3-18 ، ويذكر أفلاطون Plato أنه كان يوجد في الوقت نفسه معلمون ملكيون، والذين كان يُعهد إليهم بولي العهد عند سن الرابعة عشرة، وعلى الرغم من أن أفلاطون Plato لم يستخدم الكلمة إلا أنه من الواضح أن بعض هؤلاء المعلمين أو المربين كانوا من المجوس، حيث إن أحدهم الأحكم «سوفوتاتوس» يقوم بتعليمه المعارف والتقاليد

المجوسـية» P 122 ، بلوتـارك Plutarch Artl 3-3 ، «ويقـوم أيضـاً معلـم مجـوسي بتعليمه الأشياء التي يتعين على الملك معرفتها ديداسكاي دي كاي تـا باسـيليكا » Alc 122P ، وتبعاً لما يقوله سيسيرو Cicero Div 1-41-91 «فإنه لا يمكن لأي شخص أن يكون ملكاً على بلاد فارس إلا إذا تلقى تعليماً حـول حكمـة المجـوس»، وباختصـار فإنـه بدءاً بالمراحل الأولي للطفولة وصاعداً فإنه يتم إعداد الابن البكر لتولي واجباتـه الملكيـة، وليشغل المكان الخاص به في التسلسـل الهرمـي الـديني والعسـكري والسـياسي، ويمكـن أيضاً التأكد بطريقة إحصائية من هذا التفضيل والامتياز الذي يعطي للابن البكر، حيـث يسهل فهم هذه العادة، فأولاً وقبل كـل شيء إن مسـألة خلافـة العـرش هـي مسـألة لا تختلف عن الخلافة الأسرية، حيث إن خلافة الأب على العرش تعني أيضاً تسـلم مـيراث الأسرة المالكة، والعمل على تنميته، والذي كان يعهد به بشكل طبيعـي إلى الابـن البكـر، وبشكل ما فإن اختيار دارا Darius لخليفته لا يتعارض رسميًّا مع هذه النقطة، حيـث إنه بمجرد خروج أرتوبارزانيس Artobarzanes من الصورة للأسباب السياسية التي تم ذكرها، وقع اختيار الملك على أكبر أبنائه من أتوسا Atossa .

وفي الوقت نفسه فإن تحليل الحقائق الملموسة يؤدي بنا إلى تقديم تصحيحات عديدة، وبالتأكيد فإن تعبير أفلاطون Plato «وريث العرش» هـو تعبـير مبـالغ فيـه والابن البكر هو الوحيد الذي يعهد به إلى «المعلمـين الملكيـين» ويسـتخدم أفلاطـون Plato نفسه صيغة الجمع، ويقوم بلوتارك Plutarch بتقديم المجوسي الذي تلقـي قـورش Cyrus الأصـغر دروسـاً عـلى يديـه Art 3-3 ، ولقـد تلقـى قـورش Cyrus تعليمه مع أخيـه وبـاقي الأولاد الآخـرين» زينوفـون Xenophon، Anab ، الكتـاب الأول 9-2 ، ونظراً لاحتمال وفـاة الوريـث وهـو طفـل ستيسـياس 49 Ctesias فـإن أي ابـن مـن الأبنـاء سـواء أكـان البكـر أم لا كـان يتلقـى تعلـيماً ملكيًّـا، بالإضـافة إلى

ذلـك فإنـه الملـك ظـل لـه مطلـق الحريـة في اختيـار مـن يشـاء مـن أولاده، وباسـتثناء أرتوبارزانيس Artobarzanes وتبادل الحجج والنقاشات وتدخل الجماعات السريـة في البلاط -وهو التدخل الذي توجد عليه شواهد متكررة لصالح هذا المتنافس أو ذاك- كـل هذه الأشياء تؤكـد أنـه لا توجـد قاعـدة ثابتـة، وأن تفضـيل الابـن الأكـبر كـما في حالـة أرتاكسركسيس Artaxerxes الأول والثاني يرجـع إلى الصـدفة أكـثر مـن كونـه خاضـعاً لقواعد إلزامية .

وأخيراً وليس آخراً فإنه من المؤكد أن الاعتراف الرسمي بـولي العهـد لا يعنـي بـأي حال من الأحوال مشاركته في السلطة، حيث إن الملك كان واحداً، وبالرغم مـن أنـه مـن المؤكد أن ولي العهد كان يحظى بمكانه مميزة، إلا أنه هو نفسه كـان عُرضـة لأن يواجـه سخط الإمبراطور، ويظهر هذا بوضوح في قصة العلاقة بين أرتاكسركسـيس Artaxerxes الثاني وابنه دارا Darius والذي تمت إدانته بتهمة الخيانة وأُعِدم. بلوتارك Plutarch ، Art 26-29 .

المراسم الجنائزية:

كان يتم إطفاء النار المقدسة عند وفاة الملك، كما هو موضـح في الخطـوات التـي اتخذها الإسكندر بعد وفاة صديقه المفضل هيفيستيون Haephestion : فلقـد أعلـن إلى جميع الناس في آسيا أنه يجب علـيهم أن يقومـوا بجـد ومثـابرة بإطفـاء مـا يسـميه الفرس بالنار المقدسة، وذلك حتى ينتهي وقت الجنازة، وقد كانت هذه هي عـادة أهـل فارس عندما يموت ملوكهم، ولقد اعتقد الناس أن هذا الأمر هو فـألاً سـيئاً، وأن السـماء تتنبأ بموت مليكهم. ديودورس Diodorus، XVII، 114، 4-5 .

ولقد كـان هـذا المرسـوم هـو وسـيلة ترمـز إلى أن الحيـاة تـم تعليقهـا وإيقافها بشكل مؤقت حتى يتم تنصيب ملك آخر، ولقد كانـت بدايـة فـترة الحداد مثل الفترة التي أمـر بهـا الإسـكندر في الظـروف نفسـها: «فلقـد أمـر

بإعلان الحداد في جميع أجزاء البلاد البربرية». «أريان، VII، 9-14»، أو مدة الحداد التي تم الإعلان عنها حزناً على وفاة الإسكندر كوينتوس كورتيوس Quintus Curtius ، X، 18-5 ، أو ذلك الأمر الذي أصدره أرتاكسركسيس Artaxerxes عندما مات الخصي تِريداتيس Tiridates إليان VH XII ،Aelian 1 ، ولقد كان من المعتاد أن يقوم الفرس بحلق رؤوسهم كعلامة على الحزن والأسى هيرودوت Herodotus IX 24 ، أريان VII 14-4 ، بلوتارك Plutarch ، ألكس، 72-1 .

ويقوم هيرودوت Herodotus بإجراء مقارنة بين العادات الإسبرطية والبربرية قائلاً: «ولقد تمت ملاحظة إحدى العادات عندما يموت الملك، والتي هي متماثلة في كل من آسيا وإسبرطة»، ففي إسبرطة يجتمع جميع السكان «وينتحبون كما لو كانوا لا يستطيعون التوقف أبداً». VI 58، III-65، IX-24 ، وبالنسبة للفرس فيبدو أن المساهمات التي تسهم بها الشعوب الخاضعة بما فيها المساهمات المالية محددة بشكل جيد ديودورس Diodorus XVII، 114-4 ، ويمضي هيرودوت Herodotus قائلاً إنه «إذا قتل الملك في الحرب، فإنهم يصنعون تمثالاً له أيدولون ، ويقومون بحمل هذا التمثال إلى الدفن على نعش مكسو وملفوف بشكل كثيف»، ومن المحتمل أن إليان Aelian أيضاً قد قام بالإشارة إلى صنع تمثال للملك الفارسي المتوفي H XII 64 ، ولقد كان يتم تجهيز رفاة الملك المتوفي من قبل متخصصين، وقد كان هذا هو الحال مع رفاه الإسكندر الأكبر والذي تم تحنيطه من قبل بعض المصريين والخالديين «بالأسلوب نفسه الذي يستخدمونه لتحنيط ملوكهم» كوينتوس كورتيوس Quintus Curtius، X ، 13 - 10 ، وحيث إن المقابر الملكية لم تكن تحتوي على أية جثث عندما تم اكتشافها، فإننا لا نستطيع أن نجزم بأن أباطرة الفرس قد تمت معاملتهم بالطريقة نفسها، ويقول هيرودوت Herodotus الكتاب الأول، 140 وستراب Strabo XV، 3، 20 إن

الفرس كانوا يغطون الجثة بالشمع قبل الدفن، وهذا هو وجه شبه آخر بين عاداتهم والعادات اللاسيدومونية بلوتارك Plutarch : أجيسيلوس، 40، 1؛ نيبوس: أجيسيلوس، 8، 7؛ ديودورس Diodorus XV 93، 6 .

ونعرف أن جثة الملك المتوفي كانت تحمل إلى مكان الدفن على عربة مزخرفة ببذخ، والتي لا بد أنها كانت تشبه العربة الجنائزية للإسكندر والتي تم وصفها بعناية من قبل ديودورس Diodorus XVIII، 28 -26، 1 ، والتي اجتمع أمامها عامة الناس بالكامل، وكان إجراء هذه الطقوس الجنائزية مسؤولية ولي العهد، ومن خلال ترأسه لهذه الطقوس كان يعلن رسميًّا عن مكانته كوريث للعرش، وكان يوضح في الوقت نفسه أن الملك المتوفي مستمر في التواجد من خلال حياته هو، ومن المحتمل أن كل ملك بدوره كان يكرر التقليد الذي ابتدعه قمبيز Cambyses والمتمثل في تقديم قرابين دائمة حول مقبرة الملك المتوفي ستيسياس 19 Ctesias .

تنصيب الملك:

كان يتم في نهاية هذه الطقوس الجنائزية تنصيب الملك الجديد وتقليده مهام الحكم، والمصدر الوحيد لدينا من معلومات حول هذا الموضوع هو بلوتارك Plutarch والذي وصف تنصيب أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني كما يلي: «لم يمضِ وقت طويل على وفاة الملك دارا Darius الثاني حتى قام خليفته بالتوجه إلى باسارجاداي؛ وذلك حتى يقوم الكهنة الفرس بإتمام مراسم تنصيبه وتوليته العرش، ولقد كان هناك معبد مخصص لإلهة الحرب والتي يمكن أن نشبهها بـ مِنيرفا والذي كان يمر من خلاله الملك الجديد الذي يتم تنصيبه، ويجب أن يتجرد من ردائه ويرتدي ذلك الرداء الذي ارتداه قورش Cyrus الأول قبل أن يصبح ملكاً، ثم، وبعد أن يلتهم سلة من التين كان عليه أن يأكل التربنتينه وأن يشرب كوباً من اللبن الرائب، وعند هذا الحد، وحتى إذا كانوا يضيفون

إلى هذه الطقوس أية طقوس أخرى فإن معرفتها تقتصر على الأشخاص الذين يكونون موجودين هناك فقط» أرت 3، 1-2 .

وتؤكد جملة بلوتارك Plutarch الأخيرة أن اليونانيين قد سمعوا أحياناً بالطقوس الدينية الفارسية التي يسمونها «سرية» والتي لم تكن لديهم حولها سوى معلومات شفوية غير كافية. هيرودوت Herodotus الكتاب الأول 140 ، ومن الواضح أن مراسم التنصيب على وجه الخصوص كانت تتم في حضور عدد قليل من الأشخاص، وبالإضافة إلى الأمير نفسه كان يوجد هؤلاء الأشخاص الذين يسميهم بلوتارك Plutarch «كهنة» هييراييس ، ومما لا شك فيه أنه كان يقصد بهم المجوس، وتبعاً لسيسيرو Cicero فإنه «لم يكن من الممكن لشخص ما أن يصبح ملكاً على بلاد فارس إلا إذا كان قد تلقى في السابق تعليماً حول حكمة المجوس» ديف الكتاب الأول 41، 90 ، ولقد تحدث بليني Pliny عن حجراً معيناً، ويقول إنه «لا غنى عنه بالنسبة للمجوس عند قيامهم بتنصيب أحد الملوك» XXXVII، 147 ، ويلمح بلوتارك Plutarch أرت 3-3 إلى أن هؤلاء المجوس كانوا هم أنفسهم الذين عُهِد إليهم بتعليم ولي العهد .

وعلى الرغم من ذلك فإن نص بلوتارك Plutarch المثير هذا يثير بعض التساؤلات حيث إنه من الواضح أن الممارسات الطقسية كانت في الأساس تأخذ شكل تقاليد قديمة للغاية، وذلك كما يتضح من الإشارة إلى رداء قورش Cyrus الأكبر، وتشهد أيضاً على ذلك قائمة الأطعمة التي كان على الملك الجديد تناولها في حفل التتويج والتي كانت تتكون في الأساس من اللبن والأعشاب وهي التي كان يتخصص المجوس فيها أيضاً، انظر فصل 2-7 ، ولكن هل كانت مراسم التتويج التي وصفها تلك ثابتة وغير قابلة للتغيير أم أنها خضعت لبعض التغييرات خلال عهد أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني أو سابقاً؟ إن موقع حدوث هذه

المراسم هو الشيء الذي توجد شكوك في أنه قد خضع لبعض التغيير، فإننا يمكننا أن ندرك بسهولة أن إلهة الحرب كانت هي آناهيتا ، وحيث إنه يبدو أن عبادة هذه الآلهة وتقديسها قد اكتسبت أهمية جديدة في عهد أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني فصل 15-8 ، فإنه يمكننا أن نتساءل عما إذا كانت مراسم التتويج قد تمت إقامتها في مكان آخر قبل ذلك، ومن المحتمل أيضاً أن تلك المراسم كانت تشتمل على مناجاة واستحضار لأهورا-مازدا، ولقد قام دارا Darius عدة مرات باستخدام الصيغة «قام أهورا-مازدا بإعطائي المملكة»، وربما كان يقصد ذلك الجزء من المراسم الذي يتم فيه تسليم شارات السلطة وعلامات الملك إلى الملك الجديد والتي تتمثل في رداء الملك كانديس ودرعه .

ولقد تميزت مراسم التتويج في جوهرها بخاصيتين ظاهرتين للغاية، فمن جهة، كانت تظهر أن الملك الأخميني كان مقدساً: حيث إن الملك كان يتم تنصيبه وإضفاء القداسة عليه من قبل طائفة الكهنة المجوس، ومن جهة أخرى، فلقد كانت هذه المراسم تعلي وتمجد من الاتصال والتواصل الملكي، وذلك من خلال الإصرار على أنها تقوم على الصلة بقورش Cyrus الأكبر، وكان نقل الرداء هو أفضل طريقة للتوضيح والإشارة إلى نقل السلطة نفسها، فمن خلال ارتداء زى معين، والذي كان ينظر إليه «رمزيًّا» على أنه هو السلطة نفسها، كان يتحول الأمير من مجرد وريث للعرش إلى الملك الأكبر، ومن المحتمل أنه في نهاية هذه المراسم، كان يظهر في جولة ببسارجاداي لتحيه الجماهير المحتشدة، وكان يقوم بإلغاء ديون الجزية المقررة على الشعب ليشير إلى اعتلائه العرش هيرودوت Herodotus الكتاب السادس الفقرة 59 ، ومما لا شك فيه أنه كان يقوم أيضاً بتأكيد أو سحب سلطة المرزبانات والحكام الموجودين في الإمبراطورية ديودورس Diodorus الكتاب الحادي عشر الفقرة 71-2؛ جوزيفوس: Ant ، الكتاب الحادي عشر، فقرة 185 ،

وهكذا فإن كبار المسؤولين في الإمبراطورية كانوا يظلون في مناصبهم أو يتركوها وفقاً لرغبة الملك متولي السلطة، وكانوا يقومون شخصيًّا بتقديم فروض الولاء والطاعة له .

خليفة دارا Darius :

يقول هيرودوت Herodotus وبكل بساطة «بعد وفاته انتقل السلطان إلى ابنه كسركسيس Xerxes » الكتاب السابع الفقرة 4 ، ولكن يجب أن نذكر أن جوستين Justin الكتاب الثاني الفقرات 10-1، 11 ؛ بلوتارك Mor. 173 Plutarch ب، 488 د- و يقدمان رواية تختلف في نقاط عديدة عن رواية هيرودوت Herodotus ، حيث يصفان المناظرة التي دارت عقب وفاة دارا Darius ، ويقدمان شخصاً آخر مكان أرتوبارزانيس Artobarzanes اسمه أريارامنيس Ariaramnes ويقول كلماته نفسها ، ويبدو أن أريامنيس هذا كان يشغل منصباً في باكتريا 173 ب، راجع: 488 د: «عليك بالحضور من ميديا» لمقابلة كسركسيس Xerxes ، ويصر المؤلفون القدامى على أن هذه لم تكن ثورة حقيقية، حيث إن أريارامنيس Ariaramnes ببساطة كان يقصد أن يقدم ادعاءه بأحقيته في تولي السلطة لأنه الابن الأكبر، حتى إن بلوتارك Plutarch يرى هذا على أنه إظهار لحبه الأخوي له، فلقد أرسل كسركسيس Xerxes الهدايا لأريارامنيس Ariaramnes ، وأمر مبعوثيه بنقل الرسالة التالية إليه: «بمجرد أن يقوم بالاعتراف بكسركييس Xerxes كملك، سوف يعترف به كسركسيس Xerxes لـ«التالي بعد الملك»»، ولقد تمت تسوية هذا النزاع بالاستعانة بأحد الأعمام أرتابانوس Artabanus عند بلوتارك Plutarch ، أرتافرنيس عند جوستين Justin ، والذي حكم لصالح كسركسيس Xerxes ، ولقد تقبل أريارامنيس Ariaramnes الحكم عن طيب خاطر، ومن الواضح أن هذه الرواية هي إفساد لرواية هيرودوت Herodotus ، حيث إنه من

المحتمل أن المصادر التي أخذ منها كل من بلوتارك Plutarch وجوستين Justin روايتهم قد تداخلت بالرواية الرومانسية عن كسركسيس Xerxes وأخيه ماسيستيس Masistes في عام 479 والتي رواها هيرودوت Herodotus في الكتاب العاشر الفقرات 108-113 ، ويبدو أن ماسيستيس Masistes كان مرزبان باكتريا، ولقد أهانه أخوه فثار ضده، وحدث بعد ذلك أن تعرض للقتل الوحشي هو و«أبناؤه وجيشه» على يد القوات التي أرسلها الملك، وكما هو معروف من التقليد اليوناني فإن الاسم ماسيستيس Masistes يمثل الكلمة الفارسية «ماثيستا»، وهكذا فإن ماسيستيس Masistes وأريارامنيس Ariaramnes كانا الشخص نفسه؛ لأنه تبعاً لبلوتارك Plutarch فإن كسركسيس Xerxes قد منح أريارامنيس Ariaramnes لقب «الثاني بعد الملك» أي ماثيستا، وفي حين أن رواية بلوتارك Plutarch وجوستين Justin هي رواية لا يمكن تصديقها على أية حال، إلا أنها ربما تكون مبنية على حقيقة: أن تسمية وليّ العهد لم تقضِ بالضرورة على مطامح الأخوة المتنافسين معه، ويحدد بلوتارك Plutarch تاريخ هذا النزاع بأنه كان في الفترة بين وفاة دارا Darius والاعتراف الرسمي بالملك الجديد، ولقد كانت هذه فترة حساسة اتسمت بالحداد الرسمي في جميع أنحاء الإمبراطورية، وبعدها فقط يمكن أن تبدأ مراسم التتويج في باسارجاداي .

وتظهر العديد من العبارات مدى الدقة التي التمسها الملك الجديد في ربط نفسه مع أعمال وشخص أبيه، بالإضافة إلى المباني الجديدة التي يقول إنه شيدها «بعد أن أصبح ملكاً» Xsc ،Xpf. 4 ، ويذكر الملك الجديد قيامه بإنهاء وإكمال الأعمال التي كان قد بدأها دارا Xpf ،Darius ،Xpg ،Xv ، وبالتأكيد فإن هذا الكلام ينطبق على بوابة صوصا XSd .

والإشارات إلى الأعمال التي هي من تخطيطه وتنفيذه بشكل كامل إشارات نادرة Xpd ،Xpb ، وغالباً أيضاً ما نجد ابتهالات طلباً للحماية من

أهورا-مازدا على المباني التي شيدها دارا Xpa Darius، Xpc، Xsa، Xsd ، أو تلك التي اشترك في تشييدها الاثنان: «تلك التي قد بناها أبي أو التي أكملت بنائها، أو المباني الأخرى التي أضفتها، كل المباني التي قد أضفتها أو التي كان قد بناها أبي، كل ذلك قد تم بفضل الإله أهورا-مازدا» Xpf ، وهذه الجملة مثيرة للاهتمام بدرجة أكثر؛ وذلك لأنها جاءت مباشرة بعد التذكير باختياره كوليّ للعهد واعتلائه للعرش، وهذه العبارات ليست فريدة. دعونا نسترجع على وجه الخصوص نقشاً يربط فيه أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني نفسه بجد جد جده دارا A2sa Darius ، فلقد كانت طريقه ليأخذ بها مكانه في التسلسل الملكي، وأيضاً لم يفوت كسركسيس Xerxes الفرصة أبداً للتذكير بأنه كان ابن دارا Darius ، وبأنه أخميني.

سحق التمردات:

بدأ كسركسيس Xerxes بتكريس كل جهوده لمتابعة المشروع الإمبراطوري الخاص بوالده، وفي الحقيقة وعقب توليه السلطة كانت بعض الأراضي مهددة، ليس بسبب الهزيمة في ماراثون بقدر ما كان هذا الأمر ناشئاً عن الثورة المصرية التي كانت قد بدأت في أواخر حكم دارا Darius ، وطبقاً لما يرويه هيرودوت Herodotus فإن الحملة على مصر لم تكن سوى فصل صغير والذي أخر الحملة اليونانية عدة أشهر والتي كان قد تم عقد العزم على شنها قبل ذلك بفترة قصيرة تحت ضغط كل من ماردونيوس Mardonius واليونانيين الميديين الكتاب السابع الفقرتان 5-6 ، وعلى الرغم من ذلك يبدو أن هذا التمرد المصري أصبح خطيراً لدرجة جعلت كسركسيس Xerxes يقوم شخصيًّا بقيادة الجيش وبالطبع فإن هذا سمح له بأن يفتتح فترة حكمه بحملة عسكرية ، بالإضافة إلى ذلك، فقد استلزم الأمر أربع سنوات أخرى لإعداد الجيش الذي كان سيقوم بغزو بلاد اليونان الكتاب السابع الفقرة

20 ، وكان ذلك راجعاً فقط إلى أن القوات والعتاد الذي قام دارا Darius بجمعه خلال السنوات الثلاثة السابقة قد تم استهلاكه خلال الحملة المصرية الكتاب السابع الفقرة 1 ، ولقد قام كسركسيس Xerxes بعد قضائه على هذا التمرد بتنصيب أخيه أخيمينيس Achaemenes مرزباناً على مصر في عام 484 الكتاب السابع الفقرة 7 ، ولقد حدث بعد ذلك ببضع سنين -ومن المحتمل أنه كان في عام 481 أن اندلعت ثورة أخرى في إقليم بابل، وكان يقود هذه الثورة شخص اسمه «بل سيماني Bel-simanni » والذي لقب نفسه «ملك بابل، ملك الأراضين»، وقد كانت مدة هذه الانتفاضة قصيرة للغاية، إذ استمرت ما يقرب من خمسة عشر يوماً فقط، وعلى الرغم من ذلك فإنها أيضاً تعكس وجود مناخ مضطرب، ولكننا لا نستطيع تحديد ماذا كان مصدره أو ماذا كانت أسبابه، وعلى الرغم من هذه الحالة فإن النظرية التي تتحدث عن تصادف وقوع تمرد آخر في إقليم يهودا في عام 484 هي نظرية لا توجد أدلة كافية لتأكيدها، ومن المؤكد أن هذه النظرية تصل إلى حد الحديث عن حالة من التمرد الشامل، والتي قد تسببت في الإضرار بالإعدادات التي كانت جارية لشن الحملة الأوروبية، وببساطة فإننا يجب أن نقول مرة أخرى إن الاضطرابات التي وقعت في مصر وبابل تشير إلى أن سياسة دارا Darius الاستعمارية قد اكتشفت حدودها الطبيعية.

العودة إلى الشأن اليوناني:

تمكن كسركسيس Xerxes بعد ذلك من العودة مرة أخرى إلى متابعة تنفيذ خطة أبيه الكتاب السابع الفقرة 1 ، والتي تتمثل في غزو بلاد اليونان، ويشير هيرودوت Herodotus إلى أن الملك الجديد كانت لديه تحفظات على هذه الخطة، والتي كانت ترجع فقط إلى الحاجة إلى القضاء أولاً على التمرد المصري الكتاب السابع الفقرات 5، 7 ، ويشير أيضاً إلى وجود خلافات عديدة حول هذا الموضوع فيما بين الحاشية

الملكية، وتبعاً لهـيرودوت Herodotus فـإن كسركسـيس Xerxes اتخـذ قـرار الغـزو تحت ضغط من ماردونيوس Mardonius والحكـام اليونـانيين المبعـدين عـن بلادهـم الكتاب السابع الفقرتان 6-7 ، ويذكر هيرودوت Herodotus أيضـاً أنـه بعـد أن رجـع كسركسيس Xerxes من مصر قام بالاجتماع بكبار المسؤولين الفرس أريستوي ، وبعـد الإعلان عن قراره بغزو بلاد اليونان، اسـتمع إلى رأي كبـار المسـؤولين الفـرس، ولقـد أيـد ماردونيوس Mardonius الملك، مؤكداً بشكل خاص على الضعف والفرقة التـي يعـاني منها اليونانيون الكتاب السابع الفقرتان 9، 10 ، ومن ناحية أخرى، فلقد أكد أرتابـانوس Artabanus على مخاطر مثل هذه الحملـة، مـثلما فعـل قبـل ذلـك مـع دارا Darius عندما كان يعد لغزو أراضي سكيثيا الكتاب السابع الفقـرة 10 ، ولقـد طـرده الملـك شر طردة ناعتاً إياه بالجبن، ولكن بعد رؤيته لحلـم في منامـه، عكـس كسركسـيس Xerxes قراره الأصلي وقرر عدم غزو بـلاد اليونـان الكتـاب السـابع الفقرتـان 12-13 ، وبعـد أن عـاوده هـذا الحلـم مـرة ثانيـة في منامـه، أتى كسركسـيس Xerxes بأرتابـانوس Artabanus وألبسه ملابسه الملكية، وأجلسه على عرشه، وجعله ينام في فراشـه، ولقـد رأى أرتابانوس Artabanus الحلم نفسه، ولذلك ألح على كسركسـيس Xerxes بشـن هذه الحملة، ونتيجة لذلك أصدر كسركسيس Xerxes أوامـره بـذلك الكتـاب السـابع الفقـرات 14-18 ، ويسـجل هـيرودوت Herodotus بعـد ذلـك أنـه بعـد أن اتخـذ كسركسيس Xerxes قراره شاهد في المنام رؤية ثالثة، ولقد قام الكهنة المجـوس الـذين استشارهم بتحديد معناها بأنها: «تنبئه بغزو العالم ...، ولقـد قـام كسركسـيس Xerxes في خلال حشده لجيوشه بنهب وإفراغ كل ركن من أركان القارة» الكتاب السابع الفقرة 19 .

وتثـير هـذه المناقشـة بأكملهـا التـي ذكرهـا هـيرودوت Herodotus

شكوكاً قوية؛ وذلك لأن جميع الحوارات والنقاشات التي تم تبادلها مشتقة بالكامل من الحكم على الأحداث بعد وقوعها، ويصر هيرودوت Herodotus على أنه قد استقى معلوماته من الفرس الكتاب السابع الفقرة 12 ، ومن المحتمل جدًّا أن ماردونيوس Mardonius كانت له سمعة سيئة فيما بين الفرس أنفسهم، ونحن نعرف على سبيل المثال المعارضة التي لاقتها استراتيجياته من أرتابازوس Artabazus في عامي 480-479 الكتاب التاسع الفقرات 41-42، 58، 66 ، وأن أرتابازوس Artabazus تم تكريمه من قبل كسركسيس Xerxes بعد الحرب ثيوسيديدس Thucydides، I ، 129، 1 ، ويحتمل أن الأمر الذي أصدره كسركسيس Xerxes إلى أرتابازوس Artabazus كان مثالاً على العادة البابلية المشهورة والتي تعرف بالملوك البدلاء، ولكن وبشكل عام فإن هيرودوت Herodotus قام ببناء روايته حول مجموعة من الأفكار الأدبية المتكررة والنماذج الإنسانية التي كان من السهل على من يستمع إليها أو يقرأها أن يفسرها ويفهمها، وقد كان من أحد الممارسات الأساسية المتعارف عليها في الكتابة القيام بالمقارنة بين مستشارين؛ أحدهما طموح وغبي، والآخر حكيم ومتروٍّ وحريص فيما يفعل أو يقول، ونتج عن ذلك -حتى ولو بدون قصد- تصوير كسركسيس Xerxes كشخص متردد أو حتى جبان، وهي الصورة التي تتفق كثيراً مع الطريقة التقليدية التي يقدمه اليونانيون بها.

وفي الحقيقة فإن الوضع كان واضحاً جدًّا بالنسبة لكسركسيس Xerxes ، ففي البداية وقبل كل شيء، كان لزاماً عليه أن يتحمل مسؤولية إكمال المشروعات التي كان والده قد ابتدأ فيها بالفعل راجع الكتاب السابع، فقرة 1 ، وقد واجهته بعض الثورات وحركات التمرد، وأيضاً كان لزاماً عليه أن يثبت قدرته كملك على قيادة حملة عسكرية ناجحة، وأيضاً يجب أن نضع في الاعتبار أن قيام كسركسيس Xerxes

بتنظيم حملة عسكرية على هذا القدر من الضخامة قد سمح له بزيارة عدد كبير من البلاد الخاضعة له، وبأن يقوم بإعادة تأكيد التسلسل القيادي فيها انظر فصل 5-4 ، بالإضافة إلى ذلك، فإنه حتى وصول الملك إلى حدود بلاد اليونان لم يختلف مسار رحلته كثيراً عن الأماكن الدورية التي كان يقام فيها البلاط في هذه الفترة، وعندما قام كسركسيس Xerxes بمغادرة سارديس فإن الأمر الذي تم إصداره إلى الموكب الملكي كان يتفق مع البروتوكول التقليدي، وكان كسركسيس Xerxes نفسه «راكباً في عربة تجرها الجياد النسائية VII.40 Nisaean ، ولقد استمر هذا الأمر سارياً إلى ما بعد «عبور جسر القوارب» VII.55 ، ولقد رافقه في هذه الحملة أبناؤه VIII - VII.39 103,104 ، والعديد من أفراد عائلته المقربين، وقد توافدت الشعوب والقبائل على القافلة الملكية لتبايع كسركسيس Xerxes ولتقدم له فروض الولاء والطاعة والهدايا راجع، VII، 27 ، ولقد صدرت الأوامر إلى المدن والشعوب بإعداد المائدة الملكية بطريقة تليق بالملك 32 VII، 120-118 ، ولقد قام الملك بلعب دوره المنوط به لحماية الحياة النباتية VII، 31 ، وبشكل ما فلقد كان هذا الجزء المبدئي من مسيرة كسركسيس Xerxes ذو طبيعة سياسية بشكل أساسي، ولقد حققت هذه الطبيعة أهدافاً وأغراضاً محددة -كان هذا الملك الأكبر الأخميني يرمي إلى تحقيقها- فلقد اتبع التسلسل نفسه الموجود في المراجعات التي تم إجراؤها في أبيدوس حول الإمبراطورية VII، 44-45 ، وفي دوريسكوس VII-59 Doriscus وو وقام كسركسيس Xerxes على مدار هذه الرحلة باستعراض مدى قوته وقوة الإمبراطورية، وفي أثناء زحفه باتجاه اليونان، قام بإجراء مسح للشعوب والأراضي الخاضعة له، كما فعل تواً في رحلته من بابل إلى منف: «ولقد ابتهج ابتهاجاً عظيماً بما تشهده إمبراطوريته من ازدهار» VII، -45 VII، 100- راجع VII، 57 ، ولقد كان يهدف من قيادته لجيشه هذا أن يمجد

ويعظم من سلطته وقوته، وأن يسعى إلى زيادتها عن طريق القيام بفتوحات جديدة، والتي كانت ستزيد من انبهار وإعجاب الشعوب الخاضعة له أكثر وأكثر، ومن هذا المنظور يمكننا أن نقبل المنطق أو الدافع - وإن لم تكن الكلمات نفسها- التي يقوم عليها الخطاب الذي يرويه هيرودوت Herodotus على لسان ماردونيوس Mardonius ، والذي يقول مخاطباً كسركسيس Xerxes : «لقد قمت بترويض غطرسة المصريين، وعليك الآن أن تقود جيشاً لمحاربة أثينا، افعل ذلك وسوف يذكر اسمك في عزة وشرف في جميع أرجاء الدنيا، وسوف يفكر أي شخص مرتين قبل أن يقوم بغزو أراضيك» VII، 5 .

وبالتأكيد فإن الهدف العسكري لهذه الحملة كان واضحاً ومحدداً، حيث إنه لم يكن مسألة انتقام من أثينا، ولكنه في الحقيقة كان يقصد من ورائه غزو بلاد اليونان cf VII، 138 ؛ ولهذا السبب فإن حملة كسركسيس Xerxes كان لها هدف آخر غير هدف حملة داتيس Datis قبل ذلك بعشر سنوات، فضخامة الإعدادات التي جرت لها ومشاركة الملك شخصيًّا فيها لا تدع مجالاً للشك حول ذلك، وبمشاركته في هذه الحملة قام كسركسيس Xerxes بتبني أهداف دارا Darius ؛ فتبعاً لهيرودوت Herodotus قام دارا Darius بعد عودة داتيس Datis بفترة قليلة باتخاذ قرار بإعادة محاولة غزو بلاد اليونان، وقد بدأ بالفعل في القيام ببعض التجهيزات النشطة لهذه الحملة، وذلك قبل أن يؤدي التمرد المصري ووفاته هو شخصيًّا إلى مقاطعة هذه المخططات الفارسية بصورة مؤقتة VII، 1 .

أمواج المد العاتية التي لا يمكن التغلب عليها:

بمجرد عودة كسركسيس Xerxes من مصر، شرع على الفور في الإعداد العسكري للحملة في جميع أجزاء الإمبراطورية VII، 8، 19 ، ويقوم إسشيلوس Aeschylus في أماكن عديدة بالتأكيد على ضخامة

وعظمة الجيش الذي قاده كسركسيس Xerxes : «قطيع وحشي من البشر» سطر 74 ، «المد البشري العظيم» مقارنة بأمواج المد العاتية سطر 90 ، ويقدم هيرودوت Herodotus بعض الإحصائيات حول الجيش الإمبراطوري، بينما كان يقترب من سهل «ثرموبلاي»، فيقول إنه كان هناك «277.610» ألف جندي على متن البوارج الحربية وقد كان العدد المسجل لهذه البوارج في إقليم دوريسكوس Doriscus هو 1207 بارجة VII، 89 ، وكانت طواقم سفن النقل تتكون من 240 ألف رجل ، هذا بالإضافة إلى 1.700.000 جندي من المشاة، 80 ألفاً من الفرسان، 20 ألفاً من ركبة الجمال العرب، ومجموعة من الليبيين، والذين كانوا يركبون العربات الحربية، وإضافة إلى ذلك القوات التي حشدها كسركسيس Xerxes من أوروبا والتي يصل عددها إلى 300 ألف مقاتل ، والتي تجعل العدد الإجمالي لهذه القوات 2.617.610 رجلاً، ويقول هيرودوت Herodotus أيضاً إنه يجب أن نحصي بالإضافة إلى العدد السابق عدداً مساوياً من «الخدم والأشخاص الذين تبعوا المعسكر وطواقم سفن الإمداد والسفن الأخرى»، وهكذا فإن العدد الإجمالي يصل إلى أكثر من خمسة ملايين رجل، ويضيف هيرودوت Herodotus قائلاً إن هذا العدد لم يشتمل على «الخصيين، الطاهيات زوجات الجنود» والذين لم يحاول أحد القيام بتقدير أعدادهم ...» VII 184-187 ، وأخيراً فإن لإطعام هذا الحشد الهائل - دون أن نحسب النساء، الخصيين، الدواب، الكلاب- كان يتطلب ذلك أكثر من خمسة ملايين لتراً من الدقيق في اليوم، وهكذا فإننا لا نفاجأ كثيراً عندما يقدر هيرودوت Herodotus أن «الأنهار كانت لا تفي في بعض الأحيان باحتياجاتهم من الماء» VII، 187 ، وهو التصوير الذي كان -على وجه الخصوص- ذا شعبية ضخمة في جميع الكتب والمصادر القديمة راجع فيلوستراتوس Philostratus ، فيت، أبول 1، 25 .

ولوقت طويل ظل يُحكَم على هذه الإحصائيات التي ذكرها هيرودوت Herodotus بأنها غير مقبولة، ولو للأسباب اللوجستية فقط، ومن الواضح أن بعض هذه الأرقام تعكس النماذج القديمة مثل عدد السفن والذي تم تقديره بـ1207 سفينة عند هيرودوت Herodotus وإسشيلوس Aeschylus والذي يمكن أن يعود إلى الوصف الذي وضعه هومر للسفن، بالإضافة إلى ذلك، فإنه للتأكيد على الطبيعة الجديدة بالكامل لهذا الجيش الذي قاده كسركسيس Xerxes ، يقوم هيرودوت Herodotus بالإشارة بشكل صريح إلى حرب طروادة VII، 20 ، وهناك بعض الإحصائيات الأخرى التي ذكرها عدد من المؤلفين الآخرين القدامى، والتي كانت هي الأخرى غير قابلة للتصديق، وتتدرج هذه الأرقام ما بين 700 ألف وهو تقدير إيسوقراط Isocrates و 3 مليون رجل ، وهو تقدير سيمونيديس Simonides ، ويتشارك جميع هؤلاء الكتاب في منظور يوناني واحد عند قيامهم بإحصاء عدد جيوش دارا Darius الثالث، فقد كان دافعهم هو تضخيم مجد وعظمة المحاربين اليونانيين الذين هزموا هذه الجيوش .

ويتفق الجميع مع هذا التقييم، ولكن المشكلة تكمن في أن معظم المحاولات التي تم القيام بها لتفسير ما ذكره هيرودوت Herodotus تعتمد على افتراضات ومقارنات خطيرة، وكنتيجة لذلك فإن التقديرات الحديثة تختلف بدرجة كبيرة عن بعضها البعض، وهكذا فإن الوضع الحالي يتطلب منا النقاش للوصول إلى حلول معقولة، وإذا قمنا من ناحية وللأسباب التي تم تقديمها للتو فصل 5-5 بالموافقة على وجوب تنحية المراجعة التي ذكرت في دوريسكوس Doriscus جانباً، وإذا اتفقنا من ناحية أخرى على أن عدد القوات الفارسية في المعركة الوحيدة التي خاضوها على الأراضي اليونانية معركة بلاتيا لم يكن يفوق عدد اليونانيين بكثير، فإننا يمكن أن نصل إلى رقم يقارب 60 ألف رجل كانوا هم قوام جيش ماردونيوس

Mardonius ، ونتفق على أن هذا ليس سوى تخميناً واحداً من بين مجموعة من التخمينات، ولكن ما يميز هذا التقدير هو أنه قائم على وصف المعركة، وأنه يقوم بعرض القوات المشاركة فيها بشكل أكثر دقة، ويمكننا أن نصدر هذا التعليق نفسه فيما يتصل بالسفن الحربية، فالرقم 1207 هو تقدير تقليدي لتلك السفن حتى إنه قد يكون خرافيًّا، ومما لا شك فيه أن هيرودوت Herodotus قد استعاره من إسشيلوس Aeschylus ، ومن الواضح أن السفن ثلاثية المجاديف التي يتكون منها الأسطول الملكي من غير الممكن أنها كانت تفوق السفن اليونانية في العدد بدرجة كبيرة في موقعة سلاميس البحرية، وإذا أخذنا في الاعتبار الخسائر التي منيت بها السفن الفارسية في موقعة أرتمسيوم البحرية، فإنه من المحتمل أن تقدير عدد السفن الفارسية برقم يتراوح حول 600 سفينة سوف يكون أكثر قرباً من الحقيقة عن الرقم الذي أعطاه إسشيلوس Aeschylus وهيرودوت Herodotus 1207 سفينة .

وكما يقول هيرودوت Herodotus -وهو محق في قوله- فإنه من المعقول القيام بإضافة الأفراد غير المقاتلين إلى القوات المقاتلة، وبالتأكيد كان هناك العديد منهم، حيث إن كل مرة كان يتم فيها تغيير مكان الملك والبلاط كان ذلك يتطلب عدداً هائلاً من الموظفين، ولكن إذا كنا لا نحاول إعطاء تقدير كلي لهؤلاء الأتباع -وكما رفض هيرودوت Herodotus نفسه إعطاء تقدير لهم VII، 187 - فإننا يمكن أن نتناول الموظفين العسكريين فقط من كل هذا الكم، وتسمح لنا إحدى الوثائق البابلية من عام 513 دارا 253 Darius أن نقدم تقديراً قابلاً للتصديق لعدد هؤلاء الموظفين العسكريين: حيث إن هناك فارساً يقوم بتنفيذ الاستدعاءات، وكان يصاحبه 12 رجلاً مسلحين تسليحاً خفيفاً مهمتهم تجهيزه وحمايته على غرار جنود الهلوت في الجيش الإسبرطي .

التحضيرات اللوجستية:

طبقاً لما يقوله هيرودوت Herodotus فإن فترة التحضير استمرت لمدة لا تقل عن أربع سنوات VII، 20 ، حيث أنها لم تكن فقط مسألة جمع الرجال، ولكن كان من الضروري أيضاً القيام بتعبئة طاقة إنتاجية هائلة؛ وذلك لضمان توفير الخدمات والاحتياجات اللوجستية للحملة، ولقد تم تشييد عدد من مخازن التموين في مواقع مختارة بعناية، مثل لويسي أكتي في إقليم طراقيا وتيروديزا بالقرب من برنثوس، وفي معاقل دوريسكوس Doriscus وإيون ومقدونيا، ولقد تم جمع عدد كبير من سفن النقل من أجل هذا الغرض، حيث أن الإمدادات كانت تأتي من «جميع أجزاء آسيا» VII، 25، 37 ، ولقد تطلب الأمر آلاف الرجال لحفر قناة عبر شبه جزيرة جبل آثوس أكتي ، حيث تذكر مستشارو الملك ما حدث لأسطول ماردونيوس Mardonius وتحطمه في عام 492، وأيضاً لبناء الجسور عبر نهر VII 22-24 The Strymon ، وبالتأكيد فإن بناء جسرين عبر مضيق البسفور قد تطلب أشهر طويلة من العمل، وقد فشلت المحاولة الأولى لبنائهما بسبب عاصفة هوجاء VII 26 ، وفي هذه الأثناء قام الملك الأكبر وقادة جيوشه بتجميع الفرق العسكرية في البداية في كريتالا في أقليم كبادوكيا، ثم بعد ذلك في ساردیس VII، 26 وبعد قضاء الشتاء في عاصمة إقليم ليديا عامي 481-480 انطلق الملك على رأس جيشه متجهاً إلى مضيق الدردنيل وبلاد اليونان وكان ذلك في بداية ربيع سنة 480 VII 37 .

3- من ساردیس وإليها 480 :

تقدم الفرس والاستراتيجية التي تبناها اليونانيون:

انطلق كسركسيس Xerxes من دوريسكوس Doriscus على رأس جيشه ومتجهاً نحو إقليم طراقيا، وشرع تدريجيًّا في تجنيد فرق جديدة من

الشعوب الخاضعة له، ولقد عبر نهر The Strymon على الجسر الذي تـم بنـاؤه سـابقاً 105 VII، 116-118 ، وتم تقسيم قواته إلى ثلاث فرق، تولى قيادة كل منهـا أحـد كبـار القواد VII، 121 ، وعندما بلغوا أكَنثوس، قام كسركسيس Xerxes بإرسال الأسـطول لينتظره في ثرما عند مدخل الخلـيج VII، 121 ، وعنـدما اجتمعـت الجيـوش في هـذه المدينة، اتجهوا جميعاً صوب بييريا، وهناك علموا أن معظم شعوب ومدن وسط اليونان قد وافقت عـلى «إعطـائهم الأرض والمـاء» كإشـارة إلى خضـوعهم لهـم » VII، 132 ، وبالتأكيـد -وكـما يشرح هـيرودوت VII، 172 - فلـم يكـن لـدى هـذه الشـعوب أي اختيار، وقبل قيام اليونانيين بالتجمع في بـرزخ كورنثـه، أرسـلوا فرقـة مـنهم إلى منطقـة بالقرب من تِمبي لقطع الطريـق عـلى الفـرس، ولكـن بمجـرد أن أخـبرهم ملـك مقـدونيا الإسكندر Alexander أن الجيش الفارسي يمكنه أن يسلك طرقاً أخرى، فقاموا بمغـادرة المكان، «وقد كان من نتيجة ذلك أن الثساليين عندما وجدوا أنفسـهم بمفـردهم وبـدون أيـة مسـاندة، قـاموا وبـدون أدنى تـردد بالانضـمام إلى جانـب الفـرس والعمـل عـلى مساعدتهم بصدق وإخلاص لدرجـة أنهـم كـانوا نـافعين لكسركسـيس Xerxes بدرجـة كبيرة للغاية أثنـاء المعركـة» VII، 174 ، وبالتأكيـد فـإن هـيرودوت Herodotus كـان يسعده ما حدث، حيث إنه من الواضح أن بعض قـادة الثسـاليين الألويـاداي قـد فضـلوا من البداية التحالف مع الفرس VII، 6 كما حدث في عـام 490، فقـد فطـن الفـرس إلى كيفية استغلال الخلافات الداخلية التي توجد بين الدويلات اليونانيـة والتـي كـان العديـد منهـا مسـتعداً لإتبـاع الميـديين، وفي إحـدى الفقـرات التـي يفضـلها الأثنيـون كثـيراً وصـل هـيرودوت Herodotus إلى حـد أنـه قـال: «سـواء صـدقني مـن يسـتمع إليّ أم لا، فـإن معظم اليونانيين كانوا مستعدين إلى حد كبير لتقبل سيطرة وسيادة الفرس عليهم»، حيـث إن التفاوت في الميزان العسكري ظهر وكأنه مشكلة لا يمكـن التغلـب عليهـا VII، 138 ،

وإذا كان الفوقيون هم الشعب الوحيد من شعوب وسط اليونان الذي لم ينضم إلى جانب الفرس، فإن ذلك كان راجعاً إلى العداوة قديمة الأزل بينهم وبين الشاليين VIII ، 30 ، ودعونا نتذكر أن ديماراتوس Demaratus الإسبرطي كان لا يزال ضمن حاشية كسركسيس Xerxes ، وأنه كان يوجد معه أيضاً ممثلين عن عائلة البسستراتيين؛ ولذلك فإنه لا بد أن أحد أهداف هذه الحملة أيضاً كان يتمثل في تنصيب حكومات عميلة في العديد من الدويلات اليونانية راجع VIII، 54-55 .

وبعد مناقشات طويلة قرر اليونانيون مواجهة جيش كسركسيس Xerxes عند خط دفاعي يقع على جبهتين، وهما ثرموبلاي براً وأرتمسيوم بروموتتوري بحراً، وهما موقعان قريبان جدًّا من بعضهما البعض VII، 175 ، وعندما أبحرت مجموعة من السفن الفارسية حتى وصلت إلى ثرما، تركت السفن اليونانية أرتمسيوم وألقت بمراسيها في كالسس منتوية القيام بحراسة يوريبوس، وتاركة مجموعات للمراقبة والإنذار على أرض يوبيا المرتفعة» VII، 183 ، وبينما كان كسركسيس Xerxes مستمراً في تقدمه صوب ثرموبلاي VII، 198-201 ، تعرض جزء من الأسطول والذي كان راسياً بالقرب من رأس سيبياس إلى التدمير من جراء إحدى العواصف غير المتوقعة 190-192 VII ، وطبقاً لما يقوله هيرودوت Herodotus فلقد كانت كارثة حقيقية، حيث أنه فقد بسببها عدداً كبيراً من السفن الحربية وناقلات الغلال، بالإضافة إلى عدد ضخم من الرجال، أما على البر فبالرغم من المقاومة الباسلة التي أبداها اليونانيون والتي قام هيرودوت Herodotus بتخصيص فقرة طويلة بدرجة لا تتناسب مع هذا الحدث للحديث عنها وعن الأعمال البطولية التي قاموا بها VII، 201-239 ، إلا أن الجيش الفارسي تمكن من العبور من ثرموبلاي، وفي تلك الأثناء كان الأسطول اليوناني بقيادة الإسبرطي يوربياديس Eurybiades قد ألقى مراسيه بالقرب من أرتمسيوم، ويقول

هيرودوت Herodotus إن ثيمستوكليس Themistocles الآثيني قد تمكن من إقناع اليونانيين بالحفاظ على مواقعهم هذه برغم الهزيمة التي تعرضوا لها في ثرموبلاي، ولقد كانت خسائر الفرس فادحة ليس فقط على يد اليونانيين، ولكن أيضاً لأن عاصفة أخرى ضربت أسطولهم وتسببت في إغراق قسم آخر من سفنهم، والذي كان يحاول الإلتفاف حول يوبيا لينقض على اليونانيين من الخلف، وعلى الرغم من ذلك، فإنه من وجهة نظر قيادة أركان الجيش الفارسي قد تمكن الفرس من تحقيق هدفهم، حيث أصبح الطريق إلى اليونان مفتوحاً أغسطس 840 ولقد دخل الجيش الفارسي على الفور إلى وسط اليونان متلقياً المساندة والدعم من الأشخاص الموالين للميديين VIII، 39-34 .

من ثرموبلاي إلى سلاميس:

لقد كانت أهم انتصارات الفرس تتمثل في الصعيد السياسي، ولقد قام الأسطول اليوناني تحت قيادة ثيمستوكليس Themistocles بالرسوّ في ميناء سلاميس، وتبعاً لهيرودوت Herodotus فإن الأثينيين قد تعرضوا لتثبيط الهمة بسبب البيلوبونيزيين، والذين بدلاً من أن يتقدموا إلى وسط اليونان قاموا بتحصين برزخ كورنثه ليشكلوا عائقاً يحول دون تقدم الفرس، وقد كان هدف الأثينيين هو «إعطاء أنفسهم الفرصة ليتمكنوا من إخراج نسائهم وأولادهم من أتيكا، وأيضاً لمناقشة خطوتهم التالية» VIII، 40 ، ولتلخيص ما حدث فإن الصراع الأثيني/الإسبرطي والذي كان قد طفى بالفعل على السطح خلال مسألة اختيار القائد، قد اندلع مرة أخرى، وقد تم رفع مسألة تحديد الاستراتاجية التي سيتبناها الأسطول اليوناني إلى مجلس قادة الأساطيل البحرية اليونانية والتي كانت قد عادت في هذه الأثناء إلى سلاميس .

وبالرغم من معارضة الإسبرطيين خوض المعركة بعيداً عن قواعدهم، إلا أن ثيمستوكليس Themistocles تمكن من إقناع

يوربياديس Eurybiades بأن الحل الوحيد هو مواجهة الأسطول الفارسي في خليج سلاميس، وقد تم وضع خطط إضافية، فعلى البر سوف يستمر اللاسيديمونيون في حشد قواتهم عند البرزخ VIII، 74-70 ، وقد تم إجبار سكان أثينا والمناطق المحيطة بها على المغادرة والذهاب إلى المنفى VIII 40-64 ، وقد انتهت المعركة البحرية التي أعقبت ذلك بهزيمة مدوية لأسطول كسركسيس Xerxes في خليج سلاميس -VIII 76 96 سبتمبر 480 .

من سلاميس إلى سارديس:

وبدلاً من أن يقنعوا بالاحتفال بالنصر الذي حققه شعبهم وهو شيء مفهوم، فإن جميع الكتاب اليونانيين يؤكدون على التردد والجبن الذي بدر من كسركسيس Xerxes والذي كان مشغولاً أكثر من أي شيء آخر بـ «الفرار وهو في حالة من الهلع» إسشيلوس Aeschylus لكي يتفادى عواقب الهزيمة، ومن الواضح أن أنباء الهزيمة قد أذهلت الفرس الذين كانوا - بدون شك- مدركين وشاعرين بتفوقهم الكبير بما فيهم الأشخاص الذين كانوا قد بقوا في البلاط الملكي، والذين تبعاً لما يقوله هيرودوت Herodotus كانوا يجهزون بالفعل لاستقبال كسركسيس Xerxes عندما يعود منتصراً VIII، 99 ، وقد كانت هذه هي الظروف التي بنى عليها هيرودوت Herodotus الخطاب الذي يروي أنه قد تم تبادله بين ماردونيوس Mardonius والملك بعد المعركة VIII، 101-100 ، حيث إن ماردونيوس Mardonius الذي كان حريصاً على تبرئة نفسه من اتهام الملك له بأنه نصح بشن حملة عسكرية باءت بالفشل قد اقترح على كسركسيس Xerxes وكان لا يعرف بعد بالاستعدادات التي يقوم بها كسركسيس Xerxes للهرب» VIII، 97 ، اقترح عليه أن يترك له جيشاً وباستخدامه «سيسلمه بلاد اليونان مكبلة بالأغلال» VIII، 100 ، ومرة أخرى فإنه تبعاً لما يذكره هيرودوت Herodotus فإن

كسركسيس Xerxes أمر بأن يتم نقل أبنائه الصغار غير الشرعيين إلى آسيا الصغرى تحت حماية أرتيميسيا Artemisia ملكة هاليكارناسوس VIII، 103-104 ، وبعد المعركة بعدة أيام قام بمغادرة أتيكا مع الجيش VIII، 113 ، وعندما وصل إلى أراضي إقليم ثسياليا، ترك جيشاً لماردونيوس Mardonius يتكون من خيرة الجند، وقام بعد ذلك بالسفر إلى مضيق الدردنيل وهي الرحلة التي استغرقت 45 يوماً VIII، 115 ، والتي اتجه بعدها إلى سارديس VIII، 117 ، ويقوم هيرودوت Herodotus بتصوير انسحاب كسركسيس Xerxes في شكل رؤيا: «لقد وصل إلى المعبر في خلال 45 يوماً ولكن بالكاد كان يوجد شق من جيشه مازال سليماً، وخلال هذه المسيرة كان الجنود يقتاتون على أفضل ما يجدونه في الأرض، فكانوا يأكلون العشب عندما لا يجدون الحبوب، وكانوا ينزعون لحاء الأشجار من كل الأنواع وأوراقها ليقتاتوا عليها، سواء أكانت هذه الأشجار مزروعة أم برية وذلك ليسدوا جوعهم، ولم يتركوا شيئاً في أي مكان، فقد كانت الإمدادات لديهم شحيحة للغاية، ولقد هاجمهم الطاعون والإسهال، وهلك العديد منهم، وتم ترك المرضى خلف الجيش، وعندما عبر الفرس أراضي إقليم طراقيا ووصلوا إلى القنطرة الممتدة على الدرنيل لم يضيعوا وقتاً وعبروا مسرعين إلى أبيدوس، وعلى الرغم من ذلك فقد عبروا في سفن، حيث إنهم وجدوا أن القنطرة لم تعد ثابتة في مكانها، فلقد تسبب الطقس السيء في تحطيمها، وكان الطعام أكثر وفرة في أبيدوس عما كان عليه الحال خلال مسيرتهم السابقة، وكان من نتيجة ذلك أن الرجال قد أتخموا أنفسهم بالطعام، مما تسبب -بالإضافة إلى تغير الماء- في وقوع العديد من الوفيات فيمن تبقى من الجيش، ولقد مضى ما تبقى منه إلى سارديس مع كسركسيس Xerxes VIII115-117 .

ومن المحتمل أن هيرودوت Herodotus قد أخذ هذه الرواية والتي

قـام بتكرارهـا العديـد مـن القـدماء مثـل جوسـتين Justin II 13، 11، 12 ، ومثـل إسشـيلوس Aeschylus سـطور 480-515 ، وفي البدايـة وقبـل كـل شيء فـإن هـذه الرواية هي موضوع أدبي، وبالتأكيد فإنها لا تمت بـأدنى صـلة للواقـع، وحتـى إذا كانـت عملية الانسحاب قد واجهت صعوبات فيما يتعلق بالظروف الجوية، فإنه مـن الصـعب تصديق أنه قد تم بالكامل استنفاد المخزونات التي كان قد جمعها القـائم عـلى الإمـداد والتموين في الجيش، ويقوم هيرودوت Herodotus بتسجيل بعـض الروايـات الأخـرى التي كان يـتم تناقلهـا في أيامـه، والتـي تشـير إلى أن كسركسـيس Xerxes قـد عـاد إلى الساحل الآسيوي عن طريق البحر، وتؤكد كـل مـن هـذه الروايـات قسـوة الملـك الأكـبر VIII، 118-119 ، ولكن هيرودوت Herodotus يقـوم بـرفض هـذه القصـص مؤكـداً على أن كسركسيس Xerxes مر بالفعل عبر أراضي أبديرا ، وأنه كافأ سكانها بـأن عقـد معهـم حلـف صـداقة، وبهديـة عبـارة عـن سـيف» والـذي يعنـى بالفارسـية القديمـة أكيناكيس » من الذهب، وسوار للرأس مرصع بالذهب VII، 120 ، وبرغم مـن ذلـك، فإن التقليد القديم يحفظ الروايات التي عارضها هيرودوت Herodotus كما في رواية جوستين Justin ، والتي تتميـز بأنهـا دراميـة وذات معنـى أخلاقـي II، 13، 10-9 : «لقد وجد كسركسيس Xerxes القنطرة محطمة، فعبر مسرعاً في قارب للصيد، ويالهـذا المنظر، فلقد جعل -بالفعـل- الرجـال يـدركون الظـروف التـي يتعرضـون لهـا مـع هـذا التحول المذهل للأحداث، فهاهم يرونه منكفئاً على وجهه في قارب صـغير، وهـو الرجـل الذي كان يعجز المحيط بأكمله أن يحتوي سفنه، والذي أرهق الأرض بكثرة ما لديه مـن جنود، أما الآن فهو لا يجد عبداً واحداً يقوم على خدمته».

ولكـــن لا يجـــب أن يـــدفعنا هـــذا النقـــد المحتمـــل للروايـــات القديمـــة إلى الاعتقـــاد بـــأن وضـــع الفـــرس في ســـبتمبر عـــام 480 كـــان هـــو حـــالهم نفســـه قبـــل

ذلك بعدة شهور، فقد أدت الهزيمة بالتأكيد إلى إضعاف سلطة الامبراطور في بعض النواحي، وعندما عاد أرتابازوس Artabazus إلى آسيا حيث اصطحب كسركسيس Xerxes ، قام بمحاصرة بوتيداي ولكن هذا الحصار لم يكلل بالنجاح : «فقد أعلن أهل بوتيداي تمردهم الصريح على سيطرة الفرس بمجرد أن مر بهم كسركسيس Xerxes في طريق عودته إلى الشرق، ولقد علموا بهروب الأسطول الفارسي من سلاميس» VIII، 126 ، وقصة هيرودوت Herodotus حول هروب الملك تجعل من الواضح أن العديد من شعوب إقليم طراقيا قد قطعت علاقات الولاء VII، 115-116 ، وقد تصل هذه القصة إلى حد اقتراح أن مدن آسيا الصغرى كانت مستعدة لإعلان التمرد في هذا التاريخ، وتنبع هذه الفكرة من وجهة نظر مثيرة للشكوك بعض الشيء، والتي قام بصياغتها هيرودوت Herodotus مع عدد من كتاب القرن الرابع الآخرين، وعلى وجه الخصوص إفورس Ephorus والذي اقتبس منه ديودورس Diodorus الكثير، وتبعاً لما يرويه هيرودوت Herodotus فلقد حاول ثيمستوكليس Themistocles أن يفصل الأساطيل الأيونية عن الأسطول الفارسي، وذلك قبل هزيمة سلاميس ببعض الوقت ولكنه فشل في ذلك VIII، 85 ، ونعلم منه أيضاً أنه بعد موقعه سلاميس قامت الدويلات اليونانية المنتصرة بإرسال بعض السفن إلى جزر The Cyclades لمحاصرة جزيرة أندروس وأخذ المال من الجزر الأخرى هيرودوت Herodotus VIII، 111-112 ، ولكن يشرح هيرودوت Herodotus كيف أنهم كانوا في موقف لا يسمح لهم بالبدء بأي هجوم على الجزر التي غزاها داتيس Datis في عام 490 .

وعلى الرغم من تلك الهزيمة المدوية التي تعرض لها الجيش الفارسي إلا أن النتائج العسكرية لم تكن كارثية بالنسبة له، فقد ظل هذا الجيش سليماً بصورة عملية، وكان قادراً على الاستيلاء على الريف،

وحتى أن يتغلب على التحصينات التي أقامها اللاسيديمونيون عند مدخل البرزخ وذلك ما كان يعرفه الإسبرطيون ويدركونه جيداً ، وبالنسبة للأسطول الفارسي فإنه بالتأكيد لم يتم تدميره بالكامل، وقد كان الإغريق لا يزالون يرهبونه ويحسبون حسابه، وأحد الأسباب التي يقدمها الكتاب الإغريق لقيام كسركسيس Xerxes بالانسحاب إلى سارديس يتمثل في خوفه من أن يقوم اليونانيون بتدمير القنطرة التي أقامها على الدردنيل والذي كان سيؤدي إلى احتجازه في أوروبا VIII، 97 ، وطبقاً لأحد المعتقدات واسعة الانتشار بين الكتاب اليونانيين -ولكنه خيالي بالتأكيد- فقد كان ثيمستوكليس Themistocles هو نفسه من أرسل رسالة إلى كسركسيس Xerxes بهذا الخصوص، وذلك حتى يجبره أن يعود بجيشه إلى آسيا، وقد اعتقد العديد من القادة اليونانيين عقب موقعة سلاميس أن قيادة الأركان العامة للجيش الفارسي كانت تعد لشن هجوم جديد .

ولكن كسركسيس Xerxes ومستشاريه اختاروا استراتيجية أخرى، حيث قرروا تقسيم قواتهم، ولقد عُهِد إلى ماردونيوس Mardonius بمهمة متابعة الهجوم على اليونان وتُرِك معه الجيش، أما كسركسيس Xerxes فقد عاد إلى ساردیس ومعه الأسطول، ولا بد أنه ظل هناك طوال صيف عام 479، وهكذا فإنه لم تكن هناك أي احتمالية أن الملك قد اندفع في عملية «هروب طائشة»، وفي ساردیس كان كسركسيس Xerxes في تواصل دائم مع ماردونيوس Mardonius ، واستمر في الإشراف على العملية بأكملها، وقد كان لهذه الخطة ميزة وفائدة أخرى وهي أن تواجد ماردونيوس Mardonius في بلاد اليونان أدى إلى منع اليونانيين من الشروع في الإبحار عبر الجزر، وهكذا علم الجميع أن المعركة الحاسمة سوف تقع على أرض بلاد اليونان .

4- كسركسيس Xerxes بين جبهتين 479-480 :

كسركسيس Xerxes في سارديس وماردونيوس Mardonius في أوروبا:

في ربيع عام 479 كان من المؤكد أن ماردونيوس Mardonius أصبح جاهزاً لشنّ هجوم، وبالتأكيد فإنه كان مقتنعاً بتفوقه العسكري على اليونانيين، وهو لم يصل إلى هذه النتيجة لمجرد أنه كان شخصاً مغروراً كما أكد على ذلك هيرودوت Herodotus راجع IX، 3 ، وبدلاً من ذلك فلا بد أنه كان واعياً إلى أن الإسبرطيين كان يركزون كل جهودهم على إكمال الجدار الذي شرعوا في تشييده عبر البرزخ، وأنهم كانوا ينظرون إليه على أنه أولوية قصوى IX، V : «الجدار لم يكتمل بعد وكانوا لا يزالون يعملون على إكماله وهم في حالة رعب شديد من الفرس» IX، 8 .

وفي هذه الأثناء تسلم ماردونيوس Mardonius رسالة من كسركسيس Xerxes يأمره فيها بالاتصال بالأثنيين، وكان نصُّها كما يلي: «أوامر الملك إليه هي أن يقوم أولاً بإرجاع أراضي أثينا إليها، وثانياً أن يتركها تختار بالإضافة إلى ذلك ما تريده من الأراضي، وأن تتمتع بحريتها، «دع أثينا تتوصل إلى اتفاق مع الملك، «وقد صدرت إليه الأوامر بأن يقوم بإعادة بناء المعابد التي دمرتها النيران» VIII، 140 .

وكان هدف الفرس من وراء ذلك كما فهمه ماردونيوس Mardonius هو أن يبعث الفرقة بشكل أعمق فيما بين اليونانيين، وخاصة أن يمنع حدوث أي تعاون عسكري حقيقي بين الأثينيين والإسبرطيين: «حيث إنه إذا تمكن من أن يعقد تحالفاً مع الأثينيين، فلن تواجهه أية صعوبة في فرض سيادته على البحر، وذلك في حين أنه كان بالفعل واثقاً من تفوقه عليهم في البر» VIII، 136 ، ومن المحتمل أيضاً أن الفرس قد شعروا بأن العناصر المؤيدة لهم في أثينا كانت آخذة في النشاط كما كان الحال في

السابق، وقد كان الفرس قد حصلوا بالفعـل عـلى ولاء أسرة تيجيتـيس The Tegeates ، والذين كانوا ملتزمين بمنع أي جيش إسبرطي مـن الـدخول إلى الـبرزخ IX، 12 ، ولـكي يكون متأكداً من أنه يمسك بجميع الأوراق في يده عهـد مـاردونيوس Mardonius إلى الإسكندر Alexander حاكم إقليم مقدونيا بهذه المهمة؛ وذلك لأنه من ناحيـة كانـت تربطه صلة قرابة بالفرس، ومن ناحية أخرى كانت لديه علاقـات أكـثر مـن رسـمية مـع الأثينيين VIII، 136 .

وكان الإسبرطيون غير مرتاحين لما يحدث، فقاموا هم أيضاً بإرسـال وفـد مـنهم إلى أثينـا، وتحدثـوا إلى المجـلس الأثينـي بعـد أن أنهـى الإسـكندر Alexander حديثـه، وقام الأثينيون برفض هذا العرض المقدم من طرف ماردونيوس Mardonius ، ولكنهم أرسلوا إنذاراً يتضمن مهلة للإسبرطيين، ومفاده أنهـم إذا رفضـوا إرسـال جـيش لمسـاعدة الأثينيين -كما هددوا في السابق- فإن الأثنيون لـن يكـون أمـامهم سـوى القبـول بعـرض الفرس VIII 141-144 ، وعندما تسلم ماردونيوس Mardonius رد أثينا على عرضه، قام بالزحف باتجاه أتيكا والتي تم إخلاؤهـا مـن سـكانها مـرة أخـرى، وقـد قـام بـإعلام كسركسيس Xerxes بانتصاره هذا عن طريق استخدام الإشارات النارية من جزيـرة إلى أخرى IX، 3 ، وقد قام ماردونيوس Mardonius بمبادرة دبلوماسية أخـرى ولكنهـا لم تلقَ نجاحاً أكثر مما لاقته المبادرة الأولى، وذلك على الرغم من بعض المحـاولات المتفرقـة التي قام بها عدد قليل مـن الأثينيـون لإعطائـه رد إيجـابي IX 4-5 ، ومـرة أخـرى قـام الأثينيـون بإرسـال سـفراء إلى إسـبرطة شـاكين مـن عـدم رد الاسـبرطيين علـيهم، ولـتعلم الإسـبرطيين أن تصرفهـم هـذا سـوف يضـطر الأثينيـين إلى إعـادة فـتح المفاوضـات مـع ماردونيوس Mardonius ، وفي النهايـة قـام جـيش لاسـيدوموني بمغـادرة شـبه جزيـرة البلوبونيز تحت قيادة الملك بوسانياسPausanias IX، 6-11 .

ولم تتوقف أبداً الاستراتيجية الفارسية عن إبهارنا، والسؤال هنا: لماذا لم يحاول الفرس الاستفادة مما كان يبدو كموقف قوة لهم؟ وذلك بداية من ربيع عام 479 راجع VIII، 113 ، ولقد قام هيرودوت Herodotus بعد ذلك بقليل، بالتأكيد على المقارنة بين الاتجاه الذي يتمثل في الترقب ومتابعة الأحداث من ناحية، والاستراتيجية الهجومية من ناحية أخرى، حيث يقوم بتقديم كل من أرتابازوس Artabazus وماردونيوس Mardonius ، فأرتابازوس Artabazus يقترح الانتظار في سكون وتوزيع الذهب والثروات فيما بين القادة اليونانيين، حيث يقول: «سوف يقومون قريباً جدًّا بالتنازل عن حريتهم» IX، 41 ، أما ماردونيوس Mardonius فهو على العكس من ذلك يتسم بأنه «ذو شخصية عنيدة وقوية»، وينصح ببدء الهجوم على الفور ودون مزيد من التأخير، ولكن المناظرات التكتيكية والاستراتيجية بخصوص أمور لم تتضح إلا بعد ذلك بعدة شهور لا يمكن نقلها في تسلسل عكسي حتى نصل إلى ربيع عام 479، وعلى الرغم من ذلك فإنه من الواضح أن الوصف الذي قدمه هيرودوت Herodotus لماردونيوس Mardonius هو وصف مثير للشكوك بدرجة كبيرة، وذلك بالنظر إلى عرضه المستمر لماردونيوس Mardonius بالمقارنة مع أرتابازوس Artabazus فصل 6/13 بالأسفل .

وفي الحقيقة فإن القرار تم اتخاذه في سارديس، فقد قام الملك باتخاذ قراره ليس فقط بناءً على الأوضاع الأوروبية، ولكن أيضاً بالاعتماد على الظروف في آسيا الصغرى وشرق بحر إيجه، حيث كان الخطر هناك ملحاً بالدرجة نفسها أو على الأقل يمكن اعتباره كذلك، فعقب عودته إلى ساردیس أمر كسركسيس Xerxes أسطوله بقضاء الشتاء في سايمي Cyme ، وقد قضت بعض السفن ذلك الفصل السيء في ساموس، وفي ربيع عام 479 تم إرسال الأسطول بأكمله إلى

ساموس «لمراقبة المدن الأيونية التي كان هنـاك شـكوك في أنهـا تكـن مشـاعر معاديـة» ديودورس Diodorus، XI، 27، 1 هيرودوت Herodotus IX، 130 ، ومن المؤكـد أن كسركسيس Xerxes ومستشاريه كانوا على وعى بحالة الاضطراب التي تسود المدن اليونانية الموجـودة في آسـيا الصـغرى، حيـث إن تعيـين بعـض الحكـام المسـتبدين مثـل ثيومستور Theomestor في ساموس VIII، 85 لم يكن كافياً لإبعاد الخطـر، ولا بـد أن كسركسيس Xerxes كان مدركاً للمحاولة التي جـرت لقلـب نظـام حكـم سـتراتيس Strattis الطاغية الموالي للفرس في كيوس، وقد تمكـن المتـآمرون مـن الهـرب ولجـأوا إلى إسبرطة متحدثين باسم الأيونيين «وطلبوا منها أن تخلص آسيا الصغرى منهم»، ثم قـابلوا بعــد ذلــك قــادة الأســطول اليونــاني في إيجينيــا -والــذي كــان يقــوده لويتيشــيديس Leutichides الإسبرطي- ليتوسلوا إلـيهم أن «يرسـوا في آسـيا» الكتـاب الثـامن الفقـرة 132 .

ويذكر هيرودوت Herodotus بعد ذلك أن وفد كيوس نجح - ولكـن لـيس من بدون مواجهة بعض الصـعوبات- في إقنـاع اليونـانيين بالإبحـار حتـى يصـلوا إلى ديلوس، ويقول إن اليونانيين لم يجرؤوا على المغامرة بالإبحار لما هو أبعد من جزيرة ديلوس، وكان هذا هو الحـال أيضـاً بالنسـبة للفـرس، والـذين لم يسـتطيعوا الإبحـار لما هـو أبعـد مـن سـاموس، وهكـذا «وبسـبب مخـاوفهم المتبادلـة ظلـوا يحرسـون المنطقة الفاصلة بينهم بأكملها» الكتاب الثامن الفقرة 132 ، والاحتمال الأرجح هـو أن اليونـانيين لم يسـتطيعوا مغـادرة أوروبـا بـدون الـتملص مـن قبضـة مـاردونيوس Mardonius أولاً، وكذلك كان الحال مـع كسركسـيس Xerxes في سـارديس والـذي وجد أن الوضع مقلق لدرجة جعلته يبقي أسطوله سالماً بعيداً عن الأيـونيين، وواضـعاً كل هذه الظروف في اعتباره قـرر الملـك أن يـأمر مـاردونيوس Mardonius بتقـديم مقترحاته إلى الأثينيين، ولكن هذا لم يكن مقترحاً للتفـاوض كأنـداد، حيـث إنـه طلـب

من الأثينيين القبول بسيادة الفرس عليهم كشرط أساسي لاعتراف الفرس باستقلالهم وحكمهم الذاتي لأنفسهم.

بلاتيا:

قام ماردونيوس Mardonius بعد تدميره لكل المنشآت التي كانت لا تزال موجودة في أثينا بالانسحاب باتجاه بلدة طيبة «حيث إن أرضها صالحة للقتال ويستطيع فرسانه المناورة عليها جيداً» الكتاب التاسع الفقرة 13 ، وقد قام نصب معسكر محاط بالخنادق والتحصينات الدفاعية بالقرب من المدينة الكتاب التاسع الفقرة 15 ، وقد أظهرت الاشتباكات الأولية التفوق المعهود للخيالة الفرس الكتاب التاسع الفقرات 19-23 .

وقد قرر ماردونيوس Mardonius -على عكس ما نصحه به أرتابازوس Artabazus - الالتحام مع اليونانيين في معركة بالقرب من بلاتيا معتمداً مرة ثانية على الفرسان، ولقد كانت المعركة حاسمة الكتاب التاسع الفقرة 49 ، وعندما شاهد أرتابازوس Artabazus الهزيمة المحتومة أو التي قيل عنها لاحقاً أنها كانت كذلك ، غادر ميدان المعركة على رأس الفرق التي يقودها «بنية الوصول إلى مضيق الدردنيل بأسرع ما يمكن» الكتاب التاسع الفقرة 66 ، وبعد مصرع ماردونيوس Mardonius احتمت الفرق الفارسية الباقية خلف الخنادق والتحصينات التي كانت قد أقامتها، ولكن سرعان ما تمكن الأثينيون واللاسيديمونيين من اختراق هذه التحصينات الكتاب التاسع الفقرة 70 ، وقد استولى اليونانيون على معسكر ماردونيوس Mardonius وخيمة كسركسيس Xerxes ، ولقد انبهروا بالنفائس والثروات التي كانت موجودة بتلك الخيمة أغسطس 479 ، وفي هذه الأثناء كان أرتابازوس Artabazus قد وصل إلى أبيدوس، فلقد كان يتحرك بدون توقف الكتاب التاسع الفقرات 89-90 ، ولا بد أنه قد وصل إلى هناك بعد هزيمة الفرس بفترة قصيرة .

«وقد حدث أيضاً أن الفرس قد تعرضوا لهزيمة أخرى في ميكالي في إقليم أيونيا، وكان ذلك في نفس اليوم الذي وقعت فيه هزيمة بلاتيا نفسه» الكتاب التاسع الفقرة 90 ، وفي حين أن تزامن وقوع الهزيمتين يتوافق عامة مع موضوع أدبي معروف راجع الكتاب التاسع فقرة 100 ، إلا أن هذا التزامن حقيقي، وحدث فعلاً هذه المرة، وإن لم يكن في اليوم ذاته، فلقد حرر الانتصار الذي حدث في بلاتيا الأسطول اليوناني من القيود التي منعته في السابق من مغادرة المياه الأوروبية، وفي هذه الأثناء استقبل القادة اليونانيون الذين كانوا موجودين في جزيرة ديلوس رسل من ساموس، وذلك بدون أن يعرف الطاغية ثيومستور Theomestor هويتهم، حيث قاموا بالتحدث معهم حول ما يلي: إن مجرد رؤية القوات البحرية اليونانية سوف يكون كافياً لجعل الأيونيين يثورون، وأن الفرس لن يظهروا أية مقاومة، وحتى إذا فعلوا ذلك فسوف يمثلون جائزة ثمينة سيكون من المحتمل جدًّا الفوز بها الكتاب التاسع الفقرة 90 .

وقد تم بعد ذلك عقد تحالف سيماخيا بين سكان جزيرة ساموس وبين اليونانيين الكتاب التاسع الفقرة 92 ، وقام الاسطول اليوناني بالرسو في ساموس والحديث الذي أورده هيرودوت Herodotus على لسان المبعوثين الذين أتوا من ساموس الكتاب التاسع الفقرة 96 ، والحديث الذي أورده هيرودوت على لسان المبعوثين الذين قدموا من ساموس هو مشابه بشكل لافت للنظر للحجج التي قدمها أرستاجوراس Aristagoras حاكم ملطية قبل ذلك بعشرين سنة إلى كيلومينيس Cleomenes حاكم إسبرطة: «هؤلاء الأجانب لا يميلون إلى الحرب، وكم من السهل هزيمتهم! بالإضافة إلى ذلك فإن سكان القارة هم أغنى من باقي سكان العالم مجتمعين» الكتاب الخامس الفقرة 49 .

ومن الصحيح أن منطق هيرودوت Herodotus دفعه لوصف ما

يسميه بالثورة الأيونية الثانية، والتي يحدد وقتها بأنه كان الوقت نفسه الذي وقعت فيه معركة ميكالي الكتاب التاسع الفقرة 104 ، ومن الصعب تقدير درجة الاستعداد الحقيقية التي كانت عليها القوات الفارسية، فلقد تم تعزيز جيش تيجرانيس Tigranes والذي أوكل كسركسيس Xerxes إليه مهمة حراسة أيونيا الكتاب التاسع الفقرة 96 ، تم تعزيزه بمجندين من سارديس والمناطق المحيطة بها ديودورس Diodorus ، الكتاب الحادي عشر الفقرة 34 ، ولا بد أن هؤلاء المجندين كانوا عبارة عن المستعمرين والفرق العسكرية التي كان يتوجب على الفرس من سكان السهول تقديمها عندما تقتضي الحاجة، ولقد قرر القادة الفرس ألا يخوضوا معركتهم في البحر، وأنزلوا جنودهم من السفن، واتحدت قواتهم مع قوات تيجرانيس Tigranes ، وكانوا يأملون في الفوز بمعركة برية اعتقدوا أنها ستكون حاسمة، وبمجرد أن وصل القادة اليونانيون، ضغطوا على الأيونيين للانضمام إليهم، وقد نجحت توسلاتهم مع البعض - كما يتضح من الإجراءات التي اتخذها الفرس بعد ذلك- حيث تم تجريد الفرقة العسكرية الخاصة بساموس من سلاحها الكتاب التاسع الفقرات 99، 103 .

وبعد ذلك أمر الفرس جنود ملطية بالقيام بحراسة الممرات المؤدية إلى مرتفعات ميكالي، وذلك بزعم أنهم كانوا على معرفة بذلك الجزء من البلد، ولكن كان الهدف الحقيقي هو إزاحتهم من طريق الفرس، وبعد أن قاموا باتخاذ هذه الاحتياطات ضد القوات الأيونية التي كانوا يعتقدون أنها قد تسبب لهم مشكلات إذا لاحت لهم الفرصة، مضوا ليكملوا استعداداتهم الكتاب التاسع الفقرة 99 .

ولكن معظم الأيونيين انتظروا في ترقب وحذر، فقد كانوا يعلمون أن كسركسيس Xerxes لم يغادر ساردیس قط ديودورس Diodorus الكتاب الحادي عشر الفقرة 35 ، ولم يكونوا غافلين عن أنه إذا كانت

نتيجة المعركة لصالح الفرس فسيكون إنتقامهم لا رحمة فيه، ولكـن لم يحـدث شيء مـن هذا، فقد انهزم الفرس منتصف أغسطس 479 ، ورجعت الفرق التي نجت من المعركـة إلى سارديس لتكـون بـالقرب مـن كسركسـيس Xerxes الكتـاب التاسـع الفقـرة 107، ديودورس Diodorus الكتاب الحادي عشر الفقرة 36 .

الثورة الأيونية الثانية:

«وهكذا شـهد ذلـك اليـوم انـدلاع الثـورة الأيونيـة الثانيـة ضـد سـيطرة الفـرس» الكتاب التاسع الفقـرة 104 ، وهـذا هـو تعليـق هـيرودوت Herodotus بعـد وصـفه لسلوك الفرق الأيونية خلال المعركة، حيـث إنـه بتحـريض مـن جنـود سـاموس، إرتـدت الفرق العسكرية الأيونيـة الأخـرى عـن المعسـكر الفـارسي وهاجمـت الفـرس» الكتـاب التاسع الفقـرة 103 ، ولقـد اسـتغل الجنـود الملطيـون الموقـع الـذي قـد أمـرهم الفـرس بالتمركز فيه قبل المعركة، وقاموا بتوجيه وقيادة الناجين نحو المعسـكر اليونـاني، وقـاموا في النهاية بالاشتراك في هذا الذبح الوحشي للفرس، وأثبتوا أنهـم ألـد أعـدائهم» الكتـاب التاسع الفقرة 104 ، وبعد انتهاء المعركة عقـد اجـتماع للـم الشـمل في جزيـرة سـاموس حضره الأيونيون واليونانيون، وكـان اللاسـيديمونيون يـأملون في العـودة إلى شـبه جزيـرة البلوبونيز بأسرع ما يمكن الكتاب التاسع الفقرة 114 ، وقد نصحوا الأيونيين باللجوء إلى النفي والابتعاد الاختياري؛ لأنهـم لـن يسـتطيعوا مقاومـة الهجـوم المضـاد المؤكـد الـذي سيشنه الفرس، واعترض الأثينيون على هذه الخطة، وكانت الغلبـة في النهايـة لمـا أشـاروا به .

وهكـــذا فلقـــد ضـــم اليونـــانيون إلى التحـــالف ســـيماخيا الـــذي كونـــوه شـــعوب كـــل مـــن جزيـــرة ســـاموس، وكيـــوس، ولِســـبوس، وشـــعوب جـــزر أخـــرى حاربـــت مـــع اليونـــان ضـــد الأجانـــب، وتـــم أخـــذ الأيمـــان والعهـــود عـــلى ذلـــك، وألزمـــت كـــل هـــذه المجتمعـــات أنفســـها بالوفـــاء لهـــذه القضـــية المشـــتركة،

وما إن تم الانتهاء من ذلك حتى أبحر الأسطول باتجاه الدردنيل؛ وذلك بغرض تدمير الجسور التي كان من المفترض أنها لا تزال قائمة في مكانها عبر المضيق الكتاب التاسع الفقرة 106 .

وهكذا نشأ ما صار يعرف فيما بعد بـ «الرابطة الديلية» نسبة إلى جزيرة ديلوس، ولكن هذه الرابطة لم تكن في ذلك التاريخ أكثر من مجرد امتداد للرابطة الهيلينية، والتي تم إنشاؤها في عام 481 في مدينة كورنثة عندما علموا بوصول كسركسيس Xerxes ، وقد انضم عدد قليل من مدن آسيا الصغرى إلى الحلف في ذلك الوقت، ثم انضمت إليه بعد ذلك المدن التي كانت تقع في الجزر، والتي كانت آمنة في مواقعها، وكانت عندها أساطيلها، وقد شاركت بعض الجزر الأخرى أيضاً، والتي لا بد أنه قد تم إضافتها إلى التحالف اليوناني خلال الرحلة البحرية فيما بين جزيرتي ديلوس وساموس التي تمت في وقت سابق لذلك راجع الكتاب التاسع الفقرة 101 .

توجه كسركسيس Xerxes من سارديس إلى بابل:

يمكننا ملاحظة أنه قد تم إعادة بناء الأحداث طبقاً لوجهة النظر اليونانية، ولا توجد لدينا معلومات دقيقة أو على الأقل غير متحيزة حول الأفعال أو ورود الأفعال التي صدرت عن كسركسيس Xerxes ، وبعد مناقشة تلك المشاعر الشائنة التي كان يكنها الملك الأكبر تجاه زوجة أخيه، يترك هيرودوت Herodotus القصة عند هذه العبارة: «لقد غادر ساردیس متجهاً إلى صوصا» الكتاب التاسع الفقرة 108 ، ويكتب ديودورس Diodorus بدوره: «عندما علم بكل من الهزيمة في بلاتيا والهزيمة المنكرة لقواته الخاصة في ميكالي، ترك جزءاً من قواته في ساردیس لمواصلة الحرب ضد اليونانيين، بينما انطلق هو نفسه مصطحباً معه بقية جيشه في ذهول وارتباك واتجه إلى إكباتانا» الكتاب الحادي عشر الفقرة 36 ، فهل اختار كسركسيس Xerxes الهروب من مسرح الأحداث

مرة ثانية؟ والتماس السكينة والراحة في أحضان نسـائه وبـين مهندسـيه؟ أو متـى غـادر ساردیس؟ ولماذا؟

ومن الواضح أن طرق تقديم المؤلفين القدامى لهذا الحدث تغلب عليها في الأسـاس الدوافع الجدلية، وفي الحقيقة لم يعد كسركسيس Xerxes إلى مركـز إمبراطوريتـه بمجـرد عودته من أتيكا، حيث شرع في الفترة بين عودتـه مـن سـلاميس ومسـيره باتجـاه بابـل في تحصين قلعة سيليناي Celaenae ، وبنى سكناً له هناك زينوفـون Xenophon، Anab الكتاب الأول الفقرات 2، 9 ، وهذا دليل على أنه لم يترك ساردیس في نوبة مـن الـذعر، وفي الحقيقة -وكما سنرى- فإن الملك الأكبر ظـل في سـاردیس بعـد الهزيمـة التـي تعرضـت لهـا قواته في ميكالي، ونعلم من ستيسياس Ctesias أنه قد أرسل فصيلة من جنـوده لتخريـب معبد ديديما والذي كان أحـد المعابـد المشـهورة جـدًّا والـذي ارتـبط اسـمه أيضـاً ببلـدة ملطية، ومن الواضح أن كسركسيس Xerxes بفعله ذلك كان يشن هجوماً مضاداً عـلى الأيونيين المتمردين وخاصةً سكان ملطية؛ وذلك بسـبب خيـانتهم لـه في معركـة ميكـالي بوسانياس Pausanias ، الكتاب الثامن الفقرة 46-3 ، نعلـم أيضـاً أن الكهنـة المسـؤولين عن إدارة ذلك المعبد البرانشيداي قد لجـأوا إلى كسركسـيس Xerxes طلبـاً للحمايـة، وقد أعلنوا مساندتهم للفرس، وخافوا من انتقام مواطنيهم من أهل تلك المدينة، ويقـول ستيسـياس Ctesias إن كسركسـيس Xerxes قـد نـوى التوجـه إلى بابـل، ويمكـن أن نتلمس أسباب تفضيله لهذا الخيار في الوضع الذي كـان سـائداً في ذلـك الوقـت في تلـك المنطقة، حيث توجد بعض الألواح البابلية التي تشير إلى أن بـوادر ثـورة جديـدة كانـت قـد لاحـت في الأفـق، وكـان يقودهـا رجـل اسـمه سـماس-إريبـا Samas-eriba والـذي لقـب نفسـه بــ «ملـك بابـل، ملـك الأراضـين»، وهنـاك احـتمال كبـير أن تـاريخ وقـوع هـذه الأحـداث كـان عـام 479 وخاصـة أغسـطس- سـبتمبر 479 ، وفي اللحظـة

نفسها التي كان يحاول فيها الملك الأكبر إخماد الثورة الأيونية، تلقى رسالة في ساردیس تنبئه بالتمرد البابلي، وهكذا تمت محاصرته بين جبهتين للمرة الثانية، وبعد المؤتمر الذي تم عقده في جزيرة ساموس أبحرت البحرية اليونانية باتجاه منطقة المضايق، وقامت بالاستيلاء على جزيرة سستوس قبل العودة مرة أخرى إلى بلاد اليونان استباقاً لبدء فصل الشتاء سبتمبر 479 هيرودوت Herodotus الكتاب التاسع الفقرات 114-121 ، وفي وجه هذين الخيارين -إما إقليم أيونيا أو بابل- مال الملك إلى الخيار الثاني، وذلك بالتأكيد بسبب الأهمية الكبيرة التي كانت لبابل حيث أنها كانت تقع في قلب الإمبراطورية الفارسية، وقد قام ميجابيزوس Megabyzus بقيادة الهجوم ضد بابل أكتوبر 479 ، ولكن حتى مع ذلك، لم يقم كسركسيس Xerxes بالتخلي عن جبهة آسيا الصغرى حيث ترك هناك جنوداً على درجة عالية من التدريب .

5- الهزيمة الفارسية: أسبابها ونتائجها:

بعض التساؤلات:

رأينا كيف أنه من منظور اليونانيين ومن وجهة نظر عدد كبير من المؤرخين المعاصرين، كان عام 479 عاماً حاسماً في مسار التاريخ الأخميني فصل 1-13 بالأعلى ، وقد قمنا أيضاً بالتأكيد على تشويه الحقائق الذي كان موجوداً في التحليلات القديمة، ولكن لا يجب أن تحل تفسيراتنا الأيديولوجية للمصادر اليونانية محل الأدلة المادية الملموسة، حيث إننا بمجرد إزالتنا لشبح «الانحلال» نجد أن أكثر النصوص تحيزاً تعبر عن بعض الحقيقة، وهكذا فإنه من الملائم أن نستعين ببعض الأسئلة والتي بقدر ما يسهل صياغتها نجد أن الإجابة عليها صعبة فمثلاً: كيف يمكن تفسير الهزيمة الفارسية؟ ما مدى ضخامة نتائج هذه الهزيمة؟ كيف يمكن تقييم وضع كسركسيس Xerxes حوالي

عام 479؟ وسوف نقوم مسبقاً بالتأكيد على أن حالة الأدلة المتوافرة تسمح في أفضل الأحوال بتقديم عدد قليل فقط من التعليقات والافتراضات التفسيرية، والتي تتسم كلها أو في معظمها بدرجة مرتفعة -قلت أو زادت- من عدم التأكد من صحتها.

الأسلحة والتكتيكات:

حتى لا نقول ما هو أكثر من ذلك، فإن الهزائم الفارسية تكشف على الفور عن مدى ضعفهم على الصعيدين التكتيكي والعسكري، في ذلك الوقت على الأقل، وللأسف فإنه ليس من السهل تحديد أسباب ذلك، ويرجع هذا إلى أن حالة التناقض وعدم الاكتمال التي تتسم بها المصادر القديمة تجعل من الصعب -على وجه الخصوص- القيام بإعادة تركيب وتجميع الأساليب الحربية الفارسية بالتفصيل، بما فيها تلك الأساليب التي تم استخدامها في أهم معركة برية خاضوها وهي معركة بلاتيا.

وفي البداية، يتجلى لنا كيف أن الفرس وضعوا ثقة غير محدودة في فرسانهم، حيث إنه باستخدام أحصنتهم السريعة والتي كما يقول هيرودوت Herodotus «كانت أسرع من أفضل الركائب اليونانية» وهي الخيل الثسالية الكتاب السابع الفقرة 196 ، كان الخيالة الفرس في وضع يمكنهم من إنهاك جيش العدو -كما حدث في موقعة بلاتيا- حيث قامت إحدى كتائب الخيالة الفرس بتطويق الفرقة الفوكية: «قام الخيالة الفرس بمحاصرة هؤلاء الرجال غير المحظوظين، وشرعوا في الإطباق عليهم وأسلحتهم موجهة نحوهم حتى يبيدوهم، ووجهوا بعض رماحهم صوب الرجال الفوكيين، لكن الفوكيين صمدوا واقتربوا من بعضهم البعض، وقاموا بالتلاحم مع بعضهم، وسد الثغرات الموجودة بينهم» الكتاب التاسع فقرة 18 .

ولم تتمكن فرقة الميجاريين -الذي كانوا يقاتلون إلى جوار الفوكيين- من مجاراة خيالة الفرس، وسرعان ما اضطرت إلى طلب

إعفائها من المهمة التي تم تكليفها بها الكتاب التاسع الفقرة 20 ، ولقد كان هؤلاء الخيالة مسلحين بالرماح والأقواس الكتاب التاسع فقرة 49، راجع زينوفون Xenophon، Anab الكتاب الأول الفقرة 8-3 ، وكانوا يهاجمون في شكل سرايا من الخيالة الكتاب التاسع الفقرة 22 ، وكانوا يقذفون الرماح ويطلقون الأسهم، متحاشين الالتحام والاشتباك اللصيق مع العدو الكتاب التاسع الفقرات 49، 52 ، وللحديث عنهم بشكل سليم لم يكن هؤلاء الخيالة يهاجمون - وهو الشيء الذي كان مستحيلاً- بدون امتطائهم خيولهم، ولكن كان يقومون باستمرار بالتحرش بأعدائهم IX، 57 .

ويذكرنا ذلك النمط من القتال الذي وصفه هيرودوت Herodotus إلى حد ما بالأساليب التي استخدمها الخيالة الساكيون، والتي واجه قادة جيش الإسكندر Alexander المقدوني صعوبات بالغة في التغلب عليها في آسيا الوسطى، حيث قام الساكيون -الذين كانوا رماة مهرة من على صهوات جيادهم- بإمطار المشاة اليونانيين والمقدونيين بوابل من الأسهم، وألقوا الذعر في قلوبهم عندما تمكنوا من تطويقهم، وأخذوا يطلقون عليهم فيضاً من رماحهم وأسهمهم، ثم قاموا بعد ذلك بقطع هذا الهجوم فقط ليقوموا بمواصلته مراراً وتكراراً أريان الكتاب الرابع الفقرات 9-405 ، وقد برز الخيالة الساكيون أيضاً خلال معركة بلاتيا الكتاب التاسع الفقرة 71 .

لم تكن فرق خيالة الفرس خفيفة الحركة فحسب، ولكنها كانت أيضاً مصفحة ومدرعة بدرجة كبيرة، وهذا مثال على الطريقة التي يصف بها زينوفون Xenophon خيالة الفرس في جيوش قورش Cyrus الأصغر: «كان في القلب يوجد قورش Cyrus وفرسانه، وكان هؤلاء الفرسان مسلحين بدروع واقية للصدر وقطع لحماية الفخذين، وكانوا جميعاً -باستثناء قورش Cyrus - يرتدون خوذات على رؤوسهم، وعلى الرغم

من ذلك دخل قورش Cyrus المعركة وهو مكشـوف الـرأس، وكـانوا يلبسـون خيـولهم قطعاً من الدروع لحماية مقدمة الرأس، ودروعاً لحماية الصدر ...» أناب الكتـاب الأول الفقرة 8-6 .

ويصـف لنـا هـيرودوت Herodotus درع الصـدر النفـيس الـذي كـان يرتديـه الماسيستيوس الفارسي، والذي تمكن اليونانيون من إسـقاطه مـن عـلى صـهوة جـواده في معركة بلاتيا، حيث إنهم حاولوا قتله، ولكن السبب الذي أعاقهم عـن قتلـه عـلى الفـور هو الدرع الذي كان يرتديه والذي كان مكوناً من صـفائح ذهبيـة يضـعها تحـت التنـك القرمزي الذي يرتديه، ولم يكن لأية ضربة من الضربات التي تلقاها على هذا الـدرع أي تأثير ...» الكتاب التاسع الفقرة 22 ، ولقد أضافت فيما بعد إحدى الوثائق البابلية التي تعود لفترة حكم دارا Darius الثاني بعض التفاصيل المثـيرة، حيـث إن كـل فـارس مـن الفرسان الذين يـتم اسـتدعاؤهم ليتفقـدهم الملـك كـان يجـب أن يكـون مـزوداً بـدرع حديـدي للصـدر، ودرع للعنـق، وغطـاء مصـفح للـرأس، وغطـاء لمـؤخرة العنـق، ودرع نحاسي، بالإضافة إلى 120 سهماً Uc 9/3 .

ولكن استخدام مثل هذه القـوة يشـتمل عـلى عـدد مـن المسـاوئ والعيـوب، ففـي البداية وقبل كل شيء، فرض استخدامها قيود مكانية على القيادة الفارسية، حيث إن هـؤلاء الخيالة لا يستطيعون المناورة سوى على سـهول فسـيحة مسـتوية السـطح تقريبـاً، ويقـول هـيرودوت Herodotus إن ميلتيـاديس Miltiades نصـح داتـيس Datis بـالنزول في سهل ماراثون في عام 490؛ لأنه اعتقد سـواء أكـان محقًّـا أم مخطئـاً أن «أقـرب جـزء مـن أراضي أتيكا لمدينة إرتريا، وأيضاً أصلح أرض بالنسبة لخيالة الفـرس للمنـاورة هـي في سـهل ماراثون» الكتاب السادس الفقرة 102 ، «ولقد غادر ماردونيوس Mardonius أتيكا لأنها كانت أرضاً غير مناسـبة بالنسـبة لفرسـانه» الكتـاب التاسـع الفقـرة 13 ، وقـد سـقط مـن

الميجاريين ألف قتيل خلال الاشتباكات التي سبقت المعركة في بلاتيا، لأنه «تصادف أن أكثر النقاط اليونانية انكشافاً وعرضة للاختراق من جانب خيالة الفرس كانت هي تلك النقطة التي يحتلها الميجاريون»، الكتاب التاسع الفقرة 21 ، ولكن يبدو من المحتمل - إلى حد ما- أن اليونانيين عرفوا بالضبط كيف يختارون الموقع الذي يؤدي إلى تحييد دور العديد من فرق ماردونيوس Mardonius وإصابتها بالعجز ديودورس Diodorus الكتاب الحادي عشر الفقرة 30-6 ، وقد كتب أريان بعد ذلك بكثير أن هزيمة الفرس في إسوس يمكن تفسيرها بأنها كانت ناتجة عن الاختيار السيء لأرض المعركة، والذي لم تكن ملائمة لانتشار الفرسان وانتشار الفرق العديدة التي كان يتكون منها جيش دارا Darius الثالث الكتاب الثاني الفقرة 6-3، 6-6 ، وكان الوضع مختلفاً -إلى حدٍ ما- في حالة جوجاميلا «والتي كانت سهلاً خالياً مناسباً لتحركات الخيالة، وإذا كانت هناك أية أجزاء بارزة في ذلك السهل، كان دارا Darius يصدر أوامره بتسويتها حتى تصبح منبسطة ومساوية لباقي أجزاء السهل» كوينتوس كورتيوس Quintus Curtius الكتاب الرابع الفقرتان 9، 10 - أريان الكتاب الثالث الفقرة 8-7 .

بالإضافة إلى ذلك، فإنه كان من الصعب تحريك هؤلاء الفرسان المزودين بعدد كبير وثقيل من الدروع -كما فسر لنا ذلك زينوفون Xenophon - والذي كان على إطلاع جيد بالأمور العسكرية وبشؤون الفروسية، وكان أيضاً شاهد عيان على مآثر وإنجازات قورش Cyrus الأصغر .

ولم يحدث أبداً أن عسكر البربريون على مسافة أقل من 60 ستاديا أي ما يعادل 11 كم من المعسكر اليوناني؛ وذلك خوفاً من أن يقوم اليونانيون بمهاجمتهم أثناء الليل، وبالنسبة للجيش الفارسي فإن وقت الليل هو وقت مؤسف ومحزن، حيث كانوا يقومون بتقييد أحصنتهم بحبل

مشدود إلى وتد، وعادة ما كانوا يقومون بتقييد قوائمها أيضاً؛ وذلك لمنعها من الهرب في حالة ما إذا تحررت من الأحبال المربوطة بها، وفي حالة إصدار إنذار للجيش، فإنه كان يتعين على الفارس القيام بربط السرج على حصانه وإلباسه اللجام أيضاً؛ ثم كان يقوم هو بارتداء درع الصدر الخاص به وامتطاء جواده، وهي كلها أمور يصعب فعلها في الليل، وفي وسط مثل هذا الارتباك أناب، الكتاب الثالث 4، 34-35 .

وقد كان درع الرجل -الذي هو عبارة عن درع ذي صفائح معدنية لكل من الفارس والجواد، وكان يحمي كلاً من صدر الحصان وقدمي الفارس- خطيراً على وجه الخصوص، ففي اللحظة التي كان يصاب الحصان فيها بالذعر أو يجرح، كان يقذف بالفارس من فوقه، وغالباً ما كان يتسبب درع الرِّجل في جرح الفارس، وفي حالة نزول الفارس على الأرض فإن لا يصبح له أي نفع على الإطلاق كما لو كان ميتاً هيرودوت Herodotus الكتاب التاسع الفقرة 22 ، ويمكن أن نضيف أنه حتى يحقق خيالة الفرس درجةً ما من الكفاءة والفاعلية، كان يتوجب عليهم التحرك بإنضباط صارم، وكانت يؤدي مقتل قائد الفرقة إلى ترك الخيالة ليتصرفوا كما يتراءى لكل منهم، كما يمكننا رؤية ذلك من الوصف الذي تم تقديمه لمقتل ماسيستيوس Masistius : «لقد فقدوه، حيث إنه لم يعد هناك من يصدر لهم الأوامر»، وبدلاً من الهجوم في شكل سرايا من الخيالة كاتا تيليا كانت القوة بأكملها تركب الخيول وتشارك في هجوم جماعي الكتاب التاسع الفقرة 22 ، ونتيجة لذلك لم يتمكن الفرس من استرجاع جثة ماسيستيوس Masistius الكتاب التاسع الفقرة 23 .

والشيء اللافت للانتباه هو أن القادة الفرس كانوا غير قادرين أو غير راغبين في التفكير في إعداد تكتيكات تعمل على التوحيد والربط الدقيق بين المشاه والخيالة إلا في حالة بعض الاشتباكات وليدة اللحظة، والتي لم تكن منسقة في الحقيقة الكتاب التاسع الفقرة 23 ، ويبدو أن خيالة

الفرس لم يتمكنوا أبداً من اختراق صفوف الكتلة المتحـدة والمترابطـة للمشـاة اليونـانيين الكتاب التاسع الفقرتـان 60-61 ، وفي بلاتيـا قـام مـاردونيوس Mardonius مـن فـوق صهوة جواده بقيادة قواته في صورة فرق مزدوجة، ولكن سرعـان مـا تبعتـه كتائـب أخـرى، والتـي كانـت تتقـدم في أقصى درجـة مـن الفـوضى وعـدم النظـام، «وبـدون أيـة محاولـة للمحافظة على الترتيب أو النظام المتفق عليه، حيث كـانوا عبـارة عـن حشـد مـن الغوغـاء ينطلق وهو يصيح ويصرخ، ولم يكونوا يتخيلون أنهم بعد وقت قصير سوف يفرون هاربين» الكتاب التاسع الفقرة 59 ، وقد كان الأسلوب المفضل للفرس يتمثـل في القيـام بإنشـاء نـوع من الجدران يتكون من دروعهـم المغروسـة في الأرض، وبوجـود مثـل هـذه الحمايـة كـانوا يقومون بإطلاق السهام وقذف الرماح على المهاجم لتخويفه وترهيبه الكتاب التاسع الفقرة 61، 100 ، ولكن -وكما يذكرنا بوسانياس Pausanias الكتاب التاسـع الفقـرة 46 - فقـد اكتسب اليونانيون خبرة من معركة ماراثون، حيث كانوا -على حد علمنا- أول من لجـأ إلى الهجوم على العدو وهو يعدو ...» الكتاب السـادس الفقـرة 112 ، وبمجـرد أن قـام جنـود الهّبليت المشاة اليونانيون بهذه المناورة، تم اختراق السـور الـواقي المكـون مـن الـدروع، وبعدها إضطر مشاة الفرس إلى التوقف عـن اسـتخدام أقواسـهم، ولم يتمكنـوا بعـد ذلـك من مضاهاة ومضارعة اليونانيين -مثلما حدث قبل ذلك في بلاتيا- الكتـاب التاسـع الفقـرة 62 ، وميكـالي الكتـاب التاسـع الفقـرة 102 ، وتحليـل هـيرودوت Herodotus حـول هذه النقطة يشوبه الالتباس: «في الشجاعة والقوة كان مشاة الفرس عـلى درجـة البراعـة نفسها مثل خصومهم، ولكن كان عنـدهم قصـور في الـدروع، وكـانوا غـير مـدربين، وكـانوا أقـل بكثـير في المهـارة مـن خصـومهم، ولقـد قـاموا بـالهجوم عـلى الإسـبرطيين، أحيانـاً فرادى وأحياناً في مجموعـات مـن 10 جنـود وربمـا أقـل وربمـا أكـثر، ولكـن تـم صـدهم

وتشتيتهم، وقد كان السبب الرئيس وراء هزيمتهم وارتباكهم هو نقص ما لديهم من عتاد، حيث إنهم لم يكونوا مسلحين بشكل جيد، وكانوا يواجهون جنوداً مشاة مسلحين تسليحاً كثيفاً» الكتاب التاسع الفقرتان 62-63 ، وبالمثل يؤكد هيرودوت Herodotus في روايته عن معركة ميكالي على شجاعة الفرس؛ ولكنه يُظهر وبوضوح أنه بمجرد أن تم إسقاط ذلك السور الواقي المكون من الدروع، لم يكن لديهم سوى شجاعتهم ليستخدموها في مواجهة الآلة المرنة التي تمثلها الكتائب اليونانية الكتاب التاسع الفقرة 102 ، وفي الواقع فإن كلا المعركتين وبلا شك جاءت نتائجها على العكس مما كان يتوقعه الفرس، فقد فاز المشاة في ذلك اليوم راجع الكتاب التاسع الفقرات 28-31 ، وفي نهاية معركة بلاتيا على سبيل المثال، كان خيالة ماردونيوس Mardonius مازالوا سالمين كما هم تقريباً الكتاب التاسع الفقرة 69 ، ولكن بمجرد أن تم صدهم، تحولت قوات ماردونيوس Mardonius والذي كان قد لقي مصرعه إلى الاحتماء خلف السياج الذي كان قائدهم قد بناه لهذا الغرض قبل المعركة الكتاب التاسع الفقرة 15 ، ولكن سرعان ما تمكن الأثينيون من إختراقه، «حيث إنهم كانوا على معرفة وخبرة بكيفية مهاجمة الحصون» الكتاب التاسع الفقرة 70 .

الفرس والآخرون:

يؤكد هيرودوت Herodotus على شجاعة الفرس في أماكن عديدة، ففي ميكالي، وبعد أن سقط السور الواقي الذي أقاموه من دروعهم، «لم يبد العدو المزيد من المقاومة الحقيقية، حيث ولوا الأدبار جميعاً وفروا هاربين باستثناء القوات التي موطنها الأصلي هو بلاد فارس» الكتاب التاسع الفقرة 102 ، وفي موقعة بلاتيا أحاطت بماردونيوس Mardonius فرقة من خيرة جنود الفرس، وأبدوا مقاومة لا هوادة فيها ولا استسلام الكتاب التاسع الفقرة 62 ، ويعبر هيرودوت Herodotus

عما يعتقده كما يلي: حيث يذكر أن حلفاء الفرس ونقصد بهم الفرق العسكرية العرقية الأخرى لم يقاتلوا بشجاعة وجرأة، ويضيف فيما يتعلق بمعركة بلاتيا: «من الواضح تماماً أن كل شيء كان يعتمد على الفرس: حيث إن باقي فرق ماردونيوس Mardonius قد ولت الأدبار بمجرد رؤيتهم للفرس وهم يتقهقرون، وحتى قبل أن يلتحموا مع العدو» الكتاب التاسع الفقرة 68 .

ومن المحتمل أن هذا التحليل يذهب إلى حد بعيد للغاية، ومن المؤكد أن هيرودوت Herodotus في بعض الأحيان يقوم باستخدام كلمة الفرس بمعنى عريض وشامل، فعلى سبيل المثال -وطبقاً لما يقوله- فإن جميع أطقم الأسطول كانوا من الفرس والميديين والساكيين الكتاب السابع الفقرة 96-184 .

ويذكر أيضاً فيما يتعلق بمعركة بلاتيا: «من بين مشاة العدو، كانت الفرقة الفارسية هي أفضلهم في القتال؛ ومن بين الفرسان، كان الفرسان الساكيين هم الأفضل» الكتاب التاسع الفقرة 71 ، ومما لا شك فيه أن كل قائد من قادة الفرق العرقية الأخرى في الجيش الفارسي كان يعتمد بشكل أساسي على الفرقة الفارسية، ويبني قراره اعتماداً على ما يبدر منها من تصرفات، وفي مقابلة الفرقة اللاسيدمونية -والتي كانت بالتأكيد أسمى الفرق من حيث شهرتها الحربية وولعها بالقتال- الكتاب التاسع الفقرة 58 ولقد قام ماردونيوس Mardonius على رأس «صفوة» فرق المشاة الذين هم أصلاً من فارس -والذين تم تمييزهم بدقة عن الميديين- بقيادة الجيش في الهجوم الذي شنوه على اليونانيين الكتاب التاسع الفقرة 59 .

هل يمكن أن نستنتج من ذلك أن هذا الخلاف في الموقف يعكس أيضاً دوافع سياسية؟ يمكننا أن نتخيل مسبقاً أن الفرس قاتلوا بمرونة فائقة؛ لأنهم كانوا يدافعون عن مصالح شعبهم ومصالح ملكهم راجع

ديودورس Diodorus الكتاب الحادي العشر الفقرة 35-4 ، وهي المصالح التي لم تتلاقَ بالضرورة مع مصالح الشعوب التي تم تجنيدها عن طريق القرعة لملء الفراغات واستكمال صفوف الجيش الفارسي، ونحن نعرف بالميل الموجود لدى المؤلفين اليونانيين لنقل صورة معينة على وجه الخصوص عن هذه الفرق، حيث يصورونها على أنها فرق عسكرية تم إجبارها على الزحف باتجاه بلاد اليونان تحت تهديد السياط، وذلك على العكس من اليونانيين الذين كانوا يقاتلون دفاعاً عن حريتهم، ولكن من الصعب أن نكون متيقنين حول أي من هذه الأمور -على الرغم من كونها من الأساسيات، وبالنسبة للتصرف الذي قامت به بعض الفرق العسكرية الأيونية خلال معركة ميكالي وخاصةً بعد انتصار اليونانيين فإنه يبدو مثالاً محدداً للغاية ولا يمكن أن نعمم منه قائلين بأنه كان أتجاه عام عند الشعوب الأخرى. ولقد اضطر هيرودوت Herodotus إلى الإقرار بأنه حتى في موقعة سلاميس، فإنه كانت توجد أقلية من اليونانيين أرادوا تبديل الصف الذي يحاربون تحت رايته الكتاب الثامن الفقرة 11 ، وكانت من بينهم بعض الفرق التي شاركت في أسطول كسركسيس Xerxes ، ولكنه يركز بدلاً من ذلك على هؤلاء الذين قاتلوا ببسالة تحت نظر كسركسيس Xerxes والذي كانوا ينتظرون منه المكافآت والميزات والتي أعطاهم قام بإعطائهم إياها بالفعل الكتاب الثامن الفقرة 85، 90 ، ومن الصحيح أيضاً أن وجود بعض الفرق البحرية التي كانت خالصة الولاء لكسركسيس Xerxes الفرس، الميديين، السكاكيين قد أسهم بالتأكيد في الحفاظ على الانضباط على متن سفن الأسطول، وعلى الرغم من ذلك فإن هيرودوت Herodotus يقدم تفسيرات على الصعيد التكتيكي مشابهة لما كان قد أكد عليه في معركة بلاتيا: «لقد قاتل البربريون في ميناء سلاميس في حالة من عدم النظام، وكانت صفوفهم غير منتظمة على العكس من حلفائهم اليونانيين» الكتاب الثامن الفقرة 86، 89 .

ولا بد أن يتم تفسير قرارات قادة أركان الجيش أو المخططين العسكريين على أساس عسكري بحت، وعندما يذكر هيرودوت Herodotus أن الفرس كانوا «يعانون من نقص في الدروع، وأنهم كانوا غير مدربين وأقل كثيراً في المهارة»، الكتاب التاسع الفقرة 62 ، فإنه لا يشير بذلك إلى الفرس ذاتهم الذين موطنهم هو بلاد فارس، حيث إن التعليم والتدريب الذي يحصلون عليه كان يؤهلهم لأن يصبحوا فرساناً متميزين انظر فصل 8-3 ومتمرسين على ذلك النوع من الأنشطة الذي يطلب منهم في المعركة راجع إيليان Aelian، Anim ، الكتاب الثالث فقرة 2، الكتاب السادس عشر الفقرة 25 ، ويمكن أن نفترض الشيء نفسه بالنسبة للمشاة، ومن المحتمل أيضاً أنه مثلما فعل القادة الفرس في كيليكيا في نهاية العقد الرابع من القرن الخامس ق.م ديودورس Diodorus الكتاب الحادي عشر الفقرة 75-3 ، وكما فعل دارا Darius الثالث قبل معركة جوجاميلا ديودورس Diodorus الكتاب السابع عشر الفقرة 53-4، 55-1 ، فإن كسركسيس Xerxes قد اهتم بتدريب قواته، ومن المحتمل أيضاً أن العديد من الساكيين في جيش كسركسيس Xerxes لم يتم تجنيدهم مباشرة من آسيا الوسطى، ولكن تم جلبهم من المستعمرات العسكرية الموجودة في بابل وفي أماكن أخرى، وهكذا فإن تسليحهم كان مماثلاً لتسليح الفرس»، وعندما يميز هيرودوت Herodotus البحارة بأنهم كانوا من الفرس والميديين والساكيين الكتاب السابع الفقرات 96-184 ، فإن هذا يشير إلى أنه كان يتم تسليحهم وتدريبهم مع بعضهم وبالأسلوب نفسه، وهو الشيء الذي ليس مؤكداً في حالة البحارة ذوي الأصول الأخرى مثل المصريين والذين تم ذكر اسمهم في واحدة من ملخصات هيرودوت Herodotus الكتاب الثامن الفقرة 32 .

وهكذا كان هذا الاتجاه هو السائد في الجيوش الأخمينية، ففي

معركة ماراثون احتل الفرس والساكيون مركز القلب في جيش داتيس Datis ، وكانوا محاربين ممتازين، ولكن ما حدث هو أن «الأثينيين والبلاتيين الذين كانوا يمثلون جناحي الجيش الأثيني قد انتصروا على الفرق التي تحتل جناحي الجيش الفارسي»، وهكذا تمكنوا من تطويق الفرس والساكيين الكتاب السادس الفقرة 113 ، لكن ولسوء الحظ، فإننا لا نعرف أيًّا من الفرق كانت تحتل جناحي الجيش الفارسي، وفي موقعة بلاتيا قام ماردونيوس Mardonius بوضع الفرق العسكرية الإيرانية في قلب جيشه وهم: الساكيين - الهنود - الباكتريين ثم الميديين والفرس، ووضع الفرق العسكرية المرسلة من حلفاء الفرس في جناحي الجيش الأوروبيين في الجناح الأيسر، الفرق الأخرى في الجناح الأيمن بما فيها البحارة المصريين ، وبمجرد أن أدرك الخيالة الملكيون استحالة اختراق الصفوف المنظمة للكتائب وللمشاة اليونانيين لجأوا إلى اتباع التكتيك التقليدي المتمثل في بناء سور واقٍ من الدروع، وقد كانت نتيجة المعركة مؤكدة خاصة إذا وضعنا في اعتبارنا التأثير الكارثي لخسارة القادة المسؤولين عن تنظيم الهجمات التي تشنها الفرق الكتاب التاسع الفقرتان 22-23 .

أرتابازوس Artabazus وماردونيوس Mardonius :

يقدم لنا هيرودوت Herodotus إحدى المناظرات الساخنة التي دارت بين أرتابازوس Artabazus وماردونيوس Mardonius في عام 479، ولقد قام أرتابازوس Artabazus والذي تم تصويره على أنه «أحد الأشخاص الفرس القلائل الذين كان يضعهم كسركسيس Xerxes في منزلة خاصة»، قام بنصح ماردونيوس Mardonius بعدم خوض هذه المعركة، وقد استحضر ماردونيوس Mardonius «الطريقة الفارسية القديمة الجيدة» ويقصد بذلك «الدخول في المعركة» الكتاب التاسع الفقرة 41 ، وذلك في محادثة تم إعادة تجميعها مرة أخرى والتي

تذكرنا بالأحاديث التي نسبها ديودورس Diodorus إلى المرزبانات الفرس في عام 334 الكتاب السابع عشر الفقرة 18-2 ، ويقول هيرودوت Herodotus أن أرتابازوس Artabazus كان «رجلاً ذو بصيرة»، ويعزي هيرودوت Herodotus فيما بعد ارتداد أرتابازوس Artabazus في ذروة المعركة إلى الغيرة الكتاب التاسع الفقرة 66 ، والمقارنة بين هذين الرجلين التي تظهر في رواية هيرودوت Herodotus تبدو مقبولة، لدرجة تجعلنا نشك في أنها تعكس الحقيقية الفعلية، ولا يوجد لدينا تفاصيل عن ذلك، ويقول هيرودوت Herodotus أيضاً عن أرتابازوس Artabazus أنه «كان معروفاً بالفعل في الجيش الفارسي، وأن شهرته زادت أكثر بعد معركة بلاتيا» الكتاب الثامن الفقرة 125 ، وفي الحقيقة نحن نعرف أنه سرعان ما تم منحه مرزبانية داسيليوم ثيوسيديدس Thucydides الكتاب الأول الفقرة 129-1 ، ومن المؤكد أنه قدم إلى ساردیس لينتقد ما فعله ماردونيوس Mardonius أمام كسركسيس Xerxes ، ومن المفارقات أن هذا هو السبب الذي جعل هزيمة بلاتيا تكسبه ترقية وعلواً في القدر بين حاشية الملك .

ولكن، وعلى الرغم من أن الحياة المهنية لأرتابازوس Artabazus تشير إلى أن الفرس لم يعودوا يذكروا ماردونيوس Mardonius بالحسن من أعماله راجع الكتاب الثامن الفقرة 99 ، إلا أن هذا لا يعني أن الخطة التي كان يدافع عنها أرتابازوس Artabazus كانت أفضل خطة يمكن اتباعها في عام 479، إلا إذا قمنا بتتبع أسباب الأحداث بعد وقوعها كما فعل هيرودوت Herodotus ، هل كان من الممكن أن ينتظر الفرس فترة أطول؟ وهل كان ممكناً أن يقوموا بقضاء شتاء آخر في أوروبا بينما كانت البحرية اليونانية تستعد للانطلاق في بحر إيجه؟ من المحتمل أن القائد العام ماردونيوس Mardonius قد تلقى أوامر من كسركسيس Xerxes في تلك الأثناء، وبالنظر إلى هذه الظروف فإنه يبدو من الصعب اتباع

هيرودوت Herodotus ومؤلفين قدامى آخرين عندما يقوموا بتحميل ماردونيوس Mardonius المسؤولية الكاملة عن الهزيمة في بلاتيا، ومن المحتمل أن أي قائد عسكري في الموقف نفسه كان سيقوم باتخاذ القرار التكتيكي ذاته، ويرجع ذلك ببساطة إلى أن هذا القرار يتوافق مع المتطلبات ذات الصلة بتسليح وأسلوب الجيش الملكي في القتال، حيث إن الفرس كانوا معتادين على الفوز بالمعارك بفضل فرسانهم والتي منحتهم غالباً التفوق في المعارك التي خاضوها ضد اليونانيين في آسيا الصغرى، وقد ارتكب القائد الفارسي في عام 479 خطأين: الأول، لم يقم باستغلال خيالته الاستغلال الأمثل والتي يبدو أنها لم تشارك لا في ماراثون ولا في ميكالي ، ثانياً، يبدو أنه لم يستوعب أن خصمه هذه المرة مختلف بعض الشيء، ومن الواضح أن الفرس -وبالرغم من الخبرة التي حصلوا عليها من معركة ماراثون- لم يدركوا نتائج ثورة الجنود الهبّليت جنود المشاة الأثنيين في اليونان، أو على الأقل لم يستشفوا منها الاستنتاجات الضرورية، ولكن كيف يعقل أنهم لم يفعلوا ذلك؟

نتائج الهزائم: الخسائر الفارسية:

يتم التأكيد بشكل متكرر -في إطار النتائج التي أعقبت هذه الهزائم- على ضخامة الخسائر الفارسية، والتي إن صحت فلا بد أنها قد سببت قصوراً دائماً على الصعيد العسكري للإمبراطورية، إلا أنه لا يوجد لدينا أي دليل قابل للتصديق مهما كان، والذي يسمح لنا بتقدير أعداد القتلى بأية درجة من التأكد، ويبدو لنا أن هذا الانطباع عن وقوع خسائر فادحة في صفوف الفرس ينبع أساساً من إسشيلوس Aeschylus ، والذي ذكر عدة مرات أن شباب بلاد فارس بالكامل قد لقوا مصرعهم في هذه المعركة راجع الفصل 13-1 بالأعلى ، وباستثناء قيام إسشيلوس Aeschylus بسرد أسماء النبلاء والقادة الذين لقوا مصرعهم في موقعة سلاميس، فإن ما لدينا من معلومات عن القتلى في صفوف الفرس نتيجة المعارك التالية

محدود للغاية، ولكن هيرودوت Herodotus لم يؤكد ذلك الفرس 303-330 هـيرودوت Herodotus الكتاب الثامن الفقرة 89 ، والذي يكتب ببساطة أن: «من بين القتلى في هـذا الصراع كـان أريـابجنيس Ariabignes ابـن دارا Darius وأخـو كسركسـيس Xerxes والعديـد مـن وجهـاء بـلاد فـارس وميـديا ووجهـاء الأمـم المتحالفـة»، ولقـد قُتِـل كـل مـن ماسيستيوس Masistius وماردونيوس Mardonius في بلاتيا الكتـاب السـابع الفقـرات 22-23، 64 ، وقتـل اثنـان مـن القـادة الفارسـيين في معركـة ميكـالي وهـم مـاردونتيس Mardontes وتيجـرانيس Tigranes الكتـاب التاسـع الفقرتـان 102-103 ، ويـذكر هيرودوت Herodotus أيضاً مصرع اثنين مـن إخـوة كسركسـيس Xerxes غـير الأشـقاء وهما أبروكومـاس Abrocomas وهيبيرانثـيس Hyperanthes ، وكـان ذلـك في موقعـة ثيرموبلاي الكتاب السابع الفقرة 224 ، وبلا شـك فإنـه يمكـن إضـافة العديـد مـن الأسـماء الأخـرى إلى مثـل هـذه القـوائم الانتقائيـة راجـع بلوتـارك Plutarch ، ثيمسـتوكليس Themistocles الفقـرات 14-3، 14-4، Arist الفقـرات 9-1، 9-2، إلـخ ، ولكـن هـذه الخسائر لم تكن حاسمة بأي شكل من الأشكال، حيث إن الشعب الفارسي اسـتمر في النمـو والازدهار، وتمكنت الأمة الفارسية بشـكل مثـالي مـن إعـادة الامـتلاء بالسـكان مـرة أخـرى وبطريقة طبيعية .

تبعات هذه الهزائم: انتكاسات إقليمية:

وعندما نتناول أراضي الإمبراطورية، فإن النتيجة تكون مختلفة، فإذا قارنـا الوضـع بعد هزيمة ميكالي مع الأقاليم التي كان يحكمها الفرس عند وفـاة دارا Darius ، نجـد أن أهم الخسائر كانت في منطقة بحر إيجة، حيث تركت الهزائم البحريـة السـاحة فارغـة لليونانيين، ومن المحتمل أنه حتى قبل هزيمة ميكالي كانت معظم الجزر التي كان قـد تـم غزوها في عام 490 كانت قد انفصلت عن الفرس، وعلى الـرغم مـن ذلـك فإننـا يجـب أن

نذكر أنه عندما غادر كسركسيس Xerxes ساردیس وحتى في نهاية عام 479، فإن الخسائر في آسيا الصغرى نفسها كانت ضئيلة، وما يسميه هيرودوت Herodotus بالثورة الأيونية الثانية كانت بدون أي تأثير كما كان الحال مع الثورة الأولى، حيث ظلت مدن البر الرئيسى لآسيا الصغرى تحت سيطرة الفرس، وعلى الجهة الأخرى، وعلى العكس من التفسير الذي يمكن أن نستنتجه من صمت المصادر اليونانية، فإن كسركسيس Xerxes استمر في الاهتمام بالجبهة الغربية، فقبل مغادرته لساردیس قام باتخاذ بعض الإجراءات العسكرية والاستراتيجية، وذلك تبعاً لما يذكره ديودورس Diodorus والذي لم يذكر التفاصيل مع الأسف الكتاب الحادي عشر الفقرات 36، 37 ، ومن الواضح أنه لا يجب الاستخفاف بمدى ضخامة تلك الهزائم والانتكاسات، وكذلك أيضاً لا يجب أن نقلل من مدى خطورة الأخطاء التي ارتكبها كسركسيس Xerxes ومستشاروه، ولكن نود أن نؤكد على أنه في ذلك الوقت أي عام 479، لم يكن الكتاب قد تم إغلاقه بعد، فلم يكن أحد يعلم في ذلك الوقت إن الأثينيين سوف يقومون بشن هجوم شامل في الفترة ما بين عامي 460-470، ومن المشكوك فيه على الأقل أن الفرس كان عندهم أي علم بهذا الهجوم في ذلك الحين، ومن المؤكد أن الفرس كانوا يدركون أن الإسبرطيين قد عزموا على عدم البقاء في آسيا الصغرى، حيث إنه وعلى الرغم من خبراتهم التي حصلوا عليها من المعارك التي وقعت في أعوام 479-480، 490، إلا أن الفرس كانوا في موقع جيد لمعرفة أن الإسبرطيين كانوا غير راغبين في مغادرة أراضيهم في شبه جزيرة البلوبونيز، وحتى في شبه جزيرة البلوبونيز، كان كسركسيس Xerxes على صداقة نشطة مع شعب أرجوس الكتاب السابع الفقرة 151، الكتاب التاسع الفقرة 12 ، وبمعنى آخر فإنه لا يوجد أي سبب للقول بأن كسركسيس Xerxes بمغادرته ساردیس كان

قد وصل إلى نقطة تحول فيما يتعلق بالجبهة الغربية، أو أنه قد قرر تركيز كل جهده وبشكل كامل على شؤون الأقاليم التي تقع في قلب إمبراطوريته، وعلى أية حال، وفي التفكير الاستراتيجي للملك الأكبر، ما هي الاقاليم التي كانت تمثل المحيط الخارجي؟

تبعات الهزائم: هيبة ومكانة الملك الأكبر:

تظل الحقيقة هي أن الملك الأكبر قد تعرض خلال صيف عام 479 إلى ثلاث هزائم متتالية، وأنه كان لزاماً عليه مغادرة جبهة آسيا الصغرى للقضاء على تمرد جديد شب في بابل، ونحن لا نعرف أسباب ذلك التمرد بالضبط، ولكن يمكن أن نفترض أن الهزائم الفارسية كانت هي المحرك لذلك، وأنها كانت حدثاً حاول البابليون الاستفادة منه، وبالطريقة نفسها فإن «الثورة الأيونية الثانية» كانت هي الأخرى نتيجة منطقية لانتصارات اليونانيين، وتذكرنا هذه الثورات التي تلت ثورة مصر في عام 486 بمدى هشاشة تركيب الإمبراطورية الأخمينية، بينما - وفي الوقت نفسه- يوضح إعادة غزو هذه البلاد وفتحها مدى مرونة الآلة الفارسية خاصة التفوق العسكري للفرس مقارنة مع جيرانهم في الشرق الأدنى .

ولكن هل أضعفت هذه الهزائم صورة الملك الأكبر في نظر النبلاء والمخلصين له؟ من الصعب -إلى حد ما- الإجابة عن سؤال حساس مثل هذا عند هذه النقطة، ولكن التحليلات المقدمة بأسفل سوف تعطينا تلميحات وإشارات إلى إجابته، فهناك منظوران للإجابة عن هذا السؤال، ويمكن أن نتناولهما تباعاً، ولكن يجب أن نقر قبل أن نبدأ: «إن أيًّا منها لا يمكنه أن يقدم إجابة كاملة ومرضية على هذا السؤال «ونحن نعرف الإجابة اليونانية، حيث إن عظم هزيمة كسركسيس Xerxes تم تمثيلها بالنسبة لليونانيين بعناصر معينة من الغنائم، وهي رموز السلطة الملكية التي وقعت في أيديهم، وكانت أهم تلك الرموز هي الخيمة الملكية ومسند قدم كسركسيس Xerxes . وفي روايته

Herodotus الدرامية عن انسحاب كسركسيس Xerxes بعد موقعة سلاميس، يـذكر هيرودوت أيضاً أنه في رحلته المتجهة إلى داخـل الامبراطوريـة قـام كسركسـيس Xerxes بترك عربة زيوس/ أهورا-مازدا المقدسة في سيريس في طراقيا الكتاب الثامن الفقرة 115 ، وهي العربة ذاتها التي احتلت مكـان الشرف في الموكـب الرسـمي للملـك عنـدما هـم بمغادرة سـارديس الكتـاب السـابع الفقـرة 40 ، ويضـيف هـيرودوت Herodotus أن كسركسـيس Xerxes لم يـتمكن مـن اسـترجاع تلـك العربـة، «لأن البيـونيين أعطوهـا للطراقيين، وعندما طلبها كسركسيس Xerxes منهم ادعوا أن الطـراقيين سـكان الأراضي المرتفعـة سرقـوا الجيـاد الصـغيرة مـن أحـد المراعـي، وأن هـؤلاء هـم الطـراقيين الـذين يعيشون بالقرب من منبع نهر The Strymon »، والفقـرة بأكملهـا التـي تتحـدث عـن انسحاب كسركسيس Xerxes مثار لكثير من الشكوك؛ حيث إنها لا تحاول فقط إظهار إحباط الملك الأكبر، ولكنها أيضاً تحاول أن تظهر عدم وفاء الشعوب الخاضعة له راجـع الكتاب الثامن الفقرة 116 ، وعلى الرغم من ذلك، فإنه لا يوجد سبب يـدفعنا للشـك في صحة الفصل الذي يتحدث عن العربة، وفي الحقيقة، وكـما رأينـا في الفصـل 6-3 ، فـإن العربة كانت دلالة بارزة على الطبيعة المقدسة للملك الأخميني وعلاقتـه المميـزة بالإلـه أهورا-مازدا وإلى حدٍ ما كان موقف كسركسيس Xerxes مشابهاً لموقـف دارا Darius الثالـث كـما نـراه مـن خـلال الدعايـة المقدونيـة ، والـذي قـام بعـد معركتـي إسـوس وجوجاميلا بالتخلي فوراً عن علامـات ملكـه، ولكـن وعـلى الـرغم مـن مـدى كـون هـذا الفصل موحياً في نظر اليونان، فهل من المحتمل أنه قد أفقد الملـك الأكـبر مصـداقيته في أعين الفرس؟

مـما لا شـك فيـه أن الـدعايا الملكيـة قـد أنكـرت هـذه الهـزائم، وتشـتمل لائحـة الـبلاد الموجـودة في نقـش «دايفـا» عـلى الـرغم مـن أنهـا تعـود بـلا شـك

إلى فترة لاحقة، تشمل كما لو أن شيئاً لم يحدث على الأيونيين الذين يعيشون بالقرب من البحر، والأيونيين الذين يعيشون فيما وراء البحر وسكان سكودرا، ومن المؤكد أن الحال كان مثل ذلك في عامي 480-479، وفي الحقيقة فإن فحوى الرسالة التي أرسلها كسركسيس Xerxes إلى ماردونيوس Mardonius الكتاب الثامن الفقرة 140 يشير إلى أنه من وجهة نظر كسركسيس Xerxes كان تدمير القلعة في أثينا والغنائم والأسلاب التي حصل عليها من هناك دلائل سياسية ورمزية مهمة على نجاح الحملة راجع الكتاب الثامن الفقرة 55 ، ويبدو أنه عندما عاد إلى ساردبس قام بإيداع تمثال من البرونز كان الفرس قد سلبوه من أثينا في معبد أم الآلهة بلوتارك Plutarch ، ثيمستوكليس Themistocles ، الفقرة 31-1 ، وقد صحح هذا الفعل الخطأ الذي ارتكبه الأيونيون الثائرون -قبل ذلك بعشرين عاماً- في حق معبد ساردبس راجع الكتاب الخامس الفقرة 102 ، ومن المحتمل أن الرواية الفارسية الرسمية لتلك الأحداث تنحصر فيما رواه ديو كريسوستوم Dio Chrysostom بعد ذلك بفترة كبيرة الكتاب الحادي عشر الفقرة 149 :

«في خلال حملته على بلاد اليونان، حقق كسركسيس Xerxes النصر هناك على اللاسيديمونيين في ثرموبيلاي، وقتل ملكهم ليونيداس Leonidas هناك، ثم قام بعد ذلك بالاستيلاء على أثينا وتخريبها، وقام ببيع كل سكانها الذين لم يتمكنوا من الهرب في أسواق العبيد؛ وبعد هذه النجاحات، قام بفرض الجزية فوراً على اليونانيين، ثم عاد إلى آسيا».

وتبدو هذه الرواية متحيزة، ولكن، وكما يسهل إدراك ذلك، فإنه من المحتمل جدًّا أن الملك قد أمر بنشر هذه القصة فيما بين شعوب المناطق المرتفعة تا أنو إثني بهذه الطريقة حتى لا يقوموا بإثارة القلاقل، ويذكر كسركسيس Xerxes أيضاً في نقش دايفا أنه مثل الشعوب الأخرى التي

من المعروف أنها أعلنت خضوعها للملك، قام الأيونيون بإحضار «الباجي» الخاصة بهم أي «الجزية/ الهدية».

وكما فعل إسشيلوس Aeschylus ، يصف هيرودوت Herodotus الإحباط واليأس الذي أصاب الفرس الموجودين في صوصا عندما علموا بنبأ الهزيمة في بلاتيا، ويقوم بمقارنة هذا اليأس مع احتفالهم عند سماع أنباء الاستيلاء على أثينا: «فقد غطوا الطرقات بأغصان الآس، وقاموا بحرق البخور وانغمسوا في جميع أشكال المباهج والمتع» الكتاب الثامن الفقرة 98 ، ويتوافق المهرجان الذي تم وصفه هنا في كل تفاصيله مع نظام الموكب الملكي عندما كان الملك الأكبر دخل متجهاً إلى قصره، أو عندما كانت تحييه شعوب مدنه، وكل شيء يقودنا إلى الاعتقاد بأنه عقب عودته من بلاد اليونان محملاً بالغنائم والأسلاب، ظهر كسركسيس Xerxes منتصراً مرة أخرى، وقام بإيداع الغنائم في العواصم المتعددة لإمبراطوريته كعلامات واضحة على «انتصاره» راجع أريان، الكتاب الثالث الفقرتان 16-7، 16-8؛ الكتاب الثامن الفقرة 19-2؛ بوسَيناس الكتاب الأول الفقرات 8-5، 16-3؛ الكتاب الثامن الفقرة 46-3 .

وبالطبع، فالتصريحات الملكية لا تشكل إجابة مرضية بشكل كامل؛ وذلك لأنها تعطي صورة عن الإمبراطورية كما كان يريدها أباطرة الفرس وليس بالضرورة كما هي في الواقع، وعلى الرغم من ذلك فإن هذه الإعلانات والتصاريح الملكية لديها ميزة لا يمكن إنكارها وهي أنها تقدم لنا الطريقة التي يعرض بها الفرس الأحداث مقارنة مع ما تعنيه هذه الأحداث بالنسبة لليونانيين، ونلاحظ أيضاً أن هذه لم تكن المرة الأولى التي يعاني فيها الملك الأكبر من انتكاسات أو هزائم عسكرية .

فلقد توفي قورش Cyrus في خلال إحدى حملاته العسكرية في آسيا الوسطى، وعاد دارا Darius من السهول الأوكرانية دون أن يتمكن

من غزو السيكيثيين، بالإضافة إلى ذلك، فإنه لا يوجد أي دليل على وجود أدنى إشارة عن عدم الولاء من جانب القادة أو الجنود الفرس، وقد كان القادة العسكريون دائماً متلهفين لخدمة الأسرة المالكة، وكانوا يعملون بالدرجة نفسها على تجنب غضب الملك عقب التعرض لإحدى الهزائم الكتاب التاسع الفقرة 107 ، و«التمرد» الوحيد المعروف هو ذلك التمرد الذي قا به ماسيستيس Masistes الكتاب التاسع الفقرة 113 ، والذي يبدو في سياق يُشَك كثيراً في أنه يمكن أن يكون معياراً، ومن الواضح أن من الأشياء التي لا تقبل النقاش هي افتراض -كما فعل جوستين Justin الكتاب الثالث الفقرة 1-1؛ إيليان VH XIII.3 Aelian أن اغتيال كسركسيس Xerxes بعد ذلك بـ 13 عاماً كان ناتجاً عن فقدان الملك لوضعه وهيبته بسبب الهزائم التي حدثت في عامي 480، 479، وباختصار فإن الهزائم العسكرية التي لا يمكن إنكارها والخسائر الأولية لبعض الأقاليم التي وقعت في عام 479، لم تكن من وجهة نظر الفرس كاسحة أونهائية، ولدينا كل الحق في الاعتقاد بأنهم على العكس من ذلك كانوا مستعدين لخوض حرب جديدة .

6- كسركسيس Xerxes وشعوبه:

مشكلة الطريقة:

يمكن أن ننسب إلى السنوات الأولى من عهد كسركسيس Xerxes حدوث تحول مفاجئ وجذري في السياسة الملكية تجاه الأراضي التي تم غزوها، ويمكن تقديم النظرية السائدة كما يلي: كانت للمراسيم التي يتم نسبتها إلى كسركسيس Xerxes في مصر وبابل - بعد الثورات التي قاموا بها- أغراض عديدة، منها: التخلي عن الألقاب التقليدية مثل الفرعون وملك بابل والتي كان يحملها أسلافه السابقون، وأن يدمر معابدهم وهياكلهم، وأن يقوم بتحويل البلاد التي كانت حتى ذلك الحين تحتفظ

ببنياتها التنظيمية والتركيبية التي تعود إلى ما قبل فترة الحكم الأخميني إلى مرزبانيات كاملة وبكل معنى الكلمة، وبالنسبة لبابل فقد تم استخلاص هذه النتائج من النصوص القديمة ومن الألواح البابلية؛ أما بالنسبة لمصر، فقد تم استخلاصها كما يخبرنا هيرودوت Herodotus في إحدى فقراته من أحد النقوش الهيروغليفية، ومن الصمت المفترض للمصادر، ويعتمد هذا التفسير أيضاً على أحد النقوش المشهورة لكسركسيس Xerxes والذي تم اكتشافه في نسخ عديدة مكتوبة بلغات متعددة الفارسية، الأكادية، الإيلامية في برسيبولس وبَسارجاداي زينوفون Xenophon ، وفي هذا النقش يقول الملك الأكبر إنه من ناحية قد أعاد النظام لبلد كانت قد عمتها الفوضى والاضطراب عقب توليه السلطة؛ ويكتب من ناحية أخرى أنه قد قام بتدمير هياكل ومعابد «دايفا» وهي الكلمة التي يفهم منها عامة أنها تشير إلى «الشياطين» أو «الآلهة المزيفة» ويستنتج في أغلب الأحيان أن هذا البلد الذي يتحدث عنه كسركسيس Xerxes لم يكن سوى بابل على الرغم من أن بعض المؤلفين قد قالوا إنه باكتريا أو إقليم ميديا أو مصر أو حتى أثينا، وينظر إلى المصادر المتعددة على أنها تكمل بعضها البعض في تقديم صورة عن كسركسيس Xerxes بأنه كان ملكاً غير متسامح، والذي ارتد بوضوح عن الاستراتيجية الأيديولوجية الأخمينية بمحاربته بعناد لمعابد الشعوب الخاضعة له بدلاً من احترامها كما فعل أسلافه من قبل .

وهكذا فإننا نرى أنه قد تم خلط النصوص والحجج بصورة آلية مع بعضها البعض لتقديم صورة مترابطة، والتي بالإضافة إلى ذلك تتوافق مع وجهة النظر التي كان يتمنى المؤلفون اليونانيون فرضها راجع فصل 13-1 ، والذي ليس من الصدفة أنها تمثل نقطة لصالح هذه الصورة، وهذه النقطة التي تتناول طريقة كسركسيس Xerxes وأسلوبه هي محط نقدنا، وفي الحقيقة فإن ترابط الأدلة لا يجب أن يكون أساساً للوصول إلى

مسلمات أو أفكار مسبقة، وإذا كان مثل هذا الترابط موجوداً، فإنه يجب أن ينشأ من تحليلات منفصلة أو إقليمية للنصوص العديدة التي تم جمعها، وهكذا فإننا سوف نبدأ بفحص حذر للأمثلة البابلية والمصرية بالإضافة إلى المثال اليوناني، وعند هذه المرحلة فقط، يمكننا الوصول إلى تفسير لما قاله كسركسيس Xerxes .

كسركسيس Xerxes وبابل: المواد والنصوص البابلية:

دعونا أولاً نفتح الملف البابلي، ومن البداية فإنها ستكون فكرة جيدة أن نقوم بفصل المعلومات التي نقلتها لنا المصادر اليونانية عن البيانات الموجودة في الألواح البابلية، ولفترة طويلة كان يتم استخلاص ثلاثة استنتاجات من هذه الألواح: وهي أن الملك الأكبر قد تخلى عن ألقابه الملكية البابلية، وأنه توقف عن ترأس الاحتفال بعيد السنة الجديدة، وأخيراً أنه قام بفصل بابل عن إقليم عبر الفرات وجعلهما وحدتين منفصلتين، وفي النهاية فإن ندرة الألواح البابلية التي تعود إلى عهد كسركسيس Xerxes والفترات التالية له، والانقطاع المفاجيء الذي أصاب بعض دور المحفوظات الخاصة، كل هذه الأشياء يمكن نسبتها إلى جميع أنواع التحولات الكبيرة التي أحدثها هذا الملك في بابل .

ولكن لا يصمد أي من هذه الاستنتاجات أمام النقد والتحليل، فاحتفاظ الملك بالألقاب التقليدية أصبح من الأكيد الآن أنه كان حادثاً في عهد كسركسيس Xerxes ، ويشهد على ذلك أيضاً وجود لقب ملك بابل في السنة الرابعة والعشرين من حكم أرتاكسركسيس Artaxerxes الأول عام 441 فيها، ولكن لا يوجد سبب يجعلنا نربط ذلك مباشرة بالثورات البابلية فصل 13-7 بالأسفل، وفيما يتعلق بالطقس الخاص بمقدم السنة الجديدة، فإن الامتناع المفترض لكسركسيس Xerxes عن حضوره لا يرمز إلى شيء على الإطلاق؛ وذلك لأن مشاركة أسلافه في هذا الاحتفال ليست مسجلة هي الأخرى، وتبقى الحجة الثالثة التي تقوم

على اختفاء مقاطعة بابل وعبر الفرات في عهد كسركسيس Xerxes كنتيجة للثورة التي قامت بها، وعلى ذلك فهذا تفسير وليس تعليقاً على ألواح معينة، ويشهد أحد الألواح التي تم الكشف عنها مؤخراً على وجود لقب ووظيفة «حاكم بابل وإبيرناري» في أكتوبر 486 أي قبل وفاة دارا Darius بشهرين، وبعد 25 عاماً من تاريخ المرة التي تم فيها ذكر هذا اللقب، والتي طالما اعتقدنا أنها كانت الأخيرة BM 74554 ، وفي الواقع فإن الوثائق الموجودة لا تستبعد حدوث تغيير إداري في عهد كسركسيس Xerxes ، كما أنها لا تساند هذه الفرضية لما هو أبعد من ذلك. وعندما نقر بالطبيعة الانتقالية لما لدينا من معرفة عن بابل بسبب الحالة المتغيرة وغير المتوقعة للكتابة المسمارية، فإن أية نتيجة من هذا النوع ستكون موضع شك، حيث إنها تنطلق - وبشكل واضح- من فكرة مسبقة حول تصرف كسركسيس Xerxes ، والصلة المفترضة بين ثورة بابل وإنشاء مرزبانية منفصلة والتي يمكن تفسيرها في الاتجاه المعاكس تماماً بالدرجة نفسها من «احتمالية أن تكون صحيحة» ، وأخيراً فإن حالة هذه الوثائق تذكرنا أيضاً بألا نقوم بربط الاستنتاجات السياسية بصورة آلية بعدد الألواح، أو بفترة حكم وحالة موقع «كش» هي مقنعة بمفردها: ففي هذا الموقع نجد أن عدد الألواح التي تعود لعهد كسركسيس Xerxes 21 لوحاً وهو ضعف عدد الألواح التي تأتي من عهدي قورش Cyrus وقمبيز Cambyses مجتمعين 11 لوحاً ، وأقل بعض الشيء من عدد الألواح التي تعود لفترة حكم دارا Darius 30 لوحاً ، بالإضافة إلى ذلك فإن الاكتشافات التي تم الإعلان عنها مؤخراً مازالت مستمرة في زيادة عدد الألواح البابلية التي تعود لعهد كسركسيس Xerxes .

كسركسيس Xerxes وبابل: المواد اليونانية:

كما ذكرنا سابقاً، فإن الثورة التي أجبرت كسركسيس Xerxes على مغادرة ساردیس في صيف عام 479 كانت تحت قيادة «سَماس - إريبا»، والذي كان يحمل في الفترة من أغسطس إلى أكتوبر الألقاب التقليدية الخاصة ببابل «ملك بابل، ملك الاراضين» وستيسياس Ctesias هو الوحيد الذي ذكر قصة الأحداث نفسها، والتي قام فوتيوس Photius بتلخيصها وتقديم مختصر لها، وقد كان ميجابيزوس Megabyzus ابن زوبيروس Zopyrus موجوداً في ساردیس مع كسركسيس Xerxes ، والذي عهد إليه بمهمة إخماد والقضاء على هؤلاء الثوار، ولقد أكسبه هذا العمل قدراً كبيراً من الهدايا الملكية ستيسياس Ctesias 22 ، ولقد قام هيرودوت Herodotus بتقديم أعمال السلب والنهب التي قام بها كسركسيس Xerxes في معابد بابل كما يلي: «في وصفه لبابل قام بوصف معبد زيوس Zeus والذي يجب أن ننظر إليه على أنه يمثل ماردوك Marduk ؛ ويذكر هيرودوت Herodotus أنه كان هناك تمثالاً كبيراً من الذهب أجالما يمثل الإله الجالس، وكان هناك أيضاً منضدة وعرش ومسند ذهبي للقدم، وكان يوجد مذبحان خارج المعبد أحدهما من الذهب والذي كان يقوم الخالديون بتقديم القرابين عليه، وينهي وصفه قائلاً: كان يوجد أيضاً في هذا المبنى المقدس في عهد قورش Cyrus تمثال صلب من الذهب، وكان يصور رجلاً أندرياس ارتفاعه يقارب 15 قدماً - وأنا أكتب هذا على مسؤولية الخالديين- ولكنني لم أشاهده أبداً بنفسي، وكان لدارا Darius ابن هستاسبيس Hystaspes بعض المخططات والأهداف الشريرة بخصوص هذا التمثال لكنه لم ينفذها مطلقاً، حيث إنه شجاعته خانته، ولكن كسركسيس Xerxes قام بالاستيلاء عليه، وقتل الكاهن الذي حاول منعه من تدنيس هذا التمثال المقدس الكتاب الأول الفقرة 183 .

وعلى العكس مما يذكر بشكل متكرر، فإن نص هيرودوت Herodotus لا يقر بصحة الاستنتاج القائل بأن كسركسيس Xerxes قام بنقل التمثال أجالما الخاص بماردوك إلى صوصا؛ ففي عهده كان هذا التمثال لا يزال في المعبد، هل قام كسركسيس Xerxes بسرقة التمثال الآخر البشري وليس المقدس: «أندرياس» ، والذي كان يقع خارج الهيكل نفسه؟ إن هذا ممكن، ولكننا لا نستطيع أن نستنتج ذلك بناءً على الأدلة التي يقدمها هيرودوت Herodotus وحده، وفي الحقيقة، فقد حصل هيرودوت Herodotus على هذه المعلومة من ممثلين لهذا المعبد ولدوا بعد وقوع هذه الأحداث المزعومة بأكثر من جيل كامل، ودعونا نضيف ملاحظتين: قام هيرودوت Herodotus نفسه بتكرار هذه المقارنة بين دارا Darius وكسركسيس Xerxes في حالة مصر الكتاب السابع الفقرة 7 ، ويعكس خوف دارا Darius في وجود التمثال موضوعاً شعبيًّا ومنتشراً، حيث إننا نجده يتكرر ثانيةً في رواية هيرودوت Herodotus الكتاب الثاني الفقرة 110 ، وفي رواية ديودورس Diodorus الصقلي الكتاب الأول الفقرة 58-4 ، ويشير كلاهما إلى العلاقات التي كانت تربط دارا Darius بكهنة هياكل الإله بتاح في منف، وبمعنى آخر فإن نص هيرودوت Herodotus يقوم على سلسلة من الموضوعات الأدبية المتكررة والتي لا تقنع المعلق بقبولها بمعناها الظاهري .

قام المؤلفون اليونانيون على وجه الخصوص بتطوير هذا الموضوع عن تدنيس كسركسيس Xerxes للمقدسات، وقد حصلوا على مادتهم من مؤرخي الإسكندر Alexander وقاموا كلهم بالمقارنة بين سلوك المقدونيين وسلوك الملك الأكبر: ويذكر كل من سترابو Strabo الكتاب الخامس عشر الفقرة 5-1 وديودورس Diodorus الكتاب السابع عشر الفقرة 112-3 تدمير معبد بيلوس، ولكنهما لم يذكرا التاريخ بالتحديد .

وقد كان أريان Arrian أكثر وضوحاً، فبعد أن قام بوصف دخول الملك لبابل، حيث حضر الكهنة من بين آخرين لاستقباله وتحيته الكتاب الثالث الفقرة 16-3، كوينتوس كورتيوس Quintus Curtius الكتاب الخامس الفقرات 1، 22 ؛ كتب أريان Arrian قائلاً: عقب دخوله بابل أصدر الإسكندر Alexander توجيهاته للبابلين للقيام بإعادة بناء المعابد التي هدمها كسركسيس Xerxes ، وخاصة معبد الإله بَعَل والذي يقدره البابليون أكثر من أي إله آخر، وقد قابل في بابل الخالديين، وقام بتنفيذ جميع التوصيات الأخرى التي تتعلق بالمعابد البابلية، وقام بتقديم القرابين إلى الإله بَعَل على وجه الخصوص طبقاً لتعليماتهم وطقوسهم الكتاب الثالث الفقرات 16-4، 16-5 .

ثم عاد للحديث عن الموضوع مرة أخرى أثناء إقامة الإسكندر Alexander الثانية في المدينة 324-323 ، ويسترجع أن كسركسيس Xerxes «قام بتدمير الهياكل والمعابد البابلية» بما فيها ذلك الهيكل الموجود في بيلوس، وقد حدد تاريخ هذا التدمير بوقت عودة كسركسيس Xerxes من أوروبا، أي عام 479 الكتاب السابع الفقرة 17. 3-1 .

وليس هناك داعٍ للجدال حول الطبيعة الدعائية للنصوص اليونانية، فهذه المقارنة التي تم التأكيد عليها بين الإسكندر Alexander وكسركسيس Xerxes لا يمكن أن تزيد من ورع وتقوى الملك الذي سوف يسمح أيضاً لليونانيين فيما بعد باسترجاع «كل التماثيل أو الصور أو الأشياء النذرية الأخرى والتي قام كسركسيس Xerxes بنقلها من بلاد اليونان» الكتاب السابع الفقرة 19-2 ، وبالنسبة لأريان Arrian -وكما هو الحال مع العديد من المؤلفين اليونانيين الآخرين- فلقد صور كسركسيس Xerxes كمدمر للمعابد، وكملك يغلب عليه الإسراف والإفراط تماماً كما كان الحال مع قمبيز Cambyses فيما يتعلق بهذا

الأمر راجع أريان Arrian الكتاب الرابع الفقرة 11-6، الكتاب السابع الفقـرة 14-6 ، وفي الحقيقـة، فبدخولـه بابـل، لم يفعـل الإسـكندر Alexander شـيئاً سـوى تكـرار اتجاهات وقرارات أي فاتح من الفـاتحين، حيـث يعمـل عـلى إدانـة ذكـرى مـن سـبقوه وإظهار ورعه وتقواه تجاه الآلهة التي «حررت» السكان، وهذا بالتحديد ما فعله قورش Cyrus في عام 539 في ذلك المكان نفسه راجع الفصول 1-5، 18-3 ، ولم يكن مـن غـير المعتاد من أي ملك أن يدعى أنه قـام بإعـادة إنشـاء المبـاني والصروح التـي تحولـت إلى ركام مثل Dse 001 ، ولقد قيـل أن الإسـكندر Alexander «كـان ينـوي إعـادة بنـاء معبد بيلوس، ويقول البعض على القواعد الأصلية، بينما يقول آخرون إنه كان يرغـب في توسيعه وجعله أكبر من المعبد القديم» أريان Arrian الكتاب السابع الفقـرة 17-2 ، وبمعنى آخر، وعلى الرغم من أنه يمكـن وبسـهولة أن نقـترح أن الإسـكندر Alexander قد قام بالتصرف بالنيابة عن المعابد البابلية، إلا أنـه لا يوجـد مـا يظهـر أن «تـدميرهم» كان بسبب كسركسيس Xerxes .

وحتى إقرارنا بأن النصوص الكلاسـيكية اليونانيـة ليسـت مجـرد حمـلات لدعايـة مزيفة قام بنشرها فيما بعد ممثلو المعابد، إلا أنها تذهب إلى حد القول بأن كسركسيس Xerxes قد دمر المعابد بالكامل، حيث إن عملية إحياء تلك المعابـد والتـي تلـت ذلـك توجد عليها شواهد كافية خلال الفترة الهيلينيـة، فالقيـام بـأعمال انتقاميـة ضـد معابـد إحـدى الـبلاد الثـائرة كـان أحـد العـادات العامـة التـي لا يمكـن اعتبارهـا خاصـة لا بكسركسيس Xerxes ولا بغيره من الملوك الأخمينيين، وقـد قـام كسركسـيس Xerxes بإظهار قوته بهذه الطريقة فقط في أثينا وديديما، وهذه القرارات التي تـم شرح أسـبابها ونتائجها بالفعل لا تجعل من الملك متحيزاً أو متحاملاً على الإطلاق فيما يتعلق بمشاعره الدينية، حيث لا تعني أن الملك قد قرر اضطهاد الديانة البابلية .

كسركسيس Xerxes ومصر:

تقوم النظرية التي تقول بأنه قد تم تنفيذ سياسة «مطابقة» لما حدث في بابـل في مصر، تقوم أساساً على الثغرات الموجودة في سجل وثائقي روائي والذي لنكون دقيقـين لا يقوم سوى على إحدى العبارات غير الدقيقة في رواية هيرودوت Herodotus ، حيـث يذكر ببساطة أنه بعد إعادة غـزو وادي النيـل «وتحويـل البلـد إلى حالـة مـن العبوديـة [بولون دولوتيرن]» أسوأ من الحالة التي كانت عليها خلال فترة الحكـم السـابق، سـلمها كسركســيس Xerxes إلى أخيــه «أخيمينــيس» Achaemenes ابــن دارا Darius الكتاب السابع الفقرة 7 ، ومن وجهة نظر هـيرودوت Herodotus فـإن هـذا التعبـير فيه إدانة لكسركسيس Xerxes بشكل لا يقبل الجدل، ويمكن أن نذكر أيضاً أنه قد قام بالفعل بالمقارنة بين سلوك دارا Darius وسلوك ابنه فيما يتعلق ببابـل الكتـاب الأول الفقرة 183 ، ولكنه لم يذكر شيئاً عن الإجراءات الفعلية التي اتخذها الابـن، هـل يجـب أن نسـتخلص مـن هـذا -كـما يفعـل دائمـاً- أنـه بدايـة مـن تـولى كسركسـيس Xerxes للسلطة خضعت السياسة المصريـة لتحـول جـذري، وأن ملامحهـا تمثلـت في قيـام الملـك بمعاقبـة المعابـد المصريـة بقسـوة وتخليـه عـن ألقابـه الفرعونيـة وعزلـه المصريـين مـن المناصب الإدارية في الدولة؟ باختصـار هـل شرع كسركسـيس Xerxes في تحويـل مصر إلى مرزبانية بعد - طبقاً لهذا الافتراض- أن كانت لا تـزال منطقـة مسـتقلة في عهـد كـل من قمبيز Cambyses ودارا Darius ؟

ملاحظة أولية : إذا كانت النظرية التي تمت مناقشتها هنا قد أثارت أي أصداء، فإن ذلك يرجع جزئيًّا إلى أن هذه الحجة الصمت المفترض قد تم اسـتخدامها بـإفراط شـديد، وأنه يرجع بشكل خاص إلى أن التفسير الذي تم تكوينه على أساس دراسـة المـواد البابليـة وهي دراسة خاطئة: انظر بالأعلى قـد تـم فرضـه عـلى مصر، ونحـن لـن نصر عـلى هـذه

الملاحظة الأخيرة، على الرغم من أنها تبدو واضحة أمام الملاحظ اليقظ، وفيما يتعلق بصمت المصادر، فإن هذه هي حجة ظهرت نتيجة لليأس والتي تم توضيح مدى كونها لاتعتمد على أساس من الصحة وغير ذات قيمة في المثال البابلي ويمكن حتى أن نقول مدى خطورتها ، وإنه لمن الصحيح وبشكل واضح أنه لا توجد أدلة على بناء أية معابد جديدة في مصر بعد تلك التي بناها دارا Darius ، ولكن ما الذي يمكن استنتاجه من ذلك؟ ألا يجب أن ننتظر الأدلة حتى تأخذ درجة ما من المقارنة والتشابه؟ ويمكن أن نذكر أنه قد تم اكتشاف أحد المقابض والذي يحمل تمثالاً من البرونز عليه اسم كسركسيس Xerxes حيث نقش عليه باللغة الفارسية: «كسركسيس Xerxes الملك فازراكا» ، وتبعاً للمؤلف الذي أعلن عن اكتشاف هذه القطعة «فإن هذا العمود الحامل يمكن أن يكون الغرض منه كان يتمثل في إحضار ناووس أو جزء آخر من الأدوات المقدسة التي قدمها كسركسيس Xerxes لأحد المعابد المصرية»، وبالطبع فإن هذا الشيء ضئيل للغاية والتفسير وقابل للمراجعة، ولكن إذا تأملنا مثال معبد الكرنك، نجد أن الشواهد على أنشطة دارا Darius الإنشائية هناك ليست سوى عدداً قليلاً ومتواضعاً من الأدلة، ولم يتم اكتشاف آخر لهذه الأدلة سوى مؤخراً فقط، وإذا أضفنا إلى هذه حقيقية أن إحدى الوثائق المكتوبة باللغة الديموطيقية والتي تعود إلى سنة غير محددة من سنوات حكم كسركسيس Xerxes والتي تم الإعلان عنها مؤخراً هي الأخرى تزودنا بدليل على حدوث مراسم رسمية لدفن أم أحد العجول المقدسة أبيس ، ويمكننا أن نرى من ذلك كيف أن بعض الاستدلالات أو الاستنتاجات التاريخية قد تم استخلاصها من مجرد إشارات إحصائية .

وعلى أية حال، فإن الأدلة ليست غائبة! ولكن قوة ذلك النظير البابلي المفترض، وتلك الصورة عن كسركسيس Xerxes التي تم رسمها مسبقاً أدى إلى إهمال الأدلة الحقيقية، أو إلى الوصول إلى تفسير

متحيز، وفي الواقع، فإنه لا توجد أية شواهد على تخلي الملك الأكبر عن ألقابه الفرعونية، بل على العكس من ذلك، فإنه توجد مجموعتان من الأدلة تعارضان وتثبتان عكس مثل هذه النظرية، أولها النقوش الهيروغليفية الموجودة في وادي الحمامات والتي ترجع إلى شخص فارسي اسمه أتياواهي Atiyawahy وأحياناً إلى أخيه الذي كان يشغل منصب حاكم كوبتوس Coptos في عهد دارا Darius ، كسركسيس Xerxes وأرتاكسركسيس Artaxerxes ، والتي لا يمكن فيها ملاحظة أية تعديلات مهمة في الألقاب الملكية راجع بوسِنر Posener أرقام 24-25: عام 486 و484 ، وفي عامي 476، 473 أرقام 27-28 نجد أن كسركسيس Xerxes يسمى «سيد البلد المزدوجة»، وفي عام 474، يشير أتياواهي Atiyawahy إلى قمبيز Cambyses ودارا Darius وكسركسيس Xerxes كحاملين للقب «سيد البلد المزدوجة» رقم: 28 ، وفي السنة التالية تسمى النقوش دارا Darius وكسركسيس Xerxes معاً باللقب ذاته: «سيد البلد المزدوجة، ابن الإله رع، سيد التيجان، أطال الله عمره إلى الأبد» رقم 30 ، ولا يوجد أي اختلاف رئيسي في الصورة التي نحصل عليها من الزهريات الحجرية في صوصا وبرسيبولس وفي أماكن أخرى ، فنجد مكتوباً عليها: «ملك مصر العليا والسفلى، سيد البلد المزدوجة، كسركسيس Xerxes ، أطال الله عمره إلى الأبد» أرقام 43-48 ، ومن المؤكد أن بعض هذه النقوش يقول فقط «كسركسيس Xerxes ، الملك الأكبر» أرقام 49-76 ، ولكن بالنظر إلى كونها غير مؤرخة فإن تقسيم هذه النقوش بطريقة تعتمد على الموضوع والتسلسل التاريخي إلى مجموعتين منفصلتين لإظهار حدوث تغير في السياسة الملكية يجب أن يظل مجرد افتراض والذي لم تثبت صحته حاليًّا ، وكما حدث في حالة بابل، فإننا يجب أن نضع في الاعتبار الفجوات الموجودة في عملية التوثيق في حالة مصر وتثبت إحدى الآنيات الزهرية

التي تم الإعلان عنها حديثاً والتي تحمل نقوشاً تثبت وجود لقب «الفرعون الأكبر» في عهد أرتاكسركسيس Artaxerxes الأول A1 orsk .

وهناك بعض التغيرات التي حدثت في الألقاب الملكية والتي لا يمكن إنكارها، فمثلاً في عهد دارا Darius ، نجد أن النقوش الموجودة على الآنية الزهرية مكتوبة باللغة الهيروغليفية فقط، بينما نجد هذه النقوش مكتوبة بأربع لغات في عهد كسركسيس Xerxes وأرتاكسركسيس Artaxerxes ، ومن الصحيح أيضاً أن لقب كسركسيس Xerxes هو أقل ثراءً من تلك الألقاب التي يلقب بها أودجاهورسنت Udjahorresnet على سبيل المثال كل من قمبيز Cambyses ودارا Darius من بعده؛ ولكن لا يعكس هذا بالضرورة تغيراً في السياسة، حيث إن السبب في ذلك راجع إلى المصدر أتياواهي ، وغرض الشيء المكتوبة عليه هذه النقوش، وهوية مستقبل الرسالة حيث إن زهرية حجرية هي وسط مختلف تماماً عن نقش مصري يسجل السيرة الذاتية لشخص ما ، وباختصار فإن الحقيقية تظل هي أن محتوى وتاريخ النقوش المعروفة حاليًا يثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن إعادة غزو مصر لم يتبعها قيام الملك بشكل مفاجئ بالتخلي عن ألقابه الفرعونية .

وأخيراً فإنه يجب التأكيد على أننا لا نملك وثيقة جديرة بالثقة فعلاً والتي يمكن أن تعمل كأساس لتقييم سلوك كسركسيس Xerxes فيما يتعلق بالمعابد المصرية، والنص الوحيد المتوفر لهذا الغرض هو بلاطة المرزبان الحجرية الشهيرة، وهذا النقش الهيروغليفي الذي يعود إلى السنة الرابعة من حكم الإسكندر Alexander الرابع يمجد ويعظم فضائل ومحاسن الفرعون الخيّر، والذي حدد كهنة الإلهة Wajet إلهة Buto شخصيته بأنه أحد ملوك البطالمة والذي كان حينها مرزباناً على مصر، وتذكر النقوش أن الملك في نهاية حملته الآسيوية قد أحضر معه تماثيل للآلهة وأشياء طقسية «بالإضافة إلى الأدوات الطقسية وكتب كل المعابد الموجود في

شمال وجنوب مصر، وأعادها إلى مكانها الأصلي»، وقد تم مدحه بشكل خاص لأنـه قـام بتأكيد ومد امتياز خاص بـالأراضي تـم إعطـاؤه إلى المعبـد في السـابق، ويـذكر الـنص أن الفرعون الذي لم يتم ذكر اسمه «قد قام بطرد كسركسيس Xerxes المدنس والمنتهـك لحرمات المقدسات، طرده من قصره هو ابنه الأكبر».

عدد قليل مـن الوثـائق نجـح في إثـارة اهـتمام علـماء المصريـات بهـذه الدرجـة، وتتنوع التفسيرات لهذه الوثيقة بشكل كبير، ولكن تبقى شكوك كبيرة والتي ترجع جزئيًّا وبشكل أساسي إلى مشكلات تتعلق بـالنقوش وبفقـه اللغـة، دعونـا نضـع جانبـاً بشـكل مؤقت كل الحجـج المضـادة، ونتفـق لصـالح المناقشـة أن هـذا الـنقش هـو في الحقيقـة يتحدث عن كسركسيس Xerxes ، ويكفي عند هذه النقطة أن نسترجع ما قلناه سابقاً عن المصادر اليونانية التي تتناول سياسة كسركسـيس Xerxes نحـو بابـل: فـإذا كانـت هذه المصادر في أي حال من الأحوال، وبغض النظر عـن هـذا التحيـز الاعتـذاري لصـالح الإسكندر Alexander والبطالمة من بعـده والـذي تـم التعبـير عنـه بواسـطة الأفكـار الأدبية المتكررة والكليشيهات الأيديولوجية نفسها ، إذا كانت تنقل أي ذرة من الحقيقـة فإن هذا لن يكون مفاجئاً، وكل ما يمكن أن نستنتجه من النص هو أنه بعد إعـادة غـزو مصر قام الملك الأكبر بالثأر من المعابد المصرية بافتراض أن الحالة التي تـم ذكرهـا هنـا يمكن توسيعها والزيادة عليها ، ولكن لا يمكن إضافة أي شيء أكثر من ذلك .

كسركسيس Xerxes والآلهة اليونانية:

بغية التأكد مـن سياسـة كسركسـيس Xerxes الدينيـة خـلال هـذه السـنوات، فإنـه سيكون من المفيد إعادة النظر في الممارسات الطقسية التي اتبعها خلال الحرب اليونانيـة، وفي البداية، فإن الملك لم يصطحب معه فقط الكهنة الفرس المجوس ولكنه اصطحب أيضـاً بعـض

العرافين والمتخصصين اليونـانيين، ويـذكر هـيرودوت Herodotus أن أحـد مستشـاريه كان هو جامع الآراء السـديدة أونومـاكريتوس Onomacritus والـذي تـم طـرده مـن أثينـا مـع لأسرة الباسـستراتيين، ويقـول هـيرودوت Herodotus أن أونومـاكريتوس Onomacritus ليحض كسركسـيس Xerxes عـلى الحـرب ذكـر آراء يؤيـد فيهـا شـن الحملة المستقبلية الكتاب السابع الفقرة 6 ، ولقد حـدث هـذا الشيء مـع مـاردونيوس Mardonius قبل معركة بلاتيا: ففي حين أن العراف تيسامينوس Teisamenos كان هـو العـراف الرسـمي للجـيش اليونـاني، اسـتأجر مـاردونيوس Mardonius العـراف هيجيسستراتوس Hegesistratus المنتمـي إلى إقلـيم إيـولس Aeolis ، وذلـك بعـد أن دفـع لـه مبلغـاً كبـيراً مـن المـال، ولقـد اعتمـد أيضـاً عـلى خـدمات عـراف آخـر وهـو هيبوماكوس Hippomachus الذي ينتمـي إلى مدينـة لويكـاس والـذي كـان مصـاحباً لحلفائه اليونانيين، وبناءً على إلحاح هيجيسسـتراتوس Hegesistratus «قـام باسـتفتاء المستقبل عن طريق تقديم القرابين على الطريقـة اليونانيـة» الكتـاب التاسـع الفقرتـان 37-38 ، ونعـرف أيضـاً مـن هـيرودوت Herodotus مـرة أخـرى أن مـاردونيوس Mardonius كان مهتماً باستشارة الكهنة اليونانيين الكتاب الثامن الفقـرات 133-135 ، وقـد كانـت هـذه الممارسـة منـتشرة للغايـة عـلى الأقـل بدايـة مـن عهـد كريوسـوس Croesus ، وكانت كذلك أيضاً في عهد كل من قورش Cyrus ودارا Darius .

ولقد قام كسركسيس Xerxes هـو الآخـر بتقـديم العديـد مـن القـرابين للآلهـة المحلية، «وقام في إليون بالتضحية بألف من الثيران للإلهـة أثينـا إلهـة طـروادة»، وقـام الكهنة المجوس بإراقة الخمر تكريماً للأبطال الكتاب السـابع الفقـرة 43 ، ومـن الواضـح أن هذا يشير إلى «الأبطال الآسيويين، بريام Priam ورفاقه، وفي المقابل قام أرتـايكتيس Artayctes حـاكم جزيـرة سسسـتوس بتخريـب ضريـح Temenos المقـام في إليـوس

والمخصص لبروتيسيليوس Protesilaus الذي كان بطل اليونان في حرب طروادة، ويشير هيرودوت Herodotus إلى هذا الشخص مرتين محتقراً فيه قسوته وعدم ورعه، والذي تسبب في نزول اللعنة عليه، ويقدم أفعاله على أنها صادرة عن جرأته الشخصية ويزعم أن كسركسيس Xerxes لم يكن يعلم بخداعه وفعلته هذه» الكتاب السابع الفقرة 33، الكتاب التاسع الفقرتان 115-116 ، ولكن يبدو من المحتمل بدرجة أكبر أن تدمير هيكل Temenos المخصص للبطل اليوناني يعكس تكريم ذكرى البطل الآسيوي بريام Priam .

وعلى مدار الحملة، قام المتخصصون المجوس واليونانيون بتقديم القرابين، كل في مجال تخصصه، ولكن ليس من السهل دائماً تحديد ما إذا كان كسركسيس Xerxes يبتهل إلى الآلهة الإيرانية أم اليونانية، فمثلاً عندما وصل إلى مضيق الدردنيل: «لقد تواصلت الاستعدادات لعبور المضيق طوال ذلك اليوم، وفي اليوم التالي وبينما كانوا ينتظرون الشمس التي رغبوا في مشاهدتها وهي تشرق، قاموا بإحراق جميع أنواع التوابل على الجسور ووضعوا أغصان الآس على طول الطريق، ثم حان وقت الشروق، وقام كسركسيس Xerxes بسكب الخمر في البحر من الكأس الذهبي وصلى ووجهه متوجهاً نحو الشمس لا يمنعه أي شيء من غزو أوروبا، أو يرجعه قبل أن يحقق مبتغاه الكتاب السابع الفقرة 54 .

ثم يذكر هيرودوت Herodotus بعد ذلك أن كسركسيس Xerxes قام بشكل طقسي بإلقاء عدة أشياء في البحر الكأس، طاس للخمر، وسيف فارسي ، ولقد تسببت هذه الأفعال الطقسية في صعوبات تفسيرية عديدة لهيرودوت Herodotus : «انتهت صلاته وألقى بالكأس في الدردنيل، وألقى معها طاساً ذهبية للخمر و أسيناسيس أو سيف فارسي قصير، ولا أستطيع أن أجزم بأنه كان يقصد من وراء هذه الأشياء التي رماها في الماء أن تكون قرابين لإله الشمس، ويحتمل أنها كانت هدية للدردنيل

نفسه ليظهر له مدى أسفه لتسببه في ضربه بالسياط، وبعد أن انتهت هذه المراسم، بدأت عملية عبور النهر» الكتاب السابع الفقرة 54 .

ومن الواضح أن هذه الإشارة لإله الشمس تشير إلى المعبود الفارسي انظر الفصل 6-6 ، ولكن لا يمكن أن يتم اختزال هذا المشهد في تلك الإشارة فقط، ومن المحتمل أن هذا هو ما سبب تلك المعضلة لهيرودوت Herodotus ، ويمكننا بسهولة أن نقارن بين ما فعله كسركسيس Xerxes وبين القرابين التي قدمها الإسكندر Alexander عند المحيط الهندي بالقرب من مصب نهر الإندوس: «ثم قام بذبح الثيران كقرابين لبوسيدون Posidon إله البحار وألقاها في البحر، وبعد تقديم تلك الأضحيات، قام بسكب الخمر وألقى في البحر كأساً مصنوعة من الذهب، وطاسات ذهبية للخمر كقرابين للشكر، داعياً ومبتهلاً أن يقوم بوسيدون Posidon بمرافقته والحفاظ على سلامة القوة البحرية التي كان يعتزم إرسالها مع نيرخوس Nearchus باتجاه الخليج الفارسي أريان Arrian، Anab الكتاب السادس الفقرة 19-5 ».

وباستثناء بعض الاختلافات القليلة فيما يتعلق بعناصر تلك القصة ثور/ دينويسوس ، نجد أن النصوص متوافقة عليها، حيث نجد الملك يسكب الخمر، ثم يقوم بإلقاء الكأس المستخدمة في ممارسة الطقس، ويلقى معها طاسات ذهبية للخمر في البحر، ويضيف كسركسيس Xerxes على ذلك سيف فارسي، وبدلاً من الاعتقاد بأن كسركسيس Xerxes كان بهذه الطريقة يكرم آلهة الماء الفارسية كما كنا نعتقد قبل ذلك ، إلا أن هناك ما يدفعنا للاعتقاد بأن كسركسيس Xerxes كان يشير بذلك إلى آلهة اليونانيين، ونعرف أيضاً من هيرودوت Herodotus الكتاب السابع الفقرة 191 أن الكهنة المجوس لكي يغيروا مسار إحدى العواصف لم يكتفوا بـ «وضع تعويذات لإله الرياح أو رقيات على الرياح، ولكن قاموا بتقديم المزيد من القرابين للإله ثيتيس Thetis

وحوريات البحر» وهي الآلهة التي كانت بالنسبة لليونانيين تنحدر من .... نسل إله مد البحر بونتوس ، وقد قام الفرس بتكريم إله الرياح نفسه الكتاب الأول الفقرة 131 ، وفعل اليونانيون مثل ذلك راجع الكتاب السابع الفقرة 13 ، وهكذا فإنه من المرجح أن تلك القرابين الفارسية كان الهدف منها هو الحصول على تأييد الآلهة اليونانية لكسركسيس Xerxes وجيشه، وقد عبرت هذه الآلهة عن غضبها بالفعل عندما قامت بتدمير الجسور الأولى، وهي الحادثة التي أدت تبعاً لما يذكره هيرودوت Herodotus إلى قيام الملك بأعمال انتقامية ضد البحر نفسه، وضد المهندسين الذين كانوا يعكفون على بنائه الكتاب السابع الفقرات 33-36 ، ومن الواضح أن قيام الإسكندر Alexander بعد ذلك «بالتضحية بثور لبوسيدون Posidon إله البحر وللناريدات حوريات البحر في منتصف مضيق الدردنيل، وسكب الشراب من طاس ذهبية في البحر كقربان» أريان Arrian الكتاب الأول الفصل 11-6 ، كان كل ذلك بهدف لمقابلة تأثير تلك الذكرى المزعجة طقوس كسركسيس Xerxes وللابتهال أن تُفتح له أبواب إمبراطورية دارا Darius الثالث .

ولقد كانت تلك الممارسة هي إحدى الممارسات الشائعة، فعندما كان يريد أحد الملوك الاستيلاء على بلد عدو له، كان يحتاج إلى الابتهال للآلهة المحلية لتمنحه حمايتها؛ ولتضمن نجاحه المستقبلي، ولم يفوت الإسكندر Alexander فعل ذلك مثلاً قبل معركة إسوس كوينتوس كورتيوس Quintus Curtius ، الكتاب الثالث الفقرات 8، 22 ، وقد فعل داتيس Datis هذا الشيء نفسه سعياً لاسترضاء الإله أبوللو إله ديلوس هيرودوت Herodotus ، الكتاب السادس الفقرة 97 ، ومقارنة مع ذلك، فإن كل من يقاوم الفرس أو يثور عليهم كانت تتم معاقبته في حضور آلهته، وهذا هو سبب تدمير معبد ديديما بعد موقعة ميكالي، وبالطبع فإن هذا أيضاً هو سبب تدمير المعابد التي كانت موجودة في

قلعة الأكروبوليس في أثينا، ونقل ما بها من تماثيل نذرية الكتاب الثامن الفقرات 52-54 ، وهي الأفعال التي لا يمكن اختزالها في فكرة الانتقام فقط، وفي الحقيقة عجز هيرودوت Herodotus عن إدراك المغزى السياسي لأحد القرارات التي أصدرها كسركسيس Xerxes : «لقد استدعى إلى حضرته المبعدين الأثينيين الذين كانوا يعملون مع القوات الفارسية، وأمرهم بالصعود إلى القلعة وتقديم القرابين هناك تبعاً للطريقة الأثينية، ومن المحتمل أنه قد رأى حلماً ما أرشده إلى فعل ذلك، أو ربما أن ضميره لم يكن مرتاحاً لما حدث من تدمير للمعبد» الكتاب الثامن الفقرة 54 .

وفي الحقيقة فإن تصرف كسركسيس Xerxes كان منطقيًّا، فبعد القيام بغزو أثينا والاستيلاء على المعابد والهياكل المدنية هناك، قام بتنصيب عملائه هناك، ولن يتمكن هؤلاء الحكام العملاء من إضفاء الشرعية على سلطتهم إلا إذا حصلوا على إقرار واعتراف الآلهة المحلية، ولقد قام هيرودوت Herodotus بتكرار تلك القصة التي تنم عن الورع: «عندما صعد الأثينيون الذين أمرهم الملك بتقديم القرابين إلى المكان المقدس في القلعة، ووجدوا أن فرعاً جديدا طوله 18 إنشاً قد نبت من جذع «شجرة الزيتون المقدسة» فأخبروا الملك عن ذلك» الكتاب الثامن الفقرة 55 .

من قورش Cyrus إلى كسركسيس Xerxes :

في التحليل الأخير، نجد أن كسركسيس Xerxes عندما كان يتحرك لغزو أحد الشعوب أو عندما كان يتحرك جنباً إلى جنب معها، فإنه لم يختلف كثيراً عن أسلافه السابقين: حيث كان يستعين بخدمات المتخصصين الدينيين المحليين، وكان يقدم القرابين للآلهة المحلية، وكان يدمر الهياكل والمعابد في المدن والبلاد التي تعكر صفو النظام في إمبراطوريته، ولا يوجد في الأوامر الملكية التي وصلت إلينا أو تلك التي

يتم نسبتها إلى الملك في أي مكان من الامبراطورية بابل، مصر، أو اليونان ، ما يشير إلى نوع من العداء المتأصل أو الذي لا يمكن تجاوزه تجاه الآلهة التي تقدسها وتكرمها الشعوب المحلية، وبعد أن وصلنا إلى هذا الحد من التحليل فإنه لا يوجد هناك داعٍ بعد ذلك للمقارنة بين أساليب كسركسيس Xerxes في الحكم واساليب دارا Darius .

وبالإضافة إلى ذلك، ودعونا نخرجها من طريقنا الآن، فإن نظرية «المرزبانية» لكل من مصر وبابل تنبع من فهم خاطئ للسياسة التي اتبعها كل من قورش Cyrus وقمبيز Cambyses ودارا Darius على التوالي، فبحلول عام 486 لم تكن أي من مصر أو بابل تمثل مملكة ذات ارتباط ضعيف بالملك الأكبر أو أن ما يربطها به لم يكن سوى علاقة شخصية معه، وعلى الرغم من عظم نتائجها فإن التغييرات التي تم إجراؤها وخاصة في عهد دارا Darius قد قامت بالفعل بتكييف وتحويل البني والتنظيمات الإدارية والسياسية في هذين البلدين، حيث تم تحويل كل منهما إلى مرزبانية بعد الغزو مباشرة، ولقد تم غزو إحداهما في عهد قورش Cyrus بابل ، والثانية مصر في عهد قمبيز Cambyses .

7- كسركسيس Xerxes ، أهورا - مازدا، وبلاد فارس:

نقش الدايفا: دراسة المحتوى:

بعد أن قمنا بتوضيح المناظرة يمكننا الآن أن نتناول وثيقة أساسية وهي نقش الدايفا زينوفون Xenophon في الجزء الأول 1-2 ، يكرر كسركسيس Xerxes عمليًّا وكلمة بكلمة الفقرات الافتتاحية لنقش دارا Darius الأول في نقصى - روستام Naqs-i Rustam صيغ الخلق والتكوين لأهورا-مازدا، سلسلة النسب، الألقاب ، ثم تلت ذلك قائمة بأسماء 31 بلداً كانت خاضعة له، وكانت تحضر له الجزية باجي ، وهي القائمة الوحيدة لأسماء الدول الموجودة في نقوش الملك هذه، ثم تأتي

بعد ذلك فقرات أثارت جدلاً لا حصر له: « فقرة 4 أ سيث كسركسيس Xerxes الملك: عندما توليت السلطة كانت واحدة من البلاد المنقوشة أسماؤها بأعلى في حالة ثورة واضطراب أيودا ، وبعد ذلك حمل أهورا-مازدا إليَّ المساعدة، وبفضل أهورا مازدا، ضربت هذه البلاد بقوة وأعدتها إلى مكانها فقرة 4 ب ، وقد كان من بين هذه البلاد بلد تمت فيها في السابق عبادة الآلهة المزيفة دايفا ، ولكني قمت بعد ذلك وبفضل أهورا-مازدا بتدمير معبد الشياطين، وأعلنت الآتي «لن تعبد الشياطين! وقمت في ذلك المكان الذي كانت تعبد فيه الشياطين في السابق بعبادة أهورا-مازدا وأرتا بتوقير وإجلال فقرة 4 جـ ، وقد قمت بعمل آخر، والذي تم تنفيذه بصورة سيئة، ولكنني قمت بتصحيحه، وكل هذه الأشياء التي قمت بفعلها قد تمكنت من فعلها بفضل الإله أهورا-مازدا ومساعدته لي، ولقد قام أهورا-مازدا بمساعدتي حتى أكملت ذلك العمل؛ فقرة 4 د أنتم يا من ستأتون من بعدي إذا كنتم تعتقدون «أنني كنت سعيداً سياتا عندما كنت حيًّا، وأني سوف أكون مرحوماً ومباركاً أرتافا بعد موتى»، عليكم احترام القانون الذي وضعه أهورا-مازدا، وأن تعبدوا أهورا-مازدا وأرتا بتبجيل واحترام، والرجل الذي يحترم القانون الذي وضعه أهورا-مازدا والذي يعبد أهورا-مازدا وأرتا بتبجيل واحترام يصبح سعيداً أثناء حياته، ويكون مرحوماً ومباركاً بعد وفاته؛ فقرة 5 الملك سيث كسركسيس Xerxes : إن هذا الذي فعلته كان كله بإرادة أهورا-مازدا، وقد ساعدني أهورا-مازدا حتى انتهيت من العمل، أتضرع لأهورا-مازدا أن يحميني من الضرر والسوء وأن يحمي أسرتي الملكية، وأن يحمي هذه الأرض: هذا هو ما أصلي لأهورا-مازدا من أجله، وهذا هو ما أتمنى أن يعطيني إياه أهورا-مازدا! .

على مدار هذه الإفادة، والتي توجد فيها عناصر كثيرة مأخوذة من DNA ، يقدم لنا كسركسيس Xerxes بهذه الطريقة فقرة من إنتاجه الخاص

بشكل مميز والتي يزعم فيها: 1 أنه قد أعاد النظام إلى بلد كان مضطرباً؛ 2 أنه قد قام بتدمير معابد وهياكل الدايفا؛ 3 أنه قد أعاد عبادة أهورا-مازدا إلى ذلك المكان؛ 4 أنه قد أعاد النظام إلى «شأن» آخر كان قد عمه الاضطراب، ويناشد هؤلاء الذين «سيأتون من بعده» أن يسيروا على خطاه، وأن يفعلوا ما سيضمن لهم السعادة في الدنيا وبعد الممات .

وقد أثار هذا النص مشكلات تاريخية عديدة ومازال مستمراً حتى الآن في إثارة هذه المشكلات، ولقد تسببت المشكلات المتعلقة بفقه اللغة، وبطريقة الكتابة والنقش والتي مازالت مثاراً للجدل، تسببت في جعل تلك المشكلات التاريخية أكثر صعوبة وتعقيداً، وإحدى هذه المشكلات الفيلولوجية تنشأ على وجه الخصوص من محاولة تفسير وفهم معنى عبارة أرتاكا برازمانيا Artaca Brazmaniya ، حيث إن مقارنة هذا النص بالنسخ البابلية والإيلامية المجزأة لم تحل هذه المشكلة؛ وذلك لأن عدد المفردات التي تم استعارتها من اللغة الفارسية هو أكبر بكثير في هذه النسخ عما هو عليه الحال في نقوش دارا Darius ، وعلى الرغم من حقيقة أن هذا الخطاب يكون كلاً مترابطاً، فإننا يجب على الأقل في البداية أن نجيب عن ثلاثة أسئلة: ما الظروف التاريخية التي تم فيها كتابة هذا البيان الملكي؟ ما الذي يقصده الملك بكلمة دايفا؟ ما التعليمات والنصائح التي يقدمها الملك لهؤلاء الأشخاص الذين يخاطبهم؟ وسوف يكون من الأفضل ألا نركز على مناقشة السؤال الأول في البداية؛ وذلك لأن إجابته تعتمد إلى حد كبير على إجابة السؤالين الآخرين.

الملك، أهورا-مازدا، الحياة والموت:

أولى النقاط المثيرة فيما يتعلق بإعلان كسركسيس Xerxes هي أنه يمثل المرة الوحيدة التي تم فيها ذكر كلمة «أرتافا» في النقوش الأخمينية، ومما يدل على أهمية المفهوم «أرتا» بالنسبة للفرس ثلاث ملاحظات هي:

1 قال هيرودوت Herodotus في جزء سابق «لقد كان الفرس معروفين لأنفسهم ولجيرانهم كـ أرتاي » الكتاب السابع الفقرة 61 . 2 يعرف هيسشيوس Hesychius هذه الكلمة بـ «الأبطال فيما بين الفرس»، 3 بالإضافة إلى ذلك فإن واحدة من المواد التي كان يعلمها الفرس لأبنائهم هي «الحقيقة».

ومن الأشياء الجديرة بالذكر فيما يتعلق باستخدام كلمة «أرتافا»، والتي يمكن أن نفهم معناها أيضاً على أنه «الموت الحميد»، هو أنها تعبر عن اعتقاد بالآخرة التي يتحدد مسارها عن طريق الحكم على سلوك الفرد عندما كان حيًّا على وجه الأرض، «فالرسالة كما يلي: إن كل من يقدم قرابين مقبولة لأهورا-مازدا يمكن أن يتأكد خلال حياته من مصيره بعد الموت، وعندما يموت فسوف يجد أنه قد تم الإقرار رسيماً بحسن مسواه» جه. كلنز ، ويعبر دارا Darius في نقش بهيستون بوضوح عن الرابطة الموجودة بين سلوك وتصرفات الشخص في الدنيا علاقاته بالملك وسعادته ورفاهيته سياتي ، وفي الحقيقة فإن هذا الشخص يوعد بحياة طويلة، وبالعديد من الأولاد، ويضيف: «ولعل أهورا-مازدا يكون صديقاً لك» DB الفقرة 60، راجع الفقرة 66 ، وهناك ابتهال مقابل موجه ضد أي شخص يعمد إلى تدمير تماثيله أو ذلك الذي لا يهتم بهم الفقرة 67 ، ونجد فكرة الخصب والنماء تلك مرة أخرى في رواية هيرودوت Herodotus عن الكلمات الأخيرة لقمبيز Cambyses الكتاب الثالث الفقرة 65 ، ولقد تم الزيادة على تصريح دارا Darius هذا في نقصى - روستام Naqs-i Rustam ، حيث يعد الملك أن يكافئ «من يتعاون معه» وأن «يعاقب من يرتكب السوء» DNb الفقرات 5 -13، 17-23 ، ولقد قام كسركسيس Xerxes -كما نعرف- بتكرار هذا الوعد XPl وأضاف له جملة أعطته وزناً وأهمية إضافيين: «أنا أكافئ الرجال ذوي النوايا الحسنة بسخاء» Xpl الفقرات 26-31 ، وقد تم الربط بين

هذه التصريحات التي صدرت عن دارا Darius والتـي كررهـا كسركسـيس Xerxes ، وبين دور القاضي والذي كان يقوم به الملك Dnb الفقرات 5-15، Xpl الفقـرات 5-17 ، وإذا كان الملك يستطيع أن يتصرف بهذه الطريقة فإن هذا يرجع إلى أنـه «كـان ينظـر إلى نفسه على أنه معين من قبل الآلهة لوضع قانون للفرس، وكالمحكـم الأعـلى لما هـــو خير وما هـو شر أيسكهرا كاي كالا » بلوتارك Plutarch Art الفقـرة 23-5 ، وتعـرف هذه الخاصية من خواص الملك الأكبر بخاصية المعطي معيد التوزيع، حيـث إنـه يكـافئ من يقدم له خدمات ويعاقب بشدة الثوار الكاذبين انظر الفصل 8-1 .

وفي العمود الأخير يمضي دارا Darius قُـدماً ليقـول: «إن كـل مـن يعبـد أهـورا-مازدا سوف تنزل عليه الرحمة والبركة الإلهية، حيًّا وميتاً» الكتاب الخامس الفقرات 73، 76 ، ويخطو كسركسيس Xerxes خطوة أخرى باستخدامه كلمة أرتافا ، ولكي يحصـل الرجل على خصال أرتافـا يجـب أن يكـون وفيًّا لملكـه ومخلصاً لقـانون أهـورا-مـازدا، وباختصار فإن الانتقال من عالم الأحياء إلى عالم الأموات يتم عبر شخص الملك .

أهورا-مازدا والدايفا:

لا تتوقف الروابط الموجودة بين العمود الأخير من نقـش بهيسـتون ونقـوش كسركسيس Xerxes عند الاعتبارات التالية، ونجد في ذلك العمود نفسـه والـذي تـم ترميمـه واسـتعادته جزئيًّـا مـن Xph ، نجـد دارا Darius يشـجب ويـدين الساكيين والإيلاميين واصفاً إياهم بغير المـؤمنين أريكـا ؛ وذلـك لأنهـم لا يعبـدون أهورا-مازدا الكتاب الخـامس الفقـرات 71-76 ، ولقـد عـبر كسركسـيس Xerxes بشكل أكثر مباشرة عن فكرة أخرى متصلة بهذا الموضوع، وذلـك عنـدما زعـم أنـه قام بتدمير معابد الدايفا ليعيد إنشاء معابد تتم فيها عبادة أهـورا-مـازدا في ذلـك المكان، وكانت كلمة «دايفا» هذه على وجه الخصوص هي نقطة البـدء لمناقشـات

لا حصر لها حول الديانة الزرادشتية التي كان يدين بها الأخمينيون، وفي الحقيقة نحن نعرف أنه في «الجاثا» تم وصف «الداووا» باستخفاف وبانتقاص كبير، وذلك لأن المؤمنين بهذا المذهب الديني كان يؤدون طقساً سيئاً، ومن المؤكد أن هذه الملاحظة هي أساس الإشارات المكملة «للدايفا» و«أرتاكا برازمانيا»، وإذا اتفقنا على أن العبارة تشير إلى الطرق الصحيحة للتضحية والتي يبدو أنها من الأشياء المتفق عليها: حيث إنه يتم اتهام المتشيعين لطائفة الدايفا في الجاثاس على وجه الخصوص بارتكاب «خطأ» إناه بسبب التقليد الذي يتبعونه في تقديم القرابين، وبهذا يتأكد أن كسركسيس Xerxes كان يقصد في الأساس طريقة تقديم القرابين لأهورا-مازدا، وأنه من غير المحتمل أن يكون هذا التفصيل إشارة إلى صياغة أكثر تزمتاً لعبادة رسمية تكريماً للإله الفارسي العظيم والذي يقدم كسركسيس Xerxes نفسه على أنه الكفيل المحافظ على استمرار عبادته وتبجيله بدرجة أكبر مما كان يفعل دارا Darius .

أرض الدايفا: وقت الملك ووقت التاريخ:

بدون أن نزعم أننا قد عالجنا تلك القضية معالجة كاملة، دعونا نعود إلى أول تلك الأسئلة الثلاثة: ما الظروف التاريخية التي تمت فيها كتابة ذلك النقش؟ لا يمكن تقديم دليل حقيقي يؤكد صحة أي من المقترحات التي تحدد تلك البلد التي كانت في حالة اضطراب، ويرجع ذلك أولاً وقبل كل شيء إلى أن الأسباب التي تظهر لنا من التحليل بالأعلى للعلاقات بين كسركسيس Xerxes وبابل وهو الافتراض الأكثر شيوعاً وتكراراً ، وينطبق هذا المنطق نفسه أيضاً على العلاقات التي كانت بين كسركسيس Xerxes ومصر، وكذلك أيضاً إقليم ميديا واليونان أو أي بلد آخر، ولكن السؤال الحقيقي هو ما يلي: هل كان كسركسيس Xerxes حقًّا يقصد تحديد بلد معين؟ إذا كان ذلك صحيحاً فلماذا لم يسميها

صراحة؟ وفي الحقيقة فقد تعمد أن تظل غامضة، حتى إن البناء الإنشائي نفسه لا يجعلنا متأكدين مما إذا كان المكان الذي تقع فيه معابد الدايفا كان هو نفسه تلك البلد التي في حالة هياج زينوفون Xenophon فقرة 4 ب ، وبالمثل أيضاً فإنه ليس من المؤكد أن عبارة «عندما أصبحت ملكاً» كان المقصود من ورائها السنة الأولى من حكم كسركسيس Xerxes ، فهذه العبارة عبارة مبهمة جدًّا من حيث تحديدها لتاريخ معين، حيث يحتمل أنها كانت تشير إلى أي مرحلة من مراحل حكمه بدون ذكر أية تفاصيل أخرى راجع Xsc الفقرات 2-5 ، وبالإضافة إلى ذلك فإن الفحص الداخلي للنقش لا يتطلب تحديد تاريخ.

لذا فلقد تعمد كسركسيس Xerxes جعل عباراته غير محددة من حيث التاريخ المحدد للأحداث التي تصفها أو الموقع الجغرافي لتلك الأحداث، وهذا ليس المثال الوحيد، حيث يكتب دارا Darius في أحد النقوش في صوصا: الملك سيث دارا Darius : لقد قمت بتصحيح الكثير من الأشياء التي تم تنفيذها بشكل سيء، فقد كانت المقاطعات في حالة اضطراب وهياج، وكان كل رجل يضرب الآخر، وقد حققت الأشياء التي تلت ذلك بفضل أهورا-مازدا، ولم يعد أي شخص يعتدي على الغير مطلقاً، ووضعت كل واحد منهم في مكانه، ووضعت قانوني الخاص والذي كانوا يرهبونه ويخشونه، وذلك حتى لا يبطش القوي بالضعيف، الملك سيث دارا Darius : وبفضل أهورا-مازدا تمكنت من إعادة الكثير من الأعمال اليدوية والحرف التي كانت قد خرجت عن الإطار والنظام المحدد لها، تمكنت من إعادة النظام إليها وإعادتها إلى مكانها الطبيعي، ولقد سقط سور إحد المدن صوصا بسبب قدمه؛ وبسبب عدم إجراء إصلاحات له في السابق، ولكني قمت ببناء سور آخر ليحمي المدينة بداية من ذلك الوقت Dse الكتاب الأول الفقرات 22-35، كِنت Dse الفقرتان 4-5 سطور 30-49 .

ولا تسمح لنا عمومية هذا النقش باستنتاج أن دارا Darius كان يشير تحديداً إلى الثورات التي وقعت في عامي 521-522 والتي يصفها بتحديد أدق في بهيستون، بالإضافة إلى ذلك، وتماماً كما كان الحال مع كسركسيس Xerxes ، في نقوش صوصا في النسخة الفارسية: Dse الفقرة 3304 ، فقد استخدم دارا Darius كلمة «يود» الاستثارة في صورة الفعل والتي لا تعطي المعنى نفسه الذي تعطيه كلمة «هاميسيا»، والتي في المقابل هي الكلمة التي تم استخدامها بشكل متكرر في نقوش بهيستون للإشارة إلى البلاد الثائرة التي تحارب الملك، وفي نقش صوصا نجد بدلاً من ذلك تمجيداً للأخلاق السامية للملك التي تقع خارج نطاق الخبرة البشرية والتي هي من تعريفها لا تحتاج إلى توضيح بواسطة موقف تاريخي، فالعاهل أولاً وقبل كل شيء هو الشخص الوحيد الذي يقود الموقف من حالة الفوضى إلى حالة النظام، والبلاد التي في حالة نظام هي تلك البلاد التي تتبع قانون الملك وقانون الإله أهورا-مازدا. وكلمة «داتا» هنا كما في كل مكان آخر لا تشير إلى وضع قضائي إداري، ولكن إلى توصيف سياسي أيديولوجي والذي يتحدى التاريخ.

ومن الواضح أن تصريحات دارا Darius تتصل بدرجة أقل بكثير بتلك النقوش الموجودة في بهيستون كما هو الحال في التصريحات التي نقشها في نقصى - روستام Naqs-i Rustam والتي تبناها كسركسيس Xerxes : لست أرغب في أن يقوم الرجل القوي سكوثي بإيذاء الرجل الضعيف تونافانت ، ولا أن يتسبب الرجل الضعيف في إيذاء الرجل الغني» 5-13 DNb ؛ Xpl الفقرات 5-14 ، ومن الواضح أنه في تلك النقوش لدارا Darius الموجودة في صوصا والتي قد استشهدنا بها تواً، نجد أن دارا Darius لا يشير إلى الثورات التي حدثت ضد سلطته، ولكنه يشير إلى فضائل الملك الذي يكفل تحقيق النظام الاجتماعي والكوني، وذلك إلى حد ما باستثناء أية إشارة يمكن تحديد تاريخها

بشكل دقيق، ويمكن أن نجد مثل هذا التصريح أيضاً في نقش الدايفا في جملة لا تحتوي على كثير من التفاصيل: «ولقد كان هناك شأن آخر تم إنجازه بشكل سيء، وقد قمت بتصحيحه» زينوفون Xenophon فقرة 4 جـ ، وعلى الرغم من أن كلمة «كارتم» ذات معنى غامض، إلا أنه من المحتمل -إلى حد كبير- أنه يقصد بها هنا «الذي قمت ببنائه» مشيراً بذلك إلى فضائل الملك المشيد التي توجد عليها شواهد كثيرة في برسيولس وصوصا، وتسهم هذه الملاحظة في توسيع نطاق الحيز التاريخي الذي يتناوله هذا النقش ليشمل فترة حكم كسركسيس Xerxes بأكملها.

وفي التحليل الأخير لنقش الدايفا ومع اعترافنا بأصالته ، فإن هذا النقش يتفق تماماً مع مجموعة النقوش الملكية، وباستثناء DB وبشكل جزئي فقط، وهو الجزء الذي لم يكن بالضرورة أكثر الأجزاء أهمية بالنسبة لدارا Darius ، فإن هذه النقوش الملكية لا تمثل نصوصاً روائية بالمفهوم التاريخي الحديث، فهي أولاً وقبل كل شيء عبارة عن تأكيدات أيدولوجية والتي نظراً لأن الملك قد حدد تاريخها بالنسبة إلى فترة حكمه، نجدها لا تتماشى مع وقت التاريخ، وبمعنى آخر، لكي يتمكن المؤرخ من استخدام هذه النقوش بشكل حكيم، فإنه يتوجب عليه أن يدرك أن هذه النقوش لم تدعى أبداً أنها تهدف إلى حفظ معلومات روائية أو وصفية بحتة، وفي نقش الدايفا، نجد أن كسركسيس Xerxes لم يشر إلى بلد ثائر أو أنشطة ملكية بشكل ينطوي على تحديد مكان وزمان وقوع هذه الأحداث، ولكن بدلاً من ذلك فإنه كان يقصد من وراء هذا النقش أن يوضح دوام سلطته وسمو فضائله الملكية، وتكرار الصيغ المقتبسة من دارا Darius يسهم في ترسيخ الانطباع بدوام السلطة، ويضفي المزيد من الشرعية على حكم كسركسيس Xerxes ، والاختلاف الأكثر أهمية بين نقش دارا Darius ونقش كسركسيس Xerxes هو أن قائمة البلاد

في نقش دارا Darius تبدأ بـ «هذه هي البلاد التي قمت بغزوها»، بينما في حالة كسركسيس Xerxes يبدأ بـ «هذه هي قائمة الدول التي أصبحت ملكاً عليها»، ويعتمد كسركسيس Xerxes على فكرة الميراث الذي حصل عليه من دارا Darius تاركاً الانطباع عن طريق الحذف بأنه قد حافظ عليه سالماً، وليتباهى بدرجة أكبر بحجم إمبراطوريته، قام بإضافة البلاد التي لم تكن موجودة في القائمة من قبله الداهاي وأكوافاسيا ، وذلك على الرغم من أننا لا نستطيع أو لا يتطلب منا بالضرورة أن نربط بين هذه الإشارة وبين إحدى الحقائق التي تم تحديد تاريخها مسبقاً .

كسركسيس Xerxes وبلاد فارس:

لم تؤدِّ هذه الملاحظات إلى تجريد نقش الدايفا من أهميته التاريخية، وفي الحقيقية فإن النقش يعبر عن كل من أهمية التركة التي خلفها دارا Darius وعلى أصالة خليفته، وحتى إذا كان كسركسيس Xerxes قد استلهم أفكاره إلى حد كبير من دارا Darius ، إلا أنه لم يقلد تصاريح أبيه تقليداً أعمى، فلقد أضاف ما يجب أن نعتبره ابتكارات أيديولوجية والتي أكملت الأعمال التي كان دارا Darius قد قطع فيها شوطاً كبيراً، وبشكل عام فإن نقش الدايفا يعطينا الانطباع -بالتأكيد- بالتبريرات الدينية لسلطة من يلعب دور الملك الأكبر والذي يمثل الممثل الحقيقي لأهورا-مازدا على الأرض والذي يؤكد على سلطته في التدخل المباشر لضمان عبادته وتبجيله، ولكن من الواضح أيضاً أن سلطة كسركسيس Xerxes الدينية هي سلطة فاعلة فقط في بلاد فارس «هذه الأرض» بالنظر إلى عبادة الفرس للآلهة الفارسية، وقد كانت هذه السلطة تطبق أيضاً على الفرس المنتشرين في جميع أجزاء الإمبراطورية، هل شرع كسركسيس Xerxes في تشييد المعابد للإله أهورا-مازدا في المجتمعات المحلية الفارسية و/أو تنظيم ممارسات طقسية بطريقة مشابهة لما فعله أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني فيما بعد بالنيابة عن

الإله «أناهيتا» الفصل 15-8 ؟ إن هذا ممكن، ولكن يجب أن نقر بأنـه لا توجـد عنـدنا أية معلومات واضحة بخصوص هذا الموضوع، ولقد تم ولوقت طويـل ملاحظـة حـدوث تغير في الألقاب في بابل، وأكدت الاستكشـافات الحديثـة هـذه النقطـة، وصـيغة «ملـك بابـل، ملـك الأراضـين» التـي تمـت إضـافتها خـلال السـنة الأولى إلى اللقـب التقليـدي المستخدم في بداية كل عهد جديد، هذه الصيغة هـي صـيغة أكـثر تعقيـداً مثـل «ملـك فارس، ميديا، الأراضين» أو «ملك فارس، بابل، الأراضين»، ومن المؤكد أن هـذه التغـيرات تعكس غرضاً سياسيًّا ما، ولكن مـا ذلـك الغـرض؟ ونتيجـة للأسـباب التـي تـم توضـيحها بالفعل فيما سبق، فإن محاولة الربط بين هذه التغيرات وبين التحول المفترض في سياسة الملـك الأكـبر تجـاه بابـل هـو أمـر غـير محتمـل، وفي الحقيقـة فـإن هـذه التعـديلات والتكييفات حدثت قبل الثورات نفسها، ودعونـا نفـترض أن كسركسـيس Xerxes كـان الخليفة الوحيد لـدارا Darius الـذي قـام بإحيـاء اللقـب «آرى مـن السـلالة الآريـة»، بالإضافة إلى ذلك فإن المـرة الوحيـدة التـي ذُكـرت فيهـا هـذه الصـيغة كانـت في روايـة زينوفون Xenophon ، ولقد كان قصده من وراء ذلك هو أن يعلن وبشكل أكثر قـوة عن الهيمنة السياسية والأيديولوجية للسلطة المركزية للبلاد الإيرانية وخاصة بـلاد فـارس نفسها، وبشكل ما فإن هذا اللقب يعكس التواصل مع أسـلافه وزيـادة صرامـة وقسـوة الأيديولوجية الملكية الأخمينية .

وبـالطبع، فـإن هـذه التبريـرات الذاتيـة التـي يقـدمها كسركسـيس Xerxes لنفسه هي -إلى حد ما- مشكوك فيها بالدرجة نفسها كتشويه السمعة المنظم الـذي تعرض له كسركسيس Xerxes في المصـادر اليونانيـة وعـلى يـد الكتـاب اليونـانيين، وهذه التبريرات الذاتية لا يمكـن أن تعطينـا بمفردهـا صـورة واقعيـة عـن العلاقـات بين السلطة المركزية والمقاطعات، حيث إن الملك على سبيل المثال لم يقل شـيئاً عـن

الثورات البابلية، ووضع المؤرخ أصعب مـن ذلـك بكثـير؛ لأن طبيعـة الأدلـة تحـول دون الاستغراق في تفاصيل الحياة اليومية الإقليمية، وعلى الرغم من ذلـك فـإن مجـرد وجـود المصادر الأخمينية الرسمية يذكر المؤرخين بألا يكتفوا بـذلك العـرض الـدرامي للأحـداث الذي يحصلون عليه من وجهـة نظـر هـؤلاء اليونـانيين الـذين يسـكنون عـلى مرتفعـات الأكروبولس في أثينا، حيث إنهم يحتاجون إلى إعادة قـراءة المصـادر اليونانيـة والمصريـة والبابلية، والتي في الغالب تمت صياغتها طوعاً أو كرهاً على غرار الفصل الـذي كـان أول مــن شرع فيــه - للأســف الشــديد- أفلاطــون Plato والــذي يتحــدث عــن موضــوع كسركسيس Xerxes وانحلال الإمبراطورية الأخمينية .

الملك المشيد:

وقد واصل كسركسيس Xerxes في الوقـت نفسـه، وبحـماس شـديد مشروعاتـه الإنشائية في برسيبولس واضـعاً أعمالـه بشـكل متكـرر، بحيـث تكـون امتـداداً وتواصـلاً لأعمال أبيه، وكما فعل سائر الملوك الذين جاؤا من بعـده، وتتضـح أنشـطة كسركسـيس Xerxes الإنشائية لـيس فقـط مـن التصريحـات الملكيـة التـي نسـتتج منهـا عامـة «أن كسركسيس Xerxes كـان مسـؤولاً عـن إكـمال قصر دارا Darius ، ولكـن أيضـاً مـن خلال المنشآت الجديدة مثل قصر «الحريم» وهو القصر الجديد الذي تـم الانتهـاء منـه في عهد أرتاكسركسيس Artaxerxes الأول» راجع زينوفون Xenophon «ل» ، وتـم أيضاً إكمال العديد من التماثيل خلال عهده، وقد أظهرت أعمال التنقيـب الأثريـة التـي تمت في بداية السبعينيات من القرن العشرين أن جهـود كسركسـيس Xerxes في هـذا المجال لم تكن تنحصر في برسيبولس فقط، وحتى الآن يشهد اثنان من النقـوش القصـيرة على قيام كسركسيس Xerxes بإنشاء قصر في قلعة صوصا ونعلـم أيضـاً أنـه قـام أيضـاً بإكمال بوابة دارا Xsd Darius .

وتظهــر لنــا أعــمال كسركســيس Xerxes أيضــاً مــن ألــواح الخزانــة،

وتظهر هذه الألواح أن أنشطته الإنشائية قد استمرت دون توقف، وتعود أقدم هذه الألواح إلى عامي 482-484 PT 12-13، 15، 17، 18؛ PT 1957: 1 ، وتوجد كمية كبيرة من الألواح التي تعود إلى السنوات الأخيرة 466-467 حيث كان يتم نقل جماعات العمال بشكل متكرر حول ساحات البناء في برسيبولس، وكما كان يحدث في الفترة السابقة، حيث كان يتم جلب هؤلاء العمال من بلاد متعددة كاريا، سوريا، أيونيا، مصر، بابل ، وأحياناً كان يتم ببساطة إعطاء هؤلاء العمال ألقاباً تميزهم من حيث الجنس مثل «حرفيين كورتاس» أو «كورتاس الخزانة»، ولكن كان يتم تصنيفهم أيضاً تبعاً للحرفة التي يتخصصون فيها، ومن الأشياء الواضحة التي نلاحظها أيضاً هي أن هؤلاء العمال لم يكونوا عمال بناء في ذاتهم ولكنهم كانوا حرفيين يقومون بأعمال الزخرفة والتشطيبات نحاتي التماثيل الخشبية والحجرية، صانعي البوابات الخشبية والحديدية، والمتخصصين في ترصيع التحف بالأحجار الكريمة، الخ ؛ ولكن كان يعمل بعضهم أيضاً بالبناء.

8- الهجمات الأثينية والأراضي الملكية 466-478 :

إنشاء الرابطة الديلية والأراضي الملكية:

تنقطع جميع الروايات المتصلة بعد عام 479 انظر الفصل 13-1 بالأعلى ؛ ولذلك فإنه لا يمكن تقديم أي عرض روائي للأحداث التي وقعت خلال السنوات التي سبقت وفاة كسركسيس Xerxes ، وتجبرنا طبيعة الأدلة على التركيز على الأحداث التي وقعت في آسيا الصغرى، وخوفاً من أن نصيب القارئ بالملل، يجب أن نؤكد مرة أخرى على أن ما نعرفه عن الموقف في آسيا الصغرى قد حصلنا عليه فقط من المصادر اليونانية التي كانت مهتمة بوجه عام بإلقاء الضوء على الانتصارات التي حققها كل من اليونانيون المتحدون والأيونيون في حرب التحرير التي

خاضوها ضد الفرس وثيوسيديدس Thucydides الذي يمثل الكاتب اليوناني الوحيد الذي أعطى إطاراً تاريخيًّا ولكنه غالباً ما يقابل بالشك والاعتراض حيث كان له هدف واحد فقط وهو أن يروي المراحل العظيمة للتوسع الاستعمارى الأثيني، والخطوط العريضة لهذه الأحداث معروفة جيداً، ولكن على الرغم من ذلك تظل هناك العديد من النقاط الغامضة الجديرة بالذكر فيما يتعلق بالتسلسل التاريخي لهذه الأحداث، وقد انطلقت البحرية اليونانية مرة ثانية في ربيع عام 478 تحت قيادة بوسانياس Pausanias ، وكان هذا الأسطول يتكون من السفن الأثينية والسفن البلوبونيزية وسفن «الحلفاء الآخرين» ثيوسيديدس Thucydides ، الكتاب الأول الفقرة 94-1 ، ونقصد بها سفن الجزر الإيجيه التي كانت بحلول صيف-خريف عام 497 «قد ثارت ضد الملك» الكتاب الأول الفقرة 89-2 ، وتبعاً لديودورس Diodorus فلقد كانت مهمة بوسانياس Pausanias تتمثل في «تحرير المدن اليونانية التي كانت لا تزال تحت سيطرة الحاميات البربرية» الكتاب الحادي عشر الفقرة 44-1 ، وهكذا تم تحرير العديد من المدن في قبرص، ثم استولت البوارج البحرية على بيزنطة والتي لم تستطع المقاومة طويلاً، ثم تأتي بعد ذلك قصة بوسانياس Pausanias الإسبرطي الذي -نظراً للشكوك التي ثارت حول تعاونه مع كسركسيس Xerxes - تم استدعائه إلى إسبرطة، وهناك تم استبداله بـ «دوركيس Dorkis »، وتبعاً للمؤلفين القدامى فقد ألب سلوك بوسانياس Pausanias الحلفاء على إسبرطة، وجعلهم يتوجهون نحو أثينا ليطلبوا منها أن تتولى القيادة، وقد ركزت السلطات الإسبرطية جهودها مرة أخرى على شبه جزيرة البلوبونيز، وهذه هي الطريقة التي نشأ بها ما يسمى «الرابطة الديلية»، وقد تم تمويلها من عائدات ضريبية فرضت على كل مدينة من المدن الأعضاء تبعاً لمواردها وقامت المدن الأكثر أهمية بتقديم السفن بدلاً من الرجال ثيوسيديس Thucydides الكتاب الأول الفقرة 96-1 .

والسؤال الأول الذي تثيره الأدلة هو مدى الخسائر الإقليمية التي تكبدها الفـرس، وسرعان ما يثور الجدل حول المدن التي كانت تتكون منها الرابطة الديلية عنـد إنشـائها وبعد ذلك، ولكن يبدو من الواضح بشكل كـافٍ أن مـا سـماه هـيرودوت Herodotus بالثورة الأيونيـة الثانيـة -ولم يفوتـه التأكيـد عـلى ذلـك- لم يـترك تـأثيراً دائمـاً عـلى المواقـع الفارسية على البر الرئيسى لآسـيا الصـغرى، وكـان اليونـانيون يعلمـون مـدى قـوة الجـيش الفارسي، ويشير العقاب القاسي الذي تم إنزاله بديدِما إلى أن مدينة ملطيـة نفسـها كانـت لا تزال تحت السـيطرة الفارسـية، وكانـت الرابطـة الديليـة تتكـون في البدايـة مـن الجـزر الأعضاء بشـكل أسـاسي، ولا توجـد أيـة علامـات عـلى أن الأثينيـين حـاولوا توسـيع نطـاق عملياتهم على البر الرئيسى لما هو أبعد من ذلك بعد عام 478، وبالإضافة إلى بيزنطة تمكن اليونانيون أيضاً من الاستيلاء على إيون وهي واحدة من الحاميات الفارسية التـي كانـت لا تزال موجودة في طراقيا، وقد تم ذلك بعد حصار طويل لها عام 476؟ ، ومن جهـة أخـرى فشل اليونانيون في الاستيلاء على دوريسكوس Doriscus ، كما تم التأكيد على ذلـك مـن قبل هيرودوت Herodotus والـذي يـذكر أن حـاكم المدينـة ماسـكاميس Mascames نجح في صدهم، وكان ذلك «هو سبب حصوله على الهدية السـنوية مـن الملـك الفـارسي» الكتاب السابع الفقرة 106 ، وطبقاً لما يذكره ثيوسـيديدس Thucydides الكتـاب الأول الفقرة 94-2 «تمكن اليونـانيون أيضـاً مـن إخضـاع معظـم أجـزاء جزيـرة قـبرص»، ولكـن يصعب تصديق مثل هذا الـتصريح، ويـذكر ديـودورس Diodorus فقـط قيـام اليونـانيين بطرد الحاميات البربرية من العديد من المدن القبرصية الكتاب الحـادي عشر الفقـرة 44-2 ، حيث إن البحرية اليونانية لم تكن بالقوة الكافية، وكـذلك كانـت مـدة الحملـة قصـيرة للغاية لدرجة يصعب معها تصديق أنهم تمكنوا من إخضاع الجزيرة بالكامـل، والأكـثر مـن

ذلك هو أن النجاحات المتفرقة التي قام اليونانيون بتحقيقها في عام 478 كانت بدون نتيجة، حيث إنه يبدو في الحقيقة أن الفرس قد تمكنوا من استعادة السيطرة على الممالك القبرصية خلال العقد الثالث من القرن الخامس ق.م، وأخيراً فإنه مما يتماشى مع التواريخ بشكل كامل أن حملة نهر يوريميدون The Eurymedon في عام 466، لم يذكر ثيوسيديدس Thucydides فيها أن الأثينيين قاموا بشن هجمة واحدة على آسيا الصغرى، فبعد الاستيلاء على إيون، لم يذكر سوى الحملة التي شنوها على كاريستوس في إقليم يوبيا، والحملة التي شنوها بعد ذلك على جزيرة ناكسوس، ولكن ناكسوس كانت تنتمي في ذلك الوقت إلى الرابطة الديلية، وحاولت التخلص من نير السيطرة الأثينية 467-466 الكتاب الأول الفقرة 98 ؛ ولذلك فإن هذه الحملة لم تكن مسألة توسع إقليمي.

ويجب التأكيد أيضاً على ما يذكره ثيوسيديدس Thucydides عن أسباب إنشاء الرابطة: «لقد كان هدفهم المعلن بروسخيما يتمثل في الرد على المعاناة والآلام التي سببها لهم الفرس، وذلك بنهب وتخريب بلاد الملك الأكبر» الكتاب الأول الفقرة 96-1 ، ولا يوجد سبب يضطرنا للشك فيما يقول ثيوسيديدس Thucydides هنا، وعلى الرغم من أنه قد تم تقديم هذه الرابطة فيما بعد على أنها أداة لتحرير المدن اليونانية الموجودة في آسيا الصغرى، إلا أن هذا المنظور لم يكن ذا أهمية في العقد الثالث من القرن الخامس ق.م، فلم يكن لدى أثينا الموارد اللازمة لإنجاح مثل هذه السياسة، حيث إن الضريبة التي كان يتم جمعها عام 487 لم تكن كافية للإنفاق على قوة بحرية دائمة تكون قادرة على التصدي بنجاح للأساطيل التي يستطيع الملك الأكبر حشدها في لحظة، ويبدو أن الهدف الرئيسى من وراء الحملة التي قادها سايمون Cimon خلال العقد الثالث من القرن الخامس ق.م كان يتمثل في جمع

الغنائم لدفع رواتب جنوده بلوتارك Plutarch ، سايمون Cimon ، الفقرة 9-6 ، وكان الاستيلاء على ناكسوس هو بمثابة ما يصفه لنا ثيوسيديدس Thucydides بداية التغير التدريجي، ويلقى ثيوسيديدس Thucydides بالضوء على سياسة بعض المدن الأعضاء في الرابطة والتي كانت تفضل «دفع الحصة المقررة عليها من التكاليف في صورة مال بدلاً من الرجال، وبهذا لا يكون رجالها مضطرين إلى مغادرة بيوتهم للمشاركة في الحملات، وهكذا، وحينما كانت أثينا تعمل على زيادة عدد سفن أسطولها باستخدام الأموال التي كان يسهم بها هؤلاء الأعضاء في الرابطة، إلا أن مواجهتهم لإحدى الثورات كانت تظهر مدى النقص الذين يعانون منه في الموارد والخبرات القتالية» الكتاب الأول الفقرة 98-3 ، وبهذه الطريقة نجح نظام الجزية الآثيني - وهو النظام الذي تم أخذه من النظام الأخميني- في تحقيق نتائج تصب تماماً في مصحلة الأثينيين.

وبالطبع فإن رواية ثيوسيديدس Thucydides هي رواية متحيزة ولم تدّعِ غير ذلك ، فقد اختار الحقائق التي يبدو أنها توضح مراحل تطور التوسع الاستعمارى الأثينية، ولكن لا توجد مصادر أخرى تسمح لنا بالوصول إلى نتائج يمكن الاعتماد عليها، وإنه من الخطير جدًّا على وجه الخصوص أن نقوم بإعادة بناء الطريقة التي توسعت بها الرابطة الديلية حتى نصل إلى بداياتها بواسطة الحساب العكسي ابتداءً من «قوائم الضريبة الأثينية» الأولى ALT والتي ترجع أصولها إلى عام 453، إن انضمام مدن البر الرئيسى في آسيا الصغرى إلى الرابطة الديلية هو مسألة مؤكدة، ولكن ما تلك المدن؟ ومتى انضمت؟ وفي إحدى الفقرات الشهيرة في كتاب بلوتارك Plutarch «حياة سايمون Cimon 12 »، نجد بلوتارك Plutarch مثله في ذلك مثل العديد من المؤلفين القدامى يبالغ كثيراً في مدح فتوحات سايمون Cimon : «ولم

يفعل أي رجل آخر أكثر مما فعله سايمون Cimon لتحطيم كبرياء الملك الفارسي، فلم يكتفِ بطرده من بلاد اليونان، بل قام باقتفاء أثره ومطاردته، وذلك حتى لا يعطي لهؤلاء البربريين فرصة لالتقاط أنفاسهم واستعادة قواهم، ولقد كان في حالة عمل دؤوب، وبفضل ما ألحقه بالفرس من دمار، وانتزاعه بعض المناطق منهم بالقوة والثورات والتمردات التي قامت بها بعض المناطق الأخرى من أيونيا إلى بامفيليا، بفضل هذا كله تم تخليص آسيا الصغرى من الجنود الفرس» فقرة 12-1 .

وتكمن هنا أهمية هذه الفقرة بالنسبة للتاريخ الأخميني في التاريخ الذي تم إعطاؤه لها، فلم تكن عند بلوتارك Plutarch أية مشكلة في وضع هذه الحملة تماماً قبل حملة نهر يوريميدون The Eurymedon عام 466 والتي يصفها بالتفصيل، وذلك هو ما فعله ديودورس Diodorus نفسه والذي يقول: بعد أن انتهى سايمون Cimon من تعزيز أسطوله في أثينا أبحر متجهاً نحو كاريا: «لقد نجح على الفور في إقناع المدن التي تقع على الساحل، والتي كان يستوطنها اليونانيون بالقيام بالثورة على الفرس، ولكن بالنسبة للمدن التي كان يتحدث سكانها لغتين -والتي كانت لا تزال بها حاميات فارسية- لجأ معهم إلى استخدام القوة وفرض عليهم الحصار، ثم وبعد أن كان قد نجح في جعل مدن كاريا تنضم إلى صفه تمكن بالمثل من إقناع مدن إقليم ليسيا» الكتاب الحادي عشر الفقرة 60-4 .

وقد أثيرت بعض الشكوك حول مدى إمكانية أن يكون سايمون Cimon قد تمكن من تحقيق كل هذه الفتوحات في حملة واحدة، وهي التي شنها في عام 466، والحق يقال فإنه لا توجد طريقة للتأكد من صحة ذلك، وعلى أية حال فحتى لو أقررنا بأن بلوتارك Plutarch وديودورس Diodorus يشيرون إلى أحداث وقعت قبلهم بسنوات عديدة، فإننا يحق لنا أن نتساءل حول مدى صحة نسبة هذا القدر الكبير من الأعمال إليه والتي تم التعبير عنها في صيغ تقليدية، ومن الواضح أن كتاب حياة سايمون

Cimon هو ليس سوى تأبين طويل والـذي يؤكـد عـلى مـدح الأعـمال العظيمـة لهـذا الرجل والذي لم يتمكن قائد واحد من القادة اليونانيين بعد وفاته من تحقيق أي إنجـاز ملموس ضد البرابرة» فقـرة 19-3 ، بالإضـافة إلى ذلـك فـإن روايـة بلوتـارك Plutarch نفسها تتحدث عن وقوع قدر كبير من أعـمال السـلب والنهـب وشـن الغـارات مسـاوياً للفتوحات الفعلية نفسـها، ويتحـدث أيضـاً عـن مواجهـة تلـك الحملـة الأثينيـة لـبعض المقاومة ومثال فاسيليس Phaselis الذي يقع تحديداً في سياق حملة نهر يوريميـدون The Eurymedon يظهر بوضح أن المدن في آسيا الصـغرى كانـت بعيـدة كـل البعـد عن الموافقة طوعاً على الاستسلام: «على الرغم من أنها كان يسـكنها اليونـانيون، إلا أنهـا لم تترك صف الفرس، ورفضت السماح لسفنه بالـدخول إلى مينائهـا، ونتيجـة لـذلك قـام بتخريب ذلك البلد، وأمر جنوده بالاصـطفاف في مواجهـة أسـوارهم» فقـرة 12-4 ، وفي حين أنه مـن غـير الممكـن التأكـد مـن مـدى وحجـم الخسـائر، يشـير كـل مـن بلوتـارك Plutarch وديـودورس Diodorus إلى أنـه في ذلـك الوقـت أي تقريبـاً في عـام 466 ، كانت العديد من مدن البر الرئيسى لآسيا الصغرى لا تزال تدور في فلك الفرس، بالإضـافة إلى ذلك فإن الحاميات الأخمينية كانت منتشرة في كل مكان.

حملة نهر يوريميدون The Eurymedon ونتائجها 466 - 465 :

لم يكن الملك الأكبر غافلاً عن أن الأثينين كانوا يواجهون في ذلك الوقـت صـعوبات متزايدة مع حلفائهم الأكثر قوة، وفي فقرته التي خصصها للحديث عن هذا التطور، قـام ثيوسيديدس Thucydides بتسمية ناكسوس «والتي كانـت السـابقة الأولى عـلى كسر الارتباط القائم بين أعضاء الرابطة بإخضاع أحد أعضائها، ثم نصـل بعـد ذلـك إلى القتـال الذي دار بـرًّا وبحـراً عنـد نهـر يوريميـدون The Eurymedon » في كيليكيـا الكتـاب الأول الفقـرة 98-3، الفقـرة 100-1 ، ولقـد تـم غـزو جزيـرة ناكسـوس مـرة أخـرى مـن

قبل سايمون Cimon في عام 467، وفي خلال ذلك الوقت كانت قيادة أركان الجيش الأخميني قد تمكنت من حشد جموع غفيرة من الجند في القواعد الكيليكية والقبرصية والفينيقية والبامفيلية ديودورس Diodorus الكتاب الحادي عشر الفقرة 50-60، بلوتارك Plutarch ، سايمون 12-2 Cimon، ولقد قام الملك باختيار قادته العسكريين من بين النبلاء: ويذكر إفورس Ephorus أنه كان من بينهم تثروستيس Tithraustes والذي كان على رأس البحرية الملكية وفارانداتيس Pharandates الذي كان قائداً على القوات البرية سايمون Cimon الفقرة 12-5 ، ولقد كان الأول هو ابن غير شرعي لكسركسيس Xerxes ديودورس Diodorus الكتاب الحادي عشر الفقرة 60-5 ، ويذكر كاليستينيس Callisthenes اسم «أريوماندیس Ariomandes » ابن جوبریاس Gobryas والذي كان يمثل القائد الأعلى كِريوتاتوس للقوات الفارسية سايمون 12-5 Cimon ، وتظهر مدى ضخامة الاستعدادات ونوعية القادة أن الملك لم يقتنع باتباع استراتيجية دفاعية، وأنه كان عازماً على شن هجوم مضاد للاستفادة من المشكلات التي تواجه أثينا، ولقد انتهت المواجهات العديدة التي وقعت برًّا وبحراً لصالح سايمون Cimon : «لقد ثبطت النجاحات التي حققها سايمون Cimon كثيراً من همة ملك فارس لدرجة أنها جعلته يعقد اتفاق السلام المشهور مع اليونانيين، والذي تعهد بمقتضاه بأن جيوشه لن تقترب أكثر من مجرى حصان من بحر اليونان، وأن أيًّا من سفنه الحربية لن تظهر في المنطقة بين جزيرة ثيرا وجزر شيليدون» Chelidon بلوتارك Plutarch ، سايمون Cimon : الفقرة 13-4، راجع الفقرة 19-4 .

وعلى الرغم من أن بلوتارك Plutarch يؤكد على ضخامة الانتصار الذي تم تحقيقه عند نهر يوريميدون The Eurymedon ، إلا أنه يذكر أن كاليستينيس Callisthenes لم يذكر شيئاً عن مثل هذه المعاهدة، وأن كل

ما قاله هو أن الملك «قد بقى في هذه الأثناء بعيداً جدًّا عن اليونـان لدرجـة أنـه عنـدما أبحر بركليز Pericles ومعه 50 سفينة وإفيـالتيس Ephialtes ومعـه 30 سـفينة لما هو أبعد من جزر شيليدون، لم تقابلهم سفينة فارسـية واحـدة» الفقـرة 12-4 ، ويقـول بلوتارك Plutarch إنه اختار الرواية التي تتضمن على معاهدة السلام تلـك؛ لأن نصـها كان موجوداً في المجوعة التي جمعها كراتيروس Craterus .

ويعد بلوتارك Plutarch المسؤول عن بدء المناظرة المعتـادة حـول اتفـاق سـلام كالياس Callias ، والذي يتم إرجاع تاريخه في أغلب الأحيان إلى الفـترة مـا بـين عـامي 449-448 والذي يُعزي نجاحه إلى الوساطة التي قام بهـا كاليـاس Callias هـيرودوت Herodotus ، ولكن هل تـم عقـد هـذا الاتفـاق عـلى الإطـلاق؟ وهـل كانـت سـفارة كالياس Callias مجرد تجديد للاتفاق الذي تم عقده في الفترة ما بين عـامي 467-466 قبل وفاة كسركسيس Xerxes بفترة قصيرة؟ ليست عندي هنا أية نية لإعـادة فـتح تلـك المناظرة المعقدة للغاية بكاملها، ولقد قام سيل من الكتابات بتغطية الآراء المتناقضة تماماً مع بعضها البعض، والحجج الرئيسية المؤيدة والمعارضة هي معروفـة ومشـهورة؛ فـالحجج المؤيدة هي: 1 نجد أن المصادر اليونانية لديها إجماع نسبي حـول هـذا الموضـوع وهـذا الإجماع كبير لدرجة يبدو معها مـن الصـعب تصـديق أن هـذا الاتفـاق هـو ببسـاطة مـن اختراع وتأليف مؤرخي القرن الرابع، وذلك على الـرغم مـن الأخطـاء الكثـيرة الموجـودة في مؤلفاتهم والتي هي من جميع الأنواع. 2 لا بد أن ملـك أثينـا قـد وجـد أنـه مـن المفيـد لمصالحه أن يعقد مثل هذه المعاهدة بعد موقعـة يوريميـدون The Eurymedon ، أمـا بالنسـبة للحجـج المعارضـة: 1 يـذكر ثيوبومبـوس Theopompus أن هـذه المعاهـدة هـي تزويـر وتلفيـق. 2 لم يـذكر ثيوسـيديدس Thucydides شـيئا عـن مثـل هـذه المعاهدة. 3 لا نستطيع تصور أن أثينا والملك الأكبر قد تصرفا بمثل هذه الطريقة. 4 لم

يكن من المعتاد أن يعقد البلاط الأخميني مثل هذه الاتفاقات، وكما هو معـروف جيـداً فإن كل حجة من هذه الحجج يمكن أن نقلبها رأساً على عقب؛ لأنه لا يوجد «دليـل» في الوقت الحالي مقنع للجميع وبدون أية تحفظات، ودعونـا نوافـق عـلى الأقـل أنـه كـان هناك مجرد اتفاق في الحقيقة ولكن ليس بشكل رسمي وذلك نتيجة للمبـادرات التـي قام بها كل من القادة اليونانيون والمرزبانات الفرس، ولكن، وعلى الـرغم مـن ذلـك فـإن هذا حل لا يبعث على الأمل كثيراً؛ وذلك لأنه لا يستطيع وحده توضيح كل شيء .

ويدور السؤال الأساسي حول مسألة الاستراتيجية والسياسة: ما الشـكل الـذي مـن الممكن أن يكون قـد اتخـذه هـذا الاتفـاق؟ وهـل كـان في صـالح الملـك الأكـبر في ذلـك الوقت؟ لا يمكن أن ترضينا إجابة بلوتارك Plutarch وهي أن الهزيمة قد روعت الملك وثبطت من همته بشكل كامل ، حيث إن هذه الفكرة تتماشى تماماً مع تلك الصور التي تم تقديمها عن كسركسيس Xerxes ، ونوبة الهياج الدعائي تلـك التـي أعقبـت انتصـار يوريميدون The Eurymedon لدرجة يصعب معهـا أن تكـون مقنعـة، وتثـير محاولـة اختبار بعض الحلول الأخرى الممكنة صعوبات قليلـة إلى حـد مـا، وخاصـة فـيما يتعلـق بالمشكلات ذات الصـلة بالتسلسـل التـاريخي، وكـما يمكـن أن يـرى أي واحـد منـا فإنـه بعـد المعركـة لم يحـاول سـايمون Cimon الاسـتفادة مـن الـنصر الـذي حققـه، ولكـن، وعـلى العكـس مـن ذلـك اكتفـى فقـط بمحـاصرة وتطويـق سـاحل طراقيـا، وهنـاك قـام بغـزو الفـرس الـذين كـانوا يقاومونـه وذلـك بمسـاعدة الطـراقيين، ثـم أبحـر بعـد ذلـك إلى م دينة ثاسوس الثائرة بلوتارك Plutarch ، سايمون Cimon الفقرة 14-2 ، ولكن تحديد تاريخ ثورة ثاسوس لا يزال يمثل مشكلة؛ وذلك بسـبب غمـوض عبـارة ثيوسـيديدس Thucydides ، ولقــد حــدث بعــد ذلــك بــبعض الوقــت أن ارتــد ســكان ثاســوس عــن تأييــد الأثينــين»

الكتاب الأول الفقرة 100-2 ، وإذا وافقنا على أن تاريخ التمرد الذي قام به أهـل مدينـة ثاسوس يعود إلى الفترة التي تلت معركة يوريميدون The Eurymedon مباشرة، فإنـه يتوجب علينا حينها أن نوافق على أن الملك الأكبر، وبـالرغم مـن هزيمتـه لم يكـن لديـه سبب يجعله يخضع نفسه لمثل هـذه الشروط المهينـة التـي اشـتملت عليهـا المعاهـدة، حيث أن أثينا قد وجدت نفسها في ذلك المأزق نفسه الـذي تعرضـت لـه مـن قبـل عـام 467 بعد الثورة التـي قامـت بهـا جزيـرة ناكسـوس، وبالإضـافة إلى ذلـك، فقـد جـذبت جبهات جديدة اهتمام أثينا نحو بلاد اليونان مرة أخرى، وسرعان ما تعرضت المدينـة إلى كارثة غير مسبوقة في طراقيا درابسكوس، ثيوسـيديدس Thucydides : الكتـاب الأول الفقرة 100-2؛ الكتاب الرابع الفقرة 102 .

ولكن ديودورس Diodorus والذي أرجع تاريخ اتفـاق السـلام سـالف الـذكر إلى الفترة ما بين عامي 448-449 يصف لنا رد الفعل الفارسي بعد معركة يوريميدون The Eurymedon بطريقة مختلفة كليًّا عن تلك الرواية التي قدمها بلوتـارك Plutarch : «ولكن الفرس نتيجة لتلـك الانتكاسـات الكبـيرة التـي واجهـتهم قـاموا ببنـاء عـدد كبـير مـن السـفن ثلاثيـة المجـاديف؛ وذلـك خوفـاً وتحسـباً للقـوة المتعاظمـة للأثينيـين» الكتـاب الحـادي عشر الفقـرة 62-2 ، ولقـد عـاد ديـودورس Diodorus والـذي كـان يعتمد على إيفورس Ephorus بالتأكيد إلى هذه النقطة في عرضه لبدايـة فـترة حكـم أرتاكسركسـيس Artaxerxes عـام 465 : «فقـد شـغل أرتاكسركسـيس Artaxerxes نفسه بكـل مـن العائـدات وحشـد وإعـداد القـوى العسـكرية» الكتـاب الحـادي عشر الفقـرة 71-2 ، ويمكـن أن نـربط بشـكل قـاطع بـين الفقـرة الثانيـة وبـين الثـورة المصرية، وعلى الرغم من ذلك، وحيث إن الثورة المصرية لم تندلع قبل وفاة كسركسـيس Xerxes الفقـرة 71-3 ؛ ولأن الملـك لا يمكـن أن يكـون قـد قـرر إلقـاء أسـلحته أو

التراجع بشكل مخزٍ عن ساحل آسيا الصغرى بعد موقعة نهر يوريميدون\ The Eurymedon ، والسماح بذلك للبحرية الأثينية بالإنتشار بدون أية عوائق في الوقت الذي كانت فيه مشغولة بمهام أكثر أهمية، فإنه يبدو من الصعب تحديد تاريخ تلك المعاهدة وذلك إذا كانت هناك معاهدة على الإطلاق بأنها كانت في الفترة التي تلت معركة يوريميدون The Eurymedon .

حالة إقليم ليسيا: النص والصورة:

من الصعب تحديد أية نقطة دخول أخرى؛ وذلك للنقص الشديد فيما لدينا من مصادر للمعلومات، ولم تذكر المصادر الكلاسيكية شيئاً حول العلاقات اليونانية الفارسية في الفترة بين معركة يوريميدون The Eurymedon ووفاة كسركسيس Xerxes ، وهكذا فإنها لم تتحدث عن المكاسب والخسائر فيما يتعلق بالأقاليم الخاضعة لسلطة الملك في آسيا الصغرى خلال هذه الفترة، ولا يمكننا الحصول على تقييم أولى لتلك الخسائر أو المكاسب حتى عام 453، وهو العام الذي بدأت فيه سلسلة قائمة الضرائب الأثينية ATL ، وعلى الرغم من ذلك -وكما ذكرنا للتو- فإن بناء أي تقييمات عكسية اعتماداً على مثل هذه المصدر هو أمر محفوف بقدر كبير من الشك، فنحن نعرف -على سبيل المثال- أن سكان إقليم ليسيا قاموا بتقديم السفن إلى كسركسيس Xerxes في عام 480، ولكنهم بدأوا في دفع الضريبة إلى الرابطة الديلية بدءاً من الفترة ما بين عام 452-451 وحتى عام 445-446 مثلهم في ذلك مثل سكان إقليم تِلمسيا، ولكن ما التاريخ الذي ترك فيه سكان ليسيا صف الفرس لينضموا إلى الأثينيين؟ وما دلالات مثل هذا التحول؟ وهناك اعتقاد عام بأن العلاقات الجديدة بينهم وبين الأثينين كانت راجعة إلى الأنشطة التي قام بها سايمون Cimon قبل وبعد معركة يوريميدون The Eurymedon ، وهي الأنشطة التي يمكن التحقق منها أثريًّا من خلال طبقات الدمار الموجودة في

زانثوس، ولكن ما يسمى بطبقات الدمار هذه قد تم تحديد تاريخها هي الأخرى بالإشارة إلى الأنشطة المفترضة التي قام بها سايمون Cimon ، وهذا الاعتماد والدعم المتبادل فيما بين كل من «الحقائق النصية والأثرية تبين أنه وهمي وخادع».

وبالنسبة للدراسات المتصلة بالرسومات والأيقونات، فسنجد أنها هي الأخرى مليئة بالشراك الخداعية، فسنراها تارة تركز على التأثير الأثيني، وتارة أخرى تركز على التأثير الأخميني، ولكن ما العلاقات الثقافية التي يمكن إقامتها بين اقتباس الصور والأيقونات وبين التأثير السياسي الأخميني؟ ربما لا يوجد أي شك في العلاقة لنتحدث عنه، وخاصة إذا اتفقنا على أن هذه الأعمال الفنية قد تم إنتاجها في وقت كانت ليسيا فيه قد تحررت من نير الطغيان الفارسي، ومن ناحية أخرى يجب أن نؤكد على أنه لا توجد نسخة واحدة محددة من هذه الصور والأيقونات تم إنتاجها على الطراز الأخميني، ولكن كانت هناك عمليات اقتباس انتقائي لبعض العناصر من مجموعات الأيقونات الموجودة في برسيبولس، والتأثير الأثيني هو أيضاً واضح للغاية ونلمسه بالدرجة نفسها في تنفيذ بعض المنحوتات البارزة كما في اختيار بعض الصور، وهناك توضيح آخر نحصل عليه من الدليل الذي يشير إلى أنه كان هناك تدفق متزايد للواردات من الآنية الفخارية الأثينية والموجودة في موقع زانثوس، وبشكل ما، فإن نموذج إقليم ليسيا يظهر أن العمليات التي كانت تتم لصبغه بالثقافة الهيلينية كانت تسير جنباً إلى جنب مع تلك العمليات الأخرى التي كانت تهدف لصبغه بالثقافة الفارسية، حيث إنه كان يتم إقحام هذين الطعمين في ساق الشجرة الليسية، وهي الشجرة التي ظلت على قدر كبير من الحيوية، ولقد قام الحكام والنبلاء الليسيون باستعارة بعض العناصر من مجموعة الصور والأيقونات الأخمينية، وقد مكنت هذه الصور الحكام من تمجيد وتعظيم مكانتهم السياسية في داخل

المجتمع الليسي، وكذلك أيضاً مكنت النبلاء من تصوير ووصف أسلوب حياتهم الذي كان يتميز بإقامة المآدب والخروج في رحلات الصيد، ومن المدهش ملاحظة تأثيرات أخمينية واضحة في المباني في زانثوس، والتي يعود تاريخها عامة إلى الفترات التي تلت الفترة ما بين عامي 470-480 ، ولكن لا يعني هذا التخصيص بالضرورة خضوع هذا الإقليم سياسيًّا إلى سلطة الفرس أكثر مما يؤدي تبني بعض الأفكار اليونانية المتكررة إلى افتراض وجود نوع من الولاء للمصالح الأثينية في المنطقة .

9- استراتيجية كسركسيس Xerxes الغربية:

كسركسيس Xerxes ومرزبانيات آسيا الصغرى:

لتحقيق تقدم في فهم لأحداث تلك الفترة يجب أن نستعين ببعض المداخل المكملة حيث سنبدأ من ملاحظة واحدة بسيطة أشارت إليها النقاشات السابقة: حيث إننا يجب أن نفترض أن السلطات الاستعمارية الفارسية على المستوى المركزي وعلى مستوى المرزبانيات قامت نتيجة لتعرضها لتلك الهجمات الأثينية بالتفكير في استراتيجية جديدة، ومحاولة إعادة بناء تلك الاستراتيجية تبدو كتحدٍ كبير؛ وذلك لأن المصادر اليونانية لم تعطها أي اهتمام على الإطلاق، ولم تذكر عنها شيئاً، وعلى الأكثر فنحن نعلم من ديودورس Diodorus أن كسركسيس Xerxes قام قبل مغادرته لآسيا الصغرى» بترك جزء من قواته في سارديس ليقوموا بمواصلة الحرب ضد اليونانيين» الكتاب الحادي عشر الفقرة 36-7 ، ولقد تمكنا فقط عن طريق جمع مجموعة من المعلومات المتفرقة من أن ندرك أن الملك الأكبر قد قام حينها أو بعد ذلك بقليل باتخاذ سلسلة من الإجراءات التي تبدو متفرقة بشكل واضح، ولكن ذلك يرجع فقط إلى طبيعة الأدلة التي جمعناها، وفي الحقيقة فإن المؤلفين اليونانيين قد قاموا بالاستشهاد بهذه الإجراءات بدرجة كبيرة

خارج إطار المواجهة التي وقعت في العقد الثالث من القرن الخامس ق.م، وعلى سبيل المثال يتحدث زينوفون Xenophon بصورة عرضية عن سيليناي Celaenae في وصفه لمسيرة قورش Cyrus الأصغر فيقول: «ويروي أيضاً أنه في هذا المكان قام كسركسيس Xerxes أثناء انسحابه من بلاد اليونان بعد الهزيمة في تلك المعركة الشهيرة، ببناء قصر باسيليا الذي تم ذكره للتو، وأيضاً قلعة سيليناي» أناب الكتاب الأول الفقرة 2-9 ، وعندما ندرك الأهمية الاستراتيجية لهذه المدينة، فإنه سيكون من الصعب ألا نرى في هذا التعليق صدى للتعزيزات العسكرية الفارسية .

ويتحدث هيرودوت Herodotus عن أحد المراسيم الملكية خلال روايته للقصة الرومانسية عن ماسيستيس Masistes ، حيث يروي هيرودوت Herodotus أن شخصاً من هاليكارناسوس يُسمي زيناجوراس Xenagoras ابن براكسيلوس Praxilaus قد أنقذ حياة ماسيستيس Masistes ، وأن «هذا العمل قد ساعد زيناجوراس Xenagoras على الفوز بالحظوة ليس عند ماسيستيس Masistes نفسه ولكن أيضاً عند كسركسيس Xerxes ، ولقد قام كسركسيس Xerxes بمكافأته بهدية تمثلت في حكم مقاطعة كيليكيا بالكامل» الكتاب التاسع الفقرة 107 ، ومن الواضح أن هذه المعلومة يجب أن توضع في إطار المعلومات القليلة المتوافرة لدينا عن الغزو الفارسي لكيليكيا في ذلك الوقت فصل 12-5 ، ويبدو من المستحيل أن يتم اختيار شخص من إقليم كاريا ليكون مرزبانا على كيليكيًا، ونحن نعرف على العكس من ذلك أن العلاقات الأسرية بين أسرة الملك سينيسيس Syennesis وملوك إقليم كاريا كانت علاقات قديمة وحميمة تعود إلى حوالي عام 500 ق.م «بكسوداروس Pixodarus ابن موسولوس Mausolus ، وهو رجل من إقليم سنديا، قد تزوج بإبنة ملك إقليم كيليكيا المسمى سينيسيس Syennesis » الكتاب

الخامس الفقرة 118 ، ومن المحتمل أن زينـاجوراس Xenagoras قـام بعـد مقتـل الملـك سينيسيس Syennesis في معركة سلاميس بالمطالبة بحقوقه في تولي ملك كيليكيـا، وطبقـاً لهذا الافتراض فإن الملك الأكبر نفسه هو من اتخذ هذا القرار وهـذا لـن يكـون هـو المثـال الأول على حدوث هذا النوع من التدخل المبـاشر منـذ أن أدت حملـة دارا Darius عـلى الساكيين إلى استبدال أحد الملوك المتمردين بملك متمرد آخر سكونخا بالتماشي مع رغبـات الملك الأكبر DB ، الكتاب الخامس الفقرة 74 ، ولقـد حـدث هـذا الشيء نفسـه في جزيـرة قبرص خلال الثورة الأيونية هيرودوت Herodotus الكتاب الخامس الفقرة 115 ، وطبقـاً لهذا الافتراض فإن اختيار كسركسيس Xerxes لزيناجوراس Xenagoras كان يعنى تأكيد الوجود الملكي في كيليكيا، ويمكن أن نفترض أن هـذا القـرار لكسركسـيس Xerxes جـاء في إطار خطة كلية، والتي كانت تهدف تحديداً إلى حماية قبرص بشكل أفضل والسيطرة عليها، حيث إنها كانت مهددة من الهجمة التي شنها الأثينيون في عام 478، ومن المحتمل أيضاً أن هذا القرار عزز العلاقات مع إقليم كاريا، وعلى الرغم من أننا لم نسمع أي شيء عـن الملكـة أرتيميسيا Artemisia بعـد موقعـة سـلاميس، إلا أنـه مـن الواضـح أنهـا ظلـت الحليـف المخلـص للملـك، حيـث إن كسركسـيس Xerxes كلفهـا بحمايـة أبنائـه غـير الشرعيـين هيرودوت Herodotus الكتاب الثامن الفقـرات 101-103 ، وفي الحقيقـة فإنـه لا توجـد إشارات على أن هاليكارناسوس والمدن الدورية الأخرى التي كانت تتبعهـا الكتـاب السـابع الفقرة 97 قد انضمت إلى الرابطة الديلية منـذ بـدايتها، بـل عـلى العكـس مـن ذلـك فـإن اكتشاف إناء فخاري منقوش عليه اسم كسركسيس Xerxes في المدينـة بوسـنر Posener رقم 51، الكتاب الخامس عشر يدفعنا إلى الاعتقاد بأن علاقتهـا مـع بـلاد فـارس لم تضـعف ولكن يجب أن نقر بأن الأدلة على ذلك هي أدلة محدودة .

ويتضح لنا أيضاً وبشكل قوي مدى انشغال واهتمام كسركسيس Xerxes بالمحافظة على المواقع الأخمينية في آسيا الصغرى من القرارات التي اتخذها بعد ذلك بفترة قصيرة في إقليم فريجيا الذي يقع على مضيق الدردنيل، وفي الحقيقة فإن ثيوسيديدس Thucydides يذكر في الملحق التكملة المهم الذي كتبه حول مغامرات بوسانياس Pausanias ويقول إنه في ذلك الحين عامي 477-478 «قام كسركسيس Xerxes بإرسال أرتابازوس Artabazus ابن فارناسيس Pharnaces إلى البحر حاملاً معه أوامر تقضي بأن يحل محل ميجاباتيس Megabates الحاكم السابق في مرزبانية داسكيليون» الكتاب الأول الفقرة 129-1 ، ولقد كان أرتابازوس Artabazus شخصاً رفيع المنزلة؛ لأن والده فارناسيس Pharnaces هذا يحتمل أنه لم يكن سوى البرناكا الذي تتحدث عنه ألواح التحصينات أي أنه كان عم دارا Darius ، ولقد شارك أرتابازوس Artabazus في حملة عام 480: وقد صاحب كسركسيس Xerxes حتى المضايق، ثم غادر ساحة معركة بلاتيا بعد أن اختلف مع ماردونيوس Mardonius حول الاستراتيجية، ولقد كان تعيينه مرزباناً على داسيليوم بداية سلسلة طويلة من الحكومات المرزبانية التي كان يرأسها أفراد من هذه الأسرة ويقول ثيوسيديدس Thucydides ببساطة أن أرتابازوس Artabazus تلقى أوامر بالاتصال ببوسانياس Pausanias ، ولكن من المؤكد أن هذا الأمر الملكي كان جزءاً من مشروع استراتيجي أكبر، وخاصة في الوقت الذي كانت فارس قد خسرت فيه مدينتي سيستوس وبيزنطة، والحقيقة تظل في أن «الوجود الملكي» في داسيليوم تم توضيحه بشكل جيد من خلال الأختام التي تم اكتشافها في الفترة ما بين عامي 1952-1955 والتي لم تنشر بعد ، والتي تمثل آثاراً متبقية ومتخلفة من السجلات المرزبانية .

ويحمل العديد من هذه الأختام رسوماً ملكية «البطل الملكي»،

شكل 56 ب صفحة 700 ، ونقوشاً باللغة الفارسية القديمة تعني «كسركسـيس Xerxes الملك».

كسركسيس Xerxes وبوسانياس Pausanias :

لقد حان الوقت لتناول قصة بوسانياس Pausanias ، حيث إنها تزودنا بتوضيح كبير حول كارت آخر من الكروت الرابحة التي كانت لدى كسركسـيس Xerxes ، وهـو ولاء بعض المدن اليونانية له، وتبعاً لثيوسيديدس Thucydides فلقد أوكل اليونـانيون إلى بوسانياس Pausanias مهمة قيادة البحرية اليونانيـة في عـام 478، ولكـن بعـد أن استولى الفرس على بيزنطة تم استدعاؤه إلى إسـبرطة، فلقـد آثـار معارضـة الحلفـاء لأنـه مارس سلطته «بشكل استبدادي»، وبالإضافة لذلك فقد تم اتهامـه بــ «الميديـة» والتـي «نظراً لكل العلامات التي ظهرت عليه كانت واحدة من الـتهم التـي كـان يوجـد عليهـا أكبر قدر من الأدلة، ولم يعِد اللاسيدومونيون تعيينه قائـداً مـرة أخـرى» الكتـاب الأول، الفقرة 94. 3-6 ، وقد تم شرح هذه «الميدية» بمزيد من التفصيل: فبعد اسـتيلاء الفـرس على بيزنطة، قام بوسانياس Pausanias بتسليم الأسرى الفرس ذوي الرتب العاليـة إلى كسركسيس Xerxes ، والذين كان من بينهم أقـارب وحلفـاء لـلأسرة المالكـة الفارسـية، وبوساطة من جونجيلوس Gongylus اليوناني، قام أيضـاً بإرسـال رسـالة إلى كسركسـيس Xerxes يطلب فيها منه أن يزوجه من ابنته، وعرض عليـه في المقابـل أن يقـوم بجعـل إسـبرطة وبـاقي أجـزاء Hellas تخضـع لـه» الكتـاب الأول الفقـرة 128 ، ولقـد قـام كسركسـيس Xerxes وهـو في غايـة السرور بإرسـال أرتابـازوس Artabazus محمـلاً بـالرد إلى داسـيليوم والـذي أكـد فيـه لبوسـانياس Pausanias عـلى اعترافـه بـه، وطلب منه التعاون مع أرتابازوس Artabazus واعداً إياه بمبالغ ضخمة من المال وبـدعم واسع، ولقد بدأ ذلك الإسبرطي بعد أن مـلأه الكبريـاء يتبنـى أسـلوب حيـاة النـبلاء الفـرس:

«فقد خرج من بيزنطة مرتدياً زيًّا ميديًّا» وكان يرافقه خلال مسيرته عبر أراضي طراقيا حراس شخصيون من الميديين والمصريين، وكان يحتفظ بمائدة فارسية، وجعل الوصول إليه والتمكن من مقابلته أمراً صعباً»، ولقد أثار هذا حقد وغضب الحلفاء، وتسبب في استدعائه للعودة إلى إسبرطة الكتاب الأول الفقرة 128، 129-1 ، وعلى الرغم من هذه الاتهامات فقد تمت تبرئته، وبعد أن أصبح مواطناً عاديًّا، ركب البحر متجهاً إلى مضيق الدردنيل الكتاب الأول الفقرة 128-3 ، وبعد أن تم إخراجه من بيزنطة، عزم على التوجه إلى كولوناي Colonae التي تقع في The Troad ، حيث كانوا كما يقولون «يتآمرون مع البربريين»، وتم استدعاؤه مرة أخرى إلى إسبرطة، وتمت إدانته، خاصة أنه قد اتهم «بالتآمر مع العبيد الهلّوتيين» الكتاب الأول الفقرات 131-134 .

وقد كانت بعض نقاشات ثيوسيديدس Thucydides ولفترة طويلة مثاراً للشكوك على الأقل لأن هيرودوت Herodotus يقول إن بوسانياس Pausanias كان ينوي الزواج من ابنة ميجاباتيس Megabates وهو ابن عم دارا Darius والذي يعتبر بالتأكيد الحاكم الذي كان قبل أرتابازوس Artabazus وذلك على الرغم من أن هيرودوت Herodotus يضيف عبارة «لو ثبت صحة ما يقولونه» الكتاب الخامس الفقرة 32 ! وإنه لمن الواضح أن بعد ذلك بخمسين سنة أصبحت تلك الصورة عن بوسانياس Pausanias ذات معنى رمزي في بلاد اليونان، وخاصة فيما يتعلق بتبنيه للعادات الفارسية، ولكن رواية ثيوسيديدس Thucydides تبدو حقيقية وصحيحة إلى حد كبير؛ ولذلك فإنه لا يوجد هناك سبب يجعلنا ننكر تبادل الرسائل بين بوسانياس Pausanias وكسركسيس Xerxes ، ويمكن أن نرى بوضوح تام حجم الفوائد التي حصل عليها الفرس من استغلاله كوكيل وعميل لهم، حيث إنهم كانوا متمرسين بالفعل على استخدام اليونانيين للعمل في خدمتهم وتحقيق مصالحهم وهو ما كان

اليونانيون يسمونه بـ «الميدية» ، وتبعاً لجوستين Justin الكتاب التاسع الفقرة 1-3 «فإن مدينة بيزنطة والتي كان قد أسسها بوسانياس Pausanias ملك إسبرطة في الأصل، ظلت تحت سيطرته لمدة سبع سنوات» وإذا صحت هذه المعلومة، فإننا يجب أن نفهم منها أن الفرس هم الذين نصبوه حاكماً على هذه المدينة مثلما قاموا بتنصيب طغاه آخرين في مدن أخرى، وأنه ظل حاكماً عليها تقريباً في الفترة بين عامي 477-478 و471-472، ومما لا شك فيه أن استيلاء الفرس على بيزنطة مكنهم من شن هجوم مضاد في طراقيا، وهو الهجوم الذي اعتمد أيضاً على قاعدتهم الموجودة في دوريسكوس Doriscus .

الهدايا المقدمة في صورة أراضي ومدن: الاستعمار والسيطرة الإقليمية:

لقد كان بإمكان كسركسيس Xerxes الاعتماد على دعم المزيد من اليونانيين ويذكر ثيوسيديدس Thucydides أيضاً جونجيلوس Gongylus وهو الشخص الذي عمل كوسيط بين بوسانياس Pausanias والملك الأكبر الكتاب الأول الفقرة 128-6 ، ومن خلال إحدى الملاحظات العابرة التي ذكرها زينوفون Xenophon عن الحملة التي قادها ثيبرون Thibron الإسبرطي في إقليم إيولس في البدايات الأولى للقرن الرابع ق.م، ولمزيد من المعلومات عن هذا الشخص: «لقد أعلن كل من جورجيون Gorgion وجونجيلوس Gongylus عن ولائهم لثيبرون Thibron ، فقد كانا أخين، وكان أحدهما حاكماً على جامبريوم وباليجامبريوم، أما الثاني فكان حاكماً على ميرينا وجرنيوم، وقد كانت هذه المدن هدية من الملك الفارسي دورون بارا باسيليوس إلى أولهم وهو جونجيلوس Gongylus ؛ لأنه اعتنق وجهة النظر والرأي الفارسي، وقد كان هو الرجل الوحيد من بين الإرتريين الذي فعل ذلك؛ ولذلك تم نفيه من تلك المدينة هيلينيكا، الكتاب الثالث الفقرة 1-6 .

ونحن نعرف أن داتيس Datis القائد الفارسي قد وجد في إرتريا في عام 490 بعض السكان الأثرياء الذين وافقوا على تسليم المدينة له «واضعين أعينهم على الفرصة الأساسية، أي المكافأة التي سيدفعها لهم الفرس» هيرودوت Herodotus الكتاب السادس الفقرتان 100-101 ، ولكن «خيانة» جونجيلوس Gongylus تعود بدلاً من ذلك إلى عام 480، فقد كانت تلك هي السنة التي عاد فيها مع كسركسيس Xerxes ، وهكذا كان بإمكانه العمل كوسيط لبوسانياس Pausanias ، وقد تمت مكافأة يونانيين آخرين في ذلك الوقت مثل ثيومستور Theomestor والذي نصبه الفرس حاكم ولاية على جزيرة ساموس، بالإضافة إلى شخص آخر من ساموس وهو فيلاكوس Phylacus «والذي تم درجه في قائمة المخلصين للملك، وتم إعطاؤه مساحة كبيرة من الأرض شورا » الكتاب الثامن الفقرة 85 ، وفي تلك الفقرة نفسها والمسماة «هيلينيكا» يستشهد زينوفون Xenophon أيضاً بحالة بعض المدن الأخرى التي سقطت في أيدي ثِبرون Thibron : «فقد استسلمت برجاموس طوعاً، وحدث مثل هذا مع مدن تويثرانيا وهاليسارنا، وهما المدينتان اللتان كانتا تحت حكم كل من يورستينيس Eurysthenes وبروكليس Procles واللذين ينحدران من نسل ديماراتوس Demaratus اللاسيدوموني، وقد قام الملك الفارسي بمنح هذه الأراضي إلى ديماراتوس Demaratus كمكافأة دورون على مشاركته في الحملة التي شنها كسركسيس Xerxes ضد بلاد اليونان» الكتاب الثالث الفقرة 1 -6 ، ونحن نعرف أن ديماراتوس Demaratus وصل إلى البلاط الفارسي قبل ذلك، وكان هذا أثناء حكم دارا Darius «والذي رحب به بهدية فخمة تتكون من الأراضي والمدن» هيرودوت Herodotus الكتاب السادس الفقرة 70 ، ولكن الهدية التي أشار إليها زينوفون Xenophon كان من الواضح أنها مكافأة جديدة منحها له كسركسيس Xerxes ، حيث إننا نعلم أن

ديماراتوس Demaratus قد حارب في صف الملك خلال حملة عام 480 .

وتوضح هذه الهدايا بقوة سياسة الملك في اجتذاب اليونانيين للعمل على خدمتـه، وكما يحدث، فإن تلك الهدية التي تقدم في شكل مدن لم تكن شيئاً جديداً تماماً، ونحـن نعرف أن قورش Cyrus قام بالفعل بتفضيل شخص اسمه بيثاركوس Pytharcus من سيزيكوس بهذا الأسلوب نفسه، ولقد حدث ذلك في سياق تاريخي لم نستطع التعرف عليه بشكل محدد، ولكن يحتمل أن هذا يتوافق مع الفتوحات التي قام بها في آسيا الصغرى أثينيوس Athenaeus الكتاب الأول الفقرة 30 ، وفي المقابل أصبح هؤلاء الأشخاص الذين تم منحهم الامتيازات عملاء أوفياء للملك الأكبر، والذين كانت تربطهم به أيضاً التزامات عسكرية: فقد كانوا جزءاً لا يتجزأ من النظام الذي تم الاستعانة به في احتلال الأراضي والأقاليم الخاضعة للملك، ونذكر من هؤلاء العملاء أيضاً زينيث Zenis وزوجته مانيا Mania حكام داردانوس، واللذين قاما تحت سلطة وإشراف فارنابازوس Pharnabazus بإدارة جزء ستراببوين من أجزاء إقليم إيولس في بداية القرن الرابع ق.م، وكان ذلك في مقابل التزامهم بدفع جزية من الأراضي التي تقع تحت سلطتهم، وإعداد فرق عسكرية للمشاركة في الحملات زينوفون Xenophon هِيل الكتاب الثالث الفقرة 1: 10-15 ، وفي الحقيقة فإنه من الجدير بالذكر أن المدن التي تم منحها للأفراد المنتمين إلى أسرة كل من جونجيلوس Gongylus وديماراتوس Demaratus كانت تقع كلها في The Troad في ذلك الجزء الذي -كما رأينا للتو- كان تابعاً لمرزبانية فريجيا التي تقع على مضيق الدردنيل، والشيء الجدير بالذكر هو أن مدينة كولوناي هي المدينة التي وطد فيها بوسانياس Pausanias مركزه بعد مغادرته لبيزنطة تقع هي الأخرى في The Troad : وكانت هذه المدينة إحدى المدن الثلاثة التي

تولت مانيا Mania إدارتها باسم فارنابازوس Pharnabazus الثاني هِيل الكتاب الثالث الفقرة 1-13 ، ومن الصعب تصديق أن ذلك كان مجرد مصادفة، حيث إن إقليم The Troad والأقاليم المجاورة له إيولس كانت تمثل منطقة ذات أهمية قصوى بالنسبة للفرس: حيث كانت تقع واحدة من القواعد البحرية الفارسية الأساسية في مدينة سايمي Cyme الموجودة في إقليم إيولس، وكان يقود هذه القاعدة قائد معين Hyparch هيرودوت Herodotus الكتاب السابع الفقرة 194 ، وكانت هذه القاعدة هي المكان الذي رسى فيه الأسطول الفارسي عقب عودته من موقعة سالاميس، وقد كانت هذه المنطقة غنية أيضاً بالأخشاب، وذلك تبعاً لما قاله فارنابازوس Pharnabazus هيل الكتاب الأول الفقرة 1-22 ، وقصة هيرودوت Herodotus حول مسيرة كسركسيس Xerxes من سارديس إلى مضيق الدردنيل هي الأخرى غنية بالمعلومات، فقد انطلقت القافلة باتجاه وادي كايكوس Caicus وإقليم ميسيا مارين في طريقهم على التتابع بكل من مدن أتارنيوس، طيبة، أدراميتيوم وأنتندروس قبل أن يصلوا إلى سهل إليون على ضفاف نهر The Scamander الكتاب السابع الفقرة 42 ، وقد قام الملك في «هيكل البطل الأسيوى بريام Priam « بتقديم القرابين للإلهة أثينا إلياس، وهناك أيضاً قام الكهنة المجوس بسكب الخمر تكريماً للأبطال ويقصد بهم هنا الأبطال «الآسيويون» أبطال حرب طروادة .

ومن ناحية أخرى، فإنه بعد عهد قورش Cyrus كان يتم منح الجزر أراضي على البر الرئيس، فعلى سبيل المثال منح مازاريس Mazares جزيرة كيوس في عام 545 منطقة أتارينوس في إقليم ميسيا هيرودوت Herodotus الكتاب الأول الفقرة 161 ، وهي المنطقة التي كان لسكان كيوس مصالح فيها على مدار القرن الخامس ق.م والتي كان يلجأ إليها أيضاً المبعدون طلباً للمأوى، وتظهر بعض الحوادث الأخرى كيف أنه كان

بإمكان الفرس خلال فترة السيطرة الأثينية على هذه الجزر أن يتدخلوا فيها بشكل مباشر أو غير مباشر، وهناك بعض الشك حول ما إذا كانت الأراضي التي تم ذكرها بالأعلى قد وضعت تحت سلطة وقيادة أرتابازوس Artabazus المرزبان الجديد لداسيليوم، وربما كان -بمبادرة منه- قد تم إرسال رجل اسمه أرثميوس Arthmios من زيليا محملاً بالمال إلى شبه جزيرة البلوبونيز لمساندة ودعم الحلفاء .

وهكذا فإننا يجب أن نستنتج أن الامتيازات والمنح الملكية كانت جزءاً من مخطط استراتيجي الهدف منه حماية المصالح الأخمينية في منطقة ذات أهمية حيوية بالنسبة لهم، ولم تتعارض حركة الاستعمار هذه مع التوسع في عدد الفرس المنتشرين في جميع أجزاء الإمبراطورية، بل على العكس من ذلك أدت إلى تدعيمها، وتم إنشاء مستوطنات فارسية تضم أعداداً ضخمة منهم على وجه الخصوص في وادي كايكوس والمناطق التابعة له .

ثيمستوكليس Themistocles في بلاط الملك الأكبر:

فاز كسركسيس Xerxes بحليف يوناني جديد تمثل في شخص خصمه السابق خلال العقد الثاني من القرن الخامس، وهو ثيمستوكليس Themistocles ، فقد تم نفي ثيمستوكليس Themistocles ذلك الشخص الذي قاد الأثينيين للانتصار في سالاميس، تم نفيه من أثينا، ولجأ في بادئ الأمر إلى أرجوس، ومع تتبع الأثينيين ومطاردتهم له وصل إلى مقدونيا، وهناك ركب سفينة متجهاً إلى بندا وعبر ثاسوس تحت حصار الأثينين له ، ورسى أخيراً في مدينة سايمي في إقليم إيولس بلوتارك Plutarch ، ثيمستوكليس Themistocles ، الفقرة 26-1 ، ويمكن أن نذكر بصورة عابرة رد فعل السكان اليونانيين الموجودين في سايمي تجاه ثيمستوكليس Themistocles ، فقد حاولوا أسره حيث إن كسركسيس Xerxes كان قد وعد بمنح جائزة من المال لمن يأتي به له، وهرب

ثيمستوكليس Themistocles بعد ذلك إلى إيجاي وهي بلدة صغيرة في إقليم إيـولس، وهناك تمكن من الاتصال بمضيفه نيوكوجينيس Nicogenes » والذي كانت له علاقات مع الأشخاص ذوي النفوذ ديناتوي من سـكان الأراضي المرتفعـة» ويحتمـل أنـه يقصـد بذلك أنهم كانوا من الفرس الموجودين في بلاط داسيليوم، ويؤكد هذا المشهد على مـدى أهميـة أرتابـازوس Artabazus ومرزبانيتـه في الاسـتراتيجية التـي تبناهـا كسركسـيس Xerxes بعد عام 479 في آسيا الصغرى، ولقـد كـان أرتابـازوس Artabazus هـو مـن أعطـى الإذن لثيمسـتوكليس Themistocles بمقابلـة الملـك في قافلـة رسـمية رسـالة ثيمستوكليس Themistocles الفقرة 30 .

وطبقـاً لثيوسـيديدس Thucydides ، فقـد كتـب ثيمسـتوكليس Themistocles رسالة إلى الملك أرتاكسركسيس Artaxerxes «والذي كـان قـد جلـس عـلى العـرش للتـو» الكتـاب الأول الفقـرة 137-3 ، ويكتـب مؤلفـون آخـرون راجـع بلوتـارك Plutarch ثيمسـتوكليس Themistocles الفقـرة 27-1 «أنـه قـد قابـل كسركسـيس Xerxes »، ويحتمل أن ثيمستوكليس Themistocles قد نزل في آسيا الصغرى قبل وفاة الملك بفـترة قصيرة أغسطس 465 ، وذلك قبل أن يستقبله خليفته بعد ذلك بوقـت قليـل، ومهـما كـان الحال فقد قام الملك باستقبال هذا الأثيني بترحيب عظيم، ونظر إليه عـلى أنـه قـد أرسـلته السماء إليه ليكون مستشـاراً لـه حـول الشـؤون اليونانيـة ثيمسـتوكليس Themistocles الفقرات 29-3، 29-9 : «فقـد أيقـظ في الملـك الأمـل في رؤيـة العـالم اليونـاني بفضـله، وقـد تـم اسـتبعاده» ثيوسـيديدس Thucydides الكتـاب الأول الفقـرة 138-2 ، وقـد تـم منح ثيمستوكليس Themistocles الهدايا سـواء أكـان مـن أعطاهـا لـه هـو كسركسـيس Xerxes أو أرتاكسركسـيس Artaxerxes ويحتمـل أكـثر أنهـا كانـت مـن الثـاني : فقـد

حصل على العائدات التي تدرها العديد من المدن في آسيا الصغرى بما فيهم مغنيسيا، ميوس ولامبساكوس، وتشير هذه الهدية الملكية نفسها إلى أن الفرس كانوا لا يزالون يسيطرون على عدد جيد من المدن الساحلية بما فيها المدن الأكثر أهمية .

10- من كسركسيس Xerxes إلى أرتاكسركسيس Artaxerxes :

اغتيال كسركسيس Xerxes : الأفكار الأدبية حول هذا الموضوع:

لقى كسركسيس Xerxes مصرعه خلال هذه الأحداث ضحية لمؤامرة دموية، وعلى الرغم من أن العديد من المؤلفين قد تحدثوا عن اغتيال كسركسيس Xerxes ، إلا أن حديثهم هذا عنه لم يكن في بعض الأوقات سوى مجرد إدانة للملك بعد وفاته، وهو الملك الذي تحمل عبء وتبعات الهزيمة في سلاميس، فعلى سبيل المثال، يكتب إليان Aelian ببساطة VH ، الكتاب الثالث عشر الفقرة 3 أن حياة الملك انتهت نهاية بائسة، حيث تعرض للتقطيع في سريره على يد ابنه، والمصادر الرئيسة التي لدينا عن هذه الأحداث هي روايات لكل من جوستين Justin الكتاب الثالث الفقرة «1» ، وديودورس Diodorus الكتاب الحادي عشر الفقرة 69 ، وستيسياس Ctesias الفقرتان 29-30 ، والتي تتوافق فيما بينها بشكل جزئي، وهذه المسألة هي مسالة مثيرة للغاية؛ لأنها تتعلق بالحادثة الأولى من نوعها التي يتم فيها اغتيال ملك باستثناء حالة برديا Bardiya ، وحري بنا أن نتوقف عند هذه النقطة ليس لنعيد بناء هذه الأحداث بتفصيل دقيق والتي هي مهمة مستحيلة ، بقدر ما سيكون هدفنا هو محاولة فهم كيف يمكن أن تكون تلك القصص قد انتقلت من البلاط الأخميني إلى اليونانيين ومنهم إلينا .

ويتفق المؤلفون القدامى من ناحية المضمون على هذه الصورة العريضة:

- يقدم كل من ديودورس Diodorus وستيسياس Ctesias الشخص الـذي كـان أول مـن ابتـدأ هـذه المـؤامرة والمسـمى بأرتابـانوس Artabanus عـلى أنـه كـان مـن هركانيا، وقد أعطاه ديودورس Diodorus لقب كبير الحراس الشخصيين، ويقول كل من ستيسياس Ctesias وديودورس Diodorus إنه كان يحظى برضا الملك .

- ولقد أشرك هذا الرجل أبناءه السبعة كـما يـروي جوسـتين Justin في هـذه المؤامرة، هذا بالإضافة إلى الـخصي أسـباميثريس Aspamithres كـما يقـول ستيسـياس Ctesias ؛ ويسميه ديودورس Diodorus ميثراداتـيس Mithradates ، وهـذا يجعـل منه الموظف المسؤول عن حجرة نوم الملك كاتا كويمستيس ، ويسميه جوسـتين Justin في روايته باكاباسوس Baccabasus ، ولقد أشركه في المؤامرة بعـد مقتـل دارا Darius فقط .

- وقد قام المتـآمرون باغتيـال كسركسـيس Xerxes تبعـاً لستيسـياس Ctesias في حجـرة نومـه وتبعـاً لـديودورس Diodorus وجوسـتين Justin وإيليـان Aelian بمساعدة ميثراداتيس Mithradates ديودورس Diodorus .

- تمكــن أرتابــانوس Artabanus مــن إقنــاع أخيــه الأصــغر أرتاكسركســيس Artaxerxes أن من قتل أباهم هو أخوهم الأكبر دارا Darius ، ويضـيف ديـودورس Diodorus أن الابن الثالث هستاسبيس Hystaspes كـان حينها بعيـداً في مرزبانيتـه في باكترا، وعلى الرغم من تأكيد دارا Darius على براءته ستيسياس Ctesias ، فقـد أمــر أخــوه بإعدامــه، وكـان يصــاحبه الحــراس أرتابــانوس Artabanus ديــودورس Diodorus عندما يأتي بحثـاً عـن أرتاكسركسـيس Artaxerxes ستيسـياس Ctesias أو عندما يكون على وشك النوم جوستين Justin .

- إن أرتاكسركســــيس Artaxerxes سيصــــبح الملــــك ستيســــياس

Ctesias وسيستمر أرتابانوس Artabanus في تدبير المؤامرات محاولاً الاستيلاء على العرش، ولقد اشرك ميجابيزوس Megabyzus في مؤامرته، ولكن ميجابيزوس Megabyzus يقوم بفضح كل شيء على الملك ستيسياس Ctesias وفي رواية جوستين Justin نجد أن باكاباسوس Baccabasus هو من يقوم بكشف المؤامرة؛ ولذلك فإنه توجد روايات عديدة حول الطريقة التي مات بها أرتابانوس Artabanus : 1 لقد تم إعدامه هو و أسباميثريس Aspamithres ستيسياس Ctesias . 2 يقوم أرتاكسركسيس Artaxerxes باستدعاء الجيش ويقتل أرتابانوس Artabanus بنفسه بعد أن تم تجريد أرتابانوس Artabanus من دروعه جوستين Justin ، ثم يقوم أرتاكسركسيس Artaxerxes باعتقال أبنائه. 3 بعد أن يتمكن الأخ المتآمر من جرحه، يقوم أرتاكسركسيس Artaxerxes بقتله بيديه العاريتين ديودورس Diodorus .

- تبعاً لديودورس Diodorus وجوستين Justin ، يقوم أرتاكسركسيس Artaxerxes بعد ذلك بحكم الإمبراطورية دون مواجهة مزيد من المشكلات، وتبعاً لستيسياس Ctesias فإن قتالاً ينشأ بين المتآمرين، حيث ينشأ بين أبناء أرتابانوس Artabanus من ناحية والفرس من ناحية أخرى، وقد أصيب ميجابيزوس Megabyzus بجروح خطيرة، ولكنه ينجو ويشفى من هذه الجروح بفضل الطبيب اليوناني أبوللونيدس Apollonides ، وتنشأ ثورات أخرى في باكتريا بقيادة شخص آخر اسمه أرتابانوس Artabanus أيضاً، ولكن أرتاكسركسيس Artaxerxes يتمكن من هزيمتهم، ويخضع إقليم باكتريا ستيسياس Ctesias الفقرة 31 .

وقبل أن نمضي في الحديث عن شيء آخر، فإننا يجب أن نذكر أن أرسطو Aristotle هو الآخر قام بتحليل قصة اغتيال كسركسيس Xerxes

هذه في فقرة طويلة يتحدث فيها عن الأسباب التي قد تدفع شخصاً ما لاغتيال طاغية أو ملك: «وهكذا فقد تآمر أرتابانيس Artapanes ضد كسركسيس Xerxes وذبحه؛ وذلك خوفاً من أن يقوم باتهامه بشنق دارا Darius على خلاف ما أمره به، وكان لديه انطباع بأن كسركسيس Xerxes سوف ينسى ما قاله له خلال تناول الطعام، وأنه سوف يغفر له هذه المخالفة» بول الكتاب الخامس الفقرة 10. 1311 ب .

ومن الواضح أنه باستثناء اسم أرتابانوس Artabanus وتلك الإشارة إلى دارا Darius ، فإن رواية أرسطو Aristotle لا تشترك في أي شيء مع روايات المؤلفين الذين تم ذكرهم للتو، ولكنها توضح أنه كانت هناك روايات عديدة يتم تداولها حول هذا الحدث، وأن ذك قد ترك انطباعاً عميقاً في مخيلة اليونانيين .

وعلى أية حال، فمن الواضح أن روايات كل من جوستين Justin وديودورس Diodorus وستيسياس Ctesias قد تم بناؤها حول مجموعة من الأفكار الأدبية البطولية الشائعة: يحصل أحد المتآمرين رفيعو المنزلة على مساعدة شريك له في القصر، ثم يقوم بقتل الملك في سريره وهي الفكرة الأدبية التي استخدمها جوستين Justin مرتين ، ويقوم حليفه الرئيسى في القصر بخيانته جوستين Justin ، ستيسياس Ctesias ويتم قتله، وقد كان للنظام الملكي الكلمة الأخيرة، وتكررت هذه التركيبة عدة مرات، وإذا كان المتآمرون الذين كانوا يخططون لاغتيال أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني قد تمكنوا من الوصول إلى حجرة نومه، فإن ذلك يرجع جزئيًا إلى أن ولي العهد نفسه قد ساعدهم على الدخول إليها، ويرجع جزئيًا أيضاً إلى أنهم قد حصلوا على بعض المساعدات من الخصي الذي كان مقرباً من الملك بلوتارك Plutarch أرت الفقرة 29 ، وقد تكرر هذا أيضاً في حالة اغتيال كسركسيس Xerxes الثاني، والذي تم قتله بينما كان مخموراً في قصره، ومرة أخرى نجد ن المؤامرة قد تم تنظيمها من قبل المقربين إلى

الملك ستيسياس Ctesias الفقرة 45 ، وكما رواها ستيسياس Ctesias بطريقة خيالية مثله في ذلك مثل هيرودوت Herodotus ، يقول إن السبعة قد تسللوا حتى وصلوا إلى غرفة نوم كل من سمرديس Smerdis / بارديا Bardiya حيث كان ينام هناك في أحضان محظية بابلية ، وذلك بالتعاون مع أحد أرفع الخصيين منزلة والمسمى بـ «بجاباتيس Bagapates » «والذي كان يحمل معه كل مفاتيح القصر» الفقرة 13 .

وتكرار هذه الفكرة الأدبية عن قتل الملك في حجرة نومه هي مثار شكوك، ويوجد هناك عنصر مشترك في هاتين القصتين عن مقتل كل من سمرديس Smerdis ستيسياس Ctesias ، هيرودوت Herodotus و كسركسيس Xerxes : وهو الرقم «سبعة» وهو الرقم نفسه الذي أعطاه لنا جوستين Justin عن عدد أبناء أرتابانوس Artabanus والذين كان عددهم ثلاثة في رواية ستيسياس Ctesias ، ومقتل المتآمر في رواية ديودورس Diodorus من خلال التقاتل رجلاً لرجل هو أيضاً من الأمور التي لا نكاد نصدقها، ويشير جوستين Justin إلى هذا الأمر أيضاً، ولكنه ذكر أن أرتاكسركسيس Artaxerxes اتخذ احتياطاته واستدعى الجيش بالكامل، وأخيراً فإنه يجب أن نذكر أن ستيسياس Ctesias قام بتغليف القصة في صورة عرض طويل لقصة الأعمال البطولية لأسرة ميجابيزوس Megabyzus ، وقد كانت الخيانات الزوجية التي قامت بها زوجته أميتيس Amytis إبنة كسركسيس Xerxes هي السبب الذي دفعه للانضمام إلى هذه المؤامرة، والتي لعب فيها دور الشاجب والمدين قبل أن يقوم بذلك التصرف البطولي أمام هؤلاء المتآمرين المسلحين، ومن الواضح أن جوستين Justin قد حصل على إطار حكايته من رواية ستيسياس Ctesias ، ومن الواضح أن ذلك الاسم المفاجئ بكاباسوس Baccabasus هو تهجي أو كتابة للاسم «باجابوكسا Bagabxsa » في شكل قريب من الصورة الفارسية له ونجد بالمثل هذا الشكل نفسه

«باجابـــازوس Bagabazus » في روايـــة دينـــون Dinon الموجـــودة في أثينيـــوس Athenaeus ، الكتـــاب الثالـــث عشر الفقـــرة 609أ ، وذلـــك عـــلى خـــلاف الشـــكل «ميجـابيزوس Megabyzus » الـذي تنقلـه لنـا روايـة ستيسـياس Ctesias نفسـه وفوتيوس Photius .

وتكرار هذه الأفكار الأدبية لا يؤدي عـلى الفـور إلى وصـف كـل المعلومـات التـي ينقلها لنا هؤلاء الرواة بأنها غير صحيحة، ومما لا شك فيه أن الملك كـان عرضـة للخطـر عندما دخل إلى حجرتـه الخاصـة، ويشـير زينوفـون Xenophon في مـرات عديـدة إلى عدم ارتياح قورش Cyrus بخصـوص أمنـه الشـخصي: «فقـد أدرك أن الرجـال يكونـون عرضة للقتل بدرجة أكبر أثنـاء تنـاولهم الطعـام، أو معـاقرتهم الخمـر، أو في الحـمام، أو عندما يكونون نائمين في فراشهم، أكثر مما يكون عليـه الحـال في أي مكـان آخـر» قـورش Cyrus ، الكتاب السابع الفقرة 5-59، راجـع الكتـاب الثـامن الفقـرة 4-3 ، وفي الوقـت نفسه فإن التركيبة الروائية للنصوص القديمة تتطلب حذراً خاصاً من جانب المعلق.

اغتيال كسركسيس Xerxes : المشكلات المتصلة بتولي السلطة من بعده:

لا يوجد هناك سبب سابق يدفعنا للشك في المعلومـات التـي يـذكرها ديـودورس Diodorus ، فقد كان لدى كسركسيس Xerxes ثلاثة أبناء يفـترض أنهـم مـن زوجتـه أمستريس Amestris ، حيث إنه لا يوجـد مـا يشـير إلى أنـه كانـت لـه زوجـة رسـمية أخرى ، وذلك بالإضافة إلى أبنائه غير الشرعيين راجع هـيرودوت Herodotus الكتـاب الثـــامن الفقـــرة 103، ديـــودورس Diodorus الكتـــاب الحـــادي عشر الفقـــرة 5-60 ، وتبعاً لما يرويه جوستين Justin فلقد كان دارا Darius لا يـزال مراهقـاً أدوليسـنس وأن أرتاكسركســيس Artaxerxes لم يكــن ســوى مجــرد طفــل بــوير ، أمــا الابــن الثالــث هستاسـبيس Hystaspes فـلا بـد أنـه كـان أكـبر سـناً مـن أرتاكسركسـيس

Artaxerxes ، حيث إنه كان مرزباناً على باكترا في ذلك الحين، وذلك على الرغم من أنه توجد أمثلة عديدة تشير إلى أن الابن الثاني كان من الطبيعي أن يحصل على وظيفة مرزبانية كتعويض له عن ولاية العهد، وهذا ما سوف يفسر بسهولة لماذا ثار هستاسبيس Hystaspes والذي يسميه ستيسياس Ctesias في روايته أرتابانوس Artabanus عندما تولى أرتاكسركسيس Artaxerxes السلطة، حيث إنه كان يعتقد أن له أحقية أكبر في الجلوس على العرش أكثر مما لأخيه الأصغر، ويوضح جوستين Justin أن دارا Darius كان قد تم اختياره كوريث رسمي للعرش كوماتوريوس رجنو بوتيريتور ، ولكن في الحقيقة لا يوجد لدينا تأكيد مباشر على أن دارا Darius كان هو الابن الأول ربما باستثناء الإشارة إلى ذلك ضمنيًّا في رواية أرسطو Aristotle بول 1311 ب ، و«القاعدة» التي حدثنا عنها هيرودوت Herodotus الكتاب السابع الفقرة 2 ، والتي تقول بأن الملك يجب أن يعين أو يختار وريثه قبل شن أية حملة لا يوجد لها أي أساس في هذا السياق أكثر مما كان لها في مسألة خلافة دارا Darius راجع الفصل 13-2 بأعلى ، ولم يذكر مؤلف واحد من المؤلفين القدامى أن كسركسيس Xerxes قد قام بتسمية وليّ للعرش قبل مغادرته على رأس حملته المتجهة إلى بلاد اليونان عام 480، ويذكر هيرودوت Herodotus أن كسركسيس Xerxes «قد منح صولجانه» إلى عمه وكلفه بالمهمة الآتية: «قم بحماية بيتي وممتلكاتي تيرانيس » الكتاب السابع الفقرة 52 ، وسيكون من المبالغة أن نتحدث عن اختيار الملك له كوليّ على العرش في هذه الحالة، وكما ذكرنا للتو، فإن السلطة الملكية كانت غير قابلة للتجزئة، أو يتم توكيل شخص آخر بها، وسواء كان الملك في أوروبا أو في ساردیس، فقد استمر في حكم الإمبراطورية بشكل مطلق دون أن يشاركه أحد في ذلك، وبدلاً من ذلك فإنه من المحتمل أنه قد عهد إلى أرتابانوس Artabanus بمهمتين هما تنفيذ

الأوامـر التـي يتلقاهـا منـه الكتـاب الثـامن الفقـرة 54 ، والحفـاظ عـلى سـلامة بيـت كسركسيس Xerxes والتي لا تستخدم حرفيًّا في هذا السياق كمـرادف للإمبراطوريـة ، ولنهتدي بهـيرودوت Herodotus الكتـاب الثـامن الفقرتـان 103-104 نوثـوي ، فـإن الأبناء الشرعيين لكسركسيس Xerxes لم يرافقوه إلى بـلاد اليونـان؛ ربمـا لأنهـم كـانوا لا يزالـون صـغاراً للغايـة، ويحتمـل أنهـم ظلـوا في الـقصر الملـكي مـع أمهـم أمسـتريس Amestris ، وقد عُهِدَ إلى أرتابانيس Artabanes برعايتهم جميعـاً ويمكـن أن نتصـور حينها أن تسمية دارا Darius كولي للعهد تمت بعد عام 479 .

بالإضافة إلى ذلك فإن كل من جوستين Justin ومعه ديودورس Diodorus بصورة أوضح منه، يذكران أن المتـآمر أرتابـانوس Artabanus قـد خطـط للاسـتيلاء عـلى اللقـب الملكي أن سِبم رجني أدوكتـوس/ كـاي تـن باسـيليان أيـس هيتـون ميتاستيسـاي ، وذهـب أفريكانوس Africanus لما هو أبعد من ذلك في كتابة Pseudo-Manetho ، الجزء 70 = سنسيلوس ، حيث يذكر أن أرتابانوس Artabanus كان الملك السادس في الأسرة السـابعة والعشرين التي حكمت في مصر ، وأنه حكمها لمدة 7 شـهور، وإذا كانـت هـذه المعلومـة صحيحة فسوف يكون هذا هو المثال الوحيد في التاريخ الأخميني كله على تولي أحد الملوك للسلطة والذي لم يكن بطريقة أو بأخرى منتسباً للسلالة الأخمينيـة، وهـذا بـدوره سـوف يقودنا مرة ثانية للتقصي حول العلاقة المتضاربة بين الطبقة الأرستقراطية والأسرة الحاكمـة، ومـن الصـعب التأكـد مـن وجـود حـل لهـذه المشـكلة، ففـي الألـواح البابليـة نجـد أن أرتاكسركسـيس Artaxerxes هـو مـن خلـف أبـاه دون أن يكـون هنـاك أي انقطـاع في التواصـل مـا بـين فـترتي حكمـيهما، وقـد مـات كسركسـيس Xerxes في بدايـة أغسـطس عـام 465، وخلفـه ابنـه أرسـيس Arses والـذي كـان اسـمه الملـكي هـو أرتاكسركسـيس Xerxes دون أن يكون هناك لوح واحـد يسـجل أي شيء عـن شـخص اسـمه أرتابـانوس

Artabanus ، وينطبق هذا الشيء نفسه على الوثائق المصرية، وغياب أي ذكر عن مغتصب للعرش في الألواح البابلية لا يعني أنه لم تقع أي اضطرابات عقب وفاة كسركسيس Xerxes فعندما مات أرتاكسركسيس Artaxerxes الأول لم يظهر اسم أي من كسركسيس Xerxes الثاني أو سوجديانوس Sogdianus في أيٍ من الألواح البابلية أيضاً ، ولكن يبدو أن ذلك لا يشير إلى أنه لم يتم مطلقاً الاعتراف رسميًّا بمغتصب العرش المحتمل، وعلى الجانب الآخر نجد أن أيًّا من جوستين Justin أو ديودورس Diodorus أو ستيسياس Ctesias لم يقم برواية أي شيء عن مثل هذا الحدث، وعلى العكس من ذلك نجد أن ستيسياس Ctesias يذكر أنه بعد اغتيال كل من كسركسيس Xerxes ودارا Darius ابنه «أصبح أرتاكسركسيس Artaxerxes هو الملك كاي باسيلياي أرتاكسركسيس Artaxerxes »، وقال ببساطة إنه يدين بالعرش إلى «الحماسة المتقدة سبودي » لأرتابانوس Artabanus الفقرة 30 ، ولتلخيص ما سبق، فإننا نميل بشدة إلى الاعتقاد بأن معلومة أفريكانوس Africanus تلك هي معلومة لا يمكن تصديقها، ومن الصعب معرفة من أين جاء بهذه المعلومة، والتي تذكرنا وبشكل لافت للنظر بما قاله هيرودوت Herodotus عن المجوسي الذي تربع على عرش فارس طيلة سبعة أشهر الكتاب الثالث الفقرة 67، يوسيبيوس Eusebius في كتاب Pseudo-Manetho الجزء 71 أ-ب ، وذلك باستثناء واضح، وهو أن حكم ذلك المجوسي المسمى «بارزيا Barzia » قد تم الإقرار به في الألواح البابلية .

ومن الصعب -إلى حد ما- تحديد الظروف والملابسات الحقيقية التي أدت إلى مصرع كسركسيس Xerxes ، وقد قدم ستيسياس Ctesias لنا أرتابانوس Artabanus على أنه كان ابن أرتاسيراس Artasyras الهركاني، والذي كان أحد الشخصيات المؤثرة جدًّا خلال حكم قمبيز

Cambyses الفقرة 9 ، والذي كانت له علاقة بمؤامرة السبعة في عام 522 الفقرة 14 ، وكان حاقداً على الأخمينيين خلال حكم دارا Darius ولقد توفي بعد وفاة سيده بفترة قصيرة الفقرة 19 ، وهذه الذكريات أو الاسترجاعات تصب بالكاد في مصلحة ستيسياس Ctesias ، حيث إنه استخدم الاسم نفسه للإشارة إلى هستاسبيس Hystaspes أحد أبناء كسركسيس Xerxes ، والشخص الوحيد المحتمل الذي يحمل هذا الاسم هو الحاكم أرتابانوس Artabanus الذي استقبل ثيمستوكليس Themistocles عقب وصوله إلى البلاط الفارسي بلوتارك Plutarch ، ثيمستوكليس Themistocles ، الفقرة 27-2 ، وعلى أية حال، فإنه يبدو من الملائم والمعقول أن ذلك الشخص المسمى أرتابانوس Artabanus الذي تتحدث عنه المؤامرة كان الملك قد كلفه فعلاً بذلك الأمر، حيث إنه كان كبير الحراس الشخصيين .

وإذا قمنا -على سبيل النقاش فقط- باستثناء فكرة أنه كان يعمل بمبادرة شخصية منه، فإن سلوكه هذا يجب أن يكون قد أتى في إطار الصراعات بين أبناء الملك على مسألة خلافة أبيهم، وسوف نذكر ببساطة أن أرتاكسركسيس Artaxerxes يظهر بصورة حسنة في كل القصص: فقد تمت تبرئته من أي اتهامات وقيل عنه إنه كان مجرد أداة يستخدمها أرتابانوس Artabanus ، وقد استخدم فكرة أدبية مألوفة في تبرير حصوله على السلطة، وهي الفوز في مبارزة فردية جوستين Justin ، وتم إلقاء الضوء نتيجة لذلك على براعته العسكرية نيبوس Nepos ، ريجيس، الفقرة 4-1 ، هل يمكن أن نستنتج من ذلك أن هذا العرض وهذه الصورة عن أرتاكسركسيس Artaxerxes هي نتيجة للدعايا السياسية التي تم نشرها بعد وصوله إلى السلطة والتي لا بد أنها قامت بتحويل المسؤولية بأكملها عن تلك الاغتيالات إلى أرتابانوس Artabanus الذي بادر الملك الجديد بإعدامه على الفور؟ راجع أيضاً

ديودورس Diodorus الكتاب الحادي عشر الفقرة 71-1 ، ولـن يكـون هـذا هـو المثـال الأول من نوعه، ولكنه سوف يتضمن المزيد مـن المخـاطر، حيـث إنـه سـوف يـؤدي إلى صياغة قصة عاطفية ليست جديرة بالتصديق تماماً مثـل تلـك القصـة التـي حفظهـا لنـا المؤلفون اليونانيون .

ويؤكد هذا المشهد على أن مسألة الخلافة سوف تظل دائماً واحـدة مـن أصـعب المشـكلات في التـاريخ الأخمينـي، كـما يـتجلى لنـا ذلـك مـن العـدد المـذهل لحـوادث الاغتيالات الملكية التي وقعت في تاريخ هذه الأسرة، وتكرار تعرض الملك المتولي للسلطة لمحاولات القتل هذه يظهر مدى هشاشة السـلطة، عـلى الـرغم مـن كـل ذلـك الاحـترام والتوقير الذي كان يحيط بشخص الملـك الفصـول 6-8 ، وفي الوقـت نفسـه، فـإن هـذه المحاولات تشهد على الاضطرابات التي كانت تكتنف عمليـة الخلافـة وانتقـال السـلطة، وحتى الطرق التي كان يتم بها الاعتراف والإقرار بوليّ العهد تشتمل على عـنصر مـا مـن عدم التيقن أو عدم التأكد، والذي يمكن توضيحه بواسطة هذا السؤال البسيط: ما الذي كان سيحدث إذا مات كسركسيس Xerxes خلال حملته الأوروبية؟ في الحقيقة يسـهل إعطاء إجابة عـن هـذا السـؤال تؤكـد تمامـاً عـلى أن الملكيـة الأخمينيـة لم تكـن ملكيـة دستورية، فالحروب بين أفراد الأسرة المالكة كانـت شـائعة بالفعـل خـلال الفـترات التـي تسبق حزم مسألة الخلافة، وكانت ستشـتعل بـالرغم مـن الـدور الـذي يمكـن أن يكـون أرتابانوس Artabanus عم كسركسيس Xerxes قادراً عـلى لعبـه، ومـن المحتمـل أنـه لدرء هذا الخطر لم يكن الملك يكشف نفسه أبداً بالمحاربة في الصفوف الأمامية في المعركـة، ولكن لم يكن يستطيع أي قدر من الحيطة والحذر أن يجنب الملك كل المخاطر! .

11- تقييم:

مهما كان الوضع، فإننا لا نستطيع الحكم على عهد كسركسيس Xerxes من خلال الصعوبات التي قابلها مع أفراد الأسرة المالكة، ومن الأولى أيضاً ألا نسلم بما يقوله المؤلفون القدامى عن أن اغتياله كان عقاباً عادلاً من القدر لرجل كان متهماً بالتطرف وعدم الاعتدال، ولا يبدو أن سياسته تختلف اختلافاً جوهريًّا عن سياسة أبيه، وذلك على الرغم من أن الهزائم التي تعرض لها على الجبهة الغربية قد أدت بلا شك إلى حدوث انكماش في مساحة تلك الإمبراطورية التي تركها له دارا Darius ، ويجب أن نؤكد مرة أخرى على أن تلك الهزائم لم تكن من وجهة نظر السلطة المركزية في الإمبراطورية سوى مجرد انتكاسات مؤقتة، وأن كسركسيس Xerxes لم يتخلَّ قط عن فكرة إعادة غزو بلاد اليونان، ولأن التصور والفكرة العامة للقصر الموجود في برسيبولس Aipa والذي شرع في بنائه كسركسيس Xerxes وأكمله إبنه أرتاكسركسيس Artaxerxes الأول، تعود إلى عهد كسركسيس Xerxes ، فإننا نستشف من هذا القصر أنه -كما لو كان- يزعم بلوغ مدى لم تصل إليه الإمبراطورية قط حتى في عهد دارا Darius ، حيث نجد الملك الأكبر وقد ركب إفريزاً عليه أسماء البلاد التي تدفع له الجزية، وأسماء من حصلوا على هداياه، وقد وصل عدد الوفود المسجلة على هذا الإفريز إلى 30 وفداً، وعدد الموفدين إلى 300 موفداً في مقابل 180 موفداً مسجلين على إفريز أبادانا ، وهو العدد الذي يفوق كل الأعداد السابقة .

وعلى الرغم من مواجهة كسركسيس Xerxes لبعض القيود والتناقضات، إلا أنه تمكن من دعم وتعزيز سياسة استعمارية قوية ونشطة، كان الهدف منها ترسيخ النفوذ والسلطان الفارسي، وهي السياسة التي تضمنت أيضاً التودد والتماس العون من المؤيدين اليونانيين

وخاصة في آسيا الصغرى، وعلى الرغم من صعوبة تحديد تاريخ الأدلة الأثرية والأدلة المتمثلة في الصور والرسومات بشكل دقيق البلاطات الحجرية الفارسية-اليونانية، والدمغات، والطبعات ، إلا أنه يبدو أن فترة حكم كسركسيس Xerxes اتسمت بزيادة في عدد الفرس المنتشرين في أقاليم الإمبراطورية المختلفة، وفي مساحة الأراضي التي يمتلكونها، وهذا -على الأقل- هو الانطباع الذي نحصل عليه من البيانات التي جمعناها من آسيا الصغرى، وتحديداً من منطقة داسيليوم، والتي يبدو أنها كانت في ذلك التاريخ ذات أهمية أكبر مما كانت عليه في السابق .

وقد تم تقوية وتعزيز سلطة الملك الأكبر بدرجة أكبر من خلال الدعاية الأيديولوجية التي ربطت بين الدين أهورا-مازدا والعرش، وقربتهم من بعضهم البعض أكثر فأكثر عن طريق الإعلان والتصريح بأن الملك الأكبر هو المنظم للطقوس الفارسية، وعلى الرغم من أن التأكيد على الهوية «الفارسية» للإمبراطورية لم يكن شيئاً جديداً -إذا أردنا التحدث بشكل صحيح- إلا أنه يبدو أن مظاهر التأكيد على تلك الهوية قد ازدادت شدة وقوة، وتم إعطاؤها دَفعة جديدة، ولكن هذا الإصرار على الهوية الفارسية لا يعني أن كسركسيس Xerxes سعى لاضطهاد الأديان المحلية، أو إجبار الشعوب الخاضعة له على اعتناق الديانة المازدية، وعبادة الإله أهورا-مازدا، ويحتمل أنه قد تم نقل هذه الرسالة أولاً إلى الفرس، سواء الموجودين في بلاد فارس أو المنتشرين في أقاليم الإمبراطورية المختلفة بطريقة تهدف إلى جمع الطبقة الاجتماعية المسيطرة مع بعضها البعض بشكل أكثر قرباً؛ ولتلتف حول ملكها وتؤيدها.

الفصل الرابع عشر

الفترة من تولي أرتاكسركسيس Artaxerxes الأول السلطة وحتى وفاة دارا Darius الثاني

465 / 405-404

1- ملك بعد الآخر 465 :

مصادر المعلومات والمشكلات المتعلقة بها:

بداية من تولي أرتاكسركسيس Artaxerxes الأول للسلطة يواجه المؤرخ تناقصاً مستمراً في حجم الأدلة الروائية المتوافرة، ونجد أن ستيسياس Ctesias مهتم بتاريخ أسرة ميجابيزوس Megabysus أكثر من اهتمامه بعرض تاريخ الأسرة الحاكمة، حيث إن الإطار العام للأحداث التي ترويها لنا الفقرات من 30-43 يدور حول ميجابيزوس Megabysus وأبنائه بداية من مشاركته المتناقضة في تلك المؤامرة ضد كسركسيس Xerxes وحتى وفاة ابنه الأصغر زوبيروس Zopyrus الثاني بعد موت أرتاكسركسيس Artaxerxes ، وهكذا فمرة أخرى نجد أن أكبر قدر لدينا من المعلومات هو عن الشؤون المتصلة ببحر إيجة، ويرجع ذلك بوجه خاص إلى ديودورس Diodorus الصقلي وثيوسيديدس Thucydides واللذين تتبعا تطورات وتقلبات الصراع الفارسي-الأثيني من آسيا الصغرى حتى مصر، ويمكننا أيضاً بفضل الكتب التوراتية التي كتبها كل من عزرا Ezra ونهيميا Nehemiah أن نقوم بتحليل الوضع الداخلي الذي كان سائداً في إقليم يهودا في ذلك الوقت، مع تحفظ

واحد وهو أنه يبدو من المستحيل اليوم تجاوز العديد من الصعوبات التفسيرية، وهناك منطقتان تم توثيق الأحداث التي وقعت فيهما بشكل ممتاز، المنطقة الأولى هـي إقلـيم بابل، وقد تم حفظ الأحداث التي وقعت فيها بفضل السجلات التي تغطي أحد الأعمال شركـة موراسـو Murasu ، وتغطـي هـذه السـجلات فـترتي حكـم أرتاكسركسـيس Artaxerxes الأول ودارا Darius الثـاني، والمنطقـة الثانيـة هـي مصر، وذلـك بفضـل الأدلة المكتوبة باللغة الآرامية، والتـي تـأتي بشـكل أسـاسي -ولـيس حصري- مـن جزيـرة فيلة، ولقـد حفظـت هـذه الأدلـة عـلى الجلـد، ويمكننـا مـن خلالهـا أن نفصـل مراسـلة للمرزبان أرساما Arsama 74062DAE ، ويمكن أن نضـيف أيضـاً أنـه للمـرة الأولى منذ بداية عهد دارا Darius الأول توجد لدينا إشارة عابرة عن الأحـداث التـي وقعـت في شرق إيران، وفي الوقت نفسه نجد أن عدد الوثائق التي حصلنا عليها مـن برسـيبولس شهدت تناقصاً وتضاؤلاً، وعلى الرغم من أن أعمال التنقيب عن الآثار التـي تمـت مـؤخراً قد قادتنا إلى إعادة تقييم الدور الذي لعبه أرتاكسركسيس Artaxerxes الأول كمشيد، إلا أن التفسير التاريخي لنتائج أعمال التنقيب هـذه مازالـت تواجهـه بعـض المشـكلات والصعوبات .

وإلى حد ما باستثناء كون هذه الأدلة المتاحة متفرقة ومتجزئة، نجد أنهـا تثـير بعـض المشكلات والصعوبات، خاصة فيما يتصل بتحديد تاريخها بدقة، ويرجع تاريخ العديـد مـن الوثائق البابلية والآرامية إلى عهد أرتاكسركسيس Artaxerxes ، ولكن لأن فترة حكـم كـل من أرتاكسركسيس Artaxerxes الأول وأرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني كانت طويلـة للغاية، فإنه في الغالب يكون من المستحيل الوصول إلى تحديـد مطلـق للتـواريخ، وتنطبـق هذه الملاحظة أيضاً على بعض الوثائق البابلية التي تعود إلى عهـد دارا Darius الأول، وفي بعض الأحيان لا نجد سوى الأسماء الشخصية التي قد تعطينا بعـض التوضـيح؛ وذلـك لأنـه

في الغالب لا يزودنا علم الببليوغرافيا أو علم الإملاء بمعايير كافية، وتواجهنا صعوبات مشابهة عند التعامل مع النقوش اليونانية والآرامية في آسيا الصغرى التي تعود لعهد أرتاكسركسيس Artaxerxes ، حتى عندما تكون هذه النقوش عبارة عن مصادر تاريخية ذات أهمية قصوى، وينطبق هذا -على سبيل المثال- على النقش اليوناني الموجود في ساردیس، والذي يسجل إهداء أحد المسؤولين رفيعي المستوى في المرزبانية لتمثال، بالإضافة أيضاً إلى أحد النقوش الآرامية الموجودة في كليكيا، والذي يشهد على وجود مركز للسلطة الأخمينية في الجبال، ويمكن أن نضيف أن المؤلفين اليونانيين أنفسهم يبدو أنهم قد خلطوا -عن طريق الخطأ- بين اثنين من الأباطرة الثلاثة المسمين بأرتاكسركسيس Artaxerxes ، وأن هذا الاحتمال بالذات قد تم اتخاذه كمبرر جزئي لهذا الجدل الذي لا ينتمي إلى التسلسل التاريخي وتحديد التواريخ الدقيقة للمهمات التي قام بها كل من عزرا Ezra ونهيميا Nehemiah إلى القدس .

مكانة الملك الأكبر الجديد:

كان تخلي الملك عن اسمه الخاص، واتخاذ الاسم الملكي أرتاكسركسيس Artaxerxes هو أحد أول الأعمال التي قام بها الملك الأكبر الجديد، وتشهد الدلائل على أنه كان أول من استحدث هذا التقليد، ويشير اختيار مثل هذا الاسم والذي يعني «الذي قام سلطانه اعتماداً على أرتا»، يبدو أنه يشير إلى رغبة الملك في تمجيد وإعلاء القيمة السياسية الدينية للحقيقة، وللولاء الملكي، كما فعل أبوه وجده من قبل، والتي من المحتمل أنه قد تم الترحيب بها بعد تلك الصعوبات التي مرت بها مسألة الخلافة، وبالمثل فإنه من الواضح أن نقوش الملك الجديد لم تتفوه بكلمة واحدة عن الصراعات الدامية التي مهدت طريقه إلى العرش، ويكرر أرتاكسركسيس Artaxerxes صيغ التكوين الخاصة

بأهورا-مازدا المعروفة من نقشى روستام، ومبانٍ أخرى سابقة، ويقدم نفسه ببساطة كما يلي: «أنا أرتاكسركسيس Artaxerxes الملك الأكبر، ملك الملوك، ابـن الملـك كسركسـيس Xerxes ، وحفيد دارا Darius الأخميني»، وفي الوقت نفسـه نجـد أنـه كـان حريصـاً على وضع أعماله الإنشائية في تواصل وتسلسل مع أعمال أبيه A1Pa ، راجع A1I ، ولقد أضفت الدعاية السياسية الصادرة عن البلاط عـلى الملـك الجديـد جميـع الفضـائل الملكيـة التقليدية، وقد حصلنا على فكرة عن الأثر الذي خلفته هذه الحملات الدعائيـة مـن خـلال الوصف الـذي قدمـه لنـا نيبـوس Nepos : «يعـرف «مـاكروخير Macrochir » أساسـه بشكله المهيب والوسيم والذي عزز من قـواه مـا أبـداه مـن شـجاعة لا تصـدق في الحـرب، حيث إنه لم يكن هناك أحد من بين الفرس يتفـوق عليـه في مهارتـه في اسـتخدام السـلاح» ريجيس 1 ، وقد كان بلوتـارخ Plutarch أيضـاً مسروراً بالتأكيـد مـن أن «أرتاكسركسـيس Artaxerxes الأول كان الأبرز من حيث نبله ودماثة خلقه من بين كل ملوك فارس» أرت، فقرة 1-1، راجع فقرة 4-4 ، ويشير ديـودورس Diodorus أيضـاً إلى صـفة الدماثـة هـذه مؤكداً على الإعجاب الكبير الذي كان يكنه الفـرس للملـك الجديـد الكتـاب الحـادي عشر، فقرة 71-2 ، ولقد قام بلوتارخ Plutarch مثل العديد من المؤلفين الآخرين بذكر أنه كـان يكنى بـ «صاحب اليد الطولى» ماكروخير Macrochir معطياً تفسـيره لـذلك بـأن «يـده اليمنى كانت أطول من يده اليسرى»، ويعلق أحد المؤلفين الآخرين وهو بولوكس Pollux على ذلك قائلاً: «تعني هذه الكنية صاحب السلطة التي تصل إلى حد بعيد»، وهـو التعبـير الذي يبدو أنه يتماشى أكثر مع التفكير الملكي الفارسي انظر فصل 3-5 ، وتظل الحقيقة هي أن أرتاكسركسـيس Artaxerxes كـان عليـه أن يناضـل بقـوة لتعزيـز وتـدعيم سـلطته الجديـدة، ويــذكر بلوتــارخ Plutarch أن الملــك لم يــتمكن مــن تحويــل انتباهــه إلى

جبهة بحر إيجه مباشرة بعد توليه السلطة «حيث شغلته شؤون البلاد العليا» أنو، ثمستوكليس Themistocles ، فقرة 31-3 ، ولحسن الحظ نجد أن ستيسياس Ctesias يقدم لنا العديد من التفاصيل المكملة عن هذه المرزبانيات العليا: «حيث أعلن إقليم باكترا والذي كان يحكمه شخص آخر اسمه أرتابانوس Artabanus ، أعلن انفصاله عن أرتاكسركسيس Artaxerxes ، وقد تلت ذلك معركة كبيرة ولكنها غير حاسمة بين الطرفين، ومع مواصلة القتال هبت الرياح بما لا يشتهيه معسكر الباكتريين وقبل أرتاكسركسيس Artaxerxes المنتصر استسلام كل أجزاء باكتريا» فقرة 31 ، ومن المحتمل أن أرتابانوس Artabanus هذا لم يكن سوى هيستاسبيس Hystaspes أخو أرتاكسركسيس Artaxerxes ، والذي كان في ذلك الوقت مرزباناً على باكترا، وذلك تبعاً لما يقوله ديودورس Diodorus الكتاب الحادي عشر، فقرة 69-2 ، وهكذا فإن هذا الحدث إذا أردنا إعطاءه الوصف الصحيح لم يكن تمرداً لأحد الشعوب الخاضعة، ولكنه كان صراعاً بين أفراد السلطة المالكة، ولا بد أن هذا الانتصار قد عزز من سلطة أرتاكسركسيس Artaxerxes ، والذي أثبت بهذه الطريقة مدى جلده وقوته كمحارب جيد، وكمستعيد للنظام في الإمبراطورية وبين أفراد الأسرة المالكة .

ويذكر ديودورس Diodorus بعض الجوانب الأخرى لعملية إعادة التنظيم التي أجراها أرتاكسركسيس Artaxerxes عقب توليه السلطة: حيث إنه «قام أولاً بمعاقبة هؤلاء الذين اشتركوا في قتل أبيه، ثم عمد إلى تنظيم شؤون المملكة بحيث تتماشى مع وتناسب مصالحه الخاصة، وهكذا، ففيما يتصل بالأشخاص الذين كانوا يشغلون مناصب المرزبانات في ذلك الوقت، قام بطرد من لمس فيه اتجاهات معادية نحوه، وقام باختيار الأكفاء من بين أصدقائه وولاهم مكانهم» الكتاب الحادي عشر، فقرة 1071 ، ويذكر جوزيفوس Josephus أن الملك قام بتعيين قادة

27 مرزبانية من الهند حتى أثيوبيا أنت، الكتاب الحادي عشر، فقرة 185 ، ولكن هل كان هذا التصرف عرضيًّا وغير مقصود، أم أنه كان تركيبيًّا ويهدف إلى شيء ما؟ إن الانطباع العام الذي لدينا هو أنه كلما جاء حاكم جديد إلى السلطة، فإنه إما يؤكد ويعطي مباركته على سلطات المسؤولين الذين يشغلون مناصب عامة الآن، أو أنه يبطل هذه السلطات وينزعها منهم، وهكذا فإنهم يخدمون تبعاً لرغبته.

ولا تشير أية وثيقة أخرى إلى أن «التمرد» الذي قام به أرتابانوس Artabanus أو أن تلك الثورة التي قام بها هستاسبيس Hystaspes قد أدت إلى خلق حالة من التمرد، أو أن هذه الأحداث قد تسببت في تغيير مفاجئ في الأشخاص الذين يشغلون المناصب المرزبانية.

ويذكر بلوتارخ Plutarch في كتابه المعنون بـ «حياة ثمستوكليس Themistocles » فقرة 29-5 ، يذكر أن أرتاكسركسيس Artaxerxes «قد أجرى تغييرات كبيرة في البلاط، وكذلك في الأشخاص المقربين من الملك»، ولقد كان الهدف الوحيد لبلوتارخ Plutarch من وراء هذا التعليق هو توضيح كيف أن ثمستوكليس Themistocles تمكن من الحصول على مكانة وحظوة غير عادية في البلاط، وكيف أن ذلك قد أثار غيرة وحقد النبلاء الفرس الموجودين في الحاشية عليه ثمستوكليس Themistocles ، فقرة 5029-6 ، ومهما كان الوضع فإننا نميل إلى مقارنة هذه المعلومة مع ما يقوله بلوتارخ Plutarch في أجزاء أخرى عن أرتاكسركسيس Artaxerxes : «لقد كان أول من أصدر الأمر بأنه إذا قام أي شخص من رفاقه الذين يصاحبونه في رحلات الصيد برمى رمحه دون انتظار أن يرمي الملك أولاً، كان أرتاكسركسيس Artaxerxes أول من ابتكر هذا الشكل من العقاب لهؤلاء الذين ينتمون للطبقة الحاكمة هوي هيجيموني كوي الذين كانوا يرتكبون هذه المخالفة: بدلاً من أن يأمر بجلدهم وباقتلاع شعرهم من رؤوسهم، كانوا يقومون بخلع ملابسهم

الخارجية فتجلد، وخلع الباروكة التي يرتدونها فيتم نتفها واقتلاع الشعر منها، وفي أثناء ذلك كان يقوم مالكو هذه الملابس بالتوسل للملك طلباً للرحمة وهم يبكون» موراليا، فقرة 173د، فقرة 565أ .

ونجد هذه المعلومة نفسها وبالكلمات نفسها تقريباً في مؤلف أميانوس مارسلينوس Ammianus Marcellinus في فقرة كرسها للحديث عن دماثة ولطف أخلاق أرتاكسركسيس Artaxerxes «صاحب اليد الطولى»، حيث يقوم بالمقارنة بينها وبين قسوة العقاب الذي كان ينزله ملوك الفرس الآخرين بخصومهم الكتاب الثلاثين، فقرة 8-4 ، ويمكن أن نجد بعض الألواح البابلية التي توضح الأشكال «الجديدة» للعقاب الملكي .

وهكذا فإن هناك توافقاً نسبيًّا في الروايات التي تتحدث عن هذا التقليد، ولكن يجب أن نشير إلى بعض الإجراءات التي يتم نسبتها إلى أرتاكسركسيس Artaxerxes الأول ويجب أن يتم عزوها إلى أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني، لاحظ على وجه الخصوص أن أرتاكسركسيس Artaxerxes الأول قد حكم بالإعدام على ميجابيزوس Megabyzus للمرة الأولى؛ لأنه كان أول من أطلق سهماً على حيوان بري أثناء إحدى رحلات الصيد ستيسياس Ctesias ، فقرة 40 ، ومن المؤكد أن قصة ميجابيزوس Megabysus تشتمل على سلسلة كاملة من الأفكار المبتذلة والموضوعات الملكية المتكررة موضوع صيد الأسود على وجه الخصوص ، والتي لا بد أنها كانت تقع كلها خارج التسلسل التاريخي، ولكن من الصعب تصور لماذا قام راوي القصة بنسبة هذا العقاب إلى ملك معروف عنه قيامه بالتخفيف من صرامة الإجراءات المتبعة خلال رحلات الصيد الملكية، ومن المحتمل أن هذا التعديل ببساطة يعود إلى عهد أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني، ويؤكد بلوتارخ Plutarch بشكل خاص على أنه قد قام بالتخفيف من صرامة

القواعد التنظيمية المحددة للتقاليد المتبعة في البلاط أرت، فقرة 404-5، فقرة 5 ، وأنه قد بنى ذلك على سياسة مماثلة لتلك السياسة التي اتبعها أرتاكسركسيس Artaxerxes الأول فقرة 4-1 .

وفي حين أنه لا يوجد أدنى شك في أن أرتاكسركسيس Artaxerxes الأول قد قام بإعادة تعريف التسلسل الهرمي للمكانات في البلاط، إلا أنه من الصعب استنتاج تفسير سياسي معين لذلك، ونميل من الوهلة الأولى للاعتقاد بأن التغيير في شكل العقاب هو دلالة على التخفيف من حدة التقاليد المتبعة في القصر، وأيضاً كإشارة على صياغة علاقة جديدة بين أرتاكسركسيس Artaxerxes وبين طبقة النبلاء الفرس، والتي يمكن أيضاً تفسيرها على أنها علامة على ضعف مكانة الملك الجديد، ولكن يجدر بنا التأكيد على أن العقوبات التي يتم إصدارها على النبلاء هي جادة إلى حد ما، حيث إنها تتعلق بالأزياء، وتسريحات الشعر وباروكات الشعر والتي هي رموز تشير إلى التميز الاجتماعي والقرب من الملك، وإذا أضفنا أنه من المؤكد أن هذه العقوبات كان يتم تطبيقها علناً أمام الناس، فيتجلى لنا أن هؤلاء النبلاء لم يكونوا لينظروا لمثل هذه الإجراءات على أنها تنازل حقيقي من الملك، والذي ظل في كل الأحوال مصدر القانون والعدالة راجع بلوتارخ Plutarch ، أرت، فقرة 23-5 .

أرتاكسركسيس Artaxerxes الأول في برسيبولس:

وفي الوقت نفسه، فإن الألواح تزودنا بأدلة على مواصلة العمل في برسيبولس في الفترة بين صيف عام 464 PT 76-77 وعامي 460-459 PT 79 ، وهو التاريخ الذي توقفت عنده الألواح الإيلامية، وتبعاً للتسلسل التاريخي المتفق عليه فإن آخر النقوش الآرامية الموجودة على بعض الآنيات الحجرية تعود إلى عامي 431-432، ويؤكد أحد النقوش الذي تم اكتشافه على قطعة من إحدى الأواني الفضية، يؤكد وجود أنشطة في الورشة الملكية في برسيبولس A1I ، وتوضح الألواح المتوافرة المدى

الذي وصلت إليه أعمال التشييد، حيث إنه على سبيل المثال حصل 1149 من الحرفيين على مؤن وجرايات في الموقع في الفترة ما بين عامي 459-460 PT 70 ، ولقد أكدت الحفريات التي تم إجراؤها مؤخراً تصريحات الملك التي يزعم فيها أنه أكمل الأعمال التي كان قد بدأها أبوه كسركسيس Xerxes A1Pa ، ونحن نعرف الآن أنه قد أكمل القصر ح ، بالإضافة إلى ذلك فإن أحد النقوش التأسيسية المكتوبة باللغة البابلية توضح أيضاً أنه هو من شيد «قاعة المائة عمود».

وبشكل أساسي نجد أن النقوش والحلي البارزة المركبة على المباني التي تم تشييدها في عصره تكرر الشكل نفسه، والرسالة نفسها مثل تلك النقوش والحلي المركبة على المباني التي تعود لعهد أسلافه، ولكن مع العديد من التعديلات الجديرة بالذكر، ونجد موضوع موكب البلاد التي تدفع له الجزية والأشخاص الذين قدموا له الصنائع، نجده على سلم القصر ح ، ولكن عدد الوفود المسجلة عليه هو أكبر مما كان عليه العدد المسجل على أي من المباني التي شيدها دارا Darius أو كسركسيس Xerxes ، ونجد على أبواب «قاعة المائة عمود» صورة بارزة تصور البطل الملكي وهو ينتصر على حيوان مركب شميت Schmidt، 114-117 ، وأيضاً نجد الملك جالساً على العرش، يسانده 28 ممثلاً من الشعوب الخاضعة له 96-99 Pls ، ونجد أيضاً أربع نسخ لمشهد للجمهور، ولكن يختلف تركيبه عن تركيب ذلك المشهد الذي كان يزين في الأساس اللوح المركزي في الأبادانا التي أنشأها دارا Darius ، ويتمثل الاختلاف -على وجه الخصوص- في أن الملك لم يعد يرافقه ولي العهد والذي كان يظهر خلفه عادةً، ولكننا نرى هنا فقط حامل المظلة واقفاً خلف العرش، Pls 103-107 ، شكل 22 ص219 بأعلى .

وإنه من الصعب جدًّا أن نعطي تفسيراً سياسيًّا لهذه التغيرات، ولم

يثبت أيضاً بشكل قاطع أن أرتاكسركسيس Artaxerxes كان في الحقيقة هو المسؤول عن نقل الصورة الوسطية البارزة التي كانت موجودة على السلالم الشمالية والغربية للأبادانا إلى الخزينة حتى ولو كانت هذه النظرية تجذبنا لما تشير إليه من تضمينات سياسية، وتحديداً أن الملك الجديد لا بد أنه استحسن اختفاء صورة أخيه دارا Darius من جوار عرش أبيه كسركسيس Xerxes ، ولكن من هو الشخص الذي تم تصويره جالساً على عرش أرتاكسركسيس Artaxerxes في مشهد الجمهور في الخزانة؟ هل هو في الحقيقة كسركسيس Xerxes ؟ أم دارا Darius الأول أو أحد أفراد الأسرة المالكة الآخرين الذي تم جعله مجهولاً؟ وهانحن الآن تواجهنا حزمة ضيقة من تفسيرات الصور يمتلك كل منها بعض عناصر التصديق، ولكن لا يمكننا تصديق أيٍ منها بشكل كامل، ويضفي كل هذا بعض الشكوك حول الترابط الكلي للمناقشة، وبالنظر إلى هذا القدر من الشكوك الذي لا يزال لدينا، فإنه سيكون من غير الحكمة أن نفترض أنه ابتداءً من عهد أرتاكسركسيس Artaxerxes الأول فقدت مدينة برسيبولس الدور السياسي الذي تم إعطاؤه لصوصاً في هذه النظرية، والذي هو مناقض للواقع، حيث إن الملك الجديد لا يبدو أنه قد قام بأعمال إنشائية في أي مكان آخر على أثر ما قام به في برسيبولس، ونحن نعرف ببساطة من أحد نقوش دارا Darius الثاني أن أرتاكسركسيس Artaxerxes الأول قد بدأ في بناء قصر في صوصا D2sb ، وتوضح أحد نقوش أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني أن أرتاكسركسيس Artaxerxes الأول لم يكلف نفسه حتى بالقيام بإعادة بناء الأبادانا الذي كان قد بناه دارا Darius الأول، والذي كان قد تعرض للتدمير نتيجة حريق شب به في عهده A2Sa .

2- الثورة المصرية الفترة ما بين عامي 454-464 :

ثورة إناروس Inarus والتدخل الأثيني:

بعد الانتصار في إقليم باكتريا، وجد أرتاكسركسيس Artaxerxes أن التهديد الأخطر لسلطته الإمبراطورية يأتي من الغرب وخاصة من مصر راجع بلوتارخ Plutarch ، ثمستوكليس Themistocles ، فقرة 31-4 ، والحقائق التي نعرفها عن هذه الثورة تأتي أساساً مما كتبه كل من ديودورس Diodorus وثيوسيديدس Thucydides ، وتتسم رواية ستيسياس Ctesias بسلسلة من الأفكار المتكررة والأسماء والتواريخ غير الممكنة فقرات 32-35 ، وتبعاً لديودورس Diodorus فإن توارد الأنباء عن اغتيال كسركسيس Xerxes وحالة الاضطراب السياسي التي تلت ذلك حفزت المصريين على محاولة استعادة حريتهم، وقد كان أول الأفعال التي قاموا بها، والتي تدل على الثورة هو قيامهم بطرد جباة الجزية من الفرس وإضفائهم لسلطة الملك على شخص ليبي اسمه إناروس 463-462 Inarus ، ولقد واجه إناروس Inarus هذا بحشد تم تجنيد أفراده من المصريين والليبيين ودعمه بالمرتزقة من كل حدب وصوب، ولقد كان إناروس Inarus مدركاً لعدم التناسب في ميزان القوى بينه وبين الفرس، فأرسل سفيراً إلى أثينا وخوله السلطة للتفاوض باسمه على عقد تحالف معهم سيماخيا ، وأن يعد الأثينيين بالفوائد والمكاسب المستقبلية الكثيرة التي سوف تعود عليهم من ذلك، ووعدهم حتى بمشاركته في السيطرة على مصر كويني باسيليا ، وقد رد الأثينيون بحماس على طلب إناروس Inarus ، وسرعان ما أرسلوا أسطولاً إلى النيل الكتاب الحادي عشر، فقرة 3071-6 ، ويمدنا ثيوسيديدس Thucydides بالتفاصيل التالية: «وفي هذه الأثناء قام إناروس Inarus ابن أبسماتيك Psammetichus الملك الليبي على الليبيين الذين يسكنون على الحدود المصرية، والذي كان مقر حكمه في مدينة ماريا التي تقع في

فاروس، قام بثورة على الملك أرتاكسركسيس Artaxerxes اشتركت فيها مصر كلها تقريباً، ونصب نفسه قائداً عليها، وقد قام بدعوة الأثينيين لمساعدته، فتخلى الأثينيون عن إحدى الحملات التي كانت موجهة نحو قبرص، والتي كان لهم فيها ولحلفائهم 200 سفينة، وقد أبحروا حتى وصلوا إلى مصر، ثم أبحرت سفنهم عبر النيل، وتمكنوا من السيطرة على ثلثي البلاد، وأعدوا نفسهم لمهاجمة الثلث المتبقي والذي كان يسمى الجدار الأبيض، والذي كان يحتمي بداخله الفرس والميديون والمصريون الذين رفضوا الانضمام إلى الثورة» الكتاب الأول، فقرة 104 .

ويذكر ديودورس Diodorus أن الفرس احتموا بحصن منف بعد هزيمتهم، ولإخماد هذه الثورة، قام أرتاكسركسيس Artaxerxes بإرسال جيش تحت قيادة أخمينيس Achaemenes «ابن دارا Darius ، وعمه» الكتاب الحادي عشر، فقرة 1-74 ، وهو الشخص نفسه الذي كان كسركسيس Xerxes قد ولاه مرزباناً على مصر بعد ثورة عام 484-486 هيرودوت Herodotus الكتاب السابع، فقرة 7 ، ولقد قام إناروس Inarus مدعوماً بالفرق الأثينية بتحقيق النصر على الفرس في مدينة بابريميس Papremis في الدلتا، وقد لقى أخمينيس Achaemenes مصرعه هناك هيرودوت Herodotus ، الكتاب الثالث، فقرة 12، الكتاب السابع، فقرة 7، ديودورس Diodorus ، الكتاب الحادي عشر، فقرة 74 1-4، راجع ستيسياس Ctesias فقرة 32 .

وتتميز رواية ثيوسيديدس Thucydides بأنها قامت بوضع هذه الثورة في الإطار الأوسع للسياسة الأثينية، وعلى الرغم من أنه في اليونان نفسها، كان الخلاف والشقاق عن إسبرطة قد أصبح نهائيًا، وأخذت دائرة المطالبين بشن الحرب تتزايد بشكل مستمر، إلا أن أثينا استمرت في القيام بعملياتها البحرية، ويتضح هذا من قائمة الجنود

الأثينيين الذين قتلوا في عامي 459-460 في مناطق بعيدة عن مدينتهم موزعة بين اليونان وقبرص وفينيقيا ومصر ML33 ، وآخذاً في الاعتبار الوضع الدولي الجديد قام أرتاكسركسيس Artaxerxes الذي كان منشغلاً بإعداد جيش جديد -في خطوة معقولة- بإرسال ميجابيزوس Megabysus إلى إسبرطة محملاً بالمال «ليقوم برشوة البلوبونيزيين لغزو أثينا، وبهذه الطريقة سيدفعون الأثينيين إلى الانسحاب من مصر» ثيوسيديدس Thucydides ، الكتاب الأول فقرة 109-2، راجع ديودورس Diodorus الكتاب الحادي عشر، فقرة 74-5 ، ولم تأتِ هذه الجهود بالنتائج المتوقعة منها، فقد تم إعداد وتدريب الجيش الفارسي والأسطول في كليكيا وقبرص وفينيقيا، وانطلق في موكب تحت قيادة كل من ميجابيزوس Megabysus وأرتابازوس Artabazus ، وفي خلال هذا الوقت واصلت الحامية الفارسية صمودها في منف، بينما واصل الأثينيون وحلفاؤهم تدريباتهم واستعداداتهم، ولكن ثيوسيديدس Thucydides كان متحفظاً جدًّا في ذكر أية معلومات عن طبيعة أو مدى هذه التدريبات الكتاب الأول، فقرة 109-1 ، ولقد وصل الأسطول الفارسي إلى منف عن طريق النهر والبحر وكسر الحصار، وسرعان ما عم الشقاق العلاقات بين المصريين والأثينيين، وانتهى الأمر باستسلام المصريين واقتنع الأثينيون بضرورة عقد هدنة مع ميجابيزوس Megabysus ، والذي سمح للبعض منهم بالعودة إلى بلاد اليونان عبر الصحراء الليبية، وسرعان ما وصلت الكارثة التي تعرض لها الأثينيون إلى ذروتها عندما قام الفرس بمفاجأة مجموعة من سفنهم عند المدخل المؤدي إلى المصب المنديزي Mendesian للنيل، وتم تدميرها بالكامل تقريباً: «ولقد كانت هذه هي نهاية الحملة العظيمة التي شنها الأثينيون وحلفاؤهم على مصر» ثيوسيديدس Thucydides ، الكتاب الأول، فقرة 110-4 ، ولقد

دامت تلك الحملة ست سنوات من عام 460-454، الكتاب الأول، فقرة 110-1 .

خصائص وتبعات هذه الثورة: مصر الفارسية ومصر المصرية:

يذكر ثيوسيديدس Thucydides أن النجاح الأول الذي حققه الأثينيون مكنهم من أن يصبحوا «أسياد مصر» الكتاب الأول، فقرة 109-2 ، ولا يوجد ما يثبت صحة هذا الإدعاء، حيث إن إناروس Inarus نفسه لم يتمكن من السيطرة سوى على جزء من مصر الكتاب الأول، فقرة 109-1 ، ولا يوجد أي أثر على التمرد سوى في الدلتا، وعلى سبيل المثال قام الفارسي المسمى أرياوراتا Ariyawrata في عام 461 بعمل أحد النقوش في وادي الحمامات، وأرخه كما يلي: «السنة الخامسة من فترة حكم ملك مصر العليا والسفلى، سيد البلد المزدوجة، أرتاكسركسيس Artaxerxes أطال الله عمره إلى أبد الآبدين، محبوب الآلهة» بوسنر Posener ، رقم 31 ، ونعرف عن نقوش مماثلة أخرى تم حفرها في السنوات التي تلت هذه الأحداث أرقام 32-33 ، وكذلك أيضاً لا توجد أية إشارات عن حدوث اضطرابات يمكن أن نستشفها من أوراق البردي المكتوبة باللغة الآرامية التي تم اكتشافها في فيلة، والتي تعود إلى عهد أرتاكسركسيس Artaxerxes .

وفي الواقع فإن هذه الثورة كانت منحصرة في الدلتا، ولقد حرص إناروس Inarus على تقديم نفسه على أنه ابن أبسماتيك Psammetichus ، والذي كان قد قدم برنامجاً يهدف إلى استعادة استقلال مصر إلى الوضع الذي كانوا يمثلون علامات ظاهرة ورموزاً للخضوع للفرس، ولكنه قام أولاً بتدعيم مركزه في القواعد الليبية قبل أن يطأ غرب الدلتا، وهكذا فإن التمرد الذي قام به كان الأخير في سلسلة طويلة من الأسر الملكية الليبية التي حكمت مصر، بالإضافة إلى ذلك، فمن الواضح أنه كان يدرك أنه في الظروف الحالية كان الهدف

الأسمى للأثينيين هو «الإضعاف من منزلة ومكانة الفرس بقدر الإمكان» ديودورس Diodorus الكتاب الحادي عشر، فقرة 71-5 ، ولكنه لم ينجح أبداً في الفوز بولاء كل المصريين له، ولقد رأينا أنه بالرغم من طول مدة الحصار، وبالرغم من النجاحات التي حققها الأثينيون، إلا أن الفرق العسكرية المصرية التابعة للفرس ظلت على ولائها لهم في حصن الجدار الأبيض في منف الكتاب الأول، فقرة 104-2 ، ولقد ذهب إناروس Inarus إلى حد أنه وعد الأثينيين بنوع ما من تشارك السلطة والسيطرة على مصر ديودورس Diodorus الكتاب الحادي عشر، فقرة 71-4 ، ونظراً لهذه الاعتبارات فإنه من المستحيل اعتبار هذه الثورة تعبيراً عما يعرف عادة بـ «الوطنية المصرية»، ومن المحتمل أن الوعود التي قطعها إناروس Inarus على نفسه للأثينيين لم تفعل شيئاً سوى أنها قامت بإبعاد وتنفير عدد معين من المصريين عنه، وفي نهاية الأمر قاموا بخيانة إناروس Inarus وسلموه إلى الفرس، والذين قاموا بصلبه الكتاب الأول، فقرة 110-3 .

وتكشف الأحداث أيضاً عن وجود فجوات في السيطرة الإقليمية الفارسية، حيث يكتب ثيوسيديدس Thucydides أنه بعد الانتصار الفارسي «عادت مصر للخضوع مرة أخرى إلى الملك»، ولكنه يضيف هذا التحفظ المهم: «باستثناء أميراتيوس Amyrataeus ملك المستنقعات، والذي عجزوا عن القبض عليه بسبب بعد المستنقعات؛ ولأن سكان المستنقعات كانوا هم الأكثر ولعاً بالقتال من بين كل المصريين» الكتاب الأول، فقرة 110-2 ، وفي الحقيقة فنحن نعرف أن خيرة جنود مصر كانوا يأتون من مقاطعات نومات الدلتا الكتاب الثاني، فقرات 164-165 ، ولقد أصبح حكام المستنقعات هؤلاء جزءاً من التسلسل الطويل لحكام مصر الذين حكموها منذ بداية تاريخها، وتبعاً لكل من هيرودوت Herodotus الكتاب الثاني، فقرة 152 ، وديودورس

الكتاب الأول، فقرة 66 ، فـإن أبسـماتيك Psammetichus الأول نفسـه تـم نفيـه إلى المستنقعات، وأنه تمكن من استعادة سلطته بمساعدة مرتزقة من سـكان إقليمـي أيونيـا وكاريا، ولقد كانت هذه هي الاستراتيجية نفسها التي لجأ إليها إناروس Inarus ، ومن بـين المكاسـب والمميـزات الكبـيرة التـي لاحـت أمـام الأثينيـين ديـودورس Diodorus الكتاب الحادي عشر، فقرة 71-4 ربما أنها كانت وفرة قطع الأرض في مصر مقارنة بتلك التي كان أبسماتيك Psammetichus قد وزعها على المرتزقة الأيونيين والكاريين عقـب انتصاره» هيرودوت Herodotus الكتاب الثاني، فقرة 154 .

ومن الواضح أنه عقب وفاة إناروس Inarus احتفظ بالسـلطة مـن بعـده ملـك آخر من ملوك المستنقعات وهو أميراتيوس Amyrataeus ، ولم يحاول الفـرس هزيمتـه أو القضاء عليه نظراً للصعوبات العملية التي ستقابلهم إذا ما حاولوا ذلك، ويحتمـل أن أميراتيوس Amyrataeus هذا هو المصري الآخر الذي -كما يقول ستيسـياس Ctesias فقرة 32 - قد ثار في الوقت نفسه الذي ثار فيه إناروس Inarus ، وتظل الحقيقة هـي أن نسل إناروس Inarus لم ينقطع مع وفاته، حيث إنـه في عـام 445-444 قـام ملـك آخر اسمه أيضاً أبسماتيك Psammetichus بإرسال شحنات من القمح إلى أثينا مشـيراً إلى أنه في ذلك الوقت كان يسيطر على أراضي زراعية غنية في الدلتا، ولقد تكرر الموقـف نفسه في عام 412 ثيوسيديدس Thucydides الكتاب الثامن، فقرة 35-2 .

وهكذا تظهر الأحداث التي وقعت في عهـد أرتاكسركسـيس Artaxerxes إلى أن الفرس لجأوا إلى خطة غير منتظمة إلى حد بعيـد لاحـتلال أراضي مصر، ولقـد كـان همهـم الأول الإبقاء على ممرات نهرية مفتوحة تربط بين منف والبحر، وعلى أية حال، فإن هـذه كانت هي ملاحظة هيرودوت Herodotus عنـدما زار مصر بعـد الثـورة بـبعض الوقـت

راجع الكتاب الثالث، فقرة 12 : «حتى هذا اليوم يقوم الفرس بفرض حراسة مشددة على هذا المرفق الذي بكونه النيل هنا، والذي تنتقل عنده المياه إلى قناتها الجديدة، حيث كان يقوم الفرس بتقوية السد كل سنة؛ لأنه إذا حدث أن دمرته مياه النهر فسوف تغمر المياه منف بالكامل» الكتاب الثاني، فقرة 99 ، وهكذا نجح الفرس من خلال فرض سيطرتهم على الأسطول النهري المصري في منع أي ثائر من أن يستغله ضدهم راجع ديودورس Diodorus الكتاب السادس عشر، فقرة 6047 ؛ ولأنهم تعاونوا مع المهندسين المصريين، فلقد كانوا في موقف مكنهم من استخدام القنوات والسدود ضد المتمردين ثيوسيديدس Thucydides الكتاب الأول، فقرة 110-4 ديودورس Diodorus ، الكتاب الحادي عشر، فقرة 77-1 ، وأخيراً، فقد مكنت الحاميات المتمركزة في مصر الفرس من الإبقاء على الطريق إلى فلسطين مفتوحاً، بالإضافة إلى مصبي النيل على البحر المتوسط واللذين كانت السفن الحربية وسفن النقل الفارسية تسافر عبرهما بحرية تامة، ولقد أدرك الفرس أنهم عاجزين عن فرض سيطرتهم المباشرة على غرب الدلتا أو ربما أنهم أرادوا فقط مواصلة سياستهم التقليدية ؛ ولذلك تخلوا عن فكرة الاستعمار العسكري، ومن المحتمل أن هذا هو ما تشير إليه ملاحظة هيرودوت Herodotus فيما يتعلق بالملوك المصريين: «حيث إن الفرس كانوا معتادين على معاملة أبناء الملوك باحترام وتبجيل وحتى ترد إلى أبنائهم عروش هؤلاء الذين ثاروا ضدهم، وهناك العديد من الأمثلة التي يمكن أن نستنتج منها أن مثل هذا النوع من الكرم لم يكن معتاداً في بلاد فارس، وأحد الأمثلة الواضحة هو حالة تانيراس ابن إناروس Inarus الليبي الذي سمحوا له بأن يخلف أباه، وأحد الأمثلة الأخرى هو بوسيريس ابن أميراتيوس Amyrataeus ، والذي أعيدت له أيضاً مملكة أبيه، وهذا كله على الرغم من حقيقة أن إناروس Inarus وأميراتيوس

Amyrataeus كانا أكثر مسبب للمشكلات والاضطرابات والخسائر للفرس الكتاب الثالث، فقرة 15 ، وبمعنى آخر فعقب قيام الفرس بإعدام إناروس Inarus لم يحاولوا تشريد ابنه، ومن الواضح أن مطلبهم في مقابل ذلك هو موافقته على عدم الثورة ضدهم، وألا يحاول توسيع رقعة الأراضي التي تم تخصيصها له، وإلى حد ما كانت ملك عميل للفرس، كما كان الحال مع أميراتيوس Amyrataeus وابنه، وبالإضافة إلى الالتزامات الأخرى، فلقد طلب منهم إرسال جنود المستنقعات المشهورين، والذين يسميهم هيرودوت Herodotus الهرموتيبيين Hermotybians والكالازيريين Calasirians للملك الأكبر الكتاب الثاني، فقرات 164-165 ، ولقد شارك هؤلاء الجنود في حملة عام 480، وتم ضمهم حتى ضمن جنود «الإيبيباتيس» البحرية في جيش الصفوة الذي تركه كسركسيس Xerxes لماردونيوس Mardonius الكتاب التاسع، فقرة 320 ، ومن المؤكد عمليًّا أن هذا النظام كان معمولاً به منذ غزو قمبيز Cambyses لمصر، ودعونا نؤكد على أن إناروس Inarus في الحقيقة تتم الإشارة إليه كملك ليبي، والذي كان «ملكاً على الليبيين الموجودين على الحدود المصرية» ثيوسيديدس Thucydides الكتاب الأول، فقرة 104-1 .

وفي الحقيقة فإن معاصرات الجيش الفارسي عندما انسحب من مدينة قورنائية في عام 513 توضح أنه حتى في ذلك الوقت «لم يكن معظم الليبيين في الفترة التي أكتب عنها يأبهون بملك فارس أكثر مما يأبهون به اليوم» هيرودوت Herodotus الكتاب الرابع، فقرة 197 .

ولقد عمل هذا النظام لمصلحة الفرس لعقود عديدة، حيث إنهم من ناحية أبقوا على العديد من الملوك المتزامنين متبعين بذلك طريقة كانوا قد طبقوها في أجزاء أخرى من إمبراطوريتهم راجع بلوتارخ **Plutarch** أرت، فقرة 5024-9 ، ومن ناحية أخرى لأنه لم يكن بإمكان ملوك الدلتا

بمفردهم السيطرة على الممرات المائية أو على منف، وحتى وصول الأثينيين فإن حالة عدم الاستقرار التي كان إناروس Inarus يحرض عليها ويحاول إشعال فتيلها لم تكن قد انتشرت بعد، وعلى الجانب الآخر نجد أن هذه الاستراتيجية الفارسية كانت لها مخاطر هائلة، والتي تجلت بمجرد أن حصل ملوك المستنقعات على الدعم من دولة مثل أثينا، والتي كان بإمكانها إرسال أسطول قادر على الإبحار في النيل حتى يصل إلى مقر السلطة الفارسية راجع ثيوسيديدس Thucydides الكتاب الأول، فقرة 104-2 ، وكما حدث بعد ذلك بسنوات قليلة فقد توجهت مجموعة من السفن الأثينية للدلتا مرة أخرى استجابة لطلب من أميراتيوس Amyrataeus «ملك المستنقعات» الكتاب الأول، فقرة 112-3 ، وبمعنى آخر فإن المحافظة على السيطرة الفارسية على مصر اعتمدت بدرجة كبيرة على مدى مقدرة الأسطول الملكي على فرض تلك الحماية، وللتعامل مع مثل هذه الظروف، تمكنت السلطة المركزية من حشد الرجال والعتاد من الشعوب الشامية الخاضعة لها الكليكيين، القبارصة، الفينيقيين ، وقد استفاد الفرس أيضاً من تعدد الجبهات التي كان يحارب فيها الأثينيون، والذين كانوا مهتمين بدرجة أكبر بالعمل على إضعاف أرتاكسركسيس Artaxerxes ديودورس Diodorus الكتاب الحادي عشر، فقرة 71-5 أكثر من اهتمامهم بغزو مصر، وقد كانت هذه الدوافع بالضبط هي نفسها ما دفع الحامية الفارسية التي كانت تحت رئاسة أرتابازوس Artabazus لفعل ما فعلته في شبه جزيرة البلوبونيز، ومنذ ذلك الحين حاول أرتاكسركسيس Artaxerxes ومن خلفوه الاستفادة من هذا الوضع الجديد الناشئ عن الشقاق الذي حدث بين أثينا وإسبرطة.

وتظل الحقيقة هي أن الاستراتيجية التي اتبعها الملك الأكبر في مصر مثلت نجاحاً مهماً له، وتبعاً لستيسياس Ctesias فقبل مغادرة مصر ترك ميجابيزوس Megabysus سارساماس Sarsamas هناك كمرزبان عليها

فقرة 35 ، ونميل للاعتقاد بأن هذا الشخص هو نفسه أرساما Arsama الذي تتحدث عنه العديد من الوثائق الآرامية، وتذكر أنه كان مرزباناً على مصر في عهد دارا Darius الثاني، وباستثناء محاولة جديدة غير ناجحة قام بها أميراتيوس Amyrataeus ثيوسيديدس Thucydides الكتاب الأول، فقرة 112-3 ، ظلت مصر هادئة خلال فترة حكم أرتاكسركسيس Artaxerxes الأول.

3- شؤون إقليم عبر الفرات:

أرتاكسركسيس Artaxerxes وميجابيزوس Megabysus :

تشكل هذه الأحداث التي وقعت في مصر الإطار التاريخي لقضية ميجابيزوس Megabysus الغامضة، والتي سيقوم ستيسياس Ctesias بروايتها بتفصيل شديد في قصة إطارها كالتالي: فلقد كانت أمستريس Amestris والتي خلط ستيسياس Ctesias بينها وبين أميتيس Amytis غير راضية عن الاتفاق الذي تم بين ميجابيزوس Megabysus وإناروس Inarus واليونانيين الذين كانوا يعملون في خدمته فقرة 34 ، حيث إن هدفها الوحيد كان يتمثل في جعل الملك يعاقب قتلة ابنها أخمينيس Achaemenes ، ولقد نجحت في تحقيق هذا الهدف بعد ذلك بخمس سنوات: حيث تم صلب إناروس Inarus ومعه خمسين يونانيًّا آخر فقرة 36 ، ولقد أصاب ذلك ميجابيزوس Megabysus بالذهول الشديد، وحصل على إذن الملك في مغادرة البلاط والإقامة في سوريا، والتي أشار إليها كـ«أرضه» هي هيتو خورا ، وبمساعدة المرتزقة اليونانيين الذين كان إناروس Inarus قد جلبهم، والذين قام هو باستئجارهم، أعلن انفصاله عن الملك مدعوماً بولديه زوبيروس Zopyrus وأرتيفيوس Artyphius ، ولقد قامت قواتهم بهزيمة جيشين متتالين أرسلهم أرتاكسركسيس Artaxerxes هزيمة منكرة، وقد كان يقود الجيش الأول

أوزيريس Usiris ، أما الثاني فكان يقوده مينوستانيس Menostanes ابن أخو الملك فقرات 37-38 ، ولقد دارت مفاوضات بين الطرفين: «ولقد منحه الملك العفو» فقرة 39 ، وعقب هذا يروي ستيسياس Ctesias مشهد صيد الأسود، ونفى ميجابيزوس Megabysus إلى الخليج الفارسي، ثم هروبه الشرس واجتماعه مرة أخرى بزوجته أميتيس Amytis ، وحصوله مرة أخرى على رضا الملك، ثم وفاته فقرات 40-42 .

ومع رواية القصة بهذه الطريقة التي مازالت تحتوي على الإثارة حيث إنها توضح العلاقة بين الملك وبين أحد النبلاء الذي ينتمي إلى أسرة متميزة، والذي كان ينحدر من نسل أحد المتآمرين الذين اشتركوا في مؤامرة عام 452، والذي حصل على مكانة بارزة وأصبح مقرباً من كسركسيس Xerxes ولقد تزوج إحدى بنات كسركسيس Xerxes وتمكن بنجاح من إخماد الثورة البابلية ، والذي لعب أيضاً دور مهماً، ولكنه غير واضح بعد تولي أرتاكسركسيس Artaxerxes للسلطة، ويجب أن نذكر أيضاً أنه قبل أن يبدأ ميجابيزوس Megabysus مفاوضاته مع الملك كان حريصاً أولاً على أن تكون زوجته وابنه الصغير برفقته، وإلا فإنهم كانوا سيعتبرون كرهائن محتجزين في البلاط لضمان ولائه للملك، وبالإضافة إلى ذلك، فإن قصة ستيسياس Ctesias تقدم لنا أشخاصاً مثل أرتاريوس Artarios ، مينوستانيس Menostanes ، واللذين تم التأكد من وجودهما تاريخيًّا من خلال الألواح البابلية، ونحن نعرف على سبيل المثال أن الشخصين اللذين تم إرسالهما إلى ميجابيزوس Megabysus ، وهما بيتيساس Petisas وابنه سبيتامينيس Spitamenes واللذين كانا في ذلك الوقت، قد منحهما الملك أراضٍ في منطقة نيبور Nippur والأسماء المسجلة في الألواح هي باتيسو وأسبيتاما ، ولكن بالنسبة للقصة ككل، وبالرغم من صحة بعض التفاصيل إلا أن قصة ستيسياس Ctesias بعيدة

كل البعد عن التصديق، وكما ذكرنـا عـدة مـرات مـن قبـل، فإنـه مـن الواضـح أن هـذه القصة هي قصة تتناول الأعـمال البطوليـة لأسرة ميجـابيزوس Megabysus ، حتـى إن ستيسياس Ctesias يقوم بتتبع مغامرات أبنـاء ميجـابيزوس Megabysus أرتيفيـوس Artyphius وزوبيروس Zopyrus الثـاني، حيـث غـادر زوبـيروس Zopyrus الأراضي التي تقع تحت سلطة الملك ولجأ إلى أثينا، ولقد مات فيما بعـد أثنـاء إحـدى المحـاولات الغامضة لغزو كونوس فقرة 43 ، وتقوم الرواية بأكملها حول سلسلة من الأفكار الأدبية المتكررة أميرات الفرس قاسيات القلوب اللاتي يسعين إلى الانتقام لمقتل ابن من أبنائهم، الخطوة عند الملك، خسارة رضاه، وإثارة سخطه، جرح في الفخذ، صيد الأسـود، موضـوع العودة .

حتـى إذا وصـلنا إلى نهايـة مفادهـا أن ميجـابيزوس Megabysus قـد قـام حقًّـا بإحدى الثورات، فإنه لا يزال من الصعب تحليلها باتزان كامل، حيـث إننـا لا نعـرف حتـى الوظيفة التي كان يشغلها ميجابيزوس Megabysus خلال هذه الأحداث، ونحصـل عـلى الفكرة العامة من ستيسياس Ctesias بأنهـا كانـت سـوريا إقلـيم عـبر الفـرات ، والـذي نعتقد أنها قد انفصلت في وقت سابق عن بابل، وفي الحقيقة فإن هذا يبـدو محـتملاً حيـث يسمى أرتاريوس Artarios بـ «مرزبان بابـل»، فقـرة 38 ، ولكـن عنـدما يسـمى ستيسـياس Ctesias سـوريا بــ «أرضـه» فإنـه ربمـا يقصـد بـذلك الأراضي التـي تـم منحهـا لميجـابيزوس Megabysus في هذه المنطقة، وإنه لمن الصحيح أن التفسـيرين المرزبـان، صـاحب الأطيـان ليسا منفصلين عن بعضهما البعض وخاصة إذا نظرنا إلى صعوبة التمييز بين الأراضي الشخصية وتلك التي تتبع الحكومة انظر فصل 11-9 ، وإذا وافقنا على أنه فعلاً كان مرزباناً، فيجـب أن نؤكد على أنه المثال الأول على قيام شخص بتمرد منذ حالـة أريانـديس Aryandes مرزبـان مصر، والتــي مازالــت غامضــة هــيرودوت Herodotus الكتــاب الرابــع، فقــرة 166 ،

وأحـد أهـم الجوانـب اسـتحقاقاً للـذكر فـيما يتعلـق بهـذه الثـورة هـو أن ميجـابيزوس Megabysus قام بالاستعانة بمرتزقة من اليونان، وهذه هي الإشارة الأولى إلى مثل هـذا التقليد، والذي سيتكرر بعد ذلك بعدة سنوات مع بسوثنيس Pissuthnes .

الاضطرابات في إقليم يهودا؟

تبعاً للمؤرخ الذي رتب الأحداث وفقاً للتسلسـل الزمنـي، فإنـه في الوقـت نفسـه تقريباً استمرت الاضطرابات في العصف بإقليم يهودا عزرا Ezra الكتاب الرابـع، فقـرة 7-24 ، حيث إن اليهود والذين كانوا كما يقول الكتاب 4، فقرة 7-24 قد تمت إدانـتهم وشجب مـا فعلـوه في عهـد كسركسـيس Xerxes ، تـم انتقـادهم مـرة أخـرى في عهـد أرتاكسركسيس Artaxerxes ، فقد تم إرسال رسالة من جانب الحاكم ريهوم والكاتـب شمشاي، ومساندة من ممثلي الشعوب الأخرى المجاورة لإقليم يهودا، ولقد أعلموا الملك أن اليهود كانوا مستمرين في إعـادة بنـاء المدينـة وأسـوارها، وقـد توقعـوا أن مثـل هـذا الأنشـطة كانـت تتضـمن مخـاطر كبـيرة، حيـث إنهـا سـوف تـؤدي إلى إضـعاف سـلطة أرتاكسركسـيس Artaxerxes في تلـك المنطقـة؛ لأن القـدس كانـت «مدينـة متمـردة وشريرة»؛ ولذلك فإنهم إن لم يأخذوا حذرهم فسرعان مـا سـيرفض سـكان هـذه المدينـة «دفـع الجزيـة والضرائـب أو المكـوس»، ولقـد طلـب الحـاكم مـن أرتاكسركسـيس Artaxerxes أن ينظر في السجلات الملكية التي سوف تثبت أن القـدس كانـت تسـعى دائماً للاستقلال، وأن يكون لهم ملوك خاصين بهم، ولقد قام الملـك بفعـل ذلـك، وعنـدما اقتنع بصحة ما يقولونه، أمـر الملـك بوقـف أعـمال التشـييد تلـك، وأمـر ريهـوم ورفاقـه بتنفيذ هذا المرسوم.

ولكـــن مـــا الـــذي نســـتنتجه مـــن هـــذه الفقـــرة؟ تتمثـــل المشـــكلة في أن مكانهـا في التسلسـل التـاريخي للأحـداث هـو شـاذ وغـير مضـبوط، حيـث إنـه يـأتي

بعدها مباشرة الحديث عن الأفعال التي قام بها دارا Darius الأول، ومن الممكن أن المؤرخ أراد هنا أن ينقل فكرة معينة إلينا، والتي ما فتئ يعود إليها خلال حديثه عن المهام التي قام بها كل من عزرا Ezra ونهيميا Nehemiah ، وتحديد أن إقليم يهودا كان محاطاً بأسوار، وكانوا مستعدين لإدانته أمام السلطات المرزبانية، والذين كانوا يميلون إلى الإصغاء إليهم، ولقد بنيت قصة الجولة التفقدية التي قام بها تاتيناي حول الفكرة نفسها، فقد طلب هو أيضاً من دارا Darius أن ينظر مرة في السجلات الملكية الكتاب الخامس، 3-17 وإذا سلمنا ليس من دون إبداء بعض التحفظات بصحة هذا المشهد تاريخيًّا، فإنه من المحتمل أن الأعمال الإنشائية التي تم إجراؤها في القدس قد تجاوزت بدرجة كبيرة الترخيص الملكي السابق، والذي أشار فقط إلى بناء معبد، وعلى الجانب الآخر، فإن الصلة التي غالباً ما يتم إقتراحها بين هذا الفصل وبين التمرد المصري والثورة المحتملة لميجابيزوس Megabysus لا بد أن تظل افتراضية؛ وذلك لأنه لم يوجد حتى الآن دليل خارجي يؤكد وجود مثل هذه الصلة .

4- جبهة آسيا الصغرى - شرق بحر إيجة:

الأعمال العدائية بين الفرس والأثينيين العقد الخامس من القرن الخامس ق.م :

من المؤكد أن موقف أثينا قد ضعف بعد الحملة المصرية؛ وذلك بسبب الخسائر التي تكبدتها نتيجة هذه الحملة راجع ثيوسيديدس Thucydides الكتاب الأول، فقرة 110-1 ، وكنتيجة للمخاطر التي كانت تحيط بمركزها في بلاد اليونان نفسها، ومن المحتمل أيضاً أن أرتاكسركسيس Artaxerxes قد استفاد من النجاح الذي حققه في مصر، وهذا هو ما يجعلنا بلوتارخ Plutarch نعتقده: فلقد «أرسل مبعوثين إلى

ثمستوكليس Themistocles في ماغنيسا، ليذكره بوعده وليستدعيه للعمل معه ضد اليونانيين» ثمستوكليس Themistocles فقرة 31-4، راجع فقرة 31-3 ، وعند قراءتنا لما كتبه بلوتارخ Plutarch ، يبدو لنا كما لو أن ثمستوكليس Themistocles لم ينفذ تعليمات الملك فقرة 31-5، سايمون Cimon فقرة 18-6 ، و راجع ثيوسيديدس Thucydides الكتاب الأول، فقرة 138-4 ، ولقد سمحت الهدنة التي عقدتها أثينا مع إسبرطة لمدة خمس سنوات 454 أو 2451 للأثينيين أن يعودوا إلى الهجوم مرة أخرى، وذلك بإيعاز من سايمون Cimon ، والذي كان قد عاد من المنفى 2451 : «بعد أن تحرر الأثينيون من عبء الحرب الهلينية، قاموا بشن حملة على قبرص باستخدام مائتي سفينة من سفنهم وسفن حلفائهم وتحت قيادة سايمون Cimon ، ولقد تم إرسال 60 سفينة من هذه السفن إلى مصر بناءً على طلب من أميراتيوس Amyrataeus ملك المستنقعات، أما باقي السفن فقد قامت بفرض الحصار حول كيتيوم ثيوسيديدس Thucydides الكتاب الأول، فقرة 20112-3 .

ونعلم بهذه الأحداث أيضاً من إحدى الفقرات في كتاب بلوتارخ Plutarch سايمون Cimon ، فقرة 5018-9 ، ومن إحدى الروايات التي قدمها ديودورس Diodorus ، ولكن لسوء الحظ يبدو أن ديودورس Diodorus قد خلط بشكل جزئي بين هذا الفصل وبين حملة نهر يورميدون الكتاب الثاني عشر، فقرة 3، فقرة 104-3 .

لقد كانت القوات الفارسية تحت قيادة كل من أرتابازوس Artabazus وميجابيزوس Megabyzus ، ولقد تم تعيين أرتابازوس Artabazus قائداً أعلى لجميع القوات، وقاد الأسطول الذي كان راسياً في جزيرة قبرص، بينما قام ميجابيزوس Megabysus بقيادة الجيش الذي كان معسكراً في إقليم كليكيا ديودورس Diodorus ، الكتاب الثاني عشر، فقرة 3-2 ، وإذا صحت معلومة ديودورس Diodorus هذه فإن هذا يشير

إلى أن القائدين الفارسيين قد تلقيا أوامر بالإبقاء على قواتهم مستعدة للحرب عقب نهاية هذه الحملة على مصر راجع الكتاب الحادي عشر، فقرة 74-6 ، ولقد كان حصار كيتيون Kition بلا جدوى، وبعد مقتل سايمون Cimon فاز الأثينيون بانتصارين براً وبحراً: «ونتيجة لتحقيقهم النصر على الناحيتين البر والبحر غادرت القوات الأثينية موطنها وبرفقتها مجموعة السفن العائدة من الحملة المصرية» ثيوسيديدس Thucydides الكتاب الأول، فقرة 112-4 ، وبالنسبة لثيوسيديدس Thucydides فإن جبهة آسيا الصغرى اختفت تحديداً في وقت عقد اتفاق الثلاثين عاماً من السلام مع إسبرطة 446-445 ، وعقب وفاة سايمون Cimon طرأ تغير على الخطة فتحت حماية ورعاية بركليز Pericles انصرف اليونانيون عن شن مثل هذه الحملات الكبيرة ضد الفرس مثل تلك التي كان قد قادها سايمون Cimon ؛ وذلك لأن كل ما فعلته هذه الحملات هو زيادة وتعزيز تبعية الشعوب الخاضعة للفرس.

العودة إلى «سلام كالياس Callias »:

لقد قام ديودورس Diodorus في خلال حديثه عن الحملة على قبرص بالإشارة إلى المفاوضات التي دارت بين الفرس والأثينيين الكتاب الثاني عشر، فقرة 404-5 ، فعندما سمع أرتاكسركسيس Artaxerxes بأنباء الهزائم في قبرص، قام بجمع أصدقائه، وقرر أنه سيكون من مصلحته بدء محادثات مع اليونانيين، ثم قام بإرسال تعليمات مكتوبة إلى المرزبانات والقادة العسكريين سمح لهم فيها بمناقشة شروط مثل هذه المعاهدة، ولقد قام الأثينيون من جانبهم بإرسال مبعوثين وسفراء وأعطوهم سلطات كاملة، ولقد كان قائد هؤلاء السفراء هو كالياس Callias ابن هيبونيكوس Hipponicus ، وتبعاً لديودورس Diodorus فهذه هي البنود الرئيسة للاتفاق الذي تم التوصل إليه: «سوف تخضع جميع المدن اليونانية في آسيا إلى قوانين تكون قد

وضعتها هي، ولن يقترب المرزبانات الفرس منها في البحر لمسافة يمكن قطعها في أقل من ثلاثة أيام بحراً، ولن تبحر أية سفينة حربية فارسية داخل صخور جزيرة ثيرا أو Phaselis ، وإذا قام الملك الفارسي وقادته العسكريين بالالتزام بهذه البنود فلن يقوم الأثينيون بإرسال أية قوات إلى الأراضي التي يحكمها، وبعد أن تم عقد هذا الاتفاق واستيفائه لكل الشروط، قام الأثينيون بسحب قواتهم من جزيرة قبرص الكتاب الثاني عشر، فقرة 504-6 .

دعونا نؤكد على ذلك مرة أخرى، فلم يتفوه ثيوسيديدس Thucydides بكلمة واحدة عن ذلك، وبالإضافة إلى ذلك، يشير هيرودوت Herodotus إلى وجود بعثة دبلوماسية يونانية في صوصا في الوقت نفسه والتي قد قدمت لتطلب من الملك تأكيد التحالف التقليدي ، وتضم هذه البعثة الدبلوماسية كالياس Callias ابن هيبونيكوس Hipponicus ونواب أثينيين آخرين، والذين أتوا «في مهمة لا علاقة لها بهذا الشأن الذي نتحدث عنه الآن» الكتاب السابع، فقرة 151 ، ولكن لم يذكر تاريخ هذا الفصل بالتحديد، حيث قال إنه: «بعد سنوات عديدة من حملة كسركسيس Xerxes في أوروبا»، ومن الممكن أن تاريخ هذه البعثة الدبلوماسية اليونانية يعود إلى عامي 466-465، وبشكل أساسي فإن الأعمال الأدبية القديمة التي تتحدث عن هذه المعاهدة يعود تاريخها إلى القرن الرابع، ولكن يمكن أن نتفق بشكل مؤقت أنه ربما كانت هناك محادثات بين أثينا وأرتاكسركسيس Artaxerxes حوالي عام 499، وسوف نلاحظ حينها أننا إذا نحينا جانباً التشويهات التي أحدثتها الدعاية السياسية الأثينية فيما بعد فسنجد من الواضح أن هذه المعاهدة لم تكن سوى مجرد اتفاق محدود، حيث قام الأثينيون بإخلاء قواتهم من كل من جزيرة قبرص وبلاد اليونان مقابل موافقة المرزبانات الفرس رسميًّا على عدم التدخل مباشرة في المدن

اليونانية التي كانت أطرافاً في الحلقة التي أنشأتها أثينا في ذلك الوقت، ومما لا شك فيه أن هذا الاتفاق كان بالتأكيد نصراً لأثينا و«خاصة» أنه جاء في اللحظة التي اعتقد فيها بركليز Pericles وبشكل واضح أن فصل الحروب الفارسية اليونانية قد أوشك على نهايته، ومن المنظور الفارسي يمكننا أن نتصور أن استمرار سيطرتهم على مدن الشاطئ الشرقي لبحر إيجة كان ذا أهمية أكبر بكثير من أية تنازلات شرطية اضطروا إلى تقديمها للأثينيين، حيث إنه من المؤكد أن السلطة المركزية قد اعتقدت من ناحية أن هذه التنازلات هي محدودة ومؤقتة، ومن ناحية أخرى أن أيًّا منهما لم يلزم الفرس بالتخلي عن الحقوق البارزة للملك «في الأراضي التي كان حاكماً عليها»، فلم يتنازل الملك الأكبر أبداً عن شرط دفع الجزية، حتى عندما منع الاحتلال الأثيني المرزبانات بشكل مؤقت من جباية الضرائب السنوية في المدن المتحالفة مع أثينا ثيوسيديدس Thucydides الكتاب الثامن، فقرات 4، 5، 6-1 ، وبالمثل فإن الملك الأكبر لم يشارك بنفسه مباشرة في عقد هذا الاتفاق، وقد اضطر الأثينيون إلى فرضه على المرزبانات، ويمكن أن نشك أيضاً في أن البلاط الملكي كان يعتقد أيضاً أن الوضع في اليونان كان ينطوي على احتمالات عديدة لإضعاف الموقف الأثيني.

ولقد كانت لدى الفرس أسباب قليلة جدًّا للقبول بهزيمة أو «واترلو» دبلوماسية حيث إنهم كانوا يدركون جيداً حجم الصعوبات التي تواجهها أثينا مع حلفائها، وهي الصعوبات التي عمل الفرس أنفسهم على تغذيتها، وفي الحقيقة فنحن نعرف من مرسوم Ml40 الذي يرجع تاريخه افتراضيًّا إلى عام 453-452 أن أعضاء مجلس مدينة إرثراي Erythrae قد اضطروا للموافقة على «ألا يستقبلوا في مدينتهم أي من المبعدين الميديين الذين يلجأون إليهم»، وبعد ذلك ببعض الوقت 450-451؟ صدر مرسوم آخر يقضي بتقديم أثينا لمساندة سيجيون Sigeion ضد أي عدو يأتي «من البر

الرئيس لآسيا الصغرى»، وهي العبارة التي كانت تستخدم عادة للإشارة إلى الفرس أو اليونانيين المدعومين من قبل الفرس ATL ، الكتاب الثالث، فقرة 255 ، وهكذا قام مرزبانات سارديس وداسيليوم باستخدام الصراعات التي تنشأ بين المدن المتحالفة، وحاولوا حينها تنصيب أحزاب وأشخاص مؤيدين للانفصال عن التحالف الأثيني، ومن الطبيعي أن هذه الأحزاب سوف تقوم بطلب المساعدة والدعم من المرزبانات الفرس الموجودين على البر الرئيس .

ومن الواضح أن توقيع «سلام كالياس Callias » المفترض هذا لم يؤدِّ إلى وقف أو مقاطعة الأنشطة التي كان يقوم بها المرزبانات، ففي عام 441 اندلع صراع حدودي بين مدينة ملطية وجزيرة ساموس، ولم يتدخل الأثينيون في روح الأفعال التي قام بها أرتافرنيس Artaphernes في عام 493 انظر فصل 5/12 ، والتي اضطرت المدينتين إلى اللجوء وطلب المساعدة من المرزبان الفارسي إذ كانوا يعترفون بسلطته في هذا الوقت ، ولقد لجأ الملطيون المهزومون إلى أثينا طلباً للمساعدة، حيث إن الأثينيين قد نصبوا حكومة ديموقراطية في ساموس، وكالمعتاد لجأ المبعدون من ساموس إلى طلب المساعدة من بسوثنيس Pissuthnes مرزبان سارديس، ولقد تم عقد تحالف سيماخيا ، وبناءً على بنود هذا الاتفاق قام بسوثنيس Pissuthnes بتجهيز «700 مقاتل مكنوا المبعدين من استعادة مكانتهم في جزيرة ساموس»، «وبعد هذا قاموا بالثورة على أثينا وقاموا بالتخلص من الحامية الأثينية وسلموا قادتها إلى بسوثنيس Pissuthnes »، وسرعان ما انضمت بيزنطة إلى هذه الثورة ثيوسيديدس Thucydides الكتاب الأول، فقرة 115، 2-5 ، ومن الواضح أن سكان ساموس اعتمدوا على الدعم الفارسي الهائل لهم، وعندما أبحر بركليز Pericles متجهاً لجزيرة ساموس، قام بإرسال جزء من سفنه إلى كاريا عندما علم باقتراب الأسطول الفينيقي»، ولقد تم إرسال شخص من

ساموس وهـو ستيسـاجوراس Stesagoras لمقابلتـه الكتـاب الأول، فقـرة 116 ، ومـن الممكن أن هذه الأنباء قد نشأت نتيجة محاولة الفرس التضليل، وعلى الأقل فهـي تشـير إلى أن الأثينيين لم تكن عندهم أية أوهـام حـول إحـدى فقـرات هـذا «السـلام»، والتـي تقضي بشكل أساسي بمنع أي أسـطول أخمينـي مـن أن يجـوب شـواطئ آسـيا الصـغرى، وبالإضافة إلى ذلك، فإنه لا يوجد ما يشير إلى أنه قد طُلب مـن بسـوثنيس Pissuthnes أن يعيد الحامية الأثينية التي تم نقل أفرادها إلى ساردیس.

وعلى أية حال، فإن هذين المثالين لما حدث في كـل مـن سـاموس وإرثـراي يثبتـان أن الملك الأكبر قد أصدر تعليمات إلى المرزبانات الفرس للاستفادة قدر الإمكان من الانتكاسـات التي تعرضت لها أثينا، ومن الواضح أنه كان هناك في كـل مدينـة مـن المـدن المتحالفـة مـع الأثينيين مجموعة من الأشخاص الذين يميلـون للميـديين، والـذين كـانوا مسـتعدين للعمـل لحساب الفرس ضد الأثينيين، وفي عـام 430 ذهـب بعـض المبعـدين الأيـونيين لمقابلـة قائـد الأسطول اللاسيدوموني ألسيديس Alcides ، وأخبروه بأنه يمكنه بسهولة أن يدفع الأيـونيين للانفصـال والارتـداد عـن صـف الأثينيـين: «مـن المحتمـل أنهـم سـوف يحضـون بسـوثنيس Pissuthnes على الانضمام إليهم في الحرب» ثيوسيديدس Thucydides الكتاب الثالـث، فقـرة 31-1 ، وهـذا هـو الإطـار الـذي وضـع فيـه ثيوسـيديدس Thucydides روايتـه: «قام أيتامينيس Itamenes والبربريـون الـذين تـم اسـتدعاؤهم مـن قبـل أطـراف معينـة لمسـاندتهم في الصراع الطـائفى» فقـرة 34-1 ، قـد قـاموا بالانتقـال إلى الجـزء العلـوي مـن مدينة كولوفون، وفي نوتيوم قام المبعدون بالاستعانة بالمرتزقة الأركاديين والبربريين مـن عنـد بسوثنيس Pissuthnes ، وقاموا بعقد وفاق جديد مع الحـزب المؤيـد للميـديين في مدينـة كولوفون، والذين انضموا إليهم من الجـزء العلـوي مـن المدينـة، ثـم قـام بـاخيس Paches

الأثيني بالتخلي عن نوتيوم إلى بعض الكولوفونيين الذين لا يؤيدون الميديين هوي ميديسانتيس » فقرة 34 2-4 .

وسرعان ما سيؤدي اندلاع الحرب البلوبونيزية إلى إعطاء احتمالات جديدة للملك الأكبر للتدخل، ويعرض ثيوسيديدس Thucydides آمال اللاسيدومونيين بالشكل التالي الكتاب الثاني، فقرة 7-1 : «لقد قرروا إرسال مجموعة من الممثلين الدبلوماسيين عنهم إلى الملك الأكبر وإلى ملوك القوى البربرية الأخرى»، وبعد ذلك ببعض الوقت قاموا بالفعل بإرسال وفود دبلوماسية إلى أرتاكسركسيس Artaxerxes ؛ «لإقناعه بتزويدهم بالمال وبالاشتراك في الحرب» الكتاب الثاني، فقرة 67-1 ، ولقد خططوا للذهاب إلى فارناسيس Pharnaces مرزبان داسيليوم «والذي قام بتوصيلهم إلى الملك الأكبر»، وقد قام شخص من إقليم طراقيا اسمه سادوكوس Sadocus بتسليم السفراء اللاسيدومونيين إلى الأثينيين، والذين كانوا حريصين للغاية على إعاقة حدوث مثل هذه الاتصالات فقرة 67-2 .

وفي عامي 423-424 قام الأثينيون بالقبض على سفير فارسي وهو أرتافرنيس Artaphernes «مرسلاً من الملك الأكبر إلى اللاسيدومونيين» الكتاب الرابع، فقرة 50-2 ، ولقد كان فحوى الرسالة التي كانت تصله من السفراء الذين يتوافدون إليه: «ولكن إذا أرادوا التحدث بوضوح، فعليهم إرسال بعض المبعوثين مع هذا الفارسي يقصد بذلك أرتافرنيس Artaphernes » فقرة 50-2 ، وهكذا فإنه يبدو أن الاتصالات الدبلوماسية بين الإسبرطيين والأخمينيين لم تتوقف أبداً على الأقل منذ نهاية الحملة المصرية في بداية العقد الخامس الكتاب الأول، فقرة 109 2-3 ، ولو أن الإسبرطيين قد رفضوا حتى ذلك الوقت اتخاذ إجراءات حاسمة؛ لأنهم كانوا حريصين قبل أي شيء على ألا يقاتلوا بعيداً عن قواعدهم البلوبونيزية راجع الكتاب الثالث، فقرة 31-2 ،

ولقد حرص الأثينيون أنفسهم على ضمان الانتقال الآمن لأرتافرنيس Artaphernes حتى يصل إلى إيفيسوس مع كل التكريم الذي يليق بشخص في مكانته، ولقد رافقه ممثلون، والذين من الواضح أنهم تلقوا تعليمات لإجراء اتصالات مع أرتاكسركسيس Artaxerxes الكتاب الرابع، فقرة 50-3 ، ويتحدث سترابو Strabo الكتاب الأول، فقرة 3-1 عن البعثة الدبلوماسية التي ترأسها ديوتيموس Diotimus إلى صوصا، ويسخر أريستوفانيس Aristophanes من وجود سفراء أثينيين في بلاد فارس، وكذلك أيضاً سفراء فرس في أثينا في عامي 425-424، وعلى الرغم من ذلك لا يمكننا أن نستنتج من ذلك أن الملك الأكبر قد أصبح بالفعل الحكم بين الأطراف اليونانية المختلفة كما سيكون عليه الحال فعلاً وبشكل واضح في القرن الرابع ق. م، ولكن تلك العملية كانت قد بدأت بالفعل في ذلك الوقت.

وباختصار فإنه حتى إذا كان هناك ما يعرف بـ «سلام كالياس Callias » في عامي 449-448، فلقد كان هذا الاتفاق يصب في مصلحة الفرس بشكل خاص، والذين من ناحية تمكنوا من الاستمتاع بممتلكاتهم في مصر وقبرص في سلام منذ ذلك الحين، ومن ناحية أخرى فإنهم لم يعودوا يرتكبون ذلك الخطأ المتمثل في تدخلهم في الشؤون الداخلية للتحالف الأثيني، وهكذا فإننا يمكن أن نتساءل عما إذا كان الاتفاق الذي تم التوصل إليه حوالي عام 449-448 كان له من وجهة نظر الفرس معنى آخر مختلف تماماً عن ذلك المضمون الذي عرضه المؤلفون اليونانيون في القرن الرابع، ويمكن أن نسترجع أنه طبقاً لديودورس Diodorus نفسه فإن أرتاكسركسيس Artaxerxes كان ينوي بدء محادثات ليس فقط مع أثينا وحدها ولكن مع كل اليونانيين الكتاب الثاني عشر، فقرة 4-4 ، ولا يستثني هذا الإطار احتمال أن تكون العديد من المدن الأثينية قد قامت بالفعل بإرسال وفود إلى الملك الأكبر، هل

مـن الممكـن أن هـذا الموقـف يمثـل سـابقة للمـؤتمر الـذي عقـده أرتاكسركسـيس Artaxerxes الثـاني في صوصـا في عـام 387، والـذي قـام بتـلاوة مرسومـه عليـه زينوفون Xenophon ، هل الكتاب الخامس، فصل 1، فقرة 31 ؟ لقد كانـت الظـروف مختلفة على الأقل فيما يتعلق بتوازنات القوي، ولكن مـن منظـور الملـك الأكـبر لم يكـن لهذا الاختلاف أية أهمية، حيث يمكن اعتبـار الفقـرة التـي تمـنح الحكـم الـذاتي للمـدن اليونانية في آسيا الصغرى، والتي قدمها ديودورس Diodorus وآخرون على أنها انتصار يوناني باهر، يمكن النظر إليها على أنها كانت تسـتهدف أثينـا أيضـاً، حيـث إنـه بتطبيـق الفرس لهـذه الفقـرة بشـكل منـتظم، فـإنهم كـانوا يهـدفون بـذلك إلى فـرض سـيطرتهم وسيادتهم على أثينـا، ونميـل إلى الاعتقـاد بأنـه عـن طريـق التلـويح بـذلك كشـعار قـام المرزبانات الفرس في آسيا الصغرى بمساندة المؤامرات التي كانت تحيكها المـدن الأعضـاء في الحلف والتي كانت ترغب في التملص من نير التسلط الأثيني الذي لا يمكـن احتمالـه راجع ثيوسيديدس Thucydides الكتاب الثاني، فقـرة 63-2: تيرانـيس ، وبمعنـى آخـر، فإنـه مـن الممكـن أن الاتفـاق الـذي تـم عقـده في عـامي 449-448 قـد تـم تفسـيره بطريقتين متناقضتين تماماً في كل من أثينا وصوصا: ففي أثينا قاموا بالثناء عليـه واصـفين إياه بأنه كان انتصاراً غير مسبوق، وفي صوصا تـم النظـر إليـه عـلى أنـه تصـحيح ملـكي، وعـلى أيـة حـال، فإنـه يبـدو مـن الطريقـة التـي يقـدم بلوتـارخ Plutarch بهـا هذا الاتفاق أن الأثينيـين كـانوا مـدركين تمامـاً للقيـود والمحـددات التـي فرضـها علـيهم وتوازن القوى ، حيث إن بلوتارخ Plutarch يكتـب فـيما يتعلـق ببركليـز Pericles : «لم يستجب للدوافع الطائشة للمواطنين عنـدما كـانوا متلهفـين للتـدخل مـرة أخـرى في مصر، وإثارة المشكلات في الممتلكات البحريـة لـبلاد فـارس» بركليـز Pericles ، فقـرة 20-3 ، وفي التحليل النهائي لما حدث، فإننـا نميـل إلى الاعتقـاد بأنـه إذا كـان هنـاك حقًّـا

مفاوضات دبلوماسية في عام 449، فإن ما تمخضت عنه لم يكـن سـلام كاليـاس Callias بقدر ما كان سلاماً للملك .

ولم يكن أرتاكسركسيس Artaxerxes مستعدًّا في عام 449 لقبول شروط قد تـم تحديدها بصورة أحادية الجانب من قبل أثينا أكثر مما كان أبوه مستعداً لقبول ذلـك في عام 466، وعلى الرغم من الفجوات الموجودة في الأدلة، فإننا لا نرى ما يبرر فكرة أنه قد كانت هنـاك كارثـة عسـكرية ودبلوماسـية أخمينيـة، ومـن وجهـة نظـر أرتاكسركسـيس Artaxerxes يبدو من ناحية أنه لم يتخلَّ قط عن حقوقه في حكم آسيا الصغرى، ومـن ناحية أخرى فقد أمـر مرزبانـات سـارديس وداسـيليوم بمحاولـة اسـتعادة الأراضي التـي خسرها الفرس هناك، ونحن لا نعرف لماذا لم يشرع الملك الأكبر في عمليـة تعبئـة شـاملة لقواته للقيام بإعادة غزو تلك الأراضي بشكل أكثر نشاطاً وحيوية، والاحتمال الراجح هو أنه لم ينسَ الهزائم التي تعرض لها الفـرس مـؤخراً في المعـارك الالتحاميـة المنظمـة التـي خاضوها ضد اليونانيين، ومما لا شك فيـه أنـه كـان يعتقـد أيضـاً أن مثـل هـذه الجهـود سوف تكون غير مجدية، وأنه على أية حال يمكنه أن يأمل أن الانقسامات بين اليونـانيين والصعوبات السياسية والمالية والعسكرية التي يواجهها الأثينيون سوف تؤدي في النهايـة إلى النتيجة نفسها على المدى الطويل، وفي الحقيقة فإنه على مدار التاريخ الأخميني كان حشد أحد الجيوش الملكية يمثل آخر الاحتمالات، وكان يتم في أندر الحالات .

العودة مرة أخرى إلى زانثوس:

إنه من الصعب، بل حتى من المستحيل القيام بعمـل وصـف دقيـق على أحد الخرائط للمكاسب والخسائر الفارسية في آسيا الصـغرى في نهايـة عهد أرتاكسركسيس Artaxerxes ، وتوضح قوائم الجزية الأثينية أنه مـن عام لآخر كان يمكن أن تتغير المراكز بسرعـة كبـيرة وفي أي مـن الاتجـاهين، ولقد بذلت أثينا جهداً كبيراً بشـكل واضـح في الفـترة مـا بـين عـامي 425-

428 لتأكيد وبسط سيطرتها على الجزر اليونانية، ونحن نعرف أن الأثينيين قد خسروا في ذلك الوقت نفسه بعض المواقع المهمة للغاية مثل إقليمي كاريا وليسيا، حيث اختفى اسم ليسيا من قوائم الجزية الأثينية في نهاية العقد السادس من القرن الخامس ق. م، ولقد تكرر فشل الأثينيين في إعادة بسط سيادتهم على تلك المواقع بمعدل المحاولات نفسها التي كانوا يقومون بها، وفي عام 428 تعرض الاستراتيجوس ليسيكليز Lysicles بينما كان يقود السفن التي تجمع الجزية لإحدى الظروف المعاكسة أو الانتكاسات في إقليم كاريا وتحديداً في سهل نهر The Meander ثيوسيديدس Thucydides الكتاب الثالث، فقرة 19-2 ، وفي عامي 429-443 تم إرسال الاستراتيجوس الأثيني ميليساندر Melesander Lysander على رأس فرقة مكونة من 6 سفن في مهمة تقضي بالتوجه إلى كل من كاريا وليسيا: «لجمع الجزية في هذه الأجزاء، وأيضاً لمنع سفن القرصنة البلوبونيزية من اتخاذ مواقعها في تلك المياه والتحرش بـ/ومضايقة السفن التجارية المتجهة من فاسيليس إلى فينيقيا وإلى القارة المجاورة، ولكن تعرضت سفن ميليساندر Melesander Lysander للهزيمة وقتل هو نفسه في المعركة، وفقد أيضاً عدداً من جنوده وقواته ثيوسيديدس Thucydides الكتاب الثاني، فقرة 69.1-2 .

والنقطة الأولى المهمة في نص ثيوسيديدس Thucydides هي أن الأعمال العدائية لم تؤدِّ إلى مقاطعة التجارة مع الأقاليم التي تقع ضمن ممتلكات الملك، وهي الملاحظة التي تم التأكيد عليها بشكل عام في أماكن أخرى، ويكشف هذا النص أيضاً عن مدى الأهمية التي كانت تحتلها ليسيا في التخطيط الاستراتيجي الأثيني، وأخيراً فإنه يظهر أنه على الرغم من الجهود التي كان يبذلها الأثينيون، إلا أنهم لم يتمكنوا أبداً من إعادة تلك المنطقة إلى قلب التحالف الذي يقودونه .

ولكن ترجع أهمية هذه الفقرة لسبب آخر وهو سبب غير عادي

تماماً، حيث نجد إشارة إلى هذا الفصل في أحد النصوص المشـهورة الأخـرى، وهـو نقـش دعامة زانثوس TL44 ، وعلى الرغم من أنه قد تم فك رموز هـذا الـنص لـيس بشـكل جزئي فقط، إلا أننا يمكننا قراءة الاسم ميليساندر Melesander Lysander ميلاسـانترا ، حيث إنه قد تعرض للهزيمة على يد جيش يقوده شخص من ليسيا اسـمه «تريبينيمـي Trbbenimi »، وهو الليسى الذي سوف نتعرف عليـه فـيما بعـد حيـث كـان سليـل أحـد الملوك من العملات المعدنية ومن نقش على أحد المقابر TL128، 135 ، وتشـير فقرة أخرى إلى نصر حققته أسرة خريجا من المحتمـل بعـد ذلـك بوقـت طويـل ، ومـن الواضح أنه لا يوجد هناك ما يثبت أن حكام زانثوس والمدن المجاورة كان يتصرفون بنـاءً على تعليمات من المرزبانات الفرس، وكونهم كانوا يصورون أنفسهم بشكل متكـرر عـلى أنهـم منحـدرين مـن هاربـاجوس Harpagus لـيس دلـيلاً كافيـاً عـلى ذلـك الاتهـام، وبالتأكيد فإن افتخارهم وتمجيدهم للانتصارات التي حققوها على الأثينيين يعـبر بشـكل أساسي عن أنهم كانوا يرغبون في الظهور كقادة مستقلين تماماً، وبالطبع فـإن هـذا صـب أيضاً في مصـلحة الفـرس، ومـن المؤكـد أن السـلطات الفارسـية قـد حاولـت عـلى الفـور الاستفادة من الوضع، ولكننا لن نـزعم كـما زعـم إيسـوقراط Isocrates بـانيج، فقـرة 161 أنه «لم يتمكن أي فارسي من إخضاع ليسيا»! حيـث إن القـادة الفـرس ربمـا قـاموا بالتدخل في ليسيا تماماً مثلما فعلـوا قبـل ذلـك في إقلـيم أيونيـا مقـدمين الـدعم لهـؤلاء الأشخاص الذين كانوا يثيرون الناس ويحضونهم على الانفصال عن التحالف الأثيني .

5- عزرا Ezra ونهيميا Nehemiah في القدس:

مهمة عزرا Ezra :

وفي تلـــك الأثنـــاء اســـتمرت الحيـــاة في الأقـــاليم الأخـــرى في مســـارها

المعتاد، بدون أن تتأثر بشكل واضح بالأحداث التي كانت تقع في آسيا الصغرى، والأشياء التي يجب أن نمر بها أولاً هي الكتب التوراتية لكل من عزرا Ezra ونهيميا Nehemiah ، حيث تروي أن هذين اليهوديين قاما بإذن واضح من الملك أرتاكسركسيس Artaxerxes ببعض البعثات إلى القدس: عزرا Ezra في السنة السابعة من حكم أرتاكسركسيس Artaxerxes 451 ، نهيميا Nehemiah في السنة العشرين 445 ، ولقد كان عزرا Ezra «أحد الكتاب الضليعين في قانون موسى» عزرا Ezra الكتاب 7، فقرة 6 ، «فلقد كان الكاتب الكاهن، الكاتب الذي تلقى تعليماً خاصاً حول نص وصايا يهوه وقوانينه المتصلة ببني إسرائيل» الكتاب السابع، فقرة 11 ، حيث اتجه عزرا Ezra إلى القدس حاملاً معه رسالة من الملك الكتاب السابع، فقرة 12-26 ، ومصحوباً بقافلة جديدة من العائدين الكتاب السابع، فقرة 7 ، الكتاب الثامن، فقرات 1-12 ، فلقد قام الملك بتخصيص بعض المواد التي ستجعل المعبد والقرابين تستعيد فخامتها وروعتها السابقة: فكانت تشتمل على تقدمات من الملك نفسه ومن أفراد البلاط، وهدايا مرسلة من اليهود المقيمين في بابل وآنية للمعبد، بالإضافة إلى ذلك فقد صدرت الأوامر إلى المسؤولين عن خزائن إقليم عبر الفرات لتزويد عزرا Ezra بأي شيء يطلبه حتى 100 طالن من الفضة و 400 لتراً من الخمر و 400 لتراً من الزيت و 400 ألف لتر من القمح و«أي مقدار يطلبه من الملح»، ولقد كان الغرض من وراء جزء من هذه القرابين هو ضمان الحصول على الحماية الإلهية للملك وأبنائه وإمبراطوريته .

ولقد توافقت هذه الخطوات التي اتخذها أرتاكسركسيس Artaxerxes في جميع جوانبها مع تلك الإجراءات التي قام بها كل من دارا Darius وقورش Cyrus في السابق، ومن الممكن، بل من المحتمل أنه قد تم تخويل عزرا Ezra أيضاً لمواصلة العمل على بناء المعبد راجع

الكتاب السادس، فقرة 14، الكتاب التاسع، فقرة 9 ، ولقد ذهب أرتاكسركسيس Artaxerxes لما هو أبعد من ذلك، حيث نهى السلطات المرزبانية عن «تحصيل الجزية، المكوس، والجمارك» على الأفراد العاملين في المعبد، وكما أوضحنا للتو فصل 12-4 ، فهناك نموذج واحد مماثل، وهو الإعفاء من دفع الجزية، ومن نظام السخرة الذي قد منحه أجداد دارا Darius «للبستانيين المقدسين» الذين كانوا يعملون على زراعة أرض أبوللو إله أولاي ML12 .

ومن وجهة نظر كل من اليهود والسلطة الملكية، فإن المهمة الرئيسة التي تم تكليف عزرا Ezra بها كانت تقع في المجال القضائي، فقد كان في الحقيقة سيقوم بتعيين قضاة ومحكمين محليين لتحقيق العدالة لجميع سكان إقليم عبر الفرات»، ولقد وعده بإنزال عقاب تحذيري بكل من لا ينفذ «قانون إلهك والذي هو أيضاً قانون الملك» الكتاب السابع، فقرة 25 ، ولكن يجب أن نسأل حول محتوى هذا القانون، ومما لا شك فيه أنه كان يشير به إلى التوراة، ولكي «ينقي» شعب يهودا قام عزرا Ezra بالإعلان عن قانون يمنع الزيجات المختلطة، وخلال احتفال رسمي بتجديد الآداب الملائمة، قام الرجال بتطليق زوجاتهم الأجنبيات، وأبعدوا أبناءهم الذين أنجبوهم من هؤلاء النساء عزرا Ezra الكتاب العاشر ، ولكن الشيء الجدير بالذكر على وجه الخصوص هنا هو أنه منذ ذلك الحين فصاعداً تم وضع هذه القوانين تحت حماية الملك، وهكذا تم دمجها ضمن الطائفة الشاملة للقانون الملكي انظر فصل 12-7 ، وكما عبر عنها أرتاكسركسيس Artaxerxes في مراجعته للأمر الكتاب السابع، فقرة 25 ، فإن كل من يعارض ذلك القانون عن طريق رفض القرارات التي يصدرها القضاة الذين عينهم عزرا Ezra سوف يتعرضون لعقاب الملك ، وكما في العديد من الأمثلة الأخرى، فإن هذه الحالة توضح بشكل قوى الرابطة بين الحكم الذاتي الداخلي لأحد

المجتمعات والسلطة الملكية عليه، فلقد أصبح الملك هو الحامي والضامن للعادات المحلية طالما أنها لا تتعارض مع المصالح الفارسية، والأكثر من ذلك هو أنه بإعادة عزرا Ezra للانسجام إلى القدس فإنه قد خدم بذلك قضية النظام الإمبراطوري .

بعثة نهيميا Nehemiah :

بعد ذلك بثلاثة عشر عاماً، وبناء على طلب شخصي من نهيميا Nehemiah ، قام الملك بإرسال نهيميا Nehemiah أيضاً إلى القدس، فلقد نبهه أخوه حناني Hanani إلى الحالة المحزنة التي أصبحت عليها المدينة والمجتمع اليهودي، وقد قام أرتاكسركسيس Artaxerxes بإعطاء رسائله إلى نهيميا Nehemiah كما فعل في السابق مع عزرا Ezra ، ولقد وجه بعض رسائله أيضاً إلى «حكام إقليم عبر الفرات» يأمرهم فيها بالعمل على تسهيل رحلة اليهودي ومرافقيه، ولقد أرسل رسائل أخرى إلى عساف Asaph «عامله المسؤول عن المنتزه الملكي»، وكلفه فيها بتقديم الخشب اللازم «لصنع بوابات قلعة المعبد، ولبناء جدران المدينة أيضاً»، هذا بالإضافة إلى البيت الذي خطط نهيميا Nehemiah للسكن فيه نهيميا Nehemiah الكتاب الثاني، فقرات 1-10 ، وسرعان ما بدأ العمل: «ولقد تم الانتهاء من السور في غضون 52 يوماً في الخامس والعشرين من أيلول» أكتوبر 445، الكتاب السادس، فقرة 15 ، ولقد قام نهيميا Nehemiah بتعيين أخيه «حناني» Hanani مسؤولاً عن القدس، وعين حناني Hananiah قائداً للحامية الكتاب السابع، فقرة 2 ، ثم شرع في إجراء إحصاء لعدد السكان الكتاب السابع، فقرات 6068 ، ولقد تم اتخاذ بعض الخطوات في وجود عزرا Ezra ؟ لإعادة التألق والرونق إلى الطقوس والحياة اليومية للمعبد والعاملين على خدمته، وبعد انقضاء 12 عاماً عاد نهيميا Nehemiah إلى الملك 433 .

ولكنه سرعان ما اضطر للعودة إلى القدس حوالي عام 430-425

عندما اكتشف أن القواعد التي كان قد وضعها لم يتم تفعيلها، خاصة أن اليهود قد توقفوا عن دفع ضريبة العشر المستحقة للعاملين على خدمة المعبد، ولقد اضطر نهيميا Nehemiah مرة أخرى إلى اتخاذ إجراء يقضي باحترام يوم السبت بوصفه يوم راحة وعبادة لليهود، ويقضي أيضاً بمنع الزيجات المختلطة الكتاب 13، فقرات 6-31 ، وهذا هو الإطار العام لتسلسل الأحداث، والذي من الواضح أنه كان يقوم على مذكرات نهيميا Nehemiah نفسه .

وعلى الرغم من المناظرات العديدة حول هذا النص المليء بالثغرات والنقاط الشائكة، إلا أن هناك نقطة واحدة تبدو مؤكدة، ولقد تلقى نهيميا Nehemiah مثله مثل عزرا Ezra أوامر من الملك الأكبر، ولكن على خلاف عزرا Ezra ، فلقد كان يشغل منصباً رسميًّا: «حاكم» بيها ، ويؤكد نهيميا Nehemiah على التناقض بينه وبين الحكام الذين سبقوه في شغل هذا المنصب الكتاب الخامس، فقرات 14-17 ، ولقد كانت صلاحياته تقع داخل «بلاد يهودا» الكتاب الخامس، فقرة 14 ، أي الإقليم المدينة الذي كان يوضع اسمه على عملات القرن الرابع ق. م «يهود»، ومن الواضح أن الإقليم الذي كان يشتمل على القدس نفسها كان مقسماً إلى مقاطعات بيليك ، والتي من المحتمل أنها كانت قبلية في الأصل، ولكنها ربما كانت مقسمة أيضاً إلى أقسام مالية فرعية، ومثل حكام الأقاليم الأخرى في المنطقة، فقد كان نهيميا Nehemiah يخضع لسلطة حاكم مرزبانية عبر الفرات، والذي بلا شك كان مقره في دمشق، ويبدو أنه كان لهذا الحاكم عزبة من الأرض تقع ضمن نطاق سلطات هذا الإقليم، والتي كانت عبارة عما يشبه جنة مرزبانية، ولقد طُلب من سكان هذا الإقليم القيام بتأدية أعمال إلزامية في هذه الأراضي التي كانت له الكتاب الثالث، فقرة 7 ، ويبدو أن نهيميا Nehemiah كان يصاحبه «مفوض من الملك لتنفيذ كل هذه الأعمال والأمور التي كانت تهم

شعب هذا الإقليم» الكتاب الحادي عشر، فقرة 24 ، وكما كان عليه الحال، فإن هذا اليهودي لم يتم تحديد نطاق سلطاته وصلاحياته بشكل واضح بالمقارنة مع سلطات وصلاحيات الحاكم، وعلى غرار نموذج المرزبان «الحقيقي» فلقد حصل حاكم يهودا على ضريبة خاصة «خبز الحاكم» ، والتي سمحت له بتزويد مائدته بالطعام كل يوم وبإمتاع ضيوفه الكتاب الخامس، فقرات 14-18 ، ولقد كانت إحدى المهام الرئيسة للحاكم هي القيام بتحصيل الجزية الملكية راجع الكتاب الخامس، فقرة 3 ، ولقد كانت له مهام عسكرية أيضاً، حيث إنه كان عليه وضع القدس في حالة استعداد وتأهب عسكري، ولقد عهد بإدارة القلعة إلى أحد رفاقه المقربين.

وقد تلقى نهيميا Nehemiah تعليمات من الملك الأكبر بالعمل تحديداً على إعادة النظام إلى الجانبين السياسي والعسكري، ويكشف الوصف الذي قدمه نهيميا Nehemiah نفسه عن وجود صراعات اجتماعية حادة للغاية، ولقد شكى عامة الناس من اضطرارهم إلى دفع أبنائهم للعمل حتى يتمكنوا من الحصول على الطعام، ولقد اضطر بعضهم إلى رهن حقولهم ومزارع العنب الخاصة بهم حتى يتمكنوا من دفع الجزية الملكية، ولإعادة السلام والاستقرار إلى الإقليم، قام نهيميا Nehemiah باتخاذ بعض الإجراءات المدهشة، حيث توقف عن جباية ضريبة «خبز الحاكم»، ولكن هذا التصرف كان له في الأساس قيمة رمزية وتبرير ذاتي ، وذلك على الرغم من أنها تأخذ في الاعتبار الآثار المجتمعة لكل من الجزية الملكية والضرائب المرزبانية، ولقد كانت المشكلة الأساسية تكمن في العلاقة بين الأغنياء والفقراء، حيث إنه بسبب قيام الأغنياء بإقراض الفقراء المال بشرط دفع فائدة عليه، نتج عن ذلك تضور الفقراء جوعاً، وطبقاً لأحد المشرعين في إقليم يهودا فإن نهيميا Nehemiah لم يكن أحد المصلحين الاجتماعيين الثوريين، حيث

إن كل ما فعله هو أنه أعلن إلغاء الديون، وطلب من الأغنياء رد الأراضي المرهونة ومزارع الكروم، وحدائق الزيتون إلى صغار الملاك الكتاب الخامس، فقرة 10 ، ولم يكن هناك أي تفكير في الواقع حول إعادة تقسيم الأراضي، وهكذا فإن معاناة صغار الملاك من الفقر لم تكن مجرد نتيجة تلقائية لفرض الجزية، والدور الذي لعبته الجزية كان يتمثل فقط في كشف وتسريع حدوث الشيء الذي كان موجوداً بالفعل في إطار العلاقات بين الطبقات التي كان يتميز بها المجتمع اليهودي، ولقد تجمعت وتلاقت أيضاً الأشكال المتعددة للضرائب، حيث إن كل شخص كان عليه أن يدفع ضريبة لإعالة والمحافظة على المعبد والقائمين عليه، وكانت قيمتها 3/1 شيكل على كل فرد الكتاب العاشر، فقرة 33 ، بالإضافة إلى «أوائل الثمر وضريبة العشر على المحاصيل، ولقد كان يتم منح هذه الأجزاء إلى الشحاذين وحراس البوابات أيضاً» الكتاب 12، فقرات 44047 ، ولقد كان العبء ثقيلاً للغاية لدرجة أنه خلال غياب نهيميا Nehemiah توقف اليهود عن جلب عشر القمح، والخمر، والزيت إلى المخازن» الكتاب الثالث عشر، فقرة 12 .

وهكذا فإنه يبدو أنه كان هناك توافقاً كبيراً في السياسة الملكية من عهد قورش Cyrus وحتى عهد أرتاكسركسيس Artaxerxes الأول، ولكننا لا نستطيع القول بأن الملك الأكبر كان مهتماً بشكل خاص بهذه المنطقة الصغيرة، حيث إن هذه الأهمية التي أخذها إقليم يهودا لم تكن سوى «تضليل» نتج عن التوزيع غير المتساوي للأدلة، وعلى وجه الخصوص فإنه لا يوجد ما يثبت أن صوصا أو برسيبولس كانت تنظر لإقليم يهودا على أنه خط دفاع للسلطان الفارسي ضد مصر تلك المرزبانية الجامحة صعبة المراس.

والاحتمال الأكثر رجحاناً هو أنه من وجهة نظر الفرس كانت تهدف

بعثة نهيميا Nehemiah إلى وضع أساس جديد لتقييم الجزية، ولضمان دفعها بشكل منتظم: موتاتيس موتانديس، وإذا وضعنا في الاعتبار أغراض تلك الإجراءات التي اتخذها نهيميا Nehemiah ، فإنه يمكن المقارنة بينها وبين الإصلاحات التي قام بها أرتافرنيس Artaphernes في عام 493 في مدن إقليم أيونيا التي كانت قد مزقتها الحروب والصراعات الاجتماعية راجع فصل 12-5 .

من القدس إلى فيلة:

لقد تم توضيح المبادئ التي قام عليها الحكم الذاتي لليهود والضوابط التي تحكم فاعليته عن طريق مجموعة من الوثائق الآرامية المصرية التي تعود لعهد دارا Darius الثاني، وفي عام 410، وخلال إحدى القضايا الغامضة التي سوف نعود إليها بالأسفل في فصل 8/14 وقع خلاف بين اليهود وبين حاكم Syene ، ولقد قام اليهود المنخرطون ضمن أفراد حامية فيلة بإرسال التماس وجهوه إلى كل من «الكاهن الأعلى يوحنان Johanan ورفاقه الكهنة الموجودين في القدس، وإلى «أوستانا Ostana » أخو أناني Anani ونبلاء اليهود»، أي أنهم أرسلوها إلى كل من يمثل الحكومة الداخلية في مجتمع القدس، بالإضافة إلى «حاكم إقليم يهودا» نفسه DAE، AP 30-31] 102] ، ولم يستلم هؤلاء اليهود الموجودون في فيله أي جواب على شكواهم تلك، ومن المحتمل أن السبب كان يتمثل في أنهم بهذه الطقوس قاموا بخرق «قانون موسى» والذي كان كل من عزرا Ezra ونهيميا Nehemiah قد أعلنا عنه بقوة ووضحاه مؤخراً، وفي الواقع فإن التماسهم كان يتعلق بإعادة بناء معبد يهوه الذي قاموا ببنائه على تلك الجزيرة في النيل بالتناقض مع مبدأ فرادة ووحدة مركز العبادة، وتوضح إحدى الوثائق التي من المؤكد أنها تعود لعام 419 أن اليهود الموجودين في جزيرة فيلة كانوا يدفعون ضريبة الرؤوس التي كان الهدف منها هو تغطية نفقات خدمات المعبد، وهو

السلوك الذي كان مستحقًّا للوم والتوبيخ بدرجة أكبر؛ لأن هذا المال سوف يتم استخدامه ليس فقط لتكريم يهوه، ولكن أيضاً لتكريم الآلهة الآرامية الأخرى بتيل وأنات، AP22] [DAE 89] ، وعلى العكس من ذلك فعندما تم إرسال عزرا Ezra إلى القدس، قام اليهود المستوطنون في بابل بإعطائه القرابين ليوصلها إلى المعبد في القدس عزرا Ezra الكتاب السابع، فقرة 16 .

ومن المحتمل أن اليهود أو بمعنى أدق اليهود الآراميين الذين كانوا في فيلة قد قدموا التماسهم إلى السلطان في القدس في وقت سابق على ذلك؛ وذلك لأن الملك الأكبر قد منح حكام القدس السلطة للتدخل في الشؤون ذات الصبغة الدينية الخالصة والتي تخص اليهود المنتشرين في جميع أجزاء الإمبراطورية، وعلى أية حال فإن المرسوم الملكي الذي تم إرساله إلى عزرا Ezra كان يقول: «قم بتعيين الكتبة والقضاة لإدارة شؤون العدالة لجميع سكان إقليم عبر الفرات، أي لكل الأشخاص الذين يعرفون قانون ربك/ إلهك، ويجب أن تقوم بتعليم هؤلاء الذين لا يعرفونه» عزرا Ezra الكتاب السابع، فقرة 25 .

ويمكننا أن نجد تفسيراً لهذه الأوضاع في أوراق البردي الآرامية الموجودة في مصر، وفي عام 418 قدم شخص اسمه حناني Hanani أخو نهيميا Nehemiah إلى جزيرة فيلة حاملاً معه وثيقة مهمة للغاية، والتي قامت بتنظيم ووضع ضوابط للاحتفال بعيد الفصح عند اليهود AD8] [DAE 96] ، ويبدو أن المبادرة قد جاءت في هذه الحالة من سلطات القدس التي رغبت في توحيد الطقوس التي تتم ممارستها في جميع أنحاء مواطن الشتات اليهودية، ويذكر خطاب حناني Hanani أن الأمر قد صدر من الملك والذي قام بإرساله إلى أرساما Arsama مرزبان مصر، ولكن الحكومة المركزية لم تكن في وضع يؤهلها إلى التدخل في إحدى المسائل الدينية الداخلية الخالصة للمجتمعات اليهودية الموجودة في

جميع أجزاء الإمبراطورية، وكل ما فعلته هو أنها قامت بمنح عقوبة رسمية القانون الملكي لحكم محلي قوانين هذه البلاد .

أعداء نهيميا Nehemiah ويهودا:

عندما نقرأ تسلسل الأحداث التاريخية التي يعرضها المؤرخ، فإننا نعرف منه أن وصول نهيميا Nehemiah لم يؤدِّ إلى القضاء على خطورة روح العداء التي كان يكنها جيران إقليم يهودا له، بل حدث عكس ذلك، وكما رأينا في المشهد السابق راجع بالأعلى فصل 14-4 ، فقد كان جيران إقليم يهودا يعتزمون أن ينقلوا إلى الملك الأكبر إدانتهم للطموحات الملكية التي نسبوها إلى نهيميا Nehemiah في ضوء التحصينات التي كان قد زود القدس بها للتو الكتاب السادس، فقرات 6-7 ، ولقد كان الخطر أكبر من ذلك؛ لأن العديد من جيران إقليم يهودا كان أفراد من أسرهم يسكنون في هذا الإقليم؛ وذلك بسبب الزيجات المتداخلة، والتي من الواضح أن كل جهود عزرا Ezra هذا إذا صح أنه يسبق نهيميا Nehemiah فعلاً قد فشلت في إخمادها والقضاء عليها، حتى إن ابن الكاهن الأكبر قد اختار زوجته من خارج إقليم يهودا، ولقد اضطر نهيميا Nehemiah خلال بعثته الثانية إلى ذلك الإقليم إلى تجديد هذا المنع .

ولقد نشأ تحالف ضد إقليم يهودا وضد نهيميا Nehemiah ، ويذكر المؤرخ الأسماء التالية «سنبلات Sanbalat الهاروني، توبياه Tobiah الآموني، جاسمو Gasmu العربي» نيهيميا Nehemiah الكتاب الثاني، فقرة 19، الكتاب السادس، فقرات 1-7 ، ولقد كان الأول هو «قائد القوات السومرية» الكتاب الثالث، فقرة 34 [عبري]، الكتاب الرابع، فقرة 2 [إنجليزي] ، ونحن نعرف أنه في عام 410 كان هناك شخص آخر اسمه سنبلات Sanbalat ، وكان «حاكماً على سومر» DAE 102 ، ولا بد أنه كان من نسل سنبلات Sanbalat الأول، وتزودنا أوراق

البردي والأختام التي تحمل نقوشاً، والتي تم اكتشافها في «وادي الداليا» في شمال مدينة أريحا بنقاط إرشادية إضافية تعود للفترة ما بين عـامي 375-335، ولكنهـا تتحـدث عـن شخص ثالث اسمه سنبلات Sanbalat ، والذي من المحتمل جـدًّا أنـه كـان ينتمـي إلى الأسرة نفسها، وفي وثيقة فيلة التي تعود لعام 410 نجد أنه كـان يوجـد بجـوار سـنبلات Sanbalat الأول ابنيه دالاياه Dalayah وسيليمياه Selemyah ، وهكذا فإنـه كانـت هناك أسرة ملكية حقيقية حكمت سومر على الأقـل في الفـترة التـي امتـدت بـين حكـم أرتاكسركســيس Artaxerxes الأول ودارا Darius الثالــث، وتظهــر أوراق الــبردي والأختـام والعمـلات الموجـودة في وادي الـداليا أن هـؤلاء الرجـال كـانوا يحملـون لقـب «حاكم بيها سومر»، ولقد كان اسم سومر هذا يطلق على إقليم مدينة وعـلى مدينـة قرية أيضاً، والتي كانت تسمى في بعض الأحيـان «سـومر بريـت طبقـاً للصـيغة التـي كانت توجد بشكل متكرر في الوثائق التي تعود للدولة الأخمينية في كـل مـن سـارديس، زانثوس، وميدانيسيكالي بالإضافة إلى جزيرة فيلة وحصـن Syene ، وهـذا كـما في أمـاكن أخرى، حيث نجد أن الفرس قـد اعترفـوا بإحـدى الأسر الحاكمـة المحليـة، ومـما لا شـك فيـه أن أبناءهـا قـد حصـلوا عـلى لقـب الحـاكم هـذا مبـاشرة مـن السـلطة المركزيـة، ومثل زملائهم في القدس، فلقد كان حكام سومر الذين ينتمـون إلى أسرة ملكيـة واحـدة يتبعون سلطة حاكم مرزبانية عبر الفرات، أما الشخصان الآخران اللذان صـورهما كتـاب نهيميا Nehemiah عـلى أنهـما أعضـاء في تحـالف معـادٍ لإقلـيم يهـودا، فإنـه يصـعب التعرف عليهما، وعادة ما يتم الربط بين اسم جاسـمو Gasmu العـربي والاسـم نفسـه الموجود في الإهداءات المنقوشة على آنية فضية تم اكتشافها في تـل المسـخوطة في مصر، حيث نجد أنه قد نقش على أحدها اسم «قاينو Qaynu ابن جاسـمو Gasmu ملـك كـدار» DAE 68، AD7 ، ولكـن حـدود هـذه المملكـة الكداريـة العربيـة، وعلاقتهـا

بالسلطات الأخمينية تظل من الأمور المحيرة، وبالنسبة لتوبياه Tobiah فمن المحتمل أنه كان جزءاً من أسرة حاكمة تعرفنا عليها أيضاً من بعض النقوش الآرامية التي تعود لفترة لاحقة، والتي تم اكتشافها في إقليم عبر الأردن عراق الأمير ، ومن المحتمل أن الفرس قد اعترفوا به كحاكم على تلك المنطقة .

ولا يبدو أن عداء سنبلات Sanbalat لإقليم يهودا كان راجعاً لأسباب دينية، حيث إنه في ذلك الوقت لم تكن كلمة سامري Samaritan قد اكتسبت بعد المعنى الطائفي الذي كان مرتبطاً بها خلال الفترة الهلينية عندما تم تأسيس الهيكل على جبل جريزيم Gerizim ، منافس القدس، حيث إنها تشير وبشكل حصري إلى سكان إقليم مدينة سومر، وبالإضافة إلى ذلك، فإنه عندما لم تنصت سلطات القدس إلى التماس يهود جزيرة فيلة في عام 410، لم يتردد هؤلاء اليهود في إرسال رسالة إلى أبناء سنبلات Sanbalat DAE 102 .

وهكذا فإنه يبدو أن حاكم سومر وجاريه جاسمو Gasmu وتوبياه Tobiah لم يكونوا مرتاحين لازدياد سلطة حاكم يهودا، وهذا ما دفعهم إلى تأليب الحكومة الفارسية عليه، وبدون أن يكون لدينا إثبات على ذلك، فإننا يمكن أن نقترح أن هذه الشجارات والنزاعات المحلية حول نطاق الصلاحيات لكل حاكم من الحكام يمكن مقارنتها بالتوترات التي شهدناها في آسيا الصغرى بين مرزبانات كل من ساردیس وداسيليوم، واللذين كانا دائمي التنازع على السيطرة على أراضي الجبهة The Troad ، وإذا صح هذا، فمن المحتمل أن نهيميا Nehemiah قد حصل على ضمانات حول هذه النقطة من الحكومة المركزية .

6- ملك بعد الآخر:

ستيسياس Ctesias والألواح البابلية:

طبقاً لما يقوله ستيسياس Ctesias فقرة 44 فإن أرتاكسركسيس Artaxerxes وزوجته داماسبيا Damaspia لم تحدد هويتها في مكان آخر قد ماتا في اليوم ذاته، ولقد كان عندهما ولد شرعي واحد، والذي اعتلى العرش تحت اسم كسركسيس Xerxes الثاني، ولكن العديد من أبناء أرتاكسركسيس Artaxerxes غير الشرعيين الذين كانت عندهم طموحات في تولي العرش تحدوا كسركسيس Xerxes الثاني، وقد كان المتحدي الرئيس له هو سوجديانوس Sogdianus ابن ألوجون Alogune ، حيث دبر مؤامرة ضد أخيه غير الشقيق بمساعدة فارناسياس Pharnacyas ، مينوستانيس Menostanes والعديد من الأشخاص الآخرين، ولقد تم اغتيال كسركسيس Xerxes بعد مرور 45 يوماً على اعتلائه العرش «بينما كان مخموراً في قصره»، ولقد حصل سوجديانوس Sogdianus من بعده على اللقب الملكي فقرة 45 ، وقام بتعيين مينوستانيس Menostanes Chiliarch له أزابارتيس، هازاراباتيس، فقرة 46 ، ولقد حصل أخ آخر غير شقيق وهو «أوخوس Ochus » والذي هو أيضاً ابن إحدى المحظيات البابليات الأخريات كوسمارتيدين Cosmartidene على مرزبانية هركانيا من أبيه، وتزوج من إحدى أخواته غير الشقيقات وهي «باريساتيس Parysatis »، وهي ابنة لمحظية بابلية ثالثة هي أنديا Andia ، ولقد رفض أوخوس Ochus حضور الاجتماعات التي دعا إليها سوجديانوس Sogdianus ، وانضم إلى صفه العديد من الأشخاص المهمين بما فيهم أرباريوس Arbarius قائد خيالة سوجديانوس Sogdianus ، وسرعان ما نجح في الاستيلاء على السلطة، واتخذ الاسم الملكي دارا Darius الثاني فقرات 47-48 ، وهذا هو شكل تخطيطي للقصة التي رواها ستيسياس Ctesias .

وبالإضافة إلى ذلك، فإن الألواح البابلية تسمح لنا باستنتاج أن الأحداث التي وقعت بين وفاة أرتاكسركسيس Artaxerxes وتولي دارا Darius الثاني للسلطة تكشفت تدريجيًّا في الفترة بين نهاية ديسمبر 424 وفبراير 423، ولم يعترف الكتبة البابليون رسميًّا بفترتي حكم كل من كسركسيس Xerxes الثاني وسوجديانوس Sogdianus ، وتفوتنا الكثير من التفاصيل، ومن المحتمل أن كسركسيس Xerxes قد حصل على العرش بسبب نسبه، وربما أيضاً لأن أباه قد اعترف به كولي العهد، ولكن يبدو أنه عندما علم كل من سوجديانوس Sogdianus وأوخوس Ochus بتولي أخيهم الملك، قاما وبشكل متزامن بالإعلان عن دعاواهم ومطالبهم تلك، وتظهر روايات ستيسياس Ctesias أن النبلاء كان عليهم أن يختاروا طرفاً معيناً في هذا النزاع للانضمام إليه، ولقد نجح أوخوس Ochus -في المعركة التي تلت ذلك- في أن يضم إليه العديد من الرجال المهمين مثل أرباريوس Arbarius قائد خيالة سوجديانوس Sogdianus وأرساميس أرساما Arsama مرزبان مصر، وحتى أرتوكساريس Artoxares الذي كان قد تم نفيه إلى أرمينيا في عهد أرتاكسركسيس Artaxerxes الأول؛ وذلك لأنه تحدث إلى الملك بالنيابة عن ميجابيزوس Megabysus فقرة 40 .

ولقد حدث ذلك بهذه الطريقة، وبمصادفة غير عادية أن العديد من الأشخاص الذين قد تم ذكر أسمائهم للتو قد عرفناهم أيضاً من الألواح البابلية التي تخص أرشيف موراسو Murasu ، وهي مؤسسة تجارية كانت تُعني في الأساس في عهد كل من أرتاكسركسيس Artaxerxes الأول ودارا Darius الثاني بإدارة الأراضي حول نيبور بما فيها تلك الأراضي التي منحها الملك إلى أفراد من أسرته وإلى كبار موظفي البلاط، وبالإضافة إلى «بيت نساء القصر» في عهد أرتاكسركسيس Artaxerxes الأول و«بيت باريساتيس Parysatis » بعد تولي دارا Darius الثاني

الحكم، يمكننا التعرف أيضاً على أرساما Arsama والذي بالإضافة إلى الضياع والأراضي التي كانت عنده في مصر كان يحتفظ أيضاً بأراضي وماشية في بابل في عهد كل من أرتاكسركسيس Artaxerxes الأول ودارا Darius الثاني، ويمكننا أيضاً التعرف على مينوستانيس Menostanes ابن أرتاريوس Artarios ، ولقد كان أرتاريوس Artarios أخاً لأرتاكسركسيس Artaxerxes الأول ومرزباناً على بابل في وقت حدوث ثورة ميجابيزوس Megabysus ، ولقد تعرض ابنه مينوستانيس Menostanes للهزيمة على يد قوات ميجابيزوس Megabysus فقرة 38 ، ثم ارتد وانضم إلى سوجديانوس Sogdianus في الصراع الدائر على السلطة، والذي عينه Chiliarch له فقرات 45-46 ، ومينوستانيس Menostanes هذا والذي هو ابن أخو أرتاكسركسيس Artaxerxes الأول والمعروف بـ «مانوستانو» في الألواح البابلية يسمى أيضاً «مار بيت ساري» أو الأمير الملكي ، ولقد مات سريعاً بعد هزيمة سوجديانوس Sogdianus بفترة قصيرة، وانتقلت عزبه وأراضيه إلى «أرتهسار»، والذي بالتأكيد كان أرتوكساريس Artoxares وتبعاً لما يقوله ستيسياس Ctesias ، فقد أعلن نفسه رفيقاً لأوخوس Ochus فقرة 47 ، وبالمثل تمت مكافأة الشخص المسمى «أرباريم Arbareme » في الألواح؛ لأنه تحول إلى صف أوخوس Ochus بشكل كامل ستيسياس Ctesias ، فقرة 47 .

على الرغم من أن ستيسياس Ctesias لم يكن واضحاً حول هذه النقطة، إلا أنه يبدو أن أرتاريوس Artarios ومينوستانيس Menostanes لم ينجحا في جعل بابل تنضم إلى صف سوجديانوس Sogdianus ، والذي من المحتمل جدًّا أنه كان يعيش في صوصا بعد توليه السلطة، ويبدو واضحاً أنه في الوقت نفسه كانت القوات البابلية تساند أوخوس Ochus راجع فقرات 46-47 ، وتدفعنا الألواح البابلية للاعتقاد بأن

أوخوس Ochus قد جند وحشد الجند الذين طُلب منهم مقابل حصولهم على الأراضي أن يقوموا بالاستجابة لأي نداء يطلقه للقتال، وتبعاً لقصة ستيسياس Ctesias ، فإنه لا يبدو أنه كانت هناك معركة التحامية منظمة، فمثلما فعل تانيوكسارسيس Tanyoxarces في النهاية فقرة 10 ، وافق سوجديانوس Sogdianus على تسليم نفسه عندما أمره الملك الجديد، ولقد تم إعدامه «بعد أن حكم الإمبراطورية لمدة 6 شهور و 15 يوماً» فقرة 48 ، ولقد كان على دارا Darius الثاني بعد ذلك أن يواجه متمردين آخرين وهم: أخيه الشقيق أرسيتيس Arsites هو مثله ابن أرتاكسركسيس Artaxerxes وكوسمارتيدين Cosmartidene ، وأرتيفيوس Artyphius ابن ميجابيزوس Megabysus والذي شارك قبل ذلك بحوالي 30 عاماً مع أبيه في الثورة ضد أرتاكسركسيس Artaxerxes الأول فقرة 37 ، وسرعان ما تم إعدامهم هم وفارناسياس Pharnacyas أحد مساعدي سوجديانوس Sogdianus ، أما مينوستانيس Menostanes فقد فضل الانتحار فقرات 50-51 .

الأسر والسلطات:

إن ما حدث في خلافة أرتاكسركسيس Artaxerxes الأول يؤكد على مدى إلحاح وخطورة المشكلات المتعلقة بالأسرة المالكة وتعاقب السلطة فيها، ويشكل حالة خاصة، فمن المفاجئ والغريب أن أرتاكسركسيس Artaxerxes وداماسبيا Damaspia لم يكن عندهما سوى ابن شرعي واحد، وربما أن الآخرين قد ماتوا صغاراً، كما حدث مع 13 طفلاً من أطفال دارا Darius الثاني وباريساتيس Parysatis فقرة 41 ، ومهما كان الحال، فبعد خلع كسركسيس Xerxes الثاني تنافس الأبناء غير الشرعيين للملك المتوفي على تولي السلطة، وهم سوجديانوس Sogdianus وأوخوس Ochus ، وفيما بعد أريستيس Arsites ، وطبقاً لهيرودوت Herodotus الكتاب الثالث، فقرة 2 ، فإنه كانت هناك

قاعدة» نوموس والتي تجعل الأبناء غير الشرعيين غير مؤهلين للخلافة، ولكن مثلها مثل العديد من القواعد الملكية الفارسية التي يذكرها راجع الكتاب السابع، فقرة 2 ، فإن هذه القاعدة لا تملك تلك القوة أو الفاعلية الخطيرة التي ينسبها هيرودوت Herodotus إليها، ومما لا شك فيه أن «النوثوي» الأبناء غير الشرعيين كانوا من ناحية يتمتعون بمكانة كبيرة في البلاط راجع هيرودوت Herodotus الكتاب الثامن، فقرة 103، ديودورس Diodorus الكتاب الحادي عشر، فقرة 61-5 ، ومن ناحية أخرى فإن الشيء المهم على أية حال هو ضمان استمرارية الأسرة، ومن العجيب أيضاً أن أيًّا من الأسر العريقة لم تحاول على الإطلاق السيطرة على السلطة، فلقد اكتفت الأسر العريقة بالانحياز إلى هذا الطرف أو ذاك من الأطراف المتنازعة على السلطة، وهذه دلالة على أن أوخوس Ochus وسوجديانوس Sogdianus كانا يعتبران فعلاً أبناء لأرتاكسركسيس Artaxerxes ، وهكذا، فلقد حصلا على قدر ما من الشرعية الأسرية وبالتالي الملكية .

وفي حين أن معظم النبلاء قد قنعوا بالحصول على المكافآت من الملك الجديد ألقاب البلاط، منح الأراضي ، إلا أنه قد تم تخصيص أسرة واحدة للحصول على قدر أكبر بكثير من الفوائد، وفي الحقيقة فلقد قام دارا Darius الثاني في تاريخ غير معروف بتزويج ابنه أرساسيس Arsaces إلى ستاتيرا Stateira ابنة هيدارنيس Hydarnes ، وفي الوقت نفسه تزوجت ابنة الملك المسماه أمستريس Amestris من تريتوشميس Teritushmes ابن هيدارنيس Hydarnes ، ويتبع ستيسياس Ctesias ذلك بفقرة طويلة حول مغامرات الزوجين، والتي بلغت ذروتها عند وفاة تريتوشميس Teritushmes في المعركة وتعذيب أسرته بالكامل أخته، أمه، إخوته الذكور، وأختين أخريين، فقرات 54-55 ، ويرجع ستيسياس Ctesias جرائم القتل هذه كلها إلى

باريساتيس Parysatis ، والتي تمثل نموذجاً تقليديًّا «للأميرة القاسية» التي قد أثار غضبها سلوك تريتوشميس Teritushmes ، فتبعاً لستيسياس Ctesias وقع تريتوشميس Teritushmes في حب أخته روكساني Roxanne فقام بإعدام أمستريس Amestris ابنة كل من دارا Darius وباريساتيس Parysatis فقرة 54 ، ويذكر ستيسياس Ctesias أيضاً أن دارا Darius أراد أن يقتل ستاتيرا Stateira ابنة هيدارنيس Hydarnes وزوجة ابنه أرساسيس Arsaces ، ولكن باريساتيس Parysatis سمحت لنفسها بالتأثر بالتماسات وتوسلات ابنها، ولقد استجاب دارا Darius لالتماساته هو الآخر، ولكنه حذر باريساتيس من أنها ستندم نتيجة لذلك» فقرة 56 ، ونحن نعرف أنه خلال حكم أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني قامت باريساتيس Parysatis أخيراً بالتخلص من ستاتيرا Stateira فقرة 61، بلوتارخ Plutarch ، أرت، فقرة 19 ، قبل الموافقة على زواج أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني من ابنتها أتوسا Atossa أرت، 23، فقرات 3-7 ، وعلى الرغم من ذلك، فإنه لم تتم إبادة الأسرة بالكامل، حيث إنه في عام 400 ق. م كان هناك أخ لستاتيرا Stateira في حاشية تيسافرنيس Tissaphernes زينوفون Xenophon ، أناب، الكتاب الثاني، فصل 3-17 .

ولقد شكلت تلك الزيجات المختلطة التي عقدتها أسرة دارا Darius الثاني مع أسرة هيدارنيس Hydarnes تغيراً جديداً جديراً بالذكر في سياسة الأسرة الأخمينية، فعلى الأقل منذ عهد قمبيز Cambyses كانت الزيجات تتقيد وبشكل صارم بسياسة الزواج الداخلي، وتبادل الزوجات مع أسرة هيدارنيس Hydarnes أدى في حد ذاته إلى منح هيدارنيس Hydarnes سلطة شخصية استثنائية، ولسوء الحظ فإننا لا نعرف عنه شيئاً، ولا يمكن الجزم بأنه كان بالفعل من نسل فيدارنا أحد المتآمرين في عام 522، ومهما كان الحال، فلا بد أنه قد قدم قدراً كبيراً من

المساعدة لأوخوس Ochus خلال النزاع على الخلافة، وفي الوقت نفسه، فإن تلك الأفعال الدموية التي سرعان ما قام بها كل من دارا Darius الثاني وباريساتيس Parysatis توضح أنهم كانوا بعيدين كل البعد عن منح ترتيبات ومكانة دائمة لأسرة هيدارنيس Hydarnes ، فلقد كان زواجهم أنفسهم يهدف إلى إرجاع مفهوم وسياسة الزواج الداخلي، وذلك لمنع إحدى الأسر العريقة من المطالبة بالسلطة في يوم من الأيام، وبمعنى آخر فإن التنازلات الزيجية التي تم تقديمها لأسرة هيدارنيس Hydarnes كانت تعتمد بشكل كامل على الظروف في ذلك الوقت، حيث إنه بمجرد أن ترسخت سلطته كان دارا Darius الثاني راغباً ومستعداً -إلى حد ما- لتشذيب وقطع الأفرع المنافسة المحتملة، وفي الوقت نفسه، فإن الأحداث توضح مدى مقدرة الأخمينيين على إعادة بناء وتدعيم الأسرة الملكية، وفي الحقيقة فإن أرتاكسركسيس Artaxerxes الأول قد قام بتزويج أوخوس Ochus من أخته غير الشقيقة باريساتيس Parysatis ، ولقد كان يقصد من وراء ذلك إنشاء فرع جديد في الأسرة الأخمينية، وقبل وصول أوخوس Ochus إلى سدة الحكم كان قد أنجب طفلين هما ابنته أمستريس Amestris وابنه أرساسيس Arsaces ، والذي سيصبح فيما بعد أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني فقرة 49 .

الشرعية والدعاية السياسية:

من الواضح أن انتصار أوخوس Ochus قد جاء نتيجة تآلف عدد من القوى التي تمكن من ضمها إلى صفه، ولكن يبدو أيضاً أن كل ابن من الأبناء المتنافسين على السلطة كان قادراً على شن حملة دعائية تنطوي على قدر كبير من المهارة ليثبت شرعيته وأحقيته في السلطة، ومن المحتمل أن رواية بوسانياس Pausanias العرضية الغريبة الكتاب الثاني، فقرة 5 تأتي من هذا التقليد، والتي تبعاً لها نجد أن «دارا Darius الابن غير

الشرعي نوثوس لأرتاكسركسيس Artaxerxes قام بمساندة من الشعب الفارسي هو برسون ريموس بخلع سوجديانوس Sogdianus الابن الشرعي جينيسيوس لأرتاكسركسيس Artaxerxes »، فهل كان سوجديانوس Sogdianus يحاول أن يزين ويحسن صورته عن طريقة هذا النسب الشرعي المثير للجدل إلى حد كبير ؟ إن ذلك ممكن، ولكننا لا نعرف عنه شيئاً قبل وفاة أرتاكسركسيس Artaxerxes ، وهل يعني اسمه The Sogdian أنه قد ولد خلال حملة والده على شرق إيران في بداية فترة حكمه؟ وهل قام أرتاكسركسيس Artaxerxes بعمل ترتيبات طارئة قبل وفاته لحزم الأمور في حالة وفاة كسركسيس Xerxes المفاجئة؟ وتبعاً لهذه النظرية فقد اعترف بحقوق سوجديانوس Sogdianus في تولي السلطة بوصفه ابنه الأكبر؟ وهل كان اختيار أوخوس Ochus ليكون مرزباناً على إقليم هركانيا هو نوع من التعويض للابن الأصغر؟ وتظل كل هذه الأسئلة وأسئلة أخرى أيضاً بدون إجابة .

و«الأشخاص الفرس» الذين يشير إليهم بوسانياس Pausanias هم بلا شك الجيش الفارسي، والذي كما يذكر ستيسياس Ctesias كان معادياً لسوجديانوس Sogdianus فقرة 45 ، ويذكر هذه الملاحظة خلال فترة تنبع مباشرة من الدعاية التي كانت تبثها الدائرة المؤيدة لأوخوس Ochus ، ويذكر ستيسياس Ctesias أن سوجديانوس Sogdianus قد كلف شخصاً ما اسمه باجورازوس Bagorazus بقيادة العربة الجنائزية التي كانت تحمل رفاة كل من أرتاكسركسيس Artaxerxes الأول وكسركسيس Xerxes الثاني: «وفي الحقيقة فإن البغال التي كانت تجر العربة الجنائزية رفضت التحرك كما لو كانت تنتظر رفاة الابن كسركسيس Xerxes ، وعندما وصل جسد الابن اندفعت مسرعة بمعنويات مرتفعة» فقرة 45 ، ثم يقول ستيسياس Ctesias إن سوجديانوس Sogdianus قام بالتخلص من باجورازوس

Bagorazus «بحجة أنه قد تخلى عن جسد أبيه» فقرة 46 ، وعلى الرغم من أن ملخص فوتيوس Photius ليس واضحاً حول هذه النقطة، إلا أنه يبدو أن بعض الجدل قد ثار حول كيفية التعامل مع رفاة الملك الأب، وفي الحقيقة فإن تنظيم تلك المراسم المهيبة للجنازة كانت من أجل الوريث، والشيء الذي قام باجورازوس Bagorazus بإثارة الشكوك حوله لم يكن أكثر أو أقل من شرعية سوجديانوس Sogdianus .

وتؤكد إحدى الفقرات في مؤلف بوليانوس Polyaenus الكتاب السابع، فصل 7-17 على أن أوخوس Ochus كان يرى أنه قد أصبح من مسؤولياته بعد مرور 10 شهور أن «يعلن عن الحداد الملكي تبعاً للتقاليد الفارسية»، ويقول بوليانوس Polyaenus أيضاً أنه خلال هذا الوقت كان أوخوس Ochus يختم الوثائق بختم أبيه، وفي الحقيقة، وكما نعرف فإن أوخوس Ochus قد تم الاعتراف به كملك في فبراير 424، والفكرة التي نقلها كل من ستيسياس Ctesias وبوليانوس Polyaenus بطريقتهم وأسلوبهم الخاص هي من المحتمل أن تكون جزءاً من الرواية الرسمية التي تم تناقلها بعد تولي أوخوس Ochus للسلطة، وفي هذا الإطار نفسه، فقد تناقل اليونانيون صورة تقليدية عن دارا Darius الثاني بأنه كان ملكاً لا يعبأ كثيراً بالتباهي والتفاخر بما لديه من مظاهر الرفاهية، وبأنه شخص قال وهو على فراش موته إنه «عدل مع رعيته ومع الآلهة» أثينيوس، الكتاب الثاني عشر، 5480 .

الملك الأكبر دارا Darius الثاني:

أدت إعادة استخدام الاسم الملكي «دارا Darius » إلى إضفاء المزيد من الشرعية على الملك الجديد، وفي النقوش القليلة التي تم إنتاجها في عهده، قام دارا Darius الثاني -مقلداً لمن سبقوه- باستخدام كل كلمة من الكلمة الموجودة في ألقاب دارا Darius الأول D2Sb ، ويزعم أنه قام ببناء أبادانا في صوصا D2Sa ، وأنه أكمل قصراً آخر هاديس كان قد

بدأه أبوه D2Sb ، ولقد قام بحفر مقبرته بجوار مقبرة أبيه على المنحدر الموجود في نقسى روستام، ومن ناحية أخرى فإنه لم يقم بإعادة بناء القصر الذي كان قد شيده دارا Darius الأول، والذي قد تعرض للدمار جراء حريق خلال حكم أرتاكسركسيس Artaxerxes الأول راجع A2Sa ، وفي غياب الأدلة المكتوبة، فنحن لا نعرف شيئاً عن أية أنشطة إنشائية محتملة في برسيبولس .

7- الشؤون المتعلقة بالجبهة الغربية:

الوضع في آسيا الصغرى 413-424 :

في غياب أدلة من مركز الإمبراطورية، فإننا لا نجد أمامنا سوى روايات تتحدث بشكل شبه حصري عن الأوضاع في آسيا الصغرى ومصر، ولقد رأينا كيف أن الأثينيين قد أرسلوا أرتافرنيس Artaphernes إلى إيفيسوس قبل وفاة أرتاكسركسيس Artaxerxes مباشرة، ومن الواضح أنهم كانوا يأملون في إعادة فتح باب المحادثات مع الملك الأكبر ثيوسيديدس Thucydides الكتاب الرابع، فقرة 50-3 ، ويشير أندوسيديس Andocides ، وهو خطيب أثيني من القرن الرابع، يشير بشكل شديد العمومية إلى المعاهدة التي تم عقدها بين أثينا والملك الأكبر بعد تولي أرتاكسركسيس Artaxerxes السلطة: «لقد عقدنا هدنة سبونداي مع الملك الأكبر وبنينا صداقة فيليا معه إلى الأبد، ولقد تفاوض معه على هذا الاتفاق إيبليكوس Epilycus ابن تيساندروس Teisandrus أخو والدتي» باس29 ، ومن الصعب تحديد ما إذا كانت هذه الرواية تشير إلى تجديد ما يعرف بسلام كالياس Callias ، أو أنها كانت تشير إلى معاهدة جديدة، وذلك نظراً لغياب أي تأكيد خارجي باستثناء مرسوم أثيني يمدح هراكليديس Heraclides ، ولكن التاريخ نفسه هو مثار جدل ، وعلى أية حال، فإننا يمكن أن نتفق على أنه في ذلك التاريخ المفترض أي حوالي

عامي 423-424 كان كل من الملك الأكبر وأثينا لديهم من الأسباب ما يدعوهم لتجنب الدخول في مواجهة علنية.

ويمكن أن يكون هذا هو الإطار الزمني الذي حدثت فيه ثورة بسوثنيس Pissuthnes ، والتي لم يذكرها سوى ستيسياس Ctesias في إطار سرده للصعوبات التي قابلها الملك الجديد بعد توليه الحكم، حيث قام مرزبان ساردیس بإعلان الثورة على الملك الجديد مستعيناً ببعض المرتزقة الأثينيين الذين كان يقودهم المسمى لايكون Lycon ، ولقد قام دارا Darius الثاني بإرسال جيش تحت قيادة ثلاثة من الجنرالات للقضاء على هذا التمرد، وكان من بين قادة الجيش تيسافرنيس Tissaphernes ، ولقد تعرض بسوثنيس Pissuthnes للخيانة من جانب لايكون Lycon ، وتم إعدام بسوثنيس Pissuthnes ، وذهب منصب مرزبان ساردیس إلى تيسافرنيس Tissaphernes فقرة 52 ، ومن المحتمل أن بسوثنيس Pissuthnes قد حاول الاستفادة من الصعاب والمشكلات التي كانت تواجه دارا Darius ، فقد وصف ستيسياس Ctesias للتو الثورة التي قام بها كل من أرسيتيس Arsites وأرتيفيوس Artyphius قبل أن يتحدث عن مؤامرة غامضة قام بالتخطيط لها أرتوكساريس Artoxares ، انظر فقرات 50-51، 53 .

وعلى الرغم من أنه قد تم الإعلان عن إقامة علاقة ودية بين الأثينيين ودارا Darius ، إلا أن الأثينيين قد قاموا بخرق هذا الاتفاق بعد ذلك بعدة سنوات، وكما يقول أندوسيديس Andocides : «ونسمع بعد ذلك عن أمورجيس Amorges وهو أحد عبيد الملك وأحد المبعدين، والنتيجة: لقد أصبح الملك الغاضب حليفاً للاسيدومونيين وزودهم بـ 5000 طالن لتوفير الدعم المالي للحرب حتى ينجحوا في تدمير قوتنا» باسي 29 ، وفي الحقيقة فنحن نعرف من ثيوسيديدس Thucydides الكتاب الثامن، فقرة 54-3 أن الأثينيين قد أرسلوا

المساعدة لأمورجيس Amorges والذي قد ذكر اسمه أيضاً في النقوش المحفورة على دعامة زاثنوس ، ونعلم منه أيضاً أن أمورجيس Amorges هذا هو الابن غير الشرعي لبسوثنيس Pissuthnes ، وأن الملك قد أمر تيسافرنيس Tissaphernes أن يجلب ذلك المتمرد إليه حيًّا أو ميتاً الكتاب الثامن، فقرة 5-5 ، ويبدو أن القرار الأثيني بمساعدة أمورجيس Amorges قد تم اتخاذه قبل الحملة على جزيرة صقلية عام 414 .

تبعات الهزيمة الأثينية في صقلية:

سرعان ما أعطت الهزائم التي تعرض لها الأثينيون في جزيرة صقلية سبتمبر 413 الفرصة للملك الأكبر للانتقام من الأثينيين، ولقد قام ثيوسيديدس Thucydides في عرض رائع بوصف الصدمة التي تعرضت لها أثينا بسبب تلك الكارثة، لقد كان الأثينيون خائفين من أن «خصومهم في الداخل، والذين كانوا يضاعفون من استعداداتهم، سوف يهجمون عليهم بقوة برًّا وبحراً في وقت واحد يساعدهم في ذلك بعض المدن المتحالفة مع أثينا، والتي قد أعلنت تمردها» الكتاب الثامن، فقرة 1-2 ، وفي الحقيقة كانت الآمال كبيرة جدًّا في إسبرطة وفي اليونان الكتاب الثامن، فقرة 2 .

وسرعان ما توافد المبعوثون إلى لاسيديمون Lacedaemon من كل من كيوس وإرثراي، بالإضافة إلى سفراء من جانب كل من تيسافرنيس Tissaphernes وفارنابازوس Pharnabazus : «ولقد دعى تيسافرنيس Tissaphernes البلوبونيزيين للقدوم إليه، ووعدهم بدعم جيشهم، فلقد طلب الملك مؤخراً الجزية من حكومة ساردیس التي كانت قد تأخرت في إرسالها إلى الملك الأكبر، ولقد كان عاجزاً عن جمعها من المدن الهلينية بسبب دعم الأثينيين لهذه المدن، وهكذا اعتقد أنه إذا نجح في إضعاف أثينا فسوف يتمكن من دفع الجزية بدرجة أفضل، وسوف يتمكن أيضاً من

اجتذاب اللاسيدومونيين إلى عقد تحالف مع الملك، وبهذه الطريقة سينجح في تنفيذ ما أمره به الملك من القبض حيًّا أو ميتاً على أمورجيس Amorges » الكتاب الثامن، فقرة 4-5 .

ويصف ثيوسيديدس Thucydides آمال مشابهة كان فارنابازوس Pharnabazus يبتغي تحقيقها من وراء ذلك هو الآخر، حيث كان يأمل في «إرسال أسطول إلى الدردنيل» الكتاب الثامن، فقرة 6-1 ، وعازماً على تحقيق هذا الهدف أحضر مبعوثيه مبلغ 25 طالن الكتاب الثامن، فقرة 8-1 ، ولقد اندلع في إسبرطة صراع كبير بين الوفود المرسلة، حيث إن كل منها كان يسعى للتأثير على الإسبرطيين وإقناعهم بالاستجابة لعرضه، ولقد فضل اللاسيدومونين العروض المقدمة من تيسافرنيس Tissaphernes وجزيرة كيوس، والشيء الذي جعلهم يتجهون نحو هذه الوجهة هو التأثير الذي مارسه ألسيبياديس Alcibiades عليهم، والأكثر من ذلك كان رغبتهم في الحصول على دعم الأساطيل القوية التي كانت لدى كل من كيوس وإرثراي الكتاب الثامن، فقرة 6 3-5 ، وفي ربيع عام 412 وبعد العديد من الصعوبات، وصلت السفن اللاسيدومونية أسفل أسوار كيوس، وكان يقودها كالسيديوس Chalcideus وألسيبياديس Alcibiades ، وسرعان ما انضم إليهم ستاجيس Stages في تيوس، والذي كان أحد مساعدي تيسافرنيس Tissaphernes ، وهكذا بدأت الحرب الأيونية: وإذا قبلنا بتفسير ثيوسيديدس Thucydides ، فإن كل من فارنابازوس Pharnabazus وتيسافرنيس Tissaphernes قد جاءهم الأمر متأخراً بتحصيل الجزية من المدن اليونانية، ونظريًّا فإن الملك لم يتخلَّ مطلقاً عن حقوقه الملكية، ولكن الموقف الجديد قد أعطاه الفرصة لإعادة وضعها حيز التنفيذ، ولقد اشتملت هذه المهمة على شن عمليات علنية ضد أثينا لإعادة تأكيد وبسط السيطرة الأخمينية على ساحل آسيا الصغرى، وبمعنى آخر فإن كل المعاهدات السابقة هذه إذا كانت

موجودة أصلاً قد تم تجريدها من مضمونها، وأصبحت لاغية بسبب التصرفات التي قامت بها أثينا نفسها.

المعاهدات الاسبرطية الأخمينية 411-412 :

بعد ذلك بفترة قصيرة صيف 412 ، توصل كل من تيسافرنيس Tissaphernes وكالسيديوس Chalcideus إلى اتفاق مبدئي رسمي حول عقد تحالف سيماخيا بين الملك الفارسي وإقليم لاسيدومون، ولقد اتفق الحليفان على إعلان الحرب معاً، وكذلك أيضاً اللجوء إلى السلم معاً، ولقد تم التأكيد مرة أخرى على حقوق الملك بالشكل التالي: «أي من البلاد التي يملكها الملك أو كان أسلافه يملكونها سوف تظل كما هي خاضعة للملك، والملك سوف يتعاون مع اللاسيدومونيين وحلفائهم الآخرين في العمل على إعاقة أي شيء يأتي إلى أثينا من تلك المدن، سواء أكان مالاً أم أي شيء آخر» الكتاب الثامن، فقرة 18 ، وفي مقابل ذلك سوف يعامل الفرس أية مدينة تنهي تحالفها مع اللاسيدومونيين على أنها عدو له، ولكن من الواضح أن المعاهدة بشكل عام كانت تصب في صالح الفرس، وأنهم كانوا قادرين على إعادة بسط سيادتهم على مدن ساحل آسيا الصغرى بدون أي تكلفة كبيرة باستثناء النفقات المالية.

وعلى الرغم من أن بنود هذه المعاهدة لم تكن تقتصر على الأراضي التي تقع تحت سلطة تيسافرنيس Tissaphernes إلا أنه كمرزبان لسارديس أراد أن يكون أول المستفيدين منها، ورغماً عن الأثينيين، وبمساعدة من الجيوش البلوبونيزية تمكن تيسافرنيس Tissaphernes سريعاً من القبض على أمورجيس Amorges على جزيرة ياسوس سامحاً لحلفائه بأن يأخذوا هم الغنائم، وأن يكرهوا المرتزقة الذين كانوا يعملون لحساب ذلك المتمرد على المقاتلة والعمل لحسابهم، وذلك قبل أن يقوم بإنشاء حامية على تلك الجزيرة الكتاب الثامن، فقرة 2 28-5، 29:1 ؛ ولأن تيسافرنيس Tissaphernes كان كارهاً ومقاوماً لدفع رواتب القوات

البلوبونيزية، طالب البلوبونيزيون بعقد معاهدة جديدة والتي تمت صياغتها في شتاء عامي 412-411 الكتاب الثامن، فقرة 37 ، وفي الحقيقة فإن الفروق بين المعاهدتين لا تكاد تذكر باستثناء حقيقة أن المعاهدة في هذه المرة قد تم توقيعها باسم الملك وباسم أبنائه، وفي بداية عام 411، اعتبر أحد المفوضين الإسبرطيين المسمى «ليخاس Lichas » أن المعاهدة الثانية مثيرة للسخط، وأنها فارغة وغير ذات قيمة فقرة 43: 3-4 ، ولقد نصح ألسيبياديس Alcibiades تيسافرنيس Tissaphernes بألا يتورط مع اللاسيدومونيين كثيراً: «ولقد أظهر بشكل عام فتوراً في الحرب كان واضحاً لدرجة أنه لا يختلف عليه اثنان» فقرة 46-5 ، ولكن الإسبرطيون كانوا بالكاد لديهم الخيارات التي تعطى للحلفاء، ولقد اعترض ليخاس Lichas أيضاً على الملطيين، «حيث إنهم يجب أن يظهروا درجة معقولة من الخضوع لتيسافرنيس Tissaphernes حتى يتم حسم هذه الحرب لصالحنا» فقرة 84-5 ! وفي الوقت نفسه، فإن «ألسيبياديس Alcibiades » الذي كان دائماً متشوقاً للعودة إلى أثينا منتصراً، ألح على تيسافرنيس Tissaphernes ليسوي أموره مع أثينا، ولكن ذلك لم يحدث، بل على العكس من ذلك فإن تيسافرنيس Tissaphernes قد قام في صيف عام 411 بعقد معاهدة ثالثة مع الإسبرطيين، ولقد اشترك في هذه المعاهدة بشكل مباشر مرزبان إقليم فريجيا الواقع على مضيق الدردنيل، ولقد وعدهم تيسافرنيس Tissaphernes بقرب وصول أسطول فينيقي، ومن هذه اللحظة فصاعداً كان على البلوبونيزيين أن يتحملوا نفقات سفنهم الخاصة؛ وذلك لأن تيسافرنيس Tissaphernes قد وافق على تقديم المال اللازم لهم حتى نهاية الحرب فقط الكتاب الثامن، فقرة 58 .

قيام أثينا بإعادة غزو المدن التي قد خسرتها 407-411 :

في الحقيقة لم يظهر أدنى أثر لأيٍّ من الأساطيل الفينيقية في آسيا

الصغرى خلال هذه السنوات، ولقد اعتقد ثيوسيديدس Thucydides أن تيسافرنيس Tissaphernes لم يكن ينوي يوماً إرسال أسطول إلى الإسبرطيين الكتاب الثامن، فقرة 87 ، ونظراً لهذا فقد قرر اللاسيدومونيين في النهاية إرسال رد إيجابي على المطالب المتكررة لفارنابازوس Pharnabazus ، حيث إنه قد وعدهم بأنه «سيقوم بتحمل نفقات السفن» الكتاب الثامن، فقرة 81-2 ، ولكن الأثينيون قاموا بتحقيق الانتصار تلو الآخر، وفي الوقت نفسه أصبح النزاع والخلاف بين المرزبانات واضحاً ومسيطراً، ولقد قام تيسافرنيس Tissaphernes برحلة خاصة إلى مضيق الدردنيل، وقام بتوقيف ألسيبياديس Alcibiades ووضعه رهن الاعتقال في سارديس «قائلاً بأن الملك قد أمره بشن الحرب على الأثينيين» زينوفون Xenophon ، هل الكتاب الأول، فقرة 1-9 ، ولكن حتى وصول قورش Cyrus في عام 407، ظل القادة الفرس في حالة تخبط وفوضى لدرجة مكنت الأثينيين من شن هجوم مضاد ناجح انتهى بتحقيق الانتصار لتلك المدينة اليونانية، ولقد عجز فارنابازوس Pharnabazus عن مجابهة هذا الوضع، وفي عام 408 توصل إلى اتفاق مع القيادة الأثينية يقضي بـ: سوف يقوم فارنابازوس Pharnabazus بدفع مبلغ 20 طالن إليهم، وسوف يسمح لهم بتحصيل الجزية من مدينة كالسيدون، وسوف يلتزم بنقل سفرائهم إلى الملك هيلينيكا، الكتاب الأول، فقرة 3-9 ، وخلال ذلك الوقت تمكن الأثينيون من الاستيلاء على بيزنطة، وفي الربيع التالي 407 ، وفي الوقت الذي كانوا يتوقعون فيه المغادرة لمقابلة الملك، لم يجد السفراء الأثينيون إلا قورش Cyrus الأصغر، وكان قد وصل إلى جورديون يصاحبه السفراء اللاسيدومونيين بقيادة بيوتيوس Boeotius ، والذي صرح بأنهم «قد حصلوا على كل ما يريدون من الملك» هيلينيكا، الكتاب الأول، فقرة 4-2 .

دارا Darius الثاني ومرزباناته:

يجب الإقرار بأنه حتى وصول قورش Cyrus الأصغر إلى جورديون، لم تؤدي المبادرات المؤقتة وغير المنتظمة التي كان يقوم بها تيسافرنيس Tissaphernes وفارنابازوس Pharnabazus إلى تحقيق أي نجاحات كبيرة باستثناء المعاهدات التي تم توقيعها مع إسبرطة، ولو أن تيسافرنيس Tissaphernes بدا كما لو كان غير راغب في تنفيذ هذه المعاهدات، ولقد حصل دارا Darius الثاني بالفعل على اعتراف من اللاسيدومونيين بسلطته على آسيا الصغرى، ولكن قيام أثينا بإعادة غزو آسيا الصغرى في عام 407 أدى إلى تجريد هذا الإنجاز جزئيًا من محتواه.

ولقد كان أحد أسباب ذلك هو التنافس العنيد الذي دار بين كل من تيسافرنيس Tissaphernes وفارنابازوس Pharnabazus ، وعلى الرغم من أن هذا التنافس قد ظهر للمرة الأولى في عام 413 في إسبرطة، إلا أنه لم يفتر أو تخف حدته طوال تلك السنين، ويلقي ثيوسيديدس Thucydides بالضوء على قلق تيسافرنيس Tissaphernes عندما قرر الإسبرطيون إرسال قوات إلى الدردنيل، «ولقد كان منزعجاً أيضاً لاعتقاده أن فارنابازوس Pharnabazus سوف يجتذبهم إليه، وفي وقت أقل، وبتكلفة أقل ربما ينجح في تحقيق ما عجز هو عن فعله في مواجهة أثينا» الكتاب الثامن، فقرة 109-1 ، وفي الحقيقة فإن طموح تيسافرنيس Tissaphernes لم يتجاوز طموح خصمه: فلقد كان فارنابازوس Pharnabazus يدعو البلوبونيزيين للقدوم، وبذل كل جهده للحصول على الأسطول، حيث كان يأمل مثل تيسافرنيس Tissaphernes في دفع المدن التي لا تزال حكوماتها خاضعة لأثينا إلى الثورة، ولقد كانت عنده آمال كبيرة في تحقيق النجاح» الكتاب الثامن، فقرة 99 ، وبالنسبة لكل منهما فقد كان الشيء المهم هو تحقيق النجاح بطريقة تمكنه من أن ينال رضا الملك الكتاب الثامن، فقرة 6-1 ، وهذا هو السبب الذي جعل

رسل فارنابازوس Pharnabazus يرفضون المشاركة في حملة كيوس في عـام 413 الكتـاب الثامن، فقرة 8 ، وفي الوقت نفسه كان الهدف الـرئيس لتيسـافرنيس Tissaphernes هـو القبض على أمورجيس Amorges ، وبالطبع فـإن الحلفـاء البلوبـونيزيين لم يفوتـوا فرصـة الاستفادة من هذه الخصومة، وهذا التنافس من وقت لآخر راجع هيلينيكا، الكتـاب الأول، فصل واحد، فقرة 32-33 .

وتوجد شواهد متكررة على هذه المنافسة بين المرزبانات وخاصة «بين كل من مرزبان سارديس ومرزبان داسيليوم»، والتي توجد بينهما نزاعات حدوديـة طويلـة الأمـد، وبالنسـبة للملك الأكبر كانت هذه بالتأكيد طريقـة مناسـبة لكـبح جـماح المرزبانـات وحتـى لا تـزداد أهميتهم راجع زينوفون Xenophon ، الزحف العسكري، الكتاب الأول، فقرة 1-8 ، ولكن النتيجة الطبيعية لذلك تمثلت في درجة ما من عدم الكفاءة، ولكن الشيء الذي يبـدو غريبـاً على وجه الخصوص هو تمكن ألسيبياديس Alcibiades من الفرار من سـجنه في سـارديس مع رفيقه الأثيني مانتيثيوس Mantitheos بعد مرور فـترة قصـيرة عـلى اعتقالـه عـلى يـد تيسافرنيس Tissaphernes : «حيث تمكنا من الحصول على الخيول وهربـا مـن سـارديس ليلاً متجهين نحو كلازوميناي» هل الكتاب الأول، فصل 1، فقرة 10 ، وإذا أخـذنا في الاعتبـار قوة الحامية الموجودة في سارديس، وصعوبة السفر عـلى طرقـات هـذه المنطقـة، فـإن هـذا يدفعنا للاعتقاد بأنه كان لهما شركاء في الداخل ساعدوهما عـلى الهـرب، ومـن المحتمـل -إلى حـد مـا- أن الفـرس الموجـودين في سـارديس كـانوا معـادين لاسـتراتيجية تيسـافرنيس Tissaphernes مثل الفرس الذين كانوا موجودين في أوائل العقد الأول من القرن الخـامس ق.م، والذين يبدو أنهم قد تآمروا مع هيسـتيوس Histiaeus حـاكم ملطيـة السـابق ضـد مشروعـات أرتـافرنيس Artaphernes هـيرودوت Herodotus الكتـاب السـابع، فقـرة

4 ، ومن المحتمل أيضاً أن تردد تيسافرنيس Tissaphernes يعكس بدرجة أكبر حالة عامة من الشقاق والتضارب حول طريقة التعامل مع كل من أثينا وإسبرطة.

وأحد الأسباب الأخرى لوجود مثل هذه الخصومة وهذا التنازع بين المرزبانات الفرس كان يرجع في الحقيقة إلى أن أيًّا من تيسافرنيس Tissaphernes أو فارنابازوس Pharnabazus لم تكن لديه القوات العسكرية الكافية للسماح له فعلاً بحسم المعركة الدائرة في ذلك الوقت لصالحه، وذلك هو السبب الذي جعل كل منهما يعمل جاهداً لاجتذاب البلوبونيزيين إلى أرضه في عام 413، وبالإضافة إلى ذلك، فإنه حتى على الأرض لم يكن الخيالة الفرس هم الذين لا يبارون في المعركة، ففي عام 409 على سبيل المثال تعرض ذلك العدد الكبير من الخيالة الذي كان لدى فارنابازوس Pharnabazus إلى الهزيمة على يد جيش ألسيبياديس Alcibiades الذي كان يتكون من الفرسان وجنود الهبليت الكتاب الأول، فقرة 2-16 ، وفي السنة نفسها تمكن ثراسيلوس Thrasyllus الأثيني من غزو أراضي ليديا «في وقت نضوج القمح»، ولم يتمكن ستاجيس Stages مساعد تيسافرنيس Tissaphernes هناك من القبض سوى على جندي واحد، وذلك على الرغم من قوة خيالته الكتاب الأول، فقرة 2: 4-5 .

ولقد تجلت سمة نقص الكفاءة هذه التي كانت تعاني منها القوات الفارسية في أوضح صورها في البحر، فباستثناء حالة ذلك الأسطول الفينيقي الغامض الذي وعد به تيسافرنيس Tissaphernes ، والذي لم يظهر على الإطلاق، لم يكن لدى المرزبانات أية أساطيل بحرية على الإطلاق، وفي أفضل الأحوال كان بإمكانهم استئجار طواقم لتشغيل السفن ولكن هذا لم يكن يمر بدون تبادل الاتهامات بشكل متكرر ، والسماح لحلفائهم البلوبونيزيين ببناء سفن باستخدام أخشاب مقطوعة

من الغابـات الملكيـة هيلينيكـا، الكتـاب الأول، فصـل 1، 24-25 ؛ ولـذلك فإنـه بسـبب تضاؤل إمكانياتهم البحرية، شارك المرزبانات الفرس بشكل هامشى في الحرب التي دارت بين الأساطيل الأثينية والأساطيل البلوبونيزية، وفي عام 411 عندما وقعـت معركـة بريـة وبحرية بين الأثينيين واللاسيدومونيين، وصلتنا هذه الصورة عما كـما يفعلـه فارنابـازوس Pharnabazus : حيـث دخـل وهـو عـلى صـهوة جـواده إلى البحـر وابتعـد فيـه قـدر الإمكان، وكان الدور الذي لعبه في القتال هو أنه أخذ ينـادي عـلى أتباعـه مـن الفرسـان والمشاة» الكتاب الأول، فقرة 1-6 ، ولقد سيطر الأثينييون على المضـايق، وتمكنـوا حتـى من فرض رسوم جمارك في صورة 10/1 الغلال على سفن الغلال التي كانت تمـر بمدينـة كالسيدون الكتاب الأول، فقرة 1-22 ، ويعبر الاتفاق الـذي تـم عقـده بـين فارنابـازوس Pharnabazus وألسـيبياديس Alcibiades في السـنة التاليـة عـن مـدى عجـز هـذا المرزبان عن صد الهجمات التي تتعرض لها أراضيه الكتاب الأول، فقرة 3: 8-13 .

وبالطبع كان لدى المرزبانات الفرس مـوارد كبـيرة مكنـتهم مـن اسـتئجار مرتزقـة على الرغم مـن محدوديـة عـددهم ، وبخاصـة حتـى يقللـوا مـن دفـع رواتـب الجنـود البلوبونيزيين الذين كانوا يقاتلون في صـفهم، ولكننـا نقـول إن مـوارد هـؤلاء المرزبانـات كانت غير محدودة وهـو مـن الأمـور غـير المؤكـدة، وفي الحقيقـة فإنـه يبـدو أن هـدف كل من تيسافرنيس Tissaphernes وفارنابازوس Pharnabazus كان مواصلة العمليات العسكرية ضد الأثينيين بأقل قدر ممكن من التكاليف راجـع ثيوسـيديدس Thucydides الكتـــاب الثـــامن، فقـــرة 87-5، فقـــرة 109-1 ، ويبـــدو أن البلوبـــونيزيين وتيســـافرنيس Tissaphernes نفسه أيضاً كانوا يعتمدون في الغالب على الضرائب التـي كـان يـتم جمعهـا مـن المـدن اليونانيـة في آسـيا الصـغرى، والتـي أظهـرت بـدورها نوعـاً مـن المعارضـة

ورفض التعاون راجع الكتاب الثامن، فقرة 36-2، فقرة 45-5 ، ولقد رفض تيسافرنيس Tissaphernes زيادة رواتب المرتزقة في مناسبة واحدة على الأقل زاعماً بأنه ينتظر وصول رد من الملك دارا Darius الثاني الكتاب الثامن، فقرة 29-1 ، وتاركاً انطباعاً بأنه سيقوم برفع الأجور عند وصول أي قدر من المال من دارا Darius فقرة 45: 5-6 ، ولقد اشتكى الحلفاء البلوبونيزيين في العديد من المناسبات من أنهم لا يحصلون على دخل منتظم يكفى لإعاشتهم الكتاب الثامن، فقرة 78 ، وفيما بعد قام ألسيبياديس Alcibiades بمخاطبة ممثلي الحلفاء بهذه الطريقة: «لقد أوضح أن تيسافرنيس Tissaphernes كان في الوقت الحالي يخوض الحرب على نفقته الخاصة تا إيديا خريماتا ، وأنه كانت عنده أسباب وجيهة للاقتصاد في الانفاق، ولكن بمجرد حصوله على تحويلات نقدية تروني من الملك سوف يقوم بإعطائهم مستحقاتهم بالكامل، وسوف يفعل الشيء المناسب مع المدن» الكتاب الثامن، فقرة 45-6 .

ومما لا شك فيه أن «نفقته الخاصة» هذه كانت تتمثل في الأموال المتوفرة لدى المرزبان في حسابه الشخصي، وكان ذلك يشتمل على مبالغ ضخمة؛ لأنه بعد ذلك بعدة سنوات تمكن تثروستيس Tithraustes من دفع رواتب بعض الجنود عن طريق سحب مبلغ 220 طالن من الفضة من «الموارد الخاصة لتيسافرنيس Tissaphernes » إيك تيس أوسياس تيس تيسافرنوس، هيلينيكا، أوكسير، فقرة 19-3 ، ولا بد أن هذه كانت إحدى الثروات الموجودة في مكان ما على الحد الفاصل بين ممتلكات الولاية وبين الممتلكات الخاصة كما كان هو الحال مع الرياض والحدائق على سبيل المثال ، ومهما كان الحال، فقد كان الملك يعتقد أن المرزبانات عليهم أن يستخدموا هذه «النفقات الخاصة» ليدفعوا رواتب الجنود، وربما أن الملك اعتقد أيضاً أن الأمر الذي أصدره

إلى تيسافرنيس Tissaphernes وفارنابازوس Pharnabazus بتحصيل الضرائب من المدن الكتاب الثامن، فقرة 505، فقرة 6-1 كان يشير إلى أنه ليس مضطراً إلى تمويل الحرب، ويشكو المؤلف بالإضافة إلى ذلك من الجشع الكبير الذي كان يتميز به الملك الأكبر عن طريق الإشارة بشكل صريح إلى فترة حكم كل من دارا Darius الثاني وخليفته : «لقد كان الاستراتيجوس يقوم بدفع رواتب الجند بشكل باعث على الأسى، وعلى أية حال، فإن هذه كانت هي عادتهم كما حدث في حرب ديسيليا عندما تحالف الفرس مع البلوبونيزيين، حيث إنهم قاموا بتزويد حفائهم بالمال بقدر شحيح وجائر، ولقد كان حلفاؤهم على وشك العودة إلى موطنهم مع سفنهم ثلاثية المجاديف لولا أن قورش Cyrus الأصغر قد تصرف بسرعة، والملك الأكبر هو من يتحمل المسؤولية عن هذا الوضع، حيث إنه في كل مرة كان يعتزم فيها شن الحرب كان يقوم في البداية بإرسال مبلغ صغير من المال لهؤلاء الذين سيقومون بالتنفيذ، ولكنه لا يضع في اعتباره الأحداث التي تعقب ذلك لدرجة أنه إذا لم يتمكن المرزبانات من توفير التكاليف من المال الخاص بهم إيك تون إيديون كان القادة العسكريون يضطرون إلى تسريح جيوشهم.

وبمعنى آخر، فإن الملك كان يقوم باستثمار أولي، وكان يطلب من المرزبانات استغلاله بالشكل الأمثل، وإذا لم يتمكنوا من إنجاز العمل في الوقت المحدد، كان عليهم أن يدفعوا من مالهم الخاص انظر أيضاً هيلينيكا، الكتاب الأول، فقرة 5-3 ، وفي وقت الحرب كما في وقت السلم، فإن الملك الأكبر كان مقتصداً إلى حد ما، ولقد كان يراقب ثروته الخاصة بعناية، وهكذا فإننا نحصل على انطباع بأننا نرى في هذا المثال المحدد السياسة العامة التي كانت تتم بها إدارة العائدات المالية للإمبراطورية، ويمكن مقارنة ذلك -موتاتيس موتانديس- بإحدى التعليمات التي كان يشتمل عليها صك السفر الذي أعطاه أرساما

Arsama إلى القهرمان الخاص به نهتهور: «وإذا مكثت في مكان ما مدة تزيد عن يـوم واحد، فلا تعطيهم أي إمدادات إضافية في الأيام الأخيرة»، وتظهر إحدى الوثائق الآرامية من مصر هذا المبدأ نفسه AP 2] DAE 54] ، وهكذا فإن المسؤولية المالية الشخصية للموظفين الإداريين في الدولة يبدو أنها قد امتدت لتشمل المرزبانات أيضاً، حتى عندما كانوا يشنون الحروب! ولقد كانت هذه واحدة من الطرق العديدة المستخدمة للحد من طموحات المرزبانات.

دارا Darius الثاني، آسيا الصغرى، جبهات أخرى:

يصعب فهم توقعات وأهداف الاستراتيجية التي عمد إلى تطبيقها الملك الأكبر، حيث إننا مازلنا نجهل الكثير عنها، ويوضح أحد الألواح البابلية الذي يعود تاريخه إلى نوفمبر 407 مدى جهلنا بهذه الاستراتيجية: حيث إنه يشير إلى «حالة من الحصار» في أوروك، ولا توجد لدينا أية فكرة عما يشير إليه ذلك، وتشير بعض الألواح الأخرى التي تعود لعام 422 إلى تجمع للجنود في أوروك، وهذا التناقض في التواريخ يحول دون ربطها باللوح الذي يعود لعام 407، وبالإضافة إلى ذلك، فإن هذا يشير إلى وجود استعراضات عسكرية منتظمة، ولا يشير وجود مثل هذه الاستعراضات إلى أن تلك المنطقة كانت في حالة اضطراب في ذلك الوقت انظر بالأسفل ، وبالإضافة إلى ذلك أيضاً، فإن بعض الفقرات العرضية في كتاب زينوفون Xenophon هلينيكا تشير إلى حدوث ثورة في إقليم ميديا، وأنه قد تم إخمادها في نهاية عام 407 الكتاب الأول، فقرة 2-19 ، وتشير أيضاً إلى حرب شنها دارا Darius الثاني ضد الكادوزيين Cadusians في عام 405 الكتاب الثاني، فقرة 1-13 ، وبشكل عام، فإنه من الصحيح أننا عمليًّا لا نعرف أي شيء عن الأنشطة العسكرية التي دارت خارج منطقة آسيا الصغرى، ونتيجة لقيام بلوتارخ Plutarch بكتابة «حياة أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني» -عرفنا على

سبيل المثال- أنه أيضاً قد قاد حملة ضد الكادوزيين في العقد الثاني من القرن الرابع ق. م أرت، فقرة 24 ، ثم، ومرة أخرى، فإن بعض الألواح الفلكية البابلية التي تم الإعلان عنها مؤخراً تدفعنا للشك في هذه الضجة التي صمت آذاننا، والتي أحدثتها المصادر الكلاسيكية حول الأمور التي جرت على الجبهة الغربية راجع أيضاً فصل 15-1 .

وفي آسيا الصغرى نفسها تعرض المرزبانات لأخطار أخرى، ولكن المعلومات المتوافرة لدينا عنها هي معلومات عرضية، ويذكر زينوفون Xenophon أنه بعد ذلك بعدة سنوات، كانت هناك امرأة اسمها مانيا Mania كانت تتبع فارنابازوس Pharnabazus ، وهي زوجة وخليفة زينيس Zenis حاكم داردانوس، ولقد حكمت هذه المرأة تلك المنطقة في إقليم أيوليا، والتي كانت خاضعة لمرزبان داسيليوم، وبالإضافة للخدمات الأخرى التي كانت تقدمها للمرزبان، «قامت هذه المرأة أيضاً بمصاحبة فارنابازوس Pharnabazus في ميدان القتال حتى عندما غزا أراضي الميسيين أو البسيديين نتيجة لقيامهم بسلب وتخريب أراضي الملك بشكل مستمر» هيلينيكا، الكتاب الثالث، فقرة 1-13 ، ويفسر عدم خضوع الميسيين والليسيين للفرس، وهو الشيء الذي قام المؤلفون اليونانيون بإلقاء الضوء عليه بشكل متكرر خلال القرن الرابع، ويفسر تكرار الحملات التي تم شنها ضدهم، وعندما أراد قورش Cyrus الأصغر أن يخفي عن قواته حقيقة أنه كان يقودهم لمحاربة أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني، دفعهم للاعتقاد أنه كان يقودهم لمحاربة البيسيديين زينوفون Xenophon ، الزحف العسكري، الكتاب الأول، فقرة 2-1 ، وتبعاً لديودورس Diodorus ، فقد اعتقد الجنود الفرس لبعض الوقت خلال معركة يوريميدون أن البسيديين هم الذين كانوا يهاجمونهم الكتاب الحادي عشر، فقرة 61-4 ، ولكن الطبيعة التقليدية لعدد من الإشارات الكلاسيكية حول النزعة الاستقلالية

الوحدوية «لشعوب الجبل» تدعو المؤرخ للتعامل معها بحذر وبأسلوب ناقد راجع فصل 16-11، 16-18 .

وأخيراً، وتبعاً لديودورس Diodorus الكتاب الثالث عشر، فقرة 46-6 ، فإن السبب الذي جعل الأسطول الفينيقي غير مؤثر على الإطلاق في آسيا الصغرى هو وصول أنباء للفينيقيين تفيد بأن «ملك العرب وملك المصريين لديهما مخططات لغزو إقليم فينيقيا»، هل دفع ذلك الخطر تيسافرنيس Tissaphernes أو حتى دارا Darius إلى أن يقوم بإعادة توجيه السفن الفينيقية باتجاه وادي النيل؟ في الحقيقة لايوجد دليل رسمي على هذا التفسير، وتدفعنا إحدى الفقرات في مؤلف ثيوسديدس Thucydides الكتاب الثامن، فقرة 35-2 إلى الاعتقاد ببساطة بأن السفن التجارية القادمة من مصر، والمحملة بالقمح قد رست في آسيا الصغرى في عام 412، ولكن من الصعب أن نستنتج من ذلك أن الأسرة الحاكمة في مصر قد انضمت إلى صف الأثينيين ضد الفرس، وبالإضافة إلى ذلك، فنحن لا نعرف أي شيء على الاطلاق عن شخصية «ملك العرب» الغامض هذا، ويشير صك السفر الذي أعطاه أرساما Arsama إلى قهرمان قصره إلى أن الطريق بين مصر وبابل في ذلك الوقت، أي حوالي عام 410-411 كان آمناً، ومن ناحية أخرى، فإنه من المحتمل أن الفرس قد استمروا في انتهاج السياسة نفسها التي ناقشناها للتو في دلتا مصر، والمتمثلة في الإبقاء على الملوك المحليين هناك، ولكن لا توجد لدينا أية معلومات على الاطلاق حول تفاصيل ذلك، وتتحدث أوراق البردى الآرامية التي تم اكتشافها في جزيرة فيلة عن وقوع اضطرابات في عام 410، وعن تقسيم القوات في القلعة إلى 4 أقسام هنديز نتيجة للمؤامرات التي دبرها شخص اسمه أنودارو Anudaru ، ولقد أصيبت ضياع أرساما Arsama بأضرار نتيجة لهذه الاضطرابات، وقتل القهرمان المصري الذي كان يعمل في خدمة

المرزبان أرساما Arsama ، ويذكر اليهود من جانبهم أن: «بعض الفصائل العسكرية المصرية قد ثارت على المرزبان في عام 410»، ولكن يبدو أن هذه الاضطرابات كانت محدودة، ولا يوجد رابط بينها وبين الحرب التي من المفترض أنها استدعت إرسال أسطول فارسي إلى الدلتا.

وفي التحليل الأخير، وبدون أن نرفض مثل هذا التفسير بالكامل، فإننا نميل إلى الاعتقاد بأن الاسباب التي أدت إلى هذه السلبية الواضحة من جانب دارا Darius الثاني على جبهة آسيا الصغرى لن نجدها سواء بين المصريين أو الميديين أو الكادوزيين أو البيسيديين، ولكن يمكن تقديم سببين لهذه السلبية: أحدهما سياسي ودبلوماسي، والآخر عسكري، ويمكننا أن نتخيل أنه بالإضافة إلى جبن تيسافرنيس Tissaphernes فإن الاستراتيجية المتقلبة للإسبرطيين قد أسهمت في بث الشك والصراع بين مستشارى الملك، ولا بد أن الاستراتيجية اللاسيدومونية قد بدت غريبة ومتناقضة على دارا Darius الثاني بقدر ما بدت غريبة ومتناقضة على أبيه أرتاكسركسيس Artaxerxes من قبل راجع ثيوسيديدس Thucydides ، الكتاب الرابع، فقرة 50-2 ، وكل ما يمكننا قوله هو أن الملك الأكبر يبدو أنه لم يستوعب الموقف بشكل كامل، ويبدو أن الملك قد توقع - مثلما توقع أرتافرنيس Artaphernes - أن اليونانيين سوف يقضون على بعضهم البعض .

دارا Darius الثاني وجيوشه:

يؤكد التفسير الثاني على الضعف العسكري للملك الأكبر، وكما نعرف، فإن هذا التفسير يمثل وجهة النظر اليونانية التقليدية لبلاد فارس وخاصة في القرن الرابع وبداية من زينوفون Xenophon في الفصل الأخير من موسوعة قورش Cyrus ، ونجد منظوراً مشابهاً لهذا المنظور في عديد من أعمال المؤلفين اليونانيين مثل أفلاطون القوانين 697د ، ولكن نظراً للطبيعة الجدلية لهذه التقييمات فإنه يجب على المؤرخين بدلاً

من ذلك أن يبنوا مؤلفاتهم على أساس من الأدلة الخارجية، والتـي تسـمح لهـم بالتأكـد من صلاحية مثل هذه التفسيرات .

ونعود بشكل عام إلى المصـادر البابليـة، وفي الحقيقـة، فإنـه يـتم التأكيـد بشـكل متكرر على أنه في إطار تطور نظام تخصيص حصص الأراضي للعسكريين نظام الهـاترو ، فـإن مـلاك قطـع الأرض تلـك بـدلاً مـن أن يقومـوا بتقـديم الخدمـة العسـكرية مقابـل حصولهم على هذه الأرض كانوا يفضلون دفـع تكاليفهـا بالكامـل إلكـو في صـورة مـال «خدمات مدفوعة» ، ويمكن ملاحظة هذه الظاهرة بداية من عصر دارا Darius الأول فصاعداً، ولكنهـا أصـبحت أكـثر انتشـاراً في عهـد كـل مـن أرتاكسركسـيس Artaxerxes الأول ودارا Darius الثاني، ويمكن ربـط هـذه الملاحظـة أيضـاً بـالاعتماد المتزايـد عـلى المرتزقة اليونانيين، وتشير الدلائل المتوفرة في مجملها إلى صحة الملاحظات النقديـة التـي ذكرها زينوفون Xenophon ، والتي تقول بـأن الفـرس قـد تخلـوا عـن القواعـد التـي ورثوهـا عـن أجـدادهم، والتـي تـقضي بـأن يقـوم مـلاك الأراضي بتقـديم فرسـان مـن ممتلكاتهم، وأن ينزلوا في حالة الحرب إلى ميدان القتال، ويخوضوا المعركة، بيـنما هـؤلاء الذين كانوا يقومون بحراسة النقاط الخارجية دفاعاً عن البلاد كـانوا يتلقـون أجـراً عـلى ذلك، وقد وصل إهمالهم إلى درجة أن الأعداء أصـبحوا يجولـون في أراضـيهم بـدون أيـة معارضة على الإطلاق قورش Cyrus ، الكتاب الثامن، 8 20-21 .

وحتى إذا كنا لا نصر على أن تعليقات زينوفون Xenophon هـذه هـي في الأسـاس تعليقـات سـاخرة، فإننـا لانـزال نصر عـلى أن الأدلـة البابليـة هـي أكـثر تناقضـاً مـما تبـدو عليه، وبقدر ما يمكننا بناؤه من الألواح البابلية، فإن الموقف وقـت تـولى دارا Darius الثـاني السطة يشير إلى أن نظام الهارتو كان يتم تطبيقه بشكل كامـل، فـنحن نعـرف مـن ناحيـة أن «أوخوس Ochus » الذي سيصبح في المستقبل دارا Darius الثاني كان حاكماً عـلى بابـل،

وأنه تمكن من جمع جيش هائل، وتشير اللواح البابلية أيضاً إلى أنه لكي يتمكن المزارعون المستأجرون من الاستجابة لأوامر التعبئة كانوا يضطرون لاقتراض مبالغ ضخمة من المال من بيت موراسو Murasu ، وهناك أمثلة عديدة على هذه العملية، وفي الحقيقة فنحن نعلم أنه في أغلب الأوقات لم يكن أصحاب قطع الأراضي هم الذين يزرعونها بأنفسهم، ولكنهم كانوا يعهدون بإدارتها إلى شركة موراسو Murasu ، أو إلى أية مؤسسة تجارية أخرى من النوع نفسه، وهكذا فبينما تشير الوثائق إلى أن الوضع المالي للحاصلين على تلك المنح لم يكن جيداً، إلا أنهم كانوا على الرغم من ذلك ملتزمين بالوفاء بالالتزامات العسكرية التي ألقيت على عاتقهم.

وتوضح العديد من الوثائق التي تعود إلى السنة الثانية من عهد دار الثاني عام 422 أنه في ذلك الوقت -وبأمر من الملك الأكبر- طلب من المزارعين المستأجرين في منطقة نيبور أن يقوموا بتقديم ضريبة «جندي الملك» ساب سارى للمشاركة في تفقد عسكري سوف يقام في أوروك، ويبدو أحد الألواح الأخرى التي تنتمي إلى المنطقة نفسها أكثر وضوحاً في حديثه عن ذلك الحدث: «أبلغ جادالاما Gadalama ابن راهوميلى Rahumili ، وهو بكامل إرادته ريموت-نينورتا Rimut-Ninurta الذي يعود نسبه إلى موراسو Murasu ما يلي: «لأن راهوميلى Rahumili تبنى أخوك إيلى-سوم-إدين Elli-sum-iddin ، فأنت الآن تملك حصة باريك إيلى Barik-ili في الأرض التي كان راهوميلى Rahumili يزرعها بالإيجار كأرض فرسان بيت سيسى ، اعطني حصاناً بطقمه ولجامه، وغطاء «السوهاتو» مع القطعة التي تغطى الرقبة، وغماء الفرس، والدرع الحديدى، بالإضافة إلى الغماء، وجعبة للسهام تحتوي على 120 سهماً بعضها ذو رؤوس والبعض الآخر ليست له رؤوس، هذا بالإضافة إلى سيف ؟ مع الجراب الذي يوضع فيه، ورمحين حديدين، وسوف أقوم بتأدية

الخدمة المرتبطة بحصتك من الأرض المؤجرة»، ولقد وافق ريموت نينورتا Rimut-Ninurta ، وأعطاه فرساً، والمعدات العسكرية التي ذكرها بالأعلى، بالإضافة إلى ألمينا واحدة من الفضة ليشترى بها الإمدادات التي سيحتاجها أثناء سفره استجابة لأمر الملك الأكبر القاضي بتحرك الفرسان الذين يتم حشدهم من «أراضي الفرسان» إلى أوروك، ويتحمل جادالاما Gadalama مسؤولية توفير المعدات التي يحتاجها، وسوف يقوم بتسجيلها هناك سابن الرجل المسؤول عن ديوان الجيش، وسوف يقوم بإعطاء صك التسجيل إلى ريموت نينورتا، [ثم تم تسجيل أسماء الشهود والكاتب]، وذلك في يوم 18 من شهر تيبيت من السنة الثانية لحكم دارا Darius .

وعلى الرغم من أنه كان متبنى، فقد حصل ريموت نينورتا هكذا على جزء من ضيعة الخيالة، ولكنه لم يكن راغباً في القيام بالخدمة العسكرية المرتبطة بتلك الأرض التي منحهم إياها الملك بموجب نظام الهاترو، وعقد اتفاقاً مع ابن مالك النصف الآخر من هذه العزبة، ولقد حضر جادالاما Gadalama التفقد العسكري راكباً فرساً، ومعه جميع الأسلحة المطلوبة راجع زينوفون Xenophon ، هيلينيكا، الكتاب الثالث، 4-15 .

وتتسم هذه الوثيقة بالشفافية، حيث إنها تشرح بوضوح تام أنه في ذلك الوقت كانت العزب الموجودة في منطقة نيبور تخضع لتأدية الخدمة العسكرية بشكل نشط، ولكن هوية مؤدي تلك الخدمة لم تكن تهم الإدارة، حيث كان كل ما يهم الادارة هو أن تقوم كل عزبة مسجلة في السجلات الملكية بتقديم جنود إلى الملك، والذين تمثل خدماتهم الأساس الذي يقوم عليه ذلك النظام، وبمقارنة هذه الوثيقة مع الوثائق الأخرى التي تعود إلى الفترة نفسها من ذلك العام نفسه، يتجلى لنا بشكل قاطع أنه لا يمكن النظر إلى هذه الوثيقة على أنها تمثل حالة

خاصة أو غير عادية، ومع أننا لا نستطيع إثبات ذلك، إلا أنـه مـن غـير المحتمـل لدرجـة كبيرة أن يكون الأمر بالتجمع في أوروك قد أصدره الملـك في إطـار الإعـداد لشـن إحـدى الحملات العسكرية، والتفسير المعقول بدرجة أكبر يتمثل في أنه كان يوجـد في الحقيقـة تجمع سنوي للجنود، والذي ذكر زينوفون Xenophon عـدة مـرات أنـه كـان يحـدث بشـكل منـتظم في كـل منطقـة مـن المنـاطق العسـكرية في «مكـان التجمـع المحـدد» سيلوجوس .

وفي النهاية، فإن الألـواح التـي تلـت ذلـك، والتـي تعـود إلى عهـد أرتاكسركسـيس Artaxerxes الثاني تشير بشكل عام إلى استمرار العمل بهـذا النظـام، وتشـمل سـجلات الحلاق «كوسوريا Kusur-Ea » ابن «سن-أهى-بوليت Sin-ahhe-bullit » -من بين أشياء أخرى- على سبع نصوص تشير إلى حدوث إجراء مطابق عمليًّا لذلك في الفـترة بـين عامي 399-363، فلقـد عقـد أحـد أقاربـه والمسـمى «نيـدينتو-سـين Nidintu-Sin » اتفاقاً مع الحلاق «كوسوريا Kusur-Ea »، والذي يقوم بمقتضاه الحلاق بتزويده بكـل المعدات التي كان لزامـاً عـلى مـواطنى «أور» تقـديمها للقيـام بالخدمـة العسـكرية، وفي مقابل ذلك سوف يذهب بدلاً منه لحضور التجمع الملـكي الـذي عقـد في السـنة الثامنـة من حكم أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني، وفي الحقيقة، كـان كوسـوريا Kusur-Ea ملزماً بأداء الخدمة العسكرية؛ لأنه يمتلك ربع «عزبة للرماة» بيت كاستى [363 ق. م] ، ولقد استخدمت كلمة «التجمع» هنا للتعبير عن الكلمة الفارسية القديمة «هندايسـا»، والتي توجد أيضاً في سجلات جزيرة فيلة وتعنى باللغة الآرامية «هنديز» ، وسواء تمـت تأدية الخدمة مباشرة من قبل مالك قطعة الأرض، أو أداها شخص آخر ينوب عنه بعـد أن يقوم هـو بتزويـده بالأسـلحة التـي يحتاجهـا ، فـإن الوثيقـة البابليـة توضـح هكـذا، وبشكل غير قابل للشك أن قطع الأرض ظلت مرتبطة دائماً بالالتزام الملكي الأصلي.

ولقد ظل الاعتماد على المرتزقة اليونانيين في ذلك الوقت محدوداً بعض الشيء، ولقد اعتمد تيسافرنيس Tissaphernes وفارنابازوس Pharnabazus على الفرق العسكرية اللاسيدومونية بشكل أساسي للقيام بالمهام التي كلفهم بها دارا Darius ، والتي تتمثل في تحصيل الجزية من المدن التي لا تزال تخضع للسيطرة الأثينية، ولقد كان بإمكانهم أيضاً استخدام الضرائب التي كان يتم تحصيلها في صورة فرسان من الفرسان المنتشرين في جميع أجزاء الامبراطورية، وذلك تبعاً للنظام المشهور طويل الأمد، وبالإضافة إلى ذلك، فإنه مما لا شك فيه أن الاستراتيجية الاستعمارية التي تمت مواصلتها بشكل نشط منذ أيام دارا Darius وكسركسيس Xerxes كان لها تأثير كبير في المجال العسكري، ويمكننا أن نجد أحد التأكيدات الواضحة على ذلك من خلال دراسة تركيب جيش قورش Cyrus الأصغر انظر فصل 15-2 ، ولا تدعونا الأدلة للاعتقاد بأنه كان هناك تدهور كبير في نظام قطع الأراضي العسكرية في مصر في فيلة أو في منف، وتعطينا حملات دارا Darius وجيوشه ضد الميديين والكادوزيين تأكيداً قويًّا على أن السلطة المركزية كان بإمكانها حشد قوات عسكرية فعالة بقدر ما تتطلبه الاستراتيجية، وبإختصار فإنه يبدو أن أوجه الخلل العسكرية الفارسية في آسيا الصغرى التي لا يمكن إنكارها لا يجب أن يتم تفسيرها من خلال اللجوء إلى تلك النظرية الملائمة والبسيطة عن تدهور الأوضاع العسكرية لجيش الملك الأكبر، وبالمثل فإن الملاحظة المتمثلة في أن الملك الأكبر لم يكن يرسل أموالاً لمرزباناته في آسيا الصغرى لا تشكل دليلاً كافياً على أن الخزائن الملكية كانت خاوية!

ويبدو أن كل هذه الأدلة كانت ناتجة بدرجة أكبر عن اتخاذ الملك الأكبر قراراً بانتهاج سياسة معينة، والتي فضلت لأسباب لا تزال تحتاج إلى التوضيح ألا تقوم بنشر جيوش قوية على الجبهة الإيجية، ويمكننا أن

نقدم سلسلة كاملة من التفسيرات التي ترجع ذلك إلى أسباب تقنية مثل عبء وتكلفة الضرائب على سبيل المثال ، ولكن لا يوجد تفسير واحد محدد وقاطع، وبالنظر إلى نـدرة حالات التعبئة العامة على مدار التاريخ الأخميني، ربما يجب علينا ألا نفاجأ بدرجة أكثر من اللازم أن دارا Darius الثاني لم يكن يرى أية فائـدة مـن وراء القيـام بحالـة تجنيـد شاملة في جميع أجزاء الإمبراطورية في ذلك الوقت، ويبدو من الواضح بشـكل خـاص أن الملك الأكبر ومستشاريه كانوا يعتقدون أن التحـالف اللاسـيدومونى سـوف يكـون كفـيلاً بتقديم الدعم الكافى لمرزبانات آسيا الصغرى لتكون لهم اليد العليا والتفوق هنـاك، وأن عملية إعادة فتح المدن سوف تكون كفيلة هـي الأخـرى بتمويـل العمليـات العسـكرية هناك؛ لأنها سوف تـوفر الأسـاس لإعـادة العمـل بتقـديرات الجزيـة في المـدن اليونانيـة، والاستثناء الوحيد لهذه القاعدة المفترضة كان يتمثل في عملية حشد الأسـطول الفينيقـي الشهير الـذي تحـدثنا عنـه للتـو في كليكيـا، ولقـد كـان يعمـل بشـكل واضح بنـاءً عـلى توجيهات مباشرة من السلطة المركزيـة ثيوسـيديدس Thucydides ، الكتـاب الثـامن، فقرة 88-5 .

قورش Cyrus في آسيا الصغرى:

مـن المحتمـل أن قـرار دارا Darius الثـاني بإرسـال قـورش Cyrus إلى آسـيا الصغرى ربما كان الهدف منه تهدئة النزاع الذي شب بين أبنائـه، ومـن المؤكـد أنـه كـان مـدركاً لضرورة اتبـاع سياسـة أكـثر فاعليـة، ومـن المحتمـل أن بيوتيـوس Boeotius الإسبرطي ورفاقه قـد أحـاطوه علـماً بالوضـع، وأقنعـوه بضرورة الـتصرف، وعـلى الـرغم من ذلك، فإن السلطات التي تم منحها إلى قورش Cyrus وكمية الأموال التـي قـدمت لـه لشـن الحـرب لا تـدع مجـالاً للشـك فـيما يتعلـق بنيـة الملـك، وفي الحقيقـة، «فقـد أحضر قـورش Cyrus معـه رسـالة موجهـة إلى جميـع سـكان سـاحل البحـر آسـيا الصـغرى «كـاتو» ، وتحمـل هـذه الرسـالة خـتم الملـك، وكانـت تضـم مـن بـين أشـياء

أخرى هذه الكلمات: أرسل لكم قورش Cyrus كـ«كارانوس» -وتعنى كلمة «كارانوس» هذه «السيد» كيرى - لهؤلاء الذين يحتشدون في كاستولوس» هيلينيكا، الكتاب الأول، 4-3، راجع الزحف العسكري، الكتاب الأول، 1-2 ، وبمعنى آخر، فقد أصبح كل من تيسافرنيس Tissaphernes وفارنابازوس Pharnabazus من تلك اللحظة مساعدين له، وقد كانت مهمته واضحة، وهي: «أن يكون حاكماً على كل الشعوب التي تسكن الساحل، وأن يقدم العون للاسيدومونيين في حربهم ضد أثينا» هيلينيكا، الكتاب الأول، 4-3 ، فقد ولي في ذلك الوقت الذي اتسم بتردد الملك، وبالنزاع بين المرزبانات، ولقد أصدر قورش Cyrus على الفور أوامره إلى فارنابازوس Pharnabazus بأن يقوم باحتجاز السفراء الأثينيين، ولكن بطريقة تجعل أثينا لا تنتبه إلى نوايا الملك الأكبر الجديدة، ولم يسمح لهم بمغادرة آسيا الصغرى إلا بعد ذلك بثلاثة أعوام عندما أصبح مصير الجيوش الأثينية محدداً تقريباً.

ولقد تزامن تعيين قورش Cyrus مع وصول قائد بحرى لاسيدومونى يسمى «ليساندر Lysander »، والذي كان يتسم بشكل خاص بالحيوية والحسم، وسرعان ما أصبح الرجلان يثقان في بعضهما البعض، وتمكن ليساندر Lysander بمساعدة الفرس من تدعيم جيشه وأسطوله، وقد تمكن الأثينيون عندما كان غائباً في صيف عام 406 من تحقيق نصر في جزر أرجينوزاي، ولكنهم لم يتمكنوا من الاستفادة من هذا الانتصار، فقد واجهت القادة الأثينيين بعض الظروف المعاكسة! ولقد مثلت عودة ليساندر Lysander صيف عام 405 بداية مرحلة جديدة في العلاقات الإسبرطية الأخمينية، وبعد ذلك ببعض الوقت تم استدعاء قورش Cyrus الأصغر إلى حضرة والده وهو في فراش مرضه، وقبل أن يغادر قورش Cyrus قام بإعطاء ليساندر Lysander مبالغ كبيرة من المال، وتبعاً لزينوفون Xenophon «عهد بكل سلطاته إليه» هيلينيكا،

الكتـاب الثـاني، 14.1-15 ، وفي سـبتمبر مـن العـام نفسـه فـاز ليسـاندر Lysander في معركة بحرية حاسمة على الأثينيين في إيجوس بوتاموس، وبعد ذلك بعدة أشهر أبريـل-مـايو 404 سـقطت أثينـا في يـد ليسـاندر Lysander ، وفي هـذه الأثنـاء تـوفي دارا Darius الثاني في الفترة ما بين سبتمبر وأبريل 404 .

8- الملك الأكبر في بلاده:

الموراسو Murasu ، بابل، والإدارة الملكية:

سوف يكون من الأفضل أن نتوقف للحظة، وأن نحاول رسـم موازنـة إمبراطوريـة جديدة، والتي لا يجب أن تقتصر على الاعتبـارات العسـكرية والإقليميـة وحـدها، وإنمـا يجب رسمها اعتماداً على الحقـائق الإقليميـة، وأحـد أفضـل الأقـاليم مـن حيـث توثيـق الأحداث التي وقعت بها هـي بابـل، وفي الحقيقـة، فإنـه توجـد لـدينا عـدة مئـات مـن الألـواح البابليـة مـن سـجلات إحـدى المؤسسـات التجاريـة البابليـة، وهـي «الموراسـو Murasu »، والتي تم توثيق أنشطتها بشكل جيد عـلى وجـه الخصـوص في الفـترة بـين العام 25 من حكم أرتاكسركسـيس Artaxerxes الأول 440-439 ، والسـنة السـابعة من حكم دارا Darius الثاني 417-416 ، وتقدم بعض الألواح الأخـرى التـي تعـود إلى الفترة بـين عـامي 413-404 أدلـة عـلى أنشـطة أحـد الأتبـاع القـدامى لبيـت موراسـو Murasu ، ولكن من الصعب تحديد النطاق الذي عمل فيه، ومن المحتمل أن انقطـاع السجلات يشير إلى تفكك هذه المؤسسة، ولكن لا يجب أن نستنتج مـن ذلـك بـالضرورة حدوث تحول كبير في نمط الإدارة الزراعية، حيـث إن أفـراد عائلـة موراسـو Murasu ، والذين كانت تتركز أنشطتهم حول نيبور كانوا يمثلون شركة واحـدة مـن الشركـات التـي تمارس أعمالها التجارية في بابل في ذلك الوقت.

ولم تكن شركة موراسو Murasu بنكاً بالمفهوم الحديث للكلمة، حيث كان يتمثل نشاطهم الرئيس في إدارة الأراضي؛ ولهذا السبب تمثل سجلاتهم المصدر الرئيس لإعادة بناء صورة عن كيفية إدارة الأراضي فيما يتعلق بالتنظيم المالي، فبدلاً من أن يقوم المزارعون المستأجرون بزراعة أراضيهم بأنفسهم كانوا يعهدون بإدارة تلك الأراضي إلى شركة موراسو Murasu ، والتي كانت تقوم مقابل ذلك بتسليمهم الإيجار، وكان يقوم أفراد عائلة موراسو Murasu أنفسهم بتأجير هذه الأراضي إلى مزارعين آخرين، وهذا يفسر العدد الكبير من العقود الزراعية التي وجدت في سجلات هذه الشركة، ولقد تم وصف بعض القطع التي كان يتم استغلالها بموجب هذا النظام بأنها: «أراضٍ ملكية»، و«هدايا ملكية» نيدينتو ساري ، والتي كان يستفيد منها الأشخاص ذوو المنزلة الرفيعة والذين كانوا يتمثلون بشكل أساسي في أعضاء البلاط والإيرانيين ، ويوجد من بين هؤلاء الأشخاص بعض الأشخاص المعروفين مثل باريساتيس Parysatis والأمير أرساما Arsama مرزبان مصر، بالإضافة إلى العديد من الأشخاص المهمين الآخرين، والذين قام ستيسياس Ctesias بذكر أسماء بعضهم، ولقد كان هناك أيضاً من بين المستأجرين أعضاء في نظام الهاترو عسكريين وغير عسكريين ، والذين استعانوا هم أيضاً بخدمات أسرة موراسو Murasu ، إما كمديرين للأراضي، أو كمقرضين للمال، وكان يتم حساب الديون التي تنتج عن ذلك ليس على قطعة الأرض نفسها - والتي على الرغم من أنها كان يمكن أن تنتقل من شخص إلى آخر عن طريق الميراث إلا أنها ظلت غير قابلة للتحويل- ولكن على المحاصيل المستقبلية، وهكذا فقد لعبت أسرة موراسو Murasu دوراً مهماً للغاية، فقد كان لديهم هم ومستأجرو الأرض اهتمام مشترك بزيادة إنتاجية الأراضي من المحاصيل، وبالإضافة إلى ذلك، فقد كانوا يبيعون محصول هذه المزارع، والذي كان يتسم بأنه

عرضة للتلف في أسواق مفتوحة، وبهذا سمحوا للمستأجرين بأن يدفعوا الفائدة المقـررة عليهم بالفضة دون أن يشغلوا أنفسهم بعقد صفقات صعبة.

بلسونو Belsunu :

أحد الأشخاص المعروفين في هذه الفترة كان رجل بابلى يـدعى بلسـونو Belsunu ، والذي عرفناه من خلال سلسلة من الألواح التي تم جمعها في أرشـيف تحـت إحـدى قـلاع بابل القصر ، ويعود هذا الأرشيف إلى الفترة ما بين عامي 400-438، وهذا الرجل هـو ابـن بل-أوسورسو Bel-usursu ، وقد كان يسمى «حاكم بابل» بيهاتو في الفترة ما بين عـامي 421-414، وهذا اللقب ليس هو نفسه ككلمة المزبان التي نعرفها، ففي بابل كان المرزبـان هو الشخص الفـارسي المعـروف بــ «جوبـارو» أو «جوبريـاس Gobryas »، حيـث توجـد وثائق تشهد على أنه كان الحاكم حتى عام 417، وهكذا فإن بلسونو Belsunu كان أحـد مساعدى المرزبان ويشير إليه أحد المؤلفين اليونانيين مسمياً إياه بالهيبارخوس ، ثـم أصـبح لقبه في الفترة بين عامي 401-407 «حاكم إبير ناري»، والتـي يترجمهـا المؤلفـون اليونـانيون كـ«مرزبان سوريا»، وهكذا فإنه من المحتمل جـدًّا أن هـذا الشـخص كـان هـو «بيليسـيس Belesys » الذي يسميه زينوفون Xenophon «مرزبـان سـوريا» خـلال الهجـوم الـذي شنه قورش Cyrus الأصغر عـلى أخيـه أرتاكسركسـيس Artaxerxes الثـاني في عـام 401 الزحف العسكري، الكتاب الأول، 4-10، راجع ديودورس Diodorus ، الكتاب الرابع عشر، 5-20 ، ومن المحتمل أن هذا اللقب البابلى الجديد كان هو المكافـأة التـي أعطاهـا لـه دارا Darius الثاني مقابل خدماته.

وتزودنـا الألـواح بمعلومـات مهمـة جـدًّا حـول الـدور والأنشـطة المحتملة لـ«بلسونو Belsunu »، وأحد هذه الألـواح - والـذي يعـود إلى حوالي عام 416/415- ذو أهمية خاصة: [أسطر مكسـورة ...]، لقـد

عرضنا السلع المسروقة إيا-إدين Ea-iddin ، ماردوك-زير-ليسير Marduk-zer-lisir ، وبل-لومور Bel-lumur ، وهم المحاسبون العاملون بمعبد أوراس، وابن سيها Siha اكتشف الممتلكات التي قام بسرقتها بل-إتانو Bel-ittannu ابن بولوتو Bullutu وابنه بل-أوسورسو Bel-usursu ، وأوراس-نصير Uras-nasir ابن نيدينتو Nidintu ، في ديلبات في بيوتهم استولوا عليها ووضعوها بعد أن تم ختمها في خزانة الإله أوراس، واحتجزوا بل-إتانوا Bel-ittannu ابن بولوتو Bullutu وابنه بل-أوسورسو Bel-usursu في دلبات، وشمعوا بيوتهم، وقد هرب أوراسو-نصير Uras-nasir ، وقدموا إلى بابل لمقابلة بلسونو Belsunu حاكمها، وقام كل من ماردوك-زير-ليسير Marduk-zer-lisir وبل-لومور Bel-lumur بعرض السلع المسروقة أمام مجلس إساجيل، وهي التي قد وجدوها في منازلهم، والتي شمعوها ووضعوها في خزانة أوراس، بناءً على ذلك خاطب المجلس حاكم بابل بالآتي: أوراسو-نصير Uras-nasir الذي سرق السلع، هرب من ديلبات وأتى إليك، قام مجلس إساجيل باستجوابه، ومعه السلع التي سرقها، وذلك في السنة الثامنة من حكم دارا Darius ، وحلفوه اليمين بخنجر حديدي إيا-إدين Ea-iddin ، وماردوك-زير-ليسير Marduk-zer-lisir المحاسبين والمشرفين على معبد أوراس».

وبإختصار، فقد حدثت سرقة في هيكل الإله أوراس في ديلبات، ولقد تم القبض على اللصوص، وتم ختم المسروقات التي وجدت معهم، وحفظت في خزانة الإله، وقد ذهب أحد اللصوص ليجد بلسونو Belsunu «حاكم بابل»، وفي الوقت نفسه قام خزنة الهيكل بإرسال القضية إلى مجمع إساجيلا في بابل، والذي قام بدوره بتقديم إلتماس إلى بلسونو Belsunu ليسلم لهم ذلك الوغد الكافر الذي ارتكب هذا الجرم، ولقد فرضت على المذنبين عقوبة أن يقوموا بسداد قيمة هذه

المسروقات إلى خزانة الهيكل من مالهم الخاص، ويلقى هذا النص بعض الضوء على أحد المدن -وهي ديلبات- والتي كانت مجهولة نسبيًا في ذلك الوقت، وعلى استمرارية الممارسات الإدارية التي كانت موجودة في عهد قورش Cyrus وقمبيز Cambyses ، وخاصة دور مجمع إيساجيلا المدني، وعلاقته بالحاكم، وتوضح أيضاً طول العملية، حيث إنه قد مرت أربع سنوات بين وقوع الحدث ومعاقبة المجرمين.

وبالتوازي مع أنشطته العامة، كان بلسونو Belsunu يدير بنشاط عملاً تجاريًا في القطاع الخاص، وهو ما يذكرنا بما فعلته أسرة موراسو Murasu من قبل، فلم يكن فقط يدير أرضه التي أعطاها له الملك الأكبر كـ«هدية ملكية» نيدينتو ساري ، ولكنه كان يقوم أيضاً بزراعة أراضٍ أخرى من النوع نفسه، والتي كان يملكها عامة أشخاص يحملون أسماء إيرانية، ويتضح أيضاً مدى اندماج بلسونو Belsunu في المجتمع البابلي من لوح آخر والذي لم يذكر لقبه ، وفيه يستقبل أحد مساعدى/خدم بلسونو Belsunu توجيهات من سيده يأمره فيها بالتأكد من تقديم القرابين بشكل منتظم على مدار الشهور الاثني عشر للعام الخامس من حكم أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني إلى الآلهة زابادا ونينورتا.

دارا Darius الثاني في مصر:

وبالتحول للحديث عن مصر، نلاحظ أن الأدلة المتمثلة في صورة نقوش على المبانى والتماثيل هي أقل كثيراً في عددها من الأدلة المشابهة لها التي تعود إلى عهد كل من قمبيز Cambyses ، ودارا Darius ، وكسركسيس Xerxes ، وتعود آخر الأدلة الموجودة في وادى الحمامات، وكذلك آخر الأدلة المنقوشة على أواني إلى عهد أرتاكسركسيس Artaxerxes الأول بوسنر Posener ، أرقام 33: 78-82 ، ولكن، وعلى العكس من ذلك توجد العديد من الوثائق الآرامية التي تعود إلى ولاية أرساما Arsama في عهد دارا Darius الثاني،

وتسمح لنا بإعادة بناء المستويات المتعددة للمسؤولين الفرس في مصر، ونظام الجنود المستعمرين وإدارة الممتلكات الملكية بإخلاص قدر الامكان انظر فصل 11-7 ، ويشهد أيضاً عدد قليل من الأدلة المنعزلة على «وجود» دارا Darius الثاني في مصر، فأولاً يوجد الإطار المزخرف الذي يحمل اسم دارا Darius الثاني في معبد الخارجة، كأنما أراد أن يستفيد من سياسة سلفه المميز، ويبدو أيضاً أن معبد حورس في إدفو قد استفاد من منح قطع كبيرة من الأراضي، ولقد وجد ختم في منف يبدو أنه قد نقش عليه اسم دارا Darius الثاني، ويصور بطلاً ملكيًّا ينتصر على اثنين من كائنات السفينكس، ويمكننا أن نؤكد في النهاية على أنه قد تمت كتابة نسخة باللغة الآرامية من نقش بيهستون، وجزء من نقش نقسى-روستام على ظهر إحدى أوراق البردى التي يمكن نسبتها بشكل مؤكد إلى عهد دارا Darius الثاني قبل عام 418 ، ولسنا متأكدين مما إذا كان هذا هو تعبير عن رغبة الملك في إعادة بث وإحياء أعمال سلفه؛ لربط نفسه سياسيًّا به، ويحتمل بدلاً من ذلك أن تلك البردية قد كتبها أحد التلاميذ وهو يتمرن، وإذا صح ذلك فإن هذه الوثيقة توضح ببلاغة ووضوح كبيرين الطرق والوسائل العملية التي تم من خلالها نشر الأيديولوجية الملكية الأخمينية فيما بين أبناء المستعمرين اليهود-الآراميين في جزيرة فيلة، وسوف يكون من الخطير جدًّا أن نستنتج من ذلك -كما يحدث أحياناً- أن الفجوات الموجودة لدينا في الأدلة تشير تلقائيًّا إلى عدم اهتمام السلطة المركزية بهذا الإقليم الذي لم يحدث في وقت من الأوقات أن تقلصت الأهمية الجوهرية له، وبالنظر إلى الأدلة المتوافرة نظرة شاملة سنجدها بدلاً من ذلك تشير إلى عدم حدوث أية تغيرات جوهرية في السياسة الملكية تجاه مصر خلال القرن الخامس ق.م، أي بعد قيام أرتاكسركسيس Artaxerxes الأول بإعادة غزوها.

السلطات الفارسية تواجه اليهود والمصريين الموجودين في فيلة:

يزودنا أحد الملفات الآرامية التي وجدت في فيلة بقدر أكبر من المعلومات عن حدث معين، ففي السنة الرابعة عشرة من حكم الملك الأكبر دارا Darius الثاني 410 قام اليهود القاطنون في جزيرة فيلة أثناء غياب المرزبان أرساما Arsama في بابل بإرسال شكوى إلى منف بخصوص كل من المصريين الموجودين هناك وحاكم Syene المسمى ويدرانجا Widranga ، وذكروا فيها أن مديرى هيكل خنوم قد عقدوا اتفاقاً مع ويدرانجا Widranga ، «وقاموا بإعطائه المال والنفائس»، ونتيجة لذلك «لن يسمح المصريون لليهود بإحضار الوجبات التي تقدم كقرابين إلى المعبد والبخور والقرابين التي سيقومون بتقديمها إلى الإله يهوه إله السماء، وأحرقوا المعبد، وأخذوا جميع التركيبات الباقية لأنفسهم»، وباختصار «فقد قاموا بتدمير المذبح»، وهكذا فقد طلب اليهود أن تتم إعادة بناء الهيكل في مكانه السابق، وللتأكيد على مدى مخالفة خصومهم للقانون -وهم المصريين المتآمرين مع ويدرانجا Widranga - ذكر اليهود أيضاً أن أعداءهم قاموا بالتعدي على الممتلكات الملكية: «حيث إنهم دمروا جزءاً من مخازن الملك الموجودة في حصن يب، وقاموا ببناء سور في وسط حصن يب»، وأخيراً، قاموا بسد بئر كانت تتزود منه الحامية بالماء وقتما تتجمع هناك» هنديز .

وقد قام اليهود بتحميل ويدرانجا Widranga المسؤولية الكاملة عن ذلك، فتبعاً لهم كان ويدرانجا Widranga هو من أمر بتدمير هيكل يهوه بناءً على طلب من كهنة معبد خنوم، ولتنفيذ ذلك أرسل رسالة إلى ابنه «نافاينا Nafaina » الذي خلفه كقائد للحامية راب هايلا الموجودة في حصن Syene ، وقد قام نافاينا Nafaina بقيادة مجموعة من الجنود من المصريين و«من جنسيات أخرى»، وشرع في تدمير الهيكل بالكامل،

واستولى على الآنية المقدسة الموجودة فيه، وكنتيجة لهذا طالب اليهود بفتح تحقيق في هذا الأمر يقوم به القضاة والشرطة والمخبرون المكلفون بشؤون المقاطعة الجنوبية.

وفي الوقت نفسه، قام اليهود بإرسال مذكرة إلى سلطات القدس، وبالتحديد إلى يوحنان Johanan كبير أحبار اليهود ورفاقه الأحبار الموجودين في القدس، «وإلى أوستانيس Ostanes أخو أناني Anani ونبلاء اليهود»، ولكن لم يصلهم رد على هذه الرسالة، وبعد ذلك بثلاث سنوات أي في عام 407 توجهوا إلى كل من «باجوهي Bagohi » «حاكم إقليم يهودا» و«دالاياه Dalayah » و«سيليمياه Selemyah » أبناء سنبلات Sanbalat حاكم إقليم سومر»، وقد ذكر هؤلاء الحكام أن المجتمع اليهودي ظل في حالة حداد طوال ثلاثة أعوام، وحددوا أنهم لم يقوموا «بتقديم أية قرابين، أو إحراق أي بخور أو ذبائح» في الهيكل، وتوسلوا إلى «باجوهي Bagohi »؛ ليقوم بالتوسط لهم عند أصدقائه في مصر ليأذنوا لهم بإعادة بناء الهيكل، وفي النهاية أتى هذا التقرب المزدوج لكل من باجوهي Bagohi والسلطات السومرية -التي تربطها بأرساما Arsama علاقات وثيقة والذي كان قد عاد إلى مصر في هذه الأثناء - بثماره، فقد اتخذ أرساما Arsama قراراً حدد الأطر التي سيتم من خلالها بناء المعبد «وإرجاعه إلى حالته السابقة»، ومن ناحية أخرى، فبينما كان من الممكن القيام بمراسم حرق البخور وتقديم القرابين بشكل طبيعي، إلا أن هذا لم يكن هو الحال مع «حرق الكباش والثيران والماعز»، ولقد وافق اليهود على تقديم بعض المال وألف أردب من الشعير إلى بيت أرساما Arsama .

ويشتمل هذا الأمر على صعوبات تفسيرية ضخمة، ويجب علينا أولاً أن ننتبه إلى تركيبة المصادر المتاحة، فالتفاصيل المتوفرة لدينا حصلنا عليها من اليهود أنفسهم، وذلك من خلال الحجج التي قدموها إلى

السلطات، وهكذا فإن المصادر المتوافرة لدينا هي بالتأكيد ناقصة ومتحيزة، حيث نجد اليهود يقارنون بشكل مستمر بين تصرفاتهم التي تنم على الولاء وتصرفات المصريين الإجرامية: «نحن بريئون من أي لوم، حيث إننا لم نرتكب أي فعل ضار من هذا النوع»، أي أن اليهود يقولون إنهم ليسوا متمردين، على العكس من الجماعات المتنوعة من المصريين، ولكن المؤرخ الحديث لا يمكنه استخدام الحجج التي قدمها محامي أحد الطرفين كما لو كانت السجلات التي كتبها موظف المحكمة، ويتهم اليهود المصريين أيضاً بشراء ورشوة ويدرانجا Widranga ، وعلى الرغم أنه من الصحيح أن المصادر الكلاسيكية قد تحدثت عن إدانات الملك للقضاة الذين كانوا يختلسون أموال الدولة، إلا أننا يجب أن نتذكر أيضاً أن دفع البقشيش كان من الأشياء المنتشرة على نطاق واسع في كل من مصر وبابل، وفي هذا المثال قام اليهود أنفسهم بتقديم هدايا كبيرة إلى بيت أرساما Arsama لشكره على خدماته التي قدمها لهم، وفي النهاية فإن طبيعة هذه الوثائق نفسها خطابات ومذكرات لا تقدم لنا صورة كاملة؛ ولذلك فنحن نحتاج إلى المزيد من المعلومات لتوضيحها، ويقول اليهود عن ويدرانجا Widranga في التماسهم الذي قدموه في عام 407 إلى سلطات القدس وسومر: «لقد قامت الكلاب بتمزيق حذائه، وتعرضت كل الثروات التي كان يجمعها إلى الدمار، وكل الرجال الذين أرادوا الهيكل بالسوء لقوا حتفهم جميعاً، ورأينا رغبتنا تتحق فيهم جميعاً»، وعلى الرغم من بعض النقاط غير الأكيدة في القراءة والترجمة إلا أنه يبدو أن ويدرانجا Widranga ومخربي الهيكل الآخرين قد تعرضوا لعقاب قاسٍ، ولكن لا نعرف من الذي قام بعقابهم؟ أو لماذا؟ وخاصة أن ويدرانجا Widranga يبدو أنه قد عاود الظهور مرة أخرى معاق، ويحمل لقب «قائد الحامية» في واحدة أو يحتمل اثنين من الوثائق التي تعود إلى عام 398.

والشيء الذي يبدو واضحاً هو أنه خلال هذه السنوات نشب صراع بين قادة المجتمع اليهودى في جزيرة فيلة وقادة معبد خنوم، ولكن لماذا؟ وتشير إحدى الوثائق الأخرى، والتي للأسف ليست كاملة إلى زيارة إلى منف، حيث تشير إلى حدوث اضطرابات في طيبة، فقد زعم اليهود أنهم «يخشون التعرض لحوادث سطو»، وأن المحققين يأخذون رشاوى من المصريين، وفي أحد النصوص الأخرى يشكو يهودي من أن ويدرانجا Widranga - والذي أصبح الآن قائد الحامية في حصن Syene - قام بسجنه في أبيدوس «بسبب أحد الأحجار الكريمة التي وجدوها، وهي مسروقة في أيدى التجار»، ولكن من الصعب تفسير وربط هذه البيانات الناقصة والمنعزلة بالأحداث التي وقعت في فيلة Syene ، ودعونا نتوقف لبعض الوقت خاصةً عند شكوى ذلك اليهودى المسجون التي أرسلها إلى زملائه في جزيرة فيلة: «أنتم تعلمون أن كهنة خنوم يناصبوننا العداء منذ الوقت الذي كان فيه حنانى Hanani في مصر وحتى الآن»، هل كان هذا صراعاً دينيًّا؟ هل يعنى تدمير الهيكل وبيوت اليهود أن ويدرانجا Widranga والمصريين كانوا يتشاركون في أنهم يكنون مشاعر معادية لليهود؟ يبدو من الصعب تأكيد مثل هذه الافتراضات، وعلى الرغم من أنه كان قادراً على إظهار قدر معين من التفانى والاخلاص للالهة المصرية؛ وذلك لأسباب يتشارك فيها مع كبار الموظفين والضباط الفرس منذ عهد دارا Darius فصاعداً، إلا أنه لا يوجد ما يشير إلى أنه قد تمصر لدرجة أنه انحاز مع كهنة معبد خنوم لأسباب دينية خالصة.

ويجدر بنا الآن العودة إلى الأساسيات، فلقد كان على الحاكم ويدرانجا Widranga أن يفصل في النزاع الذي نشب بين ممثلى المجتمع اليهودى ومديرى معبد خنوم، ولا بد أنه قد عقدت محاكمة طلب على أثرها من نافاينا Nafaina بصفته الرسمية النابعة من كونه قائد الحامية تنفيذ الحكم الذي أصدره أبوه، والذي كان هو الآخر طرفاً

في هذه القضية بصفته الرسمية، ولكن ماذا كان الغرض من هذه الدعوى؟ توضح العديد من الوثائق السابقة أنه كان على القضاة أن يفصلوا في نزاعات حول الممتلكات، وكان من بين هذا النزاعات نزاعات حول بعض الأراضي المجاورة لهياكل يهوه وخنوم، وفي الحقيقة كان الهيكل اليهودى يتاخم الأراضي التابعة لمعبد خنوم، ويبدو أن الصراعات بين المعبدين كانت لا تتعلق سوى بالممتلكات، حيث إن المباني الجديدة التي شيدها كهنة معبد خنوم قد تعدت على بعض الممتلكات الملكية أراضي للقمح وبئر ، بالإضافة إلى بعض العزب التابعة لهيكل يهوه، وعندما وجد الطرفان أنه لا يمكن التوصل إلى حل وسط قاما برفع الأمر إلى الحاكم ليفصل بينهما.

ومثلما يفعل أي قاضٍ آخر، قام ويدرانجا Widranga بالرجوع إلى القوانين والتشريعات التي أمر دارا Darius بجمعها قبل ذلك بأكثر من قرن، وإذا سلمنا بوجود علاقة بين كتاب التشريعات هذا والقانون الاعتيادى المصري الذي كان مستخدماً في الفترة الهلينية، ربما نؤكد على أن جزءاً مهماً للغاية من القانون الثاني كان مخصصاً للفصل في النزاعات التي تتعلق بملكية الأراضي، ولقد تم تخصيص أحد الأجزاء فيه بشكل صريح للقضايا التي تدور حول الصراعات الناتجة عن إنشاء مبانٍ على أراضي يزعم شخص آخر فيما بعد أنها ملكه، وبدون أن تكون عندنا أدلة كاملة على ذلك يمكننا أن نتخيل أن المصريين زعموا أنهم الملاك الحقيقيين لأنهم كانوا الأوائل لقطعة الأرض التي بني عليها معبد يهوه.

ولقد قام اليهود أنفسهم بتأكيد صحة هذه النظرية جزئيًا، حيث إنهم قاموا في الحقيقة في أحد التماساتهم بتقديم أحد الدفوعات، وبالعودة إلى وقائع تدمير معابدهم ذكر اليهود: لقد بنى أباؤنا هذا المعبد بالفعل في أيام ملوك مصر في حصن يب، وعندما دخل قمبيز Cambyses مصر وجد

المعبد قائماً، ومع أنه تعدى على معابد مصر كلها إلا أنه لم يمس هذا المعبد بأى أذى.

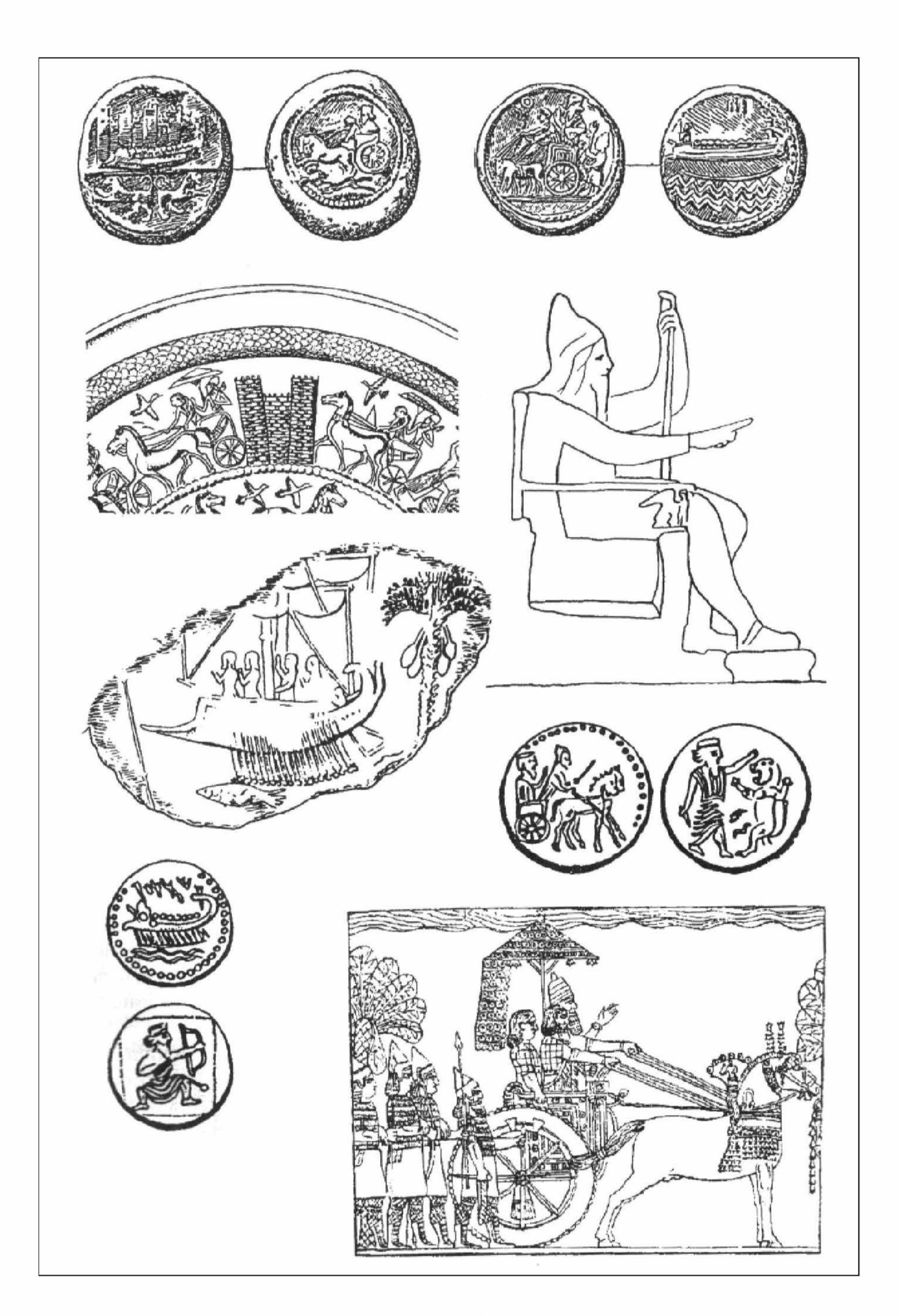
ولأن هذا الدفع قد وجد في التماس قصد اليهود من ورائه عرض قضيتهم على السلطات اليهودية المعترف بها في إقليمي يهودا وسومر، فإنه يجب النظر إلى هذا التصريح على أنه حجة تمت صياغتها في إطار سياقها الإداري، وفي هذه الحالة فإن اليهود كانوا يحاولون إثبات أن بناء معبدهم هذا قد سمح به في البداية فراعنة أسرة سايتي، ثم أكد هذا الإذن قمبيز Cambyses فيما بعد، وهذا هو أحد الأشكال المشهورة للدفوع القانونية، حيث إنه للتأكيد على مدى شرعية حقوقهم كان يشير مدير أحد المعابد أو إحدى المدن إلى الامتيازات السابقة التي تم منحها لهم، والتي تطلب منهم السلطات الحالية تقديم دليل عليها راجع تاسيتوس Tacitus ، الحوليات، الكتاب الثالث، فقرات 63-61 ، ويمكننا أن نسترجع سلوك تاتيناى Tattenai في القدس، أو رسالة دارا Darius إلى جاداتاس Gadatas ، ففي الحالة الأولى أشار اليهود إلى مرسوم قورش Cyrus ، وفي الثانية أشارت السلطات في معبد أبوللو إلى أن امتيازاتهم تعود إلى أسلاف دارا Darius راجع فصل 12-4 ، وقد تكرر هذا الوضع نفسه هنا، حيث ذهب قادة اليهود للمثول أمام محكمة ويدرانجا Widranga ؛ لأنهم واجهوا خصوماً يطالبون بتدمير معبد يهوه، ولقد ذكروا للحاكم أن وجود المعبد قد تم التصديق رسميًّا على شرعيته من قبل قمبيز Cambyses ، وإذا كان اليهود قد خسروا هذه القضية فإنه من المحتمل جدًّا أن هذا يرجع إلى أنهم -على خلاف يهود القدس الذين قدموا استئنافاً إلى تاتيناى Tattenai - عجزوا عن تقديم وثيقة مكتوبة، وإذا كان ويدرانجا Widranga قد حكم لصالح المصريين، فإن هذا يرجع ببساطة إلى أن الوثائق التي تمكنوا من تقديمها كانت متفوقة بدرجة كبيرة على تصريحات اليهود التي كانت شفوية بشكل عام، ولقد كان القرار

والمنطق الذي يقوم عليه هو كما يلي: «لقد أمر اليهود بتفكيك المعبد؛ لأنه قد تم الإعلان أن قطعة الأرض التي تم بناؤه عليها هي ملك لمعبد خنوم».

وهذا المشهد هو تعليمي وإرشادي إلى حد كبير فيما يتعلق بطبيعة العلاقة بين الإدارة الفارسية والجماعات الثقافية والعرقية المتعددة الموجودة في الإمبراطورية، وفيما يتعلق بالإجراءات التي حمت حقوق كل من هذه الأقليات، ولا نعرف الأسس التي قام أرساما Arsama بناءً عليها بإبطال قرار ويدرانجا Widranga ؛ لأننا لا نملك نص قرار المرزبان، وكل ما لدينا فقط هو مقتطف ناقص وغير مباشر، ولكن يجب أن نؤكد على أنه في هذه الحالة كان على السلطات في Syene ، ثم في منف الاختيار فيما بين دافعين: أحدهما يعطى الأولوية لأحد القرارات الملكية مرسوم قمبيز Cambyses ، والآخر يقوم على الاعتراف بـ «قانون البلاد المفتوحة» التشريعات المصرية ، ولقد مال ويدرانجا Widranga إلى تفضيل الدافع الثاني؛ وذلك لأسباب ليست لها أية علاقة بتفضيله للمصريين وآلهتهم، وإنما ترجع إلى حاجته إلى المحافظة على النظام، والذي لا يمكن تحقيقه في هذا الإطار المصري سوى بالتوافق مع القانون المصري.

خطاب عمل:

لدينا تصور حي بوجه خاص عن العلاقات اليومية بين الفرس/ الإيرانيين والمجتمعات الأخرى التي تعيش في مصر، وذلك في إحدى أوراق البردى الآرامية غير المؤرخة، والتي تحمل ترجمة خطاب أرسله سبنداداتا Spendadata ابن فرافارتيباتا إلى هورى وبيتيميهو: «إلى إخوتي هورى Hori وبيتيميهو Petemehu من أخيكم سبنتاداتا Spentadata ، أرجو من كل الآلهة أن تمنحكم الرفاهية والرخاء في جميع الأوقات! أما بعد، فلقد أصبح لدي الآن قارب ملكي وملك صاحبه، والذي هو في



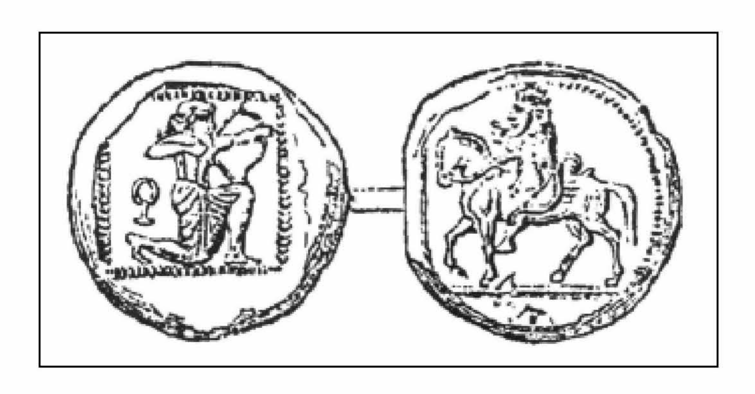
الشكل 50

أيديكم، أحيطكم علماً بأن أرمايداتا Armaidata سوف يخبركم بأننى قد كلفته بقيادة القارب فدعوه يفعل ما يريد، وقوموا أيضاً بإعطائه نصيبى من إيجار هذا القارب والذي هو ملكنا هناك مبلغ 8 شيكل أعطيتها إلى ..... ؛ ليدفعها مقابل الغلال التي سيحضرها لي، وهناك أيضاً مبلغ 1 قرش و8 شيكل من الفضة ، والذي أعطيته لكم لتشتروا به القمح لـ «ياتما Yatma »، وإجمالي المال هكذا هو: 1 قرش و8 شيكل، إذا قمتم بشراء الغلال وأبقيتموها في منازلكم، فحسناً! وإن لم يكن ذلك فأعطوا المال لأرماياداتا Armaidata ليحضره إلى، وإذا ظلت الغلال متوفرة لديكم، أخبروا أرياماداتا بذلك وأعطوها له في شكل يمكنه بيعها به».

وتبدو هذه الصفقة بسيطة إلى حد ما، فقد اتفق شخصان إيرانيان أو فارسيان على شراء ونقل القمح، والذي كانا ينتويان بيعه، ويبدو أن شخصاً ثالثاً وهو ياتما Yatma اسم آرامي قد أسهم في هذه الصفقة بالمال، والبحاران هما مصريان كما في جميع الحالات المعروفة الأخرى، وتنقصنا الكثير من التفاصيل هنا، وعلى الرغم من ذلك، فإن هذا النص يتميز بأنه يزودنا بمعلومات مؤكدة وملموسة عن الأنشطة التجارية لهذين الشخصين الفارسيين/الإيرانيين اللذين من المؤكد أنهما كانا يشغلان مناصب مهمة في فيلة، وعن علاقاتهما مع اثنين من المصريين، وتظهر لنا هذه الوثيقة بوضوح كيف أن الفرس الموجودين في مصر مثلهم مثل الفرس الموجودين في بابل لم تكن عندهم أية مشكلة في دمج أنفسهم بشكل كامل في البيئة التجارية والاستفادة منها، ومن المحتمل أنه كان يهدف من وراء شراء هذا القمح جزئيًّا إلى إطعام الجنود الاحتياطيين في الحامية.

الملك الأكبر في صيدا وفيلة:

في بعض الأحيان يكون التعرف على الوجود الفارسي في إحدى المناطق ممكناً فقط من خلال الصور والرسومات، وخاصةً في المناطق



الشكل 51

التي لم تذكر المصادر الأخرى فيها شيئاً خلال فترة حكم كل من أرتاكسركسيس Artaxerxes ودارا Darius الثاني، وهذا هو الحال مع صيدا، فلقد تم تصوير الملك الأكبر في أشكال عديدة على العملات الأولى للمدينة التي تعود إلى الربع الثالث من القرن الخامس ق. م شكل 50 أ-ب ، ويظهر بعضها إحدى سفن صيدا على الوجه، والتي تكون راسية أحياناً أسفل أحد الحصون، بينما يظهر على الظهر «ملك فارس راكباً عربته التي تجرها أربعة أحصنة تعدو نحو اليسار، ويرتدى على رأسه كيداريس ذي خمسة أطراف، ويرتدى زى الكانديس، ويظهر أيضاً وهو يمد يده اليمنى، ويظهر سائق العربة بجوار الملك وهو يمسك بزمام الأحصنة بكلتا يديه، ويوجد أسفل الأحصنة جسم تيس»، وعلى بعض العملات الأخرى يظهر أسدان على الوجه وخلفهما منظر ربيعى، وسفينة راسية عند قاعدة إحدى القلاع، بينما يظهر على الظهر «ملك فارس وهو يصارع أسداً، ويرتدى على رأسه كيداريس ذي فتحات، ويرتدى زى الكانديس على جسده، ويلوح بيده اليمنى بسيف قصير أكيناكيس ، بينما يحمل في يده اليسرى أسداً ممسكاً به من شعر رقبته، ونتيجة لأن ذراعه أصابها الإرهاق نجد الأسد يتراجع أمامه على قدميه الخلفيتين، مربع فارغ» أرقام 891، 894، 896 ، وعلى عملات أخرى، يظهر واقفاً يشد قوساً في مواجهة تيس كل ما يظهر منه هو رأسه ورقبته رقم 897 ، أو شبه جاثٍ على ركبتيه حاملاً رمحاً في يده اليمنى، وقوساً في يده اليسرى رقم 898 .

وتتوافق هذه المشاهد إلى حد كبير مع الأشكال المطابقة لها تقريباً الموجودة في الأعمال الفنية المنتجة في البلاط البطل الملكي يواجه

أسداً ، أو على الأختام الملك على عربته ، والعملات الملك كرامى سهام وكرامى رمح، راجع فصل 6 ، ويمكن عرض هذا التأثير في الصور بشكل عكسى أيضاً -إذا كان بإمكاننا وصفه بهذه الطريقة- حيث يوضح ختم على أحد ألواح الخزانة سفينة تشبه إلى حد كبير تلك السفن التي نجدها على عملات صيدا شكل 50و ، ويوضح هذا المثال المحدد أن الصور والأشكال التي كانت تظهر على عملات صيدا قد انتشرت في مناطق أخرى، وإذا بقينا في الفترة نفسها التي نتناولها هنا يمكننا أن نلاحظ على وجه الخصوص أن نماذج الصور التي كانت تظهر على عملات صيدا تم نسخها وتقليدها في فيلة، حيث يوجد على أحد الوجهين سفينة من صيدا واسم Syene مكتوب باللغة الآرامية «سوين» ، وعلى ظهر العملة تم تصوير البطل الملكي وهو يصارع الأسد، وقد تم إقحام ديك بينهما، ونعرف أيضاً عن سك عملات في فيلة تم فيها محاكاة الأشكال الموجودة على عملات مدينة ملطية، والاختلاف بينها وبين العملات التي تحاكى عملات صيدا هو أنه قد تم تصوير رامى سهام فارسي على ظهر العملة، ويمكن أن نجد عملات تحاكي نماذج عملات صيدا في سومر أيضاً شكل 50 د-هـ .

ومن المؤكد أن ملوك صيدا قد قاموا عن قصد باختيار أشكال وصور من مجموعة الأشكال الأخمينية التقليدية عندما قاموا بصك عملاتهم، ولا يوجد أدنى شك حول المغزى السياسي لذلك، وفي الحقيقة تتميز عملات صيدا بأنها فريدة بشكل كامل، حيث إن العملات الخاصة بالمدن الفينيقية الأخرى في هذه الفترة لا تظهر سوى رموزاً محلية، ويعبر هذا التمييز التصويرى عن المكانة الخاصة التي كانت تحتلها صيدا في داخل المنظومة الفينيقية التي لا توجد لدينا عنها في هذه الفترة سوى معلومات ضيئلة جدًّا ، ومن الموكد أنها تعكس تراثاً أقدم، حيث إن النقش على التابوت الحجري لإسمونصر Esmunazar يوضح أنه كانت

توجد علاقات وطيدة بين ذلك الملك الأكبر وبين تلك المدينة انظر فصل 12-3 ، ويوضح وجود ملك صيدا بجوار كونون Conon قبل وخلال وبعد معركة سنيدوس في بداية القرن الرابع بدرجة أكبر أنه ومنذ عهد قمبيز Cambyses حظي أسطول صيدا بمكانة رئيسة في التفكير الاستراتيجي للملك الأكبر ديودورس Diodorus الكتاب الرابع عشر، 79-8 ، ويمكننا أن نؤكد أيضاً على أن الأختام التي تحمل صوراً ملكية أخمينية قد وجدت أيضاً في أراضي «دور» التي قد تم إعطاؤها في السابق إلى إسمونصر Esmunazar .

وفي الوقت الحالي يجب التأكيد على أن ذلك التفسير الذي ذكرناه بأعلى كان دائماً مثار شكوك بسبب المناظرات التي دارت لتحديد هوية الشخص الذي يقف في العربة، حيث يقترح بعض المؤلفين أنه بغل حاكم المدينة وليس الملك الأكبر، وعلى الرغم من أن هذا هو رأى الأغلبية وربما لا توجد أدلة تسانده ، إلا أننا يجب أن نؤكد على أن الحجج التي تم ذكرها حول هذا الموضوع تشبه كثيراً الحجج التي تم تقديمها حول المغزى السياسي للمشاهد التي تم تصويرها على التابوت الحجري من صيدا المعروف بتابوت المرزبان، والذي يعود إلى الفترة نفسها تقريباً أواخر القرن الخامس وبدايات القرن الرابع ، هل الرجل الجالس على العرش شكل 50-ح يمثل المرزبان أو حتى الملك الأكبر نفسه ؟ أو ما هو إلا ملك صيدا الذي تم تصويره في شكل الملك الأكبر؟ ولتقديم هذه المشكلة بصورة أخرى في غياب أي دليل مكتوب، هل تسمح لنا الأدلة المتمثلة في الصور والرسومات بتحديد طبيعة العلاقات السياسية التي كانت توجد بين الحكام المحليين والسلطات الأخمينية؟

حالة إقليم ليسيا:

ويمثل هذا السؤال نفسه لب أية مناقشة تدور حول المغزى السياسي للنصوص الليسية التي تعود إلى نهاية القرن الخامس، فعلى الرغم من أنه

قد تم فك رموزها بشكل جزئي فقط، إلا أن النقوش الليسية الموجودة على دعامة زانثوس والتي تمت كتابتها في بداية القرن الرابع تتكشف عن بعض الأسماء المألوفة مثل أمورجيس Amorges ، تيسافرنيس Tissaphernes ، هييرامينيس Hieramenes ، ياسوس Iasus ، كونوس Caunus ، دارا Darius الثاني، أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني، وعلى الرغم من أن قدراً كبيراً من الغموض لازال يحيط بالتفاصيل، إلا أنه لا يوجد أدنى شك في أن هذه النقوش تشير إلى الأحداث التي وقعت في ليسيا وجنوب غرب آسيا الصغرى خلال الحرب الأيونية، وتزودنا أيضاً بأدلة حول اشتراك حاكم زانثوس، والذي كان في ذلك الوقت هو جرجيس Gergis / خريجا Kheriga ابن هارباجوس Harpagus ، ومن المحتمل أن ذلك الحاكم قد ساعد تيسافرنيس Tissaphernes ، وخاصة من خلال تزويده بالسفن ثلاثية المجاديف للمعركة التي وقعت في عام 412، والتي قام فيها ذلك المرزبان بمحاربة الخائن أمورجيس Amorges الذي لجأ إلى ياسوس ثيوسيديدس Thucydides ، الكتاب الثامن، فقرة 28: 2-4 ، وبالإضافة إلى ذلك، فقد تم تقديم أدلة على نشاط تيسافرنيس Tissaphernes في تلك المنطقة من خلال إحدى العملات التي نقش عليها اسمه باللغة الليسية والتي تم ترميمها بشكل جزئي ، والتي نقش عليها أيضاً اسم زانثوس أرنا ، ولكن من الصعب تحديد ما إذا كانت تعود إلى الفترة التي سبقت أو تلك التي تلت وصول قورش Cyrus الأصغر إلى آسيا الصغرى، حيث إن هذا الحدث حد من سلطات تيسافرنيس Tissaphernes وحصرها في إقليم كاريا فقط تحت القيادة العليا لابن دارا Darius الأصغر، ولسوء الحظ فإن هذا الدليل المتمثل في تلك القطعة المعدنية لا يسمح لنا بوصف العلاقة بين تيسافرنيس Tissaphernes وحكام ليسيا -وخاصة حاكم زانثوس- بشكل مؤكد، ويعتمد تحليل العلاقة بين المرزبان وحاكم زانثوس بشكل

أساسي على تفسير الصور الموجودة على بعض عملات معينة قام بسكها حكام زانثوس، ولقد تم اشتقاق تلك الفكرة التي تتحدث عن سيطرة فارسية شديدة نسبيًّا عليها من فكرة أخرى، والتي تنظر إلى الصور الموجودة على العملات على أنها تمثل المرزبان الفارسي نفسه، ولكن على الرغم من أن هذا التفسير قد يبدو جذاباً إلا أنه لم تتم الموافقة عليه من قبل الجميع .

ويتسم هذا الغموض الذي يشوب الأدلة الليسية بالثبات والاستمرارية، حيث تكشف الأدلة المتوفرة عن نمو متزايد للتأثير الثقافي اليوناني في بلاط حكام زانثوس، ويتضح هذا أيضاً من العملات التي سكها حكامها، وينطبق هذا أيضاً على المقتطف اليوناني الذي يمجد ويعظم التميز العسكري لجرجيس Gergis ابن هارباجوس Harpagus ، ويتجلى في صورة أوضح في قصيدة أربيناس Arbinas التي كتبها في بداية القرن التالي المتبصر اليوناني سيماخوس Symmachus المنتمي إلى بيلانا، ومن المحتمل أن سيماخوس Symmachus قد وصل إلى كونوس مع الأسطول اللاسيدوموني في عام 412، قبل أن ينتقل إلى خدمة جرجيس Gergis وابنه أربيناس Arbinas فيما بعد، وموضوع القصيدة هو موضوع داخلي بشكل أساسي، حيث إنها تنقل إلى الأجيال القادمة الانتصارات التي حققها حكام زانثوس على أقاربهم وجيرانهم، وتحتفي بإعادة بناء إمارة زانثوس التي امتدت عبر وادى زانثوس، ويشير هذا النص إلى أن الحياة في إقليم ليسيا استمرت في ظل السيطرة الفارسية كأن شيئاً لم يحدث.

ولكن سيكون من الأفضل أن نقدم منظوراً أكثر اختلافاً عن ذلك، فعندما كان أربيناس Arbinas يحتفل بمآثره هو وأبوه لم يكن هناك ما يدفعه إلى الإشارة إلى الوجود السياسي للفرس، وهذا على العكس تماماً من تاريخ ليسيا نقش الدعامة ، ولكن لا يجب أن نضع كلاً من هذين

الافتراضين في تعارض تام مع بعضهما البعض، حيث إنه من الواضح أن الفرس لم يتدخلوا في الشؤون الملكية الداخلية البحتة طالما أن الحاكم المنتصر لم يتحدى مسألة الخضوع إلى الملك الأكبر، وحتى في المجال الثقافي لا يجب أن ننظر إلى التأثير الثقافي اليوناني المتزايد على أنه علامة على زيادة استقلال حكام زانثوس، بل وعلى العكس من ذلك، فقد تم توضيح اعتمادهم المستمر على الفرس على سبيل المثال عن طريق إحدى القصائد التي تحتفى بانتصارات أربيناس Arbinas ، «حيث تظهر أربيناس Arbinas في صورة متفوقة على الجميع في المعرفة البشرية والرماية وفنون الحرب والفروسية»، وتذكرنا هذه القصيدة على الفور بالفضائل الملكية التي قدمها دارا Darius المحارب الجيد والفارس الجيد، ومن المؤكد أن سيماخوس Symmachus مؤلف قصيدة الرثاء تلك لم يقلد نقش نقسى-روستام بشكل كامل، ودعونا نقول بدلاً من ذلك إن المفردات المستخدمة أيضاً تتكشف في هذا الزى اليوناني عن طابع التقاليد الأرستوقرطية الفارسية، والتي ظلت متواجدة في ليسيا منذ بداية القرن الخامس انظر فصل 12-5 ، ولإضفاء الشرعية على حكمهم قام أمراء زانثوس باستعارة الموضوعات الأدبية والصور من كل من إيران واليونان بالقدر نفسه، وباختصار فإن هذا النوع من الأدلة لا يسمح للمؤرخ بتأكيد أو حذف تأثير السلطات الأخمينية في ليسيا خلال العقود الأخيرة من القرن الخامس ق. م، والنصوص التي تزودنا بمعلومات عن ذلك التأثير تنتمي بشكل طبيعي إلى الأدب الروائي ثيوسيديدس Thucydides ، نقش الدعامة ، ويشير هذا النقش إلى أنه عندما كان يلوح خطر خارجى في الأفق كان يتم دمج الأمراء الليسيين في التخطيط الفارسي، وأن هؤلاء الأمراء كان بإمكانهم الاستفادة في الوقت نفسه من ذلك وتحقيق أهدافهم.

حالة إقليم كليكيا:

أما في المناطق الأخرى، فلا توجد لدينا سوى أدلة ناقصة بدرجة

كبيرة، وغير متجانسة، ويصعب تحديد تاريخها، وتنطبق هذه الملاحظة بشكل خاص على إقليم كليكيا، وهي المنطقة التي يوجد لدينا كل الأسباب للاعتقاد بأنها استمرت في لعب الدور العسكري الذي طالما لعبته على مدار التاريخ الأخميني، ولا يوجد لدينا مثال محدد في ذلك التاريخ، ولكن أحد الفصول في الحرب القبرصية التي وقعت بعد ذلك بعدة عقود قضت على أي شك في هذه الفكرة ديودورس Diodorus الكتاب الخامس عشر، فقرة 3: 1-3 ، وبعد أن قام كسركسيس Xerxes بتعيين زيناجوراس Xenagoras في عام 479 هيرودوت Herodotus ، الكتاب التاسع، فقرة 107 أصبحت الوثائق التي تغطى الأحداث التي وقعت في هذه المنطقة بشكل خاص ناقصة، ولم تصلنا أية معلومات عنها إلى أن جاء الوقت الذي شن فيه قورش Cyrus الأصغر حملته، ولقد انضمت إلى قورش Cyrus في كايسترو-بديون إيبياكسا Epyaxa «زوجة الملك سيينيسيس Syennesis ، ملك الكليكيين» زينوفون Xenophon ، الزحف العسكري، 1: 2-12 ، ولقد رفض الملك الكيليكى نفسه الدفاع عن بوابات كليكيا، وتراجع إلى طرسوس حيث كان يقع قصره، وطبقاً لزينوفون Xenophon فقد عقد اتفاقاً مع قورش Cyrus الأصغر أعطاه بمقتضاه مبالغ ضخمة من المال مقابل أن يعده بعدم تخريب أو نهب أراضيه خورا عندما تمر قواته بها 1: 2-2 ، وتتسم إشارات ستيسياس Ctesias وديودورس Diodorus العابرة بأنها كانت غير واضحة أو صريحة في حديثها عن طبيعة سلطة سيينسيس Syennesis وعلاقاته مع الفرس، حيث إن كل ما ذكراه هو أنه كان بشكل أساسي يحترم الملك الأكبر الفارسي.

لقد تعرفنا لفترة طويلة على سلسلة من العملات الكيليكية التي تم النظر إليها تقليديًّا على أنها عملات ملكية، وذلك على الرغم من أنها لا تحمل أي اسم سوى اسم المكان الذي سكت فيه، والذي كان في الغالب

طرسوس شكل 51 ، ويظهر على وجه هذه العملات شخص يعتقد أنـه الملـك، وقـد تـم تصويره وهو راكب على حصانه، وغالباً ما يكون حاملاً رمحين ومرتـدياً الباشـليك، بيـنما يتم تزيين ظهر هذه العملات غالباً بصورة أحد جنـود الهبليـت اليونـانيين أثنـاء خوضـه للقتال بابل، أرقام 504-520 ، وتوجد سلسلة أخرى من هـذه العمـلات، والتـي يفـترض أنها تعود إلى العقود الأخيرة من القرن الخامس، والتـي تتسـم بأنـه يظهـر عـلى وجههـا الملك وهو راكباً على صهوة جواده، بينما يظهر على ظهر هذه العملات مشـاهد ملكيـة تم وصفها بالطريقة التالية: يظهر ملك فـارسي كرامـى سـهام، وهـو مرتكـز عـلى إحـدى ركبتيه، وناظر باتجاه اليمين، ويشد قوسـه، كـما يبـدو ملتحيـاً، وعـاري الـرأس، ومرتـدياً كانديس ذات ثنيات تتجمع عند الوسط، ويحمل جعبته الممتلئـة بالسـهام عـلى ظهـره، ويوجد صليب ذو يد في الميدان على اليسار بابـل رقـم 521، شـكل 51 هنـا ، ولقـد تـم تصوير شخصيتين ملكيتين على العديد من العملات الأخـرى: «ملكـين مـن ملـوك فـارس يقفان في مواجهة بعضهما البعض، كلاهما ملتحٍ، وكلاهما يرتدى زى الكانـديس، ويتكـئ كل منهما على رمحه بيديه الاثنتين، ويحمل كل منهما القوس وجعبة السهام على ظهـره ...» رقم 526، راجع رقم 527 ، بينما نجد على ثلاثة من العملات الأخرى صـوراً ملكيـة على كل من الوجه والظهر، حيث يظهـر عـلى الوجـه البطـل الملـكي وهـو يصـارع أسـداً ممسكاً إياه من شعر عنقه بيده اليمنى، وغارساً سـيفه القصـير في خـاصرة الأسـد بيـده اليسرى رقم 528، راجع أرقام 529-530 ، بينما يظهر على الظهر الملك وهو متكئ عـلى رمحه، وتتسم العملات الكليكية بوجود الصليب ذي المقبض، والـذي يظهـر الملـك عـلى العملات التي تلت ذلك، وهو حاملاً إياه في يده اليسرى، كما تتسم أيضاً هذه العمـلات باسم طرسوس الـذي يـنقش عليهـا باللغـة الآراميـة وفي بعـض الأمثلـة نقـش بـاللغتين الآرامية واليونانية: أرقام 528-530 .

وبسبب استمرار وجود بعض الشكوك فيما يتعلق بتحديد التواريخ الدقيقة لبعض العملات، فإنه من الصعب الوصول إلى استنتاجات مؤكدة اعتماداً على هذه الأدلة المتمثلة في صورة عملات، وعلى الرغم من ذلك يمكن أن نقدم ملاحظتين جديرتين بالذكر، فمن ناحية تم نشر الصور الملكية في جميع أجزاء الإمبراطورية المختلفة من صيدا إلى كليكيا، ولقد تم تحقيق هذا الانتشار بطريقة مميزة باستخدام العملات المعدنية والأختام، ومن الناحية الأخرى، فإن تلك الرابطة المتكررة على أوجه وأظهر العملات المعدنية بين صور الحكام المحليين والملك الأكبر أو البطل الملكي تمثل ارتباطاً له مغزى سياسي واضح، ولكنه يخبرنا فقط بشكل غير كامل عن العلاقة بين الاثنين.

الفرس وملوك قبرص:

نتيجة لكونها تقع على بعد مرمى حجر أو اثنين من الساحل الكليكى، والذي استخدمه الفرس لمراقبتها، ظلت قبرص تدور في فلك النفوذ الأخميني، ولقد أخبرنا إيسوقراط Isocrates أن رجلاً يرجع أصله إلى مدينة صور الفينيقية والذي من المحتمل أنه كان أحد الفينيقيين الذين يعيشون في قبرص قام بخلع ملك سلاميس واستولى على السلطة مباشرة بعد عام 450، وفي إطار رغبته لتعزيز التفوق العسكري الهلينى لبطله إيفاجوراس Evagoras ، أعطانا إيسوقراط Isocrates انطباعاً كما لو كانت سلاميس ومدن قبرص الأخرى لم تخضع مطلقاً من قبل للفرس، وفي الحقيقة فإنه يكتب أن السيد الجديد لتلك المدينة أسرع إلى «تسليمها للبربر وأخضع الجزيرة إلى عبودية الملك الأكبر»، وفي الحقيقة، فإنه يبدو أن المدن القبرصية لم تتحرر مطلقاً من سيادة الفرس بعد أن تم سحق التمرد الأيونى راجع ديودورس Diodorus ، الكتاب الثاني عشر، 3-2، 4-2 ، وحوالي عام 415 وصل رجل آخر من «صور» اسمه أبديمون Abdemon إلى السلطة في المدينة، وذلك من المحتمل عن

طريق تجديد ولائه للملك الأكبر دارا Darius الثاني، حيث إن ديـودورس Diodorus اعتبره «صديقاً لملك الفرس» الكتاب الرابع عشر، 98-1 ، ولقد حاول ذلـك الرجـل قتـل إيفـاجوراس Evagoras ، والـذي يقدمـه إيسـوقراط Isocrates عـلى أنـه الوريـث الشرعى للأسرة الملكيـة التويسرية، ولقـد ذهـب إيفـاجوراس Evagoras للاحـتماء في سولوى في إقليم كليكيا، وهناك تمكن مـن تجنيـد قـوة صـغيرة واتجـه بهـا نحـو قـبرص، ونجـح في طـرد أبـديمون Abdemon ديـودورس Diodorus ، الكتـاب الرابـع عشر، 98-1 ، وعلى العكس مما يقوله إيسوقراط Isocrates فـإن ملـك سـلاميس الجديـد لم يحـاول إعـلان تمـرده عـلى الفـور، حتـى إننـا نجـده يعمـل كوسـيط بـين تيسـافرنيس Tissaphernes وأثينا في عام 410، وهو ما يشير إلى أنـه كانـت تربطـه علاقـات طيبـة بالمرزبـان الفـارسي، ولقـد كانـت مكانتـه خـلال هـذه الفـترة هـي تمامـاً كـما يمكننـا أن نستشفها من مناقشة ديودورس Diodorus التالية: «لقد كان الملك الوحيد لسـلاميس الذي كـان عليـه أن يـدفع جزيـة للملـك الأكـبر الـذي منحـه تلـك الوظيفـة الملكيـة في سلاميس» الكتاب الخامس عشر، 8: 2-3 ، ولقد كان هذا ينطبق أيضاً -وبشكل واضـح- على الملوك الثانويين الآخرين في قبرص، مثلما كان هو الحال مع ذلـك الشـخص المسـمى أجيريس Agyris ، والذي قدمه ديودورس Diodorus بعد ذلك بعـدة سـنوات عـلى أنه كان حليفاً للفرس سيماخوس الكتـاب الخـامس عشر، 98-2 ، وبـالنظر إلى الوضـع هناك من قلب الأحداث يتضح لنا أن تلك التقلبات التي مـرت بهـا قـبرص كانـت تعتـبر شأناً داخليًّا خالصاً، والذي لم يكن له أي تأثير على حقائق السيادة الفارسية عـلى قـبرص، وكما كان الحال في الفترة السابقة، فقد استمر الفرس في الاعتماد بشكل غير محدود على السـكان ذوى الأصـول الفينيقيـة، وتحريضـهم ضـد المجتمعـات اليونانيـة الأخـرى عـلى الجزيرة.

الفصل الخامس عشر

أرتاكسوكسيس Artaxerxes الثاني 405-458

وأرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث

359/358-338

1- حكم أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني: المصادر والمشكلات:

من وجهة نظر المـؤلفين اليونـانيين أن توافـق تـولي أرتاكسركسـيس Artaxerxes عنـد مـوت دارا Darius الثـاني قـد فـتح أطـول فـترة حكـم في التـاريخ الأخمينـي Achaemenid ، وعـلى أيـة حـال، فـإن الأمـر يرجـع إلى المـؤرخ عنـد اسـتهلال التأكيـد والتوضيح الخاص بالنقاط التي يجب اسـتكمال بيانهـا، وكـذلك التحريفـات الخطـيرة في إثبات صحتها، والذي يحمـل قبـل كـل شيء طـابع الوضـع السـائد المعـروف مـن خـلال المصادر الكلاسيكية، والتي لا تجذب انتباهاً مناسباً نحو الشؤون السياسية حول الواجهـة الغربية، ولحسن الحظ فإن قـورش Cyrus -لتشـغيل المرتزقـة اليونـانيين المنتمـين إليـه- يمدنا بالعديد من أشكال الوصف لتمرده حتى وفاته في معركة كيوناكسـا Cynaxa 404-401 ، وقد يمكننا أن نسلط الضوء حول الأمير الصـغير الـذي كـان في طريقـه إلى الهجـوم عـلى بـاكترا Bactra المدينـة الهادئـة وحـول مرحلـة الاسـتقرار النسـبي الإيـراني بعيـداً عن التلميحات والإشارات الضمنية الزائلة إلى الحشـود الصـاعدة ، وقـد يكـون أمـراً مهـمًّا بشكل خاص، وفي مثـل هـذه الحالـة المتقدمـة، فـإن قـورش Cyrus لم يكـن قـادراً عـلى تشغيل المرتزقة اليونانيين وتجنيدهم، وبهذه النتيجة فإننا نرى هذه الأحـداث عبـارة عـن

عبارات قليلة متناثرة مشابهة لتعليقات بلوتارخ Plutarch حول «عصيان وتمرد» آريامينز Ariaramnes ضد كسركسيس Xerxes ، ويعتبر المؤلفون الكلاسيكيون أقل هذراً وثرثرة حول الأربعين سنة القادمة - فترة الحكم الكامل لأرتاكسركسيس Artaxerxes - ولدينا قليل من المصادر الروائية، ولكن ليس منها ما يجيب عن الأسئلة، أو يسد احتياجات مؤرخ الإمبراطورية الأخمينية Achaemenid Empire ، وفي الهلينية Hellenica التاريخ الإغريقي - اليوناني - ما بين القرنين الرابع والأول قبل الميلاد ، استمر زينوفون Xenophon في عهده في إنشاء علاقات بين المدن الإغريقية حتى عام 362-361 ق. م، وحيث إن زينوفون Xenophon ، بالإضافة إلى مؤلفي Helenica of oxrhynchus المجهولين المغفلة أسماؤهم قد حصلنا على المعرفة الخاصة بالصراعات الإغريقية-الفارسية في آسيا الغربية والدور المتزايد للملك العظيم في الشؤون اليونانية، ومن ناحية أخرى فإن زينوفون Xenophon لم يعد مهتماً بدرجة واضحة بالحياة الداخلية للإمبراطورية أكثر من أسلافه، إن مناقشات ديودورس Diodorus المحدودة لمثل هذه الأمور المتعلقة بالنزاعات الإغريقية-الفارسية والتي تنبثق عن إفورس Ephorus ، إذ أن كلاً منهما قد تأثر بموضوع الضعف السياسي والعسكري للملوك العظماء، ويغطي العمل الخاص بستيسياس Cetsias الأحداث التي تمت حتى 382 ق. م، ويعتبر Dinon مؤلفاً آخر لـ Persica الخاصة بتاريخ بلاد فارس، وهو أيضاً مؤرخ نجد الموثوقية الكبرى في تناوله للشؤون الفارسية طبقاً لما ورد عن س. نيبوس C.Nepos ، والذي كتب كتاباً عنوانه «حياة داتامس Life of Datames »، ولكن قد يعطي انطباعاً أنه كان مهتماً وبشكل خاص بالبرتوكولات الملكية، ونحن نعلم أن ستيسياس Cetsias كان مصدراً للإلهام لـ Aelien ، والتي تقع معظم أحداثها في فترة الحكم الفارسي لأرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني .

وقد تحول بلوتارخ Plutarch عن ستيسياس Ctesias ، دينون Dinon ، زينوفون Xenophon ، وقليل من المؤلفين الآخرين عندما كتب كتابه الخاص «بحياة أرتاكسركسيس Artaxerxes السيرة الذاتية الوحيدة لملك عظيم، والتي قد وصلتنا حتى الآن، وقد تم تخصيص 12 فصلاً من فصوله الثلاثين للعلاقات بين الملك وقورش Cyrus الأصغر 2-13 ، وخمسة فصول قد تم تخصيصها لخلافة أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني 26-30 ولم تسترعِ الأمور الدبلوماسية والعسكرية كثيراً من الاهتمام من جانبه، وقد كتب فقط عن علاقات الإسبرطيين 20-22 ، وحملة ضد الكادوسيين 24-25 Cadusians ، وقد صنع تحريفاً زائلاً نحو حملة مصرية 1-24 ، إن الصياغة اللفظية تتركب بشكل أساسي حول الشخصيات والشؤون الملكية، وحول شخص واحد هو باريساتس Parysatis ، وهي تولي قورش Cyrus دعمها غير المشروط، خاصة في الفصول التي تتناول الانتقام الغاشم الذي تم تنفيذه ضد أولئك الذين شكلوا معارضة لابنها المفضل، خاصة أولئك الذين تفاخروا بقتله في ميدان المعركة 14-17 ، وفي الوقت نفسه فقد استخدمت نفوذها لتسهيل القيام بسجن Clearchus ، وقد أصبحت Stateira هدف بارتيساتس في غضب الانتقام، وقد لقيت حتفها مسمومة في مكيدة دبرتها لها حماتها 19 ، وقد اهتم بلوتارخ Plutarch أيضاً بشكل كبير بالشؤون الشخصية والتي تتضمن زواج أرتاكسركسيس Artaxerxes لابنته أتوسا Atossa ، وصراعه مع ابنيه الأكبر دارا Darius بشأن ما يتعلق بـ Aspasia رفيقة قورش Cyrus السابقة، والبلاط الملكي كما يراه بلوتارخ Plutarch وستيسياس Cetsias قد برزت فيه شخصيتان استثنائيتان، ستاتيرا Stateira وباربساتس Parysatis ، واللذين قد كانت الكراهية التي يضمرانها لبعضهما البعض ملتهبة بشكل مستمر، وقد احترقت بارساتس ستاتيرا أكثر من أي شخص آخر لأنها كانت لا تتمنى

أن تكون هناك شخصية ذات نفوذ وسلطة مثلها «وبعد الإطاحة بالكنة زوجة الابن فإن نفوذها السياسي الذي كان قد أصبح بعيداً عن كونه تافهاً قد نما وبشكل ملحوظ»، «وقد حصلت على القوة العظيمة النفوذ الكبير مع أرتاكسركسيس Artaxerxes ، وقد تم تفخيمها وتلبية كل طلباتها، وقد كانت سريعة في استخدام نفوذها وسلطانها لمنح الامتيازات لأولئك الذين يحبون الملك وابنته آتوسا، ولم يستمر غضب الملك بعد مقتل ستاتيرا بعدما قام بنفي باريساتس إلى بابل، وكان قد تصالح معها، وأرسل في طلبها بعد التأكيد على أنها كانت لديها من الحكمة والشجاعة ما يناسب السلطان الملكي، وهناك امرأة أخرى -ابنة زوجة الملك آتوسا- كان يبدو أن لديها رغبة وشهوة قوية نحو السلطة، ويخبر بلوتارخ Plutarch أنها كانت تدعم أوتشس Ochus أكثر من إخوتها الآخرين، بل كانت لها معه شؤون خاصة، وقد تدرج طموحها في النمو لدرجات أعلى بعد صدور حكم الإعدام على الابن الأكبر دارا Darius ، والذي كان قد وضع مؤامرة ضد أبيه لأنه سرق أسباسيا Aspasia ، وكان أوتشس عالياً في آماله، واثقاً في نفوذ وسلطة أتوسا، ومن خلال السيرة الذاتية لأرتاكسركسيس Artaxerxes تظهر أن البلاط الفارسي كان يتم استغلاله واستهلاكه من جانب الطموحات البغيضة والعنيدة من جانب الخصيان والمحظيات، بواسطة الاغتيالات وتنفيذ أحكام الموت التي أضافت رعباً إلى الرعب القائم»، بواسطة الاتهامات المضادة للعامة، وبواسطة المكائد والضغينة التي كان يرجع سببها إلى الغزل والحب، من السهل إذن أن نفهم النهاية الكارثية للرواية، التي تتبع قصة انتحار أحد أبناء أرتاكسركسيس Artaxerxes ومقتل آرساميز Arsames على يد أخيه أوتشس.

وعندما سمع أرتاكسركسيس Artaxerxes بمصير آرسامز لم يستطع أن يصمد حيال ذلك مطلقاً، بل غرق تحت وطأة الحزن والكآبة، لقد كان

حكم أرتاكسركسيس Artaxerxes ذورة الخطيب الأثيني أُسقراط Isocrates واحداً من أولئك المسؤولين عن فكرة «التدهور الفارسي»، لقد كان أُسقراط بطلاً للهلينية الكاملة، موالياً للفكر والعادات والأساليب الإغريقية القديمة، والحرب ضد بلاد فارس، ولم يتوقف أبداً عن حث الإغريق على مقاومة الاعتداء والاغتصاب الذي حدث على الإمبراطورية، والذي وصفه بأنه متدهور وانحطاطي، ويتجلى هذا الأمر واضحاً في مقطوعات المديح والإطراء الشعرية والنثرية البانجريكس Panegyricus ، والتي قد تمت كتابتها في نهاية عام 380 ق. م، وإذا كان ينبغي تصديق ذلك فإن الفرس لم يعودوا يسيطرون على قطعة أرض غربية واحدة من المضايق البحرية حتى حدود مصر، ومثل الكثيرين خاصة زينوفون Xenophon في كتابه الخامس الخاص بسيروبيديا Cyropedia ، فإن المعلم الأثيني قد وجد سبباً للأمل في إرسال العشرة آلاف عبارة يتم تطبيقها فيما بعد على المرتزقة اليونانيين الإغريق التابعين لقورش Cyrus ، وقد تم عرض الإرسالية/ البعثة وتقديمها كدليل مطلق على العجز الفارسي للدفاع حتى عن قلب إمبراطوريتهم، إن ما يطلق عليه اسم «ثورة المرزبانات العظيمة» في عام 360 ق. م قد بدأ لفترة طويلة مؤكداً أن أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني لم يمارس شيئاً من السلطة أكثر من السلطة الزائفة على الولايات التي تم تدميرها من خلال الاعتداءات الإغريقية والنزعات الذاتية للحكام، ويجب علينا التأكيد مرة أخرى على أن أهمية فك التشفير الأيديولوجي للنصوص الكلاسيكية لم يكن في حد ذاته يمنح ترخيصاً بإعادة صياغة بسيطة تكون صورة المرآة الحقيقية للمنظور اليوناني، ومن المناسب بمكان إذا أردنا الاستغلال الأمثل لهذه النصوص أن نوجه لهم بعض الأسئلة التي تذهب إلى ما وراء مشكلة/ أزمة العلاقات الإغريقية-الفارسية، وبعبارة أخرى فإذا ازداد الموقف الفارسي سوءاً فإننا في حاجة إلى مصادر إضافية لإثبات

ذلك، ويتضح أن الموقف برمته أكثر تعقيداً لأن الفراغات في التوثيقات/ الوثائق من المنتصف الوسط تتطلب في الوقت نفسه من المؤرخ أن يستخدم السجل الكلاسيكي ذاته لتصحيح الرؤية الإلهامية حيال هذا النص، ولكنه، عندما يتم قول وعمل كل ما يلزم، فإن التناقض يعتبر تضليلاً عقليًّا بسبب المؤلفين الإغريق أنفسهم بشكل رئيس، ويوضح بلوتارخ Plutarch على نقطة ضعف العسكرية للملك العظيم 20، 1-2 ثم إظهار بسالته وبراعته الفائقة كمحارب/ رجل حرب 24، 9-10 ، وينبثق ثاني هذه القطع الإنشائية مباشرة من الدعاية الملكية، ومن واجب المؤرخ أن يحاول التوصل إلى استيعاب على أساس النصوص الأيديولوجية العالية التي تتموج بين تشويه السمعة والاعتذار، ومن الأفضل تسليط الضوء على بعض القطع الصغيرة القليلة المتناثرة من الحقيقة والوضع التاريخي.

الرؤية/ المشهد من صوصا Susa ، وبابل، وبيرسيوليس، إن المهمة تبدو دقيقة؛ لأن المصادر في منتصفها تظل غير ملائمة مقارنة بالمصادر الكلاسيكية، ومع ذلك فتلك المصادر لم يحسم أمرها بعد عن الحضور بشكل كامل، إن معظم المعلومات التي حصلنا عليها تتناول أنشطة الملك كمشيّد وواضع أسس البناء والتعمير بسبب العبارات المنقوشة التي وجدت في مواقع عديدة، وفي الوقت نفسه رغم إن العبارات المنقوشة الملكية تستمر في قالبها غير الروائي، فإنها أيضاً تعرض إبداعات جديرة بالملاحظة، والتي تستحق الفحص -على سبيل المثال- لأول مرة يستشهد ملك عظيم بحماية آناهيتا Anahita ومثيرا Mithra .

وأخيراً، فيجب تذكر أن المصادر الكلاسيكية تنقل في بعض الأحيان بدرجة دقيقة ومناسبة بالزيادة أو النقصان الوثائق والقرارات القضائية التي وردت عن الدُواويشية الملكية، وهناك مثال آخر يعتبر مثالاً مهماً

ومرجعاً جديراً بالاهتمام في بيروسس Berossus لنظام ملكي بشأن ما يتعلق بعبادة آناهيتا في مناطق مختلفة من الإمبراطورية من باكترا Bactra إلى سارديس Sardis ، وأخيراً فإن بلوتارخ Plutarch ومصادره قد حصلوا على معلومات حاول البعض أن يخفيها عن تاريخ البلاط الملكي واللوائح الملكية، والتي يسرت علينا متابعة تنظيم البلاط الملكي في الدولة الوسطى الفصل 7 ، ويرجع الفضل أيضاً إلى بلوتارخ Plutarch الذي يمدنا بالمعلومات عن احتفالات تقليد منصب أو رتبة ملكية في باسارجاداي Pasargadae ، إن فترة حكم الملك أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني وخلفائه المباشرين تتضح من خلال شهود إثبات محليين، خاصة في آسيا الصغرى، واليهودية، والسامرة، وفي بابل أيضاً.

وهناك بعض الأوراق التي تعرض الصدى الوحيد لحملة قورش Cyrus ضد أخيه؛ لأن النظام الخاص بزينوفون Xenophon لا يمكن أن يكون أكثر من الـ lunuإB المعروف حاليًّا من خلال مجموعة من الأوراق البابلية، وفي الوقت نفسه، فإن التحريفات في وثائق بابلية أخرى تكشف عن جهلنا، وثمة ورقة يعود تاريخها إلى 38 سنة من حكم أرتاكسركسيس Artaxerxes ترجع إلى معركة فازت بها «الفرق العسكرية/ جنود الملك وأخرى من الشهر السابع من العام السادس والثلاثين للملك تذكر أن أرتاكسركسيس Artaxerxes قد جمع حشوده وغادر ليحارب في مقاطعة رازآوندا Razaunda في ميديا Media ، ومع توفر بعض النصوص الكلاسيكية التي تذكر أيضاً إرساليات دارا Darius الثاني وخليفته في ميديا زينوفون Xenophon وبين الكادوسيين بلوتارخ Plutarch -14 مقال ، وتسهم هذه الأوراق في استرداد الاتساع والعمق نحو الحضور الملكي الذي يهدف التقليد اليوناني إلى محوها من ذاكرة القارئ، وبشكل يبعث على التناقض، فإن الورقة القرص الفلكية التي تعتبر

واحدة من الأقراص الأكثر معرفة على الأقل في البنود الروائية تتعامل مع الأمور التي تحدث على الواجهة الغربية على جزيرة قبرص.

2- الحرب بين الشقيقين 401-404 من دارا Darius الثاني إلى أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني:

بالإضافة إلى الأشقاء الأطفال غير الشرعيين المولودين لمحظيات خليلات [زينوفون Xenophon Anab 11.4.25] ، فإن دارا Darius الثاني كان له عديد من الأبناء من زواجه من باريساتس، وقد كان الزواج مثمراً إلى حد ما -على حسب ما يذكره ستيسياس Ctesias - من أن دارا Darius الثاني وزوجته باريساتس كان لهما ثلاثة عشر طفلاً، معظمهم قد مات قبل النضج، وقد نجا منهم ابنة تدعى Amestris وأربعة أبناء، الأكبر Arses الذي ولد قبل عام 424، ثم قورش Cyrus ، واستانز Ostanes وأوكسازيرس Oxathres بلوتارخ Plutarch مقال 1-2 ، والآن عندما رقد دارا Darius مريضاً وشك في اقتراب نهاية حياته كان قد تمنى أن يأخذ كلاً من ولديه معه، كان الأكبر منهما معه بالفعل، ولكن قورش Cyrus تم استدعاؤه من مقاطعته التي كان قد ألقى بقبضته عليها، وأصبح حاكماً عليها زينوفون Xenophon 101: 1-2 ، ثم جاء قورش Cyrus مصحوباً بـ Tissaphernes وفرقة من المرتزقة اليونانيين، ويقول بلوتارخ Plutarch إنه قد تم استدعاء قورش Cyrus بواسطة والدته، والتي كانت تفضله عن أخيه الأكبر، ويقول أيضاً إنها حاولت أن تقنع زوجها المريض أن يختار قورش Cyrus ، باستخدام المناقشات نفسها التي ينسبها هيرودوت Herodotus إلى ديماراتس عندما كانت خلافة دارا Darius موضع التساؤل، إن التكرار الواضح للدوافع وراء ذلك كان مشكوكاً فيه، ومن غير المحتمل أن دارا Darius الثاني كان ينتظر حتى نهاية حياته لتسليم الخلافة يصدر مرسوماً يوضح من سيتولى بعده

مهام الحكم ، حتى مع إننا غير قادرين أن نحدد التاريخ المضبوط، فإننا حتماً سنفترض أن تعيين Arses كأمير للتاج قد حدث قبل ذلك مرات عديدة، إن الأسباب الحقيقية لاختيار دارا Darius غير متوفرة لدينا، ولكن من المحتمل أن وضع Arses كونه الأكبر كان في صفه، وعلى أية حال، فبعد موت والده أجلس الابن الأكبر نفسه على العرش، وأخذ اسم أرتاكسركسيس Artaxerxes ، وفي هذا الوقت كان قد تم تنصيبه في باسارجاداي في احتفال مهيب وصفه لنا بلوتارخ Plutarch المقار 3 1-2/ الفصل 2/13 .

ويذكر التقليد أن آرسيز قد سمع كلمات والده الأخيرة على فراش الموت، وبالطبع يذكرنا هذا السيناريو بمشهد يصوره زينوفون Xenophon في نهاية موسوعة السيروبيديا Cyropaedia باستشعار حماسه المتدني، استدعى قورش Cyrus كلاً من قمبيز Cambysys ، و Tanaoxeres والمسؤولين العظام، وكتب زينوفون Xenophon حديثاً طويلاً للملك، وفي نهاية هذا الحديث لفظ أنفاسه مع آخر كلمة فيه، وفي هذا الحديث قسم السلطات بين أخويه الاثنين، الأكبر فيهما قمبيز Cambysys قد تسلم منصب الملك، والأصغر تسلم حكم مقاطعة فسيحة لكونه مرزباناً، أما قورش Cyrus ، الذي كان واعياً بالمخاطر المحتملة المحيطة بخلافته، واستحلف وناشد أبناءه بأن يعيشوا في تناغم، وبوجه خاص «لا بد أن يكون هناك أثر في المولود الثاني بألا تسمح لأي شخص أكثر استعداداً من نفسك يخضع الطاعة إلى أخيك، أو بشكل أكثر حماسة يدعمه».

والتقليد المسجل بواسطة Athenaeus يمثل عنصراً من عناصر الدعاية الخاصة بالبلاط الملكي، الذي كان قد تم تحديده لبيان شرعية حكم أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني أكثر من قورش Cyrus الأصغر، ويذكر تقليد آخر أن الدافع الحقيقي وراء استدعاء قورش Cyrus كان مختلفاً -إلى حد ما- عن الدافع الذي سرده بلوتارخ

Plutarch ، لقد تم اتهام قورش Cyrus بتنفيذ حكم الإعدام في عضوين من العائلة الملكية Autoboisaces & Mitraeus في سارديس، وطبقاً لهذه النظرية تم استدعاؤه للإجابة عن القضايا التي ارتكبها، وهذه البيانات من غير الممكن التحقق منه أو وجود بيانات محتملة.

ومما لا شك فيه أنه بينما كان قورش Cyrus مخلصاً لوالده، فإنه قد اكتسب تأييداً للربح الذي استطاع عمله من المركز الكبير الذي منحه إياه دارا Darius في سارديس، لقد تم إصدار مجموعة من العملات أثناء هذه الفترة بما يدل على إظهار ميزة تسلم بها هذه الفترة، ويطلق عليها «البوصات» الأثينية مدموغة بصورة الملك، والذي من المؤكد أن يكون هو دارا Darius الثاني، ومما يزيد الأمر تشويقاً أن بعض الأمثلة الفردية تحمل صورة ثانية، وهذه الصورة الأصغر حجماً تتسم بخاصيتين: أنها لا ترتدي الكيدراس Kidaris الملكية، وغير ملتحية، ومن المحتمل بذلك أنها تمثل قورش، وهذا حتماً ليس نظام سك عملات الثورة، بل إن هذه الصور المحاكية للبوصات الأثينية كانت دون شك مدموغة في سارديس بواسطة الكارنوس Karanos لدفع الأجور الخاصة بالوحدات البيلوبونيسة العسكرية Peloponnesian units ، ومع ذلك فإنها أيضاً تثبت الرأي القائل بأن قورش Cyrus كان يسيطر/ يحكم قبضته على نفسه، وكذلك اتساع نفوذه، وطبقاً لما ذكره بلوتارخ Plutarch أنه قبيل احتفال تنصيب أرتاكسركسيس Artaxerxes كان يسايزس قد عرض وأفصح عن طموحه بشكل صريح، وقد اعتمد Tissaphernes على شهادة المجوس الذين تنبأوا بتعليم قورش Cyrus ، وإحضار وإلقاء الاتهامات عليه مثل أنه كان على وشك أن يكذب انتظاراً لتولي منصب الملك في المعبد، واغتصاب العرش، بل واغتيال الملك، حيثما كان يؤجل تغيير ثوبه لكي يمنح رداء لقورش Cyrus الأكبر سناً ، والبعض يؤكد أنه قد تم اعتقاله جرّاء هذه الاتهام، وآخرون يذكرون أنه قد دخل المعبد، وأشير إلى وجوده

هناك، حيث رقد مترصداً بجانب الكاهن، «وقد تـم إنقـاذه مـن محاولـة الإعـدام فقـط بواسطة الحجج الفورية التي قدمتها باريساتس، «أرتاكسركسـيس Artaxerxes أرسـله ثانية إلى البحر»، وتظهر اتهامات المجوس Magus شرعية بشـكل خـاص؛ لأنـه كـان مـن المحتمل أن يصاب بخيبة أمل مثله مثل أي رجل لا ينجح تلميذه في الوصول إلى العرش، وحتى إذا كانت هذه القصة تقدم لنا انطباعاً أن قورش Cyrus كان لديه وسيلة دعـم أخرى في البلاط الملكي، فضلاً عن دعم والدته، والذي ظـل أمـراً يصـعب تصـديقه، ومـن الصعب أن نتخيل أن المطالب بالعرش ليس له حـق صريـح فيـه يقـوم بتشـويه سـمعة الحرم المقدس لـ Anahita ، وقد تم اختراع هذه القصة بـلا شـك فـيما بعـد كجـزء مـن الدعاية الملكية، والتي تم تصميمها لمحو الذاكرة عن أخيه المتمرد، ومع ذلك فإن وجـود الصراع في مثل هـذا الوقـت لا يمكـن إنكـاره، ورغـم أن زينوفـون Xenophon لم يكـرر القصة التي تم عرضها بواسطة بلوتارخ Plutarch فإنه يقص لنا أنه بعد اقتراب تـولي/ اعتلاء أرتاكسركسيس Artaxerxes العرش قد تم شـجب قـورش Cyrus مـن جانـب Tissaphernes وأنه مدين بنجاته إلى تدخل والدته.

استعدادات قورش Cyrus واستجابة أرتاكسركسيس Artaxerxes من ممفيس إلى سارديس:

بعدما تم تنصيب أخيه عـلى العـرش، رجـع قـورش Cyrus إلى سـارديس، ومـع ذلك لم يعد يرضي نفسه ويقنـع بمـا حـدث، لقـد جعلـه بغضـه أكـثر رغبـة في اغتصـاب المملكـة مـن ذي قبـل، وكـان Tissaphernes الـذي كـان يعتـبره صـديقاً كـان بجانبـه دائماً يسانده، وثمة أحداث جديدة قد أثبتت لـه أن Tissaphernes أراد فقـط أن يـتخلص منه، ومن ثم فقد اعتبر قورش Cyrus أنه من الحكمـة أن يقـرر مـا هـو فاعلـه في سريـة تامة حتى يتسنى له أن يأخذ الملـك كونـه غـير مسـتعد تمامـاً قـدر الإمكـان، لقـد اسـتمر

في مراسلة أخيه باستمرار وبانتظام، وكان يستضيف مبعوثيه بشكل فيه إسراف وتبذير وبذخ آملاً في أن يضمهم إلى صفه، وبالإضافة إلى ذلك، فقد أحال الدعوى ضريبة/ جزية/ إتاوة إلى بلاط الملك بانتظام، وحتى يتمكن من حشد الفرق العسكرية دخل قورش Cyrus في اتفاقيات سرية مع رؤساء المرتزقة الذين كانوا ضيوفاً عليه، وطلب من كل منهم أن يكون مستعداً لأي طارئ، وأن يستجيب بشكل فوري لأية استدعاءات قد يمكن إرسالها، وفي الوقت نفسه تفاوض مع السلطات الإسبرطية، مذكراً إياهم بالخدمات التي قدمها لهم من قبل أثناء نضالهم ضد المقاطعات الأثينية في آسيا الصغرى، وقد استجاب ليسديمون Lacedaemon بشكل إيجابي لاتصاله، ويشمل ذلك بشكل رسمي أن ينصب Clearchus نفسه ويكرسها لخدمة بلاد فارس، ويصدر أمراً لقائد الأسطول البحري يخضع نفسه فيه إلى أوامر قورش Cyrus في حالة أن لديه أي طلب، ويتضح أن السلطات الليسديمونية كانت تحرص على ألا تعلن عن نفسها بشكل صريح، مفضلة أن تنتظر نتيجة المواجهة المعلقة غير المفصول فيها بين الشقيقين، وأخيراً فإن كلاً من دارا xiv.35.2 Darius وزينوفون Xenophon يشيران إلى أن عدداً كبيراً من المدن الإغريقية ارتدت إلى قورش، متخلية هاجرة Tissaphernes ، والذين كانوا ينتمون إليه في الأصل بهبة أو منحة من الملك»، وعلى الفور فإن قورش Cyrus قد حاصر ميليتيوس Miletus عندما رفضت أن تقبل سيطرته عليها، وجاء قورش Cyrus بكل أنواع الأعذار ليبرر استعداداته العسكرية، أولاً ذكر قورش Cyrus أنه كان يستعد لشن حرب على Tissaphernes الذي كان قد أبعد المعارضة لكي يحكم قبضته على Miletus ، وكان تفسير ذلك أنه قد قام بطلب اثنين من قادة المرتزقة اليونانيين، قائلاً إنه كان ينوي أن يشن حرباً على Tissaphernes بمعاونة ومؤازرة المستبعدين المنفيين الميلسيين، ثانياً أنه عندما جمع

قورش Cyrus حشوده العسكرية في ساردیس في فصل الربيع لعام 401، فإن الحجة التي قدمها كانت أنه تمنى أن يجلي كل البيسيدينيين من أرضه بشكل كامل، وهذه الخدعة كان مخططاً لها من أجل المرتزقة اليونانيين، والذين لا يهتمون بالسير ضد الملك العظيم شخصيًّا، وكان ذلك يعني أن يخفف من شك رجال الملك، حيث إن البعثات العسكرية ضد البسيدينيين كانت مجرد عمل روتيني، ولم ينخدع Tissaphernes بذلك؛ لأنه قد لاحظ مثل هذه التطورات، وتوصل إلى أن استعدادات قورش Cyrus كانت توسعية أكثر من اللازم حتى تكون موجهة ضد البسيدينيين، ولقد اتخذ طريقه إلى الملك بأسرع ما يمكن بحوالي 500 راكب خيل فارس ، وعندما سمع الملك Tissaphernes عن تنظيم صفوف قورش Cyrus العسكرية واستعدادها لخوض المعركة نادى باستعدادات مضادة لمواجهة ذلك، وهذا على أية حال، هو رؤية زينوفون Xenophon للشؤون الفارسية في آسيا الصغرى بين 404-401، وفي رواية زينوفون Xenophon أن أرتاكسركسيس Artaxerxes لم يمتلك بصيرة «لقد فشل الملك في إدراك المكيدة ضد نفسه، ولكنه اعتقد أن قورش Cyrus كان ينفق على فرقه العسكرية؛ لأنه على وشك خوض حرب مع Tissaphernes ، وبالتالي فإنه لم يكن مسروراً أبداً لأن يخوض حرباً ضد أحدهما الآخر»، ومن الصعب تصديق أن نفوذ وتأثير باريساتس كان كافياً لأن يخدع أرتاكسركسيس Artaxerxes بشأن نوايا قورش Cyrus الحقيقية، وتشير عمليات الذهاب والإياب بين ساردیس والقصر المركزي إلى أن تقارير عديدة وصلت إلى الملك العظيم، ومن الصحيح أن ملحوظة زينوفون Xenophon يمكن تفسيرها من خلال سياسة ملكية، قد أشير إلى انتهاجها لموازنة قوة المرزبان مع قوة الآخر، ولكن من الصعب أن نفهم لماذا اختار أرتاكسركسيس Artaxerxes أن يدعم أخاه، والذي كان طموحه معروفاً لديه منذ وقت طويل حتى إذا كان قورش

Cyrus حريصاً على إرسال الأتاوة الجزية/ الضريبة التي جاءت من المدن التي اختارها إلى البلاط الملكي»؛ لإتاحة فرصة لتملك ما كان ينتمي إلى Tissaphernes ، ولا شيء يقترح أن أرتاكسركسيس Artaxerxes قد استجاب بشكل استحساني إلى قورش Cyrus الذي أصر على أن هذه المدن الأيونية Ioniancities يجب أن تُسلم له بدلاً من بقائها تحت حكم وسيطرة Tissaphernes ، وبدلاً من ذلك، يستطيع الفرد أن يحصل على انطباع أن هذه التفسيرات تتكامل قليلاً بشكل أكثر نجاحاً في صورة متعمدة للملك توجد بشكل خاص في الفصول الافتتاحية لبلوتارخ Plutarch ، والذي يجد سروره في مقارنة الشخصية المتحيرة والمضطربة لأرتاكسركسيس Artaxerxes مع طموح أخيه النشيط المستمر، وجلبت قضية أورونتاس Orontas أفكاراً مختلفة جدًّا إلى العقل، وها هو يتضح كيف أن قورش Cyrus نفسه قد صوره فيما بعد لوصف هذا الشخص، والذي كان يحاكمه على أساس اتهامات بالخيانة في صيف 401، «لقد أُعطى هذا الرجل لي من قبل والدي لكي يكون خاضعاً لي ثم في البداية -كما يذكر هو نفسه- من جانب أخي، أن هذا الرجل قد شن حرباً ضدي، محصناً في قلعة سارديس، لقد فضل أورونتاس أن ينخرط في مواجهة بالسلاح ضد أتباع قورش Cyrus الذي اتهمه بهجره وانضمامه إلى الميسيين، ونهب المقاطعة الخاصة لسيطرة قورش Cyrus ، ويوضح المثال بقوة أن الحرب بين أرتاكسركسيس Artaxerxes وقورش Cyrus قد بدأت منذ وقت طويل قبل الارتحال من سارديس في مارس 401، وأن كلاً من أورونتاس وتيسافيرنز قد تلقيا أوامر من الملك أن يقوضا طموحات أخيه الأصغر، ويقدم إفوراس Ephorus نسخة من تاريخ ومصدر الاتهامات ضد قورش Cyrus تختلف تماماً عن تلك التي قدمها زينوفون Xenophon ، لقد نُقلت عن ديودورس Diodorus ، نيبوس، وبلوتارخ Plutarch ، وبالنسبة لإفوراس فقد تم نفي

واستبعاد Alcibiades من أثينا، وتم اجلاؤه تماماً، فقد اتخذ ملاذاً وملجأ في القصر الملكي لفارنالياذيس Pharnabazus في دايسليم Dascylium الذي أعطاه مدينة جرينم Grynium ، حتى يتمكن من سد احتياجاته، وعند هذه النقطة لجأ Alcibiades إلى تحالف مع الملك العظيم لكي يعيد شن الحرب على إسبرطة، وعندما علم باستعدادات قورش Cyrus ، رأى طريقاً للحفاظ على وكسب تأييد أرتاكسركسيس Artaxerxes ، وأنه قد أزعج فادنابزيس من أجل اتصال سياسي آمن، وقد تعهد الأخير بعمل ذلك، ومع ذلك طبقاً لما أورده ديودوريس Diodorus فإن فارنابزيس قد استغل وظيفة أنه محرر الأخبار ناقل الأحداث ، وأرسل رجالاً موثوقاً فيهم لكي يقصوا الأمر على الملك، وقام أيضاً باغتيال Alcibiades بينما كان في الطريق مع مساعدة صحبة مزربان بافلونيا الغامض، وطبقاً لما جاء في هذه النسخة فإن أرتاكسركسيس Artaxerxes كان قد أُعلم بالاستعدادات العسكرية التي يقوم بها أخوه 403-404؛ ولذلك فقد واجهنا مصدرين متناقضين، ومن المحتمل أن واحداً جاء من البلاط الملكي في سارديس والآخر جاء من البلاط الملكي في داسيليم، كيف يمكننا إذن أن نختار بينهما؟ قد يمكننا أن نستبعد المصدر الثاني من خلال اقتراح أنه في هذه القطعة -كما هو الحال على الأقل في أية قضية أخرى- أن ديودوريس Diodorus يخلط بين Pharnabazus و Tissaphernes ، ولكن هناك تحليلاً لطريق Alcibiades يؤكد أنه قد ترك وغادر حقًّا داسيليم، ومن هنا نستنتج أن نسخة الداسيليم قد اخترعت فيما بعد لدعم وتعضيد وضع Pharnabazus عن Tissaphernes الذي قد تلقى سلطة واسعة في آسيا الصغرى بعد معركة كيوناكسا.

وهذا الافتراض يعتبر افتراضاً عقلانيًّا بشكل تام بعيداً عن حقيقة أن المنافسة بين الحاكمين المرزبانين تشهد بدايتها على الأقل في أوائل عام 412، ويمكننا أن نضيف أن بعض الأحداث التي أخذها دارا Darius

الثاني عام 447 قد تكون وحدها هي التي أثارت عداوة فارنابازيس ضد قورش Cyrus والذي -كونه القائد العام للفرق العسكرية- قد أحكم السيطرة على Aeolios والمقاطعات المجاورة لها، وهذه المناطق قد تم التنازع عليها بين كل من ساردیس وداسيليم، ومن المنطقي أن نفضل نسخة فارنابازيس عن الامتداد الذي تقدمه كصورة للسلطة المركزية، والتي تتناغم وتتسق مع السياسة المنتهجة في ساردیس ضد قورش Cyrus ، والمواجهة الدفاعية الواحدة المضادة يقدمها لنا ديودورس Diodorus نفسه، باحتمال أنه يتبع خطوات إيفوراس، بعد وصف تحرك قورش Cyrus نحو بابل، فإنه يقدم موقف أرتاكسركسيس Artaxerxes كما يلي: لقد عرف لبعض الوقت قبل Palai من فارنابازيس أن قورش Cyrus كان يجمع سراً جيشاً يقوده ضده، والآن عندما علم أنه على رأس المسيرة نحو الدولة الكبرى فقد أرسل في طلب القوات الحربية من كل مكان إلى إكباتانا في ميديا، ومع ذكر أن فارنابازيس قد حذر الملك سابقاً، يشير ديودورس Diodorus إلى أنه لم يصنع أي شيء في الفترة الفاصلة رغم أن التعبير الذي قد تم استخدامه يمكن أن يقصد به أن الترتيب والنظام المأخوذ عن ديودورس Diodorus يتكون بشكل بسيط من إصدار الأوامر إلى الفرق والحشود العسكرية المعبأة للتحرك نحو محطات التجنيد الخاصة بكل منها.

وفي الوقت نفسه من الواضح أن القصص الخاصة بالمؤلفين الإغريق قد تم تخصيصها بشكل منفرد لحملة قورش Cyrus العسكرية، وهذا يقودنا إلى نظرية أخرى: تمرر المصادر الكلاسيكية أحداثاً مهمة في مناطق أخرى من الإمبراطورية في صمت، والتي تفسر نقصاً واضحاً من نشاط أرتاكسركسيس Artaxerxes أفضل من سر يقوم بتنفيذه بواسطة قورش، وهذا التفسير يسهل اختياره وإن لم يكن يقيناً كاملاً، وفي الحقيقة -في الوقت نفسه- واجهة أخرى تتطلب انتباهاً كاملاً من

أرتاكسركسيس Artaxerxes وهي مصر، ونحن نعلم أنـه بعـد وصـول قـورش Cyrus إلى سيليسيا صيف 401 ، فإن أبروكوماس توجه إلى الفـرات، ثـم إلى بابـل متحـولاً عـن طريقه في رحلته من فينقيا، والمعنى يصبح واضحاً -كـما يحـدث في كثـير مـن القصـص- تركيز جيش في فينقيا يشير إلى هجوم ضد وادي النيل، وتؤكد الوثائق الألفتينية أنـه قـد كانت هناك ثورة مصرية، والوثيقـة الأخـيرة إلى أرتاكسركسـيس Artaxerxes الثـاني في Elephantine يرجع تاريخه إلى نهاية 401.

ويشير آخر سبتمبر 400 إلى السنة الخامسة للملك أميتايس Amytaeous الذي كـان قد لقب بالفرعون خلال عام 404، ولا بد أن سليل المتمردين الذين نعـرفهم في الـدلتا أثنـاء القرن الخامس -وبشكل خاص ومحدد- حفيد أميتايس، وتوضح الوثائق الأليفنتية الضـخمة أنه بين عامي 400 و404 ظل صعيد مصر تحت السيطرة الفارسية، ولكن أميتايس قد أحكم قبضته على كل أو جزء من الدلتا، ومن الواضح أنه حتى يتم قهره وإخضاعه بعد خلافته أن أرتاكسركسيس Artaxerxes قد جمع جيشه في فينقيا تحت قيـادة أبروكومـاس، ولم تكـن هذه المرة الأولى أن الحكام المصريين في الدلتا يحاولون أن يربحـوا مـن خلافـة يـتم التنـازع عليها، ولكن -كما حدث- فقد كانت الأحداث والظروف مستحسنة بالنسبة لهم، ومـن غـير المستحيل أن قورش Cyrus قد اتخـذ عـن درايـة ميـزة كبـيرة في الموقـف مطلقـاً سـيادته وسيطرته على وادي النيل، لقد كـان بالتأكيـد متيقنـاً مـن كـل مجريـات الأحـداث والأمـور في مصر، ونحن نعرف أن واحداً من قادته المقـربين كـان شخصـاً يـدعى تـاموس Tamos ، كاريان مصري المولد من ممفيس، وحقًّا فإننا نعلم أنه بعد موت قورش Cyrus قـد خشي تاموس انتقام Tissaphernes وهرب إلى مصر مع عائلته وثروته، وقد توقع أن يجد ملجأه ومـأواه ومـلاذه مـع أبسـماتيك Psammetichus -ملـك المصريـين- والـذي كـان سـليل

أبسماتيك Psammetichus الشهير، وليس هناك أي منطق في أن نتحدى هذه الشهادة من ديودورس Diodorus على أساس أنه قد ارتبك بين أميرتايس Amyrtaeus وأبسماتيك Psammetichus كما حدث في العصور السابقة، ولقد تم تقسيم الدلتا بين عديد من الأمراء الخصمم، ومن المثير أن نلاحظ أن تاموس قد توقع حماية من Psammetichus بسبب عمل جليل قد صنعه للملك في الماضي، ولا يقدم ديودورس Diodorus أية تفاصيل متعلقة بهذا الأمر، ولكننا قد نتساءل عما إذا كان تاموس قد تلقى تعليمات في السابق من قبل قورش Cyrus كمبدأ في إرساء علاقة مع حاكم مصر على أساس انتهاز فرصة أن يتم الضرب بيد ثقيلة على اهتمامات ومصالح الأخمينيين Achaemenid في مصر، وعلى أية حال، فإن قورش Cyrus لم يكن غير واعٍ أن -ما سيقرره أبروكوماس من أن يخضع له أو يظل مخلصاً للملك العظيم- الحملة العسكرية التي كان يقودها ضد أخيه سوف تقطع طريق العودة إلى غزو مصر في المستقبل، ومن السهل أن نفهم لماذا لم يستخدم الملك بشكل مباشر عام 404-401 المعلومات التي قد تم تقديمها بواسطة فارنابازيس، لقد أصدر أوامره في المرة الأولى بتعبئة الجيش والقوات الحربية لغزو مصر مرة أخرى.

ومن ثم فإننا نفهم لماذا اتفق كل من زينوفون Xenophon وإيفوراس في هذه النقطة، لم يكن أرتاكسركسيس Artaxerxes قادراً على المضي قدماً في استعداداته حتى إلى وقت قريب؛ لأنه كان منشغلاً بأمور أخرى، ومن أجل خوض معركة مع أخيه بين عام 401 و404 فإن أرتاكسركسيس Artaxerxes كان قادراً فقط على تأمل وفحص الولاء والإخلاص من جانب شعبه في آسيا الصغرى مثل Tissaphernes و Orontas ، وبالتأكيد Pharnabzus على أمل أن يفتح ذلك طريق الحرب في سارديس وفي Iohia سوف يعوق قورش Cyrus من الزحف ضده، وهذا يفسر رضا الملك وقناعته عن رؤية النقاش الحاد بين قورش Cyrus

و Tissaphernes ، ملاحظة قد توسع فيها زينوفون Xenophon إلى تفسير غير كامل ومليئ بالأخطاء، وعندما ترك Tissaphernes آسيا الصغرى في ربيع عام 401 كان من غير الحقيقي أنه عزم أن يخبر الملك عن الاستعدادات المعروفة التي يقوم بها قورش Cyrus ، وبشكل أكثر بساطة منذ أن بدأت رسميًّا ثورة قورش Cyrus فإنه قد قرر على الفور أن يخضع نفسه لسلطة الملك العظيم، والذي منحه مكافأة كبيرة في قيادة الجيش الذي كان قد جمعه .

جيش قورش Cyrus الأصغر:

إن الفرق العسكرية المشتركة التي تم استدعاؤها من جانب قورش Cyrus قد اجتمعت في سارديس، إذ أن كل قائد مجموعة من المرتزقة قد أحضر رجاله، وقد جاءوا من المدن الآسيوية، ولكن بشكل خاص من الـ Pelopponesus يقرب عددهم من 8100 مجتمعين، وفي كلويديا اجتمع Menon of Thessaly مترئساً 1500 جندي، وفي سيلينا في فريجيا الكبرى اكتظ الجيش من الرجال المستبعدين المنفيين 2000 من Clearchus Lacedaemonian و3000 سويس السيراكيوسان وأجياس الأركادي 1000، وتمت مراجعة الجيش الإغريقي بواسطة قورش Cyrus في عاصمة فريجيا الكبرى حتى وصل عدد الجنود إلى 900,12 رجلاً، وفي أزيس انضم 700 من المحاربين الأثينيين من المشاة مدججين بالسلاح من Spartan Cheirisophus حتى وصلوا إلى قرب البحر، وهذا التجمع الحاشد ظهر في تقليد فيما بعد قد استدل عليه بنزعات اعتذارية يشير إلى العشرة آلاف بشكل جماعي.

وهذه الحشود تعتبر الموضوع الرئيس في رواية زينوفون Xenophon ، بالإضافة إلى العلاقات الخصامية بين قادتها خاصة Clearchusand Menon وتباطؤهم المتعمد في السير وراء أتباع قورش Cyrus وراء نهري دجلة والفرات، وعند القيام بإلقاء النظرة الأولى،

فإن جذب استخدام رجال المشاة الإغريق اليونانيين هبليت أو بلتاستس يتم تفسيره بشكل سهل، فقد كانت لهم سمعة وشهرة جيدة نتيجة خبرتهم القتالية الطويلة، وقد استخدم قورش Cyrus نفسه بعضاً من المعدات اليونانية دروع الصدر - السيوف - الرماح ؛ لكي يعد الصفوة من فرسانه، وفي مقارنة مع أي شيء معروف كان ذلك أول مرة يقوم فيها قائد فارسي باستغلال كبير واستخدام واسع للمرتزقة، وتحتاج رؤية زينوفون Xenophon إلى العديد من التصويبات المهمة، إذ كما يشير فإن جيش قورش Cyrus قد شمل اليونانيين والبرابرة، وكان هناك جيشان جنباً إلى جنب، يونانيين وبرابرة، وهناك أيضاً أسطولين، فكان الأسطول البربري تحت قيادة تاموس، وكان هناك نوعان مميزان مختلفان لجهتين تصدران الأوامر العسكرية، رغم أن قورش Cyrus نفسه ظل القائد الأعلى، وفي كيوناكسا اتخذ الجيشان موقعين منفصلين 1000 من الجيش البربري، رجال من فرقة Paphlagonian كانوا قد اجتمعوا على طول Clearchus قائد اليونانيين، وعلى الجانب الآخر كان البافك جونيين، والذين كان فرسانهم مشهورين، وكذلك الفرق العسكرية المستدعاة من فريجيا وليديا؛ بالإضافة إلى 1000 فارس تحت قيادة Ariaeus ، ووضع قورش Cyrus نفسه في منتصف التشكيل محاطاً بالجنود الأكثر شجاعة من الفرس البرابرة، وأيضاً في المنتصف الوسط كانت الفرق العسكرية المشتركة تحت قيادة قادة أمناء مثل Procles حاكم Teuthrania وسليل دماراتس والذي منحه كسركسيس Xerxes مقاطعة في Aeolis ، وباختصار فإن قورش Cyrus قد حشد كل رجال المقاطعات والقوات الحربية في آسيا الصغرى، فرقاً حربية من المحذومين الخدم ، وفرساناً مجندين من الفرس من الديسبورة اليهود المشتتون في أرجاء العالم بعد الأسر البابلي ، والجنود المدعومون بعائلات قد استقرت في آسيا الصغرى بعد عصر كسركسيس

Xerxes ، ولم يكن قورش Cyrus مقتنعاً بجمع المرتزقة اليونانيين، وقد أصدر أوامره أيضاً بتعبئة عامة في آسيا الصغرى، مما مكنه من تجنيد مجموعة من الفرسان والذين من دونهم لم يكن قادراً على البدء في مثل هذا العمل الخطير.

الدعاية والشرعية:

لكي ينجح مشروعه، فإن الأمير الصغير -بينما يجمع قوة حربية متماسكة- قد اضطر إلى توليد إخلاص شخص قوي بدرجة كافية حتى يكسر الروابط التي أخضعت الفرس إلى الملك العظيم، وبدون الوعي الكامل للحقيقة، فإن كل المؤلفين القدماء قد أبلغوا أن النزاع المسلح قد صاحبته دعاية لخوض الحرب بكل حماس: «أنتم منشغلون أيها الرجال الحزبيون الشقاقيون الذين قد وجدوا سرورهم في التغيير، وأقروا أن الوقت قد حان لمجيء قورش Cyrus ، روح ذو روح كبير، محارب كبير ذو بأس ، محب لأصدقائه، وأن توسيع إمبراطوريتهم قد احتاج إلى أمير مقدام جرئ ومقامر، ورغم أن كلمات بلوتارخ Plutarch تؤكد أنه يفضل الاستقرار والنظام بشكل ثابت، فإن الموضوعات التي ينقلها هي نفسها التي نفذها معسكر قورش Cyrus في الانتشار، وتعتبر القطعة أكثر أهمية لأنها مدمجة داخل مقارنة بين قورش Cyrus وأخيه الذي يظهر كونه معروفاً بتوسعه الطبيعي، والذي أخذه من قبل الكثيرين لأجل الرحمة والرأفة، ولتوضيح ما كان يرمي إليه، فإن بلوتارخ Plutarch يستشهد بالهدايا والبوليدوريا الخاصة بالملك، المقدمة له من جانب الفلاحين البسطاء، وإن لم يكن دون فهم مغزاها، ويلاحظ بلوتارخ Plutarch أن أرتاكسركسيس Artaxerxes قد سمح لأخيه الأصغر أن يقاسمه في مائدته، وأن تسافر زوجته في عربة مفتوحة، ويتناقض قورش Cyrus مع الملك الذي قد انتقد كونه ضعيف الشخصية، بين كثير من الإطراءات ووسائل المدح لنفسه، قال إن لديه الروح الأقوى، وكان أكثر

من فليسوف، وأفضل مجوسي، وليستطيع أن يشرب كمية خمر أكثر من أخيه، والذي - كما يدعى- أنه جبان، ولا يشبه شخص الرجل إلا قليلاً، ولا يستطيع أن يربط حصانه في الصيد، ولا يحمي عرشه في وقت الخطر المداهمة ، ولا يحتاج هذا الاقتباس إلى كثير من التعليق والتوضيح؛ لأنه من الواضح أنه عن طريق الإدعاءات من هذا النوع فإن قورش Cyrus قصد أن يبرر مدى شرعية إدعائه لتولي السلطة من خلال إظهار الصفات التي تؤهل أخاه لذلك في إطار احترام السمات الأيديولوجية الملكية الأخمينية التقليدية، وقد تم تناول هذا الموضوع بشكل منظم من جانب زينوفون Xenophon في مديح تأبين قورش Cyrus ، وكان ينظر إلى قورش Cyrus في شبابه على أنه «الأفضل فيهم»، شجاعاً في كل من الصيد والحرب، وكان مخلصاً في وعوده، غير رحيم بالمقصرين من أي درب أو نوع من الرتب العسكرية، يقرر النظام والأمن في المقاطعة التي يحكمها، ويشدد زينوفون Xenophon وآخرون على أنه كان مجتهداً ومتقناً في مكافأة التفوق، حتى إنه لم يسمح أبداً لأي حماس أو غيره أن يذهب هباءً دون مكافأة، وكذلك فقد عرض Polydoria مرسلاً لأصدقائه طعاماً من مائدته، بل وأكثر من هذا كان قورش Cyrus بستانيًّا جيداً».

وباختصار فإنه ليس هناك رجل -يوناني أو بربري- قد أحبه عدد كبير جدًّا من الناس أكثر من قورش Cyrus ، ولو أن قورش Cyrus عاش فترة أطول لكان قد أثبت أنه الحاكم الممتاز، ورغم المتشابهات الواضحة مع Cyropaedia والتي تشير إلى أن زينوفون Xenophon يرسم هنا صورة لملك مثالي، وما نعرفه عن الأيديولوجية الملكية، يظهر أن المواد المستخدمة في تلوين هذه الصورة كانت الفضائل التي تصفها كل الوثائق الأخمينية بشأن الملك العظيم، ولقد شرع الآلهة أنفسها في تعزيز طموحات المتظاهر المدعي للملكية، وهذا يمكن اكتشافه من قصة تمت روايتها بواسطة زينوفون Xenophon ، وفي يوليو 401 وصل جيش قورش Cyrus إلى

Thapsacus علـى الفـرات، وكـان اتسـاعه حـوالي 700 مـتراً، وفي إطـار تقهقـره أغلـق أبروكوماس الكباري، ومضى قورش Cyrus في تقدمه لعبور النهر، وتبعـه بقيـة الجـيش حتى آخر جندي، وفي العبور لم يبتل أي جندي لأكـثر مـن فـوق الصـدر في المـاء، ولـيس هناك شيء ملحوظ عن هذا الأمر؛ لأنه في مثل هذا الوقت كان النهر عند مستوى تدفق منخفض، وأن الجنود قد خاضوا النهر بالعرض، وما يعتبر أكثر إمتاعاً هو التفسـير النـاتج عن «التقويم - إعاقة النمـو الطبيعـي»، إن سـكان Thapsacus قـالوا إن هـذا النهـر لم يكن أبداً من الأنهار التي يمكن عبورها على القدمين ما عدا في مثل هـذا الوقـت، ولكـن يبدو أن هناك تدخل إلهي حتى إن النهر قـد تقاعـد منبسـطاً قبـل أن يقـدر أن يصـبح قورش Cyrus ملكاً، وفي قصة أخرى في مُؤَلف بلوتارخ Plutarch Life of Lucullus أثناء حملته الأرمينية قد وجد Lucullus نفسه في خـلاف مـع الجنـود غـير المتحمسـين، ولقد وصل الجيش إلى نهر الفرات عند الفيضان «إذ وجدوا أن الماء كان مرتفعاً وهائجـاً من الشتاء وأثناء الليل، وعلى غير المتوقع، انخفض مستوى المـاء في النهـر، وعنـد الفجـر عاد النهر إلى ما كان عليه.

«اكتشف السكان الجزر القليلة الموجودة في النهر، وكان الماء راكـداً بيـنهم، وهـو شيء من النادر أن يحدث، مما أدى إلى انحنائه احتراماً لـ Lucullus ، والذي كـان النهـر له خاضعاً ومطيعاً، وأدى إلى مروره بسهولة وخفة.

لقد وضعت قصة Lucullus في مقاطعة إيرانية عنـد موقـع معبـد آناهيتـا الشـهير، والتي سوف تصير بشيراً مستحسناً إضافيًّا للرومان مع بقرة صغيرة موسومة بعلامـة الآلهـة، لقد ضحى Lucullus بها، والتي بالإضافة إليها قد قدم ثـوراً إلى نهـر الفـرات Euphrates ، من أجل عبـوره الآمـن، ويمكننـا أن ننهـي بروايـة موازيـة مـأخوذة عـن Tacticus : «لقـد وصل كل من Tiridates و Vitellius إلى ضفاف نهر الفرات مع الفرق العسـكرية التابعـة لهـما، فقـدم Vitellius الرومـاني Suovetaurile للآلهـة حسـب عـادة الرومـان، بيـنما

Tiridates قد قدم حصاناً كذبيحة تكريماً للنهر، وقد ادعى السكان أنـه بـدون أي مطـر فإن نهر الفرات قد ارتفع -دون أي جدال- بنفسه فوق المستوى القياسي المعتاد له، وأن زبد الأمـواج قـد شـكل دوائـر كانـت لا تشـبه شـيئاً أكـثر مـن التيجـان، معجـزة لبشـير مستحسن.

وتعكس كل هذه القصـص Topoi التـي قـد تأسسـت في الأدب الملـكي في الشرق الأدنى -وعلى سبيل المثال- كم مرة ادعى/ نادى فيها الملوك الأرسيرينيين Assyrian أنهـم قد عبروا السيول والجرف دون إعاقة! وأكثر من هذا امتازوا بإنشاء علاقات بيـنهم وبـين الملك، والمياه والأنهار قد وجدت أيضاً في هذه القصص، وتظهر هـذه العلاقـات في قصـة تنسب إلى قورش Cyrus الأكبر، كما يقول هيرودوت Herodotus ، الإخلاص والـولاء الشـخصي والمـرتبط بالسـلالة الحاكمـة، مـن الواضـح عـلى الأقـل أن نسـمع زينوفـون Xenophon يرويهـا، إن الــ Polydoria المتبجحـة لقـورش Cyrus نحـو البرابـرة مـن إمارته الخاصة، يؤكد على أنهم ينبغي أن يكونوا جنـوداً ذوي بـأس وأن يشـعروا بلطـف وحنو نحوه، وليس هناك شك في أن قورش Cyrus قد أحاط نفسه بالرجال الذين كان يثق في إخلاصهم له، وكان غرضه في ذلك هو توكيد وإثارة الـولاء والأمانـة نحـوه، والتـي قد يظهر فيها أي فارسي عـدم الـولاء نحـو ملكـه، ولكـن الدعايـة التـي قـام بهـا قـورش Cyrus تشير إلى أنه كان ناجحاً في ذلك، أو أنه قد احتاج أن يقنعه أولئـك الـذين كـانوا متباطئين لاحتواء الأسباب الخاصة به، وهـذه المسـألة تعتـبر غـير طبيعيـة لأن الإجـابتين المحتملتين ليستا منفردتين بشكل تبادلي، ومع ذلك فالمسألة لهـا أهميـة حاسـمة، والتـي قد أسلموا أنفسهم بشكل صريح إلى واحد قد اعتبر نفسه مساوياً لملك.

ولـيس هنـاك شـك بشـأن الأشـخاص الـذين تبعـوه، والموثوقـون المقربـون لـه كـانوا أولئـك الـذين أطلـق علـيهم زينوفـون Xenophon «الأمناء/ المخلصين»، والذي خضـعوا لـه مـن خـلال الـروابط الشخصـية

التي يرمز لها بمصافحة قبل الآلهة، إن المجموعة التي ظلت مخلصة حتى النهاية كانوا زملاء المائدة Tablemates وهو لقب يشير إلى أن قورش Cyrus قد أعاد تأسيس نظام ملكي للحكم يقوم على أسس وقواعد البلاط الملكي، ومن بين أولئك المخلصين -كما يشير زينوفون Xenophon- Artapates وهو الأكثر إخلاصاً لخدمات بيت المال لدى قورش Cyrus ، وكذلك فإن المتمرد أورونتيس لقد لقي حتفه صدر قرار بإعدامه في خيمة Artapates ، ويذكر أحد التقاليد أن Artapates قد قتل نفسه حزناً على جثة سيده، فكان لديه خنجر من ذهب، وقد ارتدى عقداً وسلاسل وكل وسائل الزينة التي يرتديها نبلاء الفرس؛ لأنه قد تلقى تكريماً من قورش Cyrus بسبب محبته وإخلاصه، لقد كان الذهب هدية ملكية متميزة لدى الأرستقراطيين الفرس الآخرين، والذين كانوا يرتدون ملابس لامعة براقة مرصعة بالجواهر، إن الفرس الذين في آسيا الصغرى، والذين وقفوا بجانب قورش Cyrus يشار إليهم من قبل ديودورس Diodorus كونهم مرزبانات، وبعيداً عن الفرس غير المعروفة أسمائهم، والذين عقدوا قيادات ثانوية في الجيش يشير ديودورس Diodorus إلى أقرباء قورش Cyrus الذين كانوا حكاماً لليديا ولفريجيا، وفي مناسبات نادرة كان ينعم على قليل من الفرس بألقاب من المؤلفين القدامى مثال Artaozusand Mithradates ، والذين كانوا صديقين حميمين لقورش Cyrus ، وكذلك Satisphernes رجل نبيل وصديق حميم لقورش Cyrus ، و Ariaeus حاكم ثانوي مستبد تابع لقورش Cyrus ، وقد كان أحد أصدقائه، وأصدر أوامره للفرسان على الضفة اليسرى في معركة كيوناكسا، وكان الشخص الأكثر تكريماً وشرفاً لدى قورش Cyrus ، وكان بالتأكيد من أصل نبيل، ويذكر زينوفون Xenophon أيضاً Pategyas فارسي جدير بالثقة من العاملين لدى قورش Cyrus .

ولكن تظل المشكلة غير محلولة، هل تشير هذه الأمثلة إلى رغبة عامة للسير ضـد أرتاكسركسيس Artaxerxes ؟ بالنسبة لزينوفون Xenophon ، فإن السؤال يجيـب عـن نفسه، إن الدليل الأفضل لميزة قـورش Cyrus الملكيـة تلـك الملاحظـة التاليـة بـالرغم أن قورش Cyrus كان عبداً لم يهجره أحد لكي يرتبط بالملك، ومن ناحية أخرى، فالعديد مـن الذين مـروا ذهبـوا مـن لـدن الملـك إلى قـورش Cyrus بعـدما أصبح الاثنـان عـدوين لبعضـهما الآخـر، ويقـدم ستيسـياس Ctasias تأكيـداً أن كثـيراً مـن المرتـدين تغـيروا عـن أرتاكسركسيس Artaxerxes إلى قورش Cyrus ، ولكن لم يحدث العكس مـن أن مرتـداً تحـول عـن قـورش Cyrus إلى أرتاكسركسـيس Artaxerxes ، وهنـا نجـد واحـداً مـن التبريـرات التـي قـدمها الإسـكندر Alexander في تحـري شرعيـة سـلطة دارا Darius الثالث، والقائد الحقيقي يجب أن يعرف كيف يستلهم الولاء والإخـلاص مـن أتباعـه، ومـا الحقيقة؟ في الحقيقة بالرغم من «عشرات الآلاف» مـن المرتـدين الـذين سـبق ذكـرهم، لم يكن إلا حوالي 400 من المرتزقة اليونانيين التابعين لأبوكوماس قـد أمكـن تحديـدهم، وقـد انجذبوا بلا شك على أمل أن يحصلوا على مرتبات ماليـة عاليـة أجـوراً مرتفعـة ، وبـالرغم من صعوبة تمثيل ذلك سياسيًّا، فإن التغير في التحالف والإخـلاص قـد عـوض بعـض الشيء عن عيوب وقصور مـن قائـدي فرقـة المرتزقـة الاثنـين Xennias & Passion والـذين بمجـرد معرفة مقاصد وخطط قورش Cyrus اختـارا أن يعتليـا السـفينة ويعـودا إلى اليونـان، وكـان قورش Cyrus غير متأكـد مـن رجالـه اليونـانيين الـذين قـد اتخـذوا احتياطـاً وتـدبيراً لأخـذ زوجاتهم وأطفالهم كرهائن في Tralles ، وربما لهذا النوع نفسه من الأسباب أن السوق الليـدي يستطيع الجنود أن يجدوا مؤناً لهم فيها للجيش البربري، وكتحفيز لليونـانيين وتشـجيعهم عـلى اتبـاع المكـان الـذي يريـد أن يقـودهم فيـه لجـأ قـورش Cyrus كثـيراً إلى الخـداع وعمـل

الحيـل الاسـتراتيجية، وأثبـت الهـدف الــ Pisidian أن ينصـب الشرك بمجـرد أن يصـل الجيش إلى تارسيس، رفض الجنود أن يعودوا إلى الطريق لمدة عشريـن يومـاً؛ لأنهـم قـد شكوا حيال هذا الوقت أنهم كانوا يسيرون ضد الملك»، وثمة مشاغب حقيقـي قـد ظهـر ضد Clearchus ؛ لأن كثيراً من المرتزقة أرادوا أن يعودوا بأنفسهم دون مسـاعدة الغـير لهم، وعند هذه النقطة فإن قورش Cyrus قد نادى أنه كان يسير فقط ضد أبروكوماس على نهر الفرات، وعندما يصلون إلى هناك سوف يرون نهج الأحداث الذي سـيتم هنـاك، وحسـب ما ذكره ديودورس Diodorus فقد أعلن أنه يقودهم ضد حاكم فـارسي في سـوريا»، وحتـى بعدما وصـلوا إلى Thapacacus لم يفصـح عـن خططـه، وهنـاك كـان قـد هـدأ مـن الصـف المستضعف بوعود بدفع أجور مرتفعة، ومن الواضح أن وعود قورش Cyrus قـد فشـلت في إقناع كل اليونانيين، وفي مواضع أخرى ظلت أمانتهم وولاؤهم له مشروطاً كما يتضح ذلك من خلال التصريحات التي ألقاها قورش Cyrus ، فقد وعد بأن يعطي كل رجل خمسة ألمينات فضية عندما يصلوا إلى بابل، ويكتمل دفع الأجـور عنـدما يعـود باليونـانيين إلى Ionia مـرة أخرى، والآن دعونـا نعـد إلى موضـوع الأرسـتقراطية الفارسـية، إن الحقيقـة أن ستيسـياس Ctasias يعطي مثالاً لأولئك المرتدين عن قـورش Cyrus ، فقـد ارتـد وتراجـع Arbarius قبل المعركة الحاسمة بوقت قصير، ولكن لا نعرف عـما إذا كـان هـو الشـخص نفسـه مثـل Arbarius الــذي خــان Secundianus بعــد عشريــن عامــاً لينضــم إلى Ochus أو دارا Darius الثاني، وحتى إذا كان هذا المثال مقنعاً بدرجة نادرة لأن ستيسياس Ctasias يـذكر أن Arabarius هذا كان قد شـجب إشـارة إلى أنهـا قضـية منعزلـة، وحتـى إذا كـان بعـض المواطنين الرفقاء من البلد نفسه قد انضموا إلى صـف قـورش Cyrus ، ويوضـح زينوفـون Xenophon مثال Orontus الذي كان قـد اتهـم بالخيانـة ضـد قـورش Cyrus ، ويضـع

المؤلف القصة وأحداثها في بابل: «كان أورونتس عضواً من هيئة النبلاء، وقد تمتع بنفوذ ومكانة اجتماعية كبيرة «فارسي قد ارتبط بالملك منذ الميلاد وقد حسب ضمن أفضل الفرس في شؤون الحرب والقتال، وتحت ذريعة إعاقة أنشطة الغزاة من الجيش الملكي قد طلب من قورش Cyrus أن يضم رابطة من الفرسان إليه، وفي الوقت نفسه قد أرسل خطاباً إلى أرتاكسركسيس Artaxerxes يعلن فيه عن تغيير ولائه، ولكنه قد انخدع بواسطة المبعوث، وتم القبض عليه ومحاكمته وإعدامه، وقد عقد قورش Cyrus محاكمة له، وشمل ذلك أيضاً سبعة من الفرس الأكثر تمييزاً بين الخدم، وقد شمل ذلك Clearchus الأكثر ولاءً وإخلاصاً بين اليونانيين، وهذا الحكم قد أشير إليه بطريقة تقليدية، إن كل رجل قد أثار خيانة، وقد أخذه من حزامه، زنارة كعلامة أنه قد حكم عليه بالموت، ويقحم زينوفون Xenophon حتى أقارب المتهم الذين اضطروا إلى أن يقوموا بأداء الإيماءة المصرية، وتشير بعض التفاصيل الإضافية إلى أن أورونتس كانت له شبكة كبيرة من الأصدقاء، ويذكر زينوفون Xenophon أنه حتى بعد إطلاق الحكم عليه عندما رآه الرجال الذين كانوا في الأيام السابقة معتادين أن يوفروا له المأوى قد جعلوا احترامهم ظاهراً له حتى بعدما عرفوا أنه قد حكم عليه بالموت، ونهاية القصة تكشف أنه بعد أن وصل إلى خيمة Artapates فإن الأكثر إخلاصاً لحاشية ورفقاء قورش Cyrus منذ تلك اللحظة لم يرى أي رجل منهم أورونتس حيًّا أو ميتاً، ولم يستطع أحد أن يقول عن معرفة حقيقة كيف تم تنفيذ موته، ولا توجد له حتى مقبرة، إن المصداقية والسرية التي فرضت من جانب قورش Cyrus كانت مقصودة لاتخاذ أي انتخاب رسمي تكريماً للرجل الذي صدر الحكم عليه، ومن الجدير بالذكر أن قورش Cyrus لم يستدعِ القوات العسكرية الفارسية، ولكنه استدعى الفصائل اليونانية التي لم تكن سريعة التأثر بما يحدث حولها،

والتمزق بين أساليب الولاء والإخلاص المتنازع عليها لحماية وحراسة الخيمة التي سوف تعقد فيها المحاكمة، إن ضم اليوناني Clearchus بين صفوف القضاة كان بالتأكيد بسبب هذه الاعتبارات نفسها.

إن مثول الفرس السبعة الأكثر تميزاً كان مقصوداً للتأكيد على الدعم الكامل للفرس الأوفياء، من خلال ضم أقارب المتهمين، كان قورش Cyrus يحاول أيضاً أن يجبرهم على أن يعترفوا على الملأ بولائهم الشخصي له، ويمكنه استنتاج أن أورونتس لم يكن الشخص الوحيد الذي يعرض هواجسه وظنونه بشأن قورش Cyrus ، ودون التركيز على ذلك، فإن زينوفون Xenophon يشير في الحقيقة إلى أنه منذ عدة أسابيع سابقة في ليكونيا، أن قورش Cyrus حكم بالموت على شخص فارسي يدعى Megaphernes الذي كان حاملاً ومرتدياً لزي ملكي بنفسجي اللون، ونحن لا نعرف المزيد عن هذا الشخص، فقد تكون وظيفته قد سمحت له أن يقيم علاقة مع معسكر أرتاكسركسيس Artaxerxes ، ويضيف زينوفون Xenophon أن شخصاً ما قد حكم عليه بالموت في الوقت نفسه، ويصفه بعبارة صغيرة واضحة «صاحب مقام رفيع بين معاونيه»، هل يمكن أن يكون واحداً من الضباط المسؤولين عن مقاطعة؟ كان قورش Cyrus يحتاج في الحقيقة إلى دعمهم ومساندتهم لكي يقترب من مواضع الكنوز ومخازن البضائع على طول الطريق، ولكنهم لم يواجهوا أية عوائق رئيسة، إن السلطات في Celanae لم تعارض مطالبه، وهذا التفسير يمكن دعمه من خلال الإجراء الذي اتخذه قورش Cyrus في ليكونيا: هذه الدولة قد سلمها إلى اليونانيين لكي يسلبونها على أساس أنها كانت مقاطعة معادية، وتشير العبارة السابقة إلى قطعة من الأرض يمكن نهبها وإتلافها لأنها لم تخضع، وهذه أيضاً كانت القضية في Cilicia قبيل خضوع/ استسلام الـ Synnesis بمجرد أن استسلم، وعده قورش

Cyrus بأن أرضه لا ينبغي أن تسلب أو تنهب أكثر من ذلك، ويمكنهم استرجاع العبيد الذين تم القبض عليهم في حالة الحرب في أي مكان.

وقبل ذلك رفض الـ Synnesis التحالف مع قورش Cyrus ، ولكنه قد أرغم على فعل ذلك عند وصول جيش وأسطول قورش Cyrus المفاجئ، وحسب ما ذكر زينوفون Xenophon فإن الـ Syennesis قد وافق أن يعطي كميات كبيرة من المال لجيش قورش Cyrus ، ويقدم قورش Cyrus في مقابل ذلك هدايا/ منح شرف وتكريم كما اعتاد الملوك العظام منحها، ومن الواضح أن تحالف Syennesis كان تكتيكيًّا خالصاً، ويشدد ستيسياس Ctastas على ذلك، فيقول: «لقد حارب في صفوف قورش Cyrus ولأجل مساندة أرتاكسركسيس Artaxerxes ، ويوضح تلخيص فوتيس معلومات معطاة من جانب ديودورس Diodorus ، وعندما علم بمعرفة وحقيقة الحرب وافق Syennsis أن ينضم إليه كحليف ضد أرتاكسركسيس Artaxerxes ، وقد أرسل أحد ابنيه مع قورش Cyrus معطياً إياه فرقة عسكرية قوية من السليسنيين لجيشه، وبالنسبة لـ Syennesis لكونه مجرداً من المبادئ الأخلاقية بطبيعته فقد قام بتعديل نفسه شخصيته إلى عدم التأكيد والشك في الثورة، وقد أرسل ابنه الآخر سراً للملك لكي يكشف له عن القوات الحربية التي حشدت ضده، ولكي يؤكد له أنه قد أخذ دور Symmakhia لقورش Cyrus للضرورة الحتمية، ولكنه مازال مخلصاً Eunoia للملك، وعندما تتاح الفرصة، فإنه سوف يتخلى عن قورش Cyrus وينضم إلى جيش الملك، لم يكن الـ Synnesis متأكداً من أنه يتبنى موقفاً موجهاً بالنظر إلى المستقبل والتطلع إليه، ويشير ديودورس Diodorus إلى أن الـ Lacedaemonians لم يكونوا بعد قد اشتركوا في الحرب، ولكنهم كانوا يخفون غرضهم، منتظرين دور الحرب، وكان المؤلفون القدامى يشاركون في انزعاج اليونانيين الذين كانوا يشعرون بالرعب من اتساع

الإمبراطورية، إن الكلمة قد قيلت خلال ميسرة أربعة شهور للجيش إلى باكتريا.

ونحن لا نعلم شيئاً عن ردود الأفعال الخاصة بالجيش البربري، ولكنه طبقاً لما جاء به ديودورس Diodorus ، فإن القيادة العليا الفارسية كانت قد أُبلغت عن الهدف الرئيس منذ رحيل قورش Cyrus من سارديس، وتشير صياغة ديودورس Diodorus إلى أن الفرقة العسكرية العادية قد فقدت الثقة والمصداقية تقريباً مثل اليونانيين، «ومن المنصف أن نجيب عن نداء Karanos للسير ضد البسيدنيين، ولكنه كان من الخطر أن نتسلح ضد الملك العظيم»، ومن الواضح أنه لم يكن هناك دليل مؤكد على ذلك، ولكن من الممكن أن بدايات عدم الرضا أو التباطؤ قد رأت ضوء الصباح بين صفوف الفرق العسكرية البربرية، ويذكر زينوفون Xenophon أنه ليس هناك رجل -يوناني أو بربري- قد أحبه عدد كبير من الناس بقدر ما أحبوا قورش Cyrus ، ومن الممكن أنه يشير هنا إلى الدعم الذي تلقاه قورش Cyrus من المدن اليونانية في آسيا الصغرى، وعلى أية حال، فإن الحاشية الخاصة لقورش Cyrus لم تضم أي جندي فارسي، وتظهر العمليات التي أدرج فيها المرتزقة أن قورش Cyrus قد دخل في معاهدات كرم وحفاوة شخصية مع اليونانيين:

Aristippus the Thessalian, Proxenus the Boeotian, Sophaenetus the Stymphalian, and Socrates the Achaean.

وقبل أن تبدأ الثورة أرسل زينياس الأركاديني أمراً بشأن القوة العسكرية من المرتزقة في المدن حول لونيا، وحاول قورش Cyrus أن يجمع حوله كل المشتتين اليونانيين مثل الميلسيين، وكذلك Clearchus الذي قد نفى من Lacedaemon ، والذي جمع فرقة عسكرية من المرتزقة لتنفيذ أغراضه التي كان يرمي إليها، وقد اعتبره قورش Cyrus «الرجل الذي كان يجب تكريمه فوق باقي اليونانيين» والقائد الأكثر إخلاصاً في

قادة المرتزقة، وهذا يفسر فيما بعد كيف أنه تمتع بحماية خاصة من Parysatis ، ونعرف الكثير عن Gaulites وهو رجل سامي كان منفياً هناك، وكان مصدر ثقة بالنسبة لقورش Cyrus ، وخلال الحرب الأيونية Ionianwar كان يعمل بشكل لصيق مع Tissaphernes ، ويمثله Thucydids على أنه كاري كان يتحدث لغتين، ويمكننا أن نذكر تاموس «الصديق الجديد بالثقة «لقورش Cyrus » الذي عينه حاكماً لـ Aeoliss, Ionia والمقاطعات المجاورة قبل أن يرحل، وكان أيضاً قائد الأسطول البحري البربري، وقد شارك ابنه Glos في بعثة ضد أرتاكسركسيس Artaxerxes .

هل يشير حضور عدد كبير من غير الفرس حول قورش Cyrus إلى صداقة حميمة نامية في العلاقات بين الفرس في آسيا الصغرى وجيرانهم؟ وهل يعكس ذلك سياسة خاصة انتهجها قورش Cyrus الذي كان يساوره القلق لكي يتجنب عداوة بعض الفرس في المنطقة الغربية؟ من الصعب أن نجيب عن هذه الأسئلة بتأكيد جازم لها، إن رجلاً مثل تاموس قد بدأ وظيفته قبل وصول قورش Cyrus إلى ساردیس، والمرء لا يمكنه أن يفشل في أن يكون معجباً ومنبهراً بتقسيم السلطات التي قررها قورش Cyrus قبل البدء في حملته، ورغم أن الفرس قد وضعوا في مسؤولية ليديا وفريجيا، إلا أن تاموس كان قد تلقى أمر قيادة وحكم Ionia و Aleolis والمقاطعات المجاورة، وبشكل خاص فمن الملحوظ أنه قد حكم Aleolis وتوابعها، ولكن ليس هناك شك في أن هذا الإجراء يرجع تاريخه إلى عام 407، ومن ناحية أخرى، فإن نسخة إيفوراس تشير إلى أن فارنابيزوس Pharnabyzus قد تم تنصيبه من بين «أمناء» الملك العظيم بعد عودة قورش Cyrus إلى آسيا الصغرى، وإذا كان كما يقول ديودورس Diodorus إن قورش Cyrus قد أعطى فريجيا إلى بعض أنسبائه Syggeneis ، فإن هذا الميل يشير إلى أن فارنابازوس فقد أيضاً المرزبانية، أو أنه قد نقل إلى موضع ثانوي أقل قدراً؛ ولأجل هذا السبب أو غيره فإنه قد ساند الملك.

وعندما وصل قورش Cyrus إلى سيلسيا عانى انقلاباً كبيراً آخـر، وأن أبروكومـاس بعد أن أودعت أو أسندت إليـه مهمـة قيـادة الحملـة نحـو مصر فضـلاً عـن انضـمامه لقورش Cyrus الذي كان على اتصال به، فقد تقهقر بدلاً مـن ذلـك نحـو الفـرات مـع جيشه، مشعلاً النار في الكباري في Thapsacus لكي يبطـئ مـن تقـدم المتمـرد، ولم يكـن أبروكوماس الشخص الوحيد الذي ساند الملك، بل إن Belesys قد فعل ذلك أيضاً -وهـو حاكم سوريا- كما يتضح في ترتيب ونظام حكم قـورش Cyrus أنـه قـد أفسـد الإقامـة المرزبانية، وكذلك الفردوس القصر المرزباني اللذين كان يقعان في ينابيع داردس، ويشير ديودورس Diodorus مرة أخرى إلى أن قورش Cyrus قد ضـللهم مـرة أخـرى، وأنـه قد كشـف عـن هدفـه في الكلـمات التاليـة في Tarsus فكـان يقـود الجـيش لـيس ضـد أرتاكسركسيس Artaxerxes ، ولكنه ضـد حـاكم معـين في سـوريا، لقـد ادعـى الإدعـاء نفسه مع الإشارة إلى مرزبان بابل الذي ربما قد يكون Gobryas والذي كان واحـداً مـن القادة في الجيش الملكي أثناء معركة كيوناكسا، ووقف Tiribazus بجانب الملك العظيم، ويمثله زينوفون Xenophon كحاكم لأرمينيا الغربية، Artasyras «عين الملك، كـان مـع الملـك، وفي الحقيقـة إن أرتاكسركسـيس Artaxerxes كـان والـد أورونـتس الـذي كـان حاكماً لأرمينيا الشرقية، وهذا الذي يدعي أورونتس قد أحضر فرقة عسكرية ممتـازة إلى الملك.

وحتى إذا كان الدليل جزئيًّا في كلا المعنيين المقصودين السـياقين لـذات الكلمـة، فإن ثمة نتيجة تجذبنا هي أن قورش Cyrus لم ينجح في الحصول على دعـم ومسـاندة الضـباط التـابعين وراء قضـائه الرسـمي، ونتيجـة ثانيـة أن عـدداً غـير معـروف مـن أقرانه ومساعديه قد رفضـوا أن يقطعـوا علاقـات الإخـلاص مـع مـن قـد اعتـبروه الملـك العظيم الوحيد، أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني، وأخيراً فـإن بعضـاً مـن التحالفـات

الأخرى قد أخضعوا أنفسهم مع توخي الحذر الكبير، وكثير من استعادة مرات التفكير، ولا يؤكد السجل على الآمال والطموحات التي ينادي بها بلوتارخ Plutarch من ازدهار قورش Cyrus في عام 404، أنه سوف يكون قادراً على أن يفوز بتأكيد ليس فقط أولئك القاطنين في مقاطعته بالقرب من البحر، ولكن كثير من أولئك الذين يعيشون في الدول العليا.

مواجهة بين أرتاكسركسيس Artaxerxes وقورش Cyrus قد حدثت عند وصول قورش Cyrus وجيشه إلى بابل موقفاً سياسيًّا واستراتيجيًّا غير متوقع في تاريخ الأخمينيين، فقد تم تهديد الملك العظيم في قلب إمبراطوريته من خلال عدو وحيداعلى رأس قوة كبيرة قاصداً أن يستولي على السلطة العليا، وكان خطر ذلك أكثر من مجرد كونه أمراً شديداً قد واجهه دارا Darius في عام 522-521 عندما لم يفلح المتمردون غير المنتظمين في توحيد مسيرة في قلب أو وسط الإمبراطورية، وتمثيل بعثة قورش Cyrus نوعاً من التمثيل المسبق لغزو الإسكندر Alexander ، وتماماً مثل دارا Darius الثالث في عام 331 فإن أرتاكسركسيس Artaxerxes قد فقد السيطرة على آسيا الصغرى والمناطق الواقعة وراء نهر الفرات، وتشمل مصر، إن استجابته لهذا التحدي قد أثارت بعض الإجراءات التي قد تم اتخاذها من جانب الملك العظيم بعد مضي سبعين عاماً بعد ذلك، ولم يكن لدى أرتاكسركسيس Artaxerxes وقتاً كبيراً للإعداد من دارا Darius الثالث، الذي كان قادراً على جمع وتدريب جيش، بينما يزحف الإسكندر Alexander إلى غزو سوريا وبلاد فينقيا ومصر قبل العودة إلى نهر الفرات في أواخر عام 333 حتى الخريف من عام 331، وتماماً مثل الفرس في عام 331، فإن الملك العظيم قد أصدر أوامره لأبروكوماس أن يقوم بتدمير الكباري والقناطر فوق نهر الفرات حتى يجعل تقدم مسيرة قورش Cyrus بطيئة، وتماماً مثل مازيوس عندما واجه المكدونيين، فإن أرتاكسركسيس Artaxerxes قد

قرر أن يطبق سياسة حرق الأسطح قبل تقدم قورش Cyrus نحوه، وفي الوقت نفسه فإنه قد مضى قدماً في إعداد الدفاعات والحصون في بابل، وطبقاً لما جاء على لسان زينوفون Xenophon ، أثناء مسيرة اليوم الثالث في الدولة، فقد جاءوا نحو خندق عميق، اتساعه خمس قامات مقياس لعمق المياه يساوي 6 أقدام ، وثلاث قامات في العمق، وهذا الخندق قد استمر ممتداً أعلى السهل واصلاً إلى سور ميديا، لقد تم بناء الخندق على يد الملك العظيم كوسيلة للدفاع عندما علم أن قورش Cyrus في طريقه للهجوم عليه، وأكثر من ذلك فإن زينوفون Xenophon يوضح أن السور المسمى بسور ميديا قد تم بناؤه من الطوب اللبن، ثم تم وضع الأسفلت له، وكان اتساعه 20 قدماً و100 قدم ارتفاعاً، ويقال إن طوله كان يبلغ 20 فرسخاً وحدة قياس فارسية قديمة تعادل 4 أميال تقريباً ، وهو ليس بعيداً عن بابل، لقد انتشرت أخبار الدعاية عن قدوم قورش Cyrus ، بشأن بناء السور، أن أرتاكسركسيس Artaxerxes قد فر هارباً ورفض المواجهة، وبينما كان هناك كثير من الإبهام والغموض بشأن ما يتعلق بهذا السور، ومن الحقيقي أنه يظهر أن الملك العظيم قد أعاد استخدام البناء السابق بدرجة جيدة، وأنه قد تبنى استراتيجية معروفة جيداً، باستخدام الطرق المائية لقطع الاتصال والاقتراب إلى بابل، ومع ذلك فمن الواضح أن كل هذا لم يحدث بنجاح كبير، ويشدد زينوفون Xenophon على سرعة تقدم مسيرة قورش Cyrus ، لقد توقف الأمير فقط لكي يؤمن الإمدادات والمؤن ويودعها في قرى على طول الطريق، وقد كان قورش Cyrus أحياناً يقوم بعمل مثل هذه المراحل عبر الصحراء منذ وقت طويل، وعندما كان يريد أن يصل إلى الماء، ومن خلال اختيار طريق ومن أجل سرعته قد أجبر الجيش على عبور مقاطعة غير مضيافة تسمى «العربية» بواسطة زينوفون Xenophon قد أحضرتهم إلى حافة المجاعة التي قد أزعجت اليونانيين خاصة، ولم يكن من الممكن أن نشتري أي

حبوب ما عدا ما هو معروض للبيع في سوق ليديا القريب للجيش البربري التابع لقورش Cyrus بسعر أربعة سيجل لكل Capithe من دقيق القمح، أو وجبة من الشعير، وليس هناك شك في أن السعر قد ارتفع كثيراً في مثل هذه الظروف، لقد كان الجنود غير قادرين على الانغماس أو التنعم في مثل هذه الفخامة، وبالتالي قد عزموا أن يعيشوا يطعمون عن طريق تناول اللحوم، ومن المحتمل أن يتم ذلك من خلال الصيد، وقد تم تفسير سرعة تقدم قورش Cyrus واستعجاله -طبقاً لما ذكره زينوفون Xenophon - من خلال حاجته إلى منع الملك العظيم من التجمع وحشد قواته، وقد كان فكره أنه كلما ذهب بشكل أسرع من ذلك، كلما كان الملك غير مستعد لخوض الحرب معه، بينما على الجانب الآخر كلما ذهب بشكل أكثر بطئاً «كلما كان أفضل للجيش أن يحتشد مسانداً الملك»، ومثل كثير من المؤلفين القدامى، فإن زينوفون Xenophon قد اعتقد أنه بينما كانت إمبراطورية الملك قوية في امتداد مقاطعاتها وعدد سكانها، لكنها كانت ضعيفة بالنظر إلى كبر حجم المسافات والحالة المتبعثرة التي تكون عليها قواتها في حالة أن أي شخص يمكن أن يتحول عن مساره للهجوم عليها.

إن استعجال قورش Cyrus يتعارض دراميًّا مع الفراغ المصاحب لمسيرته حتى يصل إلى الفرات، لقد أقام سبعة أيام في كولوسيا، ثلاثين يوماً في سيلانيا، 3 أيام في بلتي، خمسة أيام في Caystru-pedion، 20 يوماً في Tarsus ، وثلاثة أيام في Issus ، وخمسة أيام في Thapsacus ، والجملة 73 يوماً، ومن غير المحتمل أن طول مدة هذه التوقفات يمكن تفسيرها بشكل بسيط، مع زينوفون Xenophon بواسطة الإرادة المريضة المزعومة من المرتزقة اليونانيين الذين تركوا في انتظار رواتبهم، ومع بداية عبور الفرات، تقدم الجيش في مرحلة مسيرة مسلحة حتى إن قورش Cyrus لا بد أنه قد أصبح غير شاعر بارتياح بشأن الإعدادات

الخاصة لأرتاكسركسيس Artaxerxes ، والتي لا تجسد وتقـوي الشـائعات في تارسـيس المشار إليها أنها كانت جديرة بالاهتمام، وعندما اختار قورش Cyrus أن يسلك طريقـاً سريعاً لم يكن به كثير من نقاط لإعادة التمويـل، لقـد كـان ذلـك لأن عـنصراً اسـتراتيجيًّا حاسماً قد ظهر في الوقـت المتخلـل، وطبقـاً لمـا رواه زينوفـون Xenophon فقـد توقـع قورش Cyrus أن أبروكوماس لن يعترض طريقه من خلال بوابات السوريين.

ومع ذلك فإن أبروكوماس لم يفعل ذلك، ولكنه بمجرد أنه سمع أن قورش Cyrus كان في سليسيا، أنه عاد في رحلته مـن فينيقيـا وسـيره للانضـمام إلى الملـك مـع الجـيش، وذلـك جـرى مـع التقريـر والخـبر بثلاثـة آلاف رجـل، واسـتمراراً لمـا أورده زينوفـون Xenophon من أن أبروكوماس قد وصل بعد خمسـة أيـام بعـد معركـة كيوناكسـا، ولم يكن تأخيره بسبب ضياع الوقت سدى ولكن بشكل بسيط إلى حد ما قد اختار أن يأخـذ الطريق الملـكي، والـذي ربمـا يكـون أكـثر طـولاً، وقـد سـمح لـه أن يعيـد تمـوين الفـرق العسكرية الخاصة به، وبعدما ترك نهـر الفـرات خلفـه، فـإن قـورش Cyrus قـد أخـذ طريقاً سريعاً كان قد قصد لمنع جيش أبروكوماس من الانضمام إلى الجيش الملكي. وطبقاً لما يورده ديـودورس Diodorus فقـد اسـتدعى القـوات العسـكرية مـن كـل مكـان إلى إكباتانا في ميديا بمجرد أن سمع برحيـل قـورش Cyrus ، ولا يشـير هـذا التفصـيل إلى أن الملك لم يكن في إقامته الصيفية، وأكثر احتمالاً أنه كان في بابل، إن ذكر إكباتانا مثـل نقطـة الاجـتماع مـن السـهل تفسـيرها: مـثلما فعـل دارا Darius الثالـث فـيما بعـد أن أصـدر أرتاكسركسيس Artaxerxes أوامره بشأن تعبئة القوات العسـكرية مـن السـهل الواسـع الإيراني مثل بعد المسافة إلى Indus . ويذكر ديـودورس Diodorus أن القـوات الحربيـة من تلك الأماكن البعيدة لم تصل في الوقت المحدد بسبب بعـد هـذه المنـاطق»، وهـذا مـا يؤكده زينوفون Xenophon ، حيث إن المرتزقـة اليونـانيين قـد نجـوا مـن المعركـة، وقـد

عبروا أويس على الـ Tigris وقابلوا الأخ غير الشرعي لقورش Cyrus وأرتاكسركسيس Artaxerxes الذي كان يقود جيشاً كبيراً من صوصا Susa وإكباتانا إلى منطقة الدعم والمساندة كما ذكر عن الملك» أن سرعة مسيرة قوات قورش Cyrus قد منعت أيضاً أرتاكسركسيس Artaxerxes من تنفيذ خططه الأولية التي شملت قوات أبروكوماس، حيث إن أبروكوماس قد لقب باسم زينوفون Xenophon كواحد من القادة الأربعة، بالإضافة إلى Tissaphernes، Gobryas، Arbaces .

إن الجيش الملكي المتمركز في كيوناكسا لم يشمل القوات من آسيا الصغرى الغربية التي تم الاستيلاء عليها من جانب قورش Cyrus ، فإن جيش أبروكوماس مازال على الطريق أو الفرق العسكرية الشرقية الإيرانية، التي سوف تصل بشكل متأخر للغاية، لقد تم حشد الكثيرين بشكل استثنائي من المناطق القريبة، بابل، سوسيانا، ميديا، بلاد الفرس، وكذلك فإن الـ Cadusians قد أرسلوا فرقة من الفرسان كان يقودها Artagerses ، ولأجل الأسباب التي تمت مناقشتها بشأن ما يتعلق بجيش كسركسيس Xerxes من المستحيل تقديم حسابات يمكن الاعتماد عليها بحجم القوات الخاصة والتابعة للملك.

ويمكننا أن نظن، مع زينوفون Xenophon ، أنهم كانوا أكثر قدرة في العدد من قوات قورش Cyrus نفسه، وعلى عكس واحد من الإدعاءات المفضلة لدى المؤلفين اليونانيين، وعلى عكس توقعات المرتزقة، فإنهم كانوا مملوئين من الثقة والازدراء الاحتقار ، ويشدد كل من زينوفون Xenophon وبلوتارخ Plutarch على نظام وترتيب جنود أرتاكسركسيس Artaxerxes ، إن الأسلوب الذي قام أرتاكسركسيس Artaxerxes بقيادة رجاله به بسرية وببطء قد جعل الـ Grecians يقفون مندهشين لتنظيمه الجيد، والذي قد توقع صياحاً ووثباً غير منتظم، ومزيد من التحفظ والارتباك والانفصال بين رجل وآخر في تلك الفرق العسكرية ذات

الأعـداد الغفـيرة، وتنسـب مصـادر بلوتـارخ Plutarch الهزيمـة التـي لحقـت بقـورش Cyrus إلى كبريائه المبالغ فيه، وإلى نقص التنظيم بين صفوف القوات العسـكرية التـي يقودها Clearchus .

ومـثلما فعـل دارا Darius الثالـث ومشـيروه بعـد ذلـك فـإن أرتاكسركسـيس Artaxerxes قد وضع ثقـة كبـيرة في العجـلات ذات المناجـل، وأن المناجـل التـي كـانوا يحملونها قد وصلت في الطرق الجانبية -من محاور المعجلات- وقد وضعت أيضاً تحـت أجسام العجلات، مشيرة إلى الأرض حتى إنهـا تـتمكن مـن تقطيـع مـا يقابلهـا إلى قطـع صغيرة، وكانت النية أنهم ينبغي أن يقودوا القـوات المسـلحة مـن اليونـانيين، ويقومـون بتمزيق الفرق العسكرية إلى أشلاء صغيرة، ولم يكن مسـتوى النجـاح مرتفعـاً مـثلما قـد توقـع لـه ذلـك، ومـثلما فعـل جنـود الإسـكندر Alexander عنـدما رآهـم اليونـانيون قادمين، فإنهم سوف يقومون بعمل فتحة للعبـور منهـا، وقـد اصـطف اليونـانيون عـلى الضفة اليمنى مع كتيبة عسكرية قوامها 1000 من Paphlagonian الفرسان، وقد قاموا بمطاردة وملاحقة العدو، ونتيجة لذلك فقد هربوا من طوفان الرماح المطلقة التي كـان يطلقها رجال الملك الرامين للرماح وراميي السـهام، إن الشـجار القريـب قـد استحسـنه اليونانيون التـابعون لــ Clearchus والـذين قـد ألقـوا بأنفسـهم بكـل ثقـة في مواصـلة ومطاردة خصومهم، ويخبرنـا زينوفـون Xenophon أن ذلـك قـد حـدث عنـدما هـاجم قورش Cyrus وهـو في الوسـط، خاشـياً أن الفرقـة العسـكرية الممتـازة مـن اليونـانيين سوف يتم محاصرتها، وقد قتل في ظروف معينة حتى إن التقاليد المتضاربة لا تسمح لنـا بمعرفتها، وعلى الضفة اليسرى كان Ariaeus قد أجبر على التقهقر، بعد بعض النجاحات عند سماعه صوت قورش Cyrus ، وكـان خائفـاً مـن أنـه سـوف يحـاط ويحـاصر مـن جانب الفرق العسكرية الممتازة التابعة للملك، وقد حسم موت قـورش Cyrus مصـير المعركة والبعثة العسكرية لخوض الحرب.

3- أرتاكسركسيس Artaxerxes المنتصر:

عملية إعادة التشريع:

بعد موت قورش Cyrus في حقل المعركة في كيوناكسا، أخذ أرتاكسركسيس Artaxerxes على الفور بعض القرارات التي تم تصميمها من أجل محو ذكراه، والذي بعد انتصاراته الأولية كان يحظى بالفعل بكل مبايعة كملك بواسطة أتباعه وخدمه»، وعندما جاء جثة هامدة، وطبقاً لقانون معين لدى الفرس فإنه قد تم بتر يده اليمنى وفصل رأسه عن جسده، وقد أصدر أوامره أن يحضر الأخير، ماسكاً بشعره الذي كان طويلاً وكثيفاً، وقد عرضها لأولئك الذين كانوا مازالوا غير متأكدين، أو أولئك الذين كانوا يتخذون موقفاً وديًّا ومتعاطفاً، وقد اندهشوا عند رؤيتهم لها، وقد قدموا له المبايعة والولاء حتى إنه كان سبعون ألفاً منهم قد سافروا معه ودخلوا المعسكر معه مرة أخرى، ووضع أرتاكسركسيس Artaxerxes أنه كان الرجل الذي فاز بولاء وإخلاص الآلاف، والرجل الذي تعتبر شرعيته قد تم إثبات صحتها من خلال نصره .

وثمة تقليد ملكي نقله Dinon ينادي بأن قورش Cyrus قد قتل بيد الملك نفسه؛ لأن هذه كانت رغبته، إن كل فرد -سواء كان يونانيًّا أو بربريًّا- ينبغي أن يصدق أن في الاعتداءات والمنازعات المتبادلة بينه وبين أخيه، معطياً ومستقبلاً لكلمة، فإذا كان هو نفسه قد جُرح، فإن الأخير قد فقد حياته بأكملها، وهذا يفسر لماذا -كما يقول بلوتارخ Plutarch - كان أرتاكسركسيس Artaxerxes منزعجاً جدًّا من أن يسمع أن جنديًّا كاوينيًّا بسيطاً ورجلاً فارسيًّا صغيراً - Mithradates - قد صنعا هذا الإدعاء أو جعلاه يفهم أن أرتاكسركسيس Artaxerxes هو الذي صنع هذا الفعل، وكان أرتاكسركسيس Artaxerxes قد ثارت ثائرته جدًّا، وأصبح في خطر أن يخسر، وحدث النصر الأكثر مجداً والأكثر سروراً له، وخلال

حكمه لم تكن هناك فرصة لرسم صورة الملك كقائد عظيم تم إثبات كفاءته، وقائد مقتدر قد افتقد منذ زمن بعيد، وفي الوقت نفسه، فإن التوضيحات الضمنية تشير إلى أن أرتاكسركسيس Artaxerxes قد تبع نموذج والده دارا Darius الثاني فقط، ولكنه مثل أسلافه تبع نموذج دارا Darius الأول، وقد أصر على استمرار الحكم خاصة في هذا النوع من الكلام من صوصا Susa ، يقول إن أرتاكسركسيس Artaxerxes الملك العظيم، ملك الملوك، ملك الدول، ملك هذه الأرض، ملك الأراضين، ابن دارا Darius الملك، من دارا Darius الذي كان ابن أرتاكسركسيس Artaxerxes الملك، من أرتاكسركسيس Artaxerxes الذي كان ابن الملك كسركسيس Xerxes ، ومن كسركسيس Xerxes الذي كان ابن الملك دارا Darius ، ومن دارا Darius الذي كان ابن هيستاسبيس Hystaspes ، رجل إتشيا مينديي، هذا القصر قد بناه دارا Darius جدي الأكبر، وتحت حكم أرتاكسركسيس Artaxerxes جدي قد أحرق المبنى، ثم أعيد بناؤه .

مكافأة وعقاب:

بعد توقيع المعاهدة الأولى مع اليونانيين، قاد الملك جيشه متجهاً إلى بابل، وفي تلك المدينة أعطى لكل واحد نصيبه اللائق من التكريم؛ لما أبلاه من بلاء حسن، وإظهار أعمال الشجاعة في ميدان المعركة»، أولاً من بين الناس الذين تم تكريمهم كان Tissaphernes ؛ لأنه انضم إلى الملك مبكراً في وقت مبكر يعادل فصل الربيع لعام 401 ، ولعب دوراً حاسماً في كيوناكسا على الأقل في نسخة واحدة، فقد كان يترأس أحد الأربعة أقسام الجيش، ويقال إنه ما إن تولي قيادة الجيش عندما جرح أرتاكسركسيس Artaxerxes لقد أبطأ الأعداد الغفيرة من العدو؛ ولذلك جاء حضوره واضحاً بعيداً عن الملك الذي حكم على Tissaphernes بأنه أكثر القادة شجاعة وإقداماً؛ ونتيجة لذلك فقد كرمه الملك بكثير من

الهدايا غالية الثمن، وأعطاه ابنته زوجة له، واستمر في الإمساك به في منصب المستشار والصديق الأكثر إخلاصاً وثقة، لقد كان بالفعل أحد الأشخاص المفضلين لدى الملك؛ لأنه قد سمح له لفترة قصيرة بعد ذلك بأن يسمح لليونانيين بنهب وسلب القرى التابعة Parysatis في تكريت -ليست بعيدة عن أوبيس- وهناك شخص نبيل آخر يدعى أورونتس -مرزبان أرمينيا- قد تزوج Rhodagune -ابنة الملك- ربما كان ذلك في الوقت نفسه الذي وعد فيه الملك ابنتيه بزواجهما من فارنابيزوس Pharnabyzus وتريبازس، وكان الأخير واحداً من أصدقاء الملك، وقد لعب دوراً كبيراً في كيوناكسا، حيث أنقذ حياة الملك، طبقاً لما جاء في إحدى النسخ، ولم يكن ذلك قد أخذ مجراه الزمني إلا بعد مرور خمسة عشرة عاماً من أن فازنابازس قد حصل على الكرامة والشرف العظيم ليكون صهراً للملك.

وقد حصل أيضاً Tissaphernes على ترقية كبيرة، والآن فإن Tissaphernes الذي قد أثبت نفسه شخصاً ذا قيمة كبيرة لدى الملك في الحرب ضد أخيه قد أصدر أمراً ملكيًّا ليصبح مرزباناً على كل من المقاطعتين اللتين كان يحكمهما من قبل، واللذين كانا من قبل يحكمهما قورش Cyrus ، وقد أسفر ذلك عن استعادة الحصول على الحكم والسيطرة على المدن والنبلاء الذين قد أخذوا صف المتمردين بشكل أسرع ما يمكن، وقد هجر Tissaphernes الناجين من اليونانيين عند أبواب أرمينيا، وعاد إلى سارديس من خلال الطريق الملكي، لقد جاء كل القواد ما عدا تاموس الذي هرب إلى مصر، لحضور حفل المبايعة بالنسبة للـ Karnas الجديد، وابن تاموس جلوس الذي تلقى عفواً ملكيًّا قد عين مسؤولاً عن القوات المسلحة، وكذلك Ariaeus -رفيق قديم لقورش Cyrus - قد تلقى أمراً بتولي القيادة، على أية حال، فبعد عدة سنوات كان قد أصبح حاكماً لولاية فريجيا، وحوالي عام 394 شغل منصباً كبيراً

في ساردیس، ووضعه كعدو سابق للملك قد انعكس إلى ميزة ونعمة لـه؛ لأن المتمـردين سوف يلجأون معه إلى الفرار إلى ساردیس، ومن الواضح أنهم كانوا يأملون في أن يتوسط لهم عند الملك حتى يحصلوا على العفو الملكي.

ونلاحظ بـاهتمام شـديد أن الملـك العظـيم لم يـتردد في إعطـاء العفـو لعـدد مـن المتمردين، هل هذه القرارات تتحدث عن عدم التأكد والشك في سلطته بعد الانتصار في كيوناكسا؟ من الصعب الإجابة عن هذا السؤال، ومن الصحيح أن كل النصـوص القديمـة تصر على «نبل أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني، وعلى ممارسته لمنح العطايا الملكية، ولكن توزيع الدليل على ذلك قد يكـون خادعـاً، ومـن الممكـن أن الملـك -في موعـد غـير معروف- قد أعلن عن التغاضي عن اللـوائح الخاصـة بـالبلاط الملـكي الخاصـة بشـأن مـا يتعلق بالصيد الملكي الأسرى ، ولكن حتى حول هـذه النقطـة فـإن الشـكوك التاريخيـة تحوم حول هذه الموضوعات، ويمكننا أن نلاحظ ببسـاطة أنـه بعـد معركـة كيوناكسـا لم يكن لدى الملك العظيم أي اختيار بشأن الطرق الخاصـة بـالفوز بنفسـه بـالنبلاء الـذين كانوا يتبعون قورش Cyrus من قبل بالاختيار أو عن طريق الإجبار على ذلك ، وتحت ظروف أخرى فإن أرتاكسركسيس Artaxerxes لم يتردد في اسـتخدام إجـراءات قمعيـة حتى ضد أولئك المقربين لـه، حتـى إن Tissaphernes لم يفلـت أو ينجـو مـن العقـاب الملكي بعد عدة سنوات بعد خسارة معركة خارج ساردیس ضد Agesilaus ، بالرغم من أن أرتاكسركسيس Artaxerxes قد استمر في إبقائه كصديق ومستشار وفيّ مخلص له.

الملك العظيم وجيوشه:

وبمناقشة عودة الناجين مـن المرتزقـة التـابعين لقـورش Cyrus إلى البحر نجد أنها قـد أثبتـت نـوع الشخصـية، ويقـدم بلوتـارخ Plutarch هذا الفكـر لقرائـه؛ ولـكي يتضـح الأمـر لكـل النـاس، فـإن الملـك الفـارسي

وإمبراطوريته قد كانا عظيمين حقًّا في الذهب والفخامة والنساء، ولكن كان ذلك مجرد عرض لا حائل من إظهاره، وعلى كل هذا فإن اليونان قد أخذت شجاعتها واحتقرت كل البرابرة، وينقل هذا التعليق فكرة كانت عزيزة بدرجة متعادلة لدى زينوفون Xenophon ، سواء في الفصل السابق من الموسوعة لقورش Cyrus أو في الـ Agesilaus ، عمل صغير قد اهتم بغناء المدائح للبطل اليوناني الذي كانت صفاته البشرية تتعارض في كل شيء مع الملك العظيم الذي كان يصور نفسه مستمتعاً بالثراء والكسل، إن تعظيم وتكبير حجم الأفعال التي قام بها العشرة آلاف مقاتل موضوع قديم وشائع في أدب المؤلفين في القرن الرابع، والذين أثبتوا أن كل شخص قد اشترك في الحرب مع الفرس يستطيع -إذا رغب في ذلك- أن يتجول في دولته دون الاضطرار إلى أن يضر بالكلمة»، ويرجع ذلك إلى أن الفرس قد أصبحوا مخنثين بحياة فاجرة وفاسقة، ويستطيعون خوض المعارك فقط بمساعدة اليونانيين، ووجهة النظر هذه قد تم التشديد عليها من جانب Isocrates ، والذي أنهى مناقشاته لتنعم الفرس بأنهم قد جعلوا أنفسهم أدوات للسخرية حتى ظلال أسوار وحوائط قصر الملك.

وحتى إذا أثرنا الذكرى الطقسية في حالة وجود الدليل نجدها قد تركت كل شيء في شك، فإن وضع المرتزقة اليونانيين أثناء معركة كيوناكسا وفي الأسابيع التالية قد فرض مشكلات حقيقية، وفي نسخة زينوفون Xenophon ، فإنهم قد بقوا في المعركة حتى المساء، وفازوا بالعديد من المستعمرات بكتائب من الجيش الملكي، وقد كانوا متأكدين من الفوز، ورفع أثر ذلك قبل العودة إلى معسكرهم، حيث اكتشفوا أن فرقة المشاة الخفيفة التابعة لجيش العدو قد نهبت مخزون الطعام مؤن الطعام ، ولم يكن حتى الشفق أن Procies و Glus قد أبلغوهم بموت قورش Cyrus ، ولقد كانت سطور وصف المعركة متكلفة، حتى إنه من الواضح أن قد كان هناك معركتان مختلفتان على الجانب الأيسر قد

تقهقر Ariaeus ، ومن هناك أرسل Procies و Glus أن يلتمسوا/ يطالبوا أن ينضم إليهم Clearchus واليونانيين إليه، مفترضاً بذلك أنهم سوف ينتظمون رجوعاً وعودة مشتركة إلى أيونيا Ionia ، ولكنه Clearchus رفض حتى أن يضع Ariaeus على العرش الفارسي، وأنه قد أرسل رسلاً أو مبعوثين لإبلاغه بذلك، وأجاب Ariaeus أن هذا الأمر كان خارج المساءلة، وقد تم التوصل إلى اتفاقية -للقسم بالتحالف- وقد وافق Ariaeus أن يقود اليونانيين حتى الساحل وفي الوقت نفسه، فقد تفاوض مبعوثون من Tissaphernes والملك مع اليونانيين مطالبين بأن يضعوا أيديهم معاً، ويتوقفوا عن مواصلة الحرب، ولكن Clearchus رفض ذلك بتكبر وعجرفة، مؤكداً أن قواته كانت على أهبة الاستعداد لخوض المعارك الدامية، حتى قيل إنه لم يجرح رجل واحد في هذه المعركة، «ومع ذلك فإن المرتزقة لم يكونوا على اتفاق تام مع الملك، فإن قليلاً من الجماعات قد وافقت على الاستسلام، ويستمر تعليق زينوفون Xenophon وهو يقول: «إن الملك نفسه كان خائفاً من جيش Clearchus و Ariaeus ؛ ولهذا السبب كان كل من Tissaphernes وأخو زوجة أرتاكسركسيس Artaxerxes يستعرضان بدلاً منه الأوامر للتوصل إلى اتفاقية، وإذا لم يوافق اليونانيون على خوض المعركة، فإن الفرس سوف يساندونهم، ولقد كان اليونانيون على دراية كاملة أنه بدون المرشدين فإنهم لن يتوصلوا إلى التغلب على العوائق، أو يعيدوا تمويل أنفسهم في الدولة؛ ولذلك فمن الواضح أنهم قد شرعوا في التوجه نحو الضفة الغربية من وادي Tigris تحت أعين Tissaphernes ، لماذا إذن فشل الملك العظيم في أن يأمر قواده ببدء المعركة؟ هل ينبغي أن ننظر إلى ذلك كدليل على ضعفه؟ وهذا يتضح في منظور Clearchus ، والذي كان مقبولاً لدى زينوفون Xenophon ، وقد اقتبس من المرتزقة ما قد اعتقده زينوفون Xenophon من أن الملك كان ينتظر حتى يتم استعادة توحيد الصفوف بين القوات العسكرية مرة

أخرى، وليس حتى وقت قليل بعد ذلك، إن استعادة تركيب واستدعاء كل الفرق العسكرية الملكية المتنوعة قد اكتمل، فالفرق العسكرية التابعة لأورونتوس والبرابرة الذين أحضرهم قورش Cyrus معه في مسيرته المتقدمة، وهؤلاء مع شقيق الملك قد وصلوا، وجاءوا لمساعدة الملك، بالإضافة إلى تلك الفرق العسكرية التي كان يقودها Tissaphernes ، وقد أعطاه الملك هذه القيادة، وكانت النتيجة أن جيشه قد ظهر كبيراً للغاية، ومع ذلك لم يقم Tissaphernes بتنظيم جيشه في المعركة، وقد كان مقتنعاً بأن يرتفع فوق الهجمات الوقتية من حين إلى آخر على اليونانيين، ملقياً بظلاله عليهم لبعد المسافة إلى Tigris العليا، وفي أثناء ذلك فإن التغيرات الاستراتيجية الرئيسة قد حدثت، وطبقاً لما ورد عن ديودورس Diodorus فإن Tissapherness قد قدم الخطة التالية لأرتاكسركسيس Artaxerxes : فقد وعده بأن يدمرهم كلهم جميعاً حتى لا يبقى أحد، إذا دعمه الملك بالأسلحة المطلوبة، واتفق مع Ariaeus ؛ لأنه اعتقد أن Ariaeus قد يخدعه ويخونه مع اليونانيين أثناء تقدم المسيرة، وقد قبل الملك على الفور هذا الاقتراح، وسمح له أن ينتقي من كل جيشه كما يحب من الفرق العسكرية الممتازة، وقد كان أول ترتيب للعمل الحربي هو استعادة Ariaeus والقوة كبيرة الحجم من الفرق العسكرية تحت قيادته، والتي كان قورش Cyrus يجندها في آسيا الصغرى، وقد جاء أخوة أرياوس وأقربائه إليه وبعض الفرس المعروفين أيضاً جاءوا لاتباعه، وظلوا يشجعونهم ويقدمون فروض الولاء للبعض منهم من الملك، حيث إن الملك سوف لا يحمل لهم أي قصد سيء بسبب حملتهم مع قورش Cyrus ضده، أو بسبب أي شيء آخر قد حدث في الماضي، وقد نجحت المفاوضات بين الفريقين سريعاً، وقد نصب Ariaeus ورفقائه، Artaozus و Mithradates -اللذين كانا صديقين حميمين لقورش Cyrus - شركاً لليونانيين، وكثير من الاستراتيجيات واللوجاوس تم استدعاؤهم

لمعسكر Tissaphernes وقد تم القبض عليهم وحكم عليهم بالموت، ومن خلال الفوز بالفرق العسكرية التابعة لـ Ariaeus واستبعاد الـ Strategoi اليوناني الرئيس، وحشد جيش كبير، كان Tissaphernes في وضع قوة منذ ذلك الوقت فصاعداً، وقد ترك اليونانيين عند حدود الأرض مع Carduchi ليعود إلى مقاطعته في ساردیس، وعند هذه النقطة يعتبر من المستحيل على اليونانيين أن يعودوا مباشرة إلى أيونيا Ionia ، ويمكنهم فقط أن يتحركوا للسير شمالاً، وليس هناك شك في أن الفرس كانوا متأكدين من أن الناجين لن يستطيعوا التغلب على العوائق الطبيعية أنهار - جبال ، هجمات قاطني الجبال سكان الجبال - المطاريد أو هجمات الفرق العسكرية للقوات العسكرية الأرمينية التابعة لحاكم أرمينيا.

وتقدم الأحداث نتائج متناقضة بالنظر إلى الموقف العسكري لأرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني بعد معركة كيوناكسا، فالتشكيل الذي قام عليه كل من جيش قورش Cyrus وأرتاكسركسيس Artaxerxes يشير إلى أن نظام التجنيد الإلزامي قد استمر العمل به تماماً من حدود آسيا الصغرى إلى الهند، حتى مع تأخر الفرق العسكرية الإيرانية الشرقية، الذي يثبت أنه ليس من الممكن تنظيم تشكيل عام في غضون شهور قليلة، ومن خلال إعطاء التوزيع الجغرافي المحدود نسبيًّا للمجندين الذين حاربوا في Issus ، ولا يوجد أي شك في أن الملك العظيم من جانبه كان قادراً على أن يعتمد على الجنود الذين تم إرسالهم بواسطة Hatrus البابلية بين الآخرين، وأن الاعتماد على الآلاف من المرتزقة اليونانيين في جيش قورش Cyrus قد شكل حبكة روائية تم إقرارها بعيداً عن الدور الذي حدده قورش Cyrus لهم في المعركة، بالاشتراك مع الفرقة الخاصة بالفرسان التابعة له، وليس أقل صحة أن المواجهة في كيوناكسا لم تكن مبارزة بين المرتزقة اليونانيين التابعين لقورش Cyrus والجنود النظامين التابعين لأرتاكسركسيس Artaxerxes .

وكما حدث في المعارك في اليونان وآسيا الصغرى في عام 480-479، فإن جنود المشاة اليونانيين قد بدأوا يظهرون تفوقاً واضحاً على رجال وفرق المشاة التي واجهوها، وتحتاج هذه الملاحظة إلى أن يتم معالجتها؛ ولأجل سبب ما، دعنا نستدعي نعيد إلى الذهن أن بلوتارخ Plutarch وزينوفون Xenophon يشددان على القدرة على المناورة الخاصة بالجيش الملكي، وبسبب آخر فإن الأفعال الخاصة بـ Tissaphernes بعد المعركة يمكن تعليلها بسبب خوفه من الجيش الذي يترأسه Ariaeus ، أو أنه خشي مناورات مشتركة تضم كلاً من جيش مرزباني بيني والجيش اليوناني، ومن ثم فإن القادة الفرس قد اختاروا ببراعة أن يفصلوهم، وقد أجبروا اليونانيين على التجوال حتى إنهم قد زعموا أنه تجوالاً لإنهاء المصير، وبعد النصر الذي حققه Megabyzus على Amyrtaeus لم يسلك بشكل مختلف عما كان يقوم به، وقد توصل إلى اتفاقية مع المرتزقة اليونانيين التابعين لمتمرد مصري، «لن يحدث أي أذى من قبل رجال الملك وينبغي أن يعود اليونانيون إلى وطنهم حينما يريدون ذلك»، وقد سلكوا الطريق إلى Cyrene ، وطبقاً لما ذكره Thucydids «فإن معظمهم قد هلكوا»، ولكن يوجد هناك اختلاف في عام 401 على أن اليونانيين كانوا في بابل، وكان الفرس منزعجين لرؤيتهم خارج قلب الإمبراطورية، وفي الوقت نفسه يمكننا أن نلاحظ أن الفرس لم يتظاهروا ولم يقبلوا عروض الخدمات التي صنعها قادة المرتزقة لهم عدة مرات، مؤكدين أنهم سوف يكونون نافعين لهم في معركة ضد الشعوب غير الخاضعة، وفي هذا الوقت يتضح أن قادة الفرس لم يهتموا حتى بضم المرتزقة اليونانيين في الجيش الملكي، هل كان الملك العظيم يعتقد أن المرتزقة سيتم استخدامهم من خلال رجل غامض، كما فعل قورش Cyrus ؟ وهذا هو عبء حديث Tissaphernes المعقد إلى Clearchus : «قد يرتدي الملك وحده مستقيماً العمامة على رأسه، ولكنه أيضاً دون مساعدتك قد يرتدي

بشكل بسيط وسهل تلك التي توضع على القلب»، ويبدو أن المرتزقة أنفسهم قد اقتنعوا بأنه يمكنهم أن يصنعوا أو لا يصنعوا ملكاً يقلدوا رجلاً لمنصب الملك ، كما هو واضح من العروض التي قاموا بعملها عبر هذه السطور مع Ariaeus ، «لقد كانوا مقتنعين» -يقول Clearchus- «أنه بالنسبة لأولئك المنتصرين في المعركة لهم وحدهم الحق في أن يحكموا»، ولكن العروض والاقتراحات التي أرسلوها إلى Ariaeus كانت ساذجة، وسمح لهم الفرس أن يعرفوا -في تصريحات ساخرة أنه- كان يوجد كثير من الفرس من الطبقة الأعلى منهم، وأنهم لن يسامحوا كونه ملكاً عليهم، ومن الواضح أنه ليس هناك فارسي واحد كان لديه حرية هجر أرتاكسركسيس Artaxerxes ، بل على العكس من ذلك، تمنى الجميع الحصول منه على الفضل الجميل أو العفو .

4- الظروف في آسيا الصغرى واستراتيجية أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني 400 - 396 :

من سارديس إلى ممفيس:

كما رأينا، أنه بعد معركة كيوناكسا واستبعاد المرتزقة اليونانيين فإن Tissaphernes قد عاد إلى حكمه في ساردیس، ولقد كان عمله -في الحقيقة- أن يعيد النظام في آسيا الصغرى، ويشدد ديودورس Diodorus على أن المدن اليونانية التي ساندت قورش Cyrus كانت تخشى الموت؛ ولهذا السبب الجيد فإن من أوائل الخطوات التي قام بها Tissaphernes أنه «طلب أن تكون كل المدن الأيونية خاضعة له»، وقد رفضوا ذلك، وطلبوا مساعدة إسبرطة لهم، وبدون تأخير فإن Tissaphernes قد قوض المعاهدة الخاصة التي تم توقيعها في ساين وفرض حصاراً على المدينة: وفي بداية فصل الشتاء 399-400 قبل الفرس الفديات الثقيلة على المسجونين ورفع الحصار، وفي فصل الربيع التالي لعام 399 استقرت

الفرقة العسكرية الإسبرطية على ساحل آسيا الصغرى، ومن ثم انفجرت العداءات الحروب العدائية الخصومية الفارسية-اليونانية مرة أخرى على ساحل آسيا الصغرى .

وللأسباب نفسها التي قمنا بمناقشتها، اضطر الملك العظيم أن يتعامل مع الجبهة المصرية في الوقت نفسه، عندما عرض المرتزقة اليونانيون خدماتهم على Tissaphernes فإنهم كذلك لم يهملوا في عرض الأمر على المصريين، والذين كان الفرس غاضبين منهم بشكل خاص، وإذ رغب الملك في أن يسير ضد مصر -قال Clearchus- «إنني لا أرى أية قوة يمكنك أن تجندها لمساعدتك في تأديبهم أفضل من القوة التي أملكها».

ويشير بيان إلى أن الفرعون أميراتيس Amyrtaeus قد تم التعرف عليه في نهر الفرات عام 400، وفي عام 398 أسس Nepherites السلالة الحاكمة XXIX ، واستمرت حتى عام 393، ومن المدهش أنه لا توجد مصادر تذكر إعادة الغزو الفارسي، وحتى بلوغ حكم هاكوريس 380-392 Hakoris حوالي 385 أن هناك دليلاً على اجتماع جيش للمسير ضد مصر، وفي أثناء ذلك دخلت مصر في ائتلاف مع إسبرطة ضد أرتاكسركسيس Artaxerxes كشريك مساوٍ ومكافئ لها، وكما حدث في عام 460، ومن هذه النقطة فصاعداً فإن مصر كانت ضمن جبهة أكثر اتساعاً مع اختلاف مهم وهو أنه في هذا الوقت لم يعد الفرس يملكون قاعدة حربية في الريف .

وعلى سبيل المثال فإن الموقع العسكري الفيلي قد تم نقله، وذهب بكل الأسلحة والمؤن إلى جانب الفراعنة المستقلين، وكانت مهمة أرتاكسركسيس Artaxerxes أكثر صعوبة؛ لأن تاموس -القائم مقام قورش Cyrus - قد هرب إلى آسيا الصغرى في عام 400، واتخذ ملجأً لدى الفرعون، بالإضافة إلى ثروته والأسطول الذي كان يقوده

«خمسين سفينة ثلاثية المجاديف قد تكلفت كثيراً»، ولكن أخذ Prammetichus لخاصته كل من ممتلكات تاموس وأسطوله .

أرتاكسركسيس ARtaxerxes ، حكام ولاياته، والجبهة الخاصة بآسيا الصغرى:

عندما كان Amyrtaeus يتوسع في قوته وسلطانه حتى صعيد مصر استقر Thibron ، القائد المخول الـ Lacedaemonian في آسيا الصغرى فصل الربيع لعام 339 ، وكان يقود قوة صغيرة في قوامها، ولكنه قام بتجنيد وتعبئة الفرق العسكرية في المدن اليونانية، ثم قام بضمها إلى اللاجئين اليونانيين من الـ Anabasis ، واستطاع أن يجذب إليه الفرق العسكرية ضد Tissaphernes حتى على السهول، وأخذ كثيراً من المدن والمراكز القوية في ماسيا، Aleios والـ Troad ، وأسفرت الشكاوى من جانب المدن اليونانية التي قد سلبها ونهبها نتيجة استبداله بـ Dercyllides الذي أقام وبعث ونشر أسلوباً تكتيكيًّا قديماً تقليديًّا، فقد شجع Tissaphernes أن يحاول المنافسة مع فارنابيزوس Pharnabyzus لكي يحصل على بعض الفوائد من وراء هذا الموقف، وبعد ذلك توجه إلى Aloeis في مقاطعة فارنابيزوس Pharnabyzus دون التسبب في أي ضرر لحلفائه»، وقد كان فارنابيزوس Pharnabyzus غير مسروراً أن يجرد من المنطقة التي كان يحكمها، وقد كان يحسد Tissaphernes على تقلده منصبه كقائد عام بصفة عامة، وقد وافق على هدنة مع Dercyllidas ، معتقداً أن Aeolis قد استخدم قاعدة قوية للهجوم على مسكنه الخاص بفريجيا.

وباختصار فإنهم يعودون إلى موقف يشبه ما كان سائداً في عام 412-407 مع المرزبانات في منافسة دائمة معاً، ومن الواضح أن Tissaphernes لم ينجح في الحصول على كسب تأييد اليد العليا كما نجح في ذلك قورش Cyrus الأصغر في ساردیس من قبل.

وقد ظهر النزاع والخلاف مرة أخرى بعد ذلك، أثناء الاستعداد

لمعركة عنيفة بالقرب من ماجنيسيا، قـام كـل مـن المرزبـانيين بحشـد جنـودهما، القـوة الفارسية بأكملها التي أتيحت لها الفرصة أن تتصدر، ولكـل الفـرق العسـكرية اليونانيـة التي كان يملكها كل من الحاكمين والفرسان بأعـداد غفـيرة، وهـؤلاء الـذين كـانوا أتبـاع Tissaphernes عـلى الجنـاح الأيمـن، وهـؤلاء الـذين كـانوا أتبـاع فارنـابيزوس Pharnabyzus عـلى الجنـاح الأيسر. وطبقـاً لمـا أورده زينوفـون Xenophon ، فـإن Tissaphernes لم يكن متوقاً للمعركـة، وعـرض أن يتفـاوض مـع Dercyllidas ، وأحـد هذه الأسباب بلا شك كانت الحرب قـد هـددت بتخريـب كاريـا Caria ، حيـث كانـت ممتلكـات Tissaphernes ، وأدت المحادثـات بـين الفـرس و Dercyllides إلى هدنـة، حيث طلب الفرس أن الفرقة اللاسيديمونية وحكامها الذين قد أقاموا في المـدن اليونانيـة منذ انتصارات Lysander أن يرحلوا وطلب ديرسليداس الحكم الذاتي للمـدن اليونانيـة، وقد قرر كـلا الجـانبين بـدء المشـاورات، بالملـك العظـيم والقيـادة الإسـبرطية بالتنـاوب، وتفعيلاً لهذا الأمر كان الفرس يطلبون أن تكـون المعاهـدات التـي يوقعونهـا مـع الملـك وممثليه قد ووفق عليها من إسبرطة أثناء الحرب الأيونية قبـل خمسـة عشرة عامـاً مـن وضع هذه المعاهدات موضع التنفيذ، وكـان قـد أعلـم فارنـابيزوس Pharnabyzus أن يكتشف ما عزم الملك أن يفعله بشن خططه، وقد فضل الحاكم/ المرزبـان Dascylium ، كما يخبرنا ديودورس Diodorus عن هجوم بحري قوي، وبعد قيام الهدنة الأول مـع Dercyllidos ناشد الملك وأقنعه أن يقوم بإمداده وتمويلـه، وأن يسـتجيب إلى القـانون الأثيني، منـذ الهـزائم التـي لحقـت بـالأثينيين عـام 405، وقـد لجـأ مـع Evagoras of salamis بناءً على أوامر قورش Cyrus ، في الوقـت الـذي كـان يقـوم فيـه Evagoras بعمـل كـل شيء يسـتطيع عملـه لـكي يزيـد مـن رخـاء وازدهـار المدينـة، وقـد عقـد من قبل اتفاقيات كثيرة للحصول عـلى الأسـلحة اللازمـة، وليسـت هنـاك إشـارة إلى أن

الملك Cyproit كان يحاول أن يهرب من النير الفارسي، فلقد كان هدفه الـرئيس توسـيع سلطانه عبر الجزيرة على حساب الملوك الصغار، ومن الممكن أنه قد استغل الحرب بـين الشقيقين لكي يستمتع ببعض الحريات مع التزامه كخادم أو تابع، وفي عام 398 تم بنـاء اتصالات بين Evagoras وأرتاكسركسيس Artaxerxes وربما مـع ستيسـياس Ctasias ، وقد وافق Evagoras على أن يسـتأنف دفـع الجزيـة Persicas63 ، وتحـت الظـروف الحالية كان يشارك الفرس عداوتهم وكرههم الشديد لإسبرطة، والتي كانت قوتها مرجعاً لطموحاته، هذه كانت الظروف التي وصل فيها فارنابيزوس Pharnabyzus إلى قـبرص حاملاً رسالة من الملك يأمر فيها كـل ملـوك الجزيـرة أن يسـتعدوا بتجهيـز مائـة سـفينة ثلاثية المجاديف، وقبل Canon تعييناً كقائد أعلى للأسـطول البحـري. ثـم توجـه مبحـراً نحو سيليسيا، حيث بدأ استعداداته للحرب التي كانت على وشك أن تبدأ ضـد البحريـة الـ Peloponnesian ، ويعتـبر ذلـك أمـراً مهـمًّا، إذ أن هـذه هـي المـرة الأول للأسـطول البحري الملكي التي يجتمع فيها هذا الأسطول الـ Peloponnesian الشـهير في عـام 412 دون النظر إلى أسطول قورش Cyrus في عام 401 ، ولم يشـمل الأسـطول الملـكي سـفن Cypriot القبرصـية وحـدها، فقـد انضـم كونـون Conon بفرقـة عسـكرية سليسـانية، بالإضافة إلى سرية خيالة فينقية يترأسـها ملـك السـيدونيين، وقـد حصـلت إسـبرطة عـلى أخبار ومعلومات سريعاً عن الاستعدادات البحرية الكبيرة من خلال تاجر سيركوزاني كان في فينقيا في عمل تجاري في هذا الوقت: «نرى السفن الحربية الفينيقية بعضها يبحـر في أماكن أخرى، وبعضها يرسو هناك، مجهزة بأفضل الجنود عليها، ومـازال بعضـها يسـتعد للإبحار، ونسمع بالإضافة إلى كل ذلك أن هناك ثلاثمائة سفينة، وقد أبلغ الليسـيدمونيين أن الملك و Tissaphernes كانا يعدان ويجهزان هذه الإرسـالية العسـكرية، ولكـن هـل تكون على أهبة الاستعداد؟ يقول إنه لا يعرف.

إن الطرق المستخدمة لجمع الأسطول الملكي تشير إلى أن السلطة الفارسية اهتزت من جراء ثورة قورش Cyrus ، وكانت توزع الميزات على رعاياها من الليفانتيين Levantine ، ونحن نرى أنه وكما حدث في عصور سابقة أن ملك سيدون قد لعب دوراً مهماً لأجل رفعة الفرس، ومن ناحية أخرى، فإن النظرية القائلة بأن الـ Syennesis في سليسيا كانت في انحطاط سياسي عند هذا التاريخ يجب تصويرها بقدر من التردد والحيرة، إذ لا يوجد دليل واحد يمكن الاعتماد عليه يدعمها، وفي الوقت نفسه استمر الملك في دعم وتجهيز الفرق العسكرية المطلوبة للحرب في آسيا الصغرى، وقد دعا أيضاً إلى توحيد القيادة، بحيث تتجنب تكرار اقتراف الأخطاء السابقة، وقد تم منح لقب القائد الأعلى عن القوات المسلحة لـ Tissaphernes ، وبالرغم من الكراهية التي كان يكمنها فادنابارس لـ Tissaphernes في آسيا الصغرى إلا أنه لم يتردد من التأكيد على كونه مستعداً لشن الحرب معه، وأن يكون حليفه، وأن يساعده في خروج اليونانيين من مقاطعة الملك، ولكن المنافسة بين فارنابيزوس Tissaphernes Pharnabyzus كانت أكثر تعقيداً من ذلك؛ لأن فارنابيزوس Pharnabyzus تلقى أمراً بقيام بعض العمليات البحرية، ومن ثم إعادة استخدام والاعتماد على كونن Conen الأثيني، ويتضح من ذلك أن الأمر الذي تم استصداره لـ Tissaphernes قد تقلص إلى قيادة الفرق البرية.

ولتنفيذ هدفه، أطلق الملك أيضاً بعض الموارد التي يمكن اعتبارها مهمة، وبعد مرور بعض الوقت نحن نعلم أن حالة من الشغب قد انفجرت في جيش كونن Conen عندما اشتكى الجنود من عدم تلقي أجورهم، ولم يكن جوستين Justin مخطئاً من أن يرى ذلك نتيجة المكائد والتدابير التي قام بها ضباط الملك الذين كانوا عادة يقومون بسلب أجور الجنود بالاحتيال والنصب، ولكي يعالج هذه المشكلة نجد أن كونن Conen لجأ إلى أرتاكسركسيس Artaxerxes مباشرة الذي عاهده بأن يدمر القوة

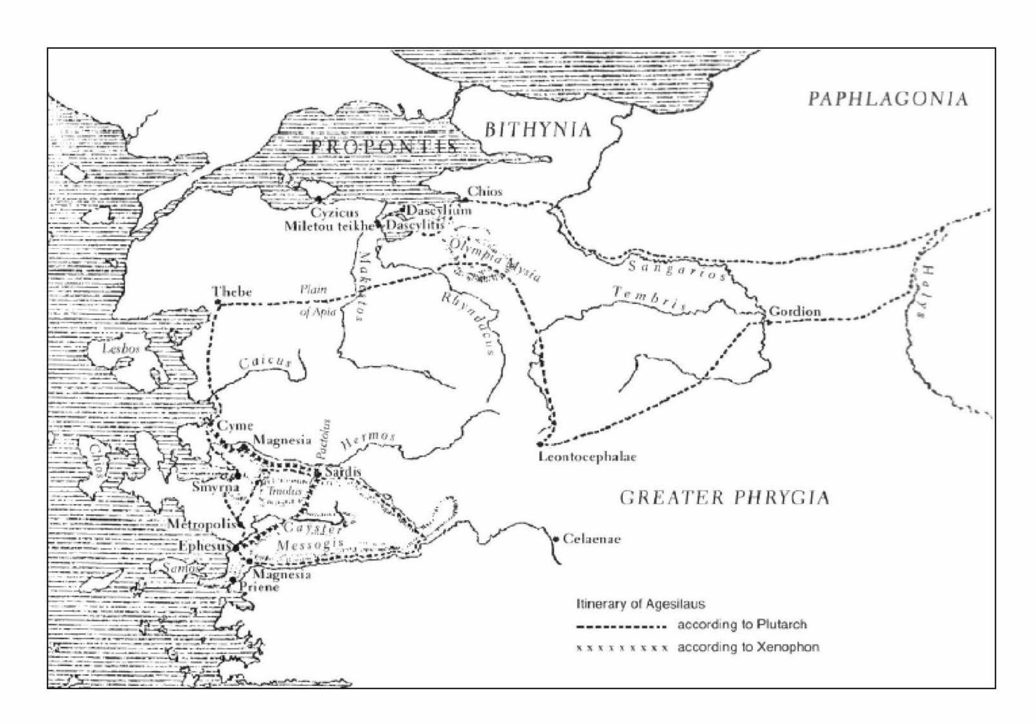
البحرية اللاسيدمونية إذا منحه أرتاكسركسيس Artaxerxes المال الكافي والمعدات العسكرية اللازمة لتحقيق ذلك، وقد استحسن أرتاكسركسيس Artaxerxes ما طلبه كونن Conen ، وكرمه بكثير من الهدايا غالية الثمن، وعينه صرافاً للرواتب الذي ينبغي عليه أن يوفر التمويلات بكثرة، حيث إن كونن Conen سوف يخصصها لهذا الغرض، ومن ذلك يتضح أن كونن Conen قد تلقى السماح بأن يجذب الموارد الملكية دون المراجعة كل مرة من خلال السلطة المركزية في البلاط الملكي، إن القرب من مثل هذه المصادر قد لا يتحاشى أو يتجنب إثارة كثير من الأمل بين الأعداء في إسبرطة الذين كانت أعدادهم غفيرة في اليونان وبحر إيجة، وهذا ما يعلل كيف أن إسبرطة قد اضطرت إلى أن تشن حرباً ضد Elis أثناء الحملة العسكرية التي كان يقودها Dercyllidas ، واضطرت بعد ذلك إلى أن تتعامل مع ثورة الهلوت، وبالرغم من البقاء في سلام مع عدوها الأول، فإن أثينا قد أرسلت سفارة إلى الملك العظيم، وعززت أو دعمت تحصينات سرية بحارة إلى كونن Conen الذي كان وقتذاك في كاونس، ونحن غير قادرين أن نتبين وندرك سر السلبية الغربية في أرتاكسركسيس Artaxerxes التي تنسبها المصادر القديمة، وتلحقها بدارا Darius الثاني، ومن الواضح أن أرتاكسركسيس Artaxerxes قد اتخذ قراراً ثابتاً ونهائيًّا بأن يقاتل بكل همة وعزيمة ونشاط لإعادة حكم ساحل بحر إيجة، وليس هناك شك في أن هدف الملك كان يضم بحر إيجة كلها منطقة الساحل بأكملها ، ومواجهته بهذا التهديد، فإن إسبرطة أرسلت الملك Agesilaus إلى آسيا الصغرى في عام 396، وفي الوقت نفسه فقد أرسلت سفراء إلى الفرعون نفراتيس الذي قدم المعدات بعدد 100 سفينة ثلاثية المجاديف و500.000 شاقل من القمح، والذي سرعان ما وقع بين أيدي كونن Conen ، والذي كان استولى لتوه على Rhodes ، وأدرك الفرعون أن بقاءه قد يعتمد على النصر الإسبرطي، وعلى العكس من

ذلك فإن أرتاكسركسيس Artaxerxes قد عرف أن إعادة الاستيلاء على مصر قد فرض مسبقاً إعادة فرض السيطرة على بحر إيجة، والذي قد فقده أسلافه تدريجيًّا أثناء القرن الماضي، ومن وجهة النظر هذه فإن أفعال الملك العظيم بعد كيوناكسا كانت تمثل نوعاً من التحول أو الانقلاب الاستراتيجي ساعة الغزو، وقد كانت قريبة.

5- إيجيسلاوس Agesilaus في آسيا الصغرى بين 394-396 هزيمة Tissaphernes :

واجهت إسبرطة خطراً وشيك الحدوث، وقررت أن تواصل الحرب على نطاق أوسع، وقد أرسل الملك إيجيسلاوس على رأس 12.000 ألف رجل من القوة الحملية، وسرعان ما وصل إلى إفسس في فصل الربيع لعام 396، وكانت البعثة التي ترأسها ذات أهداف واضحة، وهي أن يؤكد على الحكم الذاتي للمدن في آسيا الصغرى: أولاً قد وافق Tissaphernes على الهدنة مع اعتذار أنه مضطر لأن يحصل على إذن من الملك، وفي الواقع كان على دراية كاملة بنية أرتاكسركسيس Artaxerxes ، ثانياً أنه كان يؤجل أو يؤخر الوقت حتى تصل إليه قوات الملك العسكرية. وكان أيضاً بحاجة إلى الحصول على وقت كافٍ لكي تكتمل القوة الفينيقية التي وعدوا بها كونن Conon Conen ، بالإضافة إلى تحرير الأسطول الذي كان الأدميرال الليسيلايموني فاراكس قد أرساه في كاونس Caunus ، ولقد حقق كل ذلك بالفعل، وعندما انتهت فترة الهدنة كان Tissaphernes قادراً على أن يطلب أن Agesilaus سحب قواته للخلف، أي التراجع من مقاطعات آسيا الصغرى، واستجاب الإسبرطيون على الفور مع أن ذلك يعتبر خارج الموضوع.

وقد قام Agesilaus بحشد الفرق العسكرية الكارية، الأيولونية، والأيونية والهيليسبوتينية في إفسس، وقد اعتقد Tissaphernes أن



خريطة رقم 4

الإسبرطيين قصدوا أن ينهبوا ويخربوا ممتلكاته في كاريا؛ ولذلك أرسل فرقة المشاة التابعة له إلى كاريا، وقد قام بتركيز فرقة الفرسان التابعة له أيضاً على ساحل وسهل الـ Meander الالتواء متوقعاً أن يقطع ويصيب الفرق العسكرية اليونانية بالشرخ الكبير بين صفوفها، وعلى عكس توقعاته، سلك Agesilaus الطريق الفريجي، وحدثت المعركة بالقرب من Dascylium ، فقد فاز الضباط التابعون لفرانابازس Rhathines & Bageus بمعركة للفروسية، لكنهم اضطروا إلى أن يتقهقروا عندما تم إعطاء المسؤولية للهبلولاتيين -محاربين أثينيين من المشاة مدججين بالسلاح- وبعدها عاد Agesilaus إلى إفسس، ولم يكن هدف هذا الهجوم هو غزو المدن والمقاطعة، بل كان كل المؤلفين القدامى يشددون على مقدار الغنيمة التي تم الحصول عليها من جانب الإسبرطيين، ويذكر ديودورس Diodorus أن الجيش كان مصحوباً بعدد

كبير من التجار Agoraios - okhlos الذين قد طلب مـنهم بشـكل واضـح أن يجـدوا طريقاً لتسويق الغنيمـة، ومـن الواضـح أن Agesilaus قـد قـرر أن المـال هـو الوسـيلة النهائية لإنجاز وتحقيق أهدافه الحقيقية، ومع هـذه التحصـينات قـرر أن يرسـل جيشـاً قادراً بنجاح على التصدي للقوات الفارسية، مع إدراك أنه إذا لم يحصل على قوة فارسـية مناسبة، فإنه لن يكون قادراً على شن حملة في السهول، فقد صمم أن يتم التزويد بذلك حتى لا يضطر إلى أن يستمر في حالة الحرب المختلسة الخـدرة، وطبقـاً لـذلك، فإنـه قـد حدد الرجال الأكثر ثراءً في كل المدن في تلك المنطقة التي تقوم بإعـداد وتربيـة الخيـول، ومن خلال المناداة توجيه النداء أن الذي كان يقوم بدعم وتوفير حصـان أو أسـلحة أو رجل كفء لن يضطر إلى أن يخدم بنفسه، لقد عمل على تفعيـل هـذه الترتيبـات حتـى يتم تنفيذها من الفرقة العسكرية، والتـي كـان مـن المتوقـع قيامهـا بـذلك عنـدما كـان الرجال يبحثون عن بدلاء ليموتـوا بـدلاً مـنهم، وفي الوقـت نفسـه، فـإن ورش العمـل في إفسس كانت تعمل بكامل طاقتها، كان السـوق مملـوءاً بكـل أنـواع الخيـول والأسـلحة المعروضة للبيع، عمال النحاس، النجارين، والحدادين، قاطعوا الجلـود، النقاشـين، حيـث كانوا جميعاً منشغلين بصنع مادة الأسلحة حتى إن الفرد قد يعتقـد أن المدينـة بأكملهـا كانت ورشة عمل كبرى للحرب، وكان الجنود أنفسهم يتلقون تدريبات يوميـة لاكتسـاب المهارات الحركية.

وقد أعلن Agesilaus أنـه كـان مسـتعداً لأن يسـير مواصـلاً إلى سـارديس فصـل الربيـع 395 ، وبدرجـة فضـولية كافيـة، لم يصـدق Tissaphernes كلمـة مـن ذلـك، ومرة أخرى أرسل الفرق العسكرية التابعة لـه للـدفاع عـن كاريـا، والمعركـة التـي حـدثت عـلى ضفاف Pactolus انتهت لصالح اليونانيين، ومن هذه النقطة، تعتبر قصة زينوفون Xenophon تصـويرية جـدًّا، وطبقـاً لمـا أورده -بعـد المعركـة- فـإن Tissaphernes كـان قـد اتهـم

وتمت مقاضاته بواسطة الفرس في ساردیس، وتـم استصـدار الحكـم بـالموت مـن جانـب أرتاكسركسيس Artaxerxes ، وقد أرسـل Tithraustes إلى سـاردیس، وتـم قطـع رأس Tissaphernes ، وتمت مصادرة أملاكه لدعم التمويلات التي من خلالها يتم دفع أجـور الجنود، وأبلغ الحاكم/ القائد الجديد مرة أخرى Agesilaus بمطالب الملك من أن المـدن في آسيا لكي تحصل على استقلالها ينبغي أن تقدم له الجزية القديمة، وتـم الاتفـاق عـلى هدنة تستمر لمدة ستة أشهر، وقد تلقى Agesilaus مؤنـاً مـن Tithraustes قـد جعـل من الممكن عليه أن يسير إلى Hellespontine Phrygia ، وفي هذه اللحظـة فـإن الأمـر الخاص من سبارطا Sparta بأن يتولى القيادة الكاملة للأسطول البحـري قـد وصـل إليـه، وعليه فقد استصدر أوامر للمدن الساحلية أن توفر السـفن، ويثقـون في طلـبهم بتعيـين صهره Peisander .

الزحف العسكري الخاص Agesilaus :

يقدم ديودورس Diodorus تفاصيل أكثر عـن خطـط Agesilaus بعـد معركـة Pactolus ، فلقد كان على وشك الهجوم على الولايات الفارسية في داخـل الـبلاد، ولكنـه قد قاد جيشه للعودة إلى البحر عندما لم يستطع الحصول عـلى التكهنـات التـي يريـدها من الضحايا، وكلما كان التقرير أكثر تفصيلاً في Hellenica Oxyrhynchia ، فإنه يوضح لنا أن هذه الضحايا قد حدثت عندما، صعد Agesilaus إلى وادي كوجامس قبل وصوله إلى ضفاف الـ Meander ، ولقد تم تقديم وعرض الضحايا لاكتشاف إذا كان من المـبشر بالنجاح التحرك ضد Celaenae العاصمة المحصـنة لفريجيـا العظمـى، وعنـدما أعطـت الآلهـة إشـارة سـلبية فقـد رجـع Agesilaus إلى وادي الـ Meander إلى إفسـس، وفي الحقيقة فإن المبشرين قـد أكـدوا بشـكل بسـيط القـرار المبـدئي للسـير ضـد Celaenae والذي سوف يكون محفوفاً بالمخاطر التي لا تحمد عقباها.

وكـان Agesilaus يضـع هــدفاً مزدوجـاً، أن يـترك انطباعـاً بـين السـكان

داخل البلاد، وأن يجمع الغنيمة الكبيرة، وهو يرى أنه قد نجح في تحقيق هذين الهدفين، لقد كان أرتاكسركسيس Artaxerxes يعاني من القلق في النتائج الأولية عند احتلال الأرض؛ لأنه كان قد تلقى معلومات بشأن أشكال النهب والسلب التي قام بها اليونانيون على سهل ساردیس -وما هو وراء ذلك- من بين ممتلكات Tissaphernes ، ولا شك أن الفرس في ساردیس لم يكونوا حتى مسرورين مع Tissaphernes ؛ لأن هذه هي المرة الأولى منذ الغارة الأيونية في عام 499 التي تحدث مثل هذه الأخبار التي لم يسمع عنها من قبل، وطبقاً لما أورده مؤلف آخر فإن Tithraustes قد وافق على الهدنة بشرط ألا يسلب Agesilaus الريف الأيوني، ويظهر أنه أكثر من أي شيء آخر فإن الفرس كان يأملون في أن يجعلوا ساردیس وليديا آمنتين وبعيدتين عن الحرب، وكما ورد في قصص وروايات سابقة فإن قادة ساردیس كانوا سعداء أن يروا مسرح العمليات يتغير، بل ينتقل إلى ساحل Hellespontinephrygia ، ولكن لم يتوقف Agesilaus عن خطته في التقدم نحو الداخل، وبينما كان Peisander يعمل على إعداد الأسطول البحري، استمر Agesilaus في التقدم نحو Phrygia ، وقد تمنى أن يكون قادراً على أن يتغلب على الميسيين الذين كان يقال إنهم غير خاضعين أو لا يمكن قهرهم وخضوعهم للملك العظيم، ومن أجل هذا السبب فإنه قد نهب مقاطعتهم، ولكن هذا الحدث لم يكن له نتيجة متوقعة، حيث إن جزءاً فقط من الميسيين قد وضعوا أنفسهم تحت قيادته وجزءاً آخر قد قام بعمل خسارة فادحة بين صفوفه العسكرية، ولم يتوقف Agesilaus عن نهب الأراضي الخاضعة لفارنابيزوس Pharnabyzus ، وكان قد انضم إليه الـ The Persian spith ridates الذين ظهروا مع حاكم Dasylium قبل ذلك: «وعندما قال Spithridates إنه إذا جاء إلى بافلونيا معه، فإنه سوف يحضر ملك البافلونيين إلى مؤتمر، ويقيم معه تحالفاً، وقد شغف Agesilaus بتنفيذ هذه الرحلة؛ لأن ذلك كان يعتبر شيئاً قد

اشتاق إليه منذ زمن بعيد وهو أن يفوز ببعض الأئمة بعيداً عن الملك الفارسي.

ومصطحباً حلفائه الجدد، أخذ Agesilaus الطريق الداخلي إلى فريجيا العظمى، وأعاد الانضمام إلى الطريق الملكي في Leontocephalae ، وبالرغم من أنه كان قادراً أن يستقطع بعض الغنيمة فإنه قد فشل في أن يستولي على المدينة -أحد أكثر المدن أمناً وآماناً في فريجيا- ثم تقدم نحو Gordian » قلعة أو حصن تم بناؤه على هضبة، وكان مؤمناً بشكل جيد، ولكن هناك أيضاً اضطر إلى أن يسقط في وجه المقاومة التي عملها من جانب الـ Rhathines وهو مرؤوس لفارنابيزوس Pharnabyzus ، ثم عاد الإسبرطيون بعد ذلك إلى Cius في ميسيا، ثم إلى فريجيا، وعند هذه النقطة يخصص زينوفون Xenophon ، وكثير من المؤلفين الذين اتبعوا نهجه استطراداً طويلاً للعلاقات بين فارنابيزوس Pharnabyzus و Agesilaus ، وفي بادئ الأمر فاز الفرسان التابعون لفارنابيزوس Pharnabyzus نصراً كاملاً، ولكن اليونانيون تمكنوا من سلب ونهب معسكر الحاكم، إن مؤلف Oxyrhyn chus Hellenica يشير إلى أن Agesilaus قد حاول أن يأخذ Dascylium مكاناً قويًّا جدًّا تمّ تحصينه بواسطة الملك، حيث إنهم قد قالوا أن فازنابازس قد حفظ الفضة والذهب هناك»، وقد أحضر قوارب من الأسطول البلوبونيسيني من الـ Hellespont ، واستصدر أمراً للقائد أن يحمل ويعبئ كل هذه الغنيمة، ويأخذها إلى Cyzicus ، ثم يرسل جنوده إلى مقارهم الشتوية، موجهاً أمراً إليهم أن يعاودوا التجمع في فصل الربيع القادم، لقد كان المرزبان غير قادر على أن يأسر القلعة، وبالتالي أن يستمر في النهب الخاضع للسيطرة لكل المجاورات خاصة الغنية منها، فردوس حديقة غناء تابعة لحاكم الولاية الفارسية، ونخبر بعد ذلك أن فارنابيزوس Pharnabyzus قد اشتكى إلى Agesilaus بهذه الكلمات: «إنني لا أملك

مقدار وجبة في أرضي الخاصة إذا لم -مثل البهائم- ألتقط ما قد يمكن أن تتركه لي»، لقد نطقت هذه الكلمات، يقول زينوفون Xenophon ليجعلنا نصدقها، أثناء محادثة بين القادة التي يتم تنظيمها على يد شخص يوناني قد دعاهم إليها معاً، وبعد اللقاء، ترك Agesilaus الريف، وأقام معسكره في سهل Thebe بالقرب من خليج Adramyttium فصل الربيع 394 ، وأن هذا المكان هو الذي كان فيه عندما تلقى أمراً من السلطات الإسبرطية بأن يعود على الفور إلى اليونان، وطبقاً لما جاء في Hell-Oxyr كان هدفه آنذاك أن يسير نحو كبادوكيا، بالرغم من الخطأ الجغرافي الواضح حول المخطط والرسم الخاص بآسيا الصغرى، فإن البيان يشير بوضوح إلى أن Agesilaus قد قرر أن يستأنف المسيرة نحو الداخل، ويقول زينوفون Xenophon بلا اختلاف «أنه كان يستعد للمسير إلى أبعد ما يمكنه إلى الداخل معتقداً أنه يمكنه أن يبعد عن الملك كل الأمم التي يستطع أن يضعها في مؤخرة ممتلكاته»، وقد وجد تقييم متشابه لدى بلوتارخ Plutarch «قد عزم على أن يبعد الحرب عن شاطئ البحر، وأن يشير لأعلى بشكل أبعد داخل الريف، وأن يهاجم ملك الفرس نفسه في عقر داره في صوصا Susa وإكباتانا Ecbatana غير راغب أن يسمح للملك بأن يجلس عاطلاً في عرشه مكتوف الأيدي، ويلعب دور من يقوم بالفصل في النزاعات الخاصة باليونانيين، ويقدم رشوة لقادتهم المعروفين ، وقد استخدمت هذه الكلمات بواسطة Nepos ، ولم تكن أقل فخامة «كان بالفعل يخطط أن يسير ضد الفرس، ويهجم على الملك نفسه»، ويذكر Isocrates عن الضعف العسكري الملحوظ للفرس أن Agesilaus ، بكل معاونة ومساعدة جيش قورش Cyrus قد غزا تقريباً كل المقاطعة من جانب نهر Halys ، وبملاحظة أنه قد استغل فرصة هذا التعليق لكي يربط Agesilaus مع قورش Cyrus الأصغر، وفي الحقيقة، فنحن نعرف أن الفرارين الخاصين بالقائدين -قورش Cyrus المرتزقة اليونانيين

و Agesilaus - قد تم الاستشهاد بهما في اليونان كأحداث سابقة خاصة كل منهما، وقد أحضرا للملك وهو في أقصى درجات الانفعال والثورة» وبالتشابه بالتناظر نجد أن Agesilaus ، البطل الإسبرطي يتعارض بشكل تنظيمي مع ملك عظيم متدهور، وإذا تتبعنا زينوفون Xenophon في هذا المديح نجد أن Agesilaus كان بطلاً يونانيًّا إسبرطيًّا قد تماثلت مغامراته بشكل واضح مع تلك المذكورة عن أبطال هوميروس، ولا يباشر Agesilaus عملاً أقل من حرب طروادة الجديدة تضاهي Agamemon ، فقد أبحر من Aulis .

وفي كل هذه التعليلات اليونانية يمكننا أن نتعرف على المصفحات التقليدية للفرس والملك العظيم، ولكنه بعد الهجوم الإغريقي العنيف والنزوات الخاصة للملك الليسيديموني، لا يوجد هناك شك في أنه منذ لحظة وصوله إلى آسيا الصغرى، وقد قصد أن يتبع حرباً مختلفة جدًّا عن الحرب التي قد خاضها بواسطة أسلافه الذين سبقوه في القرن الخامس، وباستثناء ظهور مختصر بواسطة الفرق العسكرية الليسيديمونية في وادي الميندر Meander والغارة الأثينية على حقول ليديا، فإن القادة العموم اليونانيين في القرن الخامس قد قيدوا عملياتهم نحو الساحل، واتجهوا إلى سلب ونهب المناطق الخاصة بالمقاطعة الملكية والقريبة من البحر.

ومن الممكن أن يكون المثال الأكثر حداثة الخاص بالعشرة آلاف قد تم تفسيره بالفعل، بل واعتباره في اليونان وآسيا الصغرى دليلاً على النفاذية القريبة للدفاعات الأرضية للإمبراطورية، ولكن من المهم أن نميز بين الحقيقة والواقع الأخميني عن الانطباع الذي تم جمعه من التصورات اليونانية، والتي قد أُبلغت عن حقائق خاطئة عن الجغرافيا، كما هو موضح في الفقرات الإنشائية في الـ Anabasis ؛ ولهذا السبب كان يهتم مؤرخ الإمبراطورية الأخمينية بالعمليات التي كان يقوم بها Agesilaus : «إذ يقدم فرصة سانحة للتفكير الجيد عن السيطرة الفارسية للمقاطعة في آسيا

الصغرى الغربية لتكوين رأي حول هذه المسألة حتى يتسنى إقرار عمل ما حيال ذلك».

الـدفاعات الفارسـية تواجـه الهجـوم الـذي شـنه Agesilaus حكـام الولايـات والعـرقيين ، ويعتـبر تعليـل وتعليـق زينوفـون Xenophon متحيـزاً بـالمعنيين اللـذين تعنيهما الكلمة ، وطبقاً له فإن حملات بطله قـد انـتشرت دون معارضـة كبـيرة، وتظهـر صورة أخرى من Oxyr-Hellen التي، لحسن الحظ، تعتبر أقرب إلى مخطط حملـة مـن نظم أدبي مضلل وموسع وغير مشوق، وإذا كان Agesilaus يمتلك حركـة وقتيـة لإعـادة تتبع تقدم قورش Cyrus فإنه سوف يتبعه بين سارديس وبين حدود فريجيا العظمـى، ولا بد أنه كان متفائلاً جدًّا، وقـد تبنـى القـادة الفـرس وبشـكل واضـح خطـة عسـكرية قديمة لمواجهته، تجنبـاً لإقامـة المعركـة، والسـماح لـه بـالتجوال في الريـف حتـى تجـبره الضرورة على أن يعـود إلى السـاحل، ولم يكـن هـدف Agesilaus الـرئيس أن يكـون أي شيء أكثر من مجرد غنيمة مكدسة لإطعام ودفع أجور جنوده، وكان خوفه الأعظـم هـو نقص المؤن ومواد الغذاء.

ولكي يكون تهديداً للسيادة الفارسية فإنه سوف يضـطر أن يهـاجم مـدناً رئيسـة، وكما حدث ففي كل مرة يشيد فيها صف معركته أمام حصن قد أقامه رجال الملك كـان عندها غير قادر على أن يهجم عليه، سواء كـان ذلـك في Leontocephalae، Gordion أو Miletuteikhe ولا نذكر سارديس، Dascylium ، وهذه السلسلة من أشكال الفشـل توضح عدم الـترابط بـين طموحاتـه وقدرتـه العسـكرية التـي يملكهـا، ومـن الواضـح أن Agesilaus لم تكن لديـه أيـة وسـائل لإقامـة الحصـار، ولم يكـن هنـاك قائـد للقلعـة ذا رجاحة عقل ليهجر الملك.

لقــد كــان Agesilaus يقــدر الفــوز بتحــالف وولاء الشــعوب في الــداخل، والــذين كـان اسـتقلالهم عــن الســلطة المركزيـة يــتم التشـديد عليـه بشـكل أنيـق

من جانب كل مؤلفي القرن الرابع، ولكن قد يمكننا أن نتساءل في هذا الأمر إذا كان الإسبرطيون Spartan هم الضحية لمن أبلغوه -معاونوه- أو ضحية شطحاته وطموحاته ونزواته، وقد رأينا أن الميسيين لم يندفعوا أفواجاً إليه، وأن كثيراً من المجاورين قد عارضوه بشكل صريح، ويمكن تفسير رد فعل الشعب المسيني من خلال رغبتهم أن يحافظوا على أرضهم من نهب وسلب والحرب، أو بمعنى آخر خوفهم من انتقام الفرس الأخذ بالثأر ، إن حاكم Dascylium كان يقود قوات عسكرية بانتظام ضد الميسنيين الذين تمردوا بشكل صريح، وفضلاً عن كل ذلك فإن الميسيين كانوا يخدمون في الجيش التابع لفارنابيزوس Pharnabyzus ، وقد أحرز Agesilaus نجاحاً أعظم مع الملك بالنيابة لبافلونيا، الذي قدم 1000 فارس وألف من الجنود المسلحين يحملون أوقية/ تروساً خفيفة، ويبدو أن هذا النائب قد أفسد العلاقة مع السلطة المركزية، حيث يذكر زينوفون Xenophon «أنه قد تم استدعاؤه من جانب الملك الفارسي، وقد رفض أن يصعد إليه، ودعوة من هذا القبيل لا يمكن أن تبشر بأي خير، إن رفض دعوة الملك كان أمراً معادلاً لأكثر من مرة للتمرد والعصيان؛ لأنه في الأوقات العادية كان مطلوباً من بافلونيا أن تقوم بتجديد وإنعاش فرقة عسكرية ممتازة، يتم استدعاؤها عندما يطلبها الحاكم، وعلى أية حال، فإن Agesilaus أراد أن يوطد الولاء البافلويني بشكل أكثر صلابة؛ ولذلك فقد تفاوض بشأن موضوع زواج بين الحاكم وابنة Spithridates ، ويجب ملاحظة أنه طبقاً لما جاء في Oxyr Hell - أن Agesilaus قد توصل إلى هدنة مع البافلونيين والتي تشير إلى أنه ليست كل الجماعات تعتبر أن الحاكم هو القائد الحقيقي لهم.

ومثل ميسيا فإن بافلونيا لا بد أنه قد تم تقسيمها بين عديد من شيوخ قبائل جماعات متخاصمة، وهذه الحقيقة هي أن بعض المناطق التي يترأسها العديد من الشيوخ المحليين، قد دعوا بالتأكيد إلى مواقع

متنوعة في آسيا الصغرى، وتم توضيح ذلك من خلال حرب أرتاكسركسيس Artaxerxes بعد العديد من السنوات بعد ذلك ضد الكادوسيين، وفي هذه الحالة كان هناك ملكان محليان، وقد كان كل منهما منزعجاً من الحصول والانتفاع بما هو لنفسه ولمصالحه الشخصية بالصداقة والتحالف مع الملك».

ولمزيد من الإيضاح نجد أنه ربما أن الفرس قد ظلوا يراقبون ويضعون أعينهم على ميسيا وبافلونيا بشكل أكثر مباشرة، مما تقترحه بعض النصوص القديمة، وفي سياق الاستعداد بشأن حملة قورش Cyrus الأصغر، يذكر ديودورس Diodorus أن: «حاكم بافلونيا الذي أنعش الـ Alcibiades باتصال آمن قد رفضه فارنابيزوس Pharnabyzus »، ويشير ديودورس Diodorus إلى أورونتس، زعيم المتمردين كونه حاكم ولاية ميسيا Mysia ، وتعتبر هذه التعليقات أخطاء بسيطة قد اقترفها ديودورس Diodorus الذي كان متحرراً من استخدام لفظ «مرزبان»، ولكن المصطلح يشير إلى مسؤول رسمي لحاكم ولاية فارسية Dasyclium أو سارديس، ولنستدعي حالة التوازي لزينس من داردنس Zenis of Dardanus «المرزبان الذي قد تم تعيينه بواسطة فارنابيزوس Pharnabyzus بدلاً من Aeolis والذي سقط تحت قضائه، وكان مسؤولاً عن الإشراف على ريف الدولة، وفرض الجزية، قيادة القوات العسكرية الممتازة لجيش المرزبان وتنظيم استقبالات فاخرة لمرزبان Dascylium أثناء جولات التفتيش، وباختصار فإن Zenis قد عمل كمرزبان مماثلاً لفارنابيزوس Pharnabyzus ، زينوس الذي نجح عن طريق أرملته مانيا في أن يكون واحداً من الحكام المعتمدين على سلطة فارنابيزوس Pharnabyzus ، وإذا تتبعنا هذه النظرية يمكننا أن نسأل عما إذا كان Ariobarzanes قد حقق الوظيفة نفسها في بافلونيا في عام 407، Ariobarzones قريباً لفارنابيزوس Pharnabyzus ، وكان قد أُصدر إليه أمر

في عام 407 لأن يحضر السفراء الأثينيين الذين احتجزهم مرزبان Dascylium لمدة ثلاث سنوات إلى قورش Cyrus في ميسيا، وقد نتج نوع من الغموض والارتباك الاختلاط بين المناطق الجغرافية والجماعات العرقية، وقد أشرنا بالفعل إلى أن ميسيا لم تتوحد مع بافلونيا، ولا تم توحيد أي منهما، وتكشف العديد من الروايات أن أحزاباً معينة في ميسيا كانت خاضعة للفرس بشكل ثابت، وقد تم إقامة العديد من الإنشاءات العسكرية هناك بداية من عصر دارا Darius وكسركسيس Xerxes ، إن الباقين من العشرة آلاف قد عاشوا أوقاتاً صعبة متعثرة، وهناك، وبمجرد أن وصلوا إلى Pergamum -التي يضعها زينوفون في ميسيا- في سهل كايكس، في المكان نفسه، حيث تم التصديق على عمل أورونتس.

لقد كان الـ Asidates الفرس يملكون ممتلكات ريفية كبيرة جدًّا مملوءة بالعبيد والخدم على هذا السهل، وقد تم تحصين الملكية Anab, Teikhos-Pyrgion-tyrsis ، وإضافة إلى ذلك، فإن المدافعين كانوا قادرين على أن يتواصلوا مع المواضع الأخرى في المجاورات -الأماكن المحيطة- باستخدام إشارات نارية للتحذير أو الإرشاد، وهناك جاء إليهم Jtamenes مع قوته العسكرية التابعة له للمساعدة، ومن هبلوت كومانيا السوريين وفرسان هيركانيين Hyarian ، وهؤلاء كانوا أيضاً مرتزقة في خدمة الملك، حتى وصل العدد إلى ثمانين، بالإضافة إلى ثمانمائة من Peltabsts ، وأكثر من Parthenium ، وأكثر من Apollonia ، ومن الأماكن القريبة على أن يشمل ذلك الفرسان، وجاء ألفي Procles للإنقاذ والمساعدة، ومن Teuthrania & Halisarna جاء سليل داماراتس Damaratus ، وسرعان ما وصل رجال Gongylus of Eretria ، وقد أقام هناك في المنطقة أثناء عصر كسركسيس Xerxes ، وهذا المثال هو توضيح كامل لكثافة الاحتلال الأخميني للمقاطعات الموجودة في

المنطقة الميسية، لقد كانت مأهولة بالمستوطنين والحاميات العسكرية، ومنتصبة بحصون صغيرة، وهناك تأكيد في فقرة في الـ Polyaenus في سياق بعثة Thibron العسكرية في Aeolis ، ويبدو أنها قد تغطت بشبكة كثيفة من حصون صغيرة تحت قيادة قائد الحصون العسكرية في Aeolid ، وبالطبع فإن هذه الملاحظات لا تجيب عن السؤال الفرعي عما إذا كان هناك أية حكومات في ميسيا أو بافلوثيا.

وبالرغم من أننا نلاحظ أن المرزبانات يعتمدون في قيادة الفرق العسكرية على الفرسان الفرس من الديسبورة، فنحن نوافق بشكل عام على أن المقاطعات الملكية لم تكن خالية من الدفاعات مثلما يحاول المؤلفون اليونانيون إقناعنا بذلك، أو كما تخيل Agesilaus نفسه، وبالرغم من النصر الذي كان بالقرب من ساردیس، فإنه لم يكن قادراً على أن يجد ما هو مناسب لنفسه لأي فراغ استراتيجي أخميني طرق - مخازن - قلاع - معاقل - ... ، وإذا كان قد تعلق بحلم السير العسكري مرة أخرى نحو الداخل في عام 394 فإن فرص النجاح كانت بشكل عملي صفرية أي لا قيمة لها .

المواجهة بين Agesilaus والفرس:

لم يكن Agesilaus قادراً على أن يحكم قبضة قوية على المدن في الداخل، ولكنها إمكانية نظرية لصنع قلق كافٍ، حتى إن بعض الفرس قد هجروا الملك إذا استمر ذلك، ولكن حتى الآمال الخاصة بإمكانية مثل الإيواء واللجوء قد تحطمت، وعندما عاد من بعثته -كما رأينا- أجرى محادثات مطولة مع فارنابيزوس Pharnabyzus ، وطبقاً لما أورده زينوفون فإنه يؤكد للمرزبان «أنه مع توفر قوتك ودعمك ونفوذك للانضمام إلينا لنعيش في ظل التمتع بممتلكاتك دون الولاء لأي شخص أو الخضوع لأي سيد»، ويضيف قائلاً: «إننا نناشدك أن تزيد وتعمل على توسيع -ليس امبراطورية الملك- بل ممتلكاتك، قاهراً ومخضعاً أولئك

الذين يعتبرون عبيداً تابعين لك حتى يصبحوا خدماً ومرؤوسين، وفي سياق النصوص الواردة، كان يقصد من هذا الحديث إقناع فارنابيزوس Pharnabyzus أن يجعل من نفسه أميراً مستقلاً عن طريق نقل الفرس الآخرين من ولايته إلى Bandaka ، ويجيب فارنابيزوس Pharnabyzus بشكل بسيط، أنه إذا نصب الملك قائداً آخر، فإنه سوف يوافق أن يكون صديقاً وحليفاً لـ Agesilaus ، وفي حالة عدم حدوث ذلك فإن اتصاله وخدماته للملك العظيم لا يمكن الاستمرار فيه، وفي الحقيقة لقد تركت إجابة المرزبان المعوّقة البطيئة Agesilaus بلا أي أمل حتى بعدما قد وُعد فارنابيزوس Pharnabyzus بالزواج من إحدى بنات أرتاكسركسيس Artaxerxes .

إن المرتد الوحيد كان شخصاً يدعى Spithridates وكان فارسيًّا من أسرة شريفة ونبيلة والذي لم يستمر في عهده مع فارنابيزوس Pharnabyzus عندما طلب الأخير أن يأخذ ابنته كمحظية، وعندما اقترب Lysander ، هرب إلى Cyzicus ، حيث ترك كل عائلته، وكنوزه، وقيادته لـ 200 من الفرسان، بالإضافة إلى ابنه Megabates قد انضم إلى Agesilaus ، ولم تكن واجباته تحت قيادة فارنابيزوس Pharnabyzus معروفة بشكل دقيق ويلاحظ Hell-Oxyr بشكل بسيط أنه عاش مع فارنابيزوس Pharnabyzus ، وقد خدمه أيضاً؛ ولذلك فقد كان ينتمي إلى دائرة طبقة من الأرستقراطيين المستقرين الذين قد تم استخدامهم من جانب مرزبان Dascylim لأجل مهام تنجز في مواعيد محددة، ونحن نَعلم أنه في عام 410 قد شارك القيادة مع Rhathines من الفرق العسكرية الممتازة، والذين، مع الـ Bithynians ، تم تجنيدهم بواسطة فارنابيزوس Pharnabyzus لمنع الناجين من العشرة آلاف من دخول فريجيا، ولكن المهام التي تم تحقيقها عن طريق أحد مسؤولي الولاية الفارسية أو غيره لم يذكر شيئاً عن عملهم الدائم، وأثناء المسيرة العسكرية لـ Agesilaus ، فإن

Rhathines كان هو نفسه مسؤولاً عن قيادة وحكم Gordion ، ومـن الملاحـظ بشـدة حقيقـة أن Spithridates قـد وافـق عـلى زواج ابنتـه مـن النائـب نائـب الحـاكم البافلاجوني، وقد تم خداعنا لنستنتج من ذلك أن Spithridates كـان لـه علاقـة طويلـة وحميمة مع بافلاجونيا، ولم يستمر التحالف بين Agesilaus و Spithridates .

بعد الهجوم الناجح على ممتلكات وأمتعة وقافلة فارنـابيزوس Pharnabyzus ، أخذ Spithridates وحلفاؤه البافلاجونيون الغنيمة، وسرعان مـا تحـرّروا منهـا بواسـطة ضابط مسؤول لدى Agesilaus مع تقديم عُذْر أن هذه الممتلكات ينبغي أن توضع بين أيدي الضباط المسؤولين عن بيع الغنيمة، وطبقاً لمـا أورده زينوفـون Xenophon فـإن هذا العمل هـو مـا قـاد حلفـاء Agesilaus إلى أن يهجـروه، وفي الحقيقـة كانـت هـذه الشكوى هي الحجة والذريعـة، وعـلى عكـس مـا ذكـره زينوفـون Xenophon ، فـإن Spithridates والبافلاجونيين قد استنتجوا من الأحداث الحالية ما قد رأوه بالفعل، مـع أن ذلك قلل من حجم الأمل في النصر عـلى الليسـديمونيين، وكـان اهـتمامهم منـذ ذلـك الحين هو بالحصول على عفو الملـك؛ ولـذلك اتجهـوا مبـاشرة إلى سـارديس للتقابـل مـع Ariaeus ، الصديق والرفيق الأسـبق لقـورش Cyrus الأصـغر، حيـث إنـه عنـدما تـرك Ariaeus ليديا، أعطاه Tithraustes أمر قيادة ولايـة فارسـية أخـرى و Pasiphernes ، وقد عرض وأظهر ولاءه وإخلاصه من جديـد مـن خـلال مشـاركته الفعّالـة والنشـطة في تنفيذ الحكم ضد Tithraustes ، لقد قرروا أن يضعوا ثقتهم في Ariaeus ؛ لأنه قـد ثـار عـلى الملـك وشـن حربـاً «ضـده»، ويشـير زينوفـون Xenophon إلى أن هـذا الهجـر قد أصبح ناقوس الموت لكن آمال وطموحات Agesilaus لم تحدث شـيئاً أثنـاء الحملـة التي كانت محزنة بدرجة أكـبر لــ Agesilaus مـن هجـر Spithridates و Megabates والبافلاجونيين.

ملخص:

لقد تم استدعاء Agesilaus في عجالة إلى إسبرطة التي قد تم تهديدها بـائتلاف من المدن اليونانية تشمل أثينـا التـي طالبـت بـالتحرر مـن سـيطرتها، فقـد تـرك آسـيا الصغرى ببيان قصير أقل من أن يكون مؤثراً على أحداث قد حدثت هناك، وبعيـداً عـن فرقة عسـكرية ممتـازة تحـت قيـادة Dercyllidas ، فقـد أرسـل إلى Hellespont بعـد رحيله بفترة قصيرة، ومازالت المواقع العسكرية توجد هنـا وهنـاك، فلقـد اضـطر إلى أن يهجرهم إلى مصيرهم -لقاء حتفهم- أي إلى المدن التـي جـاء لتحريرهـا مـن وطـأة النـير الفارسي، إن النقطة الإيجابية الوحيدة هـي وجـود الأسـطول البحـري الـذي أمـر ببنائـه القائد الإسبرطي في العام السابق عـلى تلـك الأحـداث، وقـد اسـتأمن صـهره Peisander للقيام بذلك، ومن الحقيقي أنه قد أثبت أن الفرس قد سيطروا على الطـرق المتجهـة إلى ساردیس فقط وبشكل غير تام.

وقد وضح أيضاً Thibron الطريق عن طريق شن حملات عسكرية ضـد ميسـيا، ماجنيسيا، و Tralles ، وقد ذهب Agesilaus إلى أبعد من ذلك؛ لأنه قد اسـتوعب أنـه كان في حاجة إلى فرقة من الفرسان لمواجهـة الفـرس، وقـد نجـح الإسـبرطي Diphridas بعد ذلـك في أسر صـهر زوج الابنـة Strutha ، حيـث إنهـما كانـا ذاهبـين في رحلـة إلى ساردیس، وحتى إذا كان الإسبرطي قد أظهر الجرأة والبسالة مـن خـلال تطـوير أسـلوب «الزحف العسكري» بالتوجه نحو الداخل، ولم يبدُ أنه يصدق أنه قـد يقـود الفـرس مـن الولايات مرزبانات ساردیس ودايسلايم، وعلى أية حال، فإن هذا الهدف لم يكـن مـدركاً؛ لأن الـدفاعات الملكيـة كانـت قويـة وصـلبة، وكـذلك لأن فكـرة نـوع مـن هـذه الفـرق العسكرية لم تدخل عقل القادة الإسبرطيين، وباختصار، وبالرغم من خلفية طروادة، فإن Agesilaus لم يكن نموذجاً مطابقاً نسخة أصلية من الإسـكندر Alexander جغرافيًّا أو سياسيًّا.

6- النجاحات والاخفاقات الأخمينية من آسيا الصغرى حتى مصر 396 - 370 :

هزيمة إسبرطة:

أثناء الفترة نفسها، وبعد الإنعام عليه بلقب أدميرال أمير البحر للأسطول الملكي استكمل كونن Conen استعداداته، وبدأ في هجومه، وكان أول نجاح له، بعد الحصول على تمويلات من Tithraustes والملك العظيم، حث حزب Rhodian على أن يصمد ضد الإسبرطيين والترحيب بأسطوله، ويعتبر هذا انتصاراً عظيماً بسبب الأهمية الاستراتيجية والتجارية بالنسبة للجزيرة، وفي توافق مع فارنابيزوس Pharnabyzus ، قاد كونن Conen الأسطول البحري إلى Cnidianchersones لمواجهة الأسطول الليسيديموني الذي كان يرسو في Cnidios ، وحققت المعركة التالية انتصاراً مذهلاً بالنسبة لسرايا الأسطول، فقد حصل الغزاة على فائدة وربح فوري نتيجة نقل المواقع العسكرية الليسيديمونية من كل من الجزر Teos-Nisyros-Cos Mytilene-Chios والساحل Ephesus-Eruthrae .

لقد قام كل من فارنابيزوس Pharnabyzus وكونن Conen بعمل جولة في الجزر والمدن على ساحل البحر، وأخرجا الحكام الليسيديمونيين، وقاما بتشجيع المدن قائلين إنهما لن يقوما بإنشاء قلاع محصنة داخل أسوارهم، وسوف يتركونهم أحراراً مستقلين، وقد استقبل سكان هذه المدن الإعلان بكل فرح واستحسان، وأرسلوا هدايا الصداقة بحماس إلى فارنابيزوس Pharnabyzus ، وكان Dercyllidas معارضاً لهجوم فارنابيزوس Pharnabyzus عندما عاد إلى مقاطعته، ولكن في فصل الربيع التالي رجع أسطول فارنابيزوس Pharnabyzus وكونن Conen إلى البحر، وكان هدف فارنابيزوس Pharnabyzus إنزال

العقاب والانتقام على إسبرطة، فقد استولى أسطوله على Cuthera ، محرراً الـ Cyclades في المعركة، ثم الإبحار إلى Isthmus في كورنثوس، وهناك حض الحلفاء على مواصلة الإبحار بحماس وغيرة وإظهار وإثبات أنفسهم كرجال مخلصين للملك، لقد ترك لهم كل المال الذي كان بحوزته، وربما قد تم الترحيب بالفرس في أثينا لعقد ميثاق شرف، وكان ذلك يعتبر هو المرة الأولى من نوعها منذ عام 480 أن يأتي الأسطول الأخميني لمساندة ودعم الـ Medizers! ويبدو أن الانتصار الفارسي كان متألقاً ولامعاً.

الفرس الذين تم القبض عليهم بين الأثينيين والليسيديمونيين:

في الحقيقة، فإن الانتصار الفارسي كان سريع الزوال وغير مؤكد الحدوث، فلقد قُهر الفرس مرة أخرى بين رغبة إسبرطة في مواصلة سيطرتها وسيادتها وأمنية أثينا في إعادة إنشاء خاصتها، إن الانتصار في Cnidos وتلك الانتصارات التي تبعت ذلك كانت من عمل كونن Conen ، الذي كان يحلم به منذ عام 405 بأي شيء سوى استرداد المجد لوطنه وبلاده، ونتيجة لاصراره، فإن فارنابيزوس Pharnabyzus قد وافق على أن يترك جزءاً من أسطوله وماله معه، وسرعان ما استخدم كونن Conen هذا المال في إعادة بناء أسوار أثينا و Piraeus التي تم تدميرها على يد الإسبرطيين عام 404، وقد استخدم الليسيديمونيون هذه الفرصة الجديدة في نقض تحالفهم ومحاولة تنظيم معاهدة جديدة مع أرتاكسركسيس Artaxerxes ضد أثينا، وباللعب على إثارة الخلاف والشقاق بين القادة الفرس، وكان ذلك شيئاً يجيدونه، فقد أرسلوا Antalcidas إلى Tiribazus في ساردیس، وفي أثناء ذلك جعل الملك Tiribazus قائداً للقوات العسكرية الملكية في آسيا الصغرى، ووصل Antalcidas ، ووصل بعده مباشرة سفراء من أثينا ومن المدن التي حاربت طول المعركة وعلى طول خط المواجهة ضد إسبرطة أيضاً، وقد خاطب

كل وفد Tiribazus بالتناوب، جاعلين منه حاكماً لهم قاضياً ، وقد عرض Antalcidas السلام الذي رغب فيه الملك وناشد بحلوله، وبالنسبة لليسيديمونيين -كما قال- فلم يقدموا أي ادعاء أو شكوى ضد الملك إلى المدن الإغريقية في آسيا، وأنهم كانوا راضين وقانعين بأن كل الجزر والمدن الإغريقية بصفة عامة ينبغي تحريرها، وكما تظهر أحاديث الوفود الأخرى، فإن العرض الإسبرطي قد شمل وطوّق مشكلات المدن في أوروبا، وقد عارض الأثينيون ذلك بشدة، معتقدين أن مثل هذا السلام سوف يمنعهم من تحقيق أهدافهم الطموحة، ولم يكن كل القادة الفرس، وفي اتفاق حول استراتيجية في هذا الوقت، وقد أحضر Tiribazus كونن Conen موثقاً إلى سارديس وألقاه في السجن، وقد قدم المال إلى الليسيديمونيين سراً لأنه لم يستطع صنع قرار أن يفعل ذلك دون استشارة الملك دون التشاور مع الملك ، ومن الواضح أن Tiribazus لم يكن قادراً على أن يقنع أرتاكسركسيس Artaxerxes الذي أرسل Struthas إلى ساردیس، والذي كرس نفسه بشكل مواظب للأثينيين، وقد ازداد عداؤه نحو الإسبرطيين، وبعد ذلك فقد قبض الليسيديموني Diphridas على زوج ابنته Tigranes وأمسكه طلباً للفدية، وقد حدث في السنوات التالية تصعيد في حالات العداء بين الأثينيين والليسيديمونيين في آسيا الصغرى، وقد ظهر الفرس بشكل نادر في موضع الفصل في النزاع، وأعاد الليسيديمونيون تعيين الحكام.

ولكن الحقيقة -وبما لا يدع مجالاً للشك- أكثر تعقيداً مما يشير إليه زينوفون Xenophon ؛ لأن كل روايته كانت مخصصة بشكل كامل لأشكال العدواة بين أثينا وإسبرطة، وفي الحقيقة فنحن نعلم من تضمين قد ناقشناه بالفعل أنه أثناء هذه السنوات قد فصل في نزاع Struthas عدم اتفاق حول مقاطعة بين Miletus و Myus ، والتي قدمها للقضاة من اثنتي عشرة مدينة أيونية، وفي هذا الوقت كلن باستطاعة ساردیس أن تفرض

حكمها الخاص وسيطرتها على المدن الواقعة على الساحل الأيوني -معاً مع سطور المعاهدات التي تم توقيعها قبل قرن من الزمان على يد Artaphernes - ومن المحتمل جدًّا أن تغيراً إداريًّا مهمًّا قد حدث أثناء هذه السنوات بين الأعوام 395 و391 ، وفي كاريا -ولاية تابعة لساردیس فارسية مستقلة ذاتية الحكم - قد تم العهد لها إلى Hectomnus بأن يكون وريثاً للسلطة الحاكمة المتمركزة في Mylasa ، عاصمة Koinon اتحاد الكاريين، ومن الممكن أن أرتاكسركسيس Artaxerxes قد فعل ذلك لكي يجعل الحرب على إسبرطة أكثر فاعلية.

من قبرص إلى مصر:

بالنظر إلى ما حدث في صوصا Susa أو Babylon فإن الأحداث لا يمكن أن تقتصر على الطموحات المتناقضة لأثينا وإسبرطة على ساحل آسيا الصغرى، فقد كان الملك مشغولاً بدرجة رئيسة بالأحداث التي تدور حوله، وبسط سلطانه على مصر وقبرص، وفي الحقيقة أنه خلال الفترة الزمنية التي تمتد ما بين عام 390-391 فإن ديودورس Diodorus كان يناقض مخاوف الملك العظيم الذي أوقظ وأزعج من قبل بعض الملوك القبارصة Amathus-Soloi-Kition ، فلقد كانوا يحاربون بدرجة تبعث على اليأس رداً على الهجمات من جانب قوات Evagora وطلب المساعدة الفارسية، لقد اتهموا Evaogra بقتل الملك Agyris -حليف الفرس- ووعد أن ينضم إلى الملك للحصول على جزيرة له، وقرر الملك -ليس فقط لأنه كان يقدر الوضع الاستراتيجي لقبرص وقوتها البحرية العظيمة، إذ يمكن أن تحمي آسيا في المقدمة- أن يقبل التحالف، فقد عزل وطرد السفراء؛ ولأجل مصلحته ومنفعته أرسل رسائل وخطابات إلى المدن الواقعة على البحر، وإلى المرزبانات الموكل إليهم قيادة وحكم هذه المدن أن يقوموا ببناء سفن ثلاثية المجاديف، وبكل سرعة يقومون بتجهيز كل شيء قد يحتاج إليه الأسطول، ومنذ أن وصل إلى السلطة

فقد تابع Evagoras of Salamis بطريقة منظمة هدفه أن يوسع سلطته على المدن الأخرى في الجزيرة القبرصية، وأكثر من ذلك، فمنذ عام 398 فقد تعاون مع أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني في حرب ضد القوات الليسيديمونية، ولكن الاختفاء المؤثر للتهديد الإسبرطي للسواحل في بحر إيجه بعد معركة Cnidus قد عمل على تغيير الموقف بشكل جذري.

ويعتبر النص الذي أورده ديودورس Diodorus واضحاً: «لم يأتِ الانفراج من Evagoras الذي لم يعد لديه أي اهتمام أو منفعة هناك، لقد كان قراراً فاتراً ضعيفاً من أرتاكسركسيس Artaxerxes ، ويتفق Isocrates على ذلك 67-68 Evag ، ففي اللحظة التي استعاد فيها السيطرة والحكم على آسيا الصغرى، فإن تكاليف ونفقات الملك العظيم نفقات الدعوى: التي تفرضها السلطة الحاكمة على المدينة الخاسرة لتدفع إلى المدينة المنتصرة أرادت أن تستبعد النظر إلى أن القوة العسكرية والاقتصادية ترتفع من ناحية الجزء الواقع تحت قيادته، والذي هدّد بأن سوف يقلل هذه النفقات إلى لا شيء حسب الاستراتيجية البحرية التي اتبعها بشكل متسق منذ معركة كيوناكسا؛ ولذلك فإن السيطرة، وفرض الحكم على الجزيرة قد فرض أن السلطة هناك سوف يتم تقسيمها وتجزيئها بين عدد من الملوك الصغار الذين سوف يبلغون عن أخبار كل منهم إلى السلطة المركزية، وهناك بيان فينيقي منشور حديثاً يقدم إيضاحات متعددة بشأن ما يتعلق بالمعارك الأولية في قبرص، وهذا البيان الذي يعود إلى السنة الأولى من حكم Milkyaton ابن Baalrom ملك Kition يعيد ذكرى تشييد نصب تذكاري ليبقى رمزاً للنصر الذي تم تحقيقه على يد الملك وكل شعب Lition على أعدائنا ومعاونيهم البافينيين»، وليس هناك شك في أن مصطلح «أعداء» يشير إلى Evagoras وحلفائه، والذين من بينهم البافينيون؛ ولذلك فنحن لدينا صدى مباشر عن حرب مفتوحة بين Kition وحلفائه Amathontes, Soloi من ناحية، وسلاميس وحلفائها من ناحية

أخرى، ومن الجدير بالذكر أنـه بعـد هـذا الانتصـار قـد أخـذ Milkyaton لقـب الملـك مؤسساً سـلالة حاكمـة تمتـد حتـى عـام 312، وعـلى عكـس بيـان أقـدم في تاريخـه مـن Idalion الذي قد يرجع إلى عام 440-470 فإن الـ Medes لم تذكر عنها شيئاً، ولا يمكننـا أن نشـك في أن الحـاكم الجديـد Kition قـد تلقـى المسـاعدة والمعونـة والـدعم مـن أرتاكسركسيس Artaxerxes ، كما يخبر ديودورس Diodorus ، ومن المحتمل -برغم ما سبق- أن هذا النجاح قد جاء في فترة زمنية قبل التدخل المباشر للقوات الفارسية، ولم يكن ذلك قبل مرور عدة سنوات على ذلك من أن الفرس قد انـتصروا في معركـة بحريـة بالقرب من Kition ، وعلى أية حال، فإن هذا النوع من الآثـار للسـلالة الحاكمـة يـبرز التعاون الحميم بين الملك العظيم وكل شعب Kition ، وإضافة إلى ذلك، فكـما رأينـا في سياق العلاقات الفارسية القبرصية أن المعارك التـي كانـت ضـد Evagoras of Salamis تنتمي إلى تاريخ قبرص في الـ Longue duree : تاريخ لا يقل عن نزعـات السـيطرة مـن جانب الملك العظيم.

وهناك عنصر ضروري قد لعب دوراً كبيراً في السياسة الفارسـية، مـن أنـه إذا لم يـتم الاستيلاء مرة أخرى على قبرص، فإن أي هجوم عسكري على وادي النيل كان محكومـاً عليـه بالفشل، وفي الحقيقة فإن إعادة غـزو مصر كـان لـه الأولويـة الكـبرى عنـد أرتاكسركسـيس Artaxerxes ، وبينما كانت المفاوضات بـين اليونـانيين و Tithraustes في طريقهـا للبـدء، كانت السلطة تتغير في أيدي المسـؤولين عـن حكـم وقيـادة مصر، وفي عـام 393-394 لقـي Nepherites حتفه في اهتياج ذو علاقـة بالسـلالة الحاكمـة. وقـد نصـب حـاكمان/ أمـيران نفسيهما كفرعونين بشكل تلقائي: موثيس، ابن نفراتيس، وساموثيس Psammuthis ، وتمت تسوية الجدال سريعاً من خلال شخص ثالث Hakoris ، ربما قريب نفراتيس الـذي تقلـد السلطة في بدايـة عـام 392، وتظهـر ألقابـه وتوسـعه في برنـامج التعمـير والبنـاء رغبتـه في

أن يربط نفسه بالتقليد المجيد للفترة السايتية Saite ، وأن يواصل الحرب ضد الفرس بشكل عنيد، لقد عرف أنهم لم يتخلوا أبداً عن فكرة الغزو، إن حكم هذا الحاكم الذي يطلق عليه Pako1rios هو الموضوع الخاص بالكتاب الثاني عشر المفقود عن تاريخ ثيوبومبس Theopompus's History ، والذي فيه توجد قصة الأفعال والأحداث التي قام بها اليونانيون والبرابرة حتى وقته.

العمليات الأولية عام 386، 387-391 :

من الجدير بالذكر أنه في عام 390-391 أراد الملك العظيم أن يؤدي أفعالاً بسرعة، ومن المحتمل أنه كان يأمل أن يمنع Evagoras من تلقي أية معونة ومساعدة خارجية، ويدوّن Theopompus عن التحالف بين Hakoris و Evagoras ، ومن الممكن أن Evagoras قد أرسل سفراء إلى Hakoris ، كما فعل ذلك في أثينا، ولكن يبدو من غير المحتمل أن الفرعون كان في وضع يسمح له أن يرسل تعزيزات إليه في هذا الوقت، ومن ناحية أخرى، فإن تحرير إطلاق العنان للعمليات القبرصية يستطيع أن يساعد Hakoris ؛ لأنها قد أعطته الوقت الكافي لمؤازرة وتعضيد سلطته واستعداد دولته للعدوان الفارسي الحتمي، ومن الممكن -كما يقترح- أن Tyre قد أخذ جانب Evagoras ؛ لأنه بعد عدة سنوات منذ ذلك الوقت ناضلت وحاربت السفت التيرانية Tyrian بالإضافة إلى سفنه الخاصة، ولكن ارتداد ورجوع Tyre من بلاد الفرس قد جاء بعد عديد من السنوات من استهلال أشكال العداء والخصام بينهما، ويمكن ملاحظة -من ناحية- أن Evagoras أيضاً قد تلقى المساعدة والمعونة من أثينا في 389-390، وأرسلت أثينا عشر سفن قد كانت تنادي عليها للتفتيش على يد أدميرال ليسيديموني، وبعد مرور بعض الوقت، أرسلت أثينا تعزيزات جديدة إلى Evagoras 10 سفن ثلاثية المجاديف و800 من Peltasts تحت قيادة Chabrias ، ولكن نحن لا نعلم شيئا عن النتيجة، تقريباً في التوقيت

نفسه أن الأثيني Thrasyubulus قد تقدم مع سرية خيّالة من الأسطول على طول الساحل الجنوبي لآسيا الصغرى كبعد Aspendus عن فم الـ Eurymedon ، حيث حاول أن يفرض الضرائب على السكان، ومع ذلك فقد أصبحوا يشعرون بالضجر والملل مع سلب الجنود ونهبهم، وذبحوا القائد الأثيني في خيمته، وتنتمي العمليات العسكرية الموسمية أكثر إلى تاريخ الصراع الأثيني-الإسبرطي منها إلى شؤون قبرص، وعلى أي حال، فإن السلوك والتصرف الغريب للإسبرطيين والأثينيين، مع الإشارة إلى السفن التي قد تم إرسالها إلى قبرص من أثينا في عام 389-390، قد تم تسليط الضوء عليه من جانب زينوفون Xenophon : «كل من الفريقين كانا يسلكان في هذا الشأن أسلوباً متعارضاً تماماً مع مصالحهم واهتماماتهم الخاصة -بالنسبة للأثينيين- بالرغم أن الملك صديق لهم، كانوا يرسلون معونة ومساعدة إلى Evagoras الذي كان يشن حرباً ضد الملك، و Teleutias ، بالرغم أن الليسيديمونيين كانوا في حرب مع الملك، كان يدمر الأشخاص الذين كانوا يبحرون لشن حرب ضده، وباختصار فإنه في عام 390-391 لم يتمكن Evagoras من الاعتماد على حلفاء خارجيين.

وكان على رأس الفرق العسكرية الفارسية قائدان: Autophradates الفارسي الجيش البري و Hecatomnus النائب الكاريي أدميرال الأسطول ، ونحن لا نعلم أي شيء عن هذه الحملة الأولى، وطبقاً لـ Isocrates لم تكن النتائج متساوية مع الخسائر المالية الضخمة التي كان يوافق عليها أو يقبلها الملك؛ لأنه أثناء الحرب جعل Evagoras سيليثيا Cilicia تثور على الملك العظيم، ما قيمة الكلمات لمجادل أثيني عنيف؟ ربما لأنها تنقل بشكل بسيط أن إحدى النتائج كانت أسر Tyre بواسطة ملك سلاميس، ودعونا نرى رأي المؤلفين القدامى وخاصة ديودورس Diodorus ، الذي يشير إلى أنه بين السنوات 387-390،

386 قد استغل الملك العظيم والقادة العاملون معه الوقت بشكل رئيس لاستكمال استعداداتهم، فقد تم جمع أسطول بحري قوي في آسيا الصغرى، في Phocaea-Cyme ، وتم حشد الفرق العسكرية في Cilicia ، حيث تركز الجيش بأكمله قبل العبور إلى قبرص، ويشير التسلسل والأسلوب المنطقي لتقديم ديودورس Diodorus أنه أثناء هذا الوقت حشد Evagoras تعزيزات بالمساعدة التي وجدها بين جيرانه.

سلام الملك:

حصل Ahtalcidas -الذي قد اصطحب Tiribazus طول الطريق إلى الملك- من الملك على «اتفاقية تنص على أن الملك ينبغي أن يكون حليفاً لليسيديمونيين إذا رفض الأثينيون وحلفاؤهم أن يقبلوا السلام الذي وجهه شخصيًّا إليهم أن يقبلوه»، إن معظم المدن اليونانية قد عانت ويلات الحروب المستمرة واشتاقت لإحلال السلام؛ ولذلك عندما أمر Tiribazus هؤلاء أن يكونوا حاضرين والذين اشتاقوا إلى وجود مسعى لإحلال السلام الذي كان الملك قد أرسل في التفاوض حوله، قد حضروا جميعاً لمناقشة أمر إحلال السلام، وعندما اجتمعوا معاً أظهر لهم Tiribazus عهد وضمان الملك، وقرأ الوثيقة التالية: «يعتقد الملك أرتاكسركسيس Artaxerxes أن المدن الواقعة في آسيا الصغرى ينبغي أن تكون خاضعة له، وتنتمي إليه بالإضافة إلى قبرص و Clazmenae وأن المدن اليونانية الأخرى -سواء كانت صغيرة أو كبيرة- ينبغي أن تُترك متحررة ما عدا Lemnos، Imbros، Scyros ، وأن هذه ينبغي أن تنتمي إلى الأثينيين: ولكن أيًّا من الفريقين لا يقبل هذا السلام، فإني سوف أشن حرباً عليه بالاشتراك مع أولئك الذين يرغبون في هذا التنظيم براً وبحراً، بالسفن والمال»، أقسم كل المشاركين، ما عدا Thebans أنهم سوف يصمدون ويثبتون من خلال المعاهدة التي قدمها الملك، وعلى ذلك فإن الجيوش كانت تسرّح، وكذلك القوات البحرية التابعة للأسطول الملكي.

ومن خلال وجهة نظر يونانية فإن السلام سلام Antalcidas كان يعني نصراً لصالح إسبرطة التي لم تخسر أي وقت في ادعاء أن الجماعات الموجودة في أثينا وطيبة كانت من طراز قديم مُهْمَلة ؛ لأنهم كانوا ضد فقرة ضمان استقلال هذه المدن، ومن وجهة النظر الفارسية، لم يكن النصر أقل اكتمالاً، لقد وضع السلام نهاية لعصر بدأ مع إنشاء جماعة Delian في عام 477-478، حيث عادت المدن في آسيا بأكملها إلى الحضن الأخميني، ووافقت المدن في أوروبا على أنها لن تعود لمحاولة جعلهم يتركونها، والمقاطعات الخاضعة للملك، والتي كانت غالباً مكاناً للسلب والنهب والتهديد منذ عام 477-478 وأنها قد أصبحت آمنة تشعر بالأمان والحماية بعد ذلك، وعلى أية حال، فقد نجح أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني في استكمال البرنامج الذي اقترحه Alcibiades على Tissapherres تقريباً منذ أربعين عاماً في أن يشجع اليونانيين على أن يتباروا أملاً في الحصول على ما هو أفضل، ونسب الملك العظيم هذا النصر ليس فقط إلى الضعف الداخلي بين المدن اليونانية أو توزيع العملات Royal-Archer سيكيولي فضة وداركس ذهب ، ولكن نسبه أولاً وقبل كل شيء إلى عزمه وإصراره وثبات سياسته وأفعاله .

حريق عام شامل :

من السهل أن نفهم كيف كانت أشكال العدوان العداء في نهاية عام 390، حيث استطاعت أن تستأنف بشكل أقوى من ذي قبل لبعد عام 387، وطبقاً لما أورده جوستين Justin فإن أرتاكسركسيس Artaxerxes كان شغوفاً جدًّا أن يفرض السلام في عام 387؛ لأنه كان منشغلاً بالحرب ضد مصر، فقد خشي أنه إذا أرسل المساعدة والمعونة لليسيديمونيين ضد حكام ولاياته فسوف تظل جيوشه رابضة في اليونان، حتى إذا كان جوستين Justin مهتماً بتوضيح مذهب الكلبيّة عند الملك، فإن الفكر

الذي ينسبه إليه لا ينبغي أن يكون مدهشاً ومذهلاً، لكنه يذكرنا بقـرار مقـارن قـد قـام به أرتاكسركسيس Artaxerxes الأول في عام 460، ويقـول ديـودورس Diodorus أن السلام الذي فرضه الملك على اليونانيين تركه قادراً على ممارسة فـترة حكـم حـرة، وكـان مستعداً بالقوات العسكرية الحربيـة لخـوض الحـرب ضـد قـبرص؛ ولأن Evagoras قـد امتلك تقريباً كل الملكية، وحيازة جزيرة قبرص كلها، وحشـد قـوات عسـكرية قويـة؛ لأن أرتاكسركسيس Artaxerxes كـان قـد انشـغل بـالحرب ضـد اليونـانيين، وبالإضـافة إلى ذلك، فإن Theopompus يقول إن القتال والحرب على قبرص قـد اسـتمر بشـكل قـوي بعد إحلال السلام عام 386، والنص الذي تمت قراءته على الوفود اليونانية يذكر أيضاً أن قبرص كانت جزءاً من مقاطعة خاضعة للملك.

ولا يجمع المؤلفون القدامى عـلى التأكيـد عـلى أن أرتاكسركسـيس Artaxerxes قد وجد نفسه يواجه ثورات تمرد وعصيان متعددة، والتـي يشخصـونها عـلى أنهـا ليسـت أحداثاً تلقائية، ولكنها متشابكة ومتسـقة، ويقـول ديـودورس Diodorus إن Evagoras كانت لديه شبكة واسعة جدًّا من الحلفاء؛ لأن ملك مصر Hakoris ، أرسـل قـوات كـبيرة العدد، وكذلك Hecatomnus ، وإلى كاريا، وقد قدم سرًّا كميات كـبيرة مـن المـال لإيجـار المرتزقـة، وقـد اسـتولى Evagoras عـلى Tyre وعـدد مـن المـدن الأخـرى التـي عملـت على تأسيس السـفن، وكـما يخبرنـا ديـودورس Diodorus أن Levant الكاملـة كانـت تنسحب لأن Evagoras كان قد تلقى معونة ومساعدة من «جهـات أخـرى كـانوا عـلى خلاف مع الفرس سواء كان سراً أو في العلانيـة، ولـيس العـدد الـذي أُرسـل مـن الجنـود بواسطة ملك العرب وبعض الآخرين الذين كان يشك فيهم ملك الفرس بقليـل، وتوجـد رواية أخـرى مشـابهة في Theopompus ، إذ يخـبر كيـف تحـالف الفرعـون Hakoris المصري مـع البسـيديين، وفي الــ Panegyric يقـدم Isocrates نقـداً أو عرضـاً كارثيًّـا

لوضع بلاد الفرس في الــ Levant: هـل مصر وقـبرص ليسـتا في ثـورة ضـده؟ ألم يـتم تـدمير فينيقيا وسوريا بسبب الحرب؟ ألم يتم الاستيلاء عـلى Tyre والتـي كـان يضـع فيهـا مخـازن عظيمة من قبل أعدائه وخصومه؟ «من بين المدن في Cilicia تم الإمساك بعـدد أكـبر عـلى يد أولئك الذين كانوا يساندوننا، أما الباقي فقد كان من الصعب الإمساك بهـم، وأمـا ليسـيا فلم يستطع أي فارسي أن يقهرها أو يخضعها له»، وفي الحقيقة كان Hecatomnus - نائب ملك كاريا- مستاءً وساخطاً، بل وغير موالٍ لمدة طويلة، وأنه سوف يعلن بصراحة عن نفسه عندما نتمنى ذلك، ومـن Cnidos إلى Sinope تـم تسـوية اسـتقرار سـاحل آسـيا عـلى يـد Hellenes ، وهذه التي نحتاجها ليست لإقناع الـدخول في حـرب كـل مـا نحـن مضـطرين لعمله هو ألا نقيّدهم ونكبّلهم.

ولا يحتاج تقديم Isocrates غير دقيـق -إلى حـد مـا- تاريخيًّا أن يؤخـذ بشـكل كامل من الناحية الأدبية، لقد كان غرضه هو إقناع اليونانيين بأن يشنوا هجومـاً في آسـيا الصغرى، ووصولاً إلى هذه النهاية كانت تجري محاولات عدة ليثبت الضعف العسـكري الشديد لدى الفرس، والذي قد تم إيضاحه، خاصة من خلال الهزائم التي لحقت بهم في مصر، بالإضـافة إلى عمليـات الاسـتغلال للمرتزقـة التـابعين لقـورش Cyrus والفـرق العسكرية بقيادة Agesilaus .

إن معاصرة القلق وعدم الاستقرار في هذه الفترة موضحٌ جدًّا في السيرة الذاتيـة لـ Datames الذي قد تـم تقديمـه إلينـا بواسـطة Cornelius Nepos ، فلقـد حَكَـم Datames ، ابــن Camisares ، هــذا الجــزء مــن Cilicia الــذي يجــاور يحــاذي كابادوكيا، ومأهولاً بالسكان من الـ Leucosyri أو «السوريين البيض»، لقد كان عضواً في حرس القصر الملكي، وقد استعرض شجاعته وبسـالته كجنـدي لأول مـرة في الحـرب التي شنها الملك ضد الـ Cadusil ، والتـي مـات خلالهـا والـده، وقـد تـم ذكـر حـرب

الـ Cadusian بواسطة ديودورس Diodorus ، في سياق حرب قبرص؛ ولذلك فإنها قد حدثت حوالي عام 385-384، ويبدو أن بلوتارخ Plutarch يشير إلى حرب Cadusian ثانية، وقد وضعها في وقت البعثة العسكرية المصرية الثانية في عام 374، ويذهب Nepas مستطرداً في القول إلى إن البطل الذي ينادي به قد أثبت لمرة أخرى شجاعته وبسالته، عندما كان Autophradates يشن حرباً -حسب أمر الملك- على الشعوب التي قامت بثورات، ولم يذكر Nepos شيئاً عن هوية هذه الشعوب، ومن ناحية أخرى فإننا نعرف أن Datames قد قاد حملة عسكرية أخرى بعد 387، هذه المرة ضد Thuys ، نائب الملك في بافلاجونيا الذي لم يذعن لأمر الملك» بينما لم تكن هناك حالات استقرار، لم يكن هناك مما يتم اقتراحه شيئاً قد يشكل واجهة شائعة كبيرة، يتم تكوينها وصياغتها لتحريض وحث Hakoris أو Evagoras على عملٍ ما، ولا بد أن نشدد على أن المؤلفين الإغريق كانوا مهتمين بهذا النوع من البيان الفهرس المصور ، حيث تم إيضاحه جيداً بشكل خاص من جانب النقد المنظم الذي وضعه ديودورس Diodorus عن أشكال التمرد والعصيان التي أثيرت ضد أرتاكسركسيس Artaxerxes بعد عشرين عاماً بعد ذلك، ويشير الدليل إلى أن حملات أرتاكسركسيس Artaxerxes في Zagros كانت مسألة وشأناً داخليًّا قد تمّ إدخاله في الـ Longue duree الخاص بالشؤون الكادوسينية، وبينما لا يمكن إنكار التحالف بين Hakoris واليونانيين و Evagoras يتضح وبشكل يثير درجة من الغرابة أن الفرعون سوف يكون مهتماً بالاشتراك في تمثيل المسرحية مع البسيدنيين -كما يذكر Theopompus - أن هذا التضليل يشير أكثر إلى أنه عند هذه النقطة كان البسيدنيون يعارضون ويقاومون القوات الملكية، ويتضح ذلك من خلال التاريخ الأخميني، وبشكل مماثل، لم يكن موضوع Thuys مهملاً، وكان النواب البافلاجونيون غالباً ما يعارضون ويقاومون السلطة الفارسية، كما

هو موضح من خلال Agesilaus و Spithridates ، وهناك معلومات أخرى قد قدمها مؤلفون قدامى يجب تناولها بشيء من الفحص والتدقيق، وعلى سبيل المثال، ليس هناك ما نلاحظه في أن Cilicia كانت في خطر بشكل كبير، بعيداً عن الغارة غير الموفقة التي قام بها Thrasybulus في منطقة Aspendus في بامفيليا، ومن الواضح أن ذلك بدأ منذ هذا التاريخ، وقد تم الانتفاع بـ Cilicia على يد الفرس كقاعدة عسكرية، وقد أشير إلى ذلك بواسطة بعض العملات بـ Tiribazus في عدد من المدن السيلينية Issuss Tarsus، Mallus-Soli ، وأكثر من هذا أن معاهدة السلام التي أبرمت في عام 386 قد منعت اليونانيين من التدخل في شؤون البلاد، ويجب استحضار الذاكرة بشأن أن Cilicia نفسها قد اشتملت على مناطق فرعية متميزة، وكذلك فإن Datames كان قد أمره أرتاكسركسيس Artaxerxes أن يهزم ويقهر Aspis ، حاكم Cataonia الذي كان بعيداً عن الاعتراف بولائه وإخلاصه لأرتاكسركسيس Artaxerxes ، وقد اجتاح المناطق المجاورة لبلاد الفرس، وقد حمل ما قد أمكنه جلبه معه إلى الملك «وهذا يشير أيضاً إلى مشكلة داخلية صغيرة حاول بها البعض أن يفسر هدفاً خاطئاً قد أعلنه قورش Cyrus إلى بعثته العسكرية في عام 401 لكي يخدع المرتزقة العاملين لديه، لقد كانوا يقودون الجيش إلى سيليسيا ضد الأمراء البيزنطيين الذين كانوا في حالة تمرد وعصيان ضد الملك»، وإضافة إلى ذلك، فمن الجدير بالذكر أن Datames قد استقر في سيليسا في طريقه من سوريا قبيل المسير ضد Aspis ، وأخيراً فقد ظل موضوع الحاكم الكاريني Hecatomnus أيضاً غير مؤكد، وأثناء الاعتداء الأول في عام 393-392 عهد إليه بأمانة العمليات العسكرية بالتعاون مع Autophradutes -حسب ما ذكره Theopompus - ويضعه ديودورس Diodorus بين حلفاء Evagoras الخفيين في عام 387، الشخص الذي أرسل إليه Evagoras كميات كبيرة جدًّا من المال لاستئجار المرتزقة،

ويعتقد Isocrates -في الـ Panegyric - أنه قد كان ساخطاً غير موالٍ لمدة طويلة، ولكن ثمة دليل رسمي لتمرده وعصيانه غير متوفر بشكل مستقل .

ومع كون المهمة صعبة ما زال من الضروري التمييز بين المشكلات والاضطرابات المحلية عن تكتلات الحلفاء Hakoris\Evagoras و Evagoras-Tyre ، وتلك التكتلات للحلفاء ينبغي أن تشمل الشخص الذي يطلق عليه ديودورس Diodorus ، «ملك العرب»، والذي كان يُذْكر في سياقات مماثلة سابقة في عام 410-411، وربما قد يكون رئيس قبيلة قد انضمت أو جاورت مقاطعات الطريق بين غزة ومصر، ولكن ليس هناك ما يسمح لنا بأن نذكر بكل تأكيد أن الاضطراب وحالة القلق والانزعاج كانت من خلال كل من سوريا - فلسطين، أو كل المناطق الواقعة في فينيقيا، إن قيادة بعثة عسكرية إلى مصر حوالي عام 384-385 يفترض -على العكس من ذلك- أن الفرس كانوا قادرين على مصادرة السفن في فينيقيا، وأنهم قد سيطروا على القواعد السوقية التقليدية صيدون، عقر، غزة ، ومن الصحيح أن موقف أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني في ذلك الوقت كان صعباً ومحفوفاً بالمخاطر؛ لأنه كان يحتاج بشكل تلقائي إلى أن يقوم بتنفيذ بعثات وحملات عسكرية داخلية، وأيضاً جمع قوات عسكرية تمكنه من التغلب على Evagoras و Hakoris .

الهجوم على Evagoras :

بعد استعدادات طويلة تم استيداع قوات بحرية وبرية إلى أورونتس وتريبازس، اللذين قد أُمرا بالخضوع لـ Evagoras ، ويشير اتساع الاستعدادات التي تم تنفيذها في كلا المعسكرين ديودورس 20× v Diodorus إلى المواجهة التي توقع أن تكون حاسمة، ومن جهة قبرص فإن الأسطول الفارسي قد أحرز نصراً في Kition ، ووضع الجيش حصاراً حول سلاميس، وعند هذه النقطة سعى Evagoras إلى Hakoris في مصر، وحثه

على أن يستمر في الحرب بكل همة ونشاط، وأن يعتبر الحرب ضد الفرس تعهداً عاماً، ولم يحضر شيئاً من اتصاله إلا بعض الكلمات القليلة، وكمية ضئيلة من المال، وفرحاً بنصره على الفرس أو ربما في منتصف الحرب معهم اعتبر الفرعون وبشكل واضح أن الواجهة القبرصية موضوع ثانوي.

وبعد مفاوضات طويلة تم إحلال السلام من جانب الملك العظيم تحت الشروط التالية: «ينبغي أن يكون Evagoras ملكاً لسلاميس يدفع الجزية السنوية، ويخضع ويطيع كمنفذ للأوامر التي يتلقاها من الملك العظيم»، ويقدم ديودورس Diodorus أحد إنجازات Evagoras بأنه قد تم تعريفه وتنصيبه كملك على سلاميس، وفي الحقيقة، فعلى المستوى السياسي والاستراتيجي، أسفل الخط الفاصل اضطر Evagoras إلى أن يتقهقر؛ لأن بنود انسحابه واستسلامه قد منعته من أن يقوم بتنفيذ أي هجوم مستقبلي على الملوك القبارصة الآخرين، والذين أصبحوا بعد ذلك الحلفاء المفضلين لدى الملك العظيم على الجزيرة، فلقد اضطر Evagoras إلى أن يخضع إلى السلطات الأخمينية في كل الأمور، وأن يقدم الجزية، ويوفر تدريب الفرق العسكرية البحرية الممتازة، وباختصار فإن الأمور في قبرص قد عادت إلى ما كانت عليه قبلاً منذ عشرين عاماً قبل أن يبدأ Evagoras في التوسع في سلطانه على حساب الممالك الأخرى على الجزيرة، واشتراكاً مع نتيجة السلام الذي تم إحلاله في عام 386، كان النصر القبرصي قاسياً على السلطة الأخمينية بسبب الأهمية الاستراتيجية لجزيرة قبرص بالنسبة للوضع الفارسي في الجزء الشرقي من ساحل بحر إيجة، وبلا شك فقد سمح أيضاً لهم بأن يعيدوا الاستيلاء على المدن الفينيقية التي انضمت لـ Evagoras خاصة Tyre .

الهزائم المصرية:

في الوقت نفسه الذي كان يعاني فيه الملك العظيم من الهزيمة في هدفه الرئيس إعادة غزو مصر يقدم Isocrates في Panegyric عملية غزو ضد مصر عام 380: «لننظر إلى حالة مصر، منذ ثورتها على الملك، ما التقدم الذي صنعه لسكانها؟ ألم يرسل إلى هذه الحرب الفرس الأكثر شهرة: Abrocomas و Tithraustes ، وفارنابيزوس Pharnabyzus ؟ ألم ينسحبوا في خزي بعد أن ظلوا هناك ثلاث سنوات يعانون مصائب أكثر مما قد أصابوا بها أحداً؟ حتى إن المتمردين لم يعودوا قانعين وراضين بحريتهم، ولكنهم كانوا يحاولون أن يتوسعوا في سلطانهم على حساب الشعوب المجاورة أيضاً.

إن تاريخ هذه الحملة العسكرية غير المثمرة غير مؤكد، ويتضح مع ذلك، أنه قد تم تنفيذها في الوقت نفسه الذي كانت فيه الفرق العسكرية الفارسية في سعيها وحربها ضد قبرص، وتظل الحقيقة أن هذه الحملة كانت نكسة كبيرة، إن مصر المستقلة سوف تكون تهديداً دائماً للسلطان الفارسي على أراضي Ebirnari ، وسوف تكون أيضاً حليفاً طبيعيًّا لأي شخص كان يريد أن يسود على الفرس، ويشمل ذلك النواب الخاضعين للملك العظيم، وقد كان ذلك عندما اختار Glus ، صهر Tiribazus أن يتمرد ضد الملك في نهاية عام 380؛ لأنه كان يخشى أن يُجتاح في الاتهامات والاعتداءات ضد حميه، وحيث إنه قائد وزعيم وحاكم للأسطول القبرصي فقد لعب دوراً حاسماً في معركة Kition ضد Evagoras ، وقد مُنح وفرة من المال والجنود وبذلك دخل في تحالف مع Hakoris والإسبرطيين، ولكنه وقع في يدي أحد السفاحين، ولكي نكون متأكدين فقضيته خاصة؛ لأنه كان ابن الكاريي -ممفايت تاموس- أدميرال سايري القديم السابق الذي سعى لطلب اللجوء مع Psammetichus في عام 400 ، ومن الجدير بالملاحظة أيضاً -طبقاً لما ذكره- أن خطط Glus قد أخذت للمناقشة

بواسطة Tachos ، والذي يشير اسمه إلى أن لديه خلفية مصرية، لقد أسس مدينة على البر على حدود Cyme و Clazomemae ؛ ولذلك فهي تظهر أن Glus و Tachos قد حاولا أن يؤسسا -بمعونة الفراعنة- نوعاً من سلالة حاكمة في آسيا الصغرى لا تقع قريباً من Cymae ، القاعدة البحرية المهمة لبلاد الفرس في آسيا الصغرى.

لقد كان الخطر أكثر حجماً في أن Hakoris قد استمر في استعداداته، مستجمعاً عدداً كبيراً من المرتزقة اليونانيين، وقام بتعبئة وتجنيد الطباريوس الأثيني The Athenianchabrias الذي كان مشغولاً بشكل خاص؛ لأنه في مثل هذا الوقت كانت أثينا بعيدة عن القلق والاضرابات لأن تدخل في عداوات وخصام مع أرتاكسركسيس Artaxerxes ، وطبقاً لما يذكره ديودورس Diodorus ، فإن الفرعون قد حشد الفرق العسكرية للقيام بحملة المداهمة، وبالرغم من تسريح عدد كبير من الجنود فإنه قد عمل استعدادات كبيرة لملاقاة وخوض الحرب مع الفرس، هل تشير العبارة إلى أن Hakoris قد قرر أن يستمر في هجومه؟ لا يمكننا أن نقول ذلك بكل تأكيد، إن ما هو مؤكد هو أن أرتاكسركسيس Artaxerxes لم يتخلَ عن خطته لغزو وادي النيل خاصة في ضوء حقيقة أن مصر لم تعد تعتمد على حلفاء خارجيين، ولقد أقام فارنابيزوس Pharnabyzus - الذي كان قد صَدر إليه أمر بالتقدم نحو مصر- قاعدته الحربية في عقر في فلسطين، وقد حشد أسطولاً كبيراً، حيث إنه قد قيل إنه ليس هناك حملات عسكرية ضد مصر سوف يكتب لها النجاح ما لم يكن هناك دعم من الأسطول البحري، وذلك لتجهيز القوات البحرية، وكذلك إبطال تأثير الدفاعات الموجودة في الدلتا، ولا بد أن هناك سفن قد تم بناؤها في فينيقيا، بالإضافة إلى قبرص وسيليسيا، حيث تم التصديق على ابتكار فارنابيزوس Pharnabyzus واعتماده لتسلسل الفرق العسكرية الحربية المشاركة، وأثناء عمليات

إعداد الجيوش والقوات البحرية أرسل فارنابيزوس Pharnabyzus وفداً إلى أثينا طالباً أن يتم استدعاء Chabrias من مصر، وأن يرسل Iphicarates إلى عقر، وقد تم تنفيذ مطالبه، وهذه هي أسباب تدخل أرتاكسركسيس Artaxerxes بشكل مباشر في عام 375 لوقف العداوات والخصام الذي كان يشق ويمزق المدن الإغريقية بعيداً، قاصداً أن يشن حرباً على المصريين، وأن يصبح مشغولاً بدرجة كبيرة بتنظيم جيش كبير من المرتزقة.

وفي عام 373 كانت القوة الكاملة للتدخل والاعتراض الفارسي في وضع الاستعداد في مصر، وبعد فترة ارتباك وشجار واضطرابات بعد موت Hakoris ، تم تنصيب Nectanebo كفرعون على مصر، وتأسيس ما يسمى تاريخيًّا بالسلالة الحاكمة الأسرة الحاكمة XXX ، وقد انتهج استراتيجية Hakoris نحو التهديد الفارسي، فلقد قام المصريون بتحصين الدلتا، متوقعين هجوم فارنابيزوس Pharnabyzus ، وقد تم تشجيع Nectanebآs بشكل رئيس من خلال قوة الدولة، وأن مصر من الصعب للغاية الاقتراب منها، ولسبب آخر فمن خلال حقيقة أن كل نقاط الغزو من البر أو البحر قد تم سدها بشكل سليم ومدروس، فقد شيد القادة المصريون حصوناً عند كل فم من فموم نهر النيل بالقرب من Pelusiac -النقطة الرئيسة في الدخول- أسواراً قطعت القنوات البحرية، وطرقاً برية قد انغمرت بالمياه لمنع استخدامها؛ ولذلك لم يكن من السهل سواء بالنسبة للسفن أن تبحر فيها أو فرقة الفرسان بخيولها أن يقتربوا منها، أو على فرقة المشاة أن تقترب إليها، وبناء على ذلك فقد قرر فارنابيزوس Pharnabyzus الهجوم من خلال جهة الـ Mendesian ، حيث قامت الفرق العسكرية التابعة له بهدم الحصون، وبعد ذلك بقليل استعاد المصريون، وأحكموا قبضتهم وإقامتهم على المواقع، وقد أجبر الفيضان السنوي فارنابيزوس Pharnabyzus على الجلاء عن مصر وفك الحصار.

وطبقاً لما أورده ديودورس Diodorus ، فإن أحد الأسباب الخاصة بالهزيمة تكمن في طول فترة الاستعدادات الفارسية -سنوات عديدة- لأن فارنابيزوس Pharnabyzus قد سار ببطء، وأعطى قدراً كبيراً من الوقت للعدو لكي يستعد جيداً، ويوضح موقف القائد الفارسي كما يلي: «حقاً إن العادة المتكررة للقادة الفرس، ألا يكونوا مستقلين في النظام العام واتخاذ قرارات الحرب، وأن يرجعوا كل الأمور والشؤون إلى الملك للنظر فيها، واستصدار الأوامر التي عليهم تنفيذها بعد ذلك في انتظار كل التفاصيل حيال هذه الأمور، وهذه ملحوظة قد سجلها كثير من المؤلفين اليونانيين، وبالتأكيد تعكس جزءاً من الحقيقة -لأجل سبب ما- اجتماع لجيش كبير الحجم، تشييد أسطول بحري، وكذلك تدريب الجنود أمر قد استغرق وقتاً طويلاً، ولأسباب أخرى اضطر القادة الفرس بشكل تقليدي أن يلجأوا إلى البلاط الملكي لتغطية النفقات التي تخطت الميزانية التي تم تخصيصها لذلك! ولكن هذا التفسير يعتبر أيضاً عنيفاً وقويًّا في طبيعته، إذ هو يلائم بشكل مريح في تقديم يوناني مهمين للعجز عدم الكفاءة العسكري الفارسي، ومن المشكوك فيه أن فارنابيزوس Pharnabyzus كان عديم الجدوى غير مستخدم بشكل مفيد وملائم خلال هذه الفترة، فإذا انتشرت الثورة المصرية نحو فلسطين كان من المحتمل أن القائد الفارسي قد استغل وجوده في هذه المنطقة لكي يسترد النظام والسيطرة الأخمينية؛ وذلك لتأمين مؤخرة الجيش، وعلى أية حال، فإن بناء الحصون في مصر يرجع تاريخه إلى فترة أقدم عصراً، ونحن نعلم أن Chabrias الذي غادر مصر في النهاية في عام 379 قد باشر ووجّه بناء القواعد الأرضية بالقرب من Pelusia وبحيرة Mareotis ، وفي الحقيقة كان الفراعنة المصريون يستعدون منذ عدة سنوات بالفعل، وهذا يفسر بلا شك فشل فارنابيزوس Pharnabyzus المذكور آنفاً، وبسبب المستوى المنخفض لقواتهم، احتاج المصريون أولاً وقبل كل شيء إلى

أن يمنعوا الجيش الفارسي والأسطول الفارسي من دخول الدلتا، وهذه هي بالضبط الاستراتيجية التي انتهجوها نحو أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث عام 343 مستفيدين من المدة الزمنية الطويلة التي استغرقتها الاستعدادات الفارسية.

ويقدم ديودورس Diodorus ما يصفه بعدم كفاءة في القيادة العليا الفارسية: «فبالنسبة له فإن Iphicrates ، قائد ورئيس المرتزقة اليونانيين في الجيش قد عرض استراتيجية مختلفة، بعد أن كُتب لهم أن يستولوا على الحصن في فم الـ Mendesian ، فقد اقترح الصعود من خلال نهر النيل إلى ممفيس، والتي كانت عند هذه النقطة غير محصّنة بالدفاع مستغلاً ومنتفعاً بموقف محاصرة المدينة بقواته الحربية وإحكام السيطرة عليها، وكان رفض فارنابيزوس Pharnabyzus سبباً في فشل الحملة العسكرية، ولكن من الخطر أن نمنح موثوقية كبيرة جدًّا لقصة قد تم تخصيصها لتعظيم مدائح الاستراتيجيات اليونانية، ونحن نستخلص من خلال الانطباع الأول أن ديودورس Diodorus -تحت تأثير ونفوذ قواته ومصادره- يريد أن يعبّر عن فكرة قد وُجدت في مؤلفي القرن الرابع وهي أن الفرس كانوا غير قادرين على الفوز بمعركة دون نصيحة ومشورة القادة اليونانيين، ويكرر الإيضاح نفسه ليعلل الأسباب وراء هزيمة Necatanebo الثاني على يد أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث في عام 343، ويوجِد أيضاً موضوعاً للتنافس بين القادة اليونايين والقادة الفرس.

وعلى عكس ما كان يريدنا ديودورس Diodorus أن نصدقه، فإن Iphicrates لم يكن بالتأكيد مكافئاً لفارنابيزوس Pharnabyzus ، فلقد أخذ Iphicrates أمانة تدريب المجندين تحت سلطة وقيادة قارنابازس والقادة الفرس الآخرين، وكان يشرف على الاستعدادات الخاصة بالفرق والقوات العسكرية اليونانية ومناوراتهم، وقد تبعه في ذلك قادة المرتزقة الآخرين، وباختصار فإن تركيب جيش فارنابيزوس Pharnabyzus كان متشابهاً مع تنظيم جيش قورش Cyrus الأصغر في عام 401 ما عدا أن Iphicrates لم يكن يستمتع بالوضع القيادي تحت قيادة فارنابيزوس

Pharnabyzus كما كان يفعل قورش Cyrus مع Clearchus ، ويبدو من نص ديودورس Diodorus وبشكل بسيط أن Iphicrates قد سُئل عن رأيه أثناء مجلس الحرب الذي انعقد بعد الاستيلاء على الحصن الميندسياني، وكان رأيه يختلف عن وجهات النظر الخاصة بفارنابيزوس Pharnabyzus وضباطه الفرس، وتستمر نسخة ديودورس Diodorus موضحة موقف فارنابيزوس Pharnabyzus والقادة الفرس الآخرين على أنه غيرة، فقد كانوا يخافون أن يستأثر Iphicrates بمصر لنفسه، ونادراً ما ينجح هذا التقديم الذي عرضه لنا ديودورس Diodorus في أن يوفر اقتناعاً، وربما كان فارنابيزوس Pharnabyzus يمتلك أسباباً استراتيجية ممتازة لتنفيذ خطته، من بينها الحاجة إلى تبرير اقتراحه نفسه بعد ذلك للملك، وهذا يوضح التفكير الذي قد تم نسبه إليه، لقد استجاب وردّ على Iphicrates في «أنه يستطيع أن يتحكم في كلماته، ولكن الملك وحده هو من يحكم أفعاله» فهو يفضل ألا يخاطر بفقدان كل شيء في غارة قد تقتلعه من كل القواعد الحربية التي أرساها، وذلك -في رأيه- أنه من الضروري الرجوع إلى الملك؛ ليتوج بشكل كامل فرحة الانتصار، وبعيداً عن الخصومة الشخصية التي تم تصويرها بشكل درامي جدًّا بواسطة ديودورس Diodorus ، فإن أبسط تفسير افتراضي أن القيادة الفارسية قد بخست واستخفت بقدرة المقاومة الطويلة بواسطة الدفاعات المصرية في الدلتا، بالإضافة إلى الصعوبات السوقية المرتبطة بانتشار هذه القوات الممتدة في قطعة من الأرض، حيث أولاً العدو، وثانياً قوة الطبيعة الفيضان سوف تؤدي إلى عدم استخدام وسائل الاقتراب والهجوم عن طريق نهر النيل.

ويبدو من الغريب أن جيش فارنابيزوس Pharnabyzus سوف يترك مصر سريعاً، على عكس ما صنعه الفرس حوالي عام 460 عندما كانت الحاجة ملحة إلى إخماد التمرد بعد سنوات عديدة من الحروب والمشاحنات، ومن الواضح أن هذا لم يكن قراراً وليد لحظة الذعر مصحوباً بالهروب الجماعي، ورغم ما قاله ديودورس Diodorus ليجعلنا نعتقد أنه لم يحتج أي فرد للخوف من أن فارنابيزوس Pharnabyzus كان جاهلاً بتوقيت فيضان نهر النيل، ويمكننا أن نتخيل أن السلطة المركزية كانت تخشى من أن جيشها سوف يغوص في مستنقع في حرب طويلة الأمد على بعد خطوات من مصر، ولم يكن كذلك انسحاباً خالصاً نقيًّا وبسيطاً، وعلى العكس من ذلك، فإن الجيش الفارسي قد تقهقر إلى قواعده الفلسطينية، حيث كانوا يستعدون لهجوم جديد، ولكن ذلك لم يحدث حتى السنة الأخيرة من حكم أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني، وقد سمعنا عن عودات أسطولية إلى محاولات جديدة في سياق استراتيجي مختلف تماماً، وفي أثناء ذلك كان الفرس يقيمون خياماً ومعسكراً وجهاً لوجه مع المصريين، على حافة الحرب، ولا يمكننا أن نستبعد إمكانية المواجهات التي أريد كتمانها وطمسها بواسطة المصادر الكلاسيكية، ومهما كانت القضية تظل حقيقة أن الجيوش الأخمينية أثبتت أنها غير قادرة على استعادة استقرار وتثبيت أقدامها في وادي النيل، ولقد كان ذلك فشلاً ذريعاً لأرتاكسركسيس Artaxerxes الذي تعلق بالمشروع منذ انتصاره على أخيه قورش Cyrus .

أرتاكسركسيس Artaxerxes واليونانيين:

لقد تم تحقيق نتيجة رئيسة وهي النصر على قورش Cyrus ، حيث ترك النشاط العسكري للجيوش الفارسية في سوريا - فلسطين، والتشويش وحالات الفوضى للمدن الإغريقية في أوروبا، والفراعنة يواجهون القوة الفارسية وحدهم، ولم تسعَ إسبرطة ولا أثينا رغم تواجد Chabrias

مسانداً Hakoris إلى تنفيذ عمليات عسكرية في المقاطعات الملكية بعد عام 386، وبعد الحملة المصرية غير المحظوظة أرسل فارنابيزوس Pharnabyzus رسالة إلى الأثينيين شارعاً في تعليل مسؤولية Iphicrates ، وحثهم على محاكمته، ورفض الأثينيون طلب المرزبان الحاكم ، ولكن أرسلوا رداً محترماً ولطيفاً، وحيث إنهم مشغولون بتسوية مشكلة سيطرة دولة على دول أخرى، إسبرطة، أثينا، وطيبة تمسكت بشكل يبعث على الشك ببنود السلام التي وضعها الملك حتى بعد أن شكلت في عام 387-377 التحالف البحري الجديد الذي بدأ ينشأ في عام 380، وأعيد التأكيد على السلام الذي تم إقراره في عام 386 مرتين من جهة مبادرة يقوم بها أرتاكسركسيس Artaxerxes أولاً في عام 375 وثانياً في عام 371، وفي السنة الأولى تم عقد مجلس في إسبرطة بناء على إصرار مبعوثي الملك العظيم، وقد انتهز أحد السفراء الأثينيين الفرصة ليشير إلى فقرة الحكم الذاتي في معاهدة السلام لعام 386 بشكل فردي لشجب سلوك الليسيديمونيين، إن المعاهدة العامة للسلام لعام 386 قد شملت كل المدن اليونانية ما عادا طيبة Thebes ، والتي قد وجهت ضربة عسكرية بعد عدة أسابيع قليلة، وألحقت هزيمة لا تنسى بإسبرطة في Leuctra ، وأصبح أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني حاكماً لليونانيين.

7- أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني، أمراؤه مرزباناته ، وشعوبه عام 358، 366-359 :

ديودورس Diodorus و«الثورة الكبرى» للأمراء المرزبانات الإمبراطورية في أشكال ملتهبة من الصراع:

يعتبر السلام العام في اليونان هو السياق الذي يقدم فيه ديودورس Diodorus ما يسمى -بشكل تاريخي- بـ «الثورة الكبرى للمرزبانات»، وهو يؤرخ بدايات الانتفاضات حتى عام 361، وبينما كان يضعها،

كانت الإمبراطورية على حافة انفجار داخلي وكارثة، ففي أثناء حكمهم قام سكان الساحل الآسيوي بثورة على بلاد الفرس، وقام بعض المرزبانات والقادة في الجيش والأسطول بعصيان مسلح، صانعين حرباً على أرتاكسركسيس Artaxerxes ، وفي الوقت نفسه قرر Tachos الملك المصري أن يحارب الفرس، وقد أعدّ السفن وحشد قوات المشاة من أجل ذلك، وبعد جلب العديد من المرتزقة من المدن اليونانية، أقنع الليسيديمونيين أن يحاربوا معه؛ لأن الإسبرطيين قد ابتعدوا عن أرتاكسركسيس Artaxerxes ، وأيضاً لأن الميسيين قد انضموا إلى الملك على البنود نفسها مثل اليونانيين في معاهدة السلام العام، وعندما وصلت الانتفاضة الثورة العامة ضد الفرس إلى نسب كبيرة، بدأ الملك أيضاً في صنع وعمل الاستعدادات للحرب، حيث إنه في الوقت نفسه يحتاج إلى محاربة ومقاتلة الملك المصري، المدن اليونانية في آسيا، الليسيديمونيين وحلفاء كل منهم من المرزبانات والقادة الذين حكموا المناطق الساحلية، وقد وافقوا على صنع أسباب للحرب معهم، وقد كان من بين أكثر المرزبانات تميزاً Ariobarzenes -مرزبان فريجيا- والذي عند وفاة Mithridates امتلك واستولى على مملكته، وكذلك Maulous -أمير كاريا- الذي كان مسيطراً على العديد من القلاع والمدن المهمة، والتي من بينها كانت Halicarnassus المدينة الأم والمأوى، والتي كان فيها معبد الأكروبول الشهير قلعة أثينا ، والقصر الملكي لكاريا، بالإضافة إلى المرزبانين اللذين قد ذُكرا هناك أورونتس -مرزبان مايسا- و Autophradates -مرزبان ليديا- وبعيداً عن الأيونيين كان الليسنيون، والليسيدينيون، والبامفيلينيون، والسيليسينيون، والسوريون، والفينيقيون، وكل الشعوب الساحلية مع امتداد الثورة بشكل كبير، وقد تم قطع نصف مصادر الدخل الحكومي الريع-الضرائب ، وما بقي كان غير كافٍ لنفقات الحرب .

ومن الواضح أننا نري هنا أننا في موقف متشابه قد وضعنا فيه Isocrates بالإشارة إلى عام 380، ويواجه المؤرخ بالمشكلة نفسها كما حدث مع السياق السابق، ويثير عرض ديودورس Diodorus كثيراً من التحفظات، فالعبارة الأخيرة من بيان الأعداء والخصوم -بشكل خاص- توضح التحريفات والتشويهات التي جلبتها وجهة نظر Hellenocentric ، وتذكرنا بعلامة وملحوظة Pdyclitus ، والتي ذكرها سترابو Strabo ، ولكن لا يعتقد أحد أن الثورة قد أرهقت خزائن الملك المالية، ومنعته من شن الحرب على المتمردين .

وبعيداً عن التصوير الجصّي المبالغ فيه الذي لديودورس Diodorus ، فليس متوفر لدينا وثائق مستمرة أو كاملة من أي نوع ما عدا تلخيص لعمل Trogus Pompieus ، ويغطي التلخيص الحملة العسكرية لأرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني ضد الكوروسيين، ويشرح كيف أن الملك العظيم قد اتبع أصحاب المقام الرفيع الذين تخلوا عن أحزابهم في آسيا، وأول الكل هو Datames -مرزبان بافلاجونيا- ثم مرزبان هيلسبونت و Ariobarzenes ، ثم في سوريا: حاكم أرمينيا -أورونتس- كما هاجم وشن غزواً عليهم ومات، تاركاً العرش لابنه Ochus ، ولم توجد هذه المعلومات في جوستين Justin ، والذي -لسوء الحظ- قد قصر معلوماته على الشؤون اليونانية، المكدونية، اليونانية-المكدونية، ولم يعتبر أنه من الضروري أن يوضح ما عداها، فلم ينتهج أسلوب حكم أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني نفسه، ما عدا أنه قام بتغطية الخلافة الملكية قبل الوصول بشكل سريع والاقتراب من دارا Darius الثالث، ولم تقلل طريقة جوستين Justin من قيمة تلخيص Trogus Pompeius ، ولكن من سوء الحظ تشكيل أساس للتركيب التاريخي لفقرات إنشائية تتناول أحداثاً تاريخية.

ويضع Pompeius Trogus القائد Datames بين المتمردين، ولكن

ديودورس Diodorus يحذف دوره بشكل كامل كمتمرد معروف، ويذكر ديودورس Diodorus Datames ، ولكنه يعيّن له دوراً شخصيًّا فقط في التمرد أو صد الهجوم المضاد على يد أرتابازوس Artabazus ، ونتعرف على المزيد عن هذا الشخص من السيرة الذاتية لـ Nepos ، والتي تؤرخ خطأً ثورته في عودة الحملة ضد Aspisof Catanoia ، وقد تم تناول حياة وأعمال Datames بواسطة Polyaenus لتوضيح الخداع العسكري والتدابير والاستراتيجيات الأميرية كما مارسها المرزبانات والقادة، ونحن في الـ Polyaenus نجد العديد من القصص القصيرة التي تقدم أورونتس، Ariobarzenes، Autophradates ، وكل منها قصة نادرة بها علة رئيسة، ولا تقع إحداها في السياق التاريخي بدقة، وتنتمي السيرة الذاتية لـ Nepos إلى نوع من الـ Sega وهي مختصة بغناء المدائح للبطل الذي يبرز من خلال إنكار جميل الملك أو أشكال الخيانة من المقربين.

وتزين المراجع الخاصة بالمرزبانات والدول في الثورة العديد من الخُطب التي تم إلقاؤها على يد الساسة والخطباء الأثينيين، والتي تضم ميزة أنها تقع بشكل دقيق تاريخيًّا، وفي عام 354 توسل Demosthenes للمواطنين أن يساندوه ويتحملوا معه العبء المالي، ويوضح أن الأثينيين لا يخشون شيئاً من الملك العظيم، لا يظهر أي شيء يثير الخوف من الحصول على المال، وسوف يجمع عدد كبير من المرتزقة، وأنني موقن أن كثيراً من اليونانيين سوف يخدمون في الدفع والتمويل ضد مصر، وأورنتس وأي بربري آخر، وضد اليونان، فإنني لا أعتقد أن أي يوناني لن يتحرك في مسيرة للانقلاب، وإلا فهل يستطيع أن يذهب بنفسه بعد ذلك؟ «اذهب اذهب إلى فريچيا وكن عبداً».

وفي خطبة ألقيت في عام 352 يعارض الخطيب نفسه اتفاقاً أو معاهدة تم إصدارها بواسطة Aristocrates الذي قدم إجراءات حماية يمكن من شأنها أن تكون ذات فائدة كبرى لـ Charidemus -قائد

المرتزقة- وفي هذه المناسبة فإن Demothenes قد استدعى العديد من الأعمال الحديثة لـ Charidemus الذي قام بتأجير خدماته إلى Mentor ، و Memnon أخو زوجة Artabazus الذي كان قد أُسر على يد Autophradates ، وبعد ذلك استقبل قائد المرتزقة سلوكاً آمناً من المرزبان، مصرحاً له بالعبور إلى Chersonesus في Thrace ، وفي السنة التالية 350-351 قام Demosthenes بعمل دعوى قضائية مدويّة للتدخل الأثيني بدلاً من الديمقراطيين الـ Rhodian الذين قد تم نفيهم عن مدينتهم بناءً على مبادرة قام بها Mausolus ، وبعمل ذلك، فإن الخطيب قد نادى بأنه قد عارض أولئك الذين تشاوروا مع الجمهورية للعودة إلى المصريين لطلب المساعدة ضد ملك بلاد الفرس، ويقول لهم الأثينيون: «أنتم أرسلتم Timotheus لمساعدة Ariobarzenes ، تراجع Timotheus ، عند رؤية أن Ariobarzenes قد ثار بشكل واضح على الملك، وأن Samos كانت كموقع عسكري بواسطة Cyprothemis تحت قيادة Tigranes نائب الملك، عن نية مساعدة Ariobarzenes ، ولكنه دخل الجزيرة بقواته، وقام بحمايتها، وحتى هذا اليوم لم تكن هناك حرب ضدك من خلال هذا التقنين».

وماذا يمكننا أن نفعل حيال هذه التحريفات؟ أولاً: علينا أن نلاحظ أنهم كانوا يعملون على امتداد وقت الاضطرابات، وهذا التأريخ يؤكد الانطباع مرة أخرى بأن السلطة المركزية في المقاطعات الغربية كانت مشوشة بدرجة عميقة وبشكل دائم، ويتم تأكيد هذا الانطباع من خلال استخدام الكلمة Basileia «مملكة» لوصف سلطة Ariobarzenes في فريجيا، ومن خلال مقارنة بين خطبتين لـ Isocrates -واحدة من عام 380 والأخرى من عام 347- وكما حدث ديودورس Diodorus في عام 361 يبدو أن منطقة البحر المتوسط قد توحدت في التمرد لمعظم القرن الرابع، ويبدو أن إصرار الخطباء كان مشكوكاً فيه؛ لأن هدف مجادلتهم

كان بشكل دقيق لإثبات أن الملك العظيم كـان مجـرد حـبر عـلى ورق، ولتحقيـق ذلـك، فإنهم لم يترددوا أن يعارضـوا أنفسـهم في فقـرات قليلـة أو في سـنوات قليلـة عـام 347، ويُشيْد Isocrates بحكم أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني إلى أعالي السماء على الأقل في مقارنة مع حكم خليفته، فإنه قد سخر منها، حتى إذا قمنـا بفصـل هـذه الخطابـات من السياق الأيديولوجي لها والذي يحملهـا طـويلاً، فإنهـا تقـدم تفاصـيل دقيقـة قليلـة يمكن تكاملها بشكل سهل في إطار عمل يمكن تركيبه وتشكيله بشكل مستقل، والحقيقة تكمن في أن المراجع هي مجرد أحداث وحوادث لا تقدم شيئاً أكـثر مـن بعـض الأسـماء، وقليل من الإشارات، مثل كيـف حـاول الساسـة اليونـانيون أن يصـوروا النتـائج الممكنـة للتـدخلات مـن وقـت لآخـر في اسـتراتيجياتهم أو رؤسـاء المرتزقـة في الشـؤون الداخليـة للإمبراطورية الأخمينية؟

وهناك عبارتان يونانيتان مقتبستان تشـيران بشـكل غـير مبـاشر إلى المرزبانـات، الأولى وجـدت في Argos وهـي الآن مفقـودة ، وتوضـح حالـة الولايـات اليونانيـة المتعددة التي وافقت عـلى سـلام عـادل وشـامل، وتؤكـد الأطـراف والأحـزاب أن حالـة الحرب لم توجد بينهم وبين الملـك العظـيم «إذا لم يـرد بهـم سـوءاً، فسـوف يظلـون في سلام معه»، ومن ناحية أخرى «إذا كان الملك أو أية قوات أخرى قادمة إلى مقاطعاتـه، وتتحرك للمسير ضـد الــ Hellenes فـإنهم سـوف ينظمـون دفاعـاً مشـتركاً»، وتشـمل البداية غير المرتبطة للنص إشارة إلى مبعوث جاء من طـرف المرزبانـات، وبالإضـافة إلى ذلك، فإن عبارة أثينية مقتبسة، مملوءة بمجادلات عن إنشـاء الـنص ووضـع تـأريخ لـه تشير -لسوء الحظ- إلى منح أوسمة الشرف من بينها المواطنـة إلى أورنـتس؛ لأنـه بـاع القمح إلى المدن الأثينية متبعاً أسلوب تبادل السفراء والمفاوضات، ويقدم هذا الاتفـاق علفاً وغذاءً، وينهي جدالاً حول الواجبات التي ينبغـي أن يقـوم بهـا المرزبـان أورنـتس

في ميسيا، ولكنه ربط هذه القصة بقيام ثورته هو أمر غـامض وضـعيف، فـلا يوجـد مـا يشير إلى استصدار اتفاق تقدمت به أثينا من أي نوع من أنواع التحالف العسـكري مـع بلاد الفرس، أو أن بيع القمح إلى المدينة بشكل علني يوضح الميول والنزعات الانفصـالية من جانب المرزبان، ويوضح الاتفـاق الأول -والـذي كـان مشـكوكاً في صـحته- أن المـدن الإغريقية كانت منزعجة جدًّا من إثبات رغبتهـا في السـلام العـام المتجـدد تحـت رعايـة الملك العظيم، ويبدو أن بداية النص تؤكـد أنـه كـان هنـاك مشروع مشـترك بـين الأمـراء المرزبانات في هذا التاريخ -كما يذكر ديـودورس Diodorus في مؤلفـه- ولكـن نتيجـة تهشم الحجر عند القمة، فإن الاتفـاق واسـترداد الـنص والتفسـيرات التابعـة لـه تعتمـد بدرجة كبيرة على نص ديـودورس Diodorus الـذي يحـذف الثقـل الكبـير مـن كومـة الدليل الذي تم إنشاؤه وقيامه.

إن نتيجـة التحقيـق المسـتمر لا تعتـبر مشـجعة، حيـث إن المصـادر الكلاسـيكية مصـادر مشـوهة ومحرفـة ومتنـاثرة، ولم تكـن مهتمـة بالتـاريخ الـداخلي للإمبراطوريـة الأخمينية، ومن الواضح أن هناك نصاً به معلومات أكثر ديودورس Diodorus لكـن تركيبة ودراسة الرموز فيه تجعل المؤرخ متقلقلاً بدرجة كبيرة، وهناك عبارتـان يونانيتـان أخريان مقتبستان، ولكن فحواهما غير مؤكدة، وكلاهـما تاريخيـة، وأخـيراً فـلا توجـد أي مصادر أخمينية، وبعيداً عن وجود عدد كبير من العملات التي تم سكها بواسطة المـدن اليونانيـة والمرزبانـات سـواء كـان هـؤلاء الأفـراد ثـوريين ويبقـى أن يـتم برهـان ذلـك، وبالإضافة إلى ذلك، فإن التـأريخ الخـاص بالأنشـطة لا يمكـن اسـتعادة تركيبـه وتشـكيله بتأكيد كامل، حقاً .. ما المنفعة من العروض الخاصة بسلاسل السـببية إذا لم يكـن هنـاك بنـاء لنظـام واقعـي للأحـداث؟ ومـن المفهـوم أن اختلافـات كبـيرة بـين المـؤرخين ظلـت مستمرة بشأن تطور، اتساع، امتداد، وأغراض الثورة الثورات .

ويمكننا أن نستعرض هذا الأمر في ضوء وجهتي نظر مختلفتين، إحداهما متطرفة اشتراكية ، والأخرى معتدلة، وتقصد الأولى أن تقدم أشكال العصيان والتمرد كحركة واسعة موحدة لها هدف كبير من رفع الهجوم المباشر على سلطة أرتاكسركسيس Artaxerxes والسير في حملة إليه لتدميره، وبالإضافة إلى ديودورس Diodorus ، فإن أنصار هذه النظرية يلجأون إلى Trogus Pompeius و Polyaenus ، ويذكر الأول أن أرتاكسركسيس Artaxerxes قد هزم أورونتس في سوريا، ويقول الآخران Datames إنه قد سار في حملة عسكرية وراء نهر الفرات أثناء حركة الملك العظيم، وإذا افترضنا أن كل أشكال الهجوم والتمرد المصري مرتبطة بشكل أصيل، فإننا سنحصل على انطباع أن سلطة أرتاكسركسيس Artaxerxes قد تهددت في عقر دارها، ومنذ سنوات قليلة، تم التعبير عن آراء مختلفة ومتعارضة، وكانت تميل هذه الآراء إلى تقليل الثورات المتنوعة وأشكال التمرد وتقليصها إلى الشؤون الداخلية، والتي لم تكن تهدد سلطة الملك العظيم بدرجة فعلية، ولكن الآراء اصطدمت بمشكلات تأريخية صعبة، ألا نذكر هشاشة المناظرات والمناقشات القائمة على الدليل الذي لم يكن فقط قصصيًّا ومتغاير الخواص، ولكنه يضع حجماً كبيراً للغاية في التصورات اليونانية الضعف التركيبي الظاهري للدليل الأخميني ، وفي الاهتمام الذاتي بالولايات اليونانية التي كانت مهتمة خارجيًّا بالمشاجرات والمعارك في آسيا الصغرى، ويعتبر من الجيد أن نذكر أن المناقشة التالية في ثروة جهلنا أفضل بدرجة أكبر من الافتقار إلى تأكدنا من تلك المصادر.

الثورات الأولية: ديتامس Datames :

توضح وظيفة الحياة المهنية لـ Datames مدى اتساع وتعقيد المجادلات التاريخية الخاصة به، ودعونا نذكر أولاً أن ديودورس Diodorus لم يضعه ضمن سلسلة المرزبانات الذين توصلوا لاتفاق

بشأن معاهدة التعاون، وهو يناقش Datames في فصل منفصل، مشيراً إلى أن تمرده قد حدث بينما كان الأمراء والمرزبانات الخائنين المتمردين منشغلين بتلميع أسلحتهم في عام 360 .

ولم يكن هدف ديودورس Diodorus أن يقدم رواية متصلة من الأحداث ولكن بشكل بسيط أن يعطي أمثلة أخرى للخيانة التي اتسمت بها الثورات؛ ولذلك فهو يخبر أن الـ Strategeos الملكي، Artabazus قد اخترق إلى كابادوكيا، حيث كان Datames مرزباناً -رغم خداعه بواسطة حميه Mithrobarazenes - وكان Datames هو المنتصر والغالب في نهاية الأمر، وفي باقي الحياة المهنية لـ Datames قدم ديودورس Diodorus موجِزاً إلى خطأ، فبالنسبة لـ Datames ، بالرغم من أنه قبيل ذلك كان معجباً بقيادته في ذلك الوقت قد فاز بتشجيع وهتاف وتصفيق أكبر لشجاعته وحصافته وذكائه في فن القتال والحرب، ولكن الملك أرتاكسركسيس Artaxerxes عندما سمع وعلم عن استغلال واستخدام Datames لذلك فرغ صبره، وقرر أن يتخلص منه، وحرّض على اغتياله .

وقد وجدت كل من رواية خيانة Mithrobarazenes ونهاية Datames في سيرة ذاتية كتبها Nepos الذي يقدم قصة أكثر تفصيلاً عن خلفية المرزبان، والجزء الأول من حياته المهنية المتألقة، وبعد انتصاره على Thuys في بافلاجونيا في عام 380، أُرسل Datames إلى عقر بصحبة فارنابيزوس Pharnabyzus و Tithraustes اللذين كانا يجهزان القوة العسكرية المصرية، وبعد استدعاء فارنابيزوس Pharnabyzus بعد هزيمة عام 374 تم تنصيب Datames قائداً للجيش، وعند هذه النقطة أصدر الملك أوامره إليه بأن يضع نهاية لحالات الفوضى والشغب التي أثارها Aspis of Cataonia ، وبعد أن كان ناجحاً، عاد إلى عقر، وحدث ذلك عندما تم قطع العلاقات بينه وبين الملك العظيم، وقد تم تحذير Datames بواسطة صديقه Pandantes -حارس الخزانة الملكية- من

مكيدة دبرها رجال الحاشية الملكية البلاط الملكي ؛ ولذلك فقد قرر وعزم على أن يتخلى عن خدمة الملك دون أن يسمح لأي شيء أن يغير نواياه، ولقد غادر ومعه كل أفراد أسرته إلى كابادوكيا، وجاء سراً إلى Ariobarzenes ، وقد كانا على تفاهم وتوافق، ثم تلت قصة حميه Mithrobarzenes وخداعه وخيانته -ليس أثناء الحرب ضد Artabazus لكن في معركة ضد بعض البسيديين- وقد هجره ابنه الأكبر Sysinas ، ووقف بين صفوف أرتاكسركسيس Artaxerxes ، ووجد Datames نفسه تحت الهجوم والاعتداء من جانب Autophradates الذي قد تلقى أوامر من الملك أن يتعامل مع Datames ، ولكنه وجد نفسه غير قادر على الانتصار والفوز، فصنع هدنة مع Datames ، وتتبع قصة لصور خيانة وخداع جديدة، الأخيرة منهم كانت تخطيطها بواسطة Mithradates ابن Ariobarzenes الذي أغوى Datames استجابة لأوامر الملك وقتله .

وقد شدّدنا في العديد من المرات السابقة بألا تؤخذ السيرة الذاتية التي كتبها Nepos كقيمة مباشرة وكمرجع مباشر، حيث كان Nepos تماماً مثل ديودورس Diodorus مهتماً بأن يمجّد فضائل بطله، وقد بنى قصته على سلسلة من الدوافع المتكررة، وقد تألق Datames الاستراتيجي في نكران الجميل الخاص بالملوك وسلسلة من الخيانات حموه وابنه الأكبر ، والتي تعلل في الوقت نفسه الصحة والتماسك التاريخي قليلاً، ومن مؤلف لآخر، تتنوع الشخصيات والتأريخ، وهذا هو السبب في أن ترتفع الشكوك الخطيرة حول الظروف وتأريخ الثورة، وطبقاً لما أورده Nepos ، فإن الثورة قد حدثت في نهاية عام 370 في تاريخ يسبق التاريخ الذي قد حدده ديودورس Diodorus بالنسبة للحريق والاشتعال العام والحملات العسكرية الملكية ضد Datames ، ويعتبر التفسير الوحيد الذي يقدمه Nepos عن خطأ وقصور Datames أمراً مثيراً للدهشة عندما كان في ذروة الاستحسان الملكي، حيث كان إعلان مؤامرة الحاشية

الملكية هو الأمر الـذي جعلـه يقـرر أن يوقـف هـذا الاستحسـان؛ لأنـه كـان خائفـاً مـن الهزيمة في مصر، وسوف ينصرف استحسان أرتاكسركسيس Artaxerxes .

إن اعتبار Datames متمرد من جانب البلاط الملكي كـان أمـراً مـن النـادر الشـك فيه، ولكن متى حدث ذلك؟ وتحت أية ظروف تم ذلك؟ طبقاً لما قدمه Nepos فقد تم إبرام معاهدة سرية مع Ariobarzenes -مرزبان فريـجيا- Hellespontine ، ومع ذلك لا يشير شيء ما إلى أن Ariobarzenes قد أعلن عن استقلاله عن الملك العظـيم بشـكل مبكر في مطلع عام 370، وكان يبدو بدلاً من ذلك أن الاتهامـات البديلـة لابنـه Sysinas الذي أقنع الملك العظيم، والذي أمر Autophradates -مرزبـان سـارديس- بـأن يلاحـق ويطارد المتمرد، وإذا قمنا بتأريخ الحملة العسكرية تقريباً إلى عـام 367، فمـن الصـعب أن نوضـح طبيعـة العلاقـات التـي اسـتمرت لتؤكـد ولاء وإخـلاص Datames للسـلطة المركزية من قبل.

إن ندرة المعلومات والطبيعة المتناقضة لها قد أدت إلى تفسيرات متناقضة إلى حد ما، ويمكننا أن نفترض أن حملتـه العسـكرية ضـد البسـيديين -وبشـكل أكـثر دقـة- ضـد الجماعات غير المعروفة هويتها من البسيديين والمرتبطة بالهجمات العسكرية الأخمينية ضد شعب غير مستقر من حيث الاعتقاد المنتقل من جيل إلى جيـل، ولكـن قـد يعكـس ذلك أيضاً رغبة المتمرد في أن يضع البسيديين ضمن قائمة أولئـك الـذين هـم في خدمتـه وخاضعين له، وأكثر من ذلك، فإن العديد من النوادر القصصية والعمـلات تشـير إلى أنـه كانت حملات عسكرية في آسيا الصـغرى الشـمالية في وقـت كـان صـعباً للغايـة أن يـتم التعليق عليها فيه، ويسجل Polyaenus قصة نادرة شيقة: «بيـنما كـان يقـوم بمحـاصرة Sinope ، تلقى Datames من حصونه وحصل على قدر كبير من الغنائم وقام بتقسـيم جزء منها على جنوده، وأرسل جزءاً إلى Datames ، كما فرض سيطرته على العديـد مـن

الحصون والقلاع، وقام بتسليمها للكاريي، ومن خلال الاستمرار في هذا التصرف لمدة طويلة أقنع Datames أنه مهتم بحرب لا يمكن تهدئتها ضد الملك.

ويستخدم Polyaenus الكلمات نفسها Phrouria-Basileos/ KomaiPhoroi و Leia ، فقد أثبتت الهجمات على المواقع العسكرية الملكية والقرى والجزية أنه كان عدواً للملك، وتوضح نصوص كثيرة -وخاصة نص زينوفون Xenophon - أن الواجب الأساسي للمرزبان هو استخدام المعاقل العسكرية Castella-Phrounia لإقرار النظام، وهذا بدوره قد سمح للفلاحين بأن يعملوا وأن يستمروا في الإنتاج دون أن يتعرضوا لغارات حربية حتى يتسنى لهم دفع الجزية، إن سرقة الجزية هو السبب وراء ملاحقة الجيوش الملكية لـ Aspis of Cataonia ، لقد اجتاح المناطق المجاورة لبلاد الفرس، وحمل ما يمكن إحضاره إلى الملك، وقد كان هذا السلوك عكس سلوك المرزبان الجيد، الذي ينبغي من جانبه أن يحمي دويلته من ويلات الحرب، وهذا كان أحد التبريرات المقدمة لذلك بواسطة Arsites في عام 334 لمعارضة الاستراتيجية من إحراق الأرض والممتلكات قبل التخلي عنها للعدو التي تقدم بها Memnon ، وهو لن يسمح بمعاناة منزل واحد وتركه ليحترق في حالة أن هذا المنزل ينتمي إلى أحد مرؤوسيه، ومن الواضح أن تعريف «المتمرد» ليس أقل من كونه جزئيًّا أو منحازاً، وبصفة عامة فإن الشخص الذي يعتبر مذنباً أو غير مستحق هو ذلك الذي لم يذعن للأوامر الملكية، أو قام بتنفيذ مهمة ملكية بشكل سيء، والخط الفاصل بين الإخلاص والتمرد كان معتدلاً ويفيد بذلك خطاب له من أرتاكسركسيس Artaxerxes يأمره فيه بألا يقوم بتنفيذ العملية، وقام على الفور بأداء انحناءة الاحترام أمام الخطاب، وعَرَض الضحية الذبيحة التي تُقدّم عادة مع ورود الأخبار السارة، وقد استخدمت كدليل على ولاء المرزبان -على عكس المنظور

الذي قدمه Nepos تماماً- طالما أن خطاب أرتاكسركسيس Artaxerxes لم يشر إلى تمرد أو عصيان Datames ، وانحناءة الاحترام والإجلال أمام الخطاب الملكي الرسالة الملكية ، وهذا لا يعتبر أمراً مثيراً للسخرية أو التهكم، ونحن نعلم أيضاً أن Datames لم يكن خائفاً من الاستيلاء على ثروة الكابادوكيين لكي يستطيع تمويل حملته، ومرة أخرى فإن هذه الرواية تدعم القراءتين السابقتين، وقد توضح حقيقة عادية، وهي نقص الأموال النقدية، والذي أجبر المرزبانات والقادة على أن يغيروا أو يعدلوا بعض الإجراءات؛ لكي يقوموا بدفع أجور الجنود، ولكن ذلك لا يعد دليلاً على التمرد.

وهذه نقطة جيدة نثير عندها سؤالاً مهمًّا: ما المتمرد بالضبط؟ ما التعريف المضبوط للمتمرد؟ يوجد أحد أفضل التعريفات والأكثر صراحة في نص Nepos ، ويظهر أيضاً في كلمات واضحة في قصة نادرة من قصص Polyaenus ، حيث يقول Nepos : «إن الملك العظيم قد منح Mithradates الراية البيضاء لكي يتخلص من Datames ، وقد حاول Mithradates أن يقوم بعمل تمرد؛ لأنه قد عرف أن Datames حذر ويقظ للغاية؛ ولذلك تبنى Mithradates مواقف معينة، وقام بصنع قرارات تعلن من شأنها عن القطع الصريح لعلاقات الصداقة مع الملك».

لقد قام Mithradates بتجهيز قواته وقام بعمل صداقة مع Datames دون مقابلته، ثم بدأ في الإغارة على مقاطعات الملك واقتحمها، وقد كان الحكم للملك الذي يمكن الاعتماد عليه والرجوع إليه كما هو موضح من ظهور Tiribazus عندما انتقده أورونتس الذي كان غيوراً من Tiribazus ومكانته المرتفعة، ويثبت هذا المثال أيضاً أن دور الاتهامات الرسمية التي قد تأتي من السكان المحليين الذين كانوا غير مسرورين وراضين عن مطالب المدير أو شخص مكلّف بتصفية أملاك شخص آخر أو من المفتشين والمندوبين الملكيين أو من زميل غيور، وهكذا بقي الملك

على علم ومعرفة بما يحدث في المقاطعات، وباختصار، بينما يجب أن يُؤرَّخ تمرد Datames بلا شك منذ سنوات قليلة مضت قبل عام 361، فإن تأريخها وظروفها المحددة ظلت غامضة متعذر فك طلاسمها.

الاضطرابات في آسيا الصغرى الغربية عام 361-366 :

وقد انفجر صراع في آسيا الصغرى الغربية قبل عام 361، وطبقاً لما ذكره Nepos فإن حليف Datames الأول كان Ariobarzanes ، ويشير البيان المصور لديودورس Diodorus إلى أن Ariobarzanes هو مرزبان فريـچيا، وفي الحقيقة فقد فرض Ariobarzanes حصاراً حول Dascylium ، وطبقاً لـ Demosthenes ، فقد أعلن بشكل صريح عن نفسه في حالة تمرد وعصيان عندما أُرسل الأثيني Timotheus ليساعده عام 366، وقد تلقى أيضاً المساعدة من الإسبرطي Agesilaus ، وربما يكون هذا السياق الذي تلقى فيه Ariobarzanes ابنه واثنين من اليونانيين المواطنة الأثينية، وقد أرسل الملك أسطولاً وجيشاً لمواجهة المتمرد، وكان Mausolaus يقود الأسطول - وهو نائب حاكم كاريا- وكان الجيش قائده هو Autophradates -مرزبان سارديس- بعد عودته من الحملة العسكرية غير المثمرة ضد Datames ، وبعد مرور الوقت، أمر الملك بأسر المتمرد واحتجازه، وقد تم صلبه عام 364 ، ويبدو أنه قد خُدع من جانب ابنه Mithradates .

ونحن نعلم أيضاً أن إمارة الحكم في Dascylium قد نُقلت إلى Artabazus ابن فارنابيزوس Pharnabyzus و Apame حفيد أرتاكسركسيس Artaxerxes ، وكانت إحدى حملات المرزبان الجديد أثناء رحلته البحرية إلى Dascylium لمقاتلة Damates لم تكلل بالنجاح ، وفي أثناء ذلك خسر ملاحقة طريق Ariobarzanes حتى دُعي بواسطة ديودورس Diodorus في البيان المصور للمرزبانات المتمردين في عام 361، وربما في هذه السنوات أن أورونتس قد بدأ يؤكد ويوطد

قوتـه وسـلطانه في ماسـيا في منطقـة Pergamum ، ولكـن المصـادر تعتـبر مفتقـرة إلى الموثوقية، وما نحن متأكدين منه تماماً أن أورونـتس كـان مرزبـان أرمينيـا في عـام 401، وأنه في حوالي عام 384 قد شارك في حملـة قـبرص العسـكرية، وكـان ذلـك عنـدما اتهـم زميله ورفيقه Tiribazus بتنفيذ عمليات خاصة، واستحسن الحكـم Tiribazus ، فلقـد منح الملك Tiribazus أرفع الأوسمة الشرفيـة كـما كانـت العـادات متبعـة حينهـا، وقـد حُوكم أورونتس كما لو أنه قد لفق اتهاماً مزيفاً، وقد طرده من قائمـة أصـدقائه، وأذلـه، وأنزل به أقصى درجات الانحدار التجريد من الرتبة واللقب ، وقد اختفى أورونتس عن الأنظار حتى عام 361 عندما أطلق إليه ديودورس Diodorus «مرزبان ماسيا»، ومهما كانت السلطة التي تم منحها إليه حقه كمرزبان، حاكم ملكي ، فلا بد أن أورونـتس قـد انتقل من أرمينيا إلى آسيا الصغرى الغربيـة في تـاريخ غـير معـروف لـدينا، ربمـا كارتـداد لعدم التأييد والاستحسان الذي قد حـل بـه بعـد مسـألة قـبرص، وقـد تـم التأكيـد عـلى نشاطه الخاص في مايسيا بـالقرب مـن Pergamum في العبـارة اليونانيـة المقتبسـة، ولم يعطينا التاريخ، ولكن يُوصف الرجل بشـكل لا يثـير الشـك عـلى أنـه متمـرد ضـد الملـك العظيم، ويظهر ابتكاره في Adramyhium و Cisthenes أنه كان يدرج المرتزقة الـذين قد يسّروا عليه أن يستولي على Cyme بالرغم من إرسال فرقة من الفرسـان مـن جانـب Autophradates لمعارضته، وهناك قصة نادرة تقـرر أنـه كـان يقـود عمليـات مرهقـة ومُغيرة باستمرار بالقرب من ساردیس، ويتضح أن هذه الاعتـداءات والمصـادمات يجـب تأريخها قبل عام 361-362، بالإضافة إلى ذلك، فهي تشير إلى أن أورنتس -رغـم معارضـة Autophradates وقادة آخرين للملك- كان يحاول أن يوسع القواعد للسـلطة الخاصـة بالمقاطعات الخاضعة له.

وحيـــث إن المعلومـــات التـــي نحصـــل عليهـــا غـــير مؤكـــدة، فـــإن ذلـــك

يعطينا مزيداً من شكوكنا حول نسخة ديودورس Diodorus ، فالهياج المرزباني لم ينفجر فجأة في عام 361، لكنه يعكس حالة عدم الاستقرار التي كانت مستوطنة ومتمركزة، بالإضافة إلى مشاركة بعض قادة المتمردين، والذين يصورهم ديودورس Diodorus في نصوصه بشكل مؤقت، ولا نعرف الكثير عن Autophradates سوى فقرة مؤرخة بشكل سيء عام 361-362 ، والتي يذكر فيها Demosthenes أنه عندما وصل Charidemus إلى آسيا الصغرى قد تم القبض على Artabazus وأخذه سجيناً بواسطة Autophradates ، ثم أطلق سراحه بعدها فترة قصيرة، وهذا ما شأنه أن يشكل لمحة ضعيفة جدًّا، وأخيراً، وحسب ما جاء على لسان ديودورس Diodorus فإن ثورة أورنتس قد انتهت بشكل سريع كما بدأت أيضاً بشكل سريع، وبعد جمع المال من الفرعون sآTach قام أورونتس بتغيير خططه بشكل مفاجئ، ولقد استمر في خيانة الثقة الممنوحة به من أجل إثارة الشك حول ذلك، فإنه سوف يحصل من الملك ليس فقط على هدايا ومنح عظيمة، ولكن سينجح في استخلاف الحكم لكل المنطقة الساحلية إذا قام بتسليم المتمردين لأيدي الفرس، لقد قبض أولاً على أولئك الذي أحضروا الأموال، وأرسلهم إلى أرتاكسركسيس Artaxerxes ، ثم قام بتوصيل الكثير من الجنود الذين قد استؤجروا إلى الضباط القياديين الذين أرسلهم الملك، لقد اتبع مثاله Rheomithres ، الذي -عندما عاد من مصر- قام بعمل مرساة في Leucae مع أسطوله، وبالنسبة لهذه المدينة، فقد استدعى كثيراً من قادة المتمردين هؤلاء، والذين قبض عليهم وأرسلهم مكبلين بالسلاسل إلى أرتاكسركسيس Artaxerxes رغم أنه كان يوماً متمرداً، من أجل الامتيازات التي نقلها من خلال خيانته فإنه بذلك قد صنع سلاماً مع الملك.

ويبدو هذا السلوك غريباً، ومن المحتمل أن ديودورس Diodorus

قد أوجز تأريخه إلى حد الكاريكاتير، ومع ذلك فإن استسلام وخضوع أورونتس قد تم التأكيد عليه تماماً في تاريخ Pergamum ، والذي يذكر أيضاً موت المتمردين الخارجين، ولكن كيف يتم تعليل الأسباب حيال هذه الأفكار والآراء الخاصة بـ Pergamum ؟ هل يمكن أن تضعنا أحداث مؤقتة تحدث في جبهات أخرى في الطريق الصحيح؟ بالطبع فإننا نعتقد أن مصر هي الطريق المقصود؛ لأن أورونتس وفرقته قد أصبحوا على اتصال مع Tachos .

الجبهة المصرية:

قرر Tachos -حاكم مصر في عام 359 منذ عام 361- أن يستمر في هجومه ضد الفرس، وقد بدأ استعدادات كبيرة مستكملاً ما قام به أسلافه، والتي -حسب ديودورس Diodorus - تشتمل على جمع مائتين من السفن ثلاثية المجاديف، والتي قد تم تزيينها وزخرفتها بتكاليف باهظة، وقد تم اختيار عشرة آلاف من المرتزقة اليونانيين، بالإضافة إلى ثمانين ألفاً من جنود المشاة المصريين، وقد أرسل مندوبين إلى أثينا وإسبرطة لتجنيد هؤلاء المرتزقة، وكانت لدى أثينا رغبة ضعيفة في أن تقطع العلاقات مع الملك العظيم، وألا تبرم أية اتفاقات مع الفرعون، ومع ذلك فقد أوكلت Chabrias إليه أن يدخل في خدمة Tachos بشكل خاص، وصنعت إسبرطة -من ناحية أخرى- مع الفرعون، ولقد استأجر Agesilaus المرتزقة بتمويلات مصرية، وتقابل مع Tachos مصطحباً ثلاثين من المستشارين و1000 جندي من إسبرطة من الـ Hoplites ، وقد وضع Chabrias في قيادة الأسطول، وتلقى Agesilaus أمراً بقيادة المرتزقة، واستأثر Tachos لنفسه بالإشراف العام على العمليات العسكرية، وقد ظهر أنه يوّلد نوعاً من الاحتكاك بين القادة اليونانيين.

ومعارضة لنصيحة Agesilaus ، فقد قرر الفرعون أن يثير الهجوم بعيداً عن أرض الوطن، وأقام معسكره بالقرب من فينيقيا، بينما أصدر

أمراً إلى الضابط Nectanebo ابن أخيه أن يحاصر المدن في سوريا، وعند هـذه النقطـة بدأت المؤامرة تنكشف عن العودة إلى الوطن، فلقـد غـادر Tachos في مسـؤولية أخيـه Cha-hap-imu ، والد Nectanebo ، وقد فاز Cha-hap-inu واستأثر بـالجنود الـذين وضعهم Tachos تحت أمـره لـكي يحـاصر المـدن في سـوريا، وطلـب مـن Agesilaus و Charbrias أن يساندوه، وقد فعـل Agesilaus ذلـك؛ لأن إسـبرطة أعطتـه زمـام الأمـر، وقد أطلق Nectanebo على نفسه لقب «فرعون»، ونتيجة لذلك فقد لجـأ Tachos إلى أرتاكسركسيس Artaxerxes الذي لم يكتفي بتبرئته من التهم الموجهة إليه، ولكـن قـام بتعيينـه قائـداً في الحـرب ضـد مصر، ويوضـح ديـودورس Diodorus أن وفـاة أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني كانت ما بـين نـوفمبر لعـام 359، وأغسـطس لعـام 358، واعـتلاء ابنـه Ochus العـرش باسـم أرتاكسركسـيس Artaxerxes الثالـث، وفي الوقت نفسه، فقد استمر القتال في مصر؛ لأن قائداً آخر من Mendes قد صعد لتحـدي ومعارضـة Nectanebo ، وبعـد هـذه الأحـداث نجـد ديـودورس Diodorus يسـلط الضوء على الدور القيادي الذي لعبه البطل الإسبرطي Agesilaus في نصرة Nectanebo الثاني على خصمه.

أورونتس والجهة المصرية:

دعونا نعود إلى مشكلة التعاون مع العدو المحتل بين متمردي آسيا الصـغرى و Tachos ، ويمكننا أن نلاحظ ببسـاطة أن الفرعـون قـد وافـق عـلى أن يقـدم الأمـوال والسفن إلى Rheomithres ، الذي أرسل مـن قبـل ذلـك بواسـطة المتمـرد إلى الملـك Tachos في مصر لأجـل هـذا الغـرض، وأن Rheomithres قـد تـرك زوجتـه وأولاده رهينة في البلاط الفرعوني، وتماماً مثل أسلافه فقد سعى Tachos -لأنـه كـان في حالـة حرب مع بلاد فارس- إلى التحالف مـع المـدن اليونانيـة في أوروبـا، وقـد دعـم أولئـك الذين كانوا في ثورة ضد الملك العظيم من ماله الخاص، ولكن هل قـام بوضـع خطـط

لعمل مشترك ضد أرتاكسركسيس Artaxerxes موضع التنفيذ؟ ويعتبر المصدر الوحيد هو قطعة إنشائية محيّرة، وتبعث على الارتباك في مجمل الأحداث لعمل Trogus Pompeius المجلد الخامس مشيرة إلى أن أورونتس، مرزبان أرمينيا كان من بين الأعداء الذين قهرهم أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني، والذين ألحق بهم هزيمة غرّاء في سوريا بعد الانتصار على Ariobarzenes ، والنتيجة التي يمكننا الحصول عليها هي أن أورونتس قد قام بالفعل بالسير جنوباً لكي ينضم إلى جيش الفرعون، وأهمية المشكلة المطروحة تتضح بشكل كبير؛ لأن سلسلة كاملة من الاستنتاجات التاريخية للأهمية القصوى لها تسقط من الإجابة التي يجب أن يختارها، فإذا وجدت مثل هذه الخطة فإن التضمين يدل على أورونتس مع متمردين آخرين كان لا يفكر في شيء أقل من التقدم ضد بابل بابلونيا في مسيرة عسكرية حربية، ومع ذلك فسياسة الكبح تبدو أفضل السياسات في اعتبار إذا كانت ثورة Tachos قد امتدت إلى سوريا، ولا يمكننا أن نذكر بكل تأكيد أن الهجوم المصري قد أثار كل المدن الفينيقية وحرضها على الثورة، ونحن نعلم أن أثينا قد أصدرت مرسوماً على ضوء شرف الملك ستراتون ملك صيدون أثناء هذه السنوات، تشكره فيه على تسهيل الطريق أمام السفراء الذين كانوا يسافرون إلى الملك العظيم، ونعلم أيضاً أن Tachos ، قبل الانضمام إلى بلاط الملك العظيم وقد لجأ وطلب الملاذ في صيدون، ولا تسمح لنا أي من هذه البيانات أن نذكر أن ستراتون كان من بين الأعداء المعلنين للمك العظيم في هذا الوقت، وعلى عكس نص تمت كتابته لاحقاً يبدو أنه يذكر أن ملك صيدون قد أفسد معاهدة التحالف مع الملك العظيم، مشيراً بذلك إلى أن عصر الصداقة والود تم الحصول عليه مع مصر، ومع ذلك يوجد تشويه لديودورس Diodorus حول حصار Nectanebo للمدن في سوريا بأمر من Tachos ، ومن الممكن أن sآTach قد أمر Nectanebo بأن يتجه نحو الداخل، وربما

بذلك يحدد مواقع للحصون والقلاع الأخمينية مثل Arad أو بئر شبعا، ولكن لم تكشف عمليات التنقيب عن الآثار عن أي تدميرات في هذا التاريخ، والمشكلة الحقيقية تكمن في أنه من الصعب أن نفهم ما يقصده ديودورس Diodorus بمصطلح «سوريا»، وفي موضع آخر يتحدث عن «سوريا الفينيقية»، والتي فيها يضم أيضاً عقر Acre ، والتي يميزها عن سوريا التي يضم فيها جنوباً Joppa والسامرية وغزة، وإذا أخذنا هذا التوضيح بشيء من الجدية، فإن بعثة Nectanebo كانت لقهر الحصون والقلاع التي أقامها على ساحل سوريا الفينيقية، ولكن يظل الأمر مجرد تخمين، ومن الواضح أن المعلومات القليلة المتاحة غير كاملة قاصرة ورديئة النوع ، ولكن لا يوجد ما يدل على أن الحملة التي قام بها Tachos و Nectanebo قد وضعت فينيقية السورية في على حافة الحرب.

وأكثر من أي شيء، آخر فإن الروايات اليونانية الجزئية في كلا الاتجاهين تتركنا تماماً في الظلام بعيدين عن الاستجابة الممكنة من الملك العظيم بعيداً عن الاتفاقية اللاحقة بين أرتاكسركسيس Artaxerxes و Tachos ، ولا يعود ديودورس Diodorus إلى المسرح المصري حتى عام 351-350 ، ولكن فقط بارتجاع فني غامض ومشكوك في صحته يعود إلى العجز الدائم لأرتاكسركسيس Artaxerxes Ochus الثالث، وهناك مصدر آخر يذكر باختصار أن Ochus قد قام بعمل حملة عسكرية ضد مصر، بينما كان والده على قيد الحياة، وهذا بلا شك مصدر خطأ Trogus Pompeius أو الصورة المصغرة التي تنسب النصر إلى أرتاكسركسيس Artaxerxes ، ويمكن تأريخ هذه الحملة ونسبها إلى عام 360-359 ، ومن الواضح الارتقاء فيها إلى مقاومة الهجوم الذي قاده Tachos ، وتعتبر هذه الحقائق هي تلك التي يشير إليها Lyceas في تاريخه المصري أيضاً، عندما يكتب: «قام المصريون بتنفيذ حملة ضد Ochus -ملك بلاد الشام- ولكنهم تعرضوا

للهزيمة، وتم القبض على ملكهم وأسره كسجين، ولكن Ochus عامله بعطف، بل إنه قد استدعاه لتناول العشاء معه، وهذا الملك المصري من الواضح أنه Tachos ، مقارنة بقصة نادرة قد رواها Aelien توضح ذلك، ومن المحتمل أن هذا هو سياق طلب الملك أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني من أن تستدعي أثينا Chabrias ؛ ولذلك قام أرتاكسركسيس Artaxerxes بتكرار سياسته التقليدية عند مواجهة الفوضى الداخلية في مصر، فقد قدم الدعم واحد من المتظاهرين المتنافسين Tachos ضد الآخر Nectanebo ، وقد يمكننا أن نلاحظ -طبقاً للمؤلفين القدامى- أن فشل الحملة العسكرية لـ Tachos كان بسبب المشكلات الداخلية في مصر، ولا يمكن تحجيم مقدار هذه المشكلات، إن المتطلبات الملكية التي تم فرضها بواسطة Tachos لبناء درع الحرب الخاص به قد أبعدت الفصائل الإدارية المصرية، وبلا شك فقد أيقظت أيضاً عداوة الفلاحين العاديين، ولكن يمكننا أن نتساءل عما إذا كان تمرد Cha-hap-imu وابنه Nectanebo لم يكن قد أطلق بعد الخسائر العسكرية التي تم إحداثها على يد القوات الفارسية الخاصة بالأمير Ochus ؟

وباختصار فإن المؤرخ قد يواجه مشكلة عامة -لسوء الحظ- وهي الاضطرار إلى تفسير وتأويل المعلومات المقدمة له من جانب Trogus Pompeius على سبيل الخطأ، فالتلخيص في عجالة قد دمج حدثين عالجهما Trogus Pompeius على أنهما متتابعين، وهما: تولية أورونتس في آسيا الصغرى، وحملة Ochus في سوريا، ولتبرير ذلك يمكننا أن نقول إن مسيرة أورونتس تظهر على أنها من المتعذر تفسيرها من الناحية الاستراتيجية؛ لأنها تتطلب افتراضاً بأن كل القادة الفرس في آسيا الصغرى سوف يأتون لمساعدته، ولكن لا يوجد دليل على ذلك، ومن الأيسر أن نتخيل أن أخبار الصعوبات التي يواجهها Tachos قد أقنعت أورونتس بأن الثورة لم تكلل بالنجاح، وأن فرصته الفضلى في أن يحاول

أن يفوز بعفو الملك، ومن المحتمل في أية حالة أن أورونتس قد كان يحصل على معلوماته من Rheomithres ؛ لأن خداع القائدين كان مرتبطاً أحدهما بالآخر .

تقدم أورونتس وجيوشه نحو سوريا، حيث وصلوا بعد هزيمة واستسلام Tachos إلى Ochus ، وقد وافق أورونتس على مساندة Ochus ، وهذا الحل يشمل نقطتين في تأييده: الأولى أنها لا تحذف نصاً مشوهاً أو محرفاً، والثانية أنها تقدم تفسيراً لقطعة إنشائية غير مفهومة كتبها ديودورس Diodorus عن خيانة أورونتس و Rheomithres ، ومن الواضح أن ديودورس Diodorus قد قام بتكثيف التأريخ بشكل متزايد، ويمكننا أن نعيد صياغة وترتيب الأحداث كما يلي:

أ إرسال مندوبين إلى مصر وعودة Rheomithres .

ب أصبحت هزيمة Tachos معروفة.

ج اجتماع أورونتس وريوميثرس مع بعض المتآمرين وقرارهم بأن يسيروا في حملات عسكرية ضد الملك ألا يقاتلوا، بل فقط يقدموا الإخلاص والأمانة الجديدتين فيهما، واللتين ستفسران كيف أنهما كانا قادرين على العبور خلال امتداد آسيا الصغرى دون مقاومة أو تحدي .

د عندما وصلوا إلى سوريا ذهبوا إلى Ochus ، مع Tachos في موكبه، وأظهروا الولاء والإخلاص لـ Ochus ، وحيث إن أرتاكسركسيس Artaxerxes قد مات ما بين نوفمبر عام 359 ونوفمبر عام 358، فمن الممكن -تبعاً لهذه النظرية- أن تكون المواجهة قد حدثت في لحظة انتقال السلطة، وقد قدم الثاني مساعدته إلى Ochus في ذلك الوقت، أو أن أخبار موت أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني كانت بدقة هي ما قاد أورونتس إلى أن يغير ولاءه إلى Tachos ، بسبب خداعه ومسيرته إلى سوريا لمقابله الأمير.

وبينـما يقـدم هـذا الافـتراض ميـزة وضـع Trogus Pompeius في عـين الاعتبـار بتأويله وتصالحه مع ديودورس Diodorus نستطيع أن نرى أن الأمـر لا يشـير إطلاقـاً إلى أن أورنتس قـد فكـر في المسـير إلى بابـل لخلـع وعـزل أرتاكسركسـيس Artaxerxes الثاني، بل أقل من ذلك، أن تشير إلى أن هـذه المبـادرة التـي تـم تركيبهـا مـع الخطـط - أحياناً- تنسب إلى Datames ، ويناسب سلوك أورنتس جيداً المصاعب الأميرية الخاصـة بالسـلالة الحاكمـة المعروفـة بأنهـا قـد أحاطـت بارتقـاء أرتاكسركسـيس Artaxerxes الثالث Ochus ، وكان أورونتس من بين هؤلاء الذين ساندوا وعضدوا Ochus .

العودة إلى Datames :

في سـياق غـير معـروف تاريخيًـا، يصـف Polyaenus هجومـاً عسـكريًّا بواسـطة Datames عبر نهر الفـرات لاسـتكمال ومواصـلة الحـرب ضـد الملـك العظـيم، وقـد تمـت ملاحقته بواسطة جيش جرّار، وعاد لعبور النهر بصـعوبة قبـل أن يصـل الملـك إلى الضـفة الشرقية، آخذاً ومستولياً على ممتلكات أعدائه سريعاً، هـل هـذا يعنـي أن Datames قـد قرر أن ينهي استراتيجية هجومه في مقاطعاته كابادوكيا ويطلق هجوماً واسع النطاق ضـد بابل؟ والذي يعتقد بعض المؤرخين أنها قد تراكبت مع الخطط المبالغ فيها التي نُسبت إلى أورنتس؟ لقد شدد كل المؤلفين القدامى على رغبة الملك في أن يتم تنفيـذها مـع خصـم أو عدو، والذين قدموا عـلى أنهـم أكـثر رقيًّـا وارتفاعـاً في الشـأن بسـبب السـمات الشخصـية والـذكاء الاسـتراتيجي، ولكـن بعثـتهم الاعتذاريـة قـد أبعـدتنا عـن وضـع جُـلّ المصـداقية في الروايات، والتي كانت تكتمل وتُخصص لإظهار الفضـائل الخاصـة بـالمتمرد، وتشـجب حـالات إنكار الجميل بالنسبة للأمير، وليس هنـاك اختيـار سـوى الموافقـة عـلى أن القصـة النـاردة لــ Polyaenus لم تسمح لنا بالإجابة عن هذا السؤال بشكل إيجابي، ودعونا نقول إن العديد من

التفسيرات والتأويلات الأخرى كانت ممكنة -على الأقل- وتمكن أيًّا منها من أن تقلل العمليات العسكرية إلى ضربة صغيرة على رسغ اليد دون استمرار التسلسل والتتابع .



الشكل 52

وماذا عن المصادر الأخرى التي لها علاقة بدراسة أو جمع قطع العملات النقدية، بالإضافة إلى العملات التي تم سكها من قبل Datames في ساينو لـ Simope وآميسس Amisus فإن سك العملة السيلسينية المنسوب له قد تم اكتشافه، متخفياً بالاسم اللوفياني Tarkumawa ، إن بعض العملات الكارانيكية Karanic ليست لها ملامح مميزة عند مقارنتها بالعملات من النوع نفسه، والتي تم سكها بواسطة قادة فرس آخرين أثناء الاستعدادات العسكرية التي تم تنفيذها في سيليسيا بين عام 390 وعام 380، وتحمل بعض العملات مشاهد أكثر أصالة وقدماً، وهي تعرض شخصاً مرتدياً لباساً إيرانيًّا، جالساً على عرش، وقد استراحت قدماه كرسي القدمين، يفحص سهماً ويمسك قوساً في يده وفي القمة يوجد قرص آهورا-مازدا Ahura-Mazda ، وتعرض عملة أخرى معبداً وشخصين أحدهما عارٍ وملتحٍ يومئ إلى الآخر، الذي يرتدي حسب الموضة اللباس اليوناني، ويقوم بعمل إيماءة محترمة نحو الأول، والعملة لها أسطورة آرامية تقرأ آنا Ana أو Anu ، وقد اقترح عالم حديث التفسير التالي: توضح كل من العملتين وضع Datames كمتمرد، بينما يرجع تاريخ الأولى إلى الجزء المبكر من الثورة عندما لم يقم Datames بتعريف خططه بعيداً عن الاحتفاظ واستبقاء الرموز الفارسية، والتلميحات الأخرى في الدعاية باستحضار،

والمناشدة، والتضرع إلى الإله البابلويني Anu ، ويمكن تفسير ذلك من خلال القطعة التي سردها Polyaenus والتي يعبر فيها Datames نهر الفرات، والإشارة توضح أن Datames قد نادى بتحرير بابلونيا باسم الإله Anu .

ومع ذلك فهذا التأويل يثير بعض التحفظات، من بينها فكرة أن المناقشات والمجادلات المشتقة عن عملة Datames والنص الذي قدمه Polyaenus يعتبرا مؤيدين بشكل متبادل لبعضهما البعض في فكرة غير حقيقية؛ لأنه ليس هناك جزء من دليل يعتبر غير قاطع أو حاسم، ولسبب آخر حقيقي هو أن شخصاً في زي فارسي كان ممثلاً باسمه الحقيقي يمكن أن يعتبر دليلاً قاطعاً على رغبته في الخلافة، ويمكن تقديم المجادلة المضادة بالاحتمال نفسه نحو الدقة والصحة، وبالنسبة للعملة الأخرى، إذا كانت قراءة الكتابة المنقوشة بالآرامية صحيحة، فحينئذ تعتبر أسطورة Anu مزعجة ومثيرة للنزاع، وفي الحقيقة فنحن نعلم أن هناك تعضيداً يمكن ملاحظته عن وضع الإله Anu في البانتون في القرن الرابع في يوريك، وهذا يمكن ملاحظته بشكل خاص في الأسماء الشخصية، ولكن أسباب هذا التغير تظل غامضة؛ ولذلك يصبح الارتباط المنطقي مع عملة Datames مسألة تداول وتشاور وتأني، وعلى أيه حال، فمن الصعب تفسير لماذا اختار المرزبان رمزاً بابليًّا مقدساً مفضلاً عن آهورا-مازدا Ahura-Mazda في قتال أو حرب مع أرتاكسركسيس Artaxerxes ، وحسب المعطيات المقدمة في هذه النظرية فقد كان غرضه هو الفوز على الارستقراطية الفارسية، وهل يمكننا أن نقول إن الاعتدال الافتراضي لأصله، وكذلك الأساس اللوفيني اللوفياني الافتراضي Tarkumawa قد منعه من الأمل في مساعدة طبقة النبلاء الفارسية؟ ولكن باسم الاهتمامات العامة والقواعد والأسس الأيديولوجية: هل استطاع أن يأمل أن يعبئ يسرح الشعب البابلي حوله؟ ولذلك فمن الأفضل ألا

نولي اهتماماً أكبر من اللازم إلى الفقرة التي قدمها Polyaenus ، والتي تبرر تفسيراً للدليل العملي النقدي ، والذي كان بدوره يقوم على المقدمات المنطقية التي قد قمنا بمناقشتها.

ماوسولس Mausolus والثورات:

يجب أن نقول الآن قليلاً من الكلمات عن ماوسولس في كاريا الذي كان سيداً لكثير من القلاع والحصون والمدن المهمة، والذي ضمنه ديودورس Diodorus بين المتآمرين، لقد ورث هذا الرجل النبيل -كريم الأصل- لقب مرزبان من والده Hecatomnus في عام 377.

ولقد كان مكان Hecatomnus في الإمبراطورية الأخمينية أصيلاً، حيث إنه كان مرزباناً، ومن السلالة الحاكمة أمير حتى إن وضع المرزبان قد انتقل داخل الأسرة، ومع ذلك فالمثال ليس فريداً، وعلى سبيل المثال، فقد ورث كل حكام السامرية أيضاً مناصبهم، إن عدداً قليلاً من المعاهدات التي صدرت بواسطة المدن الكاريية تشمل ميلاسا، مركز السلطة والقوة الأصلي لـ Hecatomnid أو بواسطة الكاريني Koinon لا تعتبر دليلاً على وجود الولاية الأخمينية، بينما تحمل الآخرين رداءة الصياغة، وفي السنة N لحكم الملك أرتاكسركسيس Artaxerxes أصبح Mausolus مرزباناً، وقد عبرت هذه الصياغات عن الطبيعة المزدوجة لامتيازات Mausolus ، وهذا دون شك هو السبب الذي من أجله أعلن -على لسانه- أنه يرسل هدايا إلى الملك العظيم لكي يحافظ على السلطة السلفية السابقة ، هل يمكن أن تشير هذه الحادثة إلى الهدايا إلى الملك العظيم في مناسبة اعتلاء وارتقاء أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث العرش؟ والتي بعدها أكد الملك أو طرد وعزل المرزبانات والضباط القياديين من مناصبهم؟

من المحتمل أن Mausolus كان أيضاً يناضل من أجل تعزيز سلطته ووضعه الاجتماعي الخاص، بينما كان استمرار الحفاظ على الحكم

والنظام الأخميني هو شغله الشاغل، وقد تم إثبات ذلك جيداً بشكل خاص من خلال نقل عاصمته إلى Halicarnassus ، حيث أقام قصراً ملكيًا اتبع نموذج القصور المرزبانية والأناتوليانية والأخمينية معاً، ومن الثابت من خلال المبادرات الخارجية أنه قد تمت إقامته مقابل الجزر والمدن في تواريخ غير معروفة بشكل واضح، ولكن المعلومات التي بين أيدينا حول الأنشطة الخارجية لمرزابنية سارديس وداسيلايم لا تسمح لنا بأن نقول إن سلوك Mausolus كان فريداً بشكل أساسي بدرجة أقل من أن مرزبان Halicarnassus قد عرض اتجاهات انفصالية من خلال استمرار هذه الأنشطة؛ لأن طوحاته في بعض الأحيان تستطيع أن تتشابك بشكل تام مع المصالح والاهتمامات الأخمينية، وبعد كل ذلك ليست البعثة التقليدية للمرزبانية أن يقوموا بتوسيع المقاطعات الملكية، وبالرغم من الطريقة التي يقوم بها مؤلفو القرن الرابع اليونايين من عرض وتقديم معلوماتهم بشكل متكرر، لم يكن Mausolus بشكل مؤكد حاكماً مستقلاً، ولدينا قدر ضئيل من المعلومات حول أنشطته كمرزبان، ولكنها على الأقل توضح أنه قد استؤمن بواسطة السلطة المركزية على أن يواصل استمرار النظام الحاكم في كاريا، فقد قام بتأثيث السفن وبنائها، وكذلك الوحدات العسكرية، وكذلك جمع ونقل الجزية وضرائب أخرى، واستمر في تشييد الطرق الملكية، وقد فرض أيضاً الضرائب مع توفير التشريع الملكي لها، مقارنة بالرسوم الملكية مثل الهدايا المطلوبة التي يعبر بها سكان الدول من خلال قافلة المرزبانات أو من قوافل أحد مرؤوسيه الذين اضطروا إلى تقديمها، وكثير من النوادر التي وُجدت في علم الاقتصاديات توضح الصرامة المالية الأسطورية لـ Mausolus ، وهذا هو السياق الخاص بالعديد من النوادر التي تشهد على علاقاته مع الإدارة المركزية، وعلى سبيل المثال فقد تلقى أمراً من الملك كي يرسل ضريبة منحة - عطية - هدية بشكل ودي، وقد انتخب على أنه الأكثر ثراءً بين أصدقائه، وأمر

بأن ترسل كل هذه المجموعات إلى الملك العظيم، وتوجد تفاصيل أكثر دقة في نص تصويري يرجع تاريخه إلى خليفته Pixodarus ، وقد منح سكان Platasa إعفاءً ضريبيًّا لواحد Dion ، وأحفاده وتنص الاتفاقية على أن هذا الإعفاء يقتصر فقط على الضرائب المدنية، فمازال ديون Dion وسلالته مضطرين إلى أن يدفعوا الضرائب الملكية، وهذا البيان تم التأكيد عليه من جانب عدد من المعاهدات والاتفاقيات الأخرى، ومثل أية إمارة أو عاصمة، فإن كاريا قد اضطرت إلى أن تدفع الجزية والهدايا وسلسلة من الضرائب الأخرى متراكمة على الضرائب المدنية، وكان من الواضح أن Mausolus وخلفاؤه الذين كان مطلوباً منهم أن يقدموا الكمية اللازمة من الضرائب للإدارة الملكية، ويمكننا أن نفرز من السجل التصويري اتفاقاً شيقاً للغاية من ميلاسا يرجع تاريخه إلى السنة التاسعة والثلاثين لحكم أرتاكسركسيس Artaxerxes عام 367-366 ، وتقول: «حيثما قد أُرسل Arlissis ابن Thyssolos إلى الملك بواسطة الكاريين، فإنه قد اتُهم بخرق ونقض الثقة أثناء انتدابه، وحيث إنه قد تآمر ضد Mausolus الذي كان مُحْسناً لمدينة الميلاسيين مثل والده Hecatomnus وأسلافه، وحيث إن الملك قد رأى أن Arlissis مذنب، وحكم عليه بالموت، وحيث إن المدينة قد اعتنت بممتلكاته، حسب القوانين القديمة وتخصيصهم لـ Mausolus ، فقد أعلن عن شقائهم وبلائهم على المخدوم المرؤوس أنه لم يتم اقتراح أي شيء أو الإعلان بصوت مرتفع وجهوري بتفعيل ما هو منافٍ ومضاد، وإذا حاول أي شخص أن يقوم بتصعيد ذلك فإنه سوف يُحكم عليه بالموت، هو وذويه».

ونحن لا نعرف مادة الاتهامات الموجهة إلى Mausolus ، فلا يوجد شيء يمكن إثباته، إذ يمكن اتهام المرزبان بالتمرد والعصيان في هذا التاريخ، حتى إذا شعر Arlissis أنه يستطيع أن يقدم الاتهامات من هذا النوع في جو من الحساسية، ولا بد أن ذلك يعد أمراً داخليًّا، ربما

يرتبط بالاهتمامات الملكية لـ Mausolus ، وهناك العديد من النصوص الأخرى التي تشير إلى مثل هذه المكائد والمؤامرات، والتي يُحكم فيها على المذنبين بالموت ومصادرة ممتلكاتهم، ومما يعتبر أكثر تشويقاً بشأن Arlissis هو توضيح وتفسير العلاقات بين عدد من أجواء السلطة، أمير مرزباني، الـ Koinon الخاص بالكاريين، الذي أرسل بعثة إلى أرتاكسركسيس Artaxerxes ، مدينة ميلاسا التي صنعت القرار ، والملك العظيم، ومن الجدير بالذكر أن أرتاكسركسيس Artaxerxes هو الذي أصدر حكمه بالموت على Arlissis ، ومن المحتمل والمرجح أن يكون ذلك مرجعه إلى حكم سابق كانت فيه الاتهامات التي استُحضرت بواسطة المبلّغ المُخْبر عن الجريمة قد استصدر حكماً بشرعيتها.

لقد كان دور مجلس نواب ميلاسا -الذي كان بلا شك يسيطر عليه Mausolus - هو تسجيل أوامر الملك وأحكامه واستصدار عقوبة أكبر لمصادرة البضائع التي كانت محلية خالصة في طبيعتها، ولم تسقط هذه العقوبة الأخيرة تحت طائلة القانون الخاص بالسلطة المركزية، والتي لم يكن لها معرفة بالسلوك المؤسساتي الكاريني بصفة خاصة، ولقد دلت على ذلك المحاكمة الجديدة في ميلاسا، وقد اشتملت على اتهام الـ Parapresbeia -وهو اتهام شائع في المدن الإغريقية- فقد كانوا يحكمون على السفراء الذين يتم إرسالهم إلى القصر الملكي الخاص بالملك العظيم الذي كان يوافق على قبول الهدايا -متّبعاً العادات الأخمينية- والتي قد اعتبرت عند رجوعها رشاوى، ولأجل كل هذه الأسباب يناسب النص تماماً السجل البسيط للعلاقات التي تتضمن الأحكام القضائية والتشريعية بين السلطة المركزية والمجاورات الخاضعة للسلطة المركزية.

ومع ذلك فليس هناك اختيار سوى أن نعرف أنه ليس هناك دليل يؤكد عبارات ديودورس Diodorus عن مشاركة Mausolus الفعّالة والنشيطة في

الثورات، ولدينا عبارات قليلة في الـ Agesilaus الخاص بزينوفون Xenophon وهناك نعلم أنه أثناء الحملة العسكرية ضد Ariobarzenes في عام 366 قد تلقى Autophradates مساعدة من أسطول Mausolus كنوع من التعاون بين القوات البحرية والقوات البرية، كما كان هو الحال في عام 391 أثناء العمليات العسكرية ضد قبرص، إن عمليات الحصار لـ Assos و Sestos قد تم تنفيذها بشكل مشترك بواسطة القوات العسكرية الخاصة بهما، ومن الواضح إذن أنه -في هذا الموقف- كان يتصرف Mausolus على طول جانب القوات الموالية المخلصة في إطار بعثة كانت مهمتها مواصلة واستمرار النظام والحكم الملكي، ويبدو أن النتيجة العاقبة الخاصة بالاعتماد على هذه الفقرة كانت غامضة بالنظر إلى كل من النص نفسه وتفسيره، لقد تخلى وهجر Mausolus حصار Assos و Sestos بناءً على إصرار Agesilaus بعد الحصول على المال من كلا الجانبين، ثم قدم تمويلات إلى الإسبرطيين وأخيراً قام كل من Tachos و Mausolus بتنظيم عودة Agesilaus في موكب عظيم، ودون التطرق إلى هذه النقطة والدخول في تفاصيل، فإننا يمكننا أن نلاحظ بشكل بسيط أن أية علاقة ثلاثية بين Mausolus و Tachos و Agesilaus كانت مُثبتة قد أثارت مشكلات وصعوبات تأريخية لا يمكن حلها أو إيجاد حلول لها بشكل واقعي وعملي.

ودعونا نجمع النقاط التي تعتبر أكثر أو أقل درجة في الاعتماد على صحتها ومصداقيتها لا يمكن اكتشاف أي دليل يمكن التنازع عليه من نزعة انفصالية مفترضة في أعمال Mausolus ومبادراته، وعلى عكس ذلك، فإننا نلاحظ أن العمل الوحيد الذي نرى أنه يشاركه فيه قد تم توجيهه ضد المتمرد Ariobarzenes ، في تعاون قريب مع القوات الملكية، والتي تكاملت معها الفرق العسكرية الكارية الممتازة، وتظهر مسألة أمر Arlissis ، أنه حتى في كاريا نفسها، كان هناك العديد من الأعداء الذين

كانوا مستعدين لنقد Mausolus والوشاية به إلى الملك العظيم، وتوضح بشكل بليغ أن متهمين بارعين وعديم الضمير قد استطاعوا أن يقذفوا ويرشقوا الاتهامات في وجه المرزبانات لدوافع نزاعية، واضطر الملك إلى أن يصدر قراراً قائماً رغم قناعته الداخلية.

من كاريا إلى ليسيا:

يحسب ديودورس Diodorus الليسيين بين الشعوب الساحلية المتمردة أو التي اشتركت في التمرد، وهي حقيقة تستدعي إلى الذاكرة الإعلان الفصائلي الذي قدمه Isocrates في عام 380، في واحد من استطراداته الكثيرة حول نقطة ضعف الإمبراطورية الأخمينية: «قد تستطيع ليسيا أن تخضع أي فارسي لها أبداً»، ومع ذلك، فحقيقة أن ديودورس Diodorus وآيسوقراطس قد اتفقا على ألا يمنحوا أية سلطة لتفسيراتهم العامة، ولكي نكون قادرين على أن نحكم بشكل عادل، فإننا نحتاج إلى أن نرجع إلى عقود عديدة ماضية، وذلك لوضع هذه الفترة القصيرة في الـ Longue duree للتاريخ الليسيني، وفي إطار العلاقات بينهما وبين بلاد الفرس بعد نهاية حكم دارا Darius الثاني.

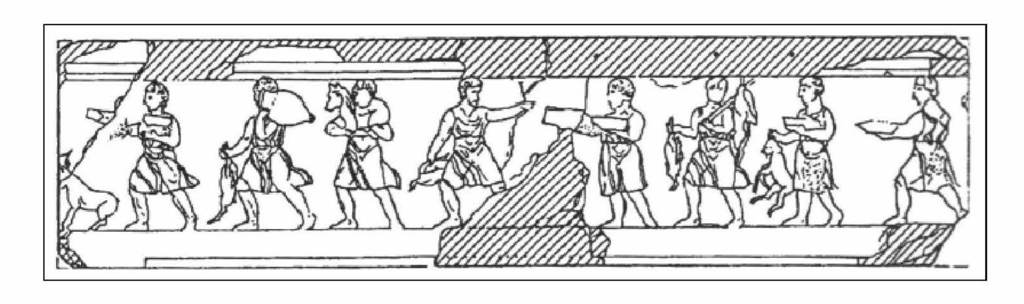
وفي هذا الوقت تم تقسيم ليسيا بين عدد كبير من الأمراء والحكام، ولكن كما هو الحال في فترات سابقة يستطيع الفرد أن يلمح محاولات السيطرة من جانب بعض منهم، وبدايات حكم النائب تسمى البريكليسات والتي تعود إلى عام 380 تقريباً، وقد سعى في توسيع مقاطعته بعد رحيله من قاعدته العسكرية Limyra في ليسيا الشرقية، ولقد كان معروفاً بشكل كافٍ أنه من الجدير بالذكر أن نخصص فقرة له في الكتاب الثاني عشر لتاريخه، والذي منه قد حصلنا على التلخيص التالي: «لقد صنع الليسيون حرباً تحت قيادة ملكهم Pericles ، على Telmessos ، ولم يتوقف عن القتال حتى أطاحوا بسكانها داخل أسوارهم، وأجبروهم على التفاوض، وقد نجح Pericles سريعاً في بناء

إمارة صغيرة منظمة جيداً، كما تم التأكيد عليها بواسطة مدن الموتى المقابر المحفورة في الصخر، وحطام مكن إقامته في ليميارا، والتي هيمنت على البحر بشكل كبير، وأكثر من ذلك، فإن الألقاب الملكية التي تم منحها إليه بواسطة Theopompus تم التأكيد عليها خلال وثيقة يونانية وجدت في الموقع ذاته، وتذكر أن Pericles ، الذي أرسى حكمه على ليسيا، قد رفع راية التغيير في شرف Zeus Hypatos ابن Chronos و Rhea .



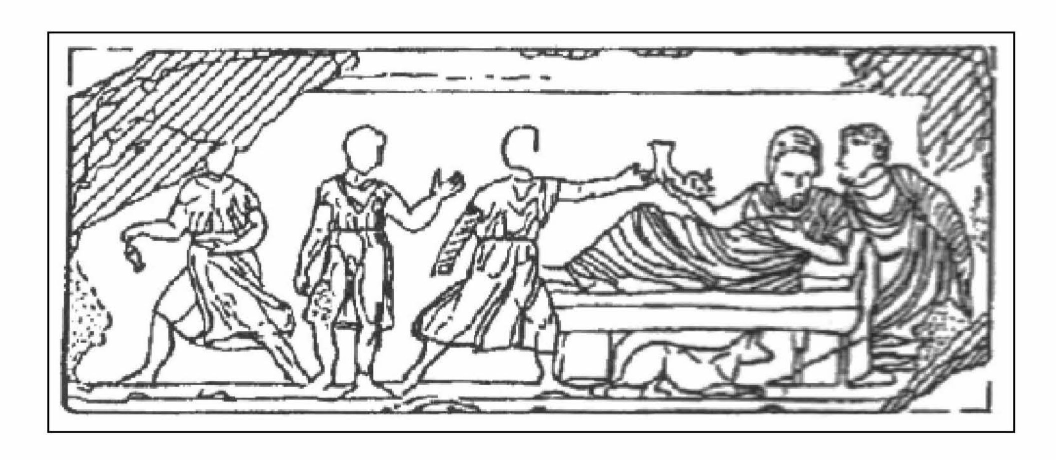
الشكل 53 أ

ومن المحتمل أن برنامج التمدّن والتصريحات المتفاخرة من Pericles لم يكن يقصد بها الاستجابة إلى إنجازات أمراء Xanthus الذين كانوا دائماً يتقلدون مناصب ممتازة في السياسات الليسينية بعد الغزو الفارسي، يعكس الدعم بوثائق Xanthus بشكل خاص كلاً من الاضطرابات الداخلية وازدهار إمارة Xanthus في أعوام 360-400، وترجع الوثيقة التذكارية إلى عام 400، وينسب تأليفها إلى Kheriga ، ورغم أن النص الليسيني لم يتم فك شفرته بشكل كامل، فإن نصوصاً يونانية موازية تقدم ثروة من المعلومات، ويحفل أحد التضمينات التذكارية على شجاعة في القتال ووسائل الاستغلال في الحرب الخاصة لـ Gergis ، و Kheriga ابن Harpagus ، من سلالة Karikas ، فقد غزا العديد من القلاع والحصون، وأعطى أقرباءه نصيباً من حكمه وسيادته الملكية، وتوضح هذه الصياغة الأخيرة والإيماءات العبارات المنشورة لخليفته Arbinas أن حالة عدم الاستقرار كانت هي



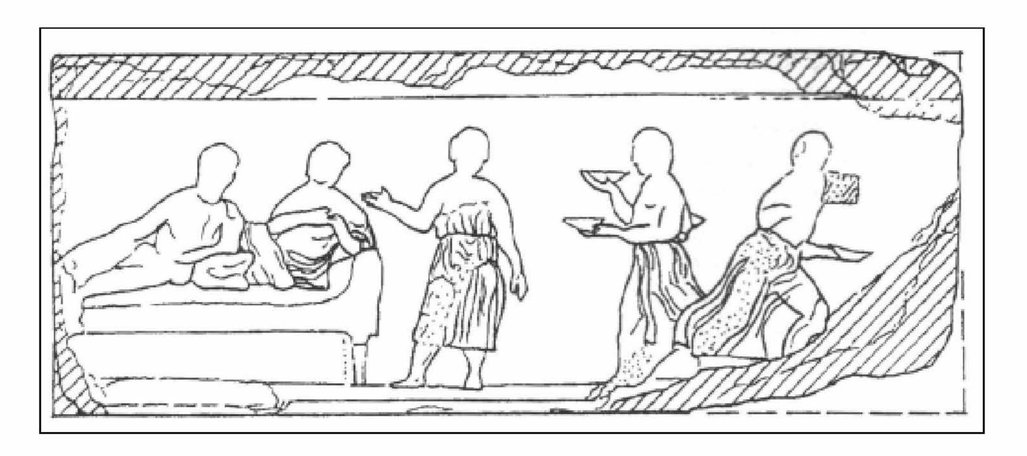
الشكل 53 ب

العرف السائد، مما شجع على ممارسة توزيع السلطة بين عدد من أعضاء الأسرة، ويقول Erbbina/Arbinas -الذي يقدم نفسه بكونه ابناً لـ Kheriga - أنه قد اضطر إلى أن يهاجم Xanthus نفسها في شبابه، بالإضافة إلى Pinara و Telmessus ، وتذكر قطعة أثرية أخرى كيف أنه أقام سلطته ونفوذه في Lycia ناشراً الخوف بين التكتلات الليسية، وفارضاً نفسه كسيد عليهم، وتذكر باقي الوثيقة فضائله أو صفاته العقلية والخلقية والبدنية، وقد كانت Kheriga مسؤولة تقريباً وبشكل لا يدع مجالاً للشك عن إنشاء أثر Nereids بنات إله البحر ، ودون الوصف بأكثر تفصيلاً للتركيب الرمزي التصويري لهذا الإنشاء الملحوظ، فإننا سوف نشدد على وحدتها الموضوعية الواضحة، والتي توضح الأيديولوجية الأميرية للسلالة الحاكمة بشكل جيد، وبينما تظل السمة اليونانية واضحة في التصوير الرمزي -كما هو الحال في الكلام المنقوش على الصرح المبنى الضخم نفسه- فقد يمكننا أن نلاحظ أهمية الموضوعات التي تعتمد على Persepolts بشكل خاص، وعلى فن البلاط الملكي الأخميني بشكل عام، ويشتمل على مشاهد الجمهور، مشاهد الصيد، الولائم، جلب الهدايا، الحرب والحصار، والصور المذكورة أخيراً يبدو أنها تصور بشكل مرئي التأكيدات المكتوبة عن الحاكم أو الأمير، ولكي يعظّم من قوته ونفوذه، فإن أمير Xanthus كان يطلب معونة الآلهة الإغريقية ذكريات الحروب الفارسية تكراراً لعبارة منقوشة في شرف



الشكل 53 ج

النصر في Eurymedon ، والمواكب البهية للمشاهد المعروضة في النحت الفارسي البارز، وكذلك الأختام، ويمكن تأريخ هذا الواقع الأثري تقريباً في عام 380-390 وهي فترة تسبق بدء Pericles في تعزيز وتعضيد قوته وسلطته في Limyra وشروعه في تعميم مجده الخاص، باستخدام الموضوعات والطرق الموازية لتلك التي كانت تستخدم بواسطة Arbinas في Xanthus ، وأكثر من ذلك، فإن الرجلين كادا أن يتصادما يتقاتلان -حسب ما ذكر Theopompus - وكان Pericles قد شن غزواً وهجوماً على Telmessus -المدينة التي قد استولى عليها Arbinas في بداية حكمه- وكلاهما أراد أن يتم تنصيبه ملكاً على الليسيين، وعلى أية حال، فإن التنافس بينهما يمكن مقارنته بالمنافسة القوية التي جعلت الخصمين Straton of Sidon و Nicocles of Paphos كلاً منهما محبطاً ويائساً؛ لكي يتغلب على الآخر في فخامة وشروق وبهجة الحياة رغد العيش في نظامهما الملكي، وعلى عكس ما ذكره Theopompus عن Athenaus XII.531a-e Alien VH V112 ، فإن هذه Tryphe لم تكن بشكل بسيط الرغد والسرور، بل كانت صورة للسلطة التي لم يكن يستطيع هذان الملكان أن يظهراها من خلال عرض رموز القوة والسلطة التي تم



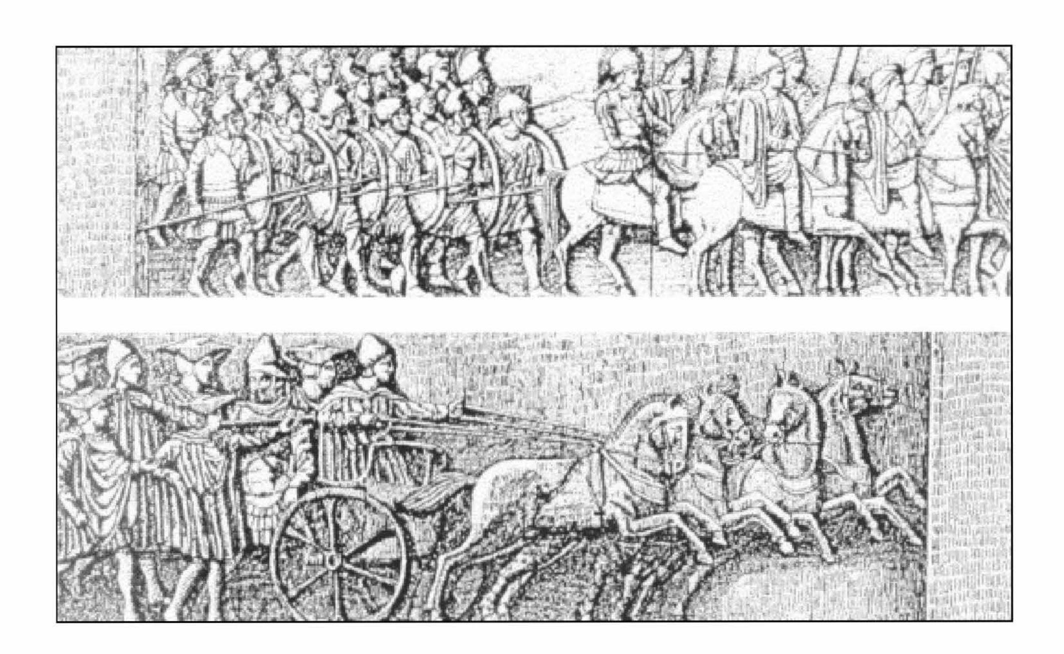
الشكل 53 د

إلهامهما بها بقوة من خلال الأكـواد الأيديولوجيـة، وكـذلك الأكـواد الرمزيـة التصـويرية التي تصوغ البلاط الملكي وقانون ولائحة القصر الملكي للملك العظيم.

إن العديد من الاستعارات العميقة من القصر الملكي الأخميني لا تشـير بـالضرورة إلى أن الأمراء كانوا يعترفـون ويعلنـون خضـوعهم للسـلطة المرزبانيـة، وفي الحقيقـة فإنـه مـن الحـذر أن نبنـي ارتباطـاً سياسـيًّا سـليماً عـلى أسـاس برنـامج رمـزي تصـويري، فـأمراء Xanthus و Limyra كانوا منزعجين من توسيع منصبهم القيادي والسـيادي في Lycia ، وسوف نلاحظ أن أمير أو حاكم Xanthus كان بعيداً عن محاولـة إطـراء وتملـق الفـرس بالإشارة إلى النصر في الـ Eurymedon لمنفعتهم الخاصة ، ومـن الصـحيح أن القصـيدة قـد تمـت كتابتهـا بواسـطة شـخص يونـاني يـدعى Symmachus of Pellena ، ولكـن من المؤكد أنه قد قام بعرض النص على سيده مقدماً، وعلى أية حال، وبشـأن مـا يتعلـق بالعملات، فإن إحـدى المشـكلات كانـت هـي التعـرف عـلى الأشـخاص الـذين يظهـرون في المشـاهد النظاريـة الجمهوريـة ، المرزبـان أم الحـاكم الأمـير ؟ ولحسـن الحـظ فـإن أثـر Xanthus ويسـمى Sarcophagus of Payava يخفـف مـن وقـع الصـعوبة،

وتعتبر الاستعارات الفارسية مهمة وواضحة في مشهد النظارة، أشـخاص كثـيرون يرتـدون الزي اليوناني يظهرون أمام صاحب المقام الرفيع، الذي يرتدي الزي الفـارسي، الامتيـازات الفارسية الفرعيـة Kandys، Alinakes، Tiara، Bears ، اللحيـة وشخصـين آخـرين يقفان خلفه، وعلى القمة كلام ليسيني منقوش يعطي اسم Autophradates -المرزبـان الفارسي- ويصف توصـيل شيء مـا إلى شـخص اسـمه مفقـود، ولكـن لا يمكـن ألا يكـون Payava سواء كان هو أو شخص آخر يظهر أنه قد أسر قـبض عـلى قائـد ليسـيني، ولا يعتبر وجود Autophradates في Xanthus أمراً مثيراً للدهشة على مسـتوى مؤسسـاتي؛ لأن Lycia كان بلداً تابعاً مرزبان سارديس في ذلك الوقت، وهنـاك كـلام منقـوش خـاص بدفن Phellos يأخذ تأريخاً من عبـارة «تحـت القيـاة» مـن Autophradates ، ومـن الجدير بالذكر أن نرى Autophradates ممثلاً على قطعة أثريـة ليسـينية، تشـير إلى أن Payava كان الشخص الذي اعتمد عليه أمير Xanthus في ذلك الوقت ، ونحصـل عـلى انطباع بأن مشهد التابوت الحجري يصور شخص الاحتفـالات حـول وصـول المرزبـان إلى مقاطعته، ولكن ماذا يكون تـاريخ هـذا المشـهد قبـل، أثنـاء، بعـد الثـورات؟ إن دراسـة الناووس التابوت الحجري لا تسمح لنا بتأريخها بشكل أكثر دقة مـن حـوالي عـام 370 إلى حوالي عام 350، هل يقودنا الدليل إلى عمل تمييز بين ليسيا Lycia الغربيـة المواليـة أو التي أعيد غزوها بواسطة الفرس وليسيا الشرقية والوسطى التي قد خضعت لحكـم أمير في ثورة مفتوحة والذي من المرجح أنه كان Pericles ؟

لقد أجاب عدد من النقاد عن هذا السؤال بالإثبات، حتى مع اقتراح أن هناك تعاوناً بين Pericles و Datames ، ولكن السجل المفتقد للتأريخ لا يـرخص أو يسـمح بمثـل هـذا التدخل، ويمكننا أن نلاحظ أولاً النصوص من زمن الإسكندر Alexander ، والتي تقترح أن الفرس قد عسكروا بحملاتهم العسكرية في Lycia في هذا الوقت، وأخذ المسجونين والـذين



الشكل 54

تم ترحيل بعضهم إلى Persepolis ، ثم نلاحظ أن Theopompus يذكر هجوماً على Telmessus بواسطة Pericles والذي يفترض أنه كانت هناك حرب ضد حاكم Xanthus على أن Arbinas قد اعتبر Telmessus من بين تلك المدن الخاضعة لسلطانه وسيادته، وبالإضافة إلى ذلك، تم التأكيد على التوسع الإقليمي لـ Pericles من خلال الكلام المنقوش الذي قد وجد في العديد من المواقع في ليسيا Lycia الشرقية والوسطى.

وتشير عبارة منقوشة من Limyra إلى انتصار Pericles على Artumpara واللذين قد وجدت عملاتهم في مواقع ليسينية متعددة، ولكن لا يمكننا أن نؤكد على علاقته بـ Autophradates ، ويعطينا المقدار الضئيل من الدليل الصلب انطباعاً عن التلميح إلى النزاع والشجار بين الأمراء الليسينيين، دون ربط يمكن الاعتماد عليه بثورة المرزبان، وحتى إذا أمكننا اقتراح أن الثورة قد قدمت بعض المزايا إلى الأمراء، ولا تسمح لنا الشكوك التاريخية بأن نستنتج أن Autophradates قد تدخل بشكل

مباشر، وتتساءل وثيقة تم نشرها مؤخراً عن الدور المنسوب إلى Pericles ، وتوضح أن أسرته وأحفاده -بعد موته- قد استمروا في احتلال منصب ذي مقام رفيع في Limyra ، وهي علامة واضحة على أن سلطانه لم يتم تدميره بعد، ويمحو هذا النص كل النظريات التي تم تأليفها بشأن مصيره المحفوظ من جانب الملك العظيم لأمير متهم بالتمرد والعصيان.

تلخيص المناقشة:

بينما لا يمكننا أن ننسى الشكوك المستمرة التي قد أشير إليها يمكننا أن نذكر بكل تأكيد أن فرضية ديودورس Diodorus لم يتم التأكيد عليها في باقي الدليل، حيث إننا لا نتعامل مع الحريق العام المشترك على الجهة الغربية في عام 361، ولكن مع مجموعة وسلسلة من الثورات المحلية المحدودة على مدار عقد من الزمن، ورغم الدوافع التي تُنسب إلى أورونتس وديتامس، فليس هناك دليل على أن المرزبانات قد قرروا وخططوا لأن يوحدوا قواتهم مع القوات المصرية في محاولة لعزل وتنحية أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني عن العرش، وعلى أية حال، فإذا كانت هناك أية خطط لعمل موحد ومشترك على المدى الطويل، فإنها لم توضع موضع التنفيذ، وإذا تم الاعتراف بأورونتس كونه مدبر الائتلاف، فنحن لا نراه على رأس جيش مشترك يواجه جيش الملك، ومن المدهش أن نلاحظ أن العمليات العسكرية الوحيدة التي تم ذكرها كانت في Aeolis و Troad من ناحية، وفي المناطق الخاضعة لحدود Datames من ناحية أخرى، وفي الجزء الشمالي الغربي من آسيا الصغرى، وقد اختصت حالة عدم الاستقرار بالسياق التاريخي الطويل للصراع والنزاع بين سارديس و Dasiylium ، ونحن نرى القادة الفرس في آسيا الصغرى لا يتعاونون مطلقاً، ما عدا عند الحملة الموالية لـ Autophradates و Mausolus ، وقد انخرط Datames في عمليات عسكرية فردية، بعيداً عن الاتفاق الذي أبرمه مع Ariobarzenes ، ولكن

لا يمكننا أن ندرك ونتمعن في بقائها ومدة حدوثها، وكذلك فاعليتها العملية، إن الجيش الملكي هو تلك القوات العسكرية التي قادها الأمير Ochus إلى النصر على Tachos في الأشهر الأخيرة من حكم والده، ونتيجة حصوله على المعلومات التي وصلت إلى أرتاكسركسيس Artaxerxes من آسيا الصغرى، فقد اعتقد أن قوات المرزبانات المخلصين له كانت كافية لإخماد أي نوع من أنواع عدم الاستقرار أو الهياج.

وتعتبر نهاية ثورة الـ Pissuthnes السابقة -كما أبلغها ستيسياس Ctesias - مهمة، فلقد خدعه قائد المرتزقة الذي حارب في صفه، وهو قائد أثيني، فقد تسلم قيادة مدن وأراضي كبيرة شاسعة كمكافأة على خداعه وخيانته، وفي الحقيقة، فإن هذا المثال ليس فريداً، ويجب أن نؤكد أيضاً عن تكرار موضوع الخيانة في المصادر القديمة، وتعتبر قضية Datames قضية جديرة بالذكر؛ لأنه قد عانى من أشكال خداع متتابعة ومتلاحقة، بواسطة حميه وابنه الأكبر، والعديد من رفقائه، وأخيراً على يد Mithradates الذي تظاهر أنه ينضم إلى حالة التمرد والعصيان وكان الأفضل في خيانته والأكثر دهاءً، ولكن لم تكن قضيته منفردة ومنعزلة عن غيرها من القضايا؛ لأن Ariobarzenes قد خدعه ابنه، وكذلك أورونتس و Rheomithres ، فقد قاموا بتسليم كثير من المتآمرين إلى السلطات الملكية، وظهرت حالة انعدام الثقة هذه في بعض القادة الفرس الآخرين بالتأكيد بالنسبة لكل أبطال الرواية، ومن الخطأ أن نعتبر الموضوع كأنه لا شيء إلا Topos للتسريح، مهما كانت نوايا ومقاصد المؤلفين الكلاسيكيين، والدوافع المنسوبة لكل من أورونتس و Rheomithres واضحة، فالأول رغب في مكافآت عظيمة من الملك وخاصة السلطان القضائي الموسع، وأراد الثاني أن يصنع سلاماً مع الملك، وهذا يعني أن الفرس قد استمروا في تشكيل إطار لأنشطتهم،

وعمل حدود لها داخل التركيب الأيديولوجي لنظام الولاء الملكي تبرهن عليه كثير من النصوص خلال التاريخ الأخميني Achaemenid History .

ومن الضروري أن نذكر أن هذه الملاحظات ليس المقصود منها إنكار وجود الاضطراب وأشكال التمرد والعصيان، ومن هذه النقطة يصبح الموقف مضاعفاً، فالمشكلة تكمن في تفسير أشكال التمرد والعصيان بالنظر إلى السيادة الإقليمية للملك العظيم، من ناحية فنحن نشدد على أن الفرس -رغم عزم الملك واستعداداته العظيمة- أثبتوا أنهم غير قادرين على إعادة الاستيلاء على وادي النيل، إضافة إلى أن الفرعون قد بادر بالهجوم، ومن الصعب فهم هذا العجز رغم أن نظرية التدهور العسكري الفارسي لا يمكن الدفاع عنها أو الاحتفاظ بها، ويمكننا أن نؤكد على عدم كفاءة السيطرة الإقليمية الفارسية، وبالفعل لم يبدُ أن الفرس -في القرن الماضي- كانت لديهم سيطرة عبقرية على الدلتا بأكملها، بالإضافة إلى ذلك، فإن سلطة Hakoris التي كانت قائمة في مصر، وفي شبكة الحلفاء قد أجبرت الجيوش المرزبانية على أن تحارب في واجهات متنوعة في الوقت نفسه، ومن ناحية أخرى يبدو من الصعب أن نؤكد أن الثورات المرزبانية المشهود بصحتها في آسيا الصغري توضح تدهوراً وانحطاطاً لا يمكن إلغاؤه، وتدهوراً عميق الأثر في السلطة التي مارستها السلطة المركزية على الحكام، ولم تكن هذه هي المرة الأولى التي يكون فيها المرزبانات غير قانعين، فقد استخدموا الأسلحة مثلاً في ثورة Megabyzus ، أو الثورات التي قام بها Arsites و Pissuthnes ، ثم بعد ذلك ابنه Amorges ، ولم تشكل أي من هذه الثورات الوقتية أي تهديد كبير بالنسبة لأرتاكسركسيس Artaxerxes الأول أو دارا Darius الثاني رغم المساعدة الخارجية التي كانوا يتلقونها أحياناً الدعم الأثيني من Amorges ، وعلى عكس هذا التفسير يصوّر أورونتس أنه صورة لقورش Cyrus الأصغر، وهو لم يتعرض لأي من أرتاكسركسيس Artaxerxes أو

المملكة الأخمينية، وفي الحقيقة لم يكن هناك أي بديل عن استمرار المملكة الأخمينية، ولا نجد أي متمرد فارسي يعرض القواعد الملكية للخطر بمحاولة إقامة نظام خاص للإمارة، لكنه فقط قيام مملكة مستقلة على عكس الانطباع الذي استخدمه ديودورس Diodorus في المفردات Basileia بما قد ينشأ فريچيا Hellespontine ، ومن الواضح أنه كان يتوقع الوضع الذي ستصبح فيه الفترة الهلينية.

وباختصار، وبالإضافة إلى إمكانية إعادة صياغتها، تقدم أحداث عام 360 الدليل على أعراض العجز الملكي الثورات المرزبانية و الهجوم على Tachos فرعون مصر ، فالمعلومات محدودة ومتناقضة حول السقوط الداخلي للثورات، الصراع على العرش في مصر ، والمقدرة الفطرية للوسط للتغلب على هذه التغيرات من خلال عمليات الهجوم التي كانت عسكرية انتصارات Ochus في سوريا ، أو سياسية الارتداد عن Ochus وكذلك أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني .

8- في قلب السلطة/ داخل القصور الملكية:

كما شددنا مراراً وتكراراً فإن لفت الانتباه إلى الشؤون في الجهة الغربية في الصفحات السابقة ليست من اختيار المؤلف، إذ أنها تنبع من طبيعة الدليل، بالإضافة إلى أن التعامل مع الثورات وأشكال العصيان المسلح وإعادة الهجوم والغزو قد شكل واحداً من الوسائل التي عرضت الكفاءات الوظيفية القابلة للتطوير للهياكل الوظيفية الملكية، وإننا فقط نقوم بتنفيذ وإجراء استبيان مفصل بدرجة متساوية في قلب أو مركز الإمبراطورية.

لقد أُخبرنا عن مشروعات البناء الملكي بشكل أفضل مرة أخرى، إذ نعرف أن أرتاكسركسيس Artaxerxes قد أصدر أمره ببناء معبد Apadana في إكباتانا Ecbatana .

ومن المحتمل أنه كان أيضاً مؤسس القصر الأخميني الجديد في بابـل، ولكـن كـان نشاطه واضحاً في صوصا Susa ، ونحن نعرف أنه قـد أعـاد بنـاء الــ Apadana الخاصـة بدارا Darius الأول، التي قد دمرتها الحرائق والنيران أثناء حكم الملـك أرتاكسركسـيس Artaxerxes الأول، وتثبت أعمال التنقيب والعبارات المنقوشة أنه قد بني قصراً جديداً على ضفاف نهر الـ Shaur ، ولم يمكن نسب المبنى ولا التزيين الخاص بـأي قصر إليـه في بيرسبوليس Perspolis ، ومن ناحية أخرى، فقد كان الأول يبنـي مقبرتـه فـوق السـطح، وقد تبعه في ذلك خيلفته على العرش، وهذه هي المقابر التي كان يشير إليها ديـودورس Diodorus سيكوليس، ولكن -ولسوء الحـظ- فإننـا لا نعـرف كـل الأسـباب التـي أدت وجعلت أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني يهجر الموقع القريب مـن Rustam Naqsi ، ويوضح قرار الملك حقيقة أنه على طول Pasagadae ، قـد حـددت Perspolis وأعلـن عـن تعيينهـا عاصـمة أميريـة للإمبراطوريـة، وعـلى أيـة حـال، يمكننـا أن نلاحـظ أن أرتاكسركسـيس Artaxerxes الثالـث قـد اسـتمر في تنفيـذ عمـل مـن سـبقوه هنـاك، وأضاف طابعاً غربيًّا لقصر دارا Darius ، بخاصة إعادة اسـتخدام آثـار حـاملي الهـدايا من تماثيل وزخارف فنية.

أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني، ميثرا Mithra ، وآناهيتا Anahita : المصـادر والمعلومات:

مثل أسلافه، فقد استشهد واسـتحضر أهـورا-مـازدا Ahura-Mazda عـلى سـبيل المثال لتكرار الصياغات لدارا Darius الأول، ولكن ما يعد جديراً بالذكر حقيقة أنه قـد استحضر الإله العظيم للإمارة مشتركاً مـع آناهيتـا Anahita وميـثرا Mithra في العديـد من العبارات، ولأول مرة، يتم الاستشـهاد بالآلهـة الأخـرى بشـكل مـترادف بواسـطة دارا Darius الأول وخلفائه، لقد تم فحص المغزى التاريخي لهـذه الفكـرة بشـكل مسـتمر،

وبشكل تقليدي فإن أحد مراسيم أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني قد تم الاستشهاد بها والتصديق عليها، ويذكر Berossus أن هذا المرسوم وجوهره قد تم نقله من خلال مؤلف لاحق Clement of Alexandria ، وبعد المناداة بأن الفرس والميديين لم يقدموا الثناء والإجلال لتماثيل من الخشب أو الحجر، يقول Berossus : «بعد مرور كثير من السنوات بدأوا يعبدون التماثيل في شكل بشري آدمي ، وقد أدخل أرتاكسركسيس Artaxerxes ابن دارا Darius ، ابن Ochus هذا الفعل، وقد كان يريد أن يقيم ويشيد صورة لـ Aphrodite Anaitis في بابل، وأن يطلب مثل هذه العبادة من السوسيانيين والأكيتانيين والفرس Persepolis والباكتريين Balkh ومن دمشق وسارديس.

وهذا النص الذي يشتق من مصدر رسمي بالتأكيد دون شك يتعلق بدور يخص الملك العظيم بشكل تقليدي، منظم العبادة الفارسية، وهي تقول: إن بعض المشكلات الخطيرة المتعلقة بالترجمة والتفسير تظل قائمة، ولا تعتبر العبارات المنقوشة الملكية في حد ذاتها غير غامضة، ويمكن للصياغة أن تختلف في العبارة المنقوشة الواحدة عن صياغة تالية لعبارة أخرى منقوشة، ويستمر أهورا-مازدا Ahura-Mazda في دائرة الاهتمام واحتلال المقام الأول، خاصة في العبارة المنقوشة التي تشير إلى بناء قصر جديد في صوصا Susa ، وبفضل أهورا-مازدا Ahura-Mazda ، فإن هذا القصر الذي بنيته لي عسى أن يحميني كل من أهورا-مازدا Ahura-Mazda ، وميثرا Mithras وآناهيتا Anaitis من كل الشرور والمكائد والمصائب، وتقال بشكل مختلف في العبارة المنقوشة التي تصف بناء الـ apadana الخاص بدارا Darius الأول في صوصا Susa ، وبفضل أهورا-مازدا Ahura-Mazda ، وآناهيتا Anaitis ، وميثرا Mithras فإنني قد أعدت بناء هذا القصر.

ومع ذلك لما تقرأ العبارة المنقوشة الوحيدة لخليفته في

بيرسـبوليس Persepolis بشـكل بسـيط «عسى أن يقـوم أهـورا-مـازدا Ahura-Mazda والإلـه ميـثرا Mithras بحمايتـي، والدولـة التـي قمـت ببنائهـا، وكـذلك مـا قـد بنيتـه وشيدته»، لماذا لم تعد تُذكر آناهيتا Anahita أكثر مـن ذلـك؟ ولمـاذا لم يقـل Berossus كلمة واحدة عن ميثرا Mithas ؟ يبدو أن حـذف كلمـة Mithra أمـر أكـثر غرابـة لأنهـا وحيدة بالنسبة للعبادة العامة، Mithra التي ليست لدينا أية معلومات موثّقـة حولهـا، ونعرف من سترابو Strabo -أثناء العصر الأخميني- أن مرزبان أرمينيا قـد اضـطر إلى أن يرسـل 20000 مُهْـراً حصـاناً صـغيراً كـل عـام إلى الملـك العظـيم عنـد حلـول وقـت Mithriaka ، وهي الاحتفالات الرسـمية لتكـريم Mithra ، وتعـرض بعـض الفقـرات في زينوفـون Xenophon أن هـذا العمـل كـان يمـارس عـلى الأقـل في بدايـة حكـم أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني؛ لأن كل قرية في أرمينيا اضطرت سنويًّا إلى أن ترسل المُهر كهـدايا ملكيـة Dasmos ، وأن بعـض هـذه المُهُـر كانـت تخصـص لإلـه الشـمس، ونتعلم أيضاً من هذه الاحتفالات الرسمية المقامة مـن أجـل تكـريم الإلـه Mithra مـن جانب ديوريس، الذي يشدد على الدور المركزي الذي لعبـه الملـك أثناسـيوس الخـامس، ومعظم المراجع الكلاسيكية الخاصة بـ MIthra يرجـع تاريخهـا تقريبـاً إلى حكـم الملـك أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني، ولكن هل من الضروري أن يشير ذلك إلى أنـه كـان هناك ارتباط تاريخي قريب بالتغير في الصياغات الدينيـة الملكيـة التـي ظهـرت في عصر الملك أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني؟ ليس هناك ما يمكن أن يكون أقل تأكيداً مـن ذلك.

وتكمن خلف هذه الأسئلة مشكلة رئيسة فرضها النص المعروف لبلوتارخ Plutarch حول تنصيب أو تولي أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني العرش في Pasargadae في معبـد مخصص للآلهة Anahita ، وتسمى «آلهة الحـرب»، وبشـكل أكـثر دقـة، مـا مـدى حداثـة البدعـة التـي قـدمها أرتاكسركسـيس Artaxerxes الثـاني؟ ومـا المقصـود مـن تمييـز

Berossus بين المدن بابل، صوصا، إكباتانا التي تلقت أمر تشـييد تماثيـل مقابـل مـدن أخرى بيرسبوليس، باكترا، دمشق، سارديس والتي من الواضـح أن العلامـة النقطيـة قـد وضعت بشكل منفرد على العبادة كما لو أن التماثيل توجد بالفعل، أو كـما لـو أن المـرء يستطيع أن يعبد الإله دون وجود تمثال له، ولـو أن هـذه التماثيـل توجـد هنـا وهنـاك، فكيـف يمكننـا حينئـذ أن نقـيّم حداثـة هـذا المرسـوم؟ وإذا لم يـذكر Berossus الآلهـة Mithra ، فهل يرجع ذلك إلى أننا نملك فقط اقتباساً وحيداً جزئيًّا من المرسوم الملكي؟ أو لأن عبادة Mithra لم تكن مهتمة بالتماثيل المقدسة حتى إذا كانت هذه التماثيل تمثـل الحداثة الأكثر جدارة واستحقاقاً للتسجيل والملاحظة بالنسبة لـ Berossus نفسه؟

وهذه الملحوظة بدورها قد أبرزت مشكلة أخرى، حيث لم يتفق نص Berossus تماماً مع ما جاء في نص كتبه هيرودوت Herodotus قائلاً إن: «تشييد التماثيل، المعابد، الهياكل لم يكن عملاً مقبولاً بين الفرس، فقد كانوا يذبحون على قمم الجبال»، ولكن هل تعتبر هـذه العبارات النهائية شرعية؟ ويمكننا أن نفحص توكيد سترابو Strabo على أنه قد تم نقل تماثيل Anahita و Omanus بموكب وآلهة عظيمة أثناء الاحتفـالات في أمـاكن الحـرم الفارسـية في كابادوكيا، ويشير أحد التعليقات إلى فترة لاحقة، وهناك قطعة إنشائية أكثر أهمية قد كتبها Dinon ، كـما استشـهد بهـا Clement of Alexandria ، وقـد كتبـت في القـرن الرابـع، بمعلومات عن تنوع واختلاف ما ذكره هيرودوت Herodotus ، وطبقاً لما ذكـره Dinon ، رغم أن الفرس والميديين كانوا يقدمون الذبائح على المرتفعات، إلا أنهم كانوا يعبدون إلهـين في صورة تماثيل، ويتعبدون لإله النـار وإلـه المـاء، ولا يسـمح لنـا تـاريخ Dinon أن نحـدد أنه يصف تغيراً قد بادر أرتاكسركسيس Artaxerxes الثـاني بالبـدء فيـه، ومـع ذلـك فهـو لا يـذكر Mithra أو Anahita ، إلا لاقـتراح أن إلـه النـار يـدل الأول عـلى وإلـه المـاء يـدل

على التمثال الثاني، والذي تبدو غير محتمل أن الماء والنار إلهين منفردين بشكل واضح، واللذين لهما مكانة وسطى في الممارسة الذبحية الفارسية التقرب - تقديم القرابين والذبائح للآلهة ، والتي تم التأكيد عليها من جانب سترابو Strabo ، ولنعد إلى السؤال الرئيس بشأن البدعة التي أدخلها أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني.

دروافيرنز Droaphernes وتمثال سارديس:

من السهل أن نرى المعوقات في المشكلة، فنحن بشكل تام غير قادرين على أن نجد التأثير أو التوضيح في أي مكان آخر للتغير الذي تم اقتراحه بواسطة العبارات الملكية المنقوشة، والذي اتضح في اقتباس Berossus ، وللتأكيد على هذا التغير، فإننا نحتاج إلى القيام بتأريخ الدليل بشكل أكثر دقة، والذي سيسمح لنا بأن نثبت أن المقدسات القرابية للآلهة Anahita سوف تكتمل مع التماثيل الطقسية، وقد تم تشييدها في المدن التي تمت كتابة قائمة بها على يد Berossus بداية من زمن أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني، ومع ذلك، فليست هذه القضية رغم انتشار المعابد المقدسات للآلهة الفارسية Anaitis ،Anahita في آسيا الصغرى الغربية ويرجع تاريخها بالتأكيد لزمن بعيد من عهد Tacitus ، ولسنا نملك دليلاً مباشراً على وجود معبد Anahita في المدينة نفسها قبل عام 322، ويوجد نص قد نُشر حديثاً من سارديس اعتبر نصاً موازياً، وهي وثيقة يونانية منقوشة يمكن التعرف فيها على ثلاثة أجزاء: إهداء الكتاب، تخصيص، وجزأين آخرين للتحريمات والمحظورات:

5-1 : في التاسعة والثلاثين لحكم الملك أرتاكسركسيس Artaxerxes أهدى Droaphernes ابن Baraces - Hyparkhos of Lydia - تمثالاً إلى زيوس ملك Bradates .

11-5 : أمر خدام معبد زيوس Zeus الذين كان لهم الحق في أن

يدخلوا الموضع المقدس في المعابد القديمة، والذي يتوجه فيه الإله- بألا يشاركوا في الأسرار الغامضة لـ Sabazios من أولئك الذين يحضرون الذبائح الأضاحي لكي يتم تقديمها قرباناً، والأسرار الغامضة لـ Angdistis والتي أيضاً لـ M ؟.

13-11 : قد أصدروا أمراً بالـ Heocore - دوريتس Dorates أن يمتنع عن الاحتفاظ الأسرار الغامضة.

وقد تمت إعادة النقش والحفر أثناء فترة الإمبراطورية الرومانية لعدة أسباب، والتي ظلت غير واضحة، وتفسر هذه الخصوصية الألغاز المتعددة التي بقيت، وبشكل رئيس فإن النص يسجل قراراً تم عمله بواسطة Droaphernes الذي كان غير معروف في مكان آخر سوى أنه يحمل اسماً إيرانيًّا، ولا بد أنه كان شخصاً مهمًّا في الإدارة المرزبانية في ساردیس رغم أن كلمة Hyparkhos لا تسمح لنا بأن نحدد موضعه ومنصبه بالضبط ، وكما تشير الصيغة الخاصة Zeus of Baradates ، فإن القرار يتضمن العبادة العائلية المقارنة بـ «رجال فارنسز Men of Pharnces »، المعروفة في بنتس Pontus من سترابو Strabo -ويعتبر Baradates الجدّ الأكبر لـ Droaphernes ابن Baraces - طبقاً لهذا الافتراض.

ومن الجدير بالذكر أن نلاحظ أن Droaphernes قد أوصى بعمل تمثال، ولكن هل من الضروري رؤية تعبير السياسة العامة التي كان لها هدف مضاعفة تماثيل فرقة دينية عبر الإمبراطورية؟ ولكي يتخيل أن التمثال قد كان حتى تمثالاً لإله، استنتاج لا يمكن السماح به باستخدام الكلمة Andrias تمثال لجسم إنسان بشري، إذ أن هذا ليس أمراً مدعوماً في أي موضع -في المقام الأول- فإن تاريخ العبارة المنقوشة ذا مشكلة صعبة ومعقدة، وبعيداً عن المقارنة المقترحة مع Berossus ، فليست هناك سمة واحدة تسمح للنص بأن يتم تخصيصه لأرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني

[366-365] عـن أرتاكسركسـيس Artaxerxes الأول عـام 427 منـذ النسـخة التـي حصلنا عليها منذ عدة قرون بعد ميثاق Droaphernes ، وبالنسبة لـ Zeus الـذي يـتم تكريمه، فليس هناك شيء يسمح لنا بتفسير يدعو وينادي بظهور أهـورا-مـازدا -Ahura Mazda في النسخة الأصلية، ومن المحتمل جـدًّا أن Zeus يشـير هنـا إلى معبـود أو إلـه محلي، والذي قد يكون بشـكل بسـيط Thelydianzeus قـد تـم الاستشـهاد والتصـديق عليه في سارديس من بداية القرن السادس، ومع توفر كل هـذه العنـاصر، فلـيس هنـاك سبب لتسليم عبارة منقوشة إلى مقارنة قريبة مع القرار الذي ينسـبه Berossus للملـك أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني.

أناهيتا Anahita واستار Istar :

من المثير للتضارب والتنـاقض أنـه لـيس هنـاك نـص واحـد يشـير إلى أي احتفـال رسمي لتكريم Anahita ، وقد تمت إقامة مثل هذا الاحتفال بشكل دقيق في زمن حكم أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني، ولكي نكون أكثر دقة، فإن لدينا دليـل واحـد بـدون مشكلة تفسيرية خاصـة، ويـذكر بلوتـارخ Plutarch أن أرتاكسركسـيس Artaxerxes قد أخذ الإجراء التالي ضـد Aspasia الرفيقـة السـابقة لقـورش Cyrus الأصـغر، «لقـد خصص كاهنته إلى ديانا في إكباتانا، والتي قد أطلقوا عليهـا Anaitis ، والتـي قـد تـقضي باقي أيام حياتها في طهارة وعفة، أولاً: تشير القطعة إلى الحرم المقـدس لـ Anahita of Ecbatana ، المعروفة من نصوص أخرى، والتي كانت توجد بالفعل عـلى الأقـل في عصر أرتاكسركسيس Artaxerxes ، وتعطي انطباعاً أنه قـد تـم تأسيسـها وبناؤهـا في وقـت سابق، ومن الملفت للنظر أن نقارن الدليل الذي يقدمـه بلوتـارخ Plutarch مـع نـص أسبق -أقدم زمناً- من العصر الآشوري Esarhaddon ، ويطلق اسـماً عـلى امـرأة تحمـل لقب المنـذور الملـكي [شـخص مخصـص لخدمـة دينيـة دون الانتظـام في سـلك الرتـب الدينية] في معبد Istar of Arbela .

ولكي نكون متأكدين، فنحن لا نعرف إذا كان لازال يوجد معبد Istar في أربيلا الأخمينية، ولكن أهمية ذكر المدينة قد يجعل الافتراض محتملاً.

ويظهر أن المقارنة تسير يداً بيد مع التمثيلات لـ Anahita بالنسبة لأشياء رمزية تصويرية متعددة أختام - خواتم قد تم تقديمها بالفعل، وتعرض هذه الأشياء التوفيقات بين المعتقدات الدينية المتعارضة بين Anahita وIstar ، الآلهة الميسوبوتامينية Mespotomian ، والتي كانت بلا شك مؤثرة وفعالة لوقت طويل جدًا، هل يجب علينا أن نستنتج أن الآلهة التي تماثيلها وعبادتها والتي يقصد أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني بنشرها في كل أنحاء الإمبراطورية لم تكن إلا Anahita البابلية، ومن الصعب تصديق مثل هذه النظرية، بالطريقة نفسها فإنه من الصعب التصديق بنظرية مرتبطة بالموضوع نفسه تطالب «البابلية للإمارة الأخمينية أثناء القرن الرابع، والتي عادة ما كانت ترتبط بنصف الأصل البابلي لدارا Darius الثاني، وكذلك Parysatis ، ويمكننا أن نلاحظ أيضاً أن Istar ليست الآلهة الوحيدة التي تم تخصيص امرأة لخدمتها، بل على العكس كانت هناك عادة منتشرة في ذلك الحين، ويذكر سترابو Strabo أن ذلك قد تمت ممارسته في معبد Anahita في كبادوكيا، ويذكر ممارسات مشابهة في Zeleia في معبد الحرم المقدس Anaitis الذي قد تم تأسيسه وإنشاؤه على يد الفرس، وقد وجد أيضاً الكثير من العبيد في الخدمة الدينية خدمة المعابد في معابد أخرى مخصصة للآلهة الفارسية، وتصدق عبارة يونانية منقوشة من كبادوكيا على تخصيص وتعيين خدام لمعبد الآلهة العظيمة: Anaitis Barzochara .

ما المغزى من وراء هذه الاتفاقية لشعوب إيران الشرقية إلى آسيا الصغرى الغربية؟ والذين لم يتأثروا بأدنى حد من التوفيق بين المعتقدات الدينية بين Anahita و Istar ، وقد تضمنت عمليات التمثيل والتوفيق الإلهين

Anahita وأرتاميس في ليديا، هـل يمكـن أن يكـون هـذا الأمـر قـد عمـل بدقـة بسـبب شخصـيتها المتقلبـة؟ إن Anahita كانـت آلهـة الاختيـار بالنسـبة للملـك الـذي أراد أن ينشرها بين شعوب عبادة آلهة يمكن لكل شـعب مـنهم أن يتعـرف عليهـا بكونهـا آلهـة خاصة لمدينتهم ولهم شخصيًّا.

العودة إلى Berossus :

بينما لا تبدو الطبيعة السياسية للعهد الملكي أنها تعرض أية مساحة للشك، ظلت المشكلة الأساسية باقيـة، إلى مـن كـان اتفـاق أرتاكسركسـيس Artaxerxes موجهـاً؟ ويبدو من غير المحتمل أن أرتاكسركسـيس Artaxerxes الثـاني قـد هجـر سياسـة مـن سبقوه، وحاول أن يفرض عبادة الآلهـة الإيرانيـة عـلى المنـاطق التـي ذكرهـا Berssus ، وأكثر من ذلك، رغم أن Anahita كان المصدر الرئيس للتوفيق بين العبادات، فقد كانت نية الملك العظيم أن يثير ارتباكاً وحيرة في العبادة الرسمية للآلهة مع آلهة محليـة، بيـنما كانت توجد مثل هذه العمليـات التوفيقيـة بـين العبـادات بالفعـل، إلا أن غـرض الملـك العظيم كان نقل العبادة والصور الخاصة بالآلهة الإيرانية كاملة، وتقدم قائمـة Berssus مفتاحاً يمكننا من أن نتعرف عليه كقائمة للمراكـز الخاضـعة للسـيادة الأخمينيـة، بابـل، صوصا، إكباتانا، بيرسبوليس، باكترا، دمشق، وسارديس، ومـع تـوفر مثـل هـذه الحقـائق، فإن التفسير الأكثر احـتمالاً عـلى الأقـل، والـذي يمكننـا أن نقبلـه هـو أن أرتاكسركسـيس Artaxerxes كـان يخاطـب ويوجـه مرسـومه أو قـراره إلى الفـرس الـذين اسـتقروا في المنـاطق المختلفـة للإمبراطوريـة، ومـن خـلال تعظـيم وتفخـيم الآلهـة التـي تمـنح شرعيـة ملكيـة كـان يسـعى أرتاكسركسـيس Artaxerxes إلى أن يـربط الديسـبورة الفارسية الملكية بشكل أكثر قربـاً لنفسـه، لقـد خـدم إعلانـه في تعضـيد الوظيفـة التـي كان ينسبها زينوفـون Xenophon إلى القصـور المرزبانانيـة، فقـد كـان الحـراس رعـاة للأخـلاق الفارسـية والعـادات والعـرف، وكـذلك موضـع الخلـود الأيـديولوجي للطبقـة

الاجتماعية الأخلاقية الوثنية - العرقية السائدة ، وهذا يعني أن بلاد فارس في آسيا الصغرى خاضعة لملك واحد، وهو تكرار العبارة الملونة الخاصة بالشاعر Bianor مشخصاً ساردیس، ويبقى سؤال آخر: متى ولماذا؟

هل يسمح وجود مرسوم لنا بأن نقترح أن أرتاكسركسيس Artaxerxes كان يستجيب ويرد على كارثة داخلية في الإمبراطورية لنشر هذا المرسوم؟ وما الظروف التاريخية التي تظل خلف المرسوم؟ طبقاً لهذا الافتراض قد يكون المرسوم نتيجة لسباق أيديولوجي مع أخيه قورش Cyrus الأصغر، أو ربما يكون مرتبطاً ومتعلقاً بعدم استقرار المرزبانية، ومع ذلك فإن استدعاء وذكر كسركسيس Xerxes السابق والـ Daira فيجب أن نشير أيضاً إلى أن تفسيراً آخر من الممكن استنتاجه، وكان أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني بعيد النظر بشأن الطبيعة المقدسة للسلطة الملكية، والتي كانت مرتبطة بحماية الآلهة بشكل أبدي، ولا يمكن الفكاك منه، وتنتهي هذه الأطروحة بالتسليم بمعلومات معينة، ويترك التفسير الذي قمنا بتقديمه كثيراً من الأسئلة معلقة دون إجابة عنها، وأننا غير قادرين على تقديم إجابات قائمة على أساس معرفي تاريخي جيد.

المملكة الاستبدادية:

يعتبر نص Berossus شيقاً من ناحية أخرى، وسوف نتأمل فيه باختصار عالم الإدارة، وتضم قائمة المواقع الخاصة به نوعاً من البيان المفضل لمملكة إمبريالية يتم تنظيمها حول أماكن الإقامة التقليدية بيرسيبوليس، صوصا، بابل، إكباتانا وعواصم المناطق الشاسعة مثل Bactra السهل الإيراني ، ودمشق عبر نهر الفرات ، وساردیس آسيا الصغرى وأناطوليا ، إن حذف Memphis يؤكد اختلافاً في دقة المعلومات التي يقدمها Berossus ، رغم أن أهمية دمشق أو ساردیس قد

تكون بالفعل معروفة في مصادر أخرى، فإننا سوف نشدد على أنها أول ذكر واضح لـ Bactra منذ الحملة العسكرية لأرتاكسركسيس Artaxerxes الأول هناك في بداية حكمه، ويؤكد مرجع Berossus ما قد عرفناه بالنسبة للدور المنسوب إلى Dadarsi في عام 522-521 ، وكذلك بالنسبة للموقف الذي يبدو أنه قد ساد في عصر دارا Darius الثالث، وهو المسؤوليات الخاصة بمرزبان باكترا قد امتدت إلى ما وراء أفق الطقس الديني لـ Bactria ، ويمكن أن يرتبط هذا الموقف المذكور بمعلومات أخرى يرجع تاريخها إلى فترات الحكم الخاصة بكل من أرتاكسركسيس Artaxerxes وخليفته، ونسترجع عندما اضطر أرتاكسركسيس Artaxerxes إلى أن يواجه تقدم المسيرة العسكرية أو الهجوم عليه بقيادة قورش Cyrus الأصغر، فإن أرتاكسركسيس Artaxerxes قد قام بتجنيد وحشد الفرق العسكرية في إكباتانا رغم أن هذه الكتائب العسكرية قد وصلت بشكل متأخر جدًّا، وقد تمت قيادة هذه القوات من خلال الأخ غير الشرعي للملك، وهذا يثبت أن السهل الإيراني وآسيا الوسطى قد استمرا في تجهيز وإعداد الجنود عندما تم استصدار أمر بالتعبئة العامة للجنود، وهناك تأكيد آخر على صحة ما نقول من أنه يوجد في تنظيم وترتيب الفرق العسكرية بواسطة دارا Darius الثالث.

وبالطبع فإن هذه النصوص بعيدة تماماً عن الفصاحة والبلاغة، وبالتالي فإن تفسير البعض منها أمر غير مؤكد، ولكنهم يذكروننا وبشكل مناسب بأن الإمبراطورية قد توسعت وامتدت لما بعد آسيا الوسطى، ولم تكن الهند نفسها غائبة من الدليل الذي يرجع إلى حكم أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني، والعمل الذي خصصه ستيسياس Ctasias لهذه المنطقة يمتلئ بالقصص الرائعة التي بالطبع كانت تؤثر على سامعيه، ومع ذلك، فإننا سوف نشدد إذا كنا نعرف أن ملوك الهند وجب عليهم أن يرسلوا هدايا وعطايا للملك العظيم بشكل مباشر أو من خلال

Aelian ، وربما قد يكون ذلك ما قد تم عمله ليحصل دارا Darius الثالث على الأفيال الهندية، ودعونا نضيف أنه في عمل ستيسياس Ctasias المفقود المخصص للطرق الملكية قد اتبع دليلاً إرشاديًّا من إفسس إلى Bactra والهند، وتظل هذه المعلومات غامضة، ويشير ذلك إلى أن العلاقات بين صوصا Susa والساحل الهندي لم تنقطع، وأن الملوك الهنود قد استمروا في إظهار خضوعهم للملك العظيم.

من أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني إلى أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث:

طبقاً لما ذكره بلوتارخ Plutarch ، فإن السنوات الأخيرة لحكم الملك السابق قد تغطت بالمؤامرات والمآزق والأشراك، ويروي بلوتارخ Plutarch أن أرتاكسركسيس Artaxerxes كان له ثلاثة أبناء شرعيين من زواجه من Stateira ، دارا Darius الأكبر - Ariaspes ويسميه جوستين Ariarathes Justin و Ochus الأصغر، وقد أنجبت له محظياته عدداً كبيراً من الأطفال غير الشرعيين حوالي 115 طفلاً كما يذكر جوستين Justin ، من بينهم Arsames ، ولكونه راغباً في أن يقحم آمال ابنه Ochus في وقت مناسب لئلا تبلي الحروب والنزاعات مملكته، وقد أطلق/ أنعم الملك على دارا Darius بلقب أمير التاج أمير العرش ، وسرعان ما حملت الكراهية الشديدة دارا Darius - والتي أشار إليها Tiribozus - على أن يدبر مكيدة ضد أبيه، وقد توقع الأمير أن كثيراً من رجال البلاط الملكي سوف يتبعونه، طبقاً لما ذكره جوستين Justin -خمسين من إخوته غير الشرعيين- ولم يتم الكشف عن المؤامرة خلال المعلومات التي تم تقديمها وعرضها بواسطة الخصيان، فقد قدم دارا Darius للمحاكمة أمام القضاة وحكم عليه بالموت، بالإضافة إلى زوجات وأطفال المتآمرين، وباتباع ذلك، في نص بلوتارخ Plutarch ، يعتبر ذلك تعليلاً للتدابير والمكانة الوضيعة التي قام بها Ochus ، الذي قد

سنده ودعمه نصيرته Atossa ، وقد كانت في مقـام أختـه، وكـذلك زوجـة أبيـه، وخـلال الخدع الحربية، وكذلك الاتهامات التي استطاع Ochus أن يقود أخاه الشرعي Ariapes إلى الجنون، إذ اختار أن يستولي على حياتـه الخاصـة، وقـد قـام بتـدبير قتـل أخيـه غـير الشرعي Arasmes الذي كان مفضلاً لـدى الملـك، هـذه كانـت الظـروف في زمـن حكـم أرتاكسركسيس Artaxerxes ، وعند موته عند عمر متقدم، بعد حكم طويل بـين شـهر نوفمبر عام 359 وأبريل لعام 358 طبقاً لما تذكره أوراق مغراة في بابل.

وراء الرومانتيكية الخيالية شديدة الاهتياج الخاصة برواية بلوتـارخ Plutarch ، فيمكننـا أن نلاحـظ حقـائق عديـدة، أولاً باتبـاع نمـوذج أسـلافه، كـان أرتاكسركسـيس Artaxerxes الثاني حريصاً على أن يسمي أمير التاج أثناء حياته لابنه الأكبر كما حدث.

ثانياً: لم ينتج اختيـار أمـير التـاج عـن مشـاركة السـلطة، وأخـيراً كنتيجـة طبيعيـة للنقطة الثانيـة، إذ كـان وضـع أمـير التـاج نفسـه أمـراً غـير مسـتقر، ولا يلفـظ بلوتـارخ Plutarch كلمة واحدة عن تعيين وريث جديد بعد مـوت كـل مـن دارا Darius ثـم أرياسبس، ويعتبر بلوتـارخ Plutarch نفسـه مقتنعـاً وراضـياً بـأن يلاحـظ ويسـجل أن الملك قد أظهر تفضيلاً لواحد من أبنائه غير الشرعيين أرسامس، وفي الحقيقة يقودنـا كـل شيء إلى أن نصـدق أنـه عنـدما مـات أرتاكسركسـيس Artaxerxes الثـاني فـإن كـل شيء كـان معـداً وجـاهزاً لنقـل الملكيـة والإرث، وإذا افترضـنا أن Ochus قـد نصـب بواسطة والده على رأس الجيش الذي أرسل لمحاربة Taches ، بينما لا يزال والده عـلى قيد الحياة ، وهـذا التخصـيص يزيـل كـل الشـكوك، ودون الاعـتماد عـلى ذلـك، يلاحـظ ويسجل ديودورس Diodorus أنه عنـدما مـات أرتاكسركسـيس Artaxerxes الثـاني، فإن Ochus خلف والده على العرش، وهذا ليس لأجـل القـول بـأن هـذه الخلافـة أمـر يرحـب بـه جميـع النـاس، ويـذكر مؤلـف آخـر موافقتـه وإضـافته أن أرتاكسركسـيس

Artaxerxes الجديد قد دفن Atossa حية، والتي كانت بمثابة أخته وابنته زوجة أبيه ، وقد حبس عمه، وأكثر من 100 ابن وحفيد في فناء البلاط الفارع، وأمر بقتلهم جميعاً بوابل من السهام، وهذا التقديم يناسب تماماً الصورة الخاصة بأرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث في الأدب القديم، ومع ذلك، حتى إذا افترضنا أن التقليد الذي قد نقله Valerius Maximus دقيق في معلوماته، فكل ما يمكن استنتاجه منه أن Ochus قد قام بصنع أعداء في البلاط الملكي قبل خلافته، وأكثر من هذا فإن بلوتارخ Plutarch نفسه يلاحظ أن -كما حدث في وقت الخلافة الخاص بدارا Darius الثاني، من أن البلاط الملكي الملك ومستشاروه وكبار رجاله ، قد كان ممزقاً وواقعاً في الفوضى من خلال رجاله- أنشطة معارضة الأحزاب لتفضيل دارا Darius و Ochus .

9- حروب أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث عام 338-351 :

أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث وأرتابازوس Artabazus ، يظهر أن الملك العظيم الجديد قد وجد نفسه يهاجم بالاضطرابات في آسيا الصغرى بعد ترقيته إلى منصب الملك بوقت قصير، أو أن الاضطرابات قد كانت هناك في صورة مستترة، وفي سياق مناقشة ديودورس Diodorus لحرب من أثينا ضد حلفائها المتمردين بين عام 357 وعام 377 يذكر أن رجل التدابير الحربية الأثيني Chares الذي كان يأمل أن يخفف من وطأة العبء المالي للعمليات العسكرية قد دخل في اتفاق مع مرزبان Hellespontinephrygia ، أرتابازوس الذي كان في ثورة ضد الملك، وبمساعدة Chares استطاع أن يحقق المرزبان النصر على الجيش الملكي، ومواجهة للتهديدات من جانب أرتاكسركسيس Artaxerxes ، حيث توقفت أثينا عن التدخل لتسوية النزاع القائم.

إن سلاسل من هذه الأحداث يمكن أن توجد في مقطوعات قصصية

تقدم تفاصيل إضافية قليلـة، كانـت القـوات الملكيـة يقودهـا Tithraustes الـذي كـان وضـعه غـير واضـح، إذ كـان يشـغل منصـباً في فريجيـا، وقـد فـاق Chares في سـلطانه ونفوذه، وبعـد الرحيـل الأثينـي تلقـى أرتابـازوس Artabazus المسـاعدة والإعانـة مـن Thebans الذي أرسل قوة عسكرية يقودها Pammenes ، وبمساعدته قـد اسـتطاع أن يحقق النصر على «المرزبانات الذين قد أعدموا أو قتلوا بواسطة الملك».

ورغم أن أرتابازوس Artabozus لم يتلقّ مساعدة من المرزبانات الآخرين في آسيا الصغرى وتظل الأسباب وأصول تمرده مصحوبة أو مخفية بشكل كبير في غموض، وطبقـاً لـ Scholia على Demosthenes فقد أصدر الملك أمراً للمرزبانات بأن يشـتت أو يسرح الجيش المكون من المرتزقة، ومع ذلك وبعيداً عن بعـض المشـكلات التـي فرضـتها هـذه المعلومات، وهذا لا يفسر شـيئاً غـير سـلوك أرتابـازوس Artabazus ، وبـدلاً مـن ذلـك، يجب علينا أن نتخيل -كما حدث في الفترة السابقة- أن أرتابازوس Artabazus قد اتهـم بواسطة أحد رفقائه؛ لأسباب تهرب منا جميعها، ولكنهـا أقنعـت الملـك، وتحـت ظـروف غير معروفة، فإن أرتابازوس Artabazus قد اختـار النفـي في بـلاط فيليـب الثـاني ملـك مقدونيا، ومعه أسرته كلها.

الفشل في مصر السقوط : الثورة في فينيقية وقبرص 345-351 :

بينما كان يتم إخـماد هـذه الانفجـارات العامـة مـن الغضـب في آسـيا الصـغرى، فقـد كـان الملـك منشـغلاً ومسـتحوذاً بشـكل أسـاسي عـلى الموقـف في عـبر منطقـة الفرات ومصر، حتى في زمن ارتقائه واعتلائه العرش، فربما قد خمـن أن لـه يـداً حـرة في التعامل مع مصر، ولم يعرف شيئاً عن الآثـار المـدمرة لتمـرد Nectanebo الثـاني أو عـن الصعوبات التي واجهها المتظاهر عندما حان وقت محاولته للتأكيـد عـلى سـلطته التـي كانـت تواجـه نوعـاً مـن التحـدي، ولا نعلـم الكثـير عـن نوايـا ومقاصـد أرتاكسركسـيس

Artaxerxes الثالث، وفي قطعة إنشائية مقالة تثير الشك، والتي قد قصد منها توضيح جبن الملك العظيم، والذي كان متباطئاً من أن يستأنف قيادة العمليات العسكرية بنفسه، ويلاحظ ديودورس Diodorus أن القادة الفرس قد ذاقوا مرارة الهزيمة مرة أخرى عندما حاولوا أن يستعيدوا وضع الموثبة موقع تتخذ منه القوات العسكرية قاعدة لتقدم عسكري هجومي إضافي ، في مصر أثناء الفترة بين 361 إلى عام 351، ولكن ليس لدينا قطعة صغيرة أو شق من الدليل الموثق عن الهجمات على مصر تسبق تلك اللحظة التي استدعى فيها أرتاكسركسيس Artaxerxes بنفسه جيشه، وقد عانى مرارة الهزيمة في عام 351، لكنه انتقم الإهانة بعد سنوات قليلة بعد ذلك التاريخ.

وفي عام 347، يوجه Isocrates تقديراً مفعماً بالمديح للملك فيليب الثاني ملك مقدونيا، وقد وعد الملك بأنه سوف يحقق الانتصار تلو الآخر؛ لأن الإمبراطورية الفارسية كانت تحتضر عند اتباعها طريق الفشل والسقوط الذي قد عانى منه الملك العظيم في مصر عام 351 ، وقد كانت قبرص، وفينيقيا، وسيليسا، وتلك المنطقة التي استخدمها البربر لتجنيد وإعداد أسطولهم في الوقت ذاته تخضع لسلطان الملك أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني، ولكن الآن قد ثارت هذه المناطق عليه أو اشتركت في الحرب والاضطرابات المرافقة، بالإضافة إلى أن أحداً من هذه الشعوب غير ذي نفع بالنسبة للملك، بينما بالنسبة لك، إذا كنت ترغب في أن تشن حرباً عليه، فسوف تكون هذه الشعوب في الخدمة وذات نفع، ولنلاحظ أن Idrieus حاكم كاريا، والذي يعتبر أكثر الحكام الحاليين ثراءً، يجب أن يكون أكثر عداءً بالنسبة لمصالح الملك من هؤلاء الذين يشنون حرباً علنية عليه، ولكن إذا قمت بعبور الأراضي الأصلية للبلاد فسوف تستميل الكثيرين من المرزبانات الآخرين، بالإضافة إلى Idrieus والذي حاول أن يتخلص من سلطة وهيمنة الملك بوعدهم

بالحرية، ونشر وإذاعة هذا الأمر في آسيا كلها، تلك الكلمة التي قد فرقت بين كل من إمبراطورية أثينا والإمبراطورية الليسدمونية عندما زرعت بين الهلينيين.

وفي هذا الحديث نجد أحد الأحاديث الخاصة بالدول التي لم تخضع للملك العظيم، والتي كان معجباً بها الخطيب الأثيني، وبهذه المناسبة فإنه لم يتردد في أن يقدم تناقصاً على ذلك من خلال رفع مدة حكم الملك أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني، والتي قد سخر منها في خطبة ألقيت في عام 380، وخلف هذا التفكير الغاضب يشير Isocrates إلى حقائق لا يمكن إنكارها قد تناولها ديودورس Diodorus في الكتاب رقم XVI .

وطبقاً لديودورس Diodorus فإن الدافع وراء الصراع المصري قد جاء من الصيدونيين، الذين استمالوا وأقنعوا الفينيقيين الآخرين ليعدوا الأسلحة ضد الفرس، وقاموا بعمل معاهدة مع الفرعون Nectanebo قبل الانخراط في مجهود وحرب واسعة، وقد بدأت الحرب رسميًّا عندما قام الصيدونيين بتدمير الجنة الفردوس الفارسية الواقعة بالقرب من مدينتهم، ودمروا المخازن الخاصة بعلف الماشية، والتي تم تخزينها على يد المرزبانات مع بقاء الحرب المصرية في العقل، وقد قاموا بتنفيذ حكم الإعدام في كثير من الفرس القياديين، وفي الوقت نفسه، فإن ثورة مرتبطة بالتمرد السابق على الجزيرة قد اندلع في قبرص مع إعلان الملوك التسعة استقلالهم، وبينما كان أرتاكسركسيس Artaxerxes يحشد جيشاً في بابل، فقد أمر Idreius حاكم كاريا أن يقود جيشاً وأسطولاً إلى قبرص، كما أن Mazaeus -مرزبان سيليسيا- و Belesys مرزبان سوريا، كانا يقودان العمليات العسكرية الأولى ضد فينيقيا، وقد اكتسب Tennes «ملك صيدون» تعزيزات عظيمة من خلال فرض الضرائب على الشعب الصيدوني، ووصول فرقة من المرتزقة قد أرسلها الفرعون وترأس قيادتها Mentor ، وقد أجبر كلاً من Mazaeus و Belesys على الرجوع

والعودة، وقد قاما بجمع قواتهما مع الجيش الملكي الذي وصل من بابلونيا، وطبقاً لما جاء في نصوص ديودورس Diodorus ، فإن الملك العظيم لم يضطر إلى أن يخوض معركة أو يحارب Tennes «ملك صيدون» والذي انضم إلى Mentor قد فضل أن يخدع رفقاءه المواطنين، حيث قام بتسليم مائة من الفينيقيين إلى أرتاكسركسيس Artaxerxes ، ثم فتح أبواب المدينة، وقد حكم عليه بالموت، واختار الصيدونيين أن يقتلوا أنفسهم نساءهم وأطفالهم ، ويشعلوا النيران في منازلهم، مرعوبين من حاشية الملك، وقد استسلم الفينيقيون الآخرون، وبعد ذلك بفترة وجيزة تم الاستيلاء على وأسر المدن القبرصية، وخضوعها، واستسلامها، وقد حاول Pnytagoras ملك سلاميس وحده أن يصمد، لكنه سرعان ما أعلن خضوعه واستسلامه في نهاية الأمر.

ورغم أن رواية ديودورس Diodorus رواية شيقة ومليئة بالتفاصيل، إلا أنها قد فرضت كثيراً من المشكلات، أولاً أن التاريخ غالباً ما يكون مائعاً غير دقيق كما هو الحال في الكتاب رقم XVI ، والدليل التاريخي الخارجي الوحيد يعتبر قطعة من التاريخ البابلويني، والتي يرجع تاريخها إلى السنة الرابعة عشرة للملك أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث، وهذا يشير إلى إرسال المسجونين الصيدونيين إلى القصر الملكي في بابل في أكتوبر من عام 345، ونستنتج من ذلك أنه قد تم الاستيلاء على صيدون قبل بضعة أسابيع، أو ربما في عام 346، وفي الوقت نفسه الاعتراف بأن Isocrates يشير إلى ثورة لا تزال في مهدها في عام 347، وقد استمرت الثورة والانتفاضة لفترة من الزمن؛ لأن كلاً من Mazaeus و Belesys قد صدر أمر لهما بأن يخمدا ويئدا هذه الثورة أولاً، ولكن ليس ممكناً أن نثبت تاريخاً دقيقاً، أو أن نذكر بما لا يدع مجالاً للشك أن الثورة الفينيقية قد اندلعت بعد الهزيمة على يد المصريين في عام 351؛ لأن عبارات ديودورس Diodorus تقودنا إلى تصديقه.

ومن الواضح أن الفرس قد بدأوا في إعداد قوة كبيرة جدًّا، بعد الانكسار الذي قد تعرضوا له على يد المصريين في وادي النيل، حيث إن الملك قد عزم على أن يضع نهاية واحدة لأشكال الانسحاب والانعزال من جانب الفرعون، لقد كان غرض أرتاكسركسيس Artaxerxes الحقيقي من وراء مغادرة بابلونيا هو التقدم نحو مصر، وكانت صيدون إحدى القواعد المهمة للاستعدادات السوقية الفارسية نقل الجنود وإيوائهم وتموينهم ، لقد اجتمعت القوات العسكرية وكذلك الأسطول.

وقصة دارا Darius تشير بوضوح إلى أن الإستعدادات الفارسية كانت استعدادات جيدة وذلك عند اندلاع الثورة، وبشكل موجز، فإنه لم يكن يبدو أن الثورة قد استمرت من 351، وحتى 346 كما كان يذكر أحياناً.

إن استعدادات الجيش كانت -إلى حد ما- توضح بعض أسباب بداية العداء، حيث يشير دارا Darius إلى أن حاكم سيدون كان يعتمد على المقاومة الشعبية الموجودة بالمدينة، بالإضافة إلى اعتماده على المرتزقة اليونانيين، والذين قد تم إرسال بعضهم بواسطة نجتانيبو، وذلك بأمر الناصح، وقد ذكر أيضاً أنه بسبب الثروة غير المتوازنة لسيدون، فإنها كانت في الموقف الذي فيه تقوم بجمع السفن ثلاثية المجاديف والمرتزقة وكل أنواع الأسلحة وكل ما هو جيد، مشيرة إلى أن الحاكم كان قادراً على أن يستفيد من بطء الاستعداد الخاصة بالملك العظيم، وبدون أن ننكر القوة الخاصة بسيدون، فإننا مع ذلك لا بد أن نؤكد على أن قائديها كانوا قادرين على الاستفادة من حقيقة أن الفرس قد اختاروا مدينتهم لكي تكون مكاناً لاستعداداتهم للحملة المصرية، وأنه من الواضح أن السيدونيين كانوا قد استولوا على بعض الإمدادات الإمبراطورية، وبإعطاء هذه الخلفية يكون لزاماً علينا أن نفكر في أن

المائة سفينة ثلاثية المجاديف وخماسية المجاديف قد كونت الفريق المطلوب للاستعداد للحرب في مصر، وقد قام المواطنون بحرق سفنهم بعد خيانة الحاكم، ومن الممكن أن يكون الهدف من هذه الفعلة هو إضعاف البحرية الملكية بصورة أكبر، ومنع بعضهم من الانطلاق، وبمعنى آخر -وكما يقول أريستاجوراس في 499 انظر: ص135 - إن قادة سيدون قد قاموا بحرمان الفرس من الوسائل التي كانت تساعدهم في الهجوم الذي كان يقوم بإعداده الملك للهجوم على مصر.

ونحن لا نملك إلا معلومات ضئيلة فيما يتعلق بأصول وأسباب الثورة بقدر ما نعلم القليل عن تاريخ سيدون وفينيقيا في الفصول السابقة، فنحن نعرف فقط القليل عن مشاركة البحرية السيدونية في حرب كانون، والسلوك المريب لأستراتون أثناء هجوم تاخوس منذ عشر سنوات، وقد ركز دارا Darius على البغض والكره الذي أظهره قادة الفرس الذين كانوا يعيشون في المدينة، وذكر أن الأوامر والطلبات المتكبرة والمتغطرسة قد قامت بخلق جو قوي من السخط فيما يتعلق بضرائب الحرب الإمبراطورية، والتي كانت تستنفد بشدة الأرباح التي كانت تجنيها المدينة جراء أنشطتها التجارية، ولم تكن هذه هي المرة الأولى التي أجبرت فيها سيدون على الإسهام في ذلك، فلقد عانوا من الناحية المالية منذ حملة قمبيز Campysis المصرية الأولى في 525، هل المدى الضخم للاستعدادات والتي ركز عليها دارا Darius كافية لتوضيح قرار قادة سيدون بحرق أبراجهم عندما قاموا بتدمير الروضة الملكية وإعدام موظفين من الفرس ذوي مكانة عالية؟ لا بد أنهم قد علموا أن الحرب التي كانت سيشنها الملك العظيم ضدهم ستكون حرباً بلا رحمة، هذا وهناك مجموعة من الأسئلة الأخرى التي تبقى بلا إجابة في الحقيقة، فإنه من الصعب توضيح سبب اختيار الحاكم خيانة المدينة عندما تلقى أخباراً بوصول جيش أرتاكسركسيس Aeraxerxes ، وطبقاً

لديودورس Diodorus 43.1 ، فإنه وبمجرد أن تم إخباره بحجم قوات الجيش الملكي، فإن ملك سيدون «اعتقد بأن المتمردين سوف يكونوا غير قادرين على المواجهة»، ونحن لا نسطيع أن نوضح هذا التغيير المفاجئ للاتجاه بواسطة التسليم بأن الحاكم -بصورة مسبقة- لم يكن على وعي باستعدادات الملك، ومن الواضح أن هذه الفرضية غير مدعمة، هل كان اتجاهه يكشف عن وجود نزاع داخلي في المدينة؟ وعلاوة على ذلك، فإننا لا نرى أبداً مدناً فينيقية أخرى قد اشتركت في التمرد، بالرغم من أن دارا Darius -وبدون إيضاح لهذا القول- يبدو أنه يقترح أن السيدونيين كانوا متحدين مع أردوس وتاير 5,41-1,41 ، وفي الحقيقة فإن سيدون هي الوحيدة التي كان يبدو عليها أنها تعارض الفُرس، فقد كانت الوحيدة فقط من ضمن ثلاث مدن التي لا بد أن تعاقب بشدة، وبشكل موجز فإنه من الصعب توضيح تهور القادة السيدونيين، وربما أن الأمل في مساندة نيكتانيوا لا بد أن تؤخذ في الاعتبار، هل وعدهم بالتدخل بصورة مباشرة؟

لم يكونوا -بصورة عامة- شديدي البخل بمثل هذه الوعود، فالسيدونيون لا بد أنهم أيضاً قد قاموا باستعادة هجوم تافوس الحديث -وبالنسبة لدارا Darius على أية حال- فإنه من المؤكد أن المثال المصري والذي أجبر الفينيقيين -وفيما بعد القبارصة- على التمرد 5,41-5,42 .

وأخيراً، فإنه وبشكل مماثل، أثناء الفترة التي كان يقوم فيها الملك العظيم بإعداد جيشه في بابليون، فإن القوات الفارسية في فينيقيا لم تكن كثيرة، وهذا من الممكن أن يوضح كيف أن القوات السيدونية والمرتزقة الذين يعملون معهم قد نجحوا في مقاومة الهجوم المعاكس الذي كان يقوده مازيوس وبيليسيس.

من سيدون إلى أورشليم وجيريكو:

إنه لمن المثير جدًّا اكتشاف ما إذا كان السيدونيون والقبارصة وثوراتهم قد امتدت إلى الدول المجاورة، وهي نظرية من الممكن أن تساعد في توضيح مظهر السيدونيين المتفائل، وعلى كل حال، فإنه لا بد أن يتم إدراك أننا لدينا دليلاً متناقضاً وضئيلاً عن هذه النقطة، وهناك مجموعة متعددة من المؤلفين القدامى والذين أشاروا إلى ترحيل اليهود إلى هيترانيا منفذين الأوامر الصادرة من الملك العظيم، وهناك مؤلف آخر يدعي سورينوس تحدث عن تدمير جيريكو في عهد أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث أثناء عودته من مصر ، ولكن بصرف النظر عن حقيقة أن هذه النصوص قد يكون مشكوكاً فيها، أو تكون متناقضة على المستوى الزمني ، فإنه لا يوجد دليل خارجي للتأكيد على وجود ثورة، والتي كانت سوف تثير يهودا وسماريا.

إعادة غزو مصر:

كجزء من استراتيجية الملك العظيم، والتي تدعو بشكل مطلق إلى أهمية مسألة فينيقيا وقبرص، ومع هذا فإنه قد ظل قلقاً بشأن المشكلة المصرية، وقد قام ببدء مجموعة متعددة من الاستعدادات للتعامل معها قبل سنوات السادس عشر 6,40 ومصاحباً لأسطول الحرب الصغير وطرق المواصلات، فإن الملك العظيم استطاع أن يبدأ رحلته إلى مصر في نهاية عام 343، وبعد عدة أشهر استطاع أن يدخل ممفيس، وعندئذٍ هرب نيكتانيبو إلى صعيد مصر، ثم بعد ذلك إلى النوبة، ومن وجهة نظر التاريخ الأخميني، فإن أحد الأسئلة المهمة هو: لماذا نجح أرتاكسركسيس Artaxerxes فيما قد فاته من ملاحظة العديد من الجيوش الأخمينية منذ بداية القرن الرابع؟ وفي إجابة هذا السؤال نقول إنه لا يتوافر لدينا أي شيء للاعتماد عليه في هذا إلا التقرير المفصل

المعطى من قبل دارسيكولوس الذي من الممكن وبسهولة أن تتم مقارنته ببعض النقـاط مع بعض حساباته من بعض الحملات التي قادها فرنابيزوس وبرونيكاس ضد بطلميوس Ptolmey الثامن عشر، 33-36 وحتـى حملـة أنتيجونـوس ضـد بطلميـوس Ptolmey 306 العشرون، 73-76 ، وإنها لفكرة جيـدة أيضـاً أن نـذكر -وذلـك قبـل العـودة إليهـا الفصل 3/18 - أن عبور دارا Darius قد تـم إفسـاده بواسـطة الأهميـة الكبـيرة التـي يعيرها دارا Darius للمرتزقة اليونانيين خلال هذه الحملة.

وقد ذكر دارا Darius أن الجيش الأخميني قد عانى من المعوقات نفسها التي قـد ركز عليها بالفعل في وصف الحملات السـابقة، وحتـى قبـل الوصـول إلى وادي النيـل فـإن جنود العدو قد قاموا بالتغلب على بعض العقبات، أولاً: كان علـيهم أن يخوضـوا المنطقـة المرعبة بدون مياه والتي امتدت إلى جنوب غزة ونحن نعرف أن قمبيز Campysis كـان لديه مصدر لخـدمات ملـك العـرب عنـدما عـبر هـذه المنطقـة هـيرودوت Herodotus الكتاب الثالث 9-5 فقـط مـثلما فعـل إيسـارهادون في عهـده أنيـت 292 وأنتيجونـوس 306، ديودورس 20-3,73 ونحن لا نعرف ماذا حدث في عام 343، وتأتي بعد ذلـك منطقـة الرمال المتحركة التي تـدعى بـاراشرا ديـودورس، 3,73، 20,7-4.30.1 ويوليبـوس 1,80 ، والتي فيها فقد أرتاكسركسـيس Artaxerxes الثالـث مجموعـة مـن الجنـد 16046.5 على حد قول ديودورس بأنـه لم تكـن لـدى الفـرس أيـة فكـرة عـن طبوغرافيـا المنطقـة وصف أو رسم دقيق لأماكن وسماتها السطحية ، ويذكر في موضع آخر أنه عنـدما دخـل Tennes حاكم صيدون في مفاوضـات مـع أرتاكسركسـيس Artaxerxes الثالـث، فقـد كان بكل تأكيد هو القائد الذي قاد الجيش الملكي، ومرة أخـرى نجـد أنفسـنا مندهشـين من أن الفرس لم يسعوا أو يطلبوا مرشدين محليين، وفي هذه الحالة يصبح لـدينا انطبـاع بأن ديـودورس Diodorus كـان يعيـد اسـتخدام دافـع قـد تـم توضـيحه مسـبقاً مـن

خلال الدور الذي أسنده هيرودوت Herodotus إلى Phanes ، زعـيم المرتزقـة الـذين رافقوا قمبيز Cambysys في عام 525 .

والميــزة الوحيــدة التــي يمنحهــا ديــودورس Diodorus لأرتاكسركســيس Artaxerxes تعتبر التفـوق العـددي السـاحق لجيشـه، فلقـد كـان Nectanebo يضـم حوالي 000,20 عشرين ألفاً من المرتزقة، وعشرين ألفـاً مـن الليبيـين، وسـتين ألفـاً مـن الجنود المصريين يواجهون جيشاً ملكيًّا ذا عدد كبير لا يمكن حصره، كما أشير إلى الأعـداد التقليديـة التـي استشـهد بهـا 000,30 مـن جنـود المشـاة، 000,30 مـن الفرسـان، 300 سفينة ثلاثية المجاديف، 500 مركب آخر للنقل .

وقد ذكرت كل الروايات الأكثر شيوعاً -على الأقل في نظـره- فرقـة عسـكرية، وقـد تمت مساعدتها بواسطة القادة المصريين، وتمكنت من عبـور النهـر، وإقامـة رأس الـجسر تحصينات تصون طرق الجسر الأقرب إلى العدو ، وهـذا مـا كـان يخشـاه Nectanebo ، وقد أسرع إلى ممفيس لكي يعد دفاعاته .

وقد أثار هذا التقهقر عـدم الموثوقيـة في المعسـكر المصري، وقـاد بعـض المرتزقـة اليونانيين إلى أن يتفاوضوا حول بنود الاستسلام، وقد نتج ذلـك عـن سـقوط Pelusium التي أصبحت تابعة بالاستيلاء على Bubastis ومدن أخرى محصنة، ومـن ثـم فـالطريق إلى نهر النيل ووادي النيل كان مفتوحاً، وقد استطاع الأسـطول الملـكي أن يبحـر في النهـر حتى ممفيس .

ويشدد ديودورس Diodorus على أن الجيش الملكي قد بدأ تحركه متأخراً في موعد متأخر جدًّا ؛ بسبب طول فترة الاستعدادات، والتي سمحت لحاكم مصر بأن يسـتمر في بنـاء وتشييد الدفاعات والحصون لحماية دولته، وخلف هذه التعبيرات المستخدمة بشـكل يزيـد عـن الحاجـة إلى اسـتخدامه، تظـل حقيقـة أن الهجـوم ضـد مصر لم يحـدث حتـى فصـل

الشتاء لعام 342-343، وتوضيح ذلك، أولاً: بعد غزو صيدون، فمن المحتمل أن الملك قـد انتظر استسلام المدن القبرصية. ثانياً: لا شك في أن استعدادات أكثر قـد اكتملـت في مـع بعض الارتباك الناتج عن سـبب الثـورة الصـيدونية وتحطـم السـفن، ويـذكر ديـودورس Diodorus أيضـاً قبـل الرحيـل مـن بـابليون أو عنـدما وصـل إلى فينيقيـا أن أرتاكسركسيس Artaxerxes قد أرسل رسلاً إلى اليونان لتجنيد المرتزقة، وقـد تـدهورت كل من أثينا وإسبرطة بشكل ليس به أي تحدٍ أو مواجهة، ولكن أرسل كل مـن Thebes و Argos فرقاً عسكرية تمثل بلادها في عمل عسكري مشـترك، وقـد كانـت هـذه الفـترة عندما كانت تنضم الفرق العسكرية من دول أخـرى خاضـعة للسـلطان الملـكي في آسـيا الصغرى إلى الجيش الملكي، وبعد سقوط صيدون رحب الملك العظـيم بالقائـد Mentor والـ 4000 أربعة آلاف جندي التابعين له .

وقـد شـجعت هـذه التـأخيرات Nectanebo أن يسـتخدم التـدابير العسـكرية التقليدية، ومثل كل الفراعنة فقد لجأ إلى الاستفادة من الطبوغرافيا السمات السـطحية مثل الهضاب والوديان والبحيرات والأنهار والجسور ، ولـكي يجعـل النهـر وسـيلة عبـور، وكـذلك لمنـع تشـييد أمـاكن لرسـو سـفن الأعـداء عـلى شـواطئ الـدلتا، فقـد تـم وضـع تحصينات على مداخل نهر النيل خاصة فرع Pelusian الذي كان يشمل ويضم العديـد من الشواطئ، وكذلك تم جمع كمية كبيرة من القوارب المناسبة لصراع النهر عـلى طـول نهر النيل، وقد نقلت هذه القوارب أيضاً الفروق العسـكرية مـن نقطـة إلى أخـرى لمنـع الفرق العسكرية للعدو من الرسو على شواطئ النيل، وتـم أيضـاً تحصـين ضـفاف النهـر بالطريقة نفسها لمنع العبور والمرور، ويبدو الأمر كما لو أن الملك العظيم قد اختار فصلاً سـنويًّا مفضـلاً -كـما فعـل Antigonus - والـذي يعـد ذلـك في عـام 306، عنـدما تـرك فلسطين في انتفاضة الثورة الخاصـة بــ Pleiades في بدايـة شـهر نـوفمبر، وهـو الوقـت

الذي لن يتعرض فيه الجيش لمخاطر من نهر النيل وفيضانه، ولكن لم يكن هذا الاختيار الموفق في حد ذاته علامة على النجاح، إذ لازال Antigonus يواجه الفشل، وقد اقترح التقهقر والرجوع «لاستعداد أكثر تدريباً واتقاناً، وفي وقت يكون فيه نهر النيل أقل انخفاضاً في منسوب المياه»، وقد أوضح فشل فارنابيزوس Pharnabyzus أيضاً أن المقاومة المستمرة من جانب الدفاعات والتحصينات المصرية تستطيع أن تجبر المعتدي على أن يتخلى عن اعتدائه وهجومه أو يرجئه لوقت طويل، وقد نتج عن ذلك سقوط وفشل الهجوم، فهل يعكس تصوير ديودورس Diodorus غير المستحسن لـ Nectanebo مشاعر المصريين بدرجة أكبر أو أقل؟ من المستحيل الإجابة عن مثل هذه الأسئلة، حيث إن أرتاكسركسيس Artaxerxes قد استخدم بعض القادة المصريين، وهذا لا يخبرنا بأي شيء محدد عن موقفهم نحو الفرعون حتى إن Nicostratus قد أخذ كل الرهائن كجزء من استراتيجيته، ويمكننا أن نلاحظ بشكل بسيط مع ديودورس Diodorus أن انسحاب Nectanebo إلى ممفيس قد أضعف معنويات جنوده، وأخيراً فقد Nectanebo الأمل سريعاً، وأيضاً فقد فضل التخلي عن الدفاع عن ممفيس عن استسلامه للموت، مفضلاً بذلك أن يهرب إلى بلاد النوبة Nubia اعتقاداً منه أن كثيراً من المدن كانت مستعدة لأن تخونه وتغرر به، ويمكننا أن نتساءل إذا لم يكن الضعف الداخلي للسلطة الفرعونية موضوع المراسيم العسكرية خلال القرن الرابع واحداً من الأسباب المهمة للفشل في الاستيلاء على مصر، ولكنه قد يعتبر ذلك بشكل بسيط تخميناً، ولا يسمح لنا الدليل الموجود بأن نصل إلى استنتاج مؤكد حول هذه النقطة، ويذكر ديودورس Diodorus أن Nectanebo لم يكن راغباً في تحمل المخاطر المطلوبة لمواصلة السيطرة، ويبدو أن هذا الموقف مضاد للأفكار أو الآراء التي ينسبها ديودورس Diodorus إلى أرتاكسركسيس Artaxerxes ، الذي

عزم على أن يقود الجيش بنفسه لـكي يخـوض المعركـة شخصـيًّا؛ للحفـاظ عـلى مملكتـه ومنصب الملك، وحتى إذا كان تقديم ديودورس Diodorus والمفـردات العدائيـة تعـبر عن الدعايـة الملكيـة، فهنـاك شـك قليـل في أن أرتاكسركسـيس Artaxerxes قـد صـنع هدفه الشخصي بألا يعيد إرساء النظـام والاسـتقرار في فينيقيـا فقـط، ولكـن أيضـاً لغـزو والهجوم على مصر، لقد وصل إلى السلطة في ظروف مضطربة غير مستقرة، والآن تحـتم عليه أن يثبت شـجاعته وبراعتـه العسـكرية، والتـي سـتقدم التبريـر لبقائـه في السـلطة ومنصب الملك، وتوضح فقرة إنشائية في Theopompus الأهمية المرتبطة بالمسـير نحـو مصر، فقد كانت مناسبة مهمة عندما استدعى الملك العظيم ممثلي ومنـدوبي الشـعوب الخاضعة له، عندما كـان يمـر بـبلاد هـذه الشـعوب، وقـد جـاءوا إليـه مقـدمين الهـدايا والتذكارات الملكية، وهذا يعني أن ديـودورس Diodorus كـان قـادراً عـلى أن يكتـب بشكل صحيح أنه عندما عاد من مصر محملاً بالغنائم، فقد حصـل الملـك العظـيم عـلى شهرة عظيمة بسبب انتصاراته التي حققها، لقـد عـزز الملـك العظـيم سـلطته ومكانتـه الرفيعة بين أفراد عائلته وشعوبه، وفي هذه المناسبة تم نقش ختم ملكي يعظم الانتصـار الشخصي للملك على المصريين .

أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث في مصر:

وهكـذا عـادت مصر إلى الإمبراطوريـة الأخمينيـة بعـد سـتين عامـاً تقريبـاً مـن انفصـال Amyrtaeus ، وقـد تـم إعـادة تشـكيل إدارة فارسـية تحـت إشراف وتوجيـه Pharandates ، ومع ذلك فلا يمكننا أن نؤكد بأن Pharandates كـان سـليل المرزبـان بالاسم نفسه من عصر دارا Darius الأول، وبشكل تقليدي فقد كـان أرتاكسركسـيس Artaxerxes الثالـث يحظـى بشـهرة مروعـة في كـل مـن التقاليـد المصريـة والمصـادر التقليدية الكلاسيكية، وبذلك فهو يشبه قمبيز Cambyses ، والذي عادة ما يتم مقارنته به في النصوص القديمة، ويوجد أصل هـذه الشـهرة السـلبية في ضـوء الأفعـال التـي قـام

بها، وتم إبلاغها بواسطة ديودورس Diodorus كالآتي: بعـد هـدم أسـوار المـدن الأكـثر أهمية بواسطة سلب ونهب المواضع المقدسـة قـد جمـع كميـة كبـيرة جـدًّا مـن الفضـة والذهب، وقد أزال السجلات المنقوشة في المعابد القديمة، والتي -حسـب المصـادر التـي يـذكرها Bagoas - ترجـع إلى الكهنـة المصريـين حـول دفـع كميـات كبـيرة مـن الأمـوال والعطايا كنوع من الفدية.

وقد اتهـم أرتاكسرکسـيس Artaxerxes قمبيـز Cambyses أيضـاً، بقتـل الثـور المقدس Apis -طبقاً لما يذكره Aelion - فإنه قد اغتـال Bagoas الملـك أرتاكسرکسـيس Artaxerxes لـكي يعاقـب الملـك عـلى أفعالـه المشـينة، وتظهـر العمـلات أن المعتـدي الجديد قد حمل لقب الفرعون .

منتور Mentor في آسيا الصغرى:

عنـدما رجـع أرتاكسرکسـيس Artaxerxes ، أرسـل Mentor المعلـم الناصـح الخاص إلى آسيا الصغرى، وبعد أن توسط أو لعـب Mentor دور الوسـاطة مـع الملـك، سأله أن يسمح لـ Artabazus وعائلته بالعودة، فقد كان هدفه الرئيس السير الهجومي ضد هيرمياس Hermias ، «المستبد وطاغية Atarnaeus » والـذي قـد ثـار عـلى الملـك، وقد كان سيداً وقائداً لكثير من الحصون والقلاع والمدن «وبدون الاسـتغراق في تفاصـيل يكتب ديودورس Diodorus أن Mentor قد أحضر قادة آخرين قد قطعـوا علاقـاتهم مع الفرس بعـد عـودتهم إلى أحاسيسـهم ومشـاعرهم، بواسـطة التـدبير الحـربي، حيـث خضعوا جميعاً لحكمه وسلطانه».

وتشير هذه العبارة بشكل واضح إلى الاضطرابات المحلية والتـي لم تحـظَ بأهميـة كبيرة، وقد حقق Mentor المهمة التقليدية والمتعلقة بمواصلة النظـام والاسـتقرار في وجـه الحكام المحليين الذين تم التعرف عليهم وتنصيبهم في مواقعهم الرفيعة بواسـطة السـلطة الأخمينية، ولكن أيضاً قد اضطر إلى أن يقدم الولاء الراسخ في كـل مناسـبة، ورغـم أن نـص ديودورس Diodorus لا يسمح لنا بأن نصل إلى نتيجة أكيـدة، ولكـن تبـدو الحقيقـة في

أنه بعـد استسـلام وخضـوع Hermias ، أن أنشـطة Mentor قـد تركـزت عـلى محـيط السـيادة القديمـة للطاغيـة في Aeolis والـ Troad والمنـاطق المحكومـة تقليـديًّا مـن Dascylium .

أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث وفيليب الثاني:

يرجـع تـاريخ العلاقـات الدبلوماسـية والعسـكرية الأوليـة بـين أرتاكسركسـيس Artaxerxes الثالث وفيليب الثاني إلى السنوات التي تلت غـزو مصر، ولكـن هـل كـان يملك البلاط الملكي رجال الملك وكبار مستشاريه سياسة مقدونية، وإذا كان الأمر كذلك، ففي أي تاريخ حدث ذلك؟ ومتى تم تحقيق الاتساق والانسجام؟

ولنشدد من البداية عـلى أن الإجابـة عـن هـذا السـؤال تحظـى بمخـاطرة لكونهـا انعكاساً وتأملاً فقط -كما يحدث ذلك في مرآة مشـوهة- عـن صـورة جـاءت مـن تـاريخ نبوي أو تاريخ يتعلـق بالآخرويـات البعـث، والحسـاب، والدينونـة الأبديـة ، أي تـاريخ يفترض أن غزو الإسكندر Alexander كان ضرورة وأمراً حتميًّا.

في الوقت نفسه دعونا نشدد على أننا لسنا نملك أي دليل مبـاشر يسـمح لنـا بـأن نعيد الصياغة بالتفصيل لصورة تقدم فيليب في اليونان و Thrace كـما رأتهـا السـلطات الأخمينية، فأول إشارة للعلاقات المباشرة بين الإمبراطورية الفارسـية والمملكـة المقدونيـة هي نفى Artabazus وعائلته إلى فيليب الثاني، وليس هناك سبب لكي نستنتج من ذلك أن فيليب الثاني أرادا أن يظهر الحقد والعـداء نحـو أرتاكسركسـيس Artaxerxes في هـذا الوقت، خاصة أن أرتاكسركسيس Artaxerxes قد جاء حـديثاً إلى السـلطة تحـت ظـروف غير مستقرة بدرجة كبـيرة جـدًّا، وقبـول فيليـب لنفـى فـارسي لا يشـير بـالضرورة إلى قطـع العلاقات أو شن الحرب على الملك العظيم، ومن النادر أن يجد لاجئ فارسي من Dascylium مـلاذاً ومـأوى في أي مكـان سـوى في أوروبـا، ويمكننـا أن نـذكر اسـمين لشخصـين فارسـيين

مختلفين قد طلبا اللجوء والملاذ إلى أثينا أثناء القرن الخامس لكي يهربوا من العقوبة الملكية.

إن اختيار Artabazus لمقدونيا كمكان للاستقرار كان مناسباً -إلى حد ما- لمنطقة تقع على حدود إمارته، ورغم الهزائم في عام 479 فقد كانت العلاقات بين Dascylium و Thrace ومقدونيا ماسيدون بلا شك غير متقطعة، وإضافة إلى ذلك، فإن الشخص الفارسي النبيل يستطيع أن يجد شكلاً وطريقاً للحياة والمعيشة بين طبقة الأرستقراطيين في Macedon مما قد اعتاد عليه، ونحن الآن على دراية -على الأقل- شخص فارسي آخر يدعى Amminapes الذي وجد ملاذاً ولجوءاً في بلاط وكنف فيليب الثاني لأسباب غير معروفة لنا، وقد أخذ سياق عودة Artabazus إلى الملك العظيم كإشارة لأنشطة فيليب في الإمبراطورية، وفي خطبة ألقيت في عام 341 قدم Demosthenes لسامعيه مناقشة لسياسة التحالف مع الملك العظيم الذي قد أيده وفضله. ثانياً: أنه قد تم انتزاع عميل -والصديق المؤتمن- من كل استعدادات فيليب العسكرية الحربية ضد الملك، وسوف يسمع الملك بتطور الأمور -ليس من مدعين أثينيين- والذين قد يعتبرهم يتحدثون من منطلق مصالحهم الشخصية، بل من الوزير العامل نفسه.

وقد كان العميل يدعى Hermias الذي قدمه ديودورس Diodorus في سياق البعثة التي أرسلت إلى Mentor بأمر الملك أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث بعد انتصاره في مصر، وهناك اتجاه لأخذ Demothenes بشكل حرفي، واستنتاج أن فيليب من خلال وسيطه Hermias قد خطط لتمزيق وضع السلطة الأخمينية في آسيا الصغرى الغربية، وتستحق هذه النظرية قدراً ضئيلاً من الموثوقية، ومن الملحوظ أن ديودورس Diodorus لم يلفظ بأية كلمة عن احتمال حدوث صدام مقدوني مع هيرمياس -مرزبان Atarnaeus - ويقلل من دور بعثة Mentor

إلى مجرد استرجاع النظام الملكي الذي كان قد تزعزع في بعض البلدان، وقد جاء ذلك من المصدر نفسه -ديودورس Diodorus - الذي لم يتردد في موضع آخر أن يذكر ذلك، عندما انتصر ملك مقدونيا في دليفي Delphi في عام 346-345، حكم بأنه سوف يتم تنصيبه كـ Strategosautokrator كحاكم مستبد على اليونانيين، وسوف يقود مسيرة ضد الفرس، ورغم غموض السياسة الفارسية لفيليب مثل السياسة المقدونية لأرتاكسركسيس Artaxerxes ، فليس هناك في سلوك فيليب ما يؤكد أنه كان مستعداً أن يتخذ إجراءً حول الهدف الذي نادى به Isocrates في عام 347 من أن يتقدم لقيادة حملة عسكرية إلى آسيا الصغرى.

وفي الخطبة نفسها يؤكد Demosthenes لجمهوره أن ظرفاً آخر غير مستحسن لدى فيليب قد حدث، إن أولئك الذين يثق بهم الملك، ويعتبرهم محسنين، هم بالفعل على عداوة وحرب مع فيليب، ويشير هذا بشكل واضح إلى أشكال العداوة التي من المنتظر حدوثها في Perinthus كما هو واضح في رسالة من فيليب، لقد ألقى مرزبانات آسيا لتوهم في فرق المرتزقة من أجل راحة Perinthus ، ويؤكد ديودورس Diodorus على وجود مثل هذه العداوات.

لقد تم نشر أخبار صعود وارتقاء فيليب في السلطة في آسيا، وأن الملك الفارسي شاهد هذه السلطة بانزعاج، وساوره القلق، وقد كتب إلى حكامه في الساحل بأن يقدموا كل المساعدة الممكنة إلى سكان Perinthus ، وقد تشاوروا في الأمر، وأرسلوا إلى Perinthus قوة من المرتزقة، وتمويلات وفيرة، ومخزونات كافية من الطعام، والقذائف، ومواد أخرى مطلوبة للعمليات العسكرية.

ويضيف Pausanias تفاصيل مهمة: «لقد كان Arsites -حاكم Helles Pontine Phrygia - هو الذي قام بتنسيق العمليات العسكرية، ويبدو أن هذا الأمر منطقي من خلال توفر الموقع الاستراتيجي لمقاطعات Dascylium ،

وأكثر من ذلك أنه في عام 334 نجد الشخص نفسه وهو Arsites يقوم بتوجيه وقيادة العمليات العسكرية ضد الإسكندر Alexander ، وأيضاً في استشارة مع رفقائه.

إن المساعدة أو المعونة المقدمة إلى Perinthus كانت من بين الاتهامات التي قام بتسويتها الإسكندر Alexander في خطاب أرسله بعد معركة Issus ، وطبقاً لما جاء في النص المحفوظ بواسطة Arrian ، فقد اتهم Ochus بإرسال جيش إلى Thrace ، وقد ذهب الملك المقدوني بعيداً حتى يحمل البلاط الملكي الفارسي مسؤولية قتل والده، ويذكر دارا Darius أنه قد كانت هناك معاهدة صداقة وتحالف بين أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث وفيليب الثاني، وقد فتح غياب أي دليل موثق لأي نوع من المعاهدات الطريق إلى التأمل والإمعان، والخاصية المهمة لهذه التأملات أنها تتعارض إحداها مع الأخرى، ولن يكون مفيداً أن نضيف بنداً آخر إلى هذا البيت المسمى ببيت البطاقات، إنها لمعجزة أنه لم ينهار بالفعل، ويجب أن نكون قانعين بملاحظة أنه قد تم تبادل البعثات والرسل بين البلاطين الملكيين الفارسي والمقدوني .

ورغم أنه لم يمكننا أن نتعرف على مهماتهم وبعثاتهم التي ربما كانت محددة عند حد التجاور الجيد أو التجاور السيئ، وبالتأكيد لم تكن العاصمتان بيلا Pella وصوصا Susa غير مألوفتين لإحداهما الأخرى، ويحتوي السجل على حقيقة مؤكدة وهي أن أشكال العداوة الفارسية-المقدونية قد ظهرت في Perinthus التي تمت محاصرتها حوالي عام 341 على يد فيليب الثاني، ولكن يجب أن نلاحظ أن Demosthenes قد حاول أن يصنع نقاشاً أو جدالاً من الموقف في Perinthus الذي سوف يغري أو يقنع المواطنين التابعين له بأن الملك العظيم كان مستعداً للدخول في تحالف معهم، وإرسال الأموال اللازمة للحرب إليهم، ولكن هل جعل هذا من الخطيب ملاحظاً أو مراقباً موضوعيًّا للسياسة

المقدونيـة الخاصـة بأرتاكسركسـيس Artaxerxes ، حيـث إنـه عنـد قـول وفعـل كـل الإجراءات، على الأقل طبقاً لما ذكره Aeschines فإن أرتاكسركسيس Artaxerxes كـان سريعاً وحازماً في أن يسمح للأثينيين بأن يعرفوا أنه لن يرسل إليهم أية أموال.

تلخيص:

ليس هناك شك في أن أرتاكسركسيس Artaxerxes -مثله مثل أسلافه- قـد اتبـع سياسة نحو المدن اليونانية تضمنت إرسـال بعثـات ملكيـة متكـررة إلى حـد مـا، وفـوق شبهة الشك في أن معارضاً لـ Macedon مثل Demothenes قد اعتقـد أن دعـم الملـك العظيم قد مثل البديل الوحيد الذي يمكن الوثوق به، والذي من خلالـه يمكـن التصـدي لتقدم فيليب الثاني، وأخيراً، فمـن المؤكـد أن وصـول الجيـوش المقدونيـة إلى الــ Straits المضايق قد أثار القلق والانزعاج والاضـطراب لـدى مرزبـان Dascylium الـذي شـارك اهتمامه مع الملك العظيم، وقد أخذ الملك خطوات دفاعيـة محـدودة، فقـد قيـد نفسـه بإرسال الإسـعاف النجـدة الحربيـة إلى Perinthus ، هـل أرسـل الملـك مجموعـة مـن المرتزقة إلى Thrace ، كما يذكر ذلـك في اتهـام للإسـكندر Alexander ، ولا يمكننـا أن نقول: أليس هذا نوع أكثر من الإطناب أو الحشو الأسلوبي؟ وباختصار، فإن البلاط الملكي كان على معرفـة بالعمليـات العسـكرية لفيليـب، ومـن الصـعب أن نـذهب وراء هـذه الملاحظات؛ لأن من الواضـح أن نوايـا فيليـب كانـت أكثر وضـوحاً لـدى الملـك العظـيم ومستشاريه مقارنة بنا في هذه الأيام، ولا بد أن المستشارين ذوي الخبرة بالشأن الفارسي حول سياسة منطقة البلقان قد تحيروا نتيجة التناقضات في القوى الأوروبيـة، ويجـب أن نتوقع انتصار فيليب في Chaeronea وتأسيس رابطة الكـورنثيين قبـل أن تصـبح الأمـور واضحة كلها، وفي أثنـاء ذلـك تـم اغتيـال أرتاكسركسـيس Artaxerxes الثالـث واعـتلى العرش بعده أحد أبنائه ويسمى أرسيس Arses .

فهرس محتويات

المجلد الرابع

موسوعة
تاريخ الإمبراطورية الفارسية من قورش إلى الإسكندر

تأليف
بيير بريانت

ترجمة
مجموعة من المترجمين

المجلد الخامس

المجلد السادس



موسوعة

تاريخ الإمبراطورية الفارسية

من قورش إلى الاسكندر

اسم الكتاب: موسوعة تاريخ الإمبراطورية الفارسية مِنْ قورش إلى الإسكندر

المؤلف: بيير بريانت

الطبعة الأولى: ٢٠١٥م - ١٤٣٦هـ

ISBN 978-614-424-173-8 (٧ مجلدات)
ISBN 978-614-424-178-3 (المجلد الخامس)
ISBN 978-614-424-179-0 (المجلد السادس)



الدار العربية للموسوعات

المدير العام: خالد العاني

الحازمية - مفرق جسر الباشا - سنتر عكاوي - ط١ - بيروت - لبنان
ص.ب: ٥١١ الحازمية - هاتف: ٩٥٢٥٩٤ ٥ ٠٠٩٦١ - فاكس: ٤٥٩٩٨٢ ٥ ٠٠٩٦١
هاتف نقال: ٣٨٨٣٦٣ ٣ ٠٠٩٦١ - ٥٢٥٠٦٦ ٣ ٠٠٩٦١
الموقع الإلكتروني: www.arabenchouse.com البريد الإلكتروني: info@arabenchouse.com

موسوعة

تاريخ الامبراطورية الفارسية

من قورش إلى الاسكندر

تأليف

بيير بريانت

ترجمة

بيتر تي دانيلز

بحيرة وينونا، إنديانا أيزنبراونز

المجلدان الخامس والسادس

الدار العربية للموسوعات

بيروت



الجزء الخامس

القرن الرابع ومكان إمبراطورية دارا Darius الثالث في التاريخ الطويل للأخمينيين التقييم المتوقع

الفصل السادس عشر

الاراضى والشعوب والمرزبانيات

نبذة عن العالم الأخمينى

1- مقدمة في خطى الإسكندر Alexander ومحاكمة دارا Darius :

مصدر أخميني آخر وهو مؤرخو الإسكندر Alexander :

قبل البدء في الفصل الأخير، والذي هو في رأيي المواجهة بين دارا Darius الثالث والإسكندر Alexander ، أود أن أتوقف لدمج وتوحيد الحقائق والمفاهيم والنظريات التي قدمت في الفصول السابقة، وتتوالى الأسئلة نتيجة لإسهامات مجموعة كاملة جديدة من مؤرخي الإسكندر Alexander القدامى؛ لذا فقد تعمدنا تحديد استخدام هذه الإسهامات فيما عدا أبواب الفصل الثاني، والمكرسة نسبيًّا للمفاهيم الراسخة للعادات الفارسية، فنحن نعتبر أن «الراسخ» من الأشياء هو الذي يشكل الأسس الأولية للمفاهيم الأخمينية الملكية، سواء كانت فضيلة ملكية، أو تمثيلاً للحكم الإمبراطوري، أو للحياة والناس في البلاط، فكل هذه المفاهيم المتضمنة في النصوص التي يرجع تاريخها إلى دارا Darius الثالث ترجع إلى «عادات الأسلاف» ديودورس Diodorus 17. 34. 6 ؛ 35. 3 كوينتوس كيرتس Quintus Curtius ، وهناك مثالان من الممكن أن يوضحا هذه النقطة: أ المخطوطة الشهيرة المذهلة لكوينتوس كيرتس Quintus Curtius 3. 3. 8-25 عن الموكب الملكي قبل حرب إيشوس

والتي تشبه إلى حد ما المخطوطات المماثلة التي زودنا بها زينوفون Xenophon من قبرص، وهيرودوت Herodotus منكسركسيس Xerxes انظر: فصل 5/4. ب المخطوطة الثانية لكوينتوس كيرتس Quintus Curtius 6. 17-25 التي يمكن دمجها في مرحلة ما قبل التحليل الدقيق في المناقشات عن الغزوات الملكية، حيث توجد عندنا كل الأسباب للاعتقاد بأنها أساساً لم تتغير من حيث الأساس أو التنظيم.

وهناك موضع واحد يقارن فيه كوينتوس كيرتس Quintus Curtius دارا Darius الثالث بكسركسيس من حيث الطرق المستخدمة من قبل الملوك العظماء لحصر وترقيم أفراد الجيش الملكي 3. 2. 2، وهذا المثال لا يجب أن يقودنا إلى الاعتقاد بأن العادات الملكية كانت ثابتة بالكامل؛ لأن مقارنة كوينتوس كيرتس Quintus Curtius لا تلزم بالضرورة التاريخ الحديث بالنتائج نفسها؛ ولأنها لا تعبر عن ركود عام في البروتوكول الملكي الذي -مثلما رأينا- قد دخلت عليه التعديلات بمرور الوقت أكثر من أية شخصية واضحة أو مكررة في المخطوطات الملكية، والتي من الممكن أن تقودنا إلى استنتاج عدم تغير شيء بين قورش Cyrus ودارا Darius الثالث، فقد لاحظنا -على سبيل المثال- أن هذه الابتكارات أو التعديلات قد قدمت في عهد أرتاكسركسيس Artaxerxes الأول وأرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني الفصلان 14/1، 15/8.

ومن ناحية أخرى، فإن المصادر التي يرجع تاريخها إلى عهد الإسكندر Alexander ، والواقعة لمدة طويلة خلال القرن الرابع، هي ذات قيمة وأهمية كبيرة بالنسبة لنا في محاولتنا لتحديد وضع الإمبراطورية الأخمينية أثناء فترة حكم دارا Darius الثالث، وبالطبع، ومثل المؤلفين اليونانيين في القرن الرابع، نقل مؤرخو البلاط أحياناً

صورة مشوهة عن القاهر والمقهور، وسنعود إلى هذه النقطة عدة مـرات، وسـنرى أن -في بعض الحالات- المعلومات المقدمـة مـن بعـض الكتـاب الهلينيـين يجـب أن تحاط بالحظر من جانب كتاب القرن الرابع.

وعلى سبيل المثال، فقد طلب منهم الحرص عندما تنـاولوا شـعوب زاجـروس غير المشهورة، والذين يعرفون باللقب المصـغر الشـامل «اللصـوص الهمجيـون»، أو بشكل عام عند محاولتهم مقارنة الراكد الأخميني بالتجديدات المستحدثة من قبل الإسكندر Alexander العمل في الأنهار والقنوات البابلية.

والسبب الـرئيس في ذلـك هـو أن الأيديولوجيـة المسـتحدثة مـن قبـل رفـاق الإسكندر Alexander متماثلة مع ما كتب في كتابات مؤلفي القـرن الرابـع، ولكـن المسؤولية أيضاً تقع على عاتق المؤرخ الذي يقرأ هذه المخطوطات ويستخدمها، وفي الواقع، فإن العديد من التفاصيل المروية من قبل الـرواة القـدامى يمكـن أن تفهـم فقط عند وضعها في المدى الطويل من التاريخ الفارسي.

وهكذا، يقـرر تـاريخ الإسـكندر Alexander الأصـل الأخمينـي الـذي يلقـي الضوء على التاريخ الأخميني، والذي بدوره قـد سـاعد المـؤرخين عـلى فهـم معنـى وأهمية المعلومات التي يمدوننا بها، وكمثال صـغير، فمـن الواضـح أن مخطوطـات آريـــان Arrian وكوينتـــوس كـــيرتس Quintus Curtius لـــدخول الإســـكندر Alexander سارديس Sardis ، وبعد ذلك بابل، واللذين أخذا معنـاهما التـاريخي الكامل فقط عندما وضعا في سياق «الغزوات الملكية» الشـهيرة بدايـة مـن الـعصر الأخميني والعصور الأقدم على حد سواء، وهذا المنظـور الأخمينـي كـان لـه أثـر في هـدم الفهـم التقليـدي لهـذه المعلومـات عـن العلاقـة التـي أقامهـا الإسـكندر Alexander مع البلاد المغزوة.

وبخلاف هذه التحريفات التي سمح النص الأخميني لنا باختبارها،

وبالتـالي تصـحيحها، فمؤرخـو الإسـكندر Alexander بلوتـارخ Plutarch ، آريـان Arrian ، كوينتوس كيرتس Quintus Curtius ، ديودورس Diodorus ، جوسـتين Justin ، وآخرون، كـلاً عـلى طريقتـه عـدلوا إلى حـد كبـير مـن طريقـة نظرتنـا إلى الإمبراطورية لعدة أسباب بسيطة، منها: أولاً: تتبع خطوات الإسـكندر Alexander خطوة بخطوة. ثانياً: وصولنا إلى محاكمة دارا Darius الثالـث، وقيادتنـا لاكتشـاف أعلى شمال البلاد، والتي لم يتحدث عنها الكتاب الكلاسيكيون ما عدا مسيرة قـورش Cyrus من ساردیس Sardis إلى بابل، وعودة المرتزقة اليونانيين من وادي تيجريس والبحر الأسود عن طريق جبال أرمينيا وبيثيينا وبابلوجونيا.

وفي ذلـك الوقـت، حـوصرت كـل مرزبانيـة تقريبـاً، وبالتـالي، فقـد أخـذ العـالم الأخميني في الاتساع قلباً وقالباً لدرجة أننا عجزنـا عـن اكتشـافه أو اختبـاره منـذ دارا Darius الأول بسـبب وفـرة وتنـوع الأدلـة منقطعـة النظـير طـوال القـرنين الرابـع والخامس، وعلى سبيل المثال، كان يكفي استرجاع أن رفاق الإسكندر Alexander كانوا هم أول من أعطوا المخطوطات المكتوبة عن برسيبوليس وباسارجاداي، كما أن السهل الإيراني ووسط آسيا لم يعودا أرضاً مختفية، وبالطبع سيفضل التاريخ الحديث الحصول على مصادر مفصلة بشكل أكبر، حيث إنه من الحقيقي أن المعلومـات المـأخوذة مـن كتاب القرن الرابع تمكننا من القيام بجولة في كل أملاك الملك العظيم من وجهة النظر الجغرافية والبيئية والأنثروبولوجية في آن واحد حتى إذا ما أخذت آسيا الصغرى امتياز المكان مرة أخرى، ولأول مرة منذ هيرودوت Herodotus 7-9 .

وبفضل هذه الموارد نسـتطيع -عـلى سـبيل المثـال- أن نصـنف مـن الذي كان من صفوة الإمبراطورية، ومن الواضح وجود وجه آخـر لهـذه العملة، بمعنى تتبع المؤرخين لجيش الغزاة وتمجيد ذكراه، وبحد أقصى، فقد ظهرت مملكة دارا Darius فقط كـوهم أو حلـم لا سـبيل إلى

تحقيقه والذي لم يقدم أكثر من حصن ضعيف واهن ضد التقدم الفيكتوري للجيش المقدوني، وبالتالي فإن المخطوطات كانت غير متماثلة من منطقة إلى أخرى بالنسبة للعقبات المباشرة التي واجهت الإسكندر Alexander ، فنحن -على سبيل المثال- نحصل على المعلومات الضئيلة فقط عن كابادوكيا وأرمينيا، والتي تقيس بوجه عام المرزبانات المتبقية في بارتيباس، بينما تمنح التفاصيل القائمة خلال عدة أسابيع من صوصا Susa وبرسيبوليس مذكرات قيمة عن الحصون والقلاع والبوابات .

وعلى وجه الخصوص، فإن هذا حقيقي بالنسبة للسهل الإيراني، ووسط آسيا، والوادي الإندوسي، وعندما استولى الإسكندر Alexander على آريا وآراخوسيا وباكترا وسوجديانا كان دارا Darius الثالث قد توفي، ولم يثر الإعلان الملكي لبيشوس مشاعر الموالين للأخمينية كما توقع، مما أدى إلى غلبة الانطباع بأن السيادة الفارسية في تلك المناطق كانت ضعيفة، وهذا بدوره دعم استنتاجات معينة، والتي -أحياناً- استشفت من صمت المصادر الكلاسيكية، ولكن، هل كان الشعور بالخطر من قبل باكترا وسوجديانا عند غزو الإسكندر Alexander لهما انعكاساً للموقف السائد من قبل؟ فهذا المثال يوضح إحدى الصعوبات الرئيسة عند استخدام مصادر الإسكندر Alexander ، فجلب حالات أخمينية لدائرة الضوء أحياناً ما تمثل مشكلة بسيطة، حيث إنه في كل حالة لا نستطيع افتراض وجود اتصال كامل بالماضي.

والخلاصة، أنه بمقارنة المصادر الهلينية البابلية، المصرية، اليونانية، الخ بالمصادر اليونانية في القرن الرابع، فإننا نجدها غنية -على نحو استثنائي- بالمعلومات الأخمينية، ولتأكيد ذلك، لا يوجد لدينا نقش ملكي واحد، ولا بناءً موحداً نستطيع التعرف عليه، ويمكن أن ينسب بشكل مؤكد لدارا Darius ولا حتى في مقبرة غير كاملة ببرسيبوليس، شكل 46، ص735، ولكن هناك العديد من النصوص والرسومات من

آسيا الصغرى ومصر وساماريا، بالإضافة إلى البابلية تكبر وتغني الجسد، وتثبته بأساس منطقي، وبعيداً عن التناقض، من الممكن القول بأن فترة حكم دارا Darius الثالث هي مؤرخة جيداً بالتحديد، فالاستهانة التي تعرض لها آخر ممثلي السلالة الأخمينية الحاكمة ليست بالتالي انعكاساً تلقائيًا نظراً لفقر الأدلة لدينا، فهي في الأساس نتاج اللامركزية الطليقة التي اعتمد عليها علم التاريخ الحديث لفترة طويلة، فهذا الترسيخ ليس نابعاً من تقليد المقدونيين لحاشية الغازي، ولكن من التركيز الزائد على زعيم واحد من الزعماء، والذي بالتالي ظهر مسافراً خلال إمبراطورية ليس لها وجود منذ البداية.

الوسائل والأهداف:

المشكلة معروفة جيداً، فدارا Darius الثالث دائماً ما يمثل بالملك الضعيف الذي حكم بضعف إمبراطورية تحتضر، وغير قادر على الاعتماد على إخلاص مرزبان، أو على ما يستحق أن يسمى جيشاً، أو على شعبه الذي عانى من عبء مالي لا يحتمل، والذي ببساطة أصابه الركود الاقتصادي بعد ذلك، فمجل التفسيرات تميل إلى خلق ما هو معروف بـ «الأقدام الطينية العملاقة»، ونعرف أن الصورة تأتي مباشرة من مؤلفي القرن الرابع اليونانيين الجدليين، وهذا ما أخذ وكبر من قبل علم التاريخ للاستعمار الأوروبي، فقد سنحت لنا العديد من الفرص بمناقشة وجلب المشكلة المحددة المتوقفة على استخدام هذه الملفات، ونجاحهم في علم التاريخ الحديث على حد سواء، وعلى الرغم من ذلك، فإنه يجب علينا استنتاج أن التفسيرات اليونانية تزيف الصور بشكل عام، فمشكلة تتبع التغيرات الداخلية التي من المؤكد أن بنية الإمبراطورية الأخمينية قد مرت بها، وبقيت منذ دارا Darius الأول، فهذا التقييم يحمل على عاتق الفصلين 16، 17 اللذين يوازيان الفصول السابقة، والتي تقيم الإمبراطورية خلال عصري دارا Darius وكسركسيس الفصلان 5،

13، وما بينهما هو تقييم جزئي مدعم، وبخاصة في مجال السلطة الإقليمية للملوك العظـام، فمـن اللائـق الآن التوسـع والامتـداد في مختلـف الاتجاهـات: الأراضي والشـعوب فصـل 16، وأدوات السـلطة فصـل 17، فهـذا تقيـيم منظـوري لهـذه الاتجاهات المختلفة، حيث إنها ستناقش مرة أخرى في السياق في الفصل الأخـير 18 الذي سنحاول من خلاله بشكل محدد أكثر فهم لماذا تم غـزو الملـوك العظـام مـن قبل الإسكندر Alexander ؟ وهذا التقييم المتوسط يكون بالتأكيد لا مفر منـه إذا أردنا تجنب الدائرة الفاسدة المعروفة، فقد تـم غـزو الإمبراطوريـة؛ لأنهـا كانـت في أزمة بنيوية عميقة نهاية الإمبراطورية الأخمينية، وهذه الأزمة قـد انتهـت وأكـدت بالهزيمة.

المصادر والمشكلات:

إن أغلب المعلومات التـي لـدينا عـن المنظومـة الإداريـة للإمبراطوريـة هـي بخصوص فترة حكم دارا Darius الثالث والمملكة المقدونيـة اللاحقـة، فـأول قائمـة كاملة للمرزبان، كما هو مدون عند وفاة الإسكندر Alexander ، ويرجـع تاريخهـا الديودوشي، ففي قطعة شهيرة، والتي هي جزء من النقاش الجغـرافي أن ديـودوشي قد قسـم المرزبانيـة إلى «المنحـدر إلى الشـمال»، و«المنحـدر إلى الجنـوب» 18. 50، والأكثر فائدة هي قـوائم المرزبانـات، كـما كـانوا مقسـمين ضـمن رفقـاء الإسـكندر Alexander في 323، 320 مثال: 18. 3. 1-2، فكل هـذه الملفـات مشـوقة للغايـة، وسنستخدمها، ولكنها ليست كافية، ففـي الواقـع، هـي لا تعكـس بـالضرورة حالـة الوضع الدقيقـة في 334، فالإسـكندر Alexander كـان قـد قـام بـبعض التغيـيرات، وكذلك بيردياكاس، ففي 323 -على سبيل المثال- تشاور مـع إيـومينيس عـلى أراضي أنطاليا التي لم تنضم بعد للإسكندر Alexander 10 .3 .18 .

وهنـاك نصـوص وكتابـات أخـرى تـدعم بشـكل أكـثر معلومـات ضروريـة

تسمح لنا بالرجوع إلى الأوضاع القديمة لملابسات تتويج دارا Darius الثالث، أولاً: هناك بالطبع الأقاويل التي تتبع الإسكندر Alexander خطوة بخطوة، ودائماً ما تذكر اسم المرزبانات في العمل وفي المنطقة، أو في المناطق التي أحكموا سيطرتهم عليها. ثانياً: لدينا تعبئة الجيوش التي أمر بها دارا Darius الثالث، ففي المعركة مع كرونيكوس نجد أن الفرق التي كان يقودها مرزبانات آسيا الصغرى في إيشوس قد انسحبت من وسط وغرب الإمبراطورية بجواجاميلا، ونجد أن الجند المغيرين أصبحوا بعيدين كل البعد، مثل الهند آريان Arrian 3-6 .8 .3 * .

فهذه القوائم وضعت عدة مشكلات في التفسيرات، حيث ظهرت تعارضات واضحة من قائمة لأخرى، وليس من السهل دائماً الوصول في تلك التعارضات إلى قرار، فعلى سبيل المثال، عندما وصف آريان Arrian قرار الفرس بخوض المعركة في جواجاميلا 3. 11. 3* بلغ أن أرسطوبوليس Aristobules قال لهم إنه قد تم الإمساك بالملف الحامل للقرار بعد أن سحبه دارا Darius ، بالإضافة إلى أنه، ومرة أخرى في سياق الوحدات العسكرية الآتية لدارا Darius قبيل معركة جواجاميلا، فإنه ليس من المؤكد أن الشخص المسمى بقائد الكتيبة يجب تلقائيًّا أن يخطر مرزبان الإقليم بقرار سحب الجنود، وفي بعض الحالات يدعوهم آريان Arrian بالمرزبانات ساليبارزانيس، وبارسانتس، وبيشوس، وفي حالات أخرى كثيرة استخدم العبارة التي تشير مبدئيًّا إلى وضعهم كقادة للكتائب أجين-أرخين، 3. 8.3-6، وفي حالة واحدة أخيرة مرزبان صوصا Susa ، ولكن ابنه أوكساثريس الذي أمر بقيادة الكتيبة للمرزبان، وأحياناً نصوص موازية تسمح بتفسير الغموض 3. 23. 7.

وعلى أية حال، لا يمكن أن يفيد المسح العام على الإمبراطورية بترقيم بسيط للمقاطعات، فمن المهم الإلمام بالبيانات المتزامنة عن

الموارد المادية والبشرية المتاحة للمكل العظيم، ولهذا الغرض أعطى المرزبان معلومات حيوية عن كل من الممتلكات وجغرافية الإنسان في بعض أراضي الشرق القريب، حيث يمثل تقريره هذا بالطبع حالة من الشؤون المتأخرة، وكان سترابو Strabo عادة ما يضع بياناته بالترتيب الزمني، وعادة ما يدعم أيضاً بعض الأشياء المادية وخاصة المؤرخة لفترة ملك الأخمينيين، وهناك العديد من الموارد الأخرى الأدبية والأثرية والمنقوشة والتمثيلية مؤرخة من عصور مختلفة، من القرن الرابع للعصر اليوناني-الروماني، والتي تسمح لنا بملء الصورة، وبالأخص للناس الذين عاشوا في الإمبراطورية، وبالاتصالات التي قامت بينهم، وبالتالي السماح لنا بوضع كل هذه المعلومات في الفترة الطويلة، وباتباع خطى الإسكندر Alexander ، فقد وصلنا من الغرب إلى الشرق، بمعنى من الأفقر فهماً إلى الأكثر فقراً في البحث، ويتسبب عدم التساوي في انتشار البيانات، فتكون تلك الاعتبارات ذات أهمية كبرى، وعلى أية حال، فهدفنا هنا ليس تحديد تقييم إقليمي مرهق، والذي سيتطلب كتاباً قائماً في حد ذاته، ولكن لعزل دمج البيانات التي ستسمح لنا بفهم حقيقة سلطة الأراضي الأخمينية ما بين أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني ودارا Darius الثالث.

2- مرزبانية داسيليوم:

مثل العصور السابقة، كان مكان إقامة المرزبان في داسيليوم على حافة بحيرة مانياس التي كانت منفتحة للعبادات على طريقة فينداكوس هل، أوكسير، 22. 3. 3-4، فقد كانت محمية بحصن خوريون أوخيرون، 22. 3، المحمي والشهير بالفردوس الأعظم، ومزودة بالأسمال والألعاب، حيث استمتع بها فارنابازوس Pharnabazeus كثيراً زينوفون Xenophon ، هل، 4. 1. 15-16.

المرزبان أرسيتيس Arsites :

مـن الممكـن أن يكـون أرتابـازوس Artabazeus قـد ذهـب كلاجـيء إلى الـبلاط المقـدوني، والـذي تـم نفيـه بعـد ثورتـه المجهضـة ضـد أرتاكسركسـيس Artaxerxes الثالـث في منتصـف عـام 350 الفصـل 15/9، فـإذا تتبعنـا بحـرص المناظرة بنص ديودورس Diodorus عن عمليات منتور بآسيا الصغرى بعد غـزو مصر ثانية 16. 52، فيتضح أن مهمته كانت محددة بإعادة العلاقات مع مرزبـان داسيليوم إلى طبيعتها، وكان هذا في إطار معاركه مع هيرمياس، ومع قبائل أخرى محليـة في الـترود والآيلـويس الفصـلان 9-10، وقـد تـم اسـتدعاء أرتابـازوس Artabazeus وممنون، وكل ذريتهما الكبيرة مـن المنفـي، ولم يسـتعد أرتابـازوس Artabazeus مكانته في داسيليوم، ولكنه أصبح ذا أثر عـلى الملـك العظـيم، كـما أنه تمتع بمكانته العالية بجانب الملك العظيم في ترتيب الـبلاط الملـكي آريـان 3. 23. 7 Arrian ، وفي الوقت ذاته بقيت العائلة مستقرة بقـوة في الإقلـيم لسـبب واحد، هو أن أرسيتيس Arsites نفسه من الممكن أن يكـون قريبـاً لـه، ولسـبب آخر، فنحن نعرف أن ممنون كان يملك أراضٍ وعقارات في ترود في 334 بوليانوس Poleianos 15 .3 .4 ، آريـان Arrian 8 .17 .1 خـارا، فمـن المحتمـل أنـه قـد استلمهم من أخيه منتور كمكافأة، وأن أرتاكسركسيس Artaxerxes قـد اختفـى من الساحة بعد انتصاراته، وفي هذه الحالة، فإنه من المشوق أن نسجل أنه عنـد وصول أحد أتباع الإسكندر Alexander إلياس للمعبد المقدس بأثينا، قبل معركة كورنيكوس، ونلاحـظ أنـه أمـام المعبـد يوجـد تمثـال لأرتابـازوس Artabazeus ، والـذي يمثـل مرزبـان فريجيـا سـابقاً، ممـداً عـلى الأرض ديـودورس 17.17.6 Diodorus ، ولكسركسيس هيرودوت Herodotus 7.43 ، فقـد تمـت التضـحية بأرتابازوس Artabazeus كقربان للآلهة، ولكنه ذهب بعيداً بوضع تمثـال هنـاك،

وبالتالي يعتبر موضعاً يونانيًّا مقدساً تحت رعاية الآلهة، وفي الفقـرة يعطـي تعزيـزاً لنفسه، كما اعتنى بتمثاله أيضاً في تعليم الأرض ترود والذي دائماً ما ادعـى أسـلافه في داسيليوم بامتلاكها ضد طموحات مرزبان سارديس Sardis .

إلى جانب كونهم مسؤولين عن التزويد بالمؤن، كانت تلقى على عاتق مرزبان داسيليوم مسؤولية رعاية جزء من ميسيا، والتي من الجائز وقوعها تحـت سـلطة نائب الحاكم، أو ولمرة واحدة مرزباناً من جنسه أورنتوس Orentus فصـل 5-15، وكان البافلاجونيون أيضاً تابعين لداسيليوم، وكـانوا مشـهورين بفرسـانهم زينوفـون Xenophon ، أناب Anab، 8 .6 .5، حيـث قـدموا فرقـة تمـثلهم لقـورش Cyrus الأصغر ديودورس Diodorus 14. 22. 5، 1 .8 .5، وفي 334 وضعوا أنفسهم تحت أوامـر المرزبـان أرسـيتيس Arsites ديـودورس Diodorus 17. 19. 4 ، ووفقـا لكوينتوس كيرتس Quintus Curtius وآريان Arrian ، فقد أرسـل البـافلاجونيون بسـفير إلى الإسـكندر Alexander أثنـاء إقامتـه في أرسـيرا، وهـي مدينـة بجانـب كونجرا، والتي من المعتقـد أنهـا كانـت عاصـمة نائـب الحـاكم في بافلاجونيـا، كـما عرضوا خضـوع شـعبهم، وطلبـوا مـن الإسـكندر Alexander عـدم غـزو بلادهـم، وأمرهم الملك بوضع أنفسهم تحت سلطة كالاس والذين أسماهم «التابعين لمرزبان فريجيا» بدلاً من أرسيتيس Arsites قبل ذلك بشـهور آريـان Arrian 2. 4. 1-2 ، كوينتوس كيرتس Quintus Curtius 24.1 و17. 1 .

وأضاف كوينتوس كيرتس Quintus Curtius أن البـافلاجونيين قـد أرسـلوا رهـائن إلى الإسكندر Alexander ، وحصلوا على حريتهم مع الالتزام بدفع جزيـة، والتـي لم تكـن تسلم حتى للفرس 1. 23*، بينما أمر الملك سكان الأراضي الواقعة تحـت حكـم أرسـيتيس Arsites بدفع بعض الضرائب التي كانت تدفع لدارا Darius ، ومن بـين هـؤلاء السـكان

الأصليون القادمون من الهضاب آريـان Arrian 1.17.1 *، وهـذا التفسـير يصـعب تأكيده لعدم وجود معلومات عن الإقليم لدينا بعد الأحداث المتعلقة بسـير حملـة أجيسيليوس وداتاميس العسكرية ضد ثايوس، ومع ذلك، فإنه من المشكوك فيه أن البافلاجونيين الذين بعثوا فرقة تمثلهم لكالاس أصبحوا يدفعون الجزية في عام 334، فمن الواضح إشارة كوينتوس كيرتس Quintus Curtius للحقيقة المعروفة من أن البافلاجونيين الذين لم يـتم غـزوهم مـن قبـل الإسـكندر Alexander كـانوا ضـمن الدول غير الخاضعة في 323 ديودورس Diodorus 18.3.1 ، وفي نظر مؤلفي القرن الرابع اليونانيين دائماً ما كان يعتبر الإقليم مسـتقلاً عـن الفـرس، وهـو تعمـيم مـن الواضح أنه غير ملائم، وخلال الهجوم المضـاد للفـرس بعـد معركـة إيشـوس كانـت بافلاجونيـا إحـدى القواعـد الجديـدة المسـتخدمة مـن قبـل قـادة دارا Darius كوينتـوس كـيرتس Quintus Curtius34.1.4؛ 5. 13، واكتشـاف نجـدة الفـرس اليونـانيين في المنطقـة شـكل 55 يـدل عـلى وجـود إمبراطوريـة دياسـبورا، وزواج بافلاجونيا من كويسـاريس والـد داتـاميس نيبـوس Nepos ، دات. 1-3، وترتيبـات سـبيثريداتيس الخاصـة بـالزواج زينوفـون Xenophon ، هـل 4. 1. 4-5 تـرجح في ذاتها أن الاتصالات كانت مرتبطة وقريبة إلى حد ما بين ممثلي إمبراطورية ديسبورا والأرستقراطيين البافلاجونيين .

وكانت البلدة الأساسية على الساحل هي سينوب، والتي لهـا عـدة مـدن تابعـة لهـا، وهـي: كوليـورا، وسـيراوس، وتروبـازوس زينوفـون Xenophon ، أنـاب Anab 22.8.4؛ 5. 3. 2؛ 5. 53، وسينوب لها ميناء غنـي وشـهير؛ لـذلك كانـت مفتوحـة عـلى مصراعيها على البحر، وكانت البلدة متصـلة بشـكل كبـير بـالجزء الخلفـي مـن البلـد، وكانت تصدر مواردها من الأخشاب سترابو Strabo 12.13.12، كما تصـدر لكبادوكيـا عـن طريـق سـينوب، ووضـعت مقولـة آيزوكـراتس امتـداد علاقاتهـا التجاريـة،



الشكل 55

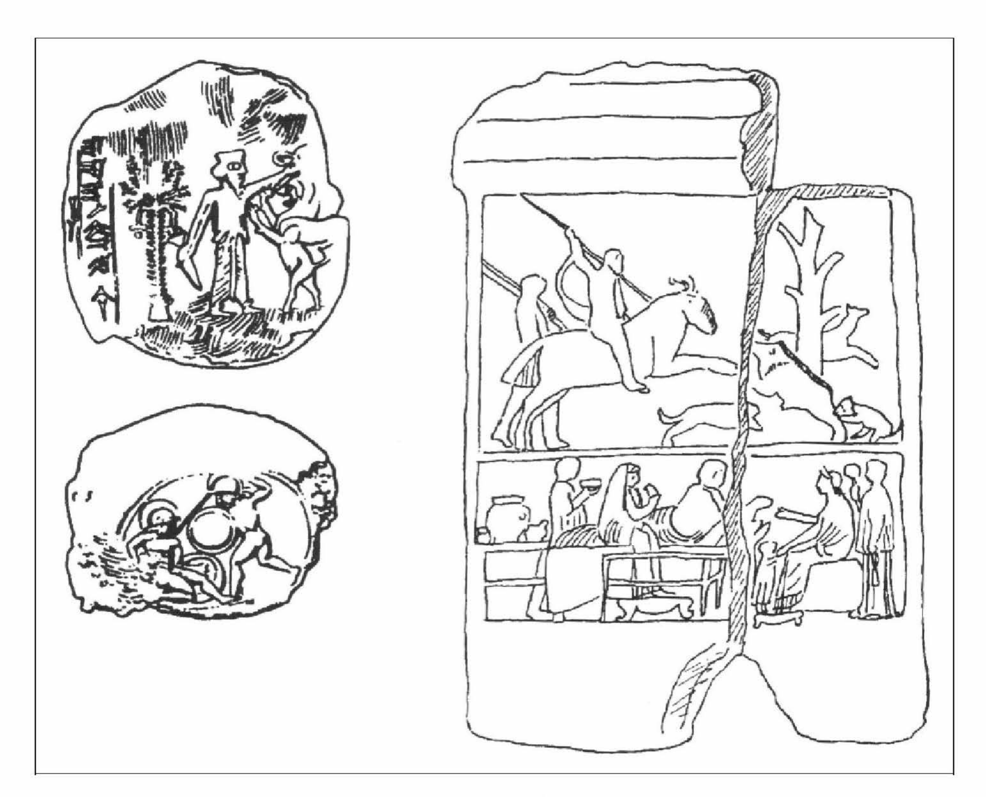
وأيضاً جنوب آسيا الصغرى آسـيا مـن سيسـيليا إلى سينوب: 120. فيل، وبـرهن عـلى ذلـك أيضـاً اكتشـاف العملات، وفي سـينوب أيضـاً امتلـك المتمـرد داتـاميس عملات مسكوك عليها اسمه في حـوالي 332، كـما أصـدر بعض القادة الفرس عمـلات هنـاك بالأسـاطير الأرمانيـة، وبـين 330 و334 ظـل سكـان سـينوب يعتبـرون أنفسهـم رعايـا دارا Darius آريـان Arrian 3.24.4؛ كوينتوس كيرتس Quintus Curtius 6.5.6، حيـث لم يعتـبروا مـن قبـل الإسـكندر Alexander جزءاً من الأسطورة اليونانية.

ودعونا ندون أخيراً أن الأسماء الشخصية الإيرانية تظهر دائماً ضمانات تـدل على امتلاك الصفوة من المدينة.

وكانت بيثينيا -وهـي بلـدة أخـرى واقعـة عـلى سـاحل البحـر الأسـود- في الأساس تابعة لداسيليوم، حيث تقع غرب بافلاجونيا، ومن أشهر مـدنها هاراكليـا التـي تقـع في أراضي ماريندـيديونس سـترابو 9 .4 .3 .8 Strabo ؛ زينوفـون Xenophon ، أناب 1 .2 .6 Anab ، ونعرف القليـل عـن العلاقـات بـين القـواد الباثينيين ضد المرتزقة اليونانيين أناب 24 .4 .6 Anab ، ولكن، وفي ظروف أخـرى نجد أن فارنابازوس Pharnabazeus نفسه في حربه مع البـاثينيين هـل 3. 2. 2، فمن المؤكد أن العلاقات مع مرزبان داسـيليوم كانـت غـير مسـتقرة ومتناقضـة، مثل العلاقات بـين داسـيليوم ومختلـف قـادة بافلاجونيـا فصـل 5-15، وفي عـام 334، تم حكم الإقليم من قبل الأمير المحلي باس، بينما قاد كالاس وهـو مرزبـان

داسيليوم المقدوني حملة غير ناجحة ضد باس، حيث لقي كالاس حتفه، وقد ظفر باس بابن كالاس المدعو زيبوثيس، ودائماً ما أظهرت هيراكليا ولاءً كبيراً للسلطة الأخمينية، ففي القرن الخامس رفض سكان هيراكليا دفع الجزية للأخمينيين في البداية، وذلك نتيجة لصداقتهم لملوك الفرس جوستين Justin 16. 3. 9 ، وبعد ذلك استسلموا للتهديدات الأثينية، وفي حوالي عام 364 استولى كليرخوس على السلطة بمساعدة قوة بقيادة ميثراكليتيس، وهو ابن أريوبارزانيس -مرزبان فريجيا- وجدد سياسة الحلف التقليدية مع السلطات الأخمينية، كما هو واضح على الخصوص بإرسال عدة سفراء إلى أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني، وأكدت فارسيته باكتشاف رسم منحوت على الطريقة الفارسية، والذي من المحتمل أنه يمثل الحاكم نفسه، كما أنهم لم يحدثوا خلفاء كليرخوس بسياسته حتى بعد الانتصار على الجرانيكوس، طبقاً للمؤرخ المحلي ممنون، فقد ربحت ديونيسيوس الهيراكلية حقيقة من معركة جرانيكوس شكل 434، فالمطالب المقدمة للإسكندر Alexander من قبل سكان هيراكليا من الواضح أنها لم تجد إلا أذناً صماء .

وكانت ساحة استرابال بداسيليوم بالتأكيد مفتوحة على مصراعيها للتأثير اليوناني لعدة أجيال، وهذا قد أثبت بفصاحة من قبل العديد من اليونانيين-الفرس مثل ستيلاس وبولاس وسيلس شكل ج-أ 56، وعند هذه النقطة، لا نستطيع منع أنفسنا من ذكر أنه في حوالي عام 360 تزوج المرزبان أرتابازوس Artabazeus من شقيقة الإخوة روديانس، ومنتور، وممنون، وقد أثمر هذا الزواج عن أحد عشر ابناً -من ضمنهم فارنابازوس Pharnabazeus الذي حارب بجوار خاله ممنون في موقعة آسيا الصغرى عامي 333 و334 قبل أن يصبح قائداً للعمليات البحرية- وعشر بنات، وكانت إحدى البنات تدعى بارسين، والتي أصبحت رفيقة للإسكندر Alexander ، وأنجبت له هرقل Hercules المشهور، وطبقاً لبلوتارخ



الشكل 56

Plutarch أليكس Alex 21.9 * وقد تم توجيهها لتعلم الإغريقية، ومن الجدير بالذكر أن أرتابازوس Artabazeus كان حفيداً لأرتاكسركسيس Artaxerxes الأول.

3- من ساردیس Sardis إلى إيفيسوس:

كانت ساردیس Sardis عاصمة لمرزبانية ليديا، وهي على حدود فريجيا، وظلت المنظومة الإدارية للمرزبانية تواجه المشكلات التي يصعب حلها، وعلى الأخص الاسم المنسوب إلى أراضي سبيثريكلاتس وهو مرزبان ليديا ولونيا، فمنذ بداية القرن الرابع، وأينما وجد نقش يشير

إلى مرزبان لونيا تود 113 لتكون العلاقات المحددة التي تربط المحتويات بعيدة كل البعد عن الوضوح، ففي عام 334 تلقت أساندروس المقدونية ليديا وباقي مقاطعة سبيثريداتيس أرخ، آريان Arrian ، الفصل 18/2، 1. 17. 7، وفي عام 334 تغلب المرزبان سبيثريداتيس سبيثريداتيس، ديودورسDiodorus 17.19.4 على والده فوساكيس الأول في تاريخ مجهول، وكان الأخير منحدراً من سلالة أحد السبعة، والذي قد أسر في الحملة العسكرية المصرية في عام 343 مرزبان لونيا وليديا 16. 47. 2، كما ساعد الابن الآخر فوساكيس الثاني سبيثريداتيس في أرضه 17. 20. 6، كما كانت الحامية تحت قيادة ميثرينيس الذي سلم القلعة والكنوز إلى الإسكندر Alexander بعد عدة أسابيع قليلة من معركة جرانيكوس، وكان هذا مبعوث الإله الحقيقي للمقدونيين، حيث عرف كل شخص أن عليه تحصين الموقع آريان Arrian 1.17.3.8، كما حصل الفرس على حارس قائم على جبل تيمولاس سترابو Strabo 13.4.5 ، وتمركز هناك، والعديد من المستعمرات العسكرية من أصول متفرقة كما هو من ضمن أشياء أخرى، مشهور بوجود سهل هيراكانيان الذي سمي كذلك نسبة إلى السكان المقيمين هناك .

وتزودنا الأدلة المتاحة بقدر كبير -إلى حد ما- من المعلومات عن عمق واتساع الاتصال الثقافي الداخلي في ليديا ولونيا، وهذا ما أشار إليه بطريقته، وصف بلوتارخ Plutarch في إيفيسوس في عامي 405، 407، وقد وجد الوصف داخل مناقشة ناقدة للغاية لليساندر وسبارتان الذي اتهم بتقليد سلوك المرزبانات: «لكونك في إيفيسوس، ولوجود مدينة يميل شعبها إليك، ومحببة إلى نفسك، ولكن في الظروف السيئة، وفي أوقات الخطر سوف تصبح بربرية بتقليد سلوك الفرس الذين تفاعلوا فيما بينهم، حيث تقع ليديا على حدودها، ويتمركز قادة الملك هناك منذ فترة طويلة» ليس 3. 3 .

وتكون القطعة مشوقة على غير المألوف، حيث تناقش الحياة اليومية، فمن السهل تخيل أن الوجود الدائم والأساسي للفرس أدى إلى تقريب وتلاقي الثقافات الداخلية من النوع الذي حزن من أجله بلوتارخ Plutarch ؛ لأن -من وجهة نظره- هدد هذا التلاقي المدن الهلينية قارن: أجيس 3. 9، وفي مناقشة ازدرائية أخرى ندد ديموقراطيس بالشخصية المخنثة لمواطنيه، والتي بالأخص برزت في ثراء ورفاه ملابسهم ذات الألوان الزاهية، والمزخرفة بصور الحيوانات، ومن ضمن هذه الملابس حدد ديموقراطيس بالاسم الملابس الفارسية التقليدية، مثل الرداء الطويل المسمى كالاسيريس «القلنصوة»، هذا بالإضافة إلى السارابيس والأكتياي، والذين يعتبرهم الأغلى من ضمن الملابس الفارسية أثينيوس Athenius 12. 525 . ج-د .

كما وجدت توضيحات للعلاقات الفارسية-الإيفيسيانية في العديد من المقالات المقربة من تيسافرنيس، وفي عامي 410-411، وقبل الوصول إلى هيليسبونت ذهب المرزبان أولاً إلى إيفيسوس، وقدموا أضحية إلى أرتاميس Artamese تيوسيديديس Theocidides 8.109.1، وبعد حوالي عامين، قرر الذهاب مرة أخرى إلى إيفيسوس، والتي كانت في ذلك الوقت مهددة من قبل ثيراسيلوس الأثيني، وعندما علم تيسافرنيس بخطته، جمع جيشاً كبيراً، وبعث بفرسان لحث كل الناس ضد إيفيسوس للحصول على حماية أرتاميس Artamese زينوفون Xenophon ، هل 1. 2. 6، وفي الوقت ذاته عاد إلى ترود، وكانت هذه هي مناسبة سك عملات برونزية باسمه في أستيرا، وهي مدينة صغيرة تقع على ساحل أدروميثيوم، وبشكل واضح يظهر انعكاس كل وجه من العملة صورة مميزة لأرتاميس Artamese .

كانت إيفيسوس على اتصال بسارديس Sardis بواسطة طريق ملكي طويل ستيسياس Citicias 64 ، هيرودوت Herodotus 5. 54 ، ونعمت

بعلاقات طويلة ومتصلة مع العاصمة المرزبانية، فأولاً من الممكن أن نذكر أن مسؤول المعبد هناك حمل لقباً من أصل إيراني وهو الباجابوكسيا -أي ميجابازوس Megabazus - وهو خادم الآلهة، وكان هو من يدفع له زينوفون Xenophon العشر الذي احتسبه من الغنائم لأبولو Apollo وأرتاميس Artamese من إيفيسوس في عامي 399-400 أناب 7-5 .3 .Anab 5 .

ويظهر أيضاً أن الملوك العظام أنفسهم قد شيدوا المعبد المقدس بشرف كبير، طبقاً لسترابو Strabo 14.1.5 ، فقد أبقىكسركسيس Xerxes على الجزء المقدس عندما دمر المعبد بديدما، علاوة على ذلك، نعرف منتاسيلوس 3. 61 أنه في عصر تيبينوس ذكر أن إيفيسوس منح حصانة لمعبد أرتاميس Artamese المقدس من قبل الفرس، فالاحترام الذي أظهره تيسافرنيس تجاه الآلهة العظمى يقارن بالاحترام الذي تأكد في مصر من قبل قادة الفرس المرزبانات فصل 12/1 .

[وفي المعنى المضاد، إذا أردنا وضعها على هذا النحو نرى في النقش التضرع الليدياني-الآرامي الخاص بالدفن من ساردیس Sardis ، المؤرخ في السنة العاشرة لأرتاكسركسيس Artaxerxes ، وحماية أرتاميس Artamese وإيفسوس الآرامية].

فالوجود في ساردیس Sardis أكد عليه من قبل الليديين، وبنقوش شهيرة الآن من إيفسوس تدعى «نقوش التدنيسات» إيفسوس 1. 2، كما بلغ أن العديد من رسل إيفسوس المقدسين قد أرسلوا إلى ساردیس Sardis لأداء المراسم طبقاً لعادات الأسلاف في معبد أرتاميس Artamese المقدس بساردیس Sardis ، ومن الواضح أنه في هذه المناسبة قد هوجم رسل إيفسوس المقدسين من بعض سكان ساردیس Sardis الذين حكم عليهم تباعاً من محاكم ساردیس Sardis -في وجود شهود قادمين من إيفسوس على الجريمة- وتبعتها قائمة من

خمسين رجلاً مذنباً، كما أكد نقش آخر من إيفسوس بعض التفاصيل، ويسجل مرسوماً مانحاً للمواطنة للمقيمين بالبلدة الذين قد ساعدوا الرسل المقدسين المرسلين لمعبد أرتاميس Artamese بإفيسوس المقدس بسارديس Sardis ، ولسوء الحظ، فإن النصوص لم تكن مؤرخة، ويحبذ وضعها في الربع الأخير من القرن الرابع، إما قبل أو بعد الغزو المقدوني، وبالطبع، فإن التاريخ المحدد سيكون أكثر أهمية، ولكننا يجب أن نذكر أن المعبد المقدس -على أية حال- كان موجوداً، وعلاوة على ذلك، فلم تكن العلاقات بين ساريس Sardis وإيفسوس بالشيء الجديد، فقد كانوا مألوفين ومتحمسين بشكل واضح خلال فترة السيادة الأخمينية.

ويبعث السجل التاريخي العديد من الانعكاسات التاريخية، فأولاً: عن حالة ساريس Sardis في نهاية عمر الأخمينيين وبداية العصر الهليني، فالتعليمات المتبعة من إيفسوس، والمذكورة في المنحوتات المذكورة فيما سبق تدل بالضرورة على وجود محاكم أو مؤسسات تشاورية بساريس Sardis ، وهذا بدوره يؤكد أن ساريس Sardis كونت مجتمعاً سياسيًّا ألبيت ليست مدينة إغريقية.

ويؤكد مرسوم آخر، مؤرخ في هذه الفترة ما سبق، كما أن هذا النقش من ميليتس يسجل اتفاقاً بين تلك المدينة وساريس Sardis ، حيث ضمنت ساريس Sardis العبور إلى ميليتس والأمان بها، وقد سمي تفويض في كل مدينة لضمان تأكيد الإنفاق، وتضمن النص صيغة: «هؤلاء هم سكان ساريس Sardis الذين قد سموا -طبقاً للمرسوم سيل 3. 373، وأكدت الطريقة التي وصل بها الإسكندر Alexander في عام 334 أن سكان ساريس Sardis لديهم سلطات محلية لا تتأثر بالسلطات الفارسية منذ أن سلمت البلدة للإسكندر Alexander من قبل زعيم المواطنين، بينما سلمت ميثرانيس الفارسية

القلعة وكنوزها للغازي آريان Arrian 1. 17. 3 ، ومهما بقيت الشكوك حول التفاصيل في النصوص، فيجب أن نستنتج أن سكان سارديس Sardis تحت السلطة الأخمينية قد نعموا بدرجة من الاستقلالية مقارنة بالاستقلالية المذكورة في النصوص التي نعمت بها بابل، ومثل بابل، كانت في سارديس Sardis مقاطعة يعمل فيها الفلاحون والعمال، ويعيشون في القرى كما هو واضح في «نقوش التدنيسات»، ومن الواضح أن هذه القرى كانت مستقلة عن المدينة منذ محاكمة الأطراف المدانة في سارديس Sardis ، وسجلت قرى أخرى تقع على سهل سارديس Sardis في نقوش منيسيماشوس سارديس Sardis 7. 1. 1 ، وعادة ما يحملون أسماء ليدية، مثل: بيرياساسوسترا، كومبيديليبيا، توبالميورا، والبعض منهم يحملون جزئيًّا أسماء هلينية، مثل: تونداكوم، إليوكوم، كما حمل الفلاحون أيضاً أسماءً ليدية، وتعطي كل هذه الدلائل الانطباع بوجود استمرار ليدي واسع، وفي هذه الحالة، يمكن أن نذكر أيضاً اشتراك أدراستوز الليدي في معارك ديادوتشي في عام 322 بوسانياس 7. 6. 6.

في الحقيقة، كان شعب سارديس Sardis وضواحيها مختلطين عرقيًّا، وكان من ضمن الأسماء في النقش مينيسيماشوس الاسم البابلي، وتتضمن القائمة في نهاية «نقش التدنيسات» ليديا الإغريقية «آسيا»، وخمسة أسماء إيرانية، وكان كآريان Arrian أحد الأشخاص المدانين، وصدقت على وجود كآريان Arrian في سارديس Sardis العديد من الوثائق الأخرى، وكانوا في الأساس أشخاصاً عاديين، فمنهم مسؤولو الاستحمام وبائعو النعال الأحذية، وتاجر صنادل، وجزار، هذا بجانب صائغ وتاجر زيوت، كما وجد هناك أيضاً أشخاص ذوو ألقاب دينية، منهم ابن قسيس، وحتى السفير المقدس، وليس كل شخص يحمل اسماً إيرانيًّا يكون بالضرورة أرستقراطيًّا، فكان ميسراشوس عبداً

لرجل يدعى بابيس، وهو الذي كان يعلمه كالليدين، ويجب أن نستنتج من ذلك أن الأسماء الشخصية ليست كافية للتعرف على عرقية الشخص، فمن المحتمل إسهام الزواج، واستعارة الأسماء الأجنبية في هذا المزيج، واعتبر نقش القرن الرابع اليونانيين الليديين ذوي اللغتين شخصاً يدعى ناراس ابن ديونيسوبوليس بعمل إهداء لأرتاميس Artamese .

وهذا -على ما يبدو- هو الحال مع سيسنيس الذي حمل والده اسماً إيرانيًا «إيومانيس»، والذي قال عنه «نقش التدنيسات» أنه عاش في هييراكوم، وكان هذا هو اسم القرية التي عرفت لاحقاً باسم هييروكاكساريا، وصدقت العديد من الأدلة من العصر الروماني على وجود معبد مقدس مهدى لأرتاميس Artamese الفارسي، والذي يعرف -على الجانب الآخر- في هييراكوم بأناهيتا طبقاً لتاسيتوس 3. 63، وقد منح هذا الامتياز الاستثنائي من قبل قورش Cyrus العظيم، حيث كان من المحتمل أنه قد تم العثور على المعبد المقدس كشيء ملازم لعامة الإيرانيين الأصليين الثُفل، كما صدق على الامتياز من الملوك الهلينيين، مثلما اقترح من خطاب أتالوس الثالث الذي يشير إلى كل من أسلافه والملوك الأوائل 68، والمثل الصحيح لهايبابيا -وهو موقع قريب جدًّا من سارديس Sardis وتمولاس- وأبلغ البوسانيون أنه حتى في عصر الرومان استمر المجوس -الذين ذكروا في نقوش هذا العصر- متضمناً أرشيمانجوس في الإشراف على الأضحية أو القرابين، والتضرع للإله بلغة أجنبية 5. 27. 5، كما أبلغت العديد من المنقوشات الأخرى عن انتشار المعبد المقدس لأناهيتا في ريف ليديا وميونيان، وخلف الاستقرار الظاهر، تظهر الأدلة المتاحة عمليات مفصلة للتوفيق بين المعتقدات بين أناهيتا والآلهة المحليين ومن ضمنهم أرتاميس Artamese ، وبالرغم من إظهار العملات في هييروكايساريا على نحو كامل، فقد مثلت الآلهة بخصائص إيرانية حقيقية.

ونعرف أن لسارديس Sardis أيضاً معبد مقدس مكرس لعبادة أرتاميس Artamese لسرديس الذي كان متميزاً عن أرتاميس Artamese لإيفسوس -كما رأينا، كما لم يكتشف معبد القرن الرابع/ الخامس المقدس، ووجدنا دليلاً على ذلك في عدة نقوش ليدية من القرن الرابع، ونص شهير في زينوفون Xenophon ، واسترجع قورش Cyrus الأصغر ذلك بعد الصلح الثاني لدرونتاس معه، حيث ذهب إلى مذبح معبد أرتاميس Artamese ، وقال إنه آسف أناب Anab 1.6.7 *، وكان المعبد المقدس غنيًّت جدًّا كما أوضح ذلك نقش شهير من بداية العصر الهليني، حيث يقول إنه قد ورثت منيسيماشوس محددة في دوريا كبيرة بجانب سارديس Sardis كهدية ملكية، وأنه من الواضح أن أسلاف هذه الملكية قد قصدوا من المؤكد في العصر الأخميني سارديس Sardis 1 .1 .7 ، وقد استعارت منيسيماشوش كميات كبيرة من المال من أرتاميس Artamese لسارديس Sardis ، ومن الواضح أنها امتلكت أرضاً مقدسة، حيث من المحتمل منح الفرس امتيازاً استثنائيًّا عليها مثل أنايتيس لهيراكوم، كما أديرت محتويات المعبد المقدس من قبل حراس المعبد، كما يشير نقش ليدي من العصر الأخميني -على الرغم من بقائه غامضاً- إلى قرض من مديري المعبد المقدس لشخص يحمل اسماً إيرانيًّا وهو متيروداستاس، وهو ابن ميتراتاس .

هل هذا يعني أن الفرس عرفوا أرتاميس Artamese لسارديس Sardis بأناهيتا؟ إن هذا ليس مؤكداً على الإطلاق، فلا شك أن هناك معبد مقدس مهدى خصوصا Susa لأرتاميس Artamese لبرسيكا، على الرغم من أن أول تصديق أدبي يرجع تاريخه إلى 322 بوسانياس 7. 6. 6، فربما كان متميزاً أرتاميس Artamese لكولو، الذي كان يدعى في «نقش التدنيسات» بالنقش الجنائزي لليديا وآرميا المذكور أعلاه، وفي نقش إغريقي يرجع تاريخه إلى قيصر Caesar ، ويقع المعبد المقدس على

بعد 200 مقياس بعدي شمال سارديس Sardis بجانب سترابو Strabo ، والذي يذكر مهرجانات شهيرة تقام على شرف الآلهة 13. 4. 5، وكانت تقام على شواطئ بحيرة غنية بالأسماك، وقد وجد هناك إهداء لأرتاميس Artamese لبارسيكا، مع إثبات وجود مجتمع إيراني مايبوزينوي الذي ربما يكون من الأصل كابادوكيا، في عصر سابق، وبالتالي ليس من المستحيل أن يكون أرتاميس Artamese لكولو يشبه تقريباً أناهيتا الإيرانية والتي كانت إلهة الماء .

ومهما كانت الحالة، نستطيع أن نرى أن مجموع الأدلة يصدق -قبل كل شيء- كثافة استيطان الفرس والإيرانيين ليس فقط في الأراضي المرزبانية العظيمة، ولكن في ريف غرب آسيا الصغرى أيضاً، وتؤكد الدلائل أيضاً تعمق العلاقات اليومية بين الفرس والمواطنين المحليين، وبالرغم من أن العديد من الأدلة متأخرة في التأريخ من العصر الروماني، فبالكاد ليس هناك أدنى شك في أن الصلة بين الأشخاص من مختلف الثقافات كانت دائمة وأساسية من قبل العصر اللأخميني، وكان هذا بالطبع مفهوماً من جانب دروفرنيس، والذي صنع تمثالاً لزيوس -من الممكن أيضاً أن يكون إلهاً محليًّا، ربما زيوس الليدي- كما يستحق النقش الليدي-الآرامي من ساردیس Sardis والذي من المرجح أن تاريخه يرجع إلى أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني أو أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث في هذه الدراسة، ومن المؤكد أن الذي قام بالإهداء هو مانيس ابن كيوملي وحفيد سيلوكا الليدي، بينما تحتوي افتتاحية النقش على تركيبة قريبة من النسخة الآرامية ثلاثية اللغة لإكسانثوس، كما نرى أيضاً أن اسم الشهر مارشيسون موضوعاً في ليديا وباكترا متمثلة من قبل الإغريق لديونيسيوس، كما ندون أيضاً استعارة عدة كلمات فارسية لكل من العمود الحجري والسياج المقدس، وعثر مانيس على ضمان آخر يوضح مشهداً أخمينيًّا تقليديًّا للبطل الملكي مع الأسود شكل

57، وضمان آخر ليدي منحوت باسم إيراني ميتراتيس، كما يشهد الضمان الليدي الوافر بصدق العناصر الليدية والفارسية، واشتراك الفنانين الإغريق أو الفنانين العاملين بالأسلوب الإغريقي على حد سواء.



الشكل 57

كانت لعمق هذه العلاقات تبعات سياسية، وبالتالي فإنه في آسيا الصغرى كان العديد من الإغريق من ضمن المستشارين أو الوسطاء للدبلوماسيين في البلاط لساردیس Sardis وداسيليوم ثيوسيديس 8. 6. 1؛ 85. 2؛ زينوفون Xenophon ، هل 4. 1. 29، ونعرف أيضاً عن العديد من الاتفاقيات الخاصة بالضيافة بين الأرستقراطيين الفرس والمواطنين الإغريق البارزين التي فيها تم وصف تبادل الهدايا والعهود هل 1. 1. 9؛ 4. 1. 39. 40، وكان هذا نتيجة لوجود روابط الضيافة من قديم الأزل، حيث تلقت أنطاليا تعزيزات عسكرية من أريابارزانيس في فريجيا 5. 1. 28، هذا بالإضافة إلى أن جميع قادة المرتزقة التابعين لقورش Cyrus كانوا مضيفين زينوفون Xenophon ، أناب .Anab 1. 1. 10-11 ، ولكن هل كان الفرس أنفسهم مقيمين فحسب بلوتارخ Plutarch ، ليساندر 3. 3 في إيفسوس أو في أي مكان آخر؟ أم أنهم في ذلك الوقت كانوا قد أنشأوا علاقات تأسيسية مع المدينة؟ ليس لدينا الدليل الكافي من آسيا الصغرى لتوضيح هذا السؤال، وبعيد عن إيفسوس والمرسوم المانح للمواطنة لأهالي ساردیس Sardis نظراً للدور الذي لعبوه في العلاقة بالمقدسات، وعلى صعيد آخر تستحق العديد من النصوص والمراسيم الأثينية الذكر، ونعرف أن أورانتوس قد استلم المواطنة الأثينية لنفسه وخلفائه؛ وذلك لأنه باع

القمح للمدينة في أوقات عصيبة 2. 2070، والشيء نفسه بالنسبة لمرزبان داسيليوم وأريابارزانيس وأبنائه الثلاثة، واثنين من مسترشديه الإغريق، وهما فيليكوس وأجافوس، كما صدق نقش أثيني مؤرخ عام 327 على أن فارنابازوس Pharnabazeus وأرتابازوس Artabazeus ، على الرغم من عدم استحقاقهم للقب بالضرورة، كانوا يعتبرون متبرعين، وذلك لمواقفهم تجاه الأثينيين في وقت الحرب تود 199 طبقاً لستيسياس 143 Citicias ، ونستطيع أن نلاحظ أيضاً أن زوبيروس ابن ميجابيزوس كان لاجئاً؛ لأن والدته قد وزعت تبرعاتها للأثينيين، وعلى أية حال، فإن هذه لم تكن المرة الأولى التي يعادي فيها أرستقراطي فارسي الملك العظيم، ويلجأ إلى أثينا بلوتارخ Plutarch ، سيمون 10. -، وبالتالي لا نستطيع استبعاد احتمالية حدوث قرارات مماثلة في آسيا الصغرى من وقت لآخر لصالح أصحاب المقام الرفيع من ساردیس Sardis وداسيليوم على الرغم من عدم وجود أدلة قاطعة لدينا.

4- من سيلينا إلى هاليكارناسوس:

في ربيع عام 333، وصل الإسكندر Alexander إلى خارج حدود سيلينا عاصمة فريجيا الكبرى، ولم يكن مرزبان أتيزيس هناك، فقد اشترك في المعركة بجرانيكوس، ثم انضم إلى دارا Darius ، ومن المحتمل أنه قد بقي على رأس ما تبقى من فرقته العسكرية، وحارب بعد ذلك في إيشوس، وقتل خلال المعركة، وقد روى آريان Arrian 1.29.2 وكوينتوس كيرتس Quintus 6-7 .3.1 Curtius عن قوة موقعة سيلينا، ونعرف أن إنشاء إقامة باسيليون واستعادة أكروبوليس تعود بالزمن إلى الوراء إلى وقتكسركسيس Xerxes زينوفون Xenophon ، أناب Anab 1.2.9، وكان لسيلينا استيطان إيراني كبير، وكان

معروفاً جيداً بجنته الهائلة التي يتم ريها بمصادر مياه مارسياسية 1. 2. 7-9، ومعروفة بولاياتها الحصينة العظيمة حول البلاد بلوتارخ Plutarch 8.5، وهذه الولايات -مقارنة بولايات أسيتاديس بيميسيا- تبرهن على قوة اقتصاد البلد «والثراء في القرى عن المدن» كوينتوس كيرتس Quintus Curtius 3.1.11، وفي الغرب كانت مدينة سيدرارا تقع على الحدود بين فريجيا وليديا هيرودوت Herodotus 7.30، وعندما أعاد تخطيطها قورش Cyrus الأصغر آلت ليكونيا إلى سيلينا؛ وذلك لأن إيكونيم كانت تعرف بأنها آخر مدينة على حدود فريجيا أناب Anab 1.12.19.

وفي الشمال والشمال الشرقي، امتد الطريق الملكي إلى كورديان، حيث وصل إلى هاليس، والتي كانت على الحدود بين كابادوكيا وفريجيا هيرودوت Herodotus 5.52، وقد أخذت عاصمة مملكة فريجيا القريبة الواقعة على سانجاريوس أهمية رئيسة في العصر الأخميني، فقد كان حصن روريون -الذي كان مبنيًّا على تل- محصناً جيداً، وقد تم الدفاع عنه بواسطة القائد النشيط راتانيس الذي استطاع بنجاح مقاومة الحجمات العديدة من قبل أجيسيلوس هل، أوجسير 21. 6، ولموقعها الاستراتيجي كانت جورديون مزودة جيداً بوفرة في مخازن القمح والمستودعات، والتي كانت تكفي لتفسير لماذا اختار الإسكندر Alexander هذا المكان ليقيم به في عامي 333-334، وكان هذا بمناسبة نزول الملك إلى الأكروبول -وهو الجزء الأعلى المحصن- حيث كان يقع قصر جورديون وابنه ميداس آريان Arrian 2.3.1 قبل أخذ الطريق إلى أنسيرا أنقرة الحديثة؛ 2. 4. 1؛ كوينتوس كيرتس Quintus Curtius 3.1. 14-15، وتشير الأدلة الأثرية والعلمية والرمزية إلى وجود الفرس في جورديون والمنطقة المحيطة بها، والتي تقطع الطريق الملكي .

ونحن لا نعرف التاريخ المحدد لإيجاد مرزبانية فريجيا العظيمة، إذ ربما كـان ذلك خلال القرن الرابع، وعلى ضوء ذلك يجب أن نقتـبس ملحوظـة قيمـة بآريـان Arrian 1.24.5 ، حيث قال آريان Arrian في وصفه لمسيرة الإسكندر Alexander خلال جنوب آسيا الصغرى عـن مقاطعـة ميليـان بأنهـا تنتمـي لفريجيـا العظيمـة، ولكنها سجبت كجزء من سينتيدي ليسيا بعد ذلك بأوامر ملك الفرس العظيم، كـما توجد روابط ثقافيـة قريبـة بـين ميليـاس وليسـيا هـيرودوت Herodotus 1.173 ، ويتضح وجود حالة مزدوجة، فعلى الرغم من كونها إدارة مستقلة لسيلينا، إلا أنهـا بقيت مرتبطة ماليًّا بليسيا، وتشـير كلمـة «سـينتيلي» إلى أنهـا دفعـت جزيتهـا مـع الليسيين، كما تم الاحتفاظ بمنظومة جزية دارا Darius الأول جزئيًّا، كما هو مقدم بواسطة هيرودوت Herodotus 3.90 منذ أن كـان الليسـيون والميلانيـون في ذلـك الوقت جزءاً من أول ولاية، هـم والأيونيـون والماغنيسـيون الآسـيويون والآسـيليون والكاريون والبومفلانيون، ولكن تتابع إعادة تنظيم خلق الأراضي للمرزبان والتي لم تعد بالضرورة متفقة في التفاصيل مع الأراضي الأصلية الدافعة للجزية، وقد تنتقـل روح الشعب للمرزبانية المكونة حديثاً، حتى إذا حفظت حسابات الجزية الأصـلية، بالرغم من عـدم تسـمية الملـك العظـيم مـن قبـل آريـان Arrian ، فهـي محاولـة للاعتقاد بأن إعادة التنظيم ترجع إلى عدة عقود للوارد على الأكثر، فقد اتخذ القرار في الصلة بين تكوين المرزبانية التابعة لفريجيا، والـذي نـتج عنـه أيضـاً اخـتلاف في وضع ليسيا.

وفي الواقـع، يوضـح الـنص الشـهير الآن بـثلاثي اللغـة زانثـوس أن ليسـيا كانـت موضوع إعادة تنظيم إداري أساسي تحت إمـرة أرتاكسركسـيس Artaxerxes الثالـث، وفي وقت المرسوم عام 337 كانت ليسيا من ضمن مرزبانية كاريا؛ وذلـك لأن النسـخة الرسـمية الآراميـة تحمـل الآتي:» في شـهر سـيفان في السـنة 1 للملـك أرتاكسركسـيس

Artaxerxes ، في قلعة درنا، قال بيكسودا ابن كاتومينو وهو المرزبان الذي حكم كاريا، وتيرميلا وليسيا: «.....».

ونحن نتعرف هنا على بيكسودورس المعروف من نصوص الإغريق وليسيا العديدة عند إنشاء مرزبانية كاريا في عامي 340-341، وبالتالي في بعض الأحيان، وبالتأكيد في فترة حكم أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث انضمت ليسيا لمرزبانية التي أصبحت فيما بعد مرزبانية ليسيا، كما أن أسباب الإصلاح من الواضح أنها لم تقدم في أي جزء من النقوش، ويجب ببساطة أن نؤكد أن حكام الهاليكارناسوس أخفوا الطموح تجاه ليسيا منذ القدم، وأن إقليم كوراس على الأخص قد ادعت ملكيته كل من مرزبانية كاريا وسلاسة زانثوس الحاكمة؛ ونتيجة لذلك اضطر الملك العظيم إلى فض النزاع على الأراضي بين الشعبين المتحاربين آريان Arrian 1.27.4 ، ديودورس Diodorus 16.113.3 ، وبطريقة يمكن أن تهدئ الوضع لمصلحة السلطة المركزية، فنستطيع أن نتخيل أن هذه كانت هي الأوضاع حينما تمت إعادة تحديد الحالة الإدارية لميلياس، وربما لتسوية نزاع صريح بين الهاريكارناسوس والإيهيناي، كما اتخذ قراراً مهمًّا وجديداً في عهد دارا Darius الثالث، وعند وصول الإسكندر Alexander إلى حدود كاريا تمت تحيته بالطريقة التقليدية من آدا ديودورس Diodorus 17.24.2 ابنة هيكاتامنوس وزوجة إدرياوس، ولكن طردها بيكسودورس خارج الحكومة، وعند موته أرسل أورانتاباتيس -وهو شقيق زوجته- إلى المدينة من قبل الملك للإشراف على الحكومة الكارية آريان Arrian 1.23.7.8 ، وبدون تسميته أشار سترابو Strabo لأورانتاباتيس في حلقة من قطعة عن تاريخ سلاسة هيراتوميد الحاكمة، وقد صرح بأنه قد ناصر الجانب الفارسي، وسأل بيكسودورس الملك العظيم أن يرسل له مرزباناً ليشاركه السلطة، متعاوناً مع روينونيا: «وعندما فارق

بيكسودورس الحياة استولى المرزبان -وهو أورانتوبياتيس- على هيلاكوراناسوس، وعند مجيء الإسكندر Alexander بقي المرزبان في الأسر» 16. 2. 17، فالظروف التاريخية استمرت لتستوقف عدة مشكلات مفسرة في سياق العلاقات بين بيكسودورس وفيليب الثاني ودارا Darius الثالث، ولكي يتضح النص أكثر -إلى حد ما- في نقطة واحدة على الأقل، فمن خلاله هو نفسه عرض بيكسودورس خضوعه للملك العظيم، وتدخل الملك العظيم مباشرة -كما فعل بالتأكيد خلال تتويج بيكسودورس- في التتويج، والنتيجة أن المرزبان الفارسي سمي في أصل هليكارناسوس ببيكسودورس، وبعد ذلك أورانتوباتيس اللذان كانا مبعث السلطة المركزية في كاريا آريان Arrian 1.23.8.

5- بيكسودورس في زانثوس:

دعونا نعود إلى زانثوس ثلاثي اللغات شكل 58، فالضمانات المهمة نقدمها بالتفصيل لإعطائنا معلومات مهمة جدًّا عن إدارة المرزبانية، وعلاقات المرزبان بالمجتمع السياسي لزانثوس، وعن حركة الثقافة المتطورة في ليسيا، ونعرف أن الجمود الحجري الذي يمكن مشاهدته اليوم بمتحف في Fethiye يتضمن ثلاث نسخ: النسخة الرسمية الآرامية منحوتة في المقدمة، وترجمتان؛ إغريقية وليسية على كلا الجانبين، كما نعرف أيضاً أن الموضوع المرسوم هو مادة داخلية في الأساس لزانثوس: مؤسس الخدمة في المعبد المقدس الممنوح من باسيليوس كونيوس لأرساميس، وعند هذه النهاية، احتار زانثوس وجيرانهم في تعيين قس وتخصيص أرض للمعبد المقدس الجديد، وتخصيص الأضحيات لإعطائها للإله .

وتستعرض النصوص العديد من المشكلات المفسرة التي لن نغوص فيها بالتفصيل هنا، فسنعير اهتماماً محدوداً للضوء الذي ستسلطه الوثائق

على العلاقات بين المرزبان ومدينة ليسيا، وقد استمرت الأسباب والتدخل المرزباني في كونها مشكلة صعبة، فسنؤكد بالأخص أن النسخة على أن النسخة الحديثة للنص، وهي النسخ الإغريقية والليسية، ونجد أنها مختلفة في نسخة قاضي المرزبانية، حيث تقدم النسخة الحديثة الحدث في سياق القرارات المتعلقة بالمجتمع السياسي بوليس في النسخة الإغريقية على الرغم من اعترافها بسلطة بيكسودورس في نهاية النص، حيث يقول النص: ربما يكون لبيكسودورس اليد العليا في هذه القرارات»، وعلى النقيض، قدمت النسخة الآرامية قرار زانثوس كاقتراح بسيط، حيث تقول: «نحت بيكسودورس هذا القانون، فمن هو سيد القرار»، فسلطة المرزبان في ليسيا أكدت بالتفاصيل الموضحة في النسخة الإغريقية والليسية، ففي الحقيقة، نحن نعلم أن بيكسودورس قد عين مفوضين/ حاكمين في ليسيا، وهما هيرون وناتربييمي أبوللودوتوس، وعين أيضاً مسؤولاً الشؤون/ محافظاً في زانثوس، ومن الواضح أن اسم إرتيميلي أرتاميدس هو اسم ليسي، كما أن افتتاحية النسخة الآرامية ليست بالغامضة: «في شهر سيفان في السنة 1 للملك أرتاكسركسيس Artaxerxes في قلعة أرورنا، قال بيكسودا ابن كاتومنو المرزبان الذي يحكم في كاريا وليسيا .....»، حيث إن صيغة «قال» تقدم -على الأوضح- مرسوماً مرزبانيًّا، ويوضح النص جيداً العلاقات بين المجتمع المدني والسلطة الأخمينية، واشتراك بيكسودورس في هذا الشأن لا يختلف عن المبادرات والتدخلات المرزبانية أو الملكية الأخرى المعروفة في الشؤون الداخلية للممارسات الدينية المحلية طوال العصر الأخميني حماية كل من الآلهة والمرزبان الذي كان يعتبر أيضاً ضامناً.

وبالرغم من الشكوك على المستوى السياسي، فإن المنظومة السياسية في تصديقات زانثوس ثلاثي اللغة تحولات كبيرة للوضع في ليسيا، حتى إذا كان وجود الحاكمين مقترناً بالانقسام التقليدي بين شرق

وغرب ليسيا، فيوضح اختفاء عملات السلالة الحاكمة أن ليسيا أصبحت كاملة، ويبين دليل آخر ممارسات الإدارة المرزبانية، وهو أن اليونانيين-الليسيين الثنائي اللغة من زانثوس ربما يكون في الأصل ثلاثي اللغة يشير إلى أن قانون ليسيا منحوت على عمود حجري، ويصب اللعنات على من ينتهك الشروط القانونية، فمن الواضح أنه في تاريخ ما -وربما قريباً من زمن تلك الثلاثية اللغة- صنع بيكسودورس معروفاً كبيراً لبلدان الوادي كاندايندا، وبينارا، وفيوس، وزانثوس ليعتمدوا ماليًّا مرة أخرى «بأية طريقة يختارونها» ضرائب تجارية إلا في الأوقات المعتادة -من الواضح- أنها ستكون منتمية لبند الملوك أو ضرائب المرزبانية أو كلاهما، كما منح مرسوماً من المجتمع الكاري لبلاراسا، والذي يرجع تاريخه أيضاً إلى فترة حكم بيكسودورس إعفاءً ماليًّا لشخص يدعى ديون من كوس فيما عدا الضرائب الملكية، ووضحت نصوص أخرى أن المدن التي كانت مسؤولة عن الضرائب المدنية -في أفضل الظروف- لم تكن مسؤولة عن الضرائب الملكية التي كان يجب دفعها بطريقة أو بأخرى، والترتيبات من هذا القبيل كانت بالتأكيد مقامة، لكن المدن والمجتمعات كانت معرضة لدفع الجزية لدارا Darius ، وكانت هناك أوضاع خاصة فقط مسموح لها بالتنوع، ومثال لذلك سمح مرسوم من الإسكندر Alexander لأهالي إيفسوس بإهداء أرتيميس الجزية المدفوعة عادة للملك العظيم آريان Arrian .1.17.10

النقش الآرامي:

* في شهر سيفان في السنة 1-2 للملك أرتاكسركسيس Artaxerxes

3 في قلعة دونا، قال

4 بيكسودا ابن كاتومنو، المرزبان

5 الذي يحكم في كاريا وليسيا:

6 «خطط مواطنو أورنا

7 لبناء حرم مقدس ؟ للملك

8 «إله كونوس ورفيقه»

9 «وجعلوا القس سيمياس

10 ابن كودوراسي، وهناك أيضاً ولاية

11 التي أعطاها مواطنو أورنا

12 للملك الإله، «وسنة وراء سنة

13 قد أعطوا

14 مينا ونصف من الفضة في جزء من البلدة،

15 أعطى القس المشار إليه في بداية الشهر خروفاً كأضحية

16 للملك الإله، كما يقدم ثوراً واحداً كقربان ؟

17 عاماً بعد عام، كما حررت الولاية المشار إليها

18 والتي هي ملكة»

19 «هذا القانون تم نحته من قبله وهو بيكسودورس، وهو سيد القرار، وأيضاً

20 إذا ما سرق أي شخص شيئاً

21 من الملك الإله أو من

22 القس إذن، ففي موقعه يمكن أن يسرق من الملك

23 الإله ورفيقه

24 وبواسطة الإله لاتو وأرتميس

25 هيسترابتي وآلهة أخرى، يمكن لشخص ما

26 أن يسرق أو تطالبه هذه الآلهة بالتكفير.

النقش الليسياني:

* 1-2 عندما أصبح بيجوسير -وهو ابن كاتاميا- مرزباناً لليسيا، وعندما عين

3 مفوضين لليسيا

4 وهم ليرو وناترابلايم

5 وجعل أرنو حاكماً وهو إيلامي

6-7 أقر مواطنو أرنا والتابعون لها ؟ بإقامة ؟ هذا الحرم المقدس للملك

8 جونوس و

9 للملك أركازوما، وعينوا قساً من أجل

10 الإله سيمياس ابن كونكلوراهي،

11 والذي سيكون قريباً لسيمياس، كما

12 حرروا ما هو ملكه، كما

13 أضافت البلدة والتابعون لها

14-15 حقول البلدة، وقد سقاهم لو وخيسينتيدي ... وبيجرس

16 وكل ما أضيف وشيد سيكون ممتلكات الملك

18 جونوس وملك أركازوما، وسيعطيه أرنا

19 سنويًّا آداس للراتب

20 ويطالب أيضاً بإعطائه اثنين من العبيد سيجلوي من جميع العبيد الذين سيتم تحريرهم فيما بعد

22 كما كرس للشخص

23 كل شيء كتب على هذا العمود الحجري

24 لملك جونوس وأركازوما

25 ومن سيأخذ هذا النفع

26 سوف يضحي كل شهر

27 بخروف، وسيضحي سنويًّا

28 بثور، وذلك من أجل ملك جونوس وأركا

29، والذي سيضحي هو سيمياس، وهو الذي

30 سيكون قؤيباً من سيمياس

32-30 كما أن بلدة أرنا والتابعين لها جعلوه قسمهم من أجل هذا القـانون، وبالتالي أنشئ هذا القانون

34 المنقوش بأكمله على هذا العمود الحجري، ولن

35 يلغيه أحد سواء كان هذا الإلغاء متعلقاً بهذه الآلهة

36 أو متعلقاً بالقس، وإذا ألغي

37 من قبل شخص ما، فسيعاقب من قبل تلك الآلهة

38، ومن

39 قبل بينتريني وأبنائها و

40 من الإيليانا إلى بيجيسير إذا ما قام أحد .....،

41 إذن ..... .

النقش الإغريقي:

* 1-2 عندما أصبح بيكسودارس -ابن هيكتومنوس- مرزباناً لليسيا، عين

3 هيرون وأبوللودولوس حكاماً على مدينة ليسيا

4 وعين أرتيميديس حاكماً على

5-6 زانثوس، وقد أقر الزانثويون والتابعون لهم بإنشاء

7 مذبح لملك جونوس و

8 لأركيسيماس، كما اختاروا ابن كوندوراسيس

9 ليكون قساً سيميس، وهو الذي

10 سيكون دائماً الأقرب لسيمياس

11 وأعطوه كل ممتلكاته

12 معفاة من الضرائب، كما أعطت البلدة الأرض

13 إلى عمل

14 عليها كيسينديليس وبيجرس، وكل ما هو ملاصق للحقل

15 والمباني لملك

16 جونوس وأركيسياماس، وكل عام سيتم إعطاؤهم

17 ثلثي ميناس وهي عملة

18 مقابل هذا الجزء من البلدة، وهؤلاء

19 الذين سيتم تحريرهم سيدفعون

20 للإله دراخمتين وهي عملة يونانية، كما كرس

21 كل ما هو منقوش

22 على العمود الحجري كاملة لملك

23 جونوس وأركيسيماس، كما ستتم التضحية في كل شهر قمري جديد بخروف

24، وكل عام بثور

25 على جميع الأرباح

26 المستحقة منها، كما تعهد

27 كل من الزانثوسيين والتابعين لهم

28-30 كل ما هو منقوش على العمود الخاص بهـذه الآلهـة والقـس، وعـدم إزالة أي شيء

31 منها، وعدم السماح لأي شخص آخر يفعل هذا

32 وإذا بدل أي شخص القواعد

33 سكون مذنباً فيما يتعلق بهذه الآلهة

34 وفيما يتعلق بليتو وخلفائه و

35 نيمفس وبيكسودورس هو سيد القرار .

6- من طرسوس إلى مازاكا:

بداية من طرسوس، نستطيع الكشف عن إعادة تنظيم إداري آخر، فنعرف أنه في حوالي عام 350 تـولى مـازايوس Mazaeus حكـم كيليكيـا Cilicia ، بيـنما كـان بيليسـيس حـاكماً لإيفـراتيس Euphrates ديـودورس Diodorus 16.42.1 لدرجة أننا نستطيع تأريخهم بالتأكيد، فتشير عملات مازايوس Mazaeus إلى أنه بعد سقوط سيدون، رأى نشر قواته، حيـث إن الأسـطورة الآرامية عـلى عملاتـه التي تم سكها في كيليكيا Cilicia تحمل رمز مـاداي الحـاكم لإفـراتيس وكيليكيـا Cilicia ، وهو اللقب الـذي ظـل يحملـه عنـد وصـول الإسـكندر Alexander ، فربط الولايتين هو بالتأكيد منطقي؛ لأن كيليكيا Cilicia كانت تطل قريبـة أكـثر من سوريا، فقد حكم المرزبان طارسوس من حيـث كـان محـل إقامتـه زينوفـون Xenophon ، أناب Anab 1.2.23، وبدون شك أنه كان لـه تـابع في دمشـق كوينتوس كيرتس Quintus Curtius 5.13.11 ، وقد كانت بلدة محصنة ولها حاكم في عام 333 3. 13. 2، واستمرت بعد عام 323 في الحفاظ على أهميتها التي حصلت عليها في العصر الأخمينـي عـلى الطريـق بـين بابـل ومصر داي



الشكل 59

67؛ آريـان Arrian ، فصـل 6، هـ 156، فصل 9. 28 .

وبشـكل عـام، فقـد تمـت الاستهانة بعمق واتسـاع الأراضي الفارسـية في كيليكيـا Cilicia ، ولتقييمها يجب أن نؤكد على أن اسـتخدام مصـطلح كيليكيـا Cilicia يمـنح -باصـطناعه- وحـدة سياسـية للإقلـيم الـذي بداخله، وبعيداً عن أدنى شك في العديد مـن الأوضـاع المختلفـة المتداخلـة ديـودورس Diodorus 14.19.3 ، فقد أحب المؤلفون الهلينيون اليونـانيون والكلاسـيكيون التأكيـد عـلى التضـاد بـين الساحل الكيليكي والهضبة الكيليكية في وصفهم للإمبراطورية، وهـذا هـو مـا فعلـه سترابو Strabo 14.15.1 عندما ميز كيليكيا Cilicia الفارسية عـن كيليكيـا Cilicia التراشية في عنصر الإدارة سابقاً من سولوي إلى طرسوس وإيشـوس، كـما وجـد هـذا التفسـير أيضـاً في آريـان Arrian الـذي يتحـدث عـن رحلـة استكشـافية بقيـادة الإسكندر Alexander عام 333، والتي انطلقت من سـولوي في مقدمـة الأسـطول، فقد قام الإسكندر Alexander بحملة ضد الكيليكيين المالكين للهضاب، وفي سـبعة أيام ليس أكثر أخرج بعضـاً مـنهم، وأقنـع الآخـرين بالـدخول في معاهـدات وعقـد اتفاقيات، ثم عاد إلى سولوي 2. 5. 6 .

فسيادة الفرس على الساحل مشهورة بكثرة مـن بعـد نهايـة القـرن السادس، وقـد كـان للفـرس -بـالأخص عـلى السـاحل- قواعـد عسـكرية ومستودعات أسلحة ملكية، ومن الواضح أن تعيين مرزبـان كامـل الرتبـة بطرسوس دل على ضعف في قوة السينيسيس القدامى، وعلى الرغم مـن

عدم استطاعة تحديد التاريخ بالضبط، فلن تكون أكثر من وقت تنصيب مـازايوس Mazaeus ، فوضحت سلطة مازايوس Mazaeus على المدن الساحلية من خلال العملات التي تم سكها في طرسوس وسولوي ومليوس وإيشـوس، وكان على هـذه المدن أيضاً دفع الضرائب والجزية اقتداءً بنموذج أسبيندوس البامفيلي الـذي جهـز لكل عام عدداً محدداً من الأحصنة كجزيـة ملكيـة طبقـاً لقانون مشرع جيـداً في كيليكيا Cilicia نفسـها هـيرودوت Herodotus 3.90 وفي أرمينيـا أيضـاً زينوفـون Xenophon ، أنـاب Anab 4.5.34؛ 5. 24 وسترابو Strabo 11.14.9 ، فوجـود جزية ملكية مفروضة على ماليوس مؤكـدة مـن قبـل آريـان Arrian 2.5.9 ، ومـن الواضح أن الغرامة الموقعة عـلى سـولوي مـن الإسـكندر Alexander 2.5.5 كانـت بالإضافة إلى الجزية العادية، ويبدو أيضاً أن الملوك والمرزبانات قد عينوا مرتزقة من هذه المنطقة، وبالتحديد أسبيندوس بكيليكيا Cilicia ، وهي بلدة كانـت مشـهورة بشجاعة رماة السهام بها نيبوس Nepos ، دات 8. 2؛ زينوفون Xenophon ، أناب Anab 1.2.12 ، فبلدان الساحل الكيلـيكي كانـت مدمجـة في المنظومـة العسـكرية للإمبراطورية، حيث كان مطلوباً من كل بلدة إرسال فرقة محددة للأسـطول الملـكي آريان Arrian 2.20.2 ، سـولوي وميليـوس، وأكـد نظـام العمـلات لمدينـة كيليكيـا Cilicia تلقائيًّا مغزى التقليد المحلي كوينتوس كـيرتس Quintus Curtius 4.8.22 تقديم الموضوعات الفارسية، وتبني أمثلة إغريقية شكل 59.

عودة لكيليكيا Cilicia التراشية:

يمكـن أن نقـرأ حملـة الإسـكندر Alexander هنـاك بطـريقتين مختلفتين، فلا تعني حقيقة قيامه بحملة في هذا الإقلـيم وجـود توسـع في السيادة الإمبراطورية في إقليم ترك لنفسه سابقاً من قبل الفرس، ومع ذلك فإن مرزبان كيليكيا Cilicia قاد حملات دورية ضد الشعوب التـي كانـت

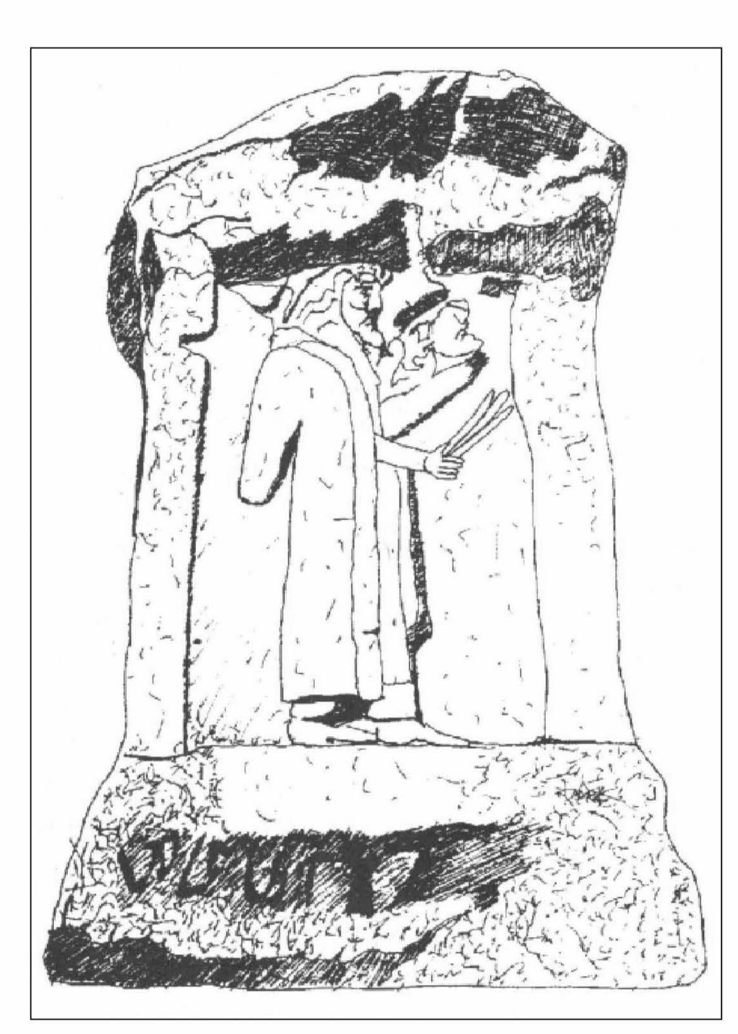
تستغل قوة مواقع جبالهم لتحرير أنفسهم من سيطرة السلطة المركزية، وكانت هذه في الواقع إحدى المهام المؤكدة من الإسكندر Alexander لبالاكروس، والذي قاد حملة غير ناجحة ضد إيشورا ولارنادا ديودورس Diodorus 18.22.1 ، فوجود الفرس على أية حال، شهد عليه في الدولة الكبرى في موقعة ميدانسيكالي، حيث اكتشفت المقاطعة التي كانت مثالاً نجده في بيرسيبوليس Persipolese ، كما عثر على نقشين آرامين هناك أيضاً، ويرجع تاريخ واحد منهما -وهو متهالك بشكل كبير- إلى عهد أرتاكسركسيس Artaxerxes ، ويتضمن كلمة داتاه، ومن الجيد أن نعرف أن الموقع كان محتلاً منذ زمن مبكر؛ لأنه كان مصدقاً عليه من العصر البابلي الجديد تحت اسم كيرسو وجد في النص الآرامي، وكان هذا هو الحال بالنسبة إلى الكنوز الملكية في سييندا على الساحل الكيليكي .

ومن ضمن المجموعات السياسية الثانوية، يجب دراسة المعابد المقدسة العظيمة، والتي عرفت خاصة من جهة سترابو Strabo ، وعلى الأخص المعبد المقدس لأرتاميس Artamese الفارسي بكاستابالا، والتي سميت بعد ذلك هييرابوليس، وكانت تقع في وادي بيراموس، كما وجد هناك نقش آرامي يرجع تاريخه إلى العصر الأخميني، ويصف هذا النقش حدود أرض المعبد المقدس، حيث تم التعرف على السلطة المحلية لسلالة تارخونديمونتوس الحاكمة على مدى العصر الروماني، ويذكر اسم السلالة الحاكمة بأصولهم اللوفيانية المختلفة، مشابهة لاسم تاركوماوا الذي -طبقاً للنظرية الأكثر قبولاً- يظهر في الآرامية على عملات كيليكيا Cilicia المنسوبة لداتاميس، ويحدد سترابو Strabo موقع كاستابالا-هييرابوليس في قطونيا 12. 2. 2. 7، وهي منطقة وصفت حدودها الجغرافية والإدارية بشكل ضعيف في العصر الأخميني «سهل متسع مفرغ، ينتج كل شيء»، وتسقى قطونيا ببيراموس، وهو نهر

ملاحي يصل إلى البحر في كيليكيا Cilicia وبكارمالوس، والإقليم محاط بالجبال، ويوجد به القليل من المدن، ولكنهم يملكون حصوناً منيعة على الجبال، وهذا ما قد تأكد من نيبوس Nepos : «كانت البلاد كثيفة الأشجار، ومغطاة بشبكة ثقيلة من الكاستيلا دات 4. 2، ومن ضمن حصونها، سمى سترابو Strabo نورا، «حيث تحمل إيومينيس الحصار لفترة طويلة» 12. 2. 6، وعرفت نورا بقوة مكانتها في بداية العصر الهليني، وبالتأكيد كانت تحتل تلك المكانة أيضاً منذ العصر الأخميني، مثل العديد من القلاع الأخرى التي -مثل حاميات ميسيا زينوفون Xenophon ، أناب Anab 7.8.15 - كانت تستطيع بسهولة مساعدتها ديودورس Diodorus .19.16.3

وبعد فترة طويلة، أنشأ إقليم كاستابالا إدارة مقسمة لأهالي كاستابالا، ونعرف بوجود ستراليجوس والقس الأكبر بقطونيا»، وهو بناء منظومي يمكن مقارنته بالمنظومة الموصوفة عدة مرات من قبل سترابو Strabo في «ولايات المعبد» لأناطوليا اليونانية-الرومانية 12. 2. 3، وللعصر الأخميني الحقيقي فإن أكثر نص مثير للأحداث هي قطعة في نيبوس Nepos التي تصف الأراضي في أسبيس، والتي أرسل أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني داتاميس لمواجهتها «آمراً إياه بالهجوم على أسبيس حاكم قطونيا، حيث تقع هذه البلدة خلف كيليكيا Cilicia بجانب كابادوكيا» دات 4. 1، وأظهرت عواقب القصة أن البلدة قد قطعت بطرق رئيسة منذ استغلال أسبيس لموقعها لحصر الجزية التي كانت قد بعثت للمكل العظيم 84. 2، ويجب أن نظهر أهمية أحد هذه الطرق، وهو الطريق الذي يقود من قطالونيا إلى البوابات الكيليكية من خلال تيانا سترابو Strabo 7-9 .12.2 ؛ زينوفون Xenophon ، أناب Anab 20 .20 .2 .1 دانا، وكان من المحتمل اختيار داتاميس كعميل لأرتاكسركسيس Artaxerxes ؛ لأن والده كوميساريس نصب نفسه

لمنصب رسمي، ففي الواقع حكم كاميساريس ذلك الجزء من كيليكيا Cilicia الذي يربط كابادوكيا، وكان مسكوناً من قبل السوريين البيض 1.1.، ومن الواضح أن هذا الإقليم هو قطونيا، والذي كان يقع في المنطقة الأمامية بين كابادوكيا وكيليكيا Cilicia ، ومن الواضح أنه كان في هذا الوقت تابعاً لمرزبانية كيليكيا Cilicia ، على الرغم من أن القطونيين كانوا من ضمن الفرق الواقعة تحت سلطة دارا Darius الثالث في جوجاميلا، وهذا حيث كانت تقع البلدة الرئيسة ومازاكا والتي سميت فيما بعد إيوسيبيا بجانب أرجوس بعد البركان الذي ارتفع لمسافة 3900 متراً فوقها سترابو Strabo 12.2.7 ، وتبعد 35 كيلومتراً من شمال شرق القيصرية المستقبلية، وربما كانت ماكازا في العصر الأخميني موقع نائب حاكم قطونيا الذي يدعى كاميساريس، ولاحقاً أسبيس .



الشكل 60

وليس بعيداً عن مازاكا، وجدت قاعدة مذبح كنيسة، وكانت على أوجهها الأربعة مشاهد فارسية تقليدية منحوتة عليه: «التضحية بماجي»، وهو مشابه إلى حد كبير للمشهد على أحد الأعمدة الحجرية من داسيليوم شكل 60، فمن المحتمل أن يكون الفرس قد أنشأوا عبادة النار على أرجوس البركاني، وبالتالي، استيعاب عبادة المرتفعات لصالحهم، نظرية تستدعي العقل بمعبد أنايتيس بارزوكارا المقدس، ويدل الاسم

الإيراني المقدس على جبل عالٍ معروف بجانب كابادوكيا، وبالجوار ببلدة من هانيسا، والتي بنيت على موقع كانيش الأثري يعطي نقشاً -عثر مؤخراً عليه- الدليل على السلالة الحاكمة للشعب الإيراني، ويشبه كثيراً التي في كابادوكيا المجاورة، كما عرف «الحاكم والقس الأعلى» لقطونيا أيضاً من نقش عثر مؤخراً عليه، والذي يحمل اسماً إيرانيًا هو أرساميس، وعلى اسم أسرة محلية هي لازميس، وفي داخل حدود كابادوكيا وقطونيا، صدق نقش إغريقي عثر مؤخراً على الاسم الشخصي لكاستاباليان، وهو تاركونديوس، وكان هنا عندما أعيد نسخ نقش إريقي آرامي على شرف ساجرياس ابن مايفيرنيس، القائد/ رئيس الحامية الأرميني، الذي أصبح مجوسيًا «ميثرا»، وتوضح هذه المادة بقاء الأسماء الإيرانية مايفيرنيس الذي وجد أيضاً في هانيسا وسيلاينا، وخلطهم بالأسماء المحلية ساجاريوس الذي عرف أيضاً في سارديس Sardis ، بالإضافة إلى استمرار اللغة الآرامية والديانة الإيرانية، كل مكون يعود -من الواضح- إلى العصر الأخميني .

وتوضح كل هذه الأدلة أن احتلال الأراضي الأخمينية كانت أكثر كثافة من المطالب به عامة على أسس ملائمة، ولكنه انقسام خادع جزئي بين السهل والجبل أو الساحل والداخل، فبداخل كيليكيا Cilicia هناك تقسيمات سياسية محكومة من قبل نواب الحكام، مثل كاميساريس وأسبيس في قطونيا، والتي يمكن أن تقارن مع اسم شخص في نقش آرامي للعصر الأخميني، وجد في هيميت، والتي كانت قريبة لكاستابالا-هيرابوليس، ويمكن أن يشير لقب المرزبان إلى أن الشخص الذي يحمل اسم لوفيان يملك -نوعاً ما- منصب سياسي في الإقليم، وحتى إذا كان الاسم مجرد تعريف لحاله فقط، فإنه يرمز إلى الشخص بتحسن حالته الاجتماعية باستخدام كلمة فارسية، ويوضح دليل آخر، على الرغم من دوام صعوبة إثبات التاريخ أن هناك دياسبور فارسي في مختلف

الأقـاليم المعرفـة لكيليكيـا Cilicia واسـتعارة أسـلوب الحيـاة الفـارسي: «وتـريح اليونانية-الفارسية نقش آرامي في سـارايدين: 35 رقـم جيبسـون 2، حيـث يتفـاخر شخص مـا بشـجاعته في الصـيد في الجنـة: نيبـوس Nepos ، دات 5. 4، ولم يصـدق سابقاً نقش إغريقي عثر عليه مؤخراً الذي يذكر لقب ديني إيراني سـاتـابـارا، وأخيراً يمكـن أن نؤكـد عـلى أن عمليـة كيليكيـا Cilicia مشـوقة ومعزولـة وغـير مؤرخـة تكشف عن ملك بستاني .

7- من طرسوس إلى ساماريا من خلال سيدون وأورشليم:

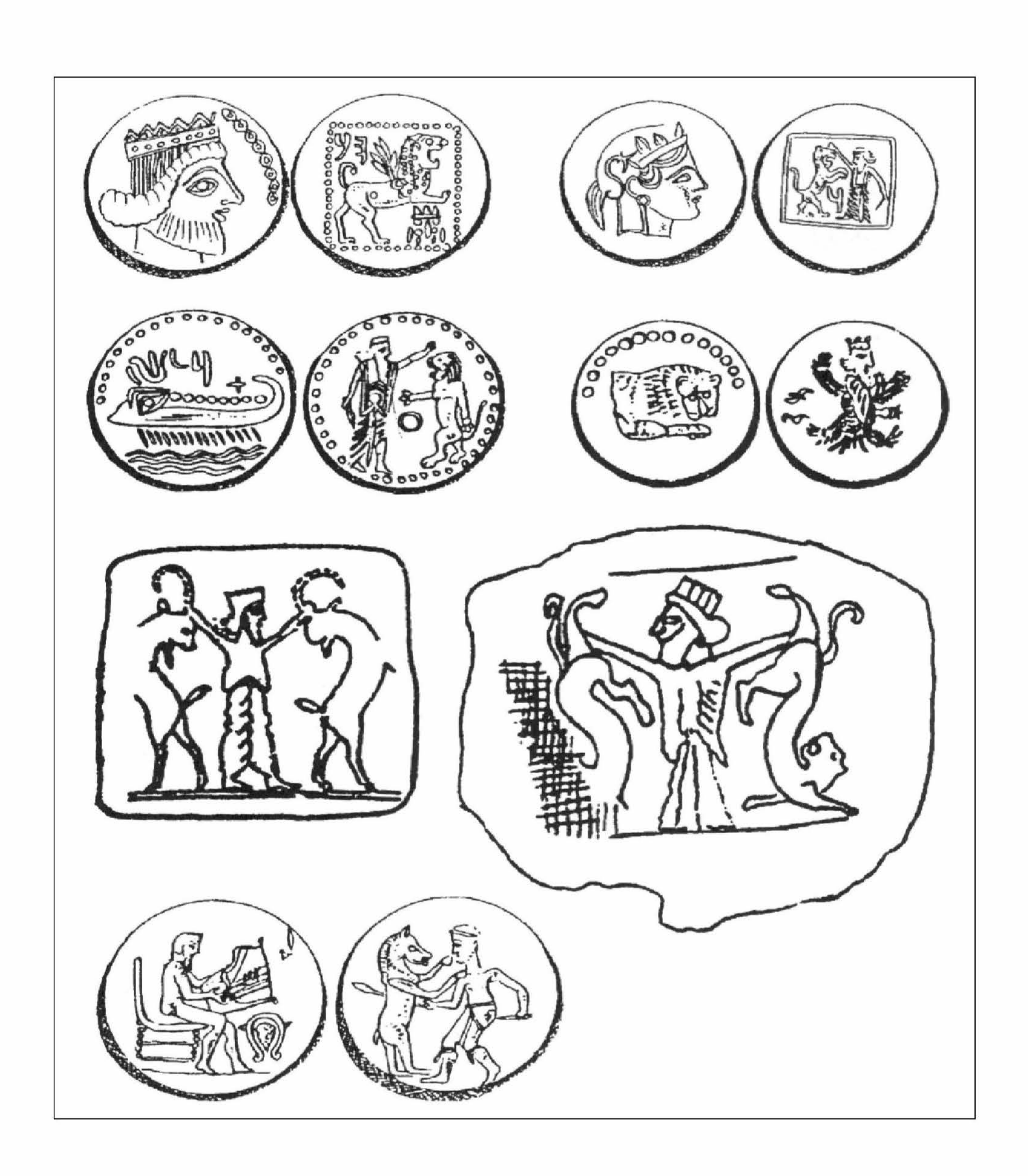
إن إعادة غزو أرتاكسركسـيس Artaxerxes الثالـث لمصر قـد أدى إلى إعـادة تنظيم إدارة أخرى في إيوفراتيس، وبالتالي، فقد امتدت أيضاً سلطة مازاروس جنوبـاً من قاعدته الأساسية في كيليكيا Cilicia إلى الحدود المصرية بعد أخـذ قـبرص مـرة أخـرى، سـمحت لجـزر الملـوك ومـن ضـمنها سـالاميس بالحفـاظ عـلى مـواقعهم ديـودورس Diodorus 1-3 .16.46، ولكـن بالتأكيـد طلـب مـنهم تجديـد عهـود الحلف 15. 9. 2، وهذا سؤال يبحث في مشكلة سيدونيون بالتضـاد مـع مـا جعلنـا ديـودورس Diodorus نفهمـه 16. 45. 4. 6 بتأييـد موضـوع روائي معـروف جيـداً هـيرودوت Herodotus 1.176 ؛ ديـودورس Diodorus 8 .4 .22 .18، فلـم يـتم محو سيدون من الخريطة، ولم تتم إزالة شعبها بالكامل، وقد أكد ببسـاطة ترحيـل النساء السيدونيين إلى «القصر الملكي ببابل»، والـذي يشـار إليـه في التـاريخ البـابلي المسلسل كرونيكي 9. ص114 حقيقة نوع المعايير الثأرية المعتادة في تلك الظـروف، وبعد كـل شيء، فبالكـاد لـيس هنـاك أدنى شـك في أنـه طلـب مـن المدينـة إمـداد الأسطول المصاحب لأرتاكسركسيس Artaxerxes إلى الـدلتا بفرقـة بحريـة، وتمنعنـا قداسـة الـدليل المبـاشر مـن الوصـول إلى اسـتنتاج قـاطع بخصـوص الحالـة

المنوحة لسيدون أو المفروضة عليها، والسؤال يكون: هل أديرت البلدة مباشرة بالفرس بعد إعادة الغزو من قبل أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث؟ أم بقيت على استقلالها النسبي الذي نعمت به قبل التمرد؟ من المعتقد دائماً أن الملك العظيم ألغى منح واحد من أسلافه لقب مستشار الملك فصل 12/3، ولكن بقي التوثيق موجزاً بشكل كبير، وعلى الجانب الآخر لا يوجد شك في أنه بعد عدة سنوات 341-342 تمت قيادة سيدون مرة أخرى من قبل ملك يدعى ستراتون الثاني، حيث عثر على عملاته، ونعرف أيضاً أن مازاروس سك عملات في سيدون، واستمرت عملاته بدون انقطاع بين عامي 333، 343، ولكن ليس هناك ما يثبت أننا يجب علينا تفسير هذا كدليل على تحديد عنيف للامتيازات السيدونية، فقد أوضحت تقارير مؤلفي الإسكندر Alexander أن ستراتون -ملك سيدون المعين من قبل الملك العظيم- كان مخلصاً تماماً للفكرة الفارسية كوينتوس كيرتس Quintus Curtius 4.1.16 ؛ ديودورس Diodorus 17.47.1 ، وفي التخطيط الاستراتيجي الأخميني شكل دائم للساحل الفينيقي، بالمشاركة مع قبرص، وكيليكيا Cilicia كقاعدة إمداد وتموين بحرية مهمة، كما أكدت بتشكيل بحرية فارسية في عامي 332، 334 آريان Arrian 1.19.7 ؛ 2. 16. 7؛ 2. 20. 1، وتم الاعتراف بشيبياردس في تريبوليس 2. 13. 3-4، وقريباً سيتم الاعتراف بغابات لبنان كوينتوس كيرتس Quintus Curtius 4.2.18، وأهمية هذه المنطقة للعمليات البحرية أجلت تقدم الإسكندر Alexander إلى حيث تمركز أسطوله الإندوسي من معدات فينيقية وقبرصية وكارية ومصرية آريان Arrian 6.1.6 ، وعندما كان الإسكندر Alexander يخطط لحملته ضد العرب استولى على مواقع السفن الفينيقية مثال، 7. 19. 3، وبقيت هذه المواقع التي امتدت من غابات لبنان، وظلت نشطة خلال عهد ديادوتشي ديودورس Diodorus 19.58.2-5.

وكانت السلطة الأخمينية مؤسسة جيداً في ساماريا، على الـرغم مـن عـدم وجـود معلومـات رسـمية لـدينا بعـد اتهـام اليهـود لسـابالات وأولاده دالايـاه وسـيليمياه في نـوفمبر عـام 407 داي 102-3؛ 31/31-32، وتضـيف البرديـات والعلامات على الأختام والعملات الآرامية تفاصيل مهمـة، فقـد عـثر عـلى تلـك البرديات وبعض العلامات في عام 1962 في أحـد الكهـوف بـوادي داليـاه بجانـب زيريكو، وقد تم اكتشاف العمـلات في مـؤنتين، واحـدة في نـابلس بـددت حاليًّـا، والأخرى في ساماريا، وذكرت العديـد مـن هـذه العمـلات مـازايوس Mazaeus : ليست إليّ من مؤنة ساماريا من الواضح أنها مؤرخـة في تـاريخ سـابق عـام 345، ولكـن عـلى أربعـة عمـلات في مؤنـة نـابلس نـوس 14 و16 و21 و48، ويرجـع تاريخها إلى ما بين 333-343 و345، كما عثر أيضاً على عملات سيدونية مسكوكة باسم مازايوس Mazaeus في مؤنة نـابلس، ومـن ضـمن المـواد التـي مـن داليـاه عملة من طرسوس مختومة باسم مازايوس Mazaeus ، وسـجلت البرديـات مـن وادي داليـاه أعـمالاً خاصـة يرجـع تاريخهـا لفـترات حكـم عـدة ملـوك عظـماء، ويسمى أيضاً حاكم ساماريا تمتلك إحدى البرديات الأكثر إمتاعاً، والأفضـل حفظـاً الافتتاحية الآتية: «اليوم العشرون من شهر آدار، السنة الثانية، سنة تتويج الملـك دارا Darius على العرش بساماريا القلعة، والتي في ساماريا الإقليم»، وبعد ذلك، ومع بنود الضمانات والتصديق، تظهر صيغة قبـل بيشـورا ابـن سـانبالات حـاكم ساماريا وحنانيا، الحاكم، وللبداية، فإن الوثيقة ميزة فريدة لكونهـا مؤرخـة لكـل لحظة انتقالية بين أرتاكسركسـيس Artaxerxes السـنة 2، ودارا Darius الثالـث السنة، والتي هي 19 مارس عام 335، وهي آخر الوثائق، حيث إن أغلبهم يعـود تاريخهم إلى أرتاكسركسـيس Artaxerxes الثالـث، والأقـدم تعـود إلى عـام 375، بالإضافة إلى أننـا لاحظنـا أن سـاماريا المصـطلح الـذي يشـير إلى البلـدة والقلعـة والإقليم على التساوي، كانت تظل تدار بواسطة حاكم يساعده مدير، وأخيراً، من

الواضح أن خط سانبالات الأول قد ظل في مكانه على الأقل منذ دارا Darius الثاني يوشوا، في كل الاحتمالات، وهو حفيد سانابالات الأول من ابنه سانابالات الثاني 41-45، أو من خلال دالياه 49، وكان الحاكم حنانيا شقيق سانابلات 2، والذي نجح كحاكم ساماريا 7، 9، 29-30 طبقاً لزوسيفوس أنت 11. 302، وقد مثل سانابالات آخر مرزبان لسماريا -إذا كان له وجود- كان سوف يجب اعتباره سانابالات الثالث ابن حنانيا، وبالتالي نرى هنا تتويج عدة أجيال، والتي ستكون إلى حد ما مذكرة لنا بهيكوميديس كاريا، وفي هذه الحالة سيرث أفراد العائلة الواحدة لقب حاكم، على الرغم من عدم وجود شك في أنه في كل تتويج كان يمنح اللقب الجديد مباشرة من السلطة الملكية، والتي دائماً ما استبقت الحق الملكي لفرض السلطة على من تشاء إذا ما بقيت العائلة الواحدة على هذا التفوق، فإنه من الواضح أنها أثبتت ولاءها المتصل بالملك العظيم من على الأقل دارا Darius الثاني إلى دارا Darius الثالث، كما تأتي المعلومات عن جوده من العملات أيضاً، حيث كانت تسك العملات باسم ياهيزقياه الحاكم»، وأخرى باسم «جاهانان القس الأكبر»، ولسوء الحظ استمرت التواريخ القريبة للعملات والعلاقة المسلسلة بين الحاكم والقس الأكبر اللذان استخدما نوعاً واحداً من العملات في كونها مشكلة كبيرة، ولكن الجدير بالذكر أن هذه الإدارة المشتركة كانت مؤثرة؛ لأنه في عام 407 و410 يعث يهود إليفانتين مظلمتين متتاليتين، واحدة لمواطني جوده القياديين وواحدة أخرى لجوهانان «القس الأكبر»، والثانية لباجوهي الحاكم داي 102؛ 30-31 .

وما يجب علينا توضيحه هو انتشار الموضوعات الفارسية الواسع على العملات والرموز شكل في 612، وأحياناً وبطريقة الإلهام من العملات السيدونية وقد ذكرت السفينة السيدونية عدة مرات: 16-17، 44-45، 49-54، وأحد أكثر المشاهد المشتركة هو البطل



الشكل 61

الملكي، والذي عرف جيداً من بيرسيبوليس Persipolese ، وفي مكان آخر: وهو يواجه الأسود 16، 44-48، 51-59، 60، وأحياناً أسوداً مجنحة 4، 17، أو ثور 19، 31-33 .

ونجد أيضاً مثلما على العملة الملكية رامي السهام أو الملك الرماح أو كليهما 17، 21، 22، 56-57 صوراً متعلقة ببعضها على الوجه والظهر 52، وأيضاً الملك على عرشه 18، 21 أمام مبخرة ذات أرجل 33 في مركبته 35، 48، أو واقفاً مع صولجانه 37، فالموضوعات الفارسية أسد يصطاد وأخرى تكون أحياناً مجمعة على عملة واحدة 18، 21، 31، 36-38، 48، 52، 57 في حالة واحدة 50 مشهد ملكي ملك يقتل أسداً مضمناً مع رأس أثينا شكل 61 ب، وهذا يذكر بانتشار الأمثلة اللاتينية في نظام العملات، ودليل التأثير الإغريقي على الأخص في الرموز اليونانية الفارسية من وادي دالياه شكل 61 ح-خ، كما تتضمن عملات أورشليم الخاصة بيحييزكيياه وجوهانان أنفسهم موضوعات نادراً ما تكون يهودية، بومة أو قناع أنثى، وهناك بعض الموضوعات أصعب في تعريفها «عرقيًّا»، مثل رجل يقتل خيلاً يصهل أمامه 58، ومن الجائز أن تعزي لرؤية هذا كمرجع للتضحية بالخيل في عبادة ميثرا، إذا كان الرجل يرتدي زيًّا فارسيًّا، وهذه ليست الحالة شكل 61 د .

8- من غزة إلى بيترا:

بعد سقوط تاير سقطت فلسطين في يد الإسكندر Alexander -ما عدا غزة التي قاومت بشدة من سبتمبر إلى نوفمبر 332- والتي وصفت من قبل جميع المؤرخين القدامى -من ضمنهم بوليبيوس- الذي منح إخلاص المخلصين للنفوذ الإمبراطوري عائدين بكل الطرق إلى غزو قمبيز Cambyses 16.22 ، فقد أظهرت التقارير أن غزة كانت محصنة بشكل جيد جدًّا، وأن لدى حاكمها باتيس حصن كبير يتضمن كلاً من الفرس والعرب آريان Arrian 2.25. 4-26 ؛ كوينتوس كيرتس Quintus Curtius 4.6.7، وبعد أخذ المدينة أرسل الإسكندر

Alexander -كما قالوا- 500 وحدة من البخور و100 وحدة من المر الصمغ لمعلمه بلوتارخ Plutarch ، أليكس Alex 24.6 ، كما قادنا وجود المرتزقة العرب، ووجود قوائم البخور والمر والعثور على العملات إلى تذكر أن هيرودوت Herodotus قد قارن رخاء غزة بثروة سارديس Sardis 3.5 ، وكانت المدينة في ذلك الوقت هي المركز الرئيس لجميع الأسواق التي -طبقاً لهيرودوت Herodotus مرة أخرى 3. 5- كانت «ملكاً للملك العربي»، وكان ملك العرب هذا لا يختلف عن الموجود في عصر قمبيز Cambyses ، فقد سيطر على الطريق الصحراوي المؤدي إلى مصر من غزة 3. 7، ويوضح دليل آخر أن سلع مينونوس التجارية للجنوب العربي وجدت منفذاً لها في غزة، فقد عرفنا طويلاً في النقش المينيني ريس 3022 الذي يشير إلى القافلة التجارية العائدة من التجارة بمصر وسوريا وإيقوراتيس، فيخبرنا هذا النقش أن تجار مينين «قد أنقذوا بضاعتهم من قلب مصر خلال الصراع الذي شب بين الميديين والمصريين»، وإن كان النص مؤرخاً في العصر الأخميني -والذي يمكن أن يكون محتملاً- فإنه لحسن الحظ، يشير إلى إحدى الحملات ضد مصر، والتي لسوء الحظ، لا نستطيع أن نؤرخ بدقة أكثر أنها كانت في الفترة بين قمبيز Cambyses وأرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث .

ونعرف أيضاً من هيرودوت Herodotus مرة أخرى أن قمبيز Cambyses قد دخل في اتفاقية مع ملك العرب 3. 7، 9، وبالتالي فإننا من الممكن أن نرجح أنه بسبب تلك الاتفاقية استنتج هيرودوت Herodotus أن العرب من ضمن الشعوب المعطاءة: «يجلب العرب الآلاف من العطور كل عام» 3. 97 على الرغم من كونهم رسميًّا من ضمن سكان إيفراتيس Euphrates ، كما أعفيت أرضهم من الجزية 3. 91، ومن حسن الحظ، أن ملك العرب استبقى حالته الامتيازية خلال

الـعصر الأخمينـي، ولكـن في الفـترة مـا بـين هـيرودوت Herodotus والإسـكندر Alexander ، فإنه يوجـد لـدينا بالكـاد معلومـات مبـاشرة، فقـد ذكـر هـيرودوت Herodotus ببساطة أن «ملـك العـرب» كـان منضـماً إلى الفرعـون وحلفائـه ضـد الفرس في حوالي عام 410، فقد جعـل نفسـه حليفـاً مـع أميراتـوس 13. 46. 6، وفي حوالي عام 382 أرسل تعزيزات لإيفاجوراس قبرص 15. 24.

وسنكون قد ابتعدنا للغاية إذا استنتجنا من هذا أن الفـرس قـد اختـاروا متعمدين هجر الإقليم، فقد سمجت لنا مقاومة غزة أن نفكر بأنه -على الأقل- بعد إعادة غزو مصر عام 343، حيث أصبحت البلدة مرة أخرى مكانـاً محصـناً ذا أهمية كبيرة، والذي كان مسيطراً عليه مباشرة الملـك العظـيم، بالإضـافة إلى ذلك، قد صرح كوينتوس كيرتس Quintus Curtius أن الباتيس كانوا استثنائيًّا مخلصين لدارا Darius الثالث، فهناك مجموعتان آراميتان مـن بـير شـيبا وتـل أرود مكانين في آيدوميا يرجع تاريخهم إلى القرن الرابـع، وربمـا ترجـع إلى فـترة حكم أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث، كما يعكسوا اسـتقرار الأخمينيـين في المنطقة، أما المجموعة الثانية فتتضمن جزئيًّا ملخصات لتوزيـع نسـب الطعـام للمواطنين والحيوانات الخيول، القرود، كما نظم العمال في مجموعـات، ونجـد شـيئاً قـد صـدق عليـه جيـداً في إليفـانتيس مشـابهة للوحـات الموجـودة في بيرسيبوليس Persipolese ، وتوضح الأوستراكا جيـداً أن الأرض كانـت منظمـة الأسواق حول المراكز الأساسـية التـي أمـرت المراكـز الأصـغر التـي لهـا مخـازن وحصون، ولا شك أن حالي بير سيبا مختلفة، حيث إن وجود الحصن لم يصـدق عليه، واحتياجات الطعام المذكورة في الأوستراكا يمكن أن توصل مـن المـزارع في المناطق المحيطة إلى مركز تجميعي، فالاكتشاف الحديث الذي ظل غـير معلـن لمئات الأوستراكا من النوع نفسه من القرن الرابع أيضاً، والذي يمكـن أن يؤكـد

أن استقرار الأخمينيين سواء كان عسكريًّا أم لا في إقليم آيدونيا، حيث كان غزيراً إلى حد ما، وهي المنطقة التي سماها ديودورس Diodorus في بداية العصر الهليني بمقاطعة أوبراشياس آيدونيا» 19. 95. 2، والذي يبين في الحال أن الأسماء الشخصية تنم عن خلط شامل لتجمعات الأهالي في هذه المناطق العرب، إيدوميتيس، اليهود، وبعض الفرس.

والجغرافية السياسية للشمال العربي في ذلك الوقت كانت لها مشكلات أخرى استمرت لتكون مناقشات ساخنة، ولا نستطيع الخوض في تفاصيل المناقشة هنا، وأحد أكثر النصوص تشويشاً هو الفقرة الطويلة التي أهداها ديودورس Diodorus للمجتمع 19. 94-97 للناباتيس في سياق وصفه للحملة التي قام بها ديمتريوس الملازم الأول لأنتيجونس ذي العين الواحدة ضدهم من آيدونيا 95.2، فقد كانوا رعاة بدو الجمال، الغنم: «بينما يوجد العديد من القبائل العربية الذين يستخدمون الصحراء كمرعى يتفوق الناباتيس إلى حد بعيد على العديدين في الثروة .....؛ لعدم اعتياد القليل منهم على جلب البخور والمر، وأقيم أنواع التوابل للبحر، والتي يجهزونها لمن يرسلونها لهم ممن يسمون بالعربي المحظوظ» 94. 4-5، وبالتالي، فقد ربحوا من دورهم كوسطاء بين الجنوب العربي وموانئ المتوسط وفي الأساس غزة، فقد قام ديمتريوس بهجوم ضد حصن طبيعي، حيث أنشأت المواقع التجارية 95. 1.

وبعد إرسال خطاب لأنتاجوناس في الآرامية 96. 1 عرض الناباتيس على ديمتريوس الصفقة التالية: «يسحب ديمتريوس جيشه، وسيعطي للناباتيس الهدايا دوريا 97.4، وحدث هذا وتوقف العداء 97.6، فنستطيع أن نتخيل أن الموقف المنتشر في ذلك الوقت لا يختلف عن الموقف المنتشر في نهاية العصر الأخميني، فلم يكن الناباتيس يدفعون الجزية فورولوجومينوي 94. 10، ولكنهم قدموا الهدايا إلى الإدارة الفارسية، مثلما فعل ملك العرب في زمن هيرودوت

Herodotus ، ومن الجائز أن يكون ملك الناباتيس هو الملك الذي أشار إليه كيوما عندما كان يذكر أنه كان «مستقلاً وليس منقاداً عبداً لأحـد» أثينيـوس Athenius 12.517 ب-ج، ولكن إذا كانت تلك النظرية صـالحة بالإشـارة إليـه كحـاكم للبلـدة «حيث كان ينتج البخور»، وسيكون الأثينيـون مـدانين بخلـط إنتـاج وتوزيـع هـذه السلعة.

9- مصر من أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث إلى دارا Darius الثالث:

لقد أخبرنا بشكل ضعيف وقليل عن تاريخ المرزبانية المصرية بعد إعادة غزو أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث، ولم يشر نقش واحد كلاسيكي إلى هـذا الإقلـيم في هـذا الوقـت، فكـل مـا نعرفـه هـو أن مرزبـان مصر في عـام 333 كـان يسـمى ساباسيس، ولكننا لا نعرف متى أو كيف حل محل المرزبان الـذي تـم تعيينـه قبـل ذلك بعشر سنوات من قبل أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث أيضـاً، وعنـد هـذه النقطة، لا نستطيع تجنب اللجوء إلى وثيقة واحدة معروفة تسمي المرزبان سـتيلا، والتي يرجع تاريخها إلى السنة السابعة لحكم الإسـكندر Alexander الرابـع 311-312، على الرغم من استمرار قراءاته وتفسيراته لتدريب الدارسين الجـدد، ويصـف هذا العمود الحجري الهيروغليفي الأعمال الحسنة للمرزبان بطلميوس Patolmy ، وعلى الأخص تبرعاته التـي شرف بهـا معبـد إيجـو بجانـب بوتـو في الـدلتا، فهـو لم يجلب معه من آسيا صور الآلهـة والكتـب التابعـة للمعابـد في مصر فقـط، ولكنـه جدد أراضٍ كثيرة لم يكن قد تم تجديدها من قبـل إلا فـيما سـبق بواسـطة شـخص يدعى خاباباش، وقد جاء هذا الشخص ليتفحص الدلتا «ليتعرف عـلى أفـرع النيـل جميعها التي تتدفق في البحر»، وبالحصول على هذه المعلومة، يذكر كتـاب الـنقش أن «العدو القديمكسركسيس Xerxes قد ألغى الهبة السابق منحها».

وتشير بعض التفاصيل إلى أن نقش الدلتا حدث في اللحظة نفسها، عندما هددت بغزو أسطول من سوريا-فلسطين، ويظهر المصطلح وتاريخ العمود الحجري خوف خاباباش من حملة على رأسها الأسطول الأخميني؛ لأن اهتماماته هي تفحص وتحسين وتدعيم حاميات الدلتا، التي كانت تمثل مدخلاً للنيل وممفيس، أسوة بأسلافه عندما واجهوا موقفاً مشابهاً لذلك في الماضي انظر: فصل 15/9، ولكن ما تاريخ خاباباش المبهم؟ لا تسمح لنا الوثائق القليلة التي تذكره بالإجابة عن هذا السؤال، فكل ما نستطيع قوله إنه كان فرعوناً بكل المعاني، على الرغم من عدم إمكاننا القول بأنه قد سيطر على مصر كلها، فقد قادنا سياق النص إلى اقتراح أن فترة حكم خاباباش لم تكن قبل فترة حكم بطلميوس Patolmy بوقت طويل، والنتيجة أنه قد كانت هناك العديد من المحاولات لوضعه في حوالي عامي 338-342، أو بين عامي 336-338، واقتراح أن كسركسيس Xerxes قد أشار حقيقة إلى أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث، أو إلى وريثه أرتاكسركسيس Artaxerxes الرابع أرسيس، ومهما كانت هوية كسركسيس Xerxes ، فيجب أن نستنتج أنه من المؤكد أن الجيوش الأخمينية قد قامت بحملة لإعادة الغزو في تاريخ ما لا نستطيع نشره أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث أو أرتاكسركسيس Artaxerxes الرابع أو دارا Darius الثالث، ومع ذلك، فإننا لا نستطيع قول أي شيء عن مدى قوة ثورته؛ لأنه بعد ظهوره السريع اختفى خاباباش تماماً من السجل التاريخي، لإضافة إلى أننا لا نستطيع التأكيد على أن فارانداتيس -المرزبان المعين من قبل أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث- قد مات إثر هذه الانتفاضة الثورة .

ولدينا القليل من المعلومات عن منظومة مصر عند مجيء الإسكندر Alexander ، وبعيداً عن تقدير القياسات الإدارية المأخوذة في عامي 331، 332، والتي تضمنت تعيين رئيسين، هما: دولوسبيس وبيتيسيس

رفض هذا الأخير العرض، وفروراتش في ممفيس، كما نبه على حاكم نوقراطيس بالسماح للبدور بحكم مقاطعاتهم طبقاً للممارسات القديمة، ولكنه سيحصل منهم على الجزية بنفسه، حيث أمرهم بدفعها له آريان Arrian 3.5.4، كما اتضح أن أحد البدو وهو دولاسبيس يحمل اسماً إيرانيًّا، فهل كان فارسيًّا أم مصريًّا من أصل فارسي؟ وعلى الرغم من حمل اثنين من المواطنين اسم نومارتش إلا أنه قد حدث ارتباك حول معنى الاسم عند ظهوره في النصف الثاني من النص، حيث صنفت مصر إلى 42 إقليماً إداريًّا أساسيًّا، ومن الواضح أن هذه السلطات القضائية لم يتم تغييرها من قبل الفرس، ولم يتم تعديلها أيضاً من قبل الإسكندر Alexander ، وكان حكام هذه المقاطعات هم الذين يسلمون عوائد الجزية إلى كليمونيس أريست، أوكون 2. 33أ [1352أ]، وأخيراً من الممكن أن نلاحظ أنه عند وصول الإسكندر Alexander ظل الإليفانتين مفتوحاً للتجارة؛ لأن الملك قد قام بنفي بعض مستشاريه السياسيين إلى هناك آريان Arrian 3.2.7.

10- من أربيلا إلى صوصا Susa :

عاد دارا Darius إلى ميديا بعد هزيمته في جوجاميلا، تاركاً الطريق الذي يؤدي من أربيلا إلى بابل وصوصا Susa مفتوحاً آريان Arrian 3. 16. 1-2 ، وساعد على تقدم الغزاة أن الطريق كان مزوداً بمحطات لإعادة التموين، كما نعرف أن السلطات المازايوسية Mazaeus والبابلية قد سلمت البلدة للإسكندر Alexander آريان Arrian 3.16.3 ؛ كوينتوس كيرتس Quintus 5.1. 17-23 Curtius، وأصاب صوصا Susa المصير نفسه، فبعد مسيرة عشرين يوماً من بابل استسلمت للإسكندر Alexander من قبل المرزبان دارا Darius ، وكون أبيوليتيس الفارسي -الذي أبقى على مركزه 3. 16. 6، 9؛ كوينتوس كيرتس

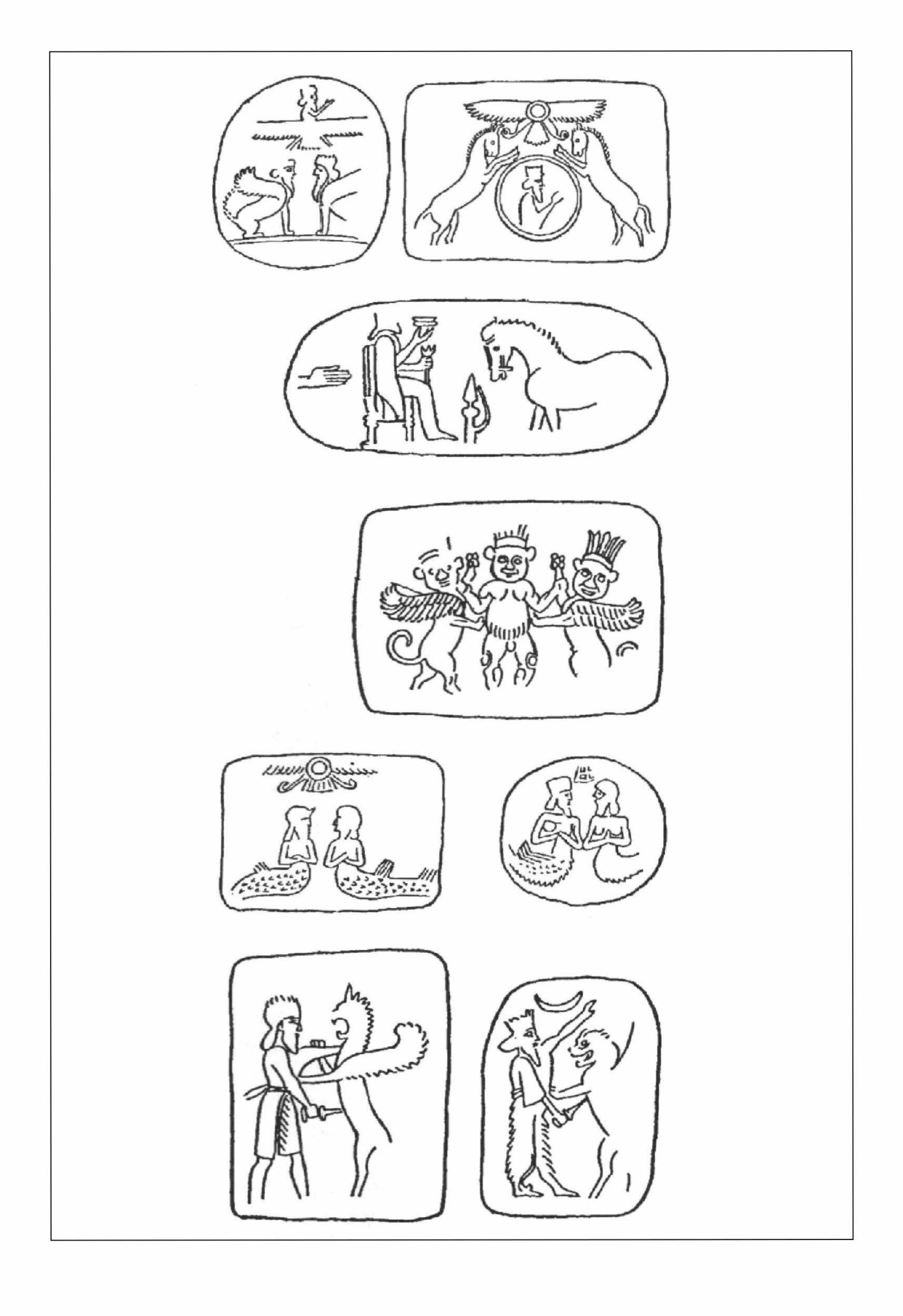
Quintus Curtius 5.2.8 ، 17 كمرزبان لبابل- مثـل مـازايوس Mazaeus آريـان Arrian 3. 16. 4 ؛ كوينتوس كيرتسQuintus Curtius 5.1.44، وكان ذلك ببابل عندما اجتمع دارا Darius مرتين بقواته قبل دخول كيليكيـا Cilicia في عـام 333، وجنوب ميسوبولانيا في عام 331، وفي عام 331 قاد أوجزاثـريس Oxathres -وهـو ابن أبيوليتيس- الجنود إلى صوصـا Susa ويجزيـان، بيـنما كـان بيوبـاريس مرزبـان بابل فيما بعد؟ هو المسؤول عن المرتزقة البابليين آريان Arrian 3.8.5 ، ونعرف أن بابل وصوصـا Susa كانـت اثنتـين مـن أهـم المراكـز الأخمينيـة الموجـودة في ذلـك الوقت، فقيام المشروعات هناك من قبل أرتاكسركسـيس Artaxerxes الثـاني يؤكـد هذه الحقيقة فصل 8/15 .

ولدينا تفصيل صغير للغاية عن الإدارة المرزبانية لبابل وصوصا Susa مثلما كانت في وقت دارا Darius الأول فصل 2/12، حيث كان هناك كنـز ببابـل يـدار بواسـطة خـازن كوينتـوس كـيرتس Quintus Curtius 5. 1. 20 ؛ باجوفـانيس، أركـيس، وبالمثـل كـان -بالتأكيـد- الوضـع نفسـه في صوصـا Susa ديـودورس Diodorus 19.18.1؛ زينوفيلوس جازابورا 48. 6، ومن المرجح أن مرزبانية بابـل كانت مقسمة إلى عدة مقاطعات فرعية -كـما في السـابق- ونعـرف القليـل عـن هذه المقاطعات، وبعيداً عن ذكر الانفصالات الواضحة مـن سيتانسـيس، و» زرع الكآريان Arrian س» ضمن الجنـود في وحـدة بقيـادة بيوبـاريس آريـان 3.8.5 Arrian ، وقد كان هؤلاء الكوريانس المزروعين ضـمن الجنـود مقيمـين في قـرى تدعى كارا، والتي يضعها ديودورس Diodorus 17.110.3 على الطريـق المـؤدي من صوصا Susa إلى إكباتانـا Ecbatana عـلى طـول الضـفة الشرقيـة لتيجـريس القريبة من سيتاسين، والتي مـن المحتمـل أن تكـون مقاطعـة فرعيـة في سـتيفن البيزنطي تسمى سيتاسين «مدينة فارسية»، وباتباع خط سـيره، اتصـل الإسـكندر

Alexander بالإريتريين المزروعين أيضاً في الجيوش الفارسية وليس البيوتانيين كـما يمثلهم ديودورس Diodorus ، والذين كانوا يقيمون -من خـلال دارا Darius - في المجتمـع الأخمينـي بكردسـتان، والتـي كانـت قريبـة مـن آبـار الـنفط هـيرودوت Herodotus 119-120 .6.

ومن المحتمل أن يكون هؤلاء هم الأشخاص الذين أسماهم كوينتوس كيرتس Quintus Curtius الجورديانيين، والذين أرسلوا أيضاً كفرقة لدعم دارا Darius في جوجـاميلا 4. 12. 11؛ سـترابو Strabo 16.1.25 ، ويجـب أن نـذكر أيضـاً أنـه بعـد الانقسام في عـام 323، كانـت ميسـوبوتانيا ومرزبانيـة بابـل منفصـلتين ديـودورس Diodorus 18.3.3 ، بعد الانقسام في عـام 320، حيـث اتحـدت ميسـوبوتانيا مـع أربيليتس 18. 39. 6، ومن المـرجح أن هـذا الترتيـب راجـع للـعصر الأخمينـي، وأن الإقليم حول أربيلا في ذلك الوقت كون انقساماً فرعيًّا إداريًّا محدداً، وضمنه سترابو Strabo فيما أسماه في ارتباك بأسيريا 16. 1. 3، فإيصال السفر المعطى مـن أرسـاما لخادمه عندما أرسله ليعود إلى مصر من بابل يوضح أن إقليم أربيلا كان من ضمن الأقاليم الميدية التي يقطعها الطريق الملكي داي 67، فالأهمية الاستراتيجية للإقلـيم حيـث بقايـا البلــدات الأسيــرية القديمـة المتبقيـة زينوفـون Xenophon ، أنـاب Anab 3.4. 6-9 موضـحة باتصـالاتها السـهلة ببابـل كوينتـوس كـيرتس Curtius Quintus ، 4.9.8 وبوجود المستعمرات الأخمينية التي كانت جـزءاً مـن المنظومـة الإمبراطورية العسكرية، وأخيراً، فمن الجائز أن جزء المستنقعات الجنـوبي مـن أدني وديان تايجريس وإيفراتيس Euphrates كون أيضاً إقليماً يسمى مـاتتومتين «أرض البحر» بداخل مرزبانية بابل .

وتمدنا المصادر من وقت الإسكندر Alexander بمعلومات مهمـة حـول الملاحــة وإدارة الميـاه، وتسـتحق بعـض منهـا اختبارهـا بحـرص إذا مـا استخدمت كدليل للادعاء بأن السيطرة الإقليمية الفارسية على بابل كانت



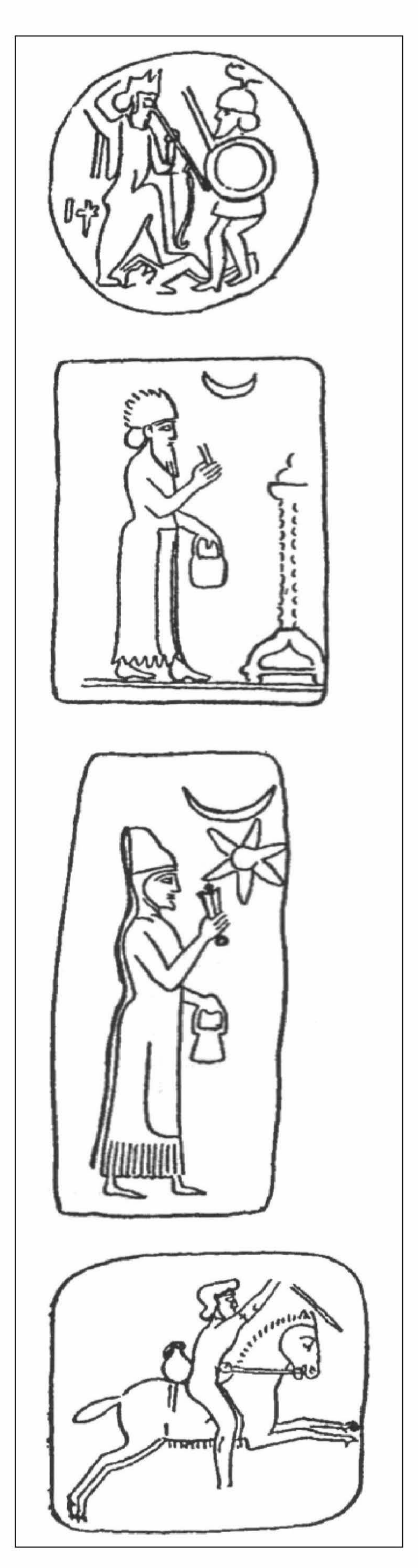
الشكل 62

ضعيفة، ويمكن أن نبدأ بالقطعة المعروفة من آريان Arrian «فقد أبحر الإسكندر Alexander إلى أعالي تيجريس بأسطوله كما فعل مع أوبيس: في رحلة إلى أعلى النهر، رفع السدود عن النهر، وجعل مستوى التيار المائي واحداً في كل مكان، تلك السدود التي صنعت من قبل الفرس لمنع أي شخص من الإبحار إلى بلادهم وغزوهم من ناحية البحر، والسيطرة عليها بأسطول بحري، فقد سيدها الفرس لعدم امتلاكهم قوة بحرية، وجعلت السدود المبنية على فترات محددة الرحلة إلى أعالي تيجريس غير عملية، ولكن الإسكندر Alexander قال: إن الاختراعات من هذا النوع هي أعمال أناس يفتقدون التفوق الحربي، وبالتالي اعتبر هذا الاحتياط لا يمثل فائدة له، وأظهر موقفه بتحطيمها سهولة الأعمال التي أفنى فيها الفرس طاقاتهم هباءً» 7. 7. 7 .

ووجدت المعلومة نفسها كما رويت في سترابو Strabo 16.1.9 ؛ 15. 3. 4، وإذا كانت صحيحة فسنستنتج أن الفرس لم يتحكموا في جنوب بابل، والتي ستكون باستمرار على المحك من أي عدو أجنبي قادر على تشكيل أسطول قوي يكفي للإبحار في الأنهار البابلية، ويتحدى القوات الأخمينية في قلب الإمبراطورية، ولكن تقديمات آريان Arrian وسترابو Strabo والتي فيها شك كبير، ويجب تمييز حقيقتين، هما: الحقائق المقدمة تشييد سدود مصطنعة والتعليق التاريخي، فمن الواضح احتواء قطعة آريان Arrian على جميع القوالب الأدبية التقليدية عن ضعف الفرس مثل فراعنة القرن الرابع المصريين انظر فصل 9/15، فقد وثقوا في البداية في المواقع الدفاعية لصد الغزوات منذ أن كان الملوك العظام غير قادرين على إظهار أي نوع من التفوق العسكري، بالإضافة إلى أن الادعاء بأن فرس القرن الرابع لم يكونوا بحارة يكون تقييماً ليس له أي صدى، فنشك أن آريان Arrian قد اقتبس تقريباً كل كلمة من الأسلوب المستخدم من قبل هيرودوت Herodotus عندما

وصف الفرس في بداية حكم قمبيز Cambyses 1.143 ، وأخيراً، فإنه من الصعب تخيل أي الأعداء من إقليم الخليج الفارسي كان قويًّا بما فيه الكفاية ليهدد أراضي بابل الغنية، ويضع الإقامة الملكية بصوصا Susa وبابل في خطر في ذلك الوقت، وفي الحقيقة، كل المؤشرات توضح أن الملاحظات المعتمد عليها من آريان Arrian وسترابو Strabo قد أخذت أعمالاً دفاعية دائمة، والتي لم تكن شيئاً أكثر من الفيضان، ففي الواقع، فإن التكوينات في هذه الفترة قد عرقلت مؤكداً حركة المرور في النهر بين الخليج وصوصا Susa سترابو Strabo 15.3.4 ، ولكنها لم تمنعها ديودورس Diodorus 17.67.3؛ كوينتوس كيرتس Quintus Curtius 4.9.8؛ 15. 3. 5 .

كما وصف آريان Arrian وسترابو Strabo المشروعات المائية الأخرى المقامة في مبادرة الإسكندر Alexander في ذلك الوقت، وصرح سترابو Strabo نقلاً عن أرسطوبوليس Aristobules أن الملك ذهب إلى إيفراتيس Euphrates فاتحاً أحياناً ومغلقاً أحياناً أخرى السدود المحولة للقناة 16. 1. 11، فقد أعطى



الشكل 62أ

آريان Arrian تفاصيل عن القناة معروفة جيداً من التاريخ البابلي، وقال إن الملك قد أقام مشروعات متحركة لصنع منفذ جديد 7. 21، ومرة أخرى، تظهر العبقرية الإغريقية المتناقضة بوضوح مع الممارسات الأخمينية: «تعود مرزبان بابل على سد منافذ إيفراتيس Euphrates بجهد كبير، على الرغم من كونه سهل الفتح، حيث إن الأرض موحلة وأغلبها طمي ناعم، وهذا ما يجعله ليس سهلاً من خلال ماء النهر، وقد استغرق أكثر من شهرين عمل لكل عشرة أفدنة.

وطبقاً لسترابو 16.1.10 Strabo، تم وصف أفعال الإسكندر Alexander بـ «الأحكام الجيدة»، وهو قد استخدم المياه في ري الأراضي الصالحة للزراعة، كما أن آريان Arrian قد قال الشيء نفسه: «عندما أبلغ هذا للإسكندر Alexander ، حثه على تحسين أرض أسيريا» 7. 21. 6، فكف منهما تبنى أقوى العقائد للأيديولوجية الملكية الميسوتوبانيين، وجعلوا الإسكندر Alexander الوريث لهذا التقليد وأبعدوا الفرس عنه بغض النظر عن كل من تيجريس وإيفراتيس Euphrates ، ومرة أخرى كان التقديم مشكوكاً فيه بشكل كبير، وذلك لسبب واحد، فيشير نص آريان Arrian بوضوح إلى أنه في بداية العصر الأخميني على مدار التاريخ، حيث قامت السلطات المرزبانية بإنشاءات أساسية ومشروعات صيانة متعلقة بإدارة المياه، وهذا ما جعل استخدام العمالة المحلية ضروريًّا، والذي عرف بنظام السخرة ألسبليني 6. 30. 120، وكان هناك بالتأكيد تبادل بين الأخمينيين والإسكندر Alexander ، ولكن ليس هذا ما ادعاه كل من آريان Arrian وسترابو Strabo ، وقد قام الإسكندر Alexander بعمل مثل هذه المشروعات؛ ليس لتحسين الري، وإنما ببساطة لأنه في ذلك الوقت كان شاغله الرئيس هو الاستعداد للحملة العربية، وبالتالي امتلك ميناءً جديداً ببابل ليخدم كموقع حيث تتجمع السفن، ومن ضمنهم هؤلاء الذين تم نقلهم

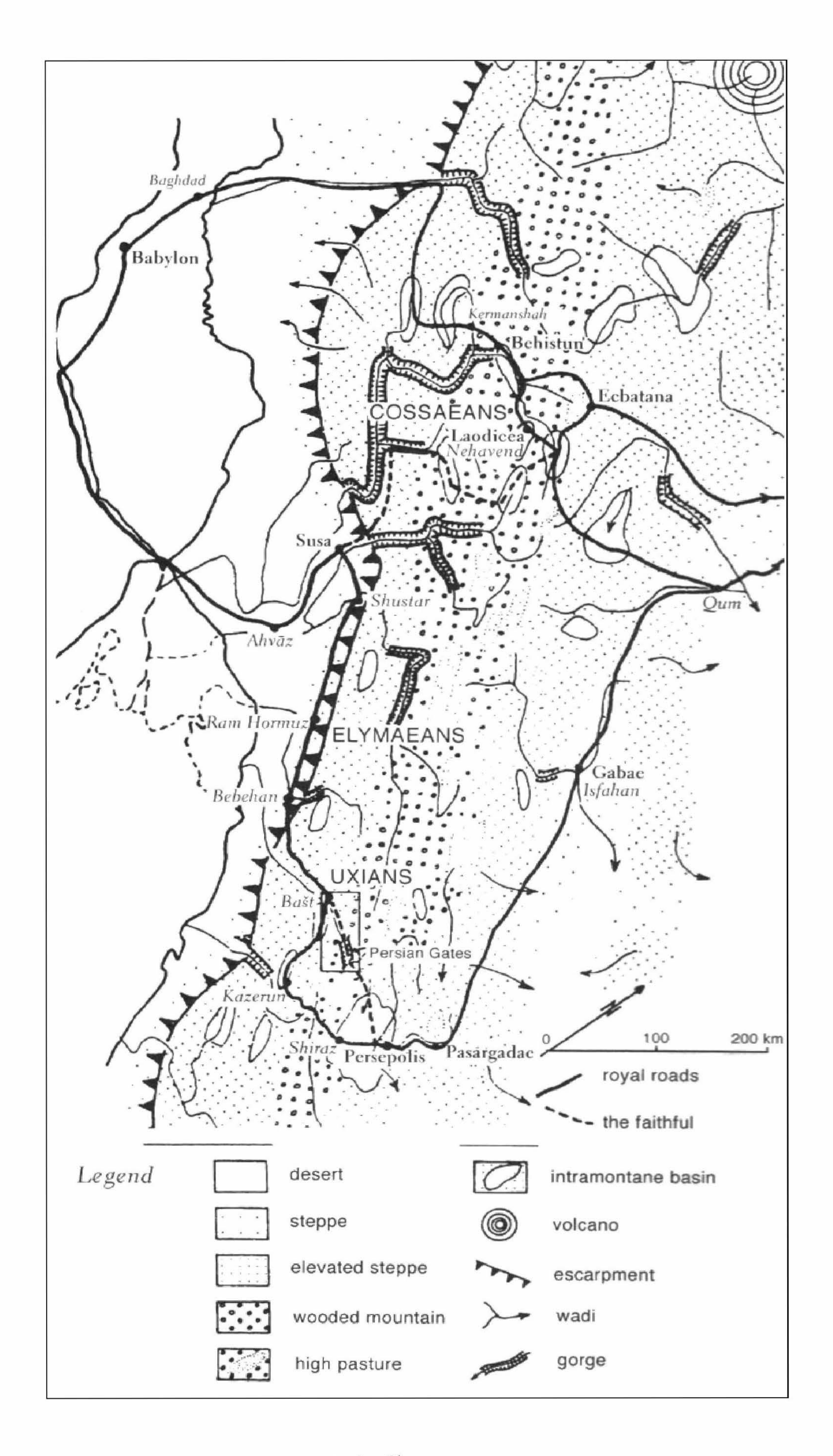
كقطع من فينيقيا إلى ثابسوكوس في لإيفراتيس Euphrates ، وهذا كان يظهر بوضوح أنه الهدف الذي حدده سترابو Strabo للإسكندر Alexander 16.1.11 وآريان Arrian على حد سواء، فقد ذهب أسفل قناة البالاكوباس في اتجاه العرب على امتداد البحيرات، ووجد مدينة هناك 7. 21. 7، والفرق في التغيير بين الأخمينيين والإسكندر Alexander هو استخدام الأخير للقنوات والأنهار البابلية لأغراض عسكرية، وكانت أعمال المياه التقليدية الري الموجه إما غير ملائمة لإبحار أسطوله البحري من بابل إلى الخليج من خلال قناة بالاكوباس، أو أعاقت تحركات سفنه الحربية، وفي جزء أصغر، كان على الغازي فقط الإمداد بأقل الضروريات للري، فكل ما نستنتجه من هذا هو أن الملوك العظام لم يبحروا بأسطولهم من تيجريس إلى أوبيس أو من قناة بالاكوباس إلى بابل، ولكن: لماذا يفعلون ذلك؟ فعلى المدى الطويل جعلت سيادتهم وإلزامات الجزية الهائلة على بابل هيرودوت Herodotus 1.192 أمراً ضروريًّا إلزاميًّا على المرزبان، الذي كان يتعين عليه الانتباه أولاً إلى جميع مشروعات الري، وهذا هو الواضح في النصوص الأيديولوجية والعسكرية، وقد أثبتت هذه الملاحظات لآريان Arrian وسترابو Strabo بالتحديد أن هذا كان هو الحال خلال زمن دارا Darius الثالث، وأيضاً خلال السنوات الأولى من السيادة المقدونية أمونج وآخرين، أدرتب ADRTB نوس، 332 ب - 328 - 329 أ .

11- الملك الأكبر، الإسكندر Alexander ، وشعوب جبال زاجروس:

وبعيداً عن هذه المناقشات، فإن المصادر منذ زمن الإسكندر Alexander ، والمتعلقة ببابل بعيدة عن الوضوح، وبعيدة أيضاً -إلى حد ما- عن أزمة العلاقات بين الغازي المقدوني والسلطات المقدونية

خلال الإقليمين المؤقتين في عام 331 وعامي 323-325 فصل 3/18؛ ولـذلك، فـنحن نحتاج إلى أن نجمع كل ما نستطيع جمعه مـن المعلومـات مـن المصـادر المتعلقـة بالمعابد البابلية، بالإضافة إلى حادثة ذكر معبد مقدس لم يتم ذكر اسـمه في صوصـا Susa آريان Arrian 6.27.5.

وذكرت قطعة تالفة في أرسطو دفع ضريبة صغيرة على البضائع الموردة لبابل، والتي من الواضح أنها قد أصابها الإهمال، ولكن النص كان مليئاً بالتلميحات بشكل زائد وهش أيضاً ليمدنا بصورة كاملة عن الموقـف؛ ولـذلك، فمـن الضروري إعطـاء اهتمام مبدئي بالجداول المسمارية وهي الحروف البابلية والآشورية القديمة، فعـدم صلاحية الأدلة والترتيب الزمني غير المؤكد المتعلق بمختلف الفترة الأخمينية جعلهـا صعبة لأخذها كدعامة للموقف في بابل وصوصا Susa في زمن دارا Darius الثالث، ومع ذلك، تدعم الإصدارات الحديثة للنصوص الهائلـة بعـض المعلومـات الإضـافية المهمة، وكمثال على ذلك، يعطـي السـجل البـابلي صـورة مـن الاسـتمرارية الثابتـة، وهـذا بـالأخص يبـدو واضـحاً في الـدين والاقتصـاد وتنظـيم إدارة المعبـد المقـدس العظيمة، التي من الواضح أنها استمرت لتعمل مثلما كانت في الماضي، ويمكن أيضـاً ملاحظة استمرار هيبة الساجيين العالية، وهم الـذين لاحظـوا الكواكـب والعـرافين والمنجمين، والذين أسماهم المؤلفـون الكلاسـيكيون بالكلـدانيين المنجمـين، والـذين يقولون إن لديهم عضوية جامعية في يوروك بورسـيبا وبابـل وسـيبار مثـال سـترابو Strabo 16.1.6 ؛ بليني ن.هـ 6. 123، ولكـن هـذه الصـورة -مهـما كانـت دقتهـا- تفتقد لعناصر التنمية والتغيير، فقـد لـوحظ -عـلى سـبيل المثـال- أن في سيلوسـيد يوراك يظهر الإله آنو بأهمية جديـدة، وهـذا مـن المحتمـل أنـه يرجـع إلى الـعصر الأخميني، ولكن التفسير التاريخي لهذه الملاحظـة يحتـوي عـلى مشـكلات لم تحـل بعد.



Baghdad
Babylon
Kermanshah
Behistun
Ecbatana
COSSAEANS
Laodicea
Nehavend
Susa
Shustar
Qum
Ahvāz
Ram Hormuz
ELYMAEANS
Gabae
Isfahan
Bebehan
UXIANS
Bašt
Persian Gates
Kazerun
Shiraz
Persepolis
Pasargadae
0
100
200 km
royal roads
the faithful
Legend
desert
steppe
elevated steppe
wooded mountain
high pasture
intramontane basin
volcano
escarpment
wadi
gorge

خريطة رقم 5

وتشير المصادر الكلاسيكية والجداول البابلية إلى وجود العديد من المجتمعات الأجنبية في الإقليم، وإلى عمق العلاقات الداخلية الثقافية، فتأتي الصورة الأولية من وصف جميع مؤرخي الإسكندر Alexander للشعوب الإغريقية المقيمية في بابليون أو ميسوبوتانيا منذ عهد دارا Darius الأول، بينما يستطيع هيرودوت Herodotus الكتابة عن الإريتريين الأخمينيين في حوالي عام 450، قائلاً: «إنهم يظلون يتكلمون لغتهم الأصلية» 6. 119، وهذا لم يعد الوقت المناسب لذلك في عهد دارا Darius الثالث، وفي هذا الوقت كانوا قد وضعوا جذوراً، ولكنهم «قد فسدوا الآن» كوينتوس كيرتس Quintus Curtius 4.12.11، فهم ثنائيي اللغة، ويتحدثون مثل السكان الأصليين باللغة نفسها، بينما في الأخرى يحتفظون بأغلب الكلمات الإغريقية، ويحافظون على بعض الممارسات الإغريقية ديودورس Diodorus 17.110.5.

وهذا يشير إلى التطور السهل والمفهوم لشعب انقطع طويلاً عن جذوره كوينتوس كيرتس Quintus Curtius 5.5.13، 19؛ 7. 5. 29؛ سترابو Strabo 11.11.4، وقد استقر الفرس أنفسهم في أعداد كبيرة، وبالإضافة إلى الدليل من الجداول، توجد قطعة لبيروشوس عن تشييد تمثال مقدس لأناهيتا ببابل في عصر أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني، على الرغم من بقاء الشكوك فصل 8/15، فمن الواضح تصديق كل الأدلة لأهمية الشتات الفارسي ببابل، ماذا يقول هذا الدليل عن العلاقات بين الشتات الفارسي والبابلي؟

فقد صدق على الاتصالات بين البابليين والفرس من خلال الرموز والأختام، فأهم جسد هو المجموعة المجمعة من الجداول لموراسو النصف الثاني من القرن الخامس، حيث تتضمن الموضوعات التي هي على الأخص فارسية البطل الملكي - الجنود الفرس، بجانب الموضوعات الفارسية شكل 62، ويمكن أن نلاحظ في الدلالة أن

الرمزين على جداول بيرسيبوليس Persipolese يظهران مراكب السفن الفينيقية في موقعة بابل رمزت إليها بأشجار النخيل شكل 50 وص606، ويعتقد أن هذا النبات البابلي التقليدي قد أدخل على التقليد الفارسي، وطبقاً لسترابو Strabo 16.1.14، عددت أغنية فارسية لـ 360 فائدة لشجرة النخيل، والعديد من الرموز المتميزة تشهد على نشاط الفنانين الإغريق ببابل، بالضبط كما هو الحال في داسيليوم وسارديس Sardis وسيدون وساماريا، وعلى النقيض، نأخذ الانطباع بأنه على الأقل -وعلى هذا المستوى- الفنانين الإغريق الفنانين العاملين على الطراز الإغريقي قد خلقوا نوعاً من نقاط الالتقاء بين الفرس والبابليين، ومن هذه النقطة، نجد أن أختام صوصا Susa مختلفة على نحو واضح من جهة البابليين، حيث إن «الانطباعات التي وجدت في صوصا Susa أظهرت بالكاد أي تأثير إغريقي، ويوجد دليل واحد فقط هو الذي يمكن اعتباره يواني-فارسي» ب. أميت .

كما نتجت دراسة الأسماء الشخصية من عدة ملاحظات مشوقة، حتى عندما أخذ المؤلفون القدامى مذهباً غير مبال تجاه الأسماء، أو مقابلة مختلف الصعوبات في نسخ الأسماء البابلية التي يعرفونها بسماعها تنطق فقط إلى الإغريقية، فعلى سبيل المثال، يقول بلوتارخ Plutarch شكل 19، 2 أن أحد المخصيين التابعين لأرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني كان يدعى بيليتوراس طبقاً لستيسياس Citicias سارديس Sardis 1 .1 .7 ، ولكن ميلانتاس طبقاً لدينون تكيف إغريقي للقب؟، والنتيجة، أنه أحياناً نجد أسماءً شخصية مكتوبة بأشكال متشابهة تثير الفضول، مثل بيليفانتيس الذي طبقاً لديودورس Diodorus 17.112.3 كان رئيساً لمدرسة السحرة التي حاولت أن تثني الإسكندر Alexander عن دخول بابل، وهذا القول يستحق فيه ذكر إن أبيوليتيس مرزبان صوصا Susa في عام 331 على الرغم من أنه يدعى فارسيًّا من

قبل آريان Arrian 3.16.9 ، إلا أنه يحمل اسماً بابليًّا، بينما اسم ولده أوجزاثريس Oxathres فارسي -بدون نزاع 3. 8. 5 .

فالوضع الخاص بأحد أبناء مازايوس Mazaeus الذي كان فارسيًّا، وبالعكس، فإن هذا الابن وهو الثاني في القيادة بسوريا كان يدعى بروخيوبيلوس Belos كوينتوس كيرتس Quintus Curtius 5.13.11، واثنين آخرين من أبنائه حملوا أسماء بابلية آريان Arrian 4.21.1 وأرتيبيلوس Belos 7.6.4، بينما حمل آخر -بدون نقاش- اسماً فارسيًّا وهو هيدرانيس 7. 6. 4، ولكن باجيستانيس الذي كان يدعى «بابليًّا ونبيلاً» آريان Arrian 3.21.1 قد حمل اسماً فارسيًّا تقليديًّا كوينتوس كيرتس Quintus Curtius 5.13.3، وليس من المؤكد أن هذه التناقضات الواضحة يجب إلحاقها تلقائيًّا بأخطاء أو تخمينات المؤلفين الرومان والإغريق، وفي الواقع، يشير الدليل البابلي إلى أن الأشخاص المنتمين إلى مجتمعات أجنبية، والمقيمين عادة في البلد أعطوا أبناءهم أسماءً بابلية وسيميتية، وبين عامي 331 و482، نجد أربعة أشخاص بأسماء بابلية وألقاب أسر إيرانية، وأحد عشر شخصاً بأسماء سيميتية وألقاب أسر إيرانية، وثمانية أشخاص بأسماء إيرانية وألقاب أسر بابلية، وتؤكد السجلات الموراسية أن الأسماء الشخصية ليست المرشد الأكيد على الأصل العرقي، ففي سجلات عام 463 71% من الرموز مملوكة من قبل أناس بأسماء بابلية، حيث يملك 80% منهم ألقاب أسر بابلية أيضاً و14% رجال من أصل غرب سيميتي و3% من أصل مصري، و7% 48 من الرموز تنتمي إلى شخص يحمل اسماً إيرانيًّا، ولكن الثلث فقط من كل هؤلاء لديهم أسماء وألقاب أسر إيرانية، وهذا يعكس بوضوح كلاً من الزيجات المختلطة، والرغبة في التعريف بالمجموعة العرقية السائدة، وفي الوقت ذاته يوضح توزيعات الرسومات على الرموز تفضيلاً خاصاً من جانب كل مجموعة ذات ثقافة

عرقية، فقد فضل الإيرانيون مشاهد الصيد والتمثيلات الروائية من النوع الذي قدم في بابل في وقت الغزو الأخميني .

وإذا قبلنا بحكم آريان Arrian عن العرقية «الفارسية» لأبيوليتيس مرزبان صوصا Susa 3.16.9، وإذا أخذنا بعين الاعتبار اسم ولده أوجزاثريس Oxathres 3.8.5، فيمكن أن يكون في الحقيقة فارسيًّا، والذي مثل أريوراتا بمصر بوسينير رقم 34 تبنى اسماً مزدوجاً فارسيًّا - بابليًّا، وإذا أمكن إثبات هذه النظرية، فستضيف إلى فهمنا عن اتساع تلاقي الثقافات الداخلية الفارسية-البابلية، ولكن، وحيث إن هذه النظرية لا يمكن إثباتها، فإن التفسير يختلف: حيث إنه من الواضح تقريباً أن عدداً محدداً من الفرس -أصحاب المقام الرفيع ببابل وصوصا Susa في نهاية العصر الأخميني- كانوا من أصل فارسي، ولكن، وبعادة تعدد الزوجات في هذا السياق، فالزوجات كن فارسيات أو بابليات، واللاتي يحمل أبناؤهن أحياناً أسماء فارسية، وأحياناً أسماء بابلية، وعلى النقيض، فإن أصحاب المقام الرفيع الحاملين لأسماء بابلية كانوا في الأغلب بابليين حقيقيين ربما نتاجاً من الزيجات المختلطة، والذين يكونون ناتجين عن الزواج من امرأة فارسية، أو لأسباب سياسية، ومن الجائز إعطاء بعضاً من أبنائهم أسماء فارسية، فيذكرنا مثال بيلسونو ابن بيليوسورسو فصل 1/14 أن البابليين كانوا قادرين على الوصول إلى المراكز العالية في الترتيب الإمبراطوري، فالقضية صادمة أكثر إذا ما عرفنا أن بيليسيسس الذي كان مرزباناً لسوريا في حوالي منتصف القرن الرابع ديودورس Diodorus 16.42.1 كان في الحقيقة ابن بيلسونو، ففي كل حالة نستطيع أن نتخيل أن هناك اتصالات حميمة بين الأرستقراطيين الفرس في الإمبراطورية الدياسبورية ببابل، وصفوة قواد المرزبانية، وهذا ما يفسر - في جزء على الأقل- موقف مازايوس Mazaeus في عام 331 فصل 3/18، 5/18 .

ومــن الواضــح أن أمثلــة مثــل هــذه تصــدق لتنشــيط التبــادلات بــين الدياسبورية الفارسية لبابل والصفوة البابلية، والتـي مـن المؤكـد أنهـا تضـمنت الزيجات أيضاً، وعلى الأقل فهي ترجـع إلى القـرن الخـامس، ويمكـن أن نـذهب بعيداً لنتحدث عن بابليون لفري بابل بوضـوح وبسـاطة حتـى إذا مـا وجـدت المؤشرات التي تشـير إلى هـذا الاتجـاه، فيجـب أن تؤكـد -عـلى جانـب مـا- أن الاستعارات الثقافيـة قـد حـدثت في كـلا الاتجـاهين سـترابو Strabo 16.1.20 ، وعلى الجانب الآخر، فإنه على عكس الإغريـق المنفيـين المبعـدين اسـتمر فـرس بابل بوضوح في الحفاظ على العلاقات القريبة بوطنهم الأم، حيـث يسـتطيعون دائماً العودة إلى أصولهم، ولكن البابليونيين من السلالة الحاكمة، والذين أحيانـاً يقترح وجودهم على أسس التراث البابلي لدارا Darius الثاني من خلال والدته، تشعل خلافات شائكة، وبالأخص على الصعيد السـياسي، ويمكـن أن نؤكـد قبـل كل شيء أن النظرية متعلقة ضمنيًّا بنظرية أخرى، من أن الملوك العظـام كـانوا يفقـدون الحـماس في بيرسـيبوليس Persipolese وفـارس في القـرن الخـامس، وكـانوا يوجهـون أنفسـهم أكـثر لبابـل، ولكـن لا يوجـد أي شيء يؤكـد المنظـور التخطيطي الفصول 1/14، 12/16، كما صورت قطعة لبلوتارخ Plutarch شكل 102أ بابل كأرض خلف المياه مستخدمة للنفي، بعيداً عن بلاط أرتاكسركسـيس Artaxerxes الثالث، وفي حالة دارا Darius الثالث، فإن القطعة الوحيدة التـي من المحتمل أنها قد ساعدت على الاستعارات البابلية الحديثة هـي مسـتخرجة من وصف طويل لكوينتوس كيرتس Quintus Curtius للموكب الملكي قبـل معركة إيشوس، فقد قال إن: «كـلا جـانبي المركبـة كـان مزينـاً بصـور الآلهـة، وكـان الفـدان ثـوران يقـرن بيـنهما بنـير قـد زيـن بجـواهر متلألئـة، وعليهـا سطعت صورتان ذهبيتان بطول ذراع لأسلاف الملك، واحد لأنيروس Aneros والآخر لبيلوس Belos 3.3.16، فالمرجع غـير الـترابط يكفـي عـلى نحـو

مفاجئ، ولكن هذه المادة ليست في مكانها على الإطلاق في وصف أعلام كاملة برمز أخميني على نحو لا يمكن إزالته طبقاً لمحرر النسخة الكلاسيكية اللوب والقراءة المزدوجة أنيروس Aneros وبيلوس Belos هو تصحيح مقترح غير ملموس من قبل جوزيف سكاليجر الدارس بالقرن السادس عشر - مترجم، ففي الصلوات التي قدمها دارا Darius الثالث بانتظام خلال حملاته، لا يوجد مكان يمكن أن يقترح تقديماً لإله بابلي بيل للبنتايون الملكي، والعكس بالضبط هو الصحيح كوينتوس كيرتس Quintus Curtius 4.13. 12-14؛ 14. 24؛ بلوتارخ Plutarch ، أليكس Alex 12-30.

كما عرض كوينتوس كيرتس Quintus Curtius 5.1.22 مثالاً آخر من هذا النوع من المقابلات بين عناصر فارسية وأخرى بابلية، فالموكب الذي حيا الإسكندر Alexander ببابل كوينتوس كيرتس Quintus Curtius مختلفاً -على سبيل المثال- عن جوتين 12. 3-5، الذي أربكهم، ميز بوضوح جدًّا السحرة من المجوس «آخذين في الغناء بمديح للملوك»، لم توجد في آريان Arrian 3.16.3 ، ولكن لامي هو الموازي لمثال كوينتوس كيرتس Quintus Curtius الأول الموكب قبيل إيشوس، حيث إنه في الحالة الثانية كانت الملامح الفارسية هي التي طغت على النص البابلي ببابل، والذي من الواضح أن له رمزاً سياسيًّا مختلفاً عن الذي يمكن أن يستنتج من المثال الأول، وفي هذه الحالة فإن مشاركة المجوس والسحرة هي في سياق منظومة الموكب، حيث ظهرت السلطات الأخمينية والبابلية جنباً إلى جنب ومن ثم غياب المجوس فس آريان Arrian ، والذي يشير فقط إلى الموكب البابلي، فالرواية الكاملة تاهم ببساطة في تذكيرنا أنه في نهاية العصر الأخميني، شغل الذين يشير إليهم المؤلفون القدامى بالسحرة مكاناً دائماً في المعابد المقدسة، وبلدان بابل، فكان السحرة «دارسين .....»

والذين اكتسبوا صيتاً هائلاً في علم الفلك، وتاعودوا على تنبؤ الأحداث المستقبلية بطريقة تعتمد على ملاحظات العمر الطويل لهيئة النجوم ديودورس Diodorus 17.112.2.

وعلى النقيض، فقد ظهر المجوس في الموكب الملكي لدارا Darius الثالث، فكانوا بجانب المركبة المكرسة للنار وهم «ينشدون ترانيمهم التقليدية» كوينتوس كيرتس Quintus Curtius 3.3.10، وبالإشارة إلى نيروس وبيلوس Belos ، فقد سنحت لهما كل الفرص للتفسير المتأخر، ومن الجائز أن نندهش سواء أكان هنا أم في منطقة أخرى وصف بابل، فمن المحتمل أن يكون كوينتوس كيرتس Quintus Curtius معتمداً من خلال كليتارشوس على المنظور البابلي المركزي بابليون لبيروشوس، حيث إن بيلوس Belos هو مؤسس بابل والحضارة الحصرية عامة.

ومن المحتمل أيضاً، وعلى الرغم من عدم وجود دليل نصي، أنه حتى نهاية السلالة الأخمينية الحاكمة حمل ممثلوها لقب «ملك البلاد»: في لوحة يرجع تاريخها إلى 331، حيث لقب دارا Darius الثالث بـ «ملك العالم» أدرتب ADRTB رقم 330، وفي الوقت ذاته -كما هو واضح من المنحوتات الملكية- فإن خصائص الأيديولوجية للقرابة الأخمينية لا يمكن أن تكون مقتصرة على عناصرهم البابلية، فهذا يصنع مشكلة حقيقية، ماذا كان حال الملك عندما أدى مهمته ببابل بما يلائم التقاليد البابلية، دعونا بالتحديد نعتبر أن شعائر الملك البديل والتي قد تمت ممارستها في عصركسركسيس Xerxes -وفقاً لهيرودوت Herodotus 7. 15-18 - والتي ألمح إليها بشكل واضح جدًّا بعد ذلك بكثير من قطع معروفة جيداً، والتي من الواضح من نص السنة الأخيرة للإسكندر Alexander ببابل، ومن الممكن أن نعلم على هذه النقطة أنه عند أخذ بديل للعرش، فمخصيي حاشية الإسكندر

Alexander لم ينتزعوها؛ لأنه -طبقاً لآريان Arrian 7.24.3 - كانوا يحترمون «بعض العادات الفارسية»، وهذه عبارة مفاجئة فنحن نتوقع ذكر «عادات بابلية» في البديل، ولكن غموضها مميز بالضبط مثل الانقطاع الظاهر بين الأسماء البابلية والعرق الفارسي، وأحياناً تكون منسوبة لأحد أو للشخص ذاته، بالإضافة إلى أننا نلاحظ الغموض نفسه في بعض المؤلفين المتحدثين عن العيد الغامض لساكايا التي ينسبها سترابو Strabo -خلال عملية إنيمولوجية دراسة تعنى بأصل الكلمات وتاريخها مشكوك بها لقورش Cyrus ، الذي من المرجح أنه قد أنشأ احتفالاً في المعابد المقدسة لأناهيتا ليحيي ذكرى الانتصار على ساكا 11. 8. 4-5، وذكر ستيسياس Citicias أيضاً الساكايا أثينيوس Athenius 14.639 ج، ولكن المعلومة الأكثر صدقاً المعطاة من بيروشوس غير مبهمة: كان العيد البابلي هو الذي يحتفل به كل عام بنهاية شهر أغسطس وبداية شهر سبتمبر أثينيوس Athenius 14.639ج، ومهما كان الاتصال مشكوكاً به للغاية في هذا الاحتفال بالعام الجديد، فمن الواضح للعديد من المؤلفين الإغريق أن أي زي يقابل في الإمبراطورية الأخمينية كان يوصف تلقائيًا بـ «الفارسي»، وربما كان هناك أيضاً «عيد الحمقى» في التقاليد الفارسية مثل الذي وصف من قبل بيروشوس وديوكريسوستوم 4. 66-68 وعلى أية حال، لا يوجد خيار إلا ملاحظة أنه لا توجد لدينا قطعة واحدة تصلح كدليل على مشاركة الملك العظيم في الاحتفال البابلي بالعام الجديد.

وهذه هي إحدى الأفكار الجيدة التي يمكن أن نتوقف عندها لنحلل السياسة التي اتبعها الإسكندر Alexander في التعامل مع هذا الشعب، وللتعليق على التفسيرات السياسية التي يتم استنتاجها منها فيما يتعلق بضعف سلطة أباطرة فارس وانعدام سيطرتهم على الشعوب التي توجد عند بوابات برسيبولس.

ومن بين كل الروايات التي تم تقديمها حول هـذه النقطـة نجـد أن روايـة أريـان Arrian هي الرواية الأكثر تفصيلاً الكتاب الثالث، فقرة 17، ولكن الروايات الموازية التي قـدمها كـل مـن كوينتـوس كورتيـوس Quintus Curtius الكتـاب الخـامس* 3*1-16 وديودورس Diodorus الكتاب السـابع عشر، فقـرة 67 توضـح بعـض النقـاط المشـوبة بـالغموض في روايـة أريـان Arrian ؛ ولقـد بـدأ أريـان Arrian بتوضـيح التمييـز بـين مجموعتين من الأوكسيين، تعيش المجموعة الأولى منهم في السهل: ولقد كانت مجموعة الممرات الضيقة الموجودة في أوكسـيانا تـتحكم الطريـق الأول الـذي سيسـمح للمسـافر بالدخول إلى بلاد فارس من سوسيانا سترابو Strabo ، الكتاب الخامس عشر *3*4؛ أريان Arrian ، إنديكا، فقـرة 40-1، ولقـد ذكـر كوينتـوس كورتيـوس Quintus Curtius في وصفه لأراضي الأوكسيين: «تجاور هذه الأراضي صوصا وتمتد عبر الجزء الأول مـن أراضي فارس» الكتاب الخامس، فقرة 3-3، بينما قال ديودورس Diodorus إن بلاد فارس تبـدأ عند الجانب البعيد الكتاب السابع عشر، فقـرة 68-1، أي المنطقـة التـي يسـيطر عليهـا الحصن الذي يقوده ماداتيس Madates : «ولقد أطاعوا مرزبـان فـارس واستسـلموا إلى الإسكندر Alexander » فقرة 17-1، ويقول كوينتوس كورتيوس Quintus Curtius إن الإسكندر Alexander قد «ترك المدينة سالمة دون أن يمسها بسوء، وسـمح لأهلهـا بـأن يقوموا بزراعة حقولهم دون أن يفرض عليهم جزية» سينى تريبوتو، ثم قام الملك بدمج شعب الأوكسيين في مرزبانية سوسيانا» الكتاب الخامس، فقرة 3*15-16، ومن المحتمـل أنه قبل قيام الإسكندر Alexander بفعـل ذلـك كانـت أوكسـيانا تمثـل مقاطعـة فرعية خاصة تحت حكـم مـاداتيس Madates كوينتـوس كورتيـوس Quintus Curtius ، الكتاب الخامس، فقرة 3-4، برافكتـوس ريجيـونيس، أريـان Arrian ،

الكتاب الثالث، 17-1: مرزبان، ويمكننا أن نبرر قيام الإسكندر Alexander بربط هذه المنطقة بسوسيانا بسهولة أكبر، وذلك راجع إلى حقيقة مفادها أن ألواح برسيبولس تظهر هذه المنطقة على أنها متأثرة بشدة بالعادات والثقافة الإيلامية، وهذا يفسر أيضاً لقب «البوابات السوسيانية» الذي استخدمه ديودورس Diodorus لوصف ما يسمى عادةً بـ «البوابات الفارسية» الكتاب السابع عشر، فقرة 68-1، ولقد تبدت لنا الروابط القديمة بين أوكسيانا وصوصا أيضاً من خلال قيام مرزبان صوصا بقيادة كل من الفرق العسكرية الأوكسية والسوسيانية أريان Arrian ، الكتاب الثالث، فقرة 5-8.

أما المجموعة الثانية من الأوكسيين فكانت تعيش في الجبل؛ ولقد اضطر الإسكندر Alexander إلى أن يقود حملة ضدهم وهي الحملة التي انتهت بإخضاعهم، وهذه هي رواية أريان Arrian عما حدث الكتاب الثالث *17*1-6، 2: «أما الأوكسيون من سكان التلال -كما كان يطلق عليهم- فلم يكونوا خاضعين لبلاد فارس، ولقد قاموا الآن بإرسال رسالة إلى الإسكندر Alexander بأنهم لن يسمحوا له بعبور الطريق المؤدى إلى بلاد فارس مع جيشه إلا إذا حصلوا منه على ما كانوا يحصلون عليه نفسه من ملك فارس عند عبوره لهذا الطريق هوسا كاى باراتون برسون باسيليوس إيبى تاى بارادوى، ولقد أخبرهم الإسكندر Alexander أن ينتظروه في الممر-الذي جعلتهم سيطرتهم عليه يعتقدون أنهم يسيطرون على الطريق إلى بلاد فارس- ليحصلوا على ما طلبوه منه؛ ولقد كانت الهزيمة والذبح هي الهدايا الشرفية تاجيرا التي حصل عليها الأوكسيون من الإسكندر Alexander ، ولم يتمكنوا -إلا بصعوبة- من نيل موافقته على الإبقاء على الأراضي التي يملكونها تحت أيديهم كما هي مقابل دفع جزية سنوية له، ولقد كانت هذه الجزية تتمثل في 100 من الخيل بالإضافة إلى 500 من حيوانات النقل و30 ألف من

قطعانهم حيث إن الأوكسيين لم يكن لديهم أي مال أو أراضي قابلة للزراعة، ولكنهم كانوا بشكل عام شعب رعوى نوميس».

وقد أكد سترابو Strabo على أن الأوكسيين قاموا -عندما انتقل الملك الأكبر من صوصا إلى برسيبولس- بانتزاع بعض من المبالغ والهدايا منه الكتاب الخامس عشر، 3-4: مستوى؛ ولكن بالسبة إلى نيرخوس Nearchus راجع إنديكا، 40-1 - والذي استشهد به سترابو Strabo الكتاب الحادي عشر، فقرة 13-6- فقد كان الأوكسيون مجرد شعب واحد في سلسلة من الشعوب التي قامت بعقد اتفاقات غريبة مع أباطرة فارس، ولقد قام نيرخوس Nearchus بذكر أسماء أربعة من القبائل التي كانت تعيش على السلب والنهب: «قبيلة الماردبين والذين كانوا يعيشون بجوار الفرس مباشرة، ثم شعبي الأوكسيين والإلميين والذين كانوا يعيشون مباشرة بجوار المارديين وسكان صوصا، ثم أخيراً قبيلة الكوساى والتي كان يعيش أهلها بجوار الميديين»: «وفي حين إن هذه القبائل الأربعة كانت تحصل على جزية فوروس براتيستاي من ملوك فارس، كان الكوساي يحصلون هم الآخرون على هدايا دورا في المرات التي كان يتوجه فيها ملوك الفرس إلى بابل بعد قضائهم الصيف في إكباتانا، ولكن الإسكندر Alexander قام بوضع حد لجراءتهم عندما قام بمهاجمتهم في وقت الشتاء».

ونحن لا نعرف الكثير من التفاصيل عن الإلميين وهو الاسم الذي عرفناه من إحد الفترات التي تلي هذه الفترة بوقت طويل، كما أنه لا توجد لدينا سوى معلومات ضيئلة للغاية عن المارديين باستثناء ما ذكره كوينتوس كورتيوس Quintus Curtius عن الحملة التي قادها الإسكندر Alexander ضدهم في شتاء عامي 330-331 والتي شنها انطلاقاً من باسارجاداى الكتاب الخامس، فقرة 6* 17-19؛ ومن الواضح أنهم كانوا الشعب الذي وصفه هيرودوت Herodotus بأنه أحد «قبائل البدو»

التي كانت توجد ضمن مجموعة القبائل الفارسية الكتاب الأول، فقـرة 125، ولقد زعمت إحدى تلـك الأسـاطير التـي تـم نسـجها حـول المؤلـف أن أبـوي قورش Cyrus كانا من الماردیین البؤساء الذين كرسوا كل وقـتهم لتربيـة عـدد قليل من الماعز وكانوا يعيشون كقطاع طرق؛ ومن الواضح أن الماردیین كانـت لهـم هـذه السـمعة في عـام 330، حيـث إن كوينتـوس كورتيـوس Quintus Curtius يصفهم قائلاً: إنهم «كانوا شعباً محباً للحـرب ويختلـف كثـيراً عـن بقية الشعوب الفارسية في طريقة حياته» الكتاب الخـامس، فقـرة 6-17؛ وفي الحقيقة فقد مارس الماردیون أيضـاً الزراعـة وحتـى زراعـة الأشـجار ولكـن في حدود المزارع الصغيرة التي تملكها الأسر إليان Aelian ، الكتـاب الأول، فقـرة 34، وكانوا يقومون بالإسهـام في الجيـوش الفارسيـة بوحـدات مقاتلـة بصـورة منتظمـة هيرودوت Herodotus ، الكتـاب الأول، فقـرة 84، بمـا فيهـا جـيش دارا Darius الثالث أريان Arrian ، الكتاب الثالث، فقـرة 11-5، وفي معركـة جوجاميلا تم وضعهم في المركز بالنسـبة لتشـكيلة المعركـة بجانـب الكوسـيين ديـودورس Diodorus ، الكتـاب السـابع عشر، فقـرة 59-3؛ أمـا الكوسـيون فتوجد لدينا معلومات أكثر عنهم، حيث أشـار ديـودورس Diodorus إلـيهم مرتين في سياق حديثـه، حيـث قـام الإسـكندر Alexander في إكباتانـا وبعـد وفاة هفسـتيون Haephestion بقيـادة حملـة ضـد الكوسـيين الـذين كـانوا شعباً شجاعاً ومحباً للقتال والذين حافظوا أيضـاً عـلى اسـتقلالهم عـلى مـدار تاريخ المملكـة الفارسـية، ولقـد اسـتولى الإسـكندر Alexander عـلى الطـرق المؤدية إلى بلادهم وتمكن من إخضاعهم لسلطته الكتاب السابع عشر، فصـل 3، فقرات 4-6؛ في عـام 317 -عنـدما أراد أنتيوجـونس Antiogonus السـفر من سوسيانا إلى ميديا- اختار ألا يسافر عبر الطريق الملكي الذي كانت تلفحـه الشمس ويتسم بالحر الشديد، وأن يسلك بدلاً من ذلك أحد الطـرق الجبليـة

الأكثر هدوءاً، وهذا الطريق الجبلى كان يمر عبر أرض الكوسيين والتي توصف بأنها إحدى البلاد المعادية أي غير الخاضعة بوليا خورا: «ليس من السهل على أحد الجيوش القيام بسلوك هذه الطريق دون أن يحصل مسبقاً على موافقة أنيو توبيساى رجال القبائل الذين يسكنون السلاسل الجبلية المحيطة به؛ وهؤلاء الرجال الذين ظلوا مستقلين منذ الأزمان الغابرة أوتونومى جار أونتيس إيك تون بلايون خرونون كانوا يعيشون في الكهوف ويقتاتون على الفطريات وجوز البلوط وأيضاً لحم الوحوش البرية المدخن، لقد اعتبر أنتيوجونس Antiogonus أن استخدام أسلوب الإقناع مع هؤلاء الأشخاص أو تقديم هدايا لهم دورودوكين -مع وجود هذا الجيش الضخم تحت تصرفه- سوف يحط من شأنه ويسيئ إلى كرامته، ولكن -وبعد الصعوبات التي تعرض لها الجيش- ندم على أنه لم يلتفت إلى بيثون عندما نصحه بشراء حق العبور بالمال خريماتون برياستاي تن بارودون» الكتاب التاسع عشر، فقرة 19 *3-8، 4.

وهكذا فإن المؤلف يجد مجموعة من الروايات المتجانسة حول هذا الشعب، والتي تتفق على أن جبال فارس كانت تسكنها مجموعة من الشعوب التي تتميز بأسلوب حياة معين يعتمد على تربية الحيوانات وقطع الطريق على المسافرين مع عدم الاعتماد على الزراعة إلا في حالات قليلة؛ وهذا ما قد يفسر النظام الغذائى الغريب الذي كان يتبعه الكوسيون والذين يبدو أنهم كانوا يقتاتون فقط على ما يحصلون عليه من خلال الصيد أو الجمع والالتقاط؛ وبالإضافة إلى ذلك، فإن هذه الشعوب لم تعترف قط بسيادة ملوك فارس عليها، وعندما كان يقوم الموكب الملكي بعبور أراضيهم كان على أباطرة فارس أن يدفعوا «رسماً للمرور» والذي تمت الإشارة إليه باستخدام مصطلحات عديدة مستوى، فوروى، وبالإضافة إلى ذلك، فلقد كان الكوسيون معتادون على

الحصول على هدايا بدلاً من ذلك من الملك الأكبر عند عبوره دورا؛ ولكنهم لم يكونوا هم الوحيدين الذين يفعلون ذلك، حيث إن الأوكسيين قد وافقوا على الحصول على هدايا شرفية تي جارا من الإسكندر Alexander ؛ ولقد كان على أباطرة فارس أن يدفعوا رسوماً لهذه لشعوب في كل مرة كانوا يعبرون فيها هذه الجبال؛ وذلك لأنهم كانوا يسيطرون على ممرات منيعة يستحيل اقتحامها، ومثال الأوكسيين هو بوجه خاص أحد الأمثلة الجديرة بالذكر بشكل خاص؛ لأنه يعنى أن ملوك فارس لم يكونوا مسيطرين حتى على الطريق بين صوصا وبرسيبولس؛ ولا يمكننا أن نطلب توضيحاً أكثر من ذلك على ضعف الملوك الفرس والذي من المؤكد أنه كان هو الرسالة التي نقلها مراسلو الحرب الهلينية.

وهذه المشكلة هي ذات أهمية أكبر من ذلك بكثير؛ لأن هذه الشعوب الأربعة التي حددها نيرخوس Nearchus يمكن أن تتم إضافتها بسهولة إلى قائمة أطول من الشعوب، ونحن نعرف عن العرض الذي قدمه كليرخوس Clearchus إلى تيسافرنيس Tissaphernes بعد معركة كوناكسا والذي كان نصه كالتالي: «أعرف أن الميسيين يثيرون الكثير من المشكلات لك، وأعتقد أننى أستطيع بما لدى من قوة أن أجعلهم عبيداً خاضعين لك؛ وأعرف أيضاً أن البيسيديين يسببون الكثير من القلاقل لك، ولقد بلغنى أيضاً أن هناك العديد من القبائل الأخرى إثنى بولا التي تنتمي إلى هذا النوع المشاغب نفسه؛ وأعتقد أننى قادر على وضع نهاية إلى هذا الإزعاج المستمر الذي تمثله هذه الشعوب إلى رفاهية واستقرار شعبك». زينوفون Xenophon ، الزحف العسكري، الكتاب الثاني، فقرة 5-13.

ولقد عاد زينوفون Xenophon إلى هذا الموضوع في مكان آخر: «إن الميسيين والبيسيديين -نتيجة لكونهم يسكنون في أقاليم وعرة

ومسلحين بأسلحة خفيفة- يخططون للتغلب على الأراضي الخاضعة للملك الأكبر وإلحاق الضرر بها والمحافظة على حريتهم» ميمورابيليا، الكتاب الثالث، فقرة 5-26.

أما فيما يتعلق باللايكونيين «فقد استولوا على معاقل في السهول، وكانوا يأخذون حصاد أراضي الفرس» الزحف العسكري، الكتاب الثالث، فقرة 2-23؛ ولقد تميزت الشعوب الجبلية على الدوام بأنها مستقلة عن السلطة الملكية، ولقد كان هذا ينطبق على الميسيين هيلينيكا، فقرة 16-22، والكاردوتشيين والتوخيين والخالديين من سكان أرمينيا؛ زينوفون Xenophon ، الزحف العسكري، الكتاب الخامس، فقرة 5-17؛ «ولم يكن الكاردوتشيين مواطنين خاضعين للملك» الكتاب الثالث، فقرة 5-17 «بل كانوا أعداءً للملك وكانوا شعباً مستقلاً» ديودورس Diodorus ، الكتاب الرابع عشر، فقرة 27-4، كما أنه لم يتم مطلقاً غزو أراضي المارديين التي تقع على بحر قزوين أريان Arrian ، الكتاب الثالث، فقرة 24-2، وهذا ينطبق أيضاً على الأيبريين «الذين لم يخضعوا أبداً إلى الميديين أو الفرس، وتمكنوا بالمثل من الإفلات من سيادة المقدونيين» بلوتارخ Plutarch ، بومبي، 34-7، ولقد تجلت حالة عدم الخضوع الدائمة للبيسيديين من خلال -على سبيل المثال- الهدف الزائف الذي أعلنه قورش Cyrus الأصغر إلى المرتزقة التابعين له الزحف العسكري، الكتاب الأول، فقرة 2-1؛ وهذه الحادثة تذكرنا بذلك الخوف من البيسيديين الذي نسبه ديودورس Diodorus إلى القادة الفرس قبل ذلك بستين عاماً في معركة نهر يوريميدون، ولا يبدو أن حملة الإسكندر Alexander تؤكد أن هذه الشعوب قد استمرت في القيام بغاراتها مستخدمة المعاقل التي تسيطر عليها كقواعد تشن هجماتها منها أريان Arrian ، الكتاب الأول، فقرة 24-6، 27-28؛ ولقد تجلى عدم تمكن الفرس من إخضاع هذه

الشعوب من خلال بعض المعارك الفاشلة: فتبعاً لزينوفون Xenophon الزحف العسكري، الكتاب الثالث، فقرة 5-16، تمت إبادة جيش هائل قوامه 300 ألف جندي خلال أحد الحملات على الكاردوتشيين؛ ومن الواضح أن الحروب العديدة التي تم خوضها ضد الكادوزيين قد انتهت هذه النهاية المهينة نفسها انظر بالأسفل مباشرة وفصل 16-18.

وتبدو هذه الأمثلة في البداية على أنها توضح حدود الاحتلال العسكري لأراضي الإمبراطورية، حيث إن السيطرة على بعض المناطق لم يمكن أن يتم ضمانه فقط من خلال إنشاء العديد من الحاميات العسكرية فقط إلا على الأقل إذا تم زيادة عددها بشكل مطرد ومستمر؛ ولكن وفي الوقت نفسه، فإننا يجب أن نقيد ونلطف من الروايات التي قدمها المؤلفون القدامى -والذين كانوا منبهرين بفكرة العجز العسكري الفارسي- إلى أدنى حد ممكن؛ فمن ناحية -وكما أكدنا للتو- فيما يتصل بإقليمي ميسيا وبافلاجونيا فصل 15-5، لم تكن كل أراضي هذه الشعوب تقع خارج نطاق سيطرة وإشراف المرزبانات الفرس، كما أن وجود مقاطعة ميسيا هو من الأمور شبه المؤكدة حتى بغض النظر عن الإشارات إلى «مرزبان بافلاجونيا» الغامض؛ وبالإضافة إلى ذلك، فقد تم دمج كل هذه الشعوب -كما يقول هيرودوت Herodotus - في قائمة الشعوب الدافعة للجزية الكتاب الثالث، فقرة 90-92، بما فيهم الموسخيين، التريبارينيين، الماكرونيين، الموسينيسيين والماريين الكتاب الثالث، فقرة 94؛ وبالطبع لا توجد لدينا إشارات مباشرة عن الجزية التي كانت تأتي من هذه المقاطعات، ولكن دعونا نذكر ببساطة أن ستيسياس Ctesias في مؤلفه حول «جزيات آسيا» الذي كان يتكلم في الواقع عن الضرائب التي كان يتم تحصيلها من أجل مائدة الملك أشار إلى الخمر الذي يرسله التابيريون؛ وأخيراً فإنه -بالنسبة لشعوب كانت على هذه الدرجة من الاستقلال- كانت هذه الشعوب تسهم بصورة

منتظمـة بوحـدات عسـكرية في جيـوش الملـوك الفـرس، ولكـن في العـادة كمرتزقـة فصل 17-3؛ ولقد شـاركت الفـرق العسـكرية الكادوزيـة في كوناكسـا وكـان يقودهـا أرتاجرسيس Artagerses الذي انتهز هـذه الفـرصة ليظهـر ولاءه إلـى أرتـاكسركسيس Artaxerxes الثـاني بلوتـارخ Plutarch ، أرتاكسركسـيس Artaxerxes، 10-9، ولقـد كانوا موجودين أيضاً في موقعة جوجاميلا بجوار الألبان والساسيسينيين والـذين كـانوا جميعاً يحاربون تحت قيادة فراتافرنيس Phratapharnes مرزبان ميديا راجع أريـان Arrian ، الكتاب الثالث، فقرة 8-4* 3: 11-4.

وفي الوقت نفسه، فلقد كان المؤلفون القدامى مدانين بشـكل واضـح بسـبب تبسيطهم الشديد للحقائق، ففي البداية فإن الأوصاف العرقية لهذه الشـعوب تـأتي ضـمن الإطـار السـائد في الروايـات التاريخيـة القديمـة والتـي تميـل إلى اختـزال الديناميكية الاجتماعيـة في «قـانون الحاجـة»: فالمجموعـة التـي تعـيش عـلى أرض فقيرة سوف تكون فقيرة بالضرورة هي الأخـرى، ولـكي تبقـى فـإن هـذه المجموعـة تعتمد على نتائج الصيد والجمـع والالتقـاط، ويصـبحون أشـد صـلابة بفضـل هـذه الأسـباب نفسـها التـي أدت إلى فقرهـا التربـة والمنـاخ؛ وتتصـف هـذه المجموعـة بالعدوانية «بشكل طبيعي» وتستفيد أو تستمر في البقاء بفضل شن الغـارات عـلى الشعوب المجاورة والقيام بأعمال السلب والنهب، ولكن هذا المنظور يبسط الوضع بصورة غير عادية؛ ففي الواقع تمتلك شعوب جبال زاجروس التي كنا نتحـدث عنهـا هذه حقولاً وقرى أيضاً، حيث إنهم كانوا يمارسون الزراعة بجانب تربيـة الحيوانـات على نطاق واسع راجع، الجزية التي فرضها الإسكندر Alexander عـلى الأوكسـيين، ويمكن أن نفسر أسلوب الحياة الذي نسبه المؤلفون الكلاسيكيون إلـيهم مـن خـلال الظروف: حيث إنه عندما تعرضت هذه الشعوب التي تسكن الجبال للهجـوم مـن جانـب جـيش قـوى قـاموا بـالفرار مـن قـراهم؛ ولـكي يسـتمروا في البقـاء في تلـك

الجبال الوعرة لجأوا إلى اتباع أسلوب حياة استثنائي وغريب وانتظروا حتى ينتهي هذا الهجوم.

ولكن تبقى هناك مشكلة «الجزية الملكية»؛ حيث تشير النصوص إلى أن اللقاءات بين الملك الأكبر وبين الأوكسيين والكوسيين كانت تحدث بصورة منتظمة حيث إن تقديم الهدايا/ الجزية كان مرتبطاً بعملية التنقل الدورية للبلاط من مقر إلى الآخر؛ ولكن الشيء الجدير بالذكر بشكل خاص هو أنه لا الكوسيين ولا الأوكسيين كانوا يسيطرون فعلاً على الطريق من صوصا إلى برسيبولس أو من صوصا إلى إكباتانا، حيث إن الأراضي التي يسكنوها كانت بعيدة عن هذه الطرق، ولذلك يجب الاعتراف بأن الملك الأكبر أو ممثلين شخصيين عنه كانوا يقومون كل عام بالانحراف بشكل متعمد عن الطريق الملكي لمقابلة ممثلين عن الأوكسيين والكوسيين، ومن الواضح أن الأوكسيين قد انخدعوا بوعود الإسكندر Alexander وانتظروا المقدونيين في الممر الضيق ظناً منهم أنهم سوف يحصلون على الـمقدار الموعود كما كان يحدث في عهد دارا Darius ، ولقد خالف الإسكندر Alexander هذه العادة؛ ومنذ هذا الوقت فصاعداً قام بفرض جزية على الأوكسيين من سكان الجبل وطالب الكوسيين بأن يعلنوا خضوعهم له، ولكن ما فعله الإسكندر Alexander لم يكن له أثر دائم، حيث إنه بحلول عام 317 كان كل من الكوسيين والأوكسيين قد استعادوا استقلالهم «بشكل كامل» ديودورس Diodorus ، الكتاب التاسع عشر، فقرة 17-2؛ وبالرغم من النصيحة الحكيمة التي قدمها بايثون Pithon فلقد أظهر أنتيوجونس Antiogonus التغافل نفسه وعدم الإنصات الذي أظهره الإسكندر Alexander من قبل: حيث إنه كان هو أيضاً عاجزاً عن فهم أية لغة أخرى سوى لغة القوة العسكرية، ونظر إلى هذا التقليد المتمثل في تقديم الهدايا استرضاءً لهذه الشعوب على أنه سيكون وصمة عار وإساءة لا يمكن تحملها لكرامته

العسكرية حيث إنه كان ينظر إلى تلك الهدية على أنها إتاوة من أجل الحصول على حق المرور؛ وفي الحقيقة فإن العلاقات المعتادة والمنتظمة بين هذه الشعوب وبين الملك الأكبر لم تكن قائمة على الحرب، ولكنها بدلاً من ذلك كانت قائمة على «حالة من العداء المسيطر عليه» والتي بدورها كانت قائمة على سياسة الهدايا والهدايا المقابلة دورا، دورادوكين، جيراس، وهو ما ضمن استمرارية هذه الهدايا إلى أجل غير مسمى؛ وتمكننا رواية أريان Arrian من إعادة بناء هذه العملية: ففي كل عام كان الملك أو ممثل عنه يقوم بمقابلة القادة الأوكسيين عند مدخل الممر وكانت تقام مراسم معينة يقوم كل طرف من الطرفين فيها بقطع التزام على نفسه تجاه الطرف الآخر، ومنح الهدايا الملكية لم يكن يشير هنا ولا في أي مكان آخر إلى «ضعف» الملك، بل على العكس فلقد أدى ذلك إلى خلق علاقة بين المانح والمستقبل، ومن خلال هذه المراسم عبر الأوكسيون بشكل ما عن ولائهم للملك؛ ولقد كان هذا الاتفاق يصب في مصلحة الملك الأكبر، حيث إنه تمكن بواسطته من إخضاع الكوسيين والأوكسيين له دون الحاجة إلى شن أية حملات عسكرية وإنفاق مواد هائلة على ذلك؛ وبالإضافة إلى ذلك، فإنه من المحتمل أن كلا الجماعتين كانتا ترسلان جنوداً إلى الملك في أي وقت يأمر فيه بحشد الجنود .

وهكذا فإنه من المؤكد أن الأوكسيين لم يكونوا منعزلين عن العالم الأخميني، كما أن حجم إنتاجهم الحيواني الخيول، الأغنام، الماشية - والذي يفترض بشكل مسبق أنهم كانوا قادرين على تسويق إنتاجهم الحيواني- يشير إلى أنهم كانوا متصلين بأقاليم الإمبراطورية الأخرى، ولقد قدم لنا أريان Arrian معلومتين مهمتين تحتاجان إلى تفسير: المعلومة الأولى هي أن الأوكسيين لم يكن لديهم مال خريماتا، أما الثانية فهي أن الجزية التي فرضها الإسكندر Alexander عليهم كانت

تتكون من 100 من الخيل + 500 من حيوانات النقل الماشية محدبة الظهر + 30 ألف رأس من الغنم؛ ويقودنا حجم هذه الجزية إلى استنتاج أنه من ناحية كان مرتبطاً بقدرة الأوكسيين على الدفع، وأن هذا المقدار لم يقم الإسكندر Alexander بتحديده في بضع ساعات وإنما كان يعود تاريخه إلى الفترة الأخمينية؛ وفي ذلك الوقت لم يكن ينظر إلى هذه الضرائب التي يتم دفعها في صورة عدد معين من رؤوس الحيوانات على أنها جزية، وإنما كانت تعتبر نوعاً من العقود أو الاتفاقات، حيث إن المال الذي كان يدفعه الملك الأكبر بغض النظر عن الهدايا كان يقابل «سعر الشراء المحدد لشيء ما» راجع ديودورس Diodorus ، الكتاب التاسع عشر، فقرة 19-8: برياستاي؛ وربما كان هذا هو نوع المبادلة الذي كان يقصده زينوفون Xenophon عندما كتب يقول عن الكاردوتشيين: «في كل مرة كانوا يقومون فيها بعقد معاهدة مع المرزبان الذي يسيطر على السهل كان يوجد لبعضهم تعاملات مع الكاردوتشي، وكان يوجد لبعض الكاردوتشي تعاملات معهم» الزحف العسكري، الكتاب الثالث، فقرة 5-16 .

وعلى الرغم من ذلك فسوف يكون من الخطير جدًّا القول بأن العلاقات بين الملك الأكبر وبين «الشعوب التي تسكن الجبل» كانت تحكمها عادات مشابهة في كل حالة من الحالات، لأنه لم يتم في الواقع توثيق سوى العلاقة بين الملك الأكبر وبين شعبى الكوسيين والأوكسيين، وتوجد شواهد كثيرة على اللجوء إلى القوة في حالات الشعوب الأخرى، لكن ولسوء الحظ لم نتمكن من تحليل الأسباب التي أدت إلى وقوع ذلك هل كانت راجعة لمخالفة الاتفاقات القائمة بين الطرفين؟ ولا الطرق التي تم اتباعها في ذلك؛ حالة واحدة فقط وهي حالة الكادوزيين تقدم لنا أساساً يمكننا استخدامه في التأمل وصياغة بعض النظريات، وتكرارية الحروب التي تم خوضها ضد الكادوزيين هو أحد الأشياء الجديرة بالذكر بشكل خاص حيث إن هذا الموضوع قد ظهر

في الأساطير التي تم نسجها حول المؤسس نيكولاس Nicolaus الدمشقى؛ ولا توجد لدينا أية تفاصيل حول مهمة دارا Darius الثاني زينوفون Xenophon ، هيلينيكا، الكتاب الثاني، فقرة 1-13؛ ولقد قام العديد من المؤلفين بذكر الحملة التي شنها عليهم أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني، ولكن يصعب التوفيق بين هذه الروايات؛ وتبدو إشارات ديودورس Diodorus إلى هذه الحملة كما لو كانت تريد القول بأن هذه الحملة قد استمرت لبعض الوقت الكتاب الخامس عشر، فقرة 8-10، 5-1، ولقد قال تروجوس بومبيوس Trogus Pompeius بشكل محدد أن أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني خسر هذه الحرب، ومن المحتمل أن كاميساريس Camisares قد لقي حتفه في هذه الحرب، وأن ابنه داتاميس Datames قد تمت مكافأته من قبل الملك بسبب الأعمال العظيمة التي قام بها خلالها نيبوس Nepos ، داتاميس Datames ، فقرة 1-2؛ ومن ناحية أخرى فإن بلوتارخ Plutarch لم يذكر وقوع أي قتال: حيث قال إن هذه الحملة الملكية قد انتهت بتوقيع معاهدة تقوم على «الصداقة والتحالف» والتي توصل إليها تيريبازوس Tiribazus مع اثنين من الملوك الكادوزيين بلوتارخ Plutarch ، أرتاكسركسيس Artaxerxes، 6-24، وبناءً على هذه المعاهدة قام أرتاكسركسيس Artaxerxes بمغادرة هذا الإقليم، ومن الواضح أنه كان مسروراً بالنتائج التي أسفرت عنها الحملة فقرة 24-9، وتشير هذه المعاهدة بوضوح إلى أن الملك لم يكن يهدف إلى تحدى وجود شيوخ القبائل المحليين؛ فعلى سبيل المثال قام أرتاكسركسيس Artaxerxes -بعد وفاة أرتاجرسيس Artagerses في موقعة كوناكسا- بإرسال «هدايا فخمة وحسنة للغاية إلى ابنه» فقرة 14-1، ومن الواضح أن هذه كانت طريقة أخرى لإضفاء الشرعية على خلافة الملك الكادوزي انظر فصل 16-18 بالأسفل.

ونحن نعرف أيضاً أن أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث قد قاد حملة ضد الكادوزيين؛ ولقد ذكر جوستين Justin بعد الروايات حول هذه الحملة الكتاب العاشر، 2: 3-5 وكذلك أيضاً ديودورس Diodorus الكتاب السابع عشر، 1: 6-2 في الرواية الرسمية التي قدموها حول خلافة دارا Darius الثالث، ولقد اختزل هذان المؤلفان تلك المواجهة في مبارزة فردية مينوماخيا والتي قام بها دارا Darius الثالث رداً على التحدى الذي قدمه أحد العمالقة الكادوزيين، وتوجد شواهد كثيرة على مثل هذه المبارزات الفردية وخاصةً في القصص التي ذكرها ديودورس Diodorus الكتاب السابع عشر، فقرة 4: 88-6 وكوينتوس كورتيوس Quintus Curtius الكتاب السابع، فقرة 33: 4-38 حول صراع ساتيبارزانيس Satibarzanes مع المقدونيين في إقليم أريا، حيث إنه نظراً لإحتمال استمرار المعارك دون أن يتحدد فائز، اقترح ساتيبارزانيس Satibarzanes حسم نتيجة هذه الحرب من خلال المنازلة الفردية، ولقد قبل إريجيوس Erigyius هذا الاقتراح وكان هو الفائز في المنازلة والتي استسلم بعدها جنود ساتيبارزانيس Satibarzanes دون مزيد من القتال؛ وتذكرنا هذه النزالات الفردية بما كتبه إم. ماوس Mauss : «إن الشعوب المذكورة في العقد هي شعوب فانية: عشائر، قبائل وأسر، والذين يواجهون ويعارضون بعضهم البعض، إما كمجموعات توجه بعضها على اليابسة أو في شخص قوادها أو بكلا الطريقتين في وقت واحد»؛ ويمكننا أن نتساءل عما إذا كانت منازلة كودومان Codoman الفردية للكادوزيين تعكس ممارسة «العداء المنظم» سواء أكانت تتكون من مواجهة بين جيشين أو كانت بسيطة وخالصة، أو وه الإحتمال الأكثر رجحاناً سواء أكان هذه النزال الفردى يلى معركة بين الطرفين تبعاً لهذه النظرية، دارت معركة وفق التقاليد المتعارف عليها، ولقد قام الكادوزيين بعد هذه المعركة بتجديد ولائهم للملك الأكبر في

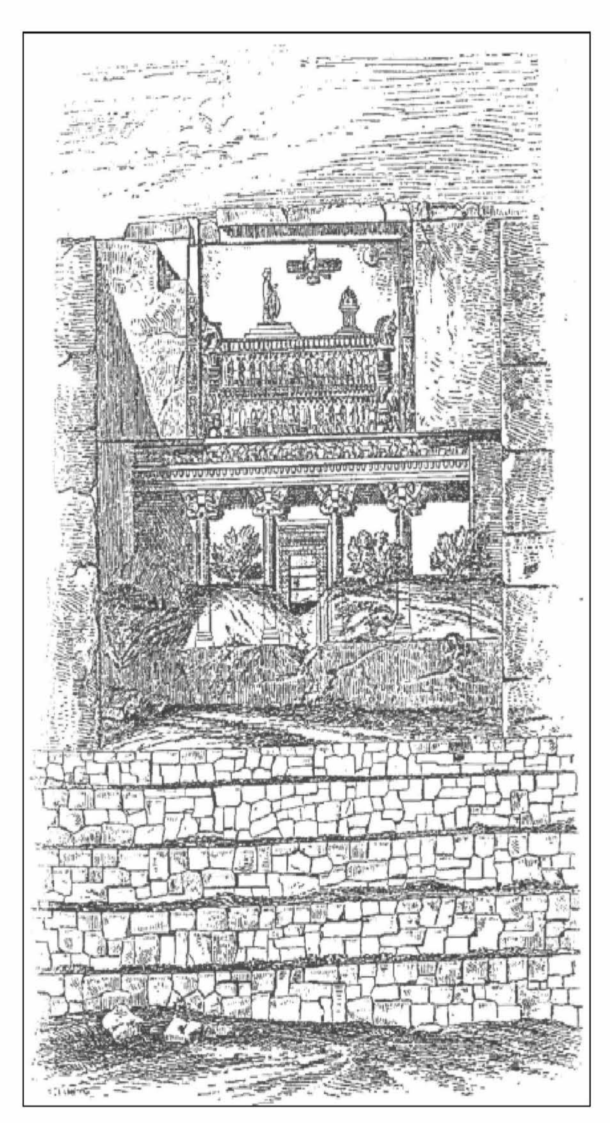
معاهدة كانت شكليًا تتسم بالمساواة، ولكننا يجب أن نكون حذرين: حيث إن هذه النظرية يجب أن تأخذ في الاعتبار حقيقة أن قصص ديودورس Diodorus وجوستين Justin تم بناؤها في الأساس اعتماداً على مجموعة من الأفكار الملكية المتكررة راجع فصل 17-1 والتي نجدها بصورة جزئية في اللوجوس الميدي الذي تحدث عنه ديودورس Diodorus الكتاب الثاني، فقرة 33: حيث لجأ رجل فارسي اسمه بارسونداس Parsondas - والذي كان مقرباً من الملك الميدي أرتيوس Artaeus - إلى الكادوزيين «والذين كان قد زوج أخته إلى رجل منهم والذي كان الرجل الأكثر نفوذاً في هذه الأجزاء»، ولقد تمكن بارسونداس Parsondas - بالاستعانة بجيش مكون من 200 ألف رجل- من هزيمة الملك أرتيوس Artaeus والذي كان يقدر جيشه بـ800 الف جندي: «وبسبب هذا العمل البطولي، أُعجب به شعب هذه الأرض لدرجة أنهم اختاروه ملكاً» 33-4؛ ويختم ديودورس Diodorus قصته بهذه الطريقة: «لقد كانت تربط الكادوزيين على الدوام علاقة عداء متأصلة بالميديين، ولم ينجح الملوك الميديون مطلقاً في إخضاعهم لسيادتهم، وحتى عندما قام قورش Cyrus بالاستيلاء على ممتلكات مملكة الميديين ونقلها إلى السيادة الفارسية» 33-6؛ ومن الواضح أن ديودورس Diodorus كان يعتمد على الرواية الموجودة في مؤلف نيكولاس Nicolaus الدمشقي وكلاهما كانا من المؤكد يعتمدان على ستيسياس Ctesias ؛ ومن الصعب فهم لماذا كانت توجد كل هذه القصص العديدة حول العلاقة بين الفرس والكادوزيين في عهد أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني.

12- برسيبولس، باسارجاداي، بلاد فارس:

بعد أن تمكن الإسكندر Alexander من الاستيلاء على الحصن الذي

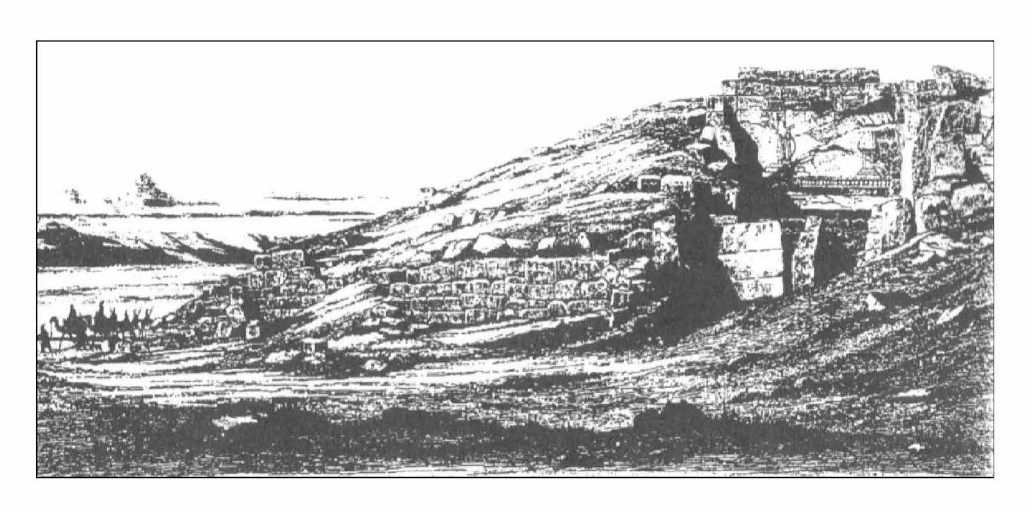
كان يدافع عنه ماداتيس Madates ، قام بإرسال بارمنيون Parmenion مع قافلة الإمدادات عبر طريق العربات الذي يخترق السهل هاماكسيتوس، إتر كامبستري والمؤدى إلى برسيبولس أريان Arrian ، الكتاب الثالث، 18-1؛ كوينتوس كورتيوس Quintus Curtius الكتاب الخامس، فقرة 3-1؛ ولقد قام هو نفسه بسلوك الطريق الجبلية؛ وبعد أن قام بهزيمة الأوكسيين سكن الجبال وإشاعة الفوضى في صفوف القوات التي تم حشدها عند البوابات الفارسية، انضم الإسكندر Alexander إلى بارمنيون Parmenion في برسيبولس؛ ولقد كانت إقامة الإسكندر Alexander الطويلة في بلاد فارس نهاية عام 331 حتى ربيع عام 330 إلى ظهور عدد كبير من الروايات القديمة التي تمدنا بقدر كبير من المعلومات المهمة للغاية، ويمكننا أن نعود إلى المسار الذي سلكه الإسكندر Alexander من صوصا ونذكر أن أوصاف ديودورس Diodorus في البداية وقبل كل شيء تؤكد على التقابل الموجود بين السهل بحره وقيظه الذي يطاق والهضبة بمناخها المنعش وهو الفارق الذي يدركه على الفور أي زائر لهذه المنطقة، وتصور الأوصاف التي قدمها بشكل خاص مدى الروعة والخضرة التي تتميز بها منطقة فاهليون والتي تكثر فيها الأنهار والينابيع والرياض وجميع أنواع المزارع الكتاب السابع عشر، فقرة 67-3؛ الكتاب التاسع عشر، فقرة 2: 21-3، ولقد كانت هذه هي المناظر الطبيعية التي أبهرت نيرخوس Nearchus أيضاً إنديكا، فقرة 40-4؛ سترابو Strabo ، الكتاب الخامس عشر، فقرة 3-1، وهذه الوفرة التي يتسم بها الريف والخصوبة التي تتميز بها أراضيه - والتي أكد كوينتوس كورتيوس Quintus Curtius عليها أيضاً فيما يتعلق بالأراضي المحيطة ببرسيبولس الكتاب الخامس، فقرة 4-20، فقرة 5-4- تكملها قوة الشعب الذي يسكن تلك المنطقة؛ فلقد ذكر ديودورس Diodorus اعتماداً على رواية شهود عيان هييرونيموس

Hieronymus المنتمى إلى كارديا متحدثاً عن المنطقة التي تقع بين فاهليوم وبرسيبولس: «هؤلاء الذين يسكنون هذه المنطقة كانوا من بين أشد الشعوب الفارسية ولعاً بالحرب، وكان كل رجل منهم يجيد الرماية بالأسهم والحجارة، كما أن هذا الإقليم كان يتفوق على جميع المرزبانيات الأخرى من حيث كثافة سكانه» الكتاب التاسع عشر، فقرة 21-3 وتفسر هذه الملاحظة قوة النمو السكاني والمحافظة على الموارد العسكرية للدولة؛ ويمكننا أن نتصور أن «سياسة الملوك الفرس في تحفيز معدل المواليد» راجع هيرودوت Herodotus ، الكتاب الأول، فقرة 136؛ سترابو Strabo ، الكتاب الخامس عشر، فقرة 3-17 كانت فعالة للغاية؛ ويذكر بلوتارخ Plutarch أيضاً أن الإسكندر Alexander قد حافظ على هذه العادة -التي كان أباطرة الفرس هم أول من طبقوها- والمتمثلة في تقديم قطعة ذهبية إلى كل إمرأة من النساء الحوامل، وذلك عند كل زيارة يقوم بها إلى بلاد فارس الإسكندر Alexander 1:29-2.



الشكل 63

ومهما كان الجدل شديداً حول مدى اتساع وأهمية سياسات الإسكندر Alexander وأنشطته، إلا أنها تظهر أن كل من باسارجاداى وبرسيبولس ظلتا مراكز أيديولوجية رئيسة للسلطة الفارسية ومصادر قوة رئيسة للملك الأكبر الفارسي وهي المكانة التي لم تفقدها في أي وقت من



الشكل 64

الأوقات على الرغم من الملاحظة الغريبة والبسيطة التي ذكرها بلوتـارخ Plutarch : الإسكندر Alexander، 2-69، ولقد أقر الإسكندر Alexander مـرة أخـرى بهـذه المكانـة عنـدما أمـر بـدفن دارا Darius الثالـث في المقـابر الملكيـة الموجـودة في برسيبولس شكل 63 كما كان يحدث من أسلافه السـابقين أريـان Arrian ، الكتـاب الثالث، فقرة 22-1؛ والدليل عـلى أن برسـيبولس وباسـارجاداى كانتـا لا تـزالان مـن المراكز الرئيسة في الإمبراطوريـة تمثـل في الأعـمال التـي اسـتمرت فـيهما عـلى مـدار القرن الرابع بما فيها الأعمال التي نفذت خلال فترة حكم دارا Darius الثالث، هـذا إذا كان من الممكن نسبة المقبرة غير المكتملة إليه، شكل 64، كما أنه تمثـل أيضـاً في المحافظة على تقديم القرابين بانتظـام حـول مقـبرة قـورش Cyrus في باسـارجاداى الكتاب السادس، فقرة 29-7؛ ويشير تكرار استخدام الأنمـاط التصـويرية نفسـها بمـا فيها الصور الموجودة عـلى الأختـام -مـن البـدايات الأولى لهـذه الدولـة وعهـد دارا Darius الأول وحتـــى الفـــترة المتـــأخرة في تاريخهـــا والمتمثلـــة في عهـــد أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث- إلى ثبات الأيديولوجية الملكيـة الأخمينيـة في مركز الإمبراطورية؛ وفي الوقت نفسه تشـير الرسـوم البـارزة الموجـودة عـلى مقبرة أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث إلى أن عمليات الاستعارة التـي تمـت

كانت انتقائية: ففي حين أننا نجد الشعوب التي كانت تسكن في أطراف الإمبراطورية النوبيين، الليبيين على جميع المقابر، إلا أن الرسوم والنقوش البارزة الموجودة على مقبرة أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث لا تظهر تشتمل على الأرمينيين، الليديين، المصريين أو الهنود؛ وهذا الأمر يرجع لأسباب من الواضح أنها لا علاقة لها بحقائق السيادة الإقليمية، ولا تزعم هذه الصور أو القوائم -التي تم إنتاجها في أواخر أيام الإمبراطورية- أنها تقدم مقتطفاً إحصائيًّا عن الإمبراطورية بدرجة أكبر، مما كانت تفعل الصور والقوائم المماثلة في الفترات السابقة من تاريخ الإمبراطورية فصل 5-3؛ وبشكل أساسي فإن هذه الشعوب المذكورة أسمائها هي مجموعة ممثلة تماماً بتلك المجموعة التي شاركت في مأدبة أوبيس Opis : «جاء بعد الفرس الأشخاص المنتمون إلى الشعوب الأخرى الذين كانوا الأسمى منزلة كاتاكسيوسين أو الأسمى في الصفات الأخرى» أريان Arrian ، الكتاب السابع، فقرة 8-11 .

وبالإضافة إلى ذلك فإن إستمرار عمليات البناء وإعادة البناء أثارت مشكلة محددة؛ ففي خلال عهد كل من دارا Darius الأول وكسركسيس Xerxes وأرتاكسركسيس Artaxerxes الأول كان المصدر الرئيس لأنشطة البناء تلك هو العمل الإجبارى الذي كان يؤديه العمال الكورتاس ومنظمة الورش الحرفية والمزارع الإنتاجية، حتى ولو أن هذه المزارع كانت تلعب دوراً أكبر بكثير من مجرد إطعام العمال في ساحات البناء؛ ومن الواضح أنه لا يمكننا أن نعزو «الاختفاء المفاجئ «للألواح التي تسجل هذه العمليات إلى القضاء على الاقتصاد الملكي في فارس والتي هي فكرة سخيفة في حد ذاتها؛ ولكن يبدو أن ألواحاً أخرى من عهد الإسكندر Alexander تزودنا بمعلومات من الممكن أن تثرى هذه المناظرة، فعندما وضع الإسكندر Alexander نفسه في موقف حرج عند البوابات الفارسية، التمس المساعدة من الأسرى الذين قد ألقى جنوده

القبض عليهم للتو؛ ولقد تم تقديم أحدهم على أنه قادر على التحدث بلغتين، حيث كان يتحدث اليونانية والفارسية وربما الليسية أيضاً؛ وفي الحقيقة فلقد جاء والد هذا الرجل في الأساس من ليسيا بعد أن أسره الفرس هناك وجلبوه إلى بلاد فارس؛ ولأنه كان يعرف هذه الجبال مثل راحة يده، حيث إنه كان يعمل كراعٍ في هذه الجبال كوينتوس كورتيوس Quintus Curtius ، الكتاب الخامس، 3: 4-4، 12-10؛ ديودورس Diodorus ، الكتاب السابع عشر، 4: 68-6؛ بلوتارخ Plutarch ، الإسكندر Alexander، 1-37؛ وبعد ذلك ببعض الوقت، وبينما كان الإسكندر Alexander يقترب من برسيبولس أسرع إليه اليونانيون الذين «حملهم ملوك فارس السابقين من بيوتهم إلى هنا»، وكان عددهم حوالي 800 شخصاً تبعاً لديودورس Diodorus الكتاب السابع عشر، 69-4 وجوستين Justin الكتاب الحادي عشر، 14-11، و4000 تبعاً لكوينتوس كورتيوس Quintus Curtius الكتاب الخامس، 5-5، ولقد تعرض هؤلاء الأشخاص للتشويه والبتر وتبعاً لديودورس Diodorus حدث ذلك لزيادة قدرتهم على تنفيذ المهام اليدوية الموكلة إليهم، الكتاب السابع عشر، فقرة 69-4، ولقد تم أيضاً «وسمهم بالحروف البربرية» كوينتوس كورتيوس، الكتاب الخامس، فقرة 5-6؛ ولقد كانوا يعملون في «الإرجاستولا» أي ورش العبيد الكتاب الخامس، فقرة 5-13؛ ولقد جاء بعض هؤلاء الأشخاص من سايمي، بينما جاء بعضهم الآخر من أثينا الكتاب الخامس، فصل 5، فقرات 9، 17؛ ويعود استقرارهم وتوطنهم في فارس إلى بعض الوقت، حيث إن بعضهم قد تزوج وأنجب أطفالاً ورفض العودة إلى موطنه الأصلي الكتاب الخامس، فصل 5، فقرات 13، 20، ويبدو أن هذا كان هو حال الراعي، حيث إن بلوتارخ Plutarch يقول إن: «أبوه كان من ليسيا، أما أمه فكانت فارسية» الإسكندر Alexander ، فقرة 37-1 .

وإذا تـم تجريـد هـذه النصـوص الكلاسـيكية مـن لغتهـا العاطفيـة فإنهـا لا تستحق أن يتم رفضها أساساً؛ ومن المحتمل بدرجة أكبر أنه يجب أن تتم -بطريقـة أو بأخرى- المقارنة بين اليونانيين والليسيين الموجودين في هذه القصص وبين عـمال الكورتاس الذين تتحدث عنهم الألواح؛ وتبعاً لهذه النظريـة فـإن التوجـه المتمركـز على الثقافـة الهلينيـة والـذي تتسـم بهـا المصـادر يـدفعنا إلى الإعتقـاد بـأن هـؤلاء المغتربين اليونانيين والليسيين لم يكونوا سوى عينة من السـكان الـذين بعـد أن تـم تحريرهم من الأسر اختاروا ألا يتركوا مستوطناتهم الموجـودة في بـلاد فـارس والتـي نتجت عن الترحيـل واسـع النطـاق للشـعوب المهزومـة، ولقـد اسـتخدمتهم الإدارة الملكية للعمل في الحقول والمراعي والورش وساحات البناء؛ ونحن لا نزعم أن شـيئاً لم يتغير منذ عهد دارا Darius الأول، ولكننا مقتنعين بالفكرة المعقولـة المتمثلـة في أن الإدارة التي أنشأها الملوك الفرس الأوائل لم تختفِ بشـكل مفـاجىء؛ ولقـد تـم تأكيد ذلك من خلال الفقرة التـي حـدد فيهـا أريـان Arrian بدقـة شـديدة كميـة المؤن والأقوات التي كانت مخصصة للكهنة المجوس المسؤولين عن تقـديم القـرابين حول مقبرة قورش Cyrus بالإضافة إلى عدد الخيول التي يجب عليهم التضحية بها الكتاب السادس، فقرة 29-7، وهي المعلومات التـي كـان قـد تلقاهـا مبـاشرة مـن المديرين الملكيين راجع ديودورس Diodorus ، الكتاب السابع عشر، 69-8 كـما في وقت ألواح التحصينات .

وفي الوقت نفسه، فإن المعلومات التي توجد لدينا حول الإدارة التي كانت تشرف على هذه المنطقة وحول المسؤولين الذين كـانوا يشـغلون المناصـب هنـاك في عهـد دارا Darius الثالث تجعلنا نتساءل حـول احـتمال حـدوث تغـيرات في المكانـة التـي كانـت تحتلها فارس على مر التاريخ الأخميني؛ ففي معركة جوجـاميلا كـان هنـاك ثـلاث قـادة يتولون قيادة الفرق التي تم حشدها من «القبائـل التـي كانـت تعـيش بمحـاذاة البحـر

الأحمر الخليج الفارسي»، وكان هؤلاء القـادة هـم أورونتوبـاتيس Orontobates ، أريوبـارزانيس Ariobarzanes وأوركسـينيس Orxines أريـان Arrian ، الكتـاب الثالث، فقرة 5-8؛ راجع كوينتوس كورتيوس Quintus Curtius ، الكتـاب الرابـع، فقرة 12-7؛ ولم يتم ذكر الفرس بهذه الطريقة في سياق هذه المعركـة، عـلى الـرغم من أنهم قد شاركوا ككل بصورة منفصـلة عـن القبائـل المحليـة التـي تعـيش عـلى ضفاف الخليج الفارسي أريان Arrian ، الكتاب الثالث، فصل 3، 11-7؛ ومرة أخرى نجد أريوبارزانيس Ariobarzanes وقد أوكلت إليـه مهمـة الـدفاع عـن البوابـات الفارسية، ويلقبه أريان Arrian هذه المرة بـ «مرزبان فارس» الكتاب الثالث، فقرة 18-2، ومـن بـين الأشـخاص المعـروفين الآخـرين الـذين ذكـرت أسـماؤهم نجـد تيريداتيس Tiridates -أمين الخزانة جانزا في برسـيبولس- والـذي أرسـل رسـالة إلى الإسكندر Alexander يعرض عليـه فيهـا تسـليم المدينـة لـه كوينتـوس كورتيـوس Quintus Curtius ، الكتاب الخامس، فقـرة 5-2* 6-11؛ ولقـد جعلـه ديـودورس Diodorus في روايته «حاكماً على المدينة»، الكتاب السابع عشر، 69-1؛ ويمكننا أن نجد أيضاً اسم جوباريس Gobares والـذي لقبـه كوينتـوس كورتيـوس Quintus Curtius بـ «حاكم مدينة» برافكتوس باسارجاداى الكتـاب الخـامس، فقـرة 6-10؛ وإذا كانت معلومات أريان Arrian صحيحة فيجـب أن نسـتنتج مـن ذلـك أنـه في تاريخ غير محدد وفي ظل ظروف غير محددة تم تحويـل بـلاد فـارس إلى مرزبانيـة وهو الوضع الذي لم يكن موجوداً في عهد دارا Darius الأول.

ولكن لا تزال هناك العديد من الأمور غير المؤكدة فيما يتعلق بهـذه النقطة؛ وذلك لأن أريان Arrian هو الوحيد مـن بـين مـؤرخي الإسـكندر Alexander الذي لقب أريوبارزانيس Ariobarzanes بهذا اللقب، الذي وعلى الرغم من ذلك لا توجد عليه أدلة مؤكدة إلا بعد الفتح عنـدما قـام

الملك بتعيين الفارسي فراسورتيس Phrasaortes -ابن ريـومثريس Rheomithres- «مرزبانـاً عـلى فـارس» أريـان Arrian ، الكتـاب الثالـث، فقـرة 18-11؛ وتبعـاً لبوليانوس Polyaenus - والذي جعـل مـن فراسـورتيس Phrasaortes هـذا قائـداً للقـوات الفارسـية المدافعـة عـن البوابـات الفارسـية- فلقـد كـان فراسـورتيس Phrasaortes «أحد أقربـاء دارا Darius المبـاشرين» الكتـاب الرابـع، فقـرة 3-27؛ وتبعاً لكوينتوس كورتيوس Quintus Curtius يمكننا أن نذكر أيضاً أنه كـان يوجـد شـخص بـارز بجـوار أريوبـارزانيس Ariobarzanes وهـو أوركسـينيس Orxines والذي كان «مسؤولاً عن كل شيء، وكان ينحـدر مـن الفـرس السـبعة ويمتـد نسـبه أيضاً إلى قورش Cyrus الملك الأكثر شهرة» الكتاب الرابع، فقرة 12-8؛ ولهذا السبب وبعد مصرع فراسورتيس Phrasaortes خـلال حملـة الإسـكندر Alexander عـلى الهند، قام أوركسينيس Orxines بإعلان نفسه مرزباناً على فـارس «لأنـه شـعر أنـه الشخص المناسب -في غياب أي حاكم آخر- الذي لديه القـدرة عـلى السـيطرة عـلى الفرس لصالح الإسكندر Alexander » أريان Arrian ، الكتاب السادس، فقـرة 29-2؛ وهذه هي النقطة التي يمنحه عنـدها كوينتـوس كورتيـوس Quintus Curtius لقب «مرزبان» الكتاب العاشر، فقرة 1-22 وهذا مـا يعنـى ببسـاطة أننـا يجـب أن نفهم من ذلك أن أوركسينيس Orxines كان هو زعيم قبيلة الباسارجادای برسـيكا جنس، كويوس سترابيس أورسينيس إيرات؛ ويظهر هذا المثال على الأقـل أن النظـام الطبقى القبلى والاجتماعى كان لا يزال قائماً في فارس؛ ومن الواضح أن رؤسـاء الأسر العريقة حافظوا على كونهم أصحاب المنزلة الأعـلى بلوتـارخ Plutarch ، الإسـكندر Alexander، 1-37؛ وبالإضـافة إلى ذلـك -فتبعـاً لكوينتـوس كورتيـوس Quintus Curtius - كان أوركسينيس Orxines هو الذي قاد الفرق الفارسية، ولكن لو كـان

هذا صحيحاً فماذا كان دور أريوبارزانيس Ariobarzanes بالضبط؟ وهل كان لقب مرزبان راجعاً فقط لمنصب القيادة الذي شغله عند البوابات الفارسية؟

إن المشكلة أصعب من ذلك بكثير؛ لأنه -باستثناء تعيين مرزبان على بلاد فارس- نجد أن عرض القرارات الإدارية التي اتخذها الإسكندر Alexander في برسيبولس كان وجيزاً للغاية، سواء في رواية كوينتوس كورتيوس Quintus Curtius أو أريان Arrian ؛ وكل ما ذكره الإسكندر Alexander هو أن تيريداتيس Tiridates قد احتفظ بوظيفته كأمين للخزانة جازوفيلاكس حتى بعد أن تم تسليم القلعة إلى المقدوني نيكارخيديس Nicarchdes الفصل الخامس، فصل 6-11؛ ومن ناحية أخرى لم يذكر أي من المؤلفين أي شيء حول الجزية التي كان يتم تحصيلها من هذه المرزبانية، على الرغم أنه كان يتم تقديم هذه المعلومة بصورة منتظمة في الحالات الأخرى؛ وكل ما يمكننا عمله عند هذه النقطة هو ذكر ثلاث معلومات من الصعب أن نربطها ببعضها: الأولى هي أن الأوكسيين من سكان السهول كانوا معفون من الجزية كوينتوس كورتيوس Quintus Curtius ، الكتاب الثالث، فقرة 15-3، والثانية هي أن الأوكسيين من سكان الجبل كان عليهم أن يدفعوا جزية أريان Arrian ، الكتاب الثالث، فقرة 17-6، والثالثة هي أن الكورتاس اليونانيين قد تم إعفائهم من دفع الجزية بمجرد أن تم تحريرهم أتيليس باسيليكو فورو ديودورس Diodorus ، الكتاب السابع عشر، فقرة 69-8؛ ولكن ما الذي يمكننا أن نستنتجه من هذا حول الموقف السائد قبل قدوم الإسكندر Alexander ؟ إن الحقيقة الوحيدة الواضحة التي توجد لدينا انظر بالأعلى هي أن الأوكسيين من سكان الجبال لم يكونوا يدفعون جزية إلى الملك الأكبر، ولكنهم أصبحوا مضطرين الآن إلى دفعها إلى الإسكندر Alexander ؛ وبالإضافة إلى ذلك يقودنا السياق إلى

اعتقاد أن الإعفاء الذي تم منحه إلى الأوكسيين من سكان السهول كان تأكيداً لمكانة سابقة ولقد كان من الغريب جدًّا أن الإسكندر Alexander وافق على عدم فرض الجزية ولكن لا تزال هناك حالة اليونانيين الذين كانوا موجودين في برسيبولس: هل تشير ملاحظة ديودورس Diodorus إلى أنه كانت هناك جزية مفروضة عليهم قبل عهد الإسكندر Alexander ؟ أم هل تشير إلى أن الإسكندر Alexander قام بعد الفتح بفرض الجزية على بلد كانت -كما يقول هيرودوت Herodotus الكتاب الثالث، فقرة97- معفاة منها في عهد دارا Darius الأول؟ إن هذا السؤال صعب إلى حد ما؛ ودعونا نتذكر أن اليونانيين قد حصلوا على البذور والماشية من الإسكندر Alexander «حتى يستخدموها في حرث وزراعة الأراضي التي تم منحها لهم أجير أتريبوتوس» كوينتوس كورتيوس Quintus Curtius ، الكتاب الخامس، فقرة 5-24؛ وهذا يمدنا بالسياق الذي تم فيه الإعفاء من الجزية الملكية ديودورس Diodorus ، الكتاب السابع عشر، فقرة 69-8 والذي يتصل فقط بحالة شديدة الخصوصية: فلقد قام الإسكندر Alexander بوصفه الفاتح بأخذ أراضي من العزب الملكية أو من عزب النبلاء وخصصها لأحد المجتمعات؛ ولقد شكل هذا الأساس لإنشاء مستعمرة هناك، وهي العملية التي ارتبطت بشكل متكرر في الفترة الهلينية بتوزيع البذور والإعفاء المالي المؤقت من دفع الضرائب؛ وهكذا فإنه يبدو من الصعب صياغة استنتاجات عامة حول وضع فارس فيما يتعلق بدفع الجزية سواء قبل أو بعد قدوم الإسكندر Alexander من خلال هذه البيانات؛ وإذا كان اليونانيون -كما هو مفترض- مجرد جزء من صغير من مجتمع أكبر من الكورتاس، فإنه من المؤكد أن الإسكندر Alexander لم يكن ينوى تحريرهم جميعاً؛ لأنه إذا كان الاقتصاد الملكي لا يزال حيويًّا وفعّالاً في عامي 330-331، فإنه لن يكون هناك

داعٍ للقيام بعمل سوف يؤدى على الأرجح إلى إضعافه؛ وتوضح النصوص القليلة التي تعود إلى فترة الإقامة الثانية للإسكندر في بلاد فارس بشكل عام استمرارية الممارسات الأخمينية أريان Arrian ، الكتاب السادس، فقرة 29-7؛ بلوتارخ Plutarch ، الإسكندر Alexander، 2-9 1:6 .

13- من برسيبولس إلى إكباتانا:

في ربيع عام 330 تقدم الإسكندر Alexander مسرعاً بجيوشه على طول الطريق الرئيس للهضبة المؤدى إلى ميديا والذي قطعه في 12 يوماً أريان Arrian ، الكتاب الثالث، فقرة 19-3؛ وهي الرحلة التي يمكن أن يقطعها الجيش الذي يتحرك بمعدل طبيعي في مدة 20 يوماً ديودورس Diodorus ، الكتاب التاسع عشر، فقرة 46-6؛ ولقد عبر وأخضع أراضي البراتاكاي وجعل منها مرزبانية أريان Arrian ، الكتاب الثالث، فقرة 19-2؛ ولقد عبر الإسكندر Alexander أيضاً أراضي الجابينى والتي يحدد سترابو Strabo موقعها بأنها كانت تقع على الأطراف الشمالية لبلاد فارس وهي أيضاً المكان الذي يوجد فيه أحد القصور الملكية باسيليون في جاباى/تاباى سترابو Strabo ، الكتاب الخامس عشر، فقرة 3-3؛ كوينتوس كورتيوس Quintus Curtius ، الكتاب الخامس، فقرة 13-2؛ ولقد كانت هذه المنطقة إحدى المناطق القوية التي يمكن أن يستخدمها الجيش في إعادة التزود بالمؤن ديودورس Diodorus ، الكتاب التاسع عشر، فقرة 26-2؛ ثم وصل الإسكندر Alexander بعد ذلك إلى إكباتانا، وفي جوجاميلا كانت الفرقة الميدية بالإضافة إلى الفرق الآتية من إكباتانا: الكادوزيين، الألبانيين، الساسيسينيين تحت قيادة أتروباتيس Atropates الميدي أريان Arrian ، الكتاب الثالث، فقرة 8-4، وهو الذي سيؤسس في المستقبل الدولة الأتروباتية في ميديا سترابو Strabo ، الكتاب الحادي

عشر، فقرة 13-1، هل كان في ذلك الوقت مرزباناً على ميديا؟ لا يمكننا أن نجزم بذلك؛ ولكن كل ما نعرفه هو أن الإسكندر Alexander قام بتعيين الفارسي أوكسيداتيس Oxydates في هذا المنصب بعد ذلك ببعض الوقت أريان Arrian ، الفقرة الثالثة، 20-3 قبل أن يستبدله بأتروباتيس Atropates نفسه الكتاب الرابع، فقرة 18-3؛ وعلى أية حال فإن هذا هو أول دليل نقابله على وجود منصب مرزبان ميديا منذ عهد دارا Darius الأول وفي ذلك الوقت كان ميتورنا Miturna/ هيدارنيس Hydarnes هو المرزبان هناك لوح التحصينات أ 18، والمرة الأخيرة التي تمت فيها الإشارة إلى طريقة إدارة المدينة كانت تتمثل في الإشارة في رسالة عزرا Ezra إلى دور المحفوظات الملكية التي توجد في حصن إكباتانا 1: 6-2، هجماتانا ديدا؛ ولأن ميديا كانت تقع بعيداً عن مسارح العمليات الفارسية اليونانية، فإنها نادراً ما كانت تجذب انتباه الكتاب اليونانيين القدماء وهذا على الرغم من أنهم كانوا على علم بالفخامة والروعة الإسطورية التي كانت تتميز بها إكباتانا، كما أنهم كانوا يعلمون أيضاً أنها واحدة من أماكن الإقامة الدورية للملك الأكبر وبلاطه، ولقد قام مؤرخى الإسكندر Alexander بسد هذه الفجوة في المعلومات بشكل جزئي فقط، وذلك لأن المقدونيين لم يقوموا سوى بزيارات قصيرة إلى إكباتانا.

ومن ناحية أخرى، فلقد ترك بوليبيوس Polybius أوصافاً متحمسة لميديا وإكباتانا في العديد من المناقشات التي تناول فيها تاريخ الدولة السيلويسية؛ ولقد أكد على الموقع الاستراتيجي غير العادي الذي تتميز به هذه المنطقة وضخامة ما لديها من موارد: «يمكن أن يتم تصنيفها كمملكة» الكتاب الخامس، فقرة 44-45؛ وكما يقول فلقد «كانت ميديا هي المقاطعة الأبرز في آسيا كلها من حيث اتساع مساحة أراضيها وعدد الرجال وأيضاً جودة الخيول التي تنتجها؛ حيث إن توفر الإمدادات

التي تحتاجها آسيا بأكملها» الكتاب العاشر، فقرة 27؛ ولقد كان رفاق الإسكندر Alexander يعرفون جيداً مدى خصوبة ووفرة المراعي الميدية وهي الوفرة التي أكد عليها بوليبيوس Polybius ، وكانت مزارع استيلاد الخيول النسائية الشهيرة تبعد مسيرة ستة أيام من إكباتانا مقاطعة نيسايا؛ وفي خلال عهد أباطرة فارس كان تحتوي هذه المزارع على 150 ألفاً من الخيل والتي كانت ترعى بحرية ديودورس Diodorus ، الكتاب السابع عشر، فقرة 110-6؛ أريان Arrian ، الكتاب السابع، فقرة 13-1؛ وعلى الرغم من المناخ الرطب، كانت تحتوي ميديا على مقاطعات غنية كان يقوم الفلاحون الذين يعيشون في مئات من القرى بزراعة سهولها وحقولها ديودورس Diodorus ، الكتاب التاسع عشر، 1: 32-2* 37-2* 39-1؛ وكما يقول سترابو Strabo فلقد كانت ميديا وحدها في عهد أتروباتيس Atropates في ذلك الوقت كانت منفصلة عن ميديا الكبرى تسلم إلى الملك الأكبر بالإضافة إلى مال الجزية عدداً مذهلاً من الماشية في كل سنة: 4000 بغل + 3000 حصان + 100 ألف خروف؛ وقد أكد سترابو Strabo مرة أخرى على ضخامة حجم الموارد العسكرية التي كانت تمتلكها هذه المنطقة، حيث كان بإمكانها أن تحشد بسهولة 10 آلاف من الفرسان + 50 ألف رجل من المشاة الكتاب الحادي عشر، فقرة 13-2؛ وتعنى ملاحظة سترابو Strabo هذه أن المقاطعة التي سوف تصبح فيما بعد مملكة ميديا الأتروباتية كانت تمثل بالفعل مقاطعة إدارية فرعية دافعة للجزية خلال الفترة الأخمينية؛ ونلاحظ أيضاً أن ديودورس Diodorus قد استخدم كلمة إيبارخية: ولقد كانت راجاى واحدة من الإيبارخيات التابعة لميديا، وبسبب تاريخ الأحداث التي يصفها ديودورس Diodorus بداية عصر الديادوكي، فإننا نميل إلى الاعتقاد بأن هذا المصطلح يعود إلى أحد التنظيمات الإدارية الأخمينية والتي ربما كانت وحدة مماثلة لـ «المدينة»

والتي تشير في الوثـائق الآراميـة الموجـودة في مصر إلى تقسـيمات فرعيـة داخليـة للمرزبانية انظر ديـودورس Diodorus ، الكتـاب التاسـع عشر، فقـرة 95-2، التـي تشير إلى إدوميا.

وقد كان بوليبيوس Polybius هـو مـن قـدم أفضـل وصـف لإكباتانـا، فلقـد وصفها كوينتوس كورتيوس Quintus Curtius ببسـاطة عـلى أنهـا عاصـمة ميـديا كابوت ميدياي الكتاب الخامس، فقرة 8-1، بينما قدمها ديودورس Diodorus على أنها مدينة كبيرة للغاية يبلغ محيطها 160 مقياس بعدى = 30 كم تقريباً، وأنها كان بها أحد المقار الدورية للبلاط باسيليون وأيضاً خزينة مكدسة بالثروات فلقـد أحضر الإسكندر Alexander بعض خـزائن صوصـا وبرسـيبولس إلى إكباتانـا؛ بيـنما يقـول بوليبيوس Polybius الكتاب العاشر، فقرة 27 إن هذه المدينة على الرغم من أنها لم تكن محصنة إلا أنها كانت تحتوي على قلعة أكرا تحيط بها أسوار قوية، ولقـد قـام دارا Darius بتعليـق الأجسـاد المشـوهة للمتمـرد فرافـارتيس Fravartis ومـن ساعدوه على أسوار هذه القلعـة في عـام 521، ولقـد وصـف بوليبيـوس Polybius أيضاً الثروات الهائلة التي كانت توجد في القصر المقام هنـاك: حيـث كـان السـقف والعوارض الأفقية والأعمدة -والذين كانوا مصنوعين إما من خشـب الأرز أو السرو- «كانوا مبطنين إما بالـذهب أو بالفضـة»؛ وحتـى بعـد أن قـام الجنـود المقـدونيون بنهبهم كانت لا تزال الأعمدة الموجودة في البهو المعمد لمعبد أنيس مذهبة وكان لا يزال هناك عدد من ألواح الفضة متراكماً فيه»، ومن المؤكد أن الإلهة أنيس هـذه لم تكن سوى الإلهـة أناهيتـا Anahita التـي أمـر أرتاكسركسـيس Artaxerxes الثـاني بعمل تمثـال طـقسى لهـا في إكباتانـا، والتـي أرسـل أسباسـيا Aspasia لهيكلهـا «حتى تكون كاهنة لـديانا إلهـة إكباتانـا» -والـذين يسـمونها أنـايتيس- ولـكي تقضى بقية حياتها في عفة» بلوتارخ Plutarch ، أرتاكسركسيس Artaxerxes ،

فقرة 27-4؛ ولقد تحدث إيسيدور Isidore المنتمى إلى كاراكس عن هذا المعبد فيما بعد المحطات البارثية، ومن المحتمل أن هذه الإلهة هي الإلهة التي يسميها أحد النقوش الهلينية بأرتيميس الميدية فصل 16-3 بالأعلى، ومن المؤكد أنه كان توجد العديد من الهياكل في إكباتانا وباقى أجزاء ميديا راجع أريان Arrian ، الزحف العسكري، الكتاب السادس، فقرة 27-4؛ ومن ناحية أخرى فإننا نتساءل حول الهوية الإيرانية للإله المسمى بـ «إسكليبيوس» والذي من المفترض أنه كان يوجد له معبد في ميديا أريان Arrian ، الكتاب السابع، فقرة 14-5؛ وكما يشير بوليبيوس Polybius فإنه من المؤكد أن العديد من المبانى قد تم بناؤها في عهد أباطرة فارس، وبالإضافة إلى ذلك، فإنه توجد شواهد على الأنشطة الإنشائية لهم في العديد من النقوش والتي يعود ثلاثة منها إلى عهد أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني؛ ولكن نتيجة لعدم وجود حفريات منظمة في تلك المنطقة فإننا لا نستطيع تقديم أية تفاصيل؛ وأخيراً فلقد حذى المرزبانات والنبلاء حذو زملائهم وقاموا بزعة مجموعة من الرياض الخلابة بالقرب من المدينة» والتي كانت تسحر الناظر إليها بمنظر البساتين المزروعة بها» كوينتوس كورتيوس Quintus Curtius ، الكتاب السابع، 22: 2-23، ولقد كانت هناك ضيتع إضافية مخصصة لخدمة المحطات الملكية ستاثموى باسيليكوى التي توجد على طول الطرق الملكية بلوتارخ Plutarch ، أرتاكسركسيس Artaxerxes ، فقرة 25-1؛ ومن المؤكد أن أشهر تلك الضياع كانت هي تلك الموجودة في بيهستون، ولقد جعلت شهرتها الإسكندر Alexander ينحرف عن الطريق من بابل إلى إكباتانا ديودورس Diodorus ، الكتاب السابع عشر، فقرة 90-5، ولقد كانت بيهستون تقع في مقاطعة كامباندا ولقد كان هذا الاسم هو نفسه اسم «جامبادينى» الذي ذكره إيسيدور Isidore المنتمى إلى كاراكس المحطات البارثية، فقرة 5، ويحتمل أيضاً أنه كان هو اسم

جاداMالا الذي ذكره ديودورس Diodorus الكتاب التاسع عشر، فقرة 37-1.

ومن وجهة نظر بوليبيوس Polybius الكتاب الخامس، فقرة 44، فإن إكباتانا كانت تدين بشهرتها وثرواتها تلك إلى موقعها الذي كان يوجد عند مفترق طرق؛ ففي جهة الشرق يوجد ما يسميه كوينتوس كورتيوس Quintus Curtius بـ «فيا ميليتاريس الطريق العسكري» وهو طريق خراسان المؤدى إلى باكترا وآسيا الوسطى عبر منطقة راجاى الغنية، وبوابات بحر قزوين وهيكاتومبيلوس راجع أريان Arrian ، الكتاب الثالث، فقرة 1: 19-2* 20-2؛ ويمكن الذهاب إلى كل من أرمينيا وكبادوكيا بسهولة من إكباتانا بلوتارخ Plutarch ، فقرة 1: 16-2، كما يمكن أيضاً الوصول إلى برسيبولس بسهولة عبر جابينى، ويستطيع المسافر أيضاً أن يصل إلى أعالي بلاد ما بين النهرين من سلوك أحد الطرق الجبلية والذي لا يحتوي سوى على فرص ضيئلة لإعادة التزود بالمؤن أريان Arrian ، الكتاب الثالث، فقرة 16-1، ويعبر هذا الطريق الأرض التي يشير إليها أحد الألواح الفلكية الذي يعود إلى عام 331 بالاسم المبتذل «أرض جوتى»، كما يمكن للواحد منا أيضاً أن يسلك الطريق الذي وصفه هيرودوت Herodotus الكتاب الخامس، فقرة 52، والذي كان عند ساردیس ونهر The Halys ويمر عبر جزء من كبادوكيا، ولهذا الطريق 15 محطة ستاثموى في أرمينيا، ثم يسير بعد أربيل بمحاذاة الضفة الشرقية لنهر دجلة ماراً في خلال ذلك بالعديد من روافده وذلك عبر كباري عائمة الكتاب الخامس، فقرة 52؛ ومن الطبيعي جدًّا أن دارا Darius الثالث قد توقف في إكباتانا بعد هزيمته في جوجاميلا، حيث كان يأمل في أن يحشد هناك المزيد من الجنود القادمين من مرزبانيات الهضبة الإيرانية فصل 18-4؛ ولقد كانت إكباتانا أيضاً هي المكان الذي قام فيه أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني بحشد الجنود من

المرزبانيات الشرقية ثم أمرهم بعد ذلك بالزحف على بابل ديودورس Diodorus ، الكتاب الرابع عشر، فقرة 22-1، ولقد تكرر هذا الدور الاستراتيجي الذي لعبته إكباتانا راجاى على مدار التاريخ الأخميني، ولقد اتضح بشكل خاص في الحروب التي خاضها دارا Darius الأول في عامي 522-521 حيث إنه قد مكث هناك عدة أشهر ليقوم بتنظيم الهجمات المضادة على كل من بارثيا وراجاي، ولقد كان الإسكندر Alexander هو الآخر ينظر إلى هذه المدينة على أنها ذات أهمية مصيرية: وقد استنتجنا ذلك من قيامه بترك بارمنيون Parmenion وبعض القادة الآخرين هناك ومن قيامه أيضاً بنقل بعض الخزائن التي كانت موجودة في كل من برسيبولس وصوصا إليها، ولدينا كل الأسباب التي تدفعنا إلى الاعتقاد بأن العاصمة الميدية كانت أكثر من مجرد السكن الصيفى لأباطرة فارس حيث إنها كانت تعمل دائماً كنقطة التقاء لشطري الإمبراطورية الشرقي والغربى، فلقد كان يتم نقل السلع الواردة من آسيا الوسطى -مثل اللازورد الذي يأتي من باداخشان البعيدة باكتريا- عبر إكباتانا؛ وتكشف الألواح من عهد كل من قورش Cyrus وقمبيز Cambyses عن أنشطة التجار البابليين في العاصمة الميدية، وهناك أيضاً بعض الوثائق المشابهة التي تعود إلى عهد دارا Darius الثاني بما فيها نقش يفترض أنه من همدان؛ ويرجح أن المنشآت التجارية البابلية كانت تتبع عمليات إعادة التمركز السنوية للبلاط الملكي .

وقد قام الميديون -مثلهم مثل العديد من شعوب الإمبراطورية- بتقديم فرق عسكرية، والتي استقرت بشكل دائم في مستعمرات الحاميات الفارسية في آسيا الصغرى أو مصر ديودورس Diodorus ، الكتاب السابع عشر، فقرة 19-4؛ ويظهر العديد من الميديين في الألواح البابلية التي تعود إلى القرن الخامس ق.م؛ وفي المقابل فإنه يمكننا أن نستنتج وجود مجموعة من الفرس المغتربين المقيمين هناك من

نص بيروسوس Berossus الذي ناقشناه بالأعلى فصل 15-8؛ ومـن ناحيـة أخـرى فنحن لا نعرف عمليًّا أية معلومات حول المكانة التي كان يحتلها النبلاء الميـديون في الإمبراطورية أو حول طبيعة العلاقات التـي كانـت تـربطهم بـالفرس؛ وبـالطبع يمكننا أن نتصور أن العائلات الميدية العريقة صاحبة المال كانت مضطرة بطريقـة أو بأخرى إلى التعـاون مـع السـلطات الفارسـية برنسـيبيس: كوينتـوس كورتيـوس Quintus Curtius ، الكتاب العاشر، فقرة 1-3، ولكن مـا السـبب الـذي دفعهـم إلى ذلك؟ وماذا كانت الواجبات المكلفين بها؟ إنه من الصـعب التعامـل مـع هـذه المشكلة؛ لأنه يستحيل أن نجد رجالاً يوصفون بأنهم ميديين بين كبار الشخصـيات الموجودة في الدولـة وذلـك منـذ عهـد ملـوك الفـرس الأوائـل؛ ولقـد قـام مؤرخـو الإسكندر Alexander بتحديد ثلاثـة أشـخاص بالضبط يـتم وصـفهم بـأنهم مـن الميديين، وهؤلاء الأشخاص هـم: أتروبـاتيس Atropates أريـان Arrian ، الكتـاب الرابع، فقرة 18-3، بارياكسيس Baryaxes الكتاب السـادس، فقـرة 29-3، ورجـل ثالث يسمى إمـا كوبـاريس Cobares كوينتـوس كورتيـوس Quintus Curtius ، الكتاب السـابع، فقـرة 4-8 أو بـاجوداروس Bagodaros ديـودورس Diodorus ، الكتاب السابع عشر، فقرة 83-7؛ وعلى العكس من ذلك، فإننـا نجـد أن الإشـارات إلى أنيربرسيس هي شائعة وكثـيرة إلى حـد مـا؛ ومـن التحليـل الأولي يبـدو لنـا أن هناك تقابلاً واضحاً بين مكانـة الفـرس ومكانـة الميـديين في عهـد كـل مـن قـورش Cyrus وقمبيـز Cambyses وحتـى في عهـد دارا Darius وكسركسـيس Xerxes واللـذان كانـا يمـيلان إلى وضـع الميـديين وميـديا في الـدائرة الأولى مـن الأشـخاص المقربين منه فصل 5؛ وبالإضـافة إلى ذلـك، فـنحن لا نعـرف مـا إذا كـان لقـب «ملك الفرس والميديين» - والذي كـان معروفـاً في عهـد كسركسـيس Xerxes - قد تم الإبقاء عليه أم لا، وذلك على الرغم من أن هـذا اللقـب -وتبعـاً لأريـان

Arrian الكتاب الحادي عشر، فقرة 29-3- كان هو اللقب الذي لقب به الميدي بارياكسيس Baryaxes نفسه خلال فترة غياب الإسكندر Alexander في الهند؛ وأخيراً فإن الدور الذي كان يلعبه الميديون في جيش دارا Darius الثالث يبدو أقل أهمية وبروزاً مما كان عليه الحال في جيوش كل من دارا Darius الأول وكسركسيس Xerxes ؛ ولكن ما الذي يمكننا استنتاجه من هذه الملاحظات سيئة التوثيق؟ هل يجب أن نستنتج من ذلك انحطاطاً نسبيًّا لمكانة ميديا والميديين في إطار الإمبراطورية ككل؟ من الصعب تحديد ذلك، حيث إن اسم ميديا استمر في الورود أولاً في قائمة البلاد التابعة للإمبراطورية، ولكننا يجب أن نتذكر أن هذه القائمة كان يتم نسخها بشكل روتيني؛ وبالإضافة إلى ذلك، فإن غياب الميديين عن قائمة الشخصيات البارزة في الإمبراطورية خلال القرن الرابع ليست سوى انعكاساً مضللاً للفجوات الموجودة في الأدلة وعدم تأكدنا من الأسماء الشخصية.

وتستمد السجلات التي لدينا معلوماتها من عدد قليل من النصوص التي تعود إلى الفترة من عهد دارا Darius الثاني وحتى عهد الإسكندر Alexander ؛ ويمكننا أن نبدأ بالمعلومات التي يقدمها لنا أحد التفسيرات الموجودة في مؤلف زينوفون Xenophon المسمى «هيلينيكا» الكتاب الأول، فقرة 2-19، والذي يقول إن دارا Darius الثاني قد تمكن من إخضاع الميديين الثائرين إلى سيطرته مرة أخرى في نهاية عامي 409-408، ولكننا لا نعرف شيئاً عن أسباب أو نطاق مثل هذه الثورة لدرجة أنه من المستحيل تحديد مكان هذا الفصل التاريخى في التاريخ الطويل للأخمينيين؛ ولا يوجد ما يدفعنا لافتراض أو نفى أن ميديا قد تعرضت للدمار بصورة مؤقتة في الفترة ما بين 521-520 بسبب النزعات الانفصالية التي ظهرت هناك؛ ولكن يمكننا أن نسترجع أن أحد الألواح الفلكية من عهد أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني رقم 369

يتحدث عن شن حملة على أرض رازوندا التي توجد في ميديا وأن بارياكسيس Baryaxes قد ارتدى العمامة المنتصبة وأعلن نفسه «ملكاً على الفرس والميديين» أريان Arrian ، الكتاب السادس، فقرة 29-3؛ ولكن ما أهمية هذا الادعاء بالنظر إلى التاريخ الطويل للعلاقات بين الفرس والميديين وخاصة في هذه اللحظة التي حاول وأحد أو أكثر من الفرس أن يحول مسار التاريخ الفارسي إلى بلاد فارس مرة أخرى الكتاب السادس، فقرة 27-3؛ كوينتوس كورتيوس Quintus Curtius ، الكتاب التاسع فقرة 10-19؟ وفي النهاية يمكننا أن نسترجع أن بيسوس Bessus قد تم إرساله إلى إكباتانا بعد أن أصدر الإسكندر Alexander حكمه عليه بالإعدام كوينتوس كورتيوس Quintus Curtius ، الكتاب الثاني عشر، فقرة 10-10، «وذلك ليتم إعدامه في مجلس الفرس والميديين سيلوجوس» أريان Arrian ، الكتاب الرابع، فقرة 7-3؛ ونميل بصورة واضحة إلى استنتاج وجود نوع ما من الحكم الفارسي الميدي المشترك في الفترة الأخمينية السابقة من هذه الفقرة، والتي تفترض أن هذه الممارسة التي قام بها الإسكندر Alexander كانت تحذو حذو الممارسة الأخمينية السابقة؛ ولكن وكما هو الحال فإنه من المرجح بدرجة أكبر أن ما لدينا هنا هو مثال نموذجي على «الاستمرارية الزائفة»؛ لأننا لا يوجد لدينا دليل على أن كان هناك في أي وقت من الأوقات مجلس للنبلاء الفرس والميديين يجتمع بصورة منتظمة في الفترة الأخمينية، كما أنه من غير المرجح أيضاً أن الإسكندر Alexander كان يقصد أن يرمز إلى محو مكانة بلاد فارس وبرسيبولس من خلال اختياره لإكباتانا وأنه فعل ذلك ليعيد إلى ميديا سابق تألقها وبهائها؛ وفي الحقيقة فلقد وافق -من ناحية- وبشكل غير متعمد على تزويد بعض القصور بالمشاعل أريان Arrian ، الكتاب السادس، فقرة 30-1، ومن الناحية الأخرى قام بإرسال رفاة دارا Darius الثالث إلى برسيبولس ليتم دفنها

«في المقبرة الملكية» تماماً كما كان هو الحال مع أسلافه السابقين أريان Arrian ، الكتاب الثالث، فقرة 22-1؛ وبفرض أن رواية أريان Arrian حول وفاة بيسوس Bessus كانت دقيقة، فإن اختيار إكباتانا - والتي كانت تستخدم في ذلك الوقت كقاعدة خلفية- يمكن إرجاعه إلى سهولة الاتصال بين إكباتانا وباكتريا، حيث كان يوجد الفاتح المقدوني في ذلك الوقت، وفي التحليل الأخير فإننا نميل بدلاً من ذلك إلى تقديم تفسير مختلف تماماً: ففي الوقت الذي كان يرغب فيه الإسكندر Alexander في تقديم نفسه على أنه المنتقم من دارا Darius ، قام رمزيًّا بتسليم الملك إلى هؤلاء الذين بإمكانه أن يعتمد على تعاونهم في الإمبراطورية الجديدة، وبهذه الطريقة قام بإنشاء «مؤسسة» كانت جديدة بقدر ما كانت انتقالية.

14- من إكباتانا إلى نهر The Halys :

كانت أرمينيا تجاور ميديا من ناحية الغرب، وكان يحدها بدورها إقليم كبادوكيا، ولقد كان نهر الفرات يمثل الحد الفاصل بين البلدين، كما أن نهر The Halys كان هو الحد التقليدى بين كبادوكيا وفريجياس؛ وتبعاً لسترابو Strabo الكتاب الثاني عشر، فقرة 1-1، «كانت كبادوكيا هي الأخرى تتكون من العديد من الأجزاء ميرى، كما خضعت أيضاً لتغيرات عديدة»؛ ولقد كان الفرس هم من قسموها إلى مرزبانيتين هما كبادوكيا الكبرى كبادوكيا الطورية وكبادوكيا التي تقع على البحر الأسود الكتاب الثاني عشر، فقرة 1-4، ولكن هذه العبارة التي قدمها سترابو Strabo يجب أن تخضع إلى قليل من التمحيص، لأنه يحتمل أنه قد اختار هذا التعبير ليحدد في الماضي البعيد تاريخ نشأة مملكتي كبادوكيا اللتين كان يعرفهما؛ ومن الصعب الوصول إلى استنتاج لأننا لا نعرف أي شيء تقريباً عن هذا البلد بعد التعليق الذي ذكره ستيسياس Ctesias فقرة 16 والذي

يقول إن أريـارامنيس Ariaramnes مرزبـان كبادوكيـا قـد تلقـى أوامـر مـن دارا Darius الأول تدعوه إلى شن حملة على الشواطىء الشمالية للبحر الأسود، وذلـك قبل عام 513 بفترة قصيرة راجع فصل 4-2، حتى مغامرات داتـاميس Datames لم تقدم الكثير من المعلومـات حـول المنـاطق الكبادوكيـة؛ وفي عـامي 331-330 كـان يقود الفرق الكبادوكية قائد واحد اسمه أرياسيس أريان Arrian ، الكتاب الثالـث، فقرة 5-8؛ وعلى العكس من ذلك، فلقد كانت القوات الأرمينيـة تحـت قيـادة كـل مـن أورونتـيس Orontes ومثروسـتيس Mithraustes ، ومـن المحتمـل أن هـذا الترتيـب يعكـس وجـود تقسـيم داخـلي معـين في أرمينيـا: حيـث يقـول زينوفـون Xenophon إن أورونتيس Orontes -الذي كان ينحدر نسبه مـن المرزبـان الـذي عينه دارا Darius الثالث هنـاك- سـيطر عـلى الحكـم في أرمينيـا في عـام 400 ق.م الزحف العسكري، الكتاب الثالث، فقرة 5-17، حيـث كـان يوجـد لـه قصر رسـمي باسيليون هناك، وضيعة الكتاب الرابع، فقرة 4-2؛ بينما كان تيريبازوس Tiribazus يشغل منصب الهيبـارخ في غـرب أرمينيـا الكتـاب الرابـع، فقـرة 4-4؛ ولقـد حصـل كودومـان Codoman دارا Darius الثالـث عـلى حكـم هـاتين المقـاطعتين اللتـان كانت تتكون منهما أرمينيا بعد المغامرة التـي قـام بهـا في الحـرب الكادوزيـة التـي خاضها أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث جوستين Justin ، الكتاب العاشر، فقـرة 3-4؛ ولكن العبارات التـي اسـتخدمها زينوفـون Xenophon تـترك بـاب الاحـتمال مفتوحـاً فـيما يتعلـق بوجـود مرزبانيـة واحـدة كانـت تشـتمل عـلى العديـد مـن المقاطعات الفرعية الهيبارخيات .

ويجب علينا أن نقـول إننـا لم نكـن نعلـم سـوى القليـل عـن هـذه المقاطعات الأرمينية والكبادوكية في عهد أباطرة فارس؛ ويمكن للمعلومات المتفرقـة التـي لـدينا أن تؤيـد قـراءات متناقضـة حـول وضـع هـذه

المقاطعات؛ حيث إننا يمكن أن نستنتج وجود إدارة مرزبانية وإمبراطورية من قطع الأدلة البسيطة، ويجب أن نعترف أنه -إلى أن ظهرت بعض الاكتشافات مؤخراً- كانت الأدلة الموجودة لا تساعدنا في الوصول إلى أي شيء؛ حيث إن هاتين البلدين كان يتم إدراجهما بشكل منتظم في قائمة الشعوب الخاضعة للفرس، وكانتا تحملان في هذه القائمة اسمي أرمينيا وكاتباتوكا، ولكن تظهر أرمينيا في النسخة البابلية من هذه القائمة تحت اسم «أورارتو»؛ وفي الحقيقة فإن إقليم أورارتو الأصلي الذي يقع بالقرب من بحيرة فان يقدم الدليل الرسمي الوحيد على الوجود الملكي هناك، وهذا الدليل يتمثل في النقش الذي أمر كسركسيس Xerxes بحفره على وجه أحد الصخور: وفي هذا النقش يسترجع الملك أنه قد أكمل العمل الذي قد بدأه والده دارا Darius ، ومن المحتمل أن هذا النقش يعبر عن الأهمية المحددة لهذه المقاطعة التي تمثل عاصمة؟ المرزبانية؛ ومن الشواهد الأخرى أيضاً على القيمة الاستراتيجية لكل من كبادوكيا وأرمينيا هو الطريق الملكي يوجد خلاف حول التفاصيل التي وصفها هيرودوت Herodotus الكتاب الخامس، فقرة 52 والأمر الذي أصدره كسركسيس Xerxes بأن يتم حشد الجنود في كريتالا في إقليم كبادوكيا الكتاب السابع، فقرة 26؛ ولقد تم دمج كل من أرمينيا وكبادوكيا مثلهم مثل باقي البلاد الأخرى في مخطط البلاد الدافعة للجزية، ولكن قد تم دمج مجموعات السكان لهذا الغرض بطريقة لا تتوافق مع الحدود المرزبانية هيرودوت Herodotus ، الكتاب الثالث، فقرة 93-94 التي يمكننا أن نعيد بناءها بشكل غير واضح للفترات التالية؛ وتبعاً لسترابو Strabo الكتاب الحادي عشر، فقرة 13-8: «كانت كبادوكيا تدفع للفرس في كل عام 1500 حصان + 2000 بغل + 50 ألف رأس من الغنم، وهذا كله بالإضافة إلى الضريبة التي يتم دفعها في صورة فضة»؛ وتوجد شواهد في رواية زينوفون Xenophon

على وجود جزية داسموس ملكية كان يتم دفعها في صورة خيول الزحف العسكري، الكتاب الرابع، فصل 5، فقرة 24* 35، وتتركز الشواهد على الوجود الفارسي في كل من كبادوكيا وأرمينيا بشكل أساسي في النصوص المتأخرة والتي توضح في حد ذاتها مدى قوة المستوطنات التي أقامها الفرس المنتشرين في أنحاء الإمبراطورية المختلفة؛ ويتضح هذا بشكل خاص من الكثافة التي كانت توجد بها الأسماء الإيرانية في كبادوكيا، وأيضاً من استخدام اللغة الآرامية في المراسلات الرسمية راجع ديودورس Diodorus ، الكتاب التاسع عشر، فقرة 23-3: مرزبان أرمينيا والمذكرات الخاصة، ويتضح فوق كل شيء من انتشار الآلهة والديانة الفارسية في هذه الأقاليم وخاصة عبادة الإلهة أناهيتا Anahita في كل من زيليا سترابو Strabo ، الكتاب الحادي عشر، فقرة 8-4 ومقاطعة أسيليسين الأرمينية سترابو Strabo ، الكتاب الحادي عشر، فقرة 14-16، ويمكننا أن نضيف أنه في القصة التي أعادها ستيسياس Ctesias فقرات 40-41 كانت السلطة المركزية تنظر إلى أرمينيا على أنها مكان نفى وترحيل بالإضافة إلى كونها مكاناً لإنشاء المستعمرات هناك .

وعلى العكس من ذلك، فإن هناك أدلة أخرى سوف تدفعنا -على الأقل عند النظرة الأولى- إلى التأكيد على ضعف السيادة الإقليمية الأخمينية في هذه المناطق؛ فأولاً توجد لدينا رواية زينوفون Xenophon حول مغامرات المرتزقة اليونانيين في أرمينيا، وعلى الرغم من أن زينوفون Xenophon لم يَفُتهُ بشكل كامل أن يذكر أن المسؤولين المرزبانيين أورونتيس Orontes ، تيريبازوس Tiribazus كانا موجودين، وكان تحت أيديهما عدد كبير من الجنود إلا أنه يركز روايته على المعارضة التي أثارتها سلسلة كاملة من الشعوب التي يقوم بتحديدها عادة من خلال الخصائص العرقية التي تعرض بوضوح

همجيتهم وبربريتهم؛ ولقد كان هذا هو حال الكاردوتشيين والكولخيين والماكرونيين والموسينوسيين؛ ولكن هنا كما في المكان آخر فصل 16-11 يجب أن نتناول ما يقدمه المؤلف بالفحص والتمحيص: حيث إن هذه الشعوب كانت تقدم أيضاً حاميات فرق عسكرية إلى الجيوش المرزبانية والملكية كما حدث على سبيل المثال في حملة جوجاميلا أريان Arrian ، الكتاب الثالث، فقرة 4-8: الشعوب الفرعية التابعة لميديا؛ وبالإضافة إلى ذلك، فلقد وُجد عدد كبير من السلع الأخمينية الفاخرة في كولخيس، ومن المحتمل أن وجود هذه السلع في المقابر هو نتيجة عملية تبادل للهدايا بين النبلاء الكولخيين وبلاط الملك الأكبر؛ وفي النهاية فلقد تحدث هيرودوت Herodotus بشكل صريح عن هذه المبادلات في مناقشته للشعوب المقدمة للهدايا الكتاب الثالث، فقرة 97؛ والحجة الثانية التي يتم تقديمها لتأييد الزعم القائل باستمرارية استقلال هذه المناطق تعتمد على الاستقلال المفترض لجميع أجزاء أو بعض من أجزاء كبادوكيا وأرمينيا عندما وصل الإسكندر Alexander إلى هناك، بالإضافة إلى علاقاتهم مع السلطة المركزية خلال الحملة المقدونية، وعلى مدار تاريخ ملوك الديادوكى؛ ولكن الحذر مطلوب في هذه الحالة أيضاً كما يجب أن يتم وضع النصوص والروايات التي لدينا في سياقها؛ وبالنسبة لكل من كبادوكيا وأرمينيا يوجد لدينا بشكل رئيس أساطير التأسيس التي تدور أحداثها في الفترة الهلينية والتي كانت تهدف إلى تبرير إنشاء أسر حاكمة مستقلة تتصل كل واحدة منهم بشكل زائف بواحد من السبعة، وهكذا فإنه من الواضح أن هذا الجنس الأدبي يجب أن نتعامل معه بقدر كبير من الحذر فصل 3-4؛ وبالإضافة إلى ذلك نلاحظ أن المرزبان القديم أورونتيس Orontes قد استمر في شغل منصبه في أرمينيا في عام 323 ديودورس Diodorus ، الكتاب التاسع عشر، فقرة 23-3؛

بوليانوس Polyaenus ، الكتاب الرابع، فقرة 8-3، كما كانت كبادوكيا -بالإضافة إلى بافلاجونيا والأراضي المجاورة- من بين المناطق التي لم يتم فتحها بعد والتي تم منحها ليومينيس Eumenes حاكم كارديا؛ ولكن لا يوجد سبب يدفعنا إلى أن نستنتج من ذلك أن هذا الوضع كان مماثلاً للوضع الذي كان موجود في عهد دارا Darius الثالث والذي -كما رأينا- قام بتجنيد العديد من الفرق من هذه المناطق، ولقد ظلت هذه المناطق خارج سيطرة المقدونيين لأن «الإسكندر Alexander ببساطة لم يقم بغزوها، حيث منعته من ذلك بعض الأمور الملحة الأخرى عندما كان على وشك إنهاء الحرب التي يخوضها ضد دارا Darius الثالث، أما أرياراثيس Ariarathes مرزبان كبادوكيا فقد تغاضى عنه الإسكندر Alexander بسبب انشغاله بالصراع الذي كان يخوضه ضد دارا Darius ، ونتيجة لذلك فقد استمتع هذا المرزبان بفترة راحة طويلة جدًّا قضاها ملكاً على كبادوكيا» ديودورس Diodorus ، الكتاب الثامن عشر، فقرة 3-1؛ ولقد اكتفى الإسكندر Alexander المقدوني بتحديد بعض المرزبانات الفرس: سابيكتاس Sabicatas/ أبستامينيس Abistamenes في كبادوكيا أريان Arrian ، الكتاب الثاني، فقرة 4-2؛ كوينتوس كورتيوس Quintus Curtius ، الكتاب الثالث، فقرة 4-1 ومثرينيس Mithrenes في أرمينيا أريان Arrian ، الكتاب الثالث، فقرة 16-5؛ ديودورس Diodorus ، الكتاب السابع عشر، فقرة 64-6؛ ومن الواضح أن سلطة هؤلاء المرزبانات كانت خيالية إلى حد كبير أو أنها كانت مقتصرة على أحد المقاطعات الفرعية؛ وعلى أية حال، فلقد كانت كبادوكيا هي إحدى قواعد التجنيد التي استخدمها القادة الفرس الذين هربوا بعد معركة إسوس وحاولوا شن هجوم مضاد على مؤخرة الجيش المقدوني منها راجع كوينتوس كورتيوس Quintus Curtius ، الكتاب الرابع، فقرة 1-34؛ ولقد كان

هذا أيضاً هو التاريخ الذي قام فيه بعضهم بسك عملات في سينوب Sinope .

نحن نرحب بشدة بظهور عدد كبير من الأدلة الجديدة سواء تلك المتمثلة في النقوش أو الأدلة الأثرية التي تعود على وجه الخصوص إلى أرمينيا القديمة، ويبدو أن التحقيقات الأثرية والخزفية الأخيرة تؤكد وجود مستوطنات أخمينية متطورة للغاية في وخاصة في المواقع الموجودة بالقرب من بحيرة فان؛ ولقد وجد في «ألتنتيبى» المثال الوحيد على وجود الأبدانا في إحدى العواصم المرزبانية، ولقد تم اكتشاف بعض اللوحات الجدارية النادرة للغاية في أحد المبانى الأخمينية في «أرين-بيرد»؛ أما الاكتشاف الأكثر أهمية فكان يتمثل في العثور على بعض قطع من ثلاث ألواح إيلامية في موقع «أرمافير-بلور»؛ وتبعاً لأحدث التفسيرات -ولكنه يدور حوله بعض الجدل الآن- فإن هذه القطع من الألواح الإيلامية تشبه كثيراً ألواح برسيبولس وتتناول مسألة تحصيل الضرائب ضريبة العشر؟ المفروضة على السلع رؤوس الماشية، الحبوب وإيداعهم في مخازن أمين الإمدادات في الجيش؛ وتشهد هذه الوثائق على وجود سجلات إمبراطورية في الموقع الذي تم إجراء الحفريات به وأيضاً على وجود إدارة إقليمية متطورة من المحتمل فراتاراكا؛ وإذا أضفنا إلى ذلك أن موقع أرمافير-بلور الذي كان يسمى في الفترة الأورارتية «أرجستيهينيلي» ظل محتلاً من الفترة الأورارتية وحتى الفترة الهلينية، وأن طبعات الأختام الهلينية من أرتاسات تشهد على كل من الميرات الأخميني وما يسمى بالتأثير «الفارسي-اليوناني»، وأنه قد تم منذ وقت قريب جدًّا اكتشاف قواعد الأعمدة في موقع آخر، فإننا يجب أن ندرك عند نقطة ما أن التصور الذي كوناه عن أرمينيا الأخمينية حتى الآن يخضع لعملية إعادة تنظيم كاملة.

15- من إكباتانا إلى مدينة قورش Cyropolis :

لقد استخدمت الفرق العسكرية المرسلة من الشعوب الإيرانية الشرقية الطريق الحربي للانضمام إلى قورش Cyrus في الإعداد للمعركة التي كانت على وشك الحدوث في جوجاميلا؛ وكما أكدنا للتو، فباستثناء عدد قليل من الملاحظات المتفرقة التي تعود إلى عهد أرتاكسركسيس Artaxerxes الأول ستيسياس Ctesias ، فقرة 31؛ بلوتارخ Plutarch ، ثمستوكليس Themistocles ، فقرة 31-3 وأرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني فصل 5-18 حول الإمبراطورية، فإن الروايات التي ذكرها مؤلفو الفترة الهلينية قد قطعت فترة الصمت الطويلة فيما يتصل بأراضي الهضبة الإيرانية؛ ويجب أن نؤكد مرة أخرى أنه قبل وصول الإسكندر Alexander إلى باكترا بلخ الحالية، فإن البيانات التي كانت لدينا حول مرزبانيات الهضبة الإيرانية كانت تقتصر على بعض الملخصات؛ لأن زحف الإسكندر Alexander وتقدمه كان سريعاً للغاية؛ وباستثناء اسم المرزبان الذي كان يحكم كل واحدة من هذه المرزبانيات، حصلنا على معلومات ضئيلة حول حدود هذه المرزبانيات وأسماء مقرات الإقامة الرسمية باسيليا التي كانت غالباً محصنة زادراكارتا في هركانيا؛ أرتاكوانا في أريا؛ وعلى الرغم من ذلك، فإن الحفريات الأثرية التي جرت في قندهار القديمة -حيث تم اكتشاف لوح إيلامي يتبع طراز ألواح برسيبولس نفسه- وفي داهان-إ-غولمان سستان تشهد على الوجود الأخميني في هذه الهضبة؛ ولكن، ولسوء الحظ فإن الأوصاف التي تم تقديمها لهذه البلدان لم تكن كاملة: حيث إنه لم يقدم أيًّا من هؤلاء المؤلفين أدنى إشارة إلى شبكة القنوات الباكترية التي اكتشفها علماء الآثار؛ والسبب وراء ذلك بسيط: فأولاً، كانت مسيرة الإسكندر Alexander إلى باكترا سريعة إلى حد ما، وبالإضافة إلى ذلك، فإن هؤلاء المؤرخين العسكريين كانوا مهتمين فقط



خريطة رقم 6

بتصوير ملامح الريف لدرجة أنهم قاموا بإضفاء على حملات الإسكندر Alexander بعض الخصائص «الغريبة» التي قد تثير خيال قرائهم؛ ونتيجة لكونهم كانوا يتبعون الإسكندر Alexander خطوة بخطوة فلقد قام هؤلاء المؤلفين القدماء بتسليط أضوائهم على شعوب معينة التي كانوا يميزونها على أساس النظام البيئى الذي تتسم به بلادهم و/أو المقاومة التي أبدوها ضد المقدونيين؛ ويفسر هذا على سبيل المثال المناقشات الطويلة لشعب

الماردين من سكان بحر قزوين، وعلى العكس من ذلك، المحسنون/ الأرياسابي من سكان دلتا هلمند، ولقد قام الإسكندر Alexander بمكافأة الأرياسابي لتخليد ذكرى «الأعمال العظيمة» التي قاموا بها تكريماً لقورش Cyrus وبسبب المساعدة التي قدموها إلى الإسكندر Alexander نفسه؛ أما الروايات التي تم ذكرها حول سوجديانا وباكتريا فلا تتسم أي تفاصيل تزيد عن التفاصيل التي قدمتها الروايات السابقة؛ ويبدو أن الأوكسوس أمو داريا كانت هي الحد الفاصل بين المنطقتين أريان Arrian ، الكتاب الثالث، فقرة 28-9؛ الكتاب الرابع، فقرة 15-7، كما يبدو أن نهر ياكسارتيس سر داريا كان يمثل آخر حدود الإمبراطورية الفارسية هوريون تيس برسون أرخيس، كما أن مدينة قورش Cyrus -وهي آخر المدن التي أسسها قورش Cyrus - فكانت تمثل آخر حدودها في الريف سترابو Strabo ، الكتاب الحادي عشر، فقرة 11-4؛ وفي الحقيقة فلقد كانت مدينة قورش Cyropolis شديدة التحصين هذه هي أيضاً أكبر المدينة الأكبر من بين سبع مدن محصنة تقع على نهر ياكسارتيس، ولقد اضطر الإسكندر Alexander هو وجنرالاته إلى إخضاع هذه المدن بصعوبة واحدة تلو الأخرى أريان Arrian ، الكتاب الرابع، فقرة 1-3؛ ولقد تحدث المؤلفون القدماء وعلماء الآثار عن عدد كبير من المدن المحصنة أو القلاع غير المعروفة في كل من سوجديانا وباكتريا.

في البداية، تسمح لنا النصوص التي تعود إلى عهد الإسكندر Alexander والديادوكي أن نقوم ببناء قائمة بما يسميه المؤلفون الهلينيون وخاصة ديودورس Diodorus -ولكن ليس بدون بعض الخلط- بالمرزبانيات العليا؛ ولقد قام ديودورس Diodorus في عام 323 بتحديد الأسماء التالية: باروباميساداي، أراخوسيا، وجيدروسيا، أريا ودرانجيانا، باكتريا وسوجديانا، بارثيا وهركانيا، كارمانيا الكتاب

الثامن عشر، فقرة 3-3، معظمهم في صورة أزواج؛ وهناك اختلافات ضئيلة جدًّا في القائمة التي تم تسجيلها في عام 320 الكتاب الثالث عشر، فقرة 39-6: كارمانيا، بارثيا، أريا ودرانجيانا، باكترا وسوجديانا، باروباميسادای؛ ولقد تم تقديم لائحة مشابهة في عامي 317-316 الكتاب التاسع عشر، فقرة 14-6: كارمانيا، أراخوسيا، باروباميسادای، أريا ودرانجيانا، باكترا؛ وتتوافق هذه المعلومات إلى حد كبير مع الوضع الذي كان سائداً في عهد دارا Darius الثالث وذلك بقدر ما يمكننا إعادة بنائه وتصوره من خلال الروايات القديمة: بارثيا-هركانيا بما فيهم التابيريين، أريا، درانجيانا، أراخوسيا، باكترا، سوجديانا، كارمانيا، جيدروسيا؛ وفي معركة جوجاميلا، سرد أريان Arrian الكتاب الثالث، فصل 3: 8-4 الشعوب التالية: الباكتريون والساكيون تحت قيادة مرزبان باكتريا بيسوس Bessus ، الأراخوسيين و«الهنود من سكان التلال» تحت قيادة بارسنتيس Barsaentes مرزبان أراخوسيا والآيين تحت قيادة ساتيبارزانيس Satibarzanes مرزبان أريا والبارثيين والهركانيين والتابيريين تحت قيادة فراتافارنيس Phratapharnes والذي سنعرف لاحقاً أنه كان مرزبان الكتاب الثالث، فقرة 23-4* 28-2 .

ومثل هذا السرد للفرق التي كان يشتمل عليها الجيش يمكن أن يخبرنا بشكل غير دقيق حول التنظيم الإداري الفارسي لهذه المناطق؛ والمشكلة الرئيسة في التفسير تنبع من السياق الذي حدثت فيه الحملات المقدونية على باكتريا وسوجديانا؛ ودعونا نراجع هذه الحملات بشكل موجز؛ فلقد كان بيسوس Bessus -وهو أحد أقرباء دارا Darius الثالث والذي كان يشغل منصب مرزبان باكتريا- هو القوة المحركة وراء المؤامرة التي أدت إلى مقتل دارا Darius الثالث في يوليو من عام 330 بالإضافة إلى نابارزانيس Nabarzanes -قائد الفرسان الملكيين-

وبارسنتيس Barsaentes مرزبان أراخوسيا ودرانجيانا الكتاب الثالث، فقرة 21-1؛ ولقد ارتد بيسوس Bessus عائداً إلى باكترا ليقود المقاومة ضد الهجوم المقدوني، ولقب نفسه بـ «ملك آسيا» الكتاب الثالث، فقرة 25-3 أي الملك الأكبر متخذاً الاسم الملكي أرتاكسركسيس Artaxerxes ديودورس Diodorus ، الكتاب السابع عشر، 1: 74-2؛ ولقد نجح في كسب ساتيبارزانيس Satibarzanes -الذي كان الإسكندر Alexander قد تركه مرزباناً على أريا- إلى صفه الكتاب الثالث، فقرة 25-1: وسرعان ما لقى ساتيبارزانيس Satibarzanes حتفه في الهجوم المضاد الذي شنه المقدونيون، ولقد كان هذا أيضاً هو مصير بارسنتيس Barsaentes الذي تم إعدامه بعد أن سلمه الهنود سكان التلال إلى الإسكندر Alexander ؛ وفي خلال ذلك -وفي البداية على الأقل- استمرت الاضطرابات والمنغصات عند مؤخرة جيش الإسكندر Alexander : حيث إن مرزبان أريا الجديد لم يظهر أي ولاء للمقدونيين الكتاب الثالث، فقرة 29-4، ويحتمل أنه ظل على اتصال ببيسوس Bessus ؛ وبالإضافة إلى ذلك، فإن بيسوس Bessus الذي تولى مهام الملك ولكن بشكل زائف قام بتعيين مرزبان في بارثيا الكتاب الرابع، فقرة 7-1 .

هل يجب أن نستنتج من ذلك أن سلطة مرزبان باكترا قد امتدت لتشمل المرزبانيات العليا بالكامل، وأن سلطته أصبحت هكذا تمتد من إكباتانا شرقاً وحتى آخر حدود الإمبراطورية؟ نحن متأكدون أن هذا كان صحيحاً في الفترة السيلويسية، ولكن هل كان هذا هو الحال أيضاً قبل ذلك في عهد الحكام الأخمينيين المتأخرين؟ من الصعب تقديم إجابة يمكن الدفاع عنها على هذا السؤال، حيث إن النصوص تحتمل تفسيرات متضاربة؛ والدليل الوحيد الموجود في هذه السطور هو فقرة من مؤلف ديودورس Diodorus كورتيوس الكتاب السادس عشر، فقرة 50-8

والتـي تبـدو فيهـا المعلومـات -التـي تقـول بـأن بـاجوس قـد عُهـد إليـه في عهـد أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث بحكم المرزبانيات العليا- مشـكوك في صـحتها؛ ولكن هذا لا يعني أننا يجب ألا نلتفت إليها مطلقاً؛ ويجب أن نذكر أنـه باسـتثناء هذه الفقرة لا يوجد أي شيء قد يكون جسراً بين الفترة الأخمينية والعهـد الهلينـى بأية درجة من التأكيد؛ وحتى تتكشف لنا المزيد من الأدلـة يمكننـا أن نؤكـد فقـط على أن الابتكار السـيلويسى يعـود إلى عهـد ملـوك الـديادوكى؛ لأن أقـدم الشـواهد الموجودة لدينا تعود إلى عام 316 عندما قام بيثـون بتـولى مهـام كـل مـن مرزبـان ميـديا و«قائـد سـتراتيجوس المرزبانيـات العليـا» ديـودورس Diodorus ، الكتـاب التاسع عشر، فقرة 14-1؛ ولقد قام مرزبانات هذه المناطق بجمع فرقهم العسكرية مع بعضها البعض وعقدوا مجلساً مشتركاً الكتاب التاسع عشر، فقرة 14-15، ولكن الإطار السياسي لذلك معارضتهم المشتركة ليـومينيس Eumenes محـدود للغايـة؛ وحقيقـة أنهـم قـاموا بضـم قـواتهم في كيـان واحـد لا يعنـى بـالضرورة أن هـؤلاء المرزبانات بفعلهم ذلك كانوا يتبعون سابقة أخمينية ما؛ فمن ناحية كانـت الفـرق العسكرية المرسلة من الشعوب الإيرانية الشرقية في عام 331 تحت قيادة مجموعة متعددة من المرزبانات بيسوس Bessus ، بارسنتيس Barsaentes ، سـاتيبارزانيس Satibarzanes ؛ أريان Arrian ، الكتاب الثالث، فقرة 8-3؛ ومن ناحية أخـرى لأن دوافع المرزبانات الذين تحالفوا مع بيسوس Bessus لا تبدو أنها كانت نابعـة مـن حقيقة أن مرزبان باكترا كان يتم منحه بشكل منتظم السلطة على تلـك المنطقـة بأكملها، ولكنها كانـت نابعـة في الأسـاس مـن دوافـع شخصـية أقلهـا رغبـتهم في الحفاظ على المناصب التي يشغلونها راجع أريان Arrian ، الكتاب الثالث، فقـرة 21-5؛ وعلى أية حال، فـإن مـوت دارا Darius الثالـث قـد أدى إلى خلـق وضـع جديد تماماً، ومن الواضح أن إعلان بيسوس Bessus بأنه الملك لم يؤدِّ إلى تحسـين

الموقف على الإطلاق؛ وأخيراً فإنه بعد وفاة دارا Darius الثالث كانت سلطة بيسوس Bessus الشخصية تقوم في الأساس على فرسانه الباكتريين الكتاب الثالث، فقرة 21-4، وعلى تحالفه مع بعض زعماء قبائل الساكيين الكتاب الثالث، فقرة 8-3 .

والشيء الوحيد الذي يبدو واضحاً هو أن المسؤوليات العسكرية لمرزبان باكترا كانت تتخطى الحدود المعتادة لباكترا؛ حيث إنه في موقعة جوجاميلا كان هذا المرزبان هو الذي يقود جميع الفرق الباكترية والسوجديانية والساكية، بالإضافة إلى إحدى الوحدات التي قدمها الهنود المجاورون لإقليم باكترا الكتاب الثالث، فقرة 8-3؛ وتجعلنا الروايات المتناقضة نعتقد أنه في عهد دارا Darius الثالث امتدت سلطة مرزبان باكترا لتشمل سوجديانا أيضاً، حيث لم يتم مطلقاً تعيين تعيين مرزبان منفصل هناك لا قبل الإسكندر Alexander ولا بعده؛ ويبدو أن مرزبان باكترا كان قد أنشأ علاقات نشطة مع بعض قادة الساكا بسبب هذا الدور الرسمي الذي كان يلعبه: وهكذا كان هو القائد الأعلى لهم عندما انضمت كل من الفرقة الباكترية والقوات الساكية تحت قيادة زعيمهم مواسيس Mauaces إلى دارا Darius الثالث في عامي 332-331؛ على أساس التحالف الذي كان يربطهم بدارا Darius أريان Arrian ، الكتاب الثالث، فقرة 8-3؛ وعلى مدار الحرب التي شنها الإسكندر Alexander على باكترا-سوجديانا، كان بيسوس Bessus وسبيتامينيس Spitamenes من بعده قادرين على الحصول على المعونة من بعض الساكيين؛ وهذا التعاون بين الساكيين والفرس - والذي كان معروفاً حتى قبل الهجوم الذي شنه الإسكندر Alexander على المنطقة التي تقع فيما وراء نهر ياكسارتيس سر داريا- كان ينتمي وبشكل واضح إلى العلاقة طويلة الأمد بين السلطات الأخمينية وبين الساكا والذين كانوا منقسمين عادة إلى عدة مجموعات ولكنهم كانوا يشكلون جبهة موحدة

في وجه الهجمات التي يشنها عليهم أعداؤهم؛ وإذا كان نهر سرداريا -كما يكتب سترابو Strabo الكتاب الحادي عشر، فقرة 11-4، وتبعاً لدارا Darius الأول- كان يمثل آخر حدود السيادة الفارسية المباشرة، فإننا لا يمكننا أن نستنتج وجود حالة عامة من العداء الدائم بين الفرس والساكيين؛ وفي الحقيقة يجب أن يتم وضع المعلومات التي قدمها مؤرخو الإسكندر Alexander القدامى في الإطار الخاص بها؛ ولقد كتب أريان Arrian مسترجعاً ما أخذه على أنه نوايا الإسكندر Alexander عندما كان يخطط لتأسيس مدينة جديدة على نهر سرداريا: «لقد كان ذلك الموقع مناسباً لجعل المدينة ترقى إلى منازل العظمة، وسوف تكون مكاناً مناسباً لأى غزو محتمل لأراضي سكيثيا وموقع حصين بروفيلاكيس يستخدم للدفاع عن هذه البلاد ضد غارات الشعوب البربرية التي تعيش على الضفة الأخرى من النهر» الكتاب الرابع، فقرة 1-4؛ ومن المؤكد أن الأعمال العدائية كانت تندلع بشكل متكرر بين القوات الفارسية وبعض القبائل الساكية؛ والحملة التي قادها دارا Darius الأول ضدهم هي دليل لا يقبل الدحض على هذه الحقيقة، ويوضح الإجراء الذي اتخذه دارا Darius في تلك الحالة استبدال أحد الملوك الساكيين بملك آخر ممارسة عامة كان يقوم بها الفرس؛ ولكن أن نستنتج من ذلك أنه كانت هناك أعمال عدائية مستمرة بشكل دائم يعنى ذلك أن ننسب إلى كلمة «حد» معنى معاصر وأن نفترض فاصلاً واضحاً وتاماً بين الشعوب المستقرة وبين الشعوب البدوية وهو من المؤكد ما لم يكن عليه الحال؛ وبعض القبائل الساكية التي أصبحت مستقرة بشكل جزئي كانت على اتصال شديد بشعوب سوجديانا أريان Arrian ، الكتاب الثالث، فقرة 28-8؛ وبالإضافة إلى ذلك، فإن تعبئة قوى القبائل الساكية ضد الإسكندر Alexander كانت رداً على موقف جديد تماماً خلقه كل من «الفراغ في السلطة الأخمينية» والهجوم

المقدوني وهما الظاهرتين اللتين تصادف حدوثهما في الوقت نفسه؛ وعلى عكس مما سيجعلنا أريان Arrian والعديد من المؤلفين الآخرين نعتقده، فإن تلك المدن المحصنة التي أنشأها قورش Cyrus على نهر ياكساريس لم تكن تهدف فقط للدفاع عن أراضي الإمبراطورية ضد «عدوان» الساكين؛ حيث إن هذه القلاع عملت أيضاً كمأوى «للشعوب البربرية التي تعيش بالقرب من النهر» الكتاب الرابع، فقرة 1-4* 2-6* 3-1، ويبدو من المرجح إلى حد ما أنه كان هناك أيضاً العديد من اللاجئين الساكين/ السكيثيين؛ لاحظ أيضاً أنه كان يحتشد في مدينة قورش Cyrus وحدها 15 ألف مقاتل الكتاب الرابع، فقرة 3-4: ماخيموى، وفي هذه الحالة -ومرة أخرى- فإن نظرية اشتراك الساكين في الدفاع عن المدينة تبدو معقولة، فمن المحتمل أنهم كانوا يشبهون بعض الشيء المرتزقة العرب الذين ساهموا في الدفاع عن غزة بجوار الحاكم باتيس والجنود الفرس أريان Arrian ، الكتاب الثاني، فقرة 25-4؛ وهذا هو الإطار الذي تم فيه عقد التحالف بين دارا Darius وبين مواسيس Mauaces .

ومن المؤكد أن هذا «الحد للسلطة الفارسية» الذي كان يمثله نهر سرداريا لم يكن حداً منيعاً، فلقد كانت المدن التي أسسها قورش Cyrus تعمل أيضاً كنقاط تجارية بين قبائل الساكا التي تسكن السهول وبين مرزبانية باكتريا-سوجديانا؛ وهذا ما يفسر السجاد الذي يحمل أشكالاً وصوراً أخمينية، والذي تم اكتشافه في إحدى المقابر الأورالية في بازيريك، ومن المحتمل أن هذا السجاد قد جاء من النساجين الموجودين في باكتريا-سوجديانا؛ ومن هذا المنظور فإن السياسة التي اتبعها الإسكندر Alexander تمثل خروجاً على -وليس استمراراً لـ - السياسة التي يمكننا أن ننسبها إلى أباطرة فارس؛ ومهما كانت الأهداف التي كان يرمى الإسكندر Alexander إلى تحقيقها على المدى البعيد من

وراء ذلك، فإنه كان يحركه شاغل مباشر وهو عدم ترك جيب واحد للمقاومة خلفه أريان Arrian ، الكتاب الرابع، فقرة 3-5؛ أما أباطرة الفرس -على الجهة الأخرى- فقد تعلموا على مدار التاريخ الطويل لإدارتهم لتلك المناطق أنه من الأفضل لهم أن يحافظوا على النظام على «حدود الإمبراطورية»، وأن القيام بإنشاء علاقات تعاون مع قادة القبائل الساكية سوف يكون مفيداً جدًّا لهم؛ ولقد تم منح بعضهم حكماً ذاتيًّا والذي كان مرتبطاً بالالتزامات العسكرية الإمبراطورية أن يقوموا بتقديم فرق عسكرية خلال فترات التعبئة المرزبانية والملكية؛ وتظهر الروايات التي ذكرها هيرودوت Herodotus أن الفرق الساكية كانت من بين صفوة القوات في الجيوش الملكية بالإضافة إلى الفرق الإيرانية مثل الباكتريين أنفسهم والفرس والميديين وحتى الهنود الكتاب الثامن، فقرة 113؛ وفي معركة جوجاميلا، قاتل الفرسان الساكيون إلى جوار الفرسان الباكتريون أريان Arrian ، الكتاب الثالث، فقرة 13-3، ونحن نعلم أيضاً أنه بعد فرض الأخمينيين لسيادتهم على الساكيين، استقر العديد من الساكيون في بابل كجزء من نظام الهاترو .

ولكن ما السلطات التي كان يملكها المرزبان على الأراضي التي تقع مباشرة تحت سلطته بسبب هذا المنصب الذي منحه الملك الأكبر إياه؟ توجد لدينا إشارات مترابطة نسبيًّا -ولكنها غير مباشرة- حول هذه النقطة؛ ولقد نشأت بعض المحاولات العامة لمقاومة تقدم الإسكندر Alexander والتي قادها على التوالي كل من بيسوس Bessus وسبيتامينيس Spitamenes ، ولكن كانت هناك أيضاً بعض عمليات المقاومة التي تم تنظيمها محليًّا من قبل مجموعة من الأشخاص رفيعي المنزلة الذين يحددهم أريان Arrian غالباً بأنهم كانوا حكام الهيبارخيات؛ وتبعاً لأريان Arrian فلقد كان عدد حكام الهيبارخيات هؤلاء كبير إلى حد ما؛ ولقد كان هذا متضمناً في روايته، حيث ذكر -على سبيل المثال- أن

«العديد من حكام الهيبارخيات الآخرين قد لجأوا إلى صخرة خـورينيس» الكتـاب الرابع، فقرة 21-1؛ ويبدو أن هذه العبارة تشير أيضـاً إلى أنـه كـان يوجـد تسلسـل داخلي في هذه الطائفة، ولكننا نعرف أيضاً أن كلمـة هيبـارخ هـي كلمـة متعـددة المعانى، فقد استخدم كوينتوس كورتيوس Quintus Curtius كلمة «مرزبان» عدة مرات للإشارة إلى هؤلاء الأشـخاص أنفسـهم: «كـان المرزبـان في مقاطعـة نوتاكـا في سوجديانا هو سيسمثريس Sismithres » الكتاب الثـامن، فقـرة 2-19، «لقـد كـان أوكسيارثيس Oxyarthes الباكتري مرزباناً بارزاً» الكتـاب الثـامن، فقـرة 4-21، وفي مكان آخر، استخدم كوينتوس كورتيوس Quintus Curtius نفسه كلمة «مرزبان» لوصف أوركسينيس Orxines على الرغم من أنه يتضح من السياق في هذه الحالة أنه يستخدم هذا المصطلح لوصف شيخ قبيلة باسارجاداي الكتاب العاشر، فقرة 1-22، وهكذا فإن الكلمات المستخدمة لا تساعدنا بمفردها في إحداث أي تقـدم نحـو معرفة العلاقة بـين الهيبارخـات والمرزبانـات أكـثر مـما يسـاعدنا اسـتخدام كلـمات «المرزبـان» في صـورة الفعـل و«مرزبانيـة» عنـد زينوفـون Xenophon هيلينيكـا، الكتاب الثالث، فقـرة 10: 1، 12 بمفردهـا في تحديـد طبيعـة الـروابط التـي كانـت توجـد بـين فارنابـازوس Pharnabazus ، زينـيس Zenis ومانيـا Mania في إقلـيم أيوليا.

وتشير هذه المفردات في كل حالة من الحـالات إلى سـلطة تـتم ممارسـتها عـلى أراضٍ معينة؛ ولقد أكدت ذلك بوضوح شديد جميع النصوص التي تتناول الهيبارخات: حيث إن كل هيبارخ كان توجد تحت يديه مساحة شاسعة من الأرض منظمة حول مسكن فخم يقـع عـلى قلعـة محصـنة، ولقـد تـم التعبـير عـن سـلطة الهيبارخـات بطريقتين: الكميات الهائلة من مخزونات الطعام التي كان يخزنها عنـده تظهـر أنـه كان يفرض رسوماً على المحاصيل الزراعية راجع بشـكل خـاص كوينتـوس كورتيـوس

Quintus Curtius ، الكتاب السابع، فقرة 11-1؛ أريان Arrian ، الكتاب الرابع، فقرة 21-1؛ وثانياً كان يقوم بتجنيد الأشخاص الذين يعملون في أراضيه في فرقة مسلحة، وأحد الشواهد أيضاً على السلطة الإقليمية الإقليمية التي كان يتمتع بها هؤلاء الأشخاص هو الخطوات التي تم اتخاذها بعد استسلامهم ضد هؤلاء الذين يسميهم أريان Arrian بـ «الهيبارخات» أو الذين يسميهم كوينتوس كورتيوس Quintus Curtius بـ «المرزبانات»: فلقد تم تسليم الأراضي التي كانت خاضعة إلى أريامازيس Ariamazes وسكانها إلى المدن الجديدة كوينتوس كورتيوس Quintus Curtius ، الكتاب السابع، فقرة 11-29؛ ويؤكد مثالا سيسيمثريس Sismithres وأوكسيارثيس Oxyarthes صحة هذه النقطة: ففي كلا الحالتين كانت تسمى سلطتهما بـ «إمبريوم» = أرخى ويجعل السياق من الواضح جدًّا أن سلطتهم كانت إقليمية كوينتوس كورتيوس، الكتاب الثامن، فقرة 2-32* 4-21؛ وينطبق هذا أيضاً على الهيبارخات الذين ذكرهم أريان Arrian راجع أريان Arrian ، الكتاب الرابع، فقرة 21-9؛ ومن الواضح أن جميع الأراضي كانت تحت تصرف الحكام المحليين راجع كوينتوس كورتيوس Quintus Curtius ، الكتاب الثامن، فقرة 1-1 .

ولكن يبقى هناك سؤال مهم للغاية: هل كان هؤلاء الهيبارخات مستقلون تماماً عن المرزبانات؟ يمكننا أن نبدأ إجابتنا عليه بأحد الفقرات الشهيرة الموجودة في مؤلف أريان Arrian الكتاب الرابع، فقرة 1-5: بعد أن قام سبيتامينيس Spitamenes بتسليم بيسوس Bessus إلى المقدونيين عمد إلى تحريض سكان سوجديانا محاولاً بذلك إثارة التمرد في باكترا خلف جيش الإسكندر Alexander ، ولقد أحرز بعض النجاح في تحقيق ذلك، «حيث إن الذريعة التي استخدمها في إثارة التمرد كانت تتمثل في أن الإسكندر Alexander قد أمر هيبارخات هذا الإقليم هوى

هيبارخوى تيس خوراس إيكينيس أن يحضروا إلى مؤتمر مشترك سيلوجوس في زارياسبا كبرى المدن هناك وأن هذا المؤتمر لم يكن في مصلحتهم»؛ وتمثل كلمة «سيلوجوس» مشكلة واضحة: هل تشير إلى مؤسسة استعارها الإسكندر Alexander من الفترة الأخمينية، أم هل تشير ببساطة إلى اجتماع خاص؟ ويمكننا أن نلاحظ أن أريان Arrian يستخدم كلمات مشابهة لوصف إحدى الحوادث التي وقعت في الهند: فلقد قام الإسكندر Alexander عبر إرسال مبعوث بإبلاغ تاكسيلاس Taxilas والهنود الآخرين أن يأتوا لحضور أحد الاجتماعات «كل في أقرب فرصة ممكنة، ولقد تجمع تاكسيلاس Taxilas والهيبارخات الآخرين كاي هوي ألوي هيبارخوي وأحضروا الهدايا التي يقدرها الهنود إلى أقصى مدى» الكتاب الرابع، فقرة 22-6؛ وعلى الرغم من ذلك، فإن كلمة «سيلوجوس» لا تظهر هنا، وبالإضافة إلى ذلك، فإن السياق ليس هو نفسه تماماً: ففي الحادثة التي وقعت في الهند، أعلن الإسكندر Alexander تبعاً لما هو معتاد أن القادة الهنود يجب أن يأتوا ليعلنوا خضوعهم له وليقدموا هدايا طقسية له، وبالنسبة لموقف باكترا كان الهيبارخات قد استسلموا بالفعل إلى الإسكندر Alexander كما أن الأمور في باكترا كانت قد هدأت إلى حد كبير أريان Arrian ، الكتاب الثالث، فقرة 28-1؛ وفي حين أننا قد نتصور أن الإسكندر Alexander ربما أراد الحصول على أدلة جديدة تثبت ولاء الهيبارخات الباكتريين له، ويوجد لدينا انطباع قوى أيضاً بأن الإجتماع في ذلك السيلوجوس كانت له دوافع إضافية.

ونحن نعلم أن كلمة سيلوجوس هذه قد تم استخدامها عدة مرات للتعبير عن الاجتماع الذي كان يُعقد بصورة دورية في أماكن عديدة للتجمع في الإمبراطورية سيلوجوس؛ كما أنه كان يتم أيضاً في السيلوجوس هذه تفقد القوات الإقليمية، ولقد قام زينوفون Xenophon

بشرح هذا بوضوح إلى حد ما: «لقد كان الملك يقوم كل عام بتفقد المرتزقة والقوات الأخرى وهم بكامل أسلحتهم، والذين كانوا يحتشدون كلهم ما عدا الرجال الموجودون في القلاع المقامة في مكان التجمع أو سيلوجوس كما يسمونها»؛ من الواضح أن هذه الكلمة تحمل معنى تقني وآخر مؤسسي في هذا المقتطف، وتؤكد فقرات أخرى عند زينوفون Xenophon أن هذه العروض العسكرية كانت تُعقد بشكل منتظم قورش Cyrus ، الكتاب الثامن، فقرة 6-15، كما أنه ذكر بعض المواقع التي كانت تعقد فيها: كاستولوس هيلينيكا، الكتاب الأول، فقرة 4-3 أو كاستولو بيدون في ليديا الكتاب الأول، فقرة 9-7، وثيمبارا في سوريا/ إبيرنارى قورش Cyrus ، الكتاب السادس، فقرة 2-11، ومن المؤكد أن نقاط التجمع هذه كانت توجد في كل مرزبانية أو منطقة عسكرية والتي قد تشتمل على عدة مرزبانيات؛ ونكاد نجزم بأن هذا كان هو السياق الذي تمت فيه كتابة النصوص البابلية التي تتحدث عن الضرائب العسكرية في أور وأوروك؛ وكلمة «أنديسو» المستخدمة في الوثائق المصرية - والتي تظهر في الشكل الآرامى «هندز»- قد تمت استعارتها من الكلمة الفارسية القديمة «هندايسا» والتي تعنى «دعوة إلى التجمع» في مكان حددته الإدارة .

هل توفر هذه المعلومة الخلفية للسيلوجوس الذي انعقد في زارياسبا؟ للإجابة عن هذا السؤال، يجب أن نعود إلى النصوص التي تتناول العلاقات بين بيسوس Bessus والفرسان الباكتريين والذين -كما نعرف- لعبوا دوراً مهمًّا مع بيسوس Bessus في المؤامرة التي تمت ضد دارا Darius وذلك تبعاً لما يرويه أريان Arrian الكتاب الثالث، فقرة 21-4؛ فلقد كان الباكتريون هم من اعترفوا بسلطة بيسوس Bessus المطلقة ونتيجة لذلك كان لديه سبعة أو ثمانية آلاف باكتري يقاتلون في صفه الكتاب الثالث، فقرة 28-8، كوينتوس كورتيوس Quintus

Curtius ، الكتاب السابع، فقرة 4-20؛ وعندما قرر بيسوس Bessus عبور نهر الأوكسوس أمو داريا، تخلى عنه معظم فرسانه؛ وهاتين الفقرتين المتوازيتين عند كل من أريان Arrian وكوينتوس كورتيوس Quintus Curtius متماثلتين تماماً، حيث كتب الأول: «انسل الباكتريون كل إلى قريته» إن سوس كويسكى فيكوس ديلابسى: الكتاب السابع، فقرة 4-20، بينما كتب الثاني يقول: «لقد تفرق الفرسان الباكتريون في اتجاهات مختلفة عائدين إلى بيوتهم» ألوس ألاى إيبى تا سفون: الكتاب الثالث، فقرة 28-10؛ ومن الواضح أن العبارات المستخدمة هي عبارات متصلة بإجراءات تجنيد الجنود: «لقد كانت الفرقة العسكرية المرزبانية التي يقودها بيسوس Bessus تتكون من مجموعات فرعية، ولقد كان يتم حشد كل مجموعة منها من إقليم معين» قارن ذلك مع أريان Arrian ، الكتاب الثالث، فقرة 19-2، الكتاب السابع، فقرة 15-2؛ وهذا يعنى أن بعضاً من أراضي المرزبانية كانت مقسمة إلى «وحدات» والتي شكلت الأساس للتنظيم الإداري للمرزبانية، والتفسير الأبسط هو أن عملية التجنيد كان يتم تنظيمها محليًّا في كل وحدة من هذه الوحدات من قبل هؤلاء الذين يسميهم أريان Arrian بالهيبارخات، ولقد تم تأكيد ذلك من خلال الفقرة الموازية التي قدمها كوينتوس كورتيوس Quintus Curtius حول اجتماع زارياسبا؛ ولقد أشار أيضاً إلى الإشاعات التي نشرها سبيتامينيس Spitamenes وحلفاؤه عن باكترا، حيث كتب يقول إنهم: «قد نشروا شائعات في الخارج مفادها أن الملك قد أرسل في طلب الفرسان الباكتريون باكتريانوس إكويتس أومنيس حتى يذبحهم» الكتاب السابع، فقرة 6-15؛ وهكذا فإنه يبدو من الواضح أن السيلوجوس الباكتري كان مثالاً على إحدى المؤسسات الأخمينية المعروفة في أماكن أخرى: حيث كان يقوم كل هيبارخ من الهيبارخات بإحضار الفرقة العسكرية التي حشدها من أرضه راجع أيضاً أريان

أريان Arrian ، الكتـاب الثالـث، فقـرة 28-10، ومـن المحتمـل أن كوينتـوس كورتيـوس Quintus Curtius عندما استخدم عبارة «كل الفرسان الباكتريين» كان يشير حقيقة إلى مدى ثراء هذا الإقليم، والذي تحدث عنه في أماكن أخرى: «لقد بلغ عدد الفرسان الباكتريون 30 ألف فارس» الكتاب السابع، فقرة 4-30؛ ومهما كانت درجة صحة هذا الرقم، إلا أنه يوجد لدينا انطباع بأن هذه المعلومات تفترض وجود أرشيف، والذي كانت تعتمد عليه الإدارة في باكترا كما في باقي الأماكن في إصدار أوامر التجمع في «مكان الاحتشاد»، وبالإضافة إلى ذلك، -ومن هذا المنظور- كانت سوجديانا تمثل مقاطعة فرعية خاصة على الرغم من أنها كانت تتبع المقاطعة نفسها: وفي رواية أريان Arrian الكتاب الثالث، فقرة 28-10 «تم تمييز الفرسان القادمين من سوجديانا هوى إيك تيس سوجديانيس هيبيس عن الفرسان الباكتريون»، ومهما كانت الظروف، فإن النتيجة تبدو مؤكدة: فمن ناحية، كان الإسكندر Alexander يقصد من وراء عقد سيلوجوس للهيبارخات الباكتريين في زارياسبا أن يقوم بتدعيم جيشه في الوقت الذي كان يعد فيه لشن حملة عبر نهر الأوكسوس، ومن ناحية أخرى كان السبب الآخر هو أنه كان قد عين مرزباناً جديداً للتو على باكتريا الكتاب الثالث، فقرة 29-1؛ وكل ما كان عليه فعله لتحقيق هذا الهدف هو الاستفادة من إحدى المؤسسات الأخمينية والتي من المؤكد أن بيسوس Bessus نفسه قد استخدمها عندما صدر إليه الأمر من دارا Darius الثالث بحشد كل الفرق من جميع المقاطعات الباكترية راجع أريان Arrian ، الكتاب الثالث، فقرة 8-3 .

وإذا كان هذا التفسير صحيحاً، فإنه يشير إلى عدد من الأفكار وهذه الأفكار بدورها تحفزنا للقيام بمزيد من التحقيق والبحث، فأولاً: لم تتمكن باكترا من الإفلات من الطاقة التنظيمية للسلطة المركزية، والتي يمكن

ملاحظتها في مرزبانيات أخرى، ونظام التجنيد يشبه -ولو شكليًا على الأقل- الطريقة التي وصفها زينوفون Xenophon في أحد فقراته، والتي استشهدنا بها عدة مرات قبل ذلك قورش Cyrus ، الكتاب الثامن، فقرة 8-20: «في الأزمنة التي سبقت ذلك كانت من عاداتهم الوطنية أنه يجب على هؤلاء الذين يملكون الأراضي أن يقوموا بتقديم الفرسان من ممتلكاتهم، وأن هؤلاء الفرسان يجب أن يشتركوا مع الجيش في حالة الحرب»؛ وهكذا فعندما كان يصدر المرزبان أمراً بالاحتشاد، كان لزاماً على الفرسان المنتشرين في جميع أرجاء الإمبراطورية -والذين حصلوا على أراضٍ من الملك- أن يقوم كل واحد منهم بتقديم فرقة الخيالة التابعة له راجع زينوفون Xenophon ، هيلينيكا، الكتاب الثالث، فقرة 4-10؛ وبشكل عام كان كل فرد يمتلك «دوريا» خاضعاً لهذا الالتزام ديودورس Diodorus ، الكتاب السابع عشر، فقرة 19-4، ولقد كان هذا ينطبق أيضاً على الفرس وحتى على اليونانيين المستفيدين من هذا النظام والموجودين في آسيا الصغرى وهذا يفسر وجود الجونجيليديين في جيش قورش Cyrus الأصغر؛ زينوفون Xenophon ، الزحف العسكري، الكتاب الثاني، فقرة 1-3، وهكذا فإن السيلوجوس الباكتري كان مجرد مثال واحد على ممارسة عامة، ومن الواضح أن الشيء الوحيد الذي كان يميزه عن بقية هذه التجمعات هو أنه وبقدر ما تمكننا من تحديد ذلك، كان دور الهيبارخات راسخاً وأساسيًا على مدار التاريخ الطويل لباكترا؛ فلقد جاءوا من الأسر الثرية المحلية والتي كانت من المؤكد تملك سلطة إقليمية أوسع من تلك التي كان يتمتع بها هؤلاء الذين حصلوا على منح الأراضي، ولكن في الوقت نفسه-وكما هو الحال مع أي تابع- فإنه من المؤكد أن هؤلاء الهيبارخات أنفسهم كانوا مقيدين بالتزامات تفرض عليهم الولاء التام للملك؛ ولذلك فإن بعض توجيهات الإسكندر Alexander قد تعكس ممارسات لم تكن خاصة بالمقدونيين وحدهم.

ودعونا نتذكر -على وجه الخصوص- كيف أنه قد تمت معاقبة أريامازيس Ariamazes وشعبه، فقد تم إعدامه هو والمقربين منه، «ثم تم إعطاء عدد كبير من هؤلاء الذين استسلموا والمال الذي اغتنم إلى المستوطنين في المدن الجديدة، ولقد تُرك أرتابازوس Artabazus ليحكم هذه الصخرة والمنطقة المجاورة لها» كوينتوس كورتيوس Quintus Curtius ، الكتاب السابع، فقرة 11-29؛ والشيء الوحيد الفريد في هذه الرواية يتعلق بالمستفيدين من عمليات التخصيص هذه: أي المستوطنون الجدد في المدن التي تم تأسيسها حديثاً؛ ويتفق باقي القصة مع الأمثلة العديدة المأخوذة من التاريخ الأخميني، والتي تظهر أنه في أي وقت وخاصة في حالة التمرد، قد يقوم الملك الأكبر بتجريد أحد هؤلاء المستفيدين بمنح الأراضي من الأرض التي منحها له، ولم يكن أحد يضمن أن عمليات تخصيص الأراضي هذه سوف تكون دائمة، سواء إذا ما كانت هذه الأراضي هدية أو حقًّا إقليميًّا قد يعود إلى ما قبل الغزو؛ حتى الضرائب المالية التي كان يفرضها الهيبارخات على الأراضي التابعة لهم لم تكن في الحقيقة جديدة على الإطلاق، كما كانت الالتزامات المفروضة على الأشخاص الذين حصلوا على منح من الأراضي مماثلة تماماً لما كانت عليه في الماضي، حيث إنه إذا لم يكن هذا هو الحال فعلاً فمن كان إذاً يقوم بدفع الجزية المقررة على باكترا؟ ومن المؤكد أنه لكي نكون قادرين على الوصول إلى نتيجتنا، سوف يتوجب علينا أن نعرف لماذا كان النبلاء المحليون متحمسين للتحالف مع الملوك الفاتحين قورش Cyrus ودارا Darius ؛ ولكن لا يبدو أن هناك سبباً يدعونا لافتراض أن هذه العملية كانت فريدة تماماً في باكترا، وبدلاً من ذلك فنحن نميل إلى الاعتقاد بأن تصرف الأباطرة الفرس بعد الفتح لم يكن مختلفاً على الإطلاق عما فعله الإسكندر Alexander بعد الفتح؛ فبعد خضوع شوريينيس Chorienes له، «عهد الإسكندر Alexander له بهذا

المعقل الحصين تو خوريون وجعله هيبارخاً على الأشخاص الذين كان يديرهم قبل ذلك» أريان Arrian ، الكتاب الرابع، فقرة 21-9؛ كوينتوس كورتيوس، الكتاب الثامن، فقرة 4-21 [أوكسيارثيس Oxyarthes]، في تفكير الإسكندر Alexander وعمله لم يكن هذا الفعل نابعاً عن أية رغبة للدعوة إلى إنشاء سلطة محلية مستقلة، ولكن بدلاً من ذلك كان مجرد تأكيد للمركز الذي كان يشغله شوريينيس Chorienes بالفعل في الفترة الأخمينية؛ وفي إحدى الحالات الأخرى قام الفاتح المقدوني بمصادرة أراضي أحد الهيبارخات وأعطاها لسكان المدن الجديدة كوينتوس كورتيوس Quintus Curtius ، الكتاب السابع، فقرة 11-29 كتعبير عن الحقوق التي كانت يملكها الفاتح على الأرض وطبقة الزراع؛ وفي الحقيقة فإنه بالنسبة للإسكندر كانت الفتوحات عبارة عن «أراضٍ تم فتحها بنصل الرمح» أريان Arrian ، الكتاب السابع، فقرة 6-1؛ ومن المؤكد أن تصرف أباطرة الفرس لم يكن مختلفاً عن ذلك في شيء، أم هل من المفترض أن نعتقد أن أراضي باكترا كانت هي الأراضي المفتوحة الوحيدة التي لم تكن تخضع لنظام التاج راجع الفصل 10-7* 11-10؟

وتشير الأدلة المتوفرة -ولو بشكل ضمني- إلى بعض الطرق الأخرى التي كانت تتدخل بها السلطة المركزية في شؤون هذه المرزبانية؛ ففي البداية، من الواضح أنه كانت يوجد هناك مجموعة من الفرس المغتربين الذين يقيمون في هذه المرزبانية، ولقد استنتجنا ذلك من حديث بيروسوس Berossus عن تشييد تماثيل للإلهة أناهيتا Anahita في باكترا فصل 15-8، ولقد كان أيضاً جميع المرزبانات الذين يديرون باكترا من الفرس، كما أن بعضهم كان من أقارب أسرة الملك الأكبر الفارسي؛ وعلى الرغم من ذلك، فإنه من الصعب المضى لما هو أبعد من ذلك في الحديث عن هذه النقطة وذلك بسبب التشابه النسبى بين

الأسماء الشخصية الإيرانية؛ وباستثناء حالة الهيبارخات الذين عارضوا الإسكندر Alexander ، نجد أنه من الصعب تمييز الأشخاص الذين يوصفون بأنهم باكتريون، حيث إننا لا نعرف تقريباً سوى أورونتيس Orontes والذي -تبعاً لتاريخ برجاموم- كان من أصول باكترية توجينوس باكتريوس؛ وحتى هذا المثال نجد أنه يثير أسئلة أكثر من تلك التي يجيب عليها، ودعونا نقول فقط إنه من المؤكد أن الباكتريين قد استقروا في مرزبانيات أخرى إما مستقلين أو كجنود مستعمرين ضمن الحاميات الفارسية؛ وبالإضافة إلى ذلك، فإن باكترا نفسها لم تفلت من نظام الاستيطان الذي تم إنشاؤه في أماكن أخرى من الإمبراطورية؛ فبعد عام 479 قام كسركسيس Xerxes بإعادة توطين كهنة بلدة ملطية في سوجديانا؛ ولقد كانوا يعيشون في ذلك الوقت في مدينة محصنة، وكانوا يملكون الأراضي، ولقد تم دمجهم في السكان المحليين كوينتوس كورتيوس Quintus Curtius ، الكتاب السابع، 28: 5-35؛ ولقد ذكر هيرودوت Herodotus في فقرته التي خصصها للحديث عن الحملة الفارسية على برقة وبلدة قورنائية في عام 513 أن البرقيين -الذين تم إحضارهم إلى صوصا كأسرى حرب- قد حصلوا من دارا Darius على قرية كومى في باكترا كهدية إيدوكى، وأنهم كانوا لا يزالون يعيشون في هذه القرية في أيام هيرودوت Herodotus الكتاب الرابع، فقرات 202-204؛ ولقد كان اليونانيون ينظرون إلى باكترا مثلها مثل باقي المناطق الحدودية إسخاتياى على أنها مكان كان يتم نفى الأشخاص إليه هيرودوت Herodotus ، الكتاب السادس، فقرة 9، وهو ما يعنى من وجهة نظر الأخمينيين أرض الاستعمار .

الشيء المؤكد هو أن هذه الحفنة من الأدلة تبدو مثيرة للشفقة؛ ولكن من الواضح إلى حد ما أن كل ما تعرضه المصادر القديمة لا يتعدى أن يكون مجرد عينة شديدة التحيز من الأوضاع السائدة في

الإمبراطورية الأخمينية، وذلك بسبب توجهها الهلينى، كما أن المعلومات الموجودة بهم لا تكون ذات معنى إلا إذا تم وضعها في الإطار العام للإمبراطورية؛ وعلى الرغم من أنه لا يمكن إثبات ذلك إلا أنه من المحتمل أن النمط التالي من المرحلين الذين تم توطينهم في بابل كوينتوس كورتيوس Quintus Curtius ، الكتاب الخامس، فقرة 1-2، والخليج الفارسي هيرودوت Herodotus ، الكتاب الثالث، فقرة 93، الكتاب السابع، فقرة 80، والمرحلين المستعمرين الذين كانوا في سوجديانا وباكتريا في العصر الأخميني قد تم دمجهم جميعاً في التنظيم العسكري وتنظيم الجزية الخاص بالمرزبانية التي تم توطينهم فيها؛ ولم يعد هناك أدنى شك في أن المدينة المحصنة التي تم بناؤها لكهنة ملطية كانت جزءاً من شبكة من المدن والحصون والقلاع التي تجمع الروايات القديمة على أنها كانت تحتوي على عدد كبير جدًّا من السكان؛ ويؤكد العمل في موقع سمرقند القديمة أفراسياب على وجه الخصوص مدى قوة وحصانة موقع القلعة خلال الفترة الأخمينية؛ ومن المحتمل أنه كما في ميسيا زينوفون Xenophon ، الزحف العسكري، الكتاب السابع، فقرة 8-15، وكاتونيا-كبادوكيا ديودورس Diodorus ، الكتاب التاسع عشر، فقرة 16-3، ومارجيانا كوينتوس كورتيوس Quintus Curtius ، الكتاب السابع، فقرة 10-15 فلقد حافظت هذه القلاع على اتصال سهل مع بعضها البعض .

ويجب علينا الآن أن نتعامل مع إحدى الصعوبات التفسيرية الكبيرة التي أثارها أحد الاكتشافات الأثرية الجديدة والذي تمثل في اكتشاف شبكة كثيفة للغاية من القنوات في شرق باكترا -وهي المشكلة التي لم نتحدث عنها حتى الآن سوى بشكل مختصر فصل 2-5- ومن المنظور الأثرى لم تكن للإدارة الإمبراطورية الأخمينية أية علاقة لا بفكرة ولا بتطوير قنوات الرى هذه؛ وتقوم هذه النتيجة على سلسلة من

الاستنتاجات والملاحظات التي ربما نراجعها باختصار فيما بعد؛ فأولاً، هـذا العمـل الذي يعود تاريخه إلى النصف الأول مـن الألفيـة الأولى ينتمـى إلى فـترات التـاريخ الباكتري الطويلة، حيث تعود قنوات الري الأولى إلى الـعصر البرونـزي؛ وثانيـاً، فـإن الأواني الفخارية مصنوعة بشكل مميز لباكتريا فقط دون غيرها ولا تظهر أية ملامح للتأثير الأخميني؛ وعند هذه النقطة سنقوم بتقديم أدلة أخـرى، حيـث سنشـير إلى ديودورس Diodorus : ففي قصته التي ذكرها حـول أعـمال سـميراميس، ذكـر أن الحملة التي وجهتها هذه الملكة ضد باكترا واجهت مقاومـة عنيفـة مـن البـاكتريين الذين كان يقودهم شخص يسمى أوكسيارثيس Oxyarthes والذي كان هو ملكهم الكتاب الثاني، فقرة 6-2؛ وبدون الحديث مطولاً عـن المؤسسـات الملكيـة التـي تـم إنشاؤها بعد الفتح الأخميني، إلا أن علماء الآثار يعتقدون على الرغم من ذلك أنـه كان هناك ما يسمونه «كيان باكتري» قبـل وبعـد الفـتح الأخمينـي؛ ولكـن الـدليل الوحيد على وجـود دولـة مركزيـة باكتريـة يظهـر مـن خـلال الضرائـب العسـكرية والمالية؛ ويرى علماء الأثار هؤلاء أن ممثلى هذه الوحدة كانوا هـم المسـؤولين عـن شق القنوات ومشروعات الـرى الأخـرى التـي تمـت في جميـع أجـزاء الإمبراطوريـة الأخمينية؛ وكلمة «الأخمينية» التي توصف بها هذه الفترة كانت تستخدم لتحديـد نقطة إشارة تاريخية ولكنها لا تعبر عن أية حقيقة سياسية على الإطلاق؛ وتبعاً لهذا التفسير فإن الانفصال الحقيقي قد حدث بعد الفتح اليوناني ومن الواضح أنـه ظـل موجوداً حتى بعد عهد الإسكندر Alexander ، وتظهر المعلومات الأثرية مـن كـل الأنواع بما فيها الأواني الفخارية أنه عند نقطـة الانقطـاع هـذه، تـم إنشـاء سياسـة استعمارية حقيقية؛ ولا يوجد أي دليل على أن هذه السياسة كانت تعـود إلى فـترة سابقة؛ وأخـيراً، واسـتجابة للاعتراضـات ذكـر علـماء الآثـار أن وضـع بـاكترا لم يكـن يختلـف تمامـاً عـن وضـع المنـاطق الأخـرى في الإمبراطوريـة، حيـث إن عـدم

تسجيل الوجود النشط والحقيقي للسلطة المركزية في الأقاليم لا يعني على أية حال أن عملية استيلاء وسيطرة فعلية على الأرض والشعوب قد تمت باستثناء تلك التي كانت تتمثل في الجزية والمقررات العسكرية الأخرى، وإنشاء الحاميات، وتولية عدد صغير من المديرين، أما أساسيات السلطة فقد استمرت «الكيانات» المحلية في ممارستها.

ونلحظ على الفور أن هذه النظريات تؤيد وتوجه المناقشة العامة حول تطور الإمبراطورية الأخمينية والذي تواصل بشكل خاص في السنوات القليلة الأخيرة؛ ولكن يمكننا أن نجيب قائلين بأنه سوف يكون من غير الحكمة على وجه الخصوص القيام بإجراء مقابلات ومناظرات مع المرزبانيات الأخرى في الإمبراطورية بدون أن يتوفر لدينا تحليل إقليمي قبل ذلك؛ ونجد فقرة عند بوليبيوس Polybius تشير إلى أن أباطرة الفرس كانوا مهتمين بمشروعات نقل المياة والرى في هركانيا الكتاب العاشر، فقرة 28، وبالإضافة إلى ذلك تظهر الألواح البابلية بشكل قاطع أن عملية إدارة القنوات كانت تقع على عاتق فرع معين من الإدارة الأخمينية، وتثبت كل هذه الأدلة عدم صحة التعميمات والتي هي في الحقيقة نابعة من رؤية متحيزة ومتمركزة على باكترا وهو الشيء الذي يمكن تأكيده من خلال إجراء سرد دقيق للاكتشافات الأثرية التي تمت في جميع أجزاء الإمبراطورية على مدار العقدين الماضيين تقريباً انظر فصل 16-18 بالأسفل، ويمكننا أن نضيف -دون أن تكون هناك حاجة إلى مزيد من التأكيد- أن ما قاله ديودورس Diodorus هو دليل لا يمكن الدفاع عنه تماماً، ولكن هذه الانتقادات لا تستنفد الموضوع تماماً، بل هي بعيدة عن ذلك، وتكمن المشكلة الحقيقية في أنه من الصعب جدًّا بناء جسور بين الأدلة الأدبية والأدلة الأثرية، والتي تدعم كل مجموعة منهما صورة مناقضة للصورة التي تدعمها المجموعة الأخرى، أو بشكل أكثر تحديد صور لم يتمكن كل من المؤرخ وعالم الآثار من التوفيق بينهما؛ وإذا كانت

هذه «الوحدة الباكترية» نشطة بالفعل في عام 330، فإنه لا يوجد دليل على ذلك في النصوص التي وصلت إلينا؛ ولكن يشير أحد العروض التي ظهرت مؤخراً حول الاكتشافات الأثرية التي تمت في هذه المنطقة إلى باكترا على أنها «إحدى الوحدات التي لا تزال معلوماتنا عنها ضيئلة والتي لم يتم تحديدها بشكل جيد حتى الآن، وأنها كانت موجودة قبل سيطرة الفرس عليها بفترة من الزمان» ب. ليونيت؛ وعلى الرغم من ذلك -وكما رأينا- فإن الأدلة القديمة تظهر باكترا على أنها بلدة كانت مقسمة أساساً بين «الهيبارخات» والذين اشتقوا سلطتهم من سلطة المرزبان وبمجرد أن يتم عرض نموذج ويتفوجل وهو ما يفعله علماء الآثار دائماً، فإننا لا نستطيع فهم كيف أن المرزبانات الهيبارخات الرئيسين والثانويين في باكترا كانوا مسؤولين عن مثل هذه العمليات، والتي كانت تحتاج إلى تعاون فيما بين المناطق المختلفة وتجنيد آلاف من العمال .

وبالإضافة إلى ذلك، التناقض بين الفترتين الأخمينية والهيلينية - والذي يبدو واضحاً جدًّا بحيث لا يمكن إنكاره إذا نظرنا إلى الأدلة الأثرية- يجب ألا نمضى في التأكيد عليه إلى حد بعيد؛ ويجب أولاً أن نذكر أن الوجود المادى للإدارة الأخمينية في الأقاليم باستثناء الاستراتيجوى وقادة الحاميات نعرف به غالباً من خلال الاكتشافات العرضية التي تتم عن طريق الصدفة مثل اكشاف أحد الألواح الإيلامية في تحصينات قندهار القديمة؛ وإذا نظرنا إلى بلاد فارس نفسها، فإن اكتشاف سجلات برسيبولس قد أدى وبصورة كاملة إلى تغيير النظرة السابقة عن قوة التقاليد البيروقراطية والإدارية في مركز الإمبراطورية؛ وكما شرحنا بالتفصيل من قبل فصل 7-6/11، فإن نقل الممارسات الإدارية إلى الأقاليم تم إثباته في بعض الحالات ومحتمل إلى حد كبير في حالات أخرى حتى إذا كانت توجد شواهد عليه فقط في الألواح التي

تتحدث عن الأسفار الرسمية بين العواصم الإمبراطورية والمرزبانيات الإيرانية الشرقية بما فيها باكترا، هل من الممكن أن تكون باكترا قد أفلتت من الاتجاه إلى دمج المرزبانيات في التنظيم الإمبراطوري؟ هناك اكتشاف واحد فقط -وهو الاكتشاف الذي يبدو إحصائيًّا غير محتمل إلى حد ما- سوف يسمح لنا بالإجابة عن هذا السؤال بشكل قاطع، وهو اكتشاف السجلات المرزبانية في باكترا؛ والنظرية التي تم اقتراحها هنا هي أن الإدارة ربما تكون قد اشتملت كما في حالة بابل على قسم خاص مسؤول عن إدارة شؤون المياة والقنوات؛ ومن الصحيح أننا في حالة بابل لم نعرف بوجود هذا القسم سوى عن طريق بعض الإشارات التي ظهرت في الملفات الخاصة سجلات أسرة موراسو؛ وفي غياب مثل هذه الأدلة في حالة باكترا، يجب أن نكتفي بملاحظة واحدة: إن اللوح الأخميني واللوح الذي يشتمل على كتابات بلغتين هما اليونانية والآرامية الذي تم اكتشافه في قندهار يظهران أنه كانت توجد محفوظات في عاصمة أراخوسيا، وأن اللغة المستخدمة في الإدارات الأخمينية قد انتشرت في جيع أنحاء الهضبة الإيرانية: «وبعد انتهاء عصر أباطرة الفرس بقرنين من الزمان، نجد [فى قندهار] ذلك النوع نفسه من الوثائق الذي وجدناه قبل ذلك في مصر الأخمينية، وبالمثل فلقد كانت هذه اللغة نفسها مليئة بالكلمات الإيرانية، وفي الحقيقة فإن استخدام اللغة الآرامية يظهر أننا في أحد الأقاليم الإيرانية والذي تمت المحافظة فيه على تقاليد الإدارات الأخمينية» إيه. بنفينيست؛ وفي أيخانوم نفسه يظهر أوستراكون آرامي كأثر باقي على ذلك، وبالإضافة إلى ذلك، فإن نقوش الخزانة المكتوبة باللغتين اليونانية والآرامية تعبر عن إدارة مالية معقدة والتي لا بد أنها كانت تدين بالكثير إلى الإدارة الأخمينية السابقة، وهكذا فإننا سوف نود التأكيد مرة أخرى على أن صمت المصادر الأخمينية في هذا الجانب يجب أن يتم تفسيره بحذر شديد؛ ومن الواضح أن هذه الملاحظات لا تسمح لنا

باقتراح أنه كان هناك قسم في الإدارة المرزبانية مسؤولاً عن شؤون المياه والقنوات في مرزبانية باكترا الأخمينية، ولكن كل ما تفعله هو أنها لا تجعلنا نستثنى هذه الفرضية.

وهكذا دعونا نعود إلى الدليل التي تقدمه الأدوات الفخارية والتي يبدو أنها تقضى تماماً على فكرة تدخل الإدارة الإمبراطورية هناك؛ وإذا تخيلنا أن هذه الحجة هي قاطعة في حد ذاتها، فإنه لا يوجد أي داعٍ لإكمال المناقشة؛ وفي المقابل يجب أن يتم شرح الانفصال الذي لا يمكن إنكاره والذي حدث على المدى الطويل عن الإمبراطورية الأخمينية عندما جاء الفاتح المقدوني؛ ويعكس تعدد الأدلة الأثرية على الوجود اليوناني تبنى سياسة استعمارية تتعارض مع السياسة الأخمينية السابقة وتنطبق هذه الملاحظة على مصر أيضاً؛ ولكن هذا الفارق الواضح للغاية لا يعنى بالضرورة أن هذه الأقاليم قد انتقلت -مع انتهاء الفترة الأخمينية وبدء العصر الهلينى- من حالة من السيطرة الرخوة والسطحية للفاتح عليها إلى إدارة دقيقة من قبل الفاتح للأراضي والمياه، وفي الحقيقة فلقد تمت صياغة السلطة الإمبراطورية في الفترة الأخمينية على غرار النماذج والتقاليد المحلية وخاصة على المستوى التقنى، ولذلك فإننا لا نستطيع التعرف عليها مباشرة بالنظر إلى مخططات شبكة القنوات أو أشكال الأدوات والأواني الفخارية لدرجة أننا نتعجب من الغياب التام لأى مظهر من مظاهر التأثير الأخميني في هذه الأشياء؛ وإذا سلمنا بهذه المقدمات المنطقية، فإننا يجب أن نسلم أيضاً بأن استخدامات الأواني الفخارية الباكترية والتدخل المرزباني ليسا استثنائيين بشكل متبادل؛ ويتميز هذا التفسير -على الأقل من وجهة نظر المؤرخ- بأنه يلقى الضوء على السلطة الوحيدة التي عبرت عنها النصوص سلطة المرزبان، ويبعد إلى الأجنحة «الوحدة الباكترية» والتي لم نجد أدنى أثر عليها على الرغم من أن الوقت الذي لقى فيه الملك الأكبر مصرعه قدم الظروف التي كانت

مناسبة بشكل خاص للقيام بعملية تأكيد سياسي وإحياء للأدلة على وجود مثل هذه «الوحدة»، ومن الآمن أن نقول إن المناقشة لم تنته بعد .

16- من إقليم البنجاب إلى دلتا نهر الإندوس الهندوس:

على الرغم من هذه الحالة الصعبة للأدلة الخاصة بباكترا-سوجديانا، إلا أنها تصبح أكثر صعوبة في وادى نهر الهندوس؛ فبعد كل تلك القوائم الملكية التي تشتمل على معلومات عن الأقاليم التابعة للإمبراطورية قوائم بأوصاف الشعوب الإمبراطورية والإشارات العديدة التي تم تقديمها في ألواح برسيبولس وفي تاريخ هيرودوت Herodotus ، نجد أنه بالكاد قد تم ذكر أراضي نهر الإندوس في الوثائق التي وصلت إلينا؛ ولكن دعونا نذكر أن بعض النصوص من عهد أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني تشير إلى أن الملوك الهنود في ذلك الوقت كانوا لا يزالون يعبرون عن ولائهم عبر إرسال الهدايا والجزية فصل 15-8 وأن هذه البلاد قد أرسلت أيضاً فرقاً عسكرية إلى جيش دارا Darius الثالث راجع أريان Arrian ، الكتاب الثالث، فقرة 8-4* 6؛ وعندما وصل الإسكندر Alexander إلى البنجاب، لم تقدم المصادر القديمة أية إشارة إلى وجود سلطات محلية هناك كانت قد عينتها السلطة المركزية السابقة، ونميل إلى أن نستنتج من ذلك أن الأخمينيين قد فقدوا السيطرة على هذه المناطق، ولكن هل هذا مؤكد؟ سوف يكون من الأفضل أن نبقى حذرين؛ فمن ناحية -وكما قد أكدنا للتو- لم يعد هناك وجود للدولة الأخمينية، ومن ناحية أخرى، فإنه من الصعب إدعاء أن السلطات التي لم تصلنا أية معلومات عنها بعد عهد دارا Darius الأول قد اختفت ببساطة؛ وبدون الخوض في التفاصيل والتي غالباً ما تفوتنا على أية حال، فإنه من الواضح أن شعوب ومناطق وادى نهر الإندوس والتي توجد أيضاً بين نهرى الإندوس وهيداسبيس كانت تتمتع بمجموعة

متنوعة من أشكال التنظيم الداخلي والعلاقات الخارجية؛ ويتجلى لنا ذلك من تنوع المفردات، فبالإضافة إلى كلمة ملك ومليك «ريجولى» كوينتوس كورتيوس Quintus Curtius ، الكتاب العاشر، فقرة 1-1، نجد أيضاً كلمة إثنى، مدن، الخ على الرغم من أننا لم نتمكن دائماً من التمييز بوضوح بين حجم سلطة كل منهم؛ ولقد ذكر أريان Arrian غالباً الهيبارخات والذين قد يديرون مساحات شاسعة من الأراضي «خورا» قلت أو زادت الكتاب الرابع فقرة 22-8* 24-1* 25-5؛ وتتمثل المشكلة هنا كما في الأماكن الأخرى في فهم وتحديد الجزء من مراسيم الإسكندر Alexander الذي يعبر عن التواصل مع ممارسات الإدارة الأخمينية، حيث إن تحديد ذلك ليس بالأمر السهل؛ وكل ما نستطيع فعله هو تقديم عدد قليل من الملاحظات العرضية.

لقد قام الإسكندر Alexander -وحتى قبل عبور ممر خيبر- بإرسال رسول إلى أومفيس زعيم قبيلة تاكسيلا آمراً إياه بأن يأتي إليه، ولقد قام أومفيس هو وبعض الهيبارخات الآخرين بإطاعة ذلك الأمر، ولقد أحضروا معهم هدايا كانوا ينظرون إليها على أنها قيمة إلى الإسكندر Alexander أريان Arrian ، الكتاب الرابع، فقرة 22-6؛ الكتاب الخامس، فقرة 5: 3-6؛ ولقد تكررت هذه المراسم نفسها طوال مسيرة الإسكندر Alexander : حيث كان تقديم الهدايا دورا عند حدود البلد إلى أحد الملوك هو أكبر دلالة على الخضوع له راجع، الكتاب الخامس، فقرات 8-3* 20-5* 29-4، ويعكس هذا بوضوح تراثاً تمت وراثته عن الأخمينيين: فعندما يقوم الملك الأكبر بالانتقال للإقامة في أحد أقاليم إمبراطوريته ومع أحد شعوبه، كان من التقليدى أن يقوم المرزبان والسلطات المحلية بتحية القافلة الملكية بالهدايا عند حدود ذلك الإقليم الكتاب الخامس، فقرة 29-2؛ وتذكرنا هذه الهدايا أيضاً بما كتبه ستيسياس Ctesias حول الهدايا القيمة التي كان يقوم الملوك الهنود

بإرسالها بصورة منتظمة إلى الملك الأكبر في عهد أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني، ولقد ذكرت الأفيال بشكل متكرر كإحدى الهدايا التي كان يتم تقديمها إلى الإسكندر Alexander ؛ ومن المؤكد أن هذه هي الطريقة التي حصل بها دارا Darius على الاثني عشر فيلاً أدارو إكس إنديا أكسيتى، والذين كانوا من ضمن الهدايا التي قدمها مرزبان صوصا إلى الإسكندر Alexander كوينتوس كورتيوس Quintus Curtius ، الكتاب الخامس، فقرة 2-10؛ ويجعلنا السياق نعتقد أنهم كانوا حيوانات مراسمية مأخوذة من إحدى الضياع في صوصا؛ وبالإضافة إلى ذلك، فإن مراسم الخضوع لدى الأخمينيين لم تكن تقتصر فقط على الهدايا من هذا النوع، حيث إن المبعوث الذي أرسله الإسكندر Alexander إلى أبيساريس Abisares قد أُمر بأن يستدعي الملك الهندى ليدفع الجزية ستيبنديوم بنديري، وليقابل الإسكندر Alexander عند حدود الأراضي التي يحكمها» كوينتوس كورتيوس Quintus Curtius ، الكتاب الثامن، فقرة 13-2؛ ولقد قام الإسكندر Alexander فيما بعد بتحديد مقدار الجزية الذي كان يتوجب على أبيساريس Abisares سداده إليه أريان Arrian ، الكتاب الخامس، فقرة 29-5؛ ومن المحتمل أن هذا كان هو الحال أيضاً في الفترة الأخمينية: فلقد أصبحت الهدايا ترسل إلى البلاط بشكل منتظم مثل الجزية نفسها بالتماشى مع الممارسات السائدة فصل 10-3 .

ولا يوجد شك في أن السلطة الأخمينية كانت قائمة في البلدان التي تقع على الضفة الغربية لنهر الإندوس، وفي إحدى الفقرات التي تناولت بلاد الهضبة الإيرانية أريان Arrian قدم لنا سترابو Strabo قائمة بأسماء الشعوب والتي كما يقول كانت تسكن من الشمال إلى الجنوب في غرب نهر الإندوس وهم: الباروباميساداي، الأراخوسيين، الجدروسيين، «مع القبائل الأخرى التي كانت تقيم على شاطىء البحر»، ولقد أضاف التفصيل

التالي: «يوازي نهر الإندوس طوليًا كل هذه الأماكن، وبعض هذه الأماكن التي تقع على طول نهر الإندوس كان يسيطر عليها الهنود على الرغم من أنها كانت مملوكة للفرس في السابق» الكتاب الخامس عشر، فقرة 2-9، ونستنتج من النسخ البابلية من هذه القوائم الملكية أن الباروباميساداى كانوا يقيمون في البلد التي تعرف بـ «جانداهارا» في النص الفارسي، ولقد كان شعب الباروباميساداى هذا يسكن في وادى كابول بالكامل حتى نهر كوفين؛ وقد قام الإسكندر Alexander في عام 327 بتعيين الفارسي بروكسيس Proexes مرزباناً على هذه المنطقة، ولقد خلفه ترياسبيس في شغل هذا المنصب بعد ذلك بفترة قصيرة أريان Arrian ، الكتاب الثالث، فقرة 28-4؛ الكتاب السادس، فقرة 15-3 .

ثم وصلنا بعد ذلك إلى حدود تلك البلد التي كان يسكنها هؤلاء الذين وصفهم أريان Arrian بطريقة غامضة قائلاً إنهم: «الهنود الذين يسكنون على هذه الضفة من نهر الإندوس» الكتاب الرابع، فقرة 22-6، والذين يعدد من بينهم «التاكسيليون والهيبارخات الآخرين» فقرة 22-6، بما فيهم هيبارخات مدينة بويسيتيس فقرة 22-8، والأسباسيين فقرة 24-1؛ وفي نهاية هذه «الحملة الجبلية»، قام الملك بتعيين نيكانور «مرزباناً على المنطقة التي تقع على هذه الضفة من نهر الإندوس» فقرة 28-6؛ كما قام أخيراً في مدينة تاكسيلا بتسمية فيليب Philip ابن ماخاتاس Machatas «مرزباناً على الهنود الذين يسكنون في تلك المنطقة» الكتاب الخامس، فقرة 8-3 أي «البلد التي تقع غرب نهر الإندوس باتجاه باكترا» الكتاب السادس، فقرة 2-3؛ ويبدو من الواضح أن الملوك والحكام المحليين - والذين أعاد الإسكندر Alexander ممالكهم إليهم- قد خضعوا إليه الكتاب السادس، فقرة 27-2؛ تاكسيلا ويوداموس؛ ومن المحتمل إلى حد ما أن هذا كان هو الحال أيضاً -بشكل جزئي أو كلى- خلال الفترة الأخمينية، وتركيبة الفرق

العسـكرية التـي أحضرهـا كـل مـن بيسـوس Bessus مرزبـان بـاكترا وبارسـنتيس Barsaentes مرزبان أراخوسيا إلى جوجاميلا كانت متماثلة إلى حد مـا؛ فلقـد كـان بيسوس Bessus هو قائد «الهنود الذين كانـت تقـع أراضـيهم بجـوار البـاكتريين»، بينما كان يقود بارسنتيس Barsaentes «الهنود من سكان الـتلال كـما كـان يطلـق عليهم» الكتاب الثالث، فقرة 3: 8-4؛ ولقد كان كلاهما ينتميان إلى مـا كـان يعـرف في الفترة البارثية بالهند البيضاء .

ولقد ظهرت العلاقة بين هذه البلاد من خلال بعض التفاصـيل الأخـرى؛ فـنحن نعرف أن قبيلة تاكسـيلا كانـت عـلى اتصـال بالإسـكندر Alexander عنـدما كـان في سوجديانا، وأنها وعدت الفاتح المقـدوني بأنهـا ستنضـم إليـه في حملتـه عـلى أعدائـه الموجودين بين الهنود ديودورس Diodorus ، الكتاب السابع عشر، فقرة 86-4؛ ولقد كان سيسيكوتس Sisicottus -الذي من الواضح أنه جاء من منطقة الأساسينيين- كان أحد هؤلاء الهنود الذين قدموا الجنود إلى بيسوس Bessus ، ولقد انضم إلى الإسكندر Alexander في باكترا الكتاب الرابع، فقرة 30-4، الكتـاب الخـامس، فقـرة 20-7؛ كـما توجد أيضاً شواهد كثيرة على العلاقة بين مرزبان قندهار و«الهنود من سكان التلال»؛ وفي الحقيقة فنحن نعرف أن الإسكندر Alexander عندما وصل إلى درانجيانا، هـرب بارزنتيس Barzaentes إلى الهند كوينتـوس كورتيـوس Quintus Curtius ، الكتـاب السادس، فقـرة 6-36؛ وفـيما بعـد وخـلال إقامتـه في تاكسـيلا تسـلم الإسـكندر Alexander «بـارزنتيس Barzaentes الـذي حـرض عـلى الثـورة في أراخوسـيا، بالإضافة إلى ثلاثين فيلاً تم أسرها في الوقت نفسه معه، وسماكسوس Samaxus والذي كان ملكاً على جزء صغير من الهند» الكتاب الثامن، 3: 13-4؛ ويبدو أن الإسكندر Alexander قد عفـا عـن هـذا الملـك، هـذا إذا كـان هـو الشـخص

نفسه الذي يسمى سامبوس Sambus والذي عينه الملك «مرزباناً على الهنود من سكان التلال» أريان Arrian ، الكتاب السادس، فقرة 16-3، ولقد كان يسيطر على الممرات الرئيسة بين وادى الإندوس الجنوبى وأراخوسيا بما فيهم ممر بولان والذي لا بد أنه كان هو الممر الذي استخدمه كراتيروس الكتاب السادس، فقرة 15-5؛ ولقد أدرج أريان Arrian هاتين المجموعتين ضمن تلك المجموعات التي يسميها «الهنود الذين يتمتعون بالحكم الذاتي» الكتاب الخامس، فقرة 1: 22-2* 24-8؛ ويبدو أن هذه العبارة تشير إلى دول مكتملة التشكيل والتي تحتوي على مدن وقادة هيجيمونيس وحكام نومات وطبقة أرستقراطية حاكمة الكتاب الخامس، فقرة 22-1؛ ونحن نعلم أن الإسكندر Alexander قد عين مرزباناً على الماليين والأوكسيدراساى أريان Arrian ، الكتاب السادس، فقرة 14-3؛ وعلى الرغم من ذلك فقد اعتبر الموفدون الأوكسيدراكاى أنهم مستقلين ذاتيًا، حيث إنهم لم يكن يحكمهم مرزبان، ولم يكونوا يدفعون جزية أريان Arrian ، الكتاب السادس، فقرة 14-3؛ ولكن هذا لا يعنى أن سلطة الدولة الأخمينية لم يكن لها أي وجود هناك وخاصة أن مفهوم الحكم الذاتي هنا تم تعريفه من منظور الملوك الهنود وليس من منظور الملك الأكبر؛ ودعونا نتذكر على وجه الخصوص أن الفرس كانوا يقومون بصورة منتظمة باستئجار مرتزقة بالمفهوم الأخميني، انظر فصل 17-3 من الأوكسيدراكاي الكتاب الخامس عشر، فقرة 1-6، وأن كلا الشعبين كان يدفع الجزية إلى أراخوسيا كوينتوس كورتيوس Quintus Curtius ، الكتاب العاشر، فقرة 7-14، وهو ما يبدو أنه يشير إلى أن الماليين والأوكسيدراكاي كانا خاضعين لسلطة مرزبان قندهار وهي علاقة التبعية التي ربما كان سماكسوس/ سامبوس هو الوسيط فيها؛ وتبعاً لهذه النظرية، فإن سامبوس كان بمثابة وكيلاً للفرس في منطقة الوادى الأدنى لنهر

الإندوس، وأنه كان يقوم باستئجار المرتزقة وتحصيل الجزية والضرائب العسكرية الأخرى مثل الأفيال التي أحضرها «الهنود الذين يعيشون على هذا الجانب من نهر الإندوس» إلى جوجاميلا أريان Arrian ، الكتاب الثالث، فقرة 8-6؛ بالإضافة إلى كلاب الحرب الشهيرة ديودورس Diodorus ، الكتاب السابع عشر، فقرة 92 والتي كان الملك الأكبر يربيها على نطاق واسع في بابل هيرودوت Herodotus ، الكتاب الأول، فقرة 192 .

وعموماً، فعلى الرغم من أن المصادر الأدبية تجعلنا نعتقد أن الوصاية الأخمينية كانت لا تزال موجودة في وادى نهر الإندوس خلال عهد دارا Darius الثالث، إلا أنه من الصعب تحديد مدى وعمق تأثير هذه الوصاية في غياب الأدلة الأثرية والنقوش؛ ودعونا نتحدث ببساطة -فى نهاية هذا الجزء-عن إحدى العملات الهندية المتأخرة التي تم الإعلان عنها مؤخراً، وتحمل هذه العملة أسطورة مكتوبة بالكتابة الخاروستية وصورة لشخص يحمل العديد من الخصائص الفارسية/ الإيرانية: «من المحتمل أنه كان مرزبان المنطقة مصوراً بالأسلوب الأخميني مع بعض التأثير اليوناني، وذلك بعد مضى قرن ونصف على سقوط الإمبراطورية الأخمينية وبين الهنود الذين يعيشون بين نهر الإندوس ونهر جهيلام، ولقد كانت لا تزال الصورة الرسمية للشخص الذي يمارس السلطة العليا في الإقليم هي صورة المرزبان الذي يتبع الأسلوب الفارسي» ب. برنار؛ ولا يوجد أدنى شك في وجود مجتمع من الفرس المغتربين في تاكسيلا، ويمكننا أن نجد صدى هذا الوجود في الأختام المصنوعة على الطراز «الفارسي-اليوناني» التي كانت توجد في هذا البلد والتي تشبه أختام وجدت في أماكن أخرى .

17- من باتالا إلى صوصا وبابل: الفرس والخليج الفارسي:

تقـدم روايـات نيرخـوس Nearchus بعـض المعلومـات -إلا أنهـا غـير مؤكـدة وزائلة- حول الساحل الفارسي مـن الخلـيج العـربي؛ فبعـد أن هـرب الحـاكم الفـاريى لباتالا، قام الإسـكندر Alexander بالاسـتيلاء عـلى القلعـة والمدينـة أريـان Arrian ، الكتاب السادس، فقرة 17-5* 18؛ ومن باتالا انطلـق صـوب بالوشسـتان وذلـك قبـل مغادرة الفصيلة التي يقودها نيرخوس Nearchus بفترة قصيرة؛ ولقد كان الغرض من مذكرات نيرخوس Nearchus هو «تسجيل الطريقة التي وصل بها أسطول الإسـكندر Alexander إلى فارس من الهند» أريان Arrian ، إنديكا، فقـرة 17-7؛ وواضـعاً هـذا الهدف في تفكيره، قام نيرخوس Nearchus بتقديم معلومـات حـول الأسـطول الـذي كان الملك قد بناه والذي كـان يتكـون طاقمـه مـن الفينيقيـين والقبارصـة والمصريـين إنديكا، فقرة 18-1؛ أريان Arrian ، الزحف العسكري، الكتـاب السـادس، فقـرة 1-6؛ ولقد ذكر نيرخوس Nearchus بوضوح في عدة مرات أن المهمة التي تـم تكليفـه بهـا كانت تتمثل فى: استكشاف السواحل التي كانت تمتد على طول خط الرحلة والمناطق الغنية والجزر الصغيرة وأن يستكشف بشكل كامل كل خلـيج يجـده في طريقـه، وأن يجمع معلومات عن جميع المدن التي تقع على ساحل البحـر، وأن يكتشـف الأراضي المثمرة، والأراضي القاحلة» إنديكا، فقرة 32-11، الزحف العسـكري، الكتـاب السـابع، فقـرة 20-10؛ ولتحقيـق ذلك سـار الجـيش والأسـطول في موكـب، ولقـد كـان عـلى الإسكندر Alexander توفير الماء والإمدادات للبحارة عـلى أحـد السـواحل الـذي لم تكن عليه أية إمدادات راجع الزحف العسكري، الكتاب السادس، فقرات 18-1* 4: 20-5* 21-3* 22-3؛ وفي الجـزء الأول مـن الرحلـة، مـر الإسـكندر Alexander ونيرخوس Nearchus على بعض الشعوب البربرية «المتوحشة»؛ وعـلى الـرغم مـن

أن الرواية التقليدية المتداولة في جدروسيا تقول بأن هذه المنطقة كان قد عبرها بالفعل كل من قورش Cyrus وسميراميس الزحف العسكري، الكتاب السادس، فقرة 2: 24-3؛ سترابو Strabo ، الكتاب الخامس عشر، فقرة 2-5، إلا أنه لم تكن هناك أية إشارة على وجود السلطة المركزية هناك حتى وصلوا إلى بورا والتي تمثل المقر الرسمي الذي يوجد فيه قصر حاكم جدروسيا باسيليوس الكتاب السادس، فقرة 24-1، وعندما وصل الإسكندر Alexander إلى جدروسيا قام بتعيين مرزبانات على كل من جدروسا وكارمانيا الكتاب السادس، فقرة 1: 27-2؛ ويصف نيرخوس Nearchus في روايته التقدم الموازي للمناطق المتحضرة والتي كانت تتميز بظهور مناطق مزروعة بها، والظروف الملاحية التي كانت تواجهه في جدروسيا والتي ذكر فيها للمرة الأولى وجود «بعض الأشجار المزروعة والسكان»، والذين لم يكونوا يشبهون الحيوانات إلى حد ما» إنديكا، فقرة 27-2، ولقد تمكن نيرخوس Nearchus من استئجار ربان -وهو هدراسيس- والذي وعد بأن يرشد الأسطول حتى يصل إلى كارمانيا فقرة 27-1، ولم يدرك بحارة نيرخوس Nearchus -كما لم يدرك جنود الإسكندر Alexander - أنهم عادوا إلى المدنية مرة أخرى إلا بعد أن وصلوا إلى كارمانيا والتي لم تكن تبعد كثيراً عن رأس ماسيتا فقرة 4: 32-7؛ وفي هرموزيا مضيق هرمز والذي كان يحتوي على «وفرة من المنتجات من كل نوع» فقرة 33-2، اتصل نيرخوس Nearchus بـ «هيبارخ المنطقة» هيبارخوس تيس خوريس توتيس؛ فقرات 33-8؛ 36-1، وهذه هي الإشارة الأولى إلى أحد المسؤولين، والذي من المؤكد أنه كان يتلقى أوامره من مرزبان كارمانيا؛ وبعد ذلك بفترة قصيرة علمنا بحاكم آخر هيبارخوس وهو مازينيس Mazenes والذي من المؤكد أنه كان الفارسي المسؤول عن جزيرة أوراكتا، ولقد قام السكان المحليون هناك

بإرشاد نيرخوس Nearchus إلى مقبرة «إريثراس» والذي كانت الروايات التقليدية هناك تقول عنه إنه يمثل البحر فقرة 2: 37-3؛ ولقد عمل مازينيس Mazenes كربان للأسطول بداية من ذلك الوقت فقرة 37-2؛ وبعدما ترك كارمانيا ذكر نيرخوس Nearchus أن «الناس هناك يعيشون مثل الفرس حيث إنهم جيرانهم ويمتلكون المعدات العسكرية نفسها التي لدى الفرس» فقرة 38-1، ولقد أكد أريان Arrian على أن شاطىء بلاد فارس نفسه كان -حتى في وسط الشتاء- «كان مشمساً بشكل خاص ومزوداً بشكل جيد بجميع الإمدادات اللازمة» الزحف العسكري، الكتاب السادس، فقرة 28-7؛ ثم وبعد رحلة إبحار صعبة على طول ساحل محفوف بالمخاطر، رسى الأسطول في ميناء «توسى الذي يقع على نهر جرانيس وفي الداخل من هذه المنطقة كان يوجد قصر ملكي على بعد 200 ستاديا من مصب النهر» إنديكا، فقرة 39-3؛ ولقد انضم نيرخوس Nearchus إلى الإسكندر Alexander في مكان لا يبعد كثيراً عن صوصا والذي كان يسمى الجسر العائم إنديكا، فقرة 7: 42-10 .

ولكن ما الذي يمكننا استنتاجه عن السيطرة الفارسية في الخليج بداية من الساحل الإيراني من هذه المعلومات الضيئلة؟ يبدو -من خلال الجزء الأول من الرحلة وحتى حدوث أول اتصال بين نيرخوس Nearchus والإسكندر Alexander في كارمانيا- أن الساحل لم يكن مضيافاً ومرحباً باليونانيين: فلم يكن هناك لا مراسٍ ولا موانئ، وذلك على الأقل حتى رأس ماسيتا رأس موسندام؛ والملاحظات التي تم تقديمها حول التجارة كانت أيضاً نادرة؛ ولقد أكد هؤلاء الذين كانوا يعيشون بالقرب من رأس ماسيتا لنيرخوس Nearchus على أن «القرفة والسلع الأخرى المشابهة القادمة إلى آشور كانت تدخل من ذلك المكان» فقرة 32-7؛ ولكن ميناء أبوستانا الفارسي هو أول مكان

يلاحظ فيه أبوستانا وجود العديد من السفن التجارية وسفن النقل فقـرة 38-5؛ بلويا؛ وبالإضافة إلى ذلك، فإن مهمة نيرخـوس Nearchus تشـير إلى أن الإسـكندر Alexander لم تكن لديه أية معلومات بعد حول هذه المنطقة، وهذه الملاحظات تدفعنا إلى أن نستنتج أن الفرس كانوا يسيطرون فقـط عـلى جـزء مـن الشـاطىء الإيرانى على الخليج، ونقصد بذلك السواحل الكارمانية والإيرانية، ولكـن يجـب أن نفسر صمت المصادر بحذر؛ فإنه من غير المحتمل إلى حد كبير أن يكون الإسكندر Alexander قد ألقى بنفسـه في هـذه المهمـة بـدون أن تكـون عنـده معلومـات سابقة عن هذه المناطق؛ ويمكننا أن نذكر على سبيل المثال أن الفارسي باجوس ابن فارنوخيس كان من بين قادة السـفن ثلاثيـة المجـاديف إنـديكا، فقـرة 18-8، وأن الأسطول لم يبدأ في الاستعانة بربابنـة آخـرين سـوى بعـد الوصـول إلى جدروسـيا والذي يبدو من اسمه هدراسيس أنه مشابه للأسماء الإيرانية إلى حد ما فقرة 27-1؛ وبالإضافة إلى ذلك، فقد كان نيرخوس Nearchus يعمـل بوضـوح عـلى انتقـاء واختيار أوصافه للشعوب والأراضي بالتوافق مع اهتمامات قرائه حيث قارن بعض المناطق بالمناطق اليونانية ومن خلال الاستعانة بالنماذج الثقافيـة التقليديـة عـن الدرجات المختلفة للبربريـة وعـدم الـتحضر؛ وبجانـب ذلـك فإنـه مـن المؤكـد أن الروايات التي ذكرها نيرخوس Nearchus كانت أكثر تفصيلاً من الملخص البسـيط الذي قدمه أريان Arrian والمؤلفون الآخرون؛ حيث ذكر بلينى Pliny على سبيل المثال أن نهر أناميس إنديكا، فقرة 33-2 كان صالحاً للملاحـة، وكانـت مياهـه معكرة بسبب الـذهب الكتـاب السـادس، فقـرة 107؛ ولقـد ذكـر سـترابو Strabo أيضـاً -آخـذاً ذلـك عــن نيرخــوس Nearchus - أن الروايـات التقليدية حول المؤسس إرثيراس على جزيرة أوجيريس أوراكتا، والتي كـان يحكمها الهيبارخ مازينيس Mazenes ؛ إنديكا، فقرة 2: 37-3 «قد ذكرهـا

مثروباستيس ابن أرستيس إلى قائد أسطول الإسكندر Alexander ، ولقد كان أرستيس مرزباناً على فريجيا، أما مثروباستيس الذي كان قد نفاه دارا Darius الثالث فقد اتخذ مسكناً في هذه الجزيرة» الكتاب السادس عشر، فقرة 3-5؛ وبالإضافة إلى وجود الهيبارخ مازينيس Mazenes ، فإن هذه الملاحظة تذكرنا بأن جزءاً من الخليج الفارسي كان لا يزال خاضعاً للفرس: فلقد كان ترحيل مثروباستيس مجرد حالة واحدة في سلسلة طويلة من الحالات والتي تعود إلى ترحيل الملطيين إلى رأس الخليج في أمبى هيرودوت Herodotus ، الكتاب السادس، فقرات 19-20، والتي من المؤكد أنها هي قرية «أجينيس» التي تقع عند مصب نهر دجلة إنديكا، فقرة 42-4، ونحن نعلم أيضاً بنفى ميجابيزوس إلى «كيرتا» والتي يحدد ستيسياس Ctesias موقعها بأنها كانت في الخليج الفارسي برسيكا، فقرة 40، ومن المؤكد أنه كانت هناك العديد من عمليات الترحيل هذه، حيث إن هيرودوت Herodotus قد «ذكر سكان الجزر الموجودة في الخليج الفارسي حيث كان يقوم الملك بإرسال السجناء والذين تم إبعادهم عن بيوتهم خلال الحرب أناباستوى» الكتاب الثالث، فقرة 93 من بين المقاطعات الفرعية الدافعة للجزية والملحقة بالقطاع الرابع عشر؛ ولقد ظهرت هذه العبارة مرة أخرى في وصف تكوين جيش كسركسيس Xerxes الكتاب السابع، فقرة 80، وتشير عبارة هيرودوت Herodotus إلى حدوث نشاط استعمارى فعلى، والذي لم يتوقف أبداً على مدار تاريخ الإمبراطورية الأخمينية.

ولكن بالتأكيد لا تسمح لنا هذه الملاحظات في حد ذاتها بادعاء أن سيطرة الفرس على الشاطىء الشرقي للخليج كانت فعالة في جميع المناطق، وبدلاً من ذلك يجب أن نقوم بعمل ترتيب لدرجات وطرق السيطرة الإقليمية هناك، ويبدو من الواضح أن النفوذ الفارسي كان قويًّا في كارمانيا بشكل خاص؛ ولقد ذكر أريان Arrian أن أسلوب حياة الناس

هنـاك مشـابه لأسـلوب حيـاة الفـرس، حيـث إنهـم كـانوا جـيرانهم، وكانـت لـديهم المعدات العسـكرية نفسـها إنـديكا، فقـرة 38-1؛ وتـذكرنا هـذه الملاحظـة بمـا كتبـه سترابو Strabo الكتاب الخامس عشر، فقرة 2-14 عن هؤلاء الأشخاص أنفسهم: لقد استشهد بقول نيرخوس Nearchus إن «لغة ومعظم عادات الكارمانيين تشـبه كثـيراً لغات وعادات الفرس والميديين»، وعلى الرغم من أنه يذكر أنـه كانـت توجـد بعـض العادات الاجتماعية الإضافية المختلفة، إلا أنه يضيف أن ممارساتهم الزراعيـة كانـت مماثلة تماماً لممارسـات الفـرس بمـا فيهـا زراعـة الكـروم حيـث إن الخمـر المنـتج في كارمانيا ذا شهرة خاصة؛ ولقد تم توضيح هذه «الفرسنة» التي يتسم بهـا الكرمـانيين ببساطة وبدرجة أكبر عندما أشار إليهم هيرودوت Herodotus الكتاب الأول، فقـرة 125 باسم قبيلة الجرمـانيين، وأدرجهـم ضـمن القبائـل الفارسـية «المرتبطـة بـالأرض وبالزراعة»؛ وأخيراً، أكد سترابو Strabo على غنى المناجم الكارمانية الفضة، النحـاس، الملح، الخارصين، الزُنجُفر والتي من المؤكد أن هذه المعادن كان يتم استخراجها منهـا منذ قديم الأزل، ومن المؤكد أيضاً أن ذلك قد استمر على مـدار تـاريخ الإمبراطوريـة الأخمينية راجع بلينى Pliny ، الكتاب الرابـع، فقـرات 36، 98؛ ولقـد كـان شـاطىء بلاد فارس نفسـه بالتأكيـد تحـت سيطرة شـديدة مـن جانـب الفـرس، وكـان هـذا السـاحل عـلى اتصـال جيـد بـالجزء الـداخلي مـن الـبلاد؛ فعـلى سـبيل المثـال سـلك الإسكندر Alexander الطريق المؤدى إلى باسارجاداي والذي كان قريباً من الحـدود مع كارمانيا الزحـف العسـكري، الكتـاب السـادس، فقـرة 29-1، ولقـد علـق سـترابو Strabo مستشهداً بنيرخوس Nearchus على واحدة من الملامح الجغرافيـة المهمـة للساحل الفارسي وهو حجم نهر أرواتيس» والذي كان النهر الأكبر في ذلك الجزء مـن العـالم» الكتـاب الخـامس عشر، فقـرة 3-1؛ ومـن النمـوذجى تمامـاً قيـام قـورش

Cyrus بتشييد مسكن في «توسى» بجوار بوشير تماماً والتي قام السيلويسيون فيما بعد بزرع مستعمرة فيها أنتيوخ الفارسي، ومن المحتمل أن القناة التي اكتشفها علماء الآثار هناك كانت تعود إلى الفترة الأخمينية؛ وبإختصار، فإنه من المؤكد أن شاطىء كل من كارمانيا وبلاد فارس كان على ارتباط واتصال وثيق بالريف الفارسي القريب؛ ولقد كانت هذه المناطق الساحلية بالتأكيد هي الأماكن التي جاء منها الجنود الذين تم حشدهم من بين سكان الخليج الفارسي والذين أحضرهم إلى جوجاميلا بعض كبار المسؤولين الفرس الزحف العسكري، الكتاب الثالث، فقرة 5-8* 11-5، ولقد كانت السيطرة الفارسية في جدروسيا أقل وضوحاً بالتأكيد، ولكن لا يزال من المهم أن نتذكر أن الربان هدراسيس الذي استأجره نيرخوس Nearchus كان يحمل اسماً إيرانيًا.

وتأسيس قورش Cyrus لمرفأ توسى يثبت أن الاهتمام الأخميني بالخليج الفارسي وسواحله يعود إلى أمد طويل، كما أن ألواح برسيبولس تشير بشكل متكرر إلى الرحلات البحرية من وإلى تلك المناطق في عهد دارا Darius الأول؛ وعلى الرغم من أنه يمكننا أن نلاحظ تواصلاً دائماً على مدار التاريخ الأخميني فيما يتعلق بهذه النقطة والذي من المحتمل أنهم كانوا يدينون بالكثير في ذلك إلى من سبقوهم، إلا أنه من الصعب أن نصف أو نحدد الأماكن التي جذبت اهتمام الأخمينيين على أساس هذه المعلومات الضيئلة؛ والشهادة الأدبية الوحيدة التي تعود إلى فترة قريبة من عهد دارا Darius الثالث لم تقم بتوضيح الكثير: ففي خلال سعيه للحصول على التريفى، قام هاربالوس خازن الإسكندر Alexander «بإحضار كمية كبيرة من السمك عبر ذلك الطريق الطويل من البحر الأحمر الخليج الفارسي» ديودورس Diodorus ، الكتاب السابع عشر، فقرة 108-4؛ ومن المرجح أن التجارة البحرية مع الهنود كانت تتم على نطاق كبير خلال عهد الأخمينيين، ولكننا يجب أن نذكر

أن الأدلة المباشرة على ذلك هي أدلة ضعيفة باستثناء بعض الشذرات القليلة التي حصلنا عليها من ميثاق تأسيس صوصا؛ ومن المؤكد أيضاً أن الطرق البرية مثل الطريق التي سلكها كراتيروس كانت تمثل وسيلة اتصال مهمة؛ ومن الصحيح أيضاً أن البحارة الهنود ربما كانوا يقدمون خدمات النقل حتى رأس ماسيتا إنديكا، فقرة 7: 32-8؛ ولقد تحدث نيرخوس Nearchus عن «وجود إحدى القرى في بابل عند رأس الخليج الفارسي وبالقرب من مصب نهر الفرات والتي كانت تسمى ديريدوتيس، والتي كان يقوم فيها التجار إمبوري بجمع البخور من أرض «جرها» وباقى التوابل طيبة الرائحة التي تنتجها أراضي شبه الجزيرة العربية» سترابو Strabo ، الكتاب الخامس عشر، فقرة 3-5؛ وعلى الرغم من هذه الملاحظات، إلا أنه من الممكن أن تكون بعض هذه التوابل قد تم جلبها من الهند .

ولكن ماذا عن الشاطىء العربي؟ هل تعطينا أوصاف الحملات التي أرسلها الإسكندر Alexander من بابل أي توضيح حول إجابة هذا السؤال؟

«لقد كان الإسكندر Alexander يخطط إلى استعمار الساحل على طول الخليج الفارسي والجزر الموجودة هناك؛ ولقد كان ازدهار ورخاء هذه المنطقة أحد الدوافع الأخرى، حيث إنه سمع أن القرفة الصينية كانت تتم زراعتها في المستنقعات، وأن أشجارها كانت تنتج المر والبخور، وأن القرفة كان يتم قطعها من الأشجار، وأن الناردين كان ينمو من تلقاء نفسه في مراعيه، ولقد وصلته أخبار أن هناك العديد من الجزر في محاذاة هذا الشاطىء، وأن المرافىء كانت توجد في كل مكان على امتداد ذلك الشاطىء، والتي كانت تكفى لأن يرسو أسطوله بها وأن يتم بناء مدن حولها والتي من المرجح أنها ستزدهر؛ وقد اعتقد الإسكندر Alexander أن هذه البلاد سوف تكون في إزدهار فينيقيا نفسه» أريان Arrian ، الكتاب السابع، فقرة 19-5* 20-2 .

والأشخاص الذين قدموا هذه المعلومات له هم قادة البعثات التي كان قد أرسلها من قبل إلى «كياس»، والذين لم يذهبوا إلى ما هو أبعد من تيلوس البحرين، ولقد كان من ضمن هؤلاء القادة أندروستينيس الذي أبحر «حول جزء من شبه الجزيرة العربية» وهيرون المنتمى إلى سولوى والذي كانت الأوامر الصادرة إليه تقضى بالإبحار حول شبه الجزيرة العربية بأكملها لاستكشاف البلاد التي تطل على المحيط، وسكان الساحل، والمرافىء الموجودة عليه، ومصادر التزود بالمياه»، ولم يتجاوز الركن الذي رفض نيرخوس Nearchus الإبحار تجاهه الكتاب السابع، فقرة 19-7؛ إنديكا، فقرة 43-8 أي رأس موسندام؛ وبالمثل فإن السفن قد رست في بعض المناسبات عند رأس البحر الأحمر خليج العقبة، ولكنها اضطرت إلى العودة ولا يمكننا تحديد المدى الذي وصلوا إليه أريان Arrian ، إنديكا، فقرة 43-7؛ ويفترض أن هذه الرحلات البحرية على طول الساحل العربي من الخليج الفارسي كانت تشبه اكتشاف الأراضي غير المعروفة، ولكن سوف يحتاج هذا المنظور إلى بعض التعديل بالتأكيد؛ فتبعاً لما ذكره كل من أريان Arrian وسترابو Strabo كان هدف الإسكندر Alexander من وراء ذلك هو هدف عسكري بالدرجة الأولى، وهو إخضاع العرب الذين لم يخضعوا له طواعية؛ وهكذا كانت مهمة الملاحين تتمثل في القيام بعمل حصر بالموانىء ونقاط التزود بالمياه للأسطول الذي كان سيشن هذه الحملة من بابل، ومن المؤكد أنه لم تكن هناك أية خطة فعلية للدوران حول جزيرة العرب والوصول إلى مصر .

ولسوء الحظ فإن الأدلة الأثرية لا تقدم لنا الكثير؛ وفي الحقيقة، كان الأخمينيون قد أنشأوا قواعد لهم في فايلاكا الكويت وفي البحرين وفي عمان، ولكن النتائج لا تسمح لنا في الحقيقة بالقول بأنه كان يوجد هناك تأثير أخميني كبير؛ ومن الصحيح أيضاً أن أعمال التنقيب عن الأدلة

الأثرية نفسها في هذه المنطقة كما في باقي المناطق أخرى كانت مسألة لا طائل من ورائها -حيث إن السيطرة الأخمينية على إحدى المناطق لم تكن تعني بالضرورة أن النماذج الفنية الفارسية قد تمت استعارتها؛ ونحن نعرف أنه عندما اقترب المقدونيون من فايلاكا وجدوا أحد الهياكل «ضريح أرتيميس»، أريان Arrian ، الكتاب السابع، فقرة 3: 20-4؛ ويثبت اكتشاف مجموعة من الأدوات والأواني الفخارية الأخمينية والبابلية أن الهيكل كان مقاماً في ذلك المكان منذ بعض الوقت، وعلى الأقل منذ عهد الدولة البابلية الجديدة، ويبدو أن أحد النقوش الآرامية التي تم اكتشافها في موقع تل الخزنة يقدم لنا صورة من القرن الخامس أو الرابع، ونميل إلى استنتاج أنه مثلما كان الحال مع الملوك البابليين الجدد نابونيدوس Nabonidus قد عين حاكماً على دلمون وبنوخذ نصر الثاني كان لديه سكن ومعبد في فايلاكا، فإن الملوك كانوا يحكمون دلمون أو -بشكل أكثر دقة- أنهم قد حافظوا على علاقات متكررة نشطة مع هذه المنطقة؛ ويتضح هذا التواصل الأخميني البابلى أيضاً عند رأس الخليج الفارسي؛ فمن المحتمل أن مدينة أمبى التي قام دارا Darius بترحيل الملطيين إليها هيرودوت Herodotus ، الكتاب السادس، فقرة 20 لم تكن سوى قرية أجينيس والتي حدد مكانها كل من أريان Arrian وسترابو Strabo بأنها تقع على بعد 500 مقياس بعدى من صوصا؛ ولا بد أن قرية أمبى هذه نفسها لم تكن تبعد كثيراً عن دورين، ويشير اسمها ووصفها أوربس ريجيا إلى أنها كانت تعود إلى الفترة الآشورية دور-ياكين، ومن المحتمل أن هذا الموقع لم يخدم فقط كقاعدة بحرية للملك الأكبر ولكنه كان يعمل أيضاً كمركز تجاري للتجارة مع العرب الذين يسكنون في الجزء الشرقي من الجزيرة العربية؛ وفي نهاية الفترة الأخمينية قدم الجرهانيون عن طريق البحر وأيضاً عن طريق النهر للتجارة مباشرة مع بابل أرسطوبولوس، الذي

استشهد به سترابو Strabo ، الكتاب السادس عشر، فقرة 3-3؛ ولسوء الحظ فنحن لا نعرف الكثير عن العرب خلال الفترة الأخمينية، حيث إن تعليقات سترابو Strabo الأخرى تشير إلى فترة متأخرة كثيراً عن هذه الفترة؛ وعندما قام أنتيوخوس Antiochus الثاني بالاتصال بالجرهانيين، نعرف أن الطرفين قد عقدا معاهدة اعترف الملك بمقتضاها بـ «حكمهم الذاتي» لأنفسهم، بينما قام الجرهيون بإعطائه «هدية» تتكون من: 500 طالن من الفضة، 1000 طالن من البخور، 200 طالن من المر بوليبيوس Polybius ، الكتاب الثاني عشر، فقرة 9؛ فإذا كانت هذه العلاقات تعود إلى الفترة الأخمينية -وهو الأمر الذي لسنا متأكدين منه- فإنه يمكن مقارنتها بسهولة بالعلاقات بين أباطرة الفرس و«ملوك العرب» في فلسطين انظر فصل 16-8 .

18- تقييم لبعض الأسئلة:

في نهاية هذه «الجولة الأخمينية الطويلة»، تظهر بعض الصور شديدة التعارض والتي قد تغذى بل هي تغذى فعلاً مجموعة متنوعة من التفسيرات التاريخية والتي كنا نقدمها بإيجاز منذ الصفحات الأولى لهذا الكتاب، والصور التي قدمتها ألواح برسيبولس ليست هي الصور الوحيدة التي تركت انطباعاً دائماً؛ وكذلك أيضاً فإن عدداً قليلاً من المصادر الهلينية والكلاسيكية -إذا تم تطهيرها من التشويهات الجدلية التي تحتوي عليها- تقودنا إلى تعقب العديد من أشكال التواصل منذ عهد دارا Darius الأول إلى عهد دارا Darius الثالث: الأيديولوجية الملكية، إدارة الجزية والإدارة العسكرية؛ ويشير تفقد الفرق العسكرية التي كان يتشكل منها جيش دارا Darius الثالث في إسوس وبعد ذلك في جوجاميلا إلى أن الملك الأكبر كان لا يزال في عام 334 مسيطراً على المنطقة من نهر الإندوس وحتى بحر إيجة، ولكن ماذا كان عمق

هـذه السـيطرة؟ هـل كانـت كـما يـزعم -غالبـاً- تقـتصر عـلى تعيـين المسـؤولين المرزبانيين والمحافظة عـلى شـبكة مـن المراكـز الخارجيـة والحاميـات التـي مكنـت الأخمينيين من السـيطرة عـلى الطـرق وعـدد قليـل مـن الأراضي؟ ويسـتدعى هـذا السؤال بدوره التفكير في الطرق الكامنة في أدواتنا التحليلية وقـد يبـدو غريبـاً أننـا أثرنا هذه المشكلة بعد عملية الإحصاء والجرد للأقاليم التي تخضـع لـدارا Darius الثالث وليس قبله، ولقـد كـان هـذا الاختيـار راجعـاً إلى ضرورة بسـيطة: وهـي أن المناظرة لا يمكن أن يتم تقديمها فعلاً ككل واحد بدون أن يكـون هنـاك أدلـة يـتم تحليلها بالفعل في الإطار الزمني والمكاني لها؛ وهكذا فإن الآراء التالية لـيس لهـا أي غرض آخر سوى الاستفادة من الأشياء غير الأكيدة والاحتمالات العديدة.

ولقد أوضحت مناقشة باكترا فصـل 16-15 أن تلـك الأدلـة التـي تمثـل تنظـيماً إمبراطوريًّا رخواً وغير راسخ قد أعطت فخـر المكـان إلى الأدلـة الأثريـة، ويظهـر هـذا الخط الجدلي بشكل متكرر: حيث يعتقد إن الكمية الصغيرة من الأدلة الأثريـة التـي تتصل بالفرس توضح مدى ضعف التغطية الإقليمية التي حققتهـا السـلطة المركزيـة؛ فقبل أكثر من عشرين عاماً من الآن قـام بى. أر. إس مـورى Moorey بتوضـيح هـذا التفسير كما يلي: «لا تزال الآثار الماديـة لفـترة الحكـم الفـارسي في الشرق الأدنى التـي دامت قرنين من الزمان محيرة بشـكل عـام؛ حيـث إن هـذه الفـترة -في العديـد مـن المناطق التي تشتمل عليها إمبراطوريتهم المترامية الأطراف- كانـت مـن بـين الفـترات المجهولة أثريًّا؛ ويمكن أن يـتم شرح ذلـك بسـهولة كبـيرة مـن خـلال الفـن والثقافـة الهلينية اللتينن كانتا تتسمان بالوضوح والعمق، واللتين كانتا موجودتين في كل مكـان في المناطق التي كانت فيما مضى جزءاً خاضعاً لحكم الفرس؛ ولكن الأدلـة المتـوفرة لا تساند مثل هذا التفسير سوى بشكل جزئي فقط؛ ولقد كان التـأثير الفـارسي محـدوداً من الناحية الجغرافية وسطحيًّا من الناحية الاجتماعيـة في جميـع المنـاطق إلا عـدداً

قليلاً من المناطق التي كان الفرس يسيطرون عليها في هذا الوقت أو ذاك، وفي حكمهم أو إدارتهم كانوا يتبنون أنظمة هذه المناطق أو يقومون بعمل بعض التعديلات بدلاً من إحداث تغيير جذري في المناطق التي اكتسبوها إما عن طريق الفتح أو عن طريق الإضافة، ولقد تم تعزيز وتتويج التسلسلات الهرمية الموجودة بالفعل من خلال بعض الموظفين التابعين للإدارة الإمبراطورية والضباط العسكريين، ولكن لم يتم تحويلها إلى نمط قياسي؛ وبالنسبة للشؤون الدينية فإن الإدارة الفارسية كانت عادة متسامحة ومواءمة بين الأديان والعقائد المختلفة، كما كانت متعاطفة أيضاً مع العادات والممارسات التقليدية، ولم يحدث أن سعت في أي جزء من أجزاء الإمبراطورية إلى فرض ديانتها وطقوسها من خلال مرسوم رسمي؛ ولقد انحصرت المساهمة الفارسية بشكل عام في إعادة بناء المنشآت الإدارية القائمة فعلاً أو في إنشاء بعض الحدائق والقصور على الطراز الإيرانى وخاصة في عواصم المرزبانيات؛ وفي بعض المناطق -وخاصة مصر- كان التأثير الثقافي المصري ضئيلاً للغاية، حيث انحصر في بعض الملامح الزخرفية والتي تحتاج إلى تحقيق وفحص دقيق لاكتشافها 1980: فقرة 128؛ ويبدو أن هذا النوع من المناقشة يعكس الحقائق التي نجدها على الأرض تماماً؛ ويحتاج الواحد منا فقط إلى أن يمشى في موقع سارديس ليسأل: «ولكن أين كان الفرس؟»، وعلى الرغم من ذلك فإن الحقيقة هي أكثر تعقيداً مما تبدو عليه؛ لأنه توجد الكثير من الشواهد على الوجود الفارسي/ الأخميني بشكل خاص تحديداً حول وفي سارديس والتي تتمثل في النصوص الأدبية والنقوش المتأخرة؛ وهكذا فإنه يوجد تناقض بين الأدلة الأثرية والنص، والقرار متروك للمؤرخ لحسم هذه القضية دون الاستسهال والاعتماد على هذا المنظور أو ذاك؛ ومن الضروري أيضاً أن ننتبه إلى المفردات المستخدمة؛ حيث إنه نتيجة لأن الفرس قد تقمصوا العادات والتقاليد المحلية بدرجة كبيرة في بعض

الحالات، نجد أنه من الصعب التمييز بين الأدلة حول الاتجاهات في أحد التصويرات الأيقونية أو الرمزية وبين ما قد يظهره وجود جهاز السلطة المركزية راجع حالة الآثار الليسية والفينيقية؛ وبالإضافة إلى ذلك فإنه -ولعقود- لم تنجح فعلاً أعمال التنقيب الأثرى في المواقع الرئيسة مثل بابل على سبيل المثال في تحقيق هدفها المتمثل في الكشف عن الآثار الأخمينية، أو أن الآثار التي تم اكتشافها قد تم غالباً التقليل من أهميتها بسبب الافتراضات المشكوك في صحتها؛ وتخيل على سبيل المثال أن نشر النتائج الأولية للفحص العلمى للأواني الفخارية التي تم جمعها في عام 1955 من موقعين في أرمينيا ألتنتيبي، سيمن تيبي قد استغرق حتى عام 1993؛ ولقد أثبتت عملية إعادة فحص الأدلة أن الآنية الأخمينية التي كانت تسمى أورارتية كانت توجد في الموقع، كما اكتشفت الحفريات الأخيرة بعض المبانى الأخمينية التي قد تم بناؤها في بعض الأحيان فوق بعض البنى الأورارتية القديمة، ولقد وُجدت أيضاً قطع من الألواح الإيلامية في بعض المواقع انظر فصل 16-14 بالأعلى؛ وهذا هو مثال منفصل، وتخيل على سبيل المثال أن الاكتشاف الذي تمت الإشارة إليه للمرة الأولى في عام 1967 -والمتمثل في بعض الكرات الحجرية التي تعود إلى حصار الفرس لبافوس في عام 497- قد تم «نسيانه» عمليًا، على الرغم من أن هذه الأدوات تدفعنا للتساؤل عما إذا كان المنجنيق قد تم اختراعه في بداية القرن الرابع ق.م على يد الفرس وليس على يد ديونيسيوس Dionysius ؛ ولقد تطلب الأمر لدمج هذه المادة الرائعة بصورة كاملة في المناظرة التقنية الاكتشاف الذي تم مؤخراً لهذا النوع نفسه من الكرات في فوقيا - والتي كانت إحدى بقايا الحصار الفارسي لها في عام 546- ويمكننا أن نذكر بعض الاكتشافات الأخرى المنسية لبعض الأشياء الأخمينية التي وُجدت في مواقع في آشور القديمة وفي أماكن أخرى؛ وتشير جميع الاكتشافات الجديدة إلى هذه الفكرة نفسها،

وهي أن الاحتلال الأخميني لأقاليم الإمبراطورية كان أكثر كثافة بكثير عما كما نتخيل في السابق اعتماداً على الأدلة المتفرقة والمتنوعة والقليلة.

وبسبب عمليات الترميم للبقايا الهلينية والرومانية على وجه الخصوص التي توجد في المواقع الأكثر قدماً وخاصةً التي توجد منها في آسيا الصغرى: مثل سارديس، اختفت الطبقة الأخمينية من هذه البقايا؛ ولذلك فإن جُلَّ الآمال والتي تم تحقيقها بشكل جزئي تدور الآن حول النتائج التي يمكن الحصول عليها من المواقع البكر التي لم يتم فيها الكثير من أعمال الحفريات من قبل مثل داسيليوم؛ ويزودنا أحد الأمثلة الأخرى بالكثير من الفهم والتوضيح: الحالة والإطار اللذين تم فيهما اكتشاف النقوش البارزة في ميدانسيكالي في كيليكيا وهي الأشياء الوحيدة من هذا النوع التي تم اكتشافها في أراضي الإمبراطورية؛ وعلى الرغم من أن التقارير الأولية لا تحتوي على كثير من التفاصيل، إلا أنه يبدو أن هذه الكتل الحجرية قد أعيد استخدامها في الفترة الهلينية ربما في المبانى والتي قد تم بناؤها على أساسات الأبنية السابقة؛ وهكذا فإن المحافظة على هذه النقوش البارزة حتى يومنا هذا كان أمراً من قبيل الصدفة البحتة، وذلك ربما لأن بعض الفلاحين قد حاولوا -من دون تحقيق أي نجاح- أن يقوموا بتحريكها من الأكروبوليس، ومن المحتمل أن الكتلة الصخرية التي تحمل نقشاً باللغة الآرامية والتي عرفنا منها الاسم القديم للموقع قد تم نقشه مرة أخرى؛ وهذا مثال واضح على الطبيعة العشوائية لبعض الاكتشافات الأكثر أهمية التي تمت في السنوات الأخيرة؛ وتخيل معنا مثالاً آخر، وهو أحد الألواح الإيلامية من طراز ألواح برسيبولس نفسه، والذي تم اكتشافه في التحصينات الأخمينية في قندهار القديمة والتي تستطيع بمفردها أن تقضي على الحجة المتمثلة في صمت المصادر والتي يتم الإفراط في استخدمها أحياناً؛ وبالإضافة إلى ذلك، فإن الألواح الإيلامية التي تنتمي إلى طراز

ألواح برسيبولس نفسه قد تم اكتشافها حديثاً في الموقع الأرميني المسمى بـ «أرمافير-بلور»!

والتقييم الإحصائي للوجود الأخميني في الإمبراطورية - والذي بصورة مبدئية لا يمكننا الوثوق به بشكل كامل- يقدم لنا نتائج تتعارض مع الأدلة التي قدمتها الاكتشافات والإعلانات الحديثة؛ وفي الحقيقة فإن الأمثلة التي قد قابلناها للتو أعمال الحفريات في داسيليوم - المواقع الأرمينية - الصور والنقوش البارزة في ميدانسيكالي - الألواح الإيلامية التي وجدت في قندهار وأرمافير - بلور توضح حقيقة أساسية في حياة الباحثين: فعلى مدار العقدين الماضين تواصل ازدياد عدد الأشياء والآثار والمواد المكتوبة -أى بإختصار كمية الأدلة المتوفرة- التي تم اكتشافها في الأراضي التي كانت تتبع الإمبراطورية الأخمينية؛ وعلى الرغم من أننا نتناول فقط الأدلة الجديدة بما فيها الإعلانات الجديدة عن الأدلة المكتشفة من قبل، إلا أن لائحة هذه الأدلة تبدو مبهرة إلى حد ما؛ وتتناول الإعلانات جميع أنواع الأدلة: النقوش الألواح، أوراق البردى، الحفريات، أعمال المسح الأثرى، الصور والأيقونات، والعملات المعدنية؛ كما أنها تشمل جميع مناطق الإمبراطورية إلا أن فارس، إيلام، بابل، مصر، وغرب آسيا الصغرى لهم مكانة خاصة، بينما تظل آسيا الوسطى أدنى من باقي المناطق ولكننا لا نزال ننتظر النتائج الأخيرة للاستكشافات الفرنسية في شرق باكترا، كما أن أعمال التنقيب الجديدة في سمرقند تبشر بنتائج واعدة؛ وبدأت سوريا في الخروج من حالة من شبه النسيان، كما تزايدت الأدلة التي تتعلق بفلسطين وخاصة يهودا وسامراء بشكل كبير .

ولكن الأدلة التي تم ذكرها للتو لا يجب أن يتم تقييمها فقط من الناحية الكمية؛ والشيء الأكثر أهمية هو أن العديد من المواد والأدلة الجديدة لها أهمية تاريخية استثنائية: فمثلاً الألواح الإيلامية التي تم

اكتشافها في كل من قندهار وأرمافير-بلور، تمثال دارا Darius الذي تـم اكتشـافه في صوصا، النقش المكتوب بثلاث لغات الذي تم اكتشافه في زانثوس، والمـذكرة الآراميـة التي تتحدث عن رسوم الجمارك المصرية، وهذه هي خمسة أمثلة فقط والتي يمكن أن نضيف إليها الإعلانات عن الألواح البابلية التي تقضى تماماً في بعض الأحيـان عـلى بعض المفاهيم المقبولة؛ وحتى لو كانت هذه الاكتشافات لا تقدم إجابـات عـن كـل الأسئلة التي لدينا حيث إنه من الطبيعي أن الأشياء الأكثر أهمية تثير أسئلة جديـدة، إلا أن بعضها قد غيرت نظرتنا حول المناطق والأقاليم التـي كانـت تغطيهـا السـيطرة الإقليمية؛ فمثلاً من كان يصدق أن موقع ميدانسيكالي ذلك الموقع البعيد الذي يقـع في الجبال الكيليكية سوف نجد فيه نقوشاً بارزة من النـوع نفسـه الـذي وجـدناه في برسيبولس؟ وإذا كان هذا الموقع الثانوي قد احتوى على مثل هذه النقوش، ألا يمكن أن نفترض أيضاً وجود نقـوش مشـابهة في المراكـز الإقليميـة الكبـيرة مثـل سـارديس، داسيليوم، دمشق، باكترا، الخ؟ ومن الأدلة القاطعة على ذلـك أيضـاً الألـواح الإداريـة التي تتبع أسلوب ألواح برسيبولس نفسه، والتي تـم اكتشـافها في أراخوسـيا وأرمينيـا للأسباب التي ذكرناهـا للتـو؛ انظـر فصـل 11-6* 16-15؛ وبالإضـافة إلى ذلـك، فإنـه بالنظر إلى الوضع السائد منذ سبعينيات القرن العشرين 25 عامـاً، فإنـه مـن السـهل إدراك أن وتيرة الاكتشافات والإعلانات قد تزايدت بدرجة كبـيرة خـلال الثمانينيـات، كما أن حصيلة فترة التسعينيات تبدو ممتازة؛ وبوضع ذلـك في الاعتبـار، وبـالنظر إلى أن برامج البحث ورؤية الأثـريين وأمنـاء المتـاحف تحـدد جزئيًّا وفي بعـض الأحيـان تسيطر عليها الإتجاهات العامة للأبحاث؛ ولنـا الحـق في أن نأمـل أنـه سـوف يكـون هناك تأثير تراكمي ذو معنى مع تقـدم الدراسـات الأخمينيـة عـلى كـل مـن المـدى القصير والمتوسط؛ وتظهر من كـل هـذا ملاحظـة واحـدة والتـي تضـخم التحفظـات

التي تم التعبير عنها للتو بالأعلى: فتحديد نتيجة للتغيرات السريعة في مجموعة الأدلة التي لدينا، فإنه يجب على مؤرخى الإمبراطورية الأخمينية أن يتساءلوا بشكل أساسي حول مدى صحة الافتراض الإحصائي الكاذب الذي يقول بضآلة الوجود الفارسي وبعدم أهمية احتلال الفرس لأراضي الإمبراطورية، وذلك اعتماداً على مجموعة من الأدلة القديمة أو التي تم اختزالها في المنظور الإقليمي .

ولكن هذا التقييم شديد التفاؤل لا يجب أن يخفى بعض الصعوبات التفسيرية والصعوبات المتصلة بالطريقة؛ مثل ما «علامات» الوجود الإمبراطوري في الأقاليم والبلدان؟ وما المسارات التي يجب أن يسلكها التقييم النوعي؟ يتمثل أحد هذه المسارات المحتملة في التحقيق في كثافة وانتشار الأسماء الشخصية الفارسية والإيرانية وشواهد الهياكل المخصصة للآلهة الفارسية؛ ويقوم هذان النوعان من البيانات بصورة واضحة بتوضيح استيطان المستعمرين من الأنواع المختلفة والذي يعنى وجودهم بدوره السيطرة على الأراضي والسكان؛ ولأسباب تاريخية سوف يكون من الأفضل إجراء هذه التحقيقات في البلاد الناطقة باليونانية -أى في آسيا الصغرى بشكل أساسي- ولكن الألواح البابلية تلقى هي الأخرى ضوءاً مهمًّا على هذه المسألة؛ وللمضى في ذلك قدماً بعض الشيء فسوف يكون من المفيد إجراء بحث شامل حول توزيع الأسماء الشخصية والمفردات الإيرانية، بما فيها بالطبع وجودهم في الألواح التي تعود إلى الفترة الهلينية؛ وهناك عنصر آخر يجب أن يتم أخذه في الاعتبار: فبالإضافة إلى انتشار الأشكال والصور الأخمينية وهو الأمر الذي يمكن أن نرجعه إلى استقرار الفرس في الأقاليم، إلا أننا نحتاج أيضاً إلى التفكير في قيام طبقة النبلاء المحليين باستعارة هذه الأشكال؛ وبالطبع فإنه ليس من السهل الربط بين عمليات الاستعارة الثقافية والسيطرة السياسية؛ وتظهر حالة إقليم ليسيا، والتي تم ذكرها عدة مرات في كل من النقاط

المثيرة ونقاط القصور في هذه المناقشة وخاصة لأنه في بعض الحالات مثل مقبرة بيتوسيريس، استمر إعجاب السكان المحليين بالأشياء التي تتبع الطراز الأخميني حتى بعد السقوط السياسي لإمبراطورية دارا Darius الثالث؛ وفي حالات أخرى لا يوجد أدنى شك حول الطبيعة السياسية للأدلة؛ فعلى سبيل المثال، عندما قام ملوك صيدا بتبنى الصور الملكية واستخدموها على عملاتهم، فإنه لا يفوتنا أن نستنتج من ذلك أن هذه كانت هي طريقتهم في التعبير عن اتحادهم واندماجهم مع الإمبراطورية؛ وهل يمكننا حقًّا أن ننكر أن انتشار مثل هذه الصور في سامراء على سبيل المثال خلال القرن الرابع هو «علامة» على الأخمينيين؟ بالطبع إن هذه الصور لا تكفى بمفردها لأن تكون علامة، ولكن عندما نستطيع الإشارة إلى انتشار الصور الفنية وإنشاء المساكن الإدارية واستغلال الأرض -كل ذلك في منطقة واحدة- عندها سوف يكون من المعقول وضع هذه الملامح في إطارها الإمبراطوري؛ وفي الحقيقة، فإن هذه العبارة يمكن تطبيقها على مناطق عدة في إمبراطورية دارا Darius الثالث .

يثير تحليل النصوص -كما قلنا مراراً وتكراراً- عدداً مماثلاً من المشكلات التي تتعلق بالأسلوب والطريقة، وعلى سبيل المثال، دعونا نعود إلى الادعاء القائل بأن بعض أجزاء الإمبراطورية كانت السيطرة عليها ضعيفة مثل الأراضي التي كانت تسيطر عليها شعوب جبال زاجروس؛ ولا يوجد شك في أنه على الرغم من تقسيم جميع أجزاء الإمبراطورية إلى مرزبانيات، وما نتج عن ذلك من دمج طبيعي لهذه المناطق في الإطار العام للإمبراطورية، إلا أن إدارة دارا Darius الثالث -مثلها مثل إدارة دارا Darius الأول- استمرت في الاعتراف بوجود الشعوب إثنى؛ ولقد كان هذا صحيحاً خلال التفقد العسكري الذي جرى في دوريسكوس في عام 480 هيرودوت Herodotus ،

الكتاب السابع، فقرة60، وفيما بعد في كوناكسا زينوفون Xenophon ، الزحف العسكري، الكتاب الأول، فقرة 8-9؛ ولقد اصطفت الفرق العسكرية المختلفة في جوجاميلا تبعاً للأعراق التي تنتمي إليها كاتا-إثنى ديودورس Diodorus ، الكتاب السابع عشر، فقرة 58-1؛ ولقد كان دارا Darius قلقاً حول مسألة التواصل بين هذه المجموعات التي تتحدث مثل هذه اللغات المتنوعة فقرة 53-4؛ ويفسر هذا الاختلاف أيضاً الصيغة المتمثلة في «ملوك، مدن، حكام، شعوب»، والتي تم تقديمها بشكل متكرر في المراسلات الدبلوماسية التي جرت بين الملوك السيلويسيين، ولكنها كانت أيضاً حقيقة خلال الفترة الأخمينية راجع نيبوس Nepos ، أجيسيلوس، فقرة 3-7؛ حيث إن الفتح الأخميني لم يؤدِّ إلى سقوط هؤلاء الملوك والحكام مهما كان الشعب الذي ينتمون إليه، وسواء كانوا كادوزيين، ساكيين، هنود، أو حتى حكام الدلتا الغربية.

ولكن حتى هذه الفكرة لا يمكن أن يتم اختزالها في هذه الملاحظات؛ حيث إن جيش دارا Darius الثالث لم يكن سوى مجرد قطيع لا حصر له، وغير منضبط من البشر تماماً مثلما كان الحال مع جيش كسركسيس فصل 5-5 أو أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني زينوفون Xenophon ، الزحف العسكري، الكتاب الأول، فقرة 11-8، بغض النظر عما قاله مؤرخو الإسكندر Alexander ؛ حيث إنه بمجرد أن يتم حشد الجيش وإحصاؤه، كانت الفرق العرقية تتخلى جزئيًّا عن فرديتها، وكان يتم إعادة تنظيمهم في أفواج راجع كوينتوس كورتيوس، الكتاب الرابع، فقرة 12-7؛ ويكفي أن نقوم بمقارنة فقرتين عند أريان Arrian لتوضيح ذلك: إحصاء جيش دارا Darius الكتاب الثالث، فقرة 3: 8-6 وتشكيله القتالي الكتاب الثالث، فقرة 3: 7-11؛ ومن الواضح أيضاً أن بعض الفرق العسكرية التي كان يتم

تنظيمها بشكل عرقي، كانت تعتبر غير مفيدة راجع الكتاب الثاني، فقرة 8-8؛ ولقد كان الملك الأكبر يعتمد في الأساس على فرق الصفوة في الجيش مثل الفرس والساكيين والباكتريين، ومن بين الفرق الفارسية كان الملك يعتمد أكثر على مجموعة معينة من الأفواج التي يثق بها ويعتمد عليها بشكل خاص مثل أقارب الملك والميلوفوروي الكتاب الثالث، فقرة 16-1، ديودورس Diodorus ، الكتاب السابع عشر، فقرة 20-2؛ وبالإضافة إلى الفرس، كانت هناك بعض الفرق العرقية الأخرى التي تمتعت بمكانة مميزة في الجيش الملكي؛ ولقد عكس تجنيد الفرق الأخرى والتي كانت غير ذي أهمية عسكرية كبيرة اعتبارات سياسية كوينتوس كورتيوس، الكتاب الرابع، فقرة 12-9، حيث كان غرض الملك الأكبر من ذلك هو إعطاء انطباع بمدى ضخامة إمبراطوريته انظر فصل 5-5 أكثر مما كان الغرض من تجنيدهم يتمثل في ضرورة استراتيجية؛ ولقد قدم الإسكندر Alexander صورة حية عن هذا الترتيب الهرمي للشعوب الإمبراطورية في مأدبة أوبيس Opis : فأولاً كان المقدونيون، ثم بجانبهم جاء الفرس، ثم أشخاص من الشعوب الأخرى من أصحاب المكانة العالية» أريان Arrian ، الكتاب السابع، فقرة 11-8؛ ومن ناحية، فإنه يبدو من الواضح أن الإسكندر Alexander كان يتبع تقليداً أخمينيًّا مثل بويسستيس فيما بعد، ومن ناحية أخرى، فإن هذا الترتيب قد تم تحديده تبعاً لمنزلة وولاء الشعوب المختلفة للإمبراطورية قارن تاسيتوس، الكتاب الثالث عشر، فقرة 54-2؛ وهكذا فإن تكوين وطريقة عمل الجيش الملكي توضح المكونين اللذين تتكون منهما الإمبراطورية: الوحدة، والتنوع، ولا يتعارض المكون الثاني في الضرورة مع المكون الأول .

ولذلك، فإنه يجب أن يتم التعامل مع شعوب جبال زاجروس وبعض الشعوب الأخرى بشيء من الحذر، حيث إن العلاقات بين

الملك الأكبر والكوسيين والأوكسـيين كانـت غـير عاديـة، ولقـد أظهـرت بوضـوح أن تركيبة السيطرة الإمبراطورية كانت مرنة للغاية؛ ولقد كان هذا التنوع بعيداً عن أن يشكل عقبـة في وجـه سـيطرة الملـك الأكـبر، حتـى إنـه سـاعد عـلى تعزيـز وحـدة الإمبراطوريـة وأثبـت في الحقيقـة مـدى حماقـة هجـمات الإسـكندر Alexander وأنتيوجونس Antiogonus ؛ حيث إنه نتيجـة لأن الأخمينيـين قـد أدركـوا حقيقـة المواقف المختلفة، لم يحاولوا على الإطلاق فرض نظام مركزي للإدارة من النوع الذي نجده في الدول المعاصرة والتي تقوم على المبدأ القومي وهـي الفكـرة التـي كانـت غريبة تماماً على إمبراطوريـة متعـددة الأعـراق ومتعـددة الأجنـاس؛ وبالإضـافة إلى ذلـك، فإنـه عـلى الـرغم مـن أن الوحـدات العرقيـة قـد احتفظـت تقريبـاً بكامـل مضمونها أريان Arrian ، الكتاب الأول، فقرة 24-5، إلا أن التغـيرات التـي حـدثت خلال القرن الرابع لم تؤدِّ إلى الدفع بها في اتجاه الانفصال عن السلطة المركزية، بـل على العكس من ذلك تم «إضفاء الخصائص المرزبانية» على بعض البلاد مثل كاريـا وكيليكيا وليسيا؛ وفي الحقيقة ففي بديات الحملة المقدونية كان يحكم كاريا للمرة الأولى مرزبـان فـارسي أورونتوبـاتيس Orontobates ؛ وتشـير فقـرة بيروسـوس Berossus الشهيرة حول إدخال بعض التماثيل الطقسـية للإلهـة أناهيتـا Anahita إلى العواصم الرئيسة لإمبراطوريـة أرتاكسركسـيس Artaxerxes الثـاني فصـل 15-8 والذي يشير إلى أنه كانـت توجـد منـاطق إداريـة كبـيرة؛ وبالإضـافة إلى ذلـك، فـإن وجود مقاطعات عسكرية -دافعة للجزيـة في سـهل سـارديس- يظهـر مـدى تقـدم عملية تقسيم الإمبراطورية في نهايـة الفـترة الأخمينيـة سـارديس، الكتـاب السـابع، فقـرة 1-1؛ وهـذا أيضـاً هـو مـا اقترحـه اسـتخدام ديـودورس Diodorus لكلمـة «إيبارخية» في إطار حديثه عن ميديا وإدوميا، وهو ما قد يشير إلى الوحدة الإدارية المعروفة في اللغة الآرامية بالإقليم مدينة .

ماذا عن الملوك/ الحكام الذين تركهم الأخمينيـون في مناصـبهم؟ يجـب أن نتساءل حول علاقات التبعية التي كانت تربطهم بالسلطة المركزية؛ ولا يكفى أن نقوم بالتركيز على الثورات التي قاموا بها لحل المشكلات التفسيرية التي تواجهنا، وتظهر الحروب التي شنها أباطرة الفرس عليهم أن التحالف بين الطـرفين القـائم بينهما قد يهتز أو يضعف في بعض الأوقـات، كـما أن تلـك الحـروب لا تثبـت أن هذه الممالك الثانويـة قـد ظلـت مسـتقلة أو معاديـة تماماً عـلى مـدار التـاريخ الأخميني؛ ولقد كانت هذه الممالك تشبه كثـيراً «الممالـك العميلـة» التـي كانـت موجـودة في الفـترة الأخمينيـة أو «الممالـك الصـديقة» التـي سـاندت الاسـتعمار الرومـاني في إحـدى مراحـل التـاريخ؛ وعـلى أيـة حـال، فلقـد كـان «التحـالف والصداقة» فيليا كاى سيماخيا هـما الأسـاس الـذي اعتمـد عليـه أرتاكسركسـيس Artaxerxes في إعادة فرض سلطته بعد الحملة الكادوزية بلوتـارخ Plutarch ، أرتاكسركسـيس Artaxerxes، 9-24 :5؛ وتوجـد شـواهد عـلى هـذه السياسـة المتمثلة في «التحالف والصداقة» في كل من إيفيسـوس أريـان Arrian ، الكتـاب الأول، فقرة 19-1 وصيدا ديودورس Diodorus ، الكتاب السابع عشر، فقرة 47-1: فيليا في عهد دارا Darius الثالث؛ ولقد دخل دارا Darius الثالث هـو الآخـر في علاقات تحالف مع الكادوزيين والساكا، واعـتماداً عـلى قـوة هـذه التحالفـات طلب منهم تقديم فرق عسكرية لجيشه أريان Arrian ، الكتـاب الثالـث، فقـرة 19-3؛ ويمكننا أن نسأل عما إذا كانت معاهدة «فيليا كاى سيماخيا» هي الشكل اليوناني الذي يوازي قسم الولاء أدولي الذي كـان يفـرض بـه الملـوك البـابليون أو الآشوريون الجدد هيمنـتهم أو سـيادتهم والتـي كانـت تتسـم بالمرونـة والتنـوع الكبير ولكنها مع ذلك كانت ذات وزن وأهمية كبيرين؛ وفي الحقيقـة، فـإن هـذه النظرية تتوافق مع بعض من البيانات التي لدينا، ونقصد بذلك تلك التي تتعلـق

بالاجتماع السنوى كما عرضناه بالأعلى في فصل 16-11 الذي كان يُعقد بين الملك الأكبر أو ممثليه وقادة المجتمعات الأوكسية والكوسية؛ وعلى أية حال، فإنه من المؤكد أنه في إطار هذه السياسة الإمبراطورية التي نقلها هيرودوت Herodotus دون أن يفهمها بصورة كاملة في الكتاب الثالث، فقرة 15، قد يتدخل أباطرة الفرس في مسألة خلافة هؤلاء الحكام والملوك حيث إنهم لم يكونوا يترددون في إضفاء الشرعية على خلفائهم راجع بلوتارخ Plutarch ، أرتاكسركسيس Artaxerxes ، فقرة 14-1 أو حتى تنصيب ملك جديد يتسم بالتفانى الشديد في خدمة الفرس في حالة تمرد أحدهم؛ وهذه هي كل الطرق التي رأينا بالفعل أنها كان يتم اللجوء إليها بشكل منتظم خلال الفترة الآشورية الجديدة؛ وكنتيجة لهذه السياسة فإن صديق الملك كان يمثل ترساً من التروس في الآلة الإمبراطورية، والذي كان يتم دمجه بشكل أكبر في بعض الأحيان من خلال بعض التحالفات الزيجية مع ممثلين عن الطبقة الاجتماعية والعرقية المسيطرة راجع نيبوس Nepos ، داتاميس Datames ، الكتاب الأول، فقرة 1-3؛ زينوفون Xenophon ، هيلينيكا، الكتاب الرابع، الفقرة 1: 1-15 .

ولكي نفهم بشكل أفضل الطبيعة الثنائية لهذه القوى المحلية -وعن طريق المقارنة- يمكن أن نوضح أنه في النقش المكتوب بلغتين والذي يعود إلى القرن التاسع والذي وجد في تل فخريى والذي كان منقوشاً على تمثال أحد الملوك السوريين، قام هذا الملك بتقديم نفسه باللغة الآرامية كملك، ولكنه كان يسمى حاكم «ساكنو» في النص الآشوري، ويذكرنا هذا المثال بالمبدأ الذي حللناه للتو وبصورة أكثر تحديداً بنقش زانثوس المكتوب بثلاث لغات؛ وهناك وجهان للمقارنة بينهما؛ يتعلق الأول بالعلاقة بين المرزبان وزانثوس، والصورة التي يملكها أهل زانثوس عن أنفسهم: ففي حين أنهم قدموا أنفسهم بشكل صريح على

أنهم مجتمع مدنى بوليس، إلا أن النسخة الخاصة بالمرزبان في هذا النقش جعلت المدينة مجرد قلعة بيرت والتي عين فيها المرزبان بكسوداروس حاكماً إيبيمليتيس؛ ولقد كان هذا الحكم يمثل بكسوداروس هو والمفوضين الأرخونين اللذين تم تعيينهما من قبل المرزبان هم أيضاً، واللذين كانت لديهما مسؤوليات في هذه المقاطعة الليسية؛ أما وجه المقارنة الثاني فيتمثل في المكانة المزدوجة للمرزبان؛ فلقد كان مرزبانات كاريا ولمدة طويلة ينتمون إلى الأسرة الحاكمة نفسها: منذ بداية القرن الرابع حتى قام دارا Darius الثالث بتعيين شخص فارسي وهو «أورونتوباتيس Orontobates »، والذي كان قد تزوج قبل ذلك من إحدى بنات بكسوداروس أريان Arrian ، الكتاب الأول، فقرة 23-8؛ وهكذا فإنه يمكننا أن نفهم لماذا قام المؤلفون فيما بعد بإثارة التساؤلات حول المكانة السياسية لرجل مثل ماوسولوس، «فتبعاً لتوليوس شيشيرون، كان ماوسولوس ملكاً على كاريا، أو كما تقول الروايات اليونانية حاكم إقليم كاريا وهو ما يسميه اليونانيون مرزباناً بروفنسياى برافكتوس ساترابن جراسى فوكانت»؛ وإذا قارنا هذا النص مع النقش الذي تم اكتشافه في «تل فخريى»، فسنجد أن هذه الكلمة تقابل كلمة «ملك»، في حين تقابل كلمة «برافكتوس ساترابيس» كلمة ساكنو؛ وفي الحقيقة كان ماوسولوس كلاهما سترابو Strabo ، الكتاب الرابع عشر، فقرة 2-17، تماماً كما كان ممثلو أسرة الملك سنبلات ملوكاً على سامراء وحكاماً أخمينيين باستثناء أن كليهما كان في الإطار الإمبراطوري للممثلين المفوضين للسلطة المركزية حيث إن الألقاب التي يحملونها في الوثائق الرسمية هي: «مرزبان»، «حاكم»؛ ولا يعنى بالضرورة وجود بعض الأمراء والحكام «المستقلين» في مناطق أخرى أن السيطرة الإقليمية للسلطة المركزية كانت محدودة، كما أنه ليس من الصحيح

أيضاً أن معاهدة أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني مع الملوك الكادوزيين توضح مدى «الانحطاط الأخميني»، وانكماش الأراضي التابعة للإمبراطورية مثل كريبى خلال القرن الرابع على العكس من التفسير الذي يطفو على السطح في الكتابات التاريخية من آن لآخر، وعلى العكس من الحجم المتزايد للأدلة؛ ولا يمكننا بعد الآن أن نفسر اختيار بركليز حاكم ليميرا للقب «ملك الليسيين» على أنه علامة على تمرده على السلطة المركزية؛ وكما ذكرنا للتو فصل 15-7، فلقد كان إعلانه هذا موجهاً ضد منافسه الموجود في زانثوس وليس ضد أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني؛ ويمكننا أيضاً بهذه الطريقة أن نترجم التقاليد المرتبطة بملك ليديا أريان Arrian ، الكتاب الأول، فقرة 17-6، وكاريا ديودورس Diodorus ، الكتاب الخامس عشر، فقرة 90-3، وفريجيا أريان Arrian ، الكتاب الثاني، فقرة 3، والتي تم تناقلها حتى عهد دارا Darius الثالث .

وباختصار؛ فإن السلطة المركزية ربما كانت راضية تماماً عن السماح لهؤلاء الملوك والحكام بمواصلة شغل هذه المناصب وأداء هذه الوظائف، وربما حتى إنها قد استعانت بهم في فرض سيادتها الإقليمية؛ ولقد تم توضيح ذلك بصورة ممتازة من خلال حالة حاكم هراقليا التي تقع على البحر الأسود الذي خلف أخاه في عام 338-337: «لقد زاد ديونيسيوس Dionysius من نفوذه الإقليمي أرخى بسبب الهزيمة التي أنزلها الإسكندر Alexander بالفرس في موقعة جرانيكوس وهي الهزيمة التي سمحت لكل من كان يرغب في توسيع نفوذه عن طريق الاستفادة من هذا التراجع للقوة العسكرية الفارسية والتي كانت حتى ذلك الوقت تحول دون تحقيقهم لذلك» ممنون؛ وهذا النص -الذي يقدم التفسير الخاص بأحد المؤرخين المحليين- ساند منظوراً مناقضاً تماماً للفكرة التقليدية عن «الانحطاط الأخميني»، حيث إن ممنون ذلك المؤرخ

المنتمى إلى هراقليا قد عزا بشكل صريح العملية التي حصلت بها الأقاليم على استقلالها إلى الصدمة التي سببها الغزو المقدوني، والتي تسببت في زعزعة السيادة والسيطرة الأخمينية بشكل خطير، وهي السيطرة التي اعتبرها المؤلف ضمانة دائمة على تحقيق التواصل الإقليمي والصلابة الإمبراطورية.

الفصل السابع عشر

الملك العظيم وجيوشه وكنوزه

1- تولي دارا Darius الثالث الحكم من أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث إلى دارا Darius الثالث ديودورس Diodorus ، وباجواس Bagoas .

إن إحدى الأسباب التي تبرر إضعاف السلطة المركزية هي تعدد المدن التي تستقر بها العائلات الملكية، وكذلك الاغتيالات، وهناك مثال واضح، وهو اغتيال دارا Darius الثالث، ونبدأ ببحث هذه الفرضية السابقة من جهة صحتها أو عدمه، ومن أجل الوصول إلى حكم صحيح لا بد لنا من الرجوع إلى الماضي لسنوات عديدة ينقسم المؤلفون التقليديون في آرائهم بخصوص رصد وقائع فترة حكم أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث، ولكنهم أقل خلافاً بخصوص ظروف موته الوحشية، وهنا تظهر شخصية باجواس Bagoas كمحور للأحداث، تلك الشخصية التي قدمها ديودورس Diodorus في كتاب 26 كما يلي: «لقد ارتفع إلى هذه السلطة بسبب كونه شريكاً لمنتر Menter إلى درجة أنه أصبح سيداً للمملكة، ولم يجرؤ أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث على أن يقوم بفعل شيء دون مشورته، وبعد موت أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث فقد بسط باجواس كلمته في كل الأمور وتمتع بوضع الملك ماعدا اللقب فقط .

وقد التزم ديودورس Diodorus بالعودة إلى باجواس في الكتاب رقم 17 في بيان مخصص للتاريخ الحديث للأسرة الأخمينية المالكة، وقد أكد أن شخصية أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث المعقدة العنيدة قد جلبت له الكراهية من الشعب الفارسي، ثم يقدم شخصيته كإنسان غير مكتمل الرجولة، ولكنه شرس في الناحية العسكرية، حيث قال: «لقد تم دس السم للملك بمعاونة طبيب، ثم أمر بقتل أولاد الملك المقتول ما عدا أرسيس Arses الذي من المحتمل تحول اسمه إلى أرتاكسركسيس Artaxerxes ، وتبعاً لرواية ديودورس Diodorus ، فإن باجوس Bagos الوحشي قد افترض أن الشاب الملكي سوف يكون سهل الانصياع لأوامره ولكن لم يتم ذلك، وفي الوقت نفسه الذي كان الملك يخطط فيه للتخلص من باجوس Bagoas ، فقد لجأ مرة أخرى إلى الاغتيال، فقد قام بقتل آرسيس Arses وأولاده بينما كان لا يزال في السنة الثالثة من حكمه، فقد اختار أحد أفراد عائلة دارا Darius وهو أحد أفراد البلاط، وقام بتأمين العرش له، واستمراراً لطريقته الوحشية فقد حاول الإطاحة به عن طريق قتله بالسم لكن الخطة تسربت أنباؤها واستدعى الملك باجواس Bagoas وطلب منه شرب النخب الذي أعده هو مسبقاً للملك، وأجبره على أن يشرب سمه .

وغالباً ما توجد هذه الرواية بطريقة أقل دقة في التحديد، ولكن مازالت منسجمة مع الروايات الأخرى، واغتيال أرسيس Arses بعد سنتين من حكمه بدون تحديد الاسم هي نص بابلي مشهور فيما يسمى بالنبوءة الملكية الذي يحدد وجود الاغتيال .

2- عدم شرعية دارا Darius الثالث:

الرؤية المقدونية:

هناك تفسير في أحد الاتهامات الموجهة لدارا Darius الثالث وهو

متضمن في الخطاب الذي أرسله إلى الملك العظيم بعد المفاوضات الأولية الدبلوماسية الفارسية في أعقاب معركة إيسوس Issus وهذا التقرير -بصرف النظر عن درجة الشك فيه- يمثل بياناً رائعاً للدعاية المقدونية، حيث حاول الإسكندر Alexander ومديرو الاتصالات أن يشرحوا المظاهر الاستعمارية للملك المقدوني، وفي الحقيقة فإن المظهر الموجه للدعاية لهذا النص هو ما يجعله موضع الاهتمام، وفي نسخة أريان Arrian ، نجد الاتهام التالي ضد دارا Darius : «لقد قمت باغتيال أرسيس Arses بمساعدة باجواس، وقمت بالاستيلاء على العرش بلا حق، وقمت بانتهاك فعلي للقانون الفارسي وإيقاع الضرر بالفرس».

وبناءً على تصوير الدعاية المقدونية، فإن دارا Darius الثالث كان مُلكه غير شرعيا بناءً على ثلاثة معايير: 1 أنه قد سلب المُلك وخرق القانون الفارسي. 2 أن هذا كان على خلاف رغبة الفرس. 3 أن المعارضة الفارسية قد أثبتت من خلال سلوكها فيما بعد انحيازها للإسكندر Alexander بالقتال إلى جانبه، وبالإرادة الحرة، وهكذا فإن العيوب التي التصقت بدارا Darius قد نزعت منه الشرعية، وهكذا فقد دعم الآلهة، وهكذا وجد هذا الحوار توافقاً من نوع غريب، فدارا Darius الثالث له الحق في عرض فشله في اتخاذ الأسلوب القانوني الصحيح للوصول إلى السلطة بالطريقة الصحيحة، كما عبر عنها كل من بيهيستون Behistun ورستم Rustam ، وهذا الأسباب هي: 1 لم يستطع إثبات النسب الملكي لمن سبقه. 2 لم تثبت لديه فضيلة الجندية الصحيحة. 3 تخلى عنه أتباعه المخلصون وكذلك الآلهة، ومجمل ما سبق أن دارا Darius الثالث قد فقد شرعيته بالطريقة نفسها التي نفذها دارا Darius الأول مع جوماتا Goumata .

ويوجد الاتهام نفسه في خطبة أوردها كوينتوس كورتيوس Quintus Curtius عن الإسكندر Alexander في 330، وكان نصها كالتالي: «لم

يقم حتى دارا Darius بتولي حكم الفرس بحق التتابع الملكي، ولكن سُمِح له بالحكم بفضل باجواس Bagoas الشرير حتى يخلو له الحكم».

وحتى بالرغم من أن هذه الخطبة وضعت في الكتب بعد موت دارا Darius ، فإن المغزى هو أن هذه الكلمات تتوافق مع ما سبق ذكره، وهذه الدعاية هي التي مهدت للإسكندر عندما حل باسترابو Strabo انظر: Diodorus XVII 17.2, . Arrian 1.11.7 Justin XI5.7

حيث أشار مباشرة إلى عدم شرعية تولي دارا Darius الثالث للحكم كملك، ونضع في الحسبان أن حكم الفرس يتم بالتسلسل الوراثي الملكي، وقد واصل التأكيد نفسه بقوله: «1 إن خلفاء دارا Darius كان آخرهم أرسيس Arses الذي ذبحه باجواس الامخصي الذي عين ملكاً آخر وهو دارا Darius الذي لم يكن منتمياً إلى الأسرة الملكية، والمعنى نفسه نجده عند ديودورس Diodorus : «بعد اغتيال أرسيس Arses أصبح البيت الملكي خالياً، وانقرض أفراده، ولم يوجد من يرث أو يحتفظ بالمركز الملكي الأسري، وهذا هو مبرر باجواس لأن يحضر أحد أصدقائه وهو دارا Darius لتولي الحكم، وأخيراً فإنه من وجهة نظر بعض المؤرخين فإن الاتهام بعدم الأهلية الملكية يؤكد تواضع خلفية دارا Darius ، فقد كان عبداً وأحد أفراد حاشية البلاط الملكي.

3- تولي دارا Darius للملك:

الرؤية الفارسية:

لدينا فرصة سانحة نادرة لمناظرة رؤية مغايرة تستقى من المعسكر الفارسي من جوستين Justin وديودورس Diodorus وهو ما يقدم كلا المنظورين جنباً إلى جنب، وهما متعارضان تماماً: فقد تولى دارا Darius الحكم بسبب إظهاره لشجاعة غير مسبوقة، ففي أثناء إحدى حروب أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث ضد الكادوسيين Cadusians

كان دارا Darius الملقب بكودومان Codoman هو الجندي الوحيد حول الملك، والذي استطاع التصدي لتحدي أحد جنود هرقل الأقوياء، حيث تغلب عليه في المبارزة الفردية، واسترد لشعبه المجد والنصر الذي كاد أن يتلاشى، وبسبب أعماله العظيمة فقد كرمه الملك بالهبات السخية والعطايا، وبين الفرس كان أشجع الجنود، وحسب رواية جوستين فقد منح قيادة الإمارتين في أرمينيا، وفي رواية كل من جوستين وديودورس وبالألفاظ نفسها، قرروا أنه عندما مات أوكاس Ochus ارتقى دارا Darius العرش بسبب شجاعته الفائقة التي لا تنسى، حتى إن الشعب أعطاه لقب دارا Darius مكافأة له على هذه البسالة.

ومن السهل التوصل إلى أن الدعاية الفارسية تتوافق تماماً مع الدعاية المقدونية، أو أن الدعاية المقدونية لم تكن هي رد الفعل المناسب لدعاية دارا Darius بعد اعتلائه العرش كما سوف يتضح فيما بعد، ولكن هذا لا يغير شيئاً من الحقيقة لهذا الموقف، وما نتناوله هنا هو إحدى السمات المشتركة لتبرير الملكية في الفترة الأخمينية وهي الشجاعة الشخصية في الحرب، وهي إحدى الأنماط المتكررة التي يقدرها الفرس -وخاصة الإيرانيون- كسبب لتولي الحكم؛ ولهذا لم يشر المؤرخون السابقون إلى مؤامرات باجواس، أو إلى عدم التسلسل الأسري الملكي بل قفزوا إلى قول: «عندما مات أوكس Ochus انتقلت السلطة بصورة عادية إلى دارا Darius كودمان Codoman .

دارا Darius الثالث والعائلة الملكية الأخمينية:

يمكننا بوضوح تفضيل رؤية عن أخرى من النسختين الفارسية والمقدونية السابقتين؛ لأن كليهما استهدفت الدعاية بأن شجاعة كودومان هي أحد أسباب توليه الملك، لكن سلسلة أعمال الاغتيالات واتساعها تعد حقيقة تاريخية، وبدلاً من ذلك، دعنا نبدأ بدراسة النصوص التي تمثل الأصول المتواضعة للملك الجديد، وهنا تبرز أهمية

نص Aelian ، وهي في الحقيقة تسلسل للقادة والملوك الذين ارتقوا السلطة من العدم، وهكذا تتوافق مع أحد الأغراض المتكررة لأدبيات الملك في الفترة الهلينية عندما يقوم المؤرخون بمقارنة أوضاع الملوك الذين يرثون الملك في مقابل الملوك الذين أتوا من عامة الشعب حتى إن أفلاطون Plato أكد أن دارا Darius الأول بالمقارنة مع قمبيز Cambysis وكسركسيس Xerxes استطاع أن يظهر الفضائل من الأعمال بسبب عدم كونه ملكاً ورث الملك، وبالمثل تحدث المؤرخ هيرودوت Herodotus Herodotus عن دارا Darius الأول قبل اعتلائه العرش، وأطلق عليه لقب الطيب .

وهذا لا يعني تماماً أن دارا Darius أتى من العدم تماماً؛ لأنه كان يعيش في مصر، وكان حامل الصولجان لقمبيز Cambysis ، ونجد أنه في قائمة Aelian لمن تولوا الملك بلا وراثة أنه كان أحد رعايا البلاط الملكي؛ لأنه كان أحد أفراد المراسلة، وهذا كان لقبه في البلاط، وكان يتمتع بمكانة اجتماعية بسبب الرداء الخاص الذي كان يرتديه انظر: Plutarch, Alex, Maralia .

والشك في أنه كان أحد أفراد البلاط أو أنه لم يكن شيئاً مهمًّا أتى من الدعاية المضادة، وباختصار فإن دارا Darius الثالث الذي ولد حوالي سنة 380 كان جزءاً من الدائرة الملكية الداخلية منذ نهاية حكم أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني، وأثناء حكم أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث، وهكذا يخرج دارا Darius من دائرة المجهول إلى كونه صديقاً لباجوراس الذي أتى به إلى السلطة الحاكمة ومن ناحية أخرى، فإن عدم أهلية دارا Darius للحكم لانقطاع النسب الأسري الملكي ترجع فقط إلى الدعاية المقدونية، وهي مجرد روايات معظمها خيالي، حيث يقرر ديودورس نفسه أن دارا Darius كان «ابن أرسانيس Arsanes ، وحفيد أوستانيس Ostanes أخو أرتاكسركسيس Artaxerxes

الثالث، وهو بهذا كان ابن عم لأرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث، حيث أن دارا Darius الذي تزوج أخته ولو أنه انتسب للأسرة المالكة والقانون الفارسي الذي أشار إليه الإسكندر Alexander يعكس تفسيراً منحازاً لأسلوب التسلسل الملكي للحكم، ذلك الذي كان سائداً في الحقبة الأخمينية، وفي الحقيقة فإن التسلسل الذكوري لأرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث يصل بنا إلى بيثانيس Bisthanes الأخ الأكبر غير الشقيق لأرتاكسركسيس Artaxerxes الرابع، وعندما مات أرسيس وأولاده، لم يكن البيت الملكي محدوداً بأولاده، مما كان يماثل الموقف الذي ساد بعد أفول ملك أرتاكسركسيس Artaxerxes الأول، حيث قد اغتيل بعدها بوقت قصير، ومن أجل تحديد الملكية بالأسرة الحاكمة، انتقل الحكم إلى ابن غير شرعي للملك المتوفي أخ غير شقيق لأرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني الذي استولى الذي استولى على الحكم من أخيه غير الشقيق سوجدينانوس Sogdianus ، واعتلى العرش، وقد سمى نفسه دارا Darius الثاني، وبالنظر إلى القانون الفارسي وبالتحديد إلى سلوك التتابع الملكي الأخميني، كان دارا Darius الثالث شرعيًّا تماماً.

العنف والمؤامرات:

هناك اتهام آخر مقدوني يشير إلى أن دارا Darius الثالث اعتلى العرش عن طريق العنف وضد رغبة الفرس، وفي الحقيقة فإن الألفاظ التي استخدمها أريان Arrian تعكس عدم اليقين منذ البداية، والتناقض بين العنف والمؤامرات في الحقيقة يتكرر دائماً في النصوص الهلينية التي تميل إلى نزع الشرعية من أي منافس للتقاليد المقدونية، وهذا الاتهام ليس يونانيًّا، فلنتذكر -على سبيل المثال- أن نابونيدوس القبرصي مدان بسبب سوء معاملة البابليين، وكذلك Nabonidus جاوماتا Gaumata لا يحظى بالشرعية في بيهيستام Behstum بسبب العنف ضد هذا

الغرض، ولكن -بقلم أريان- فإن الاتهام يأخذ اللهجة المقدونية لأنه في أثناء المناظرة هذه، وعن التسلسل الأسري الملكي تذكر كاليثينا Callisthenes أن ملك مقدونيا يجب أن يحكم ليس بالقوة ولكن بالتوافق مع عاداته ورضائه .

ومن الجدير بالذكر الإشارة إلى أن المؤامرات الفارسية في هذه الفترة ليست ذات أهمية كبيرة حيث إن قليلاً جدًّا من ورثة الملك لم يظهروا على مسرح الأحداث بدون متاعب، كذلك فإن البلاط الملكي يشهد العديد من الخطط والمناورات من أجل ترشيح شخص وحيد ليكون هو من يتولى الملك.

فقد تم اغتيال أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني وسبعة ملوك بارديا Bardia وكسركسيس Xerxes الأول وكسركسيس Xerxes الثاني سوجدينانوس Sogdianus وأرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث وأرتاكسركسيس Artaxerxes الرابع، ودارا Darius الثالث، ويضاف لهم دارا Darius الابن الأكبر لأرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني الذي ادين بالتآمر على والده وتم اعدامه. والقسوة المفرطة التي تنسب إلى أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث من قبل المؤرخين القدامى لا تبدو أنها منسوبة إليه فقط، ويتفرد بها حيث يجب أن نضع في الحسبان تواصل عمليات القتل التي تفشت في أسرة هايدرنيس Hydarnes التي بدأها كل من دارا Darius الثاني وبارياتيس Parysatis انظر: فصل 6/14.

وسواء كنا ندين هذا العمل أم لا، فإن هذه ليست قضية البحث، ولكن القضاء المادي على الخصوم والمنافسين المفترضين كان جزءاً لا يتجزأ من ممارسات الحكم في هذه الفترة، فقد أراد ستيسياس Ctesias بصفة خاصة أن يؤكد القسوة والوحشية للعقاب وعمليات الإعدام التي كانت بالفظاعة نفسها التي قام بها دارا Darius الأول ضد بعض من

كذبوا بادعائهم المُلك، وعلاوة على هذا فإن شرعية حكم الملك الذي استولى على العرش من خلال الدم والحديد لم تكن في الواقع محل شك بسبب هذا، كما وضح بمثال دارا Darius الأول وأرتاكسركسيس Artaxerxes الأول، ودارا Darius الثاني، وأرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث، فقد كان لزاماً أن يقوم الملك بفعل ما ينبغي عليه لتأكيد ملكه، وهو أمر يقل فيه شأن المؤامرات، وتهم به النتائج المحققة في المجال السياسي والعسكري، وهذه السلطة يمكن فيما بعد منازعتها إذا لم يحط الملك نفسه بمجموعة مؤيدة له من الصفوة الفرس من الممكن أن يساندوه، وهذه خلفية عن التبرير الذي ساقه الإسكندر Alexander للطعن في شرعية حكم دارا Darius الثالث: «لقد قهرت في الحرب كل من قادتك ومن يتبعهم، وقهرتك أنت شخصيًّا، ونزعت منك قوتك، وأنا أتحمل المسؤولية عن كل جنودك الذين لم يقتلوا في ميدان المعركة، والذين استسلموا باختيارهم الحر، وتطوعوا بالخدمة تحت قيادتي» أريان II 147 ، وهذا يؤكد على أحد عناصر الدعاية المتكررة التي صاغها قورش Cyrus ضد أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني فصل 2/15 والمقارنة بين الحدثين تؤكد شكنا في مقالة الإسكندر Alexander لصالح شرعيته الملكية، فلا بد أن نلاحظ أن الإسكندر Alexander ذاته لم يكن في وضع يسمح له باستخدام هذا السلاح نفسه؛ لأن توليه العرش كان مصحوباً بالتطهير الدموي لنبلاء مقدونيا، وعمليات التطهير تلك لم تكن أقل دموية مقابل السجل الفارسي في هذه الناحية حتى إن دارا Darius الثالث سعى لانتهاز هذه الدموية وعمليات القتل لحبك المؤامرات في معسكر أعدائه .

دارا Darius وباجواس:

تبقى إحدى النقاط التي سيقت ضد دارا Darius في حاجة إلى بحث، وهي أنه أصبح ملكاً بسبب رفع باجواس له إلى مقام العرش،

حيث وصف ديودورس Diodorus باجواس بأنه الوحش المقاتل وغير مكتمل الرجولة المخصي XVIi5.3 ، وهي كلمات تشمل التصوير والسباب الشديد له، وكما رأينا فإن لفظ غير مكتمل الرجولة يحرم الشخص المدعى عليه من أن يكون إنساناً بمعنى الكلمة في نظر المؤلفين الإغريق، وتظهر النبوءة الملكية أن باجواس كان يحمل لقباً ترجمه المؤلفون اليونانيون تلقائيًا إلى هذا اللفظ السابق، ولكنه في الواقع كان شخصية مهمة في البلاط الملكي؛ لأن ديودورس Diodorus Diodorus سماه «الأكثر إخلاصاً من أصدقاء الملك»، وهكذا كان مستشاراً مميزاً لأرتاكسركسيس الثالث، وإذا كان ستيسياس Ctesias مضطراً لذكر اسم باجواس، فإنه كان سيستخدم الصفة التي يحسب أن تلصق به، وهي «أكثر شخص مؤثر وغير مكتمل الرجولة بالنسبة لأرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث وأرتاكسركسيس Artaxerxes الرابع»، ولكن على العكس من ذلك، فإن ديودورس Diodorus قد استخدم كلمات تصف ترقية باجواس بعد الحملة المصرية بطريقة مغايرة تماماً تشيد بقوته وشجاعته العسكرية، ويحدث التوازي بسبب المصدر الذي لا يتسم بالحيادية وهو بالتأكيد إلفوراس Ephorus الذي كان يميل إلى المبالغة في تصوير مركز روديان مينتور Rodian Mentor وتقليل السلطة الملكية، حيث إن مينتور لم يكن أبداً القائد الأساسي المسؤول عن آسيا الصغرى، وأن مركز القيادة في الجيش غير مؤكد نسبه كذلك إلى باجواس .

والمركز الرسمي الوحيد الذي شغله باجواس هو كونه مستشاراً، وفي هذا المركز فقد استقر في بابل، حيث سنحت له الفرصة لتنظيم وتنفيذ مؤامرة ضد الملك، ولا يوجد دليل يثبت أنه الوحيد المشترك في تلك المؤامرة في كل مرة، وعلاوة على هذا فإن تقديم ديودورس Diodorus له على أنه يعطي انطباعاً بكونه بالفعل سيد المملكة وصانع

الملوك لا يجب أن نبالغ فيه، وعند مقارنة بلوتارخ Plutarch بدوره المفترض مع دور أتوسا Atossa في تولي كسركسيس Xerxes للملك، وهي مقارنة تسبب تشتتاً للمؤرخ الحديث، وفيه يواصل قوله بأنه يواصل دوره كمتحكم في المملكة، حيث يستولي على المملكة الفارسية ويمنحها لكل من أوارسيس Oarses ودارا Darius Marakia 331 ، وهذا التقديم لا يكاد يوجد لدى المؤلفين القدامى الذين قرروا أن تولي كسركسيس Xerxes كان هو محور المؤامرة وقلبها، وهو سبب تولي أرتاكسركسيس Artaxerxes الأول للملك، ولكن يزعم بعض اليونانيون أنه شخصيًّا كان لديه الطموح للملك بالرغم من أن إدارة المملكة لصالحه الفصل 10/13، ولدينا انطباع بأن التفسير الذي نحن بصدده كان شائعاً في اليونان، وكان محدداً بسلسلة من الأنماط المتكررة، وأحد هذه الأنماط هو استخدام السم، فقد قام باجواس بتسميم أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث بمساعدة طبيب دارا Darius الثالث، حيث قدم له الكأس التي كان ينوي «الاملخصي» تقديمها له ديودورس Diodorus XBII503 ، وبناءً على تكرار طريقة ونمط تقديم السم في البلاط الملكي الأخميني، فإنه من المدهش أن ديودورس Diodorus يقدم الملابسات التي تجعل من التخلص من باجواس عملاً أخلاقيًّا، حيث عاقب المتآمر بقدر جريمته، وحتى باريساتيس Parysatis يقال إنها دست السم لأخت زوجها عندما قدمت لها الطعام انظر: بلوتارخ Plutarch 19-2 ستيسياس Ctesias .

إن اغتيال أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث يوحي لأول وهلة بوجود معارضة للملك، وهذا ما يقدمه ديودورس Diodorus بطريقته الخاصة بتأكيد الكراهية التي تفشت ما بين الفرس تجاه فظاعته، مما أوجد منافسة له داخل البلاط الملكي؛ ولهذا، ولسبب غير معلوم لنا، فقد اختارت إحدى هذه الجماعات تأييد أصغر الأبناء أرسيس Arses ،

وفي هذا الإطار نواجه أحد الأنماط المتكررة، للصراع الملكي داخل الأسرة الحاكمة وهذا سوف يتضح في نهاية حكم دارا Darius الثاني، وفي السنوات الأخيرة من حكم أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني، وهناك احتمالات أخرى مفتوحة للتفسير، حيث يمكن أيضاً تصور أن أرسيس كان طموحاً للسلطة، وأظهر نفسه كمرشح لها في نظر باجواس تماماً مثلما فعل أرتاكسركسيس Artaxerxes الأول عندما تلقى مساعدة المستشار أرطبانوس، ولكن في الحقيقة لا يمكن ترجيح أحد هذه الاحتمالات، حيث لم توثق فترة حياة أرسيس Arses قبل اعتلائه العرش، وهل كانت توجد معارضة لابن آخر قد يكون نال الترشيح للملك وكان وليًا للعهد؟ وعلى أية حال، فإن القضاء على إخوة الملك الجديد لا يمكن أن يتحمل وزره باجواس فقط، حيث إن أرتاكسركسيس Artaxerxes الرابع أشرف على القضاء على منافسيه، ومهما يكن الأمر لم يثبت قطعيًا أنه كان ألعوبة في يد مستشاره؛ لأن ديودورس Diodorus نفسه ذكر أن الملك الشاب كان لا يسمح لباجواس أن يحكم وحده حتى إنه قد خطط للتخلص منه، وهذه كانت الظروف التي جعلت من أرتاكسركسيس Artaxerxes الرابع نفسه ضحية لها.

وقد حمل ديودورس Diodorus المسؤولية لباجواس وحده، حيث قيل إنه يتسم بالوحشية المعتادة، وهذه الصفات تبدو مناسبة لما يتسم به هذا الشخص غير مكتمل الرجولة المحارب المتوحش بلوتارخ s3 ، وعلاوة على ذلك، فإن هذا الوصف ينطوي على صفة مشينة، حيث يوحي بفكرة الانحطاط، ولكن، ورغم اختصار الفكرة، فإنها غير مقنعة أكثر من ادعاء بلوتارح الذي يرع تولي العرش لكل من أوكاس Ochus الثالث [أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث] «للعنف والوحشية وامتزاج النزعة الدموية بالخيانة» في شخصية باجواس، ولكن في الحقيقة، أن ارتقاء أوكاس لأعلى المراكز كان نتيجة لاستراتيجية محكمة، حيث إنه

اعتاد اجتذاب المهرة وذوي الولاء، عند هـذه النقطـة نـذكر أن العبـارات الوصـفية التي ترتبط بأجداد وأقارب أرتاكسركسـيس Artaxerxes الثالـث، والتـي تتمثـل في صفات شخصية دارا Darius الثالث .

حيث إن الابن الباقي عـلى قيـد الحيـاة بثرانـيس Bisthranes طبقـاً لأريـان يدعى «ابن أوكـاس وخليفة دارا Darius الثالـث» ولم يـذكر أرسـيس Arses في أي من هذه الحالات، حيث أصبح بوضوح ضحية لعنة النسيان في بلاط دارا Darius ، وهو الذي أراد -فيما يبدو- أن يرتبط مباشرة بأرتاكسركسيس Artaxerxes الثالـث، مما يوضح سبب نقل الرؤية الفارسية قبل جوستين X.3.5 ، وقـد خلـف كودومـان Codoman أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث بدون القيام بحـل قضـية الخلافـة في الحكم، وفي الإطار نفسه، هناك دليل آخر معارض لذلك، وقبـل كـل شيء، وبنـاءً على حركة التطهير الواسعة التي قام بها أرتاكسركسـيس Artaxerxes الثالـث فـور خلافته جوستين Justin X.3.1 ، فإن الفرع الآري الذي انتمى إليـه دارا Darius لم يتأثر بذلك التطهير، ومما يجعلنا نميل إلى اسـتنتاج أن أصـول دارا Darius الأسريـة كانت تتماشى مع أوكاس جنباً إلى جنب، بالإضافة إلى أن أفرادها بما فيهم من سيأتي بعـد ذلـك ليكـون دارا Darius الثالـث، وقـد ظلـوا في قصر أرتاكسركسـيس Artaxerxes الثالث كمؤيدين متحميسن للأمير أوكاس بلوتارخ 262، وهذا يـذكرنا بالأسـاطير الملكيـة التـي تخلـد دارا، ففـي أثنـاء إحـدى حمـلات أرتاكسركسـيس Artaxerxes الثالث أن دارا كودومـان قـد أظهـر الشـجاعة في مواجهـة القبارصـة، والتي كرم بناءً عليهـا مـن قبـل الملـك الحـاكم ديـودورس Diodorus XVII5.1 ، وهذا يقودنا إلى أن اللقب ذي المكانة الذي ناله في البلاط، والتميز الذي تمتـع بـه قبل اعتلائه العرش قبـل أرتاكسركسـيس Artaxerxes الثالـث كـان بسـبب العـون الذي قدمه للملك عند وفاة أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني 359-358 .

لو صدق قول جوستين من أن دارا Darius الثالث كان مرزباناً لأرمينيا عند موت أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني، فقد كان له أساس وأرض يستند عليها، وقوات عسكرية يسيطر عليها، ولو صدقت هذه النظرية فإن بإمكاننا مقارنة موقف أوكاس/ دارا Darius الثاني الذي كان حاكم إقليم هيدكانيا عند موت أبيه أرتاكسركسيس Artaxerxes الأول تبعاً لرواية ستيسياس Ctesias ؛ ولذلك فإن مسألة وضع باجواس لدارا Darius على العرش مع دعمه ضد منافسيه تصبح محل شكل، وقد اعترف الإسكندر Alexander نفسه في خطابه بأن دارا Darius هو الذي قتل أرسيس، وأن دور باجواس كان التواطؤ لا التنفيذ الفعلي، وبالتالي لم يكن دارا Darius الثالث ألعوبة في يد باجواس كما كان أرتاكسركسيس Artaxerxes الأول أداة في يد أرتابانوس، ومن الأفضل لديودورس Diodorus أن يقول إن ديودورس Diodorus كان صديقاً لدارا Darius كما كان قريب من أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث وأرتاكسركسيس Artaxerxes الرابع، وهكذا، ولمدة 44 عاماً كان أحد أعضاء الدائرة الضيقة القريبة من أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث، بل كان الرأس المدبر لما يسمى بالمؤامرة، وعند نجاح المؤامرة، قام بالتخلص من الوسيط باجواس الذي ربما كان يمثل عبئاً زائداً عليه .

الملك العظيم الجديد:

إن التقليد الذي يقدمه ديودورس Diodorus XVII5.6 لا يقدم إلا تعزيزاً لمكانة دارا Darius ؛ لأن الملك نفسه هو الذي قام بقتل مستشاره وبلا شك، فإن هذه القصة الجميلة تم اختراعها من البداية إلى النهاية بواسطة أفراد الدعاية الملكية، وهكذا نفهم لماذا اعتقد دارا Darius أن هذا القتل سوف يكون بمثابة عمل أخلاقي؟ ولكن ديودورس Diodorus الذي كان يعتمد على التقاليد الفارسية تمسك بالعبارة الحرفية معتقداً أنه يضيف إلى ذكرى دارا Darius وليس لباجواس، والتزاماً بالقاعدة التي

تنص على أنه بعد الصراع على الملك، يتم ترويج قصة كلاسيكية في البلاط الملكي ونشرها تلك التي تصف كيفية التغلب على الخصوم والوصول إلى الحكم، وهؤلاء الدعائيون قد نسبوا إلى دارا Darius -كما فعلوا مع من سبقوه- المظهر الملكي الجسماني، حيث قالوا إنه كان أطول وأجمل إنسان في عصره بلوتارخ 21.6 .

أخيراً من المؤكد أن دارا Darius الثالث قد مر بالإعداد الملكي بالطريقة المعتادة، حيث ارتدى شخصية وعباءة الملك حتى قبل توليه الحكم كما فعل قورش Cyrus ، وهذا الحدث يفسر لنا مغزى الحكم الذي نسبه إليه بلوتارخ 18.7، وهذا ما يقوله بلوتارخ بالضبط، حيث يذكر إن باجواس «قد نزع عنه الإمساك بالحكم وتولى مسؤولية خدمة البلاط الملكي، وكذلك صيانة كل ما هو بالقصر «وهذا حدث عندما تخلى عن اسمه القديم واتخذ اللقب الملكي دارا Darius »، وبالرغم من أنه ينسب إليه اسم كودومان ولا نعرف لماذا؟ يقدم جوستين أيضاً هذه المعلومة: «لقد كرمه الشعب بلقب دارا Darius حتى لا ينقصه شيء من العظمة الملكية» X3.5 ، ومن الجدير بالملاحظة أنه لم يتخذ اسم أرتاكسركسيس Artaxerxes ؛ لأنه طبقاً لديودورس Diodorus «أن أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني كان حاكماً جيداً، وأن الفرس قد غيروا أسماء من خلفوه حتى يكونوا جديرين بحمل هذا الاسم النبيل، «ونتساءل هنا إذا ما كان الملك الجديد الذي يلي دارا Darius الثاني أراد أن يثبت باسمه الملكي أنه مثل دارا Darius الأول، كان يعمل على تأسيس نمط مستمر من الشرعية ينتسب إلى أسلافه السابقين وهم الأسرة الملكية، وأن له شرعية خاصة، ولكن لو حدث هذا تكون طموحات الملك محدودة.

تولي دارا Darius الثالث الحكم في التاريخ الملكي الأخميني:

وهكذا نرى أنه من المستحسن أن نتناول بحذر وبشك النصوص شبة الشرعية التي تسجلها كل من الكتابات الأخرى مع خطاب الإسكندر

Alexander لظـروف ارتقـاء دارا Darius العـرش، وبـالطبع لم يكـن أريـان هـو الوحيـد الـذي أشـار إلى الأصـول الفارسـية للحكـم، وكـذلك أشـار هـيرودوت Herodotus إلى هذه الأصول التي كانت تتطلب من الملك أن يرشح وليًّا للعهد قبل الشروع في حملـة عسـكرية VII2 ، أشـار هـيرودوت Herodotus إلى أصـول الحكم الفارسية، ويدعى أن الامخصي له حـق المطالبـة بـالحكم III2 وتبعاً لهـذه الأصول فإن ديمـاراطوس VIII3 وباريـاتيس بلوتـارخ S4.2 وأتبـاع دارا Darius أو الابن المنتظر للحكم أن يتولى العرش، وتوضح ظـروف تـولي العـرش لـدارا Darius الثاني وأرتاكسركسيس Artaxerxes المدى الذي تصبح عنـده تلـك المنـاظرات غـير ذات مغزى وعبثية، ويوجد وراءها طموحات متعارضة تنتهـي إلى تقريـر مـن هـو الملك الحـاكم، أو قـرارات الحـرب وصـمام الأمـان ضـد التهديـد بـانقلاب في الأسرة الحاكمة هو تسمية ولي العهد بلوتارخ 26 .

غالباً ما يحدث به انشقاق أو يحدث له تهديد بواسطة الطموح الشديد لأحد الأبناء الشبان الـذي ينتابـه الغضـب لحرمانـه مـن هـذه القـوة والمركـز المطلـق مثـل بارديـا Bardiya وقـورش Cyrus الأصـغر وأوكـاس Ochus ، والسبب الأصلي لهذا الموقف لا يصعب على الفهم، فالمملكة الفارسـية لم تكـن عـلى النظـام الملـكي الدسـتوري دون التحديـد الـدائم المكتـوب لقواعـد تـولي السلطة التي تطبق بصرامة فيما يشبـه المحكمـة العليـا، وهـو مـا سيجرنا إلى الأسلوب الروائي في سرد أحداث التاريخ: حيـث إن مـبررات دارا Darius الأول لسلطته كما رأينا في الفصل 1/3 لم تنبع من حق التتابع الملـكي المسـتقر طـوال العصور، ولكنه ينبع فقط من النصر الذي حققه والذي أسـس لادعائـه الملـك، تلك التي لا تحرك ساكناً بالنسبة لمن ألفها والشيء نفسه ينطبق أيضاً عـلى دارا Darius الثالث؛ لأنه كان ملكاً ينتمـي إلى البيـت الملـكي بـدون أن يكـون مـن

المتعين عليه إظهار أية مؤهلات لذلك، ولو كانت توجد معايير للملكية المطلقة كما ذكرها أرسطو Aristotle فلن تكن لها قوة قانونية فيما يتعلق بسلطة الحكم أو علاقات السلطة بالنسبة لمنافسيه، وهنا، وفي أكثر من موضع كما في الفصل 8/12 فإن تقديم المعايير كالقانون تعكس أثر نقل غير حيادي للأحداث، وبالنسبة لدارا Darius الثالث، فإن التفسيرات القانونية العادية للمؤلفين القدامى يتم تجاهلها تماماً لعدم حيادها.

والقاعدة الوحيدة الملزمة في هذه الفترة الأخمينية كانت هي نقل السلطة من خلال المولد الأسري، ولكن -كما قد رأينا- فإن هذه القاعدة لم تكن بمثابة القاعدة القانونية الملزمة، وعلى العكس فإن هذا الاعتقاد قد بني على النمط العائلي للمجتمع الفارسي كما تم في الزواج التبادلي داخل الأسرة الحاكمة نفسها ومثال واضح دارا Darius الثالث، ومن هذا المنظور فإن التاريخ الأخميني الملكي قد شهد توافقاً كبيراً، وعندما لم يعد يوجد ابن شرعي يرث الحكم، يتنازع أبناء الملك على الحكم فيما بينهم، ويقوم أحدهم بإحياء الأسرة المالكة بالزواج الداخلي مثل دارا Darius الثالث، وعندما يموت الابن الأكبر يتولى الحكم أحد الصغار مثل أرتاكسركسيس Artaxerxes الأول وأرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث وأرسيس Arses ، وفي حالة موت الملك بدون وجود ابن ذكر يتولى العرش ويكون منافساً يتغلب على خصومه بقوة السلاح أو باختيار أحد أصحاب المقام الرفيع دارا Darius الأول، أو ينتقل الملك إلى أحد فروع الأسرة ويصبح وجوبيًّا كما لو كان ينتمي للأسرة الحاكمة دارا Darius الثالث، وإجمالاً فإن نسل دارا Darius الأول قد استطاع أن يحقق هذا التسلسل الملكي الذي قام أجداده بتحديده، لكن المعارك من أجل الحكم كانت تتم داخل الأسرة الملكية، ولم يتمكن أي دخيل من أن يفرض نفسه -كما سيتضح- ولذلك بقيت ما تشبه المعاهدة الملكية راسخة ومستقرة.

وقد يظن القارئ أن هذه الممارسات تضعف السلطة المركزية، وعلى الأقل عندما تكون النزاعات الداخلة مستمرة، ولا يوجد أدنى شك في ذلك، حيث اشتدت المنافسة مثلاً بعد إعدام برديا Barrdyia ، وعلاوة على هذا يركز ديودورس Diodorus على أن المصريين قد انتهزوا فرصة القلاقل عند تولي الملك بعد كسركسيس Xerxes للقيام بالثورة، ولكن في الواقع فإن التهديد الأكبر لا يحدث من الرعية، لكنه يأتي من الطبقة الأرستقراطية التي تساند أحد المرشحين، حيث إن كل طامع في الحكم يقدم وعوداً لهم في مقابل هذا الدعم، وهل هذه الممارسات تضعف الحكم؟ هذا غير مؤكد تماماً.

وحتى لو حدث، فإنه سيكون لفترة مؤقتة، حيث تستدعي الأحداث ما قام به دارا Darius الثاني وباريستاتيس Parystatis بمحو كل من مثل أسرة هايدرانيس Hydranes ، وبالنسبة للمصادر الكلاسيكية الهلينية: فقد كان دارا Darius الثالث -بعكس ادعاءاتهم- فرداً لا نزاع عليه من الأسرة الملكية، وهو محارب متميز يؤيده قطاع عريض من البلاط الملكي والأرستقراطيين والجيش بالطبع، وهو بناءً عليه ملك عظيم بالتأكيد، ولكن في هذه المصادر فإن أسس عدم استحقاق السلطة الملكية للفرس توجد في اثنين من المصادر التي تظهر بدون الخلط بينهما في كتابات ديودورس Diodorus ، ويرجع أولها إلى اليونان البطالمة في القرن الرابع وخاصة يوقوراس Ephorus الذي كان مصدر إلهام ديودورس Diodorus في الكتاب 26، وهذه الاتهامات هي في كل أعمالهم طوال القرن الرابع، حيث كان ملوك الفرس ضعفاء، ولا يميلون للعمل أو الحرب، ولن نعير هذه النقطة اهتماماً، حيث نادراً ما يوجد دليل عليها فهو يوجد عند ستيسياس Ctesias الذي تبعه بلوتارخ Plutarch ، والمشكلة أن هدف هذه الدعاية هو تضخيم أعمال الفاتح المقدوني الذي كان مستعداً لأن يستغل أو يتظاهر باستغلال الحوار الفارسي حول الشرعية الملكية ضد دارا

Darius الثالـث، وفي الوقـت نفسـه، فـإن المناقشـات التـي خصصـت لتـولي دارا Darius الثالث للعرض تتم بأسلوب روائي، تمـت صياغته للتقليـل مـن قـدر آخـر الملوك العظام، وهناك واحد من الأمثلة العديدة لذلك عند إيديان الذي نقل حجج الإسـكندر Alexander المختلفـة ضـد دارا Darius الثالـث في خطبـة ألقيـت في جنازته، حيث أكد أنه كان مشيناً في معركة جوجافيلا Gaugamela تلك التي هرب في أثنائها، حيث إن حياته كلها كانت سلسلة مـن الكـوارث لشـعبه بسـبب عيوبـه الشخصية «ليس هناك أي رجل أقل منه روحاً أو إحساساً بمعنى الحـرب»، وهكـذا قام آريان بالتسليم بكل ما قاله «وفي الأمور الأخـرى لم يظهـر أيـة شـجاعة»، لكـن المقارنة الضمنية مع الملوك الآخرين وخاصة أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالـث لم تكن في صالحه؛ لأنه إذا لم يقم بالهجوم فإن هذا يرجع إلى عدم وجود فرصة لذلك، لأنه لحظة أن اعتلى العرش قد تم الهجوم عليـه مـن قبـل اليونـانيين والمقـدونيين، ومن هنا يتضح أنه إذا كانت لديه الإرادة فهو ليس بإمكانه أن يلعب دور الطاغية على رعيته، وأن وضعه كان أخطر من وضع منافسيه، ولا بد لنا من التأكيد على أن نقض الهجوم أي الخدم لم يكن صفة ملكية، كما أكد رجال الدعاية التابعين لقورش Cyrus الأصغر وأوكاس أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث في ذلك الـعصر، حيـث كانوا مستمرين في إدانة رقة أي ضـعف أرتاكسركسـيس Artaxerxes الثـاني وابنـه دارا Darius بلوتارخ .

ومن الواضح أن مهمة المؤرخ ليست المدح ودفع الـذرائع عـن ذكـرى الملك العظيم، ولكنها محاولة فهم لمـاذا خسر دارا Darius الحـرب، حيـث قام المؤلفون التابعون الممثلين للإسكندر في وضع السـيرة الذاتيـة التاريخيـة بلعب دور كارثي في تلـوين الوقـائع التاريخيـة، ومـن المغـري مـن الناحيـة البحثية أن نربط بين كلا الاتجاهين، وهما الضـعف المفـترض وعـدم شرعيـة دارا Darius ، والأول مـنهما يـفسر رغبـة الفـرس والعـرف السـائد فقـط

لأن دارا Darius وجد في العرش بسبب دفع المخصي باجواس له المنسوب إليه كونه من يدير أمور الملك، فإن التحليل للنص والظروف المحيطة أننا لسنا بصدد أحكام قاطعة، ولكن افتراضات ورثت من الدعاية المقدونية، وبالمثل يجب أن نفترض أن الشكوك المنهجية نفسها تحيط بالدعاية الفارسية التي تمجد شجاعة دارا Darius في مواجهة الإسكندر Alexander جوستين X36 ، والتي أكدت على الاستعداد على قدم وساق للمواجهة العسكرية التي تلوح في الأفق ديودورس Diodorus XV117-1 ، وفي الوقت نفسه ففي كل من القصر ومعسكر الجيش DNb27-3 لم ينتظر دارا Darius طويلاً لإثبات عكس هذه الادعاءات بالقضاء على باجواس، كما تأكدت سلطته بكون أن مؤامرة باجواس قد تمت إدانتها من قبل جميع الرعايا ديودورس XVII Diodorus .

4- الملك العظيم والأرستقراطية الصفوة الحاكمة الفارسية:

هناك فرصة أولية بأن اعتلاء دارا Darius للعرش في تلك الظروف قد حاز الدعم من قبل الأرستقراطية الفارسية، ولحسن الحظ لدينا معلومات هائلة قام كتاب الإسكندر Alexander بحفظها، مما يوضح هذا الأمر، وفي هذا المقام لن نقوم بمناقشة كل هذه المعلومات بالتفصيل من ناحية أنه ليس كل ما كتب يفيد البحث، ومن ناحية أخرى أن اهتمامنا هنا هو التحليل لوظائف وتكوين طبقات الأعراق الاجتماعية السائدة بصفة عامة وملاحظة التغير بها.

وتقع في قلب دائرة الاهتمام الملكي جماعة الأقارب، وكما رأينا في الفصل الثامن، فإن الكلمة ذاتها تشير إلى عنصرين متميزين، وهما موضحين في مسيرة دارا Darius قبل معركة إيسوس Issus وهي إحدى الجماعات التي تسبق الموكب الملكي، وهم ذوي القربى الملكية، وكانوا 1500 رجل و200 من صفوة الأقارب يحيطون به يميناً ويساراً انظر:

Quintus ، ويحدد ترتيب الموكب واختلاف المواقع درجة القرابة، حيث إن أولى المجموعات هم الأقارب، وهي طبقة حرفية في البلاط، والمجموعة الثانية هم الأقارب الفعليين، وفي معركة جوجاميلا كان المقربون موضوعين بجوار الملك أريان 503، وقد اختير عشرة آلاف منهم للشجاعة والولاء ديودورس XVIi59 Diodorus ومعهم أربعون يمثلون نبلاء الفرس من آسيا الصغرى، ومن بين المقربين جدًّا هناك من يلقب بـ «الصديق»، وهو ذو مكانة عالية في الترتيب الهرمي للحكم، وهو مازايوس الذي لم يكن مجرد صديق لدارا Darius ديودورس XVII55 Diodorus ، ولكن كان أكثر الأشخاص تأثيراً في البلاط بلوتارخ 39.9، وهذا الترتيب الهرمي يمثل الأكثر قرباً للملك، وهناك مراكز خاصة تمنح شرفيًّا للتكريم، وتمثل وجهة النظر الملكية لمن يستحقون التكريم، ومن السهل تمييز الدائرة القريبة جدًّا من الملك، وهم القادة الكبار أريان III23 ، ومنهم أرتبازوس Artavazus ، وكان حسب قول كوينتوس المؤرخ أنه كان رئيس البلاط، وكما يشير أيديان «إن الإسكندر Alexander حافظ على أرتبازوس وأبنائه بجانبه في موضع مشرف؛ لأنهم من أنبل الفرس بسبب ولائهم لدارا Darius » وهذه الأمثلة القليلة تثبت أن العلاقة بين الملك أو الطبقة الأرستقراطية مبنية دائماً على تبادل الهبات والخدمات أو الحظوة مقابل الولاء، وأن النبلاء يحددون موقعهم حسب درجة أصولهم والقرب من الدائرة الملكية، وقد كان أوريكسينيس Orxines الذي قاد جيش الفرس في معركة جواجاميلا يفتخر بنسبه إلى الفرس السبعة العظام، وأنه ينتمي إلى طبقة قورش Cyrus عن طريق مركزه كقائد لقبيلة باراريا.

ويثبت مثال أرتابازوس مع نماذج أخرى إيديان أن الإسكندر Alexander في إطار سياسة التعاون مع الإيرانيين قد اتخذ المنطق العقلي للحقبة الأخمينية لصالحه، وذلك بأن قام بتكريم من يحمل لقب

منتسب إلى الأسرة الملكية للفرس الذي انضموا إليه إيديان VII11 ، وقد تبنى أسلوب جعل المقربين هم ذوي القرابة في التسلسل الهرمي للسلطة، وهذا المنوال هو الذي ظل سائداً في الحقبة الأخمينية.

ونظراً لاستخدام اللغة اليونانية كلمة القرب والقرابة بمعنى واحد Syggenesis فليس من السهل التمييز بين كل المعنيين إلا في حالة كسر الروابط الأسرية بطريقة صريحة، وعندما يقوم نصان بتوضيح كل منهما الآخر في ديودورس Diodorus وكينتاس، حيث يستخدم ديودورس Diodorus لفظاً مكملاً «الأخ والأقارب الآخرين»، وبالنسبة لإيريان كان لدى بيسوس Bessus روابط عائلية، فإن اللفظ قد يستخدم للصديق وبناءً عليه فإن الرقم 200 هم أقارب دارا Darius في موكبه لا يجب أن يفاجئنا، حيث إن العديد من الأبناء غير الشرعيين كان حاضراً في هذا المشهد، وطبقاً لجوستين كان لدى أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني ما يزيد عن 155 من هؤلاء، ويشير اللفظ الذي استخدمه كوينتوس «النبلاء الأقارب» إلى وجود نظام طبقي داخلي مبني على قرابة الدم ودرجتها، وهذا يساعد في تفسير بعض عبارات المؤرخين، حيث قال كوينتوس إن «دارا Darius قد أرسل عشرة رسل، وهم أهم من في البلاط الملكي للاتصال بالإسكندر Alexander ، وكما كتب عن ماداتيس Madates أنه «أعتاد أن يجامع ابنة أخت زوجته»، وهكذا كان أحد أقارب دارا Darius ، حيث إن ماداتيس كان بوضوح متزوجاً بحفيدة من أوستينس Ostanes أخو أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني وأباً لسييجامبيس .

وكان أيضاً لدى دارا Darius كثير من ممثلي عائلته المباشرة حوله، أولاً نلاحظ وجود أفراد من أسرة أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث وهو بيثانيس Bisthanes الابن الوحيد على قيد الحياة، والذي كان له مركز خاص لدى الملك إيديان III و1، وثلاثة أبناء وزوجة أوكاس Ochus

كانوا بين أتباعه كوينتوس 12 III ، ولا بد من وجود زوجات وأصدقاء لهم، وهم الذين كانوا في آخر الموكب الملكي، ونذكر أيضاً حفيده لأوكاس أرتاكسركسيس Artaxerxes الرابع الذي أصبح فيما بعد ملكاً للفرس، وقد كانت ابنة لأحد أبناء الملك، وقد كان زوجها ممن يسمون بالأقارب لدارا Darius ، وبهذه القدرة والروابط الأسرية امتلك القيادة العسكرية العالية كوينتوس VI2.7 ، ونلاحظ أيضاً وجود أربوباليس Arbupales وهو أحد أبناء دارا Darius وهو نفسه كان ذو نسب محل شك كابن غير مؤكد لأرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني إيديان 1.16، وهو قد نجا من حركة التطهير والقتل التي سبقت تولي دارا Darius العرش .

وقد كان أحد القادة المتميزين في الجيش الفارسي، ونعرف أيضاً زوج ابنة دارا Darius واسمه ميثراديتس MIthradetes الذي وقع من على حصانه وأصابه الإسكندر Alexander إصابة بالغة، ومن بين المقربين لدارا Darius ابنة أوكاس Ochus الذي كان من الصغر بحيث لم يتولَّ أي عمل على الإطلاق، وعلى النقيض فإن أوكساثرييس Oxathres أخو الملك العظيم قام بدور بطولي في معركة إيسوس Issus ديودورس Diodorus XVII ، كوينتاس III ، وقد بقي قريباً من دارا Darius حتى النهاية المفجعة.

وهكذا كان الحال في العائلات الفارسية الأرستقراطية وهي ترابط الأبناء والأخوة مع مسؤولية الأب والأخوة حيث كانت جوانب معتادة إيريان Vii ، ويذكر أنه في إحدى المعارك «أتى Memon ميمون مع أبنائه في مقدمة الفرسان»، كما قام روزاسيس Rhosaces بمساعدة أخيه سبيثروباتيس Spithrobates ، وهناك احتمال قوي بأن ميمون كان نفسه ابناً لروساثيس .

وربما كان ميمون نفسه ابناً لروذاسيس Rosaces الذي كان يشغل

المركز نفسه قبل عصر أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث وأرونانيس Orantes قاد الجيش الأرميني المجاور في معركة جوجواميلا إيريان III805 كان نسلاً من أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني، وكان يحكم أرمينيا حوالي عام 1400 زينوفون Xenophon 17 ، وفي بابل جاء مازايوس ليحيي الإسكندر Alexander مع أولاده كوينتوس وأكبرهم وهو بروخوبيليس ساعده في الفرات، ولكن أفضل هذه وأكثرها شهرة هو أرتابازوس Artabazus وعائلته، حيث كان أحد الفروع البعيدة من مارناسيس Pharnaces عم دارا Darius وحفيد أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني من ناحية إحدى بنات الملك، ونعرف أنه بسبب ثورته فقد إقطاعيته، وتسمى هيليز بونتين مارجيا التي كان يحكمها أسلافه منذ زمن كسركسيس Xerxes ، وكان عليه مغادرة بلده متوجهاً إلى مقدونيا حيث معقل عائلته، وهذه القافلة شملت زوجته وأطفاله المتعددين، واثنين من قادته المرتزقة العسكريين مع ميمون ومنتور الذي تزوج أخته ديودورس Diodorus XVI 52.4 ، وبعد أعماله العظيمة في مصر حصل منتور على العفو لصالح أرتابازوس من أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث، ثم تمكن بهذا العفو من العودة مع أسرته الكبيرة أحد عشر ابناً وعشر بنات، ولم يسترد أرضه، ولكن نال الرضاء الملكي الذي وصل أقصى حد له في عهد دارا Darius الثالث إيريان III 23.6 ، وعند رجوعهم اهتم مينتور بتزكية أبناء إخوته إلى المناصب العليا، حيث قدم لهم أعظم كلمات الإشادة بالجيوش، وقد عادت الأسرة كاملة للتفاعل والحياة الحقيقية في عهد دارا Darius الثالث، ومع تقدم العمر بأرتابوز فقد اختلف الأمر بالنسبة لأسرته، حيث خلفه ميمنون في القيادة الحربية بعد معركة جارنيسيوس حتى لقى حتفه في هجوم على ميتيلين Mytilene في صيف عام 33 وقبل موته خلفه ابن أخيه فارنابازوس Pharnabazus في القيادة لمدة 11عام انتظاراً لقرار دارا Darius بالنسبة لاسترداد أرضة إيريان II3.2 .

ويقودنا تفضيل الأقارب في الوظائف والمراكز إلى مروية من هيرودوت Herodotus عن فارنابازوس الذي ثبت في مركزه بناءً على أمر من دارا Darius ، قام بتعبئة المقاتلين المرتزقة لابن عمه تيمونراس Thymondas ابن ميمون، ثم قاموا بعمليات عسكرية فعالة في منطقة بحر إيجة حتى ألقي القبض عليه في كايوس في صيف 332، وقد كان أحد أبنائه ويدعى كوفين Cophen يقود باقي أفراد الأسرة مع ثلاث بنات من مينتور وزوجته وأبناء ميمنون، وكما قال كوينتوس: «لم ينجُ أي بيت من البلاط الملكي من هذه الكارثة»؛ ولذلك قاد ميمنون الأسرة وأرسلهم إلى دارا Darius ، حيث «حسب أن إرسالهم للرعاية الملكية هو أفضل طريقة آمنة من أجل الحفاظ على حياتهم، ونظراً لوجود أسر عديدة في رعاية الملك فسوف يشملهم في الدعاية الملكية»، ونحن نشك في التعليق الأخير لديودورس Diodorus حيث إن العبارة توحي بقاعدة عامة وهي أن الأولاد والزوجات للعائلات البارزة تظل في البلاط الملكي حتى لو كان في حال التنقل سواء في أوقات السلم أو الحرب .

يعطي التكوين الوظيفي الاستعماري لحكم دارا Darius الثالث تفسيرات متعارضة وأولها استمرارية الأمور كما هي عليه في عهد دارا Darius الأول وكسركسيس Xerxes حتى إن هذه المراكز تأخذ طابعاً أسريًّا يمكن توثيقه بواسطة هيرودوت Herodotus بالاسم الفصل 7، وأفضل مثال على ذلك هو عائلة فارناسيس Pharnaces وبارناكا Parnaka ، وباستمرار احتلال المراكز وتوارثها وارتباطها بالأسر بين الأبناء أو من يقوم بدور الأب أو ابن الأخ وفي الوقت نفسه كان الموروث الاجتماعي العرقي الفارسي يسمح ببعض نفاذية غير الفرس لأسرهم، مثل ترقية بيلشونو في بابل فل 8/14، وهذه الروابط الأسرية لها ثقل سياسي سوف يناقش في الفصول القادمة.

وهناك ارتباطات أسرية بالإقطاعيات مثل أسرة داسيليوم Dasylium

وروديانز مينتور وميمنون فصل 2/16 وأسماء شخصية مثل البوليتز في صوصا وبعض أولاد مازايوس، وهناك إقطاعية كاريا Caria التي تحكمها الأسرة التي كانت فارسية في الأصل، وترجع إلى أرونتاباتيس Orontobates انظر: Strabo 2.17 XIV .

5- الجيوش الملكية: وجهة النظر الإغريقية:

نعرف من وجهة النظر الإغريقية التي تتكرر من وقت إلى آخر في الأعمال الحديثة أن إحدى السمات الواضحة للدفاع الفارسي كانت عدم قدرة «الملوك العظام» لوضع ما يستحق تسميته بالجيش في ميدان المعركة لمواجهة القوات الإغريقية التي تفوقهم في الشجاعة والعتاد .

وبناءً على هذه الظروف، لم يكن أمام هؤلاء الملوك العظام إلا الاعتماد على قوات المرتزقة الإغريق في المقام الأول إذا أرادوا شن الحرب، حيث إن الإغريق المرتزقة فقط هم القادرون على إبطاء تقدم الجيش الإغريقي القوي المرسل إلى الأرض المستعمرة، وقد طورت هذه الآراء السخيفة بواسطة زينوفون وأفلاطون مع مؤلفين عدة من القرن الرابع؛ وذلك لتمجيد أعمال وفتوحات الجيش الإغريقي والعشرة آلاف وعدم حيادية أجيسيلاوس Agesilaus .

حيث يحدث الربط بين اللجوء للمرتزقة وتفكك قواعد تعبئة الجنود للجيش الملكي في بابل أو أي مكان آخر، ومن المهم أن نناقش بصفة عامة هذا الرأي، حيث قدمه الكتاب القدامى، ثم تكرر في العصر الحديث في إطار جيوش دارا Darius الثالث، ودعونا نركز طبقاً لإيريان 101404 أن قوات الفرس في معركة جارنيسوس كانت تبلغ 20 ألفاً من المرتزقة الأجانب، وهو عدد يساوي قوة الفرسان في الجيش الفارسي، وقد كتب كوينتوس كورتيوس 801 III أنه: «في ليلة معركو إيسوس Issus كان الجنود الإغريق بقيادة ثيموندداس Thymondas

هم أمل دارا Darius الأساسي والوحيد، وقد كان لدى الملك العظيم ثلاثين ألفاً من المرتزقة في هذا الوقت 209 III ، وهل هذا يعني أنه في أثناء القرن الرابع قد تراجعت القدرات العسكرية الإمبراطورية إلى هذا الحد الحرج؟

ومن أجل الإجابة عن هذا السؤال لا بد لنا أولاً من تحليل أصل هذه النظرية وشخصية مؤلفها الحقيقي، ومع أن أفلاطون وزينوفون أبيوقراطيتس قد فعلوا الكثير من أجل تدعيم مصداقيتها، إلا أن الشخص الذي ابتدعها هو ديودورس Diodorus الذي يعتقد أنها استلهمها من إيفوراس Ephorus ، وهو الذي يعرف بانحيازه ضد الفرس، وعادة ما يظهر ديودورس Diodorus المرتزقة الإغريق في مقدمة الحروب وخاصة أثناء الحملات المصرية بإظهار أسلوب روائي محاولاً تقديم التفاصيل المادية المحددة، وهذه المقتطفات غالباً ما يتناولها المؤرخون في العصر الحديث ومن أجل تعرية طريقة ديودورس Diodorus سوف نبدأ بمقالته الطويلة لحملة أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث ضد مصر فصل XVI ، وسوف نتناول في سياق الحملات الفارسية ضد مصر التي أوردها المؤلف نفسه، وهي حملات في الستينيات من عام 400 والسبعينيات من عام 300 مع سجلات للعمليات مع أو ضد أرتبازوس في الخمسينيات من عام 300؛ لأنها مأخوذة عن إيفوراسي، ويسهل اكتشاف تشابه وتكرار كل مقالاته .

1- إن الفرعون والملك العظيم قد دعموا جيوشهم بمساعدة المرتزقة الإغريق: كأن يوجد 10 آلاف منهم في جيش أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث، أربعة آلاف منهم مرتزقة من مدن إغريقية وكل مدن أوروبا، وكذلك كان هناك ألف من المرتزقة من طيبة تحت قيادة لاكراتيس، ومضاف لهم أربعة آلاف من رجال مينتور -القائد السابق للمرتزقة- وقد جمع نيكتانيبو الثاني Nectanebo عشرين ألفاً من المرتزقة

الإغريق -حسب قول ديودورس Diodorus - و12 ألفاً تبعاً لما ذكرة نيلوس، كما جمع أهل ميدا عدداً كبيراً منهم، وكذلك كان الحال بالنسبة للملك العظيم ضد قبرص، وعلاوة على ذلك، كان الجيش في إيناروس Inarus في عام 460 يحتوي على المرتزقة، كما كان المتمردون المصريون يعتمدون على المعونة الخارجية التي ترسلها أثينا، وغالباً ما تصور المرتزقة في السير الذاتية مثل سيرة ميجابيزاس Megabyzus .

2- يظهر الإغريق في مقدمة صفوف الجيش: تبعاً لديودورس Diodorus كان الإغريق هم من يأخذ المقدمة، ويشتركون في الأعمال الحربية، بينما كان باقي الجيش يشاهدهم، ويبقون في حالة احتياطية تحت قيادة أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث .

حيث كان قادة جيشه تابعين لهم XVI 47 ، وهذا بالضبط ما يريدنا ديودورس Diodorus أن نصدقه عندما يذكر أن أرتاكسركسيس Artaxerxes كان حريصاً عند تجنيد المرتزقة وقادتهم بسبب تذكره للهزيمة السابقة مع الجيش العظيم، وهذا استنتاج غريب، حيث يوحي أنه في الهزيمة السابقة لم يستخدم المرتزقة، وعكس ما يروجه ديودورس Diodorus من أن دورهم كان مؤثراً جدًّا في الحملات المصرية XV. 47 ، كما يلاحظ ديودورس Diodorus أيضاً وجود قوات بربرية «في جيش الملك العظيم، ولكنه في كل حال يلقي الضوء على القيمة والشجاعة غير العادية للقادة الإغريق، كما يصر على المقارنة بين الإغريق ورؤسائهم، سواء كانوا مصريين أو فرس، وبالطبع تكون المقارنة لصالح الإغريق، كما أنه من المثير للدهشة التوازي الذي يتم بين الجيشين والذي يصر على تقديمه برؤيته المتحيزة الخاصة، وهذا يتضح عند استعراض ترتيب أحداث المعركة، حيث قال: «كان كل من دارا Darius ونيكتانيبو Nectanibo كانوا مختبئين في الاحتياط خلف خطوط المواجهة، كما لو كان الإغريق يمثلون قلب قواتهم النظامية.

وهناك منوال متكرر في الروايات التي تخص مشاركة شـارز Chares في تمـرد أرتابازوةس عندما يركز ديودورس Diodorus أن شارز حارب دعماً لـه، ومـن هنـا يتضح أنه يرجع أي مجد بسبب الانتصارات للإغريق، وشارز هنا وبالطريقة نفسها تعامل مع ثوار طيبة، حيث قام «بهزيمة الأعـداء في معـركتين عظيمتـين، وقـد نـال المجد لنفسه وقومه» أن من العجيب ان احداً أي إيفوراس وديودورس Diodorus لم يذكرحتى وجود أرتابازوس مع شارز قائلاً إنه هـو وحـده الـذي قـاد عشرة آلاف من المرتزقة لتحقيق النصر الباهر على تيتروستيس Tithraustes الـذي قـاد جيشـاً كبيراً من الفرس يناهز عشرين ألفاً كان معظمهم من الفرسان، وهنا نؤكـد عـلى أن هذا التقـديم لا ينطبـق فقـط عـلى الفـرس: حيـث يطبـق ديـودورس Diodorus الأسلوب نفسه على الفراعنة وجيوشهم، وكذلك الجـيش الفينيقـي الـذي ثـار عـلى الفرس، وباستخدام تعبيرات متكررة، يصف فضـائل أعـمال المرتزقـة الإغريـق التـي أشاد بها حكام سـيدون XVI 41 ، ولكـن في الواقـع هنـاك فقـط أربعـة آلاف مـن المرتزقة لمنتور فقط في هذا السياق.

3- وكما قرر ديودورس Diodorus فـإن المواجهـات في الحمـلات العسـكرية تبدو كما لو أنها مبارزات أو حروب محدودة بين الإغريق أنفسهم في كـلا الجـانبين بالرغم من ذكره للمصريين والليبيين في جيش نيكتونيبـو Nectonebo الثـاني وهـو نادراً ما يستدعي أيًّا مـنهم إلى موقـع الأحـداث، حيـث إن الإغريـق وحـدهم هـم الـذين دافعـوا عـن البلوزيـام بشـجاعة حتـى لـو علمنـا بالمصـادفة أن الحمـلات العسكرية شملت الإغريـق والمصريـين، وحتـى عنـدما أشـار إلى ذلـك كـان يقصـد المقارنة بين أداء الإغريق والمصريين وبالطريقـة نفسـها يـتم التعامـل مـع الجانـب الفارسي، حيث واجـه أهـل طيبـة الفيلـوفرون الإسـبرطي الـذي كـان يقـود حاميـة البليوزيام، وقد قامت الحامية بإلقاء أنفسهم في المعركة.

بكل شجاعة «حيث أرادوا أن يثبتوا أنهم أفضل الإغريق، وأفضل من يشاركون في الحملات» وكان نيكوسترايوس Nictostrutus أول من عبر النيل والأكثر عزماً على مواصلة العمليات، وهو طبعاً كان أحد الإغريق الآخرين، وكذلك كان الحال مع لاكراتيس الذي واصل بكل همه حصار البيلوزيام.

4- إن هذا التقديم معد جيداً، ومبني على أساس فرضية واحدة وهي تفوق الإغريق في الجنود والضباط، وهم كانوا من التفوق بحيث إن كل الانتصارات كانت بسببهم، كما تعود الهزائم إلى أخطاء رؤسائهم، وبهذه الطريقة أرسل هاكوريتز Hadoris إلى غابرياز Gharbias لأنه ليس لديه قائد ذو كفاءة، وبالمثل كان ذلك مؤكداً لأن فارنابازوس أصر أن يرسل له أهل أثينا إيفيكراتيس Iphicrates الذي خصص له ديودورس Diodorus فصلاً كاملاً لتمجيد إنجازاته الرائعة XV.44 ، وبالمثل طلب أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث من القبائل أن تعطى القيادة إلى نيكوستراتوس المشهور بشجاعته وقدرته الحربية وبالمنطق نفسه يتعامل كل من جابرياس وأجيسيلاوس Agesilaus مع تاكوس Tachas بسبب عدم كفاءته العسكرية والثقة الزائدة من أنه حول قيادة جيشه إلى الإغريق المرتزقة، وهم ديوفانتوس Diophantus من أثينا ولامبوس Lamius من إسبرطة XVI 48 ، والتفسير نفسه يقدمه ديودورس Diodorus في هذا الإطار لفشل تاكوس Tachas في عام 361-359، حيث إنه تجاهل المشورة الحكيمة من أجيلاسيوس XVI 192 ، وبالمثل فارنابازوس تجاهل الاقتراح القيم من إيفقراتيس XV 43 Iphicrates ، فقد كان القادة الإغريق في الواقع شجعان وذوي سرعة في اتخاذ القرارات «وبالعكس كان القادة الفرس» جبناء ومعدومي الخبرة» ويتسمون بالتردد والجبن»، وقد استغرقوا وقتاً طويلاً في إعداد جيوشهم، مما قلل من سرعتهم في الإغارة على العدو، ولم يتوقفوا عن طلب المشورة من الملك العظيم XVI 42 ، وهذا سبب كثيراً

من الصدامات بين الإغريق وقادتهم الفرس، حيث كانوا يحسدونهم على مهارتهم العسكرية، وهذه هي الخلفية وراء نزاعاتهم في سنة 334 و343 ديودورس XVII Diodorus وآريان 1012، وتتم المقارنة بين الشجاعة غير العادية للإغريق، وجبن المصريين المحاربين الذين لا يفكرون بعد الصدامات الأولى مع الفرس إلا طلب المهادنة والسلم Xi.77 .

5- إن تفوق الإغريق اعترف به الفرس أنفسهم، وهذا بالفعل ما يميز العرض الذي وصفه وقدمه زينوفون Xenophon للمراجعة العسكرية التي نظمت في صقلية بواسطة قورش الأصغر Cyrus ، حيث كان الإغريق وحدهم هم الذين أثاروا الرعب بين البربريين 17 102 Anab .

والحالة نفسها تكررت أثناء الحملات المصرية؛ لأنه أعجب ببسالة الإغريق حيث إن ميجابيزوس Megabyzus قد وافق على إجراء معاهدة معهم؛ لأنه كان يخشى المواجهة المباشرة ديودورس 77 XI Diodorus ، حيث أنقذ الإغريق أرواحهم «بشجاعتهم» 77 Idiaarte ، وهناك بعض الحكايات والنوادر عن بوليانوس Polyoenus الذي كان هو نفسه معتمداً على الفوارس، وقد روج كثيراً لهذه النغمة المتكررة، وعلى سبيل المثال عند مواجهة الفرس كان جاسترون Gastron وهو قائد إسبرطي في مصر، قام بتسليح الإغريق بالطريقة المصرية وتسليح المصريين بالطريقة الإغريقية، ووضع المصريين في الخطوط الأمامية، «وقد خدع الفرس بهذا المظهر حيث انطلقوا إلى المجهول ولاذوا بالفرار، وفي موقف مشابه كان أورونتيس في مواجهة أوتوفراديتس يأمل في التأثير على عدوه ويعطيه انطباعاً بوصول إمدادات من المرتزقة الإغريق في الطريق؛ ولذلك «قام بتسليح معظم الرحل والبرابرة بالزي الإغريقي، «ثم قام بخلطهم مع الجيش الإغريقي»، وعندما رأى العدو هذه الجيوش الإغريقية ظن أن الإمدادات العسكرية قد وصلت إليهم، وأقنع نفسه بأنه لا يستطيع الانتصار على هذه القوات المتجددة، ومن ثم تراجع ولاذ بالفرار .

6- شجاعة الإغريق العسكرية هـي بسـالة غـير عاديـة، وهـذا بصـفة عامـة بسب كونهم مشاركين بأعداد أقل، ففي عام 343 كان عـددهم عشرة آلاف داخـل الجيش الملكي 40 XVI ولاحظ تكرار الرقم بطريقة نمطية، وفي الجانب المصري في عام 343 نجد 20 ألفاً من الإغريق مع 20 ألف ليبي و60 ألف مصري 47 XVI .

6- استخدام المرتزقة والتدهور:

الحقيقة الأخمينية ومصفاة أثينا:

إن التناسق والمصداقية الواضحة في هذا البحث الذي قمنا بتوضيحه جـديرة بالملاحظة؛ لأنه مصنوع بعناية في القرن الرابع بواسطة مؤلفين إغريق، ولكـن هـذا فقط يبدو في حالة تناقض، حيث إن هذا الإجماع هو الذي يدخل الشك الكبـير في كل جزء من هذه الروايات رغم تناسق عناصرهـا، وهكـذا في الصـورة الكليـة لهـذا المبحث، وفي الحقيقة يبدو أنه تم بناء هذا العـرض عـلى أسـاس التعـارض العرقـي الأصولي بين الإغريق والبربر، وهذا الاعتقـاد يـتم التأكيـد عليـه باسـتمرار بواسـطة المتعصـبين للإغريـق أبيسـوقراطيس وإيفـوراس، مـع مؤيـدي نظريـة «التـدهور الفارسي» وأنصـاره هـم أبيسـوقراطيس وإيفـوراس وأفلاطـون وزينوفـون، ويتقـدم تحليل التدهور خلال نغمة متكررة فعالة ومتناغمة عن الثروة والترف، مـما جعـل الفرس يتحولون في تصورهم إلى ما يشـبه الإنـاث بسـبب الـترف، وقـد تخلـوا عـن التقاليد العسكرية، وهذه الأدلة المتوفرة يتضح زرعها في يوميات الحـرب الفارسـية الإغريقية، ونتذكر أنهـا كاملـة في خطبـة هـيرودوت Herodotus التـي قـدمها إلى أريتساجوراس Aristagoras لإلقائهـا عـلى أهـل إسـبرطة: «إن البرابـرة ليسـوا فقط أغنياء بطريقة فاحشة، ولكن ليست لديهم قدرة عـلى الحـرب، وكـم هو سهل أن نهزمهم، وأنتم أقوى قوة في العالم الإغريقي»، ومن الواضح أن

هذه الفكرة كانت معروفة من معارك سابقة مثـل: ترمبـولي - سـلاميس - بلاتيـا - سـيكال؛ لأننـا نعـرف أن ذكـرى كـل هـذه الصـدامات يـتم الحفـاظ عـلى أسرارهـا بقدسية، وكذلك يقوم مؤلفو أثينا في القرن الرابع بتحويرها، وعلى أية حـال يكفينـا أن نستعين بتفسير ديودورس Diodorus وإيفوراس لمسـلك الإغريـق في مصر، وفي وقت مشاركتهم في المعارك في صفوف إينـاروس Inarus ، حيـث كـانوا يـأملون أن يكونوا جـديرين بأمجـاد أجـدادهم في ترمبـولي، وقـد قـدم شـارز Chares لبدايـة الحروب الفارسية الإغريقية؛ لأنـه بعـد انتصـاره عـلى ثيتروسـتيس Tithraustes لم يتردد في تقديم هذا النصر لأهل أثينا باعتباره «أخت معركة ماراثون Marathon » بلوتارخ 16.4 .

لم نعد بحاجة إلى توضيح التهافت العقلي وما يتضمنه الافتراض الأيديولوجي المقدم في هذا البحث، وفي الوقت نفسه قام كتاب آخرون بكتابة نظريات مختلفـة تماماً عن المكونات السياسية «للصولجان»، وهو مـا يرمـز إلى القـوة، وقـد وضـحوا المهارة العسـكرية وشـجاعة المقـاتلين الفـرس عنـد مواجهـة الإغريـق أو الإسـكندر Alexander والمقدونيين، ومع ذلك، ومن أجل الفهم الأفضل لهذه الأنماط المتكررة من الناحية الفعالة والمنطقية، ومن أجل المحافظة عليها، يجب أن توضع في إطـاره الصحيح، وعند وضعها في إطار صحيح بما يوافـق الخمسـينيات بعـد الـثلاث مائـة، فإن هذه الروايات عن اسـتخدام المرتزقـة يعكـس منـاظرة داخليـة في المدينـة مـع وجود عوامل متعددة توضع في الاعتبار، فإنه يكفينا أن نتناول الأوامر التي سـلمها ديموثينيس Demosthenes أثناء الحرب وتغـاير فيليـب الثـاني Philip II ، حيـث أراد رفع الروح المعنوية.

فقـد وصـف بالنغمـة المتكـررة نفسـها التـي تصـف عيـوب النظـام الأخميني، مثلاً يتصرف فيليب مثل البربري، ويحيط نفسه بالأغبياء، «وكـان كل من حوله رجال عصابات وطفيليين، وأناس من هذا القبيل مـن النـوع الذي يشربه وحتى الثمالة، ثم هناك مـن يقـوم بـالرقص، وأنـا اكتـب لـك

عمن يحدثوا هذا الضعف المعنوي مصحوباً دائماً وبطريقة طبيعية بالجيش المقدوني، وقد تقدم ديموسينيس بشهادة مذاعة ومجهولة الاسم، وكان مستعداً لاغتياب زملائه الجنود، وقد قال: «إن المشاة والمرتزقة الإغريق متشابهون» إن المشاة والفرسان التابعين له مشهورون بالجندية المثيرة للإعجاب وحسن التدريب، ولكن -وحسب ما علمت من أحد القرويين الذي لا يمكن أن يكذب- «أنهم ليسوا أفضل من الآخرين».

ولم يكن من الصعب أن نلاحظ في منطقة المدني أن استخدام المرتزقة كان يعارضه ديموسينيس Demosthenes ؛ لأن المرتزقة كانوا متلهفين للحرب والفوز بالغنائم والمال، وغالباً ما يقوم قادتهم بأخذ المبادرات عكس مصالح المدينة فصل Olynt 11.28 - أيزوكراتيس 44، وفي خطابه الأول، الذي ألقى في 351 قام فيليب بمطالبة إخوته المواطنين لإعادة تكوين جيوش من المواطنين، وأدان قادة المرتزقة الذين لا يترددون في بيع أنفسهم لمن يدفع أكثر، «فهم يذهبون لأرتابازوس أو إلى أي مكان»، وهذا ما يقدمه العلماء المحللين «أنهم لا يريدون أن يجدوا أنفسهم في الحرب بسبب الخطر، حيث يدفع أهل أثينا للفارين من الحروب»، والتقييم نفسه يوجد عند ديودورس Diodorus X 34.8 ، حيث تضمنت مناقشة عامة مقارنة المدن اليونانية مع المرزبانات والملوك والمؤلف، وهو هنا يقوم آراء إيفوراس يطالبهم بعدم اللجوء إلى العادة المقيتة باستجلاب قوات عسكرية من المرتزقة محل الجيوش التي تنبع من الشعب، ولا يحل ديودورس Diodorus من تكرار الحديث المتكرر عن رؤية الإغريق أهل أثينا للحروب الفارسية، حيث يؤكد على الشجاعة والإقدام للإغريق، وتفوقهم على العدد الكبير من البرابرة، وفي كلمات شبة متماثلة يصف ديودورس Diodorus اللجوء إلى المرتزقة كدليل على الانحطاط للروح المدنية مثل زينوفون عندما يناقش الفرس في الفصل الأخير أو أهل إسبرطة في الفصل الأخير من كتاب الدستور

أهل اسبرطة في الزمن القديم والفرس في الزمن الحديث، حيث يحلوا لديموسينيس Demosthenes أن يقارن فضائل القدماء مع الانحطاط الأخلاقي الذي يراه في أهل أثينا في عصره، «وفي العصور القديمة كان ملك هذه المدينة -مقدونيا- كان خاضعاً لأهلها كما يجب أن يكون البربري خاضعاً للإغريق».

وفي العصور القديمة بدلاً من اللجوء إلى المرتزقة كان الناس لديهم الجرأة للانضمام للحملات العسكرية، وهذا الحوار شامل، ويأخذ بعداً عالميًّا، وينطبق على أية دولة تشك في قدرتها على تعبئة وحشد شعبها ضد العدو، وهذا يفسر قلة اعتماد الفراعنة على شعبهم واعتمادها الأكبر على الدفاعات الطبيعية ديودورس Diodorus XV42 ، وهذه الازمة متكررة في الأدب الإغريقي، وهي لعنة الموت التي تعقد كل آمالها في مناعتها الطبيعية بدلاً من الاعتماد أولاً على شجاعة شعبها، وهو الاتهام نفسه الذي يوجهه الإسكندر Alexander ضد الفرس آريان VII 7.7 .

وبالطبع كما تكرر سابقاً فإن الخداع الأيديولوجي للمصادر الإغريقية لا يصل إلى درجة الدليل في مصداقيته: الحقيقة الأخمينية تهدف إلى تدقيق الاتهامات التي تهدف في المقام الأول إلى وصف الفرس بالانحطاط في الروح المدنية، وهذا يتوازي مع الضعف المفترض في مقاطعات الملك العظيم وجيوشه، وكل من أوجه التوازي تقدم في المقارنة في «الفضيلة في الماضي» و«الانحطاط في الحاضر»، وهذا يفصل من قطعة قماش كبيرة سواء كان يخص أثينا وإسبرطة أو فارس، وفي منطق هذا البحث الذي نحن بصدده تقوم المراجع الفارسية أو المصرية بلعب دور أولي مساند، وبهذا لا يمكن أن تستخدم كدليل في حالة التدقيق العلمي، وفي هذه الحالة وبالرغم من عدم التفكير في مراجعة فعالية وتنظيم جيش فيليب Philip فقط خلال الأقوال المتناثرة لديموثيثنس، فكيف يمكن أن يكون أي مؤرخ بهذه السذاجة بحيث يقبل

تصوير الإمبراطورية الفارسية بناءً على مؤلفات إغريقية أو خطب ألقاها أهل أثينا، أو القيت عليهم، ويمكننا أن نتخيل أن الخطيب القديم سيكون مندهشاً بالفعل لو علم أن التدقيق في المعلومة والتحليل السليم هو ما يمنح الخطبة قيمتها الحقيقية أفضل من البلاغة مثل تحليل إمبرطورية أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث ودارا Darius الثالث كما لو كانت مدينة لا تستطيع الدفاع عن نفسها، وتضع أمنها أمانة في أيدي مرتزقة أجانب، وتنام هي قريرة العين.

نسق القيادة:

ونظل متشككين بالمثل تجاه تقديم ديودورس Diodorus لنسق القيادة عند مشاركة قادة المرتزقة الإغريق في الأعمال القتالية، وقد رأينا من قبل أن ديودورس Diodorus قد ذكر أن أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث قد أوكل فهمه لقيادة ثلاثة من جيوشه في عام 343 إلى قيادة ثنائية مشتركة بين الفرس والإغريق في كل منهما، بل قد أرادنا أن نصدق أن كل المناورات التي تمت في الحروب كانت من عمل القادة الإغريق حيث كانوا هم القوة الحقيقية وكان الفرس مجرد رؤساء بالنسبة لهم وهم السلطة، ودليل على ذلك أن أريستازانيس Aristazanes قد اشترك في القيادة مع نيكوستراتوس 47.3، وحارب باجواس في صفوف مينتور، وبصرف النظر عن القابهم، فإن أفعال القيادة أحياناً تزيل الشك الذي تولده تعبيرات وكلمات ديودورس Diodorus : «بعد أن قام لاكريتس بالاتفاق مع المرتزقة في مدينة بيليوزيام Pelusium أرسل أرتاكسركسيس Artaxerxes باجواس مع بعض البربريين للاستيلاء على المدينة، وهنا تكون العبارات محددة، وهي أن الفارسي كان مسؤولاً عن المدينة من الناحية الرسمية باسم الملك، وفي مدينة باباستيك، أرسل الإغريق المتواجدون بالحامية العسكرية المبعوثين إلى باجواس حتى يكون أول من يدخل إلى المدينة في صحبة البرابرة.

وعلاوة على ذلك، يصور ديـودورس Diodorus صراعـاً ينشـأ بسـبب الإدارة المشتركة بين الفرس والإغريق مثل النزاعات بين باجواس ولاكراتيس 49-1 أو مينتور وباجواس 6-50.1، وهذا الدليل يوجد أيضاً في حملة 373 «أصبح مارنابازوس مرتاباً من وقاحة وجرأة إيفيقراطيس خوفاً من الاستقلال بمصر لنفسه، وكان بعض القادة الكبار من جانب فارنابازوس يحملون الحقـد تجاهـه، ويحـاولون حبـك المـؤامرات والاتهامات الظالمة ضده ديودورسXV43 Diodorus ، واشتراك قادة المرتزقـة في هذه المؤامرات قد نال مـن قـورش الأصـغر Cyrus ، وفي كـل حالـة يسـتقر اتخـاذ القرار عند الفـارسي القـائم بـالإدارة، وقـد نشـك في ذلـك عنـدما يؤكـد ديـودورس Diodorus على أن الرضاء الملكي قد ناله ثلاث من قادة الفرس في سنة 343 بسبب أعمال الإغريق العظيمة، ومن بين الثلاثة، كان باجواس هو «الـذي وثـق بـه الملـك بدرجة أكبر».

ويبدو الإغريق بهذا الوضع المعتاد بسبب خبرتهم العسكرية ومهارتهم التـي ينسبها لهم عمل إيفوراس، فقد رأينا كاتباً مجهولاً يرجع توجيه الأعمال العسـكرية ضد تيثراوستيس إلى شاريز وباமينيس، وبسبب إشارة عرضية، نعلم أنه بعـد حملـة بقيـادة بـامينيس مـنح أرتابـازوس قيـادة قواتـه العسـكرية إلى اثنـين مـن إخوتـه أوكسيثراس وديبكتوكا بوليانوس VII33 ، وربمـا يكـون الإغريـق في المقدمـة لرغبـة الفرس في التضحية بهم في الخطوط الأولى، وادخار قوتهم الأساسـية احتياطيًّـا تبعـاً لتطورات المعركة، وهناك حالات يكون فيها الإغريق قـادة لأنهـم احتفظـوا بقيـادة الوحدة العسكرية التي جندوها مثلما حدث في جـيش قـورش الأصـغر، ومـع هـذا فإن القيادة المحدودة للإغريق كانت متداخلة في تسلسل قيادي أكبر برئاسة الفرس والتوجيه العام للعمليات العسكرية والقـرارات الاسـتراتيجية التـي أصـبحت في يـد الملك العظيم نفسه .

ميمنون، المنتسب الفارسي، ودارا Darius الثالث:

من المدهش أن نلاحظ مرة أخرى أن ديودورس Diodorus في هـذا الوقـت في كتاب XVII يكرر الوتيرة نفسها من التفسـير للمركـز غـير العـادي الـذي شـغله روديان مينون في بداية حكم دارا Darius الثالث، وفي عصر الهجوم الأول المقدوني من 335 إلى 336 كان ميمون فقط هو القادر على شن الهجـوم المعتـاد وكـان هـو الوحيد الذي ألجأ بارمينون Parmenion إلى الفرار بالقرب من بيتان وبالرغم مـن أن دارا Darius اختار «أحسن قواده»، فقد اختار ميمنـون، ووضـع تحـت قيادتـه خمسة آلاف من المرتزقة، وأمره بالمسير إلى سيزيكوس ومحاولة الاستيلاء عليها.

ما سبب هذا الاختيار؟ لقد كان ميمون منفرداً في الشـجاعة: أنـدريا، ويملـك الفكر الاستراتيجي العسكري، ويتضح موقعه المشكوك فيه أثناء مجلـس الحـرب في زيليا، وهذا ما يصفه آريان وديـودورس Diodorus ، ومـن الواضـح أن ديـودورس Diodorus يحاول جاهداً شق سياسة تنتهي إلى تميز ميمنـون عـلى بـاقي الفـرس، بسبب ما يدعيه من قدرته العسكرية مع رسم القادة الفرس بصورة فاقدي القدرة الحربية بسبب تأخرهم في شن الحملات العسكرية وبطء اتخـاذ القـرارات ويبـدو ميمنون في الصورة مرة أخرى أنه هو الذي أشار بالانسـحاب مـن الهجـمات الأولى، حيث قام بهجمات حربية، وأوقـع خسـائر فادحـة لأهـل مقـدونيا، وقـد اسـتدعى مجلساً للمشورة من الضـباط الـذي أحـاطوا بـه، وهـو يـدعى في لقطـات متفرقـة بالقائد العام والمنتسب، وهؤلاء الضباط في المقام الأول هم قادة المرتزقة من بينهم أهل ثينا مثلأثينا مثل ايفياأأثينا

أثينـا مثـل: إيفيـالتيس وثـرايس بولـوس، فقـد اعـترف دارا Darius ببسالته العسكرية غير عادية، وأرسل خطاباً لمن يسـكنون بجانـب البحـر بأن يتحدوا تحت قيادته، ويأخـذوا منـه الأوامـر، حيـث ارتقـى إلى مركـز قيادي أعلى، ومن أجل دعمه أمده بمبالغ طائلة، ومن السـهل أن نتوصـل

مع ديـودورس Diodorus إلى النهايـة المحتومـة وهـي أن مُلـك دارا Darius قـد انهار مع موت ميمنون كما ارتفعت معنويات الإسكندر Alexander وآمالـه فقـط عندما مات ميمنون، وفي هذه النقطة يقوم ديودورس Diodorus بتصوير مجلـس الحرب، حيث تم اقتراح إخراج جيش إلى الساحل يشعر في النهاية أن عليه أن ينزل بنفسه ليشارك في التنافس على المملكة.

وهـذا بالضـبط هـو التفسـير الـذي قدمـه ديـودورس Diodorus لاختيـار أرتاكسركسـيس Artaxerxes لثالـث قبـل الثـورات المصريـة، حيـث «كـان أرتاكسركسيس Artaxerxes محبطاً بسبب جبن وعدم كفاءة قواده، وأراد كذلك أن يتغلب على ضعفه وكسله، وهكذا تبنى خطة تحميل شخص ما لصراعات الحفـاظ على مملكته».

إن تقديم ما سبق يرسم صورة لدارا Darius على أنه شخص مـتردد يضـع كـل ثقته في ميمنون وأتباعه من المرتزقة، ومع ذلك يوجد تعليق معين يفند هذه الفرضية التي ترجع إلى ديودورس Diodorus : «استطاع دارا Darius أن ينطلق إلى صقلية في صيف 333، وهذا بوضوح لأنه بدأ في إعاد جيشه في بابل قبل ذلك بعدة شهور، وهذا لم يمنعه موت ميمنون، ومن الواضـح أن ديـودورس Diodorus أن يركـز قصـته عـلى ميمنون، ولم يذكر القواد الفرس الذين تخلوا عن موقعهم في ميدان معركة جارنيكوس، وهذا نفسه هو ما حدث في معركة هاليكارناسوس، حيث يتعمد نسيان ذكـر الوجـود الحيوي لأورونتوبانيس من أجل المحافظة على مسار فكرتـه التـي يركـز عليهـا، ومـن الواضح أيضاً أن المجادلات التي تم تبادلها في مجلس الحرب في زيليا تستعيد النزاعات بين الإغريق والقادة الفرس في مصر وهو ما أعده ديودورس Diodorus : «في عام 334 في زيليا تم انتقاد قدرة الفرس العسكرية كما أدين تاخوس Tachos ومارنابازوس لرفضهم تبنـي التخطـيط الاسـتراتيجي أي المشـورة الحكيمـة

الإغريقية التي قدمها غابرياس 92 XV وإيفيقراطيس على التوالي، ومن الواضح أن مركز ميمنون غير العادي يفهم بالتوازي مع الوضع الذي منحه دارا Darius لأخوه مينتور في أعقاب الحملة المصرية 50 XVI ، وهو غير مقنع بالمرة، وتلك الثقة المطلقة للملك العظيم في ميمنون وحده تذكرنا بما كتبه ديودورس Diodorus عن المساعدة التي طلبها أرتاكسركسيس Artaxerxes Art الثالث من وصول نيكوستراتوس في بداية الحملة المصرية، وبالطبع لم يكن ديودورس Diodorus هو الوحيد الذي يرجع هذه الأهمية إلى أنشطة ميمنون ولكن إلى الدعم الذي تلقاه من آريان وكوينتوس حتى يصبغوا نظريتهم بالمصداقية، حتى أنهم هم الوحيدون الذين يكتبون في هذا الأمر بهذا التناسق، وسوف نعود لاحقاً لتحليل الدور الذي قام به ميمنون لصد هجمات الإسكندر Alexander ، وهنا في هذا المقام نسجل تكرار بعض الأنماط التي توجد في كتاب XVI و XVII لديودورس Diodorus ، مما يقودنا إلى الحذر من ارتفاع نجم ميمنون والمرتزقة الإغريق، ناهيك عن ذكره لعدم كفاءة قادة الفرس العسكريين، وجبن الملك العظيم.

الملك العظيم والمرتزقة التابعون:

علاوة على ما سبق، أثار أرتابازوس وأورونيتس تحليلاً سياسيًّا ذا أهمية كبيرة؛ لأنه يرجع إلى الملك العظيم نفسه، وفي تقديم بدايات ثورة أرتابازوس ضد أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث، يقدم الكاتب المجهول الاشتراكي Scho. Dem 4.19 المعلومات التالية: «ثم جاء قائد جيش المرتزقة، حيث وضعوا أنفسهم تحت قيادته، وفي أثناء الثورة، وبينما كان الفارسي أرتابازوس يحارب ضد الملك، استدعى شارز، وطلب منه أخذ الجيش إلى داخل الأرض الملكية».

ومنذ الوهلة الأولى، يمثل أمر الملك تفسير الموضوع ضعف السلطة المركزية في مواجهة الأقاليم التي استطاع قادتها بناء الجيوش

الخاصة بهم، وشراء المرتزقة، والتفسير قد تم نقله لدعم الفكرة الرئيسة، وهي وجود اتجاه لإيجاد جيوش خاصة مثل التي نراها في الحقبة الهلينية، وهذا ما يؤكده استخدام أوامر الإسكندر Alexander -كما سجلها ديودورس Diodorus - التي طلب فيها من كل قواده وأقاليمه بمجرد قراءة رسالته أن يتخلوا عن كل المرتزقة الذين لديهم في الحال، ونذكر أنه في أوقات سابقة عديدة قامت ثورات بالأقاليم بمساعدة المرتزقة مثل ستيسياس Cteseas ، ومع ذلك، فإن هذه النظرية ضعيفة، فالمقارنة تبين أمر الإسكندر Alexander بالرغم من أنه عمل رسمي تماماً، فإن بيان ديودورس Diodorus موضوع بوضوح تماماً في الإطار غير المستقر لعودة الإسكندر Alexander من الهند، وفي هذا الوقت -كما نعلم- كان على الملك أن يتخذ إجراءات مشددة ضد الانتفاضات واضطرابات الأقاليم التي استغلت غيابه لإثارة الشعوب ضده، وفي هذا الإطار يظهر ديودورس Diodorus مخاوفه من بعض القادة العسكريين قائلاً: «بعض ممن لديهم قوات مرتزقة قاموا بالثورة ضد سلطة الملك» XVIi 102 بالأوامر التي أعطاها الإسكندر Alexander ، والتي نقلها ديودورس Diodorus ، كان يحاول الإسكندر Alexander حرمان القادة الذين بدوا في الثورات من جنودهم المرتزقة، ولا يوجد نص محدد لذلك، وبدلاً منه قام أرتابازوس بتجنيد المرتزقة بعد ثورته، ومن جهة أخرى لا تقوم الأقاليم بالاعتراض على أوامر الملك، وهذا هو السائد لأنه لا أحد يجرؤ على تحدي سلطة الملك، ولم يكن أحد في هذا الوقت معرضاً للتهديد».

هذه الملاحظات تقودنا إلى مراجعة هذه المعلومات بقدر كبير من الشك، حيث إن المؤلف مال إلى إلصاق الاتهامات بأرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث وهي عامة اتهامات وانتقادات إغريقية لكل ملوك الفرس، وبصورة خاصة تم انتقاده بسبب «الجشع وعدم دفعه لرواتب

المرتزقة الإغريق الذين يعملون في خدمته»، وحتى لو تم التسليم بالمعلومات، فإنها تناقض ديودورس Diodorus ، مما خلق صعوبات لدى المعلقين، وهناك نص في كتاب «فيليب الأول»، حيث ينتقد ديموثينتس قادة المرتزقة الذين كانوا على استعداد تام للتخلي عن المهمة الموكلة لهم «لكي يفروا إلى أرتابازوس أو أي مكان آخر»، واستمراراً لهذه المناقشة، حيث يقوم الملهم إيقوراس بربط ما يدينه في أعمال الفرس وتصرفاتهم مع تشجيعه - بدون خجل- للمرتزقة وإجمالاً، فإن هذا النص السابق لا يدعم التوافق الذي كان يستهدفه المؤلفون الإغريق، إضافة إلى وجود التغيرات الداخلية في الإمبراطورية، تلك التي تغذي نظرية انحطاط العسكرية الأخمينية، وتتطلب منا مناقشة هذه النقطة الإجابة عن عدة أسئلة أولية: ماذا كان المرتزقة في الجيش الأخميني؟ وهل كان كل المرتزقة من الإغريق؟ وهي أسئلة معتادة بالرغم من الاعتقاد العام بأن هذه النقاط تكون في إطار المكون الإغريقي، وأهمية استخدام المرتزقة في إطار التغييرات المعقدة في المدة الإغريقية، ولا يوجد من المفردات والمعلومات من النصوص المؤلفة، ما يدعم هذا الاتجاه الذي بالرغم من ذلك، يبدوا مؤكداً ولكي يبدو الدليل مقنعاً، سوف نقوم باختيار أمثلة تؤخذ من مسرح أحداث حوض البحر المتوسط لعمليات الإمبراطورية، حتى لا يجادل أحد في أن الحامية العسكرية لإمارات بابل وصوصا وبيرسبوليس وغيرها تتكون من الإغريق، وبالرغم من أنه لا يوجد إجماع، إلا أننا نقدم بعض الأمثلة المهمة المستقاة من المؤرخين القدامى للإسكندر Alexander ، وبالإشارة إلى آريان والذي أشار إلى أن المرتزقة وهم 20 ألفاً كانوا من أهم مكونات الجيش الإقليمي 334، ويستخدم اللفظ العرقي وهم «مشاة مرتزقة أجانب»، حيث إن المقدونيين وجدوا أنفسهم في عدة معارك في مواجهة بعضهم البعض، ولكن هل كان كل من واجهوه

فقط من الإغريق؟ والعبارات العديدة المستخدمة هنا غامضة، وفي معركة سيلليون يميز آريان الأجانب عن الوطنيين، واللفظ الأخير يشير إلى الجندي الذي يتم تجنيده في الحال، وفي موطنه نفسه، وقد لاحظ كوينتوس أنه تم تجنيد العرب مع الفرس في غزة، ومن هنا يتضح أنه حتى في المناطق الغربية لم يتأكد المؤرخون من أن كل المرتزقة من الإغريق وأكثر من ذلك، فإن هذه الحقيقة تتضح من وصف زينوفون العام لحرف الجنود المختلفة، حيث يقوم الملك كل عام بمراجعة هذه الحرف، وقد وعد المرتزقة، وكذلك كل من سيحمل السلاح Oecon 17 ، ويتميز المرتزقة عن الجنود في الحامية، ولكن لا يعني ذلك أن كل المرتزقة من الإغريق حتى لو وجد إغريق بينهم، على الأقل في غرب آسيا الصغرى .

وهناك مثال آخر مهم: ديودورس Diodorus في حكاية الحملة ضد ملوك الكبريت في الخمسينيات من عام 300، يكتب أن ثروة الجزيرة قد اجتذبت أفواجاً من الجنود على أمل الربح XVI 42 ، ويشير الإطار، وكذلك المفردات إلى أن هؤلاء كانوا جنوداً يقاتلون من أجل المال، ونصيب من الغنائم، وهذا واضح، والقطع لا تشير إلى كون هؤلاء المرتزقة من الإغريق بالتحديد؛ لأن ديودورس Diodorus يذكر أنهم أتوا من أرض القارة المقابلة للجزيرة، وهي سوريا وصقلية، وهناك بالفعل كثير من هذه المناطق لدى سكانها استعداد للانضمام للحرب في سبيل المال، من أي مكان أتى هؤلاء المرتزقة غير الإغريقيين؟ وأين تم تجنيدهم؟

تاوشيان في جيش تيريبازوس Tirivazus في أرمينيا:

وجد ما بين قوات أورنتيس الأرميني مارديان وكالديان، وكذلك ميسيانز في جيش فارنابازوس، وفي موضع آخر يكتب زينوفون أن الكلدانيين في أرمينيا «خدمة عسكرية للإيجار»، وذلك لأي شخص

يريد، وكان تأجير المرتزقة ممارسة حياتية عادية كما ذكر سترابو Strabo أن الفرس قد استعملوا المرتزقة من ذوي الأصول الهندية، حيث كانت تروج هذه التجارة مثل آريان 26 IV ، وربما يكون هذا ما يصفه ستيسياس في هذا السياق والمرتزقة هي القوات التي يشير إليها زينوفون Xenophon بالوصف الشامل المميز، وهذه القطعة تبين بوضوح أن المؤلف كان يحدد الوحدات الإقليمية وحامية ميسيا الذي جاء لمعاونة أسياتيس من كل المعاقل المهمة في المنطقة، وهي تشمل على سبيل المثال «قوات مشاة وفرسان» ونحن نعرف عن وجود ميديان وهيركانيان وباكتريان، وهي مستعمرات عسكرية في آسيا الصغرى في 334 ديودورس XIVII Diodorus ، وهذه الأمثلة توضح بصورة عامة أن كل الحاميات العسكرية في هذه البقاع ليست كلها إغريقية تماماً وعلاوة على هذا، فإن كل الجنود المستقرين في الحاميات العسكرية يتم توصيفهم بطريقة غامضة بكونهم من المرتزقة وإلى حد كبير تكون الترجمات الإغريقية لهذه النصوص مضللة عن هوية هؤلاء الجنود حيث إن الجنود هؤلاء يتقاضون رواتب، وهذه الصفة لو تتم تعميمها لكان كل من يعمل بالجيش الإغريقي والفارسي من المرتزقة، وهم بالتالي ليسوا مرتزقة بالمعنى الحرفي للكلمة.

ولو عدنا إلى أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث في عام 343-345، فقد ذكر ديودورس Diodorus أنه مع المرتزقة التي توفرت في اليونان وكذلك من قادهم منتور وفر الملك 6 آلاف منهم من الأرض الساحلية لآسيا الصغرى إضافة إلى أن الجيش شمل بهذا الوضع 10 آلاف إغريقي كحلفاء .

وهذه التفاصيل تظهر أمرين؛ أولاً: أن عبارة سكان الأرض الساحلية لآسيا الصغرى لا يشمل الستة آلاف كلهم، حيث إن ديودورس Diodorus خلط بين المرتزقة والمجندين. ثانياً: أن الكلمات المستخدمة لا تعني

المرتزقة فقط، ولكن الدعم العسكري بالمعنى الحرفي، حيث قد تشير إلى معنى آخر غير متداول، ونعرف على سبيل المثال أيضاً أن قوات الدعم لدارا Darius الثالث التي لم تكتمل إلى مدينة إكباتانا، قد استقبل كادوسيان وسكيشيان آريان و III وهم قواد غير إغريق، وفيما بعد أراد بيسيوسي Bessus أن يجند ساكا Saka الذي وعده بنصيب من غنائم الحرب، وبالإضافة إلى ذلك قام بيسوس بجلب بعض من قبيلة الساكا إلى معركة جوجاميلا، ويذكر آريان وجود بعض من المرتزقة ليس بالمعنى: الإغريقي ولكن مرتزقة بالمعنى الأخميني وهذا يعني أنهم جنود قيدوا اسمهم ليس بدافع شخصي لهم، ولكن بناءً على التزامات استعمارية فرضت عليهم بطريقة جماعية مثل العرب وأهل ميجان والكلدانيين والهنود، والستة آلاف من المرتزقة في الجيش المصري ربما لم يكونوا إلا من قد تم جمعهم من المدن الساحلية من الشعوب الخاضعة للاستعمار في شرق آسيا الصغرى، وقد تم إرسالهم للملك العظيم الذي كان في فينيقيا في هذا الوقت، وعلاوة على ذلك اعتاد ديودورس Diodorus أن يطلق لفظ المرتزقة جميعاً بدون تحديد دقيق، مثلما أشار إلى الملوك الإغريق، وكان يقصد الملك زينوفون، والتمييز العرقي لديه لا يشير بالضرورة إلى الجنس العرقي للجنود، ولكن يشير إلى طريقة التجنيد والإدارة .

وفي واقع الحقبة الأخمينية يجب تمييز المرتزقة الملكية عن الجنود من بابل الذين لا بد أن يتحملوا بأنفسهم تكاليف تجنيدهم، وهم يتميزون عن الفرس في المناطق المستعمرة المطلوب فيها توفير القوات العسكرية عند الطلب، وحقيقة الأمر أن المرتزقة الملكيين يأخذون رواتبهم من الإدارة الخاصة، وهكذا يجب علينا أن نحدد مستويات الأجور التي تدفع في إطار عام أو بطريقة خاصة وهي تقديرات مقارنة لمستويات الجزية: انظر هيرودوتHerodotus 67 III وجوستين 1.9.12،

وهناك اختلاف بين دفع المال للجنود الوطنيين ووقف الرعايا الخاضعين من الشعوب حتى لو كان كل منهم مشتركاً في الجيش الملكي، ولو كان هذا البيان دقيقاً، فإن وحدات المرتزقة الملكية سوف تكون دليلاً على قلة الموارد العسكرية للملك العظيم، وهذه الموارد العسكرية يجب بدلاً من ذلك تجديدها، وهذا يذكرنا بتنوع طرق التفسير التي تستخدمها السلطة المركزية للتحكم في الشعوب واستغلالها، وقد قام الكلدانيون مثل تاوشيان وكاردوس بتجنيد ما يسمى بالمرتزقة الملكية بناءً على تكليف الملك العظيم.

الجيش الإغريقي والجيش البربري:

ومن أجل التحديد الدقيق للمرتزقة من الضروري أن نحدد كلاً من الجيوش الملكية في القرن الرابع، ولسوء الحظ، فإن المصطلحات المستخدمة مضللة حتى الاسم «فارس» نفسه غامض، فالعشرون ألفاً من الفرسان الفرس تحت قيادة تيثيروستيس عندما قاتل أرتابازوس school 9.14 لم يكونوا كلهم بالطبع من أصل فارسي، بالرغم من أنه تمت قيادة القوة من جانب الأرستقراطية الفارسية، وهنا، وفي مواضع أخرى كثيرة يتحدى الفارسي المقاتل بأنه: جندي ذو ولاء تم تجنيده في إطار استعماري، بما في ذلك من هم من أصل فارسي، وفي حالة ديودورس Diodorus ، فإنه تجب معاودة الإشارة إلى الجيش الفارسي إلى كونه جيشاً من البربريين بدون تحديد إضافي، وبالرغم من قصده الأول الذي كان يعني جيش قورش الأصغر Cyrus الفصل 2/15، ومع ذلك فإن طريقة تعبئة الجنود التي استخدمها أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث في بابل تظهر أن القوات التي تم تجنيدها في ميسوبوتاما Mesopotamia وشرف الإمبراطورية قد تم توحيدهما، وكالمعتاد لحقت بالملك في طريقه قوات مجندة من مقاطعات الإمبراطورية، وخاصة من آسيا الصغرى، وكذلك من سوريا وصقلية إذا لم يكن بيليسيز قد مات في هذا

الوقت، وفي فينيقيا تم ضم القوات إلى المرتزقة، وقد اشتمل الجيش الملكي على مجموعة من القوات من كل هذه الولايات، وقد حددهم ديودورس Diodorus تحت مسمى «الجيش الإغريقي»، مثلما هو الحال مع جيش قورش Cyrus الأصغر، وهو ما يمثل أقلية من الناحية الرقمية.

وهناك أمثلة تضاف هنا للتدليل على القدرات اللانهائية للموارد العسكرية التي توجد في إمبراطوريات الملوك العظام حتى عهد دارا Darius الثالث، وإحدى هذه الأمثلة الشيقة يأتي من حكم أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني، وهي إحدى الفترات التي يقال إنها غنية بتجنيد المرتزقة الإغريق، ويوجد كشف وبيان محدد في نيبوس Nepos الذي وضعه أوتوفراديتس Autophradetes ضد المتمرد Datames داتاميز من الفرس البرابرة، حيث كان لديه عشرون ألف حصان، ومائة ألف من جنود الفرس، بالإضافة إلى ثلاثة آلاف من الجنسية نفسها، وثمانية آلاف كابادوكي، وعشرة آلاف أرميني، وخمسة آلاف من بافلاجونيا، وعشرة آلاف من فرجينيا، وخمسة آلاف من ليديا، وثلاث آلاف إغريقي من المرتزقة، مع عدد كبير من القوات خفيفة التسليح .

وهذا البيان الذي نحن بصدده لا مجال فيه للشك وواضح جدًا، حيث يميز نيبوس بين كل أفراد قواته، ويميز الفرس عن غيرهم، كما يميز المرتزقة الإغريق عمن جلبوا من آسيا الصغرى، والمهم في هذه القطعة ليس العدد أو المدن التي ربما تكون اندثرت، ولكن نسبة المرتزقة الإغريق في هذا العدد هي نسبة صغيرة كما رأينا.

إن تركيب الجيوش في معركة جرانيكوس يحوطه الغموض، فإذا وضعنا جانباً مشكلة المرتزقة الأجانب -التي سوف نعود لها في وقت لاحق- وتقدم لنا طريقة استدعاء القوات الإقليمية دليلاً على الاختلاف في تكوينها من موقع لآخر، فإن قوات آسيا الصغرى تجمع قواتها من كل مكان، وخاصة مدن التجمع الرئيسة التي سبقت الإشارة إليها،

وكذلك من الحاميات العسكرية والمستعمرات، وهناك المرتزقة الملكية وسادة الحرب، وهم القواد الكبار مثل ميمنون، وربما أرسيتيس Arsites بالطريقة نفسها التي استدعى بها الجيش «البربري» لقورش Cyrus الأصغر في آسيا الصغرى .

والآن نتناول الجيوش التي يقودها دارا Darius شخصيًّا في إبيسوس وجوجاميلا، ويعرض الدليل اثنين من المشكلات المنهجية؛ أولاً: تحدث مبالغة في العدد من قبل المؤلفين القدامى مع اختلاف النسب من مؤلف إلى آخر، وهنا نلفت النظر إلى ما قيل عن جيوش كسركسيس Xerxes في عام 480 حتى نتبين درجة هذه المبالغات في عدد الجنود .

ثانياً: تحليل الوضع الأولي للقوات وتكوينها وعملها في أثناء المعارك يعطينا فكرة ومعلومات أساسية، ولكن، ولسوء الحظ، فإن المعلومات متناثرة، وغالباً متعارضة -إلى الحد الذي يصبح فيه بيان أساليب الحرب والمناورات محيراً للمتخصصين في العلوم العسكرية- وهذا حدث بصفة خاصة في معركة جرانيكوس التي تم الاختلاف عليها عند آريان وديودورس Diodorus من البداية إلى النهاية وبطريقة آمنة لا مجال فيها للخوف من الخطأ، يمكننا قول إن دارا Darius قد كون جيوشه بمساعدة الوحدات العسكرية ذات الأعراق المتعددة من كل أنحاء الإمبراطورية التي كانت تحت حكمه في هذا العصر آريان SS 11 - ديودورس Diodorus 58XVII .

ومن أجل الاستعداد للحرب الوشيكة في إيسوس قام الملك بجلب قواته العسكرية من كل أنحاء الإمبراطورية إلى بابل بالرغم من طول الوقت المستغرق لوصول جيوش من الهضبة الإيرانية، وشملت جيوشه كل الأصول العرقية في الإمبراطورية، وبالمثل فيما بين عام 331-332 استدعيت الجيوش إلى بابل، ثم أربيل، وفي هذه المرة لحقت به الجيوش

من هضبة إيران، وهم الذين يمثلون قلب الجيش الإمبراطوري طبقاً لمستند رسمي لدى آريان، وقد جلبت كل ولاية جيشاً خاصاً بها، وبدون الدخول في التفاصيل، قام دارا Darius باستدعاء كل قوات الإمبراطورية، مما يجعلنا نعتقد أنها كانت متنوعة إلى أقصى حد المستعمرات والحاميات العسكرية والجنود من المستعمرات، والقوات العسكرية للولايات الخاضعة والمرتزقة الملكية .

وتبقى مشكلة المرتزقة الإغريقية مشكلة وضعناها جانباً بطريقة مقصودة حتى الآن، وتقدم النصوص القديمة ثلاث مشكلات معروفة، وهي العدد، والعرق الأصلي، والتخصص الفني لهذه القوات العسكرية، وسوف نقدم هذه المشكلات أولاً عن طريق المؤلفين الإغريق، مع تمييزهم من ناحية التسلسل الزمني .

1- يبدو آريان وحده من بين المؤلفين القدامى الذين يقدمون مرتين حضور عدد عشرين ألفاً من قوات المشاة الأجانب المرتزقة في قوات الولايات في معركة جرانيكوس، بالإضافة إلى عشرين ألفاً من الفرس، ويتحدث ديودورس Diodorus عن مائة ألف من مشاة الفرس، ويفترض بلوتارخ Plutarch أن المحارب على قدميه يحارب بقوة أكثر، عندما يذكر أن المحاربين على الأقدام لم يكونوا بطيئي الحركة أثناء الهروب، فقط المرتزقة الإغريق هم الذين ظلوا متمسكين بمراكزهم حتى تم ذبحهم بواسطة الإسكندر Alexander ، وتبعاً لآريان لم ينج أحد ماعدا مائتان تم أسرهم.

2- بعد قيامة بمعارضة الإسكندر Alexander مباشرة، أمر دارا Darius فارنابازوس ابن أخ وخليفة ميمنون الذي مات في صيف عام 333 أن يرسل إليه المرتزقة الأجانب، وتم تنفيذ هذه الأوامر، وتم جلبهم من ميتيلين إلى ليسيا، حيث أحالهم إلى ثايموندداس ابن مينتور وقريبه، ويبدو أن المرتزقة قد حضروا عن طريق البحر من طرابلس إلى

فينيقيا، وقد كان هناك عشرون ألفاً في الجانب الأيمن من الجيش، وعشرون ألفاً من المشاة البرابرة متواجدين على الجانب الأيسر، ويقرر آريان أن ثلاثين ألفاً من المرتزقة الإغريق على رأس الوحدات المتنقلة السريعة يواجهون ستين ألفاً من أفضل جنود مقدونيا، وخلف المرتزقة الإغريق أفضل الجنود الفرس توجد الوحدات العسكرية الأخرى بالترتيب نفسه .

3- بعد الهزيمة، قام عدة آلاف من المرتزقة الإغريق باصطحاب دارا Darius في قافلته، وقد كان العدد تبعاً لآريان أربعة آلاف، وقد غادر أرض المعركة ثمانية آلاف بناءً على أوامر قادتهم مثل أميناتاس المقدوني، تايموندداس وأريستوميدس، ووصلوا إلى طرابلس في فينيقيا، وفي جوجاميلا بجانب دارا Darius في قلب الجيش كانت توجد وحدة عسكرية إغريقية مع وحدته الفارسية مقابل القوة الضاربة المقدونية آريان III 11.7 ، ومقابل ذلك يكون كوينتوس الذي يضع دارا Darius في اليسار غير واضح، ولكنه مثل آريان يذكر أن المرتزقة الأجانب كانوا مرافقين لدارا Darius عندما هرب من المعركة، وحسب قول آريان قادهم بارون وجلوكاس، كما ذكر كوينتوس أيضاً أن بارونا قد قادهم وألقى فيهم خطبة ذكر فيها أن الخمسين ألفاً من المرتزقة قد بقى منهم عدد قليل في ميدان المعركة، ويمثلهم بأنهم آخر من ظل عنده ولاء للملك، وهم حائط منيع ضد المؤامرات، وهنا الكثير مما يثير الشك في هذا المقال، وخصوصاً ما يتعلق بالولاء، وهذا ما يردده آريان عندما يتحدث عن الاخلاص غير المشروط لقورش Cyrus الأصغر ورفاقه في كوناكسا.

إن الأرقام المقدمة هنا يصعب تصديقها أو التأكد منها، ومن الواضح أن كوينتوس يبالغ في العدد الموجود في خدمة الملك العظيم، وجعل بايرون يشير إلى 50 ألفاً حتى مع جمع العشرين ألفاً من المرتزقة

في معركة جارنيكوس مع الثلاثين ألفاً من معركة إيسوس وهـو نفسـه غـير مؤكـد، فإن كلاً من هذه الأرقام يمثل مشكلة -وخلال قصته- يحتل المرتزقة موقعـاً متميـزاً بجانب دارا Darius ؛ لأنه يحب أن يقارن شجاعتهم وإخلاصهم مع جـبن البرابـرة، والبرابرة ملابسهم ناعمة أنثوية وأبعد ما يكونون عن الشـجاعة، وكـان الـرقم عنـد آريان هو 20 ألفاً من المرتزقة في جارنيكوس، وهذا أيضاً عرضة للشك، بـالرغم مـن قوله إنه يشير إلى المرتزقة الأجانب وليس فقط الإغريق ومع ذلـك فسـوف يحـاول فيما بعد أن يسميهم إغريقاً؛ وذلك لأن آسيا الصغرى كان بها مرتزقة مـن الإغريـق في كل الأقاليم، وهذا أيضاً محل شك، ولكن كونهم أرسلوا 20 ألفاً منهم، فهـذا هـو المستحيل بعينه، وأخيراً نؤكد أن قـوة المشـاة هـذه لم تكـن تشـغل مركـزاً مهـمًّا في التفكير الاستراتيجي؛ لأنه لم يصدر أي بيان يـدل عـلى قيـامهم بالمشـاركة في أعـمال القتال؛ ولهذا فليس من الصحيح أن نقول إن الإغريق كان عددهم أكبر ما يمكن في الجيـوش الأخمينيـة في عـام 331 إلى 333 بـالرغم مـن إصرار مـؤلفي الإسـكندر Alexander على شجاعتهم القتالية، وعددهم عند دارا Darius الثالـث، وهـم أي المؤلفين من ناحية يحرصون على شـهرتهم وكـونهم إغريـق، حيـث يسـتطيعون أن يتغنوا بفضائل الإسكندر Alexander التي تضلل كل الإغريـق آريـان 1016، ومـن ناحية أخرى يفعلون ذلك لأنهم يحبون أن يمجدوا أعمال الجنس الإغريقي .

ولأن مشكلة الأرقام لا يبدو أن لها حل، فإنه من الأفضل دراسة وظيفة المرتزقة في معركة إيسوس وجوجاميلا؛ أولاً: يتضح أن القيادة العليا الفارسية ليس لديها شك في القدرات العسكرية لقوات المرتزقة بالرغم من الدورات التدريبية في إيسوس، تم وضع هذه الوحدات في مقدمه الصفوف آريان 11.8، وبوضوح اعتمد الفرس في المقام الأول عـلى القـوات العسـكرية للفرسـان مـن الفـرس والإيـرانيين، وهـذا يتضـح في

ثلاث معارك متوالية، وفي معركة إيسوس لم يوجد أدنى شك في أن دارا Darius أعطى أوامر إلى فارنابازوس وثيمونراس بأن يقوما بتجميع بعضاً من هؤلاء المرتزقة في صقلية استعداداً للمعركة المنتظرة، وقد ذكر قدامى المؤلفين أن دارا Darius اعتقد أنهم القوة الوحيدة القادرة على إيقاف صناديد مقدونيا، وهنا نرى مرة أخرى الأسلوب الكلاسيكي الذي يمجد من التفوق الإغريقي وخاصة في مواجهة المشاة، وهو ما يوحي بأن إعداد الفرس للمعركة لم يكن إعداداً جيداً، ولكن هل هذا يعني أنه بعد هزيمة الفرس في عام 479-480 لم يحاولوا وضع قوات مشاة ذات مقدرة عسكرية في ميدان القتال؟ وعند هذه النقطة لدينا عدة تحفظات .

هناك عدة ملامح في الترتيب لمعركة إيسوس، وجوجاميلا في إيسوس حيث لم يكن المرتزقة الإغريق وحدهم في مواجهة الجيش المقدوني، ولم يكونوا أيضاَ بعيداً عنهم، وفي الحقيقة كان هناك ستون ألفاً من قوات الكارداك، وهم من قوات المشاة خفيفة الحركة متواجدين مع المرتزقة وهم قد كونا معاً القوة الضاربة الفارسية، مع أن آريان يقلل من مواجهات المشاة في درجة المبارزات بين الإغريق والمقدونيين، ولسنا في حاجة إلى مسايرته في طريقته المعروفة في كل التقاليد الإغريقية عند مقارنة أداء إسبرطة مع الفرس، وفي جوجاميلا كانت لدى دارا Darius قوة ضاربة تقابل القوة الضاربة المقدونية، وتشمل قوات من المرتزقة الإغريق والفرسان من الفرس، ولسوء الحظ لا نعرف بالضبط من هم الكارداك، ويمكننا استنتاج أنهم القوة الضاربة للجيش الفارسي، ومما يعزز هذا الفرض أنهم ظهروا في جيش أوتوفراديتس Autophradates ضد داتاميس Datames منذ أربعين عاماً، حيث شارك منهم عدد ناهز المائة ألف -كما قال نيبوس- ويظهر الاسم نفسه في فقرة سترابو Strabo عن التعليم الموجه لشباب الفرس، وطبقاً لسترابو Strabo فإن اللفظ كارداك يشير إلى الصفات العسكرية والبدنية، وهم أيضاً الشباب الذين انتقلوا إلى مرحلة

الرجولة ملتـزمين بـالأخلاق والإتـزان العسـكري، والـذين اجتـازوا التـدريب المعـد لقوات المشاة بما يعادل تدريب المشاة عند الإغريق أو المقدونيين .

رغم تقطع المعلومـات وعـدم اسـتقامتها، فإنهـا تبـين أن الفـرس قـد حـاولوا جاهـدين أن يعـدلوا أسـاليبهم القتاليـة طبقـاً للأسـلوب المقـدوني، حيـث يـذكر ديودورس Diodorus أن دارا Darius قـد قـام بـبعض التجديـدات في عـام 331-332، حيث استحدث سيوفاً وحراباً غير مألوفة، وكانت أطول مـن ذي قبـل، حيـث اعتقد دارا Darius أن هذا هو سبب تفوق الإسكندر Alexander عليه في معركـة سيليسيا Cilicia XVIi53 ، وهذا الأسـلوب يبـدو محـدوداً ومتـأخراً جـدًّا، يقـول كوينتوس كورتيـوس أن دارا Darius اعتـاد هـذه الممارسـات، حيـث زود الفرسـان بهـذه الأسـلحة مـع أفضـل التجهيـزات، حيـث حملـوا واقيـات الصـدور والـدروع والسيوف الإغريقية.

وهذا الدليل يثير بعض التأملات، ومع عدم وجود ما يدعو للشك في هذا الدليل فمن الضروري أن نركز على محدودية الموارد وصعوبة التطبيـق، حيـث إن معلومـات ديـودورس Diodorus وكوينتـوس مسـتوحاة مـن نـاقلي أخبـار الإغريق والمقدونيين، وهم ينقلون الأخبار التي تفيـد وجهـة النظـر الإغريقيـة، حيث قالوا إن دارا Darius ارتدى جنـوده عتـاد جنـود الإسـكندر Alexander نفسه، حتى يتمكن من مقاومته، وهذه العبارة تبدو بعيدة عن التصديق رغـم كونها في صالح الملـك العظـيم، وهـذا المصـدر -ديـودورس Diodorus - ينقـل فقط المعلومة التي يمكن أن تدعم الفرضـية التـي يـدافع عنهـا، وهـي التفـوق الإغريقي، ويريد هنا أن يؤكد أن أمل دارا Darius الوحيد هـو النجـاة بحياتـه مـن سـيوف وبـأس الجنـود المقـدونيين، وهـذا هـو المقصـود بالمصـطلح Hellenization ، أي نقـل كـل الأخبـار، وترتيـب الأحـداث مـن وجهـة النظـر الإغريقية، ومع ذلك لا بد أن الفرس قد بذلوا قصارى جهدهم في مواكبة القـوة

المعادية، وابتكار أساليب حربية حديثة، ويذكر آريان مثلاً وجود بعض الفيلة في مقدمة الجيش الفارسي، ووجود الفيلة لا يحدث فرقاً كبيراً في مجريات المعركة، ولكنه يشير إلى محاولة التجديد في أساليب القتال المأخوذة من أصل هندي، وبالطبع هناك أيضاً العجلات الحربية السريعة التي أوردها المؤلفون، وكانت تهدف إلى إرباك الصفوف الأولى للجيش المقدوني، وهو أسلوب فارسي صرف، وهو ما عانى منه الإغريق، وأصابهم بالرعب في آسيا الصغرى عندما حاربوا فارنابازوس وتقليد أسلوب الإغريق في التسليح لا يعني قلة الحيلة العسكرية لدى الفرس كما هو الحال لاستخدام المرتزقة من الإغريق، وهناك أحد شاهدي العيان من كارديا، كانت شهادته كما يلي: «إن من يسكنون هذا البلد، كانوا أكثر الفرس قدرة حربية، حيث إن كل رجل هنا كان رامي رمح أو مقلاع، ومن ناحية كثافة السكان، فإن هذا القطر يفوق باقي البلاد عدداً للسكان، وهذا يعني غنى الإمبراطورية الفارسية، حيث أخذ من هذه البلدة عشرة آلاف رامي سهم، وبناءً على ما تقدم، لا توجد أسباب للمخاوف التي عبر عنها زينوفون Xerophon عندما قال: «إن التعليم المقدم لشباب الفرس وهم قلب الإمبراطورية الفارسية في حالة تدهور».

وتلخيصاً لما سبق، ففي عام 334 استطاع الملك العظيم الاعتماد على قوة عسكرية كبيرة لمواجهة القوة الضاربة الإغريقية والمقدونية، وقد استطاع إعداد قوته الضاربة أيضاً، وليس هناك ما يدعونا إلى الاعتقاد بأنه من بداية القرن الرابع فقدت قوة المشاة الأخمينية القدرة على المناورة، مما أثر على المراقبين الإغريق في معركة كوناكسا Cunaxa ، وسوف نعود إلى هذا فيما بعد فصل 5/18 .

ولكن هذه الهزائم التي حدثت على يد الإسكندر Alexander لا يجب أن تكون دليلاً أو حتى علامة على التدهور العسكري في إمبراطورية دارا Darius الثالث .

7- السكان، الرعية، واقتصاد الجزية:

تحدث المؤرخون عن قيام الشعوب الخاضعة بثورات للتعبير عن عدم رضائهم عن الملك العظيم، وولائهم للفاتح المقدوني، وقد تكونت هذه النظرية لأول مرة بواسطة أولمستيد Olmstead ، الذي خصص فصلاً عن التقديرات الملكية، وهذا العنوان لا يترك مجالاً للشك، وهو: «زيادة الضرائب ونتائجها»، حيث يبدأ المؤلف قائمة هيرودوت Herodotus للجزية التي ليست تخص بالتحديد فترة حكم دارا Darius الثالث، ولكن في وسط الفترة بين كسركسيس Xerxes وأرتاكسركسيس Artaxerxes كما لو كان الهدف إظهار حالة الأزمة العامة التي انتهت باغتيال الملك العظيم، وقد أوجدت السياسة المالية الإمبراطورية تدفقاً تلقائيًّا في الثروة من الأطراف إلى القلب، كما يدلل على ذلك حجم الكنوز التي استولى عليها الإسكندر Alexander ، وهذه السياسة الضريبية سببت نقصاً في الأموال في الأقاليم -حسب قوله- وبالمثل ترتفع الأسعار، ويزيد التضخم، وهذا ملحوظ بدرجة كبيرة خاصة في مدينة بابل، وقد أدى هذا إلى عدة ثورات من الشعوب الخاضعة حتى وصل الأمر إلى الحاجة التي قد تضطرهم إلى بيع بناتهم في المزادات هيرودوت Herodotus 1.196 .

وهذه النظرية التي تلقى اعتراضات من وقت لآخر، قد انتشرت في الكتابات الحديثة التي تتناول الفترة الأخمينية والإسكندر Alexander ؛ ولذلك لا بد لنا من بحث أصل هذه النظرية، ونلفت النظر إلى كتابات درويزين Droysen الذي كان مصدراً لمؤلفات عديدة عن الإسكندر Alexander ، حيث كانت نظريته أن النجاح الاقتصادي كان السبب الأساسي في ظهور الحقبة الهلينية، وأرجع انتصار الإسكندر Alexander إلى جعل كنوز الفرس تدور في آلته المالية، وإليك عزيزي القارئ كلمات درويزين: «عندما حرر الإسكندر Alexander هذه الثروات

التي حبست منذ زمن طويل، حيث جعلتهم القوة الهائلة تفر من أحضانها، وكـما يضخ القلب الدم فمن السهل أن نفهم أن العمل والتجارة نستطيع نشرها بدورات أسرع وأسرع في الأعضاء العطشى منذ زمن طويل في الإمبراطورية، ونحن نرى كيف أن الحياة الاقتصادية للشعوب استردت عافيتها وازدهرت بعد أن امتصت السيطرة الفارسية دماءها مثل مصاص الدماء .

ومن الجـدير بالملاحظـة أن دروزيـن سـعيد بتأييـد رأيـه بالإشـارة إلى كتـاب بلوتـارخ Defortuna Alexandri ، وفي عرضـه للغـزو يؤكـد أن الإسـكندر Alexander لم يأتِ لآسيا حتى يحولها إلى غنائم، ولكن من أجل أن يقدم كـل مـن على الأرض كرعايا للقانون الواحد، وهو العقل، ونمط موحد للحكم والمسـاواة بـين الناس .

ومع ذلك، وبالرغم من فهمنا للمغـزى والرؤيـة التاريخيـة الفلسـفية وحالـة الدليل في هذا العصر اسـتطاع درويـزين أن يسـتمر في نظريـة «امتصـاص الـدماء» للإمبراطورية، وكيف يمكن أن يلاقي هذا المنطق المبسط وسيئ الصـياغة أي نجـاح في الإقناع، ويمكن تخيل تعارض تيارات تاريخية وجغرافية مع أهمية دورهـم؛ أولاً: هناك ما يسمى بالجغرافيا التاريخية الأوروبية التي تبحث عن سوابق ونماذج تمثل تحويلهم إلى مسـتعمرين عظـام قبـل الإسـكندر Alexander ، وفي عـرض بلوتـارخ وكذلك المؤرخين تم تقديم شخصية الإسكندر Alexander بأنها كريمـة، وأنـه فـاتح ذو نبل وفروسية، وقد جلب التقدم لآسيا الراكدة اقتصاديًا، وإقامـة السـلام، وفـتح الطرق، وتأسيس المدن، وتحـديث رأسـمال الدولـة الفارسـية كانـت العوامـل التـي تساعد وتروج لنشر هذا النمـوذج أيضـاَ، ونحـن نعلـم أن إيجلـز ومـاركس أشـادوا بالنموذج النظري «النموذج الآسيوي للإنتاج»، والمجتمعات الآسيوية تتسـم أساسـاً بالركود ومقاومة التغيير، ورداً على ذلك نعيد كلمات تشينو «إن كارل ماركس كـان

مسيطراً عليه الافتراض المسبق بفكرة الركود الآسيوي، وقد رفض تلاميذ المدرسة الماركسية في السبعينيات والثمانينيات من القرن العشرين هذه الفكرة مع أنها لم تنتهِ حتى الآن بالرغم من أن الماركسيين لم يربطوها بالعصر الأخميني أو فتوحات الإسكندر Alexander .

وإشارة إلى عملية تدوير الثروة وتوزيعها وهذه هي الفكرة الأساسية التي يشترك فيها الكتاب المروجين للجنة الملكية، حيث إن توزيع الثروة والإسراف - تلك الصفات التي لا يتصف الملك العظيم بها- تفسر بكثرة غزواته وجمع الضرائب المبالغ فيها فصل 6/5 مثلاً يقول سترابو Strabo إن كل ملك كان عليه أن يبني في صوصا قصراً للإقامة ومخازن وخزانات لكنوزه، حيث يتم جمع أموال الجزية للتصرف فيها بحكمة، ويقرر ديودورس Diodorus أن هذه الكنوز التي استولى عليها الإسكندر Alexander كانت متراكمة عبر أزمان طويلة منذ زمن قورش Cyrus ، وحتى تلك اللحظة، ويقول بلوتارخ إن الإسكندر Alexander عندما استولى على صوصا وجد عملات ذهبية مسكوكة منذ مائة وتسعين عاماً، وهي في لونها كما لو كانت مصنوعة منذ وقت قريب، وبالنظر إلى نظرية أرسطو، فإن التشغيل الجيد للاقتصاد الملكي هو الغرض والمبرر لنظام الجزية والاقتصاد الملكي، وهو عالمي المنظار، ويقوم الملك العظيم بناءً على هذه النظرية بحسن إدارة أملاك وموارد الإمبراطورية، والملك العظيم يفهم هذه النظرية جيداً حيث يقول: «إن المصروفات لا يجب أن تتجاوز الموارد، ويمكن اقتباس القطعة التي يفسر فيها هيرودوت Herodotus كيف حافظ الملك العظيم على الذهب والفضة في خزائنه -وتبعاً لسترابو- استخدم الملك جزءاً صغيراً من دخله من الجزية بسياسة معلومة لإعادة التوزيع عن طريق الهبات، ولتحسين حالة المنازل والقصور، مما يفسر أداء المالية السياسي والأيديولوجي، وهذا تفسير جزئي للمصروفات التي لم تكن فقط من أجل مظاهر الترف بالرغم من

أخذ المصاريف التي تخص البلاط في الحسبان، فإن قصص ثراء القصر كانت منتشرة في هذا الوقت كما وصفها سترابو Strabo بأن الملك لم يقم بصناعة عملات أكثر مما احتاج، حيث تتم هذه العملية حسب الطلب، وهذا هو الموقف بالضبط في عهد دارا Darius الثالث، واختصاراً لما سبق، لم يكن الملك في حاجة للجوء إلى الاستراتيجية المالية التي تستخدم بواسطة المدن أو القادة أو الولايات، تلك التي وصفها مؤلف كتاب Oecor omica .

وكل من هذه النصوص يصف الملك العظيم الذي كان مقتصداً، حيث كان يدخر ثرواته عاماً بعد آخر لأوقات العسرة، وقد أولى رعاية خاصة لمصروفاته، حيث أديرت بطريقة اقتصادية، وقد أدى هذا إلى قلة المصروفات الترفيهية غير الضرورية كما قال هيراكليديس: «وقد شكا الجنود الإغريق الذين في خدمته من ذلك»، وفي الإطار نفسه لا يتردد بلوتارخ أن يذكر أن الملوك العظام بقدر علمه نادراً ما يزورون بلاد فارس وكذلك أرتاكسركسيس Artaxerxes لم يقم بزيارة لها؛ لأنهم يكرهون تقديم العملات الذهبية للمرأة الحامل كما هي العادة الملكية Alex 69 ، ولكن نظرية مص الدماء تذهب إلى مدى بعيد حتى الوصول إلى درجة الثورة والكساد ويرجع الغضب العام للشعوب ضد السلطة الفارسية من هذه الحالة، وهي قلة الإنفاق الترفي، وكل هذا قد يفسر ما أدى إلى النصر التاريخي المقدوني».

وبالرغم من المبالغات الخطابية البلاغية، فإن هذه التفسيرات السابقة تثير عدة شكوك؛ أولاً هي تهدف إلى التقليل من شأن نظام يقوم على مبدأ إعادة التوزيع، وهذا ما قام سترابو Strabo بتوضيحه بنفسه: مما هو جدير بالملاحظة -كما لاحظ هيرودوت Herodotus - أن الملك العظيم يقوم بصرف الذهب أو الفضة في اللحظة التي تتطلب هذا، وبين سترابو Strabo أن كل جزء صغير من المعدن كان يتم تحويله إلى عملة

كما بين ذلك بيان حصر ما هو بالخزانة لعام 330-331، وأن معظم المعادن النفيسة كانت تحول إلى معدات، حتى إنهم كانوا يعتبرون هذه المعادن من الأفضل استخدامها بدلاً من تقديمها كهدايا أو إيداعها في المخازن، وكما رأينا في الفصل الثامن، كانت الهبات الملكية أفضل طريقة لإقامة علاقات ملكية ومكافأة المخلصين، ومن الخطأ أن نتمادى في ظن أن الخزانة الملكية كانت محرومة تماماً من عائد الجزية والهبات وبعض غنائم الحرب، وبعد أية معركة يستولي الملوك على كنوز الملك المهزوم، ويحملونها إلى عواصمهم، وهذا بالضبط ما فعله الإسكندر Alexander ، وبالرغم من أن جزءاً كبيراً من الكنوز قد حُمل في الطريق إلى فارس صوصا - بابل، وبالرغم من قلة المصادر القديمة، فإن الكمية التي استولى عليها الإسكندر Alexander في العواصم المختلفة كانت أقل بكثير من كمية الجزية والضرائب التي جمعت منذ عصر قورش Cyrus أو الملك دارا Darius .

ومن هنا يتضح أن الجزء الأكبر من الأموال يبقى في خزائن عواصم الولايات، وقد استولى عليها الإسكندر Alexander أيضاً، وعلاوة على هذا يظهر التناقض عن تكدس الأموال في الحقبة الأخمينية وتدوير المال المكافئ للثروة الملكية عن طريق الإسكندر Alexander ، وهذا يجب أن يكون له تقييم حريص، والنتيجة التي نتوصل إليها تكون مبنية على تحليل المصادر الجزئية، وتؤدي بنا إلى فرضين: الأول أن الرخاء الاقتصادي يتطلب استخدام الأموال المتداولة، وفي حالة بابل وهي ليست حالة فريدة، انظر D.t 85 تظهر أن الفضة القياسية تستخدم كأموال بالدور والكفاءة نفسيهما، والفرض الثاني وهو معدوم تقريباً أن الإمبراطورية الأخمينية لم تعرف استخدام الأموال المسكوكة، وهذا يقابله وجهتا نظر: الأولى أنه في منطقة البحر المتوسط كان استخدام الأموال السائلة شائعاً في منتصف القرن الخامس، كما كانت توجد صكوك وأوراق لها قوة

ووظيفة المال، وهي إحدى عوامل نجاح التجارة المحلية حتى لو كانت التجارة بشكل غير مالي مثل تجارة التبادل السلعي- المقايضة، وهذا يستخدم كأسلوب للدفع والتجارة ومن المدهش أن أولمستيد -بناءً على مصادر مأخوذة من بابل- يربط نقص الفضة والعملات بالتضخم من ناحية، وارتفاع الأسعار من ناحية أخرى، وحتى لو افترضنا أن كلمة تضخم مبررة، فإننا لا نرى مجالاً للربط بين نقص الأصول المالية المستندية والتضخم، وبدلاً من ذلك، الركود أو انخفاض التضخم هو الاحتمال الأكبر، ويبدو الاحتمال الأكبر أن الطرق التحليلية المالية المطبقة في عصرنا لا تصلح للحكم والقياس على تلك الفترة في نهاية القرن الخامس، وقد تمت مناقشة الصعوبات التي تواجه المؤرخين في تفسير ارتفاع الأسعار الذي حدث في بيرسبوليس حوالي عام 466 انظر: فصل 8/11 .

فلنواجه الأمر: بالرغم من سهولة إثبات فشل من سبقونا في القياس، فمن الأصعب أن نقدم إعادة تكوين ناجح للوقائع، والسبب الأساسي هو النقص الصارخ في مصادر المعلومات، وغياب نماذج ذات دلالة إحصائية ونظرية موثوق بها علميًّا، مما يؤدي إلى عدم قدرتنا على وصف وشرح طريقة العمل العامة في الإمبراطورية من الناحية الاقتصادية، حيث توجد عوامل الوحدة والتفرد في الوقت نفسه، مما يزيد من صعوبة متابعة التدفق المالي من مركز الإمبراطورية إلى أطرافها والعكس؛ ولهذا لا نقبل بالتبسيط المفرط الذي سبق ذكره عند القول بأن الإسكندر Alexander قام بفتح الطرق ونشر السلام وتدوير البضائع، وسبب رفضنا لهذا التبسيط أن الموارد المالية لا تتيح ذلك، وهذا ليس فقط بسبب نقص المصادر الأدبية أو الأثرية فقط، ولكن لأن المصادر المكتوبة لم تبين إنشاء طرق كبيرة بارزة بعد انتصار الإسكندر Alexander ، وهناك شيء آخر، هو أن نسبة كبيرة من النقل كانت تتم

عن طريق المياه الأنهار والبحار، ولا يوجد دليل على تطور النقل بها ما عدا بابل وهي اكتشاف حديث ليوميات جمارك في مصر إلى عصر كسركسيس انظر: التجارة 3.7، فصل 3/9 مجموعة الجمارك والتجارة، ومازالت بابل أفضل منطقة موثقة، وهذا ما جعل أولمستيد يتخذها أساساً للتفسيرات وحتى في حالة بابل من المهم التأكيد على الفجوة في جودة الوثائق وبسبب هذا، ستكون أية محاولة لتتبع الأداء الاقتصادي من قورش Cyrus إلى دارا Darius الثالث سوف تكون في خطر من ناحية المصداقية.

المركز والأطراف:

وفي الوقت نفسه يتضح لنا أن نظرية تكديس المال أو امتصاص الدماء في الحقبة الأخمينية تبنى على حقيقة أخرى، هي أن الملوك العظام ذوي الغيرة على مركزهم وسلطانهم أكثر من أي شيء آخر ليس لديهم أي اهتمام بتطوير البلاد التي فتحوها، تلك التي اعتبروها في المقام الأول مصدراً لإدرار الأموال، أو تطوير الاقتصاد الإقليمي، وعلى الجانب الآخر في القضية، فإننا لا نميل إلى مصادر المعلومات التي تؤخذ من مصادر أيديولوجية ملكية، تلك التي تخلع على الملك صورة المنعم، والمدافع عن العمال في حقولهم حتى بعد تقديم الدليل تبقى المشكلة بدون حل، فإن الامبراطورية في الحقيقة ليست فقط رأسمال رمزي ولكنها تجميع لوسائل الإنتاج الأرض والماء والطاقة المحركة لها وهي الأيدي العاملة بصورة أساسية، وعوامل الإنتاج، ومن أجل بقاء وازدهار الإمبراطورية يعمل الملوك على ضمان انتظام مصادر الدخل بكل حرص، وهم لا بد لهم من الحفاظ على رأسمالهم وزيادته حتى يتركوه لورثتهم نامياً ومزدهراً، ولا يجب أن يثير خوفنا مصطلح رأس المال، فإن أية مدينة أو أرض سواء مكتسبة أو محتلة ليست إلا «كائناً منتجاً يمكن تقدير قيمته» Berrard ، وتكون بهذا التوصيف موضعاً

لحساب الـربح أو الخسـارة، وفي حالـة الملـك العظـيم وأسـلافه وتابعيـه إذا طبقنـا مقياس عائد الضرائب أو الجدية، فهذا موضع بعض الكتابات الإغريقية مثلاً، ضماناً لأن سكان المدينة يمتلكون الأرض التي انتزعت من «البرابرة»، ويقـوم الحـاكم مـن قبل الملك بمطالبة أهل المدينة بمزارعـة الأرض عـلى أكمـل وجـه Artirtoe ، وهنـا يعد الإنعام بالحصول على الأرض هو استثمار ملكي طويل والمدى .

ومن الحقيقي أن زينوفون Zenophon يمثل صورة الملك العظيم كاقتصادي حكيم، وكان يرغب في التـدفق المنـتظم للإيـرادات، حيـث كافـأ حكـام الولايـات - وكذلك القادة العسكريين- المسؤولين عن الأمن، والذين يضمنون هذا التـدفق، وفي نظر الملك العظيم، فإن الحكام الجـديرين بالمكافـأة هـم الـذين تزيـد في ولايـاتهم الكثافة السكانية والزراعة، وزيادة قيمة الأراضي، وهذا لا يتم فقط بتعيـين المـزارع الصالح، وهذه الأراضي الزراعية ليست فقط مـن أجـل تجميـع المحاصـيل أو كتـل الأخشاب، ولكن أيضاً أماكن للعديد من الأنشطة الأخرى، منها زهور الزينة وتربيـة الحيوان، وهذا كلـه يؤكـد ثـراء المملكـة، واسـتقرار الحكـم، ومـنح تصـاريح جمـع الضريبة يساعد على زيادة إنتاجية الفلاح، حيث وجدت دلائل على ثرائهم بسـبب تحصيل الضرائب، والاحتفاظ بجزء من الدخل، وكذلك تأجير الأرض للمزارعين .

وفي إطار المناقشات التي تناولت غزوات قورش Cyrus يذكر زينوفـون غالبـاً أن هناك وثيقة تتناول حقوق وواجبات المزارع في الأراضي المفتوحة: «سـوف تقـيم في المنازل نفسها، وتعمل في المزارع نفسها، وتعيش مـع الأشـخاص أنفسـهم، وتـربي أولادك كما تفعل الآن، ولكن ليس عليك أن تقاتل ضدنا، أو تقاتل أي شخص آخر»، ويمكننا انتقـاد نمـوذج زينوفـون هـذا، حيـث مـا هـو إلا مـدح في الملـك، والهـدف الأيـديولوجي المعلـن وهـو الـدفاع عـن الفلاحـين يخفـي هـدفاً أهـم وهـو أن

المشاركة الجماعية للفلاحين في الأرض تزيد من ملء خـزائن الملـك والحفـاظ عـلى الأنماط الاجتماعية الموجودة، ومجتمع القرية يمثل وسيلة وغاية في الوقـت نفسـه، وذلك للحصول على مكاسب سياسية واقتصادية، وفي إطـار المحافظـة عـلى السـلام يصبح الملك هو الحـامي للفلاحـين، مـما يسـاعد في الحفـاظ عـلى مسـتوى الإنتـاج وضـمان المحصـول وزيـادة الجزيـة أو الضريبـة، كـما يـذكر زينوفـون عـلى لسـان شاتيراس: «إن البلد المسكونة هي قيمة عظيمة، والأرض الخالية مـن الـبشر خاليـة من الإنتاج»، وهذا يمثل سياسة تحفيز لزيادة المواليد، وهذه السياسة وجدت فـيما بين الفرس أنفسهم وغير الفرس بلوتـارخ 69، وهـذا مـا صـادف نجاحـاً، كـما شـهد بذلك ديودورس Diodorus في بداية العهد الإغريقي .

ومن الواضح أن هذا الدليل عرضة لتفسيرات مختلفـة، ويحـيط بـه الغمـوض، ولكن هل يمكن أن نجد تحـولاً ملكيًّـا مبـاشراً نحـو اسـتثمار مبـاشر بواسـطة الإدارة الملكية، والتي تدر عائداً ولو بربع دخلها على الخزينـة، وبصرف النظـر عـن جـداول بيرسبوليس، فلا نكاد نجد الدليل الكافي على ذلك، وهذا العجز في الأدلة موجـود مـن ناحية الكم والكيف حتى إنه لا يوجد دليل واضح ومباشر عـلى سياسـة للتنميـة، ولا يمكن توقع ذلك، وحتى الأمثلة الموجودة تحتمل التأويلات المختلفة، وحالة شق قناة بين نهر النيل والبحر الأحمر إحدى هذه الأدلة التي تحتمل أكثر من تأويل، هل كـان دارا Daruis يهدف إلى إيجاد رابط دائم بين وادي النيل وصوصـا؟ أم أنـه بنـي عـلى دوافع أيديولوجية سياسـية؟ وقـد كشـفت الاستكشـافات الحديثـة التـي وجـدت في منطقة تل المسخوطة في مصر عن وجود كمية كبيرة مـن الأواني الخزفيـة مـن المـدن الإغريقية وخاصة فينيقيا، وهل كان الهـدف مـن ذلـك التنميـة والتجـارة أم أن هـذا إحـدى نتـائج وجـود دوافـع سياسـية وراء شـق هـذه القنـاة؟ لا توجـد أيـة حاجـة

شافية، ولكن على أية حال، فإن الإجابة الوحيدة هي أن الملك العظيم لم يكن لديه أي دافع تجاري مالي في هذا ا لأمر .

وتبدو الأدلة التي تتعلق بالموارد المائية أكثر وضوحاً، حيث تولى الملك وإدارته القيام بالأعمال المائية للري، وهذا هو ما حدث بالفعل في بابل انظر: فصل 16/10 كما بينها آريان VII7.7 وسترابو XVJ 1.1 ، وتظهر النصوص البابلية وجود قسم مائي، وفي مصر ليس لدينا إلا قطعة وحيدة لدى هيرودوت Herodotus 11.90 ، وهي فقرة شيقة توضح أن الإدارة الملكية أجرت صيانة للحفاظ على جوانب القنوات لحماية مدينة ممفيس .

وتكثر مصادر المعلومات عن مبادرات الملوك العظام عن توفير إمدادات المياه، وفي تقرير لأنتيخوس الثالث Antiochas في حملته ضد الملك Arsaces أرساسيز، وهنا يقدم بوليبوس المعلومات التالية عن طريق توصيل الماء إلى جزء صحراوي لمدينة هيراكانيا، وهذا ما قاله بوليبوس .

في المنطقة التي تحدث عنها لا توجد مياه مرئية على السلاح، ولكن حتى في الصحراء يوجد عدد من القنوات تحت الأرض تتصل بالآبار، لا يعرفها الغريب عن هذا البلد، وهناك قصة حقيقية يحكيها أهل البلد يقولون إنه عندما كان الفرس يحكمون هذه المنطقة في آسيا أنهم يعطون من يسقي الأرض القاحلة حق امتلاك هذه الأرض وزراعتها لخمسة أجيال متواصلة، كما أن لمنطقة طوراس عدة مجارٍ مائية تنحدر من الهضبة، حيث قام الناس ببذل الجهد والمال من أجل الوصول إلى الماء حتى إن من يستعملون الماء الآن لا يعلمون منذ متى أخذت القناة من إمدادات المياه .

يصف بولبوس بالضبط التركيبات التي استخدمت منذ قرون في إيران، وهي ممرات مائية تسير تحت الأرض لعدة كيلومترات أحياناً لمصادر المياه التي تقع تحت المنحنيات للجبال، والمليئة بالآبار،

والطرق الفنية المستخدمة تقود إلى ما قبل الغزو الفارسي، ولكـن يلقـى المتحـدث الضوء على الإدارية الملكيـة، وهـذا العمـل لم يتطلـب أيـدي عاملـة كثيفـة عكـس القنوات البابلية والمصرية، حيث إنه قد نفـذ بواسـطة السـكان المحليـين في مقابـل استثمار الأيدي العاملة، ولم تأخذ تلك الأيـدي العاملـة حـق امـتلاك الأرض، ولكـن استخدام الأرض جنب الإدارة الملكية عدة فوائد من هذا الاستثمار، وهـي واضـحة، والأهم هو إيجاد احتياطيات من الماء على امتداد الطريـق الحيـوي مـن ميـديا إلى آسيا الوسطى، كما أتاحت زراعة الأراضي غير المأهولة، وساندت سياسـة الاسـتعمار الزراعي السكاني، وأخيراً لا يوجد مـا يؤكـد وجـود إعفـاء ضريبـي لهـذا الاسـتزراع، وطبعاً المياه لا تدفع لها عوائد، وتتوقع الإدارة الحصول على عوائـد عـن المحاصـيل التي زرعت، ولا يجب بناء إحصائيات اقتصادية على أساس المثال المتقدم، حيث إن الاستشهاد به جـاء في إطـار الـدور الـذي تلعبـه الزراعـة في الاسـتراتيجية الحربيـة، وهكذا نتوصل إلى استنتاج أن هذه السياسة الزراعيـة تطبـق مـن أجـزاء أخـرى في الهضبة الإيرانية وأجزاء أخرى من الامبراطورية مثـل مصر والجزيـرة العربيـة، وقـد تختلف شروط الاستزراع من مكان إلى آخر، ومن فئة سكانية معينة مثل الفرس إلى فئة أخرى من الرعية.

وتوجد دلائل كثيرة حاليًّا على أن نطـاق الإمبراطوريـة لا يتوقـف فقـط عنـد تحصيل الجزية والضرائب، وعلى العكس فهناك العديـد مـن المنـاطق التـي كانـت على مسرح الازدهار والنمو السكاني وغيرها لم تنتظر وصول الإسـكندر Alexander حتى تبدأ في النمو الكافي والازدهار، وقد أظهرت الاكتشافات الأثرية وجود مظاهر للتنمية المستدامة، وترجع إليها هذه الآثار البابلية سواء كانت قبل الفتح المقـدوني أو بعده، ويؤكد زينوفون أنه حوالي سنة 400 كانـت بابـل مرويـة ومزروعـة تمامـاً مثل Arab 10 II3 .

وهذه القدرة لا يمكن أن يتم وضعها في علاقة طردية للتحكم الاستعماري كما يتضح في مثال بابل، وتبقى حقيقة أنه إذا ابتعد الجانبان الاقتصادي والاجتماعي على أرض الواقع، فإننا سنلاحظ أن السيطرة الأخمينية لم تؤدِّ إلى حالة الفقر العام تلك التي تفسر بنظرية امتصاص الدماء .

وفي النهاية، فإن منظور زينوفون ليس بعيداً جدًّا عن الواقع، فإن وجهة نظر اقتصادية تتطابق مع وجهة نظر الملوك العظام إلى درجة كبيرة، وهي الإدارة الخريفية للأرض الزراعية، حيث أدرك الملك حقيقة أنه من أجل تأمين -ومن الأفضل- زيادة فوائدهم، فلا بد من اتخاذ الإجراءات التي تؤيد وتنمي القدرات الإنتاجية، ومع ذلك، لا يمكن التأكيد على انتهاجهم لسياسة تنمية اقتصادية؛ لأن السياسة الاقتصادية لا تنحدر إلى مستوى التدخل المركزي في أمور الإنتاج، ولأنه ليست كل القدرات الإنتاجية يتم التحكم بها بواسطة الإدارة الملكية، وبهذا يكون من الأفضل التحدث عن سياسة جمع الجزية والضرائب، حيث يمكن القول باطمئنان إلى أن الإيرادات الزراعية قد تم تحديدها من أجل إعلان الفخامة الملكية بكل مظاهرها في المركز والأطراف، وكذلك كل الأنشطة المرتبطة بالتعمير بطريقة التشجيع غير المباشر، وعلى سبيل المثال مظاهر الفخامة في مقررات الإقامة الإقليمية تسبب تطوراً في الأسلوب الفني الزخرفي مثل الأسلوب الإغريقي للفنانين الإغريق أو من يعملون بهذا الأسلوب الفني في مناطق عديدة في الإمبراطورية، وهذه المجالات في البلاد الإمبراطورية أو الإقليمية قد أوجدت أسواقاً وخاصة للسلع الترفيهية المعدة للملك العظيم وصفوة الحاشية انظر: هيرودوتHerodotus VIII، إيليان VHXVI ، وهذا المثال الذي قدمه بارمينون عن القواعد الفاعلة في اقتصاد الجزية والضرائب ذلك الذي قيل عن الإسكندر Alexander : «إن تدوير منتجات الإمبراطورية لا يمكن أن يتم

بضخ الأموال من المركز إلى الأطراف، وكذلك لو كان اتضح بشدة من الأطراف إلى المركز، فإن ذلك يؤدي إلى دمار الأطراف والمركز فيما بعد، وفي هذه الحالة لا يكون الملك من الحكمة بحيث يدير أملاكه بالطريقة الصحيحة، ولن تتمسك به الرعية أو البلاط، بل من الواجب على الملك صيانته وتنمية موارده سواء استغلال الضرائب والثورة، رجوعاً إلى ما ذكره أولمستيد عن زيادة عبء الضرائب والجزية، وهو بالتالي ما أثار السخط في الإمبراطورية، وسهل على المدى الطويل غزو الإسكندر Alexander ، فإن المشكلة الحقيقية هي صعوبة تقدير عبء هذه الالتزامات التي تدفع إلى الملك العظيم مع القدرات الإنتاجية للبلاد حتى الوصول إلى درجة العبء الذي يسبب الثورة، وأحياناً -حسب بلوتارخ- يقال إن ضرائب دارا Daruis كانت معقولة، ومن أجل حساب مدى ملاءمة نظام الجزية والضرائب فنحن في حاجة إلى إضافة الضرائب المركبة، وهي التي لم تتحدد كماً أو نوعاً في النصوص القديمة مع وجود استثناء واحد Neh 5:15 ، والضرائب الخاصة الدائرة تمثل عبئاً على الشعب وموارد المدن، ونحن نفكر في هذا الصدد في المدفوعات الخاصة التي تجمع من أجل الزيارات الخاصة بالبلاط الملكي، وعن تعليق هيرودوت Herodotus عن حالة المدن الإغريقية التي زارتها القافلة الملكية في عام 480 «أن الإغريق الذين كان عليهم استضافة الجيش الفارسي وتقديم العشاء للملك قد أصابهم الخراب، واضطروا إلى أن يغادروا منازلهم، بل غادروا وطنهم VII 118 ، ويؤكد هيرودوت Herodotus على تنحي الذين قاموا بواجب الضيافة، فلقد أصاب الخراب كل الأماكن التي مر بها الجيش، وقد تحمل الشعب معاناة شديدة من أجل تنفيذ الأوامر .

وبالإضافة إلى ذلك، فإن جسامة الجزية والضرائب والمدفوعات المحلية تضاف إلى تقدير كل منطقة على حدة سواء كانت الأرض

تخص المدينة أو المزارع أو مؤجرة، وفي المدن الإغريقية أدى نظام الضرائب المزدوج مدني وملكي إلى حدوث التوتر بين الحكومة المدنية والإدارة الملكية، ومنها الاضطرابات المعروفة التي شهدتها المدن الإغريقية، عندما توسلت المدن إلى الملك أو من يمثله أن يتكرم عليهم بالسيطرة على الضرائب، وأنه عندما تمنح إحدى المدن الإعفاء الضريبي لأحد الأفراد، فإنها تستثني من ذلك الضرائب الخاصة بالملك، وهناك مثال آخر على أنه في حالة وجود إنتاج، يتم أولاً تنحية الجزء المخصص للضريبة الملكية، ثم الضريبة المحلية، ثم يوزع الباقي، والهروب من دفع الضريبة يعود بالوبال على من يفعل ذلك، ويؤدي دفع الضرائب إلى زيادة حمل العمل على عمال الأرض، ومثال على ذلك القصة المأساوية لليهودي الذي كان من صغار المزارعين في نصيب الأرض الذي اشتكى قائلاً: «لقد اضطررنا إلى أن نستدين بضمان الأرض حتى ندفع الضرائب للملك»، وكانت الضريبة الملكية أكثر هذه الضرائب من حيث التكلفة؛ لأنها تؤخذ نسبة إلى الدخل كله بصرف النظر عما سيدفع من ضرائب أخرى، بالإضافة إلى ما يدفع إلى المعبد والموظفين .

ليس من السهل الكشف عن العلاقة بين الأزمة الإقليمية والسيطرة الاستعمارية، فإننا نلاحظ على سبيل المثال أنه في حوالي عام 418 كان سعر المواد الغذائية قد شهد زيادة كبيرة في عديد من المدن البابلية، ولكن من كان يستطيع القول أن هذا نتيجة أزمة ضرائب أو أزمة إعاشة أو محصول، وتشير الجداول الملكية إلى تكرار الأمطار والسيول التي كانت لها نتائج وخيمة حتى انتشرت مقولة إن وجود مجاعة في أرض ما جعلت سكانها يبيعون أبناءهم، وهذا قد يفسر ما قاله هيرودوت Herodotus واستشهد به أولمستيد بأن الغزو الفارسي يرتبط بإحداث الفقر للبابليين البسطاء، ونحتاج إلى تقدير دقيق عن مدى ما تحمله

الفلاحين في أثناء الغزو الفارسي، وهناك جدول أُعد أمام قمبيـز Campysi لتحديـد الحكم في أحد النزاعات بخصوص الضرائب .

وقد شهد هذا النزاع وجود تهديد من أحد الكهنة لمن يجرؤ على عـدم دفـع الضرائب، وليس من الواضح إذا كان هذا التهديد يرجع إلى مخالفة قد حـدثت، أو أنه يحذر من المخالفة هذه بصورة أسلوب العقاب الاستعماري، وهو دور الخاضـع - السيد؟ ربما، ولكن التساؤل المهم في هذا السياق عن طبيعة العلاقة بـين الصـفوة الاجتماعيــة في بابــل والإدارة الإقليميــة، والعلاقــة بصــفة عامــة مــع الهيئــات الاستعمارية، وتعود هنا إلى التأكيد على أن الجغرافيـا التاريخيـة قـد تـأثرت لفـترة طويلة بالنظرية التي تقضي بالزيادة المستمرة للأسعار في بابـل الأخمينيـة، وهنـاك دراسة حديثة قد ألقت بظـلال مـن الشـك عـلى هـذا اليقـين، حيـث كشـفت عـن انخفاض المحصولات الحقلية في السعر في الفـترة بـين أرتاكسركسـيس Artaxerxes الأول ودارا Daruis الثالث، وهناك دراسات متواصلة في هذا الموضوع حاليًّا، وهي سـوف تكمـل التحلـيلات المبنيـة عـلى مجموعـة حديثـة مـن الجـداول الفلكيـة، واختصاراً، فليس من المحتمل إبداء الرجوع إلى النظرية التقليدية السـابقة لتأكـدنا من زيفها.

وهناك رد آخر شيق يأتي من بوزا Jodah فقد اشتكى الفلاحـون مـن أنهـم قد اضطروا إلى استدانة المال بضمان أرضهم من أجل دفع ضرائـب الملـك Neh 5:4 ، ولكن يوضح الإطار أن هذا العبء الدائر على الفلاحين لا يرجـع فقـط إلى الضريبة الملكية، ولكن أيضاً إلى الصراعات الطبقية، وما يدفع للمعبـد الـذي زاد من العبء على الفلاحين اليهود، وبالمثل في المدن الإغريقية، وفي أي مكـان آخـر توجد ضرائب محلية مدنية، بالإضافة إلى الضريبة الملكية، ومـا يزيـد مـن شـدة وطأة الضريبة على الشعب هو تعدد الضرائب وجهـات التحصـيل، مثـل مـديرو الأرض والمشكلة أيضاً أنه ليس كل السكان متساوين في دفع الضريبـة، حيـث لا

يمكن أن تنال الضريبة من الملك والبلاط والمخلصين له، وهناك مثال على استفادة المدن من المحصول الملكي حيث تم بيع المحصول الملكي من القمح، واستفادت من ثمنه المدينة التي تم فيها البيع، وتبعاً لأنتيجوس Antigonus فإن القمح الملكي كان من القمح المتداول في منطقة إيجه، وبصرف النظر عن الميزة السياسية والمالية التي يكتسبها الملك العظيم وأتباعه في عمليات التسويق والتجارة لأنفسهم لاحظ أن كلمة الملك العظيم أحياناً تكون للتهكم، وأن الأغنياء يكونون في موقف تفاوض جيد في أثناء بيع هذا المحصول، وفي بابل يحقق الموظفون بعض الأرباح بتحويل الضرائب المجمعة بصورة عينية إلى صورة فضة حتى يمكن نقلها لمركز الحكم، وبهذا تساعد أيضاً في ثراء الإدارة الملكية.

وهناك مستند إلزامي في مصر يثبت شراكة بين شخص فارسي وآخر غير فارسي، وهناك دلائل أخرى مماثلة في بابل، وهذا يدل على تساوي دفع الضرائب بين المستعمِر والمستعمَر، وأن الفلاحين لم يستفيدوا من تدوير البضائع، بل قد أُضيروا منها، ومما سبق يتضح أن نظام الضرائب ليس هو السبب الوحيد لوجود نزاعات وثورات وأن تدوير المنتجات في المملكة قد يزيد من معاناة الفلاحين، وهذا ربما يكون ما قصده هيرودوت Herodotus عندما فسر «تجويع البابليين نتيجة الغزو 1.190».

وربما ترجع هذه المعاناة للبابليين إلى تغير نمط الحياة التي كان يتمتع بها الملكيون المحليون، وبصفة عامة، تغير أنظمة الحكم التي تقوم فقط على إرضاء الشعب، حيث إن السلطة الفارسية كانت -إلى حد ما- تتوارى خلف الستار وراء الحكام المحليين الذين عهد إليهم بفرض وجمع الضرائب والجزية محليًّا، مما قد يؤدي إلى عدم رضاء وتوترات مع الفلاحين، وعلى أية حال، لم تكن سياسة الملك في التعامل مع الصفوة الاجتماعية في مقاطعاتهم ليست إلا جزءاً صغيراً من استراتيجية استعمارية، ويستلزم نجاح هذا المشروع نظام سياسة مركزية وسياسية

غير مركزية فيما يخص الجانب الثقافي والاجتماعي، وليس هناك مبرر يدعونا إلى تخصيص الجزية والضريبة بكونها السبب الوحيد للثورات، وقد يكون عبء الضريبة سبباً في حدوث الثورات الكبيرة التي قامت في عام 522 جوستين 1.7.2، وهذا أيضاً كان تحليل بارديا Bardiya ، حيث أعفى الشعوب من الجزية والنفقات العسكرية لمدة ثلاث سنوات هيرودوتHerodotus III.67 ، وبالمثل قام أرتافرنيس Intaphernes باتخاذ إجراءات مماثلة لمعالجة حالة الثورة والسخط التي انتشرت بين شعبه، حيث كانت الإدارة الملكية من الذكاء بحيث تصلح من نظام الضرائب مع الاحتفاظ بمجموع القيمة المحصلة hap 12/5 ، وهذا الدليل -كما هو الحال مع بارديا- في إدارة دارا Daruis استطاعت أن تتكيف مع الوضع الراهن بما يقتضيه الأمر، والمرجعية الوحيدة الواضحة في هذا الموضوع تأتي من دارا Daruis الذي وصف الثورة التي تولدت في مصر في عهد إيناروس Inarus بهذه الكلمات، حيث ثاروا على الفرس، وبعد طرد الفُرس الذين كان من واجبهم جمع الجزية من مصر، ولا يوجد لدينا سبب لرفض هذه العبارة بالرغم من أنها تأتي في سياق عام مشكوك فيه، ويعني أن الفرس قد حكموا بشراسة وغطرسة توينوس كيرتيوس IV.7.15 ، ولكن هل هناك تأكيد على أن كل جامعي الجزية في هذا الوقت كانوا من الفرس؟ يدل السياق العام على أن المصريين هم من كان منوط بهم جمع الجزية على المستوى المحلي آريان III.5 ، وفي رأي دارا Daruis أن جامعي الجزية هم في المقام الأول رمز للسيادة الفارسية، بصرف النظر عن جنسهم العرقي، وفي حالة أخرى في مدينة سيدون، هاجم المقاومون القصور الإقليمية ديودورس Diodorus XVI 41 ، وحتى لو تطور الأمر إلى استهداف المخازن والاحتياطيات الغذائية، وكان المغزى أكبر من مجرد صفعة على الوجه، وقد شرح ديودورس Diodorus هذا الموقف: «كان أول

عمل عدائي هو قطع وتدمير الحديقة الملكية التي اعتاد ملوك الفُرس قضاء أوقات الاستجمام فيها، وهذا العمل ليس إلا إعلاناً للحرب، وهذا ربما كان للدافع الذي أغرى قادة الثورة المصريين على قتل جامعي الجزية الفُرس».

5- انتقال: بالرغم من أية وجهة نظر يختارها الفرد، تبرز حقيقة واحدة لا مجال للشك بها، وهي أن إمبراطورية دارا Daruis الثالث لم تكن بأي حال فترة يائسة كما وصفها الكتاب الإغريق بطريقة غير لائقة، وسواء كان الموضوع هو السلطة وهيبة الملك العظيم وقدراته العسكرية والمالية والأنشطة الإنتاجية في مختلف البلاد، أو التعاون على المستوى المحلي وعلى المستوى الملكي العام، فإنه ليس من الإنصاف أن نقول إن إمكانيات الإمبراطورية كانت في حالة تدهور، وتؤكد الدراسة -على الأقل- أن النظرية التي تقول «بانحطاط الحقبة الأخمينية» يجب إهمالها بكل حزم، والاحتفاظ بها فقط للعرض في المتاحف التي تعرض العجائب التاريخية الجغرافية، ولكن توجد بوضوح فقط خاتمة جزئية تمهد الطريق لتفسير آخر: إن الهزيمة التي وقعت على يد المقدونيين لا تعني أزمة أُفول في دورة حياة الإمبراطورية، بل تعني نوعاً من الضعف البنائي، وهذه هي الفرضية التي سوف نحاول دراستها في الفصل التالي، والذي خُصص لتناول رد الفعل الإمبراطوري تجاه الاعتداء المقدوني، وهذه ليست مهمة بسيطة؛ لأنه مثلما هو الحال في الحروب الفارسية تعرف حرب دارا Daruis الثالث فقط عن طريق الكُتاب الذين ينتموا بصفة كاملة للقضية الأوروبية، ومن العبث إعادة تركيب الأحداث التي وقعت من وجهة النظر الأخمينية لغزو الإسكندر Alexander .

الجزء السادس

سقوط الإمبراطورية 330-336

الفصل الثامن عشر

دارا Daruis والامبراطورية

ومواجهة الاعتداء المقدوني

1- الأقاليم، الجيوش، والاستراتيجيات:

الهجوم المقدوني الأول 335-336:

نعرف أنه عقب الانتصار في شارونيا Chaeronea شرع فيليب Philip في إنشاء تحالف يكون هو زعيمه، وكان الهدف الرسمي المعلن من وراء إنشاء هذا التحالف هو شن هجوم على العدو: الغاية هي القيام بحملة ضد الفُرس طلباً للثأر بعد الدمار الذي حدث في عام 448، وبالتالي يتم تحرير المدن اليونانية الواقعة في قارة آسيا ديودورس Diodorus 89.16 ، ومن أجل تحقيق هذا الغرض قام ملك مقدونيا بإرسال فيالق مقدمة جيشه إلى آسيا الصغرى في عام 336 تحت قيادة كل من بارمنيون Parmenion وأتالوس Attalus وأمينتاس Amyntas ، وكانت مهمتهم هي الإعداد لوصول الجيش الملكي 16.91.2، جوستين Justen 9.5.8، والمعلومات التي لدينا قليلة عن هذه العملية؛ لأن المؤرخين القدامى ديودورس Diodorus وبولينوس Polyaenus سلطوا الضوء بصورة كلية على ميمنون Memnon ، وبالتأكيد لم تكن الأمور في بادئ الأمر في صالح الفُرس، وظهر هذا جليًّا عندما تم طرد الحكومات الموالية لهم من ليسبوس Lesbos وكايوس Chios وإيفسس Ephesus ، وربما أيضاً

من إيسوس Issus ، وفي أثناء تلك الفترة تـم تشـييد تماثيـل لفيليـب Philip عنـد معبد أرتميس وفي إيفسس Ephesus وفي مدن عديـدة داخـل ليسـبوس Lesbos ، وأشـــار بـــارمنيون Parmenion إلى الفصـــائل الموجـــودة هنـــاك واصـــفاً إياهـــا «بالديمقراطيـة» أريـان Arrian 1.17.11 ، وربمـا تـم تـدمير التمثـال الـذي أقامـه أريوبارزانيس Ariobarzanes في حرم أثينا أثناء القتال في تـروز Troas ديـودورس Diodorus 17.2.3.6، ولم تتأثر العمليات باغتيال فيليب Philip واعتلاء الإسكندر Alexander للعرش، لكن بالطبع خلقت هذه الأحـداث ظروفاً تميـل أكـثر لصـالح دارا Daruis الثالث لشن هجوم مضاد .

وفي بداية حكمه أرسل الإسكندر Alexander فرقة عسكرية إلى آسيا الصغرى تحت قيادة هيكاتس Hecataeus ؛ حيث انضم إلى كل مـن بـارمنيون Parmenion وأتالوس Attalus ، وكانت مهمته الحقيقية هي التخلص من أتالوس Attalus الـذي كان يشك الملك في خيانته، وكان أتالوس Attalus يقـوم بتـدبير مكائـد تثـير القلاقـل داخل الجيش المقدوني حتى لحظة اغتياله عـلى أيـدي رجالـه، أو بواسـطة بـارمنيون Parmenion كوينتس كيرتس Quintus Curtius 7.1.3.8.7، ومـع ذلـك لم يخطـط ميمنـون Memnon للاسـتيلاء عـلى سـيزيكس Cyzicus ديـودورس Diodorus 17.7.8؛ بولينس Polyaenus 7.44.8، وعادت الحكومـات المسـتبدة الموالية للفـرس إلى مواقعهـا في كـل مـن ليسـبوس Lesbos وإيفســس Ephesus أريـان 1.17.12 Arrian ، وتعرض كولاس Callas لهزائم متعددة في تروز Troas ديودورس 17.7.10 Diodorus ، ومـع بدايـة عـام 334 لم تبـقَ سـوي أبيـدوس فقـط تحـت السـيطرة المقدونية أريان Arrian 1.11.6، ورغم أن هذه الأحـداث لم يـتم توثيقهـا عـلى نحو كـافٍ فإنهـا تفـرز انعكاسـات متعـددة، فعـلى المسـتوى العسـكري هنـاك اختلاط في الموقف: في البداية حققت فيالق الحملات المقدونية انتصارات كبيرة،

حتى إن بارمنيون كان بإمكانه التوغل لأكثر من ذلك والوصول إلى ماجنسيا Magnesia وسبيلم Sipylum بولينس Polyaenus7.44.4 ، وهذا بدوره يؤكد ما صاحب ذلك من وقوف الفُرس في موقف الدفاع على الأقل في المراحل الأولى، وهو الشيء الذي ظهر جليًّا في الهجمات المقدونية أثناء القرنين الرابع والخامس، وفي الوقت نفسه نريد أن نؤكد هنا أن المصادر التي نستقي منها معلوماتنا هي متحيزة بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى .

ووفقاً لما ذكره ديودورس Diodorus 17.7.1 فان دارا Daruis «فكر في تحويل دفة الحرب القادمة نحو مقدونيا، وبدأ في الاعتناء جديًّا بقواته، حيث قام ببناء عدد ضخم من السفن الحربية وحشد جيوش قوية متنوعة، وفي الوقت نفسه قام باختيار أفضل القادة»، وفي خضم تلك الأجواء تحول نحو ميمنون Memnon الذي كان «جسوراً ولديه وعى استراتيجي»، وقام الملك بتزويده بخمسة آلاف من الجنود المرتزقة، وأمره بالتحرك نحو سيزيكس Cyzicus ومحاولة الاستيلاء عليها 7.2.3، ومع ذلك فإن عرض ديودورس Diodorus للأحداث يجب على الأقل تكملته وإظهار الفروق الدقيقة، فقبل أي شيء، فان ميمنون Memnon لم يكن هو القائد الوحيد للحملة، وتعتبر الخدع المالية المنسوبة لروديان Rhodian بي سي- أرست، أوك 2.29 [1531] دليل على أنه كان قائداً لقوات مرتزقة في خدمة الفرس، وكان ميمنون يقوم بدفع رواتب جنده وإطعامهم من خلال فرض ضرائب على المدن، وربما تشرح هذه السياسة رد فعل سكان سيزيكس Cyzicus بولينس Polyaenus 7.44.5 الذين لم تكن لديهم الرغبة في الاستسلام للابتزاز، بالإضافة إلى ذلك لم يكن المرتزقة من اليونان فقط، ولم يكن ميمنون هو قائد الجيوش الملكية، لكن إذا تكلمنا بشكل محدد فإنه من المستحيل الاعتقاد بان أريستس Aristes مرزبان مدينة هيلبسبونتاين فريجيا

Hellespontine Phrygia لم يشارك في القتال الذي دار أغلبه على أرضه، ويمكننا التعامل بالمنطق نفسه مع سبثريداتس Spthridates حاكم مدينة سارديس Sardis ، حتى إنه من المرجح جدًّا حدوثه، كما في عامي 340-341 بوسانياس Pausanias 1.29.10 ، وأيضا في 334 أريان Arrian 1.12.8.10 ، أن أريستس Aristes هو الشخص الذي تلقى الأوامر المباشرة من الملك، وعلاوة على ذلك فإن ديودورس Diodorus يلمح ضمنيًّا إلى أنه لم يتمّ إخضاع الفُرس فعليًّا حتى اعتلاء الإسكندر Alexander للعرش، وحدث ذلك تقريباً في وقت اعتلاء دارا Daruis نفسه للعرش صيف 335 .

والقول بأن رد الفُرس كان بطيئاً هو أمر مشكوك فيه أيضاً، فمهما كان مدى اتساع الاضطرابات في الوسط وفي بعض المناطق مصر؟ -بالتأكيد أقل مما ذكر- فإن السلطة المركزية كان سيتم إبلاغها بواسطة أريستس Aristes لاتخاذ التدابير اللازمة، وتعتبر عملية تعيين أروتنباتس Orontobates لحكم كاريا-ليشا -Caria-Lycia أريان Arrian 1.23.8 دليلاً على أن حكم أرسس/ أرتاكسركسيس Arses/Artaxerxes الرابع، وبداية حكم دارا Daruis زادت فيها المكائد داخل القصر .

ومن هنا يتضح لنا أن ديودورس Diodorus وبولينس Polyaenus ، بسبب تركيزهم على شخصية ميمنون، لم يكن لديهم شيء ليقولوه عن العمليات التي نفذت عام 336؛ لذلك لا يمكننا بالضرورة وصف الملك بالسلبية، وعلى النقيض من ذلك، هناك سبب معقول جدًّا للاعتقاد -كما ذكر ديودورس Diodorus 17.7.13 - أنه حتى الجهات الأخرى مصر؟ ربما كانت بحاجة لاهتمامهم، وأضحى كل من أرتاكسركسيس Artaxerxes الرابع ودارا Daruis الثالث أكثر تفهماً لمشكلات جبهة آسيا الوسطي .

2- دارا Daruis ، عماله:

وصول الإسكندر Alexander مايو/أيار -يونيو/حزيران 334:

كـان الإسـكندر Alexander آمنـاً مـن الناحيـة الأوروبيـة لـذلك سـلك هـو وجيشه طريق ثراشن Thracian في بداية ربيع عام 334، وقام بعبـور هيلسـبونت Hellespont أريان Arrian 1.114.6.8 ؛ 121-7 وأُعطيت لبارمينون قيـادة الجـزء الأكبر من الجيش، حيث عبر من سيتس Sestus إلى أبيدوس Abydos ، ولم يعترض طريقه أحد مدعوماً بـ160 سفينة ثلاثية المجاديف، وعدد ضخم من زوارق النقـل، وفي الوقت نفسه هبط الإسكندر Alexander في تروز Troas بمساعدة عدد قليـل من القوات، حيث قام بـ «الحج إلى هوميري»، وهو شاعر إغريقي قديم ديـودورس Diodorus 17.17.1.3 بلوتارخ Plutrach ، أليكس Alex 15.7.9، بعد ذلك ذهب إلى أريسـبي Arisbe وبيركـوت Percote قبـل التوجـه نحـو جـرانكس Granicus والوقوف على ضفتيه أريانArrian 1.13.1، وقام «القادة والحكام» الفُرس بحشد قواتهم قرب زيليا Zeleia استعداداً للرد على قـدوم الإسـكندر Alexander ، ومـن أكثر المشكلات إثارة للجدل هـي: لمـاذا لم يحـاول الفُـرس منـع الوصـول المقـدوني؟ وديودورس Diodorus هو الوحيد الذي يسأل هذا السؤال صراحة، ويمتلك إجابـة جاهزة: «لم يتحرك القادة والحكام الفُرس في الوقت المناسـب لمنـع وصـول الجـيش المقدوني، لكـنهم حشـدوا قـواتهم وعقـدوا مجلسـاً مجلـس زيليـا، وقـرروا القتـال، واسـتدعوا القـوات مـن كـل جهـة وقـاموا بالتوجـه نحـو هيلبسـبونتاين فريجيـا Hellespontine Phrygia »، لكن يبقى تـأخر تحـرك الفُـرس مثـيرا للدهشـة؛ لأن الهجمات المقدونية ما بـين عـامي 335-336 والإعـدادات والنـداءات التـي وجههـا الإسكندر Alexander لشعبه لم تدع مجالاً للشك في نياته .

ندرك أن مثل هذا الموقف يمثل موضوعاً مثيراً عند ديودورس Diodorus جنباً إلى جنب مع زينوفون Xenophon ومؤرخين يونانيون آخرين: درجة التحرك المتعمدة للجيوش الفارسية كانت عائقاً شل حركتهم 7.4.1.2، ومع ذلك، هذه الملاحظة يمكن تطبيقها حقيقة على الجيوش الملكية الغفيرة المجتمعة كما هو الحال في أسوس Issus جوجاميلا Gaugamela ، على سبيل المثال، لكنها غير مقنعة لو طبقناها على جيش جرانكس Granicus ، حيث يتكون من قوات إقليمية المستعمرات العسكرية، الفرسان بواسطة فُرس الشتات وملاك الأراضي التي حصلوا عليها كمنح، وفرق عسكرية من الشعوب المحتلة مثل بافلاجونياز Paphlagonians ، حيث يمكن حشدهم في وقت قصير، بالإضافة إلى أن هذه القوات بعضها على الاقل تم تعبئتها قبل عام 334، ولا بد أنها اشتركت في القتال الذي دار بين عامي 339 و336 .

واعتماداً على اليوم المحدد للمعركة أبريل/نيسان أو مايو/آيار يمكننا افتراض أن الفُرس قاموا بتجميع قواتهم في الثكنات الشتوية، فربما كانوا في مكان بعيد عن التطورات الجارية 19.44.4.86؛ 2، وبالرغم من ذلك، وللمفارقة، فإن جزءاً من حقيقة هذه الفرضية بطبيعة الحال يقود إلى مواجهة الفكرة القائلة بأن الفُرس قضوا شهوراً في حشد قواتهم، وعند عقد مقارنة مع ما ذكر أريان Arrian نصل إلى حل أكثر عقلانية -في الحقيقة كما يكتب ديودورس- مجلس الحرب عقد في زيليا، واشترك فيه كل حكام آسيا الصغري، وهناك قائمة بالمشتركين وثقها أريان Arrian ديودورس Diodorus يسمى ميمنون Memnon فقط، يقول أريان Arrian بوضوح شديد إن قوات الفُرس عسكرت بالفعل في ذلك الوقت قرب المدينة، وباختصار، رغم ادعاء ديورودس Diodorus لم ينتظر القادة الفُرس بالطبع وضع استراتيجياتهم من أجل تعبئة القوات؛ لأن سبب

هذا الموقف مختلف تماماً، ويساورنا الشك في أن يكون جيش بري وحده كافياً لمنع الوصول المقدوني، حتى لو تذكرنا ما قام به قائد فارسي عندما تحدي سفناً يونانية مع فرسانه في أحد المواقف بالقرب من أبيدوس Abydos كملاذ أخير زينوفون، هيل 1.2.6، القوات البرية يمكنها أحياناً منع أسطول من الحصول على إمداداته من المياه أريان Arrian 1.9.8 لكن كان يلزمهم معرفة رؤوس الشواطئ التي ينوى الجيش المقدوني استخدامها، وهو الشيء الذي يصعب جدًّا تحديد نتيجته؛ لأن الإسكندر Alexander اختار أن يُقسّم قواته لأسباب لا ترجع بصفة أساسية إلى رغبته في إجلال الأبطال اليونانيين في حرب طروادة أريان Arrian 1.11.12 ، باختصار، لم يقم القادة الفُرس بحشد جنودهم بجانب البر «لمنع عبور الجيش المقدوني» ديودورس Diodorus 2.18؛ لأن مثل هذه الفكرة لم تخطر ببالهم إطلاقاً.

ولو قرر الفُرس منع عبور الجيش المقدوني بالطبع كانوا سيلجأون لقواتهم البحرية، ومن أجل التأكيد هنا على أنه لا يوجد نص قديم يشير إلى وجود زورق واحد فارسي في البحر، وهذا أمر يثير الدهشة؛ لأنه في ذلك الوقت كانت للفرس هيمنة بحرية لا يمكن إنكارها مقارنة بما يمتلكه الإسكندر Alexander من 160 سفينة ثلاثية المجاديف وزوارق نقل، ويذكر أريان Arrian 1.6 أنهم كانوا يمتلكون هيمنة على البحر في وصفه للموقف أثناء الأسابيع القليلة اللاحقة عندما وصل الإسكنر إلى أسوار ميليتس Miletus ، ويذكر أريان أن القوات البحرية الملكية كانت تتكون من 400 سفينة مزودة بأطقم مدربة جيداً قادمة من قبرص، ومن فينيقيا Phoenicia على وجه الخصوص، وكانت هناك أيضاً فرق عسكرية من مدن يونانية أسيوس 1.19.11، يقول أريان Arrian إن هذا الأسطول «وصل متأخراً جدًّا إلى ميليتس Miletus ، مشيراً إلى أن القوات الفارسية كانت بالفعل على جبهة آسيا الصغرى، لكن هذا لا يكشف سبب ذهابهم

وإيابهم خلال الأسابيع الماضية؛ لأننا لا نعرف المنطقة التي بدءوا الإبحار منها نحـو ميلتيس Miletus ، ونتيجة لذلك، تبقي معلوماتنا ناقصـة بسـبب غيـاب الأسـطول من هيلسبونت Hellespont غالبـاً بسـبب تمـرد خبـابش Khabbabash في مصر، بيد أن هـذه النظريـة لا تبـدو مستسـاغة، ويجـب أن نتـذكر في القـوت نفسـه أن الدليل الوحيد المتاح لا يحدد تاريخ بعينـه لمـا حـدث في الـدلتا The Delta ، وإذا تكلمنا بوضوح، فإن تحديد تاريخ ذلك التمرد الذي عطل وصول الأسطول لشواطئ آسيا الصغري يُلزمنا أن نتبع طريقة القياس الدائري المقبولة تاريخيًّا، لكنها منهجيًّـا لا يفضل الاعتماد عليهـا، وبالتـالي ليسـت لـدينا إجابـة عـن هـذا السـؤال أو، أكـثر تحديدا، لا توجد إجابة من الإجابات المتاحة تتعدى حـد الاحتماليـة، فهنـاك دليـل إضافي غائب .

على أية حال، فقـد اتضـح لنـا أن القـادة الفُـرس عقـدوا مجلـس حـرب، إذا استخدمنا عبارة أريـان Arrian ، ويصـف أريـان Arrian الاجـتماع كالتـالي: «عـلى النقيض من نصيحة ميمون Memnon الذي أوصى بحرق الممتلكات قبـل وقوعهـا في أيدى العدو، اختـار أريسـتس Aristes -مـدعوماً مـن بـاقي القـادة الفـرس- أن يخوض المعركة، وبنى ميمنون Memnon اقتراحه عـلى دعـامتين: الأولى، «الجـيش المقدوني أقوى من الناحية البرية»، ثانياً، «لن يبـقَ الإسـكندر Alexander في بلـده في انتظار أن تُرد عليه مدنـه»، وفي إجابتـه تلـك، «قـال أريسـتس Aristes لمجلـس الحرب أنه غير مستعد لإحراق بيت واحد من بيـوت جنـوده»، وسـاند رأيـه بـاقي القادة الفُرس، فهم -علاوة على ذلك- ينظرون بعين الشـك إلى ميمنـون Memnon معتبرين قيامه بعمليات شبه حربية إنما هي راجعة للحظوة التي له عند الملك .

وتكلم ديودورس Diodorus أيضاً عن مجلس الحرب مقدماً عرضـاً متطابقـاً لخطـاب ميمنـون Memnon 17.18.2.4 ، ويؤيـد ديـودورس

Diodorus بقوة اختيار ميمنون الاستراتيجي: «لقد أثبتت الأحداث بعد ذلك أنه كان أفضل مجلس حرب»، ثم يقدم شرحاً عقب ذلك -من وجهة نظره- لسلوك القادة والحكام الفرس: قاموا برفض نصيحة ميمنون Memnon ووصفوها بأنها «انتهاكاً للكرامة الفارسية»، وتثير الحكايات القديمة والقياس البسيط عدداً من الأسئلة عن دور ميمنون Memnon ، وعن أسباب اختيار للفرس لاستراتيجيتهم، وعن مشاركة دارا Daruis ، أولاً، دعونا نلفت النظر هنا إلى إنه بينما تتفق رواية ديوردوس Diodorus وأريان Arrian ، فان الأول يميل بطريقة سافرة إلى ميمنون الذي يصفه مرة أخرى بأنه «كان مشهوراً بكفاءته العسكرية»، فهو يصور ميمنون Memnon على أنه الشخصية الرئيسة في مجلس الحرب بدون تسمية حاكم أو قائد فارسي واحد! ومن هنا ندرك أن تقديره لميمنون Memnon وتقييمه لاقتراحاته تشبه طريقته في وصف الاجتماعات الاخري، خاصة النقاشات التي دارت بين إيفكراتس Iphicrates وفارنابازوس Pharnabazus في مصر، ففي هذه القضية قام فارنابازوس Pharnabazus وبجواره القادة الفُرس برفض النصيحة اليونانية والتي يعتبرها ديودورس Diodorus حكيمة لأسباب تتشابه بصورة غريبة مع وصف ديودورس Diodorus لأرستس Aristes وزملائه: «كان فارنابازوس Pharnabazus مرتاباً من جسارة إيفكراتس Iphicrates وشجاعته خاشياً أن يقتنص حكم مصر لنفسه، والحقيقة أن بعض القواد كانوا يحقدون على إيفكراتس Iphicrates ويحاولون إلصاق التهم الظالمة به» 15.34.2، وفي محاكاة أخرى يقوم ديودورس Diodorus بتمجيد ميمنون Memnon ، وذكر ماله من السلطة والنفوذ مغايرةً للحقيقة.

وفي الوقت نفسه كان يمدحه على الخطط التي يضعها ينتقل مسرح الأحداث الآن كلية إلى أوروبا، وبالتأكيد لم يكن ذلك يناسب ما يجري وقتها، وفي الحقيقة يوضح أريان Arrian أن مجلس الحرب تشكل من

الفرس، ومنطقيًّا أن يتـأثر أريسـتس Aristes بكبريـاء الـقصر، وكـان معهـد حـاكم هيلبسـبونتاين فريجيـا Hellespontine Phrygia ، وهـو الشـخص الـذي تحمـل المسؤولية الأولية عن العمليات العسكرية كما فعل عام 341 بوزانياس 1029.10 .

وفي عـام 334 لم يكـن ميمنـون Memnon أكـثر مـن قائـد لإحـدى فيـالق الفرسـان متمركـزة عـلى الأراضي التـي يسـيطر عليهـا في تـرو Troas . ديـودورس Diodorus 18.19.4، ولـو طلـب مـنهم معرفـة رأيـه فسـيكون رأيـاً مـن بـين آراء عديدة.

ولو كانت عندنا فكرة عن كيفية حصول المـؤرخين القـدامى عـلى معلومـاتهم كان سيكون ذلك عظيم الأثر، فلو أن أريان Arrian اعتمـد عـلى مصـدر معلومـات ديـودورس Diodorus نفسـه، فإنـه عـلى الأقـل اسـتخدمها بطريقـة أكـثر احـترازاً وبانحيازيـة أقـل، مـع أنـه أيضـاً يـذكر خـوف القـادة الفُـرس مـن طمـوح ميمنـون Memnon الذي يتمتع بالرضا الملكي، ومازالت الحجج التي تبادلها كل من ميمنـون Memnon والقـادة الفُـرس تثـير شـكوكاً متعـددة، ونحـن نتفـق مـع ديـودورس Diodorus على أن استراتيجية ميمنون Memnon كانت ستؤثر بفاعلية، وبالتأكيـد كان الإسكندر Alexander بحاجة لإعادة تمويل قواته من جديـد مـن الـبر، ويجمـع المؤرخـون القـدامى عـلى أن الإسـكندر Alexander في الوقـت ذاتـه كـان في عـوز للمال، ووفقاً لما ذكره كـوينتس كـيرتس Quintus Curtius 2042 وأريـان Arrian 70906 ، فـإن الإسـكندر Alexander ورث مـن أبيـه دينـاً يبلـغ 600 طـالن، لكـن أسهمت غنائم الحرب مع دخل المناجم في معالجة الموقف، وعنـد وصـوله بـالقوات كان معه ما يكفي من الأموال لتوفير ما يحتاجه الجيش لمدة 30 يوماً، بعبارة أخرى، كان من الضروري أن يحقق الإسكندر Alexander نصراً سريعـاً؛ ليمكنـه مـن وضـع يده على الكنـوز الفارسـية، وعـلى النقـيض مـن هـذه الحجـج التـي تبـدو عقلانيـة

ومنطقيـة، اعتمـد القـادة الفُـرس عـلى حجتـين، كـما ذكـر كـل مـن ديـودورس Diodorus وأريان Arrian ، حيث يظهر تضاربها من الوهلة الأولى، ويمكن مقارنة رأي أريسـتس Aristes بالنصـوص الأخـرى للتـدليل ضـمنيًّا عـلى أن المهمـة الأولى للحاكم الفارسي هي حماية الأرض من ويلات الحروب كوينتس كـيرتس Quintus Curtius : 3.4: وهذا يفسر لنا كيف استعاد أريستس Aristes ثقة الملـك وكسـبه في صفه، وارتكز عـلى هـذه السياسـة كانطلاقـة لترقيـات يحصـل عليهـا مـن الملـك زينوفون Oxenophon ، أول 11-89، هذه الافتراضات منعتـه بشـكل مبـدئي مـن اتباع تكتيكات ميمنون Memnon ، لكننا نشك في وصول أريسـتس Aristes لمثـل هذا الاستنتاج الحاسـم بواسـطة الاعـتماد ببسـاطة عـلى هـذه الاعتبـارات، وهـذه المناظرة شبيهة بما جرى بـين أرتبيـزاس Artabazus ومـاردونيس Mardones عـام 479، والتي أوردها هيـرودت 8-41 Herodotus ، ففي رده عـلى رأي مـاردونيس Mardones ، اقترح أرتبيزاس Artabazus إقناع اليونانيين بـالخروج مـن التحـالف بدلاً من الدخول في معركة معهم، ويوافق هيرودوت Herodotus بشـدة عـلى مـا طرحـه أرتبيـزاس Artabazus واصـفاً إيـاه بأنـه «رجـل ذو بصـيرة»، بيـنما يصـف ماردونيوس بأنه «عبر عن نفسه بطريقة متعنتة وصلبة»: كان متأكـداً» أن الجـيش الفارسي أكثر قدرة مـن الجـيش اليونـاني؛ لـذلك فمـن الأفضـل أن نخـوض المعركـة بالطريقــة المعتــادة عنــد الفــرس، مــن هــيرودوت Herodotus إلى ديــودورس Diodorus ومــن مــاردونيوس Mardones إلى أريســتس Aristes تتلاقــى أوجــه الشبه وتبدو أكثر وضوحاً، وأسهم غرور الحكام الفُرس عام 334 بشكل بيّن في رفض ما طرحه ماردونيوس معتبرين رفض القتال مهانة لكرامتهم.

برغم و/أو بسبب التقارب الكبير بـين التقـارير الـواردة مـن زيليـا -كـما تذكر رواية هيرودوت Herodotus - فلن يكون مـن الحكمـة الاعـتماد عـلى تفسـير ديـودورس Diodorus للأحـداث دون الغـوص أكـثر في التفاصـيل،

فمصطلح الغرور الفارسي الذي استخدمه هو تطور بصورة فعلية من الحياة من خلال مفهوم المنافسة الرياضية التي يصور بها معركة جرانيكس -التي عرفنا نتيجتها- كما أوردها هو كمحصلة للمونومافيا التي حرضت الإسكندر Alexander ضد سبيثريداتش، وهو الفارسي الذي يمتلك شجاعة شامخة، ويرى الفُرس أن فرصته في معركة واحدة تكون هبة ربانية، وكان يأمل -تقوده بسالته الذاتية- أن يتم إنقاذ آسيا من هذا التهديد المرعب 3-18.20.2 .

حدثت المبارزة أمام أعين الجنود المذهولين من الموقف 20.5، ووردت بالمنهجية نفسها التي يتبعها كل من ديودورس Diodorus 6-518.83.5 وكوينتس كيرتس Quintus Curtius 38-8.4032 في كل القصص التي ذكروها، وهو النهج نفسه الذي اعتمد عليه العديد من المؤرخين القدامى في روايتهم لمعركة أسوس Issus بولبيس 11.22.2 FGrH 195 ، وبالرغم من ذلك، وبعيداً عن أن رواية ديودورس Diodorus يمكن تحديها بسهولة، فلو أن كلمة غرور قد استخدمها بدون حسن تمييز، فمن المحتمل أن ننتقل إلى أرضية أخرى متحولة وغير معروفة، «علم نفس الشعوب»، ورغم أن شجاعة الفُرس امتدحها المؤرخون التابعون للإسكندر، لا توجد هناك جينات كامنة عند أرستكورات تجعله يدخل المعركة مهما كانت التكلفة، وربما على النقيض مما عناه ديودورس Diodorus ، أو عكس ما ذكره البعض على لسانه في مناسبة ما، لم يتعود الفُرس على التخلي عن اتزانهم، بغض النظر عما نفهمه من التحرك التكتيكي الذي اتبعوه خلال المعركة، ولم تضطرهم أخلاقياتهم الأرستقراطية -التي يمكن ملاحظتها بسهولة في المقدونيين- إلى اتخاذ قرارات «متصلبة» هيرودوت Herodotus 8.41 تخرجهم تماماً من العقلانية العسكرية.

بالإضافة إلى ذلك فإن هيرودوت لم يكن بوسعه إخفاء حقيقة أن قرار

ماردونيوس Mardones كان مبنيًّا على هدف موضوعي منع اليونانيين من حشد قواتهم يذكرنا بمواقف كثيرة طبق فيها الفُرس استراتيجية حرق الممتلكات قبل وقوعها في أيدي العدو انظر: كوينتس كيرتس Quintus Curtius 30403، ومن بين من قام بذلك دارا Daruis نفسه: انظر: كوينتس كيرتس Quintus Curtius 5.9.14، ديودورس Diodorus 8.55.2 أو الاحترازات التكتيكية التي أعلنوا عنها انظر: ديودورس Diodorus 15.3.1-2 أو رفض الدخول في معركة يعرفون مسبقاً أنها في غير صالحهم انظر: زينوفون Oxenophon ، هيل Hel 5.1.17.

وكان أريستس Aristes وزملاؤه يدركون الحقيقة المصاحبة لكل ذلك فوق وما وراء كل مناقشات الأخلاقيات التقليدية، وهي أن ما يريده الملك هو شيء واحد: النصر، وبالتالي فإن الأجواء تبدو في صالحهم عام 334 وتعتبر التقييمات التي أصدرها كل من ديودورس Diodorus وهيرودوت Herodotus تأييداً لاختيارات ميمنون Memnon وأرتابازوس Artapazus إنما تعبر عن آرائهم الشخصية، وقد حققت القوات الفارسية فعليًّا نجاحات تستحق التقدير على القوات المقدونية في العام المنصرم، أضف إلى ذلك أن أرستس Aristes يحق له الاعتقاد بأن تفوقه العددي وشجاعة فرسانه يؤكدان وجهة نظره المتفائلة تجاه المستقبل .

ولكن دعنا نتجاوز كل ذلك ونطرح سؤالاً: هل كان أريستس Aristes يملك الحرية المطلقة لاتباع استراتيجية من اختياره هو؟ فالمؤرخون القدامى لا يذكرون كلمة واحدة عن دارا Daruis الثالث، فلو أننا اتبعنا ما قاله ديودورس Diodorus بأن الملك كان قد اتخذ قراراً سابقاً بالتعبئة العامة 702، لما ظل يؤكد من أن القادة الفُرس يعتمدون على أوامر الملك في كل شيء انظر 2، 41، 14 فهل يمكننا تخيل أن دارا Daruis الثالث لم يكن مهتماً بما يحدث في ربيع عام 334، وأنه خول أريستس Aristes لاتخاذ القرارات الاستراتيجية بنفسه، هناك مؤرخ وحيد

اسمه جستين Justen ألمح إلى هذا وبصورة غير مباشرة أثناء سياق حديثه عن مغزي النقاشات التي دارت في زيليا: في ذلك الوقت ترفع الملك دارا Daruis عن اللجوء إلى خدعة واثقاً في قواته، وقال إن إخفاء خططنا سيكون حاسماً في تحقيق النصر، ووقعت المناوشة الأولى مع العدو نتيجة لذلك في سهل أدارستي» جستين Justen 10.68.10، ومع أن توصيفات جستين Justen يمكن إخضاعها للنقد، فإنها على الأقل توضح أن أريستس Aristes تلقي أوامر من الملك لوضع خطط من أجل خوض معركة في فيرجيا Phyrgia ، وهذا يتفق مع تقليد متبع في الإمبراطورية الفارسية: رغم أن التكتيكات كانت من وضع أريستس Aristes الذي استشار بدوره زملاءه في هذه النقطة، فإن دارا Daruis هو الذي وضع الاستراتيجية تماماً، كما اتخذ ماردونيوس Mardones قراراته على أساس أنه تلقى أوامر من الكسركين 5-3/4، وهذا بدوره يثير مزيداً من الشكوك حول القول بأن مجلس زيليا فعلاً اجتمع من أجل الاختيار بين استراتيجيتين: لكن الشيء الأكثر احتمالاً هو أن سبب الاجتماع كان من أجل اتخاذ القرارات العسكرية وتحديد دور ووضع كل قائد، أما حكام الاقاليم من الفُرس فقد انضموا للقتال؛ لأنهم تلقوا أوامر بذلك، بالإضافة إلى خوفهم من أن يعتبر عصيانهم خيانة عظمى في حق الذات الملكية، ويوقع عليهم عقاباً قاسياً، وحتى لو اتفقنا مع ما ذكره كل من ديودورس Diodorus وأريان Arrian عن حدوث مناظرة، فإن تفسيرهم لما وقع ذكروه بكلمات مختلفة بالتأكيد غير صحيح، يمكننا ببساطة أن نفترض حدوث مناقشة عارضة عن الأخلاقيات، لكن لم يكن هدف هذه المناقشات هو تحديد الاستراتيجية أو مراجعة القرار الملكي الذي يقبله الفُرس بسهوله؛ لأن خوض المعركة سيؤدي إلى إشباع غرورهم -كما يذكر ديودورس Diodorus - الشيء الذي كان بالغ الأهمية بالنسبة لهم، وستكون فرصة لأرستس Aristes لإثبات شجاعته أمام دارا Daruis الثالث برغم أن الفرصة

جاءت مع خطر داهم أريان Arrian 1.16.3 انتحار مرزبان فارسي بسـبب فشـله، دارا Daruis على جبهـة مدينـة بابـل وآسـيا الصـغرى 333-334 مـن وجهـة نظـر الفُرس لم تكن الهزيمة في جرانكس Granecus حدثاً حاسماً وعـلى الجانـب الآخـر، آخذين في الاعتبار الصعوبات التي واجهها الإسكندر Alexander عند وصـوله مـن الناحية المادية، على سبيل المثال، فقد أسهم النصر في تبديد الكثير من المخـاوف، لم يشق طريقه راجعاً، فهـو الآن يمتلـك أمـوالاً إضـافية تمكنـه مـن الاسـتمرار لإنجـاز مهمته، وتبع هذا النصر سلسلة من النجاحات الباهرة: استولى على داسـليوم التـي تخلت عنها حاميتها، وقام بتعيين كالاس Callas كحاكم للسيرفيري، و«أصدر أوامره للسكان بأن يدفعوا الضرائب نفسها التي كانوا يدفعونها لدارا Daruis » أريـان -2 Arrian 1.17.1 بعد ذلك بوقـت قصـير دخـل رسـميًّا إلى سـارديس Sardis حيـث استسلم ميثرنز Methrinz له بدون قتال 8-17.3، واستولى على كنوزها ديـودورس Diodorus 18.21.7 عـلى الأقـل في المـدى القصـير لا توجـد أيـة صـعوبات ماديـة تواجه الجيش المقدوني، بعد ذلك جاء دور إيفسس Ephysus ، ماجيشا Magesia ، ترالز Tralez ومدناً أخرى سـاحلية كثـيرة أريـان Arrian 18-1-2؛ 1.17.9.3، ثـم بعـد ذلـك ميلـتس Miletus التـي لم يسـتطيع الأسـطول الفـارسي إنقاذهـا، وكـان نيكانور قائداً للأسطول، وبعـد قليـل مـن المقاومـة استسـلمت الحاشـية 9-9.18.3 ديودورس 22.2-4.

رغم ذلك -من وجهة النظر الفارسية- فإن الخسائر العسـكرية يمكـن تـداركها، لكن يصعب علينا -كما هو الحال دائماً- حصر هـذه الخسـائر ألـف فـارس وفقـاً لمـا ذكـره أريـان Arrian 1.16.2، وسـقط قـادة شـجعان: يـذكر أريـان Arrian مـنهم نيفانس، بيتنس، اسـبيثرويتس، منـدوبوزنيز، مثراديـتس، أبوبـاليز، فارنيسـزن أومـارز 1.6.3، روسيز وشـقيق أسـبثرديتس تعـرض لإصـابة بالغـة أثنـاء المعركـة 1.15.7، أمـا

أرستس Aristes فقد هرب من أرض المعركة، واختار الانتحار 1.16.3، ولم ينجُ من الذين اشتركوا في مجلس زيليا سوى ريومثررز، وانضم إلى معسكر دارا Daruis ، وغادر أتيزس، حاكم مدينة فيرجيا الكبرى، أرض المعركة ناجياً، وتوقف في عاصمة مدينته واسمها سيلانا 1.25.3، والتي غادرها أيضاً عند قدوم الإسكندر Alexander وبعد محاولته لتجهيز سليشا Celecia ووضعها في حالة الاستعداد الدفاعي، انضم أرسمان لدارا Daruis الذي كان في طريقة إلى سليكا، وقتل كل من ريومثرز وأرسمان واتزيس بعد ذلك في معركة إسوس Issus 2.118.

ومع ذلك بدأ جزء كبير من الجيش في التراجع نحو الجنوب، ورجعت الوحدات التي يقودها الهاربون مثل ميمنون Memnon إلى هاليكارنوسس Halicarnassus ، وهي المدينة شديدة التحصين التي كان عليها الحاكم أورونتباتس Orontobates ، وأصبحت المدينة عقب وصول القوات من جرانيكس Granicus معززة بحامية من الفُرس والمرتزقة 1.20.2، ووصلتها قوات إضافية نقلت بحراً 20.7 .

وتعرض الإسكندر Alexander وقواته لنكسات كبيرة، فعلى سبيل المثال ما حدث في ميندوس، فرغم الوعود التي قطعها الفارون لم تستسلم المدينة 7-20.5، ومع أن الجهود المقدونية كانت باهرة النجاح إلا أنها كانت جزئية، وعندما غادر الإسكندر Alexander مدينة هاليكارناسوس Halicarnassus ترك فيها ثلاثة آلاف من المشاة ومائتي فارس تحت قيادة بتلومي Petolemy والذي صدرت أوامر له بالاستيلاء على القلعتين الباقيتين في الأيدي الفارسية 6-22.1، ديودورس Diodorus 27-18.24.

وفي ذلك الوقت وجدت الإمبراطورية نفسها في وضع استراتيجي لم يحدث من قبل، والسابقة الوحيدة لهذا الموقف هي هجوم قورش الأصغر، ولم تكن المرة الأولى التي يتعرض فيها الحكام الفُرس

لضربات في آسيا الصغري أو أن يعسكر العدو خارج أسوار ساردیس Sardis ، لكنها المرة الأولى التي تسقط فيها قلعة ساردیس Sardis ، وأن العدو يشق طريقه بدون أية عقبات تذكر حتى وصلوا إلى أسوار هاليكارنسوس Halicarnassus ، معلناً بصوت مرتفع أن طموحاته لا تتوقف عند «تحرير المدن اليونانية»، وقد كنا نود أن نعرف كيف تعامل دارا Daruis ومستشاروه مع هذا السيل من الأخبار الكارثية.

لكن المعلومات التي لدينا قليلة عن هذه النقطة؛ لأن المؤرخين القدامى تابعوا الإسكندر Alexander خطوة بخطوة بدون إبداء أي اهتمام بالملك الفارسي، ونحن نعرف أنه عندما قام الإسكندر Alexander بحملته الشتوية على بامفليا-ليشيا، حاول ملك الفُرس تدبير مؤامرة ضده، حيث قام بإرسال مبعوث إلى إسكندر لينستس، الذي كان يعرف نيته لخيانة الإسكندر Alexander ، لكن المبعوث الملكي سقط في أيدي بارمنيون Parmenon ، وتم القضاء على الخائن، وفشلت هذه المحاولة من جانب الفرس، لكن مثل هذه القصة تحتاج لإعادة قراءة؛ لأن تورط الفُرس في مؤامرة ستتبعه اتهامات فيما بعد، ومما لا شك فيه أن الملك أرسل مبعوثين إلى قادة بعينهم لحثهم على المقاومة إلى النهاية، وهذا على الأقل ما يمكن استخلاصه مما قاله المدافعون عن سلينا كوينتس كيرتس Quintus Curtius .

ومع ذلك يجب تذكر أننا متأكدون من قرار استراتيجي كبير: ففي صيف عام 334 قام الملك بتعيين ميمنون Memnon «قائداً لآسيا السفلى المناطق الساحلية وكقائد للأسطول» أريان Arrian 1.20.3؛ 22.1.1؛ ديودورس 6-18.23.5 Diodorus، وتذكرنا عبارة «قائد الأسطول» بأن الفُرس كانوا يمتلكون هيمنة بحرية، وفي ميلتس Miletus قام الإسكندر Alexander بتسريح قواته البحرية ما عدا الأسطول الأثيني وبعض زوارق النقل، ووفقاً لما ذكره أريان Arrian 1.20.1 فإن

الإسكندر Alexander كان متأكداً من ضعف قواته البحرية، وإضافة إلى ذلك، «كان يعاني من نقص في الأموال»: وأخيراً، تصرفاته تعكس أنه الآن يمتلك آسيا بقواته البرية، فلم يعد بحاجة لقوات بحرية، وأنه باستيلائه على المدن الساحلية يمكنه تدمير الأسطول الفارسي، فلا يوجد مكان الآن للتزود منه، ولا توجد منطقة في آسيا يمكنهم أن يرسوا فيها» 20.1، وتمت مناقشة سياسة الإسكندر Alexander هذه فعلاً في العصور القديمة، لأنه عندما يخطط لتدمير قوة الفُرس البحرية من خلال غزو المدن الساحلية سيتعرض لخطر كبير، ويعتبر نجاح قوات الإسكندر Alexander عندما تمكنت من حرمان الفُرس من الوصول الي ميلتس هو نجاح غير عادي؛ لأن ذلك تطلب منهم الدفاع عن منطقة معروفة المعالم، وإلى حد ما محاطة من جوانبها بجزيرة لادي وميناء ميلتس Miletus أريان Arrian 192-3؛ 1805، وكانت النتيجة أن اضطر الفُرس للبحث عن إمداداتهم من المياه في مكان آخر بعيد في ساموس 10- 19.17، لكن عندما يتوسع في تطبيق هذه الاستراتيجية بطول جبهة البحر المتوسط فهي مغامرة خطيرة؛ لأنه من المستحيل التحكم في المنطقة كلها، فذلك يتطلب تخصيص آلاف من الجنود، وهذا سيؤثر بدوره على الجيش في مراحل تقدمه .

ووفقاً لما أورده أريان Arrian فإن غزو ليشا Lycia الذي نفذ من أجل إثبات أن قوات العدو البرية أضحت عديمة الجدوى» لم تعق فارنبيزاس Pharnabazus أبداً عندما تقدم لمقاتلة سفن ثاموندااس Thamondas في أغسطس عام 333 2020102، علاوة على ذلك فعندما غادر الإسكندر Alexander كاريشا Carcia في نهاية عام 334 لم يكن وقتها قد أزاح الفُرس من كل القواعد الأساسية: فكل من أورونتباتس Orontobates وميمنون Memnon ما زالا يسيطران على قلعتين محصنتين في مدينة هاليكارنوسس 6-102301 Halicarnassus، ويتحكم الفُرس

أيضاً في جزيرة كوزة التي سيبحر منها ميمنون Memnon في وقت لاحق ديودورس Diodorus 1802705، جنباً إلى جنب مع ساموس أريان Arrian 101908، ويمثل جنوب كارشيا قاعدة مثالية للفرس، خاصة بعدما تعرضت القوات المقدونية لهزائم عديدة، والدليل على وقوع هذه الهزائم أنه في سبتمبر من العام التالي 333 تمكن أروتتوباتس من السيطرة على «قلعة هاليكارنوسس Halicarnassus ميندوس Myndus ، كونس، ثيرا وكاليبولس» 2.507؛ كوينتس كيرتس Quintus Curtius 30704، وبعد ذلك، على الأقل في المدى القصير، تركت استراتيجية الإسكندر Alexander الطريق مفتوحاً تماماً أمام البحرية الفارسية، وهذا يعني أنه على المدى المتوسط ستتمكن القوات البحرية الفارسية من اجتثات تحكم الإسكندر Alexander في سواحل آسيا الصغرى، لكن الإسكندر Alexander سريعاً ما أدرك حجم هذا الخطر حتى قبل موت ميمنون Memnon يوليو-أغسطس 333، وأصدر أوامره ببناء أسطول حربي: «أعطى قيادة الأسطول لأتوفراديتس Autophradates عند ساحل هيلسبونت Helespont وقيادة القوات البرية لهيجولوس لكي يقوم هؤلاء الضباط بتحرير ليسبوس Lyspos وكايدس Kydas وكوز Cos من أيدي قوات العدو، وطلب من الحلفاء أن يمدوا السفن بما تحتاجه لحماية هيلسبونت Helespont ، كما ينص الاتفاق بينهما كوينتس كيرتس Quintus Curtius 20-30019، وفي أثناء ذلك تقدم ميمنون واستولى على كابوس ومدن في ليسبوس استسلمت أيضاً، باستثناء ميتلين، ويتضح لنا هنا أن دارا Daruis ومستشاريه كانت عندهم أحدث الأخبار عن تطورات الموقف، وأن تعيين ميمنون قائداً للأسطول ومدافعاً عن الشواطئ إنما كان الهدف من ورائه الاستفادة القصوى من إمكانيات ميمنون، هل كان دارا Daruis يعتقد أن نجاحه سيجبر الإسكندر Alexander على التراجع؟ أو هل كان يحشد جيشاً في تلك اللحظة؟

فنحن نعرف أن دارا Daruis غادر مدينة بابل في نهاية صيف عام 333 على رأس الجيش الملكي ترافقه الحاشية كلها وفقاً للتقاليد الفارسية ديودورس Diodorus 1802503، وطبقا لما ذكره ديودورس Diodorus فإن الجيش الملكي تم استدعاؤه لاحقاً بعد عقد مجلس الحرب عقب إعلان نبأ موت ميمنون في صيف عام 333 ديودورس Diodorus 1802503، أما كوينتس كيرتس Quintus Curtius فيذكر ذلك عندما كان دارا Daruis في سوريا 3080211، وبالرغم من ذلك -كما ذكر ديودورس Diodorus - فإن ما حدث أثناء هذه المناقشات يثير الشكوك؛ لأن طريق العرض يحمل في طياته اتهامات لدارا Daruis مماثلة للاتهامات التي وجهت سابقاً لأرتاكسركسيس الثالث Artaxerxes 6-7.40.5، هل يمكننا التشكيك أيضاً في التاريخ؟ يصعب تحديد ذلك عندما ندرك الفترة التي أخذتها كل هذه التعبئات العامة حيث يصعب تصديق أن جيش عام 333 يمكن حشده وتسليحه وتدريبه فقط في شهور قليلة، ومن ناحية أخرى فإن تجميع القوات لم يكن شاملاً، لكن الأقاليم الفارسية لسرعة الحشد منعت فرقاً عسكرية من إيران وآسيا الوسطى من الحضور، لذلك تجمع لدينا تفسيران: 1 بدءاً من هذه اللحظة شرع دارا Daruis في إعداد جنوده استعداداً لأي احتمال، أو 2 اعتقد أو تمنى أن يكون القادة والقوات في آسيا كافية للتعامل مع هذه المشكلة، ووفقا للنظرية الثانية، لم يكن تصرف دارا Daruis يختلف عن سابقيه: لم يحدث بعد أيكسركس في 479-480 أبداً أن شهدت مناطق آسيا الصغرى وجود جيش ملكي، لكن لو كانت هذه هي القضية فيجب أيضاً أن نستنتج أن الملك لم يتخذ إجراءً حيال هذا الموقف، أو تجاه عزم عدوه على التقدم.

ومن أجل الحكم على تفكير دارا Daruis يلزمنا معرفة محتوى ما دار في المجلس الذي عقده بعد موت ميمنون Memnon ، ففي سياق ذلك يذكر

ديودورس Diodorus أنه حتى اللحظة التي تلقي فيها الملك نبأ وفاة ميمنون Memnon كان يتمنى أن يتمكن ميمنون Memnon من نقل تأثيرات الحرب من آسيا إلى أوروبا 30.1، والمعلومات نفسها وردت في رواية أريان Arrian 2001.1، ويرى ديودورس Diodorus أن نجاحات ميمنون الأولية شجعت مدناً ساحلية كثيرة لإرسال مبعوثيها، وأثارت قلاقل حتى في اليونان، التي كان قادتها يتلقون الرشاوى من ميمنون Memnon 29.3، وأخيراً -كما يذكر كوينتس كيرتس Quintus Curtius 3.1.19-20وأريان Arrian 3.2.3 - أصدر الإسكندر Alexander أوامره بإعادة بناء القوات البحرية تحديداً من أجل مواجهة الأخطار التي فرضها الفُرس، وذلك عندما كان في جورديان في ربيع عام 333؛ ووافق على إنفاق كميات كبيرة من المال من أجل تحقيق هدفه، وأرسل أموالاً للقائمين على أمر المدن في اليونان، وفي الحقيقة، عشية معركة أسوس Issus ، اعتقد بعض اليونانيين أن ميزان القوة مال لصالح ملك الفرس، وبرغم ذلك جسدت الحملة التي قام بها ميمنون Memnon هذا الأمل في اليونان أو الخوف في مقدونيا مدفوعة بشائعات غير دقيقة مثل تلك التي أوردها أريان Arrian 20204، لكن لو تساءلنا هل فعلاً كان يقصد ميمنون Memnon تنفيذ هذه الاستراتيجية؟ ربما يبقي هذا كسؤال آخر، وفي ربيع عام 333 قام ميمنون بغزو كايوس Chaos وركز قواته بعد ذلك في ليسبوس: ولم تقاوم سوى مدينة ميتلين، وفي أثناء حصارها توفي ميمنون Memnon بسبب مرضه يوليو-أغسطس 333، وعلى أية حال فهذه هي رواية أريان 2-2.1.1 Arrian وديودورس Diodorus 29.2: بها خطأ، ويتضح لنا أن ميمنون Memnon لم تكن لديه النية مدفوعاً بنجاحاته الساحقة بأن يحول الحرب تجاه أوروبا؛ وبدلاً من ذلك قضى أسابيع في إحكام الحصار على ميتلين، وتقودنا تحركات ميمنون Memnon إلى الاعتقاد بأن هدفه على المدى القصير كان استعادة

المدن الساحلية والجزر وتحطيم ترتيبات الإسكندر Alexander للموقف أريان 1.20.1، وبالتالي يفسر لنا رد فعل المقدونيين عندما علموا أن عدوهم لا يهدد أوروبا إنما يستهدف المدن التي تخضع للحكم الفارسي، ومن كل هذا يمكننا استنتاج أن نشاطات ميمنون Memnon العسكرية تماشت مع المهمة التي حددها له الملك، وهي المهمة التي تقع ضمنيًا في المنطقة الجغرافية التي يعرفها ميمنون Memnon جيداً، أي ساحل آسيا الصغرى، وهو الشيء الذي تم تقديره من الملك في المقام الأول، ومن المرجح أن تكون توجهات ميمنون Memnon الأوروبية قد جاءت من تقليد يوناني مترسخ أصلاً في ذاكرته وذاكرة أسرته تود 2.199، وهذا التقليد المترسخ يذكره ديودورس Diodorus الفصل 17/3، حتى إن ديودورس Diodorus يذكر أن ميمنون وهذا بالطبع شيء غير حقيقي كان قد اقترح فكرة نقل الحرب إلى أوروبا أثناء اجتماع مجلس زيليا 18.2، ويصف كل من ديودورس 29.4 وأريان 3.1.3 تقريباً بأسلوب متطابق أن موت ميمنون Memnon قوبل بارتياح كبير من جانب الإسكندر Alexander ، ومَثل كارثة لدارا Daruis ؛ لأنه الآن مضطر لقيادة الجيش بنفسه ديودورس Diodorus 30، وأيضا كوينتس كيرتس Quintus Curtius 3.2.1، وأجبرت هذه الأحداث دارا Daruis على التخلي عن استراتيجيته البحرية في ذلك الوقت مقابل التركيز على الاستراتيجية البرية، ومع ذلك لا يوجد تفسير واحد صالح للاعتماد عليه، فقبل أي شيء، فإن خلافة ميمنون تم حسمها بالفعل: فقبل أن يموت خول مسؤولياته لأوتوفراديتس Autophradates فارنابزوس Pharnabazus وابن أخيه، متوقعاً أن يوافق دارا Daruis على هذه الترتيبات أريان Arrian 2.1.3، وبالفعل صدق دارا Daruis على قرارات ميمنون Memnon مُبقيًا على الهجوم البحري، لكن أسهم إرسال الجنود المرتزقة إلى دارا Daruis في إضعاف قدرات القادة الجدد، وتشير العمليات التي نُفذت في

الفترة الفاصلة قبل موقعة أسوس Issus إلى أن خلفاء ميمنـون Memnon هجـروا استراتيجيته الحذرة، فعلى النقيض من تحركات ميمنون Memnon قاموا بالتعرض بصورة أكثر احتكاكاً للمواقـع المقدونيـة، وواصـل أوتـوفراديتس Autophradates وفارنابزوس Pharnabazus حصارهم لمبتلين حتـى سـقطت: وأصـبحت «مـن بـين حلفاء دارا Daruis لإقرار السلام في في المنطقة، وتم إنشاء حاميـة للمدينـة، وعهـد إلى أحد القادة المحليـين الـذين طـردهم الإسـكندر Alexander العـام السـابق أن يكون حاكماً لمقاطعة في المدينة، وخففت الضرائب عن السـكان» 2.1-4، وتكشـف شروط المعاهدة التي فرضت على كايوس Chaos وبعد ذلك بقليل عـلى تبنـدوس: أريـان Arrian 5-2.1.4 أن دارا Daruis لم يكـن عـلى الأقـل راغبـاً في الاعـتراف بالغزوات المقدونية الأولية، بل على النقيض كان يميل الملك إلى تفسير ما فرض على اليونانيين عام 386 بواسطة جده أرتاكسركسيس Artaxerxes بصورة أوسـع، وكـان غـزو تبنـدوز جـزءاً مـن هـدف أكـبر وهـو قطـع إمـدادات القمـح القادمـة مـن هيلسبونت Helespont ، وهو الخطر الذي كـان الإسـكندر Alexander مسـتعداً للتعامل معـه حتـى قبـل مـوت ميمنـون Memnon كـوينتس كـيرتس Quintus Curtius 3.1.19-20 ، ومع ذلك لم يدخل الأسـطول المقـدوني حيـز الخدمـة إلا في وقت لاحق، وهذا يتضح من حقيقة أنه لا توجـد أمامـه عوائـق باقيـة، واسـتعادة الأسطول الفارسي تفوقـه، والانتكاسـة الكـبرى التـي تعـرض لهـا الفُـرس حـدثت في كارشيا Carcia .

وعندما كـان الإسـكندر Alexander في سليشـا Celicia سـبتمبر/أيلـول 333، سـعيداً بتطـورات الأحـداث، أتتـه الاخبـار بانتصـار بيتـوليمنى Ptolemy وأسـاندروس Asandrus مرزبان كارشيا Carcia على أورونتباتس Orontobates الذي مازال يفقد موقعاً تلو الآخر في مينــدوس Myndus وكــاليبولس Calipolis وكــونس Caunus وثــيرا Thera وتريــوبيم

Triopium وكوز Cos 2.5.7، كوينتس كيرتس Quintus Curtius 3.7.4، وكانت هذه التطورات أول انتكاسة بهذا الحجم الكبير؛ ومع ذلك لم يتمكن الفُرس من الاستيلاء على هاليكارنوسس Halicarnassus بعد ذلك أو إبقائها في أيديهم أريان Arrian 2.13.6.

ولكي نجيب عن السؤال الذي أثير سابقاً، يمكننا أن نكون على ثقة بأن دارا Daruis -على الأقل من هذا الوقت فصاعدا بدأ ذلك فعلاً منذ العام الماضي- كان على وعي تام بالخطر الذي يمثله الهجوم المقدوني، ومن أجل التعامل مع هذا الخطر قام دارا Daruis ومستشاروه بتدبير استراتيجية بحرية إعادة غزو شواطئ آسيا الصغرى، وبرية إعداد جيش يقوم بهذا الهجوم، ورغم ما ذكره ديودورس Diodorus في روايته 18.30.7 فإن دارا Daruis قرر أن يكون هو قائد الجيش، وقد توجه به نحو الساحل بسبب أنه اعتبر موت ميمنون قد شكل حاجزاً كبيراً ضد تحقيق أهدافه في البحر؛ فعلى النقيض من ذلك، استعد دارا Daruis بنفسه لمواجهة الجيش المقدوني بينما كان كل من فارنابزوس Pharnabazus وأوتوفراديتس Autophradates ورؤساء الجند يقودون هجوماً من البحر، ومع ذلك -كما يعرف الجميع- فإن خطة استراتيجية تكون أبعادها مفهومة خاصة لو أعيد تصميمها بواسطة مؤرخ من العصر الحديث! وتناسب الوسائل التي هي فعلاً متاحة لتنفيذها، وكل ميزة تعطيها الخطة لمن وضعها تفيد العدو في الوقت نفسه، وانطلاقاً من هذا المفهوم كان الموقف غامضاً، أولاً، يبدو واضحاً أن الإسكندر Alexander ، الذي كان استقبل لتوه تعزيزات ضخمة في جورديان، لم يعدل عن مواصلة تحركه نحو الجنوب، واستمر في تقدمه طوال يونيو/حزيران ويوليو/تموز عام 333، وفي الوقت نفسه يجب التأكيد هنا على أن الملك المقدوني كان يعرف أنه في موقف بالغ الحرج: فالقوات البحرية الفارسية مازالت تواصل تحركاتها خارج الشاطئ، وكان الجيش

الملكي يقترب من سيليشا Cilicia ، ويكشف ما قام به الإسكندر Alexander مـن استدعاء للحاميات التي خلفها وراءه كوينتس كـيرتس Quintus Curtius 7.1.35 أنه لبعض الأسباب اضطر للتقهقر إلى الوراء، فعلى المدى القصير قاده نجاح خطتـه لغـزو المنـاطق السـاحلية لاعتقـاده بأنـه قـادر عـلى الاسـتيلاء عـلى بعـض المـدن الفينيقية، وأيضاً فهم دارا Daruis هذه التحركات، والدليل على تلهفـه في الوصـول إلى سيليشا Cilicia أنه لم ينتظـر وصـول الفيـالق العسـكرية الأخـرى مـن الأراضي الإيرانية ومن آسيا الوسطي كوينتس كيرتس Quintus Curtius 3.2.9، ومن أجـل تعـويض غيـابهم، أصـدر ملـك الفُـرس أوامـره في صـيف عـام 333 إلى فارنـابزوس Pharnabazus بإرسال بعض قوات جند المرتزقة الذين يقاتلون عـلى جبهـة البحـر المتوسط رغم أن هذه السياسـة ستضـع القـوات المحاربـة هنـاك في موقـف حـرج للغاية أريان Arrian 2.1.3: كوينتس كـيرتس Quintus Curtius 3.31، ويكشـف وجود ساباسز Sabaces ، مرزبان مصر، في أسوس Issus اصطحابه لفرقة عسكرية، الأمر الذي أضعف الحامية الفارسية في وادي النيل أريان Arrian 3.1.2؛ كـوينتس كيرتس Quintus Curtius 4.1.28 يجـب أن نقـر بـأن المعركـة التـي ستنشـب في سيليشا Cilicia ستكون ذات أهمية كبري للإسكندر طالما أن نتائج معركـة أسـوس Issus لا تقودنا إلى معرفة مصير الإمبراطورية الفارسية.

من أسوس Issus إلى جوجاميلا Gaugamela : نـوفمبر/تشريـن الثـاني 333- أكتوبر/تشرين الأول 331:

إن انتصار الإسكندر Alexander في معركة أسوس Issus قد مكنـه مـن التقدم نحو فينيقيا، وقد قامت العديد من المدن الفينيقية بفـتح أبوابهـا لـه: أردوس، مــارثوس، ســيجون، مــاريم، البــالبليوس، وســيدون Aradus, Marathus, Sigon, Mariamme, Byblus and Sedon أريـان Arrian

2.13.7.8؛15.6.7؛ كوينتس كيرتس Quintus Curtius ، أما سكان مدينة صور فقد رفضوا الترحيب به ظاهريًّا أريان Arrian 2.16.7.8، وفي المقابل، ركز الإسكندر Alexander جهوده في الاستيلاء على مدينة صور، مما أعطى لخطته ميزة استراتيجية، حيث كان يعتمد على غزو المناطق الساحلية قبل التوغل في الداخل أريان Arrian 2.17، ولم يكن المقدونيون بحاجة لانتظار سقوط مدينة فينيقية قوية؛ لأن ملوك كل من أرادوس وبابلوس كانا مستعدين للاستسلام «وتركوا أتوفراتس Autophradates وسفنه، وانضموا للإسكندر بالأسطول الذي كان تحت أيديهم جنباً إلى جنب مع السفن ثلاثية المجاديف، وبالتالي انضم إلى الإسكندر Alexander ما يقرب من ثمانية سفن فينيقية، وفي ذلك الوقت نفسه، انضمت إليه تسع سفن من سولي Soli ومالوس Mallus وعشر من ليشيا lycia »، ثم جاء دور ملوك قبرص بعد ذلك حيث كانوا يمتلكون 120 سفينة، وانضموا إلى الإسكندر Alexander لأنهم أدركوا أن فينيقيا كلها أصبحت في قبضة الإسكندر Alexander أريان Arrian 1.20.1.3؛ في أوائل عام 332 .

وجسد قدوم سفينة مقدونية في ذلك الوقت عودة القوة البحرية للإسكندر في مياه بحر إيجه تحت قيادة أمفوترس Amphoterus وهيجلوتشس Hegelochus كوينتس كيرتس Quintus Curtius 7.5.14، وأكدت الارتدادات المتتابعة لهذه القوات نجاح الاستراتيجية التي بدأت بتسريح القوات البحرية في ميلتس Miletus في صيف عام 334 .

لكن في الوقت نفسه لم تمر هذه التطورات مرور الكرام على الفُرس، فقد شنوا هجوماً مضاداً شرساً، لكن المعلومات التي لدينا ضئيلة عن هذا الهجوم البري عند كل من كوينتس كيرتس Quintus Curtius وديودورس Diodorus لكن ليس عند أريان Arrian ، ونعرف أن القليل من أفواج الجنود التابعين لدارا Daruis قد نجوأ سالمين من المعارك

ومازال تحت قيادته 4 آلاف رجل وفقاً لما أورده أريان Arrian 2.13.1 ، وقد خططت وحدات عديدة من قوات المرتزقة تحت قيادة أمينتناس وهو مقدوني منشق، ثيموندانز Thymondas وباينور Bianor للوصول إلى طرابلس في فينيقيا، حيث وصلت إليهم تعزيزات، وقام أمينتاس Amentas ، مدفوعاً بتحرك شخصي منه، بشن هجوم فاشل على مصر أريان Arrian 2.13.2.3؛ ديودورس Diodorus 17.48.2.5؛ كوينتس كيرتس Quintus Curtius 7.1.17.23، وتحتوي رواية كل من ديودورس Diodorus وكوينتس كيرتس Quintus Curtius على مغامرات قادة تلك الفرق المرتزقة بإسهاب، خاصة فيما يتعلق بالهجمات الفارسية المضادة بعد معركة إسوس Issus: فشلت تجربة أمينتاس Amyntas بسبب أولئك الضباط، وقادة القوات الذين هربوا على رؤوس وحداتهم العسكرية من معركة إسوس، وحاولوا الحفاظ على الوجود الفارسي، فمنهم من ذهب إلى المدن المهمة وأقام عليها لصالح دارا Daruis ، بينما نافر آخرون القبائل وزودوا أنفسهم بالقوات، وقاموا بتحركات مناسبة في تلك الأجواء ديودورس Diodorus .18.48.5.6

ويعود كوينتس كيرتس Quintus Curtius إلى هذه الأحداث في مناسبات شتى: لقد حاول قادة دارا Daruis الذين نجوا من معركة إسوس Issus وكل القوات التي تبعتهم في الهروب بالإضافة إلى جنود صغار السن متحمسين من كبيدوشنز Cappadocians وبافلاشونز Paphlagonians الاستيلاء على ليديا Lydia ، وقاد أنتيجوننس Antigonus أحد قادة الإسكندر Alexander ، رغم أنه أرسل العديد من جنود حاميته إلى الملك، قواته الباقية معه إلى المعركة، وكانت فرص الفريقين متساوية هذه المرة، وفي خلال ثلاث معارك دارت ما بين منطقة وأخرى تعرض الفُرس لهزيمة ساحقة كوينتس كيرتس Quintus Curtius .7.1.34.35

ويقول كوينتس كيرتس Quintus Curtius إن تلك الأحداث تزامنت في كلها في وقت واحد، حيث إن الأسطول المقدوني الذي استدعاه الإسكندر Alexander من اليونان هزم أريستمونز Aristomenes قائد الأسطول الفارسي، وبعد الاستيلاء على أموال السكان وتعيين حامية على المدينة، أبحر بصحبة نحو مائة سفينة إلى أندروس Andros ومن هناك إلى سيفونز Sephnos ، ووضع حاميات على هذه الجزر مع فرض ضرائب عليها 71.36.37، ويعود كوينتس كيرتس Quintus Curtius لاحقاً إلى هذه النقطة في سياق الاحتفال بإثمين Ithmain 1.5.11 -الذي كان في يونيو/حزيران-يوليو/تموز عام 332 بعد سقوط مدينة صُور أثناء حصار غزة؟- لكن الربط التاريخي بين هذه الأحداث غير دقيق، ونوضحه كالآتي: لم يكن الإسكندر Alexander يعمل فقط من أجل تقليل عدد المدن التي ترفض الخضوع له والدخول تحت حكمه، لكن قادته أيضاً كانت لهم السياسة نفسها، حيث قامت مجموعة متميزة منهم بغزو عدة مناطق: كالاس Calas ، بافلاجونيا Paphlagonia ، أنتيجونيس ليكونيا Lycaonia Antigonus ؛ وقام بلاكروس Balacrus بهزيمة هايدارنز Hydarnes ، وهي مرزبانية دارا Daruis ، توجه إلى ميلتس Miletus ، واستعادها، وأيضاً قام أمفتورز Amphoterus وهيجلوسيز Hegelochus بصحبة أسطول يتكون من 160 سفينة بإخضاع الجزر ما بين أتشيا Achaia ، وآسيا تحت سلطان الإسكندر Alexander 7.5.13.14، من هذه المعلومات التي ملأت الفراغ الموجود، والتي تتمتع بالمصداقية، نستنتج أنه بعد معركة إسوس Issus أخذ القادة الفُرس مواقعهم في كابادوكيا Capadokia وبافلاجونيا Paphlagonia ، وقاموا بفرض التجنيد الإلزامي هناك، واعتماداً على هذه الجيوش التي تم حشدها، قاموا بشن هجوم تمهيدي ضد أنتيجونس Antigonus .

لكن لم تفلح انتصاراته في حل المشكلة: وتوضح المعلومات

الأخرى التي أوردها كوينتس كيرتس Quintus Curtius أن الفُرس استمروا في احتلالهم لسيلشيا Celecia في بافلاجونيا Paphlagonia ؛ ليكونوا قريبين من ساحل بحر إيجه عند ميلتس Miletus ، ولم يتم إجهاض الخطة الفارسية بشكل كامل إلا قبل قدوم منتصف عام 332 نتيجة للهجوم المقدوني براً وبحراً، وفي الحقيقة كان بإمكان كل من فارنابازوس Pharnabazus وأوتوفراديتس Autophradates تحقيق أهدافهما حتى ارتدت الفرق العسكرية في قبرص وفينيقيا وليشيا Lycia وسليشا Celecia في بداية عام 332 أريان Arrian 1 و20 و2، فقد كانوا تقريباً يملكون قوة ضاربة سليمة لم يمسها سوء، وعنما ظهر الإسكندر Alexander أمام أسوار مدينة صور كان يعتقد سكانها أن الفُرس مازالت لهم اليد العليا في البحر أريانArrian 2 و18 و2، وكانت هذه أيضاً فكرة الإسكندر Alexander وفقاً لما ذكره أريان Arrian 2-3 و17 و2، وكان يمكنهم أيضاً الاعتماد على قواعدهم البرية في كاريشا Carcia ، هاليكارنوسس Halicarnassus وكوز Cos أريان Arrian 4 و13 و2، وربما أيضاً ميلتس Miletus كوينتس كيرتس Quintus Curtius 13 و5 و7، وفي خريف عام 333 قبل موقعة إسوس Issus تركوا كوز Cos ليسفنتس، حيث انضم إليهم أجس Ajes إسبرطة الذي كان يخطط للتمرد على أنتيستر، وكانوا في سيفنتس عندما جاءتهم الأنباء الصادمة بالهزيمة في أكمدس، وقاموا بإرسال أجس Ajes إلى كريت «للسيطرة على الموقف»، أما فارنابزوس فقد أرسل تعزيزات إلى كايوس حيث كان ينوي بعض سكانها القيام بتمرد، واحتل أدروس كوينتس كيرتس Quintus Curtius و37 و4،71 ثم انضم بعد ذلك إلى أوتوفراديتس Autophradates في هاليكارنوسس Halicarnassus أريان Arrian 6-4 و13 و2، كوينتس كيرتس Quintus Curtius 5-15 و5 و7، وربما حدث ذلك عندما نفذ أوتوفراديتس Autophradates عملية في منطقة

إيفسس Ephesus بولينوس 2 و17 و14، وشن غارة على ساموثراس Plutrach ، مور 339 More: أليكس Alex 4 و48، ورغم وجود القوات البحرية المقدونية استمر القادة الفُرس في مواصلة تحركاتهم بعد معركة إسوس، لكن يصعب علينا تتبع ما قاموا به؛ لأن الدليل الذي لدينا ضعيف، وبالتالي استمر القتال بلا هوادة حتى نهاية خريف عام 333 ونهاية ربيع 332، حيث استمرت المعارك في البر وعلى الشواطئ والجزر، ومن أجل أن نفهم طبيعة هذه الصراعات بجبهاتها المتنوعة فإنه من الجدير بالمتابعة اعتقادنا أن تلك الأطراف اعتمدت على استراتيجية واحدة، ووفقاً لهذه النظرية، فإن دارا Daruis هو الشخص الذي وضع تلك الاستراتيجية، ولا يوجد أي اعتراض على هذا القول: أولاً، هجوم أمينتاس Amyntas على مصر كان بتحرك شخصي منه أريان Arrian 3 و3 و2، ويعتقد كوينتس كيرتس Quintus Curtius أن دوافع أمينتاس Amyntas ترجع إلى تفسيره الشخصي لمبدأ «المهاجمون-المدافعون».

ثانياً، يدل محتوى المقترحات الدبلوماسية التي نُسبت لدارا Daruis بعد معركة إسوس Issus أنه كان محبطاً، لكن لا يمنع أي تحفظ من هذه التحفظات من وجود تفسيرات بديلة للأحداث، فلو كان أمينتاس Amyntas يتحرك بدوافع شخصية عندما هاجم مصر، فمن الغريب أنه عندما وصل إلى بلوسم تلقى أوامره بالتحرك من دارا Daruis شخصيًّا ديودورس Diodorus 3 و48، علاوة على ذلك، وبالتحديد كما يذكر أريان Arrian 1-3 و13 و2، فإن باقي القادة الذين صاحبوه حتى طرابلس وقبرص لم يتبعوه إلى النيل، ومن المحتمل أنهم كانوا قوات تابعة لفارنابازوس Pharnabazus في سيفنوس، أخيراً، سنعود لمقترحات دارا Daruis الدبلوماسية لاحقاً؛ لأنه لا يمكننا فقط استنتاج أن الملك كان ضعيفاً، ولكن أيضاً نستطيع أن نفسرها في سياق الشرح الأولي لاستراتيجية الملك عقب معركة إسوس Issus .

وبالطبع هناك اعتبارات عديدة لتورط دارا Daruis على جبهة بحر إيجة بعد معركة إسوس، فبعد تقهقره من إسوس Issus رجع الملك إلى بابل حيث شرع فوراً في حشد جيش جديد، وأرسل في طلب فرق عسكرية من إيران وآسيا الوسطى على وجه الخصوص ديودورس Diodorus 1-4 و39 و18، كوينتس كيرتس Quintus Curtius 9-13و2-1 و6 و7؛ لذلك فمن المستحيل القول بأنه كان معزولاً عن أخبار سير العمليات على جبهة بحر إيجة؛ لأنه كان مؤمناً بأن سقوط مدينة صُور سيحطم آماله في تراجع الإسكندر Alexander ، ومن هنا يجب علينا أن نسلط الضوء على ما كان يُفكر فيه قادة مدينة صور كما ذكر ديودورس Diodorus : «كانوا يريدون أن يُمجدوا دارا Daruis ، ويواصلون ولاءهم التام له، واعتقدوا أيضاً أنهم سوف يتسلمون أعطيات كبيرة من الملك لجهودهم هذه، وأنه بإمكانهم توريط الإسكندر Alexander في حصار طويل وصعب؛ لإعطاء دارا Daruis وقتاً لإجراء استعداداته العسكرية 3 و40 و18، وليس من المستحيل أبداً أن تكون المشكلات التي كان يتوجب على الإسكندر Alexander التعامل معها في سوريا وادي البقاع أثناء حصار مدينة صور، أن تكون من تدبير الفُرس، وربما جازف الإسكندر Alexander «بتقسم قواته» لأنه اعتقد أن الخطر حقيقيًّا كوينتس كيرتسQuintus Curtius 7 و1 و2 و24 و2 و7، أضف إلى ذلك أن سقوط دمشق وتعيين حاكم عليها لم يدل على أن الدولة أُخضعت بالكامل، كما تم إخماد تمرد ساماريا Samaria بعد ذلك بوقت قصير 232-331 كوينتس كيرتس Quintus Curtius 9-11 و8 و7، ونعرف أيضاً أنه عندما قدم أيمنتاس Amyntas إلى مصر صده مازاسيز الذي ولا بد أن تم تعيينه حاكماً لمصر بعد معركة إسوس Issus بوقت قصير ليحل محله ساباسيز الذي قُتل أثناء معركة سليشا Celecia أريان Arrian 2 و1 و3 .

أخـيراً سنُسـلط الضـوء عـلى شرح كـوينتس كـيرتس Quintus Curtius للعمليات التي نفذت في هيلسبونت Hellespont ، ففي بداية عام 332، انـتصرت البحريـة المقدونيـة عـلى القـوات الفارسـية، التـي أرسـلها دارا Daruis لاسـتعادة هيلسبونت Helespont 36 و1 و7 .

وبالتالي، فإن المجموع الكلي لهذه الأدلة نستنتج منـه بشـكل شـبه نهـائي أن دارا Daruis بعد هزيمته لم يتخلَّ عن الاستراتيجية التـي وضـعها عـام 334، والتـي تشكلت على أساس الدفع بسرعة من أجل بناء جيش ملكي، ومواصلة الهجـمات في آسيا الصغرى عند مؤخرة جيش الإسكندر Alexander ، وهـو صـحيح في اعتقـاده أن تَحَكُم الإسكندر Alexander الإقليمي في آسيا الوسطى كان سطحيًّا جدًّا، خاصة في مناطق كابادوكيا Capadokia وبافلاجونيا Paphlagonia التـي قـام كـل قائـد فيها بتكوين جيش خاص به، ويسمي كـوينتس كـيرتس Quintus Curtius قائـداً واحداً منهم وهو هايدارنز Hydarnes .

لكننا رأينا عملات من سينوب Senop منقوشاً عليها أسماء يمكـن قراءتهـا بأنها باستس Bastes وأرونتوباتس Orontobates وهايدارنز Hydarnes ، ربمـا يكـون ميثروباسـتس Methrobastes هـو ابـن أرسـتيبي Aristebus الحـاكم السابق لدسـليم ونعـرف أنـه تـم نفيـه بواسـطة دارا Daruis إلى رأس الخلـيج الفارسي، في وقت مجهول لنا، ولأسباب غير معروفـة سـترابو Strabo 5 و5 و17، وأخيراً، ربما يكون هايدارنز هـو أحـد أبنـاء مـازوس Mazaeus الحـاكم السـابق لسليكا Celecia -سوريا- على أيـة حـال، نشـك أن يقـوم هـؤلاء القـادة بتنفيـذ الهجوم بتصرف شخصي منهم، فمن المحتمـل أن يكـون دارا Daruis هـو الـذي أرسلهم، وهو الذي منحهم السلطة في إعداد القوات وإنفاق الأموال التي بقيـت لم تنفق وبدون شك هي التي كابا دركيا، ووفقاً لعادة موثقة جيـداً فـإن القـادة كـان بإمكـانهم سـك العمـلات لـدفع رواتـب الجنـد في مدينـة بنادليـة وهـي

سينوب؛ لأنها حتى ذلك الوقت بقيت علـى ولائهـا للفـرس أريـان Arrian 4 و24 و3، كوينتس كيرتس Quintus Curtius 6 و5 و7 .

وكان واضحاً أن المهمة التي عهدت إلـيهم هـي اسـتعادة السـلطان الفـارسي على آسيا الصغرى، وقطع خطوط اتصالات الإسكندر Alexander ، والمتقـدم نحـو الساحل هايدارنز إلى ميليتس، وهـذا يُـفسر لنـا ذكـر كـوينتس كـيرتس Quintus Curtius لاسم أنتيجونس، فقد كانـت مسـؤوليته كحـاكم لفرجيـا الكـبرى وحـاكم مدينة كالينا الاستراتيجية للدفاع عن الطريق الملكي هو المهمة التي كان يقـدم بهـا أنتيجونس وفقاً لما أورده كوينتس كـيرتس Quintus Curtius ، ورغـم عـدم دقـة التعبيرات، ربما تُشير إلى أنه تلقى أوامر مـن الإسـكندر Alexander بالتنسـيق مـع الدَفعات المقدونية.

ومن الممكن أيضاً أن تكون الأوامر الملكية قد وصلت الشاطئ أيضاً، ويدُل على ذلك ما ذكـره كـويتس كـيرتس فـيما يخـص المهمـة التـي أُسـندت إلى أريسـتومينز في هيلسـبونت 36 و1 و7، عـلاوة عـلى ذلـك، كانـت أوامـر دارا بقـدوم تايمونـداز إلى فارنابانوس في سيفنوس، وبعد ذلك سُلمت إليه قيادة قـوات المرتزقـة، وهـذا التفسـير يـوفي شرحـاً أكـبر بسـبب ادعـاء أمينتـاس أن مهمتـه إلى مصر كانـت مهمـة رسـمية بتعليمات من الملك «أعلن الملك الذي أرسله كقائـد عسـكري لأن مرزبـان مصر قُتـل أثنـاء معركـة أسـوبين في سـليكيا ديـودورس Diodorus 2 و48 و18، وبالتـالي فـإن أمينتاس Amentas حاول أن يطرد المرزبان الجديد الـذي عينـه دارا Daruis والـذي هو مازاسيز، كوينتس كيرتس Quintus Curtius 28 و1 و7، رغم أنه من المحتمل أن يكون الملك كان قد أمره بإرسـال قـوات محترفـة لتعزيـز الحاميـة الموجـودة في مصر، ويقول ديودورس Diodorus أيضاً 2 و48 أن أجـيس Ajes تسـلم سـفناً وأمـوالاً مـن الملـك الفـارسي، لكـن أريـان Arrian لا يـذكر الأمـر الملـكي ويُحيـل الـتصرف برمتـه

إلى فازنــابزوس Pharnabozus وحــده 5-4 و13 و2، وكانــت إحــدى مشــكلات فارنابزوس Pharnabozus في ذلـك الوقـت هـي نقـص المـال، بعكـس مـا قـام بـه آخرون من سك العملات في سينوب، ولم يكـن لهـم اتصـال بـأموال الخزانـة، التـي كانت تحت تَحكم الإسكندر Alexander واسـتخدامها في تلـك المنطقـة، وتكشـف هذه الأحداث أن الاتصالات بين الملك وفارنابازوس Pharnabozus كانت مقطوعة في ذلك الوقت، خاصة عندما نعلم أن الهجـمات البريـة والبحريـة الفارسـية كانـت متزامنـة، وجسـدت الانتصـارات الأوليـة التـي حققهـا أنتجـونس، وفي عـدة شـهور تحققـت انتصـارات بـالكراس Placras مرزبـان سـليكيا Celecia وكـالاس Calas مرزبــان هيلبســبونتاين فريجيــا Phrygia Hellespontine ســيدة برشــيا في الأناضول، ومع ذلك، استجابت كل من كابادوكيا وأرمينيـا لأوامـر الملـك بالتعبئـة»، وفي الشهور التي تلت معركة إسوس Issus قامت كلتـاهما بإرسـال فـرق عسـكرية بصفة منتظمة إلى الملك تحـت قيـادة أريسـز كابادوكيـا وميثروسـتس وأرونتـيجس أرمينيا أريان Arrian 5 و8 و3، وواصـلت البحريـة المقدونيـة هجماتهـا في الوقـت نفسه، بالإضافة إلى ذلك لم يتمكن قائد البحرية هجيلوشـس مـن إخبـار الإسـكندر Alexander ، حتى قبل نهايـة عـام 332 -والـذي كـان وقتهـا في مصر- أنـه ومعـه أمفوترس يخططان للاستيلاء عـلى تينـدوس، كـايوس حيـث تـم سـجن فارنابـازوس وأرسستونكيس طاغية ميثمنا فيها، ميتلين Milten وكوز Cos أريان Arrian 3 و2 و3، توينتس كيرتس 22-4، و5 و7 .

ويختفي فارنابزوس Pharnabozus حتى عام 322 من المصـادر التـي تحت أيدينا بعـد هزيمتـه في كـايوس Chaos ، وبالتـالي يتضـح أن البحريـة الفارسية لم يتبقَّ منها شيئ إلا ربمـا بعـض المجموعـات الصـغيرة مـن سـفن «القراصنة»، ولم يبقَ سـوى أجـس Ajes يُقاتـل في أوروبـا رغـم أنـه ليسـت لديـه اتصـالات مبـاشرة مـع الجبهـة الفارسـية، وفي أثنـاء تلـك الفـترة

تمكن الإسكندر Alexander من الاستيلاء على غزة، ثم استسلمت مصر بواسطة حاكمها الفارسي مازاسيز Mazaseses الذي لم تكن لديه قوات كافية للمقاومة أريان Arrian 1-2 و1 و3، وفي عام 331 كان الإسكندر Alexander قادراً على أن يسلك طريق مدينة صور وبابلونيا لمواجهة دارا Daruis ، وفي خلال طريقه أخمد تمرد ساماريا Samaria بطريقة دموية كوينتس كيرتس Quintus Curtius 9-11 و8 و7 .

دارا Daruis والإسكندر Alexander : الحرب والسلام 333-3331 - قراءة أخرى:

يذكر جميع المؤرخين القدامى أن المفاوضات الدبلوماسية تم فتحها بين المعسكرين أثناء تلك الفترة، وبدأها دارا Daruis ، ويختلف عدد وتاريخ المهمات والخطابات الدبلوماسية التي أرسلها ملك الفُرس من مهمة إلى أخرى .

وهذا مُلخص لما ذكره المؤرخون القدامى:

1 وفقاً لأريان Arrian 1-3 و14 و2 وكوينتس كيرتس Quintus Curtius 7-14 و1 و7، فإن ملك الفُرس أرسل رسالة إلى الإسكندر Alexander فوراً بعد معركة إسوس Issus ، ولا بد أن الأخير تسلمها عندما كان في ماراثوس Marathos حوالي: نوفمبر-ديسمبر 333، طالب ملك الفُرس باطلاق سراح أعضاء أسرته الأم، الزوجة، الأطفال المسجونين في دمشق أريان Arrian ، ودفع فدية لهم كوينتس كيرتس Quintus Curtius ، واقترح معاهدة «صداقة وتحالف».

2 البعثة الثانية وصلت أثناء حصار مدينة صور أريان Arrian 1 و25 و2، بينما يقول كوينتس كيرتس Quintus Curtius 1 و5 و7 أنها وصلت بعد سقوط المدينة، وهو ليس متأكداً من ذلك، وللمرة الثانية عرض الملك فدية 10 آلاف طالن ومعاهدة صداقة وتحالف، وللمرة

الأولى وافق أن يترك بعض الأقاليم، ولكن المساحة تختلف في المصادر «من كل المناطق غرب الدولة من الفرات إلى بحر اليونان» أريان Arrian ، آتن، ألكس، 43؛ «المنطقة التي تقع بين هيلسونت Helespont ونهر هاليز Hyles كلها» كوينتس كيرتس Quintus Curtius 1 و5 و7؛ ديودورس Diodorus 1 و39، ويذكر كوينتس كيرتس Quintus Curtius أن ملك الفُرس عرض على الإسكندر Alexander تتويج المعاهدة بتزويج الإسكندر Alexander من ابنته ستاتريا، ويُضيف أن الأقاليم التي سلمت ميديا Media ، الأيوناس Ionas ، أيوليس، سامل هيلسونت Helespont، 7 و5 و7 تكون المهر 7 و1 و5 و7، وتظهر بعض هذه البنود المقترحة أيضاً عند مؤرخ مجهول FG.H 101.

3 باستثناء ملحوظ لكنه منطقي لأريان Arrian ، يذكر المؤرخون القدامى جميعهم وجود مقترحات دبلوماسية أخرى حدثت عندما عَبَرَ الإسكندر Alexander الفرات فعليًّا، بالإضافة إلى فدية عن أمه وبناته وابنه أيضاً بقي رهينة في يدي الإسكندر Alexander ، وفقاً لما أورده كوينتس كيرتس Quintus Curtius 6 و11 و7 ومعاهدة الصداقة والتحالف، وعرض ملك الفُرس «كل الأقاليم من هيلسونت إلى الفرات» ويد إحدى بناته كوينتس كيرتس Quintus Curtius 5 و11 و7؛ جستين Justen 10 و12 و11؛ ديودورس Diodorus 2 و54، ويُعيد كوينتس كيرتس Quintus Curtius التأكيد على أن هذه الأقاليم ستكون مهراً للأميرة 5 و11 و7، ويضيف ديودورس Diodorus: كان الإسكندر Alexander سيُصبح صهراً لدارا Daruis ويكون في مقام الابن، ويُشارك في حكم الامبراطورية كلها».

4 وعلى الجانب الآخر يلمح Plutrach مرة واحدة إلى هذه المفاوضات، والتي يقول إنها حدثت عند مدينة صور أثناء إقامة الإسكندر Alexander الثانية في يونيو 331، ويذكر الفدية ألف

طالن، و«كل البلاد بجانب نهر الفرات»، وزواج وصداقة وتحالف أليكس 7 و29 .

لقد لفتت هذه المعلومات انتباه المؤرخين لفترة طويلة، لكنها لم تلقَ العناية الشاملة في الفترة الأخيرة، في الوقت الذي يمكننا تقبل أن يكون الملك قد أرسل خطابات ومبعوثين إلى الإسكندر Alexander كما ذكر المؤرخون القُدامي، رغم أن طلب إطلاق سراح الأسرى من عند الإسكندر Alexander ، لا يُمثل مشكلة، فهل يمكننا تصديق أن ملك الفُرس قدم عرضاً بالتنازل عن جزء من مملكته للإسكندر، وأنه عرض عليه أن يُشاركه الملك مع أن الإسكندر Alexander هو من انتصر في معركة إسوس Issus ؟ مرة أخرى، لكي تكون الأمور أكثر اتضاحاً: هل تعكس النصوص التي بين أيدينا، سواء كليًّا أو جزئيًّا، الطبيعة الحقيقية للعلاقة بين الملكين في ذلك الوقت، أم أنها ليست أكثر دعاية مقدونية؟ المهمة الأولى بوضوح هي تحديد العلاقة بين التنازلات التي عرضها ملك الفُرس والموقف العسكري والسياسي، كما هي طريقة مؤرخ عصرنا الحالي في تحليل مثل هذه الأحداث الآن، وأيضاً كما تخيلها دارا Daruis إرسال رسالة إلى الخصم ليست بالشيء الهين، العرض الذي يقول المؤرخون القدامى أن دارا Daruis قدمه، ويدُل ضمناً أنه شعر بموقفه الحرج، وبالتالي فإن التنازل عن الأقاليم بدا وكأنه الخيار الوحيد أمامه، ويعرض المؤرخون القدامى تنازلات الملك بصورة مقسمة لفترات: 1 طلب إطلاق سراح السجناء. 2 التنازل عن الأقاليم حتى هاليس. Halys 3 بعد ذلك الفرات، ويبدو تسلسل الأحداث منطقيًّا، كما يعلق الإسكندر Alexander على ذلك ساخراً، لأن ملك الفُرس كل مرة يتنازل فقط عن الأقاليم التي خسرها فعلاً، وهنا تسلسل متطابق بالنسبة للكميات المختلفة التي ستُدفع كفدية، لكن هل المنطق الداخلي الذي اتبعته العروض القديمة يتماشى حقيقة مع ما نواه دارا Daruis ؟ هذا هو لُب المشكلة،

نحن نعتقد اليوم فعلاً تماماً مثل سكان مدينة صور أريان Arrian 7 و16 و2، أنه بعد معركة إسوس «مازال مسار الحرب غامضاً»، وكما يشرح ديودورس Diodorus 1 و39 كان دارا Daruis يمتلك عزماً متيناً، ومازال يمتلك مصادر ضخمة من الرجال والأموال على السواء، خاصة بإمكانه الاعتماد على وصول فيالق عسكرية من الأراضي الإيرانية وآسيا الوسطى كوينتس كيرتس Quintus Curtius 1-2 و6 و7؛ ديودورس Diodorus 3 و39، وفي عام 331 أصبحت تحت يديه فرق عسكرية جاءت من كل إقليم تابع للإمبراطورية من كابادوكيا حتى إندوس أريان Arrian 6-3 و8 و3 .

وتسبب حصار الإسكندر Alexander المستمر لمدينة صور في إعاقته عن التعبئة، ووفرت فرصة لملك الفُرس لضمان انتظام قواته المحتشدة، وفي الوقت نفسه -كما رأينا- لم يتخلَّ دارا Daruis عن استراتيجيته عند بحر إيجه، بالإضافة إلى ذلك، ورغم ما ذكره الإسكندر Alexander في خطابه إلى ماراثوس Marathos 2.14.7 لا توجد هناك إشارة إلى أن ملك الفُرس تعرض لارتدادات كبيرة من الارستقراطيين الفُرس من ذوي المناصب الرفيعة، وما بين انتهاء عام 333 وربيع صيف عام 332 التاريخ المفترض لبعثة الملك الثانية للإسكندر، تغير الموقف جزئيًّا - لصالح الإسكندر Alexander - بسبب انفصال الوحدات العسكرية في قبرص وفينيقيا عن قوات فارنابزوس Pharnabozus البحرية جنباً إلى جنب مع التحركات المتجددة للبحرية المقدونية، وبينما كان حصار مدينة صور يطول، يذكر كوينتس كيرتس Quintus Curtius مرتين أن الإسكندر Alexander كان على حافة اليأس والرجوع 7.4.1، 7.3.11 ، ورغم بعض انتصارات أنتجونس، فإن الهجمات الفارسية على مؤخرة جيش الإسكندر Alexander لم يتم صدها حتى ذلك الوقت، وبعيداً عن صور، عرف الإسكندر Alexander أنه يجب عليه

الاستيلاء على غزة وجعل القائد هو باتيس، وجهزه بإمكانات ضخمة تمكنه من إنهاء المقاومة لو طالت أريان Arrian 2.25.4، كوينتس كيرتس Quintus Curtius 7.6.7، واصفاً إياه قائلاً: «رجل بولاء لا مثيل له لملكه»، وتشير هذه العبارة ضمنيًّا إلى أنه كان قد تلقى تعليمات من دارا Daruis Daruis 3.3.4.

وواصل دارا Daruis استعداداته العسكرية بنشاط في مدينة بابل حتى إنه استخدم تقنيات مبتكرة في تسليح قواته ديودورس Diodorus 53.1-3، كوينتس كيرتس Quintus Curtius 7.9.3-4، واختار هو ومستشاروه أرض المعركة بعناية عند نقطة على الطريق الكبير، حيث أدركوا أن الإسكندر Alexander سيسلك هذا الطريق لأسباب لوجستية أريان Arrian 53.7.3 كوينتس كيرتس Quintus Curtius 7.10.113، وكان الجيش الملكي يتدرب هناك كل يوم ديودورس Diodorus 53.4.5501، وتم تنظيم الإمدادات اللوجستية بدقة من أجل تجنب الأخطاء التي حدثت في موقعة إسوس حيث تمت تسوية الأرضية من أجل تمكين الفرسان والمركبات الحربية من التحرك بسهولة أريان Arrian 3.8.7، ووفقاً لما ذكره كل من بولينس 7.3.17 وكوينتس كيرتس Quintus Curtius 7.3.36 تم زرع عوائق حديدية لشل حركة الفرسان المقدونيين .

واتخذ ملك الفُرس إجراءات أخرى لإعاقة تحرك الإسكندر Alexander : فعلى سبيل المثال، صدرت أوامر لمازوس Mazaeus بحراسة الفرات وقام بمهمته على أكمل وجه، فلم يتمكن بناة الجسر العائم من إنهاء عملهم قبل قدوم الإسكندر Alexander أريان Arrian 3.7.1-2 وعندما تراجع، حاول مازوس Mazaus تطبيق سياسة حرق الممتلكات قبل وقوعها في يد العدو كوينتس كيرتس Quintus Curtius 7.9.13.10.10-13، ديودورس Diodorus 55.1-2، حتى أن

كوينتس كيرتس Quintus Curtius يضيف أن دارا Daruis فكر في تدبير محاولة لاغتيال الإسكندر Alexander 7.10.16-17. وباختصار، لا نرى في أفعال وسلوك دارا Daruis ما يدل على أنه شعوراً من الخوف أو اليأس يتملكه، وبرغم أن نجاحات الإسكندر Alexander المتكررة التي لا يمكن لأحد إنكارها ليست إلا فشلاً لدارا Daruis ، بقى ملك الفُرس بعد معركة إسوس Issus مصمماً تماماً على مواجهة الجيش المقدوني مرة أخرى، ولم يألُ جهداً في الإعداد لذلك، وكان هو من حدد استراتجية ذلك الوقت، فكان على الإسكندر Alexander التعامل مع الاستراتيجية التي وضعها الفُرس وليس شيئاً آخر، ويقر ديودورس Diodorus بهذا في ثنايا مدحه الآتي للملك، «لم تخبُ همته رغم النكسات الخطيرة التي تلقاها» 39.1، فباختصار لم يكن ملك الفُرس في موقف يائس يمكن فهمه من التنازلات التي قيل إنه قدمها، وأدرك المؤرخون القدامى أنهم فعلاً وقعوا في مشكلة؛ لأن العروض التي قدمها الملك بالتنازل عن أقاليم حتى لو تم تقليلها، كما يذكر أريان Arrian ، إلى حدود هاليس وحتى لو كان حدوثها متزامناً مع حصار مدينة صور، فقد اقترحت في الوقت ذاته الذي أصدر فيه دارا Daruis أوامره فعلاً بالتعبئة العامة ومن هنا يتزامن القرار الذي اتخذه سكان مدينة صور مع هذه التحركات، كما ذكر ديودورس Diodorus 40.3.

ويهمش المؤرخون القدامى هذه المشكلة، رغم أنهم هم من يظهرون تناقضاتهم، قائلين إن انهيار المفاوضات هو السبب الذي دعى الملك لبناء جيش، «يائساً من تحقيق السلام الذي كان يؤمن بتحقيقه من خلال خطاباته ومبعوثيه» كوينتس كيرتس Quintus Curtius 7.6.1، أريان Arrian 2.25.3، ديودورس Diodorus 55.1، والمشكلة تظهر عندما يرجع أريان Arrian هذا التحرك من جانب دارا Daruis إلى ربيع صيف 332 تقريباً، بينما يرجعه ديودورس Diodorus إلى صيف-ربيع

331 في الوقت الذي تم فيه حشد جيش ملكي بالفعل ديودورس Diodorus أو كان مازال تحت البناء أريان Arrian ، ويعتبر عرض الفرات مُبهماً من الناحية الموضوعية: ففي ذلك الوقت كانت هناك أدلة على أن دارا Daruis قرر القتال لأنه -كما يذكر كوينتس كيرتس Quintus Curtius - ترك بابل لأربيلا Arbela 7.9.6 قبل إرسال المبعوث الثالث للإسكندر 7.11.1، ديودورس 2-54.1Diodorus، ويقدم المؤرخون القدامى تفسيرات لهذا المعضلة:

1 فضل دارا Daruis الترتيب للسلام عن مواجهة الإسكندر Alexander ، وهذه هي الصورة التي تشرح رد فعل الإسكندر Alexander ، وبالتالي يرفض كل التنازلات عن الأقاليم؛ لأنها ستؤدى إلى شرعنة الغزو الذي حدث سابقاً، فكان يطمح إلى أن يملك المملكة كلها وفي يديه سلطة غير مقسمة، وهو بذلك يجبر دارا Daruis على معركة تحدد من المنتصر، وواضح أن هذه الصورة مبنية على أساس اعتقاد شائع جدًّا وهو: لا يتوقف الإسكندر Alexander أبداً عن ملاحقة عدو هارب، وهذا الاعتقاد نقلته مصادر مقربة من المعسكر المقدوني وانتشرت بصور شتى، حتى أن كوينتس كيرتس Quintus Curtius يدعي بأنه جاءت لحظة على ملك الفُرس نهاية عام 332-بداية 331، فكر في مغادرة بابل، وطلب اللجوء في بلاد السهول الإرانية، وأقلع عن خطته؛ لأنه أدرك أنه يواجه خصماً عنيداً، فالهروب لا فائدة منه 2-7.9.1، لكن ومهما كانت هناك تفسيرات عن «محاولات للهروب» فكر فيها دارا Daruis الثالث في إسوس Issus أو جوجاميلا Gaugamela ، فإن المعلومات التي أوردها كل من كوينتس كيرتس Quintus Curtius وديودورس Diodorus بنفسيهما عن استعدادات الملك العسكرية تضحد كل هذه التفسيرات التي يفترضونها.

2 المقترحات اللاحقة التي قدمها الإسكندر Alexander على

سبيل المثال التنازل عن الأقاليم حتى حدود الفرات يشرحها إعجاب دارا Daruis وتقديره الشديد للإسكندر بعدما علم بإجلال الإسكندر Alexander لزوجة دارا Daruis ستاتيرا التي ماتت لتوها كوينتس كيرتس Quintus 33-7.10.18 Curtius، وهذا يشرح الخطاب عديم المعنى الذي نسب لملك الفرس .

«يا آلهة آبائي، لا أصلي لأحد غيركم، اجعلوني ملكاً لآسيا، بعيداً عن هذا العدو وهذا إنصاف كبير لي» 4-10.3، والآتي: «ووفقاً لذلك، وبسبب إعراض خصمه، أرسل دارا Daruis عشر مبعوثين» 11.1، جستين Justen 9-411.12.6، وبالطبع مثل هذه التعليقات الخطابية لن تقنع أحداً وعلاوة على ذلك، تعتبر الخطابات التي نسبت لمبعوثي الملك إلى الإسكندر Alexander في تلك الفترة ذات محتوى غير مناسب، ولا تحمل أية قيمة دلالية خاصة فيما أورده كوينتس كيرتس Quintus 9-7.11.8 Curtius، وبغض النظر عن الأهمية السياسية أو الشخصية التي يوليها دارا Darius لأفراد أسرته الأسرى في معسكر الإسكندر Alexander ، فمن الصعب التصديق بأنه فكر في مبادلتهم بنصف الأقاليم التي يحكمها في الوقت الذي كان جيشه يتدرب بنشاط على أرض المعركة في جوجاميلا Gaugamela ، والشيء الذي يصعب تصديقه أيضاً بموجب «نظرية التبادل» هذه أن الشاغل الأكبر لدارا Darius من المفترض أن يكون هو مصير ابنه، لكن وفقاً لما ذكره كوينتس كيرتس Quintus 7.11.6 Curtius فإن دارا Darius طلب من الإسكندر Alexander إطلاق سراح زوجته وبناته ويمكنه إبقاء ابنه في الأسر، وطبعاً كل هذه المعلومات لا يمكن تصديقها -إلا إذا افترضنا أن ملك الفُرس- «إنما هو مواطن عادي وليس حاكم الإمبراطورية» راديت Radet ! ومن السهل اكتشاف عنصرين مميزين للدعاية المقدونية حول الكلمات والأفكار فيما أورده كل من كوينتس كيرتس Quintus Curtius

وجستين Justin سعة صدر واعتدال الإسكندر Alexander من ناحية، وتفكك الإمبراطورية الفارسية من الناحية الأخرى على يدي دارا Darius الذي كلف -مع أنه كان في النزوع الأخير- قائده «الفارسي» الغازي بقتل بيسس Bessus المرزبان المتهم بتدبير محاولة قتل الملك ديوروس Diodorus 73.4: بلوتارخ Plutrach ، أليكس Alex 43.4، جستين Justin 16.11.5.

باختصار لم تفعل تعليقات المؤرخين القدامى حول الشخصية المُتخيلة لملك الفُرس شيئاً لتفسير القرارات السياسية التي نُسبت إليه، ولا يستطيع مؤرخو الإسكندر Alexander أن يقدموا توضيحاً صادقاً للاستراتجية التي اتبعها ملك الفرس، والسبب بسيط: فقد واجه كل من كوينتس كيرتس Quintus Curtius وديودوريس Diodorus مفارقة يصعب فهمها: حيث لم يكن بمقدورهم وضع تفسير لصورتين شديدتي الاختلاف لملك الفرس، قائد حاسم للجيوش من ناحية ورئيس دولة مذعور خائف من ناحية أخرى، أريان Arrian فقط يتغلب على هذه التناقضات الداخلية، لكن تقييمه السلبي وحكمه على شخص دارا Darius لا يختلف أو يضع استثناءً واحداً: الخطابات التي يرسلها للإسكندر دائماً ما تحوي صوراً من الضعف وتنفي صفة الشهامة عن الفُرس في تناقض مع شدة جانب المقدونيين وتفاخر اليونانيين 7-2.7.3، وهو الشيء الذي يحمل في طياته ذكريات سابقة له وهي Ten Thousond 1.12.3، 9-2.7.8، وهذا بالتأكيد يعتمد على مصادره التي يستقيها من مؤرخه المفضل زينوفون Xenophan . ويقدم دارا Daruis على أنه لعبة في أيدي مستشاريه 2.6.4، فهو ملك تملكت عقله الهزيمة 10.1 غير راغب في اقتسام الممتلكات الشخصية مع ذوي السلطة والنفوذ من الحاشية الملكية، حتى من أجل شن حمله على العدو 11.10، كل هذه الأحكام التي صدرت من دارا Darius تم

تكرارها في خطبة جنازته، «لم يحدث قبله أن أظهر رجل الخوف والخنوع في وقت الحرب كما فعل هـو» 3.22.2، وكـان مـتهماً بموقفـه الجبـان الشـهير في جوجـاميلا Gougamela : «كان الملك بنفسه من أوائل الذين هربوا بطريقة مهينـة في أربـيلا Arbela ، وخسر الجيش الأعظم الذي يتكون كله من الجنس البربري» 12.4، وقـام أريان Arrian بالفعـل بـإيراد كـل هـذه الموضـوعات في نـص خطـاب مشـكوك في مصداقيته بصورة كبيرة أرسله الإسكندر Alexander إلى دارا Daruis من مـاراثون Marathus 12.4، ويكشف هـذا الخطـاب عـن هجمـة منظمـة عـلى شرعيـة دارا Daruis ، تم وضعها وفقاً لقوانين الدعاية الموجهة ضد سـلالة الحكـم، ويـتم عقـد مقارنة بين ملك الفُرس والإسكندر Alexander القائـد المنـتصر القـوي الـذي يكـن احتراماً لأسرة دارا Daruis رغم ذلك، وتشوه صورة الملك في كل مناسبة: فهو لـيس الملك الشرعي، هجره المقربون منه، وتحولوا «بكامل إرادتهم» إلى جـوار الإسـكندر Alexander أريان Arrian 2.14.7، ولم يهزم فقط في أرض المعركة لكنه من خـلال هروبه المخزي تخلى عن رمز سلطته القوس، السهام، لباس الحرب، المركبة الحربية، ونـتج عـن ذلـك أن أدت قـوتهم الرمزيـة لاحقـاً إلى ازديـاد عظمـة الإسـكندر Alexander 3.5.6، 5-12.4، 11.6، 2، وفي هذا السياق فـإن التنـازل عـن الأقـاليم سيتوج الصورة المرسومة كلها؛ لأن دارا Darius واقف بنفسه لتقسيم الامبراطورية، وحتى عـلى مـنح الإسـكندر Alexander قسـماً متسـاوياً مـن السـلطة ديـودورس Diodorus .

كل هـذا يؤكـد وجـود وجهتـين للنظـر متناقضـتين حـول شخصـية دارا Daruis الثالـث في العصـور القديمـة، ويبـدو للعيـان أن مسـألة التنـازل عـن الأقاليم ظهرت على السـطح بسـبب الدعايـة المقدونيـة التـي أكـدت ضـعف وجبن ملك الفُرس، واتبع أريان Arrian هذا النهج عـلى طـول الخـط، وأيضـاً مال كل من ديودورس Diodorus وكـوينتس كـيرتس Quintus Curtius إلى

هذه الدعاية، لكنهم أضافوا إليها معلومات من آخرين، من مصدر أكثر «حيادية»؛ لأنهم وجدوا مصدرين؛ أحدهما رواة الأحداث بكثرة تناقضهم، والآخر التفسيرات الشاذة للأحداث، أضف إلى ذلك أن ديودورس Diodorus أورد روايتين عن اعتلاء دارا Daruis للعرش بينهما سطور قليلة ولكنهما متطابقتين تماماً 2-7.1-6، 5.3، والشيء الوحيد الذي يتفق عليه هؤلاء المؤرخون القدامى هو التنازل المهين عن الأقاليم، لكن أريان Arrian وعلى غير عادته يرجع مقترحات التنازل هذه عن الأقاليم حتى حدود الفرات إلى أيام حصار مدينة صور 2.52.1 .

ويتفق المؤرخون المحدثون تقريباً على رفض رواية أريان Arrian للأحداث، وبذلك يضفون الشرعية على الرواية الثانية التي تصف التخلي عن ترانس-هاليس في الأناضول Trans-Halys Anatolia ، لكن هل تستند هذه الرواية بالفعل إلى أسس سليمة؟ وهل هي أكثر مصداقية؟ هنا تكمن المشكلة.

العرض الذي قدمه دارا Darius باختيار كل من هاليس Halys والفرات Eughrates كحدود للأقاليم التي سيتنازل عنها لا تقاس به شرعية الملك الفارسي، ولا تعتبر معياراً، وعلم اليونانيون منذ أيام هيرودوت Herodotus 1.74 أن هاليس Halys ينظر إليها على أنها الحد الفاصل بين مملكتي ميديا Media وليديا Lydia ، وقد توج الاتفاق الدبلوماسي بينهما بزواج ابن سياكسارز Cyaxares وابنة أليتس Alyattes ؛ لأن «المعاهدات نادراً ما تحتفظ بقوتها بدون روابط قوية علاقات أسرية» علاوة على ذلك، فإن الإقليم الذي سيتم التنازل عنه يتصل بصفة حميمة بموضوع يهتم به إيسوكراتس Isocrates حيث يمكن الحكم على الغزوات فيليب Philip 120: «آسيا من سليشيا Cilicia إلى سينوب Sinope ، ويبدو أن استخدام تعبير «من الفرات» كحد للأقاليم المتنازل عنها ولأول وهلة تم نقله من مصطلحه الإداري وهو «فيما وراء النهر»، فقد ترجمه

اليونانيون على أنه «فيما وراء الفرات» في الخطاب الذي أرسله دارا Darius إلى جاديتس Gadutes 12 ML .

لكن الصيغ التي أوردها مؤرخو الإسكندر Alexander «فيما بين الفرات وبحر اليونان» أريان Arrian ، «هذا الجانب من الفرات ديودورس Diodorus وبلوتارخ Plutrach ، «ما بين هيلسبونت Hellespont والفرات» كوينتس كيرتس Quintus Curtius ، «وحتى حدود الفرات» جستين Justin تمثل بوضوح وجهة نظر سطحية للجانب الفارسي، وخيانة اليد اليونانية أو المقدونية في الوقت نفسه فقط مثل عبارة «هذا الجانب من هاليس Halys » علاوة على ذلك، وفي عرض اليونانيين لأراضي الفرس، فإن الفرات كان ينظر إليه بصورة تقليدية على أنه الحد الثقافي الذي فيما ورائه تبدأ آسيا الكبرى، ومما لا شك فيه فإن هذه التصورات -على الأقل بصورة جزئية- افتراضات سياسية جغرافية، حيث تقف وراء الهيكل التقليدي للحوار الذي دار بين الإسكندر Alexander وبارمينوين الكبير Parmenion ، والذي يظهر هنا -كما يظهر في عدة مواقف- لاعباً دوراً مقنعاً جدًّا «فلاح من دانوب Danube » أريان Arrian، 2.25.2،ديودورس Diodorus 5-54.4، كوينتس كيرتس Quintus Curtis 7.11.11-13، وتقودنا هذه الملاحظات إلى أخذ القيمة التجريبية التي غالباً ما تنسب للطبيعة المتسلسلة لتنازلات دارا Darius عن الأقاليم مع تحفظات كبيرة، وفي الحقيقة، يرتبط موضوع «الرد المتسلسل» عند المؤرخين القدامى بعصر الإسكندر Alexander وبالمرحلة الإغريقية، ويعزز عدم قابلية الاستراتيجية والأفكار التي نسبت لدارا Daruis لتصديق اعتقادنا بأننا نتعامل مع تزوير مقدوني للأحداث التاريخية، وهو الاستنتاج الذي لا نجد أصعب من تصديقه سوى استحالة اقتراح تفسيرات بديلة صحيحة.

عواقب ما حدث في جوجاميلا Gougamela 331-330:

تعـرض دارا Daruis لهزيمـة أخـرى في معركـة جوجـاميلا رغـم اسـتعداداته العسكرية المكثفة والهائلة، وهـذه الهزيمـة لهـا عواقـب أخطـر بكثـير مـن هزيمـة إسوس Issus ، عندما رجع الملك إلى أرابيلا Arbela عقد مؤتمراً ومعه مستشـاروه، ووفقاً لما أورده المؤرخون القدامى، فإن المجتمعين كان أمـامهم اختيـار خطـير، إمـا الرجـوع إلى مدينـة بابـل Bablyon حيـث عـاد إليهـا مـازيس Mazaeus وفرقـه العسكرية طالباً اللجوء، ومن هناك تكون لهم ميزة إعداد بابل دفاعيًّا لإعاقة تقدم الإسكندر Alexander ، وإما محاولة حشد جيش جديد والاستعداد لخوض المعركة الفاصلة ضد الإسكندر Alexander ، وبسبب مـا حـدث أخـيراً فـإن كـلا الخيـارين يحتويان على مخاطر كبيرة: فتخيل الطريق مفتوحاً إلى بابليون سـيؤدي في النهايـة إلى استيلاء الإسكندر Alexander على مدن كبيرة، ومـا بهـم مـن كنـوز، والسـهول الغنية في بابلونيا Babylonia وسوسيان Susiana ، لكن التقهقر والرجوع إلى بابل سيسـاوي الاعـتراف بـأن سـقوط المدينـة -بغـض النظـر عـن طـول الحصـار الـذي سيحدث- سيجسد نهاية الوجود الفارسي والهزيمة الحاسمة لـدارا Daruis الثالـث، والذي ربما يقع وقتهـا في أيـدي خصـمه، واختـار دارا Daruis -عـلى النقـيض مـن نصائح بعض المقربين منه- كما يظهر ذلك في كوينتس كيرتس Quintus Curtius 4.1.7، الانسحاب إلى إيكباتانا Ecbatana ويسلك الطريق مـن أرابـيلا Arbela إلى جبال أرمينيا Armenia 4.1.9، أريان Arrian 3.16.1، -ADRTB330 .

ووفقـاً لمـا ذكـره أريـان Arrian 3.16.2 فـإن اختيـار الملـك هـذا كـان لاعتبـارين: أولاً: كـان دارا Daruis يعلـم أن الإسـكندر Alexander سـيهاجم بابل قريباً، ويـوفر الطريـق الممهـد جيـداً بـين أرابـيلا وبابـل الإمـدادات التـي يحتاجها الإسكندر Alexander لتزويد قواتـه بمـا تحتاجـه، وهـو الشيء الـذي

لم يكن متاحاً من خلال الطريق الذي اختاره دارا Daruis ، واستناداً إلى هذه العوامل، كان ملك الفُرس يعرف أن خصمه ينوي الاستيلاء على المدن الغنية ذات الأهمية الاستراتيجية مثل بابل. ثانياً: عوّل الملك على إعادة بناء جيش في إيكباتانا Ecbatana تعززه تعبئات لقوات يجري الإعداد لها في المرزبانات الإيرانية الشرقية ديودورس Diodorus 2-64.1، 73.1، وخاصة في باكتريا Bactria كما ذكر كوينتس كيرتس Quintus Curtius 4.10.3، حيث تحتل ثلث آسيا، وعدد ما فيها من رجال في عمر الخدمة العسكرية يساوي كل الجيوش التي فقدها دارا Daruis »، ونعرف أن مازوس Mazaeus ، عند قدوم الإسكندر Alexander إلى بابل، لم يحاول حقيقة تنظيم دفاع المدينة، مع أنها كانت محصنة، واستسلم للإسكندر، ثم فعل مثله مرزبان سوزيانا Susiana ، ويصف كوينتس كيرتس Quintus Curtius استسلام صوصا Susa للإسكندر بواسطة حاكمها أبوليتز Abulites بأنه فعل ذلك إما بأوامر من دارا Daruis أو بتصرف شخصي منه» 4.2.8، وهذه هي المشكلة التي تواجه المؤرخين المحدثين بصفة أساسية، ويروي ديودورس Diodorus عدة روايات عن استسلام أبوليتز Abulites الاختياري للإسكندر: يذكر البعض أنه قام بذلك تنفيذاً للأوامر الصادرة له من دارا Daruis والتي كان يوجهها للمسؤولين موضع الثقة.

كان ملك الفُرس سأمل من وراء هذه السياسة أشغال الإسكندر Alexander من خلال وضع يده على المدن الكبيرة وكنوزها الضخمة، بينما يكسب دارا Daruis الوقت بهروبه والإعداد لحرب جديدة 65.5 .

وكان كوينتس كيرتس Quintus Curtius قد ذكر تفسيراً شخصيًّا للأحداث، في سياق تناوله للمناظرة التي دارت بين دارا Daruis والدائرة المقربة منه في أرابيلا Arbela بعد التقهقر من جوجاميلا Gougamela ، يقول عندما ترك ملك الفُرس الطريق مفتوحاً نحو بابل

كان تفكيره كالآتي: لقد أدرك من خلال التجربة أن المعدات ذات التكلفة والسراري وعربات الخصيين ليست أكثر من أعباء ومعوقات، ومن الممكن أن يصبح الإسكندر Alexander الأقل من ناحية الموارد التي مكنته من تحقيق غزواته السابقة؛ لأنه اصطحب معه تلك الأثقال والمعوقات نفسها 4.1.6 .

وهذا بالطبع تفسير شخصي من كوينتس كيرتس Quintus Curtis أو مصدر معلوماته والذي يدفع بكل الأفكار عما حدث إلى العداء، حيث بني ذلك على عبارة بها مصطلحات مثيرة للعواطف: «مكلفة»، «سراري»، «خصيان»، وسيستخدم كوينتس كيرتس Quintus Curtius ومؤرخون قدامى آخرون لاحقاً هذه الاعتبارات نفسها لانتقاد ميل الإسكندر Alexander نحو «الشرق» علاوة على ذلك كما يصفها مؤرخ لاتيني بقلمه، هذا التوصيف حافل بالذكريات عن هانيبال Hannibal و«أفراح كابوا Capua 4.1.36-38 ، ويصعب أيضاً تصديق ما ينسبه ديودورس Diodorus إلى دارا Darius ؛ لأن الطريقة المثلى لكسب الوقت هي بالتأكيد إصدار الأوامر بكل من مازوس Mazoeus وأباليتس Abulites بالاستمرار في المقاومة لأطول فترة، ويشير أريان Arrian أيضاَ إلى استراتيجية الملك عندما كان وقتها في إيكباتانا Ecbatana : قرر دارا Daruis الانتظار في مكانه في ميديا Media لو أن الإسكندر Alexander نوى البقاء في صوصا Susa وبابل Babylon ترصداً لأي تطورات جديدة في معسكر الإسكندر Alexander ، لكن إذا قرر الإسكندر Alexander التوجه مباشرة خلفه، فإنه فكر في الذهاب إلى بارثينز Parthyoeans وهايركانيا Hyrcania حتى الوصول إلى باكتريا Bactria ، وينهب كل البلاد جاعلاً من مواصلة الإسكندر Alexander لتقدمه هو المستحيل بعينه، وبقى مع القوات التي حشدها في إيكباتانا، وعلم الإسكندر Alexander في طريقه أن دارا Daruis قرر مقابلته وخوض معركة ضده مرة أخرى 3.19.1-3 .

لكن ما ذكره أريان Arrian يثير عدة مصاعب؛ لأنه يضع هـذه التطـورات في وقت متأخر مـايو-يونيـو، 330، ويخلـط بـين مراحـل متعـددة مـن اسـتراتيجية دارا Daruis وربما كان هذا الخلط هو مصدر قلب التسلسل التاريخي لما حـدث في كـل مـن صوصـا Susa وبابـل Babylon ، ولا تعنـي الأفكـار التـي نسـبها ديـودورس Diodorus لدارا Daruis أن الأخير اعتقد أن صوصا وبـابليون لـن يقاومـا حتـى إن الكلمـة المسـتخدمة تجعلنـا نعتقـد أن الملـك كـان يأمـل أن يسـقط الإسـكندر Alexander في متاهة الصعوبات، ويمكننا فقط تفهم تلك الأفكـار المنسـوبة للملـك إذا لم تتحقق آماله وصاحب ذلك علمه بسقوط عواصم مدنه بواسطة ناقلة الأخبـار بسرعة يمكنه منها معرفة التطورات في إقامته عند إيكباتانا في غضون يـوم أو يـومين بواسطة بييرسبوليس Persepoles وجوبو Goboe ، وربمـا هـذا الموقـف هـو الـذي يقـف وراء مـا ذكـره كـل مـن كـوينتس كـيرتس Quintus Curtius وديـودورس Diodorus: كان دارا Daruis يتمنى أن يبقى الإسكندر Alexander في بابـل لفـترة طويلة لأي سبب كان، ربما لأسباب لوجستية ومـن هنـا يجـد أريـان Arrian نفسـه قادراً على وصف كل من بابل وصوصا بأنهما «جائزة الحرب» وفقـاً لمـا ذكـره الملـك منذ أوائل أكتوبر 331، وهي العبارة التي يستعيرها هذا المؤرخ لتزييـف صـورة دارا Daruis واصفاً إياه كلاعب يعترف بانتصار خصمه عليه، وعلى الجانـب الآخـر، كـما يعترف بذلك أريان Arrian بدون محاولة تجنبه التـورط، ويبـدو واضـحاً للعيـان أن ملك الفُرس خلال شتاء 330-331 لم يتخلَّ عن خطته الأولى التي كان مفادها حشـد الجيوش وخوض المعركة ضد العدو: «كان دارا Daruis يعد نفسـه للمعركـة ولـيس للهروب» كوينتس كـيرتس Quintus Curtius 4.8.22، ديـودورس Diodorus 73.1، أما القرار الذي أصدره بالانسحاب تجـاه المـدن العليـا فكـان لاحقـاً بعـد هذه التطورات، والآن يمكننـا الإجابـة عـن تسـاؤل كـوينتس كـيرتس Quintus

Curtius حول سلوك أبوليتس Abulites : «سواء أكان استسلامه بأمر من دارا Daruis أو بتصرف شخصي منه» 4.2.8، وسواء كانت بابل أو صوصا، فإن إمكانية القول بأنه تصرف بأوامر من دارا Daruis تبدو أقل احتمالاً؛ لأن ملك الفُرس كان على وعي بأن مسألة تعبئة جديدة للجيوش ربما تأخذ شهوراً، وبالتالي يتعين علينا بدلاً من ذلك -وهذا أكثر منطقية- أن نفترض أن دارا Daruis قد أرسل أوامر لمازوس Mazoeus وأبوليتس Abulites يوجههما من خلالها بإعداد أقوى مقاومة ممكنة ضد الإسكندر Alexander ، ومن المسلم به أن يكون دارا Daruis كتب بالشيء نفسه إلى كل عماله على المدن عندما كان في إيكباتانا، ووفقاً لما أورده ديودورس Diodorus 64.2 فإن دارا Daruis «أرسل مبعوثيه للحكام والقادة في باكتريا Bactria وفي المرزبانيات العليا داعياً إياهم بأن يكونوا أوفياء في إخلاصهم للملك».

والشيء نفسه يطبق على ماداتس Madates الذي كان يترأس مهمة تحصين الطريق ما بين صوصا Susa إلى بيرسيبوليس Persepolis : كان «رجلاً لكل الأوقات، والذي لم يترك فرصة إلا وعبر فيها عن إخلاصه للملك» 4.3.4 وهذه العبارة تكشف أنه كان مرتبطاً بصفة شخصية مع دارا Daruis ، مثله مثل مازوس Mazoeus وأبوليتس Abulites ، وهذا بدوره يشرح عدم التأكد الذي أظهره كل من كوينتس كيرتس Quintus Curtius 4.2.8 ديودورس Diodorus 65.5 الذين أيضاً يعرضون الحجج التي ساقها حكام الأقاليم الفُرس المتمردين على الملك، ويثير سلوك هذين الرجلين العديد من علامات الاستفهام، والتي سنعود إليها لاحقاً، لكن لا يجب علينا أن نستنتج هنا أن تصرفاتهم تعكس الموقف الذي كان عليه الملك، رغم أن ما قاموا به أصابهم بالدهشة.

ويتضح لنا أن دارا Daruis كان يأمل في كسب المزيد من الوقت لإعداد جيش جديد من خلال تنظيم دفاع الأقاليم التي تقع عند مؤخرة

جيشه، وكانت كل من بابل Babylonia وصوصا Susa وفارس Persia تزخر بحصون كثيرة، ويكشف وجود الفيالق العسكرية التي كانت عند بوابات الفُرس أن المنطقة لم تكن خالية من المقاتلين والرجال حتى إن مازوس Mazaeus بنفسه قاد سرية الفرسان التي كانت في استقبال الإسكندر Alexander كوينتس كيرتس Quintus Curtius 41.23، وربما كان من بين أولئك الفرسان من تبع مازوس Mazaeus في طريقه نحو بابل 5.16.7؛ ولذلك لم يكن الإسكندر Alexander أكثر تفاؤلاً مثل العديد من المؤرخين المحدثين، وكان مازوس قبل ارتداده يخاف أن يتسبب طول حصار بابل في إعاقة تعبئة قواته لوقت طويل كوينتس كيرتس Quintus Curtius 4.1.17، ورغم الاستسلام المتتابع الذي حدث في بابل وصوصا Susa وبيرسبوليس Persepolis وباسارجادي Pasargadoe لم يكن الإسكندر Alexander في وضع مطمئن في ربيع عام 330، وهذا بدوره يساعد في شرح التحرك الذي لم يكن راغباً فيه نحو ميديا Media والتي وصلها في اثنى عشر يوماً، وبعد وصوله علم أن دارا Daruis قرر الانسحاب والتراجع نحو الداخل أريان Arrian 3.19.4-5، وسنعود إلى الأسابيع الأخيرة في حياة دارا Daruis لاحقاً، لكن كاستنتاج مؤقت، يلزمنا أن نشدد على تحفظ جوهري هو: مما لا شك فيه أن الانتصار في جوجاميلا Gougamela مثل خطوة مهمة للإسكندر، وأن الهزيمة على المدى البعيد كانت لها أبعاد كارثية على دارا Daruis ، علاوة على ذلك وحتى مساء الأول من أكتوبر من عام 331 لم تكن القصة قد كتبت بعد، وتبدو المعركة حاسمة فقط لأننا نعرف باقي القصة، ولو أننا نعلم أن دارا Daruis فقد الأمل تماماً بعد الهزيمة، وهو الشيء الذي يشكك في صحته كل المؤرخين القدامى، والحدث الذي يمكن وصفه بأنه حاسم هو استسلام بابل بعد شهر تقريباً من المعركة: لكن لم يكن أبداً في الحسبان أن يسلم مازوس Mazaeus المدينة بدون قتال.

3- دارا Daruis وإخلاصه:

ميثرينز Mithrenes وفُرس آسيا الصغرى 333-334:

دلل الإسكندر Alexander على تفوقه في خطابه من ماراثوس Marathus ، وفقاً لما أورده أريان Arrian 2.14.7، من خلال هذه الكلمات: «أتحمل المسؤولية بنفسي عن كل قواتك الذين لم يلقوا حتفهم في المعارك، وطلبوا اللجوء عندي، إنهم معي بمحض إرادتهم، ويقاتلون معي باختيارهم»، يمكننا اعتبار مثل هذا الخطاب واحداً من إحدى التبريرات الملكية المعروفة جيداً، لكن الارتداد الاختياري للقوات ديودورس Diodorus 65.5 مشيراً إلى أبوليتس [Abulites] وانضمامها للخصم يعزز حق من يرغب في إدعاء امتلاك السلطة المهيمنة، وظهر هذا بالفعل عند كل المؤرخين القدامى الذين سجلوا الدعاية التي نشرها قورش Cyrus الأصغر ضد أخيه أرتاكسركسيس Artaxerxes الفصل 15.2، كما في حالة قورش Cyrus هذا يجب تناول ما قاله الإسكندر Alexander محذراً، لقد برهن سلوك الحكام الفرس في المدن قبيل معركة جرانيكس Granicus على أن الأرستقراطيين الفُرس كانوا متحدين حول ملكهم، وكانوا حريصين على تنفيذ أوامره، وهناك أمثلة عن الارتداد الطوعي للقوات الفارسية، وإعراضها عن دارا Daruis ، ويمكننا هنا فقط الاستشهاد بما حدث لميثرينز Mithrenes في سارديس Sardis الذي كان ينظر إليه دائماً كخائن للملك بعد انضمام قواته للعدو كوينتس كيرتس Quintus Curtius 3.12.7، فعندما وصل الإسكندر Alexander إلى أسوار المدينة، قام ميثرينز Mithrines بتسليم القلعة والخزانة له» أريان Arrian 1.17.3، لكننا لا نفهم أسباب إقدامه على ذلك، فسلوكه مختلف تماماً عن هيجسستراتوس Hegesistratus «الذي عهد دارا Daruis إليه بقيادة حامية ميلزيان Milesian ، والذي كان قد أرسل خطاباً بالاستسلام للإسكندر،

لكنه خشى من القوات الفارسية التي لم تكن بعيدة عنه، وركز مهمته في إنقاذ فارس» أريان Arrian 1.18.4، لكن ميثرينز Mithrines كان على علم بأن المدينة كانت في وضع محصن، ومهما حدث، فإن الإسكندر Alexander سيخسر أسابيع حتى تستسلم له؛ لأنه لا يمكنه مواصلة تقدمه وترك مثل ذلك الموقع خلفه، علاوة على ذلك، فإن ميثرينز Mithrines لم يعن بالتأكيد أن سقوط القلعة سيمكن الإسكندر Alexander من التغلب على الأزمة الحالية التي يمر بها ديودورس 21.7 Diodorus، ولن يسهم موت سبيثريديتس، مرزبان ليديا وإيونا Lydia and Ionia في موقعة جرانيكس Granicus ، في تقديم تفسير لكل شيء، وبعبارة أخرى واستناداً إلى طبيعة موازين القوة في ذلك الوقت، فإن قرار ميثرينز كان من الخطورة بمكان، خاصة لو حدث هجوم مضاد ناجح من الفُرس، فكان يمكننا حل هذه الإشكالية إذا عرفنا التاريخ الشخصي والسياسي لحاكم ساريس Sardis ، والذي لا نعرف عنه شيئاً لسوء الحظ .

من الواضح أن ميثرينز رأى في عروض الإسكندر Alexander ما يكفيه، ونحن نعرف أنه مقابل استسلامه عُين في موقع رفيع: «بقى ميثرينز Mithrines معه، بالشرف الذي ناله في منصبه الجديد» 1.7.4، 3.23.7، وقد اقتنع الإسكندر Alexander بعد موقف ميثرينز Mithrines وما أحاط بذلك من تطورات أن غزو الإمبراطورية مع هيمنة مستمرة على الأمور سيكون قادراً على كسب ثقة الإثنيات العرقية الفارسية التي بعيداً عن تلك التمردات الثانوية، بقيت على ولائها للملك طوال التاريخ الفارسي، أما ما حدث مع هيجستراتوس Hegesistratus فيدل ضمناً على أنه أجرى اتصالات بالكثير من المسؤولين المهمين بعد الانتصار في جرانيكس Granicus بوقت قصير، ومن أجل تعزيز محاولاته لاستمالة المزيد، اعتمد الإسكندر Alexander على تقليد كان يتبعه ملوك الفُرس أنفسهم في توزيع حكم المدن على الطبقات العليا في المدن التي

يغزونها، وبالتـالي تـم الترحيـب بميثرينـز Mithrines واعتبـاره عضـواً في الحاشـية الملكية، واحتفظ بالجاه والنفوذ نفسيهما اللذين كان يتمتـع بهـما وهـو في خدمـة ملـك الفـرس، ولم يبـالغ الإسـكندر Alexander في دمـج ميثرينـز Mithrines في الطبقة الحاكمة الجديدة، فلم يمنحه حكم مدينة حتى عام 331، وحتى ذلك العام كانت المناصب القيادية العليا الحاكمة يحتفظ بها اليونانيون والمقـدونيون بصـورة حصرية، وحتى ذلك الوقت لم يكن المقدونيون مستعدين لقبول الإيـرانيين كأكفـاء لهم، ومن هذا يمكننا أن نستنتج إنشاء حاشية على النظام الفارسي في تلك السنوات الأولى متوازية مـع الحاشـية وفقـاً للتقاليـد المقدونيـة، وهنـاك حكايـة نـادرة عـن ميمنون Memnon يرويها بولينـوس Polyaenies 8.3.15 لا تحمـل في طياتهـا أي معنى، فيروى أنه بعد وصول الإسكندر Alexander «أمر قواته بألا يتعرضوا لأرض ميمنون Memnon ، وهي الطريقة التي تجعل الشك يحوم حوله»، لكـن سياسـة الإسـكندر Alexander اختلفـت نوعـاً مـا بعـد انتصـاره في معركـة جـرانيكس Granicus : ففي ذلك الوقت أرسل قوات إلى إقلـيم ميمنـون Memnon 1.17.8، وهو الشيء الذي يدل ضمناً على أن أموال وممتلكات ميمنون قد تمـت مصـادرتها، وكانت هذه إشارة إلى أولئك الذين يفكرون في المقاومة: لو لم يذعنوا سيفقدون كل المميزات الاقتصادية التي يحصلون عليها من دارا Daruis نظير خدمتهم له أريـان Arrian 1.12.10، وربما هذه العوامـل هـي التـي كانـت تقـف وراء قـرار ميثرينـز Mithrines .

وربما تكون سياسة الإسكندر Alexander سهلة الفهم، لكننا بحاجة لتقييم أثرها ونجاحها، فمن الواضح أنه لم يكن هناك بعيـداً عـما قـام بـه ميثرينـز Mithrines ، ارتـدادات كثـيرة عـن ملـك الفـرس، ولا نعـرف إلا شخصـاً واحـداً اسـمه سـابكتاس/ أبسـتامينز Abistamenes /Sabictas أُسندت إليه مهمة حكم جزء من كابادوكيا Cappadocia في صـيف عـام

333 أريـان Arrian 2.4.2، كـوينتس كـيرتس Quintus Curtius 3.4.1: لكننـا لا نعرف شيئاً عنه، وظهر إخلاص كبار المسؤولين الفُرس لـدارا Daruis بشـكل كامـل خلال عامي 332-334 .

بقى حكام الأقاليم والقادة الذين نجوا من معركة جرانيكس Granicus على ولائهم للملك: فبعضهم حضر للدفاع عـن هليكارنسـوس Halicvarnass ، وتوجـه بعضهم إلى مدنهم أتيزس Atizyes إلى فيرجا الكـبرى Greater Phrygia ، وأرزامـز إلى سـليكا Arsames to Cilicia قبـل الرجـوع إلى معسـكر دارا Daruis ، بيـنما لقى آخرون مصرعهم في هجمات مضادة عنيفة ضد عـدوهم المقـدوني قبـل وبعـد معركة إسوس Issus ، ويتعين علينا أيضاَ أن نكون قادرين عـلى تتبـع جهـود فُـرس الشتات الذين يعيشون بأعـداد ضـخمة في آسـيا الصـغرى ولا شـك أنهـم كـانوا في الحيرة ذاتها التي واجهها ميثرينز Mithrines ولسوء الحظ ليست لدينا معلومـات تدلنا على موقفهم في ذلك الوقت، وحتى قدوم عـام 332 لا يوجـد لـدينا أي دليـل مفيد: هنـاك نقـوش يونانيـة مـن الأميـزون Amyzon ، حيـث يكشـف عـن مـنح الجنسية لشـخص يسـمى باجـاداتس Bagadates ، وسـمي عـلى منطقـة مقدسـة مدنية مخصصة لأرتيمس Artemis ، ويفهم من السياق أن Bagadates هذا كـان مستوطناً فارسيًّا في كاريا Caria الذي خطط للاحتفاظ بموقـع اسـتراتيجي بواسـطة الاندماج داخل واقع المدنية أثناء الاضطراب الذي صاحب انهيار الهيمنة الفارسـية، لكن التاريخ المتأخر لتلك النقـوش بعـد مـوت الإسـكندر Alexander يمنعنـا مـن إصدار أحكام تعميميـة حـول سـلوك فُـرس آسـيا الوسـطى عنـدما اقـترب الجـيش المقدوني عام 334، وبعد مواجهات عامي 332-334 .

استسلام مازاسييز 332 Mazaces:

أول استسـلام سُـجل تاريخيًّـا كـان الـذي قـام بـه مازاسـيز Mzaces حيـنما استسـلم في مصر عـام 332، ويشـير كـوينتس كـيرتس Quintus Curtius إلى

أن مازاسيز Mzaces جاء للترحيب بالملك خارج أسوار ممفيس Memphis ، كما فعل ميثرينز Mithrines في سارديس Sardis : «أرسل إلى الإسكندر Alexander 800 من الطالن الذهبي وكل الأثاث الملكي» 4-7.7.3، ويقدم أريان Arrian شرفاً لقرار مازاسيز كالآتي: «بعدما علم مازاسيز Mzaces بما حدث في معركة إسوس Issus ، والهروب المشين لدارا Darius ، وأن فينيقيا وسوريا والجزء الكبر من الجزيرة العربية أصبح في يد الإسكندر Alexander ، ووقوفه بدون أية قوة فارسية، قام باستقبال الإسكندر Alexander بطريقة حميمة، وأدخله إلى المدن وإلى الدولة 3.1.2 .

يجب علينا بناء تسلسل هرمي للأسباب التي أوردها أريان Arrian ، وإظهار الفروق بينها، من المرجح أن يكون مازاسيز Mzaces قد تأثر سلبيًّا بالهزيمة التي حدثت في معركة إسوس Issus ، ولكن هذا التفسير يبدو أنه مفروض، وفي الحقيقة لم يُعين مازاسيز Mzaces كحاكم لمصر إلا فقط بعد سقوط ساباسيز Sabaces في معركة إسوس Issus ، وهذه السياسة كانت من بين الإجراءات التي اتخذها دارا Daruis بعد هزيمته من سليشيا Cilicia ، وهناك شك أيضاَ في طرح أريان Arrian الغريب بسبب التعميم الذي يتضمنه فيما يخص سلوك الفُرس بعد معركة إسوس Issus ، وهذا الطرح بُني على إحدى ركائز الدعاية المقدونية التي ظهرت جليًّا بالفعل في خطاب من ماراثوس Marathos جنباً إلى جنب مع وصف ما جرى في معركة Issus وبعد ذلك جوجاميلا Gaugamela .

وتم تشويه سمعة دارا Daruis الثالث بسبب تخليه عن رموز السلطة الملكية عندما هرب، ولا يوجد أدنى شك في أن الإسكندر Alexander شن حملة نفسية هدفها إحداث انشقاق بين الطبقة الأرستقراطية الفارسية والملك، لكن لا يوجد دليل على أنه حقق أي نجاح يذكر في هذا المضمار، ولا يوجد هناك شيء يثبت تعرض هيبة الملك للاهتزاز، ولم

تتسبب الهزيمة التي رأيناها في إحداث هروب مخيف من جانب كبار المسؤولين الذين اطمئنوا لما رأوا الطاقة التي أظهرها دارا Daruis ، والخائن الوحيد الذي يمكننا ذكر اسمه هو حاكم دمشق الذي خان العهد مع الملك بعد معركة إسوس Issus ، ومع ذلك لقى حتفه على يد أحد شركائه، «احتراماً لجلالة الملك»، ونعرف أيضاً أن باتس Batis الذي كان مسؤولاً عن غزة حافظ على ولائه للملك حتى النهاية كوينتس كيرتس Quintus Curtius 7.6.7 رغم صدمة سقوط مدينة صور، وعلى الجانب الآخر نحن نعرف اسم فارسي أوكسداتس Oxydates سجنه دارا Daruis في صوصا Susa «الشيء الذي جعل الإسكندر Alexander يثق فيه» في عام 331، أريان Arrian 3.2.3، لكن لا يمكن استخلاص استنتاج عام من هذه الحادثة؛ لأننا لا نعرف شيئاً وقت حدوثها هذا أو الظروف التي أحاطت به .

وأضحت مصر مسرحاً للاضطرابات منذ اللحظة التي عين مازاسيز Mzaces فيها، والذي بالتأكيد تلقى أوامر من الملك بالمقاومة حينما يتطلب الأمر ذلك، وبعد معركة إسوس Issus وصل أمينتاس Amyntas ، وهو منشق مقدوني يخدم تحت إمرة دارا Daruis ، إلى وادي النيل بصحبة وحدته العسكرية التي تتكون من جنود مرتزقة، ادعى بأن دارا Daruis عينه مرزباناً على مصر، وجرت معركة هزم فيها أمينتاس هزيمة ساحقة ديودورس Diodorus 17.48.2-5: كوينتس كيرتس Quintus Curtius 7.1.27-33، وقد عزز ما حدث من مكانة المرزبان، وربما قام بضم قوات المرتزقة التابعة لمينتاس إلى قواته، والحاجة إلى دفع رواتب لجنده من المرتزقة تؤكدها عملات سكت باسمه وأصدرها في مصر، في الوقت نفسه، من المؤكد أن مازاسيز Mazacis شعر بالقلق من التفوق الساحق للإسكندر براً وبحراً، بينما هو منعزل تماماً عن أي دعم فارسي، وعندنا معلومات عن واحد من المقربين منه واسمه أمسنابس

Amminapis ، والذي «كان من بين هؤلاء الذين سلموا مصر للاسكندر وفقاً لما أورده أريان Arrian 3.22.1 »، أما كوينتس كيرتس Quintus Curtius فيرجع تعيينه أمينابس ويسميه مانباس Manapis إلى تاريخ متأخر، ويضيف أنه كان قد تم نفيه أثناء حكم أوشس Ochus ، وأقام في حاشية فيليب أثناء ذلك الوقت 7.4.25 .

سيكون من الخطأ استنتاج أن أمينابس ترك ممفيس Memphis وانضم للإسكندر بسبب ماضيه المقدوني، فأرتابازس Aytabazus وأسرته الذين كانوا قد تم نفيهم أثناء حكم أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث أظهروا ولاءً منقطع النظير لدارا Daruis الثالث رغم وقوع زوجاتهم وبناتهم في الأسر في دمشق كوينتس كيرتس Quintus Curtius 3.13.13-14، وأيضاً يمكن شرح العوامل التي شكلت تصرفات القادة الفُرس في مصر استناداً إلى العوامل نفسها التي حركت ميثرينز Mithrinus : كانوا يرغبون في الاحتفاظ بامتيازاتهم، خاصة ملكية الأراضي التي كانت تدر لهم ربحاً من المناطق المزروعة ديودورس Diodorus 48.4، ومع ذلك، عكس ميثرينز Mithrinus ، يمكنهم الإدعاء بأن ميزان القوة الآن أصبح لصالح الإسكندر Alexander بشكل حاسم.

انضمام كلاً من مازيس Mazaeus وأبولتيس Abulites 331 إلى معسكر الإسكندر Alexander :

وصل الإسكندر Alexander إلى بابلونيا Babylonia وسوزيانا Susiana في أكتوبر ونوفمبر عام 331 قبل استسلام مدينتي مازيس Mazaeus وأبولتيس Abulites بصورة متتابعة، وتبع هذا الاستسلام دخول مشهور للإسكندر بمراسم ملكية: جاء مازيس Mazaeus مع أطفاله لتحية الملك المنتصر مصاحباً ذلك موكب رسمي، وبعد ذلك دخل الإسكندر Alexander إلى المدينة دخول المنتصر كوينتس كيرتس QuintusCurtius 2.8-10؛ 1.44؛ 4.1.17-23؛ أريان 3.16.3Arrian-4، حدث

الشيء نفسه في صوصا Susa وسبقه قدوم أبولتيس Abulites لتقديم ولائه مصطحباً مع «هدايا تنم عن الفخامة والأبهة» كوينتس كيرتس Quintus Curtius 4.2.9، وفي كلتا الحالتين فإن التنظيم والترتيب الذي ظهر به دخول الإسكندر Alexander بموكبه الرسمي يكشف أن هناك مفاوضات سابقة جرت مع هؤلاء الحكام الفرس، ويتأكد حدوث مرحلة المفاوضات هذه بالنسبة لأبولتيس Abulites في صوصا Susa ، حيث استسلم طوعاً ديودورس Diodorus 65.5: كوينتس كيرتس Quintus Curtius 4.2.8 ووعد بتسليم المدينة بدون قتال .

توجه الإسكندر Alexander من بابل إلى صوصا، وفي طريقه قابل ابن حاكمها وخطاب مرسل من فيلوكسينس Philoxenus الذي أرسله الإسكندر Alexander إلى صوصا Susa مباشرة بعد انتهاء المعركة، وكان محتوى خطاب فيلوكسينس Philoxenus مفاده أن شعب صوصا سلم المدينة للإسكندر، وأن خزينتها في أيدٍ أمينة انتظاراً له أريان Arrian 3.16.6.

يجيء هذا في الوقت الذي يُعَبِر فيه ديودورس Diodorus 5 و65 وكوينتس كيرتسQuintus Curtius 8 و2 و4 عن عدم تأكدها من الأسباب التي تقف وراء سلوك أبولتيس Abulites انظر: ما بين صفحتي 840 و842، ومع ذلك، لا توجد أية إشارة على علاقة سابقة بين الإسكندر Alexander ومازيس، ومن المفيد هنا وجود بابلي رغم عدم وضوح قراءتها وتكشف دخول الإسكندر Alexander في مفاوضات مع بابل، وهذا بدوره يقودنا للاعتقاد بأن مازوس Mazaeus كان قد أجرى اتصالات مع الإسكندر Alexander مستنداً إلى عادة فعلوها في أوقات قليلة، وفي الوقت نفسه، هناك تفاصيل معينة ذكرها المؤرخون القُدامي مثيرة للإشكاليات: أولاً، مازيس Mazaeus في موكبه فرسان بابل كوينتس كيرتس Quintus Curtius 23 و1 و4، ثانياً، يقول أريان 3 Arrian و16 و3 كوينتس كيرتس Quintus Curtius 19 و1 و4 أن

الإسكندر Alexander عندما وصل قرى بابل أعد جيشه للقتال، ويُضيف كوينتس كيرتس Quintus Curtius أن الإسكندر Alexander دخل المدينة يُحيطه حُراس مدججين بالسلاح 23 و1 و4، وفي الوقت الذي لا يمثل فيه الترتيب الذي ظهر به موكب مازوس Mazaeus أية مشكلة فإن الأمر مختلف بالنسبة للإسكندر، هل يدل الحضور الملحوظ للقوات المستعدة للقتال بصفة ضمنية إلى رفض أولي عبر عنه مازيس Mazaeus فيما يخص استسلامه و/أو أن الإسكندر Alexander كان خائفاً من الاقتراب من بابل؟ ويبدو أن هذا تفسير اعتنقه بعض المؤرخين لكن كيف يتفق هذا الاستنتاج مع تبادل الرسائل الذي حدث مُبكراً بين الإسكندر Alexander وبابل؟ ولكي نصل إلى حل، فنحن بحاجة لوضع ارتباطات معينة والتي بدورها ستفتح الطريق نحو تفسيرات مختلفة للأحداث .

يذكرنا ما حدث في بابل وصوصا Susa بما حدث من قبل عندما وصل الإسكندر Alexander إلى تاكسيلا Taxila الفصل 16 و16؛ لأن أومفس Omphis ملك تاكسيلا Taxila كان قد أجرى اتصالات بالمقدونيين كما جرت العادة آنذاك لمعرفة ماذا سيكون مصيره لو لم يقاوم كوينتس كيرتس Quintus Curtius 5 و12 و18، وعندما قدم الإسكندر Alexander خرج لملاقاته ومعه الجيش، وفي البداية اعتقد الإسكندر Alexander أن هذا عدو وليس حليفاً، وأصدر أوامر بالفعل لجنوده بالاستعداد، ولسلاح الفرسان بأن ينسحبوا حتى أجنحة الجيش، واستعد للمعركة 8-7-12، وباقي القصة يكشف أن الإسكندر Alexander أساء فهم الترتيبات التي أعدها أومفس Omphis ، ويبدو أن العادة في ذلك الوقت جرت على أنه عندما يكون قائد أو ملك في موكب تسليم مدينة يُحيط نفسه بجيشه، ليس للاحتراز من وقوع ضرر، ولكن وفقاً للمراسيم السياسية فإن قيادة الجيش تُسلم للمنتصر؛ لذلك فإن الجيش المحيط بقائده هو جزء من المراسم التي تُجرى للمنتصر .

وكان موكب أرتاكسركسيس Xerxes تسبقه العربات وتتبعه وتحيط به قوات فارسية لصيقة به، وبعد مسافة قريبة يتبعه «باقي الجيش» بقوات كبيرة من أسلحة مختلفة»، وإذا تكلمنا بشكل عام، فإن الملك عندما يدخل مدينة على عربة، كما فعل الإسكندر Alexander كوينتس كيرتس Quintus Curtius 23 و1 و4 يتأكد أيضاً من أنه محاط بحراس مدججين بالسلاح، حتى لو كان من أجل حراسته فقط، ويدل على هذا التفاصيل التي وردت عن اتباع هذا التقليد أثناء عرض ملكي في فارس، وذكرها زينوفون Xenophon 9-10 و3 و16 «وقفت صفوف من الجند على ذلك الجانب من الطريق، وعلى هذا أيضاً» انظر أيضاً هيرودوت Herodotus 40-41 و15؛ ولأن مراسم الدخول الملكية للمدن التي ذكرناها ترجع إلى العصر الفارسي، وتقريباً كانت تحدث دائماً في أوقات الحرب، فمن الممكن أن يُستنتج أنه في مثل هذه الحالات أيضاً يُحيط الملك نفسه بالجيش كما فعل كسركسيس Xerxes عندما غادر سارديس Sardis بمراسم تنم عن الرفعة والأُبهة .

وكان هدف الملك ببساطة هو استعراض عظمته، وعرض ما تملكه يداه من فخامة، ويكون فيه من الدليل على تمكين وبسط سلطته أمام الجميع هيرودوت Herodotus 188 وأليان Allian، 40 و VH XII ، ولسوء الحظ فإنه لا العروض الملكية في فارس ولا استسلام تاكسيلا Taxila تساعدنا في الوصول إلى استنتاجات صحيحة عن المواقف التي جرت في بابل، وبرغم أن العروض الملكية تشرح لنا سبب وجود الحراس حول الملك إلا أنها لا تعطي حلاً للمشكلة؛ لهذا وضع الإسكندر Alexander جيشه في وضع الاستعداد، ويضيف أريان Arrian وكوينتس كيرتس Quintus Curtius إضافة جديرة بالاهتمام في وضعية القتال، لكن المشكلة مازالت باقية؛ لأنه حتى هذا الشكل الذي اتُبِع من الاستعداد للقتال يُثير بعض الأسئلة، فعندما قدم الإسكندر

Alexander إلى تاكسيلا Taxila انتظر حتى آخر لحظة لوضع جيشه في وضع الاستعداد بعدما أدرك خطأه، بالإضافة إلى ذلك، لاحظنا أن كوينتس كيرتس Quintus Curtius 8-10 و2 و4 لم يذكر أن الإسكندر Alexander اتخذ أيًّا من مثل هذه التدابير وهو في صوصا Suza ، وربما يكون صحيحاً أن ما أورده من معلومات من المحتمل أن تكون ناقصة، لكن أريان Arrian من ناحية أخرى يذكر بالتفصيل ما حدث في سارديس Sardis ، وعسكر الإسكندر Alexander خارج المدينة؛ وداخل المعسكر قام ميثرينز Mithrenes وطبقة النُبلاء بتسليم القلعة والمدينة للإسكندر، وفي الوقت الذي كانوا فيه في المعسكر المقدوني أرسل الإسكندر Alexander أمينتاس Amyntas وكلفه باستلام القلعة باسمه 5-3 و17 و6، وتثير هذه الرؤية انعكاسين: أولاً، لا يوجد هناك ذكر لأي شيء عن استعداد الجيش بأية درجة، ثانياً، اتخذ الإسكندر Alexander نوعاً من الحذر، وبالطبع فإن مثل ذلك يسهل فهمه؛ لأن استسلام بابل سبقته سلسلة طويلة من الأحداث المماثلة، ولقد تعلم الإسكندر Alexander من واقع التجربة أن الوعد -حتى لو كان كتابة- باستسلام سلمي ليس ضماناً كافياً بأن الاستسلام أضحى مؤكداً.

وهناك أربعة أمثلة للتدليل على ذلك:

1 أرسل هيجستراتويس Hgesistratos ، وهو المدافع عن ميلتس Miletus ، خطاباً إلى الإسكندر Alexander يعرض فيه السلام، لكنه غير رأيه عندما علم أن ميزان القوة أصبح في صالحه أريانArrian 4 و18 و1 .

2 تلقى الإسكندر Alexander وعداً من بعض المدافعين عن مايندس Myndus بأنهم سيتركون المدينة له بشرط أن يصل ليلاً، لكن لما قدم لم يجد ما يدل على أن حامية المدينة مستعدة للاستسلام أريان Arrian 5-6 و20 و1 .

3 عندما أرسل حاكم دمشق الخائن خطاباً إلى بارمينون Parmenion خاف من المؤامرة؛ لأنه كان في حالة شك من أن أحداً لا يثق فيه، وكإجراء احترازي قام بإخلاء المدينة معلناً بذلك أنه هو نفسه سيهرب كوينتس كيرتس Quintus Curtius 2-5 و13 و3، وفي الحقيقة فإن مخاوفه هذه مشروعة؛ لأنه بعد ذلك بقليل قُتل وحُملت رأسه إلى دارا Daruis 17 و13 و3 .

4 أرسل تراديتس Tiridates في بيرسبوليس Persepols خطاباً إلى الإسكندر Alexander ديودورس Diodorus 1 و69، لكنه كان خائفاً من أن يكون هناك فُرس آخرون يستعدون للقتال؛ لذلك أرسل رسالة أخرى للإسكندر يحثه على الإسراع ديودورس Diodorus 2-1 و9 6، كوينتس كيرتس Quintus Curtius 2 و5 و4 .

وكل مثال من تلك الأمثلة يُثبت أن كل رئيس مدينة كان يخون في السر ولا تشمل وعوده سوى نفسه أو مجموعة صغيرة من المشاركين في هذه الخيانة، وهذا بدوره يُفسر نصيحة عملاء مايندس Myndus للإسكندر بأن يدخل المدينة ليلاً، وبالتالي تعين على الإسكندر Alexander أن يأخذ حذره، وكان الموقف مشابهاً جدًّا في بابل، وهذا يشرح نشر الجيش بطريقة كانت مقصودة استعداداً لأي احتمال إذا غير مازوس Mazaeus رأيه أو تخلى عنه رفاقه، وهذا التأويل يتقارب مع آخر شبيه به، ويمكننا تخيل اشتباك ظاهري -معركة غير حقيقية- اقترحها مازوس Mazaeus ، ووافق عليها الإسكندر Alexander ، وهذا سيُعطي إلى مازوس الفرصة للتظاهر بأنه قاوم حتى النهاية حتى لو كانت هذه الخدعة لن تنطلي على أحد، ويقلقنا الرد على هذا التأويل بتحفظ مفاده أن موكب مازوس Mazaeus كان مرتباً له وفقاً لتقاليد قديمة لم تتغير، ومع ذلك يمكن حل هذا التناقض بسهولة إذا افترضنا أن هذه المراسم أيضاً تهدف إلى منع الشعب الذي يتعرض لغزو من فقد ماء الوجه، وفي المقابل فإن هذا

التفسير بدوره يُثير تحفظين مهمين، واللذين لا يمكن عرضهما إلا كنظريتين: أولاً، كانت سلطة وهيبة دارا Daruis مازالت قوية بما يكفي، مما جعل الخائن يخفي خيانته تحت عباءة الهزيمة؛ فهو لا يرغب في تصنيفه كعميل للعدو في نظر المعسكر الفارسي مثل ميثرينز كوينتس كيرتس Quintus Curtius 6-7 و12 و3، ومثل مازوس Mazaeus نفسه الذي يتضمن خطابه لدارا Daruis حالة «الخائنين» 9-12 8 و4، ثانياً، -والأكثر أهمية- نحن نتساءل هل واجه مازوس صعوبات في إقناع المسؤولين الفرس الآخرين في بابل بقبول موقفه؟ وربما يُفسر هذا أمل دارا Darius في أية تطورات جديدة أريان Arrian 1 و19 و3، وبالطبع يصعب تحديد صحة هذه المعلومات من عدمها؛ لأن المعارضين القدماء يسلطون الضوء على مازوس Mazaeus ، وإشارة عابرة لمسؤول آخر، وبالطبع لا يحمل ذلك أي دعم لهذه النظرية، ذلك المسؤول هو باجو فانيز Bagophanes ، وذكر فقط بواسطة كوينتس كيرتس Quintus Curtius ، حيث كان الخازن الذي سلم القلعة للإسكندر، وهو الشخص الذي زين شوارع المدينة، واتضح أن ذلك بتصرف شخصي منه 2 و1 و4، وبالتالي فإن مازوس حصل على تعاون واحد من رفاقه على الأقل، ويدل سلوك هذا الرفيق، رغم أنه مازال يعمل تحت إمرة مازوس Mazaeus ، على أنه أراد أن يُظهر للإسكندر أنه يتصرف بنفسه، ربما لأنه عقد اتفاقاً منفصلاً مع الملك المقدوني خاصاً به لتحديد مستقبله الشخصي بصفة جوهرية، هذه التطورات تدلل على أننا يجب أن نتناول سلوك الطبقات العليا في بابل، وسنعود للسؤال لاحقاً الفصل 3/18 التالي لكننا الآن سنُبدي ملاحظة واحدة، رغم أنها شبه معدومة المعالم فإن النقوش البابلية المذكورة آنفاً في الحقيقة يبدو أنها تخص العلاقة بين الإسكندر Alexander فقط وسكان بابليون ويشمل ذلك مسؤولي إسجيلا Esagila وليس الفُرس، ولو اتفقنا على أن الإسكندر Alexander أصدر

وعوداً لسكان بابل، فإن القادة الفُرس في المدينـة سيجدون أنفسـهم في موقـف صـعب، ومـن خـلال هـذا السـياق، يمكننـا فهـم كيـف أن مـازوس Mazaeus وباجوفاينز Bagophanes ، ربما بمشورة البعض من الفـرس، أدركـوا أن إمكانيـة المقاومة الآن ما هي إلا وهم، وبعد ذلك بقليـل عارضـوا أولئـك الـذين يصـفهم أريـان Arrian بـأنهم «قـادة المدينـة وكهنتهـا 3 و16 و3، ومـن أجـل أن نفهـم الموقـف أكـثر يجـب أن نقـول كلـمات قليلـة عـن بطـل القصـة وهـو مـازوس Mazaeus ، لكننا لا نعرف شيئاً عن السجل السابق لأبولتيس Abulites ، ومـع ذلك فنحن نعـرف أن مـازوس كـان حـاكماً لسـليكا Cilicia وسـوريا منـذ عهـد أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث الفصل الـ 16، 7-6، وأصبح مُقربـاً مـن دارا Daruis ، وكان الملك يعتبره واحداً من أصـدقائه ديـودورس 1 Diodorus و55 حتى إن بلوتارخ Plutrach يصفه بأنه «أكثر رجل يتمتع بالنفوذ في حاشـية دارا Darius أليكس Alex 9 و39، وبالتـالي، فهـو ينتمـي إلى الـدائرة الضـيقة حـول الملك، بعيداً عن ظـل أي شـك، وربمـا كـان مـن بـين أولئـك الرجـال والأصـدقاء والمقـربين الـذين قـربهم الملـك منـه قبـل معركـة إسـوس Issus ديـودورس Diodorus 1 و31، واسـتمرت العلاقـة بعـد المعركـة، وبعـد خسـارة سلشـيا Celecia وسوريا أوكل اليه الملك مهاماً شديدة الحساسـية، فكـان هـو الشـخص الذي صدرت إليه الأوامر بإعاقة طريق القـوات المقدونيـة التـي عـبرت الفـرات بواسطة نثر مخلفات الريف في طريقهم، وكان يتمتع بموقع رفيـع في جوجـاميلا Gaugamela حتى حينما اشـتبك بقواتـه، وقبـل عودتـه إلى بابـل عـلى رأس قواته المتقهقرة، وفي جوجاميلا Gaugamela كان قائداً لوحدات عسـكرية تم حشدها من سوريا وميسوبوتاميا منطقـة قديمـة في العـراق Mesopotamia أريان Arrian 5 و8 و3، ولا يوجد هنا ما يُشير إلى أنه عـين مرزبانـاً لبابلونيـا Bebylonia قبـل معركـة جوجـاميلا Gaugamela ؛ لأن الفـرق العسـكرية

هناك كانت تحت قيادة بوباريزBupares 4 و8 و3، ومع ذلك، فلو كـان بوبـاريز Bupares قد سقط في معركة جوجاميلا Gaugamela لكان دارا Darius أسـند إلى مازوس منصب الحاكم بخطـاب مـن الملـك بعـد المعركـة؛ فموقعـه الرفيـع داخـل حاشية الملك والجاه الذي كسبه نتيجة لإنجازاته العسكرية الأخيرة كوينتس كيرتس Quintus Curtius 18 و1 و4 ستبرر بسهولة عملية اختياره، لكن كل ما سـبق مـا هو إلا ضرب من التخمين، ويمكننا إضافة مُلاحظة تحمل في ذاتها دلالة مهمة: مثـل أبــوليتس فــإن اثنــين مــن أبنــاء مــازوس أرتيبلــوس Artibelus وبردشــوبلوس Brochubelus لديهم أسماء بابلية، ومن هنا يمكننا استنتاج أن أباهم عـلى الأقـل قد وثق علاقته بالمجتمع البابليوني، وربما كانت أمهم بابليونية، وبالتالي فإن مازوس Mazaeus كان في بابليون وعلى المجتمع البابلي رجل السلطة والنفوذ لو أخـذنا في الاعتبار أن «حصار مدينة محصنة جدًّا مثل بابـل سـيكون مهمـة صـعبة كـوينتس كيرتسQuintus Curtius 17 و1 و4 وأن القوات تحت قيادة مازوس؛ لذلك فـإن انضمامه إلى الإسكندر كان حدثاً استراتيجيًّا حاسماً لصالح الملك المقـدوني، ولم يكـن كوينتس كيرتس Quintus Curtius مخطئاً عندما اعتقد أن الإسكندر Alexander كان يتمنى أن يكون انضمام مازوس Mazaeus إليه «مـثلاً يُحتـذى بـه مـن بـاقي القادة» 18 و1 و4، ومن هنا نفهم بسهولة لماذا كـان المقـدونيون جـاهزين لـدفع الثمن؟

وبعيداً عن الحالة -غير المؤكدة- بابيوكاتس babiocats وأبيستامينز Abistamenes ، فإن بابل وصوصـا شـهدتا أول إجـراء للإسـكندر بتعيـين حكـام كـانوا في خدمـة دارا Darius ، حيـث احـتفظ أبـوليتز Abulites بمنصـبه كحـاكم لصوصـا Susa ، وعـين الانقلابي مازوس حاكماً لبابلونيا Babylonia ، بينما الخائن ميترنـز Mithrenes عينـه حاكماً على أرمينيا Armenia لورك 17 و2؛ 44 و1 و4؛ أريـان Arrian 9 و16؛ 4 و16

و3، وعلى النقيض من ذلك فقد خسر الخازن القديم باجوغاينز Bagoghanes منصبه ومنح المنصب ليوناني/ مقدوني أريان Arrian 4 و16 و3، ولقي معاملة رفيعة تعويضاً له: أمره الإسكندر Alexander أن يتبعه، أو بعبارة أخرى ألحقه الإسكندر Alexander بحاشيته كما فعل الشيء نفسه مع ميثرينز Mithrnes بعد انضمامه للإسكندر عن ساردیس Dardis ، نفس الشيء صحيحاً بالنسبة لأوكسزنيز Oxathnes ابن أبولتيس Abulites ، الذي كان الذراع اليمنى لأبيه أريان Arrian 5 و8 و3، ومن المحتمل أن يكون هو الذي تم إرساله لمقابلة الإسكندر Alexander عن طريق من بابليون 6 و16 و3، وفي العام التالي تم تعيينه كعالم لباراتاسي Paraatacoe ، وفي الوقت نفسه، بقي مع دارا Darius جيستانيز Bagistences «من بابل وأحد النبلاء» وأنتبلوس Antibelus أحد أبناء مازوس والذي صاحب الملك في انسحابه من معركة جوجاميلا Gaugamela أريانArrian 1 و21 و3؛ كوينتس كيرتس Quintus Curtius 3 و12 و4، أما الأبناء الباقون لمازوس Mazaeus منذ لحظة انضمامه للإسكندر كوينتس كيرتس Quintus Curtius 3 و13 و4 بعد عدة أعوام انضم اثنان منهم، أرتيبلوس Artiblus مع فرس آخرين إلى فرق عسكرية مشتركة من الفرسان أريان Arrian 4 و6 و8، وهذا الشيء الذي يُشير ضمناً إلى أنهم أيضاً تم ضمهم، وأيضاً كافأ الإسكندر Alexander ابن آخر لمازوس Mazaeus أو واحد منهم Alex, plutarcr ، وباختصار دعونا نؤكد هنا أن عمل مازوس مع الإسكندر Alexander كان مميزاً بشيئين جديرين بالاهتمام، فرغم أن الإسكندر في بابليون وأي مكان آخر كان يُعين اليونانيين والمقدونيين في المناصب الرئيسة قيادة القوات، جمع الضرائب: أريان Arrian 4 و16 و3، وتُثبت دلائل وجدت على بعض العملات أن المرزبان الجديد منح ميزات لا مثيل لها خولتها له السلطة بإصدار عملات من النوع السيليني Cilician تجعل اسمه في

بابليون Babylon ، ثانياً: كان مازوس واحداً مـن مسـؤولي الفُـرس السـابقين الـذي احتفظ بموقعه كمرزبان حتى وفاتـه في 328 مـن غـير أن يقـع عليـه أي لـوم مـن الإسكندر Alexander فيما يخص سوء الإدارة، على العكس من أبوليتس Abulites على سبيل المثال، الذي أُعدم مع ابنه أكوسارز Oxathres لفشله في تنفيـذ الأوامـر الملكية أريان Arrian 1 و15؛ Alex, Plntrach و68،7 فالدليل الواضح هنـا هـو أن المرزبان الجديد ببابل Babylon أظهر ولاءً منقطع النظير للملـك الجديـد عـلى النقيض من الكثير من نظرائه الفُرس .

الفُرس في فارس بين دارا Daruis والإسكندر Alexander :

في نهاية عام 331 توجه الإسـكندر Alexander نحـو فـارس لغزوهـا مـدفوعاً بالنجاح الـذي حققـه لكنـه واجـه مقاومـة مـرتين، وعنـد دخولـه منطقـة أوكسـاينا Uxiana كان يتوجب عليه الهجوم على القلعة التي تحـت قيـادة الفـارسي مـاداتس Madates والـذي أقسـم لملـك الفُـرس أنـه سـيقاوم حتـى النهايـة كـوينتس كـيرتس Quintus Curtius 4 و3 و4، وعندما استسلم ماداتس لم يُمس بأذى هو ومن نجـوا معـه، وأعلنـت منطقـة أركسـانيا Uxiana مسـتثناة مـن الضرائـب، وتـم إلحاقهـا بصوصـاينا Susiana 15-16 و3 و4؛ ديـودورس Diodorus 405و76، أريـان 1 Arrian و17 و3، وبعد ذلـك أرسـل الإسـكندر Alexander بـارمينون Parmenion ومعـدات الحـرب وأغلبيـة جيشـه إلى بيرسـبوليس Persepolis مـن خـلال الطريـق السريع 1 و18 و3؛ كوينتس كـيرتس 16Q uintus Curtius و3 و4، وفـرض الجزيـة على جبال أوكسبانا أريان Arrian 1-6 و17 و3، ثـم وصـل إلى أسـوار فـارس، حيـث كان ينتظره هناك أروبارزانس Ariobarzens حاكم فارس، كما ذكر أريان Arrian 2 و18 و3، ومن قوات ضخمة ليست أقل من 40 ألفاً من المشاة و7 آلاف من الفرسان وفقـاً لأريـان Arrian ؛ 25 ألفـا، 300 وفقـاً لـديودورس Diodorus 1 و68،

وبعد قتال عنيف وخدعة تقليدية توجيهات خاطئة من أحد الكهنة تمكن الجيش المقدوني من فتح الطريق إلى Perspolis حيث لحق الملك بـ Parmenion الفصل 16/12 .

وتُشير هذه القصة في واقعها إلى أن الفُرس أظهروا نوعاً من المقاومة في فارس، الشيء الذي كان يعتبره كل من Mazoeus أبولتيس Abulites غير حكيم في بابل أو صوصا، وهذا التحفظ مبني على حقيقة معينة، لكنه بحاجة إلى المزيد من التوضيح، ووفقاً لما ذكره أريان Arrian 19 و18 و3 فإن Ariobarzanes هرب إلى الجبال بصحبة فرقة من الفرسان، ويقول كوينتس كيرتس Quintus Curtius أنه «كان يتعجل الاستيلاء على مدينة Perspolis ، عاصمة المنطقة كلها منع من الدخول بواسطة حاميتها»، ثم لقي حتفه بعد ذلك بوقت قصير في معركة مع المقدونيين 34- 33 و4 و4، وفي أثناء ذلك الوقت تلقى الإسكندر Alexander خطاباً من Tiridates الذي كان مسؤولاً عن أموال دارا Darius ك. ك. 2 و5 و4، أو كان «حاكماً للمدينة» ديودورس Diodorus 1 و69: وعد بتسليم المدينة، وأجرى ترتيبات لتسريع عملية الاستسلام من أجل «منع أولئك الذين يفكرون في المقاومة من الوصول إلى مصادر القوة، ومنع أشقياء المدينة من نهب خزائنها كوينتس كيرتس Quintus Curtius ، ويتضح لنا من ذلك أن الشقاق دب بين كبار المسؤولين الفرس، بعضهم Ariobaarzones يرغب في الدفاع عن المدينة، وآخرون Tiridates يعتقدو أن الطريق مفتوح للمفاوضات في وقت لاحق، وقد حذا مسؤول فارسي آخر جزءاً من Tiridates وهو جوباينيز Gobanes ، حاكم Pasargadae ، حيث سلم المدينة وخزينتها إلى الإسكندر Alexander 10 و6 و4 .

وقبض «الخائنون» الثمن: حيث استمر Tiridates في موقعه نفسه الذي شغله وهو في خدمة دارا Darius كوينتس كيرتس Quintus

Curtius 11 و6 و4، وكان المرزبان الجديـد Phrasaortes ، ابـن Pheomithnes أريان Arrian 11 و18 و3 بادياً للعيان أنه من بين أولئك الذين حولوا ولاءهـم إلى الملك الجديد ووفقاً لـ Polyaenus 27 و3 و7، وهو يخلط بين Phrosaaorta هـذا و Ariobnrzanes ؛ فالأول قاتل عند أسوار فارس، وهـو أحـد أقـارب دارا Darius أخيراً، وبقي Orxines شيخ قبيلـة Pasargaddae ، حتـى عـام 5 و3، وهـذا يشـير ضمناً إلى أنه أيضاً احتفظ بممتلكاته وموقعه أثناء تلك الفـترة المضـطربة كـوينتس كيرتس Quintus Curtius 22-25 و1 و9، وبالتالي لا يمكننا التحدث عـن انتفاضـة شاملة في صفوف الفُرس في فارس ضد الغزو المقدوني .

ومع ذلك، وبعيداً عن حقيقة أننا لا نعـرف شـيئاً عـن أيـة مقاومـة واجهها Parmenrion في طريقه إلى Perspolis ، فـإن كـل هـذه الحلقـات مـن الأحـداث يجب تحديد وقتها تاريخيًّا، ووضـعها في سـياق اسـتراتيجية الإسـكندر Alexander السياسية والأيديولوجية، فحتى بعد الاستيلاء على Persepolis لم ينتـهِ الأمـر بعـد؛ لأن هنـاك نقـاط مقاومـة كثـيرة مازالـت موجـودة في فـارس، ووضـع الإسـكندر Alexander خطة لإخضاعهم من خلال حملة عنيفة قام بها في فصـل الربيـع عـام 330، وهذه الحملة أوردها بالتفصيل كل من كوينتس كـيرتس Quintus Curtius وديودورس Diodorus رغم الخطأ في التوقيت الذي وقع فيه الأخير .

ويقول كوينتس كيرتس Quintus Curtius إن المقـدونيين دمـروا حقـول فـارس وأخضعوا العديد من القرى لحكم الإسكندر Alexander 17 و6 و1، ويقول ديـودورس Diodorus : «زار الإسكندر Alexander مدن فـارس، وقـبض عـلى الـبعض مـن خـلال الغـارات، واسـتمال الـبعض الآخـر بواسـطة عدلـه في المعاملـة 1 و73 و16، وعنـدما يستخدم دارا Darius كلمة مـدن فـلا بـد وأنـه يُشـير إلى تلـك السلسـلة مـن القـلاع والحصون التي بقيت، من تلك الموصوفة في نقوش Perspolis ، ويوضح لنـا مـا ذكـره

ديودورس Diodorus من أن بعض قادة المدن وافقوا على الاستسلام من المحتمل بعد مفاوضات، بينما قاوم آخرون بشدة، ويكشف كوينتس كيرتس Quintus Curtius أن الإسكندر Alexander استهدف في حملته أيضاً الـ Mardians ، وهم «شعب متمرس على الحروب ويختلف بشكل كبير عن باقي الفُرس في طريقة حياتهم 17 و6 و4، ونتذكر هنا أن الـ Mardians هؤلاء صنفهم Nearchus كواحدة من بين أربع قبائل كانوا ينتزعون الجزية من الملوك Strabo 6 و13 و10، وكان يتم إلحاق هذه القبيلة بالجيش، خاصة كرماة للسهام أريان Arrian 5 و11 و3، وبالتأكيد قاوموا الإسكندر Alexander بشدة تماماً مثل سكان جبال Uxiano وبعدهم 324 الـ Cosseans فصل 16/11 .

وعندما عاد الإسكندر Alexander إلى Persepolis حوالي أبريل-مايو 330 كان بإمكانه القول بانتهاء كل أشكال المقاومة العسكرية، ونعلم أن الإسكندر Alexander في مايو عام 330 قام بعمل ينطوي على دلالة رمزية كبيرة، فقد أشعل النيران في قصور Persepolis ، ولن نعيد تكرار الأثر التاريخي لهذا الحادث بالتفصيل هنا، كل شخص يتفق أن هذا القرار كان سياسيًّا اختير بعناية من الإسكندر Alexander ، ولم يكن لهذا الحدث مثيل طوال حملة الإسكندر Alexander بأكملها في آسيا منذ اللحظة الأولى لقدومه عام 334 حتى الآن، فكان الإسكندر Alexander يقدم نفسه في كل مكان يدخله على أنه المحافظ الأمين، ولم يكن تصرفه هذا رمزاً في تفكيره لتوحيد اليونانيين تحت راية واحدة حتى لو روجت الدعاية المقدونية لهذا التأويل، ولم تكن إشارة موجهة بشكل عام نحو الشعوب المختلفة؛ لذلك، فإن الأمر الملكي بهذا القرار قصد أن يفهمه الفُرس في سياق معين، ربما فعلاً لم يكن الإسكندر Alexander يعني أن فارس ومدنها، رغم أهمية بابل وصوصا Susa ، دائماً ما يمثلون مركزاً أيديولوجيا للسلطة الفارسية وجلال السلالة الحاكمة الفصل 12/16،

وهذا الأمر ليس أكثر من مكيدة؛ لأن الإسكندر Alexander لم يـألُ جهـداً في كسـب ود الشـعب، ورغـم أن غالبيـة النصـوص القديمـة تتعامـل مـع زيـارة الإسـكندر Alexander الثانية عند رجوعه من الهند، فمما لا شك فيه أنـه بعـد الاسـتيلاء عـلى Pasargadae ، فإن المقدونيين فعلوا كل ما في وسعهم لتخليد ذكرى قورش Cyrus ، وقد رصدت الأوامر بالاستمرار في ذبح القرابين، أمـام قـبر المؤسـس أريـان Arrian 7 و29 و10؛ Starbol 17 و3 14، وقد كان الإسكندر Alexander يرغب مبكراً جـدًّا في اجتذاب الكثير من الفُرس وكسبهم في صفه منذ أن كـان دارا Darius يحـاول حشـد جـيش جديـد، وكانـت معلومـات الإسـكندر Alexander قليلـة حـول مـا يجـري في إيتباتا أريان Arrian 4-5 و19 و11، ولكن لم يحدث شيء من ذلك، ويرسم كـل مـن كوينتس كيرتس Quintus Curtius 2 و7 و4 وديودورس Diodorus 2 و71 علاقـة سبب ومسبب بين قرار الإسكندر Alexander بحـرق القصـور الملكيـة وبـين عـداوة الفُرس، ويكتب كوينتس كيرتس Quintus Curtius «إن أولئك الذين وقعـوا تحـت الغزو تم قهرهم في وقـت لاحـق، وأصـبحوا معـادين للملـك الجديـد، وهـو التعبـير بالطبع من النوع التأطير المقولب 5 و1 و8، لكـن مـا قالـه ديـودورس Diodorus لا يوجد فيه أي غموض: «شعر الإسكندر Alexander بعداء قاتل تجـاه سـكان فـارس، فلم يكن يثق فيهم»، ومن هنا تصعب قراءة هذا التقييم في أي شيء سوى أنه تعبـير عن خوف الفُرس الشديد واحترازهم من الغزاة الفينيقيين، ولقد استسلموا عسكريًّا - والبعض منهم بمحض اختيارهم- لكنهم بقوا مـرتبطين بتـاريخهم، حيـث كـان عبـارة عن خليط من أساطير ملوكهم وذكر للمناقب العظيمة للسـلالة الحاكمـة، وبالتأكيـد كان دارا Darius الثالـث هـو الممثـل الوحيـد لهـذا الـتراث في أعيـنهم؛ ولـذلك قـرر الإسكندر Alexander حرق القصور الملكية لأنه شـعر باسـتحالة كسـب ود الفُـرس، وبالتـالي أراد الإسـكندر Alexander إعـلام الفُـرس الرافضـين لـه بـأن عصر الزهـد

الاستعماري الفارسي قد انتهى إلا إذا انضموا إلى صفة عن بكرة أبيهم، لكن الندم الذي عبر عنه الإسكندر Alexander لاحقاً يدل ضمناً -من وجهة نظره الشخصية- على أن قرار تدمير القصور كان انتقاماً نابعاً من فشل سياسي .

4- النُخب المحلية، دارا Daruis والإسكندر Alexander : شعبية وعدم شعبية الحكم الفارسية:

المصادر والمشكلات:

كانت سياسة الإسكندر Alexander الموجهة للفُرس -رغم أنها كانت محددة- جزءاً من مشروع أكبر وهو كسب ود قادة المدن، والشعوب والمجتمعات التي كانت تخضع لحكم دارا Darius ، وبشكل عام يجمع المؤرخون القدامى على أنه كان ناجحاً في هذا المضمار، مرجعين سبب نجاحاته إلى الكراهية التي كانت تكنها شعوب الشرق للحكم الفارسي، «كان السيودينانز Sidonians يكرهون فارس ودارا Darius ، وكانوا يرغبون في تحرير أنفسهم منهم أريان Arrian 6 و15 و2، ويميل ديودورس Diodorus إلى تناول هذا الموضوع خاصة، ويطبقه على مصر والمصريين، ويوسع من طرحه بادءاً بضرب مثال كامباسيزر، ويكتب أيضاً: «حكم الفُرس لمصر لمدة مائة وخمسة وثلاثين عاماً من بينها تلك الفترة التي تمرد فيها المصريون على المستعمر الفارسي؛ لأنهم لم يكونوا يطيقون عدم احترام الفُرس لآلهتهم، ومعاملتهم القاسية» 3 و44 و1، وباستخدام مصطلحات وكلمات متطابقة، يصف ديودورس Diodorus 2 و49 و18 وكوينتس كيرتس Quintus Curtius مشاعر المصريين عندما سمعوا بقدوم الإسكندر Alexander ، فقد رحب المصريون بالمقدونيين؛ لأن الفرس ارتكبوا أعمالاً غير مقبول ضد معابدهم، وكانوا يحكمون بطريقة قاسية، وقد تشجع المصريون بقدوم

الإسكندر Alexander ؛ لأنهم كرهوا الحُكم الفارسي المغرور، حتى إنهم رحبوا بأمينتاس Amyntas برغم أنه متمرد مقدوني، ونتيجة لذلك اجتمع حشد كبير منهم عند Pelusium ، حيث اعتقدوا أن الإسكندر Alexander سيدخل بلادهم، ولم ينتظر الفُرس قدومه، وقد مثل تمرد المصريين تحدياً كبيراً لهم، وتذكرنا الإشارة إلى دخول الإسكندر Alexander إلى مصر بدخول بابل، حيث «استقبله الناس هناك بترحاب كبير واستضافوا الجنود المقدنيين في بيوتهم»، ونعلم أن مازوس Mazaeus أيضاً وأطفاله كانوا قد قدموا لاستقبال الإسكندر Alexander خارج أسوار مدينته كوينتس كيرتس Quintus Curtius 17-18 و1 و4، لكن حكم مازوس Mazaeus لم يكن بمفرده، وقد جاء المقدونيون لمقابلة الإسكندر Alexander عن بكرة أبيهم مع الكهنة والحكام، وقَدِمت كل جماعة من السكان بهدايا، يعرضون استسلام المدينة والقلعة والخزانة أريان Arrian 3 و16 و3، ولأسباب مجهولة بالنسبة لنا، لا يذكر أريان Arrian استسلام مازوس، بينما يذكر ذلك جيداً .. واهتم بذكر الكلدانيين والفرسان البابليين 23-22 و1 و4 في الموكب جنباً إلى جنب مع الفُرس، ويلزم الوفد الذي ذهب لاستقبال الإسكندر Alexander أن يكون جاهزاً ومستعداً للترحاب بالملك المقدوني خارج أسوار سارديس Sardis ، الشيء الذي جعل ميثرينز Mithrenes يصطحب معه «كبار القوم من سكان سارديس أريان Arrian 3 و17 و1، ثم جاء دور دخول المنتصر إلى المدينة.

قام Bagophanes -كي لا يتفوق عليهم مازوس بنشاطه- بنشر الورود وأكاليل الزهور في الطرقات، ووضعوا مذابح كنسية فضية على كلا الجانبين، الشيء الذي يجله مازوس، ليس فقط بالبخور، لكن بالعطور بأنواعها المختلفة، في الوقت الذي حُملت الهدايا خلفه ك.ك 21-20 و1 و4 .

وكما فعل الإسكندر Alexander في مصر من احترامه وحفاظة على

«التقاليد الوطنية» على النقيض من الفُرس الذين لا يحترمـون الآلهـة، فعـل الشيء نفسه في مدينة بابل، وقدم نفسه كمستعيد لحقوق الأمـاكن المقدسـة التـي تركهـا الفُرس .

أصدر الإسكندر Alexander أوامر إلى سكان مدينة بابل بعد دخولها بإعادة بناء المعابد التي هدمها كسركسـيس Xerxes ، وخاصـة معبـد Bad الـذي يعظمـه سكان بابل أكثر من أي إله آخر، وفي بابل التقى بالكالدانيين، ونعيد كل توصـياتهم فيما يخص المعابد البابليـة، وتقـديم القـرابين لــ Bad عـلى وجـه الخصـوص وفقـاً لمطالبهم أريان Arrian 4-5 و16 و3 .

إن صورة الإسكندر Alexander كمستعيد للتقاليد -والذي ينظر له كمحور- تتكرر في كل مرحلة، ففي ساردیس Sardis وليديا Lydians تـم السـماح للسـكان باستخدام العادات الليديـة القديمـة ومـنحهم حـريتهم أريـان Arrian 4 و17 و1، بعد ذلك صعد الإسكندر Alexander إلى القلعة وبنى معبداً هناك خصصه لـزنس Zens الأوليمبي 5-6 و17، أما في إيفسـس Ephesus فقـد قـام بتخصـيص الجزيـة التي كانوا يدفعونها لدارا Darius لصـالح قدسـيةArtemis 10 و17، وبعـد ذلـك أصدر إعلاناً عاماً للمدن الساحلية اليونانية، «أصدر أوامـره بخلـع حكومـات القلـة واستبدالها بأخرى ديمقراطية، وأعاد لكل مدينـة قوانينهـا الخاصـة، وحـول الجزيـة التي كانوا يدفعونها من قبل لمصلحة الأجانب غير اليونانيين 2 و18، «وتتابعت كـل المدن في إرسال مبعوثيها، وقدموا للملك تيجاناً ذهبية مع وعود بالتعـاون معـه في كل شيء ديودورس Diodorus 3 و24، وفي فينيقيا قبل سـكانها وجـوده بـارادتهم الحرة 2 و40 .

وفي الوقت نفسه، يـذكر المؤرخـون القـدامى معلومـات عـن حـدوث مقارنة وتمرد، وبالنسبة للإسكندر فقد كـان يُقسـم المجتمعـات إلى صـنفين: أولئك الذين وافقوا على الاستسـلام بمحـض إرادتهـم بعـد التوصـل لاتفـاق

معهم أريان Arrian 4 و24 و1، وأولئك الذين قاوموه، لكن في أوقات كثيرة ظهر على أولئك الذين قاوموه إكراه من جانب الفرس يتعرضون فيه لإجبارهم على القتال، فعلى سبيل المثال، يُقدم أريان Arrian تحليلاً للموقف الذي صاحب استعادة كباح Pharnabo لمدينة Senedos كالآتي: كانت مدينة Sendedos تميل أكثر للإسكندر والمقدونيين، لكنهم في تلك اللحظات لم يجدوا أملاً في السلامة إلا بالانضمام إلى الفُرس؛ ولهذا السبب فقط استولى Pharnabozus على المدينة ليس بالإرهاب ولا برضاهم أريان Arrian 2 و2 و2 .

وبالتالي أصدر الإسكندر Alexander عفواً عن الذين كانوا يتعاونون مع الفُرس؛ لأنه يعلم كرههم الحقيقي لسادتهم السابقين، وفعل الشيء نفسه مع ملوك قبرص وفينيقيا الذين تخلوا عن Pharnabazus وانضموا إليه بما معهم من سفن في ربيع عام 332: طبق الإسكندر Alexander معهم سياسة «عفا الله عما سلف»؛ لتأكده من أن تعاونهم السابق مع الأسطول الفارسي لم يكن بمحض إرادتهم، إنما كانوا مُجبرين عليه 3 و20 و2، وربما لا تكون هناك فائدة من اقتباس الكثير مما ذكره المؤرخون القدامى إلى ما لا نهاية: لأنه من Troad إلى Indus كانت صورة الإسكندر Alexander يُعاد رسمها بعناية في كل مرحلة، وهذه المكانة كما يبدو كانت نتيجة للدعاية المقدونية التي كانت تهدف إلى إضفاء الشرعية على سُلطة الإسكندر Alexander ، وبالتالي تتابع القادة المحليون في عرض استسلامهم طوعاً كما فعل بعض الفُرس ديودورس Diodorus 1 و76؛ 7 و21، وكان الهدف من وراء ذلك التعاون والإذعان الفوري للإسكندر هو تقوية وتعزيز سلطته أريان Arrian 7 و14 و2، علاوة على ذلك، فإن هذه التقييمات بالتأكيد بينت حقيقة واقعة؛ لأن الإسكندر Alexander دائماً ما كانت تصدر عنه لفتات للمدن والشعوب التي استسلمت حين استولى على المدن التي كانت تقع في طريقه بالمعاملة الحسنة

ديـودورس Diodorus 1 و24، ويعتـبر شـعار «حـرب التحريـر» أحـد الأدوات الاسـتراتيجية التـي اتبعهـا الإسـكندر Alexander بصـفة منتظمـة في كـل منـاطق الوجود الفارسي، وهي الاستراتيجية نفسها -كما ذكرنا من قبـل- التـي اتبعهـا دائمـاً ملوك الفُرس السابقين .

واعتنى الإسكندر Alexander بالآلهة التي كانت تُعبد في كل مكان يـذهب إليه، ودائماً ما كان يقدم النذور رغبة في تحقيق الانتصـار والاعـتراف بسـلطته كـما فعل قبل معركة Isus ك.ك 22 و8 و3 عنـدما قـدم القـرابين لتوصـيات الكلـدانيين أريـان Arrian 5 و16 و3 في مدينـة بابـل، وبالتـالي يجـب ألا نفاجـأ بمـا يفعلـه الإسكندر Alexander بتاتاً، لكن هذه التطـورات تضـعنا أمـام تنـاقض واضـح: لأن الحماس المُفترض من جانب القادة المحليـين يُشـير ضـمناً إلى أنهـم يحملـون عـداءً عميقاً تجاه الفُرس، علاوة على ذلك، فإن هذه الفرضية تتضح فقط في حـالتي مصر وبابل، فقد ورد أن كلتاهما كانت معارضة بصورة كبيرة للفُـرس الـذين وضـعوا مـا كانوا يتميزون به تحت الأقدام، وانتهكوا أو دمـروا مقدسـاتهم، وبـالطبع لا يوجـد دليل على حدوث هذا طوال التاريخ الفارسي إلا في حالة عقاب -الشـعب المتمـرد- فعلى سبيل المثل، لا نفهم مـاذا يعنـي أريـان Arrian 4 و17 و1 عنـدما يقـول أن سكان سارديس والليديين الآخرين سمح لهم باسـتخدام التقاليـد الليديـة القديمـة، الشيء الذي يوحي بأنها قد هُدمت أيام الحكم الفارسي .

وإذا تكلمنا بشكل عـام، فـإن مـا رواه المؤرخـون القـدامى يحتـاج إلى إعادة تحليل في سياق البنية التي تشكلت منها المؤسسـات الفارسـية، وكـما شددنا من قبل في أكثر من مناسبة، فإن مراسـم الـدخول الملكيـة المقدونيـة إلى المدن التي استسلمت لا تدل ضمناً على أن الحماس الذي أبـدوه طبعـاً غير الذي ظهر بأوامر مباشرة! ترحيبـاً بـالغزاة، أو كراهيـة عميقـة للسـادة السابقين، فهذه المواكـب لا تحمـل في معناهـا أي شيء سـوي إجـراءً رمزيًّـا

يعبر عن قيام سلطة جديدة، بالإضافة إلى ذلك، يجب التأكيد على أنه لم يحدث أن كان هناك ترحيب حار بقدوم المقدونيين من قبل كل الشعوب والمدن، فهناك أمثلة لا تحصي عن المقاومة كما حدث في ميلتس Miletus أريان Arrian 1.18.3.9 أو أثناء الحملة الشتوية ضد Lycia-Pamphylia ويشبه ذلك ما حدث في Aspendus : ففي البداية اتفق المبعوثون على تسليم المدينة بشرط عدم تعيين حامية عليها، ووافق الإسكندر Alexander ، وكان يجب على أهل المدينة أن يدفعوا 50 طالن وخيولاً مثل تلك التي كانوا يدفعونها لملك الفُرس 1.26.3، ولما أظهروا نيتهم في عدم الوفاء بما طُلب منهم أغلظ لهم الإسكندر Alexander وعاقبهم: فرض عليهم أن يدفعوا نفقات الحاكم الذي عينه على المدينة، بالإضافة إلى جزية سنوية للمقدونيين 1.27.4 .

ونعلم أيضاً أن مدينة صور قاومت لفترة طويلة سنعود لذلك لاحقا، وفي ملابسات لا نعرف عنها تفاصيل دقيقة، فقد أقدم سكان سماريا على حرق الحاكم الذي عينه الإسكندر Alexander على سوريا حيا كوينتس كيرتس Quintus Curtius 18.10، وعندما رجع الإسكندر Alexander من مصر أرسل حملة تأديبية إليهم قادها بنفسه أو بواسطة أحد قواده، وارتكبت مذابح في حقهم، الأمر الذي أدى إلى إقامة مدينة أو مستعمرة عسكرية هناك، واضطرت العديد من العائلات السمارية إلى اللجوء لكهوف وادي الدالية، وبالتالي فنحن الآن نعرض لوثائق عظيمة الأهمية! .

ومع ذلك يمكن قراءة أعمال المقاومة هذه في سياقات متعددة: فبينما ارتبطت مقاومة سكان مدينة صور بدارا Daruis ديودورس Diodorus 3.40، فإنه من غير المؤكد أن تكون المقاومة التي أبداها كل من السماريين والاسبياندز Aspendians نابعة من رغبتهم في الإبقاء على وفائهم لملك الفُرس مهما كانت التكلفة، لكن سلوك كلا الفريقين

اعتمد بصفة أساسية على قراءته لميزان القوي، وهذا ما يقوله أريان Arrian فـيما يخـص حـالتي هيجيسيسـترتوس Hegesistratus 1.18.4 وتنيـدانز Tenedians 2.2.3، فقـــد كـــان الاســـبياندز Aspendians يعرفـــون أن هيجيسيســـترتوس Hegesistratus وقعـت في أيـدي الإسـكندر Alexander لكنـه الآن لا يملـك آلات الحصـــار 1.27.3، وبعـــد قـــدوم دارا Daruis إلى ســـوريا-ســـليكا Syria-Cilicia «اسـتقبله سـكانها بالترحـاب، وتخلـوا عـن الإسـكندر Alexander ديـودورس Diodorus 32.4؛ كوينتس كيرتس Quintus Curtius 7.1.5، أما بالنسبة لسكان مدينـة Phaselis ، الـذين أرسـلوا مبعـوثيهم إلى الإسـكندر Alexander بالتيجـان الذهبية، فكانوا ينشدون الحماية من الملك ضد الغـارات التـي يتعرضـون لهـا مـن جيرانهم البيسـديانز Pisidians أريـان Arrian 1.24.6، وهـي الحمايـة التـي كـان يوفرها لهم الحكام الفُرس بصورة تقليدية، ولأنه لا يمكننا شرح كل حالة على حدة، فقد اخترنا هنا أن نحلل قليلاً من الحالات التي لم تلـقَ حظهـا مـن التوثيـق جيـداً بصورة تفصيلية.

إيفيسس Ephesus وميلتس Miletus وأسبيندوس Aspendus:

صاحب دخول الإسكندر Alexander مدينة إيفسس مشاهد لمجازر بالغة البشاعة ضد سكان المدينة حتى إن الملك تدخل بنفسه لوضع حـد لـذلك أريـان Arrian 1.17.11.12، وقـد ارتكبـت تلـك المـذابح بواسـطة منـاصرين لحكـام الولايات الذين عينهم الفُرس على أمل ان يعيدوا احتلال مواقـع المقـدونيين بعـد أن أخضع الفُرس تلك المنطقة لحكمهم مرة أخرى بـين عـامي 336-335، ويقـول أريان Arrian 17.1: «نادرا ما اكتسب الإسكندر Alexander شهرة طاغية مثـل تلك التي نالها بمعاملته لأهل مدينة إيفسس»، ونوضح هنا أن غضب أهل هـذه المدينة لم يكن في الحقيقة موجهاً نحو الفُرس، إنما ضد حكومة القلة التـي أطـاح بهـا الإسـكندر Alexander وعـين مكانهـا منفيـين سـابقين مـن أهـل المدينـة

يقفـون في معسـكر الإسـكندر Alexander ، وهـذا مثـال نمـوذجي للخلـط الـذي يحدث عند تناول مسألة الاختلاف بين الصراعات الداخليـة في المدينـة وبـين الغـزو بواسطة قوات أجنبية؛ لذلك فمن الصعب رسم استنتاج عام فيما يخـص رد الفعـل الحقيقي لسكان إيفسس الذين ارتبطوا بعلاقـات متينـة مـع الفُـرس لفـترة طويلـة انظر الفصل 3/16، وفي الوقت نفسـه يجـب علينـا التأكيـد هنـا أن سـكان المدينـة رفضوا طلباً للإسكندر بتحمـل تكلفـة إعـادة بنـاء معبـد أرتـيمس Artemis طالمـا سيلبون طلبه بنقش اسمه على الحجر ستاربو Starbo 13.1.22.

ومن هنا يتضح لنا أن سكان مدينة إفيسس لم يكن عندهم رغبة في الانتقال من الولاء للملك إلى ملك آخـر رغـم أنهـم لم يكونـوا يملكـون التعبـير عـن رأيهـم إلا بصورة رمزية، وإذا تكلمنا بشـكل عـام، فيجـب تقيـيم تحمـس اليونـانيين في آسـيا الصغرى لفكرة «حرب التحريـر» في سـياق مفهـوم الإدراك المتـأخر، وقبـل أي شيء يلزمنا هنا أن نذكر أنه مع بداية أحداث 335-336 لم يكـن لهـذا الشـعار المقـدوني سوي تأثير محدود على مدن آسيا الصغرى، فعلى سـبيل المثـال، ورغـم عـداء أهـل سايزس Cyzicus لميمنون Memnon بوليانس Polyaenus 9.18.2.4، لم تفتح كل المدن بواباتها فورا لبارمينون Parmenion خاصة بعد أن قام الفُرس بهجوم مضاد، وقاوم بايتين Pitane الحصار بشجاعة، وبالنسـبة لحالـة جـرينم Grynium ، فقـد قاومت أيضاً، وقد باع «بارمنينون سـكانها كعبيـد» ديـودورس Diodorus 18.2.4، الشيء الذي يكشف عن أن طموح الملك المقدوني في الهيمنة الكاملة قد أطاح بأيـة فائدة ممكنة من وراء شعار «تحرير كل المدن اليونانية» الـذي أعلـن عنـه رسـميًّا، وكانت أيضاً مدينة Lampsacus ، التي كانت تميل إلى الفُـرس حتـى لحظـة قـدوم الإسكندر Alexander ، من بين المدن التي لم ترغب في الانتقـال مـن هيمنـة ملـك الفُرس إلى الملك المقدوني بعد إعادة استيلاء الفُرس عليها.

وتكشف الأحداث التي جرت في كل من ليسبو Lesbos وإيفسس عن الصراع المرير الذي كان يحدث هناك، فكل من الفُرس والمقدونيين بالتتابع كانوا يحاولون كسب الموقف لصالحهم، وقد خطط الفُرس استناداً إلى العائلات المستبدة بإعادة بناء سلطتهم في المدن التي استولى عليها الجيش المقدوني، ووضعت حاميات عليهم، ومن الممكن أن يكون قادة المدن التي أعادها الفُرس إلى سلطتهم قد فكروا منذ هذه اللحظة فصاعداً أن «يكونوا حلفاء لدارا Daruis على أساس السلام الذي عقده Antalcidas مع الملك الفارسي» أريان Arrian 2.2 عام 333، وتعتبر سياسة إسناد السلطة إلى حكام مستبدين ليست أكثر من حل هشّ للأمور، لكن تلك العائلات الكبيرة أيضاً اعتمدت على دعم من المناصرين المحليين لها، كما حدث في إيفسس أريان Arrian 1.17.11، علاوة على ذلك، فان إعادة الفُرس الاستيلاء على المدن فيما بين عامي 332-334 تظهر أن رجوع الإسكندر Alexander كان في حكم المجهول، وعلى أية حال فإن أحداث عامي 334-336 تكشف أن الهيمنة الفارسية في غرب آسيا الصغرى لم تكن مرفوضة بشكل عام بصورة أكثر دقة لم تكن مرفوضة طالما امتلك الفُرس وسائل فرض هيمنتهم.

ولا نعتقد أيضاً أنه تم استقبال المقدونيين بصدر رحب بسبب فرض الفُرس لضرائب كبيرة انظر الفصل 5/17، ومن الواضح أن هذه النظرية بُنيت على اعتقاد أعمى، تدعمه حجج غامضة، يقول إن حكام أسيا الصغرى كانوا يأملون - أو أنهم تلقوا وعود من الإسكندر Alexander - أن يتم تخفيض قيمة الجزية التي سيدفعونها، ومع ذلك، فان سياسة الإسكندر Alexander الأولية في آسيا الصغرى لا تدعم هذه المعلومات: ففي كل مدينة يتم غزوها كان يتم إنشاء إدارة للجزية وتعيين جامعين لها انظر أريان 1.17.7Arrian؛ 3.5.4؛ 16.4، وإذا

تحدثنا بشكل عام، فان هؤلاء المسؤولين الذين تـم تعيينـهم كانـت مهمـتهم هـي جمع «الضرائب نفسها التي كانـت تـدفع لـدارا Daruis 1.17.1؛ 1.27.4، وعنـدما تكون هناك استثناءات من دفع الجزية فإن ذلك يكون مرتبطاً بالجزية التي كانـت تدفع لدارا Daruis 1.17.10؛ 18.2.5.9، وأحيانا كـان يـتم مضـاعفة الجزيـة التـي كانوا يدفعونها لدارا Daruis ، وهناك أحد النقوش من بريني Priene عليهـا أحـد قرارات الإسـكندر Alexander في ذلـك الوقـت: أعـاد تأكيـد سـلطته عـلى الإقلـيم «اعلم أن هذه الأرض هي ملكي» بغيرة من القوة التـي أظهرهـا دارا Daruis الأول في خطابه الذي أرسله إلى جاداتس Gadatas ML. 12 ، حتـى إن الملـك المقـدوني بنفسه أعاد تطبيق العادة الفارسية نفسها، وهي تسلم الهدايا من المدن، وكان هو مـن بـين المسـتفيدين أليـان Aelian، VH1.25 ؛ بلوتـارخ Plutrach، Phcion 16.7، حتى حينما كان يتم منح امتيازات من وقت لآخر فإن ذلـك كـان يحـدث في إطار الهبـة «اليونانيـة» أو «الملكيـة» انظـر أريـان Arrian 2.5.9، أو عنـدما تجـد جماعة نفسها في ميزان قوة لا تصل إليه المدن اليونانية في آسيا.

لكن ميلتس فقط حاولت أن «تبقي بعيداً عن هـذا الـذي يحـدث»، كـان سكان المدينة مطمئنين لقرب الفُرس بسفنهم التـي تسـمي «أصـدقاء وحلفـاء»، وأرسـلوا جلوسـيبس Glaucipus وهـو «أحـد النـبلاء في المدينـة» إلى الإسـكندر Alexander ، وكان عرضـهم الـذي قـدموه للملـك بواسـطة جلوسـيبس هـو أن «يفتحـوا أسـوارهم وملاجـئهم لكـل مـن الإسـكندر Alexander والفُـرس عـلى السواء» 1.9.1، لكن قوبل هذا العرض بالرفض من جانب الإسكندر Alexander ، وبعيداً عـما حـدث، فـإن العـرض الـذي قدمـه جلوسـيبس عـبر عـن الرغبـات العميقة لليونانيين في آسيا الصغرى: مع أنهم لم يكون قادرين على ترديد ما يقال عن وهم الحرية، فإن سكان ميلتيس اعتقـدوا بإمكانيـة وجـود نـوع مـن الإدارة

المشتركة بين الفُرس والمقدونيين، فهل كانوا يأملون في أن يمنحهم هذا الوضع الذي لم يقبله لا الفُرس ولا المقدونيون، مساحة للمناورة؟ ومع ذلك سقطت ميلتس في قبضة الإسكندر Alexander بعد فشل البحرية الفارسية، ولم يكن بمقدور قادتها التفاوض بصورة مريحة حتى بعد أن سمح الموقف العسكري بذلك، ووقع الاسبينديانز Aspendians في خطأ مماثل .

من سيدون Sidon إلى مدينة صور:

بعد معركة إسوس Issus ، استسلمت المدن الفينيقية الأولى أرادوس Aradus وملحقاتها؛ بايبلس Byblus بدون قتال أريان Arrian 2.13.7.8؛ ديودورس Diodorus 4.2؛ كوينتس كيرتس Quintus Curtius 8.1.15، وأيضاً لم تقاوم مدينة سيدون Sidon «ومالوا إلى الإسكندر Alexander »؛ لأنهم كانوا يكرهون الفُرس ودارا Daruis » أريان Arrian 2.15.6، وهي المرة الأولى التي يتعرض فيها الفُرس لمقاومة قوية من شعب يخضع لنفوذهم، ويمكن إرجاع سلوكهم هذا إلى المعاملة العنيفة التي كانوا يتعرضون لها من أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث بعد إعادة استيلائه على المدينة مرة أخرى 17.45.5.6، لكن هذه القسوة من الممكن ألا تمثل أية مفاجأة لسكان سيدون؛ لأنهم أعلنوا بأنفسهم أن الحرب ستكون حرباً ضروس 41.5.6؛ 45.2، لكن الأمر أكثر تعقيداً مما يعتقد لأنهم كانوا منقسمين على الموقف الذي يجب عليهم اتخاذه، وكما يشرح كوينتس كيرتس Quintus Curtius فإن الملك ستارتون Starton «استسلم نزولاً على رغبة شعبه وليس بإرادته؛ لأنه كان مدعوماً بسلطان دارا Daruis »، وكانت له علاقة «صداقة مع دارا Daruis » ديودورس Diodorus 18.47.1، وبعبارة أخرى، فإن المشهد في سيدون يشبه ذلك الذي حدث في إيفسس Ephesus ، ويلعب ستارتون Starton الدور نفسه الذي

لعبه سيرفاكس Syrphax في إيفسس فيما يخص ارتباطهما بالسلطة الفارسية، وهناك شبيه مماثل للقرار الذي اتخذه الإسكندر Alexander أيضاً: كان يعين في السلطة الرجل الذي يكون مخلصاً له إخلاصاً تاماً كوينتس كيرتس Quintus Curtius 7.1.18.26 ؛ ديودورس Diodorus 18.47، وأصدر أوامره «بأن ما يعطى لستارتون Starton لا يقف عند حقه القانوني، إنما أيضاً يشمل بنوداً كثيرة من الغنيمة الفارسية» كوينتس كيرتس Quintus Curtius 7.1.26، وهزم الإسكندر Alexander مدينة سيدون 7.4.15 .

بعد ذلك توجه الإسكندر Alexander صوب مدينة صور، وفي البداية أرسل أهلها مبعوثين إلى الإسكندر Alexander يحملون هذه الرسالة: «قررت مدينة صور بقبول أوامر الإسكندر Alexander » أريان Arrian 2.15.6، لكن الصعوبات التي واجهت الإسكندر Alexander بدأت في الظهور عندما أعلن عن نيته في ذبح قرابين للآلهة هيراكلز/ميلقارت Heracles/Melqart : فقرر أهل مدينة صور تنفيذ كل طلبات الإسكندر Alexander الأخرى لكن بدون السماح لأي فارسي أو مقدوني بدخول مدينتهم» 16.7، ويشبه سلوك سكان مدينة صور ما فعله سكان ميلتس - على الأقل في البداية- علاوة على ذلك، من الممكن أن يكون طلبهم قد اعتمد على سوابق له: فقد أقنع البافلاجونيانز Paphlagonians -على سبيل المثال- «الإسكندر Alexander بعدم دخول مدينتهم بالقوة»، وفي بداية الأمر تم طمأنتهم بعدم وضع حامية على مدينتهم 1.26.3، لكن عندما أصبحت البحرية الفارسية أكثر قوة، وعندما قاتلت سفن مدينة صور تحت قيادة الملك أزيلميكس Azelmicus بأوامر من فارنابزوس Pharnabazus 2.15.7 أدرك الإسكندر Alexander أنه بحاجة للاستيلاء على المدينة، وفي حقيقة الأمر لم يكن سكان مدينة صور على وعي بنوايا الإسكندر

Alexander لشعورهم بأنهم في موضع قوة: «من الممكن تبرير القرار بسهولة في ظل الأوضاع القائمة وأنه الأسلم بالنسبة للمستقبل، وبالنسبة للحرب التي كانت نتيجتها ما تزال غامضة» أريان Arrian 2.16.7 وفي الحقيقة فإننا نعرف، ووفقاً لما ذكره ديودورس Diodorus 4.3 «كانوا يرغبون في إجلال دارا Daruis ، والحفاظ على ولائهم له، واعتقدوا أيضاً أنهم سيتسلمون هدايا قيمة من الملك».

مصر والمصريون:

شاهدنا الحماس الذي تكلم به كل من ديودورس Diodorus 18.49.2 وكوينتس كيرتس Quintus Curtius 7.4.1.3 في وصفهم للاستقبال الذي أعده المصريون للإسكندر، ويعتبر موقف المصريين هذا فريداً من نوعه لأكثر من سبب، فقد تمردوا مرات متعددة ضد الحكم الفارسي خلال القرن الخامس، لكنهم استعادوا استقلالهم مرة أخرى بعد أن كان أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث قد نجح في إخضاع وادي النيل لنفوذه، علاوة على ذلك، فلو أن خبباش Khabbabash كان في تلك الفترة ويبدو هذا حقيقة، فإن أحد الفراعنة نودي به حاكماً للبلاد لفترة لا يعرف مداها، وفي بعض الأوقات بين 343 و335-336، وقد تعرض الوجود الفارسي لضربة عنيفة عندما أقدم أمينتاس Amentas على شن هجومه بعد معركة إسوس Issus ، وهذا على الأقل ما يريد قوله كل من ديودورس Diodorus وكوينتس كيرتس Quintus Curtius ، فوفقا لما أورده كوينتس كيرتس Quintus Curtius فإن المصريين قد رحبوا حتى بأمينتاس Amentas 7.7.1، ويشدد على أنه «لم يكن هناك ود أبداً بين المصريين وحكامهم من الفرس»؛ ورغم وصف كوينتس كيرتس Quintus Curtius لهم بأنهم لم يكونوا مستقرين، فإنه يذكر كيف قاوموا قوات أمينتاس التي كانت وقتها تسلب وتنهب في المناطق الريفية، وقد أجبرهم أمينتاس على التراجع إلى ممفيس Memphis في الوقت الذي

تقـدمت فيـه قـوات مـازوس Mazaces بشـجاعة نحـو العـدو 7.1.30.33، وعـلى الجانب الآخر، فـإن ديـودورس Diodorus يقـول إن المصريـين وحـدهم هـم مـن حققوا النصر بدون أن يذكر مازوس Mazaces ، ومع ذلك فمن الواضح أن مازوس Mazaces هو من قاد عمليات القتـال ضـد أمينتـاس، وفي موقعـة الحـائط الأبـيض White Wall كان مع الحاكم مصريون يساعدونهم على القتال جنباً إلى جنب ضد القوات الفارسية، كما فعل أجدادهم منذ أكثر مـن قـرن مضى، أولئـك الـذين يشـير إليهم Thucydides 1.104.2 على أنهم المصريون «الذين لم ينضموا للتمرد»، وربمـا تبدو التناقضات بين ديـودورس Diodorus وكـوينتس كـيرتس Quintus Curtius غير جديرة بالاهتمام، لكنها تكشف التحيز الذي كان عليه المؤرخون القـدامى فـيما يخص موضوع العلاقات المصرية الفارسية، فعندما يتمرد المصريون ضد الفُرس فإنه يكون تمرداً شاملاً، وترجع فكـرة أن المصريـين يكرهـون الفُـرس إلى أيـام هـيرودوت Herodotus إذا تذكرنا تفسيره لسياسـة قمبيـز Cambyses في مصر انظـر الفصـل 9/1، وقد اتهم أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث بعدم احترامه للمعابـد المصريـة انظر الفصل 9/16، وبالتأكيد استغل بيتـولمي Ptolemy هـذه الفكـرة لأنهـا تخـدم مصالحه: وفي Strap Stela يصر على أنه أعـاد الخصوصيات التـي كانـت ممنوحـة للآلهة واجت Wajet في Buto والتي كان كسركسيس Xerxes قد أطاح بها، عـلاوة على ذلك، فهناك كلمات أخرى في الوثيقة نفسها: «استعاد صور الآلهة التي وجـدها في آسيا وأعادها لموطنهـا الأصـلي، وهـذا الحـاكم تميـز في إعطـاء الهبـات للآلهـة في جنـوب مصر وشـمالها عـلى السـواء»، وتبعـه خلفـاؤه في الـنهج نفسـه، وكـانوا يعيدون تماثيل الآلهـة التـي يـتم تهريبهـا خـارج الـبلاد، ومـما لا شـك فيـه أن الإسكندر Alexander حينما ظهر على الساحة اتبع سياسة تمجيد أماكن الآلهة المقدسة، فعندما قـدم إلى ممفـيس Memphis «قـدم القـرابين للآلهـة خاصـة

أبيس Apis » أريان Arrian 3.1.4، وهناك نقوش عديدة ترجع إلى ذلك التاريخ تشير إلى مراسم جنائزية لدفن أم أبيس Apis »، فقد أمر بالشروع في بناء وإكمال العمل في العديد من الأماكن المقدسة عند المصريين، وأكثر شيء ملفت للنظر هو معبد الأقصر حيث يظهر الإسكندر Alexander مشيداً بالفراعنة، ومن هنا يمكننا تحديد استمرارية عامة في سياسة الغزاة في مصر منذ قمبيز Cambyses إلى الإسكندر Alexander .

ومع ذلك، كيف يمكننا معرفة مشاعر المصريين العميقة؟ فكثرة أعمال التمرد هي زاوية لا يمكن تهميشها، لكن هذا في حد ذاته ليس كافياً للإجابة عن السؤال المطروح، ولحسن الحظ لدينا العديد من النقوش المصرية التاريخية، فبجانب ما تحتويه مدينة ممفيس، هناك العديد من القبور التي اكتشفت في القرن الثامن عشر، وإحدى المقابر تنتمي إلى أونوفريس Onnophris وهو ابن باينو Painou الذي عاشت ذكراه في الأجيال التالية بسبب النقوش التي وجدت على جدران المقبرة، هذا الطبيب الذي عاش في أيام حكم سلالة XXXth تخصص في الوقاية من لدغات الثعابين والعلاج منها، أحد الألقاب التي كانت مرتبطة خصيصاً به هو «نبي تماثيل أب الملك، Cha-hap-Imo العام، الذي تذكره مصادر أخرى بأنه أب نيكتانيبو Nectanebo الثاني، ويبدو أن أونوفريس Onnophris انضم إلى تاتشوز Tachos حوالي عام 360-359 أثناء هجوم مصر على سوريا، وهناك معلومات عن الأسطول الحربي المصري في هذا الهجوم، وكان أونوفريس Onnophris على متن سفينة فيه «من أجل الوصل إلى مكان سيادة البلدين، وقد وجدته في أرض سو SU »، ومن المحتمل أن يكون أونوفريس Onnophris قد لقي مصير تاتشوز Tachos نفسه، والذي هُزِم بواسطة الأمير أوتشس Ochus ، ثم خلع عن العرش بسبب تمرد نيكتانيبو Nectanebo ؛ وبالتالي اتبع الغازي إلى أن وصل إلى ملك الفُرس الذي عينه قائداً عاماً للحرب ضد مصر» ديودورسDiodorus 14.92.5.

ويمكننا تخيل -رغم إننا غير قادرين على إثبات ذلك- أن أونوفريس Onnophris كان باستطاعته إثبات قدراته الطبية أمام الحاشية الفارسية كما فعل أدجاهورسينت منذ أكثر من 165 عاماً مضت، ثم عاد إلى مصر لاحقاً في الملابسات نفسها: لقد بقيت صامتاً، ثم بعد ذلك قال لي: «لا تحزن بسبب ما حدث، إني آمرك الآن: عد إلى وطنك سريعا!»، ولذلك عدت إلى مصر، وبعد عودتي وجدت رسالة من حاكم مصر، ثم تقابلنا، وعانقني، وأمطرني بالقبلات، وقضي اليوم معي، وفي اليوم التالي استفسر منى عن كل شيء».

رغم أن الفاعل «هو» لا نعرف عنه شيئاً، فمن المرجح أن يكون أمر العودة قد صدر من ملك الفُرس، وربما يكون هو أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث الذي ربما أرسله في بعثة دبلوماسية إلى الفرعون، ولسوء الحظ فان الحالة الهشة للنص تمنعنا من التأكد من ماهية ذلك الفرعون، كما في المثالين الآتيين، كان أونوفريس Onnophris يريد أن يقول إن فكرة العودة إلى وادي النيل ألهمها له إله مصري، وإذا قلنا إن هذه هي القضية فسيكون شيئاً مقبولاً، خاصة وأنها سمحت للمتكلمين بأن «يكونوا بعيدين عن تحمل مسؤولية البقاء في بلاد العدو»، وعثر أيضاً على تمثال صغير لأحد أبناء نيكتانيبو Nectanebo الثاني، وهو الفرعون الذي غزاه أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث، وفيه كلام عن الآلهة إيزيس Isis حيث يقول: «عندما كنت بين الغرباء ساعدتني في كسب ود أميرهم، وهي التي أرجعتني إلى مصر»، لكن يبقى تاريخ حدوث كل هذا مبهماً بشكل كبير، وربما عاش هذا الشخص أيضاً في حاشية الملك .

وتدعم هذه الإمكانية نقوش أخرى منحوتة تحتوي على سيرة ذاتية خاصة بطبيب آخر اسمه سماتوتيفناخت Smatutefnakht كاهن سيخمت Sekhmet مثل أونوفريس Onnophris ، ويخاطب سماتوتيفناخت Smatutefnakht الإله Herishef-Re الذي تدخل لمساعدته «مرات لا تحصى»:

أنت الذي ساعدتني في الوصول إلى القصر الملكي،

إن قلب الإله راض عما قلته؛

أنت الذي أكرمتني أمام كثير من الناس في الوقت الذي غادرت فيه مصر؛

أنت الذي استملت قلب أمير آسيا بإكرامي، وجاملتني حاشيته، عندما عينني في منصب كبير كهنة سيخمت Sekhmet كبديل لأخ لي من أمي، وهو ناخثينبيب Nakhthenbeb كبير كهنة سيخمت Sekhmet في الجنوب والشمال،

لقد حميتني من هجوم اليونانيين حتى صدته آسيا عنا؛

لقد قتلوا حشداً من الناس حولي، ولم يرفع أي شخص يده على؛

لذلك رأيتك في المنام، وأنت تقول لي: «اذهب إلى هيراكليبولس Heracleopolis فإني معك».

لقد اجتزت البلاد الغريبة بمفردي، وعبرت البحر بدون خوف، لعلمي أني لم أخرق أمرك؛

ووصلت إلى هيراكليبولس Heracleopolis ولم تمس شعرة مني بأذى .

إن السياق التاريخي لهذه الحالة غير مؤكد، وهناك تلميح إلى إعادة الفُرس غزوهم لمصر «عندما غادرت مصر»، وربما هو الغزو الذي قام به أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث وربما أيضاً تكون هذه إشارة إلى الحملة الفارسية التي أخمدت تمرد خباباش Khabbabash ، لكن الإشارة المباشرة إلى صراع ومعركة بين «اليونانيين» وأمير آسيا هو أمر مشكوك فيه: لأن سماتوتيفناخت Smatutefnakht قبض عليه في الاضطرابات التي صاحبت غزو الإسكندر Alexander ، بالإضافة إلى ذلك، فإنه كان في المعسكر الفارسي عندما هزمت قوات أمير آسيا، ومما لا شك فيه أن

ذلك يشير إلى معركة إسوس Issus التي اشترك فيها حاكم مصر ساباسيز Sabaces ولقي حتفه فيها أريان Arrian 2.11.18، ولا نعرف متى عاد سماتوتيفناخت Smatutefnakht إلى مصر، وربما عاد مع الإسكندر Alexander أو مع الحملة التي قادها أمينتاس قبل ذلك؛ لأنه بالتأكيد كان بحاجة لمصريين معه يدلونه على طريق وادي النيل، وعلى أية حال، فيبدو أن سماتوتيفناخت Smatutefnakht كان مقرباً من ملك الفُرس الذي ربما كان هو أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث أو الرابع أو دارا Daruis الثالث، ويعتمد تحديد ذلك على ما إذا كانت مهنته تابعة للغزوات الثانية التي قام بها أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث، أو الحملة التي قادها دارا Daruis الثالث ضد خباباش Khabbabash ، وتم تعيينه في منصب كبير الأطباء، وهناك وجه شبه كبير بينه وبين يودجاهورسينت Udjahorresent vyl ، رغم أنه لم يكن مرتبطاً بالمكان نفسه المقدس: نتذكر أن قمبيز Cambyses قام بتعيين يودجاهورسينت Udjahorresent vyl في منصب كبير الأطباء، ففي نموذج ابن نيكتانيبو Nectanebo لو صحت المقارنة، فإن سماتوتيفناخت Smatutefnakht اهتم بتبرئة نفسه من الاتهام بالتعاون مع الآسيويين، فلم يمنح اللقب الفرعوني لأمير آسيا مرة أخرى، ويستمر في ادعائه أنه مهما ذهب فإنه يتمتع بحماية الإله، ويُفهم ذلك بسهولة كافية بواسطة عودته الأخيرة إلى مصر وبتاريخ النقوش التي ترجع إلى بداية العصر البطلمي، لكن تبقي الحقيقة: لدينا نموذج لمصري انضم إلى ملك الفُرس بعد إعادة الأخير الاستيلاء على مصر، أو على الأقل لم يرفض خدمة الملك والتمتع بميزات شخصية بسبب العلاقة التي تربطه به، وتمثل النقوش الموجودة على قبر بيتوسيريس Petosiris في هيرموبولس Hermopolis جسراً إلى الذاكرة المحتفظة بمعلومات عن تنوع جذور كبار كهنة ثوث Thuth ؛ لأن بيتوسيرس Petosiris الذي شغل منصب كبير الكهنة وموقع المسؤول قبيل الحقبة

المقدونية خلف أخيه Dejethotefankh وأبيه Sishu الذي بدوره ورث المنصب من أبيه Dejethotefankh الكبير، علاوة على ذلك، فإن بعض النقوش التي تذكر فضل بيتوسيرس Petosiris هي من أعمال حفيده باديكام Padikam ، ومما يلفت النظر أن سر مهنة Sishu وابنيه لم يتمكن أحد من معرفته طوال عصور تاشوس Tachos ، والإسكندر Alexander ، وفيليب أريهيدوس Philip Arrihideus ، ويوصف كل من Sishu وبيتوسيرس Petosiris في النقوش التي كانت مخصصة أساساً لترديد المدائح بأنهم رجال يتمتعون بالحكمة والفضيلة ويحبون النظام والعدل، لكنها ليست الحالة نفسها بالضبط بالنسبة لـ Dejethotefankh الذي من المحتمل أن يكون خلف أبيه بعد نهاية حكم نيكتانيبو Nectanebo الثاني، وبالتالي فقد شاهد غزو أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث واضطر أخاه بيتوسيرس Petosiris إلى الدفاع عن ذكراه بهذا الخطاب: «لم أسرق ما كان يقدم للطقوس، لم أفعل أي شيء سيء لهذا البلد، فالإله مات Maat معي ولن يتركني في حياة الخلود»، ورغم ذلك فإن بيتوسيرس Petosiris لما خلف أخاه في موقعه اتخذ موقفاً وسطاً: لما مارس رئيس دولة أجنبية أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث وصايته على مصر لم يبقَ أي شيء على حاله السابق، فبمجرد اندلاع المعارك داخل مصر أصبح الجنوب يموج بالاضطرابات، والشمال بالتمرد، وكان الذهول يسيطر على الرجال، ولم يعد هناك معبد يلجأ إليه الناس، وكان الكهنة بعيدين عن الأماكن المقدسة في تجاهل لما كان قائماً.

كان بيتوسيرس Petosiris قادراً على إعادة الازدهار للأماكن المقدسة ليس فقط بأخلاقياته الرائعة ولكن أيضاً بسبب التغير المفاجئ في الأجواء السياسية: لقد قضيت سبع سنوات كاهناً في ثوث Thuth أفعل كل شيء بصورة متقنة لخدمة ذلك المعبد، ولتعظيم أهمية كهنته، ولملء مخازنه بالشعير والقمح وكل احتياطياته القيمة من كل الأشياء، بعيداً عما يفعله

الغرباء الذين أصبحوا حكام الدولة ترجمة جي. ليفيبفر G. Lefebvre ومراجعة بي. مينو B. Menu .

ورغم أن أخاه الأكبر اضطر للتعامل مع الاضطرابات التي صاحبت هزيمة نيكتانيبو Nectanebo الثاني على يد جيوش أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث، فلا بد أن يكون بيتوسيرس Petosiris قد عاش في الفترة الانتقالية من الحكم الفارسي إلى الحقبة البطلمية، ومن المحتمل أن يكون قد استلم المسؤولية من أخيه بعد قدوم الإسكندر Alexander ، ومن الأب Sishu إلى الابن الأصغر بيتوسيرس Petosiris تميل النقوش إلى إعطاء صورة عن التاريخ المصري تتصف بالاستقامة، وكانت هناك فترة هدوء في عصر نيكتانيبو Nectanebo الثاني، أعقبتها فترة اضطرابات في عصر أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث، ثم بعد ذلك العودة إلى أيام النظام بقدوم الإسكندر Alexander ، واحتفل مصريون آخرون بعودة النظام في بلدهم، ومع ذلك، فإن هذه المعلومات تحتوي على قيمة محدودة حتى ترقى لمستوى الدليل، خاصة وأنها حدثت أثناء الحقبة اليونانية: «من الصعب عدم الشك في وجود دعاية تمدح هذا السلوك داخل الطبقة العليا من رجال الدين وإعطائهم كل وسائل النجاح خاصة الاقتصادية منها، وتنطلق هذه الدعاية من الإدارة المقدونية في البلاد التي يشرف عليها Ptolemaeus وهو ابن لاجوس Lagus بي. مينو B. Menu .

وبنظرة عامة للنقوش التي ترجع إلى القرن الرابع تقودنا إلى استنتاج مفاده أن المصريين لم يترددوا في التعاون مع الفُرس كما حدث في عصر قمبيز Cambyses وخلفائه أثناء القرن الخامس، وللأسباب نفسها انضموا للإسكندر، ثم بعد ذلك بطلميوس، وبعبارة أخرى، عندما ضم الإسكندر Alexander مصر، لم يكن ذلك بسبب انتفاضة شاملة بين المصريين لمساندته؛ لكن ببساطة لأن المسؤولين الفُرس في مصر لم

تكن لديهم القوة الكافية لصدهم، وبالتالي فإن سلوك الأرستقراطيين المصريين كان معروفاً مسبقاً.

سكان بابل، الإسكندر Alexander ودارا Daruis :

لقد لقي موقف سكان بابل حظه من التوثيق، ولا يمكننا العودة إلى موقف الإسكندر Alexander بعد معركة جوجاميلا Gaugamela ؛ لأننا لا نريد التأكيد على أن ميزان القوة سمح لقادة مدينة بابل الذين جاءوا في الموكب للترحيب بالغزاة بأن يأملوا في الحصول على تعويضات كبيرة من الإسكندر Alexander في مقابل الانضمام له، وهناك لوح ضخم Adrtb No. 330 يعطينا دليلاً على ذلك، فبعد معركة جوجاميلا Gaugamela بدأت المفاوضات بين الإسكندر Alexander وسكان مدينة بابل، فبحلول الثامن من أكتوبر، بعد أسبوع من المعركة، يشير النص إلى مبعوث قدم بخطاب يخص أيساجيلا Esagila وما بها من ممتلكات، وفي الثامن عشر من أكتوبر وصل الإسكندر Alexander إلى سيبار Sippar ووعد سكان بابل؟ بأنه لن يسمح لجنوده بالاعتداء على منازلهم بعد ذلك، وهناك تلميح إلى وجود مشاركة لليونانيين في تقديم القرابين، وأخيراً، هناك وصف لدخول الإسكندر Alexander إلى مدينة بابل، الذي يحمل لقب «ملك الكون»، وقد جاء الإسكندر Alexander لتقديم القرابين إلى ماردوك Marduk وتحدث مع الكلدانيين عن كل شيء يخص إله المدينة العظيم أريان Arrian 3.16.3.

هذا هو السياق الذي تذكر فيه النصوص التقليدية الدمار الذي أحدثه كسركسيس Xerxes ضد المعابد في مدينة بابل على النقيض مما قام به الإسكندر Alexander بسلوكه «الكريم»، لسنا بحاجة إلى الوقوف طويلاً أمام سياسة كسركسيس Xerxes إلا لإعادة التذكير بأن العرض الذي قدمه مؤرخو الإسكندر Alexander ما هو إلا عرض خاطئ وانحيازي انظر الفصل 5/13، لكن بدلاً من ذلك، يمثل موقف الإسكندر

Alexander استمرارية عامة للنهج نفسه الذي اعتمد عليه ملوك الفرس، فبتقليده لسياسة قورش Cyrus أجرى الإسكندر Alexander اتصالاته بكبار رجال الدين في الأماكن المقدسة «كهنتهم وحكامهم» 3.16.2، ومن أجل إضعاف طبقة النخبة عن المقاومة فوراً بعد انتصاره في المعركة، بدأ الإسكندر Alexander في إجراء مفاوضات مع مازوس Mazaeus وقادة مدينة بابل، واعداً إياهم باحترامه للمدينة وللمقدسات، بالضبط كما فعل قورش Cyrus من قبل، وهذه السياسة أيضاً معروفة بشعائر دخول الملك المنتصر إلى مدينة الاسكندرية بالعربة؛ كوينتس كيرتس Quintus Curtius 4.1.3؛ الشيء الذي يعيد إلى الأذهان دخول قورش Cyrus الرسمي إلى المدينة بصورة مدهشة عام 539، وفي الوقت نفسه، لا يوجد هناك أدنى شك في أن الإسكندر Alexander بنى أشياء في الأماكن المقدسة في مدينة بابل، ومهما كانت طبيعة عملية البناء هذه وحجمها، ما كان يسمح به إلا بعد استشارة الكلدانيين؛ لأن هذا العمل بذاته يدل على أن الإسكندر Alexander كان مدعوماً ومؤيداً من آلهة مدينة بابل؟ وربما هذا هو نفسه الذي يصفه أريان Arrian عندما يقول: «لقد نفذ الإسكندر Alexander كل توصياتهم فيما يخص معابد المدينة، وعلى الأخص تقيدم القرابين إلى الإله بال Baal وفقاً لتعليماتهم» . 3.16.5

ولم تضعف العلاقة الطيبة التي ربطت بين الإسكندر Alexander وزعماء مدينة بابل، وهناك مثالين للتدليل على هذه العلاقة، كل منهما حدث أثناء سنوات الملك الأخيرة، يروي الكثير من المؤرخين القدامى أن الكلدانيين كانوا يرغبون في إثناء الإسكندر Alexander عن دخول مدينة بابل بناءً على نذير شر وجدوه في نجوم وكواكب السماء وفقاً لتقليد قديم، ولم يذعن الإسكندر Alexander لطلبهم؛ لأنه ارتاب في نيتهم، فربما كانوا يرغبون في الاحتفاظ بكنوز المدينة لأنفسهم والتي كان سيخصصها لبناء المعابد أريان 18.17.1.4Arrian، وهذه

القصة أعتقد أنها أحياناً تكشف عن العلاقة السيئة التي سادت بين الإسكندر Alexander وبين رجال الدين في تلك الفترة، وفي الحقيقة، عندما أصدر الكلدانيون تحذيراً للإسكندر من دخول المدينة، إنما كانوا يمارسون دوراً تعودوا عليه طوال تاريخ بابل: الكلدانيون الذين عهد إليهم بالحفاظ على السماء وإبعاد الشرور عنهم «كانوا يرغبون بإعلام الملك بالخطر الذي يتهددهم، مما يعنى أنه لا يدخل المدينة مهما كانت الظروف، لكنه يجب عليه التخلي عن الطريق الذي سيسلكه ويدخل المدينة» ديودورس Diodorus 18.112.3.

وفي وقت لاحق، حدث شيء أعطي اليونانيين انطباعاً سيئاً عندما أساءوا فهم عادة بابلية لا يعلمون عنها شيئاً، يقدم المؤرخون القدامى هذه القصة أحياناً بكلمات مختلفة، ففي يوم من الأيام، خطط بابلي -مكانته الاجتماعية غير معروفة لنا- والذي أدانه القانون العرفي، بالذهاب إلى عرش الملك والجلوس عليه: ارتدي الزى الملكي والتاج، ثم جلس على العرش وبقي هادئاً» ديودورس Diodorus 116.2.3، يذكر أريان Arrian رد فعل الخصيين كالآتي: وفقاً لعرفٍ فارسي مُتبع لم يقوموا بسحبه من على العرش، وبدلاً من ذلك شرعوا في شق ملابسهم وفي ضرب أنفسهم على الصدور والوجوه دليلاً على أن كارثة قد حدثت» 16.24.3، ويعيد أريان Arrian التأكيد على أن الإسكندر Alexander لم يعلم شيئاً عن هذا الموقف، وارتاب في حدوث مؤامرة، وطلب الرجل للتحقيق معه، لكن الرجل قال إن «فكرة جاءته بفعل ذلك ففعله»، ويضيف أريان Arrian أنه وفي تلك اللحظات نفسها كان هناك «مراقبون للموقف مستعدين لتفسير هذا التصرف على أنه لا يحمل أي خير للإسكندر» 16.24.3، وعلى نحو مضاد، يذكر ديودورس Diodorus أن الإسكندر Alexander تذكر ذلك التحذير الذي أطلقه الكلدانيون، وطلب الرأي من مستشاريه فحثوه على تجاهله، بينما كان

هــو بنفســه «مبهــورا بالكلــدانيين وبنفــاذ بصــيرتهم» 116.4، ويــري ديــودورس Diodorus في كلا الحالتين أن هذا كان «نذيرا من الآلهة عن زوال ملـك الإسـكندر Alexander 116.5، كـان ديـودورس Diodorus حســن الاطـلاع، ورغـم بعـض الخلافات التي يسهل فهمها، فـإن مـا ذكـر يـتماشى مـع تقليـد معـروف في العـرف العراقي القديم Mesopotamian ، ذلك الذي يخص الملـك البـديل، عنـدما تكـون هناك طوالع شريرة حول حياة الملك، يتم اختيار رجل وضيع المولـد، ويسـتلم كـل مخولات السلطة: الملابس، الصـولجان، الملكـة والحاشـية، ومـع ذلـك فـإن السـلطة الفعلية يمارسها الملك المعزول في مكان آخر بشكل مؤقت، وبعد زوال الخطر يكون الموت مصير الملك البديل، وبالتالي، يمكننا تصور أن هذه الحادثة عـام 332 لم تكـن نتاجاً لمبادرة شخصية من إنسان فقير بائس -كما يهـوى أريـان Arrian الإشـارة إلى ذلك في كل حالة- شعر الكلدانيين بالخطر مـن كـثرة الطوالـع السـيئة التـي يرونهـا لذلك رجعوا إلى فكرة الملك البـديل بموافقـة الإسـكندر Alexander ، وبالتـالي تـم تحصين الملك ضد الأخطار التي تتهدده .

ساعدت كل هذه الأحـداث الإسـكندر Alexander في الحصـول عـلى دعـم من القادة المحليين في مدينة بابل، والاستثناء الوحيد هـو أن يحكـم وفقـاً للعـرف الذي اعتادوا عليه «كملك للأرض»، كما كان ملوك الفُرس يفعلون دائماً، في الوقـت الذي تبدو فيه حقيقة «ميـل الإسـكندر Alexander نحـو بابـل» راسـخة بشـكل عام، فهناك نصوص قديمة أخرى تحول بيننا وبـين اسـتنتاج أن رد فعـل النخبـة في بابل كان متأقلماً تماماً مع صورة «المحرر» التي عادة ما تميـل النصـوص القديمـة - بصورة تقليدية- إلى وصف الإسكندر Alexander بهـا، أولاً، نلفـت الانتبـاه إلى أحد النقوش التي ترجع إلى عام 329 والذي يصف الإسكندر Alexander بأنـه ملك «اليونانيين»، مـما يسـلط الضـوء عـلى أصلـه الأجنبـي Adrtb No. 328 ،

ورغم ذلك فهناك نصوص أكثر أهمية -النبوءة الشهيرة عن السلالة الحاكمة- ومع أن النص صعب بسبب تفتت النقش وهشاشة كتابته، إلا أن هذه النبوءة تخصص عدة سطور لحكم دارا Daruis الثالث، والذين كتبوا هذا النقش يسجلون الغزو الذي قام به المقدونيون مع هزيمة دارا Daruis ، ويقولون: «بعد الذي حدث سيجهز الملك جيشاً، ويحد أسلحته، وستقف الآلهة إينليل Enlil وشاماس Shamash وماردوك Marduk بجوار جيشه حتى يقضي على جيش المقدونيين، وسيحمل الغنيمة الضخمة ويجلبها إلى قصره، وسيعوض كل من أصيب بأذى من الناس، وستصبح الأرض سعيدة، وسيشمل ذلك إعفاءات من الضرائب .

لا فائدة من المقارنة بين هذا النص وما رواه المؤرخون التابعون للإسكندر في محاولة لتحديد الحدث التاريخي المشار إليه، وتعتبر عملية تسجيل الأحداث في حد ذاتها هي هدف هذا النوع من العلم الذي يصف أنظمة الحكم إما بالصالحة أو الشريرة، ومع ذلك، ومن الملاحظ هنا أن دارا Daruis الملك، مدعوما بآلهة بابل، يهزم الإسكندر Alexander في النهاية وينتصر عليه، وفرح أهل بابل، بهذا الانتصار واستعاد السكان ازدهارهم؛ لذلك فإن شخصية دارا Daruis الثالث خضعت لإعادة صياغة في سياق رواية تقليدية عن شخصية ملك بابل الصالح، ويكشف النص عن أن اتجاه النخبة في بابل كان على الأقل يتحسن فيما يخص القبول بحكام لمدينتهم.

هناك نظرية واقعية جدًّا تقول إن هذا النص بذاته كتب في بداية الحقبة الإغريقية في سياق تدشين حكم سيلوكس Seleucus في بابل؛ لذلك لا يمكننا استنتاج أن هذا يعكس اتجاه سكان بابل عام 331، لكن من المحتمل أن يكون هدف ذلك النص هو عرض التغير الذي حدث في العلاقة بين المقدونيين وأهل بابل في أوقات الحروب التي قلبت حال البلد في بداية عصر دايودشي Diadochi ، ويؤكد النص المنحوت على النقش أن

حقبة الحكم الفارسي لم تكن قمعية على الأقل مقارنة بالحكم المقدوني، ويؤكد أيضاً أن إذعان قادة بابل للإسكندر كان له علاقة بالسلوك الملكي الراسخ في العرف الوطني عندهم -كما هو الحال في Udahorresnet في مصر- فكان يلزم كل من قمبيز Cambyses ودارا Daruis أن يتبعوا أبجديات «الحكم الصالح» ويكون كل منهما «ملكا خيّرا»، وهذا بالضبط ما أظهرته الدعاية المقدونية في تمجيدها للإسكندر واصفة ما قام به من أعمال في بابل «لا يقوم بها إلا ملك صالح» ستاربو Starbo 16.1.10؛ أريان Arrian 15.21.6، وبعبارة أخرى -وباختصار- فإن انضمام قادة المدينة للإسكندر لم يكن نتيجة لتأثرهم بالحماس الشعبي التائق للحرية، فالاستسلام كان مشروطاً لأنه بُني على مفاوضات تعامل معها البابليون بحذر كبير، وبالتالي، فإن رسالة النبوءة التي تخص السلالة الحاكمة لم تنل الرضا من الإسكندر Alexander ، ولا من الغزاة المقدونيين بشكل عام، الذين يقدمهم كاتبو ذلك النقش على أنهم حاولوا قطع رحلة حكم دارا Daruis «الملك الصالح».

5- موت ملك عظيم:

دارا Daruis Daruis في إيكباتانا Ecbatana :

من المستحيل تقييم موقف دارا Daruis وهو في إيكباتانا Ecbatana إلا إذا أخذنا في الاعتبار كل العناصر العسكرية والسياسية، فعندما غادر الإسكندر Alexander بيرسيبولس Persepolis في مايو عام 330، كانت المعلومات التي لديه عن الموقف الحقيقي لدارا Daruis قليلة جدًّا، معتقداً أن دارا Daruis ، منذ أكتوبر في العام الماضي، يعد للمعركة التي ستحدد المحصلة النهائية للحرب، وعندما وصل الإسكندر Alexander إلى جابين Gabien أصفهان Gabea عند بوابات مدينة ميديا Media تلقي

خبراً عاجلاً من بيثانز Bisthanes ابن أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث قال فيه: «إن دارا Daruis هرب منذ أربعة أيام ومعه خزائن ميديا Media فيها سبعة آلاف طالن، ومعه حوالي ثلاثة آلاف فارس وستة آلاف من المشاة» أريان Arrian 3.19.5، لكن كوينتس كيرتس Quintus Curtius يقول إن الذي نقل الخبر هو بابلي اسمه باجيستانز Bagistances والذي أخبر الإسكندر Alexander أن دارا Daruis «معرض للقتل أو السجن» 4.13.3، ومن المحتمل أن يكون كوينتس كيرتس Quintus Curtius قد خلط بين من نقل الخبر؛ لأنه في وقت لاحق عندما وصل الإسكندر Alexander إلى بوابات كاسبن Caspain أخبره كل باجيستانز Bagistances وأنتبيلوس Antibelus ، وهو أحد أبناء مازوس Mazaeus بأن دارا Daruis سجن مغلغلاً في الحديد بواسطة كل من ناباززينز Nabarzanes وبيسس Bessus حاكم باكتريا Bactria وبارسينتز Barsaentes حاكم أراتشوزيا Arachosia أريان Arrian 3.21.1.

وفي أكتوبر/ تشرين الأول من عام 331 خطط دارا Daruis لحشد جيش جديد، وكان معه بعض الجنود الذين انسحبوا معه، ومن بينهم عدة آلاف من جنود يونانيين مرتزقة جنباً إلى جنب مع فرسان باكتريا Bactria وبعض الفُرس من الحاشية الملكية وحراسه الذين أحاطوا به أثناء المعركة أريان 11.5 Arrian؛ 3.16.1، وتوقع الملك ضم جند إليه من مناطق قرب باكتريا Bactria ، وخاصة من كاديوسينز Cadusians وساكا Saka الذين كانوا بالفعل قد أرسلوا فيالق عسكرية في المعارك السابقة أريان Arrian 3.9.3، ورغم ذلك، كان يبنى خططه على الجيوش التي يتم حشدها من شرق إيران ديودورس Diodorus 18.73.1، ويذكر كوينتس كيرتس Quintus Curtius عدد جيش دارا Daruis بأنه كان 30 ألفاً من المشاة من بينهم أربعة آلاف يوناني و4 آلاف من حملة المقاليع والسهام، وأكثر من 3300 من الفرسان «أغلبهم من باكتريا

Bactria 4.8.3.4، ويـذكر ديـودورس Diodorus 30 ألفـاً مـن المرتزقـة «الفُـرس واليونانيين» 7.3.1، ويذكر أريان Arrian أنهم كانوا 3 آلاف فارس وسـتة آلاف مـن المشاة 3.19.5، ومن الصعب المقارنة بين هذه الأرقام، وفي ذلك الوقت، عندما علـم دارا Daruis أن الإسكندر Alexander يتقدم إليه قرر اللجـوء إلى المـدن الفارسـية العليا، وأدى التغير في ميزان القوي إلى انفصال بعض الفرق العسكرية عن الجـيش الملكي 3.19.4، بعد ذلك عنـدما اسـتكمل الإسـكندر Alexander تقدمـه نحـو دارا Daruis من إيكباتانا Ecbatana ، تخلى الكثيرون «عـن دارا Daruis ممـن هربـوا معه، ورجعوا إلى منازلهم، واستسلم عدد منهم للإسكندر 3.19.4؛ 20.2 .

يكشف الانهيار العسكري بصفة أساسية عـن الضـعف المسـتمر في وضـع ملك الفُرس السـياسي، ويقـول كـوينتس كـيرتس Quintus Curtius في وصـف لصالح دارا Daruis أن هيبة الملك بقيت ثابتة لا تتزعزع: «هيبة الملك عند تلك الأمم هي شيء يختلف عن كل شيء؛ وفي تلبيتهم لملكهم تبجـيلاً لـه يحتشـدون ويقفون بجـواره في كـل محنـة» 4.10.2، أو هـذا: «كـان تحـرك الفُـرس جميعـاً يتماشي مع النهج نفسه؛ لأن التخلي عن الملك لا يعتبر من دينهم» 4.9.16، هذه العبارات التي ذكرناها تحمل في معناها مغزى جمـيلاً، لكنهـا تتنـاول جـزءاً مـن الموقف، ونتيجة لذلك، تشوش على كل شيء، ويشرح كوينتس كيرتس Quintus Curtius بنفســه أن قــرار دارا Daruis بــالنزوح مــن بابــل بعــد جوجــاميلا Gaugamela لم يتحمس إليه عدد كبير من المقـربين إليـه 4.1.7.9، ومـع هـذا، بقيت سلطة دارا Daruis الملكية قوية بين حكامـه عـلى الأقـاليم وقـادة الجنـد والشعوب التي تخضع لحكمه، فقدرته على إصدار قرار جديـد بتعبئـة القـوات حث كل هؤلاء على البقـاء مخلصـين لـه ديـودورس Diodorus 64.2 ، لكـن لم تختـفِ المعارضــة الداخليــة بشــكل دائــم، ورغــم أننــا غــير قــادرين عــلى

تحديد تاريخ المؤامرة التي حيكت ضد الملك بدقة، فإنه يمكننا اقتراح أن يكون الاستسلام المتتابع لبابل وصوصا Susa و Persepolis بدون قتال قد وجه ضربة مباشرة لسلطة الملك؛ لأن هذا الاستسلام المتعاقب دلل على فشل الاستراتيجية المتبعة بعد جوجاميلا Gaugamela ، حيث كان الفشل عسكريًّا، وأيضاً وبصفة خاصة، سياسيًّا، في البداية كان مازوس Mazaeus ثم أبولتس Abulites تيريداتس Tiridates وآخرون كثيرون ذهبوا إلى الإسكندر، ومن المرجح أن تكون سياسة حرق القصور في بيرسيبولس Persepolis أسهمت في زحزحة الكثير من المفاهيم الثابتة، وأخيرا، اكتشف الفُرس في إيكباتانا Ecbatana أن الإسكندر Alexander قد رحب بحرارة بأولئك المسؤولين الذين انضموا إليه، وعهد إليهم بمناصب كبيرة، ورغم ارتباطهم بمجد الإمبراطورية الفارسية، فلا بد أنهم قد وجدوا في الإسكندر Alexander بديلاً يمكن الوثوق به أكثر، وتعزز هذا الاعتقاد أكثر وأكثر بعد المؤامرة التي حيكت ضد الملك.

المؤامرة ضد ملك الفرس:

تجمع المصادر التاريخية على القول بأن بيسس Bessus كان في قلب المؤامرة التي حِيكت بعد تقهقر المدن العليا، كان دارا Daruis بالفعل في ذلك الوقت رهينة في أيدي حاكم باكتريا Bactria الذي كان يملك التحكم الكامل في فيلق الفرسان كوينتس كيرتس Quintus Curtius 4.10.5.12؛ 12.6، وفي معالجته لهذا الموقف، كان دارا Daruis بمقدرته على الاعتماد بصفة أساسية على أرتابزاس Artabazus «الأقدم بين أصدقائه» 4.9.1 الذي حاول بدوره تنظيم دفاعاته 4.9.13 بمساعدة الفيلق الفارسي 9.16، وجنود يونانيين مرتزقة ممن كانوا يخشون انتقام الإسكندر Alexander ، ومن الآن فصاعداً، كان هناك معسكران وجيشان وجهاً لوجه، وبمجرد الإعلان عن تقدم الإسكندر Alexander بدأت المؤامرة تطفو على السطح: قام المتآمرون بوضع دارا Daruis رهن

الاعتقال، ويبدو من الوهلة الأولى أن الهدف الرئيس لهؤلاء المتآمرين هو تسليم دارا Daruis للإسكندر على أمل الحصول على مكافآت كبيرة كوينتس كيرتس Quintus Curtius 4.5.2؛ 12.1؛ أريانArrian 3.21.5.30.4 ، لكن كانت تساورهم الشكوك خشية أن يكون الملك المقدوني يعد لقتل دارا Daruis وإذلال باكتريا Bactria بالجيوش التي قدم بها من بلاده» 4.10.6، كانوا يستندون إلى القوات الاحتياطية الموجودة في باكتريا Bactria ، «وتوقعوا أنأن يستردوا الإمبراطورية لو نجحوا في السيطرة على هذا الإقليم» 4.10.4، وربما يكون أريان Arrian الأقرب إلى الحقيقة عندما يعرض خطة بيسس Bessus والمتآمرين معه كالآتي: كانت نيتهم تتمثل في «الاحتفاظ بقوتهم بشكل عام» 3.21.5، ويلزمنا أن نفهم هنا أن أية فكرة عن هجوم مضاد كانت مستبعدة تماماً من ناحية، ومن ناحية أخرى ستكون العمليات تحت القيادة المشتركة لكل من بيسس Bessus وبارسينتز Barsaentes ونابارزينز Nabarzanes 3.30.4.

ومع ذلك، كانت مكانة بيسس Bessus هي المتفوقة عليهم، ووفقاً لما ذكره أريان Arrain فإن «بيسس Bessus اعترف به قائداً من قبل كل من سلاح الفرسان في باكتريا Bactria والبربر الذين فروا مع دارا Daruis ، ولم يعترف بقيادته سوي أرتابزاس Artabazus وأبناؤه وجنود المرتزقة اليونانيون، لكن بيسس Bessus كان هو القائد في تلك اللحظات نتيجة لعلاقته بدارا Daruis ؛ ولأن الأحداث تجري على أرض الإقليم الذي يحكمه» 21.4.5، هذه هي الظروف التي أحاطت بالقرار الذي اتخذه بعض الفرس، الذين كانوا بين حاشية دارا Daruis ، بتغيير ولائهم للإسكندر 21.1، ولم يستمر الاتفاق الذي أُبرم بين المتآمرين إلا قليلاً، حيث قام كل من بارسينتز Barsaentes ونابارزينز Nabarzanes باغتيال ملك الفُرس وهربوا بصحبة المئات من الفرسان 21.10، وعاد

بارسينتز Barsaentes إلى مدينته معتقداً أنه بإمكانه تنظيم مقاومة يستفيد منها، وبعد ذلك قدم نابارزينز Nabarzanes برفقة ضباط آخرين كانوا تابعين لدارا Daruis «من ذوي المكانة والمستوى الرفيع»، من أجل الاستسلام للإسكندر 23.4، ومن جانبه، وصل المتآمر الثالث بيسس Bessus إلى باكتريا Bactria بصحبة قواته وآخرين من الفرس، ونودي به ملكاً للفرس تحت اسم أرتاكسركسيس Artaxerxes 25.3؛ ديودورس Diodorus وكوينتس كيرتس Quintus Curtius 7.6.13، وبرغم إعلان تنصيب حاكم باكتريا Bactria ملكاً للفرس، فإن اغتيال دارا Daruis جسّد بشكل نهائي انتهاء السلالة التي حكمت الإمبراطورية.

6- سقوط إمبراطورية:

بمجرد اعتبار المؤرخ أن عامل «التدهور» في تفسير الأحداث يجب تنحيته جانباً بصفة دائمة، سيجد نفسه في حيرة عندما يتطلب الأمر الكشف عن مسببات وجذور حدث ما تجسيداً للمشهد كما حدث في سقوط الإمبراطورية، أما المعنى الرمزي الخطير الذي تحتويه هذه العبارة فإنه يصف مدى المسؤولية التي تقع على عاتق المؤرخ، لكن هذه الحقيقةِ لا تَجْعلُ من مهمته شيئاً مخيفاً.

رمح شجرة القرانيا Cornelood :

من الضروري هنا أن نتحفظ على القول بأن الإمبراطورية سقطت أساساً بسبب هزيمة الجيوش الملكية، والأخرى الموجودة في الأقاليم جميعاً في معارك جرانيكس Granicus إسوس Issus وجوجاميلا Gaugamela ، وجد ملك الفُرس نفسه غير قادر على تفادي الاشتباك العسكري، أو تحديدا، لم تفلح أي من محاولاته في تحقيق أهدافها، ففي عام 334، كان دارا Daruis يملك التفوق البحري، وأعطته جيوشه وموارده المالية قوة ضاربة لا يستهان بها، وفي ذلك الوقت، لا يعقل أن

يكون هناك تحدٍ لقـوة الملـك ورباطـة جأشـه وقدراتـه الاسـتراتيجية والعسـكرية، وارتباط مسؤولي الدولة بالأسرة الحاكمة، ومن أجل أن نقدم تفسـيراً للهـزائم التـي تعرض لها الفُرس يمكنا أن نستشهد بسلسـلة كاملـة أو أقـل أو أكـثر مـن الأسـباب العسكرية، أريان Arrian يقدم تفسيراً للهزيمة في جرانيكس Granicus كالآتي: «لم يتفوق رجال الإسكندر Alexander في هذه المعركة بسبب قوتهم وخـبرتهم فقـط، لكن أيضاً لأنهم كانوا يقاتلون برماح مصنوعة من شجر القرانيا مقابل رماح الفُـرس القصيرة» 1.15.5، وهذا بدوره يفسر السـبب -كـما يـذكر ديـودورس Diodorus ، الذي جعل دارا Daruis ، أثناء إعداد جيشه في مدينة بابـل بـين عـامي 331، 332 «يطـور السـيوف والرمـاح بعيـداً عـن النظـام القـديم، حيـث أدرك أن الإسـكندر Alexander اكتسب ميزة عظيمـة في هـذه الناحيـة في معركـة سـيليكا Cilicia »، ورغم ذلك، حتى لو تكلمنا على نحو مجازي، يعارض المؤرخ حصر هزيمة الفُـرس في هذه المعركة بسبب الرمـاح المقدونيـة الطويلـة، لأن مثـل هـذا التفسـير التكنـيكي المجرد محبط لدرجة كبيرة، حتى لو أخـذنا في الاعتبـار تفـوق الجـيش المقـدوني في قدرته على المناورة والرؤية الواضحة، إذا لم نقل عبقرية قائده .

ويمكننا أن نضيف -وهذا بـالطبع الأكـثر أهميـة- أن الإمبراطوريـة لم تكـن مستعدة للتحدي العسـكري والاسـتراتيجي الـذي فرضـه الإسـكندر Alexander عليهـا، وقـد أثبتـت الغـزوات التـي قـام بهـا أجليسـوس Agesilaus أن الفضـاء الإمبراطوري كان يمكن اختراقه بصورة نسبية، وعلى أية حال فإن الحذر والعوائق العسكرية التي فرضت عليه بعد إسبرطة Sparta منعته من إثارة المنطقـة كلهـا وتحطيم ولاء فرس آسـيا الصـغرى للسـلالة الحاكمـة، وبالتـالي، وبسـبب هـذه القيود -كما رأينا من قبل- فشلت محاولة أجليسوس Agesilaus انظـر الفصـل 5/15، ومع ذلك، فبمجرد أن قـرر العـدو شـن الحـرب عـلى جيـوش وحاميـات

الإمبراطورية الفارسية وربح موضع قدم ثابت في آسيا الصغرى، وكان من الصعب طرده، أصبح هو الآن الشخص القادر على الاستفادة من التنظيم الذي يتصف به الفضاء الاستراتيجي للإمبراطورية الفارسية فيما يخص الحصون الأموال والمخازن، وهي الأماكن التي من خلالها يستطيع أعداء الملك الحصول على إمدادات ضخمة من الأموال والموارد التي يعتمدون عليها في الدفاع عن الأقاليم الإمبراطورية انظر الفصل 2/9، ولو حدث أن انتصر الفُرس في معركة برية واحدة لتمكنوا من وضع حد للهجوم المقدوني؛ لذلك عدنا مرة أخرى إلى نقطة البداية: بمجرد تجميع كل هذه التفاصيل ووضعها في حجة متماسكة أو على الأقل حجة ذات مصداقية ستمكننا من معرفة كيف خسر الملك وحكامه على الأقاليم المعارك التي خاضوها، لكن يبقي السؤال الأساسي: لمذا خسر دارا Daruis الحرب؟

قوة الفُرس الملكية والإمبراطورية متعددة الثقافات:

يجب علينا هنا أن نلقي الضوء على الصفة الغريبة التي اتصف بها الهجوم المقدوني، فلأول مرة في تاريخها تجد الإمبراطورية الفارسية نفسها في مواجهة عدو مصمم على خوض الحرب للنهاية -أي حرب للغزو- علاوة على ذلك، أدرك العدو أن الانتصار في معركة ليس كافياً لخلع ملك قوي جدًّا؛ وأدرك أيضاً أن الحرب يمكن أن تتواصل بوسائل أخرى، وكان الإسكندر Alexander الذي يملك نظرة الخبير لحالة الإمبراطورية الفارسية، بعد كل انتصار، يحاول بكل الوسائل تحقيق نجاحات سياسية مستغلاً الضعف الهيكلي في بنية الإمبراطورية الفارسية، واتضح هذا الضعف جليًّا من خلال سلوك النخب المحلية -طالما لم نسئ فهم تصرفهم- وعلى النقيض مما كانت تروج له الدعاية المقدونية، فإن قادة الأقاليم الخاضعة للحكم الفارسي لم يكونوا يتلهفون شوقاً في انتظار المحرر، ولم يكن يوجد في أي بلد في الإمبراطورية -لا

بابل ولا مصر- من يموج بوعي وطني كبير يدفعه نحو رغبة لا تقاوم في الاستقلال، وفي الحقيقة، فإنه في كل دولة من هذه الدول والدول الأخرى، بقيت الشعوب فيها متمسكة بعاداتها وتقاليدها، وتهتم بذكريات ماضيها المجيد، ويلزمنا هنا لفت الانتباه إلى فروق متعددة، ففي حالة مصر -التي عادت لنظام الحكم الفرعوني على مدى جيلين- لا يمكن تشبيهها بحالة بابل، حيث كان يمثل الوجود الملكي فيها دليلاً على رسوخ الوجود الفارسي، ولا يمكن مقارنتها بصوصانيا Susiana التي ارتبطت إلى حد بعيد بتاريخ مشترك طويل مع فارس، على أية حال، لم يكن قادة تلك الدول سُذَّجاً لدرجة أن يصدقوا أن الغزو المقدوني يجسد عودة بابل ومصر إلى سابق عهديهما قبل غزو ملك الفُرس قورش Cyrus ، فهو مجرد اختيار بين سيد وآخر، وأخيراً، فإنه على مدى أكثر من قرنين من الخضوع/ التعاون بَنَت شعوب تلك الدول علاقات وثيقة مع الفُرس واستفادوا من النظام الإمبراطوري، وباختصار، لم يكن سقوط الإمبراطورية الفارسية نتيجة لسخط الشعوب الخاضعة للحكم الفارسي ونخبه الحاكمة.

ويرجع ضعف الإمبراطورية -فيما يخص الغزو المقدوني- إلى القوة التي ربطتها بإحكام طوال الفترة الممتدة من حكم قورش Cyrus إلى دارا Daruis الثالث، ولم يحاول الفُرس أبدا الاعتداء على التقاليد التي اعتادت عليها الشعوب الخاضعة لحكمهم: فالإمبراطورية متعددة القوميات بقيت متعددة الثقافات، كما يتضح لنا -على سبيل المثال- بواسطة تنوع اللغات فيها بصورة رائعة ديودورس Diodorus 53.4 ، لكن، حتى لو حققت الوحدة السياسية واندماج شعوب الإمبراطورية إنجازات متميزة متعددة الثقافات، يبقي الوضع الاساسي، فاليوناني يشعر بأنه يوناني يتحدث اليونانية، والمصري يشعر أنه مصري يتحدث المصرية، وهكذا، وكذلك بالنسبة للبابليين والشعوب الأخرى، التي

من بينها الفرس، الذين لم يحاولوا نشر لغتهم أو فرض دينهم، وعلى النقيض من ذلك، وطوال تاريخهم، برهن الملك والفُرس معاً على رغبتهم في الحفاظ على خصوصيتهم متعددة القوميات، وبالتالي، فإن وحدة الامبراطورية اكتملت بوسائل شخصية فائقة لا يمكن مجاراتها في أيدى ملك الفرس؛ لذلك لم يترك الإسكندر Alexander فرصة إلا وحاول القبض على دارا Daruis بشخصه بعد كل معركة، وبالطبع بذل الملك الفارسي كل جهده للهروب من أيدى عدوه لأن ذلك واجبه، وكلا الهدفين يدلل على هشاشة النظام الذي كان واضحاً، بأي مستوى، على الجانب المقدوني .

ومن هنا، بينما كانت أيديولوجية الملك سارية المفعول في الوسط، لم تكن أيديولوجية الإمبراطورية موجودة بالفعل، حتى مع انتشار الصور الملكية بوسائل مثل الأختام، العملات، وبواسطة القصاصين الشعبيين الذين كانوا يروون تاريخ الحاشية من أرض إلى أرض، ووجدنا أمثلة لذلك عند كل من إليان في كتابه المزيج التاريخي، وفي Ether, Judith وفي حكاية الأهيقار Tale of Ahiqar ، وبعبارة أخرى، لم تكن هناك هوية فارسية جمعت بين شعوبها، بكل تنوعهم، للنهوض والدفاع عن بعض المبادئ المشتركة، وفي أنواع أخرى من الدول -على سبيل المثال- فإن الهزيمة في معركة لا يعنى انتهاء مجتمع بأكمله، فمن الممكن أن يشن ذلك المجتمع حرباً على مؤخرة جيش العدو، ومع ذلك، فإن مثل هذه الاستراتيجية تفرض على الإمبراطورية الفارسية شروطاً غريبة عليها، وعلى النقيض من ذلك، فإن الهياكل السياسية والإمبراطورية التي نظمت وحكمت الأقاليم والشعوب، ربطت مصير الإمبراطورية بمصير الأسلحة، الشيء الذي سريعاً ما أقنع النخب في الأقاليم بالانضمام إلى الغازي والعمل تحت إمرته، وبمجرد هزيمة الجيش الملكي، وجد القادة المحليون أنفسهم أمام اختيار بسيط يعرفه أجدادهم منذ غزو قورش:

التفاوض مع المنتصر من أجل الحفاظ على مواقعهم داخل مجتمعاتهم، وكانت المفاوضات ملائمة للغزاة؛ لأنهم عرفوا الخصائص الأيديولوجية لهوية كل مجتمع، أي نفوذ الأماكن المقدسة والإعداد لعبادتهم التقليدية، ولم يكن الإسكندر Alexander مستعداً تماماً لإعطاء هذه الحقوق، إنما كان هو شخصيًّا يحث على ذلك .

ميثاق السلالة الحاكمة وحدوده:

علاوة على ذلك، تعامل الإسكندر Alexander بالاستراتيجية نفسها مع الفرس، وكانت الإمبراطورية الفارسية في عمق بنيتها مرتبطة بسيادة الملك الذي كان ملكاً في فارس تحيط به كل أنواع أنشطة الطبقة الأرستقراطية، التي تمتعت بشغل المناصب القيادية مع ميزات اقتصادية بكل أنواعها، كانوا -كما ذكرنا من قبل- الطبقة الاجتماعية المهيمنة، وكانوا متحدين حول السلالة الحاكمة وقيم المجتمع الفارسي، وبشكل عام، استمر النظام في تأدية وظيفته في الإمبراطورية الفارسية بشك مُرض؛ فتحليل شخصية رفيعة المستوى مثل دارا Daruis الثالث أثبت أن إدارة الإمبراطورية بقيت في معظمها في أيدى الأسرة الحاكمة، ورغم الأزمات التي تحدث من حين لآخر، لم تغير مشكلة السلالة الحاكمة ولاء الطبقة الأرستقراطية بشكل عميق أو دائم لملك الفرس، حتى أعمال التمرد في الأقاليم كانت دائماً لها أهداف محلية، ولم تكن تطمح إلى تنصيب ملك لا ينتمي إلى الأسرة الملكية، وتدلل اتجاهات الشعب الفارسي على أن فارس كانت دائماً هي قلب القوة الملكية والإمبراطورية، وأخيراً، في كل مناسبة يمارس فيها سلطته، كان دارا Daruis الثالث يمتلك نفوذاً وقوة مثل تلك التي كان يتمتع به أسلافه .

ومع ذلك، فإن صدمة التعرض للغزو تدلل على هشاشة هيكل الإمبراطورية، حيث لم يخطر ببال من صمموا هذا الهيكل مواجهة خطر بهذا الحجم وبهذا المدى، وفي الحقيقة، ففي السنوات الأولي للإسكندر

Alexander ، لم يكن هناك توجه عام بالتخلي عن ملك الفرس، ويبقي نموذج ميثرينز Mithrenes حاكم سارديس Sardis نموذجاً استثنائيًّا، وحالة يصعب تفسيرها، ورغم ذلك، فإن ما قام به هذا الرجل يكشف عن سلوك الطبقة الأرستقراطية بعد التعرض للهزيمة، خاصة ما حدث بعد جوجاميلا Gaugamela ، ورغم أن الفُرس كانوا يتكونون من قوميات متنوعة، فهم لم يكونوا متحدين في أمة واحدة، وكان ولاؤهم للملك يستند إلى علاقات شخصية، والتي بدورها يمكن نقلها إلى شخص آخر يتمتع بهيبة الانتصار، ولما تراكمت الهزائم العسكرية، شعر كل من مازوس Mazaeus وأبولتس Abulites ، بعد ميثرينز Mithrenes ، بخطر فقدان مواقعهم المهمة والمميزات الاقتصادية التي يحصلون عليها، وفي الحقيقة، كان الإسكندر Alexander يدرك حتى قبل وصوله إلى الفرس أن هزيمة الإمبراطورية الفارسية ستنشأ من الاعتماد على علاقات الدفع مقابل الخدمة التي دائماً ما وطدت العلاقات بين الملك والطبقة الأرستقراطية الفارسية، والمارسات المعروفة في التاريخ المقدوني قام بها كل من فيليب والإسكندر Alexander أريان Arrian 1.5.4؛ بلوتارخ Plutrach 8.12 ، وكان الإسكندر قادراً على خلق أجواء للمواءمة بين طموحه الشخصي ورغبة طبقة النبلاء في عدم الخوض في الاضطرابات، ورغم أن دائرة من الأرستقراطيين بقيت مخلصة للملك حتى النهاية، فإن سلوكهم لا يتناقض مع هذا التوجه العام، ولا يقاس نجاح الإسكندر Alexander بعدد الذين انضموا اليه، لكن الأكثر أهمية، قدرته على جذب الرجال إليه، مثل مازوس، وأبالتس الذين كانوا يتولون مناصب قيادية في لحظات حاسمة، وكان يمكنهم قلب موازين القوى من طرف لآخر .

علاوة على ذلك، فإن الطريقة التي دُلل بها على ولاء رجل مثل أرتبيزاس Artabazus - «الأقدم بين أصدقاء الملك»- يمكن تفسيرها على

وجهين، وبالفعل يبدو أنه لم ينوِ التخلي عن الملك، ولا يوجد هناك أدنى شك في أنه بقي على نيته هـذه، لكـن الأسـباب الـذي جعلـت الإسـكندر Alexander يعطيـه منصباً كبيراً في الإدارة أيضاً أمر ملفـت للنظـر: «لقـد قـرب الإسـكندر Alexander أرتبيزاس Artabazus وأبناءه منه، ووضعهم في مكانة رفيعة، فقـد كـانوا مـن أكـثر الشخصيات الفارسـية نفـوذاً لـولائهم مـن دارا Daruis » أريـان Arrian 3.23.7 ، وبالطبع، أريان Arrian يتحدث من وجهة نظر الإسكندر Alexander ، لكـن مـن يستطيع تخيل أنه في الفـترة بـين مـوت دارا Daruis والتغـير في موقـف أرتبيـزاس Artabazus وأطفاله، أن الأرستقراطيين الفُرس لم يدخلوا في مفاوضات مع معسكر الإسكندر Alexander ؟ وبطريقة أو بأخرى، كان أرتبيزاس قادراً على التفاوض مـع الإسكندر Alexander حول ولائه الـذي كـان في السـابق لـدارا Daruis ، وخطـط الإسكندر Alexander -مدعوماً بانتصاراته العسكرية- لإقناع الفُرس بالانضـمام لـه من خلال تقديم تنازلات لهم لا يمكن تخيلها: أراض، سلطة ونفوذ بلوتارخ، ألـيكس 34.1، علاوة على ذلك، كانت لدى الفُـرس المفـاهيم نفسـها التـي لـدى النخـب في الجيش الغازي: في أثناء تحويل ولائهم للملـك الجديـد، حيـث كـانوا لا يرغبـون في تغيير طبيعة علاقتهم التي ارتبطت بصورة تقليدية بالملك، وبالتالي، فإن «ميل الملك المقدوني نحو المشرق» وحاشيته كان الثمن الذي ولا بد أن يدفعه نتيجـة لسياسـته تجاه ايران .

مازوس Mazaeus مرة أخرى:

يبقي نموذج مازوس وأبوليتس يثـير انعكاسـات أخـرى فـوق وفـيما وراء الشكوك التي ما زالت تحيط بهم، وفي الحقيقة، يشير الـدليل المتـاح لنا بقوة أن رجلاً مثل مازوس -ذو الأصل الفارسي- الـذي كـان منـدمجاً بصور حميمة في المجتمع البابلي، وتعتـبر أسـماء أبنائـه دلـيلاً لا يمكـن ضـحده عـلى هـذه الحقيقـة، ولا يوجـد هنـاك أدنى شـك في أن الشيء

نفسه يطبق على أبوليتس في صوصا، كل منهما يمثل نموذجاً بشريًّا وسياسيًّا: الفُرس الذين بنوا علاقات متينة مع النخب في البلاد التي حكموها رغم أننا في الحالة الثانية لدينا نموذج بابلي مقارب للثقافة الفارسية، وهو ابن أبولتس واسمه Oxathres ، وبالنسبه للنوع المثالي للطبقة المتجانسة متعددة الثقافات والقوميات، ربما ينظر لذلك النموذج على أنه نموذج لفشل السلطة الفارسية، لكن دائماً ما تتناقض الحقيقة التاريخية، فالحفاظ على الهيمنة الفارسية كان مرتبطاً بالعلاقات الشخصية، وبتمكين غير الفُرس في المناصب القيادية، أولئك الرجال، الذين كانوا دائماً يعتبرون من الفُرس، وكانوا يعتبرون أنفسهم كذلك بكل ما يحمله المعنى السياسي للكلمة، كانوا في الوقت نفسه دليلاً على نجاح المشروع الإمبراطوري، وبحكم موقعهم كوسطاء في نقل الثقافة، كانوا رمزاً، بل وساعدوا في إنشاء النخبة الحاكمة، وللمفارقة، فإن جذور هذه الطبقة وتكوينها فضل وجود الحكم الفارسي، وفي هذا السياق أيضاً، سمح التحدي الخطير الذي فرضه الغزو المقدوني لتناقضات الإمبراطورية الفارسية بأن تطفو على السطح، فلو افترضنا أننا نفهم الموقف بشكل صحيح في بابل عام 331 عقب الهزيمة في جوجاميلا Gaugamela ، فيمكننا أيضاً تخيل أن انضمام كل من مازوس Mazaeus والنخبة الحاكمة في بابل إلى الإسكندر Alexander كانا منسقين معاً، وشمل ذلك مفاوضات ومناقشات بين حاكم بابل وأصدقائه وأقربائه في المجتمع البابلي، فعلي الأقل يمكننا تخيل هذه الفرضية.

بيسس في باكتريا Bessus in Bactria :

أخيراً، دعونا نعود لقضية بيسس Bessus الكبيرة، فلسوء الحظ، ليست لدينا خلفية عن تاريخه، لكن تربطه بدارا Daruis رابطة قرابة، والشيء الذي جعل الملك يعينه حاكماً لبكاتريا Bactria -التي تعد واحدة من أغني وأقوي مناطق الإمبراطورية الفارسية- أريان Arrian 3.21.5 ،

ولم يؤثر إعلانه عن تنصيب نفسه ملكاً على سلطته، وعلى الجانب الآخر، من الجدير بالذكر توضيح كيف هيمن على إدارة المؤامرة: وتم تنصيبه قائداً بواسطة الفيالق العسكرية التابعة له، الذين شكلوا جيشاً بديلاً، خلال الأسابيع القليلة الأخيرة لدارا Daruis ، كان بيسس Bessus ينوى تحويل الإقليم الذي يحكمه إلى حاجز دفاعي، جاعلاً من نفسه القائد، ووفقاً لما ذكره ديودورس Diodorus 74.1، «بسبب شهرته في إتقانه لفن الإدارة، وجه بيسس Bessus الدعوة لشعبه بأن يهب مدافعاً عن حريته»، ويجب ألا ننظر لهذه الأحداث على أنها تدفع في طريق «حرب القومية» التي ستمهد الطريق بشكل نهائي إلى استقلال دائم لباكتريا Bactria ، وفي كتبه التي تناولت تاريخ Diadochi يستخدم ديودورس Diodorus العبارة نفسها: عندما قدم Seleucus لخلق موطئ قدم له في بابل، «خرج غالبية السكان لمقابلته، وأعلنوا تأييدهم له، ووعدوا بالوقوف إلى جواره» 20.91.1، ويقدم وصفاً لبيوسيتز Peucetes الذي عينه الإسكندر Alexander حاكماً لفارس بالطريقة نفسها: على النقيض من أكثرية القادة المقدونيين، فإنه تعلم اللغة الفارسية واتبع كل التقاليد الفارسية مما «أكسبه تواصلاً رائعاً مع السكان» 20.14.5، حتى إن أنتيجونس Antigonus أورد أن «بيوسيتز Peucetes كان يتمتع بعلاقة قوية مع السكان الفرس»، وأضاف أنتيجونس Antigonus في محاولة لخلع بيوسيتز Peucetes : «كان من القادة البارزين، حتى إنه قال بصراحة إن الفُرس لن يطيعوا أحداً بعده» 20.48.5، ويمكننا بسهولة ذكر عدد من الأمثلة في عصر Diadochi التي تجسد طموح بعض القادة المقدونيين الذين رغبوا في بناء نفوذ شخصي نابع من دعم بلد وشعب بنوا معه الثقة وعلاقات التعاون الثقافي، تلمح العبارة التي ذكرها ديودورس Diodorus إلى أن هذا كان طموح بيسس Bessus في باكتريا، ومن هذه الناحية، فبعد وفاة ملك الفرس، كان بيسس Bessus يتصرف بشكل قريب مما كان عليه Diadochi بعد وفاة

الإسكندر Alexander ، وهذا التحول كان مفهوماً في مهده من قبل أشخاص مثـل مازوس Mazaeus الذي كانت تربطه علاقات حميمة بالنخب الحاكمة في الأقاليم، ومع ذلك، ففي عام 334، لم تَطفُ المشكلة على السطح، ويكفي النظـر إلى موقـف Artabazus وأسرته لكي ندرك أنهم لم يلقوا بالاً لمـدى قـوة علاقـتهم بالشـعب، ولم يقللوا -على الأقل- من الولاء الفارسي والإمبراطـوري لرجـال الملـك، وبالتـالي بقيـت الطبقة الاجتماعية المهيمنة على مقاليد الأمور، وقد عرفنا من قبل طبيعـة تكوينهـا تحت حكـم دارا Daruis الثالـث، متحـدة حـول الملـك والسـلطة الفارسـية، لكـن الوضع الجديد الذي خلقه الغزو المقدوني جعـل النـاس ينضـمون بصـورة متتابعـة لمعسكر المنتصر.

الخاتمة

من نابونيدوس Nabonidus إلى

سيلويكوس Seleucus

تحتل الفترة الأخمينية مكانة خاصة في تاريخ الشرق الأدنى القديم؛ حيث إنه وللمرة الأولى تم توحيد البلاد التي كانت لا تزال حتى ذلك الوقت مقسمة بين ممالك متصارعة في دولة موحدة تمتد من نهر الهندوس شرقاً إلى بحر إيجة غرباً؛ وعلى مدار التاريخ الطويل لهم، كانت هذه هي المساهمة الأساسية التي أسهمت بها فتوحات كل من قورش Cyrus وقمبيز Cambyses ؛ حيث إن الاستيلاء المتتالي على كل من إكباتانا، سارديس، باكترا، بابل، ومنف كان يمثل دمجاً لهذه الممالك في إطار أوسع وهو الإمبراطورية؛ ومهما كان ما يدعيه البعض أحياناً، فإن هذه الإمبراطورية الجديدة لم تكن مجرد واجهة؛ فقد اختفت الممالك القديمة، وقام أباطرة فارس بالظهور بالمظهر نفسه لكل من نابونيدوس Nabonidus وبسماتيك Psammetichus في كل من بابل ومنف لأسباب عديدة؛ وعلى الرغم من ذلك ففي ذلك الوقت نفسه أو بعد تأخير ضئيل في بابل تم تحويل كل من بابل ومصر إلى مرزبانيات يحكمها مرزبان كان يشغل منصبه هذا ويصدر قراراته بناءً على أوامر مباشرة من الملك الأكبر الفارسي؛ وهذا ينطبق أيضاً على كل من باكترا وسارديس بغض النظر عن التنظيم الإداري الذي كان موجوداً قبل ذلك في هذه الأقاليم؛ ولقد ظلت ميديا والميديين على الأقل في عهد أباطرة

فارس الأوائل تتمتع بمكانـة خاصـة في الإمبراطوريـة؛ ولم يـتم إنكـار أو محاربـة التقاليد أو العادات القديمة في أي من: بابـل، مصر، ميـديا، أو إيـلام؛ بـل -وعـلى العكس من ذلك- تم دمج كل منهم في القوة الديناميكية لبنية الدولة الجديـدة؛ وهو الأمر الذي اتضح على وجه الخصوص من خلال تحليلنا للفنون التـي كانـت موجودة في البلاط الأخميني، حيث إن هذه الفنون لم تكـن مجـرد مجـاورة بـين العنـاصر الفنيـة السـابقة التـي كانـت موجـودة في الشرق الأدنى، ولكنهـا كانـت تكويناً جديداً تماماً، والذي ساهم فيـه التنـوع الأسـلوبي والصـوري -بـدلاً مـن أن يؤثر بالسلب على الوحدة الكلية- في تعزيز هذه الوحدة للعمل بشكل متكامـل على تمجيد السلطة غير المحدودة للملك الأكبر الفارسي؛ وبالطريقـة نفسـها فإننـا يمكننا بسهولة أن نكتشف العديد من العناصر في إطار الأيديولوجية الملكية التي يمكننا أن نجد لها نظائر في المملكتين الآشورية-البابلية والإيلامية الملك المحارب - الملك الزارع - الملك العادل؛ ولكن قد تـم دمجهـا في أيديولوجيـة جديـدة كانـت العناصر الإيرانية والفارسية -والتي توجد في القلب بالنسبة لهـذه الأيديولوجيـة- هى القوة الدافعة لها، ودعونا نسترجع على سبيل المثال الدور المركزي الـذي تـم منحه للإله أهورا-مازدا، ومن بعده أناهيتا وميثرا؛ وتنطبق هذه الملاحظات أيضـاً على نظام الجزية الذي وضعه دارا Darius ، حيـث إنـه تمـت صـياغته اعـتماداً على كل مـن الحقـائق التـي تمـت ملاحظتهـا في الفـترات السـابقة والإصـلاحات الضريبية الأولية التي قام بها مـن سـبقوه؛ ولكـن بفضـل السـلطة التنظيميـة التي كان يعتمد عليها والتي كانت المحرك لهذا النظام، فإنه مضى لما هو أبعد من مجرد الاستعارة من الممارسات المحاسبية؛ وهذا الموضـوع العـكسي الـذي يختزل البنية الأخمينية في مجرد استعارات من الممالك السـابقة يعتمـد -كـما يبدو لي- على خطأ تاريخي، وخطـأ في الطريقـة المتبعـة؛ ولـذلك فقـد كتبـت

بالفعل عن الإسكندر Alexander منذ عدة سنوات؛ وأتمنى أن يسامحنى القارئ على أنني أستشهد بنفسي: «في الحقيقة هناك خطورة كبيرة في عزل بعض المكونات أو التركيبات التي يفترض أن الإسكندر Alexander قد استعارها، حيث إننا لا نستطيع أن نعزل بنية تاريخية عن النظام الكلى من الأمثلة الأيديولوجية، كما أن النظام الكلى أكبر من أن يكون مجرد مجموع الأجزاء المكونة له»؛ فالشيء الذي ينطبق على الإسكندر Alexander فيما يتعلق بالأيديولوجية الأخمينية ينطبق أيضاً على قورش Cyrus وقمبيز Cambyses وخلفائهم فيما يتعلق بالبنى التنظيمية للممالك التي سوف يبتلعونها حرفياً تماماً كما تبتلع كرات الدم البيضاء البكتيريا؛ حيث إن الإمبراطورية كانت في الحقيقة عبارة عن كائن عضوي أحادي الخلية، والذي نما وتكاثر عن طريق امتصاص وابتلاع خلايا متفرقة معادية، والتي تعاونت مع بعضها البعض بعد ذلك في إطار ديناميكية خلوية جديدة.

ولضمان استمرار حكمهم وسلطتهم، كان أباطرة فارس يعتمدون أولاً وبشكل أساسى على تأييد ودعم طبقة النبلاء الفرس؛ ولقد كانت كل أسرة من الأسر في إطار طبقة النبلاء تتمتع بميزة الوصول إلى مناصب ومراكز معينة في السلطة والتي كانت تتميز بإمكانية حقيقية للقيام بالمبادرة، وذلك تحت توجيه الملك الأكبر؛ ولقد أشرت الى هذه المجموعة بشكل متكرر -بما في ذلك في هذا الكتاب- على أنها الطبقة الاجتماعية-العرقية المسيطرة، والتي كانت تربطها بالملك علاقات غير متكافئة كانت تقوم على تبادل الهدايا والخدمات؛ ولقد استمر العمل بهذا النظام على مدار التاريخ الأخميني حتى خلال فترة حكم دارا Darius الثالث، ويرجع ذلك إلى أن هذا النظام كان يخدم المصالح المشتركة لكل من الأسرة الحاكمة والطبقة الأرستقراطية الحلف الملكي؛ وفي الوقت نفسه فإن أباطرة الفرس لم يمنعوا وصول النبلاء

المحليين إلى دائرة السلطة، بل على العكس من ذلك، حصل ممثلو هذه الطبقة على مناصب في تسلسل السلطة الإمبراطورية، ووصلوا في بعض الأحيان إلى مستويات عالية؛ وبالتوازي مع هذه المعاملة من جانب أباطرة الفرس للموظفين المحليين في الأقاليم الخاضعة، اعترفت السلطة المركزية أيضاً بأشكال التنظيم المحلية سواء كانت الأسر الحاكمة المحلية أو الهياكل أو الأديان المحلية؛ والشرط الوحيد للاعتراف بالتقاليد المحلية كان يتمثل في التزام طبقة الصفوة المحلية بأهداف وأساليب السلطة الفارسية؛ والتي كانوا يعملون كوكلاء محليين لها، وكنقاط اتصال لا غنى عنها؛ وعلى الرغم من ذلك فإن الملك الأكبر لم يتردد في اتخاذ إجراءات حاسمة ضد الشعوب التي كانت تعلن التمرد على سلطته دروجا، والتي تم تحديدها منذ عهد دارا Darius الأول من خلال التساؤل حول مفهوم الملك الأكبر الذي كان ممثلاً ومدافعاً عن قيم العدالة والصدق أرتا، وهي القيم التي يمجدها الإله أهورا-مازدا.

وفي تكرار للتعبير المبتذل نفسه، كانت الإمبراطورية تتميز بكل من الوحدة والتنوع؛ ويمكننا ملاحظة هذا بشكل خاص من خلال سماتها وخصائصها الثقافية والذي يعد هذا العدد الكبير من اللغات والأديان من أفضل الأمثلة عليها؛ لذلك فإنه من الصعب جدًّا القيام بتحليل التطور الكلى للإمبراطورية الأخمينية، حيث إنها سوف تتوقف بدلاً من ذلك بالتأكيد على قدرة الإمبراطورية على دمج الأقاليم الخاضعة لها في الكيان الكلي لها، ونشر الاتجاهات والأساليب المتبعة في البلاط المركزي في باقي أجزاء الإمبراطورية؛ ونتيجة للأسباب التي ناقشناها للتو، فإن هذين الجانبين ليسا منفصلين بالضرورة؛ فعلى مدار التاريخ الأخميني الطويل أدى إنشاء مستوطنات للفرس المغتربين في أقاليم الإمبراطورية المختلفة إلى الإسراع من عمليات الدمج للشعوب الخاضعة في الثقافة الفارسية حتى في الوقت الذي لم تكن فيه هذه

العمليات مقتصرة على الفرس وعلى طبقات الصفوة في الشعوب المحلية؛ فلقد أدت الزيجات المختلطة وأشكال عديدة من التواصل الشخصي راجع أرتابازوس Artabazus مرزبان فريجيا الكبرى إلى إنشاء علاقات أوثق وأوثق بين الفرس وبين سكان الأقاليم الخاضعة لهم، والتي يمكن أن يتم توضيحها -على سبيل المثال- من خلال ترقية بعض الأفراد من غير الفرس إلى مناصب القيادة بلسونو Bel-Sunu ، أو من هؤلاء الذين نشأوا في ظل ثقافتين أبوليتيس Abulites ، أو هؤلاء الذين لا يزالون يشاركون في ثقافتين مازيوس Mazaeus ، أورونتوباتيس Orontobates ؛ ولا يبدو أن هذا التطور قد أدى إلى تهديد وحدة الإمبراطورية، بل -على العكس من ذلك- أدى إلى إنشاء طبقة إمبراطورية مسيطرة، والتي لم تكن تقتصر فقط على العنصر الفارسي؛ وفي الوقت نفسه، فإن قادة الأقاليم المختلفة للإمبراطورية ومهما اختلفت أصولهم كانوا يعتبرون أنفسهم من الفرس بالمعنى السياسي؛ حيث إن الفرس بالمعنى السياسي هم هؤلاء الأشخاص الذين تربطهم بالملك الأكبر تلك العلاقة غير المتكافئة نفسها التي تقوم على تبادل الهدايا والخدمات، هذا بالإضافة إلى المصالح السياسية والمادية المشتركة؛ حتى الأشخاص الذين يولدون نتيجة زيجات مختلطة يمكنهم أن يحصلوا على منزلة فارسية كاملة راجع داتاميس Datames ، وعلى الرغم من أن هذا كان امتيازاً منحه الملك راجع هيرودوت Herodotus ، الكتاب السادس، فقرة 41، وهذا على غرار إجراء مشابه لذلك الإجراء الذي قام من خلاله الملك السيلويسي Lewis بمنح شرف حمل اسم يوناني إلى رجل من أصل بابلي؛ وأميل إلى الاعتقاد بأن هذا التطور يفسر حالة التوازن التي كانت تتسم بها الإمبراطورية عندما قام الإسكندر Alexander بغزوها؛ وأنا لا أقصد -وبصورة واضحة- أن أنقل من خلال استخدام عبارة «حالة التوازن» صورة عن تعاون سلمي متواصل بين السلطة المركزية والشعوب الخاضعة لها

راجع الثورات، ولكنى أريد بدلاً من ذلك التعبير عن رغبة سياسية لدى السلطة المركزية على المدى الطويل في التغلب على الصراعات التي لا يمكن تحاشيها في إطار الديناميكية الإمبراطورية التي تم تأسيسها على كل من سيادة الفرس وتعاونهم مع الطبقات الحاكمة المحلية؛ وهكذا فإن النصر المقدوني لا يقدم أي أساس لاستنتاج حدوث «كارثة» للإمبراطورية الأخمينية في عام 334، وكذلك أيضاً فهي لا توفر أي أساس لتأييد الزعم القائل بانحلال الإمبراطورية على مدار القرن الرابع؛ وللتعبير عن ذلك ببساطة، يمكننا القول بأن نشأة وطبيعة الفتح المقدوني منعت الإمبراطورية الأخمينية من التحول إلى دولة تتكون من أمة واحدة، والتي كانت ستتمكن من تعزيز نفسها من خلال المعايير الأيديولوجية التي كانت مشتركة بين جميع شعوب الإمبراطورية على الرغم من التنوع الذي كانت عليه.

وبالنظر إلى الغزو المقدوني في إطار التاريخ الأخميني الطويل، نجد أن هذا الغزو يتسم بخاصيتين متناقضتين؛ فمن ناحية كانت الفترة القصيرة التي بدأت بوصول الإسكندر Alexander مجرد امتداد للتاريخ الأخميني الطويل، ومن المنظور السياسي نجد أن هذه الحقيقة تقوض بدرجة أكبر من تلك النظرية عن «الانحطاط الأخميني»؛ حيث إن الفاتح المقدوني قام في الحقيقة -وبما يخدم مصالحه وأهدافه- بتبنى المبادئ وطريقة التنظيم الخاصة بإمبراطورية تختلف تركيباتها ومؤسساتها اختلافاً كليًّا عن تلك المعروفة في منطقة البلقان التي جاء منها هذا الفاتح؛ ويظهر أحد الأدلة -وهو عبارة مؤلف «أوكونوميكا» لأرسطو المزيف Pseudo-Aristotle والذي نعتقد أنه قد تم جمعه خلال الربع الأخير من القرن الرابع في آسيا الصغرى- أن الاقتصاديات الملكية والمرزبانية كانت بالنسبة لليونانيين تمثل شكلاً من أشكال تنظيم الجزية والتي لم تتمكن أية دويلة يونانية من تحقيق تنظيمات مماثلة لها باستثناء واحد فقط هو أثينا التي

قامت خلال القرن الخامس باستعارة الكثير من ملامح النموذج الأخميني؛ وهذا هو الإطار الذي يجب أن نبحث فيه -إلى حد كبير- عن أسباب الغزو المقدوني؛ وكما يُذكر غالباً، فلقد قام الملك فيليب Philip الثاني أبو الإسكندر Alexander بالاستعارة من العالم الأخميني؛ ولكن في ذلك الوقت لم تكن تلك سوى استعارات متفرقة، والتي لم يتم إعادة دمجها في ديناميكية كلية موحدة؛ ولقد فُرضت عليهم هذه الديناميكية عندما قام الإسكندر Alexander بغزو الإمبراطورية الأخمينية وتدمير وامتصاص التنظيم الإمبراطوري الذي كان قد وضعه أباطرة فارس؛ ومهما كانت نوايا الملك المقدوني عندما شن هجومه الأول على الأراضي الملكية في عام 337-336، فقد أكمل ابنه هدفاً غير مسبوق في ضخامته، والذي تمثل في الانتزاع الكامل لأشكال التنظيم الإقليمية والأيديولوجية لإمبراطورية دارا Darius الثالث، بالإضافة إلى التعاون مع الطبقة الحاكمة السابقة.

وعلى الرغم من ذلك، فإن الإسكندر Alexander - بظهوره بمظهر الوريث لإمبراطورية دارا Darius الثالث- قد أثار بعض الصراعات التي لا يمكن التغلب عليها؛ فأولاً، كان بعض النبلاء المقدونيين معارضين تماماً لفكرة قبول الإيرانيين ومعاملتهم كشركاء متكافئين معهم في المنزلة؛ وعلى الرغم من كل الجهود التي بذلها الإسكندر Alexander ، والتي تمثلت في الزيجات العظيمة بين المقدونيين والإيرانيين في صوصا، إلا أنه لم ينجح مطلقاً في إنشاء طبقة حاكمة على درجة التجانس والثبات نفسها والتي كانت تتمتع بها الطبقة الاجتماعية-العرقية التي حكمت إمبراطورية دارا Darius الثالث وأسلافه؛ ولم يكن تخلى طبقات الصفوة المحلية عن دعم الملك الأكبر راجعاً بأي حال من الأحوال إلى سخط وعدم رضى عميق عن السلطة الفارسية، وإنما كان ناتجاً عن الهزائم العسكرية التي منيت بها جيوش الملك الأكبر؛ كما أن هذا الانشقاق

والتخلى عن السلطة المركزية الفارسية كان مشروطاً بقبول الحكام الجدد العميق والدائم للمعايير المحلية؛ ولقد أظهرت بالفعل فترة الغياب الطويلة للإسكندر في الهند أن المرزبانات سواء المقدونيين أو الإيرانيين -وظناً منهم بأن حملة الملك المقدوني قد فشلت هناك- قد أسرعوا إلى خرق الاتفاقات التي كان الإسكندر Alexander قد أبرمها مع النبلاء المحليين؛ وعندما توفي الإسكندر Alexander لم يكن قد تم بعد حل أي من هذه المشكلات؛ وبالإضافة إلى ذلك، فإننا يجب أن نتأمل هذا العجز المثير للسلطة المقدونية عن تنظيم عملية نقل واحدة للسلطة، وهو الأمر الذي دل على ضعف غير عادى في بنية وتركيب هذه السلطة، وهذا على العكس من المقدرة الأخمينية الرائعة على التجدد حتى في الأوقات التي شهدت أكبر وأشد الأزمات حول مسألة الخلافة؛ ونحن نعرف ما حدث لوحدة الإمبراطورية والتي تعرضت للتقسيم بشكل متزايد نتيجة للصراعات التي نشأت بين ملوك الديادوكى المتنافسين بحجة الدفاع عن الإمتيازات الملكية الخاصة بكل الورثة المزعومين لملك الإسكندر Alexander ؛ ولم تمضِ سوى بضع سنين حتى عاد الوضع السياسي في الشرق الأدنى -ومع أخذ التغيرات السياسية المتداخلة في الاعتبار- لما كان عليه قبل مجيء قورش Cyrus ، حيث تمزقت الإمبراطورية إلى عدة ممالك متنازعة؛ وسرعان ما سيقوم المشروع المقدوني -الذي كان على المدى القصير امتداداً لتاريخ الإمبراطورية الأخمينية- بحفر قبر هذه الوحدة السياسية التي تمكن أباطرة الفرس من إنشائها والمحافظة عليها طوال القرنين ونصف السابقين؛ ومن منظور السياسة الاستعمارية في الشرق الأدنى القديم، كان الإسكندر Alexander في الحقيقة هو «آخر الملوك الأخمينيين».

وفي الوقت نفسه، فإن الممالك الهلينية العظيمة كانت تمثل بشكل جزئي امتداداً للممارسات الأخمينية؛ فنحن نعرف عن بويسستيس

Peucestes الذي كان الإسـكندر Alexander قـد عينـه مرزبانـاً عـلى بـلاد فـارس، والذي حاول بشكل بارع -وعلى الرغم من اعتراضات المقدونيين الآخرين- أن يقـوم بتبني الممارسات الاجتماعية للفرس الذين تم تعيينه مرزباناً عليهم، وذلك ليحـدث نوعاً من وحدة الثقافة والمصير مع نبلاء هذا البلد؛ وعلى الرغم من أن بـلاد فـارس لم تستعد استقلالها في ذلـك الوقـت، إلا أنهـا تمثـل مخططـاً للتطـورات التـي تمـت ملاحظتها في الممالك الهلينية الأخرى في الشرق الأدنى؛ وبالإضافة إلى أدلة أخرى مثل تلك التي قدمها ديودورس Diodorus ، فإن مؤلف «النبوءة الملكية» يلمـح إلى أن سيلويكوس Seleucus قد تمكن بمساعدة زوجته الإيرانيـة «أبـامي Apame » مـن الحصول على تعاون الطبقة الحاكمة في إقليم بابـل، حيـث إنهـم مسـتائين بصـورة متزايـدة مـن الـدمار الـذي خلفتـه الحـروب المسـتمرة بـين كـل مـن أنتيجـونس Antigonus ويومينيس Eumenes في جميع أنحاء بابل؛ ولقد تم الاعتراف بسلطة سيلويكوس Seleucus في بابل «كملك للأراضين» وليس كفـاتح أجنبـى، ولقـد قـام بتوظيف الاسـتراتيجية الأيديولوجيـة والسياسـية التـي قـام أبـاطرة فـارس باتباعهـا بإخلاص شديد لخدمة مصالحه وأهدافه الخاصة.

ومهما كانت روعة وعظمة المشروع السيلويسي ، فلقد كان ضئيلاً جـدًّا مقارنـة بالإمبراطورية الأخمينية، ولقد وجدت نفسـها في إطـار ظهـرت فيـه مـرة أخـرى -وفي وقت واحد- جميع النزاعات والعداءات التقليدية مع مصر، وتزايدت فيه أيضاً جميع الاتجاهات المركزية الطاردة والتـي أطلقتهـا وفـاة دارا Darius الثالـث ثـم الإسـكندر Alexander من بعده؛ وهذا هو ما نراه أيضاً على سبيل المثال في كبادوكيا وأرمينيـا، حيث اختفى الأخمينيون في هـاتين المرزبـانيتين بـأسرع مـن أي مكـان آخـر، حيـث أسرع المرزبانات الموجودون بإنشاء ممالك منفصلة هنـاك، والتـي تـرتبط بعلاقـات وثيقة وهو الشيء الذي حرصوا عـلى التأكيـد عليـه مـع الأسرة الأخمينيـة؛ وفي أحـد

النقوش اليونانية-الأرمينية الذي تم اكتشافه في «أجاسا كالي»، نجد مجموعة من الرجال الذين يحتمل أنهم كانوا ينحدرون مباشرة من نسل أرياسيس Ariaces الذي قاد الفرق الكبادوكية في معركة جوجاميلا، والذين كانوا مستعدين نسبيًّا لتزيين أنفسهم بلقب «المرزبانات الشرعيين»، الذي يشير إلى الحنين للماضي.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

المجلدين الخامس والسادس

الفصل السادس عشر الأراضي والشعوب والمرزبانيات